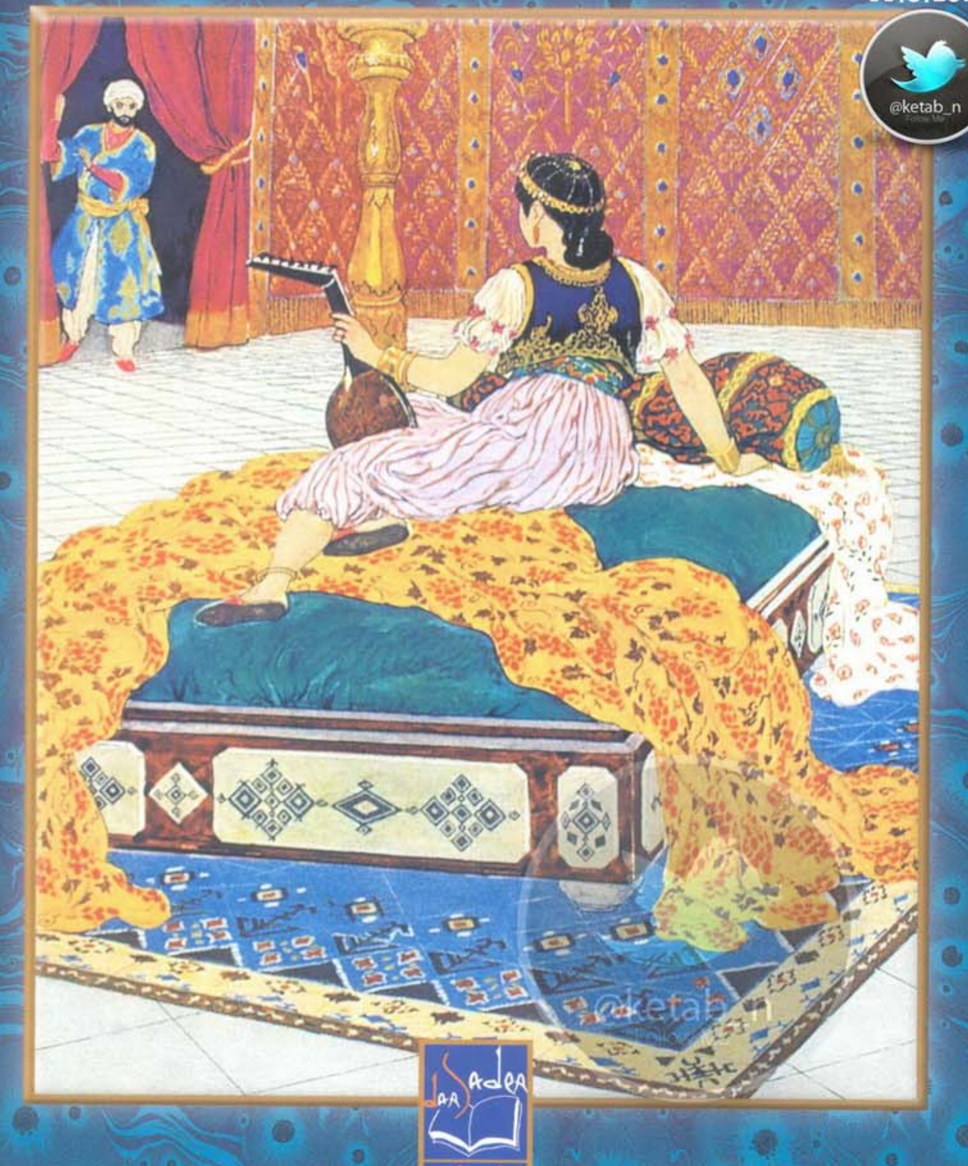
طبعة أصليّة كاملة

ألف ليلة وليلة



دار صادر



2



بيروت

الطبعة الأولى 1420هـ - 1999 م
الطبعة الثانية 1429هـ - 2008 م



تأسست سنة 1863

ص . ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4.910270 Tel: 910340
e-mail: dsp@darsader.com

Alf Laylat wa-Laylat 1/2

p.1490 - s. 17.5 x 25 cm

ISBN 978-9953-13-666-0



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الباقي وكل من عليها فان. العظيم الذي حارت لإدراك كنه صفاته العقول والأذهان. خالق الخلق ومسبّب الأسباب ومكوّن الأكوان. وصلى الله على سيدنا محمد سيّد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه في كل وقت وآوان. وبعد، فإن الله تعالى من عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته دبّر الأشياء والأمور وحكم بتغيّر الأزمان والدهور، وجعل حديث الأوّلين عبرة للأمم الآخرين ليعتبروا بما مضى ولينظروا إلى الفضاء. فمن الأحاديث اللطيفة والحكايات الظريفة، الكتاب المسمّى بألف ليلة وليلة وما فيه من الحكايات الغريبة والنكات والنبذ العجيبة التي تشتاق لسماعها النفوس ولا يجالسها عبوس. وهو في الحقيقة جدير بأن يكتب ولو بالذهب وليس في ذلك من عجب. وهو هذا الكتاب النفيس الذي نحن بصدده حتى وصلنا إلى العقد الثالث من نظم درره بعدما تمّت شهرزاد بنت الوزير من الليالي بعد الخمسمائة ستاً وثلاثين وكمّلت حكايات حاسب كريم الدين. قالت: وليس هذا بأعجب من حكاية السندباد. قال: وكيف ذلك؟ -

52 - حكاية سندباد البحري

قالت: بلغني أنه كان في زمن الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد، رجل يقال له: السندباد الحمّال. وكان رجلاً فقير الحال يحمل باجرته على رأسه. فاتّفق له أنه حمل في يوم من الأيام حملة ثقيلة، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ، فتعب من تلك الحملة وعرق واشتدّ عليه الحرّ، فمرّ على باب رجل تاجر قدّامه كنس ورش وهناك هواء معتدل، وكان بجانب الباب مصطبة عريضة. فحط الحمّال حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 537

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الحمّال لما حطّ حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء، خرج عليه من ذلك الباب نسيم رائق ورائحة زكيّة، فاستلذّ الحمّال لذلك وجلس على جانب المصطبة، فسمع في ذلك المكان نغم أوتار وعود وأصواتاً مطربة وأنواع إنشاد معربة، وسمع أيضاً أصوات طيور تناغي وتسبّح الله تعالى باختلاف الأصوات وسائر اللغات، من قماري وهزار وشحارير وبلبل وفاخت وكيروان. فعند ذلك تعجّب في نفسه وطرب طرباً شديداً، فتقدّم إلى ذلك الباب فوجد داخل البيت بستاناً عظيماً ونظر فيه غلماناً وعبيداً وخدماً وحشماً وشيئاً لا يوجد إلاّ عند الملوك والسلاطين. وبعد ذلك هبّت عليه رائحة أطعمة طيبة زكية من جميع الألوان المختلفة والشراب الطيّب. فرفع طرفه إلى السماء وقال: سبحانك يا رب يا خالق يا رازق، ترزق مَنْ تشاء بغير حساب. اللّهم إني أستغفرك من

جميع الذنوب وأتوب إليك من العيوب . يا رب لا اعتراض عليك في حكمك وقدرتك فإنك لا تسأل عمّا تفعل وأنت على كل شيء قدير . سبحانك تُغني مَنْ تشاء وتُفْقر مَنْ تشاء وتُعزّ مَنْ تشاء وتُذل مَن تشاء ، لا إله إلاّ أنت . ما أعظم وما أقوى سلطانك وما أحسن تدبيرك ، قد أنعمت على مَنْ تشاء من عبادك . فهذا المكان صاحبه في غاية النعمة ، وهو متلذّذ بالروائح اللطيفة والمآكل اللذيذة والمشارب الفاخرة في سائر الصفات . وقد حكمت في خلقك بما تريد وما قدرته عليهم . فمنهم تعبان ومنهم مستريح ومنهم سعيد ومنهم من هو مثلي في غاية التعب والذل . وأنشد يقول : [من المتقارب]

الظّلُ مِنْ كُلِّ شَيْ شَخْصُه ... فَظِلُّ الشَّقِيِّ كَمَا هُوَ ظِلِّي
وأَصبَحْتُ في تَعَبٍ زائِدٍ ... وأَمْرِي عَجِيبٌ وقَدْ زادَ حَمْلِي
وغَيْري سَعِيدٌ بِـلا شَقْوَةٍ ... وما حَمَلَ الدَّهْرُ يَوْماً كَحِمْلِي
يَنْعَمُ في عَيْشِهِ دائماً ... بِـبَسْطٍ وعِزٍّ وشُرْبٍ وأَكْلِ
وكُلُّ الخَلائـقِ مِنْ نُطْفَةٍ ... أَنا مِثْلُ هَذا وهَذا كَمِثْلِي
ولَـكِنَّ شَـتّانَ ما بَيْنَنا ... وشَتّانَ ما بَيْنَ خَمْرٍ وَخَلٍّ
ولَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ فِرًى ... فَأَنْتَ حَـكِيمٌ حَـكَمْتَ بِعَدْلِ

فلما فرغ السندباد الحمّال من شعره ونظمه أراد أن يحمل حملته ويسير إذ قد طلع عليه من ذلك الباب غلام صغير السن حسن الوجه مليح القدّ فاخر الملابس ، فقبض على يد الحمّال وقال له : أدخل كلّم سيدي فإنه يدعوك . فأراد الحمّال الإمتناع من الدخول مع الغلام فلم يقدر على ذلك . فحطّ حملته عند البواب في دهليز المكان ودخل مع الغلام داخل الدار ؛ فوجد داراً مليحة وعليها أنس ووقار ، ونظر إلى مجلس عظيم فنظر فيه من السادات الكرام والموالي العظام ، وفيه من جميع أصناف الزهر وجميع أصناف المشموم ، ومن أنواع النقل والفواكه وشيئاً كثيراً من أصناف الأطعمة النفيسة ، وفيه مشروب من خواص دوالي الكروم ، وفيه آلات السماع والطرب من أصناف الجواري الحسان كل منهم في مقامه على حسب الترتيب . وفي صدر ذلك المجلس رجل عظيم محترم قد لكزه الشيب في عوارضه ، وهو مليح الصورة حسن المنظر وعليه هيبة ووقار وعز وافتخار . فعند ذلك بهت السندباد الحمّال وقال في نفسه : والله إن هذا المكان من بقع الجنان أو أنه يكون قصر ملك أو سلطان . ثم إنه تأدّب وسلّم عليهم ودعى لهم وقبّل الأرض بين أيديهم ووقف وهو منكّس رأسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 538

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد الحمّال لما قبّل الأرض بين أيديهم ووقف وهو منكّس الرأس متخشّع ، فأذن له صاحب المكان بالجلوس فجلس وقد قرّبه إليه ، وصار يؤانسه بالكلام ويرحّب به . ثم إنه قدّم له شيئًا من أنواع الطعام المفتخر الطيب النفيس . فتقدم السندباد الحمّال وسمّى وأكل حتى اكتفى وشبع وقال : الحمد لله على كل حال . ثم إنه غسل يديه وشكرهم على ذلك . فقال صاحب المكان : مرحباً بك ونهارك

مبارك، فما يكون إسمك؟ وما تعاني من الصنائع ؟ فقال له : يا سيدي، إسمي السندباد الحمّال، وأنا أحمل على رأسي أسباب الناس بالأجرة . فتبسّم صاحب المكان وقال له : إعلم يا حمّال ان اسمك مثل اسمي، فأنا السندباد البحري . ولكن يا حمّال قصدي ان تسمعني الأبيات التي كنت تنشدها وأنت على الباب . فاستحى الحمّال وقال له : بالله عليك لا تؤاخذني فإن التعب والمشقّة وقلّة ما في اليد تعلّم الإنسان قلّة الأدب والسفه . فقال له : لا تستحي فأنت صرت اخي، فانشد الأبيات فإنها أعجبتني لما سمعتها منك وانت تنشدها على الباب . فعند ذلك أنشده الحمّال تلك الأبيات فأعجبته وطرب لسماعها وقال له : يا حمّال إعلم ان لي قصة عجيبة، وسوف اخبرك بجميع ما صار لي وما جرى لي من قبل أن أصير إلى هذه السعادة وأجلس في هذا المكان الذي تراني فيه . فإني ما وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان إلاّ بعد تعب شديد ومشقّة عظيمة وأهوال كثيرة . وكم قاسيت في الزمن الأول من التعب والنصب . وقد سافرت سبع سفرات، وكل سفرة لها حكاية عجيبة تحيّر الفكر، وكل ذلك بالقضاء والقدر وليس من المكتوب مفر ولا مهرب .

الحكاية الأولى وهي أول السفرات . إعلموا يا سادة يا كرام أنه كان لي أب تاجر وكان من أكابر الناس والتجّار، وكان عنده مال كثير ونوال جزيل، وقد مات وأنا ولد صغير وخلف لي مالاً وعقاراً وضياعاً . فلما كبرت وضعت يدي على الجميع وقد أكلت أكلاً مليحاً وشربت شرباً مليحاً، وعاشرت الشباب وتجملت بلبس الثياب ومشيت مع الخلاّن والأصحاب، واعتقدت أن ذلك يدوم لي وينفعني، ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان . ثم إني رجعت إلى عقلي وأفقت من غفلتي فوجدت مالي قد مال وحالي قد حال، وقد ذهب جميع ما كان معي ولم استفق لنفسي إلاّ وأنا مرعوب مدهوش . وقد تفكّرت حكاية كنت اسمعها سابقاً وهي حكاية سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام في قوله : ثلاثة خير من ثلاثة : يوم الممات خير من يوم الولادة، وكلب حيّ خير من سبع ميت، والقبر خير من القصر . ثم إني قمت وجمعت ما كان عندي من آثار وملبوس وبعته، ثم بعت عقاري وجميع ما تملك يدي . فجمعت ثلاثة آلآف درهم، وقد خطر ببالي السفر إلى بلاد الناس . وتذكّرت بعض كلام الشعراء حيث قال : [من الوافر]

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعالي ... ومَنْ طَلَبَ العُلى سَهِرَ اللَّيالي
يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللآلي ... ويَحْظَى بالسِّيادَةِ والنَّوالِ
ومَنْ طَلَبَ العُلى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ... أَضاعَ العُمْرَ في طَلَبِ المِحالِ

فعند ذلك هممت فقمت واشتريت لي بضاعة ومتاعاً وأسباباً وشيئاً من أغراض السفر، وقد سمحت لي نفسي بالسفر في البحر . فنزلت المركب وانحدرت إلى مدينة البصرة مع جماعة من التجار، وسرنا في البحر مدة أيام وليال . وقد مررنا بجزيرة بعد جزيرة ومن بحر إلى بحر ومن بر إلى برّ، وفي كل مكان مررنا به نبيع ونشتري ونقايض بالبضائع فيه . وقد انطلقنا في سير البحر إلى أن وصلنا إلى جزيرة كأنها روضة من رياض الجنّة، فأرسى بنا صاحب المركب على تلك الجزيرة ورمى مراسيها ومدّ السقالة . فنزل جميع مَنْ كان في المركب في تلك الجزيرة وقد عملوا لهم كوانين وأوقدوا فيها النار واختلفت أشغالهم . فمنهم مَنْ صار يطبخ ومنهم مَنْ صار يغسل

ومنهم من صار يتفرّج ، وكنت أنا من جملة المتفرّجين في جوانب الجزيرة، وقد اجتمعت الركاب على أكل وشرب ولهو ولعب. فبينما نحن على تلك الحالة وإذا بصاحب المركب واقف على جانبها، وصاح بأعلى صوته : يا ركّاب السلامة، أسرعوا واطلعوا إلى المركب وبادروا إلى الطلوع واتركوا أسبابكم واهربوا بأرواحكم وفوزوا بسلامة أنفسكم من الهلاك . فإن هذه الجزيرة التي أنتم عليها ما هي جزيرة، وإنما هي سمكة كبيرة رست في وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت مثل الجزيرة، وقد نبتت عليها الأشجار من قديم الزمان . فلما أوقدتم عليها النار احسّت بالسخونة فتحركت، وفي هذا الوقت تنزل بكم في البحر فتغرقون جميعاً . فاطلبوا النجاة لأنفسكم قبل الهلاك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 539

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن ريّس المركب لما صاح على الركّاب وقال لهم : أطلبوا النجاة لأنفسكم قبل الهلاك واتركوا الأسباب . وسمع الركّاب كلام ذلك الريّس ، أسرعوا وبادروا بالطلوع إلى المركب وتركوا الأسباب وحوائجهم ودستوتهم وكوانينهم . فمنهم مَنْ لحق المركب ومنهم من لم يلحقها، وقد تحركت تلك الجزيرة ونزلت إلى قرار البحر بجميع ما كان عليها، وانطبق عليها البحر العجاج المتلاطم بالأمواج . وكنت أنا من جملة من تخلّف في الجزيرة، فغرقت في البحر مع جملة مَنْ غرق . ولكن الله تعالى انقذني ونجّاني من الغرق ورزقني بقصعة خشب كبيرة من التي كانوا يغسلون فيها، فمسكتها بيدي وركبتها من حلاوة الروح ورفصت في الماء برجليّ مثل المجاذيف، والامواج تلعب بي يميناً وشمالاً . وقد نشر الريّس قلاع المركب وسافر بالذين طلع بهم في المركب ولم يلتفت لمن غرق منهم . وما زلت انظر إلى ذلك المركب حتى خفي عن عيني وأيقنت بالهلاك . ودخل عليّ الليل وأنا على هذه الحالة، فمكثت على ما أنا فيه يوماً وليلة وقد ساعدني الريح والامواج إلى ان رست بي تحت جزيرة عالية وفيها أشجار مطلّة على البحر ؛ فمسكت فرعاً من شجرة عالية وتعلقّت به بعدما أشرفت على الهلاك، وتمسكّت به إلى ان طلعت إلى الجزيرة فوجدت في رجليّ خدلاً وأثر أكل السمك في بطونهما، ولم ادر بذلك من شدة ما كنت فيه من الكرب والتعب . وقد ارتميت في الجزيرة وأنا مثل الميت وغبت عن وجودي وغرقت لي دهشتي، ولم ازل على هذه الحالة إلى ثاني يوم وقد طلعت الشمس عليّ وانتبهت في الجزيرة فوجدت رجليّ قد ورمتا فصرت على ما أنا فيه، فتارة ازحف وتارة احبو على ركبتي . وكان في الجزيرة فواكه كثيرة وعيون من الماء العذب، فصرت آكل من تلك الفواكه . ولم ازل على هذه الحالة مدة أيام وليال، ولقد انتعشت نفسي وردّت لي روحي وقويت حركتي، وصرت اتفكّر وامشي في جانب الجزيرة واتفرّج بين الأشجار على ما خلق الله تعالى . وقد عملت لي عكازاً من تلك الاشجار أتوكأ عليه، ولم ازل على هذه الحالة إلى ان تمشيت يوماً من الايام في جانب الجزيرة فلاح لي شبح من بعد فظننت انه وحش أو انه دابة من دواب البحر . فتمشيت إلى نحوه ولم ازل أتفرّج عليه وإذا هو فرس عظيم المنظر مربوط في جانب الجزيرة على شاطىء البحر، فدنوت منه فصرخ عليّ صرخة عظيمة، فارتعبت منه وأردت ان أرجع ، وإذا برجل خرج من تحت الارض وصاح عليّ وتبعني وقال لي : مَنْ انت؟ ومن اين جئت؟ وما سبب وصولك إلى هذا المكان؟ فقلت له : يا سيدي إعلم

اني رجل غريب، وكنت في مركب فغرقت انا وبعض مَنْ كان فيها فرزقني الله بقصعة خشب فركبتها وعامت بي إلى ان رمتني الأمواج في هذه الجزيرة . فلما سمع كلامي امسكني من يدي وقال لي : إمش معي . فسرت معه فنزل بي في سرداب تحت الأرض ، ودخل بي إلى قاعة كبيرة تحت الأرض واجلسني في صدر تلك القاعة وجاء لي بشيء من الطعام ، وانا كنت جائعاً فاكلت حتى شبعت واكتفيت وارتاحت نفسي . ثم إنه سألني عن حالي وما جرى لي ، فاخبرته بجميع ما كان من امري من المبتدأ إلى المنتهى فتعجّب من قصتي . فلما فرغت من حكايتي قلت : بالله عليك يا سيدي لا تؤاخذني فانا قد اخبرتك بحقيقة حالي وما جرى لي ، وانا اشتهي منك ان تخبرني مَنْ انت ؟ وما سبب جلوسك في هذه القاعة التي تحت الأرض ؟ وما سبب ربطك هذه الفرس على جانب البحر ؟ فقال لي : إعلم انا جماعة متفرّقون في هذه الجزيرة على جوانبها، ونحن سيّاس الملك المهرجان وتحت ايدينا جميع خيوله، وفي كل شهر عند القمر نأتي بالخيل الجياد ونربطها في هذه الجزيرة من كل بكر، ونختفي في هذه القاعة تحت الأرض حتى لا يرانا احد . فيجيء حصان من خيول البحر على رائحة تلك الخيل ويطلع على البر فيلتفت فلم يرَ احداً، فيثب عليها ويقضي منها حاجته وينزل عنها ويريد اخذها معه فلم تقدر ان تسير معه من الرباط فيصيح عليها، ويضربها براسه ورجليه ويصيح . فنسمع صوته فنعلم انه نزل عنها فنطلع صارخين عليه ، فيخاف منا وينزل البحر والفرس تحمل منه وتلد مهراً او مهرة تساوي خزنة مال ولا يوجد لها نظير على وجه الأرض . وهذا وقت طلوع الحصان ، وإن شاء الله تعالى آخذك معي إلى الملك المهرجان . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 540

☐ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان السايس قال للسندباد البحري : آخذك معي إلى الملك المهرجان وافرّجك على بلادنا . واعلم انه لولا اجتماعك علينا ما كنت ترى احداً في هذا المكان غيرنا وكنت تموت كمداً ولا يدري بك احد ، ولكن انا اكون سبب حياتك ورجوعك إلى بلادك . فدعوت له وشكرته على فضله وإحسانه . فبينما نحن في هذا الكلام وإذا بالحصان قد طلع من البحر وصرخ صرخة عظيمة ثم وثب على الفرس ؛ فلما فرغ غرضه منها نزل عنها واراد اخذها معه فلم يقدر ، ورفصت وصاحت عليه . فاخذ الرجل السايس سيفًا بيده ودرقة وطلع من باب تلك القاعة وهو يصيح على رفقته ويقول : اطلعوا إلى الحصان . ويضرب بالسيف على الدرقة . فجاء جماعة بالرماح صارخين ، فجفل منهم الحصان وراح إلى حال سبيله ونزل في البحر مثل الجاموس وغاب تحت الماء . فعند ذلك جلس الرجل قليلاً وإذا هو باصحابه قد جاؤوه ومع كل واحد فرس يقودها ، فنظروني عنده . فسألوني عن امري ، فاخبرتهم بما حكيته له وقربوا مني ومدّوا السماط واكلوا وعزموا عليّ فاكلت معهم . ثم إنهم قاموا وركبوا الخيول واخذوني معهم وركبوني على ظهر فرس وسافرنا . ولم نزل سائرين إلى ان وصلنا إلى مدينة الملك المهرجان ، وقد دخلوا عليه واعلموه بقصتي ، فطلبني . فادخلوني عليه واوقفوني بين يديه فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام ورحّب بي وحيّاني بإكرام وسألني عن حالي . فاخبرته بجميع ما حصل لي ، وبكل ما رايته من المبتدأ إلى المنتهى . فعند ذلك تعجّب مما وقع لي وما جرى لي وقال لي : يا ولدي ، والله لقد حصل لك مزيد السلامة ولولا طول عمرك ما نجوت من

هذه الشدائد، ولكن الحمد لله على السلامة. ثم إنه احسن إليّ واكرمني وقرّبني إليه وصار يؤانسني بالكلام والملاطفة، وجعلني عنده عاملاً على مينة البحر وكاتباً على كل مركب عبرت إلى البر. وصرت واقفاً عنده لأقضي له مصالحه وهو يحسن إليّ وينفعني من كل جانب. وقد كساني كسوة مليحة فاخرة، وصرت مقدماً عنده في الشفاعات وقضاء مصالح الناس. ولم ازل عنده مدة طويلة، وانا كلما أشق على جانب البحر اسأل التجار المسافرين والبحريين عن ناحية مدينة بغداد لعل احداً يخبرني عنها فاروح معه إليها واعود إلى بلادي، فلا يعرفها احد ولا يعرف مَنْ يروح إليها، وقد تحيّرت من ذلك وسئمت من طول الغربة. ولم ازل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى ان جئت يوماً من الأيام ودخلت على الملك المهرجان فوجدت عنده جماعة من الهنود، فسلّمت عليهم فردّوا على السلام ورحبوا بي وقد سألوني عن بلادي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 541

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري قال: لما سألتهم عن بلادهم ذكروا لي انهم أجناس مختلفة، فمنهم الشاكرية وهم اشرف اجناسهم لا يظلمون احداً ولا يقهرونه، ومنهم جماعة تسمى البراهمة وهم قوم لا يشربون الخمر ابداً وإنما هم اصحاب حظ وصفاء ولهو وطرب وجمال وخيول ومواش، واعلموني ان صنف اليهود يفترق على اثنين وسبعين فرقة. فتعجبت من ذلك غاية العجب، ورايت في مملكة المهرجان جزيرة من جملة الجزائر يقال لها: كابل. يسمع فيها ضرب الدفوف والطبول طول الليل. وقد أخبرنا اصحاب الجزائر والمسافرون بأنهم اصحاب الجدّ والراي. ورايت في ذلك البحر سمكة طولها مائتي ذراع، ورايت ايضاً سمكاً وجهه مثل وجه البوم، ورايت في تلك السفرة كثيراً من العجائب والغرائب مما لو حكيته لكم لطال شرحه. ولم أزل اتفرج على تلك الجزائر وما فيها إلى أن وقفت يوماً من الأيام على جانب البحر وفي يدي عكاز على جري عادتي وإذا بمركب كبيرة قد أقبلت وفيها تجار كثير. فلما وصلت إلى مينة المدينة وفرضتها، طوى الريس قلوعها وارسوها على البر ومدّ السقالة واطلع البحرية جميع ما كان في تلك المركب إلى البر وابطؤوا في تطليعه وانا واقف أكتب عليهم. فقلت لصاحب المركب: هل بقي في مركبك شيء؟ فقال: نعم يا سيدي، معي بضائع في بطن المركب ولكن صاحبها غرق منا في البحر في بعض الجزائر ونحن قادمون في البحر وصارت بضائعه معنا وديعة، فغرضنا اننا نبيعها ونأخذ علماً بثمنها لأجل ان نوصله إلى أهله في مدينة بغداد دار السلام. فقلت للريّس: ما يكون اسم ذلك الرجل صاحب البضائع؟ فقال: إسمه السندباد البحري، وقد غرق منا في البحر. فلما سمعت كلامه حقّقت النظر فيه، فعرفته وصرخت عليه صرخة عظيمة وقلت: يا ريّس، إعلم اني انا صاحب البضائع التي ذكرتها، وانا السندباد البحري الذي نزلت من المركب في الجزيرة مع جملة من نزل من التجار، ولما تحركت السمكة التي كنا عليها وصحت انت علينا، طلع من طلع وغرق الباقي وكنت انا من جملة من غرق. ولكن الله تعالى سلّمني ونجّاني من الغرق بقصعة كبيرة من التي كان الركاب يغسلون فيها، فركبتها وصرت ارفص برجليّ، وساعدني الريح والموج إلى ان وصلت إلى هذه الجزيرة فطلعت فيها، واعانني الله تعالى واجتمعت بسيّاس الملك المهرجان فحملوني معهم إلى ان

أتوا بي إلى هذه المدينة وأدخلوني عند الملك المهرجان فأخبرته بقصتي، فأنعم عليّ وجعلني كاتباً على مينة هذه المدينة. فصرت أنتفع بخدمته وصار لي عنده قبول. وهذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 542

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري حين قال للريّس: هذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي. قال الريّس: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، ما بقي لأحد أمانة ولا ذمّة. قال: فقلت له: يا ريّس، ما سبب ذلك؟ وأنت سمعتني أخبرتك بقصتي. فقال الريّس: لأنك سمعتني أقول أن معي بضائع صاحبهم غرق، فتريد أنك تأخذها بلا حق وهذا حرام عليك، فإننا رأيناه لما غرق وكان معه جماعة من الركاب كثيرون وما نجى منهم أحد، فكيف تدعي أنت أنك صاحب البضائع؟ فقلت له: يا ريّس إسمع قصتي وافهم كلامي يظهر لك صدقي، فإن الكذب سيمة المنافقين. ثم إني حكيت للريّس جميع ما كان مني حين خرجت معه من مدينة بغداد إلى أن وصلنا تلك الجزيرة التي غرقنا فيها، وأخبرته ببعض أحوال جرت بيني وبينه. فعند ذلك تحقّق الريّس والتجار صدقي فعرفوني وهنّوني بالسلامة وقالوا جميعاً: والله ما كنّا نصدق بأنك نجوت من الغرق، ولكن رزقك الله عمراً جديداً. ثم إنهم أعطوني البضائع فوجدنا إسمي مكتوبًا عليها ولم ينقص منها شيء. ففتحتها وأخرجت منها شيئًا نفيساً غالي الثمن وحملته معي بحرية المركب وطلعت به إلى الملك على سبيل الهدية، وأعلمت الملك بأن هذه المركب التي كنت فيها، وأخبرته أن بضائعي وصلت إليّ بالتمام والكمال وأن هذه الهدية منها. فتعجّب الملك من ذلك الأمر غاية العجب وظهر له صدقي في جميع ما قلته، وقد أحبّني محبّة شديدة وأكرمني إكراماً زائداً وقد وهب لي شيئًا كثيراً في نظير هديتي. ثم بعت حمولي وما كان معي من البضائع وكسبت فيها شيئًا كثيراً، واشتريت بضاعة وأسباباً ومتاعاً من تلك المدينة. ولما أراد تجار المركب السفر، شحنت جميع ما كان معي في المركب ودخلت عند الملك وشكرته على فضله وإحسانه، ثم إني استأذنته في السفر إلى بلادي وأهلي، فودّعني وقد أعطاني شيئًا كثيراً عند سفري من متاع تلك المدينة، وقد ودّعته ونزلت المركب وسافرنا بإذن الله تعالى وخدمنا السعد وساعدتنا المقادير. ولم نزل مسافرين ليلاً ونهاراً إلى أن وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة وطلعنا فيها، فأقمنا فيها زمناً قليلاً وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي. وبعد ذلك توجهت إلى مدينة بغداد دار السلام ومعي من الحمول والمتاع والأسباب شيء كثير له قيمة عظيمة، ثم جئت إلى حارتي ودخلت بيتي وقد جاء جميع أهلي وأصحابي، ثم إني اشتريت لي خدماً وحشماً ومماليك وسراري وعبيداً حتى صار عندي شيء كثير. وقد اشتريت لي دوراً وأماكن وعقاراً أكثر من الأول؛ ثم إني عاشرت الأصحاب ورافقت الخلاّن وصرت أكثر ما كنت عليه في الزمن الأول، وقد نسيت جميع ما كنت قاسيت من التعب والغربة والمشقّة وأهوال السفر، واشتغلت باللذّات والمسرات والمآكل الطيّبة والمشارب النفيسة، ولم أزل على هذه الحالة. وهذا ما كان من أول سفراتي، وفي غد إن شاء الله تعالى أحكي لكم الحكاية الثانية من السبع سفرات. ثم إن السندباد البحري عشّى السندباد البري عنده وأمر له بمائة مثقال ذهباً وقال له: آنستنا في هذا النهار. فشكره الحمّال وأخذ منه ما وهبه له وانصرف إلى

حال سبيله وهو متفكّر فيما يقع وما يجري للناس ويتعجب غاية العجب، ونام تلك الليلة في منزله. ولما أصبح الصباح جاء إلى بيت السندباد البحري ودخل عنده، فرحّب به وأكرمه واجلسه عنده. ولما حضر بقية أصحابه قدم لهم الطعام والشراب وقد صفا لهم الوقت وحصل لهم الطرب، فبدأ السندباد البحري بالكلام وقال: إعلموا يا إخواني أني كنت في ألذّ عيش وأصفى سرور على ما تقدم ذكره لكم بالأمس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 543

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما اجتمع عنده أصحابه قال لهم: إني كنت في ألذّ عيش إلى أن خطر ببالي يوماً من الأيام السفر إلى بلاد الناس واشتاقت نفسي إلى التجارة والتفرّج في البلدان والجزائر واكتساب المعاش، فهممت في ذلك الأمر وقد أخرجت من مالي شيئًا كثيراً اشتريت به بضائع وأسباباً تصلح للسفر، وحزمتها وجئت إلى الساحل فوجدت مركباً مليحة جديدة ولها قلع قماش مليح، وهي كثيرة الرجال زائدة العدة. ونزلت حمولي فيها أنا وجماعة من التجّار، وقد سافرنا في ذلك النهار وطاب لنا السفر. ولم نزل من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة، وكل محل رسينا عليه نقابل التجّار وأرباب الدولة والبائعين والمشترين ونبيع ونشتري ونقايض بالبضائع فيه. ولم نزل على هذه الحالة إلى أن ألقتنا المقادير على جزيرة مليحة كثيرة الأشجار يانعة الأثمار فائحة الأزهار مترنّمة الأطيار صافية الأنهار، ولكن ليس بها ديار ولا نافخ نار. فأرسى بنا الريّس على تلك الجزيرة، وقد طلع التجّار والركّاب إلى تلك الجزيرة يتفرّجون على ما بها من الأشجار والأطيار ويسبّحون الله الواحد القهّار ويتعجّبون من قدرة الملك الجبّار. فعند ذلك طلعت إلى الجزيرة مع جملة من طلع وجلست على عين ماء صاف بين الأشجار، وكان معي شيء من المأكل. فجلست في هذا المكان آكل ما قسم الله تعالى لي، وقد طاب لنا النسيم بذلك المكان وصفا لي الوقت فأخذتني سنة من النوم، فارتحت في ذلك المكان وقد استغرقت في النوم واستلذذت بذلك النسيم الطيّب والروائح الزكية؛ ثم إني قمت فلم أجد في ذلك المكان إنسياً ولا جنّياً، وقد سارت المركب بالركاب ولم يتذكّرني منهم أحد لا من التجّار ولا من البحرية، فتركوني في الجزيرة وقد التفت فيها يميناً وشمالاً فلم أجد بها أحداً غيري. فحصل عندي قهر شديد ما عليه من مزيد، وقد كادت مرارتي تنفقع من شدة ما أنا فيه من الغمّ والحزن والتعب، ولم يكن معي شيء من الدنيا ولا من المأكل ولا من المشرب وصرت وحيداً. وقد تعبت في نفسي وآيست من الحياة وقلت: ما كل مرة تسلم الجرّة. وإن كنت سلمت في المرة الأولى ولقيت مَنْ أخذني معه من الجزيرة إلى العمار، ففي هذه المرة هيهات! هيهات! إن كنت أجد من يوصلني إلى بلاد العمار. ثم إني صرت أبكي وأنوح على نفسي حتى تملّكني القهر ولمت نفسي على ما فعلته وعلى ما شرعت فيه من أمر السفر والتعب من بعد ما كنت جالساً مرتاحاً في دياري وبلادي وأنا مبسوط ومتهنّ بمأكول طيّب ومشروب طيّب وملبوس طيّب، وما كنت محتاجاً شيئاً من المال ولا من البضائع. وصرت أتندّم على خروجي من مدينة بغداد وسفري في البحر من بعد ما قاسيت التعب في السفرة الأولى وأشرفت على الهلاك وقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وقد صرت في حيّز المجانين، وبعد

ذلك قمت على حيلي وتمشيّت في الجزيرة يميناً وشمالاً وصرت لا أستطيع الجلوس في محل واحد. ثم إني صعدت على شجرة عالية وصرت انظر من فوقها يميناً وشمالاً فلم أرَ غير سماء وماء وأشجار واطيار وجزائر ورمال، وقد حققت النظر فلاح لي في الجزيرة شبح ابيض عظيم الخلقة، فنزلت من فوق الشجرة وقصدته وصرت أمشي إلى ناحيته. ولم ازل سائراً إلى ان وصلت إليه وإذا به قبّة كبيرة بيضاء شاهقة في العلوّ، كبيرة الدائرة. فدنوت منها ودرت حولها فلم اجد لها باباً ولم اجد لي قوة ولا حركة إلى الصعود عليها من شدّة النعومة، فعلّمت مكان وقوفي ودرت حول القبة اقيس دائرها فإذا هو خمسون خطوة وافية. فصرت متفكّراً في الحيلة الموصلة إلى دخولها وقد قرب زوال النهار وغروب الشمس، وإذا بالشمس قد خفيت والجو قد اظلم واحتجبت الشمس عني فظننت انه جاء على الشمس غمامة وكان ذلك في زمن الصيف، فتعجّبت ورفعت راسي وتأملت في ذلك، فرايت طيراً عظيم الخلقة كبير الجثة عريض الأجنحة طائراً في الجوّ وهو الذي غطى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة. فازددت من ذلك عجباً. ثم إني تذكرت حكاية. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 544

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان السندباد البحري لما زاد تعجّبه من الطائر الذي رآه في الجزيرة، تذكر حكاية اخبره بها قديماً اهل السياحة والمسافرون وهي: ان في بعض الجزائر طيراً عظيم الخلقة يقال له: الرخ. يزقّ اولاده بالأفيال فتحققت ان القبة التي رايتها إنما هي بيضة من بيض الرخ ثم إني تعجبت من خلق الله تعالى. فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذلك الطائر نزل على تلك القبة وحضنها بجناحيه ومدّ رجليه من خلفه على الأرض ونام عليها، فسبحان مَنْ لا ينام. فعند ذلك قمت وفككت عمامتي من فوق راسي وثنيتها وفتلتها حتى صارت مثل الحبل، وتحزّمت بها وشددت وسطي وربطت نفسي في رجليّ ذلك الطائر وشددته شداً وثيقاً وقلت في نفسي: لعل هذا يوصلني إلى بلاد المدن والعمار ويكون ذلك احسن من جلوسي في هذه الجزيرة. وقد بتّ تلك الليلة ساهراً خوفاً من ان انام فيطير بي على حين غفلة. فلما طلع الفجر وبان الصباح قام الطائر من على بيضته وصاح صيحة واقتلع بي إلى الجو وهو يعلو ويرتفع حتى ظننت انه وصل إلى عنان السماء، وبعد ذلك تنازل بي حتى نزل بي على الأرض وحطّ على مكان مرتفع عالٍ، فلما وصلت إلى الأرض اسرعت وفككت الرباط من رجليه وانا خائف منه، ولم يدر بي ولم يحس بي. وبعدها فككت عمامتي منه وخلّصتها من رجليه وانا انتفض ومشيت في ذلك المكان. ثم إنه اخذ شيئاً من على وجه الأرض في مخالبه وطار إلى عنان السماء، فتأملته فإذا هو حيّة عظيمة الخلقة كبيرة الجسم قد اخذها واقتلع بها إلى البحر، فتعجبت من ذلك. ثم إني تمشيّت في ذلك المكان فوجدت نفسي في مكان عالٍ وتحته وادٍ كبير واسع عميق، وبجانبه جبل عظيم شاهق في العلوّ لا يقدر احد ان يرى أعلاه من فرط علوّه، وليس لأحد قدرة على الطلوع فوقه. فلمت نفسي على ما فعلته وقلت: يا ليتني مكثت في الجزيرة فإنها احسن من هذا المكان القفر، لان الجزيرة كان يوجد فيها شيء آكله من أصناف الفواكه، وأشرب من أنهارها، وهذا المكان ليس فيه اشجار ولا اثمار ولا أنهار. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، أنا كل ما اخلص من مصيبة اقع فيما هو اعظم منها واشد

؛ ثم إني قمت وقويت نفسي ومشيت في ذلك الوادي فرأيت أرضه من حجر الماس الذي يثقبون به المعادن والجواهر ويثقبون به الصيني والجزع ، وهو حجر صلب يابس لا يعمل فيه الحديد ولا الصخر ولا أحد يقدر أن يقطع منه شيئاً ولا أن يكسره إلاّ بحجر الرصاص ، وكل ذلك الوادي حيّات وأفاع كل واحدة مثل النخلة . ومن عظيم خلقتها لو جاءها فيل لابتلعته ، وتلك الحيّات يظهرن في الليل ويختفين في النهار خوفاً من طير الرخ والنسر أن يختطفها ، وبعد ذلك يقطعها ولا ادري ما سبب ذلك . فأقمت بذلك الوادي وأنا متندم على ما فعلته وقلت في نفسي : والله إني قد عجلت بالهلاك على نفسي . وقد ولّى النهار عليّ فصرت أمشي في ذلك الوادي وأتلفّت على محل أبيت فيه وأنا خائف من تلك الحيّات ، ونسيت أكلي وشربي ومعاشي واشتغلت بنفسي ، فلاح لي مغارة بالقرب مني فمشيت فوجدت بابها ضيّقاً ، فدخلتها ونظرت إلى حجر كبير عند بابها فدفعته وسددت به باب تلك المغارة وأنا داخلها وقلت في نفسي : إني أمنت لما دخلت في هذا المكان ، وإن طلع عليّ النهار أطلع وأنظر ما تفعل القدرة . ثم التفت في داخل المغارة فنظرت حيّة عظيمة نائمة في صدر المغارة على بيضها ، فاقشعرّ بدني وأقمت رأسي وسلمت أمري للقضاء والقدر وبتّ ساهراً طول الليل إلى أن طلع الفجر ولاح ، فأزحت الحجر الذي سددت به باب المغارة وخرجت منها وأنا مثل السكران دايخ من شدة السهر والجوع والخوف وتمشيت في الوادي . فبينما انا على هذه الحالة وإذا بذبيحة عظيمة قد سقطت قدّامي ولم أجد أحداً . فتعجبت من ذلك غاية العجب وتفكّرت حكاية كنت أسمعها من قديم الزمان من بعض التجّار والمسافرين وأهل السياحة أن في جبال حجر الماس الأهوال العظيمة ولا يقدر أحد أن يسلك إليه ، ولكن التجّار الذين يجلبونه يعملون حيلة في الوصول إليه ويأخذون الشاة من الغنم ويذبحونها ويسلخونها ويشرحون لحمها ويرمونه على ذلك الجبل إلى أرض الوادي ، فتنزل وهي طرية فيلتصق بها شيء من هذه الحجارة . ثم تتركها التجّار إلى نصف النهار فتنزل الطيور من النسور والرخ إلى ذلك اللحم وتأخذه في مخالبها وتصعد إلى أعلى الجبل ، فتأتيها التجّار وتصيح عليها فتطير من عند ذلك اللحم ، ثم تتقدم التجّار إلى ذلك اللحم وتخلص منه الحجارة اللاصقة به ويتركون اللحم للطيور والوحوش ويحملون الحجارة إلى بلادهم ولا أحد يقدر أن يتوصل إلى مجيء حجر الماس إلاّ بهذه الحيلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 545

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري صار يحكي لأصحابه جميع ما حصل له في جبل الماس ، ويخبرهم أن التجّار لا يقدرون على مجيء شيء منه إلاّ بحيلة مثل الذي ذكره . ثم قال : فلما نظرت إلى تلك الذبيحة وتذكرت هذه الحكاية ، قمت وجئت عند الذبيحة فنقيت من هذه الحجارة شيئاً كثيراً وأدخلته في جيبي وبين ثيابي ، وصرت أنقي وأدخل في جيوبي وحزامي وعمامتي وبين حوائجي . فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة كبيرة ، فربطت نفسي عليها بعمامتي ونمت على ظهري وجعلتها على صدري وأنا قابض عليها ، فصارت عالية على الأرض وإذا بنسرٍ نزل على تلك الذبيحة وقبض عليها بمخالبه واقتلع بها إلى الجوّ وأنا معلّق بها . ولم يزل طائراً إلى أن صعد بها إلى أعلى الجبل وحطّ بها وأراد أن ينهش منها وإذا بصيحة عظيمة عالية من خلف ذلك النسر وشيء يخبط بالخشب على

ذلك الجبل، فجفل النسر وخاف وطار إلى الجوّ، ففككت نفسي من الذبيحة وقد تلوثت ثيابي من دمها ووقفت بجانبها، وإذا بذلك التاجر الذي صاح على النسر تقدّم إلى الذبيحة فرآني واقفاً، فلم يكلمني وقد فزع مني وارتعب وأتى الذبيحة وقلبها فلم يجد فيها شيئاً فصاح صيحة عظيمة وقال: واخيبتاه، لا حول ولا قوة إلاّ بالله. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وهو يتندم ويخبط كفاً على كفّ ويقول: واحسرتاه، اي شيء هذا الحال؟ فتقدمت إليه فقال لي: مَنْ أنت؟ وما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ فقلت له: لا تخف ولا تخش فإني إنسي من خيار الإنس، وكنت تاجراً ولي حكاية عظيمة وقصّة غريبة. وسبب وصولي إلى هذا الجبل وهذا الوادي له حكاية عجيبة، فلا تخف فلك ما يسرّك مني وأنا معي شيء كثير من حجر الماس فأعطيك منه شيئاً يكفيك، وكل قطعة معي أحسن من كل شيء يأتيك فلا تجزع ولا تخف. فعند ذلك شكرني الرجل ودعا لي وتحدّث معي، وإذا بالتجّار سمعوا كلامي مع رفيقهم فجاؤوا إليّ، وكان كل تاجر رمى ذبيحة. فلما قدموا علينا سلّموا علي وهنّوني بالسلامة وأخذوني معهم وأعلمتهم بجميع قصتي وما قاسيته في سفرتي، وأخبرتهم بسبب وصولي إلى هذا الوادي. ثم إني أعطيت لصاحب الذبيحة التي تعلقت فيها شيئاً كثيراً مما كان معي. ففرح بي ودعا لي وشكرني على ذلك وقال لي التجّار: والله إنّه قد كتب لك عمر جديد، فما أحد وصل إلى هذا المكان قبلك ونجا منه ولكن الحمد لله على سلامتك. وباتوا في مكان مليح أمان، وبت عنده وأنا فرحان غاية الفرح بسلامتي ونجاتي من وادي الحيّات ووصولي إلى بلاد العمار. ولما طلع النهار قمنا وسرنا على ذلك الجبل العظيم وصرنا ننظر في ذلك الوادي حيّات كثيرة، ولم نزل سائرين إلى أن أتينا بستاناً في جزيرة عظيمة مليحة وفيها شجر الكافور. كل شجرة منه يستظل تحتها مائة إنسان، وإذا أراد أحد أن يأخذ منه شيئاً يثقب من أعلى الشجرة بشيء طويل ويتلقى ما ينزل منه، فيسيل منه ماء الكافور ويقعد مثل الصمغ وهو عسل ذلك الشجر، وبعد ذلك تيبس الشجرة وتصير حطباً. وفي تلك الجزيرة صنف من الوحوش يقال له: الكزكزان. يرعى فيها رعياً مثل ما يرعى البقر والجاموس في بلادنا، ولكن جسم ذلك الوحش أكبر من جسم الجمل ويأكل العلق وهو دابة عظيمة لها قرن واحد غليظ في وسط رأسها طوله قدر عشرة أذرع وفيه صورة إنسان. وفي تلك الجزيرة شيء من صنف البقر، وقد قال لنا البحريون المسافرون وأهل السياحة في الجبل والأراضي أن هذا الوحش المسمّى بالكزكزان يحمل الفيل الكبير على قرنه ويرعى به في الجزيرة والسواحل ولم يشعر به، ويموت الفيل على قرنه ويسيح دهنه من حرّ الشمس على رأسه ويدخل في عينيه فيعمى، فيرقد في جانب السواحل، فيجيء له طير الرخ في مخالبه ويروح به عند أولاده ويزقّهم به وبما على قرنه. وقد رأيت في تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من صنف الجاموس ليس له عندنا نظير، وفي ذلك الوادي شيء كثير من حجر الماس الذي حملته معي وخبأته في جيبي وقايضوني عليه ببضائع ومتاع من عندهم وحملوها لي معهم وأعطوني دراهم ودنانير. ولم أزل سائراً معهم وأنا أتفرج على بلاد الناس وعلى ما خلق الله من وادٍ إلى وادٍ ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة. وقد أقمنا بها أياماً قلائل ثم جئت إلى مدينة بغداد.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 546

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما رجع من غيبته ودخل مدينة بغداد دار السلام وجاء إلى حارته ودخل داره ومعه من صنف حجر الماس شيء كثير، ومعه مال ومتاع وبضائع لها صورة، وقد اجتمع بأهله واقاربه ثم تصدّق ووهب واعطى وهادى جميع اهله واصحابه، وصار يأكل طيباً ويشرب طيباً ويلبس لبساً مليحاً ويعاشر ويرافق ونسي جميع ما كان قاساه. ولم يزل في هني عيش وصفاء خاطر وانشراح صدر وهو في لعب وطرب، وصار كل من سمع بقدومه يجيء إليه ويسأله عن حال السفر وأحوال البلاد فيخبره ويحكي له ما لقيه وما قاساه. فيتعجب من شدة ما قاساه ويهنّيه بالسلامة. وهذا آخر ما جرى له وما اتفق له في السفرة الثانية. ثم قال لهم : وفي غد إن شاء الله تعالى أحكي لكم السفرة الثالثة. فلما فرغ السندباد البحري من حكايته للسندباد البري، تعجبوا من ذلك وتعشّوا عنده وأمر للسندباد بمائة مثقال ذهباً. فأخذها وتوجه إلى حال سبيله وهو يتعجب مما قاساه السندباد البحري وشكره ودعى له في بيته. ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، قام السندباد الحمّال وصلّى الصبح وجاء إلى بيت السندباد البحري كما أمره، ودخل إليه فصبّح عليه، فرحب به وجلس معه حتى أتاه باقي أصحابه وجماعته، وقد أكلوا وشربوا واستلذّوا وطربوا وانشرحوا. فابتدأ السندباد البحري بالكلام وقال : السفرة الثالثة، إعلموا يا إخواني واسمعوا مني حكايتها فإنها أعجب من الحكايات المتقدمة قبل تاريخه، والله أعلم بغيبه وأحكم. إني فيما مضى وتقدم لما جئت من السفرة الثانية وإني في غاية البسط والإنشراح فرحان بالسلامة وقد كسبت مالاً كثيراً كما حكيت لكم أمس تاريخه، وقد عوض الله عليّ جميع ما راح مني، أقمت بمدينة بغداد مدة من الزمان وأنا في غاية الحظ والصفاء والبسط والإنشراح. فاشتاقت نفسي إلى السفر والفرجة وتشوّقت إلى المتجر والكسب والفوائد والنفس أمّارة بالسوء، فهممت واشتريت شيئاً كثيراً من البضائع المناسبة لسفر البحر، وقد حزمتها إلى السفر وسافرت بها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة وجئت إلى ساحل البحر فرأيت مركباً عظيمة وفيها تجّار وركّاب كثير أهل خير وناس ملاح طيبون. أهل دين ومعروف وصلاح. فنزلت معهم في تلك المركب وسافرنا على بركة الله تعالى بعونه وتوفيقه وقد استبشرنا بالخير والسلامة. ولم نزل سائرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة ومن مدينة إلى مدينة، وفي كل مكان مررنا عليه نتفرّج ونبيع ونشتري ونحن في غاية الفرح والسرور، إلى ان كنا يوماً من الأيام سائرين في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وإذا بالريّس وهو على جانب المركب ينظر إلى نواحي البحر ثم إنه لطم على وجهه وطوى قلوع المركب ورمى مراسيها ونتف لحيته ومزّق ثيابه وصاح صياحاً عظيماً. فقلنا له : يا ريّس ما الخبر؟ فقال : إعلموا يا ركّاب السلامة أن الريح غلب علينا وقد عسف بنا في وسط البحر ورمتنا المقادير لسوء بختنا إلى جبل القرود، وما وصل إلى هذا المكان احد وسلم منه قط، وقد احس قلبي بهلاكنا أجمعين. فما استتم قول الريّس حتى جاءنا القرود وقد احتاطوا بالمركب من كل جانب وهم شيء كثير مثل الجراد المنتشر في المركب وعلى البر. فخفنا إن قتلنا منها أحداً وضربناه أو طردناه أن يقتلونا لفرط كثرتهم، والكثرة تغلب الشجاعة. وبقينا خائفين منهم أن ينهبوا رزقنا ومتاعنا وهم أقبح الوحوش وعليهم شعور مثل اللبد الأسود ورؤيتهم تفزع، ولا يفهم أحد

لهم كلاماً ولا خبراً وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الخلقة طول كل واحد منهم أربعة أشبار، وقد طلعوا على حبال المرساة وقطعوها بأسنانهم وقطعوا جميع حبال المركب من كل جانب، فمالت المركب من الريح ورست على جبلهم وصارت المركب في برّهم، وقد قبضوا على جميع التجّار والركاب وطلعوا إلى الجزيرة وأخذوا المركب بجميع ما كان فيها وراحوا بها إلى حال سبيلهم، وقد تركونا في الجزيرة وخفيت عنا المركب ولا نعلم أين راحوا بها؟ فبينما نحن في تلك الجزيرة نأكل من أثمارها وبقولها وفواكهها ونشرب من الأنهار التي فيها إذ لاح لنا بيت عامر في وسط تلك الجزيرة فقصدناه ومشينا إليه، فإذا هو قصر مشيّد الأركان عالي الأسوار له باب بدرفتين مفتوح وهو من خشب الأبنوس. فدخلنا باب ذلك القصر فوجدنا له حضيراً واسعاً مثل الحوش الواسع الكبير، وفي دائره أبواب كثيرة عالية في صدره ومصطبة عالية كبيرة وفيها أواني طبيخ معلقة على الكوانين وحواليها عظام كثيرة ولم نرَ فيها أحداً. فتعجّبنا من ذلك غاية العجب وقد جلسنا في حضير ذلك القصر قليلاً ثم بعد ذلك نمنا. ولم نزل نائمين من ضحوة النهار إلى غروب الشمس، وإذا بالأرض قد ارتجّت من تحتنا وسمعنا دوياً من الجوّ وقد نزل علينا من أعلى القصر شخص عظيم الخلقة في صفة إنسان، وهو أسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة، وله عينان كأنهما شعلتان من نار، وله أنياب مثل الخنازير، وله فم عظيم الخلقة مثل فمِ البئر، وله مشافر مثل الجمل مرخية على صدره، وله أذنان مثل الجرسين مرخيتان على أكتافه، وأظافر يديه مثل مخالب السبع. فلما نظرناه على هذه الحالة غبنا عن وجودنا وقوي خوفنا واشتدّ فزعنا وصرنا مثل الموتى من شدة الخوف والجزع والفزع. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 547

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنّ السندباد البحري ورفقته لمّا رأوا هذا الشخص الهايل الصورة، حصل لهم غاية الخوف والفزع. فلما نزل على الأرض جلس قليلاً على المصطبة، ثم إنه قام وجاء عندنا. ثم إنه قبض على يدي من بين أصحابي التجّار ورفعني بيده عن الأرض وجسّني وقلّبني، فصرت في يده مثل اللقمة الصغيرة. وصار يجسّني مثل ما يجسّ الجزّار ذبيحة الغنم، فوجدني ضعيفاً من كثرة القهر، هزيلاً من كثرة التعب والسفر، وليس فيّ شيء من اللحم. فأطلقني من يده وأخذ واحداً غيري من رفقتي وقلّبه كما قلبني وجسّه كما جسّني وأطلقه. ولم يزل يجسّنا ويقلبنا واحداً بعد واحد إلى أن وصل إلى ريّس المركب التي كنا فيها، وكان رجلاً سميناً غليظاً عريض الأكتاف صاحب قوة وشدّة، فأعجبه وقبض عليه مثل ما يقبض الجزّار على ذبيحته ورماه على الأرض ووضع رجله على رقبته فقصف رقبته وجاء بسيخ طويل فأدخله في حلقه حتى أخرجه من دبره وأوقد ناراً شديدة وركب عليها ذلك السيخ الذي مشكوك فيه الريّس. ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه وأطلعه من النار وحطّه قدّامه وفسخه كما يفسخ الفرخة الرجل، وصار يقطع لحمه بأظافره ويأكل منه. ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل لحمه ونهش عظمه ولم يبقَ منه شيئاً، ورمى باقي العظام في جنب القصر. ثم إنه جلس قليلاً وانطرح ونام على تلك المصطبة يشخر مثل شخير

الخاروف أو البهيمة المذبوحة، ولم يزل نائماً إلى الصباح ثم قام وخرج إلى حال سبيله. فلما تحققنا بُعْده تحدّثنا مع بعضنا وبكينا على أرواحنا وقلنا: يا ليتنا غرقنا في البحر أو أكلتنا القرود خير من شيّ الإنسان على الجمر، والله إن هذا الموت موت رديء، ولكن ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. لقد متنا كمداً ولم يدرِ بنا أحد وما بقي لنا نجاة من هذا المكان. ثم إننا قمنا وخرجنا إلى الجزيرة لننظر لنا مكاناً نختفي فيه أو نهرب، وقد هان علينا أن نموت ولا يشوى لحمنا بالنار. فلم نجد لنا مكاناً نختفي فيه وقد أدركنا المساء، فعدنا إلى القصر من شدّة خوفنا وجلسنا قليلاً وإذا بالأرض قد ارتجّت من تحتنا وأقبل علينا ذلك الشخص الأسود وجاء عندنا وصار يقلبنا واحداً بعد واحد مثل المرة الأولى ويجسّنا حتى أعجبه واحد، فقبض عليه وفعل به مثل ما فعل بالريّس في أول يوم، فشواه وأكله على تلك المصطبة ولم يزل نائماً في تلك الليلة وهو يشخر مثل الذبيحة، فلما طلع النهار قام وراح إلى حال سبيله وتركنا على جري عادته. فاجتمعنا ببعضنا وتحدّثنا وقلنا لبعضنا: والله ان نلقي أنفسنا في البحر ونموت غرقاً خير من أن نموت حرقاً، لأن هذه قتلة شنيعة. فقال واحد منا: إسمعوا كلامي، إننا نحتال عليه ونقتله ونرتاح من همّه ونريح المسلمين من عدوانه وظلمه. فقلت لهم: إسمعوا يا إخواني، إن كان ولا بد من قتله فإننا نحول هذا الخشب وننقل شيئاً من هذا الحطب ونعمل لنا فلكاً مثل المركب، وبعد ذلك نحتال في قتله وننزل في الفلك ونروح في البحر إلى أي محل يريده الله، وإننا نقعد في هذا المكان حتى تمرّ علينا مركب فننزل فيها. وإن لم نقدر على قتله ننزل ونروح في البحر ولو كنا نغرق فنرتاح من شيّنا على النار ومن الذبح، وإن سلمنا سلمنا وإن غرقنا متنا شهداء. فقالوا جميعاً: والله هذا رأي سديد وفعل رشيد. واتفقنا على هذا الأمر وشرعنا في فعله، فنقلنا الأخشاب إلى خارج القصر وصنعنا فلكاً وربطناه على جانب البحر ونزلنا فيه شيئاً من الزاد وعدنا إلى القصر. فلما كان وقت المساء وإذا بالأرض قد ارتجّت بنا ودخل علينا الأسود وهو كأنه الكلب العقور، ثم قلبنا وجسّنا واحداً بعد واحد، فأخذ واحداً منا وفعل به مثل ما فعل بسابقه وأكله ونام على المصطبة وصار شخيره مثل الرعد. فنهضنا وقمنا وأخذنا سيخين من حديد من الأسياخ المنصوبة ووضعناهما في النار القوية حتى احمرّا وصارا مثل الجمر، وقبضنا عليهما قبضاً شديداً وجئنا بهما إلى ذلك الأسود وهو نائم يشخر ووضعناهما في عينيه واتكأنا عليهما جميعاً بقوتنا وعزمنا فأدخلناهما في عينيه وهو نائم فانطمستا، وصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبنا. ثم قام من فوق المصطبة بعزمه وصار يفتّش علينا ونحن نهرب منه يميناً وشمالاً ولم ينظرنا وقد عمي بصره، فخفنا منه مخافة شديدة وأيقنّا في تلك الساعة بالهلاك وآيسنا من النجاة. فعند ذلك قصد الباب وهو يحسس وخرج منه وهو يصيح، ونحن في غاية الرعب منه، وإذا بالأرض ترتج من تحتنا من شدّة صوته. فلما خرج من القصر تبعناه وراح إلى حال سبيله وهو يدور علينا، ثم إنه رجع ومعه أنثى أكبر منه وأوحش خلقة. فلما رأيناه والتي معه أفظع حالة منه خفنا غاية الخوف. فلمّا رأونا أسرعنا ونهضنا فككنا الفلك الذي صنعناه ونزلنا فيه ودفعناه في البحر، ومع كل واحد منهم صخرة عظيمة وصاروا يرجموننا بها إلى أن مات أكثرنا من الرجم وبقي منا ثلاثة أشخاص أنا وإثنان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 548

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما نزل في الفلك هو وأصحابه وصار يرجمهم الأسود ورفيقته، مات أكثرهم ولم يبقَ منهم إلاّ ثلاثة أشخاص، فطلع بهم الفلك إلى جزيرة. قال: فمشينا إلى آخر النهار، فدخل علينا الليل ونحن على هذه الحالة فنمنا قليلاً واستيقظنا من منامنا وإذا بثعبان عظيم الخلقة كبير الجثة واسع الجوف قد أحاط بنا وقصد واحداً منا فبلعه إلى أكتافه، ثم بلع باقيه فسمعنا أضلاعه تتكسر في بطنه وراح إلى حال سبيله. فتعجبنا من ذلك غاية العجب وحزنّا على رفيقنا وصرنا في غاية الخوف على أنفسنا وقلنا: والله هذا أمر عجيب، كل موت أشنع من سابقه، وكنا فرحنا بسلامتنا من الأسود فما تمّت الفرحة. لا حول ولا قوة إلاّ بالله، والله قد نجونا من الأسود ومن الغرق فكيف تكون نجاتنا من هذه الآفة المشؤومة؟ ثم إننا قمنا فمشينا في الجزيرة وأكلنا من ثمرها وشربنا من أنهارها ولم نزل فيها إلى وقت المساء، فوجدنا شجرة عظيمة عالية فطلعناها ونمنا فوقها وقد طلعت أنا أعلى فروعها. فلما دخل الليل وأظلم الوقت جاء الثعبان وتلفّت يميناً وشمالاً، ثم إنه قصد تلك الشجرة التي نحن عليها ومشى حتى وصل إلى رفيقي وبلعه إلى أكتافه والتفّ به على الشجرة، فسمعت عظمه يتكسر في بطنه ثم بلعه بتمام وأنا أنظر بعيني. ثم إن الثعبان نزل من فوق تلك الشجرة وراح إلى حال سبيله. ولم أزل على تلك الشجرة باقي تلك الليلة. فلما طلع النهار وبان النور، نزلت من فوق الشجرة وأنا مثل الميت من كثرة الخوف والفزع وأردت أن ألقي بنفسي في البحر وأستريح من الدنيا فلم تهن عليّ روحي لأن الروح عزيزة، فربطت خشبة عريضة على أقدامي بالعرض وربطت واحدة مثلها على جنبي الشمال ومثلها على جنبي اليمين ومثلها على بطني وربطت واحدة طويلة عريضة من فوق رأسي بالعرض مثل التي تحت أقدامي، وصرت أنا في وسط هذا الخشب وهو محتاط بي من كل جانب، وقد شددت ذلك شداً وثيقاً وألقيت نفسي بالجميع على الأرض، فصرت نائماً بين تلك الأخشاب وهي محيطة بي كالمقصورة. فلما أمسى الليل أقبل ذلك الثعبان على جري عادته ونظر إليّ وقصدني، فلم يقدر أن يبلعني وأنا على تلك الحالة والأخشاب حولي من كل جانب. فدار الثعبان حولي ولم يستطع الوصول إليّ وأنا أنظر بعيني وقد صرت كالميت من شدّة الخوف والفزع، وصار الثعبان يبعد عني ويعود إليّ. ولم يزل على هذه الحالة، وكلما أراد الوصول إليّ ليبتلعني تمنعه تلك الأخشاب المشدودة عليّ من كل جانب، ولم يزل كذلك من غروب الشمس إلى أن طلع الفجر وبان النور وأشرقت الشمس، فمضى الثعبان إلى حال سبيله وهو في غاية ما يكون من القهر والغيظ. فعند ذلك مددت يدي وفككت نفسي من تلك الأخشاب وأنا في حكم الأموات من شدة ما قاسيت من ذلك الثعبان، ثم إني قمت ومشيت في الجزيرة حتى انتهيت إلى آخرها. فلاحت مني التفاتة إلى ناحية البحر فرأيت مركباً على بعد في وسط اللجّة، فأخذت فرعاً كبيراً من شجرة ولوّحت به إلى ناحيتهم وأنا أصيح عليهم. فلما رأوني قالوا: لا بد إننا ننظر ما يكون هذا! لعله إنسان. ثم إنهم قربوا مني وسمعوا صياحي عليهم فجاؤوا إليّ وأخذوني معهم في المركب وسألوني عن حالي، فأخبرتهم بجميع ما جرى لي من أوله إلى آخره وما قاسيته من الشدائد. فتعجبوا من ذلك غاية العجب. ثم إنهم ألبسوني من عندهم ثياباً وستروا عورتي، وبعد ذلك قدموا لي شيئاً من الزاد فأكلت

حتى اكتفيت وسقوني ماء بارداً عذباً فانتعش قلبي وارتاحت نفسي، وحصل لي راحة عظيمة وأحياني الله تعالى بعد موتي. فحمدت الله تعالى على نعمه الوافرة وشكرته، وقد قويت همتي بعدما كنت أيقنت بالهلاك حتى تخيل لي ان جميع ما انا فيه منام. ولم نزل سائرين وقد طاب لنا الريح بإذن الله تعالى إلى ان أشرفنا على جزيرة يقال لها: جزيرة السلاهطة. فأوقف الريّس المركب عليها. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 549

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن المركب التي نزل فيها السندباد البحري رست على جزيرة، فنزل منها جميع التجّار والركّاب واطلعوا بضائعهم ليبيعوا ويشتروا. قال السندباد البحري: فالتفت إليّ صاحب المركب وقال لي: إسمع كلامي، انت رجل غريب فقير وقد اخبرتنا انك قاسيت أهوالاً كثيرة ومرادي أنفعك بشيء يعينك على الوصول إلى بلادك وتبقى تدعو لي. فقلت له: نعم ولك مني الدعاء. فقال: إعلم أنه كان معنا رجل مسافر فقدناه ولم نعلم هل هو بالحياة أم مات؟ ولم نسمع عنه خبراً، ومرادي أدفع لك حموله لتبيعها في هذه الجزيرة وتحفظها ونعطيك شيئاً في نظير تعبك وخدمتك، وما بقي منها نأخذه إلى ان نعود إلى مدينة بغداد فنسأل عن أهله وندفع إليهم بقيتها وثمن ما بيع منها. فهل لك ان تتسلمها وتنزل بها هذه الجزيرة فتبيعها مثل التجّار؟ فقلت: سمعاً وطاعة لك يا سيدي ولك الفضل والجميل. ودعوت له وشكرته على ذلك. فعند ذلك أمر الحمّالين والبحرية بإخراج تلك البضائع إلى الجزيرة وأن يسلموها إليّ. فقال كاتب المركب: يا ريّس ما هذه الحمول التي أطلعها البحرية والحمّالون؟ واكتبها باسم مَنْ مِنَ التجّار؟ فقال: أكتب عليها إسم السندباد البحري الذي كان معنا وغرق في الجزيرة ولم يأتنا عنه خبر، فنريد ان هذا الغريب يبيعها ويحمل ثمنها ونعطيه شيئاً منه نظير تعبه وبيعه، والباقي نحمله معنا حتى نرجع إلى مدينة بغداد فإن وجدناه أعطيناه إياه وإن لم نجده ندفعه إلى أهله في مدينة بغداد. فقال الكاتب: كلامك مليح ورايك رجيح. فلما سمعت كلام الريّس وهو يذكر ان الحمول باسمي قلت في نفسي: والله انا السندباد البحري وانا غرقت في الجزيرة مع جملة مَنْ غرق. ثم إني تجلّدت وصبرت إلى ان طلع التجّار من المركب واجتمعوا يتحدثون ويتذاكرون في أمور البيع والشراء، فتقدمت إلى صاحب المركب وقلت له: يا سيدي، هل تعرف كيف كان صاحب الحمول التي سلمتها إلي لأبيعها؟ فقال لي: لا أعلم له حالاً ولكنه كان رجلاً من مدينة بغداد يقال له: السندباد البحري، وقد أرسينا على جزيرة من الجزائر فغرق منا فيها خلق كثير وفقد بجملتهم ولم نعلم له خبراً إلى هذا الوقت. فعند ذلك صرخت صرخة عظيمة وقلت له: يا ريّس السلامة، إعلم أني انا السندباد البحري لم أغرق، ولكن لما أرسيت على الجزيرة وطلع التجّار والركّاب طلعت أنا مع جملة الناس ومعي شيء آكله بجانب الجزيرة، ثم إني تلذذت بالجلوس في ذلك المكان فأخذتني سنة من النوم فنمت وغرقت في النوم. ثم إني قمت فلم أجد المركب ولم اجد احداً عندي، وهذا المال مالي وهذه البضائع بضائعي وجميع التجّار الذين يجلبون حجر الماس رأوني وأنا في جبل الماس ويشهدون لي بإني انا السندباد البحري كما اخبرتهم بقصتي وما جرى لي معكم في المركب، وأخبرتهم بأنكم نسيتوني في الجزيرة نائماً وقمت فلم أجد احداً وجرى لي ما جرى. فلما سمع

التجّار والركّاب كلامي اجتمعوا عليّ فمنهم مَنْ صدقني ومنهم مَنْ كذبني . فبينما نحن كذلك وإذا بتاجر من التجّار حين سمعني أذكر وادي الماس ، نهض وتقدم عندي وقال لهم : إسمعوا يا جماعة كلامي ، إني لما كنت ذكرت لكم أعجب ما رأيت في أسفاري لما ألقينا الذبائح في وادي الماس وألقيت ذبيحتي معهم على جري عادتي ، طلع في ذبيحتي رجل متعلّق بها ولم تصدقوني بل كذبتموني . فقالوا : نعم حكيت لنا على هذا الأمر ولم نصدقك . فقال لهم التاجر : هذا الرجل الذي تعلّق في ذبيحتي وقد أعطاني شيئاً من حجر الماس الغالي الثمن الذي لا يوجد نظيره وعوّضني أكثر ما كان يطلع لي في ذبيحتي ، وقد استصحبته معي إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وبعد ذلك توجه إلى بلاده وودّعنا ورجعنا إلى بلادنا وهو هذا . وأعلمنا أن اسمه السندباد البحري ، وقد أخبرنا بذهاب المركب وجلوسه في هذه الجزيرة . واعلموا أن هذا الرجل ما جاءنا هنا إلاّ لتصدقوا كلامي مما قلته لكم ، وهذه البضائع كلها رزقه فإنه أخبرنا بها في وقت اجتماعه علينا ، وقد ظهر صدقه في قوله . فلما سمع الريّس كلام التاجر ، قام على حيله وجاء عندي وحقّق فيّ النظر ساعة وقال : ما علامة بضائعك ؟ فقلت له : إعلم أن علامة بضائعي ما هو كذا وكذا . وقد أخبرته بأمر كان بيني وبينه لما نزلت معه المركب من البصرة ، فتحقق أني أنا السندباد البحري فعانقني وسلّم عليّ وهنّاني بالسلامة وقال لي : والله يا سيدي إن قصتك عجيبة وأمرك غريب ، ولكن الحمد لله الذي جمع بيننا وبينك وردّ بضائعك ومالك عليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 550

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما تبين للريّس والتجّار أنه هو بعينه وقال له الريّس : الحمد لله الذي ردّ بضائعك ومالك عليك . قال : فعند ذلك تصرفت في بضائعي بمعرفتي ، وربحت بضائعي في تلك السفرة شيئاً كثيراً وفرحت بذلك فرحاً عظيماً وهنأت نفسي بالسلامة وعود مالي إليّ . ولم نزل نبيع ونشتري في الجزائر إلى أن وصلنا إلى بلاد السند وقد بعنا فيها واشترينا ، ورأيت في ذلك البحر شيئاً من العجائب والغرائب لا يعد ولا يحصى . ومن جملة ما رأيت في ذلك البحر سمكة على صفة البقرة وشيئاً على صفة الحمير ، ورأيت طيراً يخرج من صدف البحر ويبيض ويفرخ على وجه الماء ولا يطلع من البحر على وجه الأرض أبداً . وبعد ذلك لم نزل مسافرين بإذن الله تعالى وقد طاب لنا الريح والسفر إلى أن وصلنا إلى البصرة وقد أقمت بها أياماً قلائل . وبعد ذلك جئت إلى مدينة بغداد فتوجهت إلى حارتي ودخلت بيتي وسلّمت على أهلي وأصحابي وأصدقائي ، وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي وأهلي ومدينتي وديارى . وتصدّقت ووهبت وكسوت الأرامل والأيتام وجمعت أصحابي وأحبابي : ولم أزل على هذه الحالة في أكل وشرب ولهو وطرب وأنا آكل طيباً وأشرب طيباً وأعاشر وأخالط ، وقد نسيت جميع ما كان جرى لي وما قاسيت مَنْ الشدائد والأهوال وكسبت شيئاً في هذه السفرة لا يعدّ ولا يحصى . وهذا أعجب ما رأيته في هذه السفرة ، وفي غد إن شاء الله تعالى تجيء إليّ وأحكي لك حكاية السفرة الرابعة فإنها أعجب من هذه السفرات . ثم إن السندباد البحري أمر بأن يدفعوا إليه مائة مثقال من الذهب على جري عادته وأمر بمدّ السماط ، فمدّوه وتعشّى الجماعة وهم يتعجبون من تلك الحكاية وما جرى فيها . ثم إنهم بعد العشاء

انصرفوا إلى حال سبيلهم وقد أخذ السندباد الحمّال ما أمر له به مَنْ الذهب وانصرف إلى حال سبيله وهو متعجب مما سمعه من السندباد البحري وبات في بيته . ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ، قام السندباد الحمّال وصلّى الصبح وتمشّى إلى السندباد البحري وقد دخل إليه وسلّم عليه وتلقّاه بالفرح والإنشراح واجلسه عنده إلى ان حضر بقية أصحابه ، وقد قدموا الطعام فاكلوا وشربوا وانبسطوا . فبدأهم بالكلام وحكى لهم الحكاية الرابعة قال السندباد البحري : إعلموا يا إخواني أني لما عدت إلى مدينة بغداد واجتمعت على أصحابي وأهلي وصرت في أعظم ما يكون من الهناء والسرور والراحة ، وقد نسيت ما كنت فيه لكثرة الفوائد وعرفت في اللهو والطرب ومجالسة الأحباب والأصحاب وأنا في ألذّ ما يكون مَنْ العيش ، فحدثتني نفسي الخبيثة بالسفر إلى بلاد الناس وقد اشتقت إلى مصاحبة الأجناس والبيع والمكسب . فهممت في ذلك الأمر واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت حمولاً كثيرة زيادة عن العادة وسافرت مَنْ مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ، ونزلت حمولتي في مركب واصطحبت بجماعة من أكابر البصرة . وقد توجهنا إلى السفر وسارت بنا المركب على بركة الله تعالى في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وطاب لنا السفر . ولم نزل على هذه الحالة مدة ليال وأيام من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر إلى ان خرجت علينا ريح مختلفة يوماً من الايام ، فرمى الريّس مراسي المركب وأوقفها في وسط البحر خوفاً عليها من الغرق في وسط الإباحة . فبينما نحن على هذه الحالة ندعو ونتضرع إلى الله تعالى إذ خرج علينا عاصف ريح شديد مزّق القلع وقطّعه قطعاً وغرق الناس وجميع حمولهم وما معهم من المتاع والأموال ، وغرقت أنا بجملة مَنْ غرق وعمت في البحر نصف نهار وقد تخليت عن نفسي فيسّر الله تعالى لي قطعة لوح خشب من ألواح المركب ، فركبتها أنا وجماعة من التجّار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 551

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان السندباد البحري بعد ان غرقت المركب وطلع على لوح خشب هو وجماعة من التجّار قال : اجتمعنا على بعضنا ولم نزل راكبين على ذلك اللوح ونرفص بأرجلنا في البحر والأمواج والريح تساعدنا ، فمكثنا على هذه الحالة يوماً وليلة . فلما كان ثاني يوم ضحوة نهار ، ثار علينا ريح وهاج البحر وقوي الموج والريح فرمانا الماء على جزيرة ونحن مثل الموتى من شدة السهر والتعب والبرد والجوع والخوف والعطش . وقد مشينا في جوانب تلك الجزيرة فوجدنا فيها نباتاً كثيراً ، فاكلنا منه شيئاً يسدّ رمقنا ويقيتنا وبتنا تلك الليلة على جانب الجزيرة . فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ، قمنا ومشينا في الجزيرة يميناً وشمالاً فلاح لنا عمارة على بعد ، فسرنا في تلك الجزيرة قاصدين تلك العمارة التي رأيناها من بعد ، ولم نزل سائرين إلى ان وقفنا على بابها . فبينما نحن واقفون هناك إذ خرج علينا من ذلك الباب جماعة عراة ولم يكلمونا وقد قبضوا علينا واخذونا عند ملكهم ، فأمرنا بالجلوس فجلسنا ، وقد أحضروا لنا طعاماً لم نعرفه ولا في عمرنا رأينا مثله ، فلم تقبله نفسي ولم آكل منه شيئاً دون رفقتي . وكان قلة أكلي منه لطفاً من الله تعالى حتى عشت إلى الآن . فلما أكل أصحابي من ذلك الطعام ذهلت عقولهم وصاروا يأكلون مثل المجانين وتغيرت أحوالهم ، وبعد ذلك أحضروا لهم دهن النارجيل فسقوهم منه ودهنوهم منه . فلما شرب أصحابي من ذلك الدهن ،

زاغت أعينهم في وجوههم وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد. فعند ذلك احترت في أمرهم وصرت أتأسف عليهم، وقد صار عندي همّ عظيم من شدة الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا. وقد تأملتهم فإذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول، وكل من وصل إلى بلادهم أو رأوه أو صادفوه في الوادي والطرقات يجيئون به إلى ملكهم ويطعمونه من ذلك الطعام ويدهنونه بذلك الدهن فيتّسع جوفه لأجل ان يأكل كثيراً ويذهل عقله وتنطمس فكرته ويصير مثل الأبله، فيزيدون له الأكل والشرب من ذلك الطعام والدهن حتى يسمن ويغلظ فيذبحونه ويشوونه ويطعمونه لملكهم. وأما أصحاب الملك فيأكلون من لحم الإنسان بلا شيّ ولا طبخ. فلما نظرت منهم ذلك الأمر صرت في غاية الكرب على نفسي وعلى أصحابي، وقد صار أصحابي من فرط ما دهشت عقولهم لا يعلمون ما يفعل بهم، وقد سلموهم إلى شخص فصار يأخذهم كل يوم ويخرج يرعاهم في تلك الجزيرة مثل البهائم. وأما أنا فقد سرت من شدّة الخوف والجوع ضعيفاً سقيم الجسم وصار لحمي يابساً على عظمي. فلما رأوني على هذه الحالة تركوني ونسوني ولم يتذكّرني منهم احد ولا خطرت لهم على بال إلى ان تحيلت يوماً من الأيام وخرجت من ذلك المكان ومشيت في تلك الجزيرة وبعدت عن ذلك المكان، فرأيت رجلاً راعياً جالساً على شيء مرتفع في وسط البحر، فتحقّقته فإذا هو الرجل الذي سلّموا إليه أصحابي ليرعاهم ومعه شيء كثير من مثلهم. فلما نظر ذلك الرجل إليَّ علم أني مالك عقلي ولم يصبني شيء مما أصاب أصحابي. فأشار إليَّ من بعيد وقال لي: إرجع إلى خلفك وامش في الطريق الذي على يمينك تسلك إلى الطريق السلطانية. فرجعت إلى خلفي كما أشار لي هذا الرجل، فنظرت إلى طريق على يميني فسرت فيها. ولم أزل سائراً ساعة أجري من الخوف وساعة أمشي على مهلي حتى أخذت راحتي، ولم أزل على هذه الحالة حتى خفيت عن عيون الرجل الذي دلّني على الطريق وصرت لا أنظره ولا ينظرني، وغابت الشمس عني وأقبل الظلام. فجلست لأستريح وأردت النوم فلم يأتني في تلك الليلة نوم منْ شدّة الخوف والجوع والتعب. فلما انتصف الليل قمت ومشيت في الجزيرة ولم أزل سائراً حتى طلع النهار وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح، وقد تعبت وجعت وعطشت فصرت آكل من الحشيش والنبات الذي في الجزيرة. ولم أزل آكل من ذلك النبات حتى شبعت وانسدّ رمقي وبعد ذلك قمت ومشيت في الجزيرة ولم أزل على هذه الحالة طول النهار والليل وكل ما أجوع آكل من النبات، ولم أزل على هذه الحالة مدة سبعة أيام بلياليها. فلما كانت صبيحة اليوم الثامن لاحت مني نظرة فرأيت شبحاً من بعيد فسرت إليه، ولم أزل سائراً إلى أن حصلته بعد غروب الشمس فحققت النظر فيه وأنا بعيد عنه وقلبي خائف من الذي قاسيته أولاً وثانياً وإذا هم جماعة يجمعون حب الفلفل، فلما قربت منهم ونظروني تسارعوا إليّ وجاؤوا عندي وقد أحاطوا بي من كل جانب وقالوا لي: مَنْ أنت؟ ومن أين أقبلت؟ فقلت لهم: إعلموا يا جماعة أني رجل غريب مسكين. وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري وما جرى لي من الأهوال والشدائد وما قاسيته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
552

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما رأى الجماعة الذين يجمعون الفلفل في الجزيرة وسألوه عن حاله، حكى لهم جميع ما جرى له وما قاساه من الشدائد. فقالوا: والله هذا أمر عجيب، ولكن كيف خلاصك من السودان؟ وكيف مرورك عليهم في هذه الجزيرة وهم خلق كثيرون ويأكلون الناس ولا يسلم منهم أحد ولا يقدر أن يجوز عليهم أحد؟ فأخبرتهم بما جرى لي معهم وكيف أخذوا أصحابي وأطعموهم الطعام ولم آكل منه. فهنوني بالسلامة وصاروا يتعجبون مما جرى لي، ثم أجلسوني عندهم حتى فرغوا من شغلهم وأتوني بشيء من الطعام المليح فأكلت منه وكنت جائعاً وارتحت عندهم ساعة من الزمان. وبعد ذلك أخذوني ونزلوا بي في مركب وجاؤوا إلى جزيرتهم ومساكنهم وقد أعرضوني على ملكهم فسلمت عليه ورحّب بي وأكرمني وسألني عن حالي. فأخبرته بما كان من أمري وما جرى لي وما اتفق لي من يوم خروجي من مدينة بغداد إلى حين وصلت إليه. فتعجب ملكهم من قصتي وما اتفق لي غاية العجب هو ومَنْ كان حاضراً في مجلسه. ثم إنه أمرني بالجلوس عنده فجلست، وأمر بإحضار الطعام فأحضروه، فأكلت منه على قدر كفايتي وغسلت يدي وشكرت فضل الله تعالى وحمدته وأثنيت عليه. ثم إني قمت من عند ملكهم وتفرّجت في مدينته فإذا هي مدينة عامرة كثيرة الأهل والمال كثيرة الطعام والأسواق والبضائع والبائعين والمشترين. ففرحت بوصولي إلى تلك المدينة وارتاح خاطري واستأنست بأهلها، وصرت عندهم وعند ملكهم معزّزاً مكرّماً زيادة على أهل مملكته من عظماء مدينته، ورأيت جميع أكابرها وأصاغرها يركبون الخيول الجياد الملاح مَنْ غير سروج فتعجبت من ذلك. ثم إني قلت للملك: لأي شيء يا مولاي لم تركب على سرج؟ فإن فيه راحة للراكب وزيادة قوة. فقال لي: كيف يكون السرج؟ هذا شيء عمرنا ما رأيناه ولا ركبنا عليه. فقلت له: هل لك أن تأذن لي أن أصنع لك سرجاً تركب عليه وتنظر حظه؟ فقال لي: أفعل. فقلت له: أحضِر لي شيئاً من الخشب. فأمر لي بإحضار جميع ما طلبته. فعند ذلك طلبت نجّاراً شاطراً وجلست عنده وعلّمته صنعة السرج وكيف يعمله. ثم إني أخذت صوفاً ونفشته وصنعت منه لبداً وأحضرت جلداً وألبسته للسرج وصقلته. ثم إني ركّبت سيوره وشددت شريحته، وبعد ذلك أحضرت الحداد ووصفت له كيفية الركاب فدقّ ركاباً عظيماً وبردته وبيضته بالقزدير ثم إني شددت له أهداباً من الحرير، وبعد ذلك قمت وجئت بحصان من خيار خيول الملك وشددت عليه ذلك السرج وعلّقت فيه الركاب وألجمته بلجام وقدمته إلى الملك. فأعجبه ولاق بخاطره وشكرني وركب فيه. وقد حصل له فرح شديد بذلك السرج وأعطاني شيئاً كثيراً في نظير عملي له. فلما نظرني وزيره عملت ذلك السرج طلب مني واحداً مثله. فعملت له سرجاً مثله وقد صار أكابر الدولة وأصحاب المناصب يطلبون مني السروج فأفعل لهم. وعلّمت النجّار صنعة السرج والحداد صنعة الركاب وصرنا نعمل السروج والركابات ونبيعها للأكابر والمخاديم، وقد جمعت من ذلك مالاً كثيراً وصار لي عندهم مقام كبير وحبّوني محبة زائدة. وبقيت صاحب منزلة عالية عند الملك وجماعته وعند أكابر البلد وأرباب الدولة إلى أن جلست يوماً من الأيام عند الملك وأنا في غاية السرور والعزّ. فبينما أنا جالس قال لي الملك: أعلم يا هذا أنك صرت معزّزاً مكرّماً عندنا

وواحداً منا ولم نقدر على مفارقتك ولا نستطيع خروجك من مدينتنا، ومقصودي منك شيء تطيعني فيه ولا ترد قولي. فقلت له: وما الذي تريد مني أيها الملك؟ فإني لا أرد قولك لأنه صار لك فضل وجميل وإحسان عليّ، والحمد لله أنا صرت من بعض خدّامك. فقال: أريد أن أزوّجك عندنا بزوجة حسنة مليحة ظريفة صاحبة مال وجمال وتصير مستوطناً عندنا وأسكنك عندي وفي قصري فلا تخالفني ولا ترد كلمتي. فلما سمعت كلام الملك استحييت منه وسكت ولم أرد عليّه جواباً من كثرة الحياء منه. فقال لي: لِمَ لا ترد عليّ يا ولدي؟ فقلت له: يا سيدي، الأمر أمرك يا ملك الزمان. فأرسل من وقته وساعته وأحضر القاضي والشهود وزوّجني في ذلك الوقت بامرأة شريفة القدر عالية النسب كثيرة المال والنوال عظيمة الأصل بديعة الجمال والحسن صاحبة أماكن وأملاك وعقارات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 553

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري بعد أن زوّجه الملك وعقد له على امرأة عظيمة قال: ثم إنه أعطاني بيتاً عظيماً مليحاً بمفرده، وأعطاني خدماً وحشماً ورتب لي جرايات وجوامك، وصرت في غاية الراحة والبسط والإنشراح ونسيت جميع ما حصل لي من التعب والمشقّة والشدّة وقلت في نفسي: إذا سافرت إلى بلادي آخذها معي، وكل مقدر على الانسان لا بد منه ولم يعلم أحد بما يجري له. وقد أحببتها وأحبّتني محبة عظيمة ووقع الوفاق بيني وبينها، وقد أقمنا في الذّ عيش وأرغد مورد. ولم نزل على هذه الحالة مدة من الزمان فأفقد الله تعالى زوجة جاري وكان صاحباً لي، فدخلت إليه لأعزّيه في زوجته فرأيته في أسوأ حال، وهو مهموم تعبان السرّ والخاطر. فعند ذلك عزّيته وسلّيته وقلت له: لا تحزن على زوجتك الله يعوضك خيراً بأحسن منها ويكون عمرك طويلاً إن شاء الله تعالى. فبكى بكاءً شديداً وقال لي: يا صاحبي، كيف أتزوج بغيرها؟ أو كيف يعوّضني الله خيراً منها وأنا بقي من عمري يوم واحد؟ فقلت له: يا أخي، إرجع لعقلك ولا تبشر على روحك بالموت فإنك طيب بخير وعافية. فقال لي صاحبي: وحياتك، في غد تعدمني وما بقيت عمرك تنظرني. فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال لي: في هذا النهار يدفنون زوجتي ويدفنونني معها في القبر فإنها عادتنا في بلادنا، إذا ماتت المرأة يدفنون معها زوجها بالحياة، وإن مات الرجل يدفنون معه زوجته بالحياة حتى لا يتلذّذ أحد منهم بالحياة بعد رفيقه. فقلت له: بالله إن هذه العادة رديئة جداً وما يقدر عليّها أحد. فبينما نحن في ذلك الحديث وإذا بغالب أهل المدينة قد حضروا وصاروا يعزّون صاحبي في زوجته وفي نفسه وقد شرعوا في تجهيزها على جري عادتهم، فأحضروا تابوتاً وحملوا فيه المرأة وذلك الرجل معهم وخرجوا بهما إلى خارج المدينة وأتوا إلى مكان في جانب الجبل على البحر، وتقدموا إلى مكان ورفعوا عنه حجراً كبيراً فبان من تحت ذلك الحجر خرزة من حجر مثل خرزة البئر، فرموا تلك المرأة فيها وإذا هو جب كبير تحت الجبل. ثم إنهم جاؤوا بذلك الرجل وربطوه تحت صدره في سلبة وأنزلوه في ذلك الجب وأنزلوا عنده كوز ماء عذب كبيراً وسبعة أرغفة من الزاد. ولما نزلوه فكّ نفسه من السلبة فسحبوا السلبة وغطّوا فم البئر بذلك الحجر مثل ما كان وانصرفوا إلى حال سبيلهم وتركوا صاحبي عند زوجته في الجب. فقلت في نفسي: والله إن هذا الموت أصعب مِنْ الموت الأول. ثم إني جئت عند ملكهم وقلت له: يا سيدي كيف تدفنون الحي مع

الميت في بلادكم ؟ فقال لي : إعلم ان هذه عادتنا في بلادنا إذا مات الرجل ندفن معه زوجته وإذا ماتت المرأة ندفن معها زوجها بالحياة حتى لا نفرّق بينهما في الحياة ولا في الممات . وهذه العادة عن أجدادنا . فقلت : يا ملك الزمان ، وكذلك الرجل الغريب مثلي إذا ماتت زوجته عندكم تفعلون به مثل ما فعلتم بهذا ؟ فقال لي : نعم ندفنه معها ونفعل به كما رأيت . فلما سمعت ذلك الكلام منه انشقّت مرارتي من شدة الغم والحزن على نفسي وذهل عقلي وصرت خائفاً أن تموت زوجتي قبلي فيدفنوني معها وأنا بالحياة . ثم إني سليت نفسي وقلت : لعلّي أموت أنا قبلها ولم يعلم أحد السابق من اللاحق . وصرت أتلاها في بعض الأمور . فما مضت مدة يسيرة بعد ذلك حتى مرضت زوجتي وقد مكثت أياماً قلائل وماتت . فاجتمع غالب الناس يعزونني ويعزون أهلها فيها ، وقد جاءني الملك يعزيني فيها على جري عادتهم . ثم إنهم جاؤوا لها بغاسلة فغسلوها والبسوها أفخر ما عندها من الثياب والمصاغ والقلائد والجواهر من المعادن . فلما البسوا زوجتي وحطّوها في التابوت وحملوها وراحوا بها إلى ذلك الجبل ورفعوا الحجر عن فم الجب والقوها فيه ، تقدّم جميع أصحابي وأهل زوجتي يودّعونني في روحي وأنا أصيح بينهم : أنا رجل غريب وليس لي صبر على عادتكم . وهم لا يسمعون قولي ولا يلتفتون إلى كلامي . ثم إنهم امسكوني وربطوني بالغصب وربطوا معي سبعة أقراص من الخبز وكوز ماء عذب على جري عادتهم وأنزلوني في ذلك البئر ، فإذا هو مغارة كبيرة تحت ذلك الجبل . وقالوا لي : فك نفسك من الحبال . فلم أرضَ أفك نفسي . فرموا عليّ الحبال ثم غطّوا فم ذلك البئر بذلك الحجر الكبير الذي كان عليّه وراحوا إلى حال سبيلهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 554

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما حطّوه في المغارة مع زوجته التي ماتت وردّوا باب المغارة وراحوا إلى حال سبيلهم . قال : وأما أنا فإني رأيت في تلك المغارة أمواتاً كثيرة ورائحتها منتنة كريهة ، فلمت نفسي على ما فعلته وقلت : والله إني أستحق جميع ما يجري لي وما يقع لي . ثم إني صرت أعرف الليل من النهار وصرت أتقوّت باليسير ولا آكل حتى يكاد أن يقطعني الجوع ولا أشرب حتى يشتدّ بي العطش وأنا خائف أن يفرغ ما عندي من الزاد والماء وقلت : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ، أي شيء بلاني بالزواج في هذه المدينة ؟ وكلما أقول خرجت من مصيبة أقع في مصيبة أقوى منها . والله إن موتي هذا موت مشؤوم ، يا ليتني غرقت في البحر أو مت في الجبال كان أحسن لي من هذا الموت الرديء . ولم أزل على هذه الحالة ألوم نفسي ، ونمت على عظام الأموات واستعنت بالله تعالى وسرت أتمنى الموت فلم أجده من شدة ما أنا فيه . ولم أزل على هذه الحالة حتى أحرق قلبي الجوع وألهبني العطش ، فقعدت وحسست على الخبز وأكلت منه شيئاً قليلاً وتجرّعت عليّه شيئاً قليلاً من الماء . ثم إني قمت وقفت على حيلي وصرت أمشي في جوانب تلك المغارة فرأيتها متسعة الجوانب خالية البطون ، ولكن في أرضها أموات كثيرة وعظام رميمة من قديم الزمان . فعند ذلك عملت لي مكاناً في جانب المغارة بعيداً عن الموتى الطريين وصرت أنام فيه ، وقد قلّ زادي ولم يبقَ معي إلاّ شيء يسير ، وقد كنت آكل في كل يوم أو أكثر أكلة وأشرب شربة خوفاً

من فراغ الماء والزاد من عندي قبل موتي . ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يوماً من الأيام ، فبينما أنا جالس متفكر في نفسي كيف أفعل إذا فرغ زادي والماء من عندي ، وإذا بالصخرة قد تزحزحت عن مكانها ونزل منه النور عندي . فقلت : يا ترى ما الخبر ؟ وإذا بالقوم واقفون على رأس البئر وقد نزّلوا رجلاً ميتاً وامرأة معه بالحياة وهي تبكي وتصيح على نفسها ، وقد نزلوا عندها شيئاً كثيراً من الزاد والماء . فصرت أنظر المرأة وهي لم تنظرني ، وقد غطّوا فم البئر بالحجر وانصرفوا إلى حال سبيلهم . فقمت أنا وأخذت في يدي قصبة رجل ميت وجئت إلى المرأة وضربتها في وسط رأسها فوقعت على الأرض مغشيّاً عليّها ، فضربتها ثانياً وثالثاً فماتت . فأخذت خبزها وما معها ورأيت عليّها شيئاً كثيراً من الحلي والحلل والقلائد والجواهر والمعادن . ثم إني أخذت الماء والزاد الذي مع المرأة وقعدت في الموضع الذي كنت عملته في جانب المغارة لأنام فيه ، وصرت آكل من ذلك الزاد شيئاً قليلاً على قدر ما يقوتني حتى لا يفرغ بسرعة فأموت من الجوع والعطش . وأقمت في تلك المغارة مدة من الزمان وأنا كل من دفنوه ، أقتل من دفن معه بالحياة وآخذ أكله وشربه أتقوّت به . إلى أن كنت نائماً يوماً من الأيام فاستيقظت من منامي وسمعت شيئاً يكركب في جانب المغارة فقلت : ما يكون هذا ؟ ثم إني قمت ومشيت نحوه ومعي قصبة رجل ميت . فلما أحسّ بي فرّ وهرب مني فإذا هو وحش ، فتبعته إلى صدر المغارة فبان لي نور من مكان صغير مثل النجمة ، تارةً يبان لي وتارةً يخفى عني . فلما نظرته قصدت نحوه وبقيت كلما أتقرّب منه يظهر لي نور منه ويتسع . فعند ذلك تحققت أنه خرق في تلك المغارة ينفذ للخلاء . فقلت في نفسي : لا بد أن يكون لهذا المكان حركة ، إما أن يكون فماً ثانياً مثل الذي نزلوني منه ، وإما أن يكون تخريق من هذا المكان . ثم إني تفكرت في نفسي ساعة من الزمان ومشيت إلى ناحية النور وإذا به نقب في ظهر ذلك الجبل من الوحوش ، نقبوه وصاروا يدخلون منه إلى هذا المكان ويأكلون الموتى حتى يشبعون ويطلعون من ذلك النقب . فلما رأيته ، هدأت روحي واطمأنت نفسي وارتاح قلبي وأيقنت بالحياة بعد الممات وصرت كأني في المنام . ثم إني عالجت حتى طلعت من ذلك النقب فرأيت نفسي على جانب البحر المالح فوق جبل عظيم وهو قاطع بين البحرين وبين الجزيرة والمدينة ولا يستطيع أحدٌ الوصول إليه . فحمدت الله تعالى وشكرته وفرحت فرحاً عظيماً وقوي قلبي . ثم إني بعد ذلك رجعت من النقب إلى تلك المغارة ونقلت جميع ما فيها من الزاد والماء الذي كنت وفرته . ثم إني أخذت من ثياب الأموات ولبست شيئاً منها غير الذي كان عليّ وأخذت مما عليهم شيئاً كثيراً من أنواع العقود والجواهر وقلائد اللؤلؤ والمصاغ من الفضة والذهب المرصّع بأنواع المعادن والتحف ، وربطت في ثيابي ثياب الموتى وطلعتها من النقب إلى ظهر الجبل ووقفت على جانب البحر . وبقيت في كل يوم أنزل المغارة وأطلع عليها ، وكل من دفنوه آخذ زاده وماءه وأقتله سواء كان ذكراً أو أنثى ، وأطلع من ذلك النقب فأجلس على جانب البحر لأنتظر الفرج من الله تعالى بمركب تجوز عليّ ، وصرت أنقل من تلك المغارة كل شيء رأيته من المصاغ وأربطه في ثياب الموتى . ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 555

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري صار ينقل من تلك المغارة ما يلقاه فيها من المصاغ وغيره ويجلس على جانب البحر مدة من الزمان . قال : فبينما أنا جالس يوماً من الأيام على جانب البحر وأنا متفكر في أمري وإذا بمركب جائزة في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ، فأخذت في يدي ثوباً أبيض من ثياب الموتى وربطته في عكاز وجريت به على شاطىء البحر وصرت أشير إليهم بذلك الثوب حتى لاحت منهم التفاتة فرأوني وأنا في رأس الجبل ، فجاؤوا إليّ وسمعوا صوتي وأرسلوا إليّ زورقاً من عندهم وفيه جماعة من المركب . فلما قربوا مني قالوا : من أنت ؟ وما سبب جلوسك في هذا المكان ؟ وكيف وصلت إلى هذا الجبل ؟ وما في عمرنا رأينا أحداً جاء إليه . فقلت لهم : إني رجل تاجر ، غرقت المركب التي كنت فيها فطلعت على لوح ومعي حوائجي ، وقد سهل الله عليّ بالطلوع إلى هذا المكان وحوائجي معي باجتهادي وشطارتي بعد تعب شديد . فأخذوني معهم في الزورق وحملوا جميع ما كنت أخذته من المغارة مربوطاً في الثياب والأكفان وساروا بي إلى أن طلعوني المركب عند الريّس ومعي حوائجي . فقال لي الريّس : يا رجل ، كيف وصولك إلى هذا المكان وهو جبل عظيم ووراءه مدينة عظيمة ، وأنا عمري أسافر في هذا البحر وأجوز على هذا الجبل فلم أرَ أحداً فيه غير الوحوش والطيور ؟ فقلت له : إني رجل تاجر ، كنت في مركب كبيرة وقد انكسرت وغرق جميع أسبابي من هذا القماش والثياب كما تراها ، فوضعتها على لوح كبير من ألواح المركب فساعدتني القدرة والنصيب حتى طلعت على الجبل وقد صرت أنتظر أحداً يجوز فيأخذني معه . ولم أخبرهم بما جرى لي في المدينة ولا في المغارة خوفاً أن يكون معهم أحد في المركب من تلك المدينة . ثم إني طلعت لصاحب المال شيئاً كثيراً من مالي وقلت له : يا سيدي ، أنت سبب نجاتي من هذا الجبل ، فخذ هذا مني نظير جميلك الذي فعلته معي . فلم يقبله مني وقال لي : نحن لا نأخذ من أحد شيئاً ، وإذا رأينا غريقاً على جانب البحر أو في الجزيرة نحمله معنا ونطعمه ونسقيه وإن كان عرياناً نكسوه ، ولما نصل إلى بندر السلامة نعطيه شيئاً من عندنا هدية ونعمل معه المعروف والجميل لوجه الله تعالى . فعند ذلك دعوت له بطول العمر . ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وأنا أرجو النجاة وصرت فرحاناً بسلامتي ، وكلما أتفكر قعودي في المغارة مع زوجتي يغيب عقلي . وقد وصلنا بقدرة الله مع السلامة إلى مدينة البصرة ، فطلعت إليها وأقمت فيها أياما قلائل وبعدها جئت إلى مدينة بغداد . فجئت إلى حارتي ودخلت داري وقابلت أهلي وأصحابي وسألت عنهم ، ففرحوا بسلامتي وهنوني . وقد خزنت جميع ما كان معي من الأمتعة في حواصلي وتصدّقت ووهبت وكسوت الأيتام والأرامل ، وصرت في غاية البسط والسرور وقد عدت لما كنت عليه من المعاشرة والمرافقة ومصاحبة الإخوان واللهو والطرب . وهذا أعجب ما صار لي في السفرة الرابعة . ولكن يا أخي تعشّى عندي وخذ عادتك وفي غد تجيء عندي فأخبرك بما كان لي وما جرى لي في السفرة الخامسة ، فإنها أعجب وأغرب مما سبق . ثم أمر له بمائة مثقال ذهباً ومدّ السماط وتعشّى الجماعة وانصرفوا إلى حال سبيلهم وهم متعجبون غاية العجب وكل حكاية أعظم من التي قبلها . وقد راح السندباد الحمال إلى منزله وبات في غاية البسط والإنشراح وهو متعجب . ولما أصبح

الصباح وأضاء بنوره ولاح ، قام السندباد البري وصلى الصبح وتمشى إلى أن دخل دار السندباد البحري وصبّح عليه . فرحب به وأمره بالجلوس عنده حتى جاء بقية أصحابه ، فأكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا ودارت بينهم المحادثة فابتدأ السندباد البحري بالكلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة

556

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري ابتدأ بالكلام فيما جرى له وما وقع له في الحكاية الخامسة فقال : إعلموا يا إخواني أني لما رجعت من السفرة الرابعة وقد غرقت في اللهو والطرب والانشراح ، وقد نسيت جميع ما كنت لقيته وما جرى لي وما قاسيته من شدة فرحي بالمكسب والربح والفوائد ، فحدثتني نفسي بالسفر والتفرّج في بلاد الناس وفي الجزائر . فقمت وهممت في ذلك واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت الحمول وسرت من مدينة بغداد وتوجّهت إلى مدينة البصرة ومشيت على جانب الساحل فرأيت مركباً كبيرة عالية مليحة فأعجبتني ، فاشتريتها وكانت عدتها جديدة واكتريت لها ريّساً وبحرية ونظرت عليها عبيدي وغلماني وأنزلت فيها حمولي . وجاءني جماعة من التجّار فنزلوا حمولهم فيها ودفعوا إليّ الأجرة وسرنا ونحن في غاية الفرح والسرور وقد استبشرنا بالسلامة والكسب . ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر ونحن نتفرج في الجزائر والبلدان ونطلع إليها نبيع فيها ونشتري . ولم نزل على هذه الحالة إلى أن وصلنا يوماً من الأيام إلى جزيرة كبيرة خالية من السكان وليس فيها أحد وهي خراب قفراً وفيها قبة عظيمة بيضاء كبيرة الحجم ، فطلعنا نتفرج عليها وإذا هي بيضة رخ كبيرة . فلما طلع التجار إليها وتفرجوا عليها ولم يعلموا أنها بيضة رخ ، ضربوها بالحجارة فكسرت ونزل منها ماء كثير وقد بان منها فرخ الرخ ، فسحبوه منها وطلعوه من تلك البيضة وذبحوه وأخذوا منه لحماً كثيراً ، وأنا في المركب ولم أعلم ولم يطلعوني على ما فعلوه . فعند ذلك قال لي واحد من الركاب : يا سيدي ، قم تفرّج على هذه البيضة التي نحسبها قبة . فقمت لأتفرّج عليّها فوجدت التجار يضربون البيضة . فصحت عليهم : لا تفعلوا هذا الفعل فيطلع طير الرخ ويكسر مركبنا ويهلكنا . فلم يسمعوا كلامي . فبينما هم على هذه الحالة وإذا بالشمس قد غابت عنا والنهار أظلم وصار فوقنا غمامة أظلم الجو منها . فرفعنا رؤوسنا ننظر ما الذي حال بيننا وبين الشمس ؟ فرأينا أجنحة الرخ هي التي حجبت عنا ضوء الشمس حتى أظلم الجو . وذلك لما جاء الرخ ورأى بيضته انكسرت صاح علينا فجاءت رفيقته وصارا حائمين على المركب يصرخان علينا بصوت أشد من الرعد . فصحت أنا على الريّس والبحرية وقلت لهم : إدفعوا المركب واطلبوا السلامة قبل ما نهلك . فأسرع الريّس وطلع التجّار وحلّ المركب وسرنا في تلك الجزيرة . فلما رآنا الرخ سرنا في البحر غاب عنا ساعة من الزمان ، وقد سرنا وأسرعنا في السير بالمركب نريد الخلاص منهما والخروج من أرضهما . وإذا بهما قد تبعانا وأقبلا علينا وفي رجلي كل واحد منهما صخرة عظيمة من الجبل ، فألقى الصخرة التي كانت معه علينا فجذب الريّس المركب وقد أخطأها نزول الصخرة بشيء قليل فنزلت في البحر تحت المركب ، فقامت بنا المركب وقعدت من عظم وقوعها في البحر وقد رأينا قرار البحر من شدة عزمها . ثم إن رفيقة الرخ ألقت علينا الصخرة التي معها وهي أصغر من

الأولى، فنزلت بالأمر المقدّر على مؤخر المركب فكسرته وطيرت الدفّة عشرين قطعة وقد غرق جميع ما كان في المركب في البحر. فصرت أحاول النجاة لحلاوة الروح، فقدّر الله تعالى لي لوحاً من الواح المركب فشبطت فيه وركبته وصرت اقذف عليه برجلي والريح والموج يساعداني على السير. وكانت المركب غرقت بالقرب من جزيرة في وسط البحر فرمتني المقادير بإذن الله تعالى إلى تلك الجزيرة فطلعت عليها وانا على آخر نفس، وفي حالة الموتى من شدة ما قاسيته من التعب والمشقّة والجوع والعطش. ثم إني انطرحت على شاطىء البحر ساعة من الزمان حتى ارتاحت نفسي واطمأن قلبي. ثم مشيت في تلك الجزيرة فرايتها كأنها روضة من رياض الجنة، أشجارها يانعة وأنهارها دافقة وطيورها مغرّدة تسبح مَنْ له العزّة والبقاء. وفي تلك الجزيرة شيء كثير من الأشجار والفواكه وأنواع الأزهار. فعند ذلك أكلت من الفواكه حتى شبعت وشربت من تلك الأنهار حتى رويت وحمدت الله تعالى على ذلك وأثنيت عليّه. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 557

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما طلع من الغرق إلى الجزيرة وأكل من فواكهها وشرب من أنهارها وحمد الله تعالى واثنى عليه قال: ولم ازل على هذه الحالة قاعداً في الجزيرة إلى أن امسى المساء وأقبل الليل، فقمت أنا مثل القتيل مما حصل لي من التعب والخوف، ولم أسمع في تلك الجزيرة صوتاً ولم ارَ فيها احداً، ولم ازل راقداً فيها إلى الصباح. ثم قمت على حيلي ومشيت بين تلك الأشجار فرأيت ساقية على عين ماء جارية، وعند تلك الساقية شيخ جالس مليح، وذلك الشيخ مؤزر بإزار من ورق الأشجار. فقلت في نفسي: لعلّ هذا الشيخ طلع إلى هذه الجزيرة وهو من الغرقاء الذين كسرت بهم المركب. ثم دنوت منه وسلمت عليّه فرد عليّ السلام بالإشارة ولم يتكلم. فقلت له: يا شيخ، ما سبب جلوسك في هذا المكان؟ فحرّك راسه وتأسّف وأشار لي بيده؛ يعني احملني على رقبتك وانقلني من هذا المكان إلى جانب الساقية الثانية. فقلت في نفسي: أعمل مع هذا معروفاً وأنقله إلى هذا المكان الذي يريده لعلّ ثوابه يحصل لي. فتقدمت إليه وحملته على أكتافي وجئت إلى المكان الذي أشار لي إليه وقلت له: إنزل على مهلك. فلم ينزل عن أكتافي وقد لفّ رجليه على رقبتي. فنظرت إلى رجليه فرأيتهما مثل جلد الجاموس في السواد والخشونة، ففزعت منه وأردت أن أرميه من فوق أكتافي فقرط على رقبتي برجليه وخنقني بهما حتى اسودت الدنيا في وجهي وغبت عن وجودي ووقعت في الأرض مغشياً عليّ مثل الميت. فرفع ساقيه وضربني على ظهري وعلى أكتافي فحصل لي ألم شديد، فنهضت قائماً به وهو راكب على أكتافي وقد تعبت منه، فأشار لي بيده أن أدخل بين الأشجار إلى أطيب الفواكه وإذا خالفته يضربني برجليه ضرباً أشد من ضرب الأسواط. ولم يزل يشير لي بيده إلى كل مكان أراده وانا امشي به إليه، وإن توانيت أو تمهلّت يضربني وأنا معه شبه الأسير. وقد دخلنا في وسط الجزيرة بين الأشجار وصار يبول ويخري على أكتافي ولا ينزل ليلاً ولا نهاراً، وإذا أراد النوم يلف رجليه على رقبتي وينام قليلاً ثم يقوم ويضربني فأقوم مسرعاً به ولا أستطيع مخالفته من شدّة ما اقاسي منه. وقد لمتُ نفسي على ما كان مني من حمله والشفقة عليّه. ولم أزل معه على هذه الحالة وأنا في أشد ما يكون مَنْ التعب

وقلت في نفسي : أنا فعلت مع هذا خيراً فانقلب عليّ شرّاً ، والله ما بقيت أفعل مع أحد خيراً طول عمري . وقد صرت أتمنى الموت من الله تعالى في كل وقت وكل ساعة من كثرة ما أنا فيه من التعب والمشقّة . ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت به يوماً من الأيام إلى مكان في الجزيرة فوجدت فيه يقطيناً كثيراً ومنه شيء كثير يابس ، فأخذت منه واحدة كبيرة يابسة وفتحت رأسها وصفيتها ومشيت بها إلى شجرة العنب فملأتها منها وسددت رأسها ووضعتها في الشمس وتركتها مدة أيام حتى صارت خمراً صرفاً ، وصرت في كل يوم أشرب منه لأستعين به على تعبي مع ذلك الشيطان المريد ، وكلما سكرت منها تقوى همتي . فنظرني يوماً من الأيام وأنا أشرب فأشار لي بيده : ما هذا ؟ فقلت له : هذا شيء مليح يقوي القلب ويشرح الخاطر . ثم إني جريت به ورقصت بين الأشجار وحصل لي نشوة من السكر فصفّقت وغنّيت وانشرحت . فلما رآني على هذه الحالة أشار لي أن أناوله اليقطينة ليشرب منها فخفت منه وأعطيتها له . فشرب ما كان باقياً فيها ورماها على الأرض وقد حصل له طرب ، فصار ينهز على أكتافي . ثم إنه سكر وغرق في السكر ، وقد ارتخت جميع أعضائه وفرائصه وصار يتمايل من فوق أكتافي . فلما علمت بسكره وأنه غاب عن الوجود ، مددت يدي إلى رجليه وفككتهما من رقبتي ثم ملت به إلى الأرض فقعدت وألقيته عليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 558

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما ألقى الشيطان عن أكتافه على الأرض قال : فما صدقت إني خلصت نفسي ونجوت من ذلك الأمر الذي كنت فيه . ثم إني خفت منه أن يقوم من سكره ويؤذيني ، فأخذت صخرة عظيمة من بين الأشجار وجئت إليه فضربته على رأسه وهو نائم فاختلط لحمه بدمه وقد قتل فلا رحمة الله عليه . وبعد ذلك مشيت في الجزيرة وقد ارتاح خاطري وجئت إلى المكان الذي كنت فيه على ساحل البحر . ولم أزل في تلك الجزيرة آكل من أثمارها وأشرب من أنهارها مدة من الزمان وأنا أترقّب مركباً تمرّ عليّ إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام متفكّراً فيما جرى لي وما كان من أمري وأقول في نفسي : يا ترى ، يبقيني الله سالماً ثم أعود إلى بلادي وأجتمع بأهلي وأصحابي . وإذا بمركب قد أقبلت من وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ولم تزل سائرة حتى رست على تلك الجزيرة وطلع منها الركاب إلى الجزيرة فمشيت إليهم . فلما نظروني ، أقبلوا عليّ كلهم مسرعين واجتمعوا حولي وقد سألوني عن حالي وما سبب وصولي إلى تلك الجزيرة ، فأخبرتهم بأمري وما جرى لي . فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا لي : إن هذا الرجل الذي ركب على أكتافك يسمى شيخ البحر ، وما أحد دخل تحت أعضائه وخلص منه إلاّ أنت ، والحمد لله على سلامتك . ثم إنهم جاؤوا لي بشيء من الطعام فأكلت حتى اكتفيت وأعطوني شيئاً من الملبوس لبسته وسترت به عورتي ، ثم أخذوني معهم في المركب . وقد سرنا أياماً وليالي فرمتنا المقادير على مدينة عالية البناء جميع بيوتها مطلة على البحر . وتلك المدينة يقال لها : مدينة القرود . ولما يدخل الليل تأتي الناس الذين هم ساكنون في تلك المدينة ويخرجون من هذه الأبواب التي على البحر ثم ينزلون في زوارق ومراكب ويبيتون في البحر خوفاً من القرود أن تنزل عليهم في الليل من الجبال . فطلعت أتفرّج في تلك المدينة فسافرت المركب ولم أعلم . فندمت على طلوعي إلى تلك المدينة

وتذكرت رفقتي وما جرى لي مع القرود أولاً وثانياً، فقعدت أبكي وأنا حزين. فتقدم إليّ رجل من أصحاب هذه البلد وقال لي: يا سيدي، كأنك غريب في هذه الديار؟ فقلت له: نعم أنا غريب ومسكين، وكنت في مركب قد رست على تلك المدينة فطلعت منها لأتفرج في المدينة وعدت إليها فلم أرها. فقال: قم وسرّ معنا وانزل الزورق فإنك إن قعدت في المدينة ليلاً أهلكتك القرود. فقلت له: سمعاً وطاعةً. وقمت من وقتي وساعتي ونزلت معهم في الزورق ودفعوه من البر حتى أبعدوه عن ساحل البحر مقدار ميل، وباتوا تلك الليلة وأنا معهم. فلما أصبح الصباح رجعوا بالزورق إلى المدينة وطلعوا وراح كل واحد منهم إلى شغله. ولم تزل هذه عادتهم في كل ليلة، وكل من تخلف منهم في المدينة بالليل جاء إليه القرود وأهلكوه. وفي النهار تطلع القرود إلى خارج المدينة فيأكلون من أثمار البساتين ويرقدون في الجبال إلى وقت المساء ثم يعودون إلى المدينة. وهذه المدينة في أقصى بلاد السودان. ومن أعجب ما وقع لي من أهل هذه المدينة، أن شخصاً من الجماعة التي بتّ معهم في الزورق قال لي: يا سيدي، أنت غريب في هذه الديار فهل لك صنعة تشتغل فيها؟ فقلت له: لا والله يا أخي ليس لي صنعة ولست أعرف عمل شيء، وإنما أنا رجل تاجر صاحب مال ونوال، وكان لي مركب ملكي مشحونة بأموال كثيرة وبضائع فكسرت في البحر وغرق جميع ما كان فيها وما نجوت من الغرق إلاّ بإذن الله، فرزقني الله بقطعة لوح ركبتها فكانت السبب في نجاتي من الغرق. فعند ذلك قام الرجل وأحضر لي مخلاة من قطن وقال لي: خذ هذه المخلاة واملأها حجارة زلط من هذه المدينة واخرج مع جماعة من أهل المدينة وأنا أرفقك بهم وأوصيهم عليك وافعل كما يفعلون، فلعلك أن تعمل بشيء تستعين به على سفرك وعودك على بلادك. ثم إن ذلك الرجل أخذني وأخرجني إلى خارج المدينة فنقيت حجارة صغاراً من الزلط وملأت تلك المخلاة، وإذا بجماعة خارجين من المدينة فأرفقني بهم وأوصاهم عليّ وقال لهم: هذا رجل غريب فخذوه معكم وعلموه اللقط فلعله يعمل بشيء يتقوّت به ويبقى لكم الأجر والثواب. فقالوا: سمعاً وطاعةً. ورحبوا بي وأخذوني معهم وساروا وكل واحد منهم معه مخلاة مثل المخلاة التي معي مملوءة زلطاً. ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى وادٍ واسع فيه أشجار كثيرة عالية لا يقدر أحد أن يطلع عليها، وفي ذلك الوادي قرود كثيرة. فلما رأتنا هذه القرود نفرت منا وطلعت تلك الأشجار، فصاروا يرجمون القرود بالحجارة التي معهمّ في المخالي والقرود تقطع من ثمار تلك الأشجار وترمي بها هؤلاء الرجال. فنظرت تلك الثمار التي ترميها القرود وإذا هي جوز هندي. فلما رأيت ذلك العمل من القوم، اخترت شجرة عظيمة عليها قرود كثيرة وجئت إليها وصرت أرجم هذه القرود فتقطع من ذلك الجوز وترميني به فأجمعه كما تفعل القوم، فما فرغت الحجارة من مخلاتي حتى جمعت شيئاً كثيراً. فلما فرغ القوم من هذا العمل لمّوا جميع ما كان معهم وحمل كل واحد منهم ما أطاقه ثم عدنا إلى المدينة في باقي يومنا. فجئت إلى الرجل صاحبي الذي أرفقني بالجماعة وأعطيته جميع ما جمعت وشكرت فضله. فقال لي: خذ هذا بعه وانتفع بثمنه. ثم أعطاني مفتاح مكان في داره وقال لي: ضع في هذا المكان هذا الذي بقي معك من الجوز واطلع في كل يوم مع الجماعة مثل ما طلعت هذا اليوم والذي تجيء به ميّز منه الرديء وبعه وانتفع بثمنه واحفظه عندك في هذا المكان، فلعلك تجمع منه شيئاً يعينك على سفرك. فقلت له: أجرك على الله تعالى. وفعلت مثل ما قال لي. ولم

ازل في كل يوم أملأ المخلاة من الحجارة واطلع مع القوم واعمل مثل ما يعملون، وقد صاروا يتواصون بي ويدلّونني على الشجرة التي فيها الثمر الكثير. ولم ازل على هذه الحالة مدة من الزمان، وقد اجتمع عندي شيء كثير من الجوز الهندي الطيب وبعت شيئاً كثيراً وكثر عندي ثمنه، وصرت أشتري كل شيء رأيته ولاق بخاطري، وقد صفا وقتي وزاد في كل المدينة حظ ولم ازل على هذه الحالة مدة. فبينما أنا واقف على جانب البحر وإذا بمركب قد وردت إلى تلك المدينة ورست على الساحل وفيها تجار معهم بضائع، فصاروا يبيعون ويشترون ويقايضون على شيء من الجوز الهندي وغيره. فجئت عند صاحبي وأعلمته بالمركب التي جاءت واخبرته بأني أريد السفر إلى بلادي. فقال: الرأي لك. فودّعته وشكرته على إحسانه إليّ. ثم إني جئت عند المركب وقابلت الريّس واكتريت معه ونزّلت ما كان معي من الجوز وغيره في تلك المركب وقد ساروا بالمركب. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 559

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما نزل من مدينة القرود في المركب واخذ ما كان معه من الجوز الهندي وغيره واكترى مع الريّس قال: وقد ساروا بالمركب في ذلك اليوم. ولم نزل سائرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وكل جزيرة رسينا عليها ابيع فيها من ذلك الجوز واقايض، وقد عوض الله عليّ بأزيد مما كان معي وضاع مني. وقد مررنا على جزيرة فيها شيء من القرفة والفلفل، وقد ذكر لنا جماعة أنهم نظروا على كل عنقود من عناقيد الفلفل ورقة كبيرة تظله وتلقي عنه المطر إذا أمطرت، وإذا ارتفع عنه المطر انقلبت الورقة عن العنقود ونزلت بجانبه. فأخذت معي من تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من الفلفل والقرفة مقايضة بالجوز. وقد مررنا على جزيرة العسرات وهي التي فيها العود القماري، ومن بعدها على جزيرة أخرى مسيرتها خمسة أيام وفيها العود الصيني وهو أغلى من القماري. واهل تلك الجزيرة أقبح حالة وديناً من أهل جزيرة العود القماري، فإنهم يحبون الفساد وشرب الخمور ولا يعلمون الآذان ولا أمر الصلاة. وجئنا بعد ذلك إلى معاطن اللؤلؤ، فأعطيت الغوّاصين شيئاً من جوز الهند وقلت لهم: غوصوا على بختي ونصيبي. فغاصوا في تلك البركة وقد طلعوا شيئاً كثيراً من اللؤلؤ الكبير الغالي وقالوا لي: يا سيدي، والله إنّ بختك سعيد. فأخذت جميع ما طلعوه لي في المركب وقد سرنا على بركة الله تعالى. ولم نزل سائرين إلى ان وصلنا البصرة، فطلعت فيها واقمت بها مدة يسيرة ثم توجهت منها إلى مدينة بغداد ودخلت حارتي وجئت إلى بيتي وسلمت على أهلي وأصحابي وهنّوني بالسلامة. وخزنت جميع ما كان معي من البضائع والأمتعة، وكسوت الأيتام والأرامل وتصدّقت ووهبت وهاديت اهلي واصاحبي واحبابي، وقد عوّض الله عليّ بأكثر مما راح مني أربع مرات. وقد نسيت ما جرى لي وما قاسيته من التعب بكثرة الربح والفوائد وعدت لما كنت عليه في الزمن الأول من المعاشرة والصحبة. وهذا أعجب ما كان من أمري في السفرة الخامسة. ولكن تعشوا وفي غد تعالوا اخبركم بما كان في السفرة السادسة فإنها أعجب من هذه. فعند ذلك مدّوا السماط وتعشّوا، فلما فرغوا من العشاء أمر للسندباد الحمّال بمائة مثقال من الذهب. فأخذها وانصرف وهو متعجب من ذلك الأمر. وبات السندباد الحمّال في بيته. ولما اصبح الصباح قام على حيله وصلّى الصبح ومشى إلى ان وصل إلى دار

السندباد البحري . فدخل عليه وصبّح عليه فأمره بالجلوس فجلس عنده، ولم يزل يتحدث معه حتى جاء بقية أصحابه . فتحدثوا ومدوا السماط وأكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا ، وابتدأ السندباد البحري يحدّثهم بحكاية السفرة السادسة فقال لهم : أعلموا يا إخواني وأحبابي وأصحابي اني لما جئت من تلك السفرة الخامسة ونسيت ما كنت قاسيته بسبب اللهو والطرب والبسط والانشراح وأنا في غاية الفرح والسرور ، ولم ازل على هذه الحالة إلى ان جلست يوماً من الأيام في حظ وسرور وانشراح زائد . فبينما أنا جالس وإذا بجماعة من التجّار وردوا عليّ ، وعليهم آثار السفر . فعند ذلك تذكرت أيام قدومي من السفر وفرحي بلقاء أهلي وأصحابي وأحبابي وفرحي بدخولي بلادي ، فاشتاقت نفسي إلى السفر والتجارة . فعزمت على السفر واشتريت لي بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر وحملت حمولي وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ، فرأيت مركباً عظيمة فيها تجاراً وأكابر ومعهم بضائع نفيسة ، فنزلت حمولي معهم في هذه المركب وسرنا بالسلامة من مدينة البصرة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 560 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما جهّز حموله ونزّلها في المركب من مدينة البصرة وسافر قال : ولم نزل مسافرين من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونتفرج على بلاد الناس وقد طاب لنا السعد والسفر واغتنمنا المعاش إلى أن كنا سائرين يوماً من الأيام ، وإذا بريّس المركب صرخ وصاح ورمى عمامته ولطم على وجهه ونتف لحيته ووقع في بطن المركب من شدة الغم والقهر . فاجتمع عليه جميع التجّار والركاب وقالوا له : يا ريّس ، ما الخبر ؟ فقال لهم الريّس : إعلموا يا جماعة أننا قد تهنا بمركبنا وخرجنا من البحر الذي كنا فيه ودخلنا بحراً لم نعرف طرقه ، وإذا لم يقيّض الله لنا شيئاً يخلّصنا من هذا البحر وإلاّ هلكنا بأجمعنا . فادعوا الله تعالى أن ينجينا من هذا الأمر . ثم إن الريّس قام على حيله وصعد على الصاري وأراد أن يحل القلوع ، فقوي الريح على المركب فردّها على مؤخرها فانكسرت دفتها قرب جبل عالٍ . فنزل الريّس من الصاري وقال : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . لا يقدر أحد أن يمنع المقدور ، والله إننا قد وقعنا في مهلكة عظيمة ولم يبقَ لنا منها مخلص ولا نجاة . فبكى جميع الركاب على أنفسهم وودّع بعضهم بعضاً لفراغ أعمارهم وانقطع رجاؤهم ، ومالت المركب على ذلك الجبل فانكسرت وتفرّقت ألواحها فغرق جميع ما كان فيها ووقع التجّار في البحر . فمنهم مَنْ غرق ومنهم مَنْ تمسّك بذلك الجبل وطلع عليه وكنت أنا من جملة مَنْ طلع ذلك الجبل ، وإذا فيه جزيرة كبيرة عندها كثير من المراكب المكسرة ، وفيها أرزاق كثيرة على شاطىء البحر من الذي يطرحه من المراكب التي كسرت وغرق ركابها ، وفيها شيء كثير يحير العقل والفكر من المتاع والأموال التي يلقيها البحر على جوانبها . فعند ذلك طلعت أعلى تلك الجزيرة ومشيت فيها ، فرأيت في وسطها عين ماء عذب جارٍ خارج من تحت أول ذلك الجبل وداخل في آخره من الجانب الثاني . فعند ذلك طلع الركاب على ذلك الجبل إلى آخر الجزيرة وانتشروا فيها ، وقد ذهلت عقولهم من ذلك وصاروا مثل المجانين من كثرة ما رأوا في الجزيرة من الأمتعة والأموال التي على ساحل البحر . وقد رأيت في وسط تلك العين شيئاً كثيراً من أصناف الجواهر والمعادن واليواقيت واللآلىء الكبار الملوكية وهي مثل الحصى في

مجاري الماء في تلك الغيطان، وجميع أرض تلك العين تبرق من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها. ورأينا شيئاً كثيراً في تلك الجزيرة من أعلى العود الصيني والعود القماري. وفي تلك الجزيرة، عين نابعة من صنف العنبر الخام وهو يسيل مثل الشمع على جانب تلك العين من شدة حرّ الشمس ويمتد على ساحل البحر، فتطلع الهوايش من البحر تبلعه وتنزل به في البحر فيمحى في بطونها فتقذفه من أفواهها في البحر فيجمد على وجه الماء، فعند ذلك يتغيّر لونه وأحواله فتقذفه الأمواج إلى جانب البحر فيأخذه السياحون والتجار الذين يعرفونه فيبيعونه. وأما العنبر الخام الخالص من البلع فإنه يسيل على جانب تلك العين ويتجمد بأرضه، وإذا طلعت عليه الشمس يسيح وتبقى منه رائحة ذلك الوادي كله مثل المسك، وإذا زالت عنه الشمس يجمد. وذلك المكان الذي فيه هذا العنبر الخام لا يقدر أحد على دخوله ولا يستطيع سلوكه. فإن الجبل محيط بتلك الجزيرة ولا يقدر أحد على صعود ذلك الجبل. ولم نزل دائرين في تلك الجزيرة نتفرّج على ما خلق الله تعالى فيها من الأرزاق ونحن متحيّرون في أمرنا وفيما نراه وعندنا خوف شديد. وقد جمعنا على جانب الجزيرة شيئاً قليلاً من الزاد فصرنا نوفر ونأكل منه في كل يوم أو يومين أكلة واحدة، ونحن خائفون أن يفرغ الزاد منّا فنموت كمداً من شدة الجوع والخوف. وكل من مات منّا نغسله ونكفنه في ثياب وقماش من الذي يطرحه البحر على جانب الجزيرة حتى مات منّا خلق كثير ولم يبقَ منّا إلاّ جماعة قليلة. فضعفنا بوجع البطن من البحر وأقمنا مدة قليلة، فمات جميع أصحابي ورفقائي واحداً بعد واحد، وكل من مات منهم ندفنه. وبقيت في تلك الجزيرة وحدي وبقي معي زاد قليل بعد أن كان كثيراً. فبكيت على نفسي وقلت: يا ليتني متّ قبل رفقائي وكانوا غسلوني ودفنوني. فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح..

فلما كانت الليلة 561

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما دفن رفقاؤه جميعاً وصار في الجزيرة وحده قال: ثم إني قمت مدة يسيرة. ثم قمت حفرت لنفسي حفرة عميقة في جانب تلك الجزيرة وقلت في نفسي: إذا ضعفت وعلمت أن الموت قد أتاني أرقد في هذا القبر فأموت فيه، ويبقى الريح يسفي الرمل عليّ فيغطيني وأصير مدفوناً فيه. وصرت ألوم نفسي على قلة عقلي وخروجي من بلادي ومدينتي وسفري إلى البلاد بعد الذي قاسيته أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً، ولا سفرة من الأسفار إلاّ وأقاسي فيها أهوالاً وشدائد أشقّ وأصعب من الأهوال التي قبلها. وما أصدّق بالنجاة والسلامة وأتوب عن السفر في البحر وعن عودي إليه ولست محتاجاً لمال وعندي شيء كثير، والذي عندي لا أقدر أن أفنيه ولا أضيع نصفه في باقي عمري، وعندي ما يكفيني وزيادة. ثم إني تفكّرت في نفسي وقلت: والله لا بد أن هذا النهر له أول وآخر، ولا بد له من مكان يخرج منه إلى العمار. والرأي السديد عندي أني أعمل لي فلكاً صغيراً على قدر ما أجلس فيه وأنزل وألقيه في هذا النهر وأسير به، فإن وجدت لي خلاصاً أخلص وأنجو بإذن الله تعالى، وإن لم أجد لي مخلصاً أموت داخل هذا النهر أحسن من هذا المكان. وصرت أتحسّر على نفسي، ثم إني قمت وسعيت فجمعت أخشاباً من تلك الجزيرة من خشب العود الصيني والقماري وشددتها على جانب البحر بحبال من حبال المراكب التي كسرت وجئت

بألواح متساوية من ألواح المراكب ووضعتها في ذلك الخشب وجعلت ذلك الفلك على عرض ذلك النهر أو أقل من عرضه وشددته شداً طيباً مكيناً، وقد أخذت معي من تلك المعادن والجواهر والأموال واللؤلؤ الكبير الذي مثل الحصى، وغير ذلك من الذي في تلك الجزيرة، وشيئاً من العنبر الخام الخالص الطيب ووضعته في ذلك الفلك ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة، وأخذت معي جميع ما كان باقياً من الزاد. ثم إني ألقيت ذلك الفلك في هذا النهر وجعلت له خشبتين على جنبيه مثل المجاديف. وعملت بقول بعض الشعراء: [من الوافر]

تَرَحَّلْ عَنْ مَكانٍ فيهِ ضَيْمٌ ... وخَلِّ الدَّارَ تَنْعِي مَنْ بَناها
فإنَّكَ واجِدٌ أَرْضاً بِأَرْضٍ ... ونَفْسكَ لَمْ تَجِدْ نَفْساً سِواها
ولا تَجْزَعْ لِحادثَةِ اللَّيالي ... فَكُلُّ مُصيبَةٍ يَأْتي انْتِهاها
وَمَنْ كانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ... فَلَيْسَ يَموتُ في أَرْضٍ سِواها
ولا تَبْعَثْ رَسُولَكَ في مُهِمٍّ ... فَما لِلنَّفْسِ ناصِحَةٌ سِواها

وسرت بذلك الفلك في النهر وأنا متفكر فيما يصير إليه أمري. ولم أزل سائراً إلى المكان الذي يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل، وأدخلت الفلك في ذلك المكان وقد صرت في ظلمة شديدة تحت الجبل، ولم يزل الفلك داخلاً بي مع الماء إلى ضيق تحت الجبل، وصارت جوانب الفلك تحك في جوانب النهر وراسي تحك في سقف النهر ولم أقدر على أني أعود منه. وقد لمت نفسي على ما فعلته بروحي وقلت: إن ضاق هذا المكان على الفلك قلّ أن يخرج منه ولا يمكن عوده، فأهلك في هذا المكان كمداً بلا محالة. وقد انطرحت على وجهي في الفلك من ضيق النهر، ولم أزل سائراً ولا أعلم ليلاً من نهار بسبب الظلمة التي أنا فيها تحت ذلك الجبل مع الفزع والخوف على نفسي من الهلاك. ولم أزل على هذه الحالة سائراً في ذلك النهر وهو يتسع تارةً ويضيق أخرى، ولكن شدة الظلمة قد أتعبتني تعباً شديداً فأخذتني سنة من النوم من شدة قهري فنمت على وجهي في الفلك. ولم يزل سائراً بي وأنا نائم لا أدري بكثير ولا قليل. ثم إني استيقظت فوجدت نفسي في النور ففتحت عيني فرأيت مكاناً واسعاً، وذلك الفلك مربوط على جزيرة وحولي جماعة من الهنود والحبشة. فلما رأوني قمت، نهضوا إليّ وكلّموني بلسانهم فلم أعرف ما يقولون، وبقيت أظن أنه حلم وأن هذا في المنام من شدة ما كنت فيه من الضيق والقهر. فلما كلموني ولم أعرف حديثهم ولم أرد عليهم جواباً تقدّم إليّ رجل منهم وقال لي بلسان عربي: السلام عليكم يا أخانا، ما تكون أنت؟ ومن أين جئت؟ وما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ ونحن أصحاب الزرع والغيطان وجئنا لنسقي غيطاننا وزرعنا فوجدناك نائماً في الفلك، فأمسكناه وربطناه عندنا حتى تقوم على مهلك. فأخبرنا ما سبب وصولك إلى هذا المكان؟ فقلت له: بالله عليك يا سيدي ائتني بشيء من الطعام فإني جائع وبعد ذلك إسألني عمّا تريد. فأسرع وأتاني بالطعام، فأكلت حتى شبعت وارتحت وسكن روعي وازداد شبعي وردّت لي روحي، فحمدت الله تعالى على كل حال وفرحت بخروجي من ذلك النهر ووصولي إليهم وأخبرتهم بجميع ما جرى لي من أوله إلى آخره وما لقيته في ذلك النهر وضيقه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 562

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما طلع من الفلك على جانب الجزيرة ورأى فيها جماعة من الهنود والحبشة وارتاح من تعبه، سألوه عن خبره فأخبرهم بقصته. ثم إنهم تكلموا مع بعضهم وقالوا : لا بد أننا نأخذه معنا ونعرضه على ملكنا ليخبره بما جرى له. قال : فأخذوني معهم وحملوا معي الفلك بجميع ما فيه من المال والنوال والجواهر والمعادن والمصاغ وقد أدخلوني على ملكهم وأخبروه بما جرى. فسلم عليّ ورحّب بي وسألني عن حالي وما اتفق لي من الأمور، فأخبرته بجميع ما كان من أمري وما لاقيته من أوله إلى آخره. فتعجب الملك من هذه الحكاية غاية العجب وهنأني بالسلامة. فعند ذلك قمت واطلعت من ذلك الفلك شيئاً كثيراً من المعادن والجواهر والعود والعنبر الخام وأهديته إلى الملك، فقبله مني وأكرمني إكراماً زائداً وأنزلني في مكان عنده. وقد صاحبت أخيارهم وأكابرهم وعزّوني معزّة عظيمة وصرت لا أفارق دار الملك، وصار الواردون إلى تلك الجزيرة يسألونني عن أمور بلادي فأخبرهم بها، وكذلك أسألهم عن أمور بلادهم فيخبرونني بها إلى أن سألني ملكهم يوماً من الأيام عن أحوال بلادي وعن أحوال حكم الخليفة في بلاد مدينة بغداد، فأخبرته بعدله في أحكامه فتعجب من أموره وقال لي : والله إن الخليفة له أمور عقلية وأحوال مرضية وأنت قد حببتني فيه ومرادي أن أجهز له هدية وأرسلها معك إليه. فقلت : سمعاً وطاعةً يا مولانا أوصلها إليه وأخبره أنك محب صادق. ولم أزل مقيماً عند ذلك الملك وأنا في غاية العز والإكرام وحسن معيشة مدة من الزمان إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام في دار الملك فسمعت بخبر جماعة من تلك المدينة أنهم جهزوا لهم مركباً يريدون السفر فيها إلى نواحي مدينة البصرة. فقلت في نفسي : ليس لي أوفق من السفر مع هؤلاء الجماعة. فأسرعت من وقتي وساعتي وقبّلت يد ذلك الملك وأعلمته بأن مرادي السفر مع الجماعة في المركب التي جهّزوها لأني اشتقت إلى أهلي وبلادي. فقال لي الملك : الرأي لك، وإن شئت الإقامة عندنا فعلى الرأس والعين وقد حصل لنا أنسك. فقلت : والله يا سيدي قد غمرتني بجميلك وإحسانك ولكني قد اشتقت إلى أهلي وبلادي وعيالي. فلما سمع كلامي أحضر التجّار الذين جهّزوا المركب وأوصاهم عليّ وقد وهب لي شيئاً كثيراً من عنده ودفع عني أجرة المركب وأرسل معي هدية عظيمة إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد. ثم إني ودّعت الملك وودّعت جميع أصحابي الذين كنت أتردّد عليهم. ثم نزلت تلك المركب مع التجّار وسرنا، وقد طاب لنا الريح والسفر ونحن متوكلون على الله سبحانه وتعالى. ولم نزل مسافرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة إلى أن وصلنا بالسلامة بإذن الله تعالى إلى مدينة البصرة. فطلعت من المركب ولم أزل مقيماً بأرض البصرة أياما ولياليَ حتى جهزت نفسي وحملت حمولي وتوجهت إلى مدينة بغداد دار السلام، فدخلت على الخليفة هارون الرشيد وقدمت إليه تلك الهدية وأخبرته بجميع ما جرى لي. ثم خزنت جميع أموالي وأمتعتي ودخلت حارتي وجاءني أهلي وأصحابي وفرّقت الهدايا على جميع أهلي وتصدّقت ووهبت. وبعد مدة من الزمان أرسل إليّ الخليفة فسألني عن سبب تلك الهدية ومن أين هي. فقلت : يا أمير المؤمنين، والله لا أعرف للمدينة التي هي منها إسماً ولا طريقاً. ولكن لما غرقت المركب التي كنت فيها، طلعت على جزيرة وقد صنعت لي فلكاً ونزلت في

نهر كان في وسط جزيرة . وأخبرته بما جرى لي في السفرة ، وكيف كان خلاصي من ذلك النهر إلى تلك المدينة وبما جرى لي فيها ، وبسبب إرسالي الهدية . فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وأمر المؤرخين أن يكتبوا حكايتي ويجعلوها في خزانته ليعتبر بها كل من رآها . ثم إنه أكرمني إكراماً زائداً . وقد أقمت بمدينة بغداد على ما كنت عليه في الزمن الأول ونسيت جميع ما جرى لي وما قاسيته من أوله إلى آخره . ولم أزل في لذّة عيش ولهو وطرب . وهذا ما كان من أمري في السفرة السادسة يا إخواني ، وإن شاء الله تعالى في غد أحكي لكم حكاية السفرة السابعة فإنها أعجب وأغرب من هذه السفرات . ثم إنه أمر بمد السماط وتعشّوا عنده وأمر السندباد البحري للسندباد الحمّال بمائة مثقال من الذهب فأخذها وانصرف إلى حال سبيله . وانصرف الجماعة وهم متعجبون من ذلك غاية العجب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 563

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما حكى حكاية سفرته السادسة وراح كل واحد إلى حال سبيله . بات السندباد البري في منزله ثم صلّى الصبح وجاء إلى منزل السندباد البحري وأقبل الجماعة . فلما تكاملوا ابتدأ السندباد البحري بالكلام في حكاية السفرة السابعة وقال : إعلموا يا جماعة أني لما رجعت من السفرة السادسة وعدت لما كنت عليه في الزمن الأول من البسط والانشراح واللهو والطرب . أقمت على تلك الحالة مدة من الزمان وأنا متواصل الهناء والسرور ليلاً ونهاراً ، وقد حصل لي مكاسب كثيرة وفوائد عظيمة . فاشتاقت نفسي إلى الفرجة في البلاد وإلى ركوب البحر وعشرة التجّار وسماع الأخبار ، فهممت في ذلك الأمر وقد حزمت أحمالاً بحرية من الأمتعة الفاخرة وحملتها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ، فرأيت مركباً محضرة للسفر وفيها جماعة من التجّار العظام . فنزلت معهم واستأنست بهم وقد سرنا بسلامة وعافية قاصدين السفر ، وقد طاب لنا الريح حتى وصلنا إلى مدينة تسمى مدينة الصين ونحن في غاية الفرح والسرور ، نتحدث مع بعضنا في أمر السفر والمتجر . فبينما نحن على هذه الحالة وإذا بريح عاصف هبّ من مقدم المركب ونزل علينا مطر شديد حتى ابتللنا وابتلّت حمولنا ، فغطينا الحمول باللباد والخيش خوفاً على البضاعة من التلف بالمطر وصرنا ندعو الله تعالى ونتضرع إليه في كشف ما نزل بنا مما نحن فيه . فعند ذلك قام ريّس المركب وشدّ حزامه وتشمر وطلع الصاري ، ثم إنه صار يلتفت يميناً وشمالاً وبعد ذلك نظر إلى أهل المركب ولطم على وجهه ونتف لحيته . فقلنا : يا ريّس ما الخبر ؟ فقال لنا : أطلبوا من الله تعالى النجاة مما وقعنا فيه وابكوا على أنفسكم وودّعوا بعضكم واعلموا أن الريح قد غلب علينا ورمانا في آخر بحار الدنيا . ثم أن الريّس نزل من فوق الصاري وفتح صندوقه وأخرج منه كيسا قطناً وفكه وأخرج منه تراباً مثل الرماد وبلّه بالماء وصبر عليّه قليلاً ثم شمّه . ثم إنه أخرج من ذلك الصندوق كتاباً صغيراً وقرأ فيه وقال لنا : إعلموا يا ركاب أن في هذا الكتاب أمراً عجيباً يدل على أن كل من وصل إلى هذه الأرض لم ينجُ منها بل يهلك ، فإن هذه الأرض تسمى إقليم الملوك وفيها قبر سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيه حيات عظام الخلقة هائلة المنظر . فكل مركب وصلت إلى هذا الإقليم يطلع لها حوت من البحر فيبتلعها بجميع ما فيها . فلما سمعنا هذا الكلام من الريّس تعجبنا غاية العجب من حكايته ، فلم يتم الريّس كلامه لنا حتى صارت المركب ترتفع بنا عن

الماء ثم تنزل، وسمعنا صرخة عظيمة مثل الرعد القاصف، فارتعبنا منها وصرنا كالأموات وأيقنا بالهلاك في ذلك الوقت. وإذا بحوت قد أقبل على المركب كالجبل العالي ففزعنا منه وقد بكينا على أنفسنا بكاءً شديداً وتجهزنا للموت وصرنا ننظر إلى ذلك الحوت ونتعجب من خلقته الهائلة، وإذا بحوت قد أقبل علينا فما رأينا أعظم منه ولا أكبر، فعند ذلك ودعنا بعضنا ونحن نبكي على أرواحنا، وإذا بحوت ثالث قد أقبل وهو أكبر من الإثنين اللذين جاآنا قبله، فصرنا لا نعي ولا نعقل وقد اندهشت عقولنا من شدة الخوف والفزع. ثم إن هذه الحيتان الثلاثة صاروا يدورون حول المركب وقد أهوى الحوت الثالث ليبلع المركب بكل ما فيها، وإذا بريح عظيم ثار فقامت المركب ونزلت على شعب عظيم فانكسرت وتفرقت جميع الألواح وغرقت جميع الحمول والتجار والركاب في البحر. فخلعت أنا جميع ما كان عليّ من الثياب ولم يبق عليّ غير ثوب واحد، ثم عمت قليلاً فلحقت لوحاً من ألواح المركب وتعلّقت به، ثم إني طلعت عليه وركبته وقد صارت الأمواج والأرياح تلعب بي على وجه الماء وأنا قابض على ذلك اللوح والموج يرفعني ويحطني وأنا في أشدّ ما يكون من المشقّة والخوف والجوع والعطش، وصرت ألوم نفسي على ما فعلته. وقد تعبت نفسي بعد الراحة وقلت لروحي: يا سندباد يا بحري، أنت لم تتب وكل مرة تقاسي فيها الشدائد والتعب ولم تتب عن سفر البحر، وإن تبت تكذب في التوبة. فقاسِ كل ما تلقاه فإنك تستحق جميع ما يحصل لك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 564

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما غرق في البحر، ركب لوحاً من الخشب وقال في نفسه: أستحق جميع ما يجري لي وكل هذا مقدور عليّ من الله تعالى حتى أرجع عن ما أنا فيه من الطمع، وهذا الذي أقاسيه من طمعي فإن عندي مالاً كثيراً. ثم إنه قال: وقد رجعت لعقلي وقلت: إني في هذه السفرة قد تبت إلى الله تعالى توبة نصوحاً عن السفر، وما بقيت عمري أذكره على لساني ولا على بالي. ولم أزل أتضرع إلى الله تعالى وأبكي، ثم إني تذكرت في نفسي ما كنت فيه من الراحة والسرور واللهو والطرب والانشراح. ولم أزل على هذه الحال أول يوم وثاني يوم إلى أن طلعت على جزيرة عظيمة وفيها شيء كثير من الأشجار والأنهار، فصرت آكل من ثمر تلك الأشجار وأشرب من ماء تلك الأنهار حتى انتعشت وردّت لي روحي وقويت همّتي وانشرح صدري. ثم مشيت في الجزيرة فرأيت في جانبها الثاني نهراً عظيماً من الماء العذب، ولكن ذلك النهر يجري جرياً قوياً. فتذكرت أمر الفلك الذي كنت فيه سابقاً وقلت في نفسي: لا بد أني أعمل لي فلكاً مثله فلعليّ أنجو من هذا الأمر، فإن نجوت به حصل المراد وتبت إلى الله تعالى من السفر، وإن هلكت ارتاح قلبي من التعب والمشقّة. ثم إني قمت فجمعت أخشاباً من تلك الأشجار من خشب الصندل الغال الذي لا يوجد مثله وأنا لا أدري أي شيء هو. ولما جمعت تلك الأخشاب تحيلت بأغصان ونبات من هذه الجزيرة وفتلتها مثل الحبال وشددت بها الفلك وقلت: إن سلمت فمن الله. ثم إني نزلت في ذلك الفلك وسرت به في ذلك النهر حتى خرجت من آخر الجزيرة ثم بعدت عنها. ولم أزل سائراً أول يوم وثاني يوم وثالث يوم بعد مفارقة الجزيرة وأنا نائم ولم آكل في هذه المدة شيئاً، ولكن إذا عطشت شربت من ذلك النهر وصرت مثل الفرخ الدايخ من شدة التعب والجوع

والخوف، حتى انتهى بي الفلك إلى جبل عالٍ والنهر داخل من تحته. فلما رأيت ذلك خفت على نفسي من الضيق الذي كنت فيه أول مرة في النهر السابق وأردت اني أوقف الفلك وأطلع منه إلى جانب الجبل، فغلبني الماء فجذب الفلك وأنا فيه ونزل به تحت الجبل. فلما رأيت ذلك أيقنت بالهلاك وقلت: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم، ولم يزل الفلك سائراً مسافة يسيرة، ثم طلع إلى مكان واسع وإذا هو وادٍ كبير والماء يهدر فيه وله دوي مثل دوي الرعد وجريان مثل جريان الريح. فصرت قابضاً على ذلك الفلك بيدي وأنا خائف أن أقع من فوقه والأمواج تلعب بي يميناً وشمالاً في وسط ذلك المكان. ولم يزل الفلك منحدراً مع الماء الجاري في ذلك الوادي وأنا لا أقدر على منعه ولا أستطيع الدخول به في جهة البر إلى أن رسى بي على جانب مدينة عظيمة المنظر مليحة البناء فيها خلق كثير. فلما رأوني وأنا في ذلك الفلك منحدراً في وسط النهر مع التيار، رموا عليّ الشبكة والحبال في ذلك الفلك. ثم طلعوا الفلك من ذلك النهر إلى البر وقد سقطت بينهم وأنا مثل الميت من شدة الجوع والسهر والخوف، فتلقاني من بين هؤلاء الجماعة رجل كبير السن وهو شيخ عظيم، وقد رحب بي ورمى عليّ ثياباً كثيرة جميلة فسترت بها عورتي. ثم إنه أخذني وسار بي وأدخلني الحمام وجاء لي بالأشربة المنعشة والروائح الزكية. ثم بعد خروجنا من الحمام أخذني إلى بيته وأدخلني فيه، ففرح بي أهل بيته. ثم أجلسني في مكان ظريف وهيّأ لي شيئاً من الطعام الفاخر فأكلت حتى شبعت وحمدت الله تعالى على نجاتي. وبعد ذلك قدم لي غلمانه ماءً ساخناً فغسلت يدي، وجاءتني جواريه بمناشف من الحرير فنشفت يدي ومسحت فمي. ثم إن ذلك الشيخ قام من وقته وأخلى لي مكاناً منفرداً وحده في جانب داره وألزم غلمانه وجواريه بخدمتي وقضاء حاجتي وجميع مصالحي، فصاروا يتعهدونني. ولم أزل على هذه الحالة عنده في دار الضيافة ثلاثة أيام وأنا على أكل طيب وشرب طيب ورائحة طيبة حتى ردّت لي روحي وسكن روعي وهدأ قلبي وارتاحت نفسي. فلما كان اليوم الرابع تقدّم إليّ الشيخ وقال لي: آنستنا يا ولدي والحمد لله على سلامتك، فهل لك أن تقوم معي إلى ساحل البحر وتنزل السوق فتبيع البضاعة وتقبض ثمنها؟ لعلك تشتري لك بها شيئاً تتّجر فيه. فسكت قليلاً وقلت في نفسي: من أين معي بضاعة؟ وما سبب هذا الكلام؟ ثم قال الشيخ: يا ولدي لا تهتم ولا تفكر، فقم بنا إلى السوق فإن رأينا مَنْ يعطيك في بضاعتك ثمناً يرضيك أقبضه لك، وإن لم يجيء فيها شيء يرضيك أحطها لك عندي في حواصلي حتى تجيء أيام البيع والشراء. فتفكّرت في أمري وقلت لعقلي: طاوعه حتى تنظر أي شيء تكون هذه البضاعة. ثم إني قلت له: سمعاً وطاعةً يا عم الشيخ، والذي تفعله فيه البركة ولا يمكن مخالفتك في شيء. ثم إني جئت معه إلى السوق فوجدته قد فكّ الفلك الذي جئت فيه وهو من خشب الصندل وأطلق المنادي عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 565

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما ذهب مع الشيخ إلى شاطىء البحر ورأى الفلك الذي جاء فيه من خشب الصندل مفكوكاً ورأى الدلاّل يدلّل عليه، جاء التجّار وفتحوا باب سعره وتزايدوا فيه إلى أن بلغ ثمنه ألف دينار وبعد ذلك توقف التجّار عن الزيادة. فالتفت إليّ الشيخ وقال: إسمع يا ولدي، هذا سعر بضاعتك

في مثل هذه الأيام فهل تبيعها بهذا السعر أو تصبر وأنا أحطها لك عندي في حواصلي حتى يجيء آوان زيادتها في الثمن فنبيعها لك ؟ فقلت له : يا سيدي الأمر أمرك فافعل ما تريد . فقال : يا ولدي أتبيعني هذا الحطب بزيادة مائة دينار ذهباً فوق ما أعطى فيه التجّار ؟ فقلت له : نعم بعتك وقبضت الثمن . فعند ذلك أمر غلمانه بنقل ذلك الخشب إلى حواصله ، ثم إني رجعت معه إلى بيته فجلسنا وعدّ لي جميع ثمن ذلك الحطب واحضر لي أكياساً وحط المال فيها وقفل عليها بقفل حديد وأعطاني مفتاحه . وبعد مدة أيام وليالٍ قال الشيخ : يا ولدي إني أعرض عليّك شيئاً وأشتهي أن تطاوعني فيه . فقلت له : وما ذلك الأمر ؟ فقال لي : إعلم أني بقيت رجلاً كبير السن ليس لي ولد ذكر وعندي بنت صغيرة السن ظريفة الشكل عندها مال كثير وجمال ، فأريد أن أزوّجها لك وتقعد معها في بلادنا ، ثم إني أملكك جميع ما هو عندي وما تملكه يدي فإني بقيت رجلاً كبيراً وأنت تقوم مقامي . فسكت ولم أتكلم . فقال لي : أطعني يا ولدي في الذي أقوله لك فإن مرادي لك الخير ، فإن أطعتني زوّجتك ابنتي وتبقى مثل ولدي وجميع ما في يدي وما هو ملكي يصير لك ، وإن أردت التجارة والسفر إلى بلادك لا يمنعك أحد وهذا مالك تحت يدك فافعل به ما تريده وما تختاره . فقلت له : والله يا عم الشيخ أنت صرت مثل والدي وأنا قاسيت أهوالاً كثيرة ولم يبقَ لي رأي ولا معرفة فالأمر أمرك في جميع ما تريده . فعند ذلك أمر الشيخ غلمانه بإحضار القاضي والشهود ، فأحضروهم وزوّجني ابنته وعمل لنا وليمة عظيمة وفرحاً كبيراً وأدخلني عليها فرأيتها في غاية الحسن والجمال ، بقدّ واعتدال وعليها شيء كثير من أنواع الحلي والحلل والمعادن والمصاغ والعقود والجواهر الثمينة ، وما قيمتها إلاّ ألوف الألوف من الذهب ، ولا يقدر أحد على ثمنها . فلما دخلت عليها أعجبتني ووقعت المحبة بيننا وأقمت معها مدة من الزمان وأنا في غاية الأنس والانشراح . وقد توفي والدها إلى رحمة الله تعالى فجهزناه ودفناه ووضعت يدي على ما كان معه ، وصار جميع غلمانه غلماني وتحت يدي في خدمتي ، وولاّني التجّار مرتبته فإنه كان كبيرهم ولم يأخذ أحد منهم شيئاً إلاّ بمعرفته وإذنه لأنه شيخهم ، وصرت أنا في مكانه . فلما خالطت أهل تلك المدينة وجدتهم تنقلب حالتهم في كل شهر ، فتظهر لهم أجنحة يطيرون إلى عنان السماء ولا يبقى متخلّفاً في تلك المدينة غير الأطفال والنساء . فقلت في نفسي : إذا جاء رأس الشهر أسأل أحداً منهم فلعلهم يحملوني معهم إلى أين يروحون . فلما جاء رأس ذلك الشهر تغيّرت ألوانهم وانقلبت صورهم فدخلت على واحد منهم وقلت له : بالله عليّك أنك تحملني معك حتى أتفرج وأعود معكم . فقال لي : هذا شيء لا يمكن . فلم أزل أتداخل عليه حتى أنعم عليّ بذلك . وقد وافقتهم وتعلّقت به فطار بي في الهواء ولم أعلم أحداً من أهل بيتي ولا من غلماني ولا من أصحابي ، ولم يزل طائراً بي ذلك الرجل وأنا على أكتافه حتى علا بي في الجو فسمعت تسبيح الأملاك في قبة الأفلاك . فتعجبت من ذلك وقلت : سبحان الله والحمد لله . فلم أستتم التسبيح حتى خرجت نار من السماء فكادت تحرقهم ، فنزلوا جميعاً وقد ألقوني على جبل عالٍ وقد صاروا في غاية الغيظ مني ورحلوا وخلّوني فصرت وحدي في ذلك الجبل . فلمت نفسي على ما فعلت وقلت : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ، أنا كلما أخلص من مصيبة أقع في مصيبة أقوى منها . ولم أزل في ذلك الجبل ولا أعلم أين أذهب ، وإذا بغلامين سائرين كأنهما قمران ، وفي يد كل واحد منهما قضيب من ذهب يتعكّز عليه . فتقدّمت

إليهما وسلّمت عليهما فرداً عليّ السلام . فقلت لهما : بالله عليكما مَنْ انتما ؟ وما شأنكما ؟ فقالا لي : نحن من عباد الله تعالى . ثم إنهما أعطياني قضيباً من الذهب الأحمر الذي كان معهما وانصرفا إلى حال سبيلهما وخلياني . فصرت أسير على رأس ذلك الجبل وأنا أتعكز بالعكّاز وأتفكر في أمر هذين الغلامين ، وإذا بحية قد خرجت من تحت ذلك الجبل وفي فمها رجل بلعته إلى تحت سرّته وهو يصيح ويقول : مَنْ يخلّصني يخلصه الله من كل شدة ؟ فتقدّمت إلى تلك الحية وضربتها بالقضيب الذهب على رأسها فرمت الرجل من فمها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 566

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما ضرب الحية بالقضيب الذهب الذي كان بيده وألقت الرجل من فمها قال : فتقدم إليّ الرجل وقال : حيث كان خلاصي على يديك من هذه الحية فما بقيت افارقك وأنت صرت رفيقي في هذا الجبل . فقلت له : مرحباً . وسرنا في ذلك الجبل وإذا بقوم أقبلوا علينا ، فنظرت إليهم وإذا فيهم الرجل الذي كان حملني على أكتافه وطار بي . فتقدمت إليه واعتذرت له وتلطفت به وقلت له : يا صاحبي ، ما هكذا تفعل الأصحاب بأصحابهم ! فقال لي الرجل : أنت الذي أهلكتنا بتسبيحك على ظهري . فقلت له : لا تواخذني فإني لم يكن لي علم بهذا الأمر ولكني لا أتكلم بعد ذلك أبداً . فسمح بأخذي معه ولكنه شرط عليّ أن لا اذكر الله ولا اسبّحه على ظهره . ثم إنه حملني وطار بي مثل الأول حتى أوصلني إلى منزلي ، فتلقتني زوجتي وسلمت عليّ وهنّتني بالسلامة وقالت لي : إحترس من خروجك بعد ذلك مع هؤلاء الأقوام ولا تعاشرهم فإنهم إخوان الشياطين ولا يعلمون ذكر الله تعالى . فقلت لها : كيف كان حال أبيك معهم ؟ فقالت لي : إن أبي لم يكن منهم ولم يعمل مثلهم . والراي عندي حيث مات أبي أنك تبيع جميع ما عندنا وتأخذ بثمنه بضائع ثم تسافر إلى بلادك وأهلك وأنا أسير معك وليس لي حاجة بالقعود هنا في هذه المدينة بعد أمي وأبي . فعند ذلك صرت أبيع من متاع ذلك الشيخ شيئاً بعد شيء وأنا أترقب أحداً يسافر من تلك المدينة واسير معه . فبينما انا كذلك وإذا بجماعة في المدينة قد أرادوا السفر ولم يجدوا لهم مركباً ، فاشتروا خشباً وقد صنعوا لهم مركباً كبيرة فاكتريت معهم ودفعت إليهم الأجرة بتمامها ، ثم نزلت زوجتي وجميع ما كان معنا في المركب وتركنا الأملاك والعقارات وسرنا . ولم نزل سائرين في البحر من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وقد طاب لنا ريح السفر حتى وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة ، فلم أقم بها بل اكتريت في مركب أخرى ونقلت إليها جميع ما كان معي ، وتوجهت إلى مدينة بغداد . ثم دخلت حارتي وجئت إلى داري وقابلت أهلي وأصحابي وأحبابي وخزّنت جميع ما كان معي من البضائع في حواصلي . وقد حسب أهلي مدة غيابي عنهم في السفرة السابقة فوجدوها سبعاً وعشرين سنة حتى قطعوا الرجاء مني . فلما جئتهم وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري وما جرى لي ، صاروا كلهم يتعجّبون من ذلك الأمر عجباً كبيراً ، وقد هنوني بالسلامة . ثم إني تبت إلى الله تعالى عن السفر في البر والبحر بعد هذه السفرة السابقة التي هي غاية السفرات وقاطعة الشهوات وشكرت الله سبحانه وتعالى وحمدته وأثنيت عليه حيث أعادني إلى أهلي وبلادي وأوطاني . فانظر يا سندباد

يا بري ما جرى لي وما وقع لي وما كان من أمري . فقال السندباد البري للسندباد البحري : بالله عليك لا تؤاخذني بما كان مني في حقك . ولم يزالوا في عشرة ومودة مع بسط زائد وفرح وانشراح إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور وهو كأس الممات فسبحان الحي الذي لا يموت .

53 - حكاية مدينة النحاس

وبلغني أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان . وكان جالساً يوماً من الأيام وعنده أكابر دولته من الملوك والسلاطين فوقعت بينهم مباحثة في حديث الأمم السالفة وتذكروا أخبار سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وما أعطاه الله تعالى من الملك والحكم في الإنس والجن والطير والوحش وغير ذلك . وقالوا : قد سمعنا ممن كان قبلنا أن الله سبحانه وتعالى لم يعط أحداً مثل ما أعطى سيدنا سليمان ، وإنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن الجن والمردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 567

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة عبد الملك بن مروان لما تحدث مع أعوانه وأكابر دولته وتذكروا سيدنا سليمان وما أعطاه الله من الملك قال : إنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن المردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه وأخبر طالب أنّ رجلاً نزل في مركب مع جماعة وانحدروا إلى بلاد الهند ولم يزالوا سائرين حتى طلع عليهم ريح ، فوجههم ذلك الريح إلى أرض من أراضي الله تعالى ، وكان ذلك في سواد الليل . فلما أشرق النهار خرج إليهم من مغارات تلك الأرض أقوام سود الألوان عراة الأجساد كأنهم وحوش لا يفقهون خطاباً ، لهم ملك من جنسهم وليس منهم أحد يعرف العربية غير ملكهم . فلما رأوا المركب ومَنْ فيها ، خرج إليهم في جماعة من أصحابه فسلم عليهم ورحب بهم وسألهم عن دينهم فأخبروه بحالهم . فقال لهم : لا بأس عليكم . وحين سألهم عن دينهم كان كل منهم على دين من الأديان قبل ظهور الإسلام وقبل بعث محمد ﷺ . فقال أهل المركب : نحن لا نعرف ما تقول ولا نعرف شيئاً من هذا الدين . فقال لهم الملك : إنه لم يصل إلينا أحد من بني آدم قبلكم . ثم إنه ضيفهم بلحم الطيور والوحوش والسمك وليس لهم طعام غير ذلك . ثم إن أهل المركب نزلوا يتفرجون في تلك المدينة فوجدوا بعض الصيادين أرخى شبكة في البحر ليصطاد سمكاً ثم رفعها فإذا فيها قمقم من نحاس مرصّص مختوم عليّه بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام . فخرج به الصياد وكسره فخرج منه دخان أزرق التحق بعنان السماء . فسمعنا صوتاً منكراً يقول : التوبة التوبة يا نبي الله . ثم صار من ذلك الدخان شخص هائل المنظر مهول الخلقة يلحق رأسه الجبل ثم غاب عن أعينهم . فأما أهل المركب فكادت تنخلع قلوبهم ، وأما السودان فلم يفكروا في ذلك . فرجع رجل إلى الملك وسأله عن ذلك فقال له : إعلم أن هذا من الجن الذين كان سليمان

بن داود إذا غضب عليهم سجنهم في هذه القماقم ورصّص عليّهم ورماهم في البحر ، فإذا رمى الصياد الشبكة تطلع بهذه القماقم في غالب الأوقات ، فإذا كسرت يخرج منها جني ويخطر بباله أن سليمان حيٌّ فيتوب ويقول : التوبة يا نبي الله . فتعجب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من هذا الكلام وقال : سبحان الله ، لقد أوتي سليمان ملكاً عظيماً . وكان ممن حضر في ذلك المجلس النابغة الذبياني فقال : صدق طالب فيما أخبر به . والدليل على صدقه قول الحكيم الأول : [من البسيط]

وفي سُلَيْمانَ إذْ قالَ الإلهُ لَهُ ... قُمْ بالخِلافَةِ وٱحْكُمْ حُكْمَ مجتَهِدِ
فَمَنْ أطاعَكَ فاكْرِمْهُ بِطاعَتِهِ ... ومَنْ أَبى عَنْكَ فاحْبِسْهُ إلى الأَبَدِ

وكان يجعلهم في قماقم من النحاس ويرميهم في البحر . فاستحسن أمير المؤمنين هذا الكلام وقال : والله إني لأشتهي أن أرى شيئاً من هذه القماقم . فقال له طالب بن سهل : يا أمير المؤمنين إنك قادر على ذلك وأنت مقيم في بلادك ، فارسل إلى أخيك عبد العزيز بن مروان أن يأتيك بها من بلاد الغرب بأن يكتب إلى موسى أن يركب من بلاد الغرب إلى هذا الجبل الذي ذكرناه ويأتيك من هذه القماقم بما تطلب ، فإن البر متصل من آخر ولايته بهذا الجبل . فاستصوب أمير المؤمنين رأيه وقال : يا طالب لقد صدقت فيما قلته ، وأريد أن تكون أنت رسولي إلى موسى بن نصر في هذا الأمر ، ولك الراية البيضاء وكل ما تريده من مال أو جاهٍ أو غير ذلك وأنا خليفتك في أهلك . قال : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين . فقال له : سرّ على بركة الله تعالى وعونه . ثم أمر أن يكتبوا له كتاباً لأخيه عبد العزيز نائبه في مصر ، وكتاباً آخر إلى موسى نائبه في بلاد الغرب يأمره بالسير في طلب القماقم السليمانية بنفسه ويستخلف ولده على البلاد ويأخذ معه الأدلّة وينفق المال وليستكثر من الرجال ولا يلحقه في ذلك فترة ولا يحتج بحجة . ثم ختم الكتابين وسلّمهما إلى طالب بن سهل وأمره بالسرعة ونصب الرايات على رأسه . ثم إن الخليفة أعطاه الأموال والركاب والرجال ليكونوا أعواناً له في طريقه وأمر بإجراء النفقة على بيته من كل ما يحتاج إليه . وتوجه طالب يطلب مصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 568

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن طالب بن سهل سار هو وأصحابه يقطعون البلاد من الشام إلى أن دخلوا مصر . فتلقاه أمير مصر وأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام في مدة إقامته عنده ثم بعث معه دليلاً إلى الصعيد الأعلى حتى وصلوا إلى الأمير موسى بن نصر . فلما علم به خرج إليه وتلقاه وفرح به فناوله الكتاب . فأخذه وقرأه وفهم معناه ووضعه على رأسه وقال : سمعاً وطاعةً لأمير المؤمنين . ثم إنه اتفق رأيه على أن يحضر أرباب دولته فحضروا ، فسألهم عن ما بدا له في الكتاب . فقالوا : أيها الأمير إن أردت مَنْ يدلك على طريق ذلك المكان فعليك بالشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودي ، فإنه رجل عارف وقد سافر كثيراً وهو خبير بالبراري والقفار والبحار وسكانها وعجائبها والأرضين وأقطارها فعليك به فإنه يرشدك إلى ما تريده . فأمر بإحضاره فحضر بين يديه وإذا هو شيخ كبير قد أهرمه تداول السنين والأعوام . فسلم عليه الأمير موسى وقال له : يا شيخ عبد الصمد ، إن مولانا أمير المؤمنين

عبد الملك بن مروان قد أمرنا بكذا وكذا وأنا قليل المعرفة بتلك الأرض ، وقد قيل لي إنك عارف بتلك البلاد والطرقات ، فهل لك رغبة في قضاء حاجة أمير المؤمنين؟ فقال الشيخ : إعلم أيها الملك أن هذه الطريق وعرة بعيدة الغيبة قليلة المسالك . فقال له الامير : كم مسير مسافتها؟ فقال : مسير سنتين واشهر ذهاباً ومثلها مجيئاً ، وفيها شدائد واهوال وغرائب وعجائب ، وأنت رجل مجاهد وبلادنا بالقرب من العدو فربما تخرج النصارى في غيبتك والواجب أن تستخلف في مملكتك من يدبرها . قال : نعم . فاستخلف هارون عوضاً عنه في مملكته واخذ عليه عهداً وامر الجنود ان لا يخالفوه بل يطاوعوه في جميع ما يأمرهم به . فسمعوا كلامه واطاعوه . وكان ولده هارون عظيم الباس هماماً جلياً وبطلاً كمياً . واظهر له الشيخ عبد الصمد ان الموضع الذي فيه حاجة أمير المؤمنين مسير أربعة اشهر ، وهو على ساحل البحر وكله منازل تتصل ببعضها وفيها عشب وعيون . وقال : قد يهون الله علينا ذلك ببركتك يا نائب أمير المؤمنين . فقال الأمير موسى : هل تعلم ان احداً من الملوك وطىء هذه الأرض قبلنا؟ قال له : نعم يا أمير المؤمنين ، هذه الأرض لملك اسكندرية داران الرومي . ثم ساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى القصر . فقال : تقدم بنا إلى هذا القصر الذي هو عبرة لمن اعتبر . فتقدم الأمير موسى إلى القصر ومعه الشيخ عبد الصمد وخواص اصحابه حتى وصلوا إلى بابه فوجده مفتوحاً وله اركان طويلة ودرجات ، وفي تلك الدرجات درجتان ممتدتان وهما من الرخام الملوّن الذي لم يرَ مثله ، والسقوف والحيطان منقوشة بالذهب والفضة والمعدن ، وعلى الباب لوح مكتوب فيه باليوناني . فقال الشيخ عبد الصمد : هل اقراه يا أمير؟ فقال له : تقدم واقرأ بارك الله فيك فما حصل لنا في هذا السفر إلاّ بركتك . فقراه فإذا فيه شعر وهو : [من الكامل]

قَوْمٌ تَراهُ بَعْدَ ما صَنَعُوا ... يَبْكِي عَلَى المُلْكِ الَّذي نَزَعُوا
فالقَصْرُ فِيهِ مُنْتَهى خَبَرٍ ... عَنْ سادَةٍ في التُّرْبِ قَدْ جُمِعُوا
أَبادَهُمْ مَوْتٌ وفَرَّقَهُمْ ... وضَيَّعُوا في التُّرْبِ ما جَمَعُوا
كأَنَّـما حَطُّوا رِحالَهُمُو ... لِيَسْتَرِيحُوا فَجْـأَةً رَحَلُوا

قال : فبكى الأمير موسى حتى غشي عليّه وقال : لا إله إلاّ الله الحي الباقي بلا زوال . ثم إنه دخل القصر فتحير من حسنه وبنائه ونظر إلى ما فيه من الصور والتماثيل وإذا على الباب الثاني أبيات مكتوبة . فقال الأمير موسى : تقدم أيها الشيخ واقرأ . فتقدم وقرأ فإذا هي : [من المنسرح]

كَمْ مَعْشَرٍ في قِبابِها نَزَلُوا ... عَلَى قَدِيمِ الزَّمانِ وأرْتَحَلُوا
فانْظُرْ إلى ما بِغَيْرِهِمْ صَنَعَتْ ... حَوادِثُ الدَّهْرِ إذْ بِها نَزَلُوا
تَقاسَمُوا كُلَّ ما لَهُمْ جَمَعُوا ... وخَلَّفُوا بَعْدُ فارتَحَلُوا
كَمْ لابَسُوا نِعْمَةً وكَمْ أكَلُوا ... فأَصْبَحُوا في التُّرابِ قَدْ أُكِلُوا

فبكى الأمير موسى بكاءً شديداً واصفرت الدنيا في وجهه ثم قال : لقد خلقنا لأمر عظيم . ثم تأملوا القصر فإذا هو قد خلا من السكان وعدم الأهل والقطان ، دوره موحشات وجهاته مقفرات وفي وسطه قبة عالية شاهقة في الهواء وحواليها أربعمائة قبر . قال : فدنى الأمير موسى إلى تلك

القبور وإذا بقبر بينهم مبني بالرخام منقوش عليه هذه الأبيات : [من المتقارب]

فَـكَمْ قَدْ وَقَفْتُ وكَمْ قَدْ فَتَـكْتُ　　وكَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الكائِناتِ
وكَمْ قَدْ أَكَلْتُ وكَمْ قَدْ شَرِبْتُ　　وكَمْ قَدْ سَمِعْتُ مِنَ الغانِياتِ
وكَمْ قَدْ أَمَرْتُ وكَمْ قَدْ نَهَيْتُ　　وكَمْ مِنْ حُصُونٍ تُرَى مانِعاتِ
فَحاصَرْتُها ثُمَّ فَتَّشْتُها　　وبَيَّنْتُ مِنْها حُلِي الغانِياتِ
ولَـكِنْ بِجَهْلِي تَعَدَّيْتُ في　　حُصُولِ أَمانٍ غَدَتْ فانِياتِ
فَحاسِبْ لِنَفْسِكَ يا ذا الفَتَى　　قُبَيْلَ شَرابِكَ كأسَ المَماتِ
فَعَمّا قَلِيلٍ يُهالُ الثَّرَى　　عَلَيْكَ وأَنْتَ عَدِيمُ الحَياةِ

قال : فبكى الأمير موسى ومَنْ معه . ثم دنى من القبة فإذا لها ثمانية أبواب من خشب الصندل بمسامير من الذهب مكوكبة بكواكب الفضة مرصّعة بالمعادن من انواع الجواهر مكتوب على الباب الأول هذه الأبيات : [من البسيط]

ما قَدْ تَرَكْتُ فَما خَلَّفْتُهُ كَرَماً　　بَلِ القَضاءُ وحُكْمٌ في الوَرَى جارِ
فَطالَ ما كُنْتُ مَسْرُوراً ومُغْتَبِطاً　　أَحْمِي حِمايَ لِمِثْلِ الضَّيْغَمِ الضَّارِي
لا أَسْتَقِرُّ ولا أَسْخَى بِخَرْدَلَةٍ　　شُحّاً عَلَيْهِ ولَوْ أُلْقِيتُ في النّارِ
حَتَّى رُمِيتُ بأَقْدارٍ مُقَدَّرَةٍ　　مِنَ الإلٰهِ العَظِيمِ الخالِقِ البارِي
إنْ كانَ مَوْتِي مَحْتُوماً عَلى عَجَلٍ　　فَلَمْ أُطِقْ دَفْعَهُ عَنِّي بإكْثارِي
ولا جُنُودِي الَّتِي جَمَّعْتُها نَفَعَتْ　　ولَمْ يَغِثْني صَدِيقٌ لي ولا جارِي
وطُولُ عُمْرِي مَتْعُوبٌ عَلى سَفَرٍ　　تَحْتَ المَنِيَّةِ في يُسْرٍ وإعْسارِ
عادَتْ لِغَيْرِكَ قَبْلَ الصُّبْحِ كامِلَةً　　وقَدْ أَتَوْكَ بِحَمّالٍ وحَفّارِ
ويَوْمَ عَرْضِكَ تَلْقَى اللهَ مُنْفَرِدًا　　بِحَمْلِ إثْمٍ وإجْرامٍ وأَوْزارِ
فَلا تَغُرَّنَّـــكَ الدُّنْيا بِزِينَتِها　　وانْظُرْ إلى فِعْلِها بالأَهْلِ والجَارِ

فلما سمع الأمير موسى هذه الأبيات بكى بكاءً شديداً حتى غشي عليّه . فلما افاق دخل القبة فرأى فيها قبراً طويلاً هائل المنظر وعليه لوح من الحديد الصيني . فدنى منه الشيخ عبد الصمد وقرأه فإذا فيه مكتوب : بسم الله الدائم الأبدي الأبد . بسم الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً احد . بسم الله ذي العزّة والجبروت . باسم الحي الذي لا يموت . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 569

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان الشيخ عبد الصمد لما قرأ ما ذكرناه رأى بعده مكتوباً في اللوح : أما بعد، أيها الواصل الى هذا المكان اعتبر بما ترى من حوادث الزمان وطوارق الحدثان، ولا تغتر بالدنيا وزينتها وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفها فإنها ملاّقة مكّارة غدّارة، أمورها مستعارة تأخذ المعار من المستعير، فهي كأضغاث النائم وحلم الحالم، كأنها اسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء يزخرفها الشيطان للإنسان إلى الممات . فهذه

صفات الدنيا فلا تثق بها ولا تمل إليها فإنها تخون من استند إليها وعول في أموره عليها، لا تقع في حبالها ولا تتعلق بأذيالها. فإني ملكت أربعة آلاف حصان أحمر في دار، وتزوّجت ألف بنت من بنات الملوك نواهد أبكاراً كأنهن الأقمار، ورزقت ألف ولد كأنهم الليوث العوابس، وعشت من العمر ألف سنة منعم البال والأسرار، وجمعت من الأموال ما يعجز عنه ملوك الأقطار. وكان ظني أن النعيم يدوم لي بلا زوال، فلم أشعر حتى نزل بنا هادم اللذّات ومفرق الجماعات وموحش المنازل ومخرب الدور العامرات ومفني الكبار والصغار والأطفال والولدان والأمهات. وقد تركنا في هذا القصر مطمئنين حتى نزل بنا حكم ربّ العالمين، ربّ السموات وربّ الأرضين، فأخذتنا صيحة الحق المبين فصار يموت منا كل يوم اثنان حتى فنى منا جماعة كثيرة. فلما رأيت الفناء قد دخل ديارنا وقد حلّ بنا وفي بحر المنايا أغرقنا، أحضرت كاتباً وأمرته أن يكتب هذه الأشعار والمواعظ والاعتبارات، وقد جعلتها بالبيكار مسطرة على هذه الأبواب والألواح والقبور. وقد كان لي جيش ألف ألف عنان أهل جلاد برماح وأزراد وسيوف حداد وسواعد شداد، فأمرتهم أن يلبسوا الدروع السابغات، ويتقلدوا السيوف الباترات، ويعتقلوا الرماح الهائلات، ويركبوا الخيول الصافنات. فلما نزل بنا حكم ربّ العالمين، ربّ الأرض والسموات. قلت: يا معاشر الجنود والعساكر، هل تقدرون أن تمنعوا ما نزل بي من الملك القاهر؟ فعجزت العساكر والجنود عن ذلك وقالوا: كيف نحارب مَنْ لم يحجب عنه حاجب، صاحب الباب الذي ليس له بواب؟ فقلت لهم: أحضروا لي الأموال وهي ألف جب. في كل جب ألف قنطار من الذهب الأحمر، وفيها أصناف الدرّ والجواهر، ومثلها من الفضة البيضاء والذخائر التي يعجز عنها ملوك الأرض ففعلوا ذلك. فلما أحضروا المال بين يدي قلت لهم: هل تقدرون أن تنقذوني بهذه الأموال كلها وتشتروا لي بها يوماً واحداً أعيشه؟ فلم يقدروا على ذلك. وصاروا مسلّمين للقضاء والقدر، وصبرت لله على القضاء والبلاء حتى أخذ روحي وأسكنني ضريحي. وإن سألت عن اسمي فإني: كوش بن شدّاد بن عاد الأكبر. وفي ذلك اللوح مكتوب أيضاً هذه الأبيات: [من الكامل]

إنْ تَذْكُرُونِي بَعْدَ طُولِ زَمانِي ... وتَقَلُّبِ الأيّامِ والحَدَثانِ
فأنا ابْنُ شَدّادِ الّذي مَلَكَ الوَرَى ... والأَرْضَ أَجْمَعَها بِكُلِّ مَكانِ
دانَتْ لِيَ الزُّمَرُ الصِّعابُ بأسْرِها ... والشّامُ مِنْ مِصْرَ إلى عَدْنانِ
قَدْ كُنْتُ في عِزٍّ أَذَلَّ مُلُوكَها ... وتَخافُ أَهْلُ الأَرْضِ مِنْ سُلْطانِي
وأَرَى القَبائِلَ والجَحافِلَ في يدِي ... وأَرَى البِلادَ وأَهْلَها تَخْشانِي
وإذا رَكِبْتُ رَأَيْتُ عُدَّةَ عَسْكَرِي ... فَوْقَ الصَّواهِلِ أَلْفَ أَلْفَ عِنانِ
ومَلَكْتُ مالاً لَيْسَ يُحْصَرُ عَدُّهُ ... أَعْدَدْتُهُ لِنَوائِبِ الحَدَثانِ
وعَزَمْتُ أَنْ أُفْدِي بِمالِيَ كُلِّهِ ... رُوحِي إلى حِينٍ مِنَ الأَحْيانِ
فَأَبَى الإِلٰهُ سِوَى نَفاذِ مُرادِهِ ... فَأنا الوَحِيدُ إذَنْ مِنَ الإِخْوانِ
وأَتانِيَ المَوْتُ المُفَرِّقُ لِلْوَرَى ... فَنُقِلْتُ مِنْ عِزٍّ لِدارِ هَوانِ
ولَقَدْ لَقِيتُ جَمِيعَ ما قَدَّمْتُهُ ... فَأنا الرَّهِينُ بِهِ وكُنْتُ الجانِي

فاربأ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ عَلَى شَفَا وَٱحْذَرْ، هُدِيتَ طَوارِقَ الحَدَثانِ

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه لِمَا رأى من مصارع القوم . قال : فبينما هم يطوفون بنواحي القصر ويتأملون في مجالسه ومنتزهاته وإذا هم بمائدة على أربع قوائم من المرمر مكتوب عليها : قد أكل على هذه المائدة ألف ملك أعور، وألف ملك سليم العينين كلهم فارقوا الدنيا وسكنوا الأرماس والقبور . فكتب الأمير موسى ذلك كله ثم خرج ولم يأخذ معه من القصر غير المائدة . وسار العسكر والشيخ عبد الصمد أمامهم يدلهم على الطريق حتى مضى ذلك اليوم كله وثانيه وثالثه وإذا هم برابية عالية، فنظروا إليها فإذا عليها فارس من نحاس وفي رأس رمحه سنان عريض برّاق يكاد أن يخطف البصر . مكتوب عليه : أيها الواصل إليّ، إن كنت لا تعرف الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس ، فافرك كفّ الفارس فإنه يدور ثم يقف . فأي جهة وقف إليها فاسلكها ولا خوف عليك ولا حرج فإنها توصلك إلى مدينة النحاس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 570

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الأمير موسى لما فرك كفّ الفارس دار كأنه البرق الخاطف وتوجه إلى غير الجهة التي كانوا فيها . فتوجه القوم فيها وساروا فإذا هي طريق حقيقة فسلكوها . ولم يزالوا سائرين يومهم وليلتهم حتى قطعوا بلاداً بعيدة . فبينما هم سائرون يوماً من الأيام وإذا هم بعمود من الحجر الأسود وفيه شخص غائص في الأرض إلى إبطه وله جناحان عظيمان وأربع أياد، يدان منها كأيدي الآدميين، ويدان كأيدي السباع فيها مخالب، وله شعر في رأسه كأنه أذناب الخيل، وله عينان كأنهما جمرتان، وله عين ثالثة في جبهته كعين الفهد يلوح منها شرر النار وهو أسود طويل وينادي : سبحان ربي حكم عليّ بهذا البلاء العظيم والعذاب الأليم إلى يوم القيامة . فلما عاينه القوم طارت عقولهم واندهشوا لما رأوا من صفته وولوا هاربين . فقال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد : ما هذا؟ قال : لا أدري ما هو . فقال : ادنُ منه وابحث عن أمره، ولعله يكشف عن أمره فلعلك تطلع على خبره . فقال الشيخ عبد الصمد : أصلح الله الأمير إنّا نخاف منه . قال : لا تخافوا فإنه مكفوف عنكم وعن غيركم بما هو فيه . فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقال له : أيها الشخص ما اسمك؟ وما شأنك؟ وما الذي جعلك في هذا المكان على هذه الصورة؟ فقال له : أما أنا فإني عفريت من الجن واسمي داهش بن الأعمش وأنا مكفوف ها هنا، بالعظمة محبوس، بالقدرة معذب إلى ما شاء الله عزّ وجل . قال الأمير موسى : يا شيخ عبد الصمد، إسأله ما سبب سجنه في هذا العامود؟ فسأله عن ذلك . فقال له العفريت : إن حديثي عجيب وذلك أنه كان لبعض أولاد إبليس صنم من العقيق الأحمر وكنت موكلاً به، وكان يعبده ملك من ملوك البحر، جليل القدر، عظيم الخطر، يقود من عساكر الجان ألف ألف، يضربون بين يديه بالسيوف ويجيبون دعوته في الشدائد . وكان الجان الذين يطيعونه تحت أمري وطاعتي، يتبعون قولي إذا أمرتهم، وكانوا كلهم عصاة عن سليمان بن داود عليهما السلام، وكنت أدخل في جوف الصنم فآمرهم وأنهاهم . وكانت ابنة ذلك الملك تحت ذلك الصنم كثيرة السجود له منهمكة على عبادته وكانت أحسن أهل زمانها، ذات حسن وجمال وبهاء وكمال . فوصفتها لسليمان عليه السلام فأرسل إلى أبيها يقول

له : زوّجني بنتك واكسر صنمك العقيق واشهد ان لا إله إلاّ الله وأن سليمان نبي الله . فإن أنت فعلت ذلك كان لك ما لنا وعليك ما علينا ، وإن أنت أبيت أتيتك بجنود لا طاقة لك بها فاستعد للسؤال جواباً والبس للموت جلباباً ، فسوف أسير لك بجنود تملأ الفضاء وتذرك كالأمس الذي مضى . فلما جاءه رسول سليمان عليه السلام ، طغى وتجبر وتعاظم في نفسه وتكبر ثم قال لوزرائه : ماذا تقولون في أمر سليمان بن داود ؟ فإنه أرسل يطلب ابنتي وأن اكسر صنمي العقيق وأن أدخل في دينه . فقالوا : أيها الملك العظيم ، هل يقدر سليمان أن يفعل بك ذلك وأنت في وسط هذا البحر العظيم ؟ فإن هو سار إليك لا يقدر عليك فإن مردة الجن يقاتلون معك وتستعين عليه بصنمك الذي تعبده فإنه يعينك عليه وينصرك ، والصواب أن تشاور ربك في ذلك . ويعنون به الصنم العقيق الأحمر . وتسمع ما يكون جوابه فإن أشار عليك أن تقاتله فقاتله وإلاّ فلا . فعند ذلك سار الملك من وقته وساعته ودخل على صنمه بعد أن قرّب القربان وذبح الذبائح وخرّ له ساجداً وجعل يبكي ويقول شعر : [من الرجز]

يا رَبِّ إنّي عارِفٌ بِقَدْرِكَ   وها سُلَيْمانُ يَرُومُ كَسْرَكَ
يا رَبِّ إنّي طالِبٌ لِنَصْرِكَ   فأمُرْ فإنّي طائعٌ لأمْرِكَ

ثم قال ذلك العفريت الذي نصفه في العامود للشيخ عبد الصمد ومن حوله يسمع : فدخلت أنا في جوف الصنم من جهلي وقلّة عقلي وعدم إهتمامي بأمر سليمان وجعلت أقول شعراً : [من الرجز]

أمّا أنا فَلَسْتُ مِنْهُ خائِفُ   لأنّني بِكُلِّ أمْرٍ عارِفُ
وإنْ يُرِدْ حَرْبِي فإنّي زاحِفُ   وإنّني لِلرُّوحِ مِنْهُ زاحِفُ

فلما سمع الملك جوابي له قوّى قلبه وعزم على حرب سليمان نبي الله عليه السلام وعلى مقاتلته . فلما حضر رسول سليمان ضربه ضرباً وجيعاً وردّ عليه رداً شنيعاً وأرسل يهدده ويقول له مع الرسول : لقد حدثتك نفسك بالأماني أتوعدني بزور الأقوال ، فإما أن تسير وإما أن أسير إليك . ثم رجع الرسول إلى سليمان وأعلمه بجميع ما كان من أمره وما حصل له . فلما سمع نبي الله سليمان ذلك ، قامت قيامته وثارت عزيمته وجهّز عساكره من الجن والإنس والوحوش والطير والهوام ، وأمر وزيره الدمرياط ملك الجن أن يجمع مردة الجن من كل مكان . فجمع له من الشياطين ستمائة ألف ألف ، وأمر آصف بن برخياء أن يجمع عساكره من الإنس فكانت عدتهم ألف ألف أو يزيدون . وأعدّ العدة والسلاح وركب هو وجنوده من الجن والإنس على البساط والطير فوق رأسه طائر ، والوحوش من تحت البساط سائرين حتى نزل بساحته وأحاط بجزيرته وقد ملأ الأرض بالجنود . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 571

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العفريت قال : لما نزل نبي الله سليمان عليه السلام بجيوشه حول الجزيرة أرسل إلى ملكنا يقول له : ها أنا قد أتيت فاردد عن نفسك ما نزل وإلاّ فادخل تحت طاعتي وقرّ برسالتي واكسر صنمك واعبد الواحد المعبود وزوّجني بنتك بالحلال وقل أنت ومن معك : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن سليمان نبي الله .

فإن قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة، وإن أبيت فلا يمنعك تحصنك مني في هذه الجزيرة، فإن الله تبارك وتعالى أمر الريح بطاعتي فآمرها أن تحملني إليك بالبساط واجعلك عبرة ونكالاً لغيرك. فجاءه الرسول وبلّغه رسالة نبي الله سليمان عليه السلام. فقال له الملك: ليس لهذا الأمر الذي طلبه مني سبيل، فاعلمه اني خارج إليه. فعاد الرسول إلى سليمان ورد عليه الجواب. ثم إن الملك أرسل إلى أهل أرضه وجمع له من الجن الذين كانوا تحت يده ألف ألف، وضمّ إليهم غيرهم من المردة والشياطين الذين في جزائر البحار ورؤوس الجبال. ثم جهّز عساكره وفتح خزائن السلاح وفرّقها عليهم. وأما نبي الله سليمان عليه السلام فإنه رتب جنوده، وأمر الوحوش أن تنقسم شطرين على يمين القوم وعلى شمالهم، وأمر الطيور أن تكون في الجزائر وأمرها عند الحملة أن تخطف أعينهم بمناقيرها وأن تضرب وجوههم بأجنحتها، وأمر الوحوش أن تفترس خيولهم. فقالوا: السمع والطاعة لله ولك يا نبي الله. ثم إن سليمان نبي الله نصب له سريراً من المرمر مرصّعاً بالجواهر، مصفّحاً بصفائح الذهب الأحمر، وجعل وزيره آصف بن برخيا على الجانب الأيمن ووزيره الدمرياط على الجانب الأيسر، وملوك الإنس على يمينه وملوك الجن على يساره، والوحوش والافاعي والحيّات أمامه. ثم زحفوا علينا زحفة واحدة وتحاربنا معه في أرض واسعة مدة يومين، ووقع بنا البلاء في اليوم الثالث فنفذ فينا قضاء الله تعالى. وكان أول من حمل على سليمان أنا وجنودي وقلت لأصحابي: إلزموا مواطنكم حتى أبرز إليهم وأطلب قتال الدمرياط. وإذا به قد برز كأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخانه مرتفع، فأقبل ورماني بشهاب من نار فغلب سهمه على ناري وصرخ عليّ صرخة عظيمة تخيلت منها أنّ السماء انطبقت عليّ وانهزت لصوته الجبال. ثم أمر أصحابه فحملوا علينا حملة واحدة وحملنا عليهم، وصرخ بعضنا على بعض وارتفعت النيران وعلا الدخان وكادت القلوب أن تنفطر، وقامت الحرب على ساق، وصارت الطيور تقاتل في الهواء والوحوش تقاتل في الثرى، وأنا أقاتل الدمرياط حتى أعياني وأعييته. ثم بعد ذلك ضعفت وخذلت أصحابي وجنودي وانهزمت عشائري، وصاح نبي الله سليمان: خذوا هذا الجبار العظيم، النحس الذميم. فحملت الإنس على الإنس والجن على الجن ووقعت بملكنا الهزيمة وكنا لسليمان غنيمة، وحملت العساكر على جيوشنا والوحوش حولهم يميناً وشمالاً، والطيور فوق رؤوسنا تخطف أبصار القوم تارةً بمخالبها وتارةً بمناقيرها وتارةً تضرب بأجنحتها في وجوه القوم، والوحوش تنهش الخيول وتفترس الرجال حتى صار أكثر القوم على وجه الأرض كجذوع النخل. وأما أنا فطرت من بين أيادي الدمرياط فتبعني مسيرة ثلاثة أشهر حتى لحقني وقد وقعت كما تروني. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 572

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنّ الجني الذي في العامود لما حكى لهم حكايته من أولها إلى أن سجن في العامود. قالوا له: أين الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس؟ فأشار لنا إلى طريق المدينة، وإذا بيننا وبينها خمسة وعشرون باباً لا يظهر منها باب واحد ولا يعرف له أثر، وصورها كأنه قطعة من جبل أو حديد صب في قالب. فنزل القوم ونزل الأمير موسى والشيخ عبد الصمد واجتهدوا أن يعرفوا لها باباً أو يجدوا لها سبيلاً فلم يصلوا إلى ذلك.

فقال الأمير موسى : يا طالب كيف الحيلة في دخول هذه المدينة ؟ فلا بد أن نعرف لها باباً ندخل منه . فقال طالب : أصلح الله الأمير، ليسترح يومين أو ثلاثة وندبر الحيلة إن شاء الله تعالى في الوصول إليها والدخول فيها . قال : فعند ذلك أمر الأمير موسى بعض غلمانه أن يركب جملاً ويطوف حول المدينة لعله يطلع على أثر باب أو موضع قصر في المكان الذي هم فيه نازلون . فركب بعض غلمانه وسار حولها يومين بلياليهما يجدّ السير ولا يستريح . فلما كان اليوم الثالث، أشرف على أصحابه وهو مدهوش لما رأى من طولها وارتفاعها . ثم قال : أيها الأمير إنّ أهون موضع فيها هذا الموضع الذي أنتم نازلون فيه . ثم إن الأمير موسى أخذ طالب بن سهل والشيخ عبد الصمد وصعدوا على جبل مقابلها وهو مشرف عليها . فلما طلعوا ذلك الجبل رأوا مدينة لم ترَ العيون أعظم منها، قصورها عالية، وقبابها زاهية، ودورها عامرات، وأنهارها جاريات، وأشجارها مثمرات، ورياضها يانعات . وهي مدينة بأبواب منيعة خالية خامدة لا حسّ فيها ولا أنيس، يصفر البوم في جهاتها، ويحوم الطير في عرصاتها، وينعق الغراب في نواحيها وشوارعها ويبكي على من كان فيها . فوقف الأمير موسى يتندّم على خلوّها من السكان وخرابها من الأهل والقطان وقال : سبحان من لا تغيّره الدهور والأزمان، خالق الخلق بقدرته . فبينما هو يسبح الله عزّ وجل إذ حانت منه التفاتة إلى جهة، وإذا فيها سبعة ألواح من الرخام الأبيض وهي تلوح من البعد . فدنا منها فإذا هي منقوشة مكتوبة، فأمر أن تقرأ كتابتها . فتقدم الشيخ عبد الصمد وتأمّلها وقرأها فإذا فيها وعظ واعتبار وزجر لذوي الأبصار . مكتوب على اللوح الأول بالقلم اليوناني : يا ابن آدم ، ما أغفلك عن أمر هو أمامك قد ألهتك عنه سنينك وأعوامك . أما علمت أن كأس المنية لك يترع وعن قريب له تتجرّع . فانظر لنفسك قبل دخول رمسك . أين مَن ملك البلاد وذلّ العباد وقاد الجيوش ؟ نزل بهم والله هادم اللذّات ومفرّق الجماعات ومخرّب المنازل العامرات فنقلهم من سعة القصور إلى ضيق القبور . وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات : [من البسيط]

أَيْنَ المُلُوكُ ومَنْ بالأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا ... قَدْ فارَقُوا ما بَنَوا فِيها وما عَمَرُوا
وأَصْبَحُوا رَهْنَ قَبْرٍ بالَّذي عَمِلُوا ... عادُوا رَمِيماً بِهِ مِنْ بَعْدِ ما دُثِرُوا
أَيْنَ العَساكِرُ ما رَدَّتْ وما نَفَعَتْ ... وأَيْنَ ما جَمَعُوا فِيها وما ادَّخَرُوا
أَتاهُمُ أَمْرُ رَبِّ العَرْشِ في عَجَلٍ ... لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ أَمْوالٌ ولا وَزَرُ

فصعق الأمير موسى وجرت دموعه على خدّه وقال : والله إن الزهد في الدنيا هو غاية التوفيق ونهاية التحقيق . ثم إنه أحضر دواة وقرطاساً وكتب ما على اللوح الأول . ثم دنا من اللوح الثاني وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم ، ما غرّك بقديم الأزل وما ألهاك عن حلول الأجل . ألَمْ تعلم أن الدنيا دار بوار ما لأحد فيها قرار، وأنت ناظر إليها ومكب عليها . أين الملوك الذين عمروا العرق وملكوا الآفاق ؟ أين من عمروا أصفهان وبلاد خراسان ؟ دعاهم داعي المنايا فأجابوه وناداهم داعي الفناء فلبّوه . وما نفعهم ما بنوا وشيّدوا ولا ردّ عنهم ما جمعوا وعددوا . وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات : [من الكامل]

• أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوا لِذاكَ وشَيَّدُوا ... غُرَفاً بِهِ لَمْ يَحْكِها بِنْيانُ

جَمَعُوا العَساكِرَ والجُيُوشَ مَخافَةً مِنْ ذُلٍّ تَقْدِيرِ الإِلٰهِ فَهانُوا
أَيْنَ الأَكاسِرَةُ المَنَّاعُ حِصِنُهُمُ تَرَكُوا البِلادَ كَأَنَّـــهُمْ ما كانُوا

فبكى الأمير موسى وقال : والله لقد خلقنا لأمر عظيم . ثم كتب ما عليه ودنا من اللوح الثالث . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 573

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الأمير موسى دنا من اللوح الثالث فوجد فيه مكتوب : يا ابن آدم ، أنت بحب الدنيا لاه وعن أمر ربك ساه ، كل يوم من عمرك ماض وأنت بذلك قانع وراض ، فقدّم الزاد ليوم المعاد واستعدّ لردّ الجواب بين يدي ربّ العباد . وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات : [من الكامل]

أَيْنَ الَّذي عَمَرَ البِلادَ بِأَسْرِها سِنْداً وهِنْداً وٱعْتَدَى وتَجَبَّرا
والزَّنْجُ والحَبَشُ ٱسْتَقادُوا لأَمْرِهِ والنُّوبُ لَمَّا أَنْ طَغَى وتَـكَـبَّرا
لا تَنْتَظِرْ خَبَراً بِما في قَبْرِهِ هَيْهاتَ أَنْ تَلْقَى لِذلِكَ مُخْبِرا
فَدَهَتْهُ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ حَوادِثٌ لَمْ يُنْجِهِ مِنْ قِصْرِها ما عَمَّرا

فبكى الأمير موسى بكاءً شديداً ثم دنا من اللوح الرابع فرأى مكتوباً عليه : يا ابن آدم ، كم يمهلك مولاك وأنت غائص في بحر لهوك ؟ كل يوم خيره إليك حتى لا تموت . يا ابن آدم لا تغرّنك أيامك ولياليك وساعاتك الملهية وغفلاتها . واعلم أن الموت لك مراصد وعلى كتفك صاعد . ما من يوم يمضي إلاّ صبحك صباحاً ومساك مساءً . فاحذر من هجمته واستعد له فكأني بك وقد سلبت طول حياتك وضيعت لذّات أوقاتك . فاسمع مقالي وثق بمولى الموالي . ليس للدنيا ثبوت إنما الدنيا كبيت العنكبوت . ورأى في أسفل اللوح مكتوباً هذه الأبيات : [من الخفيف]

أَيْنَ مَنْ أَسَّسَ الذُّرَى وبَناها وتَوَلَّى مَشيدَها ثُمَّ عَلَّى
أَيْنَ أَهْلُ الحُصُونِ مَنْ سَـكَنُوها كُلُّهُمْ عَنْ تِلْكَ الصَّياصِي وَلَّى
أَصْبَحُوا في القُبُورِ رَهْناً لِيَوْمٍ فِيهِ كُلُّ السَّرائِرِ تَبْلَى
لَيْسَ يَبْقَى سِوَى الإِلٰهِ تَعالى وَهْوَ مَا زالَ لِلْكَرامَةِ أَهْلا

فبكى الأمير موسى وكتب ذلك كله ونزل من فوق الجبل وقد صور الدنيا بين عينيه . فلما وصل إلى العسكر اقاموا يومهم يدبرون الحيلة في دخول المدينة . فقال الأمير موسى لوزيره طالب بن سهل ولمن حوله من خواصه : كيف تكون الحيلة في دخول المدينة لننظر عجائبها ؟ ولعلنا نجد فيها ما نتقرب به إلى أمير المؤمنين . فقال طالب بن سهل : ادام الله نعمة الأمير ، نعمل سلماً ونصعد عليه لعلنا نصل إلى الباب من داخل . فقال الأمير موسى : هذا ما خطر ببالي وهو نعم الرأي . ثم إنه دعا بالنجّارين والحدادين وأمر أن يسووا الأخشاب ويعملوا سلّماً مصفّحاً بصفائح الحديد . ففعلوا وأحكموه وقعدوا في عمله شهراً كاملاً واجتمعت عليه الرجال فأقاموه والصقوه بالسور ، فجاء مساوياً له كأنه قد عمل له قبل ذلك اليوم . فتعجب الأمير موسى منه وقال : بارك

الله فيكم كأنكم قستوه عليه من حسن صنعتكم . ثم إن الأمير موسى قال للناس : من يطلع منكم على هذا السلم ويصعد فوق السور ويمشي عليه ويتحايل في نزوله إلى أسفل المدينة لينظر كيف الأمر ثم يخبرنا بكيفية فتح الباب ؟ فقال احدهم : انا اصعد عليه أيها الامير وانزل افتحه . فقال له الأمير موسى : إصعد بارك الله فيك . فصعد الرجل على السلم حتى صار في أعلاه . ثم إنه قام على قدميه وشخص إلى المدينة وصفق بكفيه وصاح بأعلى صوته وقال : أنت مليح . ورمى بنفسه من داخل المدينة فانهرس لحمه على عظمه . فقال الأمير موسى : هذا فعل العاقل فكيف يكون فعل المجنون ؟ إن كنا نفعل هكذا بجميع أصحابنا لم يبقَ منهم احد فنعجز عن قضاء حاجتنا وحاجة أمير المؤمنين . إرحلوا فلا حاجة لنا بهذه المدينة . فقال بعضهم : لعل غير هذا أثبت منه . فصعد ثان وثالث ورابع وخامس ، فما زالوا يصعدون من على ذلك السلّم إلى السور واحداً بعد واحد إلى أن راح منهم اثنا عشر رجلاً وهم يفعلون كما فعل الأول . فقال الشيخ عبد الصمد : ما لهذا الأمر غيري وليس المجرب كغير المجرب . فقال له الأمير موسى : لا تفعل ذلك ولا امكنك من الطلوع إلى هذا السور لأنك إذا مت كنت سبباً لموتنا كلنا ولم يبقَ منا احد لأنك انت دليل القوم . فقال له الشيخ عبد الصمد : لعل ذلك يكون على يدي بمشيئة الله تعالى . فاتفق القوم كلهم على صعوده . ثم إن الشيخ عبد الصمد قام ونشط نفسه وقال : بسم الله الرحمن الرحيم . ثم إنه صعد على السلم وهو يذكر الله تعالى ويقرأ آيات النجاة إلى ان بلغ أعلى السور . ثم إنه صفق بيديه وشخص ببصره فصاح عليه القوم جمعاً وقالوا : أيها الشيخ عبد الصمد لا تفعل ولا تلق نفسك . وقالوا : إنّا لله وإنّا إليه راج [illegible] الشيخ عبد الصمد هلكنا بأجمعنا . ثم إن الشيخ عبد الصمد ضحك ضحكاً زا [illegible] ة طويلة يذكر الله تعالى ويتلوا آيات النجاة . ثم إنه قام على حيله ونادى بأعلى صو... ايها الامير ، لا بأس عليكم فقد صرف الله عزّ وجل عني كيد الشيطان ومكره ببركة بسم الله الرحمن الرحيم . فقال له الأمير : ما رأيت أيها الشيخ ؟ قال : لما حصلت أعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهنّ ينادين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة 574

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ عبد الصمد قال : لما حصلت اعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهنّ يشرن بأيديهنّ أن : تعال إلينا . وتخيّل لي أن تحتي بحراً من الماء فأردت أن ألقي نفسي كما فعل أصحابنا فرأيتهم موتى ، فتماسكت عنهم وتلوت شيئاً من كتاب الله تعالى فصرف الله عني كيدهنّ وانصرفن عني فلم أرمِ نفسي وردّ الله عني كيدهنّ وسحرهنّ . ولا شك أن هذا سحر ومكيدة صنعها أهل تلك المدينة ليردّوا عنها كل من أراد أن يشرف عليها ويروم الوصول إليها ، وهؤلاء أصحابنا مطروحون موتى . ثم إنه مشى على السور إلى أن وصل إلى البرجين النحاس فرأى لهما بابين من الذهب ولا قفل عليهما وليس فيهما علامة للفتح . ثم وقف الشيخ ما شاء الله وتأمل فرأى في وسط الباب صورة فارس من نحاس له كفّ ممدود كأنه يشير به ، وفيه خط مكتوب . فقرأه الشيخ عبد الصمد فإذا فيه إفرك المسمار الذي في سرّة الفارس اثني عشر فركة فإن الباب ينفتح . فتأمل الفارس فإذا في سرّته مسمار محكم متقن مكين ، ففركه اثني عشر فركة فانفتح الباب في

الحال وله صوت كالرعد. فدخل منه الشيخ عبد الصمد وكان رجلاً فاضلاً عالماً بجميع اللغات والأقلام. فمشى إلى ان دخل دهليزاً طويلاً نزل منه على درجات فوجد مكاناً بدكك حسنة وعليها أقوام موتى، وفوق رؤوسهم التروس المكلفة والحسامات المرهفة والقسيّ الموترة والسهام المفوقة. وخلف الباب عمود من حديد ومتاريس من خشب وأقفال رقيقة وآلات محكمة. فقال الشيخ عبد الصمد في نفسه: لعل المفاتيح عند هؤلاء القوم. ثم نظر بعينه وإذا هو بشيخ يظهر أنه اكبرهم سناً وهو على دكّة عالية بين القوم الموتى. فقال الشيخ عبد الصمد: وما يدريك ان تكون مفاتيح هذه المدينة مع هذا الشيخ؟ ولعله بواب المدينة وهؤلاء من تحت يده. فدنا منه ورفع ثيابه وإذا بالمفاتيح معلّقة في وسطه. فلما رآها الشيخ عبد الصمد فرح فرحاً شديداً وقد كاد عقله ان يطير من الفرحة. ثم إن الشيخ عبد الصمد أخذ المفاتيح ودنا من الباب وفتح الأقفال وجذب الباب والمتاريس والآلات فانفتحت وانفتح الباب بصوت كالرعد لكبره وهوله وعظم آلاته. فعند ذلك كبر الشيخ وكبر القوم معه واستبشروا وفرحوا، وفرح الأمير موسى بسلامة الشيخ عبد الصمد وفتح باب المدينة وقد شكره القوم على ما فعله. فبادر العسكر كلهم بالدخول من الباب فصاح عليهم الأمير موسى وقال لهم: يا قوم لا نأمن إذا دخلنا من امر يحدث ولكن يدخل النصف ويتأخر النصف. ثم إن الأمير موسى دخل من الباب ومعه نصف القوم وهم حاملون آلات الحرب، فنظر القوم إلى أصحابهم وهم ميتون فدفنوهم، ورأوا البوابين والخدم والحجاب والنواب راقدين فوق الفراش الحرير موتى كلهم. ودخلوا إلى سوق المدينة فنظروا سوقاً عظيماً عالي الأبنية لا يخرج بعضها عن بعض، والدكاكين مفتحة والموازين معلقة والنحاس مصفوفاً والخانات ملآنة من جميع البضائع، ورأوا التجّار موتى على دكاكينهم وقد يبست منهم الجلود ونخرت منهم العظام وصاروا عبرة لمن اعتبر. ونظروا إلى أربعة أسواق مستقلات دكاكينها مملوءة بالمال فتركوها ومضوا إلى سوق الخز وإذا فيه من الحرير والديباج ما هو منسوج بالذهب الأحمر والفضة البيضاء على اختلاف الألوان وأصحابه موتى رقود على انطاع الأديم يكادون أن ينطقوا. فتركوهم ومضوا إلى سوق الجواهر واللؤلؤ والياقوت، فتركوه ومضوا إلى سوق الصيارف فوجدوهم موتى وتحتهم أنواع الحرير والإبريسم ودكاكينهم مملوءة من الذهب والفضة، فتركوهم ومضوا إلى سوق العطارين فإذا دكاكينهم مملوءة بأنواع العطريات ونوافح المسك والعنبر والعود والند والكافور وغير ذلك، وأهلها كلهم موتى ولم يكن عندهم شيء من المأكول. فلما طلعوا من سوق العطارين وجدوا قريباً منه قصراً مزخرفاً مبنياً متقناً فدخلوه، فوجدوا أعلاماً منشورة وسيوفاً مجردة وقسياً موترة وتروساً معلّقة بسلاسل من الذهب والفضة وخوداً مطلية بالذهب الأحمر. وفي دهاليز ذلك القصر دكك من العاج المصفّح بالذهب الوهّاج والإبريسم وعليها رجال قد يبست منهم الجلود على العظام، يحسبهم الجاهل نياماً ولكنهم من عدم القوت ماتوا وذاقوا الحِمام. فعند ذلك وقف الأمير موسى يسبّح الله تعالى ويقدّسه وينظر إلى حسن ذلك القصر ومحكم بنائه وعجيب صنعه بأحسن صفة وأتقن هندسة وأكثر نقشه باللازورد الأخضر مكتوب على دائره هذه الأبيات: [من البسيط]

أُنْظُرْ إلى ما تَرَى يا أَيُّـها الرَّجُلُ ... وكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ قَبْلُ تَرْتَحِلُ
وقَدِّمْ الزَّادَ مِنْ خَيْرٍ تَفُزْ أَبَدًا ... فَكُلُّ ساكِنِ دارٍ سَوْفَ يَرْتَحِلُ

وَٱنْظُرْ إلى مَعْشَرٍ زانُوا مَنازِلَهُمْ … فَأَصْبَحُوا في الثَّرَى رَهْناً بِما عَمِلُوا
بَنَوا فَما نَفَعَ البُنْيانُ وَٱدَّخَرُوا … لَمْ يُنْجِهِمْ مالُهُمْ لَمّا ٱنْقَضَى الأَجَلُ
كَمْ أَمَّلُوا غَيْرَ مَقْدُورٍ لَهُمْ فَمَضَوا … إلى القُبُورِ وَلَمْ يَنْفَعْهُمُ الأَمَلُ
وَٱسْتُنْزِلُوا مِنْ أَعالي عِزِّ رُتْبَتِهِمْ … لِذُلِّ ضِيْقٍ لُحُوداً ساءَ ما نَزِلُوا
فَجاءَهُمْ صارِخٌ مِنْ بَعْدِ ما دُفِنُوا … أَيْنَ الأَسِرَّةُ وَالتِّيجانُ وَالحُلَلُ
أَيْنَ الوُجُوهُ الَّتِي كانَتْ مُحَجَّبَةً … مِنْ دُونِها تُضْرَبُ الأَسْتارُ وَالكُلَلُ
فَأَفْصَحَ القَبْرُ عَنْهُمْ حَسْبَ سائِلِهِمْ … أَمّا الخُدُودُ فَعَنْها الوَرْدُ مُنْتَقِلُ
قَدْ طالَ ما أَكَلُوا يَوْماً وَما شَرِبُوا … فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طِيبِ الأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه وأمر بكتابة هذا الشعر ودخل القصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 575

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الأمير موسى دخل القصر فرأى حجرة كبيرة وأربع مجالس عالية كبار متقابلة واسعة منقوشة بالذهب والفضة مختلفة الألوان ، وفي وسطها فسقية كبيرة من المرمر وعليها خيمة من الديباج . وفي تلك المجالس جهات ، وفي تلك الجهات فساق مزخرفة وحيطان مرخمة ومجار تجري من تحت تلك المجالس . وتلك الأنهر الأربعة تجري وتجتمع في بحيرة عظيمة مرخمة باختلاف الألوان . ثم قال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد : أدخل بنا هذه المجالس . فدخلوا المجلس الأول فوجدوه مملوءاً من الذهب والفضة البيضاء واللؤلؤ والجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة . ووجدوا فيها صناديق مملوءة من الديباج الأحمر والأصفر والأبيض . ثم إنهم انتقلوا إلى المجلس الثاني ففتحوا خزانة فيه فإذا هي مملوءة بالسلاح وآلات الحرب من الخود المذهّبة والدروع الداودية والسيوف الهندية والرماح الخطية والدبابيس الخوارزمية وغيرها من أصناف آلات الحرب والكفاح . ثم انتقلوا إلى المجلس الثالث فوجدوا فيه خزائن عليها أقفال مغلقة وفوقها ستارات منقوشة بأنواع الطراز . ففتحوا منها خزانة فوجدوها مملوءة بالسلاح المزخرف بأنواع الذهب والفضة والجواهر . ثم إنهم انتقلوا إلى المجلس الرابع فوجدوا فيه خزائن ففتحوا منها خزانة فوجدوها مملوءة بآلات الطعام والشراب من أصناف الذهب والفضة وسكارج البلور والأقداح المرصّعة باللؤلؤ الرطب وكاسات العقيق وغير ذلك ، فجعلوا يأخذون ما يصلح لهم من ذلك ويحمل كل واحد من العسكر ما يقدر عليه . فلما عزموا على الخروج من تلك المجالس رأوا هناك باباً من الساج متداخلاً فيه العاج والأبنوس وهو مصفح بالذهب الوهّاج في وسط ذلك القصر ، وعليه ستر مسبول من حرير منقوش بأنواع الطراز ، وعليه أقفال من الفضة البيضاء تفتح بالحيلة بغير مفتاح . فتقدم الشيخ عبد الصمد إلى تلك الأقفال ففتحها بمعرفته وشجاعته وبراعته . فدخل القوم من دهليز مرخم في جوانب ذلك الدهليز براقع عليها صور من أصناف الوحوش والطيور ، وكل ذلك من ذهب أحمر وفضة بيضاء وأعينها من الدرر واليواقيت يتحير كل من رآها . ثم وصلوا إلى قاعة مصنوعة ، فلما رآها الأمير موسى والشيخ عبد الصمد اندهشا من صنعتها . ثم إنهم عبروا فوجدوا قاعة مصنوعة من

رخام مسقول منقوش بالجواهر يتوهّم الناظر أن في طريقه ماء جارياً لو مرّ عليه أحد لزلق . فأمر الأمير موسى الشيخ عبد الصمد أن يطرح عليها شيئاً حتى يتمكنوا من أن يمشوا عليها . ففعل ذلك وتحيل حتى عبروا فوجدوا فيها قبة عظيمة مبنية بحجارة مطلية بالذهب الأحمر لم يشاهد القوم في جميع ما رأوه أحسن منها . وفي وسط تلك القبة ، قبة عظيمة كبيرة من المرمر بدائرها شبابيك منقوشة مرصّعة بقضبان الزمرد لا يقدر عليها أحد من الملوك ، وفيها خيمة من الديباج منصوبة على أعمدة من الذهب الأحمر ، وفيها طيور أرجلها من الزمرد الأخضر ، وتحت كل طير شبكة من اللؤلؤ الرطب مجللة على فسقية ، وموضوع على الفسقية سرير مرصّع بالدر والجوهر والياقوت ، وعلى السرير جارية كأنها الشمس الضاحية لم يرَ الراؤون أحسن منها وعليها ثوب من اللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر وعصابة من الجوهر ، وفي عنقها عقد من الجوهر وفي وسطه جواهر مشرقة وعلى جبينها جوهرتان نورهما كنور الشمس . وهي كأنها ناظرة إليهم تتأملهم يميناً وشمالاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 576

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الأمير موسى لما رأى هذه الجارية تعجب غاية العجب من جمالها وتحيّر من حسنها وحمرة خديّها وسواد شعرها . يظن الناظر أنها بالحياة ولم تكن ميتة . فقالوا لها : السلام عليك أيتها الجارية . فقال له طالب بن سهل : أصلح الله شأنك ، أعلم أن هذه الجارية ميتة لا روح فيها فمن أين لها أن تردّ السلام ؟ ثم إن طالب بن سهل قال له : أيها الأمير إنها صورة مدبرة بالحكمة وقد قلعت عيناها بعد موتها وجعل تحتهما زيبق وأعيدتا مكانهما ، فهما يلمعان كأنما يحركهما الهدب . يتخيل للناظر أنها ترمش بعينيها وهي ميتة . فقال الأمير موسى : سبحان الله الذي قهر العباد بالموت . وأما السرير الذي عليه الجارية فله درج ، وعلى الدرج عبدان أحدهما أبيض والآخر أسود ، وبيد أحدهما آلة من البولاد وبيد الآخر سيف مجوهر يخطف الأبصار ، وبين يدي العبدين لوح من ذهب وفيه كتابة تقرأ وهي : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله خالق الإنسان وهو ربّ الأرباب ومسبّب الأسباب . بسم الله الباقي السرمدي . بسم الله مقدّر القضاء والقدر . ويا ابن آدم ما أجهلك بطول الأمل وما أسهاك عن حلول الأجل . أما علمت أن الموت لك قد دعاك وإلى قبض روحك قد سعى ؟ فكن على أهبة الرحيل وتزوّد من الدنيا فستفارقها عن قليل . أين آدم أبو البشر ؟ أين نوح وما نسل ؟ أين الملوك الأكاسرة والقياصرة ؟ أين ملوك الهند والعراق ؟ أين ملوك الآفاق ؟ أين العمالقة ؟ أين الجبابرة ؟ خلت منهم الديار وقد فارقوا الأهل والأوطان . أين ملوك العجم والعرب ؟ ماتوا بأجمعهم وصاروا أمماً . أين السادة ذو الرتب ؟ قد ماتوا جميعاً . أين قارون وهامان ؟ أين شدّاد بن عاد ؟ أين كنعان وذو الأوتاد ؟ قرضهم والله قارض الأعمار وأخلى منهم الديار . فهل قدموا الزاد ليوم المعاد واستعدّوا لجواب ربّ العباد . يا هذا إن كنت لا تعرفني فأنا أعرّفك بإسمي ونسبي ، أنا ترمز ابن بنت عمالقة الملوك من الذين عدلوا في البلاد ، ملكت ما لم يملكه أحد من الملوك وأعدلت في القضية وأنصفت بين الرعية وأعطيت ووهبت . وقد عشت زماناً طويلاً في سرور وعيش رغيد ، وأعتقت الجواري والعبيد حتى نزل بي طارق المنايا وحلت بين يدي الرزايا . وذلك أنه قد تواترت علينا سبع سنين لم ينزل علينا ماء من السماء ولا نبت لنا عشب على وجه الأرض ،

فأكلنا ما كان عندنا من القوت ثم عطفنا على المواشي من الدواب فأكلناها ولم يبقَ شيء . فحينئذ أحضرت المال واكتلته بمكيال وبعثته مع الثقات من الرجال ، فطافوا به جميع الأقطار ولم يتركوا مصراً من الأمصار في طلب شيء من القوت فلم يجدوه . ثم عادوا إلينا بالمال بعد طول الغيبة . فحينئذ أظهرنا أموالنا وذخائرنا وأغلقنا أبواب الحصون التي بمدينتنا وسلمنا لحكم ربنا وفوّضنا أمرنا لمالكنا فمتنا جميعاً كما ترانا وتركنا ما عمّرنا وما ادّخرنا . فهذا هو الخبر وما بعد العين إلاّ الأثر . وقد نظروا في أسفل اللوح فرأوا مكتوباً فيه هذه الأبيات : [من البسيط]

بُنَيَّ آدَمَ لا يَهْزَأْ بِكَ الأَمَلُ ... عَنْ كُلِّ ما ادَّخَرْتَ كَفَّاكَ تَنْتَقِلُ

أَراكَ تَرْغَبُ في الدُّنْيا وزِينَتِها ... وقَدْ سَعَى قَبْلَكَ الماضُونَ والأُوَلُ

قَدْ حَصَّلُوا المالَ مِنْ حِلٍّ ومِنْ حُرَمٍ ... فَلَمْ يَرُدَّ القَضا لَمّا انْتَهَى الأَجَلُ

قادُوا العَساكِرَ أَفْواجاً وقَدْ جَمَعُوا ... فَخَلَّفُوا المالَ والبُنْيانَ وارْتَحَلُوا

إلى قُبُورٍ وضِيقٍ في الثَّرَى رَقَدُوا ... وقَدْ أَقامُوا بِهِ رَهْناً بِما عَمِلُوا

كأَنَّما الرَّكْبُ قَدْ حَطُّوا رِحالَهُمُ ... في جُمْعِ لَيْلٍ بِدارٍ ما بِها نُزُلُ

فَقالَ صاحِبُها يا قَوْمُ لَيْسَ لَكُمْ ... فيها مُقامٌ فَشَدُّوا بَعْدَ ما نَزَلُوا

فَكُلُّهُمْ خائِفٌ أَضْحَى بِها وَجِلاً ... ولا يَطِيبُ لَهُ حَلٌّ ومُرْتَحَلُ

فَقَدِّمِ الزّادَ مِنْ خَيْرٍ تُسَرُّ غَدا ... ولَيْسَ إلاّ بِتَقْوَى رَبِّكَ العَمَلُ

فبكى الأمير موسى لما سمع هذا الكلام وقال : والله إن التقوى هي رأس الأمور والتحقيق والركن الوثيق . وإن الموت هو الحق المبين والوعد اليقين . وفيه يا هذا المرجع والمآب واعتبر بمن سلف قبلك في التراب وبادر إلى سبيل المعاد . أما ترى الشيب إلى القبر دعاك وبياض شعرك على نفسك قد نعاك ؟ فكن على يقظة الرحيل والحساب . يا ابن آدم ما أقسى قلبك فما غرك بربك . أين الأمم السالفة ؟ العبرة لمن يعتبر . أين ملوك الصين أهل البأس والتمكين ؟ أين عاد ؟ أين شدّاد وما بنى وعمر ؟ أين النمرود الذي طغى وتجبر ؟ أين فرعون الذي جحد وكفر ؟ كلهم قهرهم الموت على الأثر . فما أبقى صغيراً ولا كبيراً ولا أنثى ولا ذكراً . قرضهم قارض الأعمار ومكور الليل على النهار . أعلم أيها الواصل إلى هذا المكان ممن رآنا أنه لا يغترّ بشيء من الدنيا وحطامها فإنها غدّارة مكّارة ، دار بوار وغرور . فطوبى لعبد ذكر ذنبه وخشي ربّه وأحسن المعاملة وقدم الزاد ليوم المعاد . فمن وصل إلى مدينتنا ودخلها وسهّل الله عليه دخولها فليأخذ من المال ما يقدر عليه ولا يمس من فوق جسدي شيئاً فإنه ستر لعورتي وجهازي من الدنيا ، فليتق الله ولا يسلب منه شيئاً فيهلك نفسه . وقد جعلت ذلك نصيحة مني إليه وأمانة مني لديه والسلام . فأسأل الله أن يكفيكم شرّ البلايا والسقام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 577

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الأمير موسى لما سمع هذا الكلام بكى بكاءً شديداً حتى غشي عليه . فلما أفاق كتب جميع ما رآه واعتبر بما شاهده ثم قال لأصحابه : ائتوا بالأعدال واملؤوها من هذه الأموال وهذه الأواني والتحف والجواهر . فقال طالب بن سهل للأمير موسى : أيها الأمير ، أنترك هذه الجارية بما عليها وهو شيء لا نظير له ولا

يوجد في وقت مثله ! وهو أوفى ما أخذت من الأموال وأحسن هدية تتقرّب بها إلى أمير المؤمنين . فقال الأمير موسى : يا هذا ، ألَمْ تسمع ما أوصت به الجارية في هذا اللوح لا سيما وقد جعلته أمانة وما نحن من أهل الخيانة؟ فقال الوزير طالب : وهل لأجل هذه الكلمات نترك هذه الأموال وهذه الجواهر وهي ميتة؟ فما تصنع بهذا وهو زينة الدنيا؟ وجمال الأحياء وثوب من القطن تستر به هذه الجارية ونحن أحق به منها . ثم دنا من السلم وصعد على الدرج حتى صار بين العامودين وحصل بين الشخصين ، وإذا بأحد الشخصين ضربه في ظهره وضربه الآخر بالسيف الذي في يده فرمى رأسه ووقع ميتاً . فقال الأمير موسى : لا رحم الله لك مضجعاً ، لقد كان في هذه الأموال ما فيه كفاية والطمع لا شك يزري بصاحبه . ثم أمر بدخول العساكر ، فدخلوا وحمّلوا الجمال من تلك الأموال والمعادن . ثم إن الأمير موسى أمرهم أن يغلقوا الباب كما كان . ثم ساروا على الساحل حتى أشرفوا على جبل عالٍ مشرف على البحر وفيه مغارات كثيرة ، وإذا فيها قوم من السودان وعليهم نطوع وعلى رؤوسهم برانس من نطوع لا يعرف كلامهم . فلما رأوا العسكر ، أجفلوا منهم وولّوا هاربين إلى تلك المغارات ونساؤهم وأولادهم على أبواب المغارات . فقال الأمير موسى : يا شيخ عبد الصمد ، ما هؤلاء القوم ؟ فقال : هؤلاء طلبة أمير المؤمنين . فنزلوا وضربت الخيام وحطت الأموال ، فما استقرّ بهم المكان حتى نزل ملك السودان من الجبل ودنا من العسكر وكان يعرف العربية ، فلما وصل إلى الأمير موسى سلّم عليه فردّ عليه السلام وأكرمه . فقال ملك السودان للأمير موسى : أنتم من الإنس أم من الجن ؟ فقال الأمير موسى : أما نحن فمن الإنس ، وأما أنتم فلا شك أنكم من الجن لانفرادكم في هذا الجبل المنفرد عن الخلق ولعظم خلقتكم . فقال ملك السودان : بل نحن قوم آدميون من أولاد حام بن نوح عليه السلام . وأما هذا البحر فإنه يعرف بالكركر . فقال له الأمير موسى : ومن أين لكم علم ولم يبلغكم نبي أوحى إليه في مثل هذه الأرض ؟ فقال : أعلم أيها الأمير أنه يظهر لنا من هذا البحر شخص له نور تضيء له الآفاق فينادي بصوت يسمعه البعيد والقريب : يا أولاد حام ، استحوا ممن يرى ولا يرى وقولوا : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله وأنا أبو العباس الخضر . وكنا قبل ذلك نعبد بعضنا فدعانا إلى عبادة ربّ العباد . ثم قال للأمير موسى : وقد علّمنا كلمات نقولها . فقال الأمير موسى : وما تلك الكلمات؟ قال هي : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . وما نتقرّب إلى الله عزّ وجلّ إلاّ بهذه الكلمات ولا نعرف غيرها . وكل ليلة جمعة نرى نوراً على وجه الأرض ونسمع صوتاً يقول : سبوح قدوس ربّ الملائكة ، والروح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . كل نعمة من الله فضل ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . فقال له الأمير موسى : نحن أصحاب ملك الإسلام عبد الملك بن مروان ، وقد جئنا بسبب القماقم النحاس التي عندكم في بحركم وفيها الشياطين محبوسة من عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، وقد أمر أن نأتيه بشيء منها يبصره ويتفرّج عليه . فقال له ملك السودان : حبّاً وكرامةً . ثم أضافه بلحوم السمك . وأمر الغواصين أن يخرجوا من البحر شيئاً من القماقم السليمانية فأخرجوا لهم اثني عشر قمقماً . ففرح الأمير موسى بها ، والشيخ عبد الصمد والعساكر لأجل قضاء حاجة أمير المؤمنين . ثم إن الأمير موسى وهب لملك السودان مواهب كثيرة وأعطاه عطايا جزيلة . وكذلك ملك السودان أهدى إلى الأمير موسى هدية من عجائب البحر على

صفة الآدميين وقال : إن ضيافتكم في هذه الثلاثة أيام من لحوم هذا السمك . فقال الأمير موسى : لا بد أن نحمل معنا شيئاً حتى ينظر إليه أمير المؤمنين فيطمئن خاطره بذلك أكثر من القماقم السليمانية . ثم ودّعوه وساروا حتى وصلوا إلى بلاد الشام ، فدخلوا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فحدّثه الأمير موسى بجميع ما رآه وما وقع له من الأشعار والأخبار والمواعظ وأخبره بخبر طالب بن سهل . فقال له أمير المؤمنين : ليتني كنت معكم حتى أعاين ما عاينتم . ثم أخذ القماقم وجعل يفتح قمقماً بعد قمقم والشياطين يخرجون منها ويقولون : التوبة يا نبي الله وما نعود لمثل ذلك أبداً . فتعجب عبد الملك بن مروان من ذلك . وأما بنات البحر التي أضافهم بنوعها ملك السودان فإنهم صنعوا لها حياضاً من خشب وملؤوها ماء ووضعوها فيها فماتت من شدّة الحر . ثم إن أمير المؤمنين أحضر الأموال وقسمها بين المسلمين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 578

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما رأى القماقم وما فيها ، تعجب من ذلك غاية العجب وأمر بإحضار الأموال وقسمها بين المسلمين وقال : لم يعط الله أحداً مثل ما أعطى سليمان بن داود . ثم إن الأمير موسى سأل أمير المؤمنين أن يستخلف ولده مكانه على بلاده وهو يتوجه إلى القدس الشريف يعبد الله فيه . فولّى أمير المؤمنين ولده وتوجّه هو إلى القدس الشريف ومات فيه . وهذا آخر ما انتهى إلينا من حديث مدينة النحاس على التمام والله أعلم .

54 - حكاية الملك وولده والجارية والوزراء السبعة

وقد بلغنا أيضاً أنه في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك الزمان كان كثير الجند والأعوان وصاحب جاه وأموال ، ولكنه بلغ من العمر مدة ولم يرزق ولداً ذكراً . فلما قلق لذلك توسل بالنبي ﷺ إلى الله تعالى وسأله بجاه الأنبياء والأولياء والشهداء من عباده المقرّبين أن يرزقه بولد ذكر حتى يرث الملك من بعده ويكون قرّة عينه . ثم قام من وقته وساعته ودخل إلى قاعة جلوسه وأرسل إلى بنت عمه فواصلها فصارت حاملة بإذن الله تعالى . فمكثت مدة حتى آن آوان وضعها فولدت ولداً ذكراً وجهه مثل دورة القمر ليلة أربعة عشر . فتربّى ذلك الغلام إلى أن بلغ من العمر خمس سنين . وكان عند ذلك الملك رجل حكيم من الحكماء الماهرين يسمى : السندباد . فسلّم إليه ذلك الغلام . فلما بلغ من العمر عشر سنين علّمه الحكمة والأدب إلى أن صار ذلك الولد ليس أحد في هذا الزمان يناظره في العلم والأدب والفهم . فلما بلغ والده ذلك ، أحضر له جماعة من فرسان العرب يعلمونه الفروسية فمهر فيها وصال وجال في حومة الميدان إلى أن فاق أهل زمانه وسائر أقرانه . ففي بعض الأيام نظر ذلك الحكيم في النجوم فرأى طالع الغلام وأنه متى عاش سبعة أيام وتكلم بكلمة واحدة صار فيها هلاكه . فذهب الحكيم إلى الملك والده وأعلمه بالخبر . فقال له والده : فما يكون الرأي والتدبير يا حكيم ؟ فقال له الحكيم : أيها الملك ، الرأي والتدبير عندي أن تجعله في مكان نزهة وسماع آلات مطربة يكون فيه إلى أن تمضي السبعة أيام . فارسل الملك إلى جارية من خواصه وكانت أحسن الجواري ، فسلّم إليها الولد

وقال لها: خذي سيدك في القصر واجعليه عندك ولا ينزل من القصر إلاّ بعد سبعة أيام تمضي. فأخذته الجارية من يده وأجلسته في ذلك القصر. وكان في القصر اربعون حجرة، وفي كل حجرة عشر جوار، كل جارية معها آلة من آلات الطرب إذا ضربت واحدة منهن يرقص من نغمتها ذلك القصر. وحواليه نهر جار مزروع شاطئه بجميع الفواكه والمشموم. وكان ذلك الولد فيه من الحسن والجمال ما لا يوصف. فبات ليلة واحدة فرأته الجارية محظية والده فطرق العشق قلبها فلم تتمالك حتى رمت نفسها عليه. فقال لها الولد: إن شاء الله تعالى حين أخرج عند والدي اخبره بذلك فيقتلك. فتوجهت الجارية إلى الملك ورمت نفسها عليه بالبكاء والنحيب. فقال لها: ما خبرك يا جارية؟ كيف سيدك أما هو طيب؟ فقالت: يا مولاي، إن سيدي راودني عن نفسي وأراد قتلي على ذلك فمنعته وهربت منه، وما بقيت أرجع إليه ولا إلى القصر أبداً. فلما سمع والده ذلك الكلام حصل له غيظ عظيم، فأحضر عنده الوزراء وأمرهم بقتله. فقالوا لبعضهم: إن الملك صمّم على قتل ولده وإن قتله يندم عليه بعد قتله لا محالة فإنه عزيز عنده وما جاءه هذا الولد إلاّ بعد اليأس. ثم بعد ذلك يرجع عليكم باللوم فيقول لكم: لِمَ لم تدبروا لي تدبيراً يمنعني عن قتله؟ فاتفق رأيهم على أن يدبروا له تدبيراً يمنعه عن قتل ولده. فتقدم الوزير الأول وقال: أنا أكفيكم شرّ الملك في هذا اليوم. فقام ومضى إلى أن دخل على الملك وتمثّل بين يديه ثم استأذنه في الكلام فأذن له. فقال له: أيها الملك، لو قدر انه كان لك الف ولد لم تطع نفسك في أن تقتل واحداً منهم بقول جارية، إمّا أن تكون صادقة أو كاذبة، ولعل هذه مكيدة منها لولدك. فقال: وهل بلغك شيء من كيدهنّ أيها الوزير؟ قال: نعم.

حكاية الملك وزوجة وزيره

بلغني أيها الملك أنه كان ملك من ملوك الزمان مغرماً بحب النساء. فبينما هو مختل في قصره يوماً من الأيام إذ وقعت عينه على جارية وهي في سطح بيتها وكانت ذات حسن وجمال. فلما رآها لم يتمالك نفسه من المحبة فسأل عن ذلك البيت. فقالوا له: هذا بيت وزيرك فلان. فقام من ساعته وأرسل إلى الوزير، فلما حضر بين يديه أمره أن يسافر إلى بعض جهات المملكة ليطلع عليها ثم يعود. فسافر الوزير كما أمره الملك. فبعد أن سافر تحايل الملك حتى دخل بيت الوزير، فلما رأته الجارية عرفته فوثبت قائمة على قدميها وقبلت يديه ورجليه ورحبت به ووقفت بعيداً عنه مشتغلة بخدمته ثم قالت له: يا مولانا، ما سبب القدوم المبارك ومثلي لا يكون له ذلك؟ فقال: سببه أن عشقك والشوق إليك أقدماني على ذلك. فقبلت الأرض بين يديه ثانياً وقالت له: يا مولانا، أنا لا أصلح أن أكون جارية لبعض خدام الملك فمن أين يكون لي عندك هذا الحظ العظيم حتى صرت عندك بهذه المنزلة؟ فمد الملك يده إليها فقالت: هذا الأمر لا يفوتنا ولكن إصبر أيها الملك وأقم عندي هذا اليوم كله حتى أصنع لك شيئاً تأكله. قال: فجلس الملك على مرتبة وزيره. ثم نهضت قائمة وأتته بكتاب فيه المواعظ والآداب ليقرأ فيه حتى تجهّز له الطعام، فأخذه الملك وجعل يقرأ فيه فوجد فيه من المواعظ والحكم ما زجره عن الزنا وكسر همته عن ارتكاب المعاصي. فلما جهزت له الطعام قدّمته بين يديه، وكانت عدة الصحون تسعين صحناً. فجعل الملك يأكل من كل صحن ملعقة، والطعام أنواع مختلفة وطعمها واحد. فتعجب الملك من ذلك غاية العجب ثم قال: أيتها الجارية، أرى هذه الأنواع كثيرة وطعمها واحد. فقالت له

الجارية : أسعد الله الملك ، هذا مثل ضربته لك لتعتبر به . فقال لها : وما سببه ؟ فقالت : أصلح الله حال مولانا الملك إن في قصرك تسعين محظية مختلفات الألوان وطعمهنّ واحد . فلما سمع الملك ذلك الكلام خجل منها وقام من وقته وخرج من المنزل ولم يتعرّض لها بسوء ، ومن خجلته نسي خاتمه عندها تحت الوسادة ثم توجه إلى قصره . فلما جلس الملك في قصره حضر الوزير ذلك الوقت وتقدّم إلى الملك وقبّل الأرض بين يديه وأعلمه بحال ما أرسله إليه ثم سار الوزير إلى أن دخل بيته وقعد على مرتبته ومدّ يده تحت الوسادة فلقي خاتم الملك تحتها . فرفعه الوزير وحمله على قلبه وانعزل عن الجارية مدّة سنة كاملة ولم يكلمها وهي لا تعلم ما سبب غيظه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 579

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير انعزل عن الجارية مدة سنة كاملة ولم يكلمها وهي لا تعلم ما سبب غيظه . فلما طال بها المطال ولم تعلم ما سبب ذلك ، أرسلت إلى أبيها وأعلمته بما جرى لها معه من انعزاله عنها مدة سنة كاملة . فقال لها أبوها : إني أشكوه حين يكون بحضرة الملك . فدخل يوماً من الأيام فوجده بحضرة الملك وبين يديه قاضي العسكر . فادّعى عليه فقال : أصلح الله تعالى حال الملك ، إنه كان لي روضة حسنة غرستها بيدي وانفقت عليها مالي حتى أثمرت وطاب جناها فأهديتها لوزيرك هذا فأكل منها ما طاب له ثم رفضها ولم يسقها ، فيبس زهرها وذهب رونقها وتغيّرت حالتها . فقال الوزير : أيها الملك صدق هذا في مقالته ، إني كنت أحفظها وآكل منها فذهبت يوماً إليها فرأيت أثر الأسد هناك فخفت على نفسي منه فعزلت نفسي عنها . ففهم الملك أن الأثر الذي وجده الوزير هو خاتم الملك الذي نسيه في البيت . فقال الملك عند ذلك لوزيره : إرجع أيها الوزير لروضتك وأنت آمن مطمئن فإن الأسد لم يقربها وقد بلغني أنه وصل إليها ولكن لم يتعرض لها بسوء وحرمة أبائي وأجدادي . فقال الوزير عند ذلك : سمعاً وطاعةً . ثم إن الوزير رجع إلى بيته وأرسل إلى زوجته وصالحها ووثق بصيانتها .

حكاية التاجر وزوجته والدرة

وبلغني أيها الملك أيضاً أن تاجراً كان كثير الأسفار ، وكانت له زوجة جميلة يحبها ويغار عليها من كثرة المحبة . فاشترى لها درة ، فكانت الدرة تعلم سيدها بما جرى في غيبته . فلما كان في بعض أسفاره تعلّقت امرأة التاجر بغلام كان يدخل عليها فتكرمه وتواصله مدة غياب زوجها . فلما قدم زوجها من سفره أعلمته الدرة بما جرى وقالت له : يا سيدي غلام تركي كان يدخل على زوجتك في غيابك فتكرمه غاية الإكرام . فهمّ الرجل بقتل زوجته . فلما سمعت زوجته ذلك قالت له : يا رجل ، اتّقِ الله وارجع إلى عقلك . هل يكون لطير عقل أو فهم ؟ وإن أردت أن أبين لك ذلك لتعرف كذبها من صدقها فامض هذه الليلة ونم عند بعض أصدقائك فإذا أصبحت تعال لها واسألها حتى تعلم هل تصدق هي فيما تقول أو تكذب ؟ فقام الرجل وذهب إلى بعض أصدقائه فبات عنده . فلما كان الليلة عمدت زوجة الرجل إلى قطعة نطع غطّت به قفص الدرة وجعلت ترش على ذلك النطع شيئاً من الماء وتروح عليها بمروحة وتقرّب إليها السراج على صورة لمعان البرق ، وصارت تدبر الرحى إلى أن أصبح الصباح . فلما جاء زوجها

قالت له : يا مولاي إسأل الدرة . فجاء زوجها إلى الدرة يحدثها ويسألها عن ليلتها الماضية . فقالت له الدرة : يا سيدي ، ومن كان ينظر أو يسمع في الليلة الماضية ؟ فقال لها : لأي شيء ؟ فقالت : يا سيدي ، من كثرة المطر والريح والرعد والبرق . فقال لها : كذبت إن الليلة التي مضت ما كان فيها شيء من ذلك . فقالت له الدرة : ما أخبرتك إلاّ بما عاينت وشاهدت وسمعت . فكذبها في جميع ما قالته عن زوجته وأراد أن يصالح زوجته فقالت : والله ما أصطلح حتى تذبح هذه الدرة التي كذبت عليّ . فقام الرجل إلى الدرة وذبحها ثم أقام بعد ذلك مع زوجته مدة أيام قلائل ، ثم رأى في بعض الأيام ذلك الغلام التركي وهو خارج من بيته فعلم صدق قول الدرة وكذب زوجته . فندم على ذبح الدرة ودخل من وقته وساعته على زوجته وذبحها وأقسم على نفسه أنه لا يتزوج بعدها امرأة مدة حياته . وما أعلمتك أيها الملك إلاّ لتعلم أن كيدهنّ عظيم والعجلة ترث الندامة . فرجع الملك عن قتل ولده . فلما كان في اليوم الثاني دخلت عليه الجارية وقبّلت الأرض بين يديه وقالت له : أيها الملك ، كيف أهملت حقي وقد سمع الملوك عنك أنك أمرت بأمر ثم نقضه وزيرك ؟ وطاعة الملك من نفاذ أمره وكل أحد يعلم عدلك وإنصافك فانصفني من ولدك .

حكاية القصار وولده

فقد بلغني أن رجلاً قصاراً كان يخرج كل يوم إلى شاطىء دجلة يقصر القماش ويخرج معه ولده فينزل النهر ليعوم فيه مدّة إقامته ولم ينهه والده عن ذلك . فبينما هو يعوم يوماً من الأيام إذ تعبت سواعده فغرق . فلما نظر إليه أبوه وثب عليه وترامى عليه ، فلما أمسكه أبوه تعلق به ذلك الولد فغرق الأب والابن جميعاً . فكذلك أنت أيها الملك إذا لم تنه على ولدك وتأخذ حقي منه أخاف عليك أن يغرق كل منكما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 580

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما حكت للملك حكاية القصار وولده وقالت : أخاف أن تغرق أنت وولدك أيضًا .

حكاية اتهام غير عادل في زوجته

قالت : وكذلك بلغني من كيد الرجال أنّ رجلاً عشق امرأة وكانت ذات حسن وجمال وكان لها زوج يحبها وتحبه . وكانت تلك المرأة صالحة عفيفة ولم يجد الرجل العاشق إليها سبيلاً ، فطال عليه الحال ففكر في الحيلة . وكان لزوج المرأة غلام ربّاه في بيته وذلك الغلام أمين عنده . فجاء إليه ذلك العاشق وما زال يلاطفه بالهدية والإحسان إلى أن صار الغلام طوعاً له فيما يطلبه منه . فقال له يوماً من الأيام : يا فلان أما تدخل بي منزلكم إذا خرجت سيدتك منه ؟ فقال له : نعم . فلما خرجت سيدته إلى الحمام وخرج سيده إلى الدكان ، جاء الغلام إلى صاحبه وأخذ بيده إلى أن أدخله المنزل ، ثم عرض عليه جميع ما في المنزل . وكان العاشق مصمماً على مكيدة يكيد بها المرأة فأخذ بياض بيضة معه في إناء ودنا من فراش الرجل وسكبه على الفراش من غير أن ينظر إليه الغلام ثم خرج من المنزل ومضى إلى حال سبيله . ثم بعد ساعة دخل الرجل فأتى الفراش ليستريح عليه فوجد فيه بللاً ، فأخذه بيده فلما رآه ظن في عقله أنه مني رجل . فنظر إلى الغلام بعين الغضب ثم قال له : أين سيدتك ؟ فقال له : ذهبت إلى الحمام وتعود في هذه الساعة . فتحقّق ظنه وغلب على عقله أنه مني رجال فقال للغلام : اخرُجْ في هذه الساعة واحضر سيدتك . فلما حضرت بين يديه وثب قائماً إليها

وضربها ضرباً عنيفاً ثم كتفها وأراد أن يذبحها . فصاحت على الجيران فادركوها فقالت لهم : إن هذا الرجل يريد أن يذبحني ولا أعرف لي ذنباً . فقام عليه الجيران وقالوا له : ليس لك عليها سبيل ، إما أن تطلقها وإما أن تمسكها بمعروف ، فإنّا نعرف عفافها وهي جارتنا مدة طويلة ولم نعلم عليها سوءاً أبداً . فقال لهم : إني رأيت في فراشي منياً كمني الرجال وما أدري ما سبب ذلك ! فقام رجل من الحاضرين وقال له : أرني ذلك . فلما رآه الرجل قال : أحضر لي ناراً ووعاء . فلما أحضر له ذلك أخذ البياض وقلاه على النار وأكل منه الرجل وأطعمه للحاضرين . فتحقّق الحاضرون أنه بياض بيض ، فعلم الرجل أنه ظالم لزوجته وأنها بريئة من ذلك . ثم دخل عليه الجيران وصالحوه هو وإياها بعد أن طلّقها وبطلت حيلة ذلك الرجل فيما دبره من المكيدة لتلك المرأة وهي غافلة . فاعلم أيها الملك أن هذا من كيد الرجال . فأمر الملك بقتل ولده . فتقدم الوزير الثاني وقبّل الأرض بين يديه وقال له : أيها الملك لا تعجل على قتل ولدك فإن أمه ما رزقته إلاّ بعد يأس ، ونرجو أن يكون ذلك ذخيرة في ملكك وحافظاً على مالك فتصبر أيها الملك عليه لعل له حجة يتكلم بها ، فإن عجلت على قتله ندمت كما ندم الرجل التاجر . قال له الملك : وكيف كان ذلك ؟ وما حكايته يا وزير ؟

حكاية التاجر البخيل والخبز

قال : بلغني أيها الملك أنه كان تاجر لطيف في مأكله ومشربه ، فسافر يوماً من الأيام إلى بعض البلاد . فبينما هو يمشي في أسواقها وإذا بعجوز معها رغيفان فقال لها : هل تبيعيهما ؟ فقالت له : نعم . فساومها بأرخص ثمن واشتراهما منها وذهب بهما إلى منزله فأكلهما ذلك اليوم . فلما أصبح الصباح عاد إلى ذلك المكان فوجد العجوز ومعها الرغيفان فاشتراهما أيضاً منها ، ولم يزل كذلك مدة عشرين يوماً . ثم غابت العجوز عنه فسأل عنها فلم يجد لها خبراً . فبينما هو ذات يوم من الأيام في بعض شوارع المدينة إذ وجدها ، فوقف وسلم عليها وسألها عن سبب غيابها وانقطاع الرغيفين عنه . فلما سمعت العجوز كلامه تكاسلت عن ردّ الجواب . فأقسم عليها أن تخبره عن أمرها . فقالت له : يا سيدي إسمع مني الجواب ، وما ذلك إلاّ أني كنت أخدم إنساناً وكانت به آكلة في صلبه ، وكان عنده طبيب يأخذ الدقيق ويلتّه بسمن ويجعله على الموضع الذي فيه الوجع طول ليلته إلى أن يصبح الصبح ، فآخذ ذلك الدقيق وأجعله رغيفين وأبيعهما لك أو لغيرك ، وقد مات ذلك الرجل فانقطع عني الرغيفان . فلما سمع التاجر ذلك الكلام قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 581

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما أخبرت التاجر بسبب الرغيفين قال : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . ولم يزل ذلك التاجر يتقايا إلى أن مرض وندم ، ولم يفده الندم .

حكاية امرأة مع العاشقَين

وبلغني أيها الملك من كيد النساء أن رجلاً كان يقف بالسيف على رأس ملك من الملوك ، وكان لذلك الرجل جارية يهواها . فبعث إليها يوماً من الأيام غلامه برسالة على العادة بينهما ، فجلس الغلام عندها ولاعبها فمالت إليه وضمته إلى صدرها فطلب منها المجامعة

فطاوعته . فبينما هما كذلك وإذا بسيد الغلام قد طرق الباب فأخذت الغلام ورمته في طابق عندها ثم فتحت الباب ، فدخل وسيفه بيده فجلس على فراش المرأة فاقبلت عليه تمازحه وتلاعبه وتضمه إلى صدرها وتقبله ، فقام الرجل إليها وجامعها . وإذا بزوجها يدق عليها الباب فقال لها : من هذا؟ قالت : زوجي . فقال لها : كيف أفعل ؟ وكيف الحيلة في ذلك ؟ فقالت له : قم سل سيفك وقف على الدهليز ثم سبّني واشتمني فإذا دخل عليك زوجي فاذهب وامض إلى حال سبيلك . ففعل ذلك . فلما دخل زوجها رأى خازندار الملك واقفاً وسيفه مسلول بيده وهو يشتم زوجته ويهددها، فلما رآه الخازندار استحى وأغمد سيفه وخرج من البيت . فقال الرجل لزوجته : ما سبب ذلك ؟ فقالت له : يا رجل ، ما أبرك هذه الساعة التي أتيت فيها قد أعتقت نفساً مؤمنة من القتل ، وما ذاك إلاّ انني كنت فوق السطح أغزل وإذا بغلام قد دخل عليّ مطروداً ذاهب العقل وهو يلهث خوفاً من القتل ، وهذا الرجل مجرد سيفه وهو يسرع وراءه ويجدّ في طلبه . فوقع الغلام عليّ وقبّل يدي ورجلي وقال : يا سيدتي اعتقيني ممن يريد قتلي ظلماً . فخبّأته في الطابق الذي عندنا . فلما رأيت هذا الرجل قد دخل وسيفه مسلول أنكرته منه حين طلبه مني فصار يشتمني ويهددني كما رأيت . والحمد لله الذي ساقك لي فإني كنت حائرة وليس عندي أحد ينقذني . فقال لها زوجها : نِعم ما فعلت يا امرأة ، أجرك على الله فيجازيك بفعلك خيراً . ثم إن زوجها ذهب إلى الطابق ونادى الغلام وقال له : إطلع لا بأس عليك . فطلع من الطابق وهو خائف والرجل يقول له : أرِحْ نفسك لا بأس عليك . وصار يتوجّع لما أصابه والغلام يدعو لذلك الرجل . ثم خرجا جميعاً ولم يعلما بما دبرت هذه المرأة . فاعلم أيها الملك إن هذا من جملة كيد النساء فإيّاك والركون إلى قولهنّ . فرجع الملك عن قتل ولده . فلما كان في اليوم الثالث دخلت الجارية على الملك وقبّلت الأرض بين يديه وقالت له : أيها الملك خذ لي حقي من ولدك ولا ترجع إلى قول وزرائك فإن وزراء السوء لا خير فيهم ، ولا تكن كالملك الذي ركن إلى قول وزير السوء من وزرائه . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية ابن الملك والجارية الشنيعة المنظر

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد أن ملكاً من الملوك كان له ولد يحبه ويكرمه غاية الإكرام ويفضّله على سائر أولاده . فقال له يوماً من الأيام : يا أبتي ، إني أريد أن أذهب إلى الصيد والقنص . فأمر بتجهيزه ، وأمر وزيراً من وزرائه أن يخرج معه في خدمته ويقضي له جميع مهماته في سفره . فأخذ ذلك الوزير جميع ما يحتاج إليه الولد في السفر وخرج معهما الخدم والنواب والغلمان وتوجهوا إلى الصيد حتى وصلوا إلى أرض مخضرة ذات عشب ومرعى ومياه والصيد فيها كثير . فتقدم ابن الملك للوزير وعرفه بما أعجبه من النزه ، فأقاموا بتلك الأرض مدة أيام وابن الملك في أطيب عيش وأرغده . ثم أمرهم ابن الملك بالانصراف فاعترضته غزالة قد انفردت عن رفقتها فاشتاقت نفسه إلى اقتناصها وطمع فيها فقال للوزير : إني أريد أن أتبع هذه الغزالة . فقال له الوزير : إفعل ما بدا لك . فتبعها الولد منفرداً وحده وطلبها طول النهار إلى أن أمسى الليل ، فصعدت الغزالة إلى محل وعر ، وأظلم على الولد الليل وأراد الرجوع فلم يعرف أين يذهب . فبقي متحيّراً في نفسه وما زال راكباً على ظهر فرسه إلى أن أصبح الصباح ولم يلقَ فرجاً لنفسه . ثم سار ، ولم يزل سائراً خائفاً جائعاً عطشاناً وهو لا يدري أين يذهب حتى

انتصف عليه النهار وحميت عليه الرمضاء، وإذا هو قد أشرف على مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان وهي قفراء خراب ليس فيها غير البوم والغراب. فبينما هو واقف عند تلك المدينة يتعجّب من رسومها إذ لاحت منه نظرة فرأى جارية ذات حسن وجمال تحت جدار من جدرانها وهي تبكي. فدنا منها وقال لها: من تكوني؟ فقالت له: أنا بنت التميمة ابنة الطياخ ملك الأرض الشهباء، خرجت ذات يوم من الأيام أقضي حاجة لي فاختطفني عفريت من الجن وطار بي بين السماء والأرض، فنزل عليه شهاب من نار فاحترق فسقطت هاهنا ولي ثلاثة أيام بالجوع والعطش، فلما نظرتك طمعت في الحياة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 582

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ابن الملك لما خاطبته بنت الملك الطياخ وقالت له: لما نظرتك طمعت في الحياة. أدرك ابن الملك عليها الرأفة فأركبها وراءه على جواده وقال لها: طيبي نفساً وقري عيناً، إن ردّني الله سبحانه وتعالى إلى قومي وأهلي أرسلتك إلى أهلك. ثم سار ابن الملك يلتمس الفرج. فقالت له الجارية التي وراءه: يا ابن الملك، انزلني حتى أقضي حاجتي تحت هذا الحائط. فوقف وانزلها ثم انتظرها، فتوارت في الحائط ثم خرجت بأشنع منظر. فلما رآها ابن الملك اقشعرّ بدنه وطار عقله وخاف منها وتغيّرت حالته. ثم وثبت تلك الجارية فركبت وراء ظهره على الجواد وهي في صورة أقبح ما يكون من الصور ثم قالت له: يا ابن الملك ما لي اراك قد تغيّر وجهك؟ فقال لها: إني تذكّرت امراً أهمّني. فقالت له: إستعن عليه بجيوش أبيك وأبطاله. فقال لها: إن الذي أهمّني لا تزعجه الجيوش ولا يهتم بالأبطال. فقالت له: إستعن عليه بمال أبيك وذخائره. فقال لها: إن الذي اهمني لا يقنع بالمال ولا بالذخائر. فقالت له: إنكم تزعمون أن لكم في السماء إلٰهاً يرى ولا يُرَى وإنه قادر على كل شيء. فقال لها: نعم ما لنا إلاّ هو. قالت له: فادعوه لعله أن يخلّصك مني. فرفع ابن الملك طرفه إلى السماء وأخلص بقلبه بالدعاء وقال: اللهم إني استعنت بك على هذا الأمر الذي أهمني. وأشار بيده إليها فسقطت على الأرض محرقة مثل الفحمة فحمد الله وشكره. وما زال يجد في المسير والله سبحانه وتعالى يهون عليه السير ويدله في الطرق إلى أن أشرف على بلاده ووصل إلى ملك أبيه بعد أن كان قد يئس من الحياة. وكان ذلك كله برأي الوزير الذي سافر معه لأجل أن يهلكه في سفرته فنصره الله تعالى. وإنما أخبرتك أيها الملك لتعلم أن وزراء السوء لا يصفون النية ولا يحسنون التوبة مع ملوكهم، فكن من ذلك الأمر على حذر. فأقبل عليها الملك وسمع كلامها وأمر بقتل ولده. فدخل الوزير الثالث وقال: أنا أكفيكم شرّ الملك في هذا النهار. ثم إن ذلك الوزير دخل على الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال له: أيها الملك، إني ناصحك وشفيق عليك وعلى دولتك ومشير عليك برأي سديد، وهو أن لا تعجل على قتل ولدك وقرّة عينك وثمرة فؤادك فربما كان ذنبه أمراً هيّناً قد عظّمته عندك هذه الجارية.

حكاية قطرة العسل

فقد بلغني أن أهل قريتين أفنوا بعضهم على قطرة عسل. فقال له الملك: وكيف ذلك؟ فقال: أعلم أيها الملك انه بلغني أنّ رجلاً صياداً كان يصيد الوحوش في البرية، فدخل يوماً من ذات

الأيام كهفاً من كهوف الجبل فوجد فيه حفرة ممتلئة عسل نحل . فجمع شيئاً من ذلك العسل في قربة كانت معه ثم حملها على كتفه وأتى بها المدينة ومعه كلب صيد ، وكان ذلك الكلب عزيزاً عليه . فوقف الرجل الصياد على دكان زيات وعرض عليه العسل فاشتراه صاحب الدكان . ثم فتح القربة وأخرج منها العسل لينظره فقطرت من القربة قطرة عسل فسقط عليها طير ، وكان الزيات له قط فوثب على الطير ، فرآه كلب الصياد فوثب على القط فقتله ، فوثب الزيات على كلب الصياد فقتله ، فوثب الصياد على الزيات فقتله . وكان للزيات قرية وللصياد قرية فسمعوا بذلك ، فأخذوا أسلحتهم وعددهم وقاموا على بعضهم غضباً والتقى الصفان . فلم يزل السيف دائراً بينهم إلى أن مات منهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى .

حكاية أمرأة والدرهم الضائع

وقد بلغني أيها الملك من جملة كيد النساء أن امرأة دفع لها زوجها درهماً لتشتري به أرزاً ، فأخذت منه الدرهم وذهبت به إلى بياع الأرزّ . فأعطاها الأرزّ وجعل يلاعبها ويغامرها ويقول لها : إن الأرزّ لا يطيب إلاّ بالسكر فإن أردتيه فادخلي عندي قدر ساعة . فدخلت المرأة عنده في الدكان . فقال بياع الأرزّ لعبده : زِن لها بدرهم سكراً وأعطاه سيده رمزاً . فأخذ العبد المنديل من المرأة وفرغ منه الأرزّ وجعل في موضعه تراباً وجعل بدل السكر حجراً وعقد المنديل وتركه عندها . فلما خرجت المرأة من عنده أخذت منديلها وانصرفت إلى منزلها وهي تحسب أن الذي في منديلها أرزّ وسكّر . فلما وصلت إلى منزلها وضعت المنديل بين يدي زوجها فوجد فيه تراباً وحجراً . فلما أحضرت القدر قال لها زوجها : هل نحن قلنا لك أن عندنا عمارة حتى جئت لنا بتراب وحجر ؟ فلما نظرت إلى ذلك علمت أن عبد البياع نصب عليها وكانت قد أتت بالقدر في يدها فقالت لزوجها : يا رجل ، من شغل البال الذي أصابني ذهبت لأجيء بالغربال فجئت بالقدر . فقال لها زوجها : وأي شيء أشغل بالك ؟ قالت له : يا رجل ، إن الدرهم الذي كان معي سقط مني في السوق فاستحيت من الناس أن أدوّر عليه وما هان عليّ أن الدرهم يروح مني ، فجمعت التراب من ذلك الموضع الذي وقع فيه الدرهم وأردت أن أغربله ، وكنت رايحة أجيء بالغربال فجئت بالقدر . ثم ذهبت وأحضرت الغربال وأعطته لزوجها وقالت له : غربله فإن عينك أصح من عيني . فقعد الرجل يغربل في التراب إلى أن امتلأ وجهه وذقنه من الغبار وهو لا يدرك مكرها وما وقع منها . فهذا أيها الملك من جملة كيد النساء . وانظر إلى قول الله تعالى : ﴿إن كيدهنّ عظيم﴾ . وقوله سبحانه وتعالى ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ . فلما سمع الملك من كلام الوزير ما أقنعه وأرضاه وزجره عن هواه وتأمّل ما تلاه عليه من آيات الله ، سطعت أنوار النصيحة في سماء عقله وخلده ورجع عن تصميمه على قتل ولده . فلما كان في اليوم الرابع دخلت الجارية على الملك وقبّلت الأرض بين يديه وقالت له : أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد ، قد أظهرت لك حقي عياناً فظلمتني وأهملت مقاصصة غريمي لكونه ولدك ومهجة قلبك ، وسوف ينصرني الله سبحانه وتعالى عليه كما نصر الله ابن الملك على وزير أبيه . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية عين الماء المسحورة

فقالت له الجارية : بلغني أيها الملك أنه كان ملك من الملوك الماضية له ولد ، ولم يكن له من

الأولاد غيره. فلما بلغ ذلك الولد زوّجه أبوه بابنة ملك آخر، وكانت جارية ذات حسن وجمال وكان لها ابن عم قد خطبها من أبيها ولم تكن راضية بزواجها منه. فلما علم ابن عمها أنها تزوّجت بغيره أخذته الغيرة. فاتفق رأي ابن عم الجارية أن يرسل الهدايا إلى وزير الملك الذي تزوّج بها ابنه، فأرسل إليه هدايا عظيمة وأنفذ إليه أموالاً كثيرة وسأله أن يحتال على قتل ابن الملك بمكيدة تكون سبباً لهلاكه أو يتلطف به حتى يرجع عن زواج الجارية. وبعث يقول له: أيها الوزير لقد حصل عندي من الغيرة على ابنة عمي ما حملني على هذا الأمر. فلما وصلت الهدايا إلى الوزير قبلها وأرسل إليه يقول: طب نفساً وقر عيناً فلك عندي كل ما تريده. ثم إن الملك أبي الجارية أرسل إلى ابن الملك بالحضور إلى مكانه لأجل الدخول على ابنته. فلما وصل الكتاب إلى ابن الملك أذن له أبوه في المسير وبعث معه الوزير الذي جاءت له الهدايا وأرسل معهما ألف فارس وهدايا ومحامل وسرادقات وخياماً، فسار الوزير مع ابن الملك وفي ضميره أن يكيده بمكيدة وأضمر له في قلبه السوء. فلما صاروا في الصحراء تذكر الوزير أن في هذا الجبل عيناً جارية من الماء تعرف بالزهراء، وكل من شرب منها إذا كان رجلاً يعود امرأة. فلما تذكر ذلك الوزير أنزل العسكر بالقرب منها وركب الوزير جواده ثم قال لابن الملك: هل لك أن تروح معي نتفرج على عين ماء في هذا المكان؟ فركب ابن الملك وسار هو ووزير أبيه وليس معهما أحد، وابن الملك لا يدري ما قد جرى له في الغيب ولم يرَ إلاّ سائرين حتى وصلا إلى تلك العين، فنزل ابن الملك من فوق جواده وغسل يديه وشرب منها وإذا به صار امرأة. فلما عرف ذلك صرخ وبكى حتى غشي عليه. فأقبل عليه الوزير يتوجّع لما أصابه ويقول له: ما الذي أصابك؟ فأخبره الولد. فلما سمع الوزير كلامه توجّع له وبكى لما أصاب ابن الملك ثم قال له: يعيذك الله تعالى من هذا الأمر، كيف قد حلّت بك هذه المصيبة وعظمت بك تلك الرزية ونحن سائرون بفرحة حيث تدخل على ابنة الملك، والآن لا أدري هل نتوجه إليها أم لا؟ والرأي لك، فما تأمرني به؟ فقال له الولد: إرجع إلى أبي وأخبره بما أصابني فاني لست أبرح من هاهنا حتى يذهب عني هذا الأمر أو أموت بحسرتي. فكتب الولد كتاباً لأبيه يعلمه بما جرى له. ثم أخذ الوزير الكتاب وانصرف راجعاً إلى مدينة الملك وترك العساكر والولد وما معه من الجيوش عنده وهو فرحان في الباطن بما فعل بابن الملك. فلما دخل الوزير على الملك أعلمه بقضية ولده وأعطاه كتابه. فحزن الملك على ولده حزناً شديداً ثم أرسل إلى الحكماء وأصحاب الأسرار أن يكشفوا له عن هذا الأمر الذي حصل لولده، فما أحد ردّ عليه جواباً. ثم إن الوزير أرسل إلى ابن عم الجارية يبشره بما حصل لابن الملك. فلما وصل إليه الكتاب فرح فرحاً شديداً وطمع في زواج ابنة عمه وأرسل إلى الوزير هدايا عظيمة وأموالاً كثيرة وشكره شكراً زائداً. وأما ابن الملك فإنه أقام على تلك العين مدة ثلاثة أيام بلياليها لا يأكل ولا يشرب واعتمد فيما أصابه على الله سبحانه وتعالى الذي ما خاب من توكّل عليه. فلما كان في الليلة الرابعة وإذا هو بفارس على رأسه تاج وهو في صفة أولاد الملوك. فقال له الفارس: من أتى بك أيها الغلام إلى هاهنا؟ فأعلمه الولد بما أصابه وأنه كان مسافراً إلى زوجته ليدخل عليها، وأعلمه أن الوزير أتى به إلى عين الماء فشرب منها فحصل له ما حصل. وكلما تحدث الغلام يغلبه البكاء فيبكي. فلما سمع الفارس كلامه رثى لحاله وقال له: إن وزير أبيك هو الذي رماك في هذه المصيبة، لأن هذه العين لم يعلم بها أحد من البشر إلاّ

رجل واحد . ثم إن الفارس أمره أن يركب معه فركب الولد . وقال له الفارس : إمضي معي إلى منزلي فأنت ضيفي في هذه الليلة . فقال له الولد : أعلمني من أنت حتى أسير معك . فقال له : أنا ابن ملك الجان وأنت ابن ملك الإنس . فطب نفساً وقرّ عيناً بما يزيل همك وغمّك فهو علي هين . فسار معه الولد من أول النهار واهمل جيوشه وعساكره ، وما زال سائراً معه إلى نصف الليل . فقال له ابن ملك الجن : أتدري كم قطعنا في هذا الوقت ؟ فقال له الغلام : لا أدري . فقال له ابن ملك الجن : قطعنا مسيرة سنة للمجد المسافر . فتعجب ابن الملك من ذلك وقال له : كيف العمل والرجوع إلى اهلي ؟ فقال له : ليس هذا من شانك إنما هو من شاني ، فحيث تبرأ من علتك تعود إلى اهلك في أسرع من طرفة العين وذلك علي هين . فلما سمع الغلام من الجني هذا الكلام طار من شدة الفرح وظن انه اضغاث احلام وقال : سبحان القدير على ان يرد الشقي سعيداً وفرح بذلك فرحاً شديداً . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 583

□ قالت بلغني أيها الملك السعيد ، ان ابن ملك الجن قال لابن ملك الإنس : حيث تبرأ من علتك تعود إلى أهلك أسرع من طرفة عين . ففرح بذلك ولم يزالا سائرين إلى ان أصبح الصباح ، وإذا هم بأرض مخضرة نضرة ذات أشجار باسقة وأطيار ناطقة ورياض فائقة وقصور رايقة . فنزل ابن ملك الجن عن جواده وأمر الولد بالنزول فنزل ، واخذ بيده ودخلا في بعض تلك القصور . فنظر ابن الملك إلى ملك عالٍ وسلطان له شأن . فأقام عنده ذلك اليوم في أكل وشرب إلى ان أقبل الليل . فقام ابن ملك الجن وركب جواده وركب ابن ملك الإنس معه وخرجا تحت الليل مجدين السير إلى ان أصبح الصباح ، وإذا هما بأرض سوداء غير عامرة ، ذات صخور وأحجار سود كأنها قطعة من جهنم . فقال له ابن ملك الإنس : ما يقال لهذه الأرض ؟ فقال له : يقال لها : الأرض الدهماء لملك من ملوك الجن اسمه ذو الجناحين . لم يقدر أحد من الملوك ان يسطو عليه ولا يدخلها احد إلاّ بإذنه ، فقف في مكانك حتى نستأذنه . فوقف الشاب ثم غاب عنه ساعة وعاد إليه وسارا . ولم يزالا سائرين حتى انتهيا إلى عين ماء تسيل من جبال سود . فقال للشاب : إنزل . فنزل الشاب من فوق جواده ثم قال له : إشرب من هذه العين . فشرب منها الشاب فعاد لوقته وساعته ذكراً كما كان اولاً بقدرة الله تعالى . ففرح الشاب فرحاً شديداً ما عليه من مزيد . ثم قال له : يا أخي ما يقال لهذه العين ؟ فقال له : يقال لها عين النساء لا تشرب منها امراة إلا عادت رجلاً ، فاحمد الله واشكره على العافية واركب جوادك . فسجد ابن الملك شكراً لله تعالى ثم ركب وسارا يجدان السير بقية يومهما حتى رجعا إلى أرض ذلك الجني فبات الشاب عنده في ارغد عيش . ولم يزالا في أكل وشرب إلى ان جاء الليل . ثم قال له ابن ملك الجن : أتريد ان ترجع إلى أهلك في هذه الليلة ؟ فقال : نعم أريد ذلك لأني محتاج إليه . فدعا ابن ملك الجان بعبد له من عبيد أبيه اسمه راجز وقال له : خذ هذا الفتى من عندي واحمله على عاتقك ولا تخل الصباح يصبح عليه إلاّ وهو عند صهره وزوجته . فقال له العبد : سمعاً وطاعةً وحباً وكرامةً . ثم غاب العبد عنه ساعة وأقبل وهو في صورة عفريت . فلما رآه الفتى طار عقله واندهش . فقال له ابن ملك الجن : لا بأس عليك ، إركب جوادك واعلُ به فوق عاتقه . فقال الشاب : بل اركب انا واترك الجواد عندك . ثم نزل الشاب عن الجواد وركب

على عاتقه. فقال له ابن ملك الجن: إغمض عينيك. فاغمض عينيه وطار به بين السماء والأرض. ولم يزل طائراً به ولم يدر الشاب بنفسه، فما جاء ثلث الليل الأخير إلاّ وهو على قصر صهره. فلما نزل على قصره قال له العفريت: إنزل فنزل. وقال له: إفتح عينيك فهذا قصر صهرك وابنته ثم تركه ومضى. فلما أضاء النهار وسكن الشاب من روعه نزل من فوق القصر. فلما نظره صهره قام إليه وتلقاه وتعجب حيث رآه فوق القصر ثم قال له: إنّا رأينا الناس تأتي من الأبواب وأنت تنزل من السماء؟ فقال له: قد كان الذي أراده الله سبحانه وتعالى. ثم تعجب الملك من ذلك وفرح بسلامته. فلما طلعت الشمس أمر صهره وزيره أن يعمل الولائم العظيمة. فعمل الولائم واستقام العرس ثم دخل على زوجته وأقام مدة شهرين ثم ارتحل بها إلى مدينة أبيه. وأما ابن عم الجارية فإنه هلك من الغيرة والحسد لما دخل بها ابن الملك ونصره الله سبحانه وتعالى عليه وعلى وزير أبيه. ووصل إلى أبيه بزوجته على أتمّ حال وأكمل سرور، فتلقاه أبوه بعسكره ووزرائه. وأنا أرجو الله تعالى أن ينصرك على وزرائك أيها الملك، وأنا أسألك أن تأخذ حقي من ولدك. فلما سمع الملك ذلك منها أمر بقتل ولده. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 584

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجارية لما حكت للملك وقالت: أسألك أن تأخذ حقي من ولدك. أمر بقتله وكان ذلك في اليوم الرابع. دخل على الملك الوزير الرابع وقبّل الأرض بين يديه وقال: ثبّت الله الملك وأيّده أيها الملك، تأن في هذا الأمر الذي عزمت عليه لأن العاقل لا يعمل عملاً حتى ينظر في عاقبته. وصاحب المثل يقول: من لم يتدبر العواقب ما الدهر له بصاحب. ومن عمل عملاً بغير تثبت أصابه ما أصاب الحمامي في زوجته. فقال له الملك: وما أصاب الحمامي في زوجته؟

حكاية ولد الوزير وزوجة الحمّامي

فقال له الوزير: بلغني أيها الملك أن حمامياً كان يدخل عنده أكابر الناس ورؤساؤهم. فدخل عنده يوماً من الأيام شاب حسن الصورة من أولاد الوزراء، وذلك الشاب سمين ضخم الجسم فصار الحمامي واقفاً في خدمته. فلما تجرّد الشاب من ثيابه لم يرَ ذكره الحمامي لأنه غاب بين فخذيه من شدة السمن ولم يظهر منه إلاّ مثل البندقة. فصار الحمامي يتأسّف ويضرب يده على الأخرى. فلما رآه الشاب قال له: ما لك يا حمامي تتأسف؟ فقال له: يا سيدي، تأسفي عليك لأنك في حصر شديد مع أنك في هذه النعمة والحسن والجمال العظيم وليس معك شيء تتمتع به مثل الرجال. فقال له الشاب: صدقت فيما قلت، ولكن ذكرتني بشيء كنت غافلاً عنه فقال له الحمامي: وما هو؟ فقال له: تأخذ مني هذا الدينار وتحضر لي امرأة مليحة حتى أجرّب نفسي فيها. فأخذ الحمامي الدينار وسار إلى زوجته وقال لها: يا امرأتي، قد دخل عندي في الحمام شاب من أولاد الوزراء وهو كالبدر ليلة تمامه، وليس له ذكر مثل الرجال وما معه إلاّ شيء يسير مثل البندقة. وقد تأسفت على شبابه وإنه أعطاني هذا الدينار وسألني أن آتيه بامرأة يجرّب نفسه فيها وأنت أحقّ بالدينار، وما علينا في ذلك من بأس وأنا أستر عليك. فاقعدي معه ساعة تضحكين عليه وخذي هذا الدينار منه. فأخذت زوجة الحمامي منه ذلك الدينار. ثم إنها

قامت وتزينت ولبست أفخر ملبوسها، وكانت مليحة زمانها. ثم إنها خرجت مع زوجها إلى أن أدخلها على ابن الوزير في موضع خال. فلما حضرت عنده ورآته وجدته شاباً حسناً جميل المنظر كأنه البدر في كماله، فاندهشت من حسنه وجماله. ثم إن الشاب لما نظر إليها زهل عقله ولبّه من وقته ومكث هو وإياها وقفلا عليهما الباب. ثم إن الشاب أخذ تلك الصبية وضمّها إلى صدره وتعانقا فانتشر من ذلك الشاب ذكر مثل ذكر الحمار، وركب على صدر زوجة الحمامي ساعة طويلة وهي تبكي وتصرخ تحته وتهرج وتمرج. فصار الحمامي يناديها ويقول لها: يا أم محمد يكفيكي، أخرجي قد طال النهار على ابنك الرضيع. فيقول لها الشاب: أخرجي إلى ابنك وتعالي. فتقول له: إني خرجت من عندك طلعت روحي، ومن قبل ابني فأنا أتركه يموت من البكاء أو يتربى يتيماً بلا أم. وما زالت عند الشاب إلى أن قضى حاجته منها عشر مرات، وزوجها قدام الباب ينادي ويصيح ويبكي ويستغيث فلا يغاث. وما زال كذلك وهو يقول: قتلت نفسي. ولم يجد إلى زوجته وصولاً. واشتد بالحمامي البلاء والغيرة فطلع على أعلى الحمام وارتمى من فوقه فمات.

حكاية أمرأة جميلة والشاب والعجوز

وبلغني أيضاً أيها الملك من كيد النساء حكاية أخرى قال له الملك: وما بلغك؟ فقال له: بلغني أيها الملك أن امرأة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال ولم يكن لها نظير. فنظرها بعض الشباب الغاوين فتعلّق بها شاب وأحبها محبة عظيمة، وكانت تلك المرأة عفيفة عن الزنا وليس لها فيه رغبة. فاتفق أن زوجها سافر يوماً من الأيام إلى بعض البلاد، فصار الشاب كل يوم يرسل إليها مرات عديدة ولم تجبه. فقصد الشاب عجوزاً كانت ساكنة بالقرب فسلم عليها وقعد يشكو إليها ما أصابه من المحبة وما هو عليه من عشق المرأة. وأخبرها أن مراده وصالها. فقالت له العجوز: أنا أضمن لك ذلك ولا بأس عليك، وأنا أبلغك ما تريد إن شاء الله تعالى. فلما سمع الشاب كلامها دفع لها ديناراً ثم انصرف إلى حال سبيله. فلما أصبح الصباح دخلت العجوز على المرأة وجدّدت معها عهداً ومعرفة. وصارت العجوز تتردّد إليها في كل يوم وتتغدّى وتتعشّى عندها وتأخذ من عندها بعض الطعام إلى أولادها. وصارت تلك العجوز تلاعبها وتباسطها إلى أن أفسدت حالها وصارت لا تقدر على مفارقة العجوز ساعة واحدة. فاتفق في بعض الأيام أن العجوز وهي خارجة من عند المرأة كانت تأخذ خبزاً وتجعل فيه شحماً وفلفلاً وتطعمه إلى كلبة مدة أيام، فجعلت الكلبة تتبعها من أجل الشفقة والحسنة. فأخذت لها يوماً شيئاً كثيراً من الفلفل والشحم وأطعمته للكلبة، فلما أكلته صارت عيناها تدمع من حرارة الفلفل ثم تبعتها الكلبة وهي تبكي. فتعجبت منها الصبية غاية العجب ثم قالت للعجوز: يا أمي، ما سبب بكاء هذه الكلبة؟ فقالت لها: يا بنتي هذه لها حكاية عجيبة. فإنها كانت صبية وكانت صاحبتي ورفيقتي، وكانت صاحبة حسن وجمال وبهاء وكمال، وكان قد تعلق بها شاب في الحارة وزاد بها حبّاً وشغفاً حتى لزم الوسادة وأرسل إليها مرات عديدة لعلها ترق له وترحمه فأبت. فنصحتها وقلت لها: يا بنتي أطيعيه في جميع ما قاله وارحميه واشفقي عليه. فما قبلت نصيحتي. فلما قلّ صبر هذا الشاب شكى لبعض أصحابه فعملوا لها سحراً وقلبوا صورتها من صورة البشر إلى صورة الكلاب. فلما رأت ما حصل لها وما هي فيه من الأحوال وانقلاب

الصورة ولم تجد أحداً من المخلوقين يشفق عليها غيري ، جاءتني إلى منزلي وصارت تستعطف بي وتقبل يدي ورجلي وتبكي وتنتحب . فعرفتها وقلت لها : كثيراً ما قد نصحتك فلم يفدك نصحي شيئاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 585

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز صارت تحكي للمرأة خبر الكلبة وتعرفها عن حالها بمكر وخداع لأجل موافقتها لغرض تلك العجوز . وجعلت تقول لها : لما جاءتني هذه الكلبة المسحورة وبكت قلت لها : كم نصحتك . ولكن يا بنتي لما رأيتها في هذه الحالة شفقت عليها وأبقيتها عندي . فهي على هذه الحالة وكلما تتفكر حالتها الأولى تبكي على نفسها . فلما سمعت الصبية كلام العجوز حصل لها رعب كبير وقالت لها : يا أمي والله إنك خوفتيني بهذه الحكاية . فقالت لها العجوز : من أي شيء تخافين ؟ فقالت لها : إن شاباً مليحاً متعلقاً بحبي ، وارسل لي مرات وانا امتنع منه ، وأنا اليوم اخاف ان يحصل لي مثل ما حصل لهذه الكلبة . فقالت لها العجوز : إحذري يا بنتي ان تخالفي فإني اخاف عليك كثيراً ، وإذا كنت لم تعرفي محله اخبريني بصفته وانا أجيء به إليك ، ولا تخل قلب أحد يتغير عليك . فوصفته لها وجعلت تتغافل وتريها انها لم تعرفه وقالت لها : لما اقوم وانا اسأل عنه . فلما خرجت من عندها ذهبت إلى الشاب وقالت له : طب نفساً قد لعبت بعقل الصبية فأنت في غد وقت الظهر تحضر وتقف لي عند رأس الحارة حتى أجيء فآخذك واذهب بك إلى منزلها وتنبسط عندها بقية النهار وطول الليل . ففرح الشاب فرحاً شديداً واعطاها دينارين وقال لها : لما أقضي حاجتي أعطي لك عشرة دنانير . فرجعت إلى الصبية وقالت لها : عرفته وكلمته في شأن ذلك فرأيته غضباناً عليك كثيراً وعازماً على ضررك ، فما زلت أستعطف بخاطره على حضوره في غد عند آذان الظهر . ففرحت الصبية فرحاً شديداً وقالت لها : يا أمي ، إن طاب خاطره وجاءني وقت الظهر أعطيكي عشرة دنانير . فقالت لها العجوز : لا تعرفي حضوره إلاّ مني . فلما أصبح قالت لها العجوز : أحضري الغدا وتزيني والبسي أعز ما عندك حتى اذهب إليه واجيء به إليك . فقامت تزين نفسها وتهيء الطعام . وأما العجوز فإنها خرجت في انتظار الشاب فلم يأتِ ، فدارت تفتش عليه فلم تقف له على خبر . فقالت في نفسها : كيف العمل ؟ أيروح هذا الأكل الذي فعلته خسارة والوعد الذي وعدتني به من الدراهم ؟ ولكن لم أخل هذه الحيلة تروح بلا شيء بل أفتش لها على غيره وأجيء به إليها . فبينما هي كذلك تدور في الشارع إذ نظرت شاباً حسناً جميلاً على وجهه أثر السفر . فتقدمت إليه وسلمت عليه وقالت له : هل لك في طعام وشراب وصبية مهياة؟ فقال لها الرجل : وأين هذا؟ قالت : عندي في بيتي . فسار معها الرجل والعجوز وهي لا تعلم أنه زوج الصبية حتى وصلت إلى البيت ودقت الباب . ففتحت لها الصبية الباب فدخلت وهي تجري لتتهيأ بالملبوس والبخور ، فدخلته العجوز في قاعة الجلوس وهي في كيد عظيم . فلما دخلت المرأة عليه ووقع بصرها عليه والعجوز قاعدة عنده بادرت المرأة بالحيلة والمكيدة ودبرت لها أمراً في الوقت والساعة . ثم سحبت الخفّ من رجلها وقالت لزوجها : ما هكذا العهد الذي بيني وبينك؟ فكيف تخونني وتفعل معي هذا الفعل ؟ فإني لما سمعت بحضورك جربتك بهذه العجوز فأوقعتك فيما حذّرتك منه ، وقد تحققت أمرك وإنك نقضت

العهد الذي بيني وبينك . وكنت قبل الآن أظن أنك طاهر حتى شاهدتك بعيني مع هذه العجوز ، وأنك تتردّد على النساء الفاجرات . وصارت تضربه بالخفّ على رأسه وهو يتبرأ من ذلك ويحلف لها أنه ما خانها مدة عمره ولا فعل فعلاً مما اتهمته به . ولم يزل يحلف لها إيماناً بالله تعالى وهي تضربه وتبكي وتصرخ وتقول : تعالوا إليّ يا مسلمين . فيمسك فمها بيده وهي تعضه وصار متذلّلاً لها ويقبّل يديها ورجليها وهي لا ترضى عليه ولا تكف يدها عن صفعه . ثم إنها غمزت العجوز أن تمسك يدها عنه ، فجاءتها العجوز وصارت تقبل يديها ورجليها إلى أن أجلستهما . فلما جلسا جعل الزوج يقبل يد العجوز ويقول لها : جزاك الله تعالى كل خير حيث خلصتيني منها . فصارت العجوز تتعجب من حيلة المرأة وكيدها . وهذا أيها الملك من جملة مكر النساء وحيلهن وكيدهن . فلما سمعه الملك انتصح بحكايته ورجع عن قتل ولده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 586

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الرابع لما حكى الحكاية للملك رجع عن قتل ولده . فلما كان في اليوم الخامس دخلت الجارية على الملك وبيدها قدح فيه سمّ واستغاثت ولطمت خدّيها ووجهها وقالت له : أيها الملك ، إما أن تنصفني وتأخذ حقي من ولدك وإلاّ أشرب هذا القدح السمّ وأموت ويبقى ذنبي متعلّقاً بك إلى يوم القيامة . فإن وزراءك هؤلاء ينسبونني إلى الكيد والمكر وليس في الدنيا أمكر منهم . أما سمعت أيها الملك حديث الصائغ مع الجارية ؟ فقال لها الملك : ما جرى منهما يا جارية ؟

حكاية الصائغ والمغنية

فقالت له : بلغني أيها الملك السعيد انه كان رجل صائغ مولعاً بالنساء وشرب الخمر . فدخل يوماً من الأيام عند صديق له فنظر إلى حائط من حيطان بيته فرأى فيها صورة جارية منقوشة لم يرَ الراؤون أحسن ولا اجمل ولا اظرف منها . فأكثر الصائغ من النظر إليها وتعجب من حسن هذه الصورة ، ووقع حب هذه الصورة في قلبه إلى أن مرض وأشرف على الهلاك . فجاءه بعض أصدقائه يزوره ، فلما جلس عنده سأله عن حاله وما يشكو منه . فقال له : يا أخي ، إن مرضي كله وجميع ما أصابني من العشق . وذلك إني عشقت صورة منقوشة في حائط فلان أخي . فلامه ذلك الصديق وقال له : إن هذا من قلّة عقلك . فكيف تعشق صورة في حائط لا تضر ولا تنفع ولا تنظر ولا تسمع ولا تأخذ ولا تمنع ؟ فقال له : ما صورها المصور إلاّ على مثال امرأة جميلة . فقال له صديقه : لعل الذي صورها اخترعها من رأسه . فقال له : أنا في حبها ميت على كل حال . وإن كان لهذه الصورة شبيه في الدنيا فأنا أرجو الله تعالى أن يمدني بالحياة إلى أن أراه . فلما قام الحاضرون سألوا عن من صورها فوجدوه قد سافر إلى بلد من البلدان ، فكتبوا له كتاباً يشكون له فيه حال صاحبهم ويسألونه عن تلك الصورة ما سببها هل هو اخترعها من ذهنه أو رأى لها شبيهاً في الدنيا ؟ فأرسل إليهم : إني صورت هذه الصورة على شكل جارية مغنية لبعض الوزراء ، وهي بمدينة كشمير بإقليم الهند . فلما سمع الصائغ بالخبر وكان ببلاد الفرس ، تجهز وسار متوجهاً إلى بلاد الهند . فوصل إلى تلك المدينة من بعد جهد جهيد . فلما دخل تلك المدينة واستقر فيها ، ذهب يوماً من الأيام عند رجل عطّار من أهل تلك المدينة ، وكان ذلك العطّار

حاذقاً فطناً لبيباً . فسأله الصائغ عن ملكهم وسيرته . فقال له العطّار : أما ملكنا فعادل حسن السيرة محسن لأهل دولته منصف لرعيته وما يكره في الدنيا إلاّ السحرة . فإذا وقع في يده ساحراً وساحرة ألقاهما في خارج المدينة ويتركهما بالجوع إلى أن يموتا . ثم سأله عن وزرائه ، فذكر له سيرة كل وزير وما هو عليه إلى أن انجرّ الكلام إلى الجارية المغنية فقال له : عند الوزير الفلاني . فصبر بعد ذلك أياماً حتى أخذ في تدبير الحيلة . فلما كان في ليلة ذات مطر ورعد ورياح عاصفة ، ذهب الصائغ وأخذ معه عدة من اللصوص وتوجه دار الوزير سيد الجارية وعلق فيه السلم بكلاليب ثم طلع إلى أعلى القصر ، فلما وصل إليه نزل إلى ساحته فرأى جميع الجواري نائمات كل واحدة على سريرها ، ورأى سريراً من المرمر عليه جارية كأنها البدر إذا أشرق في ليلة أربعة عشر ، فقصدها وقعد عند رأسها وكشف الستر عنها ، فإذا عليها ستر من ذهب وعند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة كل شمعة منهما في شمعدان من الذهب الوهّاج وهاتان الشمعتان من العنبر ، وتحت الوسادة حِقّ من الفضة فيه جميع حليها وهو مغطى عند رأسها . فأخرج سكيناً وضرب بها كفل الجارية فجرحها جرحاً واضحاً ، فانتبهت فزعة مرعوبة . فلما رأته خافت من الصياح فسكتت وظنّت أنه يريد أخذ المال فقالت له : خذ الحِقّ والذي فيه وليس بقتلي نفع ، وأنا في جيرتك وفي حسبك . فتناول الرجل الحِقّ بما فيه وانصرف . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 587

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الصائغ حين طلع قصر الوزير ضرب الجارية على كفلها ، جرحها وأخذ الحِقّ الذي فيه حليها وانصرف . فلما أصبح الصباح لبس ثيابه وأخذ معه الحِقّ الذي فيه الحلي ودخل به على ملك تلك المدينة ثم قبّل الأرض بين يديه وقال له : أيها الملك إنني رجل ناصح لك وأنا من أرض خراسان ، وقد أتيت مهاجراً إلى حضرتك لما شاع من حسن سيرتك وعدلك في رعيتك ، فأردت أن أكون تحت لوائك . وقد وصلت إلى هذه المدينة آخر النهار فوجدت الباب مغلوقاً فنمت من خارجه . فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت أربع نسوة إحداهنّ راكبة مكنسة وإحداهنّ راكبة مروحة ، فعلمت أيها الملك أنهنّ سحرة يدخلن مدينتك . فدنت إحداهنّ مني ورفصتني برجلها وضربتني بذنب ثعلب كان في يدها ، فأوجعتني فأخذتني الحدّة من الضرب فضربتها بسكين كانت معي فأصابت كفلها وهي مولية شاردة . فلما جرحتها انهزمت قدّامي فوقع منها هذا الحِقّ بما فيه ، فأخذته وفتحته فرأيت فيه هذا الحلي النفيس . فخذه فليس لي به حاجة لأني رجل سائح في الجبال وقد رفضت الدنيا عن قلبي وزهدتها بما فيها وإني قاصد وجه الله تعالى . ثم ترك الحِقّ بين يدي الملك وانصرف . فلما خرج من عند الملك ، فتح الملك ذلك الحِقّ وأخرج جميع الحلي منه وصار يقلبه بيده فوجد فيه عقداً كان أنعم به على الوزير سيد الجارية ، فدعا الملك بالوزير . فلما حضر بين يديه قال له : هذا العقد الذي أهديته إليك . فلما رآه الوزير عرفه وقال للملك : نعم وأنا أهديته إلى جارية مغنية عندي . فقال له الملك : أحضر لي الجارية في هذه الساعة فأحضرها . فلما حضرت الجارية بين يدي الملك قال له : إكشف عن كفلها وانظر هل فيه جرح أم لا؟ فكشف الوزير عنه فرأى فيه جرح سكين . فقال الوزير للملك : نعم يا مولاي فيها الجرح . فقال الملك للوزير : هذه ساحرة

كما قال لي الرجل الزاهد بلا شك ولا ريب . ثم امر الملك بأن يجعلوها في جبّ السحرة . فأرسلوها إلى الجبّ في ذلك النهار . فلما جاء الليل وعرف الصائغ أن حيلته قد تمّت ، جاء إلى حارس الجبّ وبيده كيس فيه ألف دينار وجلس مع الحارس يتحدث إلى ثلث الليل الأول . ثم دخل مع الحارس في الكلام وقال له : أعلم يا أخي انّ هذه الجارية بريئة من هذه البلية التي ذكروها عنها وانا الذي أوقعتها . وقصّ عليه القصة من أولها إلى آخرها ثم قال له : يا أخي ، خذ هذا الكيس فإن فيه ألف دينار واعطني الجارية أسافر بها إلى بلادي ، فهذه الدنانير أنفع لك من حبس الجارية واغتنم اجرنا ونحن الإثنان ندعو لك بالخير والسلامة . فلما سمع حكايته تعجب غاية العجب من هذه الحيلة وكيف تمت . ثم اخذ الحارس الكيس بما فيه وتركها له وشرط عليه ان لا يقيم بها في هذه المدينة ساعة واحدة . فأخذها الصائغ من وقته وسار ، وجعل يجدّ في السير إلى ان وصل إلى بلاده وقد بلغ مراده . فانظر أيها الملك إلى كيد الرجال وحيلهم ووزرائك يردّونك عن اخذ حقي . وفي غد اقف انا وانت بين يدي حاكم عادل فيأخذ حقي منك أيها الملك . فلما سمع الملك كلامها أمر بقتل ولده . فدخل عليه الوزير الخامس وقبّل الأرض بين يديه ثم قال له : أيها الملك العظيم الشأن تمهّل ولا تعجل على قتل ولدك ، فرب عجلة أعقبت ندامة . وأخاف عليك ان تندم ندامة الرجل الذي لم يضحك بقية عمره . فقال له الملك : وكيف ذلك أيها الوزير ؟

حكاية الرجل الحزين

قال : بلغني أيها الملك انه كان رجل من ذوي البيوت والنعم وكان ذا مال وخدم وعبيد وأملاك ، فمات إلى رحمة الله تعالى وترك ولداً صغيراً . فلما كبر الولد اخذ في الأكل والشرب وسماع الطرب والأغاني وتكرم واعطى وانفق الأموال التي خلّفها له أبوه حتى ذهب المال جميعه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 588

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الولد لمّا اذهب المال الذي خلّفه له أبوه ولم يبقَ منه شيء ، رجع على بيع العبيد والجواري والأملاك وانفق جميع ما كان عنده من مال أبيه وغيره ، فافتقر حتى صار يشتغل مع الفعلة . فمكث على ذلك مدة سنة . فبينما هو جالس يوماً من الأيام تحت حائط ينتظر من يستأجره وإذا هو برجل حسن الوجه والثياب قد دنا من الشاب وسلم عليه . فقال له الولد : يا عم هل انت تعرفني قبل الآن ؟ فقال له : لم اعرفك يا ولدي أصلاً بل ارى آثار النعمة عليك وانت في هذه الحالة . فقال له : يا عم نفذ القضاء والقدر ، فهل لك يا عم يا صبيح الوجه من حاجة تستخدمني فيها ؟ فقال له : يا ولدي اريد ان أستخدمك في شيء يسير . قال له الشاب : وما هو يا عم ؟ فقال له : عندي عشرة من الشيوخ في دار واحدة وليس عندنا من يقضي حاجتنا ولك عندنا من المأكل والملبس ما يكفيك ، فتقوم بخدمتنا ولك عندنا ما يصل إليك من الخير والدراهم ، ولعل يرد الله عليك نعمتك بسببنا . فقال له الشاب : سمعاً وطاعةً . ثم قال له الشيخ : لي عليك شرط . فقال له الشاب : وما هو شرطك يا عم ؟ قال له : يا ولدي ان تكون كاتماً لسرّنا فيما ترانا عليه ، وإذا رأيتنا نبكي فلا تسألنا عن سبب بكائنا . فقال له الشاب : نعم يا عم . فقال له الشيخ : يا ولدي ، سرّ بنا على بركة الله تعالى . فقام

الشاب خلف الشيخ إلى ان أوصله إلى الحمام فأدخله فيه وأزال عن بدنه ما عليه من القشف . ثم أرسل الشيخ رجلاً فأتى له بحلة حسنة من القماش فألبسه إيّاها ومضى به إلى منزله عند جماعته . فلما دخل الشاب وجدها داراً عالية البنيان مشيّدة الأركان واسعة بمجالس متقابلة وقاعات ، في كل قاعة فسقية من الماء عليها طيور تغرّد وشبابيك تطل من كل جهة على بستان حسن في تلك الدار . فادخله الشيخ في أحد المجالس فوجده منقوشاً بالرخام الملوّن ، ووجد سقفه منقوشاً باللازورد والذهب الوهّاج ، وهو مفروش ببسط الحرير ، ووجد فيه عشرة من الشيوخ قاعدين متقابلين وهم لابسون ثياب الحزن يبكون وينتحبون . فتعجب الشاب من أمرهم وهمّ ان يسأل الشيخ فتذكّر الشرط فمنع لسانه . ثم إن الشيخ سلّم إلى الشاب صندوقاً فيه ثلاثون الف دينار وقال له : يا ولدي ، انفق علينا من هذا الصندوق وعلى نفسك بالمعروف وانت أمين ، واحفظ ما استودعتك فيه . فقال الشاب : سمعاً وطاعةً . ولم يزل الشاب ينفق عليهم مدة أيام وليالٍ ، ثم مات واحد منهم فاخذه أصحابه وغسلوه وكفنوه ودفنوه في روضة خلف الدار . ولم يزل الموت يأخذ منهم واحداً بعد واحد إلى ان بقي الشيخ الذي استخدم الشاب ، فاستمرّ هو والشاب في تلك الدار وليس معهما ثالث وأقاما على ذلك مدة من السنين . ثم مرض الشيخ ، فلما يئس الشاب من حياته اقبل عليه وتوجع له ثم قال له : يا عم ، انا خدمتكم ولا كنت أقصّر في خدمتكم ساعة واحدة مدة اثني عشر سنة ، وإنما أنصح لكم وأخدمكم بجهدي وطاقتي . فقال له الشيخ : نعم يا ولدي خدمتنا إلى ان توفيت هذه المشايخ إلى الله عزّ وجل ، ولا بد لنا من الموت . فقال الشاب : يا سيدي ، أنت على خطر وأريد منك أن تعلمني ما سبب بكائكم ودوام انتحابكم وحزنكم وتحسّركم ؟ فقال له : يا ولدي ، ما لك بذلك من حاجة ولا تكلفني ما لا أطيق ، فإني سألت الله تعالى ان لا يبلي أحداً ببليتي . فإن أردت أن تسلم مما وقعنا فيه فلا تفتح ذلك الباب ، وأشار إليه بيده وحذّره منه . وإن أردت أن يصيبك ما أصابنا فافتحه فإنك تعلم سبب ما رأيت منا لكونك تندم حيث لا ينفعك الندم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 589

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ الذي بقي من العشرة قال للشاب : إحذر أن تفتح هذا الباب فتندم حيث لا ينفعك الندم . ثم تزايدت العلة على الشيخ فمات ، فغسله الشاب بيده وكفنه ودفنه عند أصحابه . وقعد الشاب في ذلك الموضع وهو مختوم على ما فيه ، وهو مع ذلك قلق متفكر فيما كان فيه الشيوخ . فبينما هو يتفكّر يوماً من الأيام في كلام الشيخ ووصيته له بعدم فتح الباب إذ خطر بباله أنه ينظر إليه ، فقام إلى تلك الجهة وفتش حتى رأى باباً لطيفاً قد عشش عليه العنكبوت وعليه أربعة أقفال من البولاد . فلما نظره تذكر ما حذّره منه الشيخ فانصرف عنه ، وصارت نفسه تراوده على فتح الباب وهو يمنعها مدة سبعة أيام . وفي اليوم الثامن غلبت عليه نفسه وقال : لا بد أن أفتح ذلك الباب وأنظر أي شيء يجري عليّ منه ، فإن قضاء الله تعالى وقدره لا يردّه شيء ولا يكون أمر من الأمور إلاّ بإرادته . فنهض وفتح الباب بعد أن كسر الأقفال . فلما فتح الباب رأى دهليزاً ضيّقاً ، فجعل يمشي فيه مقدار ثلاث ساعات ، وإذا به قد خرج على شاطىء نهر عظيم . فتعجب الشاب من ذلك ، فصار

يمشي على ذلك الشاطىء وينظر يميناً وشمالاً، وإذا بعقاب كبير قد نزل من الجو فحمل ذلك الشاب في مخالبه وطار به بين السماء والأرض إلى ان اتى به إلى جزيرة في وسط البحر فالقاه فيها وانصرف عنه العقاب، فصار الشاب متحيّراً في أمره لا يدري أين يذهب. فبينما هو جالس يوماً من الأيام وإذا بقلع مركب قد لاح له في البحر كالنجمة في السماء، فتعلق خاطر الشاب بالمركب لعل نجاته تكون فيها وصار ينظر إليها حتى وصلت إلى قربه. فلما وصلت رأى زورقاً من العاج والأبنوس ومجاديفه من الصندل والعود وهو مصفح جميعه بالذهب الوهّاج وفيه عشرة من الجواري الأبكار كأنهن الأقمار. فلما نظره الجواري طلعن إليه من الزورق وقبّلنَ يديه وقلنَ له: انت الملك العريس. ثم تقدّمت إليه جارية وهي كالشمس الضاحية في السماء الصاحية، وفي يدها منديل حرير فيه خلعة ملوكية وتاج من الذهب مرصّع بأنواع اليواقيت. فتقدّمت إليه والبسته وتوّجته وحملنه على الأيدي إلى ذلك الزورق فوجد فيه انواعاً من بسط الحرير الملوّن. ثم نشرت القلوع وسِرْنَ في لجج البحر. قال الشاب: فلما سرت معهنّ اعتقدت ان هذا منام ولا ادري أين يذهبنَ بي. فلما أشرفن على البر، رأيت البر قد امتلأ بعساكر لا يعلم عدتهم إلاّ الله سبحانه وتعالى وهم متدرعون. ثم قدموا إليّ خمسة من الخيل المسومة بسروج من ذهب مرصّعة بأنواع اللآلىء والفصوص الثمينة. فأخذت منها فرساً فركبته والأربعة سارت معي. ولما ركبت انعقدت على راسي الرايات والاعلام ودقّت الطبول وضربت الكاسات، ثم ترتبت العساكر ميمنة وميسرة وسرت أتردّد: هل أنا نائم أم يقظان؟ ولم ازل سائراً ولا اصدق بما انا فيه من الموكب بل اظن انه اضغاث احلام حتى اشرفنا على مرج اخضر فيه قصور وبساتين وأشجار وانهار وأزهار وأطيار تسبّح الله الواحد القهّار. فبينما هم كذلك، وإذا بعسكر قد برز من بين تلك القصور والبساتين مثل السيل إذا انحدر إلى ان ملأ ذلك المرج. فلما دنوا مني وقفت تلك العساكر، وإذا بملك منهم قد تقدم بمفرده راكب بين يديه بعض خواصه مشاة. فلما قرب الملك من الشاب نزل عن جواده، فلما رأى الملك نزل عن جواده نزل الآخر ثم سلما على بعضهما احسن سلام، ثم ركبوا خيولهم. فقال الملك للشاب: سرّ بنا فإنك ضيفي. فسار معه الشاب وهم يتحدثون والمواكب مرتبة وهي تسير بين أيديهما إلى قصر الملك، ثم نزلوا ودخلوا القصر جميعاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 590

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك لما أخذ الشاب وسار هو وإيّاه بالموكب حتى دخلا في القصر، ويد الشاب في يد الملك. ثم أجلسه على كرسي من الذهب وجلس عنده. فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه وإذا هو جارية كالشمس الضاحية في السماء الصاحية، حسن وجمال وبهاء وكمال وعجب ودلال. فنظر الشاب إلى نعمة عظيمة وسعادة جسيمة، وصار الشاب متعجّباً من حسنها وجمالها. ثم قالت له: أعلم أيها الملك اني ملكة هذه الأرض، وكل هذه العساكر التي رأيتها وجميع من رأيته منهم من فارس أو راجل فهنّ نساء ليس فيهنّ رجال، والرجال عندنا في هذه الأرض يحرثون ويزرعون ويحصدون ويشتغلون بعمارة الأرض وعمارة البلاد ومصالح الناس من سائر الصناعات. وأما النساء فهنّ الحكام وأرباب المناصب والعساكر. فتعجب الشاب من ذلك غاية العجب. فبينما هم كذلك

وإذا بالوزير قد دخل ، وإذا هي عجوز شمطاء وهي محتشمة ذات هيبة ووقار . فقالت لها الملكة : أحضري لنا القاضي والشهود . فمضت العجوز لذلك ثم عطفت الملكة على الشاب تنادمه وتؤانسه وتزيل وحشته بكلام لطيف . ثم أقبلت عليه وقالت : أترضى ان أكون زوجة ؟ فقام وقبّل الأرض بين يديها فمنعته . فقال لها : يا سيدتي ، أنا أقلّ من الخدم الذي يخدمونك . فقالت له : أما ترى جميع ما نظرته من الخدم والعساكر والمال والخزائن والذخائر ؟ فقال لها : نعم . فقالت له : جميع ذلك بين يديك تتصرف فيه بحيث تعطي وتهب ما بدا لك . ثم إنها أشارت إلى باب مغلق وقالت له : جميع ذلك تتصرف فيه إلاّ هذا الباب فلا تفتحه ، وإذا فتحته تندم حيث لا ينفعك الندم . فما استتم كلامها إلاّ والوزيرة والقاضي والشهود معها . فلما حضروا وكلهنّ عجائز ناشرات الشعر على أكتافهنّ وعليهنّ هيبة ووقار . قال : فلما حضرنَ بين يدي الملكة ، أمرتهنّ أن يعقدن العقد بالتزويج ، فزوّجنها الشاب وعملت الولائم وجمعت العساكر . فلما أكلوا وشربوا دخل عليها ذلك الشاب فوجدها بكراً عذراء ، فأزال بكارتها وأقام معها سبعة أعوام في الذّ عيش وأرغده وأهناه وأطيبه . فتذكّر ذات يوم من الأيام فتح الباب وقال : لولا أن يكون فيه ذخائر جليلة مما رأيت ، ما منعتني عنه . ثم قام وفتح الباب ، وإذا داخله الطائر الذي حمله من ساحل البحر وحطّه في الجزيرة . فلما نظر ذلك الطائر قال له : لا مرحباً بوجه لا يفلح أبداً . فلما نظره وسمع كلامه هرب منه ، فتبعه وخطفه بين السماء والأرض مسافة ساعة وحطّه في المكان الذي خطفه منه ثم غاب عنه ، فجلس مكانه ثم تراجع إلى عقله وتذكر ما نظره قبل ذلك من النعمة والعزّ والكرامة وركوب العسكر أمامه والأمر والنهي فجعل يبكي وينتحب . ثم أقام على ساحل البحر الذي وضعه فيه ذلك الطائر مدة شهرين وهو يتمنّى أن يعود إلى زوجته . فبينما هو ذات ليلة من الليالي سهران حزين متفكر وإذا بقائل يقول وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو ينادي : ما أعظم اللذّات ، هيهات هيهات أن يرجع إليك ما فات . فأكثر الحسرات . فلما سمعه ذلك الشاب يئس من لقاء تلك الملكة ومن رجوع النعمة التي كان فيها إليه . ثم دخل الدار التي فيها المشايخ وعلم أنهم قد جرى لهم مثل ما جرى له وهذا الذي كان سبب بكائهم وحزنهم فعذرهم بعد ذلك . ثم إن الشاب أخذه الحزن والهمّ ودخل ذلك المجلس ، وما زال يبكي وينوح وترك المأكل والمشرب والروائح الطيبة والضحك إلى أن مات ودفنوه بجانب المشايخ . فاعلم أيها الملك أن العجلة ليست محمودة وإنما هي ترث الندامة . وقد نصحتك بهذه النصيحة . فلما سمع الملك ذلك الكلام ، اتّعظ به وانتصح ورجع عن قتل ولده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 591

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما سمع حكاية الوزير رجع عن قتل ولده . فلما كان في اليوم السادس دخلت الجارية على الملك وفي يدها سكين مسلولة وقالت : أعلم يا سيدي أنك إن لم تقبل شكايتي وترعَ حقك وحرمتك فيمن تعدّى عليّ ، وهم وزراؤك الذين يزعمون أن النساء صاحبات حيل ومكر وخديعة ، ويقصدون بذلك ضيع حقي وإهمال الملك النظر في حقي ، وها أنا أحقق بين يديك أن الرجال أمكر من النساء بحكاية ابن ملك من الملوك حيث خلا بزوجة تاجر . فقال لها الملك : وأي شيء جرى له معها ؟

فقالت : بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار غيوراً ، وكان عنده زوجة ذات حسن وجمال . فمن كثرة خوفه وغيرته عليها لم يسكن بها في المدائن وإنما عمل لها خارج المدينة قصراً منفرداً وحده عن البنيان ، وقد أعلى بنيانه وشيّد أركانه وحصّن أبوابه وأحكم أقفاله . فإذا أراد الذهاب إلى المدينة قفل الأبواب وأخذ مفاتيحها معه وعلّقها في رقبته . فبينما هو يوماً من الأيام في المدينة إذ خرج ابن ملك تلك المدينة يتنزّه خارجها ويتفرّج على الفضاء ، فنظر ذلك الخلاء وصار يتأمّل فيه زماناً طويلاً ، فلاح لعينه ذلك القصر فنظر فيه جارية عظيمة تطل من بعض طيقان القصر . فلما نظرها صار متحيّراً في حسنها وجمالها ويريد الوصول إليها فلم يمكنه ذلك . فدعا بغلام من غلمانه فأتاه بدواة وورقة وكتب فيها شرح حاله من المحبة وجعلها في سنان نشابة ثم رمى النشابة داخل القصر فنزلت عليها وهي تمشي في بستان . فقالت لجارية من جواريها : أسرعي إلى هذه الورقة وناولينيها ، وكانت تقرأ الخط . فلما قرأتها وعرفت ما ذكر لها من الذي أصابه من المحبة والشوق والغرام ، كتبت له جواب ورقته وذكرت له أنه قد وقع عندها من المحبة أكثر مما عنده . ثم طلّت له من طاقة القصر فرآته ، فألقت إليه الجواب واشتد بها الشوق . فلما نظر إليها جاء تحت القصر وقال لها : إرمي من عندك خيطاً لأربط فيه هذا المفتاح حتى تأخذيه عندك . فرمت له خيطاً وربط فيه المفتاح ثم انصرف إلى وزرائه فشكا إليهم محبة تلك الجارية وإنه قد عجز عن الصبر عنها . فقال له بعضهم : وما التدبير الذي تأمرني به ؟ فقال له ابن الملك : أريد منك أن تجعلني في صندوق وتودعه عند هذا التاجر في قصره ، وتجعل أن ذلك الصندوق لك حتى أبلغ أربي من تلك الجارية مدة أيام ثم تسترجع ذلك الصندوق . فقال له الوزير : حبّاً وكرامةً . ثم إن ابن الملك لما توجه إلى منزله جعل نفسه داخل صندوق كان عنده وأغلق الوزير عليه وأتى به إلى قصر التاجر . فلما حضر التاجر بين يدي الوزير قبّل يديه . ثم قال له التاجر : لعلّ لمولانا الوزير خدمة أو حاجة نفوز بقضائها . فقال له الوزير : أريد منك أن تجعل هذا الصندوق في أعز مكان عندك . فقال التاجر للحمّالين : إحملوه . ثم أدخله التاجر في القصر ووضعه في خزانة عنده ثم بعد ذلك خرج إلى بعض أشغاله . فقامت الجارية إلى الصندوق وفتحته بالمفتاح الذي معها فخرج منه شاب مثل القمر . فلما رأته لبست أحسن ملبوسها وذهبت به إلى قاعة الجلوس وقعدت معه في أكل وشرب مدة سبعة أيام ، وكلما يحضر زوجها تجعله في الصندوق وتقفل عليه . فلما كان في بعض الأيام سأل الملك عن ولده ، فخرج الوزير مسرعاً إلى منزل التاجر وطلب منه الصندوق . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 592

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير لما حضر إلى منزل التاجر لطلب الصندوق ، جاء إلى قصره على خلاف العادة وهو مستعجل وطرق الباب . فحسّت به الجارية فأخذت ابن الملك وأدخلته في الصندوق وذهلت عن قفله . فلما وصل التاجر إلى المنزل هو والحمّالون ، حملوا الصندوق من غطائه فانفتح ، فنظروا فيه فإذا فيه ابن الملك راقداً . فلما رآه التاجر وعرفه خرج إلى الوزير وقال له : أدخل أنت وخذ ابن الملك فلا يستطيع أحد منا

ان يمسكه . فدخل الوزير واخذه ثم انصرفوا جميعاً . فلما انصرفوا طلّق التاجر الجارية واقسم على نفسه ان لا يتزوج ابداً .

حكاية الغلام ولغة الطير

وبلغني أيضاً أيها الملك أن رجلاً من الظرفاء دخل السوق فوجد غلاماً ينادى عليه للبيع . فاشتراه وجاء به إلى منزله وقال لزوجته : استوصي به . فأقام الغلام مدة من الزمان . فلما كان في بعض الأيام قال الرجل لزوجته : أخرجي غداً إلى البستان وتفرّجي وتنزّهي وانشرحي . فقالت : حبّاً وكرامةً . فلما سمع الغلام ذلك عمد إلى طعام وجهّزه في تلك الليلة ، وإلى شراب ونقل وفاكهة ثم توجه إلى البستان وجعل ذلك الطعام تحت شجرة ، وجعل ذلك الشراب تحت شجرة ، والفواكه والنقل تحت شجرة في طريق زوجة سيده . فلما أصبح الصباح امر الرجل الغلام ان يتوجه مع سيدته إلى ذلك البستان ، وامر بما يحتاجون إليه من المآكل والمشرب والفواكه . ثم طلعت الجارية وركبت فرساً والغلام معها حتى وصلوا إلى ذلك البستان . فلما دخلوا انعق غراب فقال له الغلام : صدقت . فقالت له سيدته : هل أنت عرفت ما يقول الغراب ؟ فقال لها : نعم يا سيدتي . قالت له : فما يقول ؟ قال لها : يا سيدتي يقول : إن تحت هذه الشجرة طعام تعالوا كلوه . فقالت له : أراك تعرف لغات الطير . فقال لها : نعم . فتقدمت الجارية إلى تلك الشجرة فوجدت طعاماً مجهّزاً . فلما أكلوه تعجّبت منه غاية العجب واعتقدت أنه يعرف لغات الطير . فلما أكلوا ذلك الطعام تفرّجوا في البستان فنعق الغراب فقال له الغلام : صدقت . فقالت له سيدته : أي شيء يقول ؟ قال : يا سيدتي يقول : إن تحت الشجرة الفلانية كوز ماء ممسك وخمراً عتيقاً . فذهبت هي وإيّاه فوجدا ذلك ، فتزايد عجبها وعظم الغلام عندها فقعدت مع الغلام يشربان . فلما شربا مشيا في ناحية البستان فنعق الغراب فقال له الغلام : صدقت . فقالت له سيدته : أي شيء يقول هذا الغراب ؟ قال : يقول : إن تحت الشجرة الفلانية فواكه ونقلاً . فذهبا إلى تلك الشجرة فوجدا ذلك ، فأكلا من تلك الفواكه والنقل . ثم مشيا في البستان فنعق الغراب فأخذ الغلام حجراً ورماه به . فقالت : ما لك تضربه ؟ وما الذي قاله ؟ قال : يا سيدتي إنه يقول كلاماً ما أقدر أن أقوله لك . قالت : قل ولا تستحي مني أنا ما بيني وبينك شيء . فصار يقول لا . وهي تقول قل . ثم أقسمت عليه فقال لها : إنه يقول لي : إفعل بسيدتك مثل ما يفعل بها زوجها . فلما سمعت كلامه ضحكت حتى استلقت على قفاها ثم قالت له : حاجة هيّنة لا اقدر ان اخالفك فيها . ثم توجهت نحو شجرة من الأشجار وفرشت تحتها الفرش ونادته ليقضي لها حاجتها ، وإذا بسيده خلفه ينظر إليه . فناداه وقال له : يا غلام ، مال سيدتك راقدة هنا تبكي ؟ فقال : يا سيدي وقعت من فوق شجرة فماتت وما ردّها عليك إلاّ الله سبحانه وتعالى ، فرقدت هاهنا ساعة لتستريح . فلما رأت الجارية زوجها فوق رأسها قامت وهي متمرضة تتوجع وتقول : آه يا ظهري ، يا جنبي ، تعالوا إليّ يا أحبابي ما بقيت أعيش . فصار زوجها مبهوتاً ثم نادى الغلام وقال له : هات لسيدتك الفرس وركّبها . فلما ركبت أخذ الزوج بركابها والغلام بركابها الثاني ويقول لها : الله يعافيك ويشفيك . وهذا أيها الملك من جملة حيل الرجال ومكرهم . فلا يردّك وزراؤك عن نصرتي والأخذ بحقي ثم بكت . فلما رأى الملك بكاءها وهي عنده أعزّ جواريه ، أمر بقتل ولده . فدخل عليه الوزير السادس وقبّل الأرض بين يديه وقال له : أعز الله تعالى الملك ، إني

ناصحك ومشير عليك بالتمهّل في أمر ولدك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام .

فلما كانت الليلة 593 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير السادس قال له : أيها الملك تمهّل في أمر ولدك فإن الباطل كالدخان والحقّ مشيد الأركان ونور الحق يذهب ظلام الباطل . واعلم ان مكر النساء عظيم . وقد قال الله في كتابه العزيز : إنّ كيدهن عظيم . وقد بلغني حديث امرأة فعلت مع أرباب الدولة مكيدة ما سبقها بمثلها أحد قط . فقال الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية امرأة والمعجبين الخمس

قال الوزير : بلغني أيها الملك ان امرأة من بنات التجار كان لها زوج كثير الأسفار . فسافر زوجها إلى بلاد بعيدة وأطال الغيبة ، فزاد عليها الحال فعشقت غلاماً ظريفاً من أولاد التجار وكانت تحبه ويحبها محبة عظيمة . ففي بعض الأيام تنازع الغلام مع رجل فشكاه الرجل إلى والي تلك البلد فسجنه ، فبلغ خبره زوجة التاجر معشوقته فطار عقلها عليه . فقامت ولبست افخر ملبوسها ومضت إلى منزل الوالي فسلّمت عليه ودفعت له ورقة تذكر فيها ان الذي سجنته وحبسته هو أخي فلان الذي تنازع مع فلان ، والجماعة الذين شهدوا عليه قد شهدوا باطلاً ، وقد سجن في سجنك وهو مظلوم ، وليس عندي من يدخل عليّ ويقوم بحالي غيره ، وأسأل من فضل مولانا إطلاقه من السجن . فلما قرأ الوالي الورقة نظر إليها فعشقها وقال لها : ادخلي المنزل حتى أحضره بين يدي ثم أرسل إليك فتأخذينه . فقالت له : يا مولانا ، ليس لي أحد إلاّ الله تعالى وأنا امرأة غريبة لا أقدر على دخول منزل أحد . فقال لها الوالي : لا أطلقه لك حتى تدخلي المنزل وأقضي حاجتي منك . فقالت له : إن أردت ذلك فلا بد أن تحضر عندي في منزلي وتقعد وتنام وتستريح نهارك كله . فقال لها : وأين منزلك ؟ فقالت له : في الموضع الفلاني . ثم خرجت من عنده وقد اشتغل قلب الوالي . فلما خرجت دخلت على قاضي البلد وقالت له : يا سيدنا القاضي . قال لها : نعم . قالت له : أنظر في أمري وأجرك على الله . فقال لها : من ظلمك ؟ قالت له : يا سيدي ، لي أخ وليس لي أحد غيره ، وهو الذي كلّفني الخروج إليك لأن الوالي قد سجنه وشهدوا عليه بالباطل إنه ظالم ، وإنما أطلب منك أن تشفع لي فيه عند الوالي . فلما نظرها القاضي عشقها فقال : لها أدخلي المنزل عند الجواري واستريحي معنا ساعة ونحن نرسل إلى الوالي أن يطلق أخاك ، ولو كنا نعرف الدراهم التي عليه كنا دفعناها من عندنا لأجل قضاء حاجتنا لأنك أعجبتينا من حسن كلامك . فقالت له : إذا كنت أنت يا مولانا تفعل ذلك فما نلوم الغير . فقال لها القاضي : إن لم تدخلي منزلنا فاخرجي إلى حال سبيلك . فقالت له : إن أردت ذلك يا مولانا فيكون عندي في منزلي أستر وأحسن من منزلك ، فإن فيه الجواري والخدم والداخل والخارج وأنا امرأة ما أعرف شيئاً من هذا الأمر لكن الضرورة تحوج . فقال لها القاضي : وأين منزلك ؟ فقالت له : في الموضع الفلاني . وواعدته على اليوم الذي واعدت فيه الوالي . ثم خرجت من عند القاضي إلى منزل الوزير فرفعت إليه قصتها وشكت إليه ضرورة أخيها وإنه سجنه الوالي . فراودها الوزير عن نفسها وقال لها : نقضي حاجة منك ونطلق لك أخاك . فقالت له : إن أردت ذلك فيكون عندي في منزلي فإنه أستر لي ولك لأن المنزل ليس بعيداً وأنت تعرف ما نحتاج إليه من النظافة والظرافة . فقال لها الوزير : وأين منزلك ؟ فقالت له : في

الموضع الفلاني . وواعدته على ذلك اليوم . ثم خرجت من عنده إلى ملك تلك المدينة ورفعت إليه قصتها وسألته إطلاق أخيها . فقال لها : مَنْ حبسه ؟ قالت له : حبسه الوالي . فلما سمع الملك كلامها رشقته بسهام العشق في قلبه فأمرها أن تدخل معه القصر حتى يرسل إلى الوالي ويخلّص أخاها . فقالت له : أيها الملك ، هذا أمر يسهل عليك إما باختياري وإما قهراً عني . فإن كان الملك أراد ذلك مني فإنه من سعد حظي ولكن إذا جاء إلى منزلي يشرّفني بنقل خطواته الكرام كما قال الشاعر : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ هَلْ أَبْصَرْتُما أَو سَمِعْتُما زِيارَةَ مَنْ جَلَّتْ مَكارِمُهُ عِنْدِي

فقال لها الملك : لا نخالف لك أمراً . فواعدته باليوم الذي واعدت فيه غيره وعرفته منزلها .
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 594

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المرأة لما أجابت الملك عرّفته منزلها وواعدته على ذلك اليوم الذي واعدت فيه الوالي والقاضي والوزير . ثم خرجت من عنده فجاءت إلى رجل نجار وقالت له : أريد منك أن تصنع لي خزانة بأربع طبقات بعضها فوق بعض ، كل طبقة بباب يقفل عليها ، وأخبرني بقدر أجرتك فأعطيكه . فقال لها : أربعة دنانير وإن أنعمت عليّ أيها السيدة المصونة بالوصال فهو الذي أريد ولا آخذ منك شيئاً . فقالت له : إن كان لا بد من ذلك فاعمل لي خمس طبقات بأقفالها . فقال لها : حبّاً وكرامةً . وواعدته أن يحضر لها بالخزانة في ذلك اليوم بعينه . فقال لها النجار : يا سيدتي ، اقعدي حتى تأخذي حاجتك في هذه الساعة وأنا بعد ذلك أجيء على مهلي . فقعدت عنده حتى عمل لها الخزانة بخمس طبقات وانصرفت إلى منزلها فوضعتها في المحل الذي فيه الجلوس . ثم إنها أخذت أربعة ثياب وحملتها إلى الصباغ فصبغ كل ثوب لوناً ، وكل لون خلاف الآخر . وأقبلت على تجهيز المأكول والمشروب والمشموم والفواكه والطيب . فلما جاء يوم الميعاد لبست أفخر ملبوسها وتزينت وتطيبت . ثم فرشت المجلس بأنواع البسط الفاخرة وقعدت تنتظر من يأتي وإذا بالقاضي قد دخل عليها قبل الجماعة . فلما رآته قامت واقفة على قدميها وقبّلت الأرض بين يديه وأخذته وأجلسته على ذلك الفرش ونامت معه ولاعبته ، فأراد منها قضاء الحاجة . فقالت له : يا سيدي إخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى نحضر بالمأكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك . فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع ، وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها القاضي : من هذا الذي يطرق الباب ؟ فقالت له : هذا زوجي . فقال لها : وكيف العمل ؟ وأين أروح أنا ؟ فقالت له : لا تخف فإني أدخلك هذه الخزانة . فقال لها : إفعلي ما بدا لك . فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة السفلى وقفلت عليه . ثم إنها خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوالي . فلما رآته قبّلت الأرض بين يديه وأخذته بيدها وأجلسته على ذلك الفراش وقالت له : يا سيدي ، إن الموضع موضعك والمحل محلك وأنا جاريتك ومن بعض خدامك وأنت تقيم هذا النهار كله عندي ، فاخلع ما عليك من الملبوس والبس هذا الثوب

الأحمر فإنه ثوب النوم ، وقد جعلت على راسه خلفاً من خرقة كانت عندها . فلما اخذت ثيابه أتت إليه في الفراش ولاعبته ولاعبها ، فلما مدّ يده إليها . قالت له : يا مولانا هذا النهار نهارك وما أحد يشاركك فيه ، لكن من فضلك وإحسانك تكتب لي ورقة بإطلاق اخي من السجن حتى يطمئن خاطري . فقال لها : السمع والطاعة على الرأس والعين . وكتب كتاباً إلى خازنداره يقول له فيه : ساعة وصول هذه المكاتبة إليك تطلق فلاناً من غير إمهال ولا إهمال ولا تراجع حاملها بكلمة . ثم ختمها وأخذتها منه . ثم اقبلت تلاعبه على الفراش وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها : من هذا؟ قالت : زوجي . قال : كيف أعمل ؟ فقالت له : أدخل هذه الخزانة حتى أصرفه وأعود إليك . فأخذته وأدخلته في الطبقة الثانية وقفلت عليه . كل هذا والقاضي يسمع كلامهما . ثم خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوزير قد أقبل . فلما رأته قبّلت الأرض بين يديه وتلقته وخدمته وقالت له : يا سيدي ، لقد شرّفتنا بقدومك في منزلنا يا مولانا فلا أعدمنا الله هذه الطلعة . ثم أجلسته على الفراش وقالت له : إخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة . فخلع ما كان عليه والبسته غلالة زرقاء وطرطوراً أحمر وقالت له : يا مولانا ، أما هذه ثياب الوزارة فخلها لوقتها ، وأما في هذه الساعة فهذه ثياب المنادمة والبسط والنوم . فلما لبسها الوزير لاعبته على الفراش ولاعبها وهو يريد قضاء الحاجة وهي تمنعه وتقول له : يا سيدي ، هذا ما يفوتنا . فبينما هم في الكلام وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها : من هذا؟ فقالت له : زوجي . فقال لها : كيف التدبير ؟ فقالت له : قم وادخل هذه الخزانة حتى أصرف زوجي وأعود إليك ولا تخف . ثم إنها أدخلته الطبقة الثالثة وقفلت عليه ، وخرجت ففتحت الباب وإذا هو الملك قد دخل . فلما رأته قبّلت الأرض بين يديه وأخذت بيده وأدخلته في صدر المكان وأجلسته على الفراش وقالت : شرفّتنا أيها الملك ، ولو قدمنا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك إلينا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 595

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما دخل دار المرأة قالت له : لو أهدينا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك إلينا . فلما جلس على الفراش قالت له : أعطني إذناً حتى أكلمك كلمة واحدة . فقال لها : تكلّمي مهما شئت . فقالت له : إسترح يا سيدي واخلع ثيابك وعمامتك ، وكانت ثيابه في ذلك الوقت تساوي ألف دينار . فلما خلعها ألبسته ثوباً خلقاً قيمته عشرة دراهم بلا زيادة واقبلت تؤانسه وتلاعبه . هذا كله والجماعة التي في الخزانة يسمعون ما يحصل منهما ولا يقدر أحد أن يتكلم . فلما مدّ الملك يده إلى عنقها وأراد أن يقضي حاجته منها قالت له : هذا الأمر لا يفوتنا وقد كنت قبل الآن وعدت خدمتك بهذا المجلس فلك عندي ما يسرك . فبينما هما يتحدثان وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها : من هذا؟ قالت له : زوجي . فقال لها : إصرفيه عنا كرماً منه وإلاّ أطلع إليه اصرفه قهراً . فقالت له : لا يكون ذلك يا مولانا بل إصبر حتى أصرفه بحسن معرفتي . فقال لها : وكيف افعل أنا؟ فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة الرابعة وقفلت عليه ثم خرجت إلى الباب ففتحته وإذا هو النجار . فلما دخل سلّم عليها . فقالت له : أي شيء هذه الخزائن التي عملتها؟ فقال لها : ما لها يا سيدتي . فقالت له : إن هذه الطبقة ضيقة . فقال لها : يا سيدتي هذه واسعة . فقالت له : ادخل وانظرها فإنها لم

تسعك . فقال لها : هذه تسع أربعة . ثم دخل النجار . فلما دخل قفلت عليه الطبقة الخامسة ثم إنها قامت وأخذت ورقة الوالي ومضت بها إلى الخازندار . فلما أخذها وقراها قبّلها وأطلق لها الرجل عشيقها من الحبس فأخبرته بما فعلته . فقال لها : وكيف نفعل ؟ قالت له : نخرج من هذه المدينة إلى مدينة أخرى وليس لنا بعد هذا الفعل إقامة هنا . ثم جهزا ما كان عندهما وحملاه على الجمال وسافرا من ساعتهما إلى مدينة أخرى . وأما القوم فإنهم أقاموا في طبقات الخزانة ثلاثة أيام بلا أكل ، فانحصروا لأن لهم ثلاثة أيام لم يبولوا . فبال النجار على رأس السلطان ، وبال السلطان على رأس الوزير ، وبال الوزير على رأس الوالي ، وبال الوالي على رأس القاضي . فصاح القاضي وقال : أي شيء هذه النجاسة ؟ أما يكفينا ما نحن فيه حتى تبوّلوا علينا ؟ فرفع الوالي صوته وقال : عظم الله أجرك أيها القاضي . فلما سمعه عرفه أنه الوالي . ثم إن الوالي رفع صوته وقال : ما بال هذه النجاسة ؟ فرفع الوزير صوته وقال : عظم الله أجرك أيها الوالي . فلما سمعه الوالي عرفه أنه الوزير . ثم إن الوزير رفع صوته وقال : ما بال هذه النجاسة ؟ فرفع الملك صوته وقال : عظم الله أجرك أيها الوزير . ثم إن الملك لما سمع كلام الوزير عرفه ثم سكت وكتم أمره . ثم إن الوزير قال : لعن الله هذه المرأة بما فعلت معنا ، أحضرت جميع أرباب الدولة عندها ما عدا الملك . فلما سمعهم الملك قال لهم : اسكتوا فأنا أول من وقع في شبكة هذه العاهرة الفاجرة . فلما سمع النجار قولهم قال لهم : وأنا أي شيء ذنبي ؟ قد عملت لها خزانة بأربعة دنانير ذهباً وجئت أطلب الأجرة فاحتالت عليّ وأدخلتني هذه الطبقة وقفلتها عليّ . ثم إنهم صاروا يتحدثون مع بعضهم وسلّوا الملك بالحديث وأزالوا ما عنده من الانقباض . فجاء جيران ذلك المنزل فرأوه خالياً فقال بعضهم لبعض : بالأمس كانت جارتنا زوجة فلان فيه والآن لم نسمع في هذا الموضع صوت أحد ولا نرى فيه أنيساً ، فاكسروا هذه الأبواب وانظروا حقيقة الأمر لئلا يسمع الوالي أو الملك فيسجننا فنكون نادمين على أمر لم نفعله قبل ذلك . ثم إن الجيران كسروا الأبواب ودخلوا فرأوا خزانة من خشب ووجدوا فيها رجالاً تئن من الجوع والعطش . فقالوا لبعضهم : هل جني في هذه الخزانة ؟ فقال واحد منهم : نجمع لها حطباً ونحرقها بالنار . فصاح عليهم القاضي وقال : لا تفعلوا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 596

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجيران لما أرادوا أن يحملوا الحطب ويحرقوا الخزانة صاح عليهم القاضي وقال : لا تفعلوا ذلك . فقال الجيران لبعضهم إن الجن يتصورون ويتكلمون بكلام الإنس . فلما سمعهم القاضي قرأ شيئاً من القرآن العظيم . ثم قال للجيران : ادنوا من الخزانة التي نحن فيها . فلما دنوا منها قال لهم : أنا فلان وأنتم فلان وفلان ونحن هنا جماعة . فقال الجيران للقاضي : ومن جاء بك هنا فاعلمنا بالخبر ؟ فاعلمهم بالخبر من أوله إلى آخره . فأحضروا لهم نجّاراً ففتح للقاضي خزانته وكذلك الوالي والوزير والملك والنجار وكل منهم بالملبوس الذي عليه . فلما طلعوا نظر بعضهم لبعض وصار كل منهم يضحك على الآخر . ثم إنهم خرجوا وطلبوا المرأة فلم يقفوا لها على خبر وقد أخذت جميع ما كان عليهم . فأرسل كل منهم إلى جماعته يطلب ثياباً ، فأحضروا لهم ملبوساً ثم

خرجوا مستورين به عند الناس . فانظر يا مولانا الملك هذه المكيدة التي فعلتها هذه المرأة مع هؤلاء القوم .

حكاية الدعوات الثلاث

وقد بلغني أيضاً أنه كان رجل يتمنى في عمره أن يرى ليلة القدر . فنظر ليلة من الليالي إلى السماء فرأى الملائكة وأبواب السماء قد فتحت ورأى كل شيء ساجداً في محله . فلما رأى ذلك قال لزوجته : يا فلانة ، إن الله قد أراني ليلة القدر ، ونذرت إن رأيتها أن ادعو ثلاث دعوات مستجابات . فأنا أشاورك فماذا أقول ؟ فقالت المرأة : قل اللّهم كبّر لي أيري . فقال ذلك فصار ذكره مثل ضرف القرع حتى صار ذلك الرجل لم يستطع القيام به ، وكانت زوجته إذا أراد أن يجامعها تهرب منه من موضع إلى موضع فقال لها الرجل : كيف العمل ؟ فهذه أمنيتك لأجل شهوتك . فقالت له : أنا ما أشتهي أن يبقى بهذا الطول . فرفع الرجل رأسه إلى السماء وقال : اللّهم انقذني من هذا الأمر وخلّصني منه . فصار الرجل ممسوحاً ليس له ذكر . فلما رأته زوجته قالت له : ليس لي بك حاجة حيث صرت بلا ذكر . فقال لها : هذا كله من شؤم رأيك وسوء تدبيرك . كان لي عند الله ثلاث دعوات أنال بها خيري الدنيا والآخرة ، فذهبت دعوتان وبقيت دعوة واحدة . فقالت له : أدعو الله تعالى أن يردّك على ما كنت عليه أولاً . فدعا ربه فعاد كما كان . فهذا أيها الملك بسبب سوء تدبير المرأة وإنما ذكرت لك ذلك لتتحقق غفلة النساء وسخافة عقولهنّ وسوء تدبيرهنّ فلا تسمع قولها وتقتل ولدك مهجة قلبك وتمحو ذكرك من بعدك . فانتهى الملك عن قتل ولده . فلما كان في اليوم السابع حضرت الجارية صارخة بين يدي الملك وأضرمت ناراً عظيمة ، فأتوا بها قدّام الملك ماسكين بأطرافها . فقال لها الملك : لماذا فعلت ذلك ؟ قالت له : إن لم تنصفني من ولدك ألقيت نفسي في هذه النار فقد كرهت الحياة ، وقبل حضوري كتبت وصيتي وتصدّقت بمالي وعزمت على الموت فتندّم كل الندم كما ندم الملك على عذاب حارسة الحمام . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية العقد المسروق

فقالت له الجارية : بلغني أيها الملك أن امرأة كانت عابدة زاهدة ناسكة ، وكانت تدخل قصر ملك من الملوك يتبركون بها ، وكان لها عندهم حظ عظيم . فدخلت يوماً من الأيام ذلك القصر على جري عادتها وجلست بجانب زوجة الملك فناولتها عقداً قيمته ألف دينار وقالت لها : يا جارية خذي هذا العقد عندك واحرسيه حتى أخرج من الحمام فآخذه منك . وكان الحمام في القصر . فأخذته الجارية وجلست في موضع في منزل الملكة حتى تدخل الحمام الذي عندها في المنزل وتخرج . ثم وضعت ذلك العقد تحت السجادة وقامت تصلي ، فجاء طير وأخذ ذلك العقد وجعله في شق من زوايا القصر . وقد خرجت الحارسة لحاجة تقضيها وترجع ولم تعلم بذلك . فلما خرجت زوجة الملك من الحمام طلبت العقد من تلك الحارسة فلم تجده ، وجعلت تفتش عليه فلم تجد له خبراً ولم تقع له على أثر . فصارت الحارسة تقول : والله يا بنتي ما جاءني أحد وحين أخذته وضعته تحت السجادة ولم أعلم هل أحد من الخدم عاينه واستغفلني وأنا في الصلاة وأخذه ؟ والعلم في ذلك لله تعالى . فلما سمع الملك بذلك أمر زوجته أن تعذّب الحارسة بالنار والضرب الشديد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 597

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الملك امر زوجته ان تعذّب الحارسة بالنار والضرب الشديد . عذبتها بأنواع العذاب فلم تقر بشيء ولم تتهم احداً . فبعد ذلك امر بسجنها وان يجعلوها في القيود فحبست . ثم إن الملك جلس يوماً من الأيام في وسط القصر والماء محدق به وزوجته بجانبه فوقعت عينه على طير وهو يسحب ذلك العقد من شق من زوايا القصر ، فصاح على جارية عنده فأدركت ذلك الطير واخذت العقد منه . فعلم الملك ان الحارسة مظلومة فندم على ما فعل معها وأمر بإحضارها . فلما حضرت أخذ يقبل راسها ثم صار يبكي ويستغفر ويتندم على ما فعل معها ثم امر لها بمال جزيل . فابت ان تأخذه ثم سامحته وانصرفت من عنده واقسمت على نفسها انها لن تدخل منزل احد . وساحت في الجبال والأودية وصارت تعبد الله تعالى إلى ان ماتت .

حكاية الحمامتين

وبلغني أيضاً أيها الملك من كيد الرجال أن حمامتين ذكراً وانثى جمعا قمحاً وشعيراً في عشهما أيام الشتاء . فلما كان في زمن الصيف ضمر الحَب ونقص فقال الذكر للأنثى : انت أكلت ذلك الحَب . فصارت تقول : لا والله ما أكلت منه شيئاً . فلم يصدقها على ذلك وضربها باجنحته ونقرها بمنقاره إلى ان قتلها . فلما كان زمن البرد عاد الحَب كما كان على حاله فعلم الذكر أنه قتل زوجته ظلماً وعدواناً وندم حيث لا ينفعه الندم ، فنام في جانبها ينوح عليها ويبكي تأسّفاً وامتنع من الأكل والشرب وضعف ولم يزل ضعيفاً إلى ان مات .

حكاية الأمير بهرام وجارية الملك الدتما

وبلغني أيضاً من كيد الرجال للنساء حكاية أعجب من هؤلاء كلهم . فقال لها الملك : هات ما معك ! فقالت :أعلم أيها الملك ان جارية من جوار الملك ليس لها نظير في زمانها في الحسن والجمال والقدّ والاعتدال والبهاء والدلال والأخذ بعقول الرجال . وكانت تقول : ليس لي نظير في زماني . وكان جميع أولاد الملوك يخطبونها فلم ترضَ ان تأخذ واحداً منهم وكان اسمها الدتما . وكانت تقول : لا يتزوّجني إلاّ من يقهرني في حومة الميدان والضرب والطعان ، فإن غلبني أحد تزوّجته بطيب قلبي ، وإن غلبته اخذت فرسه وسلاحه وثيابه وكتبت على جبهته : هذا عتيق فلانة . وكان أبناء الملوك يأتون إليها من كل مكان بعيد وقريب وهي تغلبهم وتعيبهم وتأخذ أسلحتهم وتسمهم بالنار . فسمع بها ابن ملك من ملوك العجم يقال له بهرام ، فقصدها من مسافة بعيدة واستصحب معه مالاً وخيلاً ورجالاً وذخائر من ذخائر الملوك حتى وصل إليها . فلما حضر عندها أرسل إلى والدها هدية سنية ، فأقبل عليه الملك وأكرمه غاية الإكرام . ثم إنه أرسل إليه مع وزرائه أنه يريد أن يخطب بنته فارسل إليه والدها وقال له : يا ولدي أما ابنتي الدتما فليس لي عليها حكمٌ لأنها اقسمت على نفسها أنها لا تتزوّج إلاّ من يقهرها في حومة الميدان . فقال له ابن الملك : وأنا ما سافرت من مدينتي إلاّ على هذا الشرط . فقال له الملك : في غد تلتقي معها . فلما جاء الغد أرسل والدها إليها واستأذنها . فلما سمعت تأهّبت للحرب ولبست آلة حربها وخرجت إلى الميدان فخرج ابن الملك إلى لقائها وعزم على حربها . فتسامعت الناس بذلك فأتت من كل مكان فحضروا في ذلك اليوم وخرجت الدتما وقد لبست وتمنطقت وتنقّبت ، فبرز لها ابن

الملك وهو في أحسن حالة واتقن آلة من آلات الحرب وأكمل عدة . فحمل كل واحد منهما على الآخر ثم تجاولا طويلاً واعتركا ملياً ، فنظرت منه من الشجاعة والفروسية ما لم تنظره من غيره فخافت على نفسها أن يخجلها بين الحاضرين وعلمت أنه لا محالة غالبها . فأرادت مكيدته وعملت له الحيلة فكشفت عن وجهها وإذا هو ضوء من البدر . فلما نظر إليها ابن الملك اندهش فيه وضعفت قوّته وبطلت عزيمته . فلما نظرت ذلك منه حملت عليه واقتلعته من سرجه وصار في يدها مثل العصفور في مخلب العقاب وهو ذاهل في صورتها لا يدري ما يفعل به . فأخذت جواده وسلاحه وثيابه ووسمته بالنار وأطلقت سبيله . فلما أفاق من غشيته مكث أياماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من القهر وتمكن حب الجارية في قلبه . فصرف عبيده إلى والده وكتب له كتاباً أنه لا يقدر أن يرجع إلى بلده حتى يظفر بحاجته أو يموت دونها . فلما وصلت المكاتبة إلى والده حزن عليه وأراد أن يبعث إليه الجيوش والعساكر فمنعه الوزراء من ذلك وصبّروه . ثم إن ابن الملك استعمل في حصول غرضه الحيلة ، فجعل نفسه شيخاً هرماً وقصد بستان بنت الملك لأنها كانت أكثر أيامها تدخل فيه . فاجتمع ابن الملك بالخولي وقال له : إنني رجل غريب من بلاد بعيدة وكنت مدة شبابي وإلى الآن أحسن الفلاحة وحفظ النبات والمشموم ولا يحسنه أحد غيري . فلما سمعه الخولي فرح به غاية الفرح فأدخله البستان ووصى عليه جماعة ، فأخذ في الخدمة وتربية الأشجار والنظر في مصالح أثمارها . فبينما هو كذلك يوماً من الأيام وإذا بالعبيد قد دخلوا إلى البستان ومعهم البغال عليها الفرش والأواني . فسأل عن ذلك فقالوا له : إن بنت الملك تريد أن تتفرج على ذلك البستان . فمضى وأخذ الحلي والحلل التي كانت معه من بلاده وجاء بها إلى البستان وقعد فيه ووضع قدامه شيئاً من تلك الذخائر وصار يرتعش ويظهر أن ذلك من الهرم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 598

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن ملك العجم لما جعل نفسه شيخاً كبيراً وقعد في البستان ، حطّ بين يديه الحلي والحلل وأظهر أنه يرتعش من الكبر والهرم والضعف . فلما كان بعد ساعة حضر الجواري والخدم ومعهن ابنة الملك في وسطهنّ كأنها القمر بين النجوم . فأقبلنَ وجعلنَ يدرنَ في البستان ويقطفن الأثمار ويتفرجنَ ، فرأينَ رجلاً قاعداً تحت شجرة من الأشجار فقصدنه وهو ابن الملك ، ونظرنه وإذا به شيخ كبير يرتعش بيديه ورجليه ، وبين يديه حلي وذخائر من ذخائر الملوك . فلما نظرنه تعجبن من أمره فسألنه عن هذا الحلي ما يصنع به . فقال لهنّ : هذا الحلي أريد أن أتزوّج به واحدة منكنّ . فتضاحكنَ عليه وقلنَ له : إذا تزوّجت ما تصنع بها ؟ فقال : كنت أقبلها قبلة واحدة وأطلقها . فقالت له ابنة الملك : قد زوّجتك بهذه الجارية . فقام إليها وهو يتوكأ على عصى ويرتعش ويتعثّر فقبّلها ودفع لها ذلك الحلي والحلل . ففرحت الجارية وتضاحكن عليه ثم ذهبنَ إلى منازلهنّ . فلما كان في اليوم الثاني دخلنا البستان وجئن نحوه فوجدنه جالساً في موضعه وبين يديه حلي وحلل أكثر من الأول . فقعدنَ عنده وقلن له : أيها الشيخ ما تصنع بهذا الحلي ؟ فقال : أتزوّج به واحدة منكنّ مثل البارحة . فقالت له ابنة الملك : قد زوّجتك هذه الجارية . فقام إليها وقبّلها وأعطاها ذلك الحلي

والحلل وذهبنَ إلى منزلهنّ . فلما رأت ابنة الملك الذي أعطاه للجواري من الحلي والحلل قالت في نفسها : أنا كنت أحقّ بذلك وما علي في ذلك من بأس . فلما أصبح الصباح خرجت من منزلها وحدها وهي في صورة جارية من الجواري وأخفت نفسها إلى أن أتت عند الشيخ . فلما حضرت بين يديه قالت له : يا شيخ أنا ابنة الملك هل تريد أن تتزوّج بي ؟ فقال لها : حباً وكرامةً . وأخرج لها من الحلي والحلل ما هو أعلى قدراً وأغلى ثمناً ثم دفعه إليها وقام ليقبلها وهي آمنة مطمئنة . فلما وصل إليها قبض عليها بشدة وضرب بها الأرض وأزال بكارتها وقال لها : أما تعرفيني ؟ فقالت له : من أنت ؟ فقال لها : أنا بهرام ابن الملك العجم ، قد غيّرت صورتي وتغرّبت عن أهلي ومملكتي من أجلك . فقامت من تحته وهي ساكتة لا ترد عليه جواباً ولا تبدي له خطاباً مما أصابها وقالت في نفسها : إن قتلته فما يفيد قتله . ثم تفكرت في نفسها وقالت : ما يسعني في ذلك إلاّ أن أهرب معه إلى بلاده . فجمعت مالها وذخائرها وأرسلت إليه وأعلمته بذلك لأجل أن يتجهّز أيضاً ويجمع ماله وتعاهدا على ليلة يسافران فيها ثم ركبا الخيل الجياد وسارا تحت الليل . فما أصبح الصباح حتى قطعا بلاداً بعيدة . ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى بلاد العجم ، قرب من مدينة أبيه . فلما سمع والده تلقّاه بالعساكر والجنود وفرح غاية الفرح . ثم بعد أيام قلائل أرسل إلى والد الدتما هدية سنية وكتب له كتاباً يخبره فيه أن بنته عنده ويطلب جهازها . فلما وصلت الهدايا إليه تلقاها وأكرم من حضر بها غاية الإكرام وفرح بذلك فرحاً شديداً . ثم أولم الولائم وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابها على ابن الملك وخلع على الرسل الذين حضروا بالكتاب من عند ابن ملك العجم ، وأرسل إلى ابنته جهازها . ثم أقام معها ابن ملك العجم حتى فرّق الموت بينهما . فانظر أيها الملك كيد الرجال للنساء ، وأنا لم أرجع عن حقي إلى أن أموت . فأمر الملك بقتل ولده . فدخل عليه الوزير السابع . فلما حضر بين يديه قبّل الأرض وقال : أيها الملك إمهلني حتى أقول لك هذه النصيحة فإن من صبر وتأنّى أدرك الأمل ونال ما تمنّى ومن استعجل يحصل له الندم . وقد رأيت ما تعهرته هذه الجارية من تحمل الملك على ركوب الأهوال والمملوك المغمور من فضلك وانعامك ناصح لك . وأنا أيها الملك أعرف من كيد النساء ما لا يعرفه أحد غيري . وقد بلغني من ذلك حديث العجوز وولد التاجر . فقال له الملك : وكيف كان ذلك يا وزير ؟

حكاية ابن التاجر والدار الحسن المليح

فقال له الوزير : بلغني أيها الملك أن تاجراً كان كثير المال وكان له ولد يعزّ عليه . فقال الولد لوالده يوماً من الأيام : يا والدي ، أتمنى عليك أمنية تفرج عني بها . فقال له أبوه : وما هي يا ولدي حتى أعطيكها ولو كانت نور عيني لأبلغك به مقصودك . فقال له الولد : أتمنى عليك أن تعطيني شيئاً من المال أسافر به مع التجار إلى بلاد بغداد لأتفرّج عليها وأنظر قصور الخلفاء ، لأن أولاد التجار وصفوا لي ذلك وقد اشتقت أن أنظر إليها . فقال له والده : يابني ، مَن له صبر على غيبتك ؟ فقال له الولد : أنا قلت لك هذه الكلمة ولا بد من السير إليها برضاء أو بغير رضاء . فقد وقع في نفسي وجد لا يزول إلاّ بالوصول إليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 599

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ابن الملك قال لأبيه: لا بدّ من السفر والوصول إلى بغداد. فلما تحقّق منه ذلك جهّز له متجراً بثلاثين الف دينار وسفّره مع التجار الذين يثق بهم ووصّى عليه التجار. ثم إن والده ودّعه ورجع إلى منزله، وما زال الولدَ مسافراً مع رفقائه التجار إلى ان وصلوا إلى مدينة بغداد دار السلام. فلما بلغوها دخل الولد سوقها واكترى له داراً حسنة مليحة اذهلت عقله وادهشت ناظره، فيها الطيور تغرّد والمجالس يقابل بعضها بعضاً وارضها مرخمة بالرخام الملوّن وسقوفها مذهّبة باللازورد المعدني. فسأل البواب عن مقدار اجرتها كم في الشهر فقال له: عشرة دنانير. فقال له الولد: هل انت تقول حقاً او تهزأ بي؟ فقال له البواب: والله ما اقول إلاّ حقاً، فإن كل من سكن هذه الدار لا يسكنها إلاّ جمعة او جمعتين. فقال له الولد: وما السبب في ذلك؟ فقال له: يا ولدي كل من سكنها لا يخرج منها إلاّ مريضاً او ميتاً. وقد اشتهرت هذه الدار بهذه الأشياء عند جميع الناس فلم يقدم احد على سكناها وقد قلّت اجرتها لهذا القدر. فلما سمع الولد ذلك تعجب منه غاية العجب وقال: لا بد ان يكون لهذه الدار سبب من الأسباب حتى يحصل فيها ذلك المرض او الموت. ثم تفكر الولد في نفسه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وازال ذلك الوهم من خاطره وسكنها وباع واشترى، ومضى عليه مدة أيام وهو مقيم في الدار ولم يصبه شيء مما قاله ذلك البواب. فبينما هو جالس يوماً من الأيام على باب الدار إذ مرّت عليه عجوز شمطاء كأنها الحية الرقطاء وهي تكثر من التسبيح والتقديس وتزيل الحجارة والأذى من الطريق، فرأت الولد جالساً على الباب فنظرت إليه وتعجبت من امره. فقال لها الولد: يا امرأة، هل تعرفينني او تشبّهين عليّ؟ فلما سمعت كلامه هرولت إليه وسلّمت عليه وقالت له: كم لك ساكناً في هذه الدار؟ فقال لها: يا أمي مدة شهرين. فقالت: من هذا تعجبت، وانا يا ولدي لا اعرفك ولا تعرفني ولا شبّهت عليك بل إني تعجبت من أنه لا احد غيرك يسكنها إلاّ ويخرج منها ميتاً او مريضاً، وما اشك في أنك يا ولدي مخاطر بشبابك. هل لا طلعت القصر ولا نظرت من المنظرة التي فيه؟ ثم إن العجوز مضت إلى حال سبيلها. فلما فارقته العجوز صار الولد متفكّراً في كلامها وقال في نفسه: انا ما طلعت أعلى القصر ولا اعلم أن به منظرة. ثم دخل من وقته وساعته وجعل يطوف في اركان البيت حتى رأى في ركن منها باباً لطيفاً معشّشاً عليه العنكبوت بين الأشجار. فلما رآه الولد قال في نفسه: لعل العنكبوت ما عشّش على هذا الباب إلاّ لأن المنية داخله. فتمسّك بقول الله تعالى: قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا. ثم فتح ذلك الباب وطلع في سلم لطيف حتى وصل إلى أعلاه فرأى منظرة فجلس فيها يستريح ويتفرج. فنظر إلى موضع لطيف نظيف بأعلاه مقعد منيف يشرف على جميع بغداد، وفي ذلك المقعد جارية كأنها حورية، فأخذت بمجامع قلبه وذهبت بعقله ولبّه واورثته صبر ايوب وحزن يعقوب. فلما نظرها الولد وتأمّلها بالتحقيق قال في نفسه: لعل الناس يذكرون انه لايسكن هذه الدار واحد إلاّ مات او مرض بسبب هذه الجارية، فيا ليت شعري كيف يكون خلاصي؟ فقد ذهب عقلي. ثم نزل من اعلى القصر متفكّراً في امره فجلس في الدار فلم يستقرّ له قرار حتى خرج وجلس على الباب متحيّراً في امره، وإذا بالعجوز ماشية وهي تذكر وتسبّح في الطريق. فلما رآها الولد قام واقفاً على قدميه وبدأها بالسلام والتحية

وقال لها : يا أمي كنت بخير وعافية حتى أشرت عليّ بفتح الباب ، فرأيت المنظرة وفتحتها ونظرت من أعلاها فرأيت ما أدهشني والآن أظن أني هالك ، وأنا أعلم أنه ليس لي طبيب غيرك . فلما سمعته ضحكت وقالت له : لا بأس عليك إن شاء الله تعالى . فلما كلمته بذلك الكلام قام الولد ودخل الدار وخرج لها وفي كمّه مائة دينار وقال لها : خذيها يا أمي وعامليني معاملة السادات للعبيد وبالعجل أدركيني وإذا مت فأنت المطالبة بدمي يوم القيامة . فقالت له العجوز : حباً وكرامةً . وإنما أريد منك يا ولدي أن تساعدني بمعونة لطيفة فيها تبلغ مرادك . فقال لها : وما تريدين يا أمي ؟ فقالت له : أريد منك أن تعينني وتروح إلى سوق الحرير وتسأل عن دكان أبي الفتح بن قيدام ، فإذا دلّوك عليه فاقعد على دكانه وسلم عليه وقل له : أعطني القناع الذي عندك مرسوماً بالذهب ، فإن ما عنده في دكانه أحسن منه ، فاشتره منه يا ولدي بأغلى ثمن واجعله عندك حتى أحضر إليك في غد إن شاء الله تعالى . ثم إن العجوز انصرفت وبات الولد تلك الليلة يتقلّب على جمر الغضا . فلما أصبح الصباح أخذ الولد في جيبه ألف دينار وذهب بها إلى سوق الحرير وسأل عن دكان أبي الفتح . فأخبره به رجل من التجار . فلما وصل إليه رأى بين يديه غلماناً وخدماً وحشماً ، ورأى عليه وقاراً وهو في سعة مال ، ومن تمام نعمته تلك الجارية التي ما مثلها عند أبناء الملوك . ثم إن الولد لما نظره سلّم عليه فردّ عليه السلام ثم أمره بالجلوس فجلس عنده . فقال له الولد : يا أيها التاجر أريد منك القناع الفلاني لأنظره . فأمر التاجر العبد أن يأتيه بربطة الحرير من صدر الدكان . فأتاه بها ففتحها وأخرج منها عدة قناعات ، فتحير الولد من حسنها ورأى ذلك القناع بعينه فاشتراه من التاجر بخمسين ديناراً وانصرف به مسروراً إلى داره . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 600

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الولد لما اشترى القناع من التاجر أخذه وانصرف به إلى داره وإذا هو بالعجوز قد أقبلت . فلما رآها قام لها على قدميه وأعطاها ذلك القناع . ثم قالت له : أحضر لي جمرة نار . فأحضر الولد النار ، فقرّبت طرف القناع من الجمرة فأحرقت طرفه ثم طوته كما كان وأخذته وانصرفت به إلى بيت أبي الفتح ، فلما وصلت طرقت الباب . فلما سمعت الجارية صوتها قامت وفتحت لها الباب . وكان للعجوز صحبة بأم الجارية وهي تعرفها ، وذلك بسبب أنها رفيقة أمها . فقالت لها الجارية : وما حاجتك يا أمي وإن والدتي خرجت من عندي إلى منزلها . فقالت لها العجوز : يا بنتي أنا عارفة أن أمك ليست عندك وأنا كنت عندها في الدار ، وما جئت إليك إلاّ خوف فوات وقت الصلاة فأريد الوضوءعندك ، فإني أعلم منك أنك نظيفة ومنزلك طاهر . فأذنت لها الجارية بالدخول عندها . فلما دخلت سلمت عليها ودعت لها ثم أخذت الإبريق ودخلت بيت الخلاء ثم توضأت وصلّت في موضع وقامت بعد ذلك للجارية وقالت لها : يا بنتي ، أظن أن هذا الموضع الذي صليّت فيه مشى فيه الخدم وإنه نجس ، فانظري لي موضعاً آخر لأصلي فيه فإني أبطلت الصلاة التي صلّيتها . فأخذتها الجارية من يدها وقالت لها : يا أمي تعالي صلّي على فرشي الذي يجلس عليه زوجي . فلما أوقفتها على الفرش قامت تصلي وتدعو وتركع ، ثم غافلت الجارية وجعلت ذلك القناع تحت المخدة من غير أن تنظرها . ولما فرغت من الصلاة دعت لها وقامت فخرجت من عندها . فلما كان

آخر النهار دخل التاجر زوجها فجلس على الفرش فأتته بطعام فأكل منه كفايته وغسل يديه ثم اتّكأ على الوسادة، وإذا بطرف القناع خارج من تحت المخدة فأخرجه من تحتها. فلما نظره عرفه فظن بالجارية الفحشاء فناداها وقال لها: من أين لك هذا القناع؟ فحلفت له إيماناً وقالت له: إنه لم يأتني أحد غيرك. فسكت التاجر خوفاً من الفضيحة وقال في نفسه: متى فتحت هذا الباب افتضحت في بغداد. لأن ذلك التاجر كان جليس الخليفة فلم يسعه إلاّ السكوت ولم يخاطب زوجته بكلمة واحدة. وكان اسم الجارية محظية فناداها وقال لها: قد بلغني أن أمك راقدة ضعيفة من وجع قلبها وجميع النساء عندها يتباكين عليها، وقد أمرتك أن تخرجي إليها. فمضت الجارية إلى أمها، فلما دخلت الدار وجدت أمها طيبة فجلست ساعة وإذا بالحمالين قد اقبلوا عليها بنقل حوائجها من دار التاجر فنقلوا جميع ما في الدار من الأمتعة. فلما رأت ذلك أمها قالت: يا بنتي أي شيء جرى لك؟ فأنكرت منها ذلك ثم بكت أمها وحزنت على فراق بنتها من ذلك الرجل. ثم إن العجوز بعد مدة من الأيام جاءت إلى الجارية وهي في المنزل فسلّمت عليها باشتياق وقالت لها: ما لك يا بنتي يا حبيبتي قد شوشت فكري؟ ودخلت على أم الجارية فقالت لها: يا أختي ما الخبر؟ وما حكاية البنت مع زوجها؟ فإنه قد بلغني أنه طلقها فأي شيء لها من الذنب يوجب هذا كله؟ فقالت لها أم الجارية: لعل زوجها يرجع إليها ببركتي. فادعي لها يا أختي فإنك صوامة قوامة طول ليلك. ثم إن البنت لما اجتمعت هي وأمها والعجوز في البيت وتحدثن مع بعضهنّ قالت لها العجوز: يا ابنتي لا تحملي همّاً، إن شاء الله تعالى أجمع بينك وبين زوجك في هذه الأيام. ثم خرجت إلى الولد وقالت له: هيء لنا مجلساً مليحاً فإني آتيك بها في هذه الليلة. فنهض الولد وأحضر ما يحتجن إليه من الأكل والشرب وقعد في انتظارهما. فجاءت العجوز إلى أم الجارية وقالت لها: يا أختي، عندنا فرح فارسلي البنت معي لتتفرج ويزول ما بها من الهمّ والغمّ ثم أرجع بها إليك مثل ما أخذتها من عندك. فقامت أم الجارية وألبستها أفخر ملبوسها وزينتها بأحسن الزينة من الحلي والحلل وخرجت مع العجوز. وذهبت أمها معها إلى الباب وصارت توصي العجوز وتقول لها: إحذري أن ينظرها أحد من خلق الله تعالى فإنك تعلمين منزلة زوجها عند الخليفة، ولا تتعوّقي وارجعي بها في أسرع وقت. فأخذتها العجوز إلى أن وصلت بها إلى منزل الولد والجارية تظن أنه منزل العرس. فلما دخلت الدار ووصلت إلى قاعة الجلوس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 601

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجارية لما دخلت الدار ووصلت إلى قاعة الجلوس، وثب الولد إليها وعانقها وقبّل يديها ورجليها. فاندهشت الجارية من حسن الولد وتخيّلت أن ذلك المكان وجميع ما فيه من مشموم ومأكول ومشروب منام. فلما نظرت العجوز اندهاشها قالت لها: اسم الله عليك يا بنتي فلا تخافي وأنا قاعدة لا أفارقك ساعة واحدة وأنت تصلحين له ويصلح لك. فقعدت الجارية وهي في شدة الخجل. فلم يزل الولد يلاعبها ويضاحكها ويؤانسها بالأشعار والحكايات حتى انشرح صدرها وانبسطت فأكلت وشربت. ولما طاب لها الشراب أخذت العود وغنّت ولحسن الولد مالت وحنّت. فلما رأى الولد

منها ذلك سكر من غير مدام وهانت عليه روحه . وخرجت العجوز من عندهما ثم أتتهما في الصباح وصبّحت عليهما ثم قالت للجارية : كيف كانت ليلتك يا سيدتي ؟ فقالت لها : كانت طيبة بطول أياديك وحسن تعرضك . ثم قالت لها : قومي نروح إلى أمك . فلما سمع الولد كلام العجوز أخرج لها مائة دينار وقال لها : خلّيها عندي هذه الليلة . فخرجت العجوز من عندهما ثم ذهبت إلى والدة الجارية وقالت لها : بنتك تسلّم عليك وأم العروسة قد حلفت عليها أنها تبيت عندها هذه الليلة . فقالت لها أمها : يا أختي سلمي عليهما وإذا كانت الجارية منشرحة لذلك فلا بأس ببياتها حتى تنبسط وتجيء على مهلها فإني ما أخاف عليها إلاّ من القهر من جهة زوجها . وما زالت العجوز تعمل لأم الجارية حيلة بعد حيلة إلى أن مكثت سبعة أيام ، وكل يوم تأخذ من الولد مائة دينار . فلما مضت هذه الأيام قالت أم الجارية للعجوز : هاتي لي بنتي في هذه الساعة فإن قلبي مشغول عليها وقد طالت مدة غيبتها وتوهّمت من ذلك . فخرجت العجوز من عندها غضبانة من كلامها ثم جاءت إلى الجارية ووضعت يدها في يدها ثم خرجتا من عند الولد وهو نائم على فراشه من سكر المدام إلى أن وصلتا إلى أم الجارية . فالتفتت أمها إليها ببسط وانشراح وفرحت بها غاية الفرح وقالت لها : يا بنتي ، إن قلبي مشغول بك ووقعت في حق أختي بكلام أوجعتها به . فقالت لها : قومي وقبّلي يديها ورجليها فإنها كانت لي كالخادم في قضاء حاجتي ، وإن لم تفعلي ما أمرتك به فما أنا بنتك ولا أنت أمي . فقامت من وقتها وصالحتها . ثم إن الولد قام من سكره فلم يجد الجارية لكنه استبشر بما ناله لما بلغ مقصوده . ثم إن العجوز ذهبت إلى الولد وسلمت عليه وقالت له : ماذا رأيت من فعالي ؟ فقال لها : نِعم ما فعلتيه من الرأي والتدبير . ثم قالت له : تعال لنصلح ما أفسدناه ونردّ هذه الجارية إلى زوجها فإننا كنا سبب الفراق بينهما . فقال لها : وكيف أفعل ؟ قالت : تذهب إلى دكان التاجر وتقعد عنده وتسلّم عليه وأنا أفوت على الدكان فلما تنظرني قم إليّ من الدكان بسرعة واقبض عليّ واجذبني من ثيابي واشتمني وخوّفني وطالبني بالقناع وقل للتاجر : أنت يا مولاي ما تعرف القناع الذي اشتريته منك بخمسين ديناراً ؟ فقد حصل يا سيدي أن جاريتي لبسته فاحترق منها موضع من طرفه ، فأعطته جاريتي لهذه العجوز تعطيه لأحد يرفوه لها فأخذته ومضت ولم أرها من ذلك اليوم . فقال لها الولد : حباً وكرامةً . ثم إن الولد تمشّى من وقته وساعته إلى دكان التاجر وجلس عنده ساعة وإذا بالعجوز جائزة على الدكان وبيدها سبحة تسبّح بها . فلما رآها قام على رجليه من الدكان وجذبها من ثيابها وصار يشتمها ويسبّها وهي تكلمه بلطافة وتقول له : يا ولدي أنت معذور . فاجتمع أهل السوق عليهما وقالوا : ما الخبر ؟ فقال : يا قوم ، إنني اشتريت من هذا التاجر قناعاً بخمسين ديناراً ولبسته الجارية ساعة واحدة ، فقعدت تبخره فطارت شرارة فأحرقت طرفه ، فدفعناه إلى هذه العجوز على أنها تعطيه لمن يرفوه وتردّه لنا فمن ذلك الوقت ما رأيناها أبداً . فقالت العجوز : صدق هذا الولد ، نعم إني أخذته ودخلت به بيتاً من البيوت التي أدخلها على عادتي فنسيته في موضع من تلك الأماكن ولم أدر في أي موضع هو ، وأنا امرأة فقيرة وخفت من صاحبه فلم أواجهه . كل هذا والتاجر زوج المرأة يسمع كلامها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 602

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان الولد لما قبض على العجوز وكلّمها من قبل القناع كما علمته، كان التاجر زوج المراة يسمع الكلام من أوله إلى آخره. فلما اطلع التاجر على الخبر الذي دبرته هذه العجوز الماكرة مع الولد. قام التاجر على قدميه ثم قال: الله أكبر، إني استغفر الله العظيم من ذنوبي وما توهمه خاطري وحمد الله الذي كشف له عن الحقيقة. ثم اقبل التاجر وقال لها : هل تدخلين عندنا؟ فقالت له : يا ولدي، انا أدخل عندك وعند غيرك لأجل الحسنة ومن ذلك اليوم لم يعطني أحد خبر ذلك القناع . فقال لها التاجر : هل سالت احداً عنه في بيتنا؟ فقالت له : يا سيدي، إنني رحت البيت وسألت فقالوا لي : إن أهل البيت قد طلقها التاجر. فرجعت ولم أسال احداً بعد ذلك إلى هذا اليوم . فالتفت التاجر إلى الولد وقال له : أطلق سبيل هذه العجوز فإن القناع عندي. وأخرجه من الدكان وأعطاه للرفاه قدام الحاضرين. ثم بعد ذلك ذهب إلى زوجته وأعطاها شيئاً من المال وراجعها إلى نفسه بعد أن بالغ في الإعتذار إليها واستغفر الله وهو لا يدري بما فعلت العجوز. فهذا من جملة كيد النساء أيها الملك.

حكاية ابن الملك والجارية والعفريت

ثم قال الوزير : وقد بلغني أيضاً أيها الملك ان بعض أولاد الملوك خرج منفرداً بنفسه ليتفرّج فمرّ بروضة خضراء ذات أشجار واثمار واطيار وانهار تجري خلال تلك الروضة. فاستحسن الولد ذلك الموضع وجلس فيه وأخرج شيئاً من النقل الذي كان معه وجعل يأكل فيه. فبينما هو كذلك إذ رأى دخاناً عظيماً طالعاً إلى السماء من ذلك المكان. فخاف ابن الملك وقام فصعد على شجرة من الأشجار واختفى فيها. فلما طلع فوقها رأى عفريتاً طلع من وسط ذلك النهر وعلى رأسه صندوق من الرخام وعليه قفل، فوضعه في تلك الروضة وفتح ذلك الصندوق فخرجت منه جارية كأنها الشمس الضاحية في السماء الصاحية وهي من الإنس، فأجلسها بين يديه يتفرّج عليها ثم حط رأسه على حجرها فنام. فأخذت رأسه وحطتها على الصندوق وقامت تتمشّى. فلاح منها نظرة إلى تلك الشجرة فرأت ابن الملك، فأومت إليه بالنزول فامتنع من النزول. فأقسمت عليه وقالت له : إن لم تنزل وتفعل بي الذي اقوله لك نبّهت العفريت من النوم وأعلمته فيهلكك من ساعتك. فخاف الولد منها فنزل. فلما نزل قبّلت يديه ورجليه وراودته على قضاء حاجتها فأجابها إلى سؤالها. فلما فرغ من قضاء حاجتها قالت له : أعطني هذا الخاتم الذي بيدك. فأعطاها الخاتم فصرّته في منديل حرير كان معها وفيه عدة من الخواتم تفوق عن ثمانين، وجعلت ذلك الخاتم من جملتها. فقال لها ابن الملك : وما تصنعين بهذه الخواتم التي معك؟ فقالت له : إن هذا العفريت اختطفني من قصر أبي وجعلني في هذا الصندوق وقفل عليّ بقفل معه ووضعني فيه على رأسه حيثما توجه، ولا يكاد يصبر عني ساعة واحدة من شدة غيرته عليّ ويمنعني مما أشتهيه. فلما رأيت ذلك منه حلفت اني لا أمنع احداً من وصالي. وهذه الخواتم التي معي على قدر عدد الرجال الذين واصلوني، لأن كل من واصلني آخذ خاتمه فاجعله في هذا المنديل. ثم قالت له : توجه إلى حال سبيلك لأنتظر احداً غيرك فإنه لم يقم في هذه الساعة. فما صدق الولد ابن الملك بذلك وانصرف إلى حال سبيله حتى وصل إلى منزل أبيه، والملك لم يعلم

بكيد الجارية لابنه ولم تخف من ذلك ولم تحسب له حساباً. فلما سمع الملك ان خاتم ولده ضاع، امر ان يقتل ذلك الولد. ثم قام من موضعه فدخل قصره، وإذا بالوزراء رجعوه عن قتل ولده. فلما كان ذات ليلة أرسل الملك إلى الوزراء يدعوهم فحضروا جميعاً. فقام إليهم الملك وتلقاهم وشكرهم على ما كان منهم من مراجعته عن قتل ولده. وكذلك شكرهم الولد وقال لهم: نِعم ما دبرتم إلى والدي في بقاء نفسي وسوف اجازيكم بخير إن شاء الله تعالى. ثم إن الولد بعد ذلك أخبرهم بسبب ضياع خاتمه، فدعوا له بطول البقاء وعلّو الارتقاء ثم انصرفوا من المجلس. فانظر أيها الملك كيد النساء وما تفعله في الرجال. فرجع الملك عن قتل ولده.

فلما اصبح الصباح جلس والده في اليوم الثامن فدخل عليه ولده ويده في يد مؤدبه السندباد وقبّل الأرض بين يديه ثم تكلم بأفصح لسان ومدح والده ووزرائه وأرباب دولته وشكرهم واثنى عليهم. وكان حاضراً بالمجلس العلماء والأمراء والجند واشراف الناس. فتعجب الحاضرون من فصاحة ابن الملك وبلاغته وبراعته في نطقه. فلما سمع والده ذلك فرح به فرحاً شديداً زائداً. ثم ناداه وقبّله بين عينيه ونادى مؤدبه السندباد، سأله عن سبب صمت ولده مدة السبعة أيام. فقال له المؤدّب: يا مولانا، الإصلاح في انه لا يتكلم. فإني خشيت عليه من القتل في تلك المدة وكنت يا سيدي أعرف هذا الأمر يوم ولادته. فإني لما رايت طالعه دلّني على جميع ذلك وقد زال عنه السوء بسعادة الملك. ففرح الملك بذلك وقال لوزرائه: لو كنت قتلت ولدي هل يكون الذنب عليّ أو على الجارية او على المؤدب السندباد؟ فسكت الحاضرون عن ردّ الجواب. فقال مؤدب الولد السندباد لولد الملك: رد الجواب يا ولدي. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 603

حكاية اللبن المسموم

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد لما قال لابن الملك: ردّ الجواب يا ولدي قال ابن الملك: إني سمعت رجلاً من التجار حلّ به ضيف في منزله فأرسل جاريته لتشتري له من السوق لبناً في جرّة. فأخذت اللبن في جرّتها وطلبت الرجوع إلى منزل سيدها. فبينما هي في الطريق إذ مرت عليها حدأة طائرة وفي مخلبها حيّة تعصرها به. فقطرت نقطة من الحية في الجرّة وليس عند الجارية خبر بذلك. فلما وصلت إلى المنزل أخذ السيد منها اللبن وشرب منه هو وضيوفه، فما استقر اللبن في جوفهم حتى ماتوا جميعاً. فانظر أيها الملك لمن كان الذنب في هذه القضية؟ فقال احد الحاضرين: الذنب للجماعة الذين شربوا. وقال آخر: الذنب للجارية التي تركت الجرّة مكشوفة من غير غطاء. فقال السندباد مؤدب الغلام: ما تقول انت في ذلك يا ولدي؟ فقال ابن الملك: اقول ان القوم اخطأوا، ليس الذنب للجارية ولا للجماعة وإنما آجال القوم فرغت مع أرزاقهم وقدرت ميتتهم بسبب ذلك الأمر. فلما سمع ذلك الحاضرون تعجبوا منه غاية العجب ورفعوا أصواتهم بالدعاء لابن الملك وقالوا له: يا مولانا قد تكلمت بجواب ليس له نظير، وأنت عالم أهل زمانك الآن: فلما سمعهم ابن الملك قال لهم: إني لست بعالم، وإن الشيخ الأعمى وابن الثلاث سنين وابن الخمس سنين اعلم مني. فقال له الجماعة الحاضرون: حدثنا بحديث هؤلاء الثلاثة الذين هم اعلم منك يا غلام.

فقال لهم ابن الملك : بلغني أنه كان تاجر من التجار كثير الأموال والأسفار إلى جميع البلدان . فأراد المسير إلى بعض البلدان فسأل من جاء منها وقال لهم : أي بضاعة فيها كثيرة المكسب ؟ فقالوا له : حطب الصندل فإنه فيها يباع غالياً . فاشترى التاجر بجميع ما عنده من المال حطب صندل وسافر إلى تلك المدينة فلما وصل إليها كان قدومه إليها آخر النهار وإذا بعجوز تسوق غنماً لها . فلما رأت التاجر قالت له : من أنت أيها الرجل ؟ فقال لها : أنا رجل تاجر غريب . فقالت له : إحذر من أهل البلد فإنهم قوم مكّارون لصوص ، وإنهم يخدعون الغريب ليظفروا به ويأكلوا ما كان معه وقد نصحتك . ثم فارقته . فلما أصبح الصباح تلقاه رجل من أهل المدينة فسلم عليه وقال له : يا سيدي من أين قدمت ؟ فقال له : قدمت من البلد الفلانية . قال له : ما حملت معك من التجارة ؟ قال له : خشب صندل فإني سمعت أن له قيمة عندكم . فقال له الرجل : لقد أخطأ من أشار عليك بذلك فإننا لم نوقد تحت القدر إلاّ بذلك الحطب الصندل فقيمته عندنا هو والحطب سواء . فلما سمع التاجر كلام الرجل تأسّف وندم وصار بين مصدق ومكذب . ثم نزل ذلك التاجر في بعض خانات المدينة يقيد بالصندل تحت القدر . فلما رآه ذلك الرجل قال له : أتبيع هذا الصندل ؟ كل صاع بما تريده نفسك . فقال له : بعتك . فحوّل الرجل ما عنده من الصندل في منزله وقصد البائع أن يأخذ ذهباً بقدر ما يأخذ المشتري . فلما أصبح الصباح تمشّى التاجر في المدينة فلقيه رجل أزرق العينين من أهل تلك المدينة وهو أعور ، فتعلّق بالتاجر وقال له : أنت الذي أتلفت عيني فلم أطلقك أبداً . فأنكر التاجر ذلك وقال له : إن هذا الأمر لا يتم . فاجتمع الناس عليهما وسألوا الأعور المهلة إلى غد ويعطيه ثمن عينه . فأقام الرجل التاجر له ضامناً حتى أطلقوه . ثم مضى التاجر وقد انقطع نعله من مجاذبة الرجل الأعور فوقف على دكان الإسكافي ودفعه له وقال له : أصلحه ولك عندي ما يرضيك . ثم انصرف عنه . وإذا بقوم قاعدين يلعبون فجلس عندهم من الهمّ والغمّ ، فسألوه اللعب فلعب معهم . فأوقعوا عليه الغلب وغلبوه وخيّروه إما أن يشرب البحر وإما أن يخرج من ماله جميعاً . فقام التاجر وقال : امهلوني إلى غد . ثم مضى التاجر وهو مغموم على ما فعل ولا يدري كيف يكون حاله . فقعد في موضع متفكّراً مغموماً مهموماً وإذا بالعجوز جائزة عليه فنظرت نحو التاجر فقالت له : لعل أهل المدينة ظفروا بك فإني أراك مهموماً من الذي أصابك . فحكى لها جميع ما جرى من أوله إلى آخره . قالت له : من الذي عمل عليك في الصندل ؟ فإن الصندل عندنا قيمته كل رطل بعشرة دنانير . ولكن أنا أدبر لك رأياً أرجو به أن يكون لك خلاص نفسك ، وهو أن تسير نحو الباب الفلاني فإن في ذلك الموضع شيخاً أعمى مقعداً وهو عالم عارف كبير خبير وكل الناس تحضر عنده يسألونه عن ما يريدونه فيشير إليهم بما يكون لهم فيه الصلاح لأنه عارف بالمكر والسحر والنصب ، وهو شاطر فتجتمع الشطار عنده بالليل . فاذهبْ عنده واخفِ نفسك من غرمائك بحيث تسمع كلامهم ولا يرونك فإنه يخبرهم بالغالبية والمغلوبة . لعلك تسمع منه حجة تخلصك من غرمائك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 604

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز قالت للتاجر : إذهبْ الليلة إلى العالم الذي يجتمع عليه أهل البلد واخفِ نفسك لعلك تسمع منه حجة تخلّصك من غرمائك . فانصرف التاجر من عندها إلى الموضع الذي أخبرته به وأخفى نفسه ثم نظر إلى الشيخ وجلس قريباً منه . فما كان إلا ساعة وقد حضر جماعته الذين يتحاكمون عنده . فلما صاروا بين يدي الشيخ سلموا عليه وسلم بعضهم على بعض وقعدوا حوله . فلما رآهم التاجر وجد غرماؤه الأربعة من جملة الذين حضروا . فقدم لهم الشيخ شيئاً من الأكل فأكلوا ثم أقبل كل واحد منهم يخبره بما جرى له في يومه . فتقدّم صاحب الصندل وأخبر الشيخ بما جرى له في يومه من أنه اشترى صندلاً من رجل بغير قيمته واستقرّ البيع بينهما على ملء صاع مما يحب . فقال له الشيخ : قد غلبك خصمك . فقال له : وكيف يغلبني ؟ قال الشيخ : فإذا قال لك أنا آخذ ملئه ذهباً أو فضة فهل أنت تعطيه ؟ قال : نعم أعطيه وأنا أكون الرابح . فقال له الشيخ : فإذا قال لك : أنا آخذ ملء صاع براغيث ، النصف ذكور والنصف إناث فماذا تصنع ؟ فعلم أنه مغلوب . ثم تقدم الأعور وقال : يا شيخ ، إني رأيت اليوم رجلاً أزرق العينين وهو غريب البلاد . فتقاويت عليه وتعلقت به وقلت له : أنت قد أتلفت عيني . وما تركته حتى ضمنه لي جماعة أنه يعود إليّ ويرضيني في عيني . فقال له الشيخ : لو أراد غلبك لغلبك . قال : وكيف يغلبني ؟ قال : يقول لك : إقلع عينك وأنا أقلع عيني ونزن كل منهما فإن تساوت عيني بعينك فأنت صادق فيما ادّعيته . ثم تغرم دية عينه وتكون انت اعمى ويكون هو بصيراً بعينه الثانية . فعلم انه يغلبه بهذه الحجة . ثم تقدم الإسكافي وقال له : يا شيخ ، إني رأيت اليوم رجلاً أعطاني نعلة وقال لي : اصلحه . فقلت له : الم تعطني الأجرة؟ فقال لي : اصلحه ولك عندي ما يرضيك . وأنا لا يرضيني إلاّ جميع ماله . فقال له الشيخ : إذا أراد أخذ نعله منك ولا يعطيك شيئاً أخذه . فقال له : وكيف ذلك؟ قال : يقول لك أن السلطان هزمت أعداؤه وضعفت أضداده وكثرت أولاده وأنصاره . أرضيت أم لا؟ فإن قلت : رضيت . أخذ نعله منك وانصرف ، وإن قلت : لا . أخذ نعله وضرب به وجهك وقفاك . فعلم أنه مغلوب . ثم تقدم الرجل الذي لعب معه بالمراهنة وقال له : يا شيخ ، إني لقيت رجلاً فراهنته وغلبته فقلت له : إن شربت هذا البحر فأنا أخرج عن جميع مالي لك ، وإن لم تشربه فاخرج عن جميع مالك لي . فقال له الشيخ : لو أراد غلبك لغلبك . فقال له : وكيف ذلك؟ قال : يقول لك : إمسك لي فم البحر بيدك وناوله لي وأنا أشربه فلا تستطيع ويغلبك بهذه الحجة . فلما سمع التاجر ذلك عرف ما يحتج به على غرمائه . ثم قاموا من عند الشيخ وانصرف التاجر إلى محله . فلما أصبح الصباح أتاه الذي راهنه على شرب البحر فقال له التاجر : ناولني فم البحر وأنا أشربه . فلم يقدر فغلبه التاجر وفدى الراهن نفسه بمائة دينار وانصرف . ثم جاءه الإسكافي وطلب منه ما يرضيه . فقال له التاجر : إن السلطان غلب أعداؤه وأهلك أضداده وكثرت أولاده أرضيت أم لا؟ قال له : نعم رضيت . فأخذ مركوبه بلا أجرة وانصرف . ثم جاءه الأعور وطلب منه دية عينه . فقال له التاجر : إقلع عينك وأنا أقلع عيني ونزنهما فإن استوتا فأنت صادق فخذ دية عينك . فقال له الأعور : إمهلني . ثم صالح التاجر على مائة دينار وانصرف . ثم جاءه الذي اشترى الصندل فقال له : خذ ثمنَ صندلك . فقال

له : أي شيء تعطيني ؟ فقال له : قد اتفقنا على أن صاعا صندلاً بصاع من غيره ، فإن أردت خذ ملؤه ذهباً أو فضةً . فقال له التاجر : أنا لا آخذ إلاّ ملؤه براغيث ، النصف ذكور والنصف إناث . فقال له : أنا لا أقدر على شيء من ذلك . فغلبه التاجر وفدى المشتري نفسه منه بمائة دينار بعد أن رجّع له صندله . وباع التاجر الصندل كيف أراد وقبض ثمنه وسافر من تلك المدينة إلى بلده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 605

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الرجل التاجر لما باع صندله وقبض ثمنه سافر من تلك المدينة إلى مدينة . ثم قال ابن الملك : وأما ابن الثلاث سنين ، فإنه كان رجل فاسق مغرم بالنساء قد سمع بامرأة ذات حسن وجمال وهي ساكنة في مدينة غير مدينته . فسافر إلى المدينة التي هي فيها وأخذ معه هدية وكتب لها رقعة يصف لها شدة ما يقاسيه من الشوق والغرام ، وقد حمله حبه إياها على المهاجرة إليها والقدوم عليها . فأذنت له في الذهاب إليها . فلما وصل إلى منزلها ودخل عليها قامت له على قدميها وقد تلقته بالإكرام والإحترام وقبّلت يديه وضيّفته ضيافة لا مزيد عليها من المأكول والمشروب . وقد كان لها ولد صغير له من العمر ثلاث سنين فتركته واشتغلت بطهي الطبايخ . فقال لها الرجل : قومي بنا ننام . فقالت له : إن ولدي قاعد ينظرنا . فقال لها : هذا ولد صغير لا يفهم ولا يعرف أن يتكلّم . فقالت له : لو علمت معرفته ما تكلّمت . فلما علم الولد أن الأرز استوى بكى بكاءً شديداً . فقالت له أمه : ما يبكيك يا ولدي ؟ فقال لها : اغرفي لي من الأرز واجعلي لي فيه سمناً . فغرفت له وجعلت عليه السمن ، فأكل الولد ثم بكى ثانياً . فقالت له أمه : ما يبكيك يا ولدي ؟ فقال لها : يا أماه اجعلي لي عليه سكّراً . فقال له الرجل وقد اغتاظ منه : ما أنت إلاّ ولد مشؤوم . فقال له الولد : والله ما مشؤوم إلاّ أنت حيث تعبت وسافرت من بلد إلى بلد في طلب الزنا ، وأما أنا فبكائي من أجل شيء كان في عيني فأخرجته بالدموع وأكلت بعد ذلك أرزاً وسمناً وسكّراً وقد اكتفيت . فمن المشؤوم منا ؟ فلما سمعه الرجل خجل من كلام ذلك الولد الصغير ثم أدركته الموعظة فتأدّب من وقته وساعته ولم يتعرّض لها بشيء وانصرف إلى بلده ولم يزل تائباً إلى أن مات . ثم قال ابن الملك : وأما ابن الخمس سنين ، فإنه بلغني أيها الملك أن أربعة من التجار اشتركوا في ألف دينار وقد خلطوها بينهم وجعلوها في كيس واحد . فذهبوا بها ليشتروا بضاعة فلقوا في طريقهم بستاناً حسناً فدخلوه وتركوا الكيس عند حارسة ذلك البستان . فلما دخلوا تفرجوا في ناحية البستان فأكلوا وشربوا وانشرحوا . فقال واحد منهم : أنا معي طيب تعالوا نغسل رؤوسنا من هذا الماء الجاري ونتطيب . قال آخر : نحتاج إلى مشط . قال آخر : نسأل الحارسة لعل أن يكون عندها مشط . فقام واحد منهم إلى الحارسة وقال لها : إدفعي لي الكيس . فقالت له : حتى تحضروا كلكم أو يأمرني رفقاؤك أن أعطيك إياه . وكان رفقاؤه في مكان بحيث تراهم الحارسة وتسمع كلامهم . فقال الرجل لرفقائه : ما هي راضية أن تعطيني شيئاً . فقالوا لها : أعطه . فلما سمعت كلامهم أعطته الكيس ، فأخذه الرجل وخرج هارباً منهم . فلما أبطأ عليهم جاؤوا إلى الحارسة وقالوا لها : ما لك لم تعطه المشط ؟ قالت لهم : ما طلب مني إلاّ الكيس ولم أعطه إياه إلاّ بإذنكم وخرج من هنا إلى حال سبيله . فلما سمعوا كلام الحارسة لطموا على وجوههم وقبضوا عليها

بأيديهم وقالوا لها: نحن ما أذنّاك إلاّ بإعطاء المشط. فقالت لهم: ما ذكر لي مشطاً. فقبضوا عليها ورفعوها إلى القاضي. فلما حضروا بين يديه قصّوا عليه القصة، فألزم الحارسة بالكيس والزم بها جماعة من غرمائها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 606

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن القاضي لما الزم الحارسة بالكيس والزم بها جماعة من غرمائها خرجت وهي حيرانة لم تعرف طريقاً، فلقيها غلام له من العمر خمس سنين. فلما رآها الغلام وهي حيرانة قال لها: ما بالك يا أماه؟ فلم تردّ عليه جواباً واستحقرته لصغر سنه. فكرّر عليها الكلام أولاً وثانياً وثالثاً. فقالت له: إن جماعة دخلوا على البستان ووضعوا عندي كيساً فيه الف دينار وشرطوا عليّ أني لا أعطي أحداً الكيس إلاّ بحضرتهم كلهم. ثم دخلوا البستان يتفرجون ويتنزهون فيه فخرج واحد منهم وقال لي: أعطيني الكيس. فقلت له: حتى يحضر رفقاؤك. فقال لي: قد أخذت الإذن منهم. فلم أرض أن أعطيه الكيس. فصاح على رفقائه وقال لهم: ما هي راضية أن تعطيني شيئاً؟ فقالوا لي: أعطيه. وكانوا بالقرب مني فأعطيته الكيس فأخذه وخرج إلى حال سبيله. فاستبطأه رفقاؤه فخرجوا إلي وقالوا: لأي شيء لم تعطه المشط؟ فقلت لهم: ما ذكر لي مشطاً وما ذكر لي إلاّ الكيس. فقبضوا عليّ ورفعوني إلى القاضي والزمني بالكيس. فقال لها الغلام: أعطيني درهماً آخذ به حلاوة وأنا أقول لك شيئاً يكون لك فيه الخلاص. فأعطته الحارسة درهماً وقالت له: ما عندك من القول؟ فقال لها الغلام: إرجعي إلى القاضي وقولي له: كان بيني وبينهم أني لا أعطيهم الكيس إلاّ بحضرتهم الأربعة. قال: فرجعت الحارسة إلى القاضي وقالت له ما قاله لها الغلام. فقال لهم القاضي: أكان بينكم وبينها هكذا؟ قالوا: نعم. فقال لهم القاضي: أحضروا لي رفيقكم وخذوا الكيس. فخرجت الحارسة سالمة ولم يحصل لها ضرر وانصرفت إلى حال سبيلها.

فلما سمع الملك كلام ولده والوزراء ومن حضر ذلك المجلس قالوا للملك: يا مولانا الملك، إن ابنك هذا أبرع أهل زمانه. فدعوا له وللملك. فضمّ الملك ولده إلى صدره وقبّله بين عينيه وسأله عن قضيته مع الجارية. فحلف ابن الملك بالله العظيم وبنبيه الكريم أنها هي التي راودته عن نفسه. فصدّقه الملك في قوله وقال له: قد حكّمتك فيها إن شئت فاقتلها أو فافعل فيها ما تشاء. فقال الولد لأبيه: انفيها من المدينة. وقعد ابن الملك مع والده في ارغد عيش وأهناه إلى أن أتاهم هادم اللذّات ومفرق الجماعات. وهذا آخر ما انتهى إلينا من قصة الملك وولده والجارية والوزراء السبعة.

55 - حكاية جودر الصياد وأخويه

وبلغني أيضاً أن رجلاً تاجراً اسمه عمر، قد خلّف من الذرية ثلاثة أولاد: أحدهم يسمّى سالماً والأصغر يسمّى جودراً والأوسط يسمى سليماً، وربّاهم إلى أن صاروا رجالاً ولكنه كان يحب جودراً أكثر من أخويه. فلما تبين أنه يحب جودراً، أخذتهما الغيرة وكرها جودر. فبان لأبيهما أنهما يكرهان أخاهما. وكان والدهم كبير السن وخاف أنه إذا مات يحصل لجودر مشقة

من أخويه، فأحضر جماعة من أهله وأحضر جماعة قسامين من طرف القاضي وجماعة من أهل العلم وقال: هاتوا لي مالي وقماشي. فأحضروا له جميع المال والقماش فقال: يا ناس، اقسموا هذا المال والقماش أربعة أقسام بالموضع الشرعي. فقسموه فأعطى كل ولد قسماً وأخذ هو قسماً وقال: هذا مالي وقسمته بينهم ولم يبقَ لهم عندي ولا عند بعضهم شيء، فإذا مت لا يقع بينهم اختلاف لأني قسمت بينهم الميراث في حال حياتي، وهذا المال الذي أخذته أنا فإنه يكون لزوجتي أم هذه الأولاد فتستعين به على معيشتها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 607

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن التاجر لما قسم ماله وقماشه أربعة أقسام، أعطى كل ولد من الأولاد الثلاثة قسماً وأخذ هو القسم الرابع وقال: هذا القسم يكون لزوجتي أم هذه الأولاد تستعين به على معيشتهم. ثم بعد مدة قليلة مات والدهم. فما أحد رضي بما فعل والدهم عمر بل طلبوا الزيادة من جودر وقالوا له: إن مال أبينا عندك. فترافع معهم إلى الحكام وجاء المسلمون الذين كانوا حاضرين وقت القسيمة وشهدوا بما علموا ومنعهم الحاكم عن بعضهم. فخسر جودر جانباً من المال وخسر أخوته كذلك بسبب النزاع. فتركوه مدة ثم مكروا به ثانياً فترافع معهم إلى الحكام فخسروا جملة من المال أيضاً من أجل الحكام. وما زالوا يطلبون أذيته من ظالم إلى ظالم وهم يخسرون ويخسر حتى أطعموا جميع مالهم للظالمين وصار الثلاثة فقراء. ثم جاء أخواه إلى أمهم وضحكا عليها وأخذا مالها وضرباها وطرداها. فجاءت إلى ابنها جودر وقالت له: قد فعل أخواك معي كذا وكذا وأخذا مالي وصارت تدعو عليهما. فقال لها جودر: يا أمي، لا تدعي عليهما فالله يجازي كلاً منهما بعمله. ولكن يا أمي أنا بقيت فقيراً وأخواي فقيران والمخاصمة تحتاج لخسارة المال، واختصمت أنا وإياهما كثيراً بين أيدي الحكام ولم يفدنا ذلك شيئاً بل خسرنا جميع ما خلّفه لنا والدنا وهتكنا الناس بسبب الشهادة. وهل بسببك أختصم وإياهما ونترافع إلى الحكام؟ فهذا شيء لا يكون. إنما تقعدين عندي والرغيف الذي آكله أخليه لك، وادعي لي والله يرزقني برزقك واتركيهما يلقيان من الله فعلهما. وتسلي بقول من قال: [من الكامل]

إنْ يَبْغِ ذُو جَهْلٍ عَلَيْكَ فَخَلِّهِ ... وأَرْقُبْ زَماناً لانْتِقامِ الباغِي
وتجَنَّبِ الظُّلْمَ الوَخِيمَ فَلَوْ بَغَى ... جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ الباغِي

وصار يطيّب خاطر أمه حتى رضيت ومكثت عنده. فأخذ له شبكة وصار يذهب إلى البحر والبرك وإلى كل مكان فيه ماء، وصار يذهب كل يوم إلى جهة. فصار يعمل يوماً بعشرة ويوماً بعشرين ويوماً بثلاثين ويصرفها على أمه ويأكل طيباً ويشرب طيباً ولا صنعة ولا بيع ولا شراء لأخويه. ودخل عليهما الساحق والماحق والبلاء اللاحق وقد ضيعا الذي أخذاه من أمهما وصاروا من الصعاليك المعاكيس عريانين، فتارة يأتيان إلى أمهما ويتواضعان لها زيادة ويشكوان إليها الجوع وقلب الوالدة رؤوف فتطعمهما عيشاً معفّناً، وإن كان هناك طبيخ بايت تقول لهما: كلاه سريعاً وروحا قبل أن يأتي أخوكما فإنه ما يهون عليه ويقسو قلبه عليّ وتفضحاني معه.

فيأكلان باستعجال ويروحان . فدخلا على أمهما يوماً من الأيام فحطت لهما طبيخاً وعيشاً ، فصار يأكلان وإذا بأخيهما جودر داخل . فاستحت أمه وخجلت منه وخافت أن يغضب عليها وأطرقت برأسها في الأرض حياء من ولدها . فتبسّم في وجوههم وقال : مرحبا يا أخواي نهار مبارك ، كيف جرى حتى زرتماني في هذا النهار المبارك ؟ واعتنقهما ووادهما وصار يقول : ما كان رجائي أن توحشاني ولا تجيئا عندي ولا تطلا عليّ ولا على أمكما . فقالا : والله يا أخانا إننا اشتقنا إليك ولا منعنا إلاّ الحياء مما جرى بيننا وبينك ، ولكن ندمنا كثيراً وهذا فعل الشيطان لعنه الله تعالى ولا لنا بركة إلاّ أنت وأمنا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 608

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً لما دخل منزله ورأى إخوته رحّب بهما وقال لهما : ما لي بركة إلاّ أنتما . فقالت له أمه : يا ولدي بيّض الله وجهك وكثّر الله خيرك وأنت الأكثر يا ولدي . فقال : مرحباً بكما ، أقيما عندي والله كريم والخير عندي كثير . واصطلح معهما وباتا عنده وتعشيّا معه . وثاني يوم فطرا وجودر حمل الشبكة وراح على باب الفتاح وراح أخواه ، فغابا إلى الظهر وأتيا فقدّمت لهما أمهم الغداء . وفي المساء أتى أخوهم وجاء باللحم والخضار وصاروا على هذه الحالة مدة شهر وجودر يصطاد سمكاً ويبيعه ويصرف ثمنه على أمه وأخويه وهما يأكلان ويبرجسان . فاتفق يوماً من الأيام أن جودر أخذ الشبكة إلى البحر فرماها وجذبها فطلعت فارغة ، فطرحها ثانياً فطلعت فارغة . فقال في نفسه : هذا المكان ما فيه سمك . ثم انتقل إلى غيره ورمى فيه الشبكة فطلعت فارغة . ثم انتقل إلى غيره ولم يزل ينتقل من الصباح إلى المساء ولم يصطد ولا صيرة واحدة فقال : عجائب . هل السمك فرغ من البحر أو ما السبب ؟ ثم حمل الشبكة على ظهره ورجع مغموماً مقهوراً حامل هم أخويه وأمه ولم يدرِ بأي شيء يعشيّهم . فاقبل على طابونة فرأى الخلق على العيش مزدحمين وبأيديهم الدراهم ولا يلتفت إليهم الخباز ، فوقف وتحسّر . فقال له الخباز : مرحباً بك يا جودر هل تحتاج عيشاً ؟ فسكت . فقال له : إن لم يكن معك دراهم فخذ كفايتك وعليك مهل . فقال له : أعطني بعشرة أنصاف عيشاً . فقال له : خذ هذه عشرة أنصاف أُخر وفي غد هات لي بالعشرين سمكاً . فقال : على الراس والعين . فأخذ العيش والعشرة أنصاف أخذ بها لحمة وخضاراً وقال : في غد يفرجها المولى . وراح إلى منزله وطبخت أمه الطعام وتعشّى ونام وثاني يوم أخذ الشبكة . فقالت له أمه : اقعد افطر . قال : افطري انت وأخواي . ثم ذهب إلى البحر ورمى الشبكة فيه أولاً وثانياً وثالثاً وتنقّل ولا زال كذلك إلى العصر ولم يقع له شيء . فحمل الشبكة ومشى مقهوراً وطريقه لا يكون إلاّ على الخباز . فلما وصل جودر رآه الخباز ، فعدّ له العيش والفضة وقال له تعالى : خذ ورح إن ما كان في اليوم يكون في غد . فأراد أن يعتذر له فقال له : رح ما يحتاج لعذر ، لو كنت اصطدت شيئاً كان معك . فلما رايتك فارغاً علمت أنه ما حصل لك شيء ، وإن كان في غد لم يحصل لك شيء تعالى خذ عيشاً ولا تستحي وعليك مهل . ثم إنه ثالث يوم تبع البرك العصر فلم ير فيها شيئاً ، فراح إلى الخبّاز وأخذ منه العيش والفضة . وما زال على هذه الحالة مدة سبعة أيام . ثم إنه تضايق فقال في نفسه : رح اليوم إلى بركة قارون . ثم إنه أراد أن يرمي الشبكة فلم يشعر إلاّ وقد اقبل عليه مغربي راكب على بغلة وهو لابس حلّة عظيمة ، وعلى ظهر البغلة خرج

مزركش وكل ما على البغلة مزركش . فنزل من فوق ظهر البغلة وقال : السلام عليك يا جودر يا ابن عمر . فقال له : وعليك السلام يا سيدي الحاج . فقال له المغربي : يا جودر ، إن لي عندك حاجة فإن طاوعتني تنال خيراً كثيراً وتكون بسبب ذلك صاحبي وتقضي لي حوائجي . فقال : يا سيدي الحاج قل لي أي شيء في خاطرك وأنا أطاوعك وما عندي خلاف . فقال له : إقرأ الفاتحة . فقرأها معه وبعد ذلك أخرج له قيطاناً من حرير وقال له : كتّفني وشد كتافي شداً قوياً وارمني في البركة واصبر عليّ قليلاً ، فإن رأيتني أخرجت يدي من الماء مرتفعة قبل أن أبان فاطرح أنت الشبكة عليّ واجذبني سريعاً ، وإن رأيتني أخرجت رجلي فاعلم أني ميت . فاتركني وخذ البغلة والخرج وامض إلى سوق التجار تجد يهودياً اسمه شميعة ، فاعطه البغلة وهو يعطيك مائة دينار فخذها واكتم السرّ ورح إلى حال سبيلك . فكتّفه كتافاً شديداً فصار يقول له : شدّ الكتاف . ثم إنه قال له : إدفعني إلى أن ترميني في البركة . فدفعه ورماه فغطس ، ووقف ينتظره ساعة من الزمان وإذا بالمغربي خرجت رجلاه . فعلم أنه مات فأخذ البغلة وتركه وراح إلى سوق التجار فرأى اليهودي جالساً على كرسي في باب الحاصل . فلما رأى البغلة قال اليهودي : إن الرجل هلك . ثم قال : ما أهلكه إلاّ الطمع . وأخذ منه البغلة وأعطاه مائة دينار وأوصاه بكتم السرّ . فأخذ جودر الدنانير وراح ، فأخذ ما يحتاج إليه من العيش من الخباز وقال له : خذ هذا الدينار . فأخذه وحسب الذي له وقال له : عندي بعد ذلك عيش يومين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 609

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخباز لما حاسب جودر على ثمن العيش وقال له : بقي لك عندي من الدنيا عيش يومين . انتقل من عنده إلى الجزار وأعطاه ديناراً آخر وأخذ اللحمة وقال له : خل عندك بقية الدينار تحت الحساب . وأخذ الخضار وراح فرأى أخويه يطلبان من أمهم شيئاً يأكلونه وهي تقول لهما : اصبرا حتى يأتي أخوكما فما عندي شيء . فدخل عليهم وقال لهم : خذوا كلوا . فوقعوا على العيش مثل الغيلان . ثم إن جودر أعطى أمه بقية الذهب وقال : خذي يا أمي ، وإذا جاء أخواي فاعطيهما ليشتريا ويأكلا في غيابي وبات تلك الليلة . ولما أصبح أخذ الشبكة وراح إلى بركة قارون ووقف وأراد أن يطرح الشبكة وإذا بمغربي آخر أقبل وهو راكب بغلة ومهيّأ أكثر من الذي مات ومعه خرج وحقان في الخرج في كل عين منه حقّ . وقال : السلام عليك يا جودر . فقال : عليك السلام يا سيدي الحاج . فقال : هل جاءك بالأمس مغربي راكب بغلة مثل هذه البغلة ؟ فخاف وأنكر وقال : ما رأيت أحداً . خوفاً أن يقول : راح إلى أين ؟ فإن قال له غرق في البركة ربما يقول أنت غرّقته فما ساعه إلاّ الإنكار . فقال له : يا مسكين هذا أخي وسبقني . قال : ما معي خبر . قال : أما كتّفته أنت ورميته في البركة وقال لك : إن خرجت يداي إرم عليّ الشبكة واسحبني بالعجل وإن خرجت رجلاي أكون ميتاً وخذ أنت البغلة وأديها إلى اليهودي شميعة وهو يعطيك مائة دينار ؟ وقد خرجت رجلاه وأنت أخذت البغلة وأديتها إلى اليهودي وأعطاك مائة دينار . فقال : حيث أنك تعرف ذلك فلأي شيء تسألني ؟ قال : مرادي أن تفعل بي كما فعلت بأخي . وأخرج له قيطاناً من حرير وقال : كتفني وارمني وإن جرى لي مثل ما جرى لأخي خذ البغلة وأديها إلى اليهودي وخذ منه مائة دينار . فقال

له : قدّم . فتقدم فكتفه ودفعه ، فوقع في البركة وغطس . فانتظره ساعة فطلعت رجلاه . فقال : مات في داهية إن شاء الله . كل يوم يجيئني المغاربة وأنا أكتفهم ويموتون ويكفيني من كل ميت مائة دينار ثم إنه أخذ البغلة . فلما رآه اليهودي قال له : مات الآخر . قال له : تعيش رأسك . قال له : هذا جزاء الطماعين وأخذ البغلة منه وأعطاه مائة دينار . فأخذها وتوجه إلى أمه فأعطاها إياها . فقالت له : يا ولدي من أين لك هذا؟ فأخبرها . فقالت له : ما بقيت تروح بركة قارون فإني أخاف عليك من المغاربة . فقال لها : يا أمي ، أنا لا أرميهم إلاّ برضاهم وكيف يكون العمل ؟ هذه صنعة يأتينا منها كل يوم مائة دينار وأرجع سريعاً . فوالله لا أرجع عن ذهابي إلى بركة قارون حتى ينقطع أثر المغاربة ولا يبقى منهم أحد . ثم إنه في اليوم الثالث راح ووقف وإذا بمغربي راكب بغلة ومعه خرج ولكنه مهيّأ أكثر من الأولين وقال : السلام عليك يا جودر يا ابن عمر . فقال في نفسه : من أين كلهم يعرفونني؟ ثم ردّ عليه السلام . فقال : هل جاز على هذا المكان مغاربة؟ قال له : اثنان . قال له : أين راحا؟ قال : كتّفتهما ورميتهما في هذه البركة فغرقا والعاقبة لك أنت الآخر . فضحك ثم قال : يا مسكين كل حي ووعده . ونزل عن البغلة وقال له : يا جودر ، إعمل معي كما عملت معهما . وأخرج القيطان الحرير فقال له جودر : أدر يديك حتى أكتّفك فإني مستعجل وراح عليّ الوقت . فأدار له يديه فكتّفه ودفعه فوقع في البركة ووقف ينتظره وإذا بالمغربي أخرج له يديه وقال له : إرمِ الشبكة يا مسكين . فرمى عليه الشبكة وجذبه وإذا هو قابض في يديه سمكتين لونهما أحمر مثل المرجان في كل يد سمكة وقال له : إفتح الحقّين . ففتح له الحقّين فوضع في كل حقّ سمكة وسد عليهما فم الحقّين . ثم إنه حضن جودرا وقبّله ذات اليمين وذات الشمال في خديّه وقال له : الله ينجيك من كل شدة ، والله لولا أنك رميت عليّ الشبكة وأخرجتني لكنت ما زلت قابضاً على هاتين السمكتين وأنا غاطس في الماء حتى أموت ولا أقدر أن أخرج من الماء . فقال له : يا سيدي الحاج ، بالله عليك أن تخبرني بشأن اللذين غرقا أولاً وبحقيقة هاتين السمكتين وبشأن اليهودي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 610

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً لما سأل المغربي وقال له : أخبرني عن اللذين غرقا أولاً . قال له : يا جودر ، أعلم أن اللذين غرقا أولاً أخواي أحدهما اسمه عبد السلام والثاني اسمه عبد الأحد وأنا اسمي عبد الصمد واليهودي أخونا اسمه عبد الرحيم وما هو يهودي إنما هو مسلم مالكي المذهب ، وكان والدنا علمنا حل الرموز وفتح الكنوز والسحر وصرنا نعالج حتى خدمتنا مردة الجن والعفاريت . ونحن أربعة أخوة ووالدنا اسمه عبد الودود ، ومات أبونا وخلّف لنا شيئاً كثيراً فقسمنا الذخائر والأموال والأرصاد حتى وصلنا إلى الكتب فقسمناها ، فوقع بيننا اختلاف في كتاب اسمه أساطير الأولين ليس له مثيل ولا يقدر له على ثمن ولا يعادل بجواهر ، لأنه مذكور فيه سائر الكنوز وحلّ الرموز . وكان أبونا يعمل به ونحن نحفظ منه شيئاً قليلاً ، وكل منا غرضه أن يملكه حتى يطلع على ما فيه . فلما وقع الخلاف بيننا حضر مجلسنا شيخ أبينا الذي كان ربّاه وعلّمه السحر والكهانة وكان اسمه الكهين الأبطن . فقال لنا : هاتوا الكتاب فأعطيناه الكتاب . فقال : أنتم أولاد ولدي ولا يمكن أن أظلم منكم

أحداً، فليذهب من أراد أن يأخذ هذا الكتاب إلى معالجة فتح كنز الشمردل ويأتني بدائرة الفلك والمكحلة والخاتم والسيف. فإن الخاتم له مارد يخدمه اسمه الرعد القاصف، ومن ملك هذا الخاتم لا يقدر عليه ملك ولا سلطان، وإن أراد أن يملك به الأرض بالطول والعرض يقدر على ذلك. وأما السيف فإنه لو جرّد على جيش وهزّه حامله لهزم الجيش. وإن قال له وقتَ هزه: اقتل هذا الجيش. فإنه يخرج من ذلك السيف برق من نار فيقتل جميع الجيش. وأما دائرة الفلك فإن الذي يملكها إن شاء أن ينظر جميع البلاد من المشرق إلى المغرب فإنه ينظرها ويتفرّج عليها وهو جالس. فأي جهة أرادها يوجه الدائرة إليها وينظر في الدائرة فإنه يرى تلك الجهة وأهلها كأن الجميع بين يديه. وإذا غضب على مدينة ووجه الدائرة إلى قرص الشمس وأراد احتراق تلك المدينة فإنها تحترق. وأما المكحلة فإن كل من اكتحل منها يرى كنوز الأرض. ولكن لي عليكم شرط: وهو أن كل من عجز عن فتح هذا الكنز ليس له في الكتاب استحقاق، ومن فتح هذا الكنز وأتاني بهذه الذخائر الأربعة فإنه يستحق أن يأخذ هذا الكتاب. فرضينا بالشرط. فقال لنا: يا أولادي، أعلموا أن كنز الشمردل تحت حكم أولاد الملك الأحمر وأبوكم أخبرني أنه كان عالج فتح ذلك الكنز فلم يقدر ولكن هرب منه أولاد الملك الأحمر إلى بركة في أرض مصر تسمّى بركة قارون وعصوا في البركة، فلحقهم إلى مصر ولم يقدر عليهم بسبب انسيابهم في تلك البركة لأنها مرصودة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 611

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الكهين الأبطن لما أخبر الأولاد بذلك الخبر قال لهم: ثم إنه رجع غلبان ولم يقدر على فتح كنز الشمردل من أولاد الملك الأحمر. فلما عجز أبوكم عنهم جاءني وشكا إليّ، فضربت له تقويماً فرأيت أن هذا الكنز لا يفتح إلاّ على وجه غلام من أبناء مصر اسمه جودر بن عمر فإنه يكون سبباً في قبض أولاد الملك الأحمر. وذلك الغلام يكون صياداً والإجتماع به يكون على بركة قارون ولا ينفك ذلك الرصد إلاّ إذا كان جودر يكتف صاحب النصيب ويرميه في البركة فيتحارب مع أولاد الملك الأحمر. وكل من كان له نصيب فإنه يقبض أولاد الملك الأحمر، والذي ليس له نصيب يهلك وتظهر رجلاه من الماء، والذي يسلم تظهر يداه فيحتاج أن جودر يرمي عليه الشبكة ويخرجه من البركة. فقال إخوتي: نحن نروح ولو هلكنا. وأنا قلت: أروح أيضاً. وأما أخونا الذي في هيئة يهودي فإنه قال: أنا ليس لي غرض. فاتفقنا معه أنه يتوجه إلى مصر في صفة يهودي تاجر حتى إذا مات منا أحد في البركة يأخذ البغلة والخرج منه ويعطيه مائة دينار. فلما أتاك الأول قتله أولاد الملك الأحمر وقتلوا أخي الثاني وأنا لم يقدروا عليّ فقبضتهم. فقال: اين الذين قبضتهم؟ فقال: أما رأيتهم قد حبستهم في الحقّين؟ قال: هذا سمك. قال له المغربي: ليس هذا سمكاً إنما هم عفاريت بهيئة السمك. ولكن يا جودر أعلم أن فتح الكنز لا يكون إلاّ على وجهك، فهل تطاوعني وتروح معي إلى مدينة فاس ومكناس ونفتح الكنز وأعطيك ما تطلب؟ وأنت بقيت أخي في عهد الله وترجع إلى عيالك مجبور القلب. فقال له: يا سيدي الحاج، أنا في رقبتي أمي وأخواي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 612

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان جودراً قال للمغربي : أنا في رقبتي أمي وأخواي وانا الذي أجري عليهم ، وإن رحت معك من يطعمهم العيش ؟ فقال له : هذه حجة بطالة فإن كان من شأن المصروف فنحن نعطيك ألف دينار ، تعطي أمك إياها لتصرفها حتى ترجع إلى بلادك ، وأنت إن غبت ترجع قبل أربعة أشهر . فلما سمع جودر بالألف دينار قال : هات يا حاج الألف دينار أتركها عند أمي وأروح معك . فأخرج له الألف دينار ، فأخذها وراح إلى أمه وأخبرها بالذي جرى بينه وبين المغربي وقال لها : خذي هذا الألف دينار واصرفي منه عليك وعلى اخواي وانا مسافر مع المغربي إلى الغرب فاغيب أربعة اشهر ويحصل لي خير كثير فادعي لي يا والدتي . فقالت له : يا ولدي توحشني وأخاف عليك . فقال : يا أمي ، ما على من يحفظه الله بأس والمغربي رجل طيب وصار يشكر لها حاله . فقالت : الله يعطف قلبه عليك ، رح معه يا ولدي لعله يعطيك شيئاً . فودّع أمه وراح ، ولما وصل عند المغربي عبد الصمد قال له : هل شاورت أمك ؟ قال : نعم ودعت لي . فقال له : اركب ورائي . فركب على ظهر البغلة وسافرا من الظهر إلى العصر ، فجاع جودر ولم يرَ مع المغربي شيئاً يؤكل فقال له : يا سيدي الحاج ، لعلك نسيت أن تجيء لنا بشيء نأكله في الطريق ؟ فقال : هل أنت جائع ؟ قال : نعم . فنزل من فوق ظهر البغلة هو وجودر ثم قال : نزّل الخرج فنزّله . ثم قال له : اي شيء تشتهي يا اخي ؟ فقال له : أي شيء كان . قال له : بالله عليك أن تقول لي أي شيء تشتهي ؟ قال : عيشاً وجبناً . قال : يا مسكين ، العيش والجبن ما هو مقامك فاطلب شيئاً طيباً . قال جودر : أنا عندي في هذه الساعة كل شيء طيب . فقال له : اتحب الفراخ المحمّرة ؟ قال : نعم . قال : اتحب الارز بالعسل ؟ قال : نعم . قال : اتحب اللون الفلاني واللون الفلاني حتى سمّى له من الطعام أربعة وعشرين لوناً ؟ ثم قال في باله : هل هو مجنون ؟ من اين يجيء لي بالأطعمة التي سمّاها وما عنده مطبخ ولا طباخ ؟ لكن قل له : يكفي . فقال له : يكفي . هل أنت تشهّيني الألوان ولا أنظر شيئاً ؟ فقال المغربي : مرحباً بك يا جودر . وحطّ يده في الخرج فاخرج صحناً من الذهب فيه فرختان محمرتان سخنتان ثم حط يده ثاني مرة فأخرج صحناً من الذهب فيه كباب ، ولا زال يخرج من الخرج حتى أخرج الأربعة وعشرين لوناً التي ذكرها بالتمام والكمال . فبهت جودر . فقال له : كُل يا مسكين . فقال : يا سيدي ، أنت جاعل في هذا الخرج مطبخاً وناساً تطبخ ؟ فضحك المغربي وقال له : هذا مرصود له خادم ، لو نطلب في كل ساعة ألف لون يجيء بها الخادم ويحضرها في الوقت . فقال : نِعمَ هذا الخرج . ثم إنهما أكلا حتى اكتفيا والذي فضل كبّاه وردّ الصحون فارغة في الخرج وحطّ يده فاخرج إبريقاً فشربا وتوضأا وصلّيا العصر وردّ الإبريق في الخرج . ثم إنه حط فيه الحقّين وحمله على تلك البغلة وركب وقال : إركب حتى نسافر . ثم إنه قال : يا جودر ، هل تعلم ما قطعنا من مصر إلى هنا ؟ قال له : والله لا ادري . فقال له : قطعنا مسيرة شهر كامل . قال : وكيف ذلك ؟ قال له : يا جودر ، أعلم ان البغلة التي تحتنا مارد من مردة الجن تسافر في اليوم مسافة سنة ، ولكن من شأن خاطرك مشت على مهلها . ثم ركبا وسافرا إلى المغرب ، فلما امسيا أخرج من الخرج العشاء وفي الصباح أخرج الفطور . وما زالا على هذه الحالة مدة أربعة أيام وهما يسافران إلى نصف الليل وينزلان فيناما ويسافران في

الصباح وجميع ما يشتهي جودر يطلبه المغربي فيخرجه له من الخرج . وفي اليوم الخامس وصلا إلى فاس ومكناس ودخلا المدينة . فلما دخلا صار كل من قابل المغربي يسلّم عليه ويقبّل يده ، ولا زال كذلك حتى وصل إلى باب ، فطرقه وإذا بالباب قد فتح وبان منه بنت كانها القمر . فقال لها : يا رحمة يا بنتي إفتحي لنا القصر . قالت : على الراس والعين يا أبتي . ودخلت تهز أعطافها . فطار عقل جودر وقال : ما هذه إلاّ بنت ملك . ثم إن البنت فتحت القصر فأخذ الخرج من فوق البغلة وقال لها : انصرف بارك الله فيك . وإذا بالأرض انشقت ونزلت البغلة ورجعت الأرض كما كانت . فقال جودر : يا ستار ، الحمد لله الذي نجّانا فوق ظهرها . ثم إن المغربي قال : لا تعجب يا جودر فإني قلت لك أن البغلة عفريت لكن إطلع بنا القصر . فلما دخلا ذلك القصر اندهش جودر من كثرة الفرش الفاخر ومما رأى فيه من التحف وتعاليق الجواهر والمعادن . فلما جلسا أمر البنت وقال : يا رحمة ، هاتي البقجة الفلانية . فقامت وأقبلت ببقجة ووضعتها بين يدي أبيها . ففتحها وأخرج منها حلة تساوي الف دينار وقال له : إلبس يا جودر مرحباً بك . فلبس الحلة وصار كناية عن ملك من ملوك الغرب . ووضع الخرج بين يديه ثم مدّ يده فيه وأخرج منه أصحناً فيها ألوان مختلفة حتى صارت سفرة فيها أربعون لوناً فقال : يا مولاي تقدّم وكُل ولا تؤاخذنا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 613

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المغربي لما أدخل جودر القصر مدّ له سفرة فيها أربعون لوناً وقال له : تقدّم كُل ولا تؤاخذنا نحن لا نعرف أي شيء تشتهي من الأطعمة ؟ فقل لنا على ما تشتهي ونحن نحضره إليك من غير تأخير . فقال له : والله يا سيدي الحاج إني أحب سائر الأطعمة ولا أكره شيئاً فلا تسألني عن شيء فهات جميع ما يخطر ببالك . وناما على الأكل . ثم إنه أقام عنده عشرين يوماً ، كل يوم يلبسه حلة والأكل من الخرج والمغربي لا يشتري شيئاً من اللحم ولا عيشاً ولا يطبخ ، ويخرج كل ما يحتاجه من الخرج حتى أصناف الفاكهة . ثم إن المغربي في اليوم الحادي والعشرين قال : يا جودر ، قم بنا فإن هذا هو اليوم الموعود لفتح كنز الشمردل . فقام معه ومشيا إلى المدينة ثم خرجا منها . فركب جودر بغلة وركب المغربي بغلة ولم يزالا مسافرين إلى وقت الظهر ، فوصلا إلى نهر ماء جار فنزل عبد الصمد وقال : إنزل يا جودر . فنزل . ثم إن عبد الصمد قال : هيا . وأشار للعبدين بيده فأخذا البغلتين وراح كل عبد من طريق . ثم غابا قليلاً وقد أقبل أحدهما بخيمة فنصبها ، وأقبل الثاني بفراش وفرشة في الخيمة ووضع في دائرها وسائل ومساند . ثم ذهب واحد منهم وجاء بالحقّين اللذين فيهما السمكتان ، والثاني جاء بالخرج . فقام المغربي وقال : تعال يا جودر . فأتى وجلس بجانبه وأخرج المغربي من الخرج أصحن الطعام وتغديا . وبعد ذلك أخذ الحقّين ثم إنه عزم عليهما فصارا من داخل يقولان : لبيك يا كهين الدنيا إرحمنا . وهما يستغيثان وهو يعزم عليهما حتى تمزّق الحقّان فصار قطعاً ، وتطايرت قطعهما فظهر منهما اثنان مكتّفان يقولان : الآمان يا كهين الدنيا ، مرادك أن تعمل فينا أي شيء ؟ فقال : مرادي أن أحرقكما أو أنكما تعاهداني على فتح كنز الشمردل . فقالا : نعاهدك ونفتح لك الكنز لكن بشرط أن تحضر جودر الصياد فإن الكنز لا يفتح إلاّ على وجهه ، ولا يقدر أحد أن يدخل فيه إلاّ جودر بن عمر . فقال لهما : الذي تذكرانه قد جئت

به وهو هاهنا يسمعكما وينظركما فعاهداه على فتح الكنز واطلقهما . ثم إنه اخرج قصبة والواحاً من العقيق الأحمر وجعلها على القصبة واخذ مجمرة ووضع فيها فحماً ونفخها نفخة واحدة فأوقد فيها النار واحضر البخور وقال : يا جودر ، انا أتلو العزيمة والقي البخور فإذا ابتدأت في العزيمة لا أقدر أن أتكلم فتبطل العزيمة ، ومرادي أن أعلمك كيف تصنع حتى تبلغ مرادك ؟ فقال له : علّمني . فقال له : أعلم أني متى عزمت والقيت البخور نشّف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فانزل إلى الباب واطرقه طرقة خفيفة واصبر مدة واطرق الثانية طرقة أثقل من الأولى واصبر مدة واطرقه ثلاث طرقات متتابعات وراء بعضها فتسمع قائلاً يقول : من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحل الرموز ؟ فقل : أنا جودر الصياد بن عمر . فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك : إن كنت ذلك الرجل فمدّ عنقك حتى أرمي راسك ؛ فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصاً من غير روح وانت لا تتألم بالضربة ولا يجري عليك شيء . وأما إذا خالفته فإنه يقتلك . ثم إنك إذا أبطلت رصده بالامتثال فادخل حتى ترى باباً آخر فاطرقه يخرج لك فارس راكب على فرس وعلى كتفه رمح فيقول : اي شيء أوصلك إلى هذا المكان الذي لا يدخله احد من الإنس ولا من الجن ؟ ويهز عليك الرمح . فافتح له صدرك فيضربك ويقع في الحال فتراه جسماً من غير روح . وإن خالفت قتلك . ثم ادخل الباب الثالث يخرج لك آدمي وفي يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس ، فافتح له صدرك فيضربك ويقع قدامك جسماً من غير روح . وإن خالفت قتلك . ثم ادخل الباب الرابع . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 614

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المغربي قال لجودر : ادخل الباب الرابع واطرقه يفتح لك ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه يريك أنه يقصد أكلك ، فلا تخف ولا تهرب منه فإذا وصل إليك فاعطه يدك ، فمتى عضّ على يدك فإنه يقع في الحال ولا يصيبك شيء . ثم ادخل الباب الخامس يخرج لك عبد أسود ويقول لك : من أنت ؟ فقل له : أنا جودر . فيقول لك : إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس . فتقدم إلى الباب وقل : يا عيسى قل لموسى يفتح الباب . فيفتح الباب ، فادخل تجد ثعبانين : أحدهما على الشمال والآخر على اليمين ، كل واحد منهما يفتح فاه ويهجمان عليك في الحال . فمدّ إليهم يديك فيعض كل واحد منهما في يد وإن خالفت قتلاك . ثم ادخل إلى الباب السابع واطرقه تخرج لك أمك وتقول لك : مرحباً يا ابني قدم حتى أسلم عليك . فقل لها : خليكي بعيداً عني واخلعي ثيابك . فتقول لك : يا ابني أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية كيف تعرّيني ؟ فقل لها : إن لم تخلعي ثيابك قتلتك . وانظر جهة يمينك تجد سيفاً معلّقاً في الحيط فخذه واسحبه عليها وقل لها : إخلعي . فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها . فكلما تخلع لك شيئاً قل لها : إخلعي الباقي . ولم تزل تهدّدها بالقتل حى تخلع لك جميع ما عليها وتسقط . وحينئذ قد حللت الرموز وأبطلت الأرصاد وقد أمنت على نفسك . فادخل تجد الذهب كيماناً داخل الكنز فلا تعتن بشيء منه وإنما ترى مقصورة في صدر الكنز وعليها ستارة ، فاكشف الستارة فإنك ترى

الكهين الشمردل راقداً على سرير من الذهب وعلى رأسه شيء مدوّر يلمع مثل القمر فهو دائرة الفلك وهو مقلد بالسيف وفي إصبعه خاتم وفي رقبته سلسلة فيها مكحلة. فهات الأربع ذخائر وإياك أن تنسى شيئاً مما اخبرتك به ولا تخالف فتندم ويخشى عليك. ثم كرّر عليه الوصية ثانياً وثالثاً ورابعاً حتى قال: حفظت. لكن من يستطيع أن يواجه هذه الأرصاد التي ذكرتها ويصبر على هذه الأهوال العظيمة؟ فقال له: يا جودر لا تخف إنهم أشباح من غير أرواح وصار يطمئنه. فقال جودر: توكلت على الله. ثم إن المغربي عبد الصمد ألقى البخور وصار يعزم مدة وإذا بالماء قد ذهب وبانت أرض النهر وظهر باب الكنز. فنزل إلى الباب وطرقه فسمع قائلاً يقول: من يطرق أبواب الكنوز ولم يعرف أن يحل الرموز؟ فقال: أنا جودر بن عمر. فانفتح الباب وخرج له الشخص وجرّد السيف وقال له: مد عنقك. فمد عنقه وضربه ثم وقع وكذلك الباب الثاني إلى أن أبطل أرصاد السبعة أبواب وخرجت أمه وقالت له: سلامات يا ولدي. فقال لها: أنت أي شيء؟ قالت: أنا أمك ولي عليك حقّ الرضاعة والتربية وحملتك تسعة أشهر يا ولدي. فقال لها: إخلعي ثيابك. فقالت: أنت ولدي كيف تعرّيني؟ قال لها: إخلعي وإلاّ أرمي رأسك بهذا السيف. ومدّ يده فأخذ السيف وشهره عليها وقال لها: إن لم تخلعي قتلتك. وطال بينها وبينه العلاج. ثم إنه لما أكثر عليها التهدد خلعت شيئاً فقال: إخلعي الباقي. وعالجها كثيراً حتى خلعت شيئاً آخر. ولا زال على هذه الحالة وهي تقول له: يا ولدي خابت فيك التربية حتى لم يبقَ عليها غير اللباس. فقالت: يا ولدي هل قلبك حجر؟ فتفضحني بكشف العورة؟ يا ولدي أما هذا حرام؟ فقال: صدقت فلا تخلعي اللباس. فلما نطق بهذه الكلمة صاحت وقالت: قد غلط فاضربوه. فنزل عليه ضرب مثل قطر المطر واجتمعت عليه خدام الكنز فضربوه علقة لم ينسها في عمره، ودفعوه فرموه خارج باب الكنز وانغلقت أبواب الكنز كما كانت. فلما رموه خارج الباب أخذه المغربي في الحال وجرت المياه كما كانت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 615

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جودراً لما ضربه خدام الكنوز ورموه خارج الباب وانغلقت الأبواب وجرى النهر كما كان أولاً. قام عبد الصمد المغربي وقرأ على جودر حتى أفاق وصحا من سكرته فقال له: أي شيء عملت يا مسكين؟ فقال له: أبطلت الموانعِ كلها ووصلت إلى أمي ووقع بيني وبينها معالجة طويلة وصارت يا أخي تخلع ثيابها حتى لم يبقَ عليها إلاّ اللباس. فقالت لي: لا تفضحني فإن كشف العورة حرام. فتركت لها اللباس شفقة عليها. وإذا بها صاحت وقالت: قد غلط فاضربوه. فخرج لي ناس لا أدري أين كانوا ثم إنهم ضربوني علقة حتى أشرفت على الموت ودفعوني ولم أدرِ بعد ذلك ما جرى لي. فقال له: أما قلت لك لا تخالف؟ قد أسأتني وأسأت نفسك، فلو خلعت لباسها كنا بلغنا المراد. ولكن حينئذ تقيم عندي إلى العام القابل لمثل هذا اليوم. ونادى العبدين في الحال فحلا الخيمة وحملاها ثم غابا قليلاً ورجعا بالبغلتين، فركب كل واحد بغلة ورجعا إلى مدينة فاس. فأقام عنده في أكل طيب وشرب طيب وكل يوم يلبسه حلة فاخرة إلى أن فرغت السنة وجاء ذلك اليوم. فقال له المغربي: هذا هو اليوم الموعود فامض بنا. قال له: نعم. فأخذه إلى خارج المدينة

فرأيا العبدين بالبغلتين ثم ركبا إلى ان وصلا عند النهر . فنصب العبدان الخيمة وفرشاها واخرج السفرة فتغديا . وبعد ذلك أخرج القصبة والألواح مثل الأول وأوقد النار واحضر له البخور وقال : يا جودر ، مرادي أن أوصيك . فقال له : يا سيدي الحاج ، إن كنت نسيت العلقة أكون نسيت الوصية . فقال له : هل أنت حافظ الوصية؟ قال : نعم . قال : إحفظ روحك ولا تظن أن المراة أمك وإنما هي رصد في صورة أمك ومرادها ان تغلطك ، وإن كنت أول مرة طلعت حياً فإنك في هذه المرة إن غلطت يرمونك مقتولاً . قال : إن غلطت استحق أن يحرقوني . ثم إن المغربي وضع البخور وعزم فنشف النهر . فتقدم جودر إلى الباب وطرقه فانفتح وابطل الأرصاد السبعة إلى أن وصل إلى امه فقالت له : مرحباً يا ولدي . فقال لها : من اين أنا ولدك يا ملعونة؟ إخلعي . فجعلت تخادعه وتخلع شيئاً بعد شيء حتى لم يبقَ غير اللباس . فقال : إخلعي يا ملعونة . فخلعت اللباس وصارت شبحاً بلا روح . فدخل ورأى الذهب كيماناً فلم يعتن بشيء ثم اتى المقصورة ورأى الكهين الشمردل راقداً متقلّداً بالسيف والخاتم في إصبعه والمكحلة على صدره ورأى دائرة الفلك فوق راسه . فتقدم وفك السيف وأخذ الخاتم ودائرة الفلك والمكحلة وخرج . وإذا بنوبة دقت له وصار الخدام ينادون : هنيت بما أعطيت يا جودر . ولم تزل النوبة تدق إلى أن خرج من الكنز ووصل إلى المغربي . فأبطل العزيمة والبخور وقام وحضنه وسلم عليه واعطاه جودر الأربع ذخائر . فأخذها وصاح على العبدين فأخذا الخيمة ورداها ورجعا بالبغلتين فركباهما ودخلا مدينة فاس . فأحضر الخرج وجعل يطلع منه الصحون وفيها الألوان وكملت قدامه سفرة وقال : يا اخي يا جودر كُل . فأكل حتى اكتفى وفرّغ بقية الأطعمة في صحون غيرها وردّ الفوارغ في الخرج . ثم إن المغربي عبد الصمد قال : يا جودر ، أنت فارقت أرضك وبلادك من أجلنا وقضيت حاجتنا وصار لك علينا أمنية ، فتمن ما تطلب فإن الله تعالى أعطاك ونحن السبب ، فاطلب مرادك ولا تستحي فإنك تستحق . فقال : يا سيدي ، تمنيت على الله ثم عليك أن تعطيني هذا الخرج . قال : هات الخرج فجاء به . قال : خذه فإنه حقك ولو كنت تمنيت غيره لأعطيناك إياه . ولكن يا مسكين هذا ما يفيدك غير الأكل وأنت تعبت معنا ونحن وعدناك أن نرجعك إلى بلادك مجبور الخاطر ، والخرج هذا تأكل منه ونعطيك خرجاً آخر ملآناً من الذهب والجواهر ونوصلك إلى بلادك فتصير تاجراً . واكس نفسك وعيالك ولا تحتاج إلى مصروف وكُل أنت وعيالك من هذا الخرج . وكيفية العمل به أنك تمد يدك فيه وتقول : بحق ما عليك من الأسماء العظام يا خادم هذا الخرج أن تأتيني باللون الفلاني . فإنه يأتيك بما تطلبه ولو طلبت كل يوم ألف لون . ثم إنه احضر عبداً ومعه بغلة وملأ له خرجاً عيناً بالذهب وعيناً بالجواهر والمعادن وقال له : إركب هذه البغلة والعبد يمشي قدامك فإنه يعرفك الطريق إلى أن يوصلك إلى باب دارك ، فإذا وصلت فخذ الخرجين واعطه البغلة فإنه يأتي بها ولا تظهر أحداً على سرّك واستودعناك الله . فقال له : كثر الله خيرك . وحط الخرجين على ظهر البغلة وركب ، والعبد مشى قدامه وصارت البغلة تتبع العبد ذلك النهار وطول الليل . وثاني يوم في الصباح دخل من باب النصر فرأى أمه قاعدة تقول : شيئاً لله . فطار عقله ونزل من فوق ظهر البغلة ورمى روحه عليها . فلما رأته بكت . ثم إنه ركبها ظهر البغلة ومشى في ركابها إلى أن وصل إلى البيت ، فنزّل أمه وأخذ الخرجين وترك البغلة للعبد فأخذها وراح لسيده لأن العبد شيطان والبغلة شيطان . وأما ما

كان من جودر فإنه صعب عليه كون أمه تسأل . فلما دخل البيت قال لها : يا أمي ، هل اخواي طيبان؟ قالت : طيبان . قال : لأي شيء تسألين في الطريق؟ قالت : يا ابني من جوعي . قال : أنا أعطيتك قبل ما أسافر مائة دينار في أول يوم ومائة دينار ثاني يوم وأعطيتك الف دينار يوم سافرت . فقالت : يا ولدي ، قد مكرا بي وأخذاها مني وقالا : مرادنا أن نشتري بها سبباً . فأخذاها وطرداني ، فصرت أسأل في الطريق من شدة الجوع . فقال : يا أمي ، ما عليك بأس حيث جئت فلا تحملي هماً أبداً . هذا خرج ملآن ذهباً وجواهر والخير كثير . فقالت له : يا ولدي أنت مسعد ، الله يرضى عليك ويزيدك من فضله . قم يا ابني هات لنا عيشاً فإني بايتة بشدة الجوع من غير عشاء . فضحك وقال لها : مرحباً بك يا أمي ، فاطلبي اي شيء تأكلينه وأنا أحضره في هذه الساعة ولا احتاج لشراء من السوق ولا احتاج لمن يطبخ . فقالت : يا ولدي ما أنا ناظرة معك شيئاً؟ فقال : معي في الخرج من جميع الألوان . فقالت : يا ولدي كل شيء حضر يسد . قال : صدقت . فعند عدم الموجود يقنع الإنسان بأقل الشيء ، وأما إذا كان الموجود حاضراً فإن الإنسان يشتهي ان يأكل من الشيء الطيب ، وأنا عندي الموجود فاطلبي ما تشتهين . قالت له : يا ولدي عيشاً سخناً وقطعة جبن . فقال : يا أمي ما هذا من مقامك؟ فقالت له : انت تعرف مقامي فالذي من مقامي اطعمني منه . فقال : يا أمي أنت من مقامك اللحم المحمّر والفراخ المحمّرة والأرز المفلفل ، ومن مقامك المنبار المحشي والقرع المحشي والخاروف المحشي والضلع المحشي والكنافة بالمكسرات والعسل النحل والسكر والقطائف والبقلاوة . فظنت امه أنه يضحك عليها ويسخر منها فقالت له : يوه يوه ، أي شيء جرى لك؟ هل انت تحلم وإلاّ جننت؟ فقال لها : من أين علمت اني جننت؟ قالت له : لأنك تذكر لي جميع الألوان الفاخرة ، فمن يقدر على ثمنها؟ ومن يعرف ان يطبخها؟ فقال لها : وحياتي لا بد ان أطعمك من جميع الذي ذكرته لك في هذه الساعة . فقالت له : أنا ناظرة شيئاً . فقال لها : هاتي الخرج . فجاءت له بالخرج وجسّته فرأته فارغاً وقدمته إليه . فصار يمد يده ويخرج صحوناً ملآنة حتى أنه أخرج لها جميع ما ذكره . فقالت له أمه : يا ولدي ، إن الخرج صغير وكان فارغاً وليس فيه شيء وقد أخرجت منه هذا كله . فهذه الصحون أين كانت؟ فقال : يا أمي ، أعلمي أن هذا الخرج أعطانيه المغربي وهو مرصود وله خادم إذا أراد الإنسان شيئاً وتلا عليه الأسماء وقال : يا خادم هذا الخرج هات لي اللون الفلاني فإنه يحضره . فقالت له أمه : هل أمدّ يدي وأطلب منه؟ قال : مدي يدك . فمدت يدها وقالت : بحق ما عليك من الأسماء يا خادم هذا الخرج ان تجيء لي بضلع محشي . فرأت الصحن صار في الخرج ، فمدت يدها فأخذته فوجدت فيه ضلعاً محشياً نفيساً . ثم طلبت العيش وطلبت كل شيء أرادته من أنواع الطعام . فقال لها : يا أمي ، بعد ان تفرغي من الأكل افرغي بقية الأطعمة في صحون غير هذه الصحون وارجعي الفوارغ في الخرج فإن الرصد على هذه الحالة ، واحفظي الخرج . فنقلت الخرج وحفظته وقال لها : يا أمي ، اكتمي السر وابقيه عندك وكلما احتجتي لشيء أخرجيه من الخرج وتصدقي واطعمي اخوي سواء كان في حضوري او في غيابي . وجعل يأكل هو وإياها وإذا بأخويه داخلان عليه وكان بلغهم الخبر من رجل من أولاد حارته وقال لهم : أخوكم أتى وهو راكب على بغلة وقدامه عبد وعليه حلة ليس لها نظير . فقالا لبعضهما : يا ليتنا ما كنا شوّشنا على امنا ، لا بد أنها تخبره بما عملنا فيها ، يا فضيحتنا منه . فقال واحد منهما : أمنا

شفيقة، فإن أخبرته فإن أخونا أشفق منها علينا وإذا اعتذرنا إليه يقبل عذرنا. ثم دخلا عليه فقام لهما على الأقدام وسلّم عليهما غاية السلام وقال لهما: اقعدا وكلا. فقعدا وأكلا وكانا ضعيفين من الجوع فما زالا يأكلان حتى شبعا. فقال لهما جودر: يا أخوي، خذا بقية الطعام وفرّقاه على الفقراء والمساكين. فقالا له: يا أخانا خله لنتعشى به. فقال لهما: وقت العشاء يأتيكما أكثر منه. فأخرجا بقية الأطعمة وصارا كل فقير جاز عليهما يقولان له: خذ وكُل حتى لم يبقَ شيء. ثم ردا الصحون فقالا لأمه: حطيها في الخرج. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 616

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جودراً لما خلص أخواه من الغداء قال لأمه: حطي الصحون في الخرج. وعند المساء دخل القاعة وأخرج من الخرج سماطاً أربعين لوناً وطلع. فلما جلس بين أخواه قال لأمه: هاتي العشاء. فلما دخلت رأت الصحون ممتلئة فحطت السفرة ونقلت الصحون شيئاً بعد شيء حتى كملت الأربعين صحناً. فتعشوا وبعد العشاء قال: خذوا واطعموا الفقراء والمساكين. فأخذوا بقية الأطعمة وفرقوها. وبعد العشاء أخرج لهم حلويات فأكلوا منها والذي فضل منهم قال: اطعموه للجيران. وفي ثاني يوم الفطور كذلك. وما زالوا على هذه الحالة مدة عشرة أيام. ثم قال سالم لسليم: ما سبب هذا الأمر؟ إن أخانا يخرج لنا ضيافة في الصبح وضيافة في الظهر وضيافة في المغرب وفي آخر الليل حلويات، وكل شيء فضل يفرّقه على الفقراء وهذا فعل السلاطين. ومن أين أتته هذه السعادة؟ ألا تسأل عن هذه الأطعمة المختلفة وعن هذه الحلويات؟ وكل شيء فضل يفرّقه على الفقراء والمساكين ولا نراه يشتري شيئاً أبداً ولا يوقد ناراً وليس له مطبخ ولا طباخ. فقال له أخوه: والله لا أدري، ولكن هل تعرف من يخبرنا بحقيقة هذا الأمر؟ قال له: لا يخبرنا إلاّ أمنا. فدبرا لهما حيلة ودخلا على أمهما في غياب أخيهما وقالا: يا أمنا نحن جائعان. فقالت لهما: أبشرا. ودخلت القاعة فطلبت من خادم الخرج وأخرجت لهما أطعمة سخنة. فقالا: يا أمنا هذا الطعام سخن وأنت لم تطبخي ولم تنفخي. فقالت لهما: إنها من الخرج. فقالا لها: أي شيء هذا الخرج؟ فقالت لهما: إن الخرج مرصود والطلب من الرصد. وأخبرتهما بالخبر وقالت لهما: اكتما السر. فقالا لها: السر مكتوم يا أمنا، ولكن علّمينا كيفية ذلك. فعلّمتهما وصارا يمدان أياديهما ويخرجان الشيء الذي يطلبانه وأخوهما ما عنده خبر بذلك. فلما علما بصفة الخرج قال سالم لسليم: يا أخي، إلى متى ونحن عند جودر في صفة الخدامين ونأكل صدقته؟ ألا نعمل عليه حيلة ونأخذ هذا الخرج ونفوز به؟ فقال: كيف تكون الحيلة؟ قال: نبيع أخانا لرئيس بحر السويس. فقال له: وكيف نصنع حتى نبيعه؟ فقال: أروح أنا وأنت لذلك الرئيس ونعزمه مع اثنين من جماعته والذي أقوله لجودر تصدقني عليه، وآخر الليل أريك ما أصنع. ثم اتفقا على بيع أخيهما وراحا بيت رئيس بحر السويس ودخل سالم وسليم على الرئيس وقالا له: يا رئيس، جئناك في حاجة تسرّك. فقال: خيراً. قالا له: نحن أخوان ولنا أخ ثالث معكوس لا خير فيه، ومات أبونا وخلّف لنا جانباً من المال. ثم إننا قسمنا المال وأخذ هو ما نابه من الميراث فصرفه في الفسق والفساد، ولما افتقر تسلّط علينا وصار يشكونا إلى الظلمة ويقول: أنتما أخذتما مالي ومال أبي. وبقينا نترافع إلى الحكام وخسرنا المال وصبر علينا مدة واشتكانا ثانياً حتى أفقرنا ولم

يرجع عنا وقد قلقنا منه . والمراد أنك تشتريه منا . فقال لهما : هل تقدران أن تحتالا عليه وتأتيا به إلى هنا ؟ وأنا أرسله سريعاً إلى البحر . فقالا : ما نقدر أن نجيء به ، ولكن أنت تكون ضيفنا وهات معك اثنين من غير زيادة فلما ينام نتعاون عليه نحن الخمسة فنقبضه ونجعل في فمه العقلة وتأخذه تحت الليل وتخرج به من البيت وافعل فيه ما شئت . فقال لهما : سمعاً وطاعةً . أتبيعانه بأربعين ديناراً؟ فقالا له : نعم . وبعد العشاء تأتي الحارة الفلانية فتجد واحداً منا ينتظركم . فقال لهما : روحا . فقصدا جودر وصبرا ساعة ثم تقدم إليه سالم وقبّل يده . فقال له : ما لك يا أخي ؟ فقال له : أعلم أن لي صاحباً وعزمني مرات عديدة في بيته في غيابك وله عليّ ألف جميلة ودائماً يكرمني بعلم أخي . فسلّمت عليه اليوم فعزمني فقلت له : أنا ما أقدر أن أفارق أخي . فقال : هاته معك . فقلت : لا يرضى بذلك ، ولكن إن كنت تضيفنا أنت وأخوتك ، وكانا أخوته جالسين عنده فعزمتهم وقد ظننت أني أعزمهم ويمتنعوا . فلما عزمته هو وأخوته رضي وقال : انتظرني على باب الزاوية وأنا أجيء بإخوتي . فأنا خائف أن يجيء ومستحي منك . فهل تجبر خاطري وتضيفهم في هذه الليلة؟ وأنت خيرك كثير يا أخي . وإن كنت لم ترض فأذنْ لي أن أدخلهم بيت الجيران . فقال له : لأي شيء تدخلهم بيت الجيران ؟ فهل بيتنا ضيّقاً وما عندنا شيء نعشّيهم به ؟ عيب عليك أن تشاورني ، ما لك إلاّ أطعمه طيبة وحلاويات إلى أن يفضل عنهم . وإن جئت بناس وكنت أنا غائباً فاطلب من أمك تخرج لك أطعمة بزيادة . رح هاتهم حلّت علينا البركات . فقبّل يده وراح فقعد على باب الزاوية لبعد العشاء وإذا بهم قد أقبلوا عليه ، فأخذهم ودخل بهم البيت . فلما رآهم جودر قال لهم : مرحباً بكم ، وأجلسهم وعمل معهم صحبة وهو لا يعلم ما في الغيب منهم . ثم إنه طلب العشاء من أمه فجعلت تخرج من الخرج وهو يقول : هات اللون الفلاني حتى صار قدامهم أربعون لوناً ، فأكلوا حتى اكتفوا ورفعت السفرة والبحرية يظنون أن هذا الإكرام من عند سالم . فلما مضى ثلث الليل أخرج لهم الحلاويات ، وسالم هو الذي يخدمهم وجودر وسليم قاعدان إلى أن طلبوا المنام . فقام جودر نام وناموا حتى غفل ، وقاموا وتعاونوا عليه فلم يفق والعقلة في فمه وكتّفوه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 617

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً لما أخذوه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل أرسلوه إلى السويس وحطوا في رجليه القيد وأقام يخدم وهو ساكت . ولم يزل يخدم خدمة الأسارى والعبيد سنة كاملة . هذا ما كان من أمر جودر . وأما ما كان من أمر أخويه فإنهما لما أصبحا دخلا على أمهما وقالا لها : يا أمنا ، إن أخانا جودر لم يستيقظ . فقالت لهما : أيقظاه . قالا لها : أين راقد ؟ قالت لهما : عند الضيوف . قالا : لعله راح مع الضيوف ونحن نائمان يا أمي ، كأن أخانا ذاق الغربة ورغب في دخول الكنوز وقد سمعناه يتكلم مع المغاربة فيقولون له : نأخذك معنا ونفتح لك الكنز . فقالت : هل اجتمع مع المغاربة ؟ قالا لها : أما كانوا ضيوفاً عندنا ؟ قالت : لعله راح معهم . ولكن الله يرشد طريقه ، هذا مسعد لا بدّ أن يأتي بخير كثير . وبكت وعزّ عليها فراقه . فقالا لها : يا ملعونة ، أتحبين جودر كل هذه المحبة ونحن إن غبنا أو حضرنا فلا تفرحي بنا ولا تحزني علينا . أما نحن ولداك كما أن جودراً ابنك ؟

فقالت : أنتما ولداي ولكن أنتما شقيان ولا لكما عليّ فضل ، ومن يوم مات أبوكما ما رأيت منكما خيراً . وأما جودر فرأيت منه خيراً كثيراً وجبر خاطري وأكرمني فيحق لي ان أبكي عليه لأن خيره عليّ وعليكما . فلما سمعا هذا الكلام شتماها وضرباها ودخلا وصارا يفتشان على الخرج حتى عثرا به وأخذا الجواهر من العين الأولى والذهب من العين الثانية والخرج المرصودة . فقالا لها : هذا مال أبينا . فقالت : لا والله إنما هو مال أخيكما جودر ، جاء به من بلاد المغاربة . فقالا لها : كذبت بل هذا مال أبينا ونحن نتصرّف فيه فقسّماه بينهما ، ووقع الاختلاف بينهما في الخرج المرصود . فقال سالم : أنا آخذه . وقال سليم : أنا آخذه . ووقعت بينهما المعاندة . فقالت أمهما : يا ولداي ، الخرج الذي فيه الجواهر والذهب قسمتماه وهذا لا ينقسم ولا يعادل بمال وإن انقطع قطعتين بطل رصده . ولكن أتركاه عندي وأنا أخرج لكما ما تأكلانه في كل وقت وأرضي بينكما باللقمة ، وإن كسوتماني شيئاً من فضلكما وكل منكما يجعل له معاملة مع الناس . وأنتما ولداي وأنا أمكما وخلونا على حالنا ربما يأتي أخوكما خوف الفضيحة . فما قبلا كلامها وباتا يختصمان تلك الليلة ، فسمعهما رجل قواص من أعوان الملك كان معزوماً في بيت بجنب بيت جودر طاقته مفتوحة ، فطل القواص من الطاقة وسمع جميع الخصام وما قالوه من الكلام والقسمة . فلما أصبح الصباح دخل ذلك الرجل القواص على الملك وكان اسمه شمس الدولة وكان ملك مصر في ذلك العصر . فلما دخل عليه القواص أخبره بما قد سمعه ، فأرسل الملك إلى أخوي جودر وجاء بهما ورماهما تحت العذاب ، فاقرّا وأخذ الخرجين منهما ووضعهما في السجن . ثم إنه عيّن إلى أم جودر من الجرايات في كل يوم ما يكفيها . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر جودر فإنه أقام سنة كاملة يخدم في السويس ، وبعد السنة كانوا في المركب فخرج عليهم ريح رمى المركب التي هم فيها على جبل فانكسرت وغرق جميع ما فيها ولم يحصل البر إلاّ جودر والبقية ماتوا . فلما حصل البر سافر حتى وصل إلى نجع عرب فسألوه عن حاله ، فأخبرهم انه كان بحرياً في مركب وحكى لهم قصته . وكان في النجع رجل تاجر من أهل جدة فحنّ عليه وقال له : هل تخدم عندنا يا مصري ؟ وأنا أكسوك وآخذك معي إلى جدة . فخدم عنده وسافر معه إلى أن وصلا إلى جدة فأكرمه كثيراً . ثم إن سيده التاجر طلب الحج فأخذه معه إلى مكة ، فلما دخلاها راح جودر ليطوف في الحرم . فبينما هو يطوف وإذا هو بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 618

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان جودراً لما كان ماشياً بالطواف وإذا هو بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف ، فلما رآه سلّم عليه وسأله عن حاله . فبكى ثم أخبره بما جرى له . فأخذه معه إلى ان دخل منزله وأكرمه وألبسه حلّة ليس لها نظير وقال له : زال عنك الشر يا جودر . وضرب له تخت رمل فبان له الذي جرى لأخويه فقال له : أعلم يا جودر ان أخويك جرى لهما كذا وكذا وهما محبوسان في سجن ملك مصر ، ولكن مرحباً بك حتى تقضي مناسكك ولا يكون إلاّ خيراً . فقال له : يا سيدي ، حتى أروح آخذ خاطر التاجر الذي أنا عنده وأجيء إليك . فقال : هل عليك مال ؟ قال : لا . فقال : رح خذ بخاطره وتعال في الحال فإن العيش له حق عند أولاد الحلال . فراح وأخذ بخاطر التاجر وقال له : إني اجتمعت على

أخي . فقال له : رح هلته ونعمل له ضيافة . فقال له : ما يحتاج فإنه من أصحاب النعم وعنده خدم كثير . فأعطاه عشرين ديناراً وقال له : أبرىء ذمتي . فودعه وخرج من عنده فرأى رجلاً فقيراً فأعطاه العشرين ديناراً . ثم إنه ذهب إلى عبد الصمد المغربي فأقام عنده حتى قضيا مناسك الحج وأعطاه الخاتم الذي أخرجه من كنز الشمردل وقال له : خذ هذا الخاتم فإنه يبلغك مرادك لأن له خادماً اسمه الرعد القاصف ، فجميع ما تحتاج إليه من حوائج الدنيا فادعك الخاتم يظهر لك الخادم وجميع ما تأمره به يفعله لك . ودعكه قدامه فظهر له الخادم ونادى : لبيك يا سيدي أي شيء تطلب فتعطى ، فهل تعمّر مدينة خربة أو تخرّب مدينة عامرة أو تقتل ملكاً أو تكسر عسكر ؟ فقال له المغربي : يا رعد ، هذا صار سيدك فاستوص به . ثم صرفه وقال : ادعك الخاتم يحضر بين يديك خادمه فأمره بما في مرادك فإنه لا يخالفك وامض إلى بلادك واحتفظ عليه فإنك تكيد به أعدائك ولا تجهل مقدار هذا الخاتم . فقال له : يا سيدي ، عن إذنك أسير إلى بلادي . قال له : ادعك الخاتم يظهر لك الخادم فاركب على ظهره ، وإن قلت له أوصلني في هذا اليوم إلى بلادي فلا يخالف أمرك . ثم ودّع جودر عبد الصمد ودعك الخاتم فحضر له الرعد القاصف وقال له : لبيك أطلب تعط . فقال له : أوصلني إلى مصر في هذا اليوم . فقال له : لك ذلك . وحمله وطار به من وقت الظهر إلى نصف الليل ثم نزل به في وسع بيت أمه وانصرف . فدخل على أمه ، فلما رأته قامت وبكت وسلّمت عليه وأخبرته بما قد جرى لأخويه من الملك وكيف ضربهم وأخذ الخرج المرصود والخرج الذهب والجواهر . فلما سمع جودر ذلك لم يهن عليه أخواه فقال لأمه : لا تحزني على ما فاتك ففي هذه الساعة أريك ما أصنع وأجيء بأخويّ . ثم إنه دعك الخاتم فحضر له الخادم وقال : لبيك أطلب تعط . فقال له : أمرتك أن تجيء لي بأخوي من سجن الملك . فنزل إلى الأرض ولم يخرج إلاّ من وسط السجن . وكان سالم وسليم في أشد ضيق وكرب عظيم من ألم السجن وصارا يتمنيان الموت وأحدهما يقول للآخر : والله يا أخي قد طالت علينا المشقة ، وإلى متى ونحن في هذا السجن ؟ فالموت فيه راحة لنا . فبينما هما كذلك وإذا بالأرض انشقت وخرج لهما الرعد القاصف وحمل الإثنين ونزل بهما في الأرض ، فغشي عليهما من شدة الخوف . فلما أفاقا وجدا أنفسهما في بيتهما ورأيا أخاهما جودر جالساً وأمه في جانبه فقال لهما : سلامات يا أخويّ آنستماني . فطأطأا وجهيهما في الأرض وصارا يبكيان . فقال لهما : لا تبكيا ، فالشيطان والطمع ألجأكما إلى ذلك . وكيف تبيعاني ؟ ولكن أتسلى بيوسف فإنه فعل به أخوته أبلغ من فعلكم معي حيث رموه في الجب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 619

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً قال لأخويه : كيف فعلتما معي هذا الامر ؟ ولكن توبا إلى الله واستغفراه فيغفر لكما وهو الغفور الرحيم ، وقد عفوت عنكما ومرحباً بكما ولا بأس عليكما . وجعل يأخذ بخواطرهما حتى طيّب قلوبهما وصار يحكي لهما جميع ما قاساه في السويس إلى أن اجتمع بالشيخ عبد الصمد وأخبرهما بالخاتم . فقالا : يا أخانا لا تؤاخذنا في هذه المرة ، إن عدنا لما كنا فيه فافعل بنا مرادك . فقال : لا بأس ، ولكن أخبراني بما فعل بكما الملك . فقالا : ضربنا وهددنا وأخذ الخرجين منا . فقال : أما يبالي ؟ ودعك

الخاتم فحضر له الخادم . فلما رآه أخواه خافا منه وظنّا أنه يأمر الخادم بقتلهما فذهبا إلى أمهما وصارا يقولان : يا أمنا ، نحن في عرضك يا أمّنا إشفعي فينا . فقالت لهما : يا ولديّ لا تخافا . ثم إنه قال للخادم : أمرتك أن تأتيني بجميع ما في خزانة الملك من الجواهر وغيرها ولا تبق فيها شيئاً ، وتأتي بالخرج المرصود والخرج الجواهر اللذين أخذهما الملك من أخويّ . فقال : السمع والطاعة . وذهب في الحال وجمع ما في الخزانة وجاء بالخرجين بأمانتهما ووضع جميع ما كان في الخزانة قدام جودر وقال : يا سيدي ، ما أبقيت في الخزانة شيئاً . فأمر أمه أن تحفظ خرج الجواهر وحطّ الخرج المرصود قدامه وقال للخادم : أمرتك أن تبني لي في هذه الليلة قصراً عالياً وتزوّقه بماء الذهب وتفرشه فرشاً فاخراً ولا يطلع النهار إلاّ وأنت خالص من جميعه . فقال له : لك ذلك . ونزل في الأرض وبعد ذلك أخرج جودر الأطعمة وأكلوا وانبسطوا وناموا . وأما ما كان من أمر الخادم فإنه جمع أعوانه وأمر ببناء القصر . فصار البعض منهم يقطع الأحجار والبعض يبني والبعض يبيض والبعض ينقش والبعض يفرش ، فما طلع النهار حتى تم انتظام القصر . ثم طلع الخادم إلى جودر وقال : يا سيدي ، إن القصر كمل وتمّ نظامه فإن كنت تطلع تتفرّج عليه فاطلع . فطلع هو وأمه وأخواه فرأوا هذا القصر ليس له نظير ، يحيّر العقول من حسن نظامه . ففرح به جودر ، وكان على قارعة الطريق ومع ذلك لم يتكلّف عليه شيء . فقال لأمه : هل تسكنين في هذا القصر ؟ فقالت : يا ولدي أسكن ودعت له . فدعك الخاتم وإذا بالخادم يقول : لبيك . فقال له : أمرتك أن تأتيني بأربعين جارية بيض ملاح وأربعين جارية سود وأربعين مملوكاً وأربعين عبداً . فقال : لك ذلك . وذهب مع أربعين من أعوانه إلى بلاد الهند والسند والعجم وصاروا كلما يروا بنتاً جميلة يخطفونها أو غلاماً يخطفونه وأنفذ أربعين . فجاؤوا بجوار سود ظراف وأربعين جاؤوا بعبيد وأتى الجميع دار جودر فملأوها . ثم عرضهم على جودر فأعجبوه فقال : هات لكل شخص حلّة من أفخر الملبوس . قال : حاضر . وقال : هات حلة تلبسها أمي وحلة ألبسها أنا . فأتى بالجميع وألبس الجواري وقال لهم : هذه سيدتكم فقبّلوا يدها ولا تخالفوها واخدموها بيضاً وسوداً . ولبس المماليك وقبّلوا يد جودر ، ولبس أخواه . وصار جودر كناية عن ملك وأخواه مثل الوزراء . وكان بيته واسعاً فأسكن سالماً وجواريه في جهة وسليماً وجواريه في جهة وسكن هو وأمه في القصر الجديد وصار كل منهم في محله مثل السلطان . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر خازندار الملك فإنه أراد أن يأخذ بعض مصالح من الخزانة فدخل فلم يرَ فيها شيئاً بل وجدها كقول من قال : [من البسيط]

كانَتْ خَلِيّاتُ نَحْلٍ وَهْيَ عامِرَةٌ لمّا خَلى نَحْلُها صارَتْ خَلِيَّاتِ

فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيّاً عليه . فلما أفاق خرج من الخزانة وترك بابها مفتوحاً ودخل على الملك شمس الدولة وقال : يا أمير المؤمنين ، الذي نعلمك به أن الخزانة فرغت في هذه الليلة . فقال الملك : ما صنعت بأموالي التي في خزانتي ؟ فقال : والله ما صنعت فيها شيئاً ولا أدري ما سبب فراغها . بالأمس دخلتها فرأيتها ممتلئة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة ليس فيها شيء والأبواب مغلوقة ولا نقبت ولا كسرت ضبتها ولم يدخلها سارق . فقال له : هل راح منها الخرجان ؟ فقال : نعم . فطار عقله من رأسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 620

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن خازندار الملك لما دخل عليه وأعلمه أن ما في الخزانة ضاع وكذلك الخرجان، طار عقله من رأسه وقام على قدميه. ثم إنه قال للخازندار : إمض قدامي. فمضى وتبعه الملك حتى أتيا الخزانة فلم يجد فيها شيئاً. فانقهر الملك وقال : من سطا على خزانتي ولم يخف من سطوتي؟ وغضب غضباً شديداً ثم خرج ونصب الديوان، فجاءت أكابر العساكر وصار كل منهم يظن أن الملك غضبان عليه فقال : يا عساكر أعلموا أن خزانتي انتهبت في هذه الليلة ولم أعلم من فعل هذه الفعال وسطا عليّ ولم يخف مني؟ فقالوا : وكيف ذلك؟ فقال : إسألوا الخازندار. فسألوه قال الخازندار : بالأمس كانت ممتلئة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة ولم تنقب ولم يكسر بابها. فتعجب جميع العسكر من هذا الكلام. فلم يحصل ردّ الجواب من العسكر إلاّ والقواص الذي نمّ سابقاً على سليم وسالم داخل على الملك وقال : يا ملك الزمان، طول الليل وأنا أتفرّج على بنّائين يبنون. فلما طلع النهار رأيت قصراً مبنياً ليس له نظير فسألت فقيل لي : إن جودر أتى وبنى هذا القصر وعنده مماليك وعبيد وجاء بأموال كثيرة وخلص أخويه من السجن وهو في داره كأنه سلطان. فقال الملك : انظروا السجن. فنظروه فلم يروا سالماً وسليماً فرجعوا وأعلموه بما جرى. فقال الملك : بانَ غريمي، فالذي خلص سالماً وسليماً من السجن هو الذي أخذ مالي. فقال الوزير : يا سيدي من هو؟ قال : أخوهم جودر وأخذ الخرجين، ولكن يا وزير أرسل له أميراً بخمسين رجلاً يقبضون عليه وعلى أخويه ويضعون الختم على جميع ماله ويأتوني بهم حتى أشنقهم. وقد غضب غضباً شديداً وقال : هيّا بالعجل إبعث لهم أميراً يأتيني بهم لأقتلهم. قال له الوزير : إحلم فان الله حليم لا يعجل على عبده إذا عصاه، فإن الذي يكون بنى قصراً في ليلة واحدة كما قالو لم يقس عليه أحد في الدنيا، وإني أخاف على الأمير أن يجري له مشقة من جودر. فاصبر حتى أدبر لك تدبيراً وتنظر حقيقة الأمر والذي في مرادك أنت لاحقه يا ملك الزمان. فقال الملك : دبر لي تدبيراً يا وزير. قال له : أرسل له الأمير واعزمه ثم إني أتقيد لك به وأظهر له الود وأسأله عن حاله وبعد ذلك ننظر إن كان عزمه شديداً نحتال عليه بحيلة وإن كان عزمه ضعيفاً فاقبض عليه وافعل به مرادك. فقال الملك : أرسل اعزمه. فأمر أميراً اسمه الأمير عثمان أن يروح إلى جودر ويعزمه ويقول له : الملك يدعوك للضيافة. وقال له الملك : لا تجيء إلاّ به. وكان ذلك الأمير أحمق متكبّراً في نفسه. فلما نزل رأى قدام باب القصر طواشياً جالساً على كرسي في باب القصر. فلما وصل الأمير عثمان إلى القصر لم يقم له وكأنه لم يكن مقبلاً عليه أحد. ومع ذلك كان مع الأمير عثمان خمسون رجلاً. فوصل الأمير عثمان وقال له : يا عبد أين سيدك؟ قال له : في القصر، وصار يكلمه وهو متكىء. فغضب الأمير عثمان وقال له : يا عبد النحس أما تستحي مني وأنا أكلمك وأنت مضطجع مثل العلوق؟ فقال له : إمشي لا تكن كثير الكلام. فما سمع منه هذا الكلام حتى امتزج بالغضب وسحب الدبوس وأراد أن يضرب الطواشي ولم يعلم أنه شيطان. فلما رآه سحب الدبوس قام واندفع عليه وأخذ منه الدبوس وضربه به أربع ضربات. فلما رآه الخمسون رجلاً صعب عليهم ضرب سيدهم فسحبوا السيوف وأرادوا أن يقتلوا العبد فقال لهم : أتسحبون السيوف يا كلاب؟ وقام عليهم وصار كل من لطشه دبوساً يهشّمه ويغرقه في الدم.

فانهزموا قدامه ولا زالوا هاربين وهو يضربهم إلى أن بعدوا عن باب القصر، ورجع وجلس على كرسيه ولم يبال بأحد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 621

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الطواشي لما شتت الأمير عثمان تابع الملك وجماعته إلى أن أبعدهم عن باب دار جودر، رجع وجلس على الكرسي عند باب القصر ولم يبال بأحد. وأما ما كان من أمر الأمير عثمان وجماعته فإنهم رجعوا منهزمين مضروبين إلى أن وقفوا قدام الملك شمس الدولة وأخبروه بما جرى لهم. وقال الأمير عثمان للملك: يا ملك الزمان لما وصلت إلى باب القصر رأيت طواشياً جالساً في الباب على كرسي من الذهب وهو متكبّر، فلما رآني مقبلاً عليه اضطجع بعد أن كان جالساً واحتقرني ولم يقم لي. فصرت أكلمه فيجيبني وهو مضطجع، فأخذتني الحدّة وسحبت عليه الدبوس وأردت ضربه فأخذ الدبوس مني وضربني به وضرب جماعتي وبطحهم وهربنا من قدامه ولم نقدرعليه. فحصل للملك غيظ وقال: ينزل إليه مائة رجل. فنزلوا إليه وأقبلوا عليه، فقام لهم بالدبوس ولا زال يضرب فيهم حتى هربوا من قدامه ورجع وجلس على الكرسي. فرجع المائة رجل ولما وصلوا إلى الملك أخبروه وقالوا له: يا ملك الزمان، هربنا من قدامه خوفاً منه. فقال الملك: تنزل مائتان. فنزلوا فكسرهم ثم رجعوا. فقال الملك للوزير: ألزمتك أيها الوزير أن تنزل بخمسمائة رجل وتأتيني بهذا الطواشي سريعاً وتأتي بسيده جودر وأخويه. فقال له: يا ملك الزمان، لا أحتاج لعسكر بل أروح إليه وحدي من غير سلاح. فقال له: رح وافعل الذي تراه مناسباً. فرمى الوزير السلاح ولبس حلة بيضاء وأخذ في يده سبحة ومشى وحده من غير ثانٍ حتى وصل إلى قصر جودر فرأى العبد جالساً. فلما رآه أقبل عليه من غير سلاح وجلس جنبه بأدب ثم قال: السلام عليكم. فقال: وعليك السلام يا إنسي، ما تريده؟ فلما سمعه يقول: يا إنسي. علم أنه من الجن وارتعش من خوفه فقال له: يا سيدي، هل سيدك جودر هنا؟ قال: نعم في القصر. فقال له: يا سيدي إذهب إليه وقل له: إن الملك شمس الدولة يدعوك وعامل لك ضيافة ويقرؤك السلام ويقول لك: شرّف منزله وكل ضيافته. فقال له: قف أنت هنا حتى أشاوره. فوقف الوزير مؤدّباً وطلع المارد القصر وقال لجودر: أعلم يا سيدي أن الملك أرسل إليك أميراً فضربته وكان معه خمسون رجلاً فهزمتهم، ثم إنه أرسل مائة رجل فضربتهم، ثم أرسل مئتا رجل فهزمتهم، ثم أرسل إليك الوزير من غير سلاح يدعوك إليه لتأكل ضيافته، فماذا تقول؟ فقال له: رح هات الوزير إلى هنا. فنزل من القصر وقال له: يا وزير كلّم سيدي. فقال: على الرأس. ثم إنه طلع ودخل على جودر فرآه أعظم من الملك جالساً على فرش لا يقدر الملك أن يفرش مثله، وتحيّر فكره من حسن القصر ومن نقشه وفرشه حتى كأن الوزير بالنسبة إليه فقير، فقبّل الأرض ودعا له. فقال له: ما شأنك أيها الوزير؟ فقال له: يا سيدي إن الملك شمس الدولة حبيبك يقرؤك السلام ومشتاق إلى النظر لوجهك وقد عمل لك ضيافة فهل تجبر خاطره؟ فقال جودر: حيث كان حبيبي فسلّم عليه وقل له يجيء هو عندي. فقال له: على الرأس. وأخرج الخاتم ودعكه فحضر الخادم فقال له: هات لي حلة من خيار الملبوس. فأحضر له حلة فقال: إلبس هذه يا وزير فلبسها. ثم قال له: رح أعلم الملك بما قلته. فنزل لابساً تلك الحلة التي لم

يلبس مثلها، ثم دخل على الملك وأخبره بحال جودر وشكر القصر وما فيه وقال: إن جودر عزمك. فقال: قوموا يا عسكر. فقاموا كلهم على الأقدام. وقال: إركبوا خيلكم وهاتوا لي جوادي حتى نروح إلى جودر. ثم إن الملك ركب وأخذ العساكر وتوجهوا إلى بيت جودر. وأما جودر فإنه قال للمارد: مرادي أن تجيء لنا من أعوانك بعفاريت في صفة الإنس يكونون عسكراً ويقفون في ساحة البيت حتى يراهم الملك فيرعبونه ويفزعونه، فيرتجف قلبه ويعلم أن سطوتي أعظم من سطوته. فأحضر مائتين في صفة عسكر متقلّدين بالسلاح الفاخر وهم شداد غلاظ. فلما وصل الملك رأى القوم الشداد الغلاظ فخاف قلبه منهم. ثم إنه طلع القصر ودخل على جودر فرآه جالساً جلسة لم يجلسها ملك ولا سلطان، فسلّم عليه وتمنّى بين يديه وجودر لم يقم له ولا يعمل له مقاماً ولم يقل له إجلس بل تركه واقفاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 622

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جودراً لما دخل عليه الملك لم يقم له ولم يعتبره ولم يقل له إجلس بل تركه واقفاً حتى داخله الخوف، فصار لا يقدر أن يجلس ولا أن يخرج وصار يقول في نفسه: لو كان خائفاً مني ما كان تركني عن باله وربما يؤذيني بسبب ما فعلت مع أخويه. ثم إن جودر قال: يا ملك الزمان، ليس شأن مثلكم أن يظلم الناس ويأخذ أموالهم. فقال له: يا سيدي لا تؤاخذني، فإن الطمع أحوجني إلى ذلك ونفذ القضاء، ولولا الذنب ما كانت المغفرة. وصار يعتذر إليه على ما سلف منه ويطلب منه العفو والسماح. حتى من جملة الإعتذار انشده هذا الشعر: [من الخفيف]

يا أَصِيلَ الجُدُودِ سَمْحَ السَّجايا ... لا تَلُمْنِي فِيما تَحَصَّلَ مِنِّي
إنْ تَكُنْ ظالِماً فَعَنْكَ عَفَوْنا ... أَوْ أَكُنْ ظالِماً فَعَفْوَكَ عَنِّي

ولا زال يتواضع بين يديه حتى قال له: عفا الله عنك. وأمره بالجلوس فجلس وخلع عليه ثياب الأمان وأمر أخويه بمد السماط. وبعد أن أكلوا، كسا جماعة الملك وأكرمهم. وبعد ذلك أمر الملك بالمسير فخرج من بيت جودر. وصار كل يوم يأتي إلى بيت جودر، ولا ينصب الديوان إلاّ في بيت جودر، وزادت بينهما العشرة والمحبة. ثم إنهم أقاموا على هذه الحالة مدة وبعد ذلك خلا بوزيره وقال له: يا وزير، أنا خائف أن يقتلني جودر ويأخذ الملك مني. فقال له: يا ملك الزمان، أما من قضية أخذ الملك فلا تخف فإن حالة جودر التي هو فيها أعظم من حالة الملك، وأخذ المُلك حطة في قدره، فإن كنت خائفاً أن يقتلك فإن لك بنتاً فزوّجها له وتصير أنت وإياه حالة واحدة. فقال له: يا وزير، أنت تكون واسطة بيني وبينه. فقال له: إعزمه عندك، ثم إننا نسهر في قاعة وأمر بنتك أن تتزين بأفخر زينة وتمرّ عليه من باب القاعة فإنه متى رآها عشقها، فإذا فهمنا منه ذلك فأنا أميل عليه وأخبره أنها ابنتك وأدخل وأخرج معه في الكلام بحيث أنه لم يكن عندك خبر بشيء من ذلك حتى يخطبها منك، ومتى زوّجته البنت سرت أنت وإياه شيئاً واحداً وتأمن منه، وإن مات ترث منه الكثير. فقال له: صدقت يا وزيري. وعمل الضيافة وعزمه، فجاء إلى سراية السلطان وقعدوا في القاعة مع انس زائد إلى آخر النهار. وكان الملك أرسل إلى

زوجته أن تزين البنت بأفخر زينة وتمرّ بها على باب القاعة فعملت كما قال ومرّت بالبنت، فنظرها جودر وكانت ذات حسن وجمال وليس لها نظير. فلما حقّق جودر النظر فيها قال: آه. وتفكّكت أعضاؤه واشتدّ به العشق والغرام وأخذه الوجد والهيام واصفرّ لونه. فقال له الوزير: لا بأس عليك يا سيدي. ما لي أراك متغيّراً متوجعاً؟ فقال: يا وزير، هذه البنت بنت مَنْ؟ فإنها سلبتني وأخذت عقلي. فقال: هذه بنت حبيبك الملك، فإن كانت أعجبتك أنا أتكلم مع الملك يزوّجك إياها. فقال: يا وزير كلّمه، وأنا وحياتي أعطيك ما تطلب وأعطي للملك ما يطلبه في مهرها ونصير أحباباً وأصهاراً. فقال له الوزير: لا بد من حصول غرضك. ثم إن الوزير حدّث الملك سراً وقال له: يا ملك الزمان، إن جودر حبيبك يريد القرب منك وقد توسّل بي إليك أن تزوّجه ابنتك السيدة آسية فلا تخيبني واقبل سياقي، ومهما تطلبه في مهرها يدفعه. فقال الملك: المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وأنا أزوّجه إياها وله الفضل في القبول. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 623

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك شمس الدولة لما قال له وزيره: إن جودر يريد القرب منك بتزويجه ابنتك. قال له: المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وله الفضل في القبول. وباتوا تلك الليلة ثم أصبح الملك. نصب ديواناً وأحضر فيه الخاص والعام وحضر شيخ الإسلام وجودر خطب البنت وقال الملك: المهر قد وصل. وكتبوا الكتاب فارسل جودر بإحضار الخرج الذي فيه الجواهر وأعطاه للملك في مهر البنت، ودقّت الطبول وغنّت الزمور وانتظمت عقود الفرح ودخل على البنت، وصار هو والملك شيئاً واحداً وأقاما مع بعضهما مدة من الأيام. ثم مات الملك فصارت العساكر تطلب جودر للسلطنة، ولم يزالوا يرغبونه وهو يمتنع منهم حتى رضي فجعلوه سلطاناً. فأمر ببناء جامع على قبر الملك شمس الدولة ورتّب له الأوقاف وهو في خط البندقانيين. وكان بيت جودرا في حارة اليمانية، فلما تسلطن بنى أبنية وجامعاً وقد سمّيت الحارة به وصار اسمها حارة الجودرية. وأقام ملكاً مدة وجعل أخويه وزيرين، سالماً وزير ميمنته، وسليماً وزير ميسرته. فأقاموا عاماً واحداً من غير زيادة. ثم إن سالماً قال لسليم: يا أخي إلى متى هذا الحال؟ فهل نقضي عمرنا كله ونحن خادمان لجودر؟ ولا نفرح بسيادة ولا سعادة ما دام جودر حيّاً. قال: وكيف نصنع حتى نقتله ونأخذ منه الخاتم والخرج؟ فقال سليم لسالم: أنت أعرف مني فدبر لنا حيلة لعلنا نقتله بها. فقال: إذا دبرت لك حيلة على قتله هل ترضى أن أكون أنا سلطاناً وأنت وزير ميمنة ويكون الخاتم لي والخرج لك؟ قال: رضيت. فاتفقا على قتل جودر من شأن حب الدنيا والرئاسة. ثم إن سليماً وسالماً دبّرا حيلة لجودر وقالا له: يا أخانا، إن مرادنا أن نفتخر بك فتدخل بيوتنا وتأكل ضيافتنا وتجبر خاطرنا. وصارا يخادعانه ويقولان له: أجبر خاطرنا وكُل ضيافتنا. فقال: لا بأس، فالضيافة في بيت من فيكم؟ قال سالم: في بيتي، وبعدما تأكل ضيافتي تأكل ضيافة أخي. قال: لا بأس. وذهب مع سليم إلى بيته فوضع له الضيافة وحطّ فيها السم. فلما أكل تفتّت لحمه مع عظمه، فقام سالم ليأخذ الخاتم من إصبعه فعصى منه فقطع إصبعه بالسكين. ثم إنه دعك الخاتم فحضر له المارد وقال: لبيك فاطلب ما تريد؟ فقال له: إمسك أخي واقتله واحمل الإثنين،

المسموم والمقتول وارمهما قدام العسكر. فاخذ سليماً وقتله وحمل الإثنين وخرج بهما ورماهما قدام أكابر العسكر، وكانوا جالسين على السفرة في مقعد البيت يأكلون. فلما نظروا جودر وسليماً مقتولين، رفعوا أياديهم من الطعام وأزعجهم الخوف وقالوا للمارد: مَنْ فعل بالملك والوزير هذه الفعالَ؟ فقال لهم: أخوهم سالم. وإذا بسالم أقبل عليهم وقال: يا عسكر، كُلوا وانبسطوا فإني ملكت الخاتم من أخي جودر، وهذا المارد خادم قدامكم وأمرته بقتل أخي سليم حتى لا ينازعني في الملك لأنه خائن وأنا أخاف أن يخونني، وهذا جودر صار مقتولاً وأنا بقيت سلطاناً عليكم هل ترضون بي؟ وإلاّ أدعك الخاتم فيقتلكم خادمه كباراً وصغاراً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 624

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن سالماً لما قال للعسكر: هل ترضون بي عليكم سلطاناً؟ وإلاّ أدعك الخاتم فيقتلكم كباراً وصغاراً. قالوا له: رضينا بك ملكاً وسلطاناً. ثم أمر بدفن أخويه ونصب الديوان وذهب ناس في تلك الجنازة وناس مشوا قدامه بالموكب، ولما وصلوا إلى الديوان جلس على الكرسي وبايعوه على الملك وبعد ذلك قال: أريد أن أكتب كتابي على زوجة أخي. فقالوا له: حتى تنقضي العدة. فقال لهم: أنا لا أعرف عدة ولا غيرها، وحياة رأسي لا بد أن أدخل عليها في هذه الليلة. فكتبوا له الكتاب وأرسلوا أعلموا زوجة جودر بنت الملك شمس الدولة فقالت: دعوه ليدخل. فلما دخل عليها أظهرت له الفرح وأخذته بالترحيب وحطّت له السمّ في الماء فأهلكته. ثم إنها أخذت الخاتم وكسرته حتى لا يملكه أحد، وشقّت الخرج. ثم أرسلت أخبرت شيخ الإسلام وأرسلت تقول لهم: اختاروا لكم ملكاً يكون عليكم سلطاناً. وهذا ما انتهى إلينا من حكاية جودر بالتمام والكمال.

56 - حكاية عجيب وغريب

وبلغني أيضاً أنه كان في قديم الزمان ملك من الملوك العظام يقال له: الملك كندمر. وكان ملكاً شجاعاً وقرماً مناعاً ولكنه شيخ هرم كبير. وقد رزقه الله تعالى في حال هرمه ولداً ذكراً فسمّاه عجيباً لحسنه وجماله، وسلّمه إلى القوابل والمرضعات والجواري والسراري حتى نشأ وكبر حتى بلغ من العمر سبع سنين من الأعوام على التمام. فرتّب له أبوه كاهناً من أهل ملته ودينه، فعلّمه شريعتهم وكفرهم وما يحتاج إليه في مدة ثلاث سنين كوامل إلى أن مهر وقويت عزيمته وصحت فكرته وصار عارفاً فصيحاً فيلسوفاً موصوفاً يناظر العلماء ويجالس الحكماء. فلما رأى أبوه ذلك منه أعجبه، ثم علّمه ركوب الخيل والطعن بالرمح والضرب بالسيف إلى أن صار فارساً شجاعاً. فما تمّ عمره عشر سنين حتى فاق أهل زمانه في جميع الأشياء وعرف أبواب الحرب، فصار جبّاراً عنيداً وشيطاناً مريداً. وكان إذا ركب للصيد والقنص يركَب في ألف فارس ويشن الغارات على الفوارس ويقطع الطرق ويسبي بنات الملوك والسادات وكثرت فيه لأبيه الشكايات. فصاح الملك على خمسة من العبيد فحضروا فقال لهم: امسكوا هذا الكلب. فهجم الغلمان على عجيب وكتّفوه وأمرهم بضربه فضربوه حتى غاب عن الوجود وسجنه في قاعة لا يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض، فمكث ليلة محبوساً. فتقدّم الأمراء

إلى الملك وقبّلوا الأرض بين يديه وشفعوا في عجيب فأطلقه . فصبر عجيب على أبيه عشرة أيام ودخل عليه في الليل وهو نائم وضربه فرمى عنقه . فلما طلع النهار ركب عجيب على كرسي مملكة أبيه وأمر رجاله أن يقفوا بين يديه ويلبسوا البولاد ويسحبوا سيوفهم وأوقفهم ميمنة وميسرة . فلما دخل الأمراء والمقدّمون وجدوا ملكهم مقتولاً وابنه جالساً على كرسي مملكته فتحيّرت عقولهم . فقال لهم عجيب : يا قوم لقد رأيتم ما حصل لملككم ، فمن أطاعني أكرمته ومن خالفني فعلت به مثله . فلما سمعوا كلامه خافوا منه أن يبطش بهم فقالوا له : أنت ملكنا وابن ملكنا وقبّلوا الأرض بين يديه . فشكرهم وفرح بهم وأمر بإخراج المال والقماش . ثم إنه خلع عليهم الخلع السنية وغمرهم بالمال ، فحبّوه كلهم وأطاعوه . وخلع على النواب ومشايخ العربان العاصي والطائع فدانت له البلاد وأطاعته العباد ، وحكم وأمر ونهى مدة خمسة أشهر . ثم رأى في منامه رؤيا فانتبه فزعاً مرعوباً ولم يأخذه منام حتى أصبح الصباح . فجلس على الكرسي ووقفت الجنود بين يديه ميمنة وميسرة ثم دعا بالمعبرين والمنجمين فقال لهم : فسّروا لي هذا المنام . فقالوا له : وما المنام الذي رأيته أيها الملك ؟ فقال : رأيت كأن والدي قدامي وانكشف إحليله وخرج منه شيء قدر النحلة ، فكبر حتى صار كالسبع العظيم بمخالب مثل الخناجر وقد خفت منه ، فبينما أنا باهت فيه إذ همّ عليّ وضربني بمخالبه فشقّ بطني فانتبهت فزعاً مرعوباً . فنظر المعبرون إلى بعضهم وتفكّروا في ردّ الجواب ثم قالوا : أيها الملك العظيم هذا المنام يدل على مولود لك من أبيك وتقع العداوة بينك وبينه ويظهر عليك . فخذ حذرك منه بسبب هذا المنام . فلما سمع عجيب كلام المعبرين قال : ليس لي أخ أخاف منه فقولكم هذا كذب . فقالوا له : ما أخبرنا إلاّ بما علمنا . فنفر فيهم وضربهم وقام ودخل قصر أبيه واختبر سراري أبيه فوجد فيهن جارية لها سبعة أشهر . فأمر عبدين من عبيده وقال لهما : خذا هذه الجارية وامضيا بها إلى البحر وغرّقاها . فأخذاها من يدها وذهبا بها إلى البحر وأرادا أن يغرقاها فنظرا إليها فوجداها بديعة الحسن والجمال فقالا : لأي شيء نغرق هذه الجارية ؟ وإنما نأخذها إلى الغابة ونعيش بها في تعريص عجيب . فأخذاها وسارا أياماً وليالي حتى بعدا عن الديار ، فتوجها بها إلى غابة كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار واتفق رأيهم على أن يقضوا غرضهم منها وصار كل واحد منهما يقول : أنا أفعل قبلك واختلفا مع بعضهما . فطلع عليهما ناس من السودان فسلّوا سيوفهم وحملوا على بعضهم واشتدّ بينهم القتال والحرب والطعان ، ولم يزالوا يحاربون العبدين حتى قتلوهما في أسرع من طرفة العين . وصارت الجارية تدور وحدها في الغابة وتأكل من أثمارها وتشرب من أنهارها . ولم تزل على هذه الحالة حتى وضعت غلاماً أسمر نظيفاً ظريفاً وسمّته الغريب لغربته ، وقطعت سرّته ولفّته في بعض ثيابها وصارت ترضعه وهي حزينة القلب والفؤاد على ما كانت فيه من العزّ والدلال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 625

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية صارت مقيمة في الغابة وهي حزينة القلب والفؤاد وصارت ترضع ولدها مع ما حصل لها من غاية الحزن والخوف من وحدتها . فبينما هي في بعض الأيام على تلك الحالة وإذا هي بفرسان ورجال مشاة ومعهم بزاة وكلاب صيد وقد حمّلوا خيولهم من كركي وبلشون ووز عراقي وغطاس وطير ماء

ووحوش وأرانب وغزلان وبقر وحش وفراخ النعام وتفه وذئاب وسباع . ثم دخل هؤلاء العربان في تلك الغابة فوجدوا الجارية وابنها في حجرها ترضعه . فتقرّبوا منها وقالوا لها : هل أنت إنسية أو جنية؟ قالت : إنسية يا سادات العرب . فأعلموا أميرهم وكان اسمه مرداساً سيد بني قحطان، وقد خرج إلى الصيد في خمسمائة أمير من قومه وبني عمه . فلم يزالوا يصطادون حتى وصلوا إلى الجارية ونظروها، وأعلمتهم بما جرى من أوله إلى آخره . فتعجب الملك من أمرها وصاح على قومه وبني عمه، فلم يزالوا يصطادون حتى وصلوا إلى بني قحطان فأخذها وأفردها بمحل ووكّل بها خمس جوار من أجل الخدمة وقد أحبّها حبّاً شديداً وقد دخل عليها وواقعها فحملت على الدم . ولما انقضت شهورها وضعت غلاماً ذكراً فسمّته سهيم الليل . فتربى بين القوابل مع أخيه حتى نشأ ومهر في حجر الأمير مرداس فسلّمهما إلى فقيه فعلّمهما أمر دينهما، وبعد ذلك سلمهما إلى شجعان العرب فعلمهما طعن الرمح وضرب السيف ورمي النشاب . فما كملا خمس عشرة سنة حتى تعلّما ما يحتاجان إليه وفاقا على كل شجيع في الحي . فكان غريب يحمل على ألف فارس وكذا أخوه سهيم الليل . وكان لمرداس أعداء كثيرة وكانت عربه أشجع العرب، فكلّهم أبطال فرسان لا يصطلي لهم بنار . وكان بجواره أمير من أمراء العرب يقال له : حسان بن ثابت وهو صديقه وقد خطب كريمة من كرام قومه فدعى جميع أصحابه ومن جملتهم مرداس سيد بني قحطان . فأجاب وأخذ معه من قومه ثلاثمائة فارس وترك أربعمائة فارس لحفظ الحريم وسار حتى وصل إلى حسان . فتلقّاه وأجلسه في أحسن مكان وجاءت كل الفرسان لأجل العرس، وعمل لهم الولائم وفرح بعرسه وانصرف العربان إلى منزلهم . فلما وصل مرداس إلى حيّه رأى قتيلين مطروحين والطير حائم عليهما يميناً وشمالاً . فارتجف قلبه ودخل الحي فتلقّاه غريب وهو متدرّع بالزرد وهنأه بالسلامة . فقال مرداس : ما هذا الحال يا غريب؟ قال : هجم علينا الحمل بن ماجد وقومه في خمسمائة فارس . وكان السبب في هذه الوقعة أن الأمير مرداس كان له بنت تسمّى مهدية ما رأى الرائي أحسن منها، فسمع بها الحمل سيد بني نبهان فركب في خمسمائة فارس وتوجه إلى مرداس وخطب مهدية فلم يقبله وردّه خائباً . فصار الحمل يرصد مرداساً حتى غاب وعزمه حسان، فركب في أبطاله وهجم على بني قحطان فقتل جماعة من الفرسان وهرب بقية الأبطال في الجبال . وكان غريب وأخوه قد ركبا في مائة خيال وخرجا للصيد والقنص فما رجعا حتى انتصف النهار فوجدا الحمل وقومه ملكوا الحي وما فيه وأخذوا بنات الحي وأخذ مهدية بنت مرداس وساقها مع السبي . فلما نظر غريب إلى هذا الحال غاب عن الصواب وصاح على أخيه سهيم الليل وقال : يا ابن الملعونة، نهبوا حيّنا وأخذوا حريمنا فدونك والأعداء وخلاص السبي والحريم . فحمل سهيم وغريب بالمائة فارس على الأعداء ولم يزدد غريب إلاّ غيظاً، وصار يحصد الرؤوس ويسقي الأبطال من المنون كؤوساً حتى وصل الحمل ونظر إلى مهدية وهي مسبية . فحمل على الحمل وطعنه وعن جواده قلبه . فما جاء وقت العصر حتى قتل أكثر الأعداء وانهزم الباقون وخلّص غريب السبي ورجع إلى البيوت ورأس الحمل على رمحه وهو ينشد هذه الأبيات : [من الوافر]

أَنا المَعْرُوفُ في يَوْمِ المَجالِ ... وجِنُّ الأَرْضِ تَفْزَعُ مِنْ خَيالي

ولي سَيْفٌ، إذا هَزّتْ يَمِيني تَبادَرَتِ المَنِيَّةُ مِنْ شِمالي
ولي رُمْحٌ إذا نَظَرُوا إلَيْهِ يَرَوْا فِيهِ سِناناً كالهِلالِ
وأُدْعَى بالغَرِيبِ، شَجِيعُ قَوْمِي ولا أَخْشَى إذا قَلَّتْ رِجالي

فما فرغ غريب من شعره حتى وصل مرداس ونظر القتلى مطروحين والطير حائم عليهم يميناً وشمالاً، فطار عقله وارتجف قلبه. فسلاه غريب وهنأه بالسلامة وأخبره بجميع ما جرى للحي بعد غيابه. فشكره مرداس على ما فعل وقال: ما خابت التربية فيك يا غريب. ونزل مرداس في سرادقه ووقفت الرجال حوله وصار أهل الحي يثنون على غريب ويقولون: يا أميرنا، لولا غريب ما سلم أحد من الحي. فشكره مرداس على ما فعل. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 626

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن مرداساً لما رجع إلى حيّه وأقبل عليه رجاله، أثنوا على غريب فشكره مرداس على فعله. ولما نظر غريب الحمل سبى مهدية خلّصها منه وقتله، فرمت غريباً بسهام لحظها فوقع في شرك هواها وصار قلبه لا ينساها وغرق في العشق والغرام وفارقه لذيذ المنام ولم يلتذ بشراب ولا طعام، وصار يركض جواده ويصعد الجبال وينشد الأشعار ويرجع آخر النهار وقد لاح عليه آثار العشق والهيام. فأفشى سرّه لبعض أصحابه، فشاع في الحي جميعه حتى وصل إلى مرداس. فبرق ورعد وقام وقعد وشخر ونخر وسبّ الشمس والقمر وقال: هذا جزاء من يربي أولاد الزنا. ولكن إن لم أقتل غريباً ركبني العار. ثم إنه استشار رجلاً من عقلاء قومه في قتل غريب وأظهر سرّه عليه. فقال له: يا أمير، إنه بالأمس خلّص بنتك من السبي، فإن كان لا بدّ من قتله فاجعله على يد غيرك حتى لا يشك أحد فيك. فقال مرداس: دبر لي حيلة في قتله، فما أعرف قتله إلاّ منك. فقال: يا أمير ارصده حتى يخرج إلى الصيد والقنص وخذ معك مائة خيال واكمن له في المغارة وغافله حتى ينتهي، فاحملوا عليه وقطعوه وحينئذ تبرأ من عاره. فقال مرداس: هذا هو الصواب. واختار مرداس من قومه مائة وخمسين فارساً عمالقة شداد وأوصاهم وحرّضهم على قتل غريب. ولم يزل يرقبه حتى خرج غريب ليصطاد وقد بعد في الأودية والجبال، فذهب بفرسانه الأنجاس وكمنوا لغريب في طريقه حتى يرجع من الصيد فيخرجون عليه ليقتلوه. فبينما مرداس وقومه كامنون بين الأشجار وإذا بخمسمائة من العمالقة هجموا عليهم فقتلوا منهم ستين وأسروا التسعين وكتفوا مرداساً. وكان السبب في ذلك أنه لما قتل الحمل وقومه انهزم الباقون، ولم يزالوا في هزيمتهم حتى وصلوا إلى أخيه وأعلموه بما جرى. فقامت قيامته وجمع العمالقة واختار منهم خمسمائة فارس، طول كل واحد منهم خمسون ذراعاً، وتوجه لطلب ثار أخيه. فوقع بمرداس هو وأبطاله وجرى بينهم ما جرى. فلما أسروا مرداس وقومه، نزل أخو الحمل وقومه وأمرهم بالراحة وقال: يا قوم، إن الأصنام هوّنت علينا أخذ الثار فاحتفظوا على مرداس وقومه حتى أمضي بهم وأقتلهم أشنع قتلة. فنظر مرداس روحه مربوطاً وندم على ما فعل وقال: هذا جزاء البغي. ونامت القوم فرحانين بالنصر ومرداس وأصحابه مربوطون وقد يئسوا من الحياة وأيقنوا

بالوفاة . هذا ما كان من أمر مرداس . وأما سهيم الليل فإنه دخل على أخته مهدية وهو مجروح . فقامت له وقبّلت يديه وقالت له : لا شلّت يداك ولا شمتت عداك ، فلولا أنت وغريب ما خلصنا من السبي والأعداء . واعلم يا أخي انّ أباك ركب في مائة وخمسين فارساً وهو يريد قتل غريب . وقد علمت أن غريباً خسارة في القتل لأنه صان عرضكم وخلّص أموالكم . فلما سمع سهيم هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً ولبس آلة حربه وركب جواده وطلب المكان الذي يصطاد فيه أخوه ، فوجده اصطاد شيئاً كثيراً . فتقدم اليه وسلم عليه وقال : يا أخي هل تسرح ولا تعلمني ؟ فقال غريب : والله ما منعني من ذلك إلاّ اني رأيتك مجروحاً فقصدت راحتك . فقال سهيم : يا أخي خذ حذرك من أبي . ثم حكى له ما جرى وانه خرج في مائة وخمسين فارساً يريدون قتله . قال له غريب : الله يرمي كيده في نحره . ورجع غريب وسهيم طالبين الديار ، فامسى عليهما المساء وسارا على ظهور الخيل حتى وصلا الوادي الذي فيه القوم وسمعا صهيل الخيل في ظلام الليل . فقال سهيم : يا أخي ، هذا أبي وقومه كامنون في هذا الوادي ، فتنحّ بنا عن هذا الوادي . وكان غريب قد نزل عن جواده وألقى لجامه لأخيه وقال له : قف مكانك حتى أعود إليك . وسار غريب حتى رأى القوم فلم يجدهم من حيّهم وسمعهم يذكرون مرداساً ويقولون : ما نقتله إلاّ في أرضنا . فعرف أن مرداساً عمّه مربوطاً معهم فقال : وحيات مهدية ما أروح حتى أخلّص أباها ولا أشوّش عليها . ولم يزل يفتش على مرداس حتى وقع به وهو مربوط في الحبال . فقعد بجانبه وقال له : سلامتك يا عمي من هذا الذل والإعتقال . فلما نظر مرداس غريباً خرج عقله وقال : يا ولدي أنا في جيرتك فخلّصني بحق التربية . فقال له غريب : إذا خلصتك تعطيني مهدية . فقال له : يا ولدي وحقّ ما أعتقد هي لك على طول الزمان . فحلّه وقال له : إمض نحو الخيل فإن ولدك سهيم هناك . فعند ذلك انسلّ مرداس حتى وصل إلى ولده سهيم ففرح به وهنأه بالسلامة . ولم يزل غريب يحل واحداً بعد واحد حتى حل التسعين فارساً وصار الكل بعيداً عن الأعداء . وأرسل غريب إليهم العدد والخيول وقال لهم : اركبوا وتفرجوا حول الأعداء وصيحوا ويكون صياحكم : يا آل قحطان . وإذا صحا القوم فابعدوا عنهم وتفرّقوا حولهم . وصبر غريب إلى الثلث الأخير من الليل وصاح : يا آل قحطان . وصاح قومه كذلك : يا آل قحطان صيحة واحدة . فجاوبتهم الجبال حتى تخيل للأعداء أن القوم قد هجموا عليهم فخطفوا سلاحهم جميعاً ووقعوا في بعضهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 627

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القوم لما انتبهوا من منامهم وسمعوا غريباً وقومه يصيحون ويقولون : يا آل قحطان . تخيل لهم أن آل قحطان هجموا عليهم ، فحملوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم قتلاً ، فتأخّر غريب وقومه . ولم تزل الأعداء يقتلون بعضهم إلى أن طلع النهار . فحمل غريب ومرداس والتسعون بطلاً على بقية الأعداء فقتلوا منهم جملة وانهزم الباقون وأخذ بنو قحطان الخيل الشاردة والعدد المهيئة وتوجهوا إلى حيّهم وما صدق مرداس أنه تخلّص من الأعداء . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى حيّهم ، فلاقاهم المقيمون وفرحوا بسلامتهم ونزلوا في خيامهم ونزل غريب في خيمته واجتمعت عليه شباب الحي وحيّاه الكبار والصغار . فلما نظر مرداس إلى غريب والشباب حوله ، بغضه أكثر من الأول

والتفت إلى عشيرته وقال : قد زاد بغض غريب في قلبي وما غمّني إلاّ اجتماع هؤلاء حوله، وفي غد يطلب مني مهدية . فقال له المشير : يا أمير ، اطلب منه ما لا يقدر عليه . ففرح مرداس وبات إلى الصباح . فجلس في مرتبته ودارت العرب حوله، وجاء غريب برجاله والشباب حوله فأقبل على مرداس وقبّل الأرض بين يديه ففرح به وقام إليه وأجلسه بجنبه . فقال غريب : يا عم ، قد وعدتني وعداً فانجزه . فقال مرداس : يا ولدي، هي لك على طول المدى ولكن انت قليل المال . فقال غريب : يا عم ، اطلب ما شئت حتى اغير على أمراء العرب في مواطنهم وعلى الملوك في مدائنهم واجيء لك بمال يسد الخافقين . فقال مرداس : يا ولدي، إني حلفت بجميع الأصنام إني لا اعطي مهدية إلاّ لمن ياخذ لي ثاري ويكشف عني عاري . فقال غريب : قل لي يا عم ثارك عند مَنْ مِنَ الملوك حتى اسير إليه واكسر تخته على راسه؟ فقال مرداس : يا ولدي، قد كان لي ولد بطل من الأبطال فخرج في مائة بطل لطلب الصيد والقنص فسار من وادٍ إلى وادٍ وقد بعد بين الجبال حتى وصل وادي الأزهار وقصر حام بن شيث بن شدّاد بن خلد . وذلك المكان يا ولدي ساكن فيه رجل اسود طويل طوله سبعون ذراعاً يقاتل بالأشجار، فيقتلع الشجرة من الأرض ويقاتل بها . فلما وصل ولدي إلى ذلك الوادي، خرج عليه هذا الجبّار فأهلكه هو والمائة فارس، فما سلم منهم إلاّ ثلاثة ابطال أتوا اخبرونا بما جرى . فجمعت الأبطال وسرت لقتاله فما قدرنا عليه وانا مقهور على ثار ولدي، وقد حلفت اني لا ازوّج ابنتي إلاّ لمن ياخذ ثار ولدي . فلما سمع غريب كلام مرداس قال : يا عم ، انا اسير إلى هذا العملاق وآخذ ثار ولدك بعون الله تعالى . قال مرداس : يا غريب، إن ظفرت به تغنم منه ذخائر وأموالاً لا تأكلها نيران . فقال غريب : إشهد لي بالزواج حتى يقوى قلبي واسير في طلب رزقي . فاعترف واشهد كبار الحي وانصرف غريب وهو فرحان ببلوغ الآمال ودخل على أمه وأخبرها بما تمّ له . فقالت له : يا ولدي، اعلم أن مرداساً يبغضك وما بعثك لذلك الجبل إلاّ ليعدمني حسّك، فخذني معك وارحل من ديار هذا الظالم . قال غريب : يا أمي لا ارحل حتى أبلغ أملي وأقهر عدوي . وبات غريب حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، فما ركب جواده حتى أقبل أصحابه الشباب، وكانوا مائتا فارس شداد وهم غارقون في السلاح . وصاحوا على غريب وقالوا له : سرّ بنا نعاونك ونؤانسك في طريقك . ففرح غريب بهم وقال لهم : جزاكم الله عنّا خيراً . وقال لهم : سيروا يا اصحابي . فسار غريب بأصحابه اول يوم وثاني يوم ثم نزلوا عند المساء تحت جبل شامخ وعلقوا على خيولهم ، فغاب غريب يتمشى في ذلك الجبل حتى وصل إلى مغار فطلع منه نور . فسار غريب إلى صدر المغار فوجد شيخاً له من العمر ثلاثمائة سنة وأربعين سنة ، حاجباه غطيّا عينيه وشارباه غطيّا فمه . فلما نظر غريب إلى ذلك الشيخ هابه واستعظم خلقته . فقال له الشيخ : كأنك من الكفّار يا ولدي، الذين يعبدون الأحجار دون الملك الجبّار خالق الليل والنهار والفلك الدوّار . فلما سمع غريب كلام الشيخ ارتعدت فرائصه وقال : يا شيخ ، اين يكون هذا الرب حتى اعبده واتملّى برؤيته؟ قال الشيخ : يا ولدي، هذا الرب العظيم لا ينظره احد في الدنيا وهو يَرَى ولا يُرَى وهو بالمنظر الأعلى وهو حاضر في كل مكان بآثار صنعه ومكوّن الأكوان ومدبر الزمان، خلق الإنس والجان وبعث الأنبياء لهداية الخلق إلى طريق الصواب، فمن اطاعه ادخله الجنة ومن عصاه ادخله النار . فقال غريب : يا عم ، فما يقول من يعبد هذا الرب العظيم الذي هو على كل شيء قدير؟

قال الشيخ : يا ابني ، إني من قوم عاد الذين طغوا في البلاد فكفروا ، فأرسل الله إليهم نبياً اسمه هود فكذّبوه ، فأهلكهم بالريح العقيم . وكنت أنا آمنت مع جماعة من قومي فسلمنا من العذاب وحضرت قوم ثمود وما جرى لهم مع نبيّهم صالح . وأرسل الله تعالى بعد صالح نبياً اسمه إبراهيم الخليل إلى نمرود بن كنعان وجرى له معه ما جرى ومات قومي الذين آمنوا . فصرت أعبد الله في هذا المغار والله تعالى يرزقني من حيث لا احتسب . فقال غريب : يا عم ، ماذا أقول حتى أصير من حزب هذا الرب العظيم ؟ قال له الشيخ : قل : لا إلّه إلاّ الله إبراهيم خليل الله . فأسلم غريب قلباً ولساناً . فقال له الشيخ : ثبتت في قلبك حلاوة الإسلام والإيمان . ثم علّمه شيئاً من الفرائض وشيئاً من الصحف وقال له : ما اسمك ؟ قال : إسمي غريب . قال له الشيخ : وأين تقصد يا غريب ؟ فحكى له ما جرى من أوله إلى آخره حتى وصل إلى حديث غول الجبل الذي جاء في طلبه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 628

□ قالت بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما أسلم وحكى للشيخ جميع ما جرى له من أوله إلى آخره حتى وصل إلى حديث غول الجبل الذي جاء في طلبه . قال له : يا غريب ، هل أنت مجنون تسير إلى غول الجبل وحدك ؟ فقال له : يا مولاي ، معي مائتا فارس . فقال له الشيخ : يا غريب ، ولو كان معك عشرة آلاف فارس ما تقدر عليه ، فإن اسمه الغول يأكل الناس نسأل الله السلامة ، وهو من أولاد حام وأبوه هندي الذي عمر الهند وسمي به وقد خلّفه وسمّاه سعدان الغول . فكان يا ولدي جبّاراً عنيداً وشيطاناً مريداً ما له مأكول إلاّ ابن آدم ، فنهاه أبوه قبل موته عن ذلك فما انتهى وزاد في الطغيان . فطرده أبوه بعد ذلك ونفاه من بلاد الهند بعد حروب وتعب عظيم ، فجاء إلى هذه الأرض وتحصن بها وسكن فيها وصار يقطع الطرق على الرايح والجائي ويرجع إلى مسكنه بهذا الوادي ، ورزق بخمسة أولاد غلاظ شداد يحمل أحدهم على ألف بطل . وقد جمع اموالاً وغنائم وخيلاً وجمالاً وبقراً وغنماً قد سدّت الوادي ، وأنا خائف عليك منه . فاسأل الله تعالى أن ينصرك عليه بكلمة التوحيد ، فإذا حملت على الكفّار فقل : الله أكبر . فإنها تخذل من كفر . ثم إن الشيخ أعطى غريباً عاموداً من بولاد وزنه مائة رطل وفيه عشر حلقات إذا هزّه حامله طنت حلقاته مثل الرعد ، وأعطاه سيفاً مجوهراً من صاعقة طوله ثلاثة أذرع وعرضه ثلاثة أشبار إذا ضرب به صخرة قدّها نصفين . وأعطاه درعاً وترساً ومصحفاً وقال له : سرّ إلى قومك واعرض عليهم الإسلام . فخرج غريب وهو فرحان بالإسلام وسار حتى وصل إلى قومه . فتلقّوه بالسلام وقالوا له : ما أبطأك عنّا ؟ فحكى لهم جميع ما جرى له من أوله إلى آخره وعرض عليهم الإسلام فأسلموا جميعاً وباتو إلى الصباح . فركب غريب وأتى الشيخ يودّعه ، فودّعه وخرج وسار حتى وصل إلى قومه وإذا بفارس وهو في الحديد غاطس لم يظهر منه غير آماق البصر . فحمل على غريب وقال له : إخلع ما عليك يا قطاعة العرب وإلاّ رميتك بالعطب . فحمل غريب عليه وجرى بينهم حرب يشيب المولود ويذيب من هوله الحجر الجلمود ، فكشف البدوي البرقع فإذا هو سهيم الليل اخو غريب من أمه ابن مرداس . وسبب خروجه وإتيانه إلى ذلك المحل ، أن غريباً لما سار إلى غول الجبل كان سهيم غائباً . فلما رجع لم ينظر غريباً فدخل على أمه فوجدها تبكي ، فسألها عن سبب بكائها فأخبرته

بما جرى من سفر أخيه . فما تمهّل على نفسه ليستريح فلبس آلة حربه وركب جواده وسار حتى وصل إلى أخيه وجرى بينهما ما جرى . فلما كشف سهيم وجهه عرفه غريب وسلّم عليه وقال : ما حملك على هذا؟ قال له : حتى عرفت طبقتي معك في الميدان وقدري في الضرب والطعان . وسارا فعرض غريب على سهيم الإسلام فأسلم ، ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على الوادي . فلما نظر غول الجبل غبار القوم قال : يا أولادي ، إركبوا وائتوني بهذه الغنيمة . فركبت الخمسة وساروا نحوهم . فلما رأى غريب الخمسة العمالقة قد هجموا عليهم لكز جواده وقال : من أنتم ؟ وما جنسكم ؟ وما تريدون؟ فتقدّم فلحون بن سعدان غول الجبل وهو أكبر أولاده وقال : إنزلوا عن خيولكم وكتفوا بعضكم حتى نسوقكم إلى أبينا يشوي بعضكم ويطبخ بعضكم ، فإن له زماناً طويلاً ما أكل آدمياً . فلما سمع غريب هذا الكلام حمل على فلحون وهزّ العمود حتى طنّت حلقاته مثل الرعد القاصف . فاندهش فلحون فضربه غريب بالعمود وكانت ضربته خفيفة وقد وقعت بين أكتافه فسقط مثل النخلة السحوق ، فنزل سهيم وبعض القوم على فلحون وكتفوه ثم إنهم وضعوا في رقبته حبلاً وسحبوه مثل البقرة . فلما رأى إخوته أخاهم أسيراً حملوا على غريب فأسر منهم أربعة والخامس فرّ هارباً حتى دخل على أبيه . فقال له أبوه : ما وراك ؟ وأين إخوتك؟ فقال له : أسرهم صبي ما خط عذاره ، طوله أربعون ذراعاً . فلما سمع غول الجبل كلام ابنه قال : لا طرحت الشمس فيكم من بركة . ثم إنه نزل من الحصن واقتلع شجرة عظيمة وطلب غريب وقومه وهو راجل على قدميه لأن الخيل لم تحمله لعظم جثته ، وتبعه ابنه وسارا حتى أشرفا على غريب وحمل على القوم من غير كلام وضرب بالشجرة فهشّم خمسة رجال وحمل على سهيم وضربه بشجرة فزاغ عنها وراحت خالية ، فغضب الغول ورمى الشجرة من يده وانقض على سهيم فخطفه مثل ما يخطف الباشق العصفور . فلما نظر غريب إلى أخيه وهو في يد الغول صاح وقال : الله أكبر يا جاه إبراهيم الخليل ومحمد ﷺ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 629

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما نظر أخاه وهو أسير في يد الغول صاح وقال : الله أكبر يا جاه إبراهيم الخليل ومحمد ﷺ ووجّه جواده إلى غول الجبل وهزّ العمود فطنّت حلقاته وصاح : الله أكبر ، وضرب غريب الغول بالعامود على صف أضلاعه فوقع في الأرض مغشياً عليه وانفلت سهيم من يديه ، فما أفاق الغول إلاّ وهو مكتف مقيّد . فلما نظره ابنه وهو أسير ولّى هارباً ، فساق غريب جواده خلفه ثم ضربه بالعامود بين أكتافه فوقع عن جواده ، فكتّفه عند أخوته وأبيه وأوثقوهم بالحبال وسحبوهم مثل الجمال وساروا حتى وصلوا إلى الحصن فوجدوه ملآناً بالخيرات والأموال والتحف ، ووجد ألفاً ومائتي أعجمي مربوطين مقيدين . فقعد غريب على كرسي غول الجبل وكان أصله لصاص بن شيث بن شداد بن عاد ، وأوقف سهيماً أخاه على يمينه ووقف أصحابه ميمنة وميسرة . وبعد ذلك أمر بإحضار غول الجبل وقال له : كيف رأيت روحك يا ملعون؟ فقال له : يا سيدي ، في أقبح حال من الذل والخبال ، أنا وأولادي مربوطون في الحبال مثل الجمال . فقال غريب : أريد أن تدخلوا في ديني وهو دين الإسلام ، وتوحّدوا الملك العلاّم خالق الضياء والظلام وخالق كل شيء . لا إلّه

إلاّ هو الملك الديّان، وتقروا بنبّوة الخليل إبراهيم عليه السلام . فأسلم غول الجبل وأولاده وحسن أسلامهم ، فامر بحلّهم فحلّوهم من الرباط، فبكى سعدان الغول وأقبل على أقدام غريب يقبّلها وكذلك أولاده، فمنعهم من ذلك فوقفوا مع الواقفين . فقال غريب : يا سعدان . فقال : لبيك يا مولاي . فقال : ما شأن هؤلاء الأعجام ؟ فقال : يا مولانا هذا صيدي من بلاد العجم وليسوا وحدهم . قال غريب : ومَنْ معهم ؟ قال : يا سيدي معهم بنت الملك سابور ملك العجم واسمها فخرتاج ، ومعها مائة جارية كأنهنّ الأقمار . فلما سمع غريب كلام سعدان تعجّب وقال : كيف وصلت إلى هؤلاء؟ فقال : يا أمير ، سرحت أنا وأولادي وخمسة عبيد من عبيدي فما وجدنا في طريقنا صيداً فتفرّقنا في البراري والقفار فما وجدنا روحنا إلاّ في بلاد العجم ونحن ندور على غنيمة نأخذها ولا نرجع خائبين . فلاحت لنا غبرة فأرسلنا عبداً من عبيدنا ليعرف الحقيقة فغاب ساعة ثم عاد وقال : يا مولاي هذه الملكة فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم والترك والديلم ومعها ألفا فارس وهم سائرون . فقلت للعبد : بشرت بالخير فليس غنيمة أعظم من هذه الغنيمة . ثم حملت أنا وأولادي على الأعجام فقتلنا منهم ثلاثمائة فارس وأسرنا ألفا ومائتين وغنمنا بنت سابور وما معها من التحف والأموال وجئنا بهم إلى هذا الحصن . فلما سمع غريب كلام سعدان قال : هل فعلت بالملكة فخرتاج معصية؟ قال : لا وحياة رأسك وحقّ هذا الدين الذي دخلت فيه . فقال غريب : قد فعلت حسناً يا سعدان لأن أباها ملك الدنيا ولا بد أن يجرّد العساكر خلفها ويخرب ديار الذين أخذوها، ومَنْ لا يدري العواقب ما الدهر له بصاحب . وأين هذه الجارية يا سعدان؟ فقال : قد أفردت لها قصراً هي وجواريها . فقال : أرني مكانها . فقال : سمعاً وطاعةً . فقام غريب وسعدان الغول يمشيان حتى وصلا إلى قصر الملكة فخرتاج فوجداها حزينة ذليلة تبكي بعد العزّ والدلال . فلما نظرها غريب ظن أن القمر منه قريب ، فعظّم الله السميع العليم . ونظرت فخرتاج إلى غريب فوجدته فارساً صنديداً والشجاعة تلوح بين عينيه تشهد له لا عليه ، فقامت له وقبّلت يديه وبعد يديه انكبّت على رجليه وقالت له : يا بطل الزمان أنا في جيرتك فأجرني من هذا الغول فأنا خائفة أن يزيل بكارتي وبعد ذلك يأكلني ، فخذني أخدم جواريك . فقال غريب : لك الأمان حتى تصلي إلى أبيك ومحل عزّك . فدعت له بالبقاء وعزّ الإرتقاء . فأمر غريب بحل الأعجام فحلّوهم . والتفت إلى فخر تاج وقال لها : ما الذي أخرجك من قصرك إلى هذه البراري والقفار حتى أخذك قطّاع الطريق؟ فقالت له : يا مولاي ، إن أبي وأهل مملكته وبلاد الترك والديلم والمجوس يعبدون النار دون الملك الجبّار ، وعندنا في مملكتنا دير اسمه دير النار . وفي كل عيد تجتمع فيه بنات المجوس وعبّاد النار ويقيمون فيه شهراً مدة عيدهم ثم يعودون إلى بلادهم . فخرجت أنا وجواري على العادة وأرسل معي أبي ألفي فارس يحفظونني ، فخرج علينا هذا الغول فقتل بعضنا وأسر الباقي وحبسنا في هذا الحصن . وهذا ما جرى يا بطل الشجعان ، كفاك الله نوائب الزمان . فقال غريب : لا تخافي فأنا أوصلك إلى قصرك ومحل عزّك . فدعت له وقبّلت يديه ورجليه ثم خرج من عندها وأمر بإكرامها وبات تلك الليلة حتى أصبح الصباح . فقام وتوضأ وصلّى ركعتين على ملة أبينا الخليل إبراهيم عليه السلام ، وكذا الغول وأولاده وجماعة غريب كلّهم صلّوا خلفه . ثم التفت غريب إلى سعدان وقال له : يا سعدان ، أما تفرّجني على وادي الأزهار؟ قال : نعم يا مولاي . فقام

سعدان وأولاده وغريب والملكة فخرتاج وجواريها وخرج الجميع ، فأمر سعدان عبيده وجواريه أن يذبحوا ويطبخوا الغداء ويقدموه بين الأشجار ، وكان عنده مائة وخمسون جارية وألف عبد ترعى الجمال والبقر والغنم . وسار غريب والقوم معه إلى وادي الأزهار ، فلما رآه وجد شيئاً صنواناً وغير صنوان وأطياراً تغرّد بالألحان على الأغصان والهزار يرجع بأنغام الألحان والقمري قد ملأ بصوته الأمكنة خلقة الرحمن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 630

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً توجّه هو وقومه والغول وقومه إلى وادي الأزهار ، رأى فيه الطيور ومن جملتها القمري ملأ بصوته الأمكنة خلقة الرحمن ، والبلبل يغرّد بحسن صوته كالإنسان ، والشجر يكلّ عن وصفه اللسان ، والفاخت أضحى بصوته يهيم الإنسان ، والمطوق تجاوبه الدرة بأفصح لسان ، والأشجار المثمرة من كل فاكهة زوجان ، والرمان حامض وحلو على الأفنان ، والمشمش لوزي وكافوري ولوز خراسان ، والبرقوق يختلط بأشجار اغصان البان ، والنارنج كأنه مشاعل النيران ، والكباد مالت به الأغصان ، والليمون دواء لكل قرفان ، والحامض يشفي من علة اليرقان ، والبلح على أمه أحمر وأصفر صنع الله العظيم الشان . وفي مثل هذا المكان يقول الشاعر الولهان : [من الكامل]

وإذا تَرَنَّمَ طَيْرُهُ بِغَدِيرِهِ ... يَشْتاقَهُ الوَلْهانُ في الأَسْحارِ
فَكأَنَّهُ الفِرْدَوْسُ في نَفَحاتِهِ ... ظِلٌّ وفاكِهَةٌ وماءٌ جارِ

فاعجب غريباً هذا الوادي فأمر أن ينصبوا فيه سرادق فخرتاج الكسروية ، فنصبوه بين الأشجار وفرشوه بالفرش الفاخر ، وقعد غريب وجاءهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا . ثم قال غريب : يا سعدان . قال : لبيك يا مولاي . قال : هل عندك شيء من الخمر؟ قال : نعم عندي صهريج ملآن بالعتيق . فقال : ائتنا بشيء منه . فأرسل عشرة من العبيد فجاؤوا من الخمر بشيء كثير . فأكلوا وشربوا واستلذّوا وطربوا وطرب غريب وتذكّر مهدية فأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ أَيّامَ الوِصالِ بِقُرْبِكُمْ ... فَهَيَّجَ قَلْبِي بالغَرامِ لَهِيبُ
فَواللهِ ما فارَقْتُكُم بإرادَتِي ... ولَكِنَّ تَصْرِيفَ الزَّمانِ غَرِيبُ
سَلامٌ وتَسْلِيمٌ وأَلْفُ تَحِيَّةٍ ... عَلَيْكُمْ وإنِّي مُدْنَفٌ وكَئِيبُ

ولم يزالوا يأكلون ويشربون ويتفرجون ثلاثة أيام . ثم رجعوا إلى الحصن ودعا غريب بسهيم أخيه فحضر فقال له : خذ معك مائة فارس وسرّ إلى أبيك وأمك وقومك بني قحطان فأت بهم إلى هذا المكان ليعيشوا فيه بقية الزمان ، وأنا أسير إلى بلاد العجم بالملكة فخر تاج إلى أبيها ، وأنت يا سعدان أقم أنت وأولادك في هذا الحصن حتى نعود إليك . قال له : ولِمَ لَم تأخذني معك إلى بلاد العجم ؟ قال له : لأنك أسرت بنت سابور ملك العجم ، وإن وقعت عينه عليك أكل من لحمك وشرب من دمك . فلما سمع غول الجبل ذلك ضحك ضحكاً عالياً مثل الرعد القاصف وقال : يا مولاي وحياة رأسك ، لو تجتمع عليّ العجم والديلم لأسقيتهم شراب العدم . فقال غريب : أنت كما تقول ولكن اقعد في حصنك حتى أعود إليك . فقال : سمعاً وطاعةً . فرحل

سهيم ، وتوجه هو إلى بلاد العجم ومعه قومه من بني قحطان ومعه الملكة فخر تاج وقومها وساروا قاصدين مدائن سابور ملك العجم . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر الملك سابور فإنه انتظر مجيء ابنته من دير النار فما عادت وفات الميعاد ، فالتهبت في قلبه النار . وكان له أربعون وزيراً وكان أكبرهم وأعرفهم وأعلمهم وزيراً اسمه ديدان . فقال له الملك : يا وزير ، إن ابنتي أبطأت ولم يجئنا خبر عنها وقد فات ميعاد مجيئها فارسل ساعياً إلى دير النار ليتحقّق الأخبار . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم خرج الوزير ونادى مقدم السعادة وقال له : سرّ من وقتك إلى دير النار . فخرج وسافر حتى وصل إلى دير النار وسأل الرهبان عن بنت الملك فقالوا : ما رأيناها في هذا العام . فعاد على أثره حتى وصل إلى مدينة اسبانير ودخل على الوزير وأعلمه بما كان . فدخل الوزير على الملك سابور وأعلمه ، فقامت قيامته ورمى تاجه في الأرض ونتف لحيته ووقع على الأرض مغشياً عليه . فرشّوا عليه الماء فأفاق وهو باكي العين حزين القلب فأنشد قول الشاعر : [من الطويل]

ولمّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكِ والبُكا أَجابَ البُكا طَوْعاً ولَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
وإنْ كانَتِ الأَيّامُ تَفرُقُ بَيْنَنا لِتَقْتُلَنا بالغَدْرِ يا حَبَّذا الغَدْرُ

ثم دعا الملك بعشرة قوّاد وأمرهم أن يركبوا بعشرة آلاف فارس وكل قائد يتوجه إلى إقليم ليفتشوا على الملكة فخرتاج . فركبوا وتوجه كل قائد وجماعته إلى إقليم . وأما أم فخرتاج فإنها لبست هي وجواريها السواد وفرشوا الرماد وقعدوا في البكاء والعديد . هذا ما جرى لهؤلاء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 631

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك سابور أرسل عسكره يفتّشون على بنته ولبست أمها وجواريها السواد . وأما ما كان من أمر غريب وما جرى له في طريقه من الأمر العجيب فإنه سار عشرة أيّام ، وفي اليوم الحادي عشر ظهرت له غبرة وارتفعت إلى عنان السماء . فدعا غريب بالأمير الذي يحكم على العجم فحضر فقال له : تحقّق لنا خبر هذا الغبار الذي ظهر . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم ساق جواده حتى دخل تحت الغبار فنظر القوم وسألهم . فقال واحد منهم : نحن من بني هطال وأميرنا الصمصام بن الجراح ونحن دائرون على شيء ننهبه وقومنا خمسة آلاف فارس . فرجع العجمي مسرعاً بجواده حتى وصل إلى غريب وأخبره بالأمر . فصاح غريب على رجال بني قحطان وعلى العجم وقال : إحملوا سلاحكم . فحملوه وساروا ، فقابلتهم العربان وهم ينادون : الغنيمة ! الغنيمة ! فصاح غريب وقال : أخزاكم الله يا كلاب العرب . ثم حمل وصدمهم صدمة بطل صنديد وهو يقول : الله أكبر ، يا لدين إبراهيم الخليل عليه السلام . ووقع بينهم القتال وعظم النزال ودار السيف وكثر القيل والقال . ولم يزالوا في حرب حتى ولّى النهار وأقبل الظلام ، فانفصلوا من بعضهم وتفقّد غريب القوم فوجد المقتول من بني قحطان خمسة رجال ومن العجم ثلاثة وسبعين ، ومن قوم الصمصام ما يزيد على خمسمائة فارس . ثم نزل الصمصام ولم يطب له طعام ولا منام ثم قال لقومه : عمري ما رأيت مثل قتال هذا الصبي ، لأنه تارة يقاتل بالسيف وتارة بالعامود . ولكني

أبرز له غداً في حومة الميدان وأطلبه إلى مقام الضرب والطعان وأقطع هؤلاء العربان. أما غريب فإنه لما رجع إلى قومه لاقته الملكة فخرتاج باكية مرعوبة من هول ما جرى، وقبّلت رجله في الركاب وقالت له: لا شلّت يداك ولا شمتت عداك يا فارس الزمان، والحمد لله الذي سلمك في هذا النهار واعلم أنني خائفة عليك من هذه العربان. فلما سمع غريب كلامها ضحك في وجهها وطيّب قلبها وطمّنها وقال لها: لا تخافي يا ملكة، فلو كانت الأعداء ملء هذه البيداء لأفنيتهم بقوة العلي الأعلى. فشكرته ودعت له بالنصر على الأعداء. ثم إنها انصرفت إلى جواريها ونزل غريب فغسل يديه وما عليه من دم الكفّار وباتوا يتحارسون إلى الصباح. ثم ركب الفريقان وطلبوا الميدان ومقام الحرب والطعان فكان السابق للميدان غريب، فساق جواده حتى قرب من الكفّار وصاح: هل من مبارز يخرج لي غير كسلان؟ فبرز إليه عملاق من العمالقة الشداد من نسل قوم عاد ثم حمل على غريب وقال: يا قطاعة العرب، خذ ما جاءك وابشر بالهلاك. وكان معه دبوس حديد وزنه عشرون رطلاً، فرفع يده وضرب غريباً فزاغ عنه فغاص الدبوس في الأرض ذراعاً وقد انثنى العملاق مع الضربة، فضربه غريب بالعامود الحديد فشقّ جبهته فخرّ صريعاً وعجل الله بروحه إلى النار. ثم إن غريباً صال وجال وطلب البراز فبرز له ثانٍ فقتله وثالث وعاشر، وكل من برز له قتله. فلما نظر الكفّار إلى قتال غريب وضربه، زاغوا منه وتأخروا عنه ونظر أميرهم إليهم وقال: لا بارك الله فيكم، أنا أبرز له. فلبس آلة حربه وساق جواده حتى ساوى غريباً في حومة الميدان وقال له: ويلك يا كلب العرب، هل بلغ من قدرك أن تبارزني في الميدان وتقتل رجالي؟ فجاوبه غريب وقال: دونك والقتال وخذ ثأر من قتل من الفرسان. فحمل الصمصام على غريب فتلقّاه بصدر رحيب وقلب عجيب فتضارب الإثنان بالعمودين حتى حيّرا الفريقين ورمقتهم كل عين وقد جالا في الميدان وضربا بعضهما ضربتين. فأما غريب فإنه خيب ضربة الصمصام في الحرب والإصطدام، وأما الصمصام فسقطت عليه ضربة غريب فخسفت صدره وأوقعته في الأرض قتيلاً. فحمل قومه على غريب حملة واحدة وحمل غريب عليهم وصاح: الله أكبر، فتح ونصر وخذل من كفر بدين إبراهيم الخليل عليه السلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 632

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن غريباً لما حمل عليه قوم الصمصام حملة واحدة حمل عليهم وصاح: الله أكبر، فتح ونصر وخذل من كفر. فلما سمع الكفّار ذكر الملك الجبّار الواحد القهّار الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الكلام الذي أرعد فرائصنا وأضعف هممنا وقصّر أعمارنا، فما سمعنا في عمرنا أطيب من هذا الكلام. ثم إنهم قالوا لبعضهم: إرجعوا عن القتال حتى نسأل عن هذا الكلام. فرجعوا عن القتال ونزلوا عن الخيول واجتمع كبارهم وتشاوروا وطلبوا المسير إلى غريب وقالوا: يمضي إليه منا عشرة. واختاروا عشرة من خيارهم فتوجّهوا إلى خيام غريب. وأما غريب وقومه فإنهم نزلوا في خيامهم وتعجبوا من رجوع القوم عن الحرب. فبينما هم كذلك وإذا بالعشرة رجال قد أقبلوا وطلبوا الحضور بين يدي غريب وقبّلوا الأرض ودعوا له بالعز والبقاء. فقال لهم: ما لكم رجعتم عن القتال؟ فقالوا: يا مولانا، أرعبتنا بالكلام الذي صحت

به علينا . فقال لهم : ما تعبدون من المصائب ؟ فقالوا : نعبد وداً وسواعاً ويغوث أرباب قوم نوح . قال غريب : إنّا لا نعبد إلاّ الله تعالى ، خالق كل شيء ورازق كل حي وهو الذي خلق السموات والأرض وأرسى الجبال وأنبع الماء من الأحجار وأنبت الأشجار ورزق الوحوش في القفار ، فهو الله الواحد القهّار . فلما سمع القوم كلام غريب ، انشرحت صدورهم بكلمة التوحيد وقالوا : إن هذا الإله ربّ عظيم ، راحم رحيم . ثم قالوا : فما نقول حتى نصير مسلمين ؟ قال غريب : قولوا : لا إلَه إلاّ الله إبراهيم خليل الله . فأسلم العشرة إسلاماً صحيحاً . ثم قال غريب : إن دليل حلاوة الإسلام في قلوبكم أن تمضوا إلى قومكم وتعرضوا عليهم الإسلام ، فإن أسلموا أسلموا وإن أبوا نحرقهم بالنار . فسار العشرة حتى وصلوا إلى قومهم وعرضوا عليهم دين الإسلام وشرحوا لهم طريق الحق والإيمان . فأسلموا قلباً ولساناً وسعوا على الأقدام حتى وصلوا إلى غريب وقبّلوا الأرض بين يديه ودعوا له بالعزّ وعلو الدرجات وقالوا : يا مولانا ، نحن صرنا عبيدك فأمرنا بما تريد فإنّا لك سامعون مطيعون ، وما بقينا نفارقك لأن الله هدانا على يديك . فجازاهم خيراً وقال لهم : امضوا إلى منازلكم وارتحلوا بأموالكم وأولادكم واسبقونا على وادي الأزهار وحصن صاصا بن شيث حتى أشيّع فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم وأعود إليكم . فقالوا : سمعاً وطاعةً . ثم إنهم رحلوا من وقتهم وقصدوا حيّهم وهم فرحون بالإسلام ، وعرضوا الإسلام على عيالهم وأولادهم فأسلموا . ثم هدّوا بيوتهم وأخذوا أموالهم ومواشيهم ورحلوا إلى وادي الأزهار ، فخرج غول الجبل وأولاده واستقبل القوم . فكان غريب أوصاهم وقال لهم : إذا خرج إليكم غول الجبل وأراد أن يبطش بكم فاذكروا الله تعالى خالق كل شيء ، فإنه متى سمع ذكر الله تعالى يرجع عن القتال ويلقاكم بالترحيب . فلما خرج غول الجبل بأولاده وأراد أن يبطش بهم أعلنوا بذكر الله تعالى فتلقّاهم بأحسن ملتقى وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم مع غريب . ففرح بهم سعدان وأنزلهم وغمرهم بالإحسان . هذا ما جرى لهم . وأما غريب فإنه رحل بالملكة فخرتاج وتوجه إلى مدينة اسبانير ، فسار خمسة أيام . وفي اليوم السادس ظهر له غبار ، فأرسل رجلاً من الأعجام يتحقّق له الأخبار . فسار إليه ثم عاد أسرع من الطير إذا طار وقال : يا مولاي هذا غبار ألف فارس من أصحابنا الذين أرسلهم الملك يفتشون على الملكة فخرتاج . فلما بلغ غريب ذلك ، أمر أصحابه بالنزول وأن يضربوا الخيام . فنزلوا وضربوا خيامهم حتى وصل إليهم القادمون فتلقّاهم رجال الملكة فخرتاج وأخبروا طومان الحاكم عليهم وأعلموه بالملكة فخرتاج . فلما سمع طومان بذكر الملك غريب دخل عليه وقبّل الأرض بين يديه وسأله عن حال الملكة فأرسله إلى خيمتها . فدخل عليها وقبّل يديها ورجليها وأخبرها بما جرى لأبيها وأمها ، فأخبرته بجميع ما جرى لها وكيف خلّصها غريب من غول الجبل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 633

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة فخرتاج لمّا حكت لطومان جميع ما حصل لها من غول الجبل وأسرها وكيف خلّصها غريب وإلاّ كان أكلها قالت : فواجب على أبي أن يعطيه نصف ملكه . ثم إنه قام طومان وقبّل يدي غريب ورجليه وشكر إحسانه وقال : عن إذنك يا مولاي ، هل أرجع إلى مدينة اسبانير فأبشّر الملك ؟ فقال له : توجه وخذ

منه البشارة . فسار طومان ورحل غريب بعده . فأما طومان فإنه جدّ في السير حتى أشرف على اسبانير المدائن فطلع القصر وقبّل الأرض قدام الملك سابور . فقال الملك : ما الخبر يا بشير الخير؟ فقال له طومان : مَا أقول لك حتى تعطيني بشارتي . فقال له الملك : بشّرني حتى أرضيك . فقال : يا ملك الزمان أبشر بالملكة فخرتاج . فلما سمع سابور ذكر ابنته وقع مغشيّاً عليه ، فرشّوا عليه ماء الورد فأفاق وصاح على طومان وقال له : تقرّب إلي وبشّرني . فتقدّم وشرح له ما جرى للملكة فخرتاج . فلما سمع الملك ذلك الكلام خبط كفّيه على بعضهما وقال : مسكينة يا فخرتاج . ثم إنه أمر لطومان بعشرة الآف دينار وأنعم عليه بمدينة أصبهان وأعمالها . ثم صاح على أمرائه وقال : إركبوا بأجمعكم حتى نلاقي الملكة فخرتاج . ودخل الخادم الخاص أعلم أمها وكامل الحريم ، ففرحَن بذلك وخلعت أمها على الخادم خلعة وأعطته ألف دينار . وسمع أهل المدينة بذلك فزينوا الأسواق والبيوت . وركب الملك طومان وساروا حتى رأوا غريباً ، فترجّل الملك سابور ومشى خطوات ليستقبل غريباً ، وترجّل غريب ومشى إليه واعتنقا وسلّما على بعضهما وانكبّ سابور على يدي غريب فقبّلهما وشكر إحسانه . ونصبوا الخيام قبال الخيام ودخل سابور على ابنته ، فقامت له واعتنقته وصارت تحدّثه بما جرى لها وكيف خلّصها غريب من قبضة غول الجبل . فقال لها أبوها : وحياتك يا سيدة الملاح إني أعطيه حتى أغمره بالعطاء . فقالت له : صاهره يا أبتي حتى يكون لك عوناً على الأعداء فإنه شجاع . وما قالت هذا الكلام إلاّ لأن قلبها تعلّق بغريب . فقال : يا بنتي ، أما تعلمين أن الملك خردشاه رمى الديباج ووهب مائة ألف دينار وهو ملك شيراز وأعمالها وهو صاحب ملك وجنود وعساكر . فلما سمعت فخر تاج كلام أبيها قبّت : يا أبتي ، ما أريد ما ذكرت لي ، وإن أكرهتني على ما لا أريد قتلت روحي . فخرج الملك وتوجه إلى غريب فقام له ، وجلس سابور وصار لا يشبع نظره من غريب وقال في نفسه : والله إن ابنتي معذورة حيث حبّت هذا البدوي . ثم حضر الطعام ، فأكلوا وباتوا . ثم أصبحوا سائرين إلى أن وصلوا إلى المدينة ودخل الملك وغريب ركابه في ركابه وكان لهم يوم عظيم . ودخلت فخرتاج قصرها ومحل عزّها وتلقّتها أمها وجواريها وقمنَ بالفرح والزغاريد . وجلس الملك سابور على كرسي مملكته وأجلس غريباً على يمينه ووقف الملوك والحجاب والأمراء والنواب والوزراء ميمنة وميسرة وقد هنّؤوا الملك بابنته . فقال الملك لأرباب دولته : من أحبّني يخلع على غريب . فوقع عليه خلع مثل المطر ، وأقام غريب في الضيافة عشرة أيام . ثم أراد المسير فخلع عليه الملك وحلف بدينه أنه لا يرحل إلاّ بعد شهر . فقال غريب : يا ملك ، إني خطبت بنتاً من بنات العرب وأريد أن أدخل عليها . فقال الملك : أيتهما أحسن أمخطوبتك أم فخرتاج ؟ فقال غريب : يا ملك الزمان أين العبد من المولى؟ فقال الملك : فخرتاج صارت جاريتك لأنك خلصتها من مخالب الغول وما لها بعل سواك . فقام غريب وقبّل الأرض وقال : يا ملك الزمان ، أنت ملك وأنا رجل فقير وربما تطلب مهراً ثقيلاً . فقال له الملك سابور : يا ولدي ، أعلم أن الملك خردشاه صاحب شيراز وأعمالها خطبها وجعل لها مائة ألف دينار ، وأنا قد اخترتك دون الناس أجمعين وقد جعلتك سيف مملكتي وترس نقمتي . ثم التفت لكبراء قومه وقال : إشهدوا عليّ يا أهل مملكتي أني زوّجت ابنتي فخرتاج لولدي غريب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة

634

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك سابور ملك العجم قال لكبراء قومه : إشهدوا علي أني زوّجت ابنتي فخرتاج لولدي غريب. فعند ذلك صافحه وصارت زوجته. فقال له غريب : إشرط عليّ مهر احمله إليك فإن عندي في حصن صاصا مالاً وذخائر لا تحصى. فقال سابور : يا ولدي، ما أريد منك مالاً ولا ذخائر ولا آخذ مهرها إلاّ رأس الجمرقان ملك الدشت ومدينة الأهواز. فقال : يا ملك الزمان، سوف أمضي وأجيء بقومي وأسير لعدوي وأخرب دياره. فجازاه الملك خيراً وانفضّ القوم والأكابر، وظن الملك أن غريباً إذا توجه إلى الجمرقان ملك الدشت لا يعود أبداً. فلما أصبح الصباح ركب الملك وركب غريب وأمر العسكر بالركوب، فركبوا ونزلوا الميدان. فقال لهم الملك : إلعبوا بالرماح وفرّحوا قلبي. فلعب أبطال العجم مع بعضهم ثم قال غريب : يا ملك الزمان، مرادي أن ألعب مع فرسان العجم على شرط. فقال له : وما شرطك؟ قال له : ألبس ثوباً رفيعاً على بدني وآخذ رمحاً بلا سنان وأجعل عليه خرقة مغموسة بالزعفران ويبرز لي كل شجاع ويطل رمحه بسنان فإن غلبني فقد وهبته روحي وإن غلبته علّمت عليه في صدره فيخرج من الميدان. فصاح الملك على نقيب الجيش أن يقدم أبطال العجم، فانتخب ألفاً ومائتين من ملوك العجم واختارهم أبطالاً شجعاناً. وقال لهم الملك بلسان العجم : كل من قتل هذا البدوي يتمنى عليّ حتى أرضيه. فتسابقوا إلى غريب وحملوا عليه وقد بان الحق من الباطل والجد من المزاح وقال : توكّلت على الله إله إبراهيم الخليل وإله كل شيء قدير، الذي لا يخفى عليه شيء وهو الواحد القهّار الذي لا تدركه الأبصار. فبرز له عملاق من أبطال العجم فما أمهله في الثبات قدامه حتى علّم عليه وملأ صدره بالزعفران، ولما ولّى لطشه غريب بالرمح على رقبته فوقع في الأرض وحمله غلمانه من الميدان. فبرز له ثانٍ فعلّم عليه وثالث ورابع وخامس، ولم يزل يبرز له بطل بعد بطل حتى علّم على الجميع ونصره الله تعالى عليهم وطلعوا من الميدان وقدّم لهم الطعام فأكلوا وأحضروا الشراب وشربوا. فشرب غريب وطاش عقله فقام يزيل ضرورة وأراد أن يعود فتاه ودخل في قصر فخرتاج. فلما رأته خرج عقلها وصاحت على جواريها وقالت : أخرجنَ إلى مواضعكنّ. فتفرقنَ وتوجهنَ إلى مواضعهنّ. ثم قامت وقبّلت يد غريب وقالت : مرحباً بسيدي الذي أعتقني من الغول فأنا جاريتك على الدوام. وجذبته إلى فراشها واعتنقته فاشتدّت شهوته وافتضّها وبات عندها إلى الصباح. هذا ما جرى والملك يظن أن غريباً مضى. فلما أصبح الصباح دخل على الملك، فقام له وأجلسه بجانبه. ثم دخل الملوك وقبّلوا الأرض ووقفوا ميمنة وميسرة وصاروا يتحدثون في شجاعة غريب ويقولون : سبحان من أعطاه الشجاعة على صغر سنه. فبينما هم في الكلام إذ نظروا من شباك القصر غبار خيل مقبلة. فصاح الملك على السعاة وقال : ويلكم، ائتوني بخبر هذا الغبار. فسار فارس منهم حتى كشف الغبار وعاد وقال : أيها الملك، وجدنا تحت الغبار مائة فارس من الفرسان أميرهم يقال له : سهيم الليل. فلما سمع غريب هذا الكلام قال : يا مولاي هذا أخي، كنت بعثته في حاجة وأنا خارج لألاقيه. ثم ركب غريب في قومه المائة فارس من بني قحطان وركب معه ألف من العجم وسار في موكب عظيم ولا عظمة إلاّ الله، ولم يزل غريب سائراً حتى وصل إليه فترجّل الإثنان واعتنقا ثم ركبا. فقال غريب : يا أخي، هل

أوصلت قومك إلى حصن صاصا ووادي الأزهار ؟ فقال : يا أخي ، إن الكلب الغدار لما سمع انك ملكت حصن غول الجبل زاد به الضجر وقال : إن لم أرحل من هذه الديار يجيء غريب فيأخذ بنتي مهدية بلا صداق . ثم اخذ بنته واخذ قومه وعياله وماله وقصد أرض العراق ودخل الكوفة واحتمى بالملك عجيب وهو طالب ان يعطيه ابنته مهدية . فلما سمع غريب كلام أخيه سهيم الليل كادت روحه ان تزهق من القهر وقال : وحقّ دين الإسلام دين الخليل إبراهيم وحقّ الرب العظيم لأسيرنّ إلى أرض العراق واقيم الحرب فيها على ساق . ودخل المدينة وطلع غريب وأخوه سهيم الليل إلى قصر الملك وقبّلوا الأرض ، فقام الملك لغريب وسلّم على سهيم . ثم إن غريباً اخبر الملك بما جرى ، فأمر له بعشرة قواد مع كل قائد عشرة آلاف فارس من شجعان العرب والعجم . فجهّزوا حالهم في ثلاثة أيام ثم رحل غريب وسار حتى وصل إلى حصن صاصا ، فخرج له غول الجبل وأولاده ولاقوا غريباً . ثم ترجل سعدان وأولاده وقبّلوا اقدام غريب في الركاب وحكى لغول الجبل ما جرى . فقال : يا مولاي ، اقعد في حصنك وانا اسير بأولادي واجنادي نحو العراق وأخرب مدينة الرستاق وأجيء بجميع جنودها مربوطين بين يديك في أشد الوثاق . فشكره غريب وقال : يا سعدان نسير كلنا . فجهّز حاله وفعل ما أمره وساروا كلّهم وتركوا في الحصن الف فارس يحفظونه ورحلوا قاصدين العراق . هذا ما كان من امر غريب . وأما ما كان من امر مرداس ، فإنه سار بقومه حتى وصل أرض العراق واخذ معه هدية حسنة ومضى بها إلى الكوفة واحضرها قدام عجيب . ثم قبّل الأرض ودعا له بدعاء الملوك وقال : يا سيدي ، إني اتيت مستجيراً بك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 635

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مرداساً لما طلع بين يدي عجيب قال له : إني اتيت مستجيراً بك . فقال : من ظلمك حتى اجيرك منه ؟ ولو كان سابوراً ملك العجم والترك والديلم . فقال مرداس : يا ملك الزمان ، ما ظلمني إلاّ صبي ربيته في حجري وقد وجدته في حجر امه في وادٍ فتزوّجت بأمه فجاءت مني بولد فسمّيته سهيم الليل وولدها إسمه غريب ، فنشأ في حجري وطلع صاعقة محرقة وداهية عظيمة فقتل حسان سيد بني نبهان وأفنى الرجال وقهر الفرسان . وعندي بنت ما تصلح إلاّ لك وقد طلبها مني فطلبت منه راس غول الجبل ، فسار له وبارزه وأسره وصار من جملة رجاله . وسمعت أنه أسلم وصار يدعو الناس إلى دينه وخلّص بنت سابور من الغول وملك حصن صاصا بن شيث بن شداد بن عاد وفيه ذخائر الأولين والآخرين وكنوز السابقين . وقد سار يشيع بنت سابور وما يرجع إلاّ بأموال العجم . فلما سمع عجيب كلام مرداس اصفرّ لونه وتغيّر حاله وأيقن بهلاك نفسه وقال : يا مرداس ، وهل أم هذا الصبي عندك أو عنده ؟ قال : عندي في خيامي . قال : فما اسمها ؟ قال : إسمها نصرة . قال : هي إياها . فأرسل احضرها فنظر عجيب إليها فعرفها فقال : يا ملعونة ، أين العبدان اللذان أرسلتهما معك ؟ قالت : قتلا بعضهما على شاني . فسلّ عجيب سيفه وضربها فشقّها نصفين وسحبوها ورموها . ودخل في قلبه الوسواس فقال : يا مرداس زوّجني بنتك . فقال مرداس : هي من بعض جواريك وقد زوّجتك بها وانا عبدك . فقال عجيب : مرادي ان أنظر إلى ابن الزانية غريب حتى اهلكه واذيقه اصناف العذاب . وامر لمرداس بثلاثين الف دينار مهر ابنته ومائة شقة

من الحرير منسوجة بطراز الذهب مزركشة ومائة مقطع بحاشية ومناديل وأطواق ذهب. ثم خرج مرداس بهذا المهر العظيم فاجتهد في جهاز مهدية. هذا ما جرى لهؤلاء. وأما ما كان من أمر غريب فإنه سار حتى وصل إلى جزيرة وهي أول بلاد العراق وهي مدينة حصينة منيعة، فأمر غريب بالنزول عليها. فلما نظر أهل المدينة نزول العسكر عليهم، اغلقوا الأبواب وحصّنوا الأسوار وطلعوا الملك فأعلموه. فنظر من شرفات القصر فوجد عسكراً جرّاراً وكلهم أعجام فقال: يا قوم، ما يريدون هؤلاء الأعجام؟ فقالوا: لا ندري. وكان الملك إسمه الدامغ، لأنه كان يدمغ الأبطال في حومة الميدان، وكان من جملة أعوانه رجل شاطر كأنه شعلة نار اسمه سبع القفار. فدعاه الملك وقال له: إمض إلى هذا العسكر وانظر أخبارهم وما يريدون منا وارجع عاجلاً. فخرج سبع القفار كأنه الريح إذا سار حتى وصل إلى خيام غريب. فقام جماعة من العرب فقالوا: من أنت وما تريد؟ فقال: أنا قاصد ورسول من عند صاحب المدينة إلى صاحبكم. فأخذوه وشقّوا به الخيام والمضارب والأعلام حتى وصلوا به إلى سرادق غريب. فدخلوا على غريب وأعلموه به فقال: ائتوني به. فأتوا به، فلما دخل قبّل الأرض ودعا له بدوام العز والبقاء. قال له غريب: ما حاجتك؟ قال: أنا رسول صاحب مدينة الجزيرة الدامغ أخو الملك كندمر صاحب مدينة الكوفة وأرض العراق. فلما سمع غريب كلام الرسول جرت دموعه مدراراً ونظر إلى الرسول وقال له: ما اسمك؟ قال: إسمي سبع القفار. فقال له: إمض إلى مولاك وقل له: إن صاحب هذه الخيام اسمه غريب بن كندمر صاحب الكوفة الذي قتله ابنه وقد أتى إلى أخذ الثأر من عجيب الكلب الغدار. فخرج الرسول حتى وصل إلى الملك الدامغ وهو فرحان ثم قبّل الأرض. فقال الملك: ما وراؤك يا سبع القفار؟ قال: يا مولاي إن صاحب هذا العسكر ابن أخيك. ثم حكى له جميع الكلام فظن أنه في المنام وقال: يا سبع القفار. فقال له: نعم يا ملك. قال له: هل الذي قلته حق؟ قال له: وحياة راسك إنه حق. فعند ذلك أمر كبار قومه بالركوب، فركبوا وركب الملك وساروا حتى وصلوا إلى الخيام. فلما علم غريب بحضور الملك الدامغ، خرج إليه ولاقاه واعتنق الإثنان وسلّما على بعضهما ورجع غريب بالملك إلى الخيام وجلسا على مراتب العزّ وفرح الدامغ بغريب ابن أخيه. ثم التفت الملك الدامغ إلى غريب وقال له: إن في قلبي حسرة من ثأر أبيك وما لي قدرة على الكلب أخيك لأن عسكره كثير وعسكري قليل. فقال غريب: يا عم، ها أنا قد أتيت آخذ الثأر وأزيل العار وأخلي منه الديار. فقال الدامغ: يا ابن أخي، إن لك ثأرين: ثأر أبيك وثأر أمك. فقال غريب: ما بال أمي؟ قال: قتلها عجيب أخوك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 636

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن غريباً لما سمع كلام عمه الدامغ حين قال له: إن أمك قتلها عجيب أخوك. قال غريب: يا عم، وما سبب قتلها؟ فحكى له ما جرى لأمه وكيف زوّج مرداس بنته بعجيب وهو يريد أن يدخل عليها. فلما سمع غريب كلام عمه، طار عقله من رأسه وغشي عليه حتى كاد أن يهلك. فلما صحا من غشيته صاح في عسكره وقال: إركبوا. فقال الدامغ: يا ابن أخي، إصبر حتى أهيء حالي وأركب في رجالي وأسير معك في ركابك. فقال: يا عم، ما بقي لي صبر فجهّز حالك والحقني في الكوفة. ثم إن

غريباً سار حتى وصل إلى مدينة بابل وقد ارتعب أهلها . وكان فيها ملك إسمه جمك ، وكان تحت يده عشرون الف فارس واجتمع عنده من القرى خمسون الف فارس وضربوا الخيام قبال بابل . ثم كتب غريب كتاباً وأرسله لصاحب بابل . فسار الرسول فلما وصل إلى المدينة صاح وقال : إني رسول . فسار بوّاب الباب متوجهاً إلى الملك جمك وأخبره بالرسول . فقال : ائتني به . فخرج وأتى بالرسول بين يديه ، فقبّل الأرض وأعطى جمكاً الكتاب . ففكّه وقراه فإذا فيه : الحمد لله رب العالمين ، رب كل شيء ورازق كل حي وهو على كل شيء قدير . من عند غريب بن الملك كندمر صاحب العراق وأرض الكوفة إلى جمك . فساعة وصول الكتاب إليك لا يكون جوابك إلاّ أن تكسر الأصنام وتوحّد الملك العلام خالق النور والظلام وخالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ، وإن لم تفعل ما أمرتك به جعلت اليوم عليك أشأم الأيام . والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى رب الآخرة والأولى الذي يقول للشيء : كن فيكون . فلما قرأ الكتاب ، ازرقّت عيناه واصفرّ وجهه وصاح على الرسول وقال له : إمض إلى صاحبك وقل له : غداً عند الصباح يكون الحرب والكفاح ويبان الجحجاح . فمضى الرسول وأعلم غريباً بما كان ، فأمر غريب قومه بأخذ الأهبة للقتال . ثم امرجمك بنصب الخيام قبال خيام غريب وخرج عساكر مثل البحر الزاخر وباتوا على نية القتال . فلما أصبح الصباح ركبت الطائفتان واصطفتا صفوفاً ودقوا الكاسات ورمحوا على الصافنات فملؤوا الأرض والفلوات وتقدّمت الأبطال . وكان أول منْ برز إلى ميدان الحرب والنزال غول الجبل ، وعلى كتفه شجرة هائلة فصاح بين الفريقين وقال : أنا سعدان الغول . ونادى : هل من مبارز ؟ هل من مناجز لا يأتني كسلان ولا عاجز ؟ ثم صاح على أولاده : يا ويلكم ، فائتوني بالحطب والنار لأنني جائع . فصاحوا على عبيدهم فجمعوا الحطب واشعلوا النار في وسط الميدان ، فبرز له رجل من الكفّار عملاق من العمالقة العتاة وعلى كتفه عمود مثل صاري مركب فحمل على سعدان وقال : يا ويلك يا سعدان . فلما سمع كلام العملاق ساءت منه الأخلاق ولفّ الشجرة فزمرت في الهواء وضرب بها العملاق فلاقى الضربة بالعمود فنزلت الشجرة بثقلها مع عمود العملاق على دماغه فهشّمته ووقع كالنخلة السحوق . فصاح سعدان على عبيده وقال : إسحبوا هذا العجل السمين واشووه سريعاً . فأسرعوا وسلخوا العملاق وشووه وقدّموه لسعدان الغول ، فأكله ومرمش عظامه . فلما نظر الكفّار إلى فعل سعدان بصاحبهم ، اقشعرت جلودهم وأبدانهم وانعكست أحوالهم وتغيّرت الوانهم وقالوا لبعضهم : كل من خرج لهذا الغول أكله ومزمش عظامه وأعدمه نسيم الدنيا . فتوقفوا عن القتال وقد فزعوا من الغول وأولاده ثم ولّوا هاربين وإلى بلدهم قاصدين . فعند ذلك صاح غريب على قومه وقال : عليكم بالمنهزمين . فحمل العجم والعرب على ملك بابل وقومه وأوقعوا فيهم ضرب السيف حتى قتلوا منهم عشرين الفاً وأزيد ، وازدحموا في الباب فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ولم يقدروا على غلق الباب . فهجمت عليهم العرب والعجم وأخذ سعدان عموداً من بعض القتلى وهزّه قدام القوم ونزل به في الميدان ، ثم هجم على قصر الملك جمك فواجهه وضربه بالعمود فوقع على الأرض مغشياً عليه ، وحمل سعدان على من في القصر فجعلهم هشيماً . فعند ذلك صاحوا : الأمان الأمان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 637

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن سعدان الغول لما هجم على قصر الملك جمك وهشم من فيه صاحوا : الأمان الأمان . فقال لهم سعدان : كتّفوا ملككم . فكتّفوه وحملوه وساقهم سعدان قدامه مثل الغنم بعد فناء أكثر أهل المدينة بسيوف عسكر غريب وأوقفهم قدام غريب . فلما أفاق جمك ملك بابل من غشيته وجد نفسه مربوطاً والغول يقول : الليلة أتعشى بهذا الملك جمك . فلما سمعه التفت إلى غريب وقال له : أنا في جيرتك . قال غريب : أسلم تسلم من الغول ومن عذاب الحي الذي لا يزول . فأسلم جمك قلباً ولساناً . فامر غريب بحل كتافه ثم عرض الإسلام على قومه فأسلموا جميعاً وقد وقفوا في خدمة غريب . ودخل جمك مدينته وأخرج الطعام والشراب وباتوا على بابل حتى أصبح الصباح ، فأمر غريب بالرحيل وساروا حتى وصلوا إلى ميافارقين فرأوها خالية من أهلها . وكان أصحابها قد سمعوا ما جرى لبابل فأخلوا الديار وساروا حتى وصلوا إلى مدينة الكوفة فأخبروا عجيباً بما جرى . فقامت قيامته وجمع أبطاله وأخبرهم بقدوم غريب وأمرهم أن يأخذوا الأهبة لقتال أخيه ، وقد أحصى قومه فكانوا ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل . ثم طلب غيرهم للحضور فحضر له خمسون ألفاً من فارس وراجل . ثم ركب في عسكر جرّار وسار خمسة أيام فوجد عسكر أخيه نازلاً بالموصل فنصب خيامه قبال خيامهم . ثم كتب غريب كتاباً والتفت إلى رجاله وقال : من فيكم يوصل هذا الكتاب إلى عجيب؟ فوثب سهيم قائماً وقال : يا ملك الزمان، أنا أروح بكتابك وأجيء بجوابك . فأعطاه الكتاب وسار به حتى وصل إلى سرادق عجيب فأخبروا عجيباً به فقال : ائتوني به . فلما أحضروه بين يديه قال له : من أين جئت؟ قال : جئتك من عند ملك العجم والعرب صهر كسرى ملك الدنيا وقد أرسل إليك كتاباً فردّ جوابه . فقال له عجيب : هات الكتاب . فأعطاه إياه ففكّه وقرأه فوجد فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام على الخليل إبراهيم . أما بعد، فساعة وصول الكتاب إليك توحّد الملك الوهّاب مسبّب الأسباب ومسيّر السحاب وتترك عبادة الأصنام ، فإن أسلمت كنت أخي والحاكم علينا وأترك لك ذنب أبي وأمي ولا أؤاخذك بما فعلت ، وإن لم تفعل ما أمرتك به قطعت عنقك وأخربت ديارك وعجلت عليك وقد نصحتك والسلام على من اتبع الهدى وأطاع الملك الأعلى . فلما قرأ عجيب كلام غريب وفهم ما فيه من التهديد، صارت عيناه في أم رأسه وقرش على أضراسه واشتدّ غضبه ثم مزق الكتاب ورماه . فصعب على سهيم فصاح على عجيب وقال له : شلّ الله يدك بما فعلت . فصاح عجيب على قومه وقال : امسكوا هذا الكلب وقطّعوه بسيوفكم . فهجموا على سهيم ، فسحب سهيم سيفه وبطش بهم فقتل منهم ما يزيد على خمسين بطلاً ومرق سهيم حتى وصل إلى أخيه وهو غاطس في الدم . فقال له غريب : أي شيء هذا الحال يا سهيم ؟ فحكى له ما جرى . فصاح غريب : الله أكبر . وامتزج بالغضب ودقّ طبل الحرب وركب الأبطال واصطف الرجال واجتمع الأقران ورقصوا الخيل في المجال ولبس الرجال الحديد والزرد النضيد وتقلّدوا بالسيوف واعتقلوا الرماح الطوال وركب عجيب بقومه وحملت الأمم على الأمم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 638

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن غريباً لما ركب هو وقومه وركب عجيب هو وقومه، حملت الامم على الأمم وحكم قاضي الحرب وفي حكمه ظلم وختم على فمه ولم يتكلّم، وجرى الدم وانسجم ونقش على الأرض طرازاً محكماً وشابت الأمم واشتد الحرب واحتدم وزلّت القدم، وثبت الشجاع واقتحم وولّى الجبان وانهزم . ولم يزالوا في حرب وقتال حتى ولّى النهار واقبل الليل بالإعتكار، فذقوا كؤوس الانفصال وانفرق بعضهم عن بعض ورجعت كل طائفة إلى خيامها وباتوا . فلما أصبح الصباح، دقوا كؤوس الحرب والكفاح وقد لبسوا آلة الحرب وتقلّدوا بالسيوف الملاح واعتقلوا سمر الرماح وركبوا الجرد القداح ونادوا : اليوم لا براح . واصطف العساكر مثل البحر الزاخر فكان أول من فتح باب الحرب سهيم، فساق جواده بين الصفين ولعب بالسيفين والرمحين وقلب ابواباً في الحرب حتى حيّر وليّ الألباب ثم نادى : هل من مبارز؟ هل من مناجز لا يأتني كسلان ولا عاجز؟ فبرز له فارس من الكفّار كأنه شعلة من نار فما امهله سهيم في الثبات قدامه حتى طعنه فألقاه . فبرز له الثاني فقتله والثالث فمزّقه والرابع فأهلكه . ولم يزل كل من برز له قتله إلى نصف النهار حتى قتل مائتي بطل . فعند ذلك صاح عجيب في قومه وأمرهم بالحملة، فحمل الأبطال على الأبطال وعظم النزال وكثر القيل والقال ورنّت السيوف الصقال وفتكت الرجال بالرجال وصاروا في أنحس حال، وجرى الدم وسال وصارت الجماجم للخيل نعال . ولم يزالوا في ضرب شديد حتى ولّى النهار وأقبل الليل بالإعتكار وانفصلوا من بعضهم ومضوا إلى خيامهم وباتوا إلى الصباح . ثم ركب الطائفتان وطلبوا الحرب والكفاح وانتظر المسلمون غريباً يركب تحت الأعلام على جري عادته فما ركب . فذهب عبد سهيم إلى سرادق اخيه فلم يجده . فسأل الفرّاشين فقالوا : ما لنا به علم . فاغتمّ غمّاً شديداً وخرج وأعلم العسكر . فامتنعوا من الحرب وقالوا : إن غاب غريب يهلكنا عدوّه . وكان لغياب غريب أمر عجيب نذكره على الترتيب . وهو أنه لما رجع عجيب من حرب أخيه غريب دعا رجلاً من أعوانه يقال له : سيّار وقال له : يا سيار، ما ادّخرتك إلاّ لمثل هذا اليوم وقد أمرتك أن تدخل عسكر غريب وتصل إلى سرادق الملك وتجيء بغريب وتريني شطارتك . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم إن سياراً سار حتى تمكّن من سرادق غريب وقد أظلم الليل وانصرف كل إنسان إلى مرقده . هذا كله وسيّار واقف بسبب الخدمة، فعطش غريب فطلب الماء من سيّار فقدّم له كوز ماء وشغله بالبنج، فما فرغ غريب من الشرب حتى سبقت رأسه رجليه فلفّه في ردائه وحمله وسار به حتى دخل خيام عجيب ثم وقف بين يديه ورماه قدّامه . فقال له : ما هذا يا سيّار؟ قال له : هذا أخوك غريب . ففرح عجيب وقال له : باركت فيك الأصنام حلّه ونبّهه . فنشقّه بالخل فأفاق وفتح عينيه فوجد نفسه مربوطاً وهو في خيمة غير خيمته فقال : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . فصاح عليه أخوه وقال له : أتجرد عليّ يا كلب وتطلب قتلي وتطالبني بثار أبيك وأمك؟ فأنا اليوم الحقك بهما وأريح الدنيا منك . فقال له غريب : يا كلب الكفّار سوف تنظر من تدور عليه الدوائر ويقهره الملك القاهر العالم بما في السرائر، الذي يتركك في جهنم معذباً جائراً . فارحم نفسك وقل معي : لا إله إلاّ الله إبراهيم خليل الله . فلما سمع عجيب كلام غريب، شخر وسبّ إلهه الحجر وأمر بإحضار السيّاف

ونطع الدم . فنهض الوزير وقبّل الأرض وكان مسلماً في الباطن كافراً في الظاهر وقال : يا ملك ، إمهل لا تعجل حتى نعرف الغالب من المغلوب ، فإن كنا غالبين فنحن متمكنون من قتله وإن كنا مغلوبين يكون إبقاؤه في أيدينا قوّة لنا . فقال الأمراء : صدق الوزير . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 639

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان عجيباً لما اراد قتل غريب نهض الوزير وقال : لا تعجل فإننا متمكنون من قتله . فأمر عجيب لأخيه بقيدين وغلّين وجعله في خيمته وحرّس عليه الف بطل شداداً . واصبح قوم غريب فاقدين ملكهم فلم يجدوه ، فلما أصبح الصباح صاروا غنماً من غير راعٍ . فصاح سعدان الغول وقال : يا قوم ، إلبسوا آلة حربكم وتوكّلوا على ربكم يدفع عنكم . فركب العرب والعجم خيولهم بعد أن لبسوا الحديد وتسربلوا بالزرد النضيد وبرزت السادات وتقدّم أصحاب الرايات ، فعند ذلك برز غول الجبل وعلى كتفه عمود وزنه مائتا رطل فجال وصال وقال : يا عبدة الأصنام ، ابرزوا اليوم فإنه يوم الإصطدام ، من عرفني فقد اكتفى شرّي ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي ، أنا سعدان غلام الملك غريب . هل من مبارز ؟ هل من مناجز لا يأتني اليوم جبان ولا عاجز ؟ فبرز له بطل من الكفّار كأنه شعلة من نار ، فحمل على سعدان فتلقّاه سعدان وضربه بالعمود فكسر أضلاعه ووقع على الأرض ليس فيه روح . فصاح على أولاده وعبيده وقال لهم : اشعلوا النار فكل من وقع من الكفّار اشووه واصلحوا شأنه ونضجوه بالنار وقدموه إليّ حتى أتغدى به . ففعلوا ما أمرهم به واطلقوا النار في وسط الميدان وطرحوا ذلك المقتول في النار حتى استوى فقدّموه لسعدان ، فنهش لحمه ومرمش عظمه . فلما نظر الكفّار ما فعل غول الجبل ، فزعوا فزعاً شديداً . فصاح عجيب على قومه وقال : ويلكم ، فاحملوا على هذا الغول واضربوه بسيوفكم وقطّعوه . فحمل عشرون الفاً على سعدان ودارت حوله الرجال ورشقوه بالنبال والنشاب فصار فيه أربعة وعشرون جرحاً وجرى دمه على الأرض وصار وحده . فعند ذلك حملت أبطال المسلمين على المشركين واستغاثوا بربّ العالمين ولم يزالوا في حرب وقتال حتى فرغ النهار ، فافترقوا من بعضهم وقد أسر سعدان وهو مثل السكران من نزيف الدم وشدّوا وثاقه واضافوه إلى غريب . فلما نظر غريب إلى سعدان وهو اسير قال : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . وقال له : يا سعدان ، ما هذا الحال ؟ فقال : يا مولاي حكم الله سبحانه وتعالى بالشدة والفرج ولا بد من هذا وهذا ، قال : صدقت يا سعدان . وبات عجيب وهو فرحان وقال لقومه : إركبوا غداً واهجموا على عسكر المسلمين حتى لا يبقى منهم بقية . فقالوا : سمعاً وطاعةً . واما ما كان من أمر المسلمين فإنهم باتوا وهم منهزمون باكون على ملكهم وعلى سعدان . فقال لهم سهيم : يا قوم ، لا تهتموا ففرج الله تعالى قريب . ثم صبر سهيم إلى نصف الليل وتوجه إلى عسكر عجيب ولم يزل يخترق المضارب والخيام حتى وجد عجيباً جالساً على سرير عزّه والملوك حوله . كل هذا وسهيم في صفة فراش ، وتقدّم إلى الشمع الموقود وقطف زهرته واشعله بالبنج الطيّار وخرج منه خارج السرادق وصبر ساعة حتى طلع دخان البنج على عجيب وملوكه فوقعوا على الأرض كأنهم موتى . فتركهم سهيم واتى إلى خيمة السجن فوجد فيها غريباً وسعدان ووجد عليها الف بطل

وقد غلبهم النعاس . فصاح عليهم سهيم وقال : ويلكم لا تناموا واحتفظوا على غريمكم واوقدوا المشاعل . ثم اخذ سهيم مشعلاً واشعله بالحطب وملأه بنجاً وحمله ودار حول الخيمة، فطلع دخان البنج ودخل في خياشيمهم فرقدوا جميعهم وتبنّج جميع العسكر من دخان البنج فرقدوا . وكان مع سهيم الليل الخل في اسفنجة، فنشقّهم حتى افاقوا وقد حلّهم من السلاسل والأغلال . فنظرا إلى سهيم ودعوا له وفرحا به ثم خرجوا وحملوا جميع السلاح من الحراس وقال لهم : امضوا إلى عسكركم . فساروا ودخل سهيم إلى سرادق عجيب ولفّه في برده وحمله وسار قاصداً خيام المسلمين . وقد ستر عليه الرب الرحيم حتى وصل إلى سرادق غريب وحلّ البردة . فنظر غريب إلى ما في البردة فوجده اخاه عجيباً وهو مكتف فصاح : الله اكبر، فتح ونصر . ودعا غريب لسهيم وقال : يا سهيم نبّهه . فتقدّم واعطاه الخل مع الكندز، فأفاق من البنج وفتح عينيه فوجد روحه مكتّفاً مقيّداً فاطرق راسه إلى الأرض . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 640

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان عجيباً لما قبضه سهيم وبنّجه جاء به عند اخيه غريب ونبّهه، ففتح عينيه فوجد نفسه مكتّفاً مقيّداً فاطرق راسه إلى الأرض . فقال له : يا ملعون إرفع راسك . فرفع راسه فوجد نفسه بين عجم وعرب واخوه جالس على سرير ملكه ومحل عزّه فسكت ولم يتكلم . فصاح غريب وقال : اعروا هذا الكلب . فاعروه ونزلوا عليه بالسياط حتى اضعفوا جسمه واخمدوا حسّه، وحرس عليه مائة فارس . فلما فرغ غريب من عذاب اخيه سمعوا التهليل والتكبير في خيام الكفّار . وكان السبب في ذلك ان الملك الدامغ عمّ غريب، لما رحل غريب من عنده من الجزيرة اقام بعد رحيله عشرة ايام ثم ارتحل بعشرين الف فارس وسار حتى صار قريباً من الوقعة، فأرسل ساعي ركابه يكشف له الأخبار فغاب يوماً ثم عاد واخبر الملك الدامغ بما جرى لغريب مع اخيه، فصبر حتى أقبل الليل ثم كبّر على الكفّار ووضع فيهم الصارم . فسمع غريب وقومه التكبير . فصاح غريب على أخيه سهيم الليل وقال له : إكشف لنا خبر هذا العسكر وما سبب هذا التكبير ؟ فذهب سهيم حتى قرب من الوقعة وسأل الغلمان، فاخبروه ان الملك الدامغ عمّ غريب وصل في عشرين الف فارس وقال : وحقّ الخليل إبراهيم ما اترك ابن اخي بل اعمل عمل الشجعان واردع القوم الكافرين وارضي الملك الجبّار . ثم هجم بقومه في ظلام الليل على القوم الكفرة . فرجع سهيم إلى أخيه غريب واخبره بما عمل عمه . فصاح على قومه وقال لهم : إحملوا سلاحكم واركبوا خيولكم وساعدوا عمي . فركب العسكر وهجموا على الكفّار ووضعوا فيهم الصارم البتّار، فما أصبح الصباح حتى قتلوا من الكفّار نحو خمسين الفاً واسروا نحو ثلاثين الفاً وانهزم باقيهم في الأرض طولاً وعرضاً، ورجع المسلمون مؤيدين منصورين وركب غريب ولاقى عمّه الدامغ وسلّم عليه وشكره على فعله . وقال الدامغ : يا ترى هذا الكلب وقع في هذه الوقعة . فقال غريب : يا عم طب نفساً وقرّ عيناً واعلم انه عندي مربوط . ففرح الدامغ فرحاً شديداً ودخلوا الخيام وترجّل الملكان ودخلا السرادق فما وجدا عجيباً . فصاح غريب وقال : يا جاه إبراهيم الخليل عليه السلام . ثم قال : يا له من يوم عظيم ما اشنعه . وصاح على الفرّاشين وقال : يا ويلكم : أين

غريمي ؟ فقالوا : لما ركبت وسرنا حولك لم تأمرنا بسجنه . فقال : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . فقال له عمّه : لا تعجل ولا تحمل همّاً فأين يروح ونحن له في الطلب ؟ وكان السبب في هروب عجيب غلامه سيّار فإنه كان في العسكر كامناً فما صدق بركوب غريب وما ترك في الخيام من يحرس غريمه ، فصبر وأخذ عجيباً وحمله على ظهره وتوجه إلى البر وعجيب مدهوش من ألم العذاب . ثم سار به يجدّ السير من أول الليل إلى ثاني يوم حتى وصل به إلى عين ماء عند شجرة تفاح ، فنزّله عن ظهره وغسل وجهه ففتح عينيه فوجد سياراً فقال له : يا سيّار رح بي الكوفة حتى أفيق وأجمع الفرسان والجيوش والعساكر وأقهر بها عدوي ، واعلم يا سيّار أني جيعان . فنهض سيّار إلى الغابة واصطاد فرخ نعام وأتى به مولاه وذبحه وقطعه وجمع الحطب وقدح الزناد وأشعل النار وشواه وأطعمه وسقاه من العين فردّت روحه . ومضى سيّار إلى بعض أحياء العرب وسرق منهم جواداً وأتى به عجيباً فأركبه وقصد به الكوفة . فسار أياماً حتى وصلا قريباً من المدينة ، فخرج النائب لملتقى الملك عجيب وسلّم عليه فوجده ضعيفاً من العذاب الذي عذّبه إياه أخوه . فدخل المدينة ودعا الملك بالحكماء فحضروا . فقال لهم : داووني في أقل من عشرة أيام . فقالوا : سمعاً وطاعةً . وجعل الحكماء يلاطفون عجيباً حتى شفي وتعافى من المرض الذي كان فيه ومن العذاب . ثم أمر وزيره أن يكتب الكتب إلى جميع النواب ، فكتب واحداً وعشرين كتاباً وأرسلهم إليهم ، فجهّزوا العساكر وقصدوا الكوفة مجدّين السير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 641

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عجيباً أرسل يحضر العسكر فقصدوا الكوفة وحضروا . وأما غريب فإنه صار متأسّفاً على هروب عجيب وأرسل خلفه ألف بطل وفرّقهم في جميع الطرق ، فساروا يوماً وليلة فلم يجدوا له خبراً . ثم رجعوا وأخبروا غريباً فطلب أخاه سهيماً فما وجده ، فخاف عليه من نوائب الزمان واغتمّ غمّاً شديداً . فبينما هو كذلك وإذا بسهيم داخل عليه وقبّل الأرض بين يديه . فقام غريب لما نظر إليه وقال : أين كنت يا سهيم ؟ فقال له : يا ملك ، قد وصلت إلى الكوفة فوجدت الكلب عجيباً وصل إلى محل عزّه وأمر الحكماء أن يداووه مما به . فداووه فتعافى وكتب الكتب وأرسلها لنوابه فأتوه بالعساكر . فأمر غريب عسكره بالرحيل ، فهدّوا الخيام وصاروا قاصدين الكوفة . فلما وصلوا إليها وجدوا لها عساكر مثل البحر الزاخر ليس لها أول من آخر . فنزل غريب بعسكره مقابل عسكر الكفّار ونصبوا الخيام وأقاموا الأعلام ودخل على الطائفتين الظلام فأوقدوا النيران وتحارس الفريقان حتى طلع النهار . فقام الملك غريب توضأ وصلّى ركعتين على ملّة أبينا الخليل إبراهيم عليه السلام وأمر بدق طبول الحرب . فدقت والأعلام خفقت والفرسان لدروعها لبست ولخيولها ركبت ولأنفسها أشهرت ولميدان الحرب طلبت . فأول من فتح باب الحرب الملك الدامغ عمّ الملك غريب وقد ساق جواده بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب بالرمحين والسيفين حتى حيّر الفرسان وتعجب منه الفريقان . فصاح : هل من مبارز ؟ من لا يأتني كسلان ولا عاجز ؟ أنا الملك الدامغ أخو الملك كندمر . فبرز له بطل من فوارس الكفّار كأنه شعلة نار وحمل على الدامغ من غير كلام ، فلاقاه الدامغ وطعنه في صدره فخرج السنان من كتفه وعجل الله بروحه

إلى النار وبئس القرار. وبرز له الثاني فقتله والثالث فقتله، ولم يزل كذلك حتى قتل منهم ستة وسبعين رجلا أبطالاً. فعند ذلك توقفت الرجال والأبطال عن المبارزة. فصاح الكافر عجيب على قومه وقال: ويلكم يا قوم، إن برزتم له جميعاً واحداً بعد واحد فإنه لا يبقى منكم احداً قائماً ولا قاعداً، فاحملوا عليه حملة واحدة حتى تتركوا الأرض منهم خالية ورؤوسهم تحت حوافر الخيل مجندلة. فعند ذلك هزّوا العلم المدهش وانطبقت الأمم على الأمم وسال الدم على الأرض وانسجم وحكم قاضي الحرب وفي حكمه ما ظلم، وثبت الشجاع في مقام الحرب راسخ القدم وولّى الجبان وانهزم وما صدق أن ينقضي النهار ويقبل الليل بجندس الظلام. ولم يزالوا في حرب وقتال وضرب نصال حتى ولّى النهار واظلم الليل بالإعتكار. فعند ذلك دقّ الكفّار طبل الإنفصال فما رضي غريب بل هجم على المشركين وتبعه المؤمنون الموحدون، فكم قطعوا رؤوساً ورقاباً، وكم مزقوا أيادي واصلاباً، وكم هشموا ركباً واعصاباً، وكم اهلكوا كهولاً وشباباً. فما اصبح الصباح إلاّ وقد عزم الكفّار على الهروب والرواح وقد انهزموا عند انشقاق الفجر الوضّاح، وتبعهم المسلمون إلى وقت الظهر وقد أسروا منهم ما يزيد عن عشرين ألفاً وقد أتوا بهم مكتّفين. ونزل غريب على باب الكوفة وامر منادياً أن ينادي في المدينة المذكورة بالأمان والاطمئنان لمن يترك عبادة الأصنام ويوحّد الملك العلام خالق الآنام والضياء والظلام. فعند ذلك نادوا في شوارع المدينة كما قال بالأمن واسلم كل ما كان فيها كباراً وصغاراً وخرجوا كلهم جددوا إسلامهم قدام الملك غريب وقد فرح بهم غاية الفرح واتسع صدره وانشرح. ثم سأل عن مرداس وبنته مهدية، فأخبروه انه كان نازلاً خلف الجبل الأحمر. فعند ذلك أرسل إلى أخيه سهيم فحضر عنده فقال له: إكشف لي عن خبر ابيك. فركب جواده وما تأخر وقد اعتقل رمحه الأسمر وما قصر وسار متوجهاً إلى الجبل الاحمر وفتش فما رأى له خبراً ولا لقومه اثراً، ورأى مكانهم شيخاً من العرب كبير السن حطيماً من كثرة السنين. فسأله سهيم عن حال الرجال وأين مضوا؟ فقال له: يا ولدي، إن مرداساً لما سمع بنزول غريب على الكوفة خاف خوفاً عظيماً واخذ بنته وقومه وجميع جواريه وعبيده وسار في تلك البراري والقفار ولا ادري أين توجه. فلما سمع سهيم كلام الشيخ رجع إلى اخيه وأعلمه بذلك. فاغتمّ غمّاً شديداً وجلس على سرير ملك أبيه وفتح خزائنه وفرّق الأموال على جميع الأبطال واقام في الكوفة وأرسل الجواسيس تكشف أمر عجيب وامر بإحضار ارباب الدولة. فأتوه طائعين وكذلك اهل المدينة وخلع عليهم الخلع السنية وأوصاهم بالرعية. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 642

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن غريباً لما خلع على اهل الكوفة واوصاهم بالرعية ركب في بعض الأيام إلى الصيد والقنص وخرج في مائة فارس وسار إلى أن وصل إلى وادٍ ذي أشجار واثمار، كثير الأنهار والأطيار ومرتع للظبي والغزلان، ترتاح إليه النفوس وتنعش روائحه من فترة العكوس. فأقاموا فيه ذلك اليوم وكان يوماً مزهراً، وباتوا فيه إلى الصباح. فصلّى غريب ركعتين بعد الوضوء وحمد الله تعالى وشكره، وإذا بصراخ وهرج لهما طنين في ذلك المرج. فقال غريب لسهيم: إكشف لنا الأخبار. فمرق من وقته وسار حتى رأى أموالاً منهوبة وخيلاً مجنوبة وحريماً مسبياً واولاداً وصياحاً. فسأل بعض الرعاة وقال لهم:

أي شيء الخبر؟ قالوا: هذا حريم مرداس سيد بني قحطان وأمواله وأموال الحي الذي معه. فإن الجمرقان بالأمس قتل مرداساً ونهب أمواله وسبى عياله وأخذ أموال الحي جميعه. والجمرقان من دابه شنّ الغارات وقطع الطرقات وهو جبّار عنيد ما تقدر عليه العربان ولا الملوك لأنه شرمكان. فلما سمع سهيم بقتل أبيه وسبي الحريم ونهب الأموال، عاد إلى أخيه غريب وأعلمه بذلك. فازداد ناراً على نار وهاجت به الحميّة لكشف العار وأخذ الثأر. فركب في قومه طالبين الفرصة وسار إلى أن وصل إلى القوم فصاح على الرجال: الله أكبر على من طغى وبغى وكفر. وقتل منهم في حملة واحدة واحداً وعشرين بطلاً. ثم وقف في حومة الميدان بقلب غير جبان وقال: أين الجمرقان يبرز لي حتى أذيقه كأس الهوان وأخلي منه الأوطان؟ فما فرغ غريب من كلامه حتى برز الجمرقان كأنه جلة من الجلل أو قطعة من جبل بالحديد مسربل. وكان عملاقاً طويلاً جداً فصدم غريباً صدمة جبّار عنيد من غير كلام ولا سلام، فحمل عليه غريب ولاقاه كالأسد الضاري. وكان مع الجمرقان عمود من الحديد الصيني ثقيل رزين لو ضرب به جبلاً لهدمه، فحمله في يده وضرب به غريباً على رأسه فزاغ عنه غريب فنزلت في الأرض فغاصة فيها نصف ذراع، ثم إن غريباً تناول الدبوس وضرب الجمرقان على مقبض كفّه فهرس أصابعه فوقع العمود من يده فانحنى غريب من بحر سرجه وخطفه أسرع من البرق الخاطف وضرب به الجمرقان على صف أضلاعه فوقع على الأرض كالنخلة السحوق، فأخذه سهيم وأدار كتافه وسحبه بحبل. واندفعت فرسان غريب على فرسان الجمرقان فقتلوا خمسين وولّى الباقي هاربين، ولم يزالوا في هزيمتهم حتى وصلوا حيّهم وأعلنوا بالصياح. فركب كل من في الحصن ولاقوهم وسألوهم عن الخبر فأعلموهم بما كان. فلما سمعوا بأسر سيدهم تسابقوا إلى خلاصه وساروا قاصدين الوادي. وكان الملك غريب لما أسر الجمرقان وهربت أبطاله، نزل عن جواده وأمر بإحضار الجمرقان. فلما حضر خضع له وقال: أنا في جيرتك يا فارس الزمان. فقال له غريب: يا كلب العرب، هل تقطع الطريق على عباد الله تعالى ولا تخف من رب العالمين؟ فقال له الجمرقان: يا سيدي، وما رب العالمين؟ قال غريب: يا كلب، وما تعبد من المصائب؟ قال له: يا سيدي، أعبد إلهاً من عجوة بالسمن والعسل، وفي بعض الأوقات آكله وأعمل غيره. فضحك غريب حتى استلقى على قفاه وقال: يا تعيس، ما يعبد إلاّ الله تعالى الذي خلقك وخلق كل شيء ورزق كل حي ولا يخفى عليه شيء وهو على كل شيء قدير. فقال الجمرقان: وأين هذا الإله العظيم حتى أعبده؟ قال له غريب: يا هذا، أعلم أن ذلك الإله اسمه الله وهو الذي خلق السموات والأرض وأنبت الأشجار وأجرى الأنهار وخلق الوحوش والأطيار والجنة والنار واحتجب عن الأبصار يَرَى ولا يُرَى وهو بالمنظر الأعلى وهو الذي خلقنا ورزقنا سبحانه لا إله إلاّ هو. فلما سمع الجمرقان كلام غريب انفتحت مسامع قلبه واقشعرّ جلده وقال: يا مولاي، فما أقول حتى أصير منكم ويرضى عليّ هذا الرب العظيم؟ قال له: قل: لا إلَه إلاّ الله إبراهيم الخليل رسول الله. فنطق الجمرقان بالشهادة فكتب من أهل السعادة. فقال له: هل ذقت حلاوة الإسلام؟ قال: نعم. قال غريب: حلّوا قيوده فحلّوها. فقبّل الأرض قدام غريب وقبّل رجل غريب. فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الأقطار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 643

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجمرقان لما أسلم قبّل الأرض بين يدي غريب . فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الأقطار . فقال غريب : يا سهيم ، اكشف لنا خبر هذا الغبار . فخرج مثل الطير إذا طار وغاب ساعة ثم عاد وقال : يا ملك الزمان ، هذا غبار بني عامر أصحاب الجمرقان . فقال له : إركب ولاق قومك واعرض عليهم الإسلام ، فإن أطاعوك سلموا وإن أبَوا عملنا فيهم الحسام . فركب الجمرقان وساق جواده حتى لاقاهم وصاح عليهم . فعرفوه ونزلوا عن الخيل وأتوا على أقدامهم وقالوا : قد فرحنا بسلامتك يا مولانا . فقال : يا قوم ، من أطاعني نجا ومن خالفني قصمته بهذا الحسام . فقالوا له : أمرنا بما شئت فإننا لا نخالف لك أمراً . قال : قولوا معي : لا إلّه إلاّ الله إبراهيم خليل الله . فقالوا : يا مولانا ، من أين لك هذا الكلام ؟ فحكى لهم ما جرى له مع غريب وقال لهم : يا قوم ، أما تعلمون أني معادل بكم في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان؟ وقد أسرني فرد إنسان وأذاقني الذل والهوان . فلما سمع قومه كلامه نطقوا بكلمة التوحيد . ثم توجه بهم الجمرقان إلى غريب وجدّدوا إسلامهم بين يديه ودعوا له بالنصر والعزّ بعد أن قبّلوا الأرض . ففرح بهم وقال لهم : امضوا إلى حيّكم واعرضوا عليهم الإسلام . فقال الجمرقان وقومه : يا مولانا ، ما بقينا نفارقك ولكن نروح نجيء بأولادنا ونأتي إليك . فقال غريب : يا قوم ، امضوا والحقوني في مدينة الكوفة . فركب الجمرقان وقومه حتى وصلوا حيّهم وعرضوا على حريمهم وأولادهم الإسلام فأسلموا عن آخرهم ، وهدّوا البيوت والخيام وساقوا الخيل والجمال والغنم وساروا إلى نحو الكوفة . وسار غريب فلما وصل إلى الكوفة لاقاه الفرسان بموكب ، ثم دخل قصر الملك وجلس على تخت أبيه ووقفت الأبطال ميمنة وميسرة ودخل عليه الجواسيس وأخبروه أن أخاه وصل إلى الجلند بن كركر صاحب مدينة عمان وأرض اليمن . فلما سمع غريب خبر أخيه صاح على قومه وقال : يا قوم ، خذوا أهبتكم للسفر بعد ثلاثة أيام . واعرض على الثلاثين ألفاً الذين أسروهم أول الوقعة الإسلام والسير معهم . فأسلم منهم عشرون ألفاً وأبى عشرة الآف فقتلهم . ثم قدم الجمرقان وقومه وقبّلوا الأرض بين يديه وخلع عليهم الخلع السنيّة وجعله مقدّم الجيش وقال : يا جمرقان ، إركب في كبار بني عمك وعشرين ألف فارس وسرّ في مقدم العسكر واقصد بلاد الجلند بن كركر صاحب مدينة عمان . فقال : السمع والطاعة . فتركوا حريمهم وأولادهم في الكوفة ورحلوا . ثم تفقّد حريم مرداس فوقعت عينه على مهدية وهي بين النساء فوقع مغشياً عليه ، فرشّوا على وجهه ماء الورد . فلما أفاق اعتنقها ودخل بها قاعة الجلوس . ثم جلس معها وناما من غير زنى حتى أصبح الصباح ، خرج وجلس على سرير ملكه وخلع على عمه الدامغ وجعله نائباً على العراق جميعه وأوصاه على مهدية حتى يرجع من غزوة أخيه فامتثل أمره . ثم رحل في عشرين ألف فارس وعشرة الآف راجل وسار متوجّهاً إلى أرض عمان وبلاد اليمن . وكان عجيب قد وصل مدينة عمان بقومه وهم منهزمون وقد ظهر لأهل عمان غبارهم . فنظر الجلند بن كركر ذلك الغبار فأمر السعاة أن يكشفوا له الخبر . فغابوا ساعة ثم عادوا وأخبروه أن هذا غبار ملك يقال له عجيب صاحب العراق . فتعجب الجلند من مجيء عجيب إلى أرضه . فلما صحّ ذلك عنده قال لقومه : اخرجوا ولاقوه . فخرجوا ولاقوا عجيباً ونصبوا له الخيام على

باب المدينة وطلع عجيب إلى الجلند وهو باكٍ حزين القلب . وكانت بنت عم عجيب زوجة الجلند وله أولاد منها . فلما نظر صهره وهو في هذه الحالة قال له : أعلمني ما خبرك ؟ فحكى له جميع ما جرى له من أوله إلى آخره مع أخيه وقال له : يا ملك ، إنه يأمر الناس بعبادة ربّ السماء وينهاهم عن عبادة الأصنام وغيرها من الآلهة . فلما سمع الجلند هذا الكلام طغى وبغى وقال : وحق الشمس ذات الأنوار لا أبقي من قوم أخيك دياراً ، فأين تركت القوم ؟ وكم هم ؟ قال : تركتهم بالكوفة وهم خمسون ألف فارس . فصاح على قومه وعلى وزيره جوامرد وقال له : خذ معك سبعين ألف فارس واذهب إلى المسلمين وآتني بهم بالحياة حتى أعاقبهم بأنواع العذاب . فركب جوامرد بالجيش قاصداً الكوفة أول يوم وثاني يوم إلى سابع يوم . فبينما هم سائرون إذ نزلوا على وادٍ ذي أشجار وأنهار وأثمار ، فأمر جوامرد قومه بالنزول . وأدرك شهراد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 644

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جوامرد لما أرسله الجلند بالعسكر إلى الكوفة مرّوا على وادٍ ذي أشجار وأنهار فأمر قومه بالنزول واستراحوا إلى نصف الليل . ثم أمرهم جوامرد أن يرحلوا وركب جواده وسبقهم وسار إلى وقت السحر ، ثم انحدروا إلى وادٍ كبير الأشجار قد فاحت أزهاره وترنمت أطياره وتمايلت أغصانه . فنفخ الشيطان في معاطفه فأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

أَخُوضُ بِجَيْشِي بَحْرَ كُلِّ عَجاجَةٍ	أَقُودُ الأَسارَى بِاجْتِهادِي وقُوَّتِي
وتَعْلَمُ فُرْسَانُ البِلادِ بِأَنَّـنِي	مُهابٌ لَدَى الفُرْسانِ حامِي عَشِيرَتِي
سأَسْبِي غَرِيباً في القُيُودِ مُكَبَّلاً	وأَرْجَعُ مَسْرُوراً وتَكْمُلُ فَرْحَتِي
وأَلْبَسُ دِرْعِي ثُمَّ آخُذُ عُدَّتِي	وأَمْضِي إلى الهَيْجاءِ في كُلِّ وُجْهَتِي

فما فرغ جوامرد من شعره حتى خرج عليه من بين الأشجار فارس أشم المعاطس في الحديد غاطس فصاح على جوامرد وقال له : قف يا شلح العرب واشلح ثيابك وعدتك وانزل عن جوادك وانجُ بنفسك . فلما سمع جوامرد هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وسلّ حسامه وهجم على الجمرقان وقال له : يا شلح العرب ، أتقطع الطريق عليّ وأنا مقدم جيش الجند بن كركر لأجيء بغريب وقومه مربوطين . فلما سمع الجمرقان هذا الكلام قال : ما أبرده على كبدي . ثم حمل جوامرد وهو ينشد هذه الأبيات : [من الطويل]

أنا الفارِسُ المَعْرُوفُ في حَوْمَةِ الوَغَى	تَخافُ العِدَى مِنْ صارِمِي وسِنانِي
أَنا الجَمْرَقانُ المُرْتَـجَى لِكَرِيهَةٍ	وتَعْلَمُ فُرْسانُ الأنامِ طِعانِي
غَرِيبٌ أَمِيرِي بَلْ إمامِي وسَيِّدِي	هُمامُ الوَغَى يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ
إمامٌ لَهُ دِينٌ وزُهْدٌ وسَطْوَةٌ	يَبِيدُ العِدَى في حَوْمَةِ المَيْدانِ
ويَدْعُو إلى دِينِ الخَلِيلِ مُرَتِّـلاً	على رَغْمِ أَوْثانِ الجُحُودِ مَثانِي

ثم إن الجمرقان لما سار بقومه من مدينة الكوفة ، استمر على السير عشرة أيام ، ثم نزلوا في

الحادي عشر واقاموا إلى نصف الليل . ثم امرهم الجمرقان بالرحيل فرحلوا، وسار قدامهم وانحدر في ذلك الوادي فسمع جوامرد وهو ينشد ما تقدّم ذكره، فحمل عليه حملة أسد كاسر وضربه بالسيف فشقّه نصفين . وصبر حتى اقبل المقدمون واعلمهم بما جرى وقال : تفرّقوا كل خمسة منكم تأخذ خمسة آلاف وتدور حول الوادي وأنا ورجال بني عامر، فإذا وصلني أول الأعداء أحمل عليهم وأصيح : الله أكبر . فإذا سمعتم صياحي فاحملوا وكبّروا واضربوا فيهم بالسيف . فقالوا : سمعاً وطاعةً . ثم داروا على ابطالهم واعلموهم فتفرقوا في جهات الوادي عند انشقاق الفجر وإذا بالقوم قد اقبلوا مثل قطيع الغنم وقد ملؤوا السهل والجبل . فعند ذلك حمل الجمرقان وبنوا عامر وصاحوا : الله أكبر . فسمع المؤمنون والكفّار وصاح المسلمون من سائر الجهات : الله أكبرَ، فتح ونصر وخذل من كفر . فأوبت الجبال والتلال وكل يابس وأخضر يقول : الله أكبر . فاندهش الكفّار وضرب بعضهم بعضاً بالصارم البتّار وحمل المسلمون الأبرار كأنهم شعل النار فما يرى إلاّ رأس طائر ودم فائر وجبان حائر، ولم تظهر الوجوه إلاّ وقد فنى ثلثا الكفّار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار . وانهزم الباقون وتشتتوا في القفار وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون إلى نصف النهار . ثم رجعوا وقد اسروا سبعة آلاف ولم يرجع من الكفّار غير ستة وعشرين الفاً وأكثرهم مجروحون . ورجع المسلمون مؤيدين منصورين وجمعوا الخيل والعدد والأثقال والخيام وارسلوها مع الف فارس إلى الكوفة . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 645

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الجمرقان لما وقع بينه وبين جوامرد القتال، قتله وقتل قومه وأسر منهم خلقاً كثيراً وأخذ اموالهم وخيلهم وأثقالهم وارسلها مع الف فارس إلى الكوفة . وأما الجمرقان وعساكر الإسلام فإنهم نزلوا عن الخيل وعرضوا الإسلام على الأسارى فاسلموا قلباً ولساناً، فحلّوهم من الرباط وعانقوهم وفرحوا بهم . وقد سار الجمرقان في جيش عظيم وأراح قومه يوماً وليلة ثم رحل بهم عند الصباح قاصداً بلاد الجلند بن كركر، وسار الألف فارس بالغنيمة حتى وصلوا إلى الكوفة واعلموا الملك غريباً بما جرى . ففرح فاستبشر والتفت إلى غول الجبل وقال له : إركب وخذ معك عشرين الفاً واتبع الجمرقان . فركب سعدان الغول وأولاده في عشرين الف فارس وقصدوا مدينة عمان ووصل المنهزمون من الكفّار إلى المدينة وهم يبكون ويدعون بالويل والثبور . فاندهش الجلند بن كركر وقال لهم : ما مصيبتكم ؟ فاخبروه بما جرى لهم . فقال لهم : ويلكم ، وكم كانوا؟ فقالوا : يا ملك ، كانوا عشرين علماً، وكل علم تحته فارس . فلما سمع الجلند هذا الكلام قال : لا طرحت الشمس فيكم بركة يا ويلكم ، ايغلبكم عشرون ألفاً وانتم سبعون الف فارس وجوامرد مقوم بثلاثة آلاف في حومة الميدان؟ ومن شدة غمّه سلّ سيفه وصاح فيهم وقال لمن حضر : عليكم بهم . فسلّ القوم سيوفهم على المنهزمين فافنوهم عن آخرهم ورموهم للكلاب . ثم بعد ذلك صاح الجلند على ابنه وقال له : إركب في مائة الف فارس وامض إلى العراق واخربه على الإطلاق . وقد كان ابن الملك الجلند اسمه القورجان، ولم يكن في عسكر أبيه أفرس منه وكان يحمل على ثلاثة آلاف فارس . فاخرج القورجان خيامه وابتدرت الأبطال وخرجت الرجال واخذوا اهبتهم

ولبسوا عدّتهم ورحلوا يتلو بعضهم بعضاً والقورجان قدام العسكر. وقد أعجب بنفسه وأنشد هذه الأبيات: [من المتقارب]

أنا القُورَجانُ وذِكْري اشْتَهَرْ   قَهَرْتُ أَهالي الْفَلا والحَضَرْ
فَكَمْ فارِسٍ حِينَ أَرْدَيْتُهُ   يَخُورُ عَلى الأَرْضِ مِثْلَ البَقَرْ
وكَمْ مِنْ عَساكِرَ فَرَّقْتُهُمْ   ودَحْرَجْتُ هاماتِهِمْ كالأُكَرْ
فَلا بُدَّ أَنِّيَ أَغْزُو العِراقَ   وأُبْدي دِماءَ العِدا كالمَطَرْ
وأَسْبِي غَريباً وأَبْطالَهُ   فَيَضْحَوْا نِكالاً لأَهْلِ النَّظَرْ

ثم سار القوم اثني عشر يوماً. فبينما هم سائرون وإذا هم بغبار قد ثار حتى سدّ الأفق. فصاح القورجان على السعاة وقال: ائتوني بخبر هذا الغبار. فساروا حتى عبروا تحت الأعلام وعادوا للقورجان وقالوا: يا ملك، إن هذا غبار المسلمين. ففرح وقال لهم: هل أحصيتوهم؟ فقالوا: عددنا من الأعلام عشرين علماً. فقال: وحق ديني ما أجرد عليهم أحداً وإنما أخرج لهم وحدي وأجعل رؤوسهم تحت حوافر الخيل. وكان هذا الغبار غبار الجمرقان وقد نظر إلى عساكر الكفّار فرآهم مثل البحر الزاخر، فأمر قومه بالنزول ونصب الخيام. فنزلوا وأقاموا الأعلام وهم يذكرون الملك العلاّم خالق النور والظلام، ربّ كل شيء الذي يَرَى ولا يُرَى وهو بالمنظر الأعلى سبحانه وتعالى، لا إله إلاّ هو. ونزل الكفّار ونصبوا خيامهم وقال لهم: خذوا أهبتكم واحملوا عددكم ولا تناموا إلاّ وأنتم بأسلحتكم، فإذا كان الثلث الأخير فاركبوا ودوسوا هذه الشرذمة القليلة. وكان جاسوس الجمرقان واقفاً يسمع ما دبّرته الكفّار فعاد وأخبر الجمرقان. فالتفت لأبطاله وقال: إحملوا سلاحكم وإذا أقبل الليل ائتوني بالبغال والجمال وائتوني بالجلاجل والقلاقل والأجراس واجعلوها في أعناق الجمال والبغال. وكانت أكثر من عشرين ألف جمل وبغل وصبروا على الكفّار حتى دخلوا في المنام. ثم أمر الجمرقان قومه بالركوب وعلى الله توكلوا وطلبوا النصر من ربّ العالمين. ثم قال لهم: سوقوا الجمال والدواب نحو الكفّار وانخسوها بأسنّة الرماح. ففعلوا ما أمرهم بسائر البغال والجمال ثم هجموا على خيام الكفّار وقد قعقعت الجلاجل والقلاقل والأجراس والمسلمون خلفهم وهم يقولون: الله أكبر. وقد طنّت الجبال والتلال بذكر الملك المتعال، من له العظمة والجلال، وهجمت الخيل لما سمعت هذه الحيلة العظيمة وداست الخيام والناس نيام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 646

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجمرقان لما هجم على الكفّار بقومه وخيوله وجماله في الليل والناس نيام، قام المشركون مدهوشين فخطفوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم ضرباً حتى قُتل أكثرهم. وقد نظروا إلى بعضهم فلم يجدوا قتيلاً من المسلمين بل وجدوهم راكبين متسلحين فعلموا أنها حيلة عملت عليهم. فصاح القورجان على بقية قومه وقال: يا بني الزواني، الذي أردنا أن نفعله بهم فعلوه بنا وقد غلب مكرهم على مكرنا. فأرادوا أن يحملوا وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الأقطار، فضربته الرياح فعلا وتسردق وفي الجو

تعلّق وبان من تحت الغبار لمعان الخود وبريق الزرد، وما معهم إلاّ كل بطل أمجد قد تقلّد بسيف مهند وقد اعتقل برمح أملد. فلما نظر الكفّار الغبار توقفوا عن القتال وارسلت كل طائفة ساعياً. فساروا تحت الغبار، ثم نظروا وعادوا فأخبروا أنهم مسلمون. وكان الجيش القادم الذي أرسله غريب غول الجبل، وكان هو سائراً قدام جيشه فوصل إلى عسكر المسلمين الأبرار. فعندها حمل الجمرقان وقومه وقد هجموا على الكفّار كأنهم شعلة نار وأعملوا فيهم السيف البتّار والرمح الرديني الخطّار، واسودّ النهار وعميت الأبصار من كثرة الغبار وثبت الشجاع الكرار وهرب الجبان الفرار وطلب البراري والقفار وصار الدماء على الأرض كالتيار. ولم يزالوا في حرب وقتال حتى فرغ النهار وأقبل الليل بالإعتكار. ثم انفصل المسلمون من الكفّار ونزلوا في الخيام وأكلوا الطعام وباتوا حتى ولّى الظلام وأقبل النهار بالإبتسام. ثم صلّى المسلمون صلاة الصبح وركبوا للحرب. وكان القورجان قد قال لقومه لما انفصلوا من الحرب وقد وجدوا أكثرهم مجروحاً وقد فنى منهم الثلثان بالسيف والسنان. فقال: يا قوم، غداً أبرز أنا لحومة الميدان ومقام الحرب والطعان وآخذ الشجعان في المجال. فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، ركب الطائفتان وأكثروا الصياح وشهروا السلاح ومدّوا سمر الرماح واصطفوا للحرب والكفاح، وكان أول من فتح باب الحرب القورجان بن الجلند بن كركر وقال: لا يأتني اليوم كسلان ولا عاجز. كل هذا والجمرقان وسعدان الغول تحت الأعلام. فبرز مقدم بني عامر وبارز القورجان في حومة الميدان، فحمل الإثنان كأنهما كبشان يتناطحان مدة من الزمان. بعد ذلك هجم القورجان على المقدم ومسكه من جلباب ذراعه وجذبه فاقتلعه من سرجه وقد خبطه في الأرض وأشغله بنفسه، فكتفه الكفّار وساروا به إلى الخيام. ثم إن القورجان جال وصال وطلب النزال، فبرز له ثاني مقدم حتى أسر سبعة مقدمين قبل الظهر. ثم صاح الجمرقان صيحة دوى لها الميدان وسمعها العسكران وهجم على القورجان بقلب وجدان وأنشد هذه الأبيات: [من المتقارب]

أنا الجَمْرَقانُ قَوِيُّ الجَنانِ	جَميعُ الفَوارِسِ تَخْشَى قِتالي
هَدَمْتُ الحُصُونَ وخَلَّيْتُها	تَنُوحُ وتَبْكِي لِفَقْدِ الرِّجالِ
فَيا قُورَجانُ طَرِيقَ الهُدَى	عَلَيْكَ، وفارِقْ طَرِيقَ الضَّلالِ
ووَحِّدْ إلهاً رَفِيعَ السَّماءِ	ومُجْرِي البُحُورِ ومُرْسِي الجِبالِ
إذا أَسْلَمَ العَبْدُ يأوِي غَداً	جَناناً ويُكْفَى أَلِيمُ النَّكالِ

فلما سمع القورجان كلام الجمرقان، شخر ونخر وسبّ الشمس والقمر وحمل على الجمرقان وهو ينشد هذه الأبيات: [من المتقارب]

أنا القُورَجانُ شَجِيعُ الزَّمانِ	وتَفْزَعُ أُسْدُ الشَّرَى مِنْ خَيالي
مَلَكْتُ القِلاعَ وصُدْتُ السِّباعَ	وكُلُّ الفَوارِسِ تَخْشَى قِتالي
فَيا جَمْرَقان إذا لَمْ تَثِقْ	بِقَوْلي، فَدُونَكَ، بارِزْ نَزالي

فلما سمع الجمرقان كلامه، حمل عليه بقلب قوي وتضاربا بالسيوف حتى ضجت منهم

الصفوف، وتطاعنا بالرماح وكثر بينهما الصياح . ولم يزالا في حرب وقتال حتى فات العصر وقد ولّى النهار، ثم هجم الجمرقان على القورجان وضربه بالعمود على صدره فالقاه على الأرض مثل جذع النخلة، فكتفه المسلمون وسحبوه بحبل مثل الجمال . فلما نظرت الكفّار إلى سيدهم أسيراً، أخذتهم حمية الجاهلية فحملوا على المسلمين يريدون خلاص مولاهم، فقابلتهم أبطال المسلمين وتركتهم على الأرض مطروحين وولّى بقيتهم هاربين وللنجاة طالبين والسيف في قفاهم له طنين. فلم يزالوا خلفهم حتى شتّتوهم في الجبال والقفار . ثم رجعوا عنهم إلى الغنيمة وكانت شيئاً كثيراً، من خيل وخيام وغيرهما، وقد غنموا غنيمة يا لها من غنيمة . ثم توجهوا وعرض الجمرقان الإسلام على القورجان وهدّده وخوّفه فلم يسلم، فقطعوا رقبته وحملوا راسه على رمح ثم رحلوا قاصدين مدينة عمان . وأما ما كان من أمر الكفّار، فإنهم أخبروا الملك بقتل ولده وهلاك العسكر . فلما سمع الجلند هذا الخبر، ضرب بتاجه الأرض ولطم على وجهه حتى طلع الدم من منخريه ووقع على الأرض مغشياً عليه . فرشّوا على وجهه ماء الورد فأفاق وصاح على وزيره وقال له : أكتب الكتب إلى جميع النواب وأمرهم أن لا يتركوا ضارب سيف ولا طاعناً برمح ولا حامل قوس إلاّ ويأتون بهم جميعاً . فكتب الكتب وأرسلها مع السعاة . فتجهّز النواب وسار في عسكر جرّار قدره مائة الف وثمانون الفاً، فهيؤوا الخيام والجمال وجياد الخيل وأرادوا أن يرحلوا وإذ بالجمرقان وسعدان الغول قد اقبلا في سبعين الف فارس كأنهم ليوث عوابس وكل منهم في الحديد غاطس . فلما نظر الجلند إلى المسلمين قد أقبلوا فرح وقال : وحق الشمس ذات الأنوار ما ابقي من الأعداء دياراً ولا من يرد الأخبار، واخرب العراق وآخذ ثأر ولدي الفارس المغوار ولا تبرد لي نار . ثم التفت إلى عجيب وقال له : يا كلب العراق، هذه جلبتك لنا فأنا وحق معبودي إن لم انتصف من عدوي لأقتلنّك اشرّ قتلة . فلما سمع عجيب هذا الكلام اغتمّ غمّاً شديداً وصار يلوم نفسه . ثم صبر حتى نزل المسلمون ونصبوا خيامهم وأظلم الليل، وكان منعزلاً عن الخيام مع من بقي من عشيرته . فقال لهم : يا بني عمي، أعلموا انه لمّا اقبلت المسلمون فزعت منهم انا والجلند غاية الفزع ، وقد علمت أنه لم يقدر أن يحميني من أخي ولا من غيره . والراي عندي أن ترحلوا بنا إذا نامت العيون ونقصد الملك يعرب بن قحطان لأنه أكثر جنداً واقوى سلطاناً . فلما سمع قومه هذا الكلام قالوا : هذا هو الصواب . فأمرهم أن يوقدوا النار على أبواب الخيام ويرحلوا في حندس الظلام . ففعلوا ما أمرهم به وساروا، فما اصبحوا حتى قطعوا بلاد بعيدة . ثم اصبح الجلند ومائتان وستون الف مدرع غاطسين في الحديد والزرد النضيد ودقّوا كؤوس الحرب واصطفوا للطعن والضرب، وركب الجمرقان وسعدان في اربعين الف فارس أبطال شداد، تحت كل علم الف فارس شداد جياد مقدمون في الطراد . فاصطفّ العسكران وطلبا الضرب والطعان وسحبا السيوف واسنّة المران لشرب كاس المنون، وكان أول من فتح باب الحرب سعدان، وهو كأنه جبل صوان أو من مردة الجان، فبرز له بطل من الكفّار فقتله ورماه في الميدان وصاح على أولاده وغلمانه وقال : اشعلوا النار واشووا هذا القتيل . ففعلوا ما أمرهم به وقدّموه له مشوياً فأكله ونهش عظمه . والكفّار واقفون ينظرون من بعيد فقالوا : يا للشمس ذات الأنوار . وفزعوا من قتال سعدان . فصاح الجلند في قومه وقال : اقتلوا هذا القرمان . فنزل له مقدم من الكفّار فقتله سعدان، ولم يزل يقتل فارساً

بعد فارس حتى قتل ثلاثين فارساً . فعندها توقف الكفّار اللئام عن قتال سعدان وقالوا : من يقاتل الجان والغيلان ؟ فصاح الجلند وقال : تحمل عليه مائة فارس وتأتيني به أسيراً أو قتيلاً . فبرز مائة فارس وحملوا على سعدان وقصدوه بالسيوف والسنان فتلقّاهم بقلب أقوى من الصوان وهو يوحّد الملك الديّان الذي لا يشغله شأن عن شأن وقال : الله أكبر . وضرب فيهم بالسيف حتى ألقى رؤوسهم ، فما جال فيهم غير جولة واحدة فقتل منهم أربعة وسبعين وهرب الباقي . فصاح الجلند على عشرة مقدمين تحت كل مقدم ألف بطل وقال : ارموا جواده بالنبل حتى يقع من تحته فاقبضوه باليد . فحمل على سعدان عشرة آلاف فارس فتلقّاهم بقلب قوي . فنظر الجمرقان والمسلمون إلى الكفّار وقد حملوا على سعدان ، فكبّروا وحملوا عليهم فما وصلوا إلى سعدان حتى قتلوا جواده وأخذوه أسيراً . ولم يزالوا حاملين على الكفّار حتى أظلم النهار وعميت الأبصار ورنّ السيف البتّار وثبت كل فارس مغوار ولحق الجبان والانبهار وبقيت المسلمون في الكفّار كالشامة البيضاء في الثور الأسود . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 647

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الحرب اشتدّ بين المسلمين والكفّار حتى صارت المسلمون في الكفّار كالشامة البيضاء في الثور الأسود . ولم يزالوا في ضرب واصطدام حتى أقبل الظلام وافترقوا من بعضهم وقد قتل من الكفّار خلق كثير ما لها عدد . ورجع الجمرقان وقومه وهم في غاية الحزن على سعدان ، ولم يطب لهم طعام ولا منام ، وتفقدوا قومهم فوجدوا المقتول منهم دون ألف . فقال الجمرقان : يا قوم ، إني أبرز في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان وأقتل أبطالهم وأسبي عيالهم وآخذهم أسارى وأفدي بهم سعدان بإذن الملك الديّان الذي لا يشغله شأن عن شأن . فطابت قلوبهم وفرحوا ، ثم تفرقوا إلى خيامهم . وأما الجلند فإنه قام ودخل سرادقه وجلس على سرير ملكه ودارت قومه من حوله ودعا بسعدان فأحضروه بين يديه . فقال له : يا كلب ويا أقل العرب ويا حمّال الحطب ، من قتل ولدي القورجان شجيع الزمان قاتل الأقران ومجندل الأبطال ؟ قال له سعدان : قتله الجمرقان مقدم عسكر الملك غريب سيد الفرسان ، وأنا شويته وأكلته وكنت جائعاً . فلما سمع الجلند كلام سعدان ، صارت عيناه في أم رأسه وأمر بضرب رقبته . فأتى السيّاف بهمته وتقدّم لسعدان . فعند ذلك تمطّع سعدان في الكتاف فقطّعه وهمّ على السيّاف وخطف السيف منه وضربه فرمى رأسه ، وقصد الجلند فرمى روحه عن السرير وهرب . فوقع سعدان في الحاضرين فقتل منهم عشرين من خواص الملك وهرب باقي المقدمين ، وارتفع الصياح في عسكر الكفّار وهجم سعدان على الحاضرين من الكفّار وضرب فيهم يميناً وشمالاً . فعند ذلك تفرّقوا من بين يديه فأخلوا له الزقاق . ولم يزل سائراً يضرب في العدى بالسيف حتى خرج من الخيام وقصد خيام المسلمين . وسمع المسلمون ضجيج الكفّار فقالوا : لعلهم جاءتهم نجدة . فبينما هم باهتون وإذا بسعدان قد أقبل عليهم ، ففرحوا بقدومه فرحاً شديداً وكان أكثرهم به فرحاً الجمرقان ، فسلّم عليه وسلّمت عليه المسلمون وهنؤوه بالسلامة . هذا ما كان من أمر المسلمين . وأما ما كان من أمر الكفّار فإنهم رجعوا وملكهم إلى السرادق بعد رواح سعدان . فقال لهم الملك : يا قوم ، وحق

الشمس ذات الأنوار وحق ظلام الليل ونور النهار والكواكب السيّار ، ما كنت أظن أني أسلم من القتل في هذا النهار ، ولو وقعت في يده لأكلني ولا كنت أساوي عنده قمحاً ولا شعيراً ولا حبة من الحبوب . فقالوا : يا ملك ، ما رأينا من يعمل مثل هذا الغول ؟ فقال لهم : يا قوم ، إذا كان في غد فاحملوا عددكم واركبوا خيولكم ودوسوهم تحت حوافر الخيل . وأما المسلمين فإنهم اجتمعوا وهم فرحون بالنصر وخلاص سعدان الغول . فقال الجمرقان : غداً في الميدان أريكم فعلي وما يليق بمثلي ، وحق الخليل إبراهيم لأقتلنّهم أشنع القتلات ولأضربنّ فيهم بالبتّار حتى يحيّر فيهم كل فهيم . ولكن قد نويت أني أحمل على الميمنة والميسرة فإذا رأيتموني قد هجمت على الملك تحت الأعلام ، فاحملوا خلفي بالإهتمام ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . وبات الفريقان يتحارسان حتى طلع النهار وبانت الشمس للنظار وركب الفريقان أسرع من لمحة العين وصاح غراب البين ونظروا بعضهم بالعين واصطفوا للحرب والقتال . فأول من فتح باب الحرب الجمرقان ، فجال وصال وطلب النزال . فأراد الجلند أن يحمل بقومه وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وأظلم النهار وضربته الرياح الأربع ، فتمزّق وتقطّع وبان من تحته كل فارس أدرع وبطل سميدع وسيوف تقطع ورماح تصدع ورجال كأنهم السباع لا تخاف ولا تجزع . فلما نظر العسكران الغبار أمسكوا عن القتال وأرسلوا من يكشف لهم الأخبار ، من أي قوم هؤلاء القادمون المثيرون لهذا الغبار ؟ فسار السعاة وعبروا تحت الغبار وغابوا عن الأبصار ثم عادوا بعد ساعة من النهار . فأما ساعي الكفّار فإنه أخبرهم أن هؤلاء القادمين طائفة من المسلمين وملكهم غريب . وأما ساعي المسلمين فإنه رجع وأخبرهم بمجيء الملك غريب وقومه . ففرحوا بقدومه ، ثم إنهم ساقوا خيلهم ولاقوا ملكهم ونزلوا وقبّلوا الأرض بين يديه وسلموا عليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 648

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عسكر المسلمين لما حضر لهم الملك غريب ، فرحوا فرحاً شديداً وقبّلوا الأرض بين يديه وداروا حوله . فرحّب بهم وفرح بسلامتهم ووصلوا الخيام ونصبوا له السرادقات والأعلام وجلس الملك غريب على سرير ملكه وأرباب دولته من حوله ، فحكوا له جميع ما جرى لسعدان . وأما الكفّار فإنهم اجتمعوا يفتشون على عجيب فلم يجدوه بينهم ولا في خيامهم ، فأخبروا الجلند بن كركر بهروبه . فقامت عليه القيامة وعضّ على أصبعه وقال : وحق الشمس ذات الأنوار ، إنه كلب غدّار هرب مع قومه الأشرار في البراري والقفار . ولكن ما بقى يدفع هذه الأعداء إلاّ القتال الشديد ، فشدّوا عزمكم وقوّوا قلوبكم واحذروا من المسلمين . وأما الملك غريب فإنه قال لقومه : شدّوا عزمكم وقوّوا قلوبكم واستعينوا بربكم واسألوه أن ينصركم على عدوّكم . فقالوا : يا ملك ، سوف تنظر ما نفعل في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان . وبات الطائفتان حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرقت الشمس على رؤوس الربى والبطاح ، فصلى غريب ركعتين على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم كتب مكتوباً وأرسله مع أخيه سهيم إلى الكفّار . فلما وصل إليهم قالوا له : ما تريد ؟ قال لهم : أريد الحاكم عليكم . فقالوا : قف حتى نشاوره عليك . فوقف ثم شاوروا عليه الجلند وأخبروه بحاله . فقال : عليّ به فأحضروه بين يديه . فقال له : من أرسلك ؟

قال : الملك غريب الذي حكّمه الله على العرب والعجم ، فخذ كتابه وردّ جوابه . فأخذ الجلند الكتاب ففكّه وقرأه فوجد : باسم الله الرحمن الرحيم الرب القديم الواحد العظيم الذي هو بكل شيء عليم ، رب نوح وصالح وهود وإبراهيم وربّ كل شيء ، والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى واتبع طريق الهدى واختار الآخرة على الأولى . أما بعد يا جلند ، فإنه لا يعبد إلاّ الله الواحد القهّار خالق الليل والنهار والفلك الدوار وأرسل الأنبياء الأبرار وأجرى الأنهار ورفع السماء وبسط الأرض وأنبت الأشجار ورزق الطير في الأوكار ورزق الوحوش في القفار . فهو الله العزيز الغفار الحليم الستار الذي لا تدركه الأبصار ، مكور الليل على النهار الذي أرسل وأنزل الكتب . واعلم يا جلند أنه لا دين إلاّ دين إبراهيم الخليل . فاسلم تسلم من السيف البتّار وفي الآخرة من عذاب النار ، وإن أبيت الإسلام فابشر بالدمار وخراب الديار وقطع الآثار وارسل إليّ الكلب عجيباً لآخذ ثار ابي وامي . فلما قرأ الجلند الكتاب قال لسهيم : قل لمولاك إن عجيباً هرب هو وقومه وما ندري أين ذهب . وأما الجلند فلا يرجع عن دينه وغداً يكون الحرب بيننا والشمس تنصرنا . فرجع سهيم لأخيه وأعلمه بما قد جرى . فباتوا حتى أصبح الصباح ثم أخذ المسلمون آلة السلاح وركبوا الخيل القراح وأعلنوا بذكر الملك الفتاح خالق الأجساد والأرواح وأعلنوا بالتكبير ودقّوا طبول الحرب حتى ارتجّت الأرض ، وتكلّم كل فارس جحجاح وبطل وقاح وقصدوا الحرب حتى ارتجّت الأرض . فأول من فتح باب الحرب الجمرقان ، وساق جواده في حومة الميدان ولعب بالسيف والنشاب حتى حيّر أولي الألباب ثم صاح : هل من مبارز ؟ هل من مناجز لا يأتني اليوم كسلان ولا عاجز ؟ أنا قاتل القورجان بن الجلند فمن يبرز لأخذ الثار ؟ فلما سمع الجلند ذكر ولده صاح على قومه وقال : يا أولاد الزواني ، ائتوني بهذا الفارس الذي قتل ولدي حتى آكل لحمه وأشرب دمه . فحمل عليه مائة بطل فقتل أكثرهم وهزم أميرهم . فلما نظر الجلند ما فعل الجمرقان صاح على قومه وقال : احملوا عليه حملة واحدة . فهزوا العلم المدهش وانطبقت الأمم على الأمم وحمل غريب بقومه والجمرقان ، وتصادم الفريقان كأنهم بحران يلتقيان ، فأعمل السيف اليماني والرمح حتى مزّق الصدور والأبدان ورأى الصفّان ملك الموت بالعيان ، وطلع الغبار إلى العنان وصمّت الآذان وخرس اللسان وأحاط الموت من كل مكان وثبت الشجاع وولّى الجبان . ولم يزالوا في حرب وقتال حتى ولّى النهار ودقوا طبول الإنفصال وافترقوا من بعضهم ورجعت كل طائفة إلى خيامها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 649

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الملك غريباً لما انقضى الحرب وافترقوا من بعضهم ورجعت كل طائفة إلى خيامها جلس على سرير ملكه ومحل سلطانه واصطفّت أصحابه حوله قال لقومه : انا جزعت من القهر وبهروب هذا الكلب عجيب ولا أعرف أين مضى ؟ وإن لم ألحقه وآخذ ثاري أموت من القهر . فتقدّم أخاه سهيم الليل وقبّل الأرض وقال : يا ملك ، أنا أمضي إلى عسكر الكفّار وأكشف خبر الكلب الغدار عجيب . فقال غريب : سر وتحقّق خبر هذا الخنزير . فتزيّى سهيم بزيّ الكفّار ولبس لبسهم فصار كأنه منهم ، ثم قصد خيام الأعداء فوجدهم نياماً وهم سكارى من الحرب والقتال ولم يبقَ من القوم بلا نوم

سوى الحراس . فعبر سهيم وهجم على السرادق فوجد الملك نائماً وما عنده احد ، فتقدّم وشمه البنج الطيّار فكان كأنه ميت ، وخرج فاحضر بغلاً ولفّ الملك في ملاءة الفرش وحطّه فوق البغل وحطّ فوقه الحصير وسار حتى وصل إلى سرادق غريب ودخل على الملك . فأنكره الحاضرون وقالوا له : من أنت ؟ فضحك سهيم وكشف وجهه فعرفوه . فقال له غريب : ما حِملك يا سهيم ؟ فقال له : يا ملك ، هذا الجلند بن كركر . ثم حلّه فعرفه غريب وقال : يا سهيم نبهه . فأعطاه الخل والكندز فرمى البنج من أنفه وفتح عينيه فوجد نفسه بين المسلمين فقال : أي شيء هذا المنام القبيح ؟ ثم إنه أطبق عينيه ونام . فلكزه سهيم وقال له : إفتح عينيك يا ملعون . ففتح عينيه وقال : أين أنا ؟ فقال سهيم : أنت في حضرة الملك غريب بن كندمر ملك العراق . فلما سمع الجلند هذا الكلام قال : يا ملك أنا في جيرتك ، واعلم أن ما لي ذنب ، والذي أخرجنا نقاتل هو أخوك ورمى بيننا وبينك وهرب . فقال غريب : وهل تعلم طريقه ؟ فقال : لا . وحق الشمس ذات الأنوار ما أعلم أين سار . فأمر غريب بتقييده والمحافظة عليه وتوجه كل مقدم إلى خيمته ورجع الجمرقان وقومه وقال : يا بني عمي ، قصدي أن أعمل في هذه الليلة عملة أبيّض بها وجهي عند الملك غريب . فقالوا له : إفعل ما تشاء فنحن لأمرك سامعون مطيعون . فقال : إحملوا سلاحكم وأنا معكم وخففوا خطوكم ولا تخلّوا النمل يدري بكم ، وتفرّقوا حول خيام الكفّار فإذا سمعتم تكبيري فكبروا وصيحوا قائلين : الله أكبر . وتأخروا واقصدوا باب المدينة ونطلب النصر من الله تعالى . فاستعدّ القوم بالسلاح الكامل وصبروا إلى نصف الليل وتفرّقوا حول الكفّار وصبروا ساعة وإذا بالجمرقان ضرب بسيفه على ترسه وقال : الله أكبر . فدوى الوادي وفعل قومه مثله وصاحوا : الله أكبر . حتى دوى لهم الوادي والجبال والرمال والتلال وسائر الأطلال . فانتبه الكفّار وقد اندهشوا ووقعوا في بعضهم وقد دار السيف بينهم وتأخر المسلمون وطلبوا أبواب المدينة وقتلوا البوابين ودخلوا المدينة وملكوها بما فيها من مال وحريم . هذا ما جرى للجمرقان . وأما الملك غريب فإنه سمع الصياح بالتكبير فركب وركب العسكر عن آخرهم وتقدّم سهيم حتى قرب من الوقعة فنظر بني عامر والجمرقان قد شنّوا الغارة على الكفّار وأسقوهم كأس المنون ، فرجع وأخبر أخاه بما كان فدعا للجمرقان . ولم تزل الكفّار نازلين في بعضهم بالصارم البتّار باذلين جهدهم حتى طلع النهار وأضاء بنوره على الأقطار . فعند ذلك صاح غريب على قومه وقال : إحملوا يا كرام وارضوا الملك العلام . فحملت الأبرار على الفجّار ولعب السيف البتّار وجال الرمح الخطار في صدر كل منافق كفّار وأرادوا أن يدخلوا مدينتهم ، فخرج لهم الجمرقان وبنو عمه وصادروهم بين جبلين محيطين وقتلوا منهم خلقاً ما لها عدد وتشتّت الباقي في البراري والقفار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 650

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عسكر المسلمين لما حملوا على الكفّار مزّقوهم بالصارم البتّار وتشتّتوا في البراري والقفار . ولم يزالوا خلف الكفّار بالسيف حتى انتشروا في السهل والأوعار . ثم رجعوا إلى مدينة عمان ودخل الملك غريب قصر الجلند وجلس على كرسي مملكته ودارت أصحابه حوله ميمنة وميسرة . فدعا بالجلند فأسرعوا إليه وأحضروه بين يدي الملك غريب فعرض عليه الإسلام فأبى ، فأمر بصلبه على باب المدينة ثم رموه

بالنبال إلى أن صار مثل القنفذ. ثم إن غريباً خلع على الجمرقان وقال له: انت صاحب البلد وحاكمها وصاحب ربطها وحلّها، فإنك فتحتها بسيفك ورجالك. فقبّل الجمرقان رجل الملك غريب وشكره ودعا له بدوام النصر والعزّ والنعم. ثم إن غريباً فتح خزائن الجلند ونظر إلى ما فيها من الأموال وبعد ذلك فرّق على المقدّمين والرجال أصحاب الرايات والقتال، وفرّق على البنات والصبيان، وصار يفرّق من الأموال مدة عشرة أيام. ثم إنه بعد ذلك كان نائماً في بعض الليالي فرأى في منامه رؤيا هائلة. فانتبه فزعاً مرعوباً ثم نبّه اخاه سهيماً وقال له: إني رأيت في منامي أني في وادٍ، وذلك الوادي في مكان متّسع وقد انقض علينا من الطير جارحتان لم أرَ في عمري أكبر منهما، ولهما سيقان مثل الرماح وقد هجما علينا ففزعنا منهما. فهذا الذي رأيته. فلما سمع سهيم هذا الكلام قال: يا ملك، هذا عدو كبير فاحترس على نفسك منه. فلم ينم غريب بقية الليلة. فلما أصبح الصباح طلب جواده وركبه فقال له سهيم: إلى اين تذهب يا اخي؟ فقال: أصبحت ضيّق الصدر فقصدي ان أسير عشرة أيام حتى ينشرح صدري. فقال له سهيم: خذ معك ألف بطل. فقال غريب: لا أسير إلاّ أنا وأنت لا غير. فعند ذلك ركب غريب وسهيم وقصدا الأودية والمروج، ولم يزالا سائرين من وادٍ إلى واد ومن مرجٍ إلى مرج حتى عبرا على وادٍ كثير الأشجار والأثمار والأنهار فائح الأزهار، أطياره تغرّد بالألحان على الأغصان والهزار يرجع بطيب الألحان والقمري قد ملأ بصوته المكان والبلبل بحسه يوقظ الوسنان والشحرور كأنه إنسان والفاخت والمطوق تجاوبهما الدرة بأفصح لسان والأشجار في أثمارها من كل مأكول وفاكهة زوجين. فأعجبهما ذلك الوادي فأكلا من أثماره وشربا من أنهاره وقعدا تحت ظل أشجاره فغلب عليهما النعاس فناما وسبحان من لا ينام. فبينما هما نائمين وإذا بماردين شديدين قد انقضّا عليهما وحطّ كل واحد منهما أحدهما على كاهله وارتفعا إلى أعلى الجو حتى صارا فوق الغمام. فانتبه سهيم وغريب فوجدا انفسهما بين السماء والأرض ونظر إلى من حملاهما وإذا هما ماردان، رأس أحدهما رأس كلب ورأس الآخر رأس قرد وهو كالنخلة السحوق، ولهما شعر مثل أذناب الخيل ومخالب مثل مخالب السباع. فلما نظر غريب وسهيم إلى ذلك الحال قالا: لا حول ولا قوة إلاّ بالله. وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوك الجن اسمه مرعش، وكان له ولد اسمه صاعق يحب جارية من الجن اسمها نجمة. وكان صاعق ونجمة مجتمعين في ذلك الوادي وهما في صفة طيرين، وكان غريب وسهيم نظرا إلى صاعق ونجمة فظنّاهما طائرين فرمياهما بنشاب فلم يصب إلاّ صاعقاً فسال دمه، فحزنت نجمة على صاعق وخطفته وطارت خوفاً أن يصيبها ما أصاب صاعقاً. ولم تزل طائرة به حتى رمته على باب قصر أبيه، فحمله البوابون حتى رموه قدام أبيه. فلما نظر مرعش إلى ولده ورأى النبلة في ضلعه قال: واولداه، من فعل بك هذه الفعال حتى أخرب دياره وأعجل دماره؟ ولو كان أكبر ملوك الجان. فعند ذلك فتح عينيه وقال: يا أبتي، ما قتلني إلاّ رجل من الإنس بوادي العيون. فما فرغ من كلامه حتى طلعت روحه. فلطم أبوه حتى طلع الدم من فيه وصاح على ماردين وقال لهما: سيرا إلى وادي العيون وائتياني بكل من فيه. فسافر الماردان حتى وصلا إلى وادي العيون، فرأيا غريباً وسهيماً نائمين فخطفاهما وسارا بهما حتى وصلا بهما إلى مرعش. فلما انتبه سهيم وغريب من نومهما وجدا أنفسهما بين السماء والأرض فقالا: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي

العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 651

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الماردين لما خطفا غريباً وسهيماً جاءا بهما إلى مرعش ملك الجن . ولما وضعاهما قدام مرعش وجداه جالساً على كرسي مملكته وهو كالجبل العظيم وعلى جثته أربع رؤوس : رأس سبع ورأس فيل ورأس نمر ورأس فهد . فقدّما غريباً وسهيماً قدام مرعش وقالا : يا ملك ، هذان اللذان وجدناهما في وادي العيون . فنظر إليهما بعين الغضب وقد شخر ونخر وطار من أنفه الشرر وقد خاف منه كل من حضر . وقال : يا كلاب الإنس ، قتلتما ولدي وأوقدتما النار في كبدي . فقال غريب : ومن هو ولدك الذي قتلناه ؟ ومن هو الذي نظر ولدك ؟ فقال : أما كنتما أنتما في وادي العيون ونظرتما ولدي في صفة طير ورميتماه بعود نشاب فمات . فقال غريب : أنا لا أدري من قتله وحق الرب العظيم الواحد القديم الذي هو بكل شيء عليم ؟ وحق الخليل إبراهيم ما رأينا طيراً ولا قتلنا وحشاً ولا طيراً . فلما سمع مرعش كلام غريب حين حلف بالله وعظمته ونبيه الخليل إبراهيم ، علم أنه مسلم . وكان مرعش يعبد النار دون الملك الجبار فصاح على قومه وقال : ائتوني بربتي . فأتوه بتنور من ذهب فوضعوه بين يديه وأشعلوه بالنار ورموا عليه العقاقير فطلع له لهيب أخضر ولهيب أزرق ولهيب أصفر فسجد له الملك والحاضرون . كل هذا وغريب وسهيم يوحدان الله تعالى ويكبرانه ويشهدان أن الله على كل شيء قدير . فرفع الملك رأسه فرأى غريباً وسهيماً واقفين لا يسجدان فقال : يا كلبان ، ما لكما لا تسجدان ؟ فقال غريب : ويلكم يا ملاعين ، إن السجود لا يكون إلاّ للملك المعبود مبرز الموجود من العدم إلى الوجود ومنبع الماء من الحجر الجلمود ، الذي حنن الولد على المولود ولا يوصف بقيام ولا قعود ، ربّ نوح وصالح وإبراهيم الخليل وهو الذي خلق الجنة والنار وخلق الأشجار والأثمار ؛ فهو الله الواحد القهّار . فلما سمع مرعش هذا الكلام انقلبت عيناه في أم رأسه وصاح على قومه وقال : كتفوا هذين الكلبين وقرّبوهما لربتي . فكتّفوا سهيماً وغريباً وأرادوا أن يرموهما في النار وإذا بشرافة من شراريف القصر وقعت على التنور فانكسر وانطفأت النار وصارت رماداً طائراً في الهواء . فقال غريب : الله أكبر ، فتح ونصر وخذل من كفر ، الله أكبر على من يعبد النار دون الملك الجبار . فعندها قال الملك : إنك ساحر وسحرت ربتي حتى جرى لها هذا الحال . فقال غريب : يا مجنون ، لو كان للنار سرّ وبرهان كانت منعت عن نفسها ما ضرّها . فلما سمع مرعش هذا الكلام هدر وزمجر وسبّ النار وقال : وحق ديني ما أقتلكم إلاّ فيها . وأمر بحبسهما ودعا بمائة مارد وأمرهم أن يحملوا الحطب كثيراً وأن يطلقوا فيه النار . ففعلوا والتهبت نار عظيمة ولم تزل مشتعلة إلى الصباح . ثم ركب مرعش على فيل في تخت من ذهب مرصّع بالجواهر وصارت حوله قبائل الجن وهم أصناف مختلفة ثم أحضروا غريباً وسهيماً ، فلما رأيا لهيب النار استغاثا بالواحد القهّار ، خالق الليل والنهار ، العظيم الشأن الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، ولم يزالا يتوسلان وإذا بسحابة طلعت من الغرب إلى الشرق وأمطرت مثل البحر الزاخر فأطفأت النار . فخاف الملك والجند ودخلوا في قصرهم ثم التفت الملك إلى الوزير وأرباب الدولة وقال لهم : ما تقولون في هذين الرجلين ؟ فقالوا : يا ملك ، لولا أنهما على الحق ما جرى للنار هذه الفعال . ونحن نقول : إنهما

على الحق صادقان . قال الملك : قد بان لي الحق والطريقة الواضحة فعبادة النار باطلة ، فلو كانت ربة لمنعت عن نفسها المطر الذي أطفأها والحجر الذي كسر تنورها وقد صارت رماداً . فأنا آمنت بالذي خلق النار والنور والظل والحرور وأنتم ما تقولون ؟ فقالوا : يا ملك ونحن كذلك تابعون سامعون طائعون . ثم دعا بغريب فأحضره بين يديه ، فقام له واعتنقه وقبّله بين عينيه وقبّل سهيماً مثل ذلك . ثم إن الأجناد تزاحموا على غريب وسهيم يقبّلون أيديهما ورأسهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 652

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مرعشاً ملك الجن لما اهتدى هو وقومه للإسلام أحضر غريباً وأخاه وقبّلهما بين أعينهما ، وكذلك أرباب دولته ازدحموا على تقبيل أيديهما ورأسهما . ثم إن الملك مرعشاً جلس على كرسي مملكته وأجلس غريباً عن يمينه وسهيماً عن يساره وقال : يا إنسي ، ما نقول حتى نصير مسلمين ؟ فقال غريب : قولوا : لا إلَه إلاّ الله ، إبراهيم خليل الله . فأسلم الملك وقومه قلباً ولساناً وقعد غريب يعلمهم الصلاة . ثم إن غريباً تذكّر قومه فتنهّد . فقال له ملك الجن : قد ذهب الغمّ وراح وجاء البسط والإنشراح . فقال له غريب : يا ملك ، إن لي أعداء كثيرة وأنا خائف على قومي منهم . وحكى له ما جرى له مع أخيه عجيب من أوله إلى آخره . فقال له ملك الجن : يا ملك الإنس ، أنا أبعث لك من يكشف خبر قومك وما أخليك تروح حتى أتملّى بوجهك . ثم دعا بماردين شديدين ، أحدهما اسمه الكيلجان والآخر اسمه القورجان . فلما حضر الماردان قبّلا الأرض فقال لهما : سيرا إلى اليمن واكشفا خبر جنودهما وعساكرهما . فقالا : سمعاً وطاعةً . ثم سار الماردان وطارا نحو اليمن . هذا ما جرى لغريب وسهيم . وأما عسكر المسلمين فإنهم أصبحوا راكبين هم والمقدمون وقصدوا قصر الملك غريب لأجل الخدمة . فقال لهم الخدم : إن الملك وأخاه ركبا سحراً وخرجا . فركب المقدّمون وقصدوا الأودية والجبال ولم يزالوا يقصون الأثر حتى وصلوا إلى وادي العيون ، فوجدوا عدة غريب وسهيم مرمية والجوادين يرعيان . فقال المقدمون : إن الملك فقد من هذا المكان ، يا لجاه الخليل إبراهيم . ثم إنهم تفرّقوا في الوادي والجبال ثلاثة أيام فما ظهر لهم خبر . فأقاموا العزاء وطلبوا السعاة وقالوا لهم : تفرّقوا في الميدان والحصون والقلاع واكشفوا خبر ملكنا . فقالوا : سمعاً وطاعةً . وقد تفرّقوا وطلب كل واحد إقليماً ، ووصل لعجيب مع الجواسيس خبر أخيه أنه فُقد ولم يقعوا له على خبر . ففرح عجيب بفقد أخيه غريب واستبشر ودخل على الملك يعرب بن قحطان وكان استجار به فأجاره وأعطاه مائتي ألف عملاق ، وسار عجيب بعسكره حتى نزل على مدينة عمان . فخرج لهم الجمرقان وسعدان وقاتلاهم وقتل من المسلمين خلق كثير ودخلوا المدينة وغلقوا الأبواب وحصّنوا الأسوار . ثم أقبل الماردان الكيلجان والقورجان وقد نظرا المسلمين محصورين ، فصبرا حتى أقبل الليل وأعملا في الكفّار سيفين باترين من سيوف الجن ، كل سيف طوله اثنا عشر ذراعاً لو ضرب به إنسان حجراً لقصمه . فحملا عليهم وهما يقولان : الله أكبر ، فتح ونصر وخذل من كفر بدين الخليل إبراهيم . ثم إنهما بطشا بالكفّار وأكثرا فيهم القتل وخرجت النار من أفواههما ومناخيرهما ، فبرز الكفّار من سرادقهم فنظروا إلى أشياء عجيبة تقشعرّ منها الأبدان واختبلوا وطارت عقولهم . ثم إنهم خطفوا أسلحتهم وبطشوا

ببعضهم والماردان يحصدان في رقاب الكفّار ويصيحان : الله أكبر ، نحن غلمان الملك غريب صاحب الملك مرعش ملك الجان . ولم يزل السيف دائراً فيهم حتى انتصف الليل وقد تخيّل للكفّار ان الجبال كلها عفاريت . فحملوا الخيام والثقل والمال على الجمال وقصدوا الذهاب وكان أولهم هروباً عجيب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : يا أختي ، ما أحسن هذا الكلام وأعذبه وأحلاه وأطيبه . فقالت لها : وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا اقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 653

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الكفّار قصدوا الذهاب وكان أولهم هروباً عجيب . ثم قد اجتمع المسلمون وتعجبوا من هذا الأمر الذي جرى للكفّار وخافوا من قبائل الجان ، ولم يزل الماردان في اقفية الكفّار حتى شتّتوهم في البراري والقفار وما سلم من الماردان سوى خمسين ألف عملاق من أصل مائتي ألف ، وقد قصدوا بلادهم وهم منهزمون مجروحون وقالوا : يا عسكر ، إن الملك غريباً سيدكم وأخاه يسلّمان عليكم وهما مستضافان عند الملك مرعش ملك الجان ، وعن قريب يكونان عندكم . فلما سمع العساكر بخبر غريب وإنه طيب فرحوا فرحاً شديداً وقالوا لهما : بشّركما الله بالخير يا أرواحاً كراماً . ثم إن الماردين رجعا ودخلا على الملك غريب والملك مرعش فوجداهما جالسين ، فاخبراهما بما جرى وما فعلا فجازياهما خيراً وقد اطمأن قلب غريب . فعند ذلك قال الملك مرعش : يا أخي ، مرادي أن أفرجك على أرضنا وأريك مدينة يافث بن نوح عليه السلام . قال : يا ملك ، إفعل ما بدا لك . فدعا بجوادين لهما وركب هو وغريب وسهيم وركب معه ألف مارد وساروا كأنهم قطعة جبل مشقوقة بالطول ، فساروا يتفرّجون على أودية وجبال حتى أتوا مدينة يافث بن نوح عليه السلام . فخرج أهل المدينة كباراً وصغاراً ولاقوا مرعشاً فدخل في موكب عظيم . ثم إنه طلع إلى قصر يافث بن نوح وجلس على كرسي ملكه وهو من المرمر مشبك بقضبان الذهب ، علوه عشر درج وهو مفروش بأنواع الحرير الملوّن . ولما وقف أهل المدينة قال لهم : يا ذرية يافث بن نوح ، ما كان يعبد أباؤكم وأجدادكم ؟ قالوا : إنّا وجدنا أباءنا يعبلون النار فتبعناهم وأنت أخبر بذلك . قال : يا قوم ، أنا رأيت النار مخلوقة من مخاليق الله تعالى الذي خلق كل شيء ، فلما علمت ذلك أسلمت لله الواحد القهّار خالق الليل والنهار والفلك الدوار الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، فأسلموا تسلموا من غضب الجبّار وفي الآخرة من عذاب النار . فأسلموا قلباً ولساناً وأخذ مرعش بيد غريب وفرّجه على قصر يافث وبنائه وما فيه من العجائب . ثم دخل دار السلاح وفرجه على سلاح يافث ، فنظر غريب إلى سيف معلّق في وتد من ذهب . فقال غريب : يا ملك ، هذا لمن ؟ قال : هذا سيف يافث بن نوح الذي كان يقاتل به الإنس والجن ، صاغه الحكيم جردوم وكتب على ظهره أسماء عظيمة فلو ضرب به الجبل لهدمه ، واسمه الماحق ، ما نزل على شيء إلاّمحقه ولا جني إلاّ دمّره . فلما سمع غريب كلامه وما ذكره في فضائل هذا السيف قال : مرادي أن أنظر هذا السيف . فقال مرعش : دونك وما تريد . فمدّ غريب يده وأخذ السيف وسحبه من جفيره فسطع ودبّ الموت على حده وشعشع ، وكان طوله اثني عشر

شبراً وعرضه ثلاثة أشبار، فأراد غريب أن يأخذه. فقال الملك مرعش: إن كنت تقدر أن تضرب به فخذه. فقال غريب: نعم. ثم أخذه في يده فصار في يده كالعصى. فتعجّب الحاضرون من الإنس وقالوا: أحسنت يا سيد الفرسان. فقال له مرعش: ضع يدك على هذه الذخيرة التي بحسرتها ملوك الأرض واركب حتى أفرجك. فركب وركب مرعش ومشت الإنس والجن في خدمته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها: ما أحسن هذا الكلام وأطيبه وأحلاه وأعذبه. فقالت: وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة القبلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقيّة حديثها.

فلما كانت الليلة 654

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك غريباً والملك مرعشاً لما ركبا من مدينة يافث والإنس والجن سائرون في خدمتهما، مشيا بين قصور ودور خاليات وشوارع وأبواب مذهبات، ثم خرجا من أبواب المدينة وتفرّجا في بساتين ذات أشجار مثمرات وأنهار جاريات وأطيار ناطقات تسبّح من له القدرة والبقاء. ولم يزالا يتفرّجان حتى أقبل المساء، رجعا وباتا في قصر يافث بن نوح، فلما وصلا قدمت لهما مائدة فأكلا والتفت غريب لملك الجان وقال: يا ملك، إن قصدي الذهاب إلى قومي وجندي فلم أعلم حالهم بعدي. فلما سمع مرعش كلام غريب قال له: يا أخي، والله ما مرادي فراقك ولا أخليك تروح ولا بعد شهر كامل حتى أتملّى برؤيتك. فما قدر أن يخالفه فقعد شهراً كاملاً في مدينة يافث، ثم أكل وشرب وأعطاه الملك مرعش هدايا من التحف والمعادن والجواهر والزمرد والبلخش وحجر الماس وقطعاً من ذهب وفضة وكذلك مسك وعنبر ومقاطع حرير منسوجة بالذهب، وعمل لغريب وسهيم خلعتين من الوشي منسوجتين بالذهب، وعمل لغريب تاجاً مكلّلاً بالدرّ والجوهر لا يعادل بأثمان. ثم عبّى له ذلك كله في أعدال ودعا بخمسمائة مارد وقال لهم: جهّزوا حالكم إلى السفر في غد حتى نؤدي الملك غريباً وسهيماً إلى بلادهما. قالوا: سمعاً وطاعةً. وباتوا على نية السفر حتى أتى وقت السفر، وإذا هم بخيول وطبول ونفير تصيح حتى ملأت الأرض وهم سبعون ألف مارد طيارة غواصة وملكهم اسمه برقان. وكان لمجيء هذا الجيش سبب عظيم عجيب وأمر مطرب غريب سنذكره على التراتيب. وكان برقان هذا صاحب مدينة العقيق وقصر الذهب، وكان يحكم على خمس قلل كل قلة فيها خمسمائة ألف مارد وهو وقومه يعبدون النار دون الملك الجبار وكان هذا الملك ابن عم مرعش. وكان في قوم مرعش مارد كافر أسلم نفاقاً وغطس من بين قومه وسار حتى وصل إلى وادي العقيق ودخل قصر الملك برقان وقبّل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العزّ والأنعام ثم أخبره بإسلام مرعش فقال له برقان: كيف مرق من دينه؟ فحكى له جميع ما جرى. فلما سمع برقان كلامه شخر ونخر وسبّ الشمس والقمر والنار ذات الشرر وقال: وحق ديني لأقتلنّ ابن عمي وقومه وهذا الإنسي ولا أترك منهم أحداً. ثم صاح على أرهاط الجن واختار منهم سبعين ألف مارد وسار بهم حتى وصل إلى مدينة جابرصا، وداروا حول المدينة كما ذكرنا ونزل الملك برقان مقابل باب المدينة ونصب خيامه. فدعا مرعش بمارد وقال له: إمض إلى هذا العسكر وانظر ما يريدون وأتني عاجلاً. فمرق المارد حتى دخل خيام برقان فتسارع إليه المردة وقالوا له: من أنت؟ قال: رسول مرعش. فأخذوه وأوقفوه بين يدي

برقان فسجد له وقال : يا مولاي ، إن سيدي أرسلني إليكم لأنظر خبركم . فقال له : إرجع إلى سيدك وقل له : هذا ابن عمك برقان أتى يسلّم عليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه . فقالت : وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 655

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المارد رسول مرعش لما دخل على برقان وقال له : إن سيدي أرسلني إليك لأنظر خبركم . قال له : إرجع إلى سيدك وقل له : إن ابن عمك برقان أتى يسلم عليك . فرجع المارد إلى مولاه وأخبره بذلك . فقال لغريب : أقعد على سريرك حتى أسلّم على ابن عمي وأعود إليك ثم ركب وسار قاصداً الخيام . وكان برقان عملها حيلة حتى يخرج مرعش ويقبض عليه . ثم أوقف حوله مردة وقال لهم : إذا رأيتموني حضنته فامسكوه وكتّفوه فقالوا : سمعاً وطاعةً . ثم بعد ذلك وصل الملك مرعش ودخل سرادق ابن عمه فقام إليه واعتنقه ، فهجم عليه الجان وكتفوه وقيدوه فنظر مرعش إلى برقان وقال له : ما هذا الحال ؟ فقال له : يا كلب الجان ، أتترك دينك ودين آبائك وأجدادك وتدخل في دين لا تعرفه ؟ فقال له مرعش : يا ولد عمي ، قد وجدت دين إبراهيم الخليل هو الحق وغيره باطل . فقال : ومن أخبركم ؟ قال : غريب ملك العراق وهو عندي في أعز مكان . فقال له برقان : وحق النار والنور والظل والحرور لأقتلنّكم جميعاً ثم سجنه . فلما نظر غلام مرعش ما حلّ بمولاه ، ولّى هارباً إلى المدينة وأعلم أرهاط الملك مرعش بما حصل لمولاه فصاحوا وركبوا خيولهم . فقال غريب : ما الخبر ؟ فاعلموه بما جرى . فصاح على سهيم وقال له : شد لي جواداً من الجوادين اللذين أعطانيهما الملك مرعش . فقال له : يا أخي ، أتقاتل الجان ؟ قال : نعم أقاتلهم بسيف يافث بن نوح وأستعين برب الخليل إبراهيم عليه السلام ، فهو رب كل شيء وخالقه . فشدّ له جواداً أشقراً من خيل الجن كأنه حصن من الحصون . ثم أخذ آلة الحرب وخرج وركب وخرجت الأرهاط وهم لابسون الدروع ، وركب برقان وقومه وتقاتل الفريقان واصطف العسكران وكان أول من فتح باب الحرب الملك غريباً ، فساق جواده في حومة الميدان وجرد سيف يافث بن نوح عليه السلام فخرج منه نور ساطع انبهرت منه عيون الجن أجمعين ووقع في قلوبهم الرعب . فلعب غريب بالسيف حتى أذهل عقول الجان ثم نادى : الله أكبر . أنا الملك غريب ملك العراق لا دين إلاّ دين إبراهيم الخليل . فلما سمع برقان كلام غريباً قال : هذا الذي غيّر دين ابن عمي وأخرجه من دينه ، فوحق ديني لا أقعد على سريري حتى أقطع رأس غريب وأخمد أنفاسه وأردّ ابن عمي وقومه إلى دينهم ومن خالفني أهلكته . ثم ركب على فيل أبيض قرطاسي كأنه برج مشيد وصاح عليه وضربه بسنان من بولاد فغرق في لحمه ، فصرخ الفيل وقصد الميدان ومقام الحرب والطعان حتى قرب من غريب فقال له : يا كلب الإنس ، ما أدخلك أرضنا حتى أفسدت ابن عمي وقومه وأخرجتهم من دين إلى دين ؟ أعلم أن اليوم آخر أيامك من الدنيا . فلما سمع غريب هذا الكلام قال له : إخسأ يا أقل الجان . فسحب برقان حربة وهزّها وضرب بها غريباً فأخطأه ، فضربه بحربة ثانية فخطفها غريب من الهواء وهزّها وأرسلها نحو الفيل فدخلت في

جنبه وخرجت من الجانب الآخر فوقع الفيل على الأرض قتيلاً وارتمى برقان كأنه نخلة سحوق، فما خلاّه غريب يتحرّك من مكانه حتى ضربه بسيف يافث بن نوح على جذع رقبته صفحًا فغشي عليه، فاندفعت عليه المردة وأداروا أكتافه. فلما نظر قومه إلى ملكهم هجموا وأرادوا خلاصه فحمل عليهم غريب وحملتِ معه الجن المؤمنون، فللّه درّ غريب لقد أرضى الرب المجيب وأشفى الغليل بالسيف المطلسم وكل من ضربه به قصمه فما تطلع روحه حتى يصير في النار رماداً، وهجمت المؤمنون على الجن الكافرين وتراموا بشهب النار وعمّ الدخان وغريب قد جال فيهم يميناً وشمالاً فتفرّقوا بين يديه. وقد وصل الملك غريب إلى سرادق الملك برقان وكان إلى جانبه الكيلجان والقورجان، فصاح غريب عليهما وقال: حلاّ مولاكما. فحلاّه وكسرا قيده. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. قالت لها أختها: ما أحلى حديثك وأعذبه وألذّه وأطيبه. فقالت: وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة 656

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك غريباً لما صاح على الكيلجان والقورجان وقال لهما: حلاّ مولاكما. فحلاّه وكسرا قيده. فقال لهما الملك مرعش: ائتياني بعدتي وجوادي الطيار. وكان عند الملك جوادان يطيران في الهواء فأعطى غريباً واحداً وبقي عنده واحد، فأتوه به بعد أن لبس آلة الحرب وحمل مع غريب وطارا بهما الجوادان وقومهما خلفهما وهما يصيحان: الله أكبر الله أكبر. فأجابتهما الأرض والجبال والأودية والتلال ورجعوا من خلفهم بعد أن قتلوا منهم خلقاً كثيراً تزيد عن ثلاثين ألف مارد وشيطان ودخلوا مدينة يافث وجلس الملكان على مراتب العزّ وطلبا برقان فما وجداه، لأنهما حين أسراه اشتغلا عنه بالقتال وقد سبقه عفريت من غلمانه فحلّه ومرّ به على قومه فوجد البعض مقتولاً والبعض هارباً. فطار به نحو السماء وحط على مدينة العقيق وقصر الذهب وجلس الملك برقان على تخت مملكته ووصل قومه إليه الذين فضلوا من القتل، فدخلوا عليه وهنؤوه بالسلامة. فقال: يا قوم، وأين السلامة؟ وقد قتل عسكري وأسروني وخرقوا حرمتي بين قبائل الجان. فقالوا: يا ملك، ما دامت الملوك تصيب وتصاب. قال لهم: لا بد من أن آخذ ثاري وأكشف عاري وإلاّ أكون معيرة بين قبائل الجان. ثم إنه كتب الكتب وأرسل إلى قبائل الحصون فأتوه مذعنين مطيعين، فتفقّدهم فوجدهم ثلاثمائة ألف وعشرين ألفاً من المردة الجبارين والشياطين. فقالوا: أي حاجة لك؟ فقال: خذوا أهبتكم للسفر بعد ثلاثة أيام. فقالوا: سمعاً وطاعةً. هذا ما كان من أمر الملك برقان. وأما ما كان من أمر الملك مرعش فإنه لما رجع وطلب برقان ولم يجده صعب عليه وقال: لو كنا حفظناه بمائة مارد ما كان يهرب ولكن أين يروح منا؟ ثم قال مرعش لغريب: أعلم يا أخي أن برقان غدّار ما يقعد عن أخذ الثار ولا بد أن يجمع أرهاطه ويأتوا إلينا، وأنا قصدي أن ألحقه وهو ضعيف على أثر هزيمته. فقال غريب: هذا هو الرأي الصواب والأمر الذي لا يعاب. ثم قال مرعش لغريب: يا أخي، خلّ المردة يوصلونكم إلى بلادكم واتركوني أجاهد الكفّار حتى تخف عنّي الأوزار. فقال غريب: لا وحق الحليم الكريم الستار ما أروح هذه الديار حتى أفني جميع الجان الكفّار ويعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار، ولا ينجو إلاّ من يعبد الله

الواحد القهّار، ولكن أرسل سهيماً إلى مدينة عمان لعله يشفى من المرض وكان سهيم ضعيفاً. فصاح مرعش على المردة وقال لهم: احملوا سهيماً وهذه الأموال والهدايا إلى مدينة عمان. فقالوا: سمعاً وطاعةً. فحملوا سهيماً والهدايا وقصدوا بلاد الإنس. ثم كتب مرعش الكتب إلى حصونه وجميع عماله فحضروا فكانت عدتهم مائة ألف وستين ألفاً، فتجهّزوا وساروا قاصدين بلاد العقيق وقصر الذهب. فقطعوا في يوم واحد مسيرة سنة ودخلوا وادياً فنزلوا فيه للراحة وباتوا حتى أصبح الصباح وأرادوا أن يرحلوا وإذا بطلائع الجان قد طلعت والجن قد صاحت والتقى العسكران في ذلك الوادي، فحملوا على بعضهم وقد وقع القتل بينهم واشتد النزال وعظم الزلزال وساءت الأحوال وجاء الجد وذهب المحال وبطل القيل والقال وقصرت الأعمار الطوال، وصارت الكفرة في الذل والخبال وحمل غريب وهو يوحّد الواحد المعبود المستعان فقطع الرقاب وقد ترك الرؤوس مدحرجة على التراب، فما أمسى المساء حتى قتل من الكفّار نحو سبعين ألفاً. فعند ذلك دقوا كؤوس الإنفصال وافترقوا من بعضهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها: ما أطيب حديثك وأحسنه وأحلاه وأعذبه. فقالت: وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة 657

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العسكرين لما انفصلا من بعضهما وافترقا، نزل مرعش وغريب في خيامهما بعد أن مسحا سلاحهما، ثم حضر العشاء فأكلا وهنّيا بعضهما بالسلامة، وقد قتل منهم أكثر من عشرة آلاف مارد. وأما برقان فإنه نزل في خيامه وهو ندمان على من قتل من الأعوان وقال: يا قوم، إن قعدنا نقاتل هذا القوم ثلاثة أيام أفنونا عن آخرنا. فقالوا: وما نفعل يا ملك؟ قال: نهجم عليهم في الليل وهم نيام فما يبقى منهم من يرد الأخبار، فخذوا اهبتكم واهجموا على أعدائكم واحملوا حملة رجل واحد. فقالوا: سمعاً وطاعةً ثم إنهم تجهّزوا للهجوم. وكان فيهم مارد اسمه جندل وكان قلبه لان للإسلام، فلما نظر الكفّار وما عزموا عليه، مرق من بينهم ودخل على مرعش والملك غريب وأخبرهما بما دبر الكفّار. فالتفت مرعش لغريب وقال له: يا أخي، ما يكون العمل؟ فقال: الليلة نهجم على الكفّار ونشتتهم في البراري والقفار بقدرة الملك الجبار. ثم دعا بالمقدمين من الجان وقال لهم: إحملوا آلة حربكم أنتم وقومكم، فإذا أسبل الظلام فانسلّوا على أقدامكم مائة بعد مائة وخلّوا الخيام خالية واكمنوا بين الجبال، فإذا رأيتم الأعداء صاروا بين الخيام فاحملوا عليهم من سائر الجهات وقوّوا عزمكم واعتمدوا على ربكم فإنكم تنصرون وها أنا معكم. فلما جاء الليل هجموا على الخيام وقد استغاثوا بالنار والنور. فلما وصلوا بين الخيام هجم المؤمنون على الكفّار وهم يستغيثون بربّ العالمين ويقولون: يا أرحم الراحمين، يا خالق الخلق أجمعين، حتى تركوهم حصيداً خامدين. فما أصبح الصباح إلاّ والكفّار أشباح بلا أرواح، والذين فضلوا طلبوا البراري والبطاح ورجع مرعش وغريب وهم منصورون مؤيدون ونهبوا أموال الكفّار وباتوا حتى أصبح الصباح وساروا طالبين مدينة العقيق وقصر الذهب. وأما برقان فإنه لما دار الحرب عليه وقتل أكثر قومه في ظلام الليل، ولّى هارباً مع من بقي من قومه حتى وصل إلى

مدينته ودخل قصره وجمع أرهاطه وقال : يا بني ، من كان عنده شيء فليأخذه ويلحقني في جبل قاف عند الملك الأزرق صاحب القصر الأبلق فهو الذي يأخذ ثأرنا . فأخذوا حريمهم وأولادهم وأموالهم وقصدوا جبل قاف . ثم وصل مرعش وغريب إلى مدينة العقيق وقصر الذهب فوجدوا الأبواب مفتوحة وليس فيها من يخبر بخبر ، فأخذ مرعش غريباً يفرّجه على مدينة العقيق وقصر الذهب . وكان أساسات صورها من الزمرد وبابها من العقيق الأحمر بمسامير من الفضة وسقوف بيوتها وقصورها العود والصندل . فمشوا وتفرّقوا في شوارعها وأزقّتها حتى وصلوا إلى قصر الذهب . ولم يزالوا يدخلون من دهليز إلى دهليز وإذا هم ببناء من البلخش الملوكي ورخامه زمرد وياقوت . ودخل مرعش وغريب في القصر فاندهشا من حسنه ، ولم يزالا يدخلان من موضع إلى موضع حتى قطعا سبعة دهاليز . فلما وصلا إلى داخل القصر وإذا هما بأربعة لواوين ، كل ليوان لا يشبه الآخر ، وفي وسط القصر فسقية من الذهب الأحمر وعليها صور سباع من الذهب والماء يجري من افواهها فنظرا شيئًا يحيّر الأفكار ، والليوان الذي في الصدر مفروش بالبسط المنسوجة بالحرير الملوّن وفيه كرسيان من الذهب الأحمر مرصّعان بالدّر والجوهر . فعند ذلك قعد مرعش وغريب على كرسي برقان وعملا في قصر الذهب موكباً عظيماً . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : يا أختي ، ما احسن حديثك والذّه واعذبه . فقالت : واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة إن عشت وابقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 658

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان مرعشاً وغريباً جلسا على كرسي برقان واوكبا موكباً عظيماً . وبعد ذلك قال غريب لمرعش : اي شيء دبرت من الراي ؟ قال : يا ملك الإنس قد أرسلت مائة فارس يكشفون لي خبر برقان في اي مكان هو حتى نسير خلفه . ثم قعدا في قصر الذهب ثلاثة ايام حتى وصل المردة ورجعوا خبّروا ان برقان سار إلى جبل قاف واستجار بالملك الأزرق فاجاره . فقال مرعش لغريب : ما تقول يا اخي ؟ قال : إن لم نهجم عليهم يهجموا علينا . ثم امر مرعش وغريب العسكر ان يأخذوا الأهبة للسفر بعد ثلاثة ايام . فاصلحوا احوالهم وارادوا ان يرحلوا وإذا هم بالمردة الذين وصّلوا سهيماً والهدايا قد اقبلوا على غريب وقبّلوا الأرض . فسألهم عن قومه فقالوا له : إن اخاك عجيباً لما هرب من الوقعة ذهب إلى يعرب بن قحطان وقصد بلاد الهند ودخل على ملكها وحكى له ما جرى له من اخيه واستجار به . فأجاره وارسل كتبه إلى جميع عماله فاجتمع عسكره مثل البحر الزاخر ما له اول من آخر وهو عازم على خراب العراق . فلما سمع غريب كلامه قال : تعس الكفّار فإن الله تعالى ينصر الإسلام وسوف أريهم ضرباً وطعاناً . ثم قال مرعش : يا ملك الإنس وحق الإسم الأعظم لا بد أن أسير معك إلى ملكك واهلك اعداءك وابلغك هناك . فشكره غريب وباتوا على نية الرحيل إلى أن أصبح الصباح ، فرحلوا وصاروا قاصدين جبل قاف ومشوا يومهم ، وبعد ذلك ساروا قاصدين القصر الأبلق ومدينة المرمر . وكانت هذه المدينة مبنية بالحجارة والمرمر بناها بارق بن فاقع ابو الجن وبنى القصر الأبلق ، وسمي بذلك لأنه مبني بطوبة من فضة وطوبة من ذهب ، ما بني مثله في سائر الأقطار . فلما قربوا من مدينة المرمر وبقي بينهم وبينها نصف يوم نزلوا للراحة ،

فأرسل مرعش من يكشف له الأخبار . فغاب الساعي ثم عاد وقال له : يا ملك ، إن في مدينة المرمر من أرهاط الجن عدد أوراق الشجر وقطر المطر . فقال الملك مرعش : أي شيء يكون العمل يا ملك الإنس ؟ فقال غريب : يا ملك ، أقسم قومك أربعة أقسام حول العسكر ثم يقولون : الله أكبر . وبعد أن يصيحوا بالتكبير يتأخرون عنهم ويكون ذلك الأمر في نصف الليل وانظر ما يجري بين قبائل الجان . فأحضر مرعش قومه وفرّقهم مثل ما قال غريب . فحملوا سلاحهم وصبروا حتى انتصف الليل فساروا حتى داروا حول العسكر وصاحوا : الله أكبر ، يا لدين الخليل إبراهيم عليه السلام . فانتبه الكفّار مرعوبين من هذه الكلمة وخطفوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم حتى لاح الفجر وقد فنى أكثرهم وبقي أقلّهم . فصاح غريب على الجن المؤمنين وقال : احملوا على من بقي من الكافرين وها أنا معكم والله ناصركم . فحمل مرعش وصحبته غريب وجرّد غريب سيفه الماحق الذي من سيوف الجن ، فجدع الأنوف وهزم الصفوف وقد ظفر ببرقان وضربه فأعدمه الحياة ونزل مختضباً بدمائه . ثم فعل بالملك الأزرق كذلك . فلما أضحى النهار لم يبقَ من الكفّار ديار ولا من يرد الأخبار ودخل مرعش وغريب القصر الأبلق فرأيا حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة وأعتابه من البلور وهو معقود بالزمرد الأخضر وفيه فسقية وشاذروان مفروش بالحرير المزركش بشرائط الذهب المرصّع بالجوهر ، ووجدا أموالاً لا تحصى ولا توصف . ثم دخلا قاعة الحريم فوجدا فيها حريماً ظريفاً ، فنظر غريب إلى حريم الملك الأزرق فرأى في بناته بنتاً ما رأى أحسن منها وعليها بدلة تساوي ألف دينار وحولها مائة جارية ترفع أذيالها بكلاليب من الذهب ، وهي مثل القمر بين النجوم . فلما رأى غريب هذه البنت طاش عقله وحار فقال لبعض تلك الجواري : من تكون هذه الجارية ؟ فقالوا له : هذه كوكب الصباح بنت الملك الأزرق . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : ما أطيب حديثك وأحسنه وأحلاه وأعذبه . فقالت لها : وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 659

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما سأل بعض الجواري وقال : من هذه الجارية ؟ فقالوا له : هذه كوكب الصباح بنت الملك الأزرق . فالتفت غريب للملك مرعش وقال : يا ملك الجان ، مرادي أن أتزوّج بهذه البنت ؟ فقال له الملك مرعش : القصر وما فيه من الأموال والأولاد كسب يدك ، ولولا أنت عملت الحيلة حتى أهلكت برقان والملك الأزرق وقومهما لكانوا أهلكونا عن آخرنا ، فالمال مالك وأهله عبيدك . فشكره غريب على حسن كلامه وتقدّم إلى البنت ونظر إليها وحقّق النظر فيها فأحبها حبّاً شديداً ونسي فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم والترك والديلم ونسي مهدية . وكانت والدة هذه البنت بنت ملك الصين خطفها الملك الأزرق من قصرها وافتضّها فعلقت منه وجاءت بهذه البنت ، فمن حسنها وجمالها سمّاها كوكب الصباح وهي سيدة الملاح . فماتت أمها وهي بنت أربعين يوماً فربتّها القوابل والخدام حتى صار لها من العمر سبع عشرة سنة ، فجرى هذا الأمر وقتل أبوها وحبّها غريب حبّاً شديداً وصافحها ودخل عليها من ليلته فوجدها بكراً . وكانت تبغض أباها وقد فرحت بقتله وقد أمر غريب أن يهدم القصر الأبلق ، فهدموه وفرّقه غريب على الجان فناب غريباً

إحدى وعشرون الف طوبة من الذهب والفضة، ونابه من المال والمعادن ما لا يحصى ولا يعد. ثم إن الملك مرعشاً اخذ غريباً وفرّجه على جبل قاف وعجائبه وساروا قاصدين حصن برقان. فلما وصلوا إليه اخربوه وقسّموا امواله، وساروا إلى حصن مرعش فاقاموا فيه خمسة ايام وطلب غريب الرواح إلى بلاده. فقال مرعش: يا ملك الإنس، أنا أسير في ركابك حتى أوصلك إلى بلادك. فقال غريب: لا وحق الخليل إبراهيم ما اخليك تتعب سرّك ولم آخذ من قومك سوى الكيلجان والقورجان. فقال مرعش: يا ملك، خذ عشرة آلاف فارس من الجن يكونون معك في خدمتك. فقال غريب: ما آخذ إلاّ ما اخبرتك به. فأمر مرعش الف مارد أن يحملوا ما ناب غريباً من الغنيمة ويصحبوه إلى ملكه، وأمر الماردان الكيلجان والقورجان أن يكونا مع غريب ويطيعاه. فقالا: سمعاً وطاعةً. ثم قال غريب للمردة: احملوا أنتم المال وكوكب الصباح. وأراد غريب أن يرحل بركب جواده الطيار فقال مرعش: هذا الجواد يا اخي لا يعيش إلاّ في أرضنا وإن وصل إلى ارض الإنس مات، ولكن عندي جواد يجري وما يوجد له مثيل في أرض العراق وجميع الآفاق. ثم أمر بإحضار الجواد فأحضروه، فلما نظره غريب حال بينه وبين عقله ثم كبلوا الجواد وحمله الكيلجان وحمل القورجان ما أطاقه. ثم إن مرعشاً اعتنق غريباً وبكى على فراقه وقال له: يا أخي، إذا حصل لك ما لا طاقة لك به فارسل إليّ وأنا آتيك بعسكر يخربون الأرض وما عليها. فشكره غريب على معروفه وحسن إسلامه وسار الماردان بغريب والجواد يومين وليلة وقد قطعا مسيرة خمسين سنة حتى قربوا من مدينة عمان فنزلوا قريباً منها ليأخذوا الراحة. فالتفت غريب إلى الكيلجان وقال له: سرّ واكشف لي خبر قومي. فسار المارد ثم عاد وقال: يا ملك، إن على مدينتك عسكر الكفّار مثل البحر الزخار، وقومك تقاتلهم وقد دقوا طبول الحرب والجمرقان برز لهم إلى الميدان. فلما سمع غريب هذا الكلام صاح: الله أكبر. وقال: يا كيلجان شدّ لي الحصان وقدم عدتي والسنان، اليوم يظهر الفارس من الجبان في مقام الحرب والطعان. فقام الكيلجان وقد أحضر له ما طلب، فأخذ عدة الحرب وتقلّد بسيف يافث بن نوح وركب الجواد البحري وقصد العساكر والجنود. فقال الكيلجان والقورجان: أرح قلبك ودعنا نسير إلى الكفّار فنشتّتهم في البراري والقفار حتى لا يبقى منهم ديار ولا نافخ نار بعون الله العلي الجبّار. فقال لهم غريب: وحق الخليل إبراهيم ما أخليكم تقاتلون إلاّ وأنا على ظهر جوادي. وقد كان لمجيء هذه العساكر سبب عجيب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 660

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن غريباً لما قال للكيلجان: سر واكشف لي خبر قومي. فرجع وقال: إن على مدينتك عسكراً كثيراً. وكان السبب في مجيئهم أن عجيباً لما أتى بعسكر يعرب بن قحطان وحاصر المسلمين وخرج الجمرقان وسعدان وجاءهم الكيلجان والقورجان وكسروا عساكر الكفّار وهرب عجيب قال: يا قوم، إن رجعتم إلى يعرب بن قحطان وقد قتل قومه يقول: يا قوم، لولا أنتم ما قتل قومي. فيقتلنا عن آخرنا، والرأي عندي أن تسيروا إلى بلاد الهند وندخل على الملك طركنان فيأخذ بثارنا. فقال له قومه: سر بنا باركت النار فيك. فساروا أياماً وليالي حتى وصلوا إلى مدينة الهند، واستأذنوا في

الدخول على الملك طركنان . فاذن لعجيب في الدخول ، فدخل وقبّل الأرض ودعا له بدعاء الملوك وقال : يا ملك ، اجرني أجارتك النار ذات الشرر وحماك الدجى بالظلام المعتكر . فلما نظر ملك الهند إلى عجيب قال له : من انت ؟ وما تريد ؟ قال له : أنا عجيب ملك العراق ، وقد جار عليّ أخي وقد تبع دين الإسلام واطاعته العباد وقد ملك البلاد ، ولم يزل يطردني من ارض إلى ارض وها أنا أتيت إليك أستجير بك وبهمتك . فلما سمع ملك الهند كلام عجيب قام وقعد وقال : وحق النار لآخذنّ بثأرك ولا أدع أحداً يعبد غير النار . ثم إنه صاح على ولده وقال له : يا ولدي ، هيء حالك واذهب إلى العراق واهلك كل من فيها واربط الذين لا يعبدون النار وعذّبهم ومثّل بهم ولا تقتلهم واتني بهم عندي حتى اصنع في عذابهم انواعاً واذيقهم الهوان واتركهم عبرة لمن اعتبر في هذا الزمان . ثم اختار معه ثمانين الف مقاتل على الخيل وثمانين الف مقاتل على الزرافات وبعث معهم عشرة آلاف فيل ، كل فيل عليه تخت من الصندل مشبك بقضبان الذهب وصفائحه ومساميره من الذهب والفضة ، وفي كل تخت سرير من الذهب والزمرد . وارسل معهم تخوت السلاح ، في كل تخت ثمان رجال يقاتلون بسائر السلاح . وكان ابن الملك شجاع الزمان ما له في شجاعته نظير وكان اسمه رعد شاه ، وجهّز نفسه في عشرة أيام وساروا مثل قطع الغمام مدة شهرين من الزمان حتى وصلوا مدينة عمان وداروا حولها ، وعجيب فرحان ويظن أنه ينتصر . وقد خرج الجمرقان وسعدان وجميع الأبطال في حومة الميدان ودقّت الطبول وصهلت الخيول وأشرف على ذلك الكيلجان ورجع أخبر الملك غريب وركب كما ذكرنا وساق جواده ودخل بين الكفّار ينتظر من يبرز له ويفتح باب الحرب . فبرز سعدان الغول وطلب البراز ، فبرز له بطل من أبطال الهند فما أمهله سعدان في الثبات قدامه حتى ضربه بالعامود فهشّم عظمه وصار على الأرض ممدوداً . فبرز له ثانٍ فقتله وثالث فجندله ، ولم يزل سعدان يقتل حتى قتل ثلاثين بطلاً . فعند ذلك برز له بطل من الهند اسمه بطاش الأقران وكان فارس الزمان ، يعد بخمسة آلاف فارس في الميدان للحرب والطعان وهو عم الملك طركنان . فلما برز بطاش لسعدان قال له : يا شلح العرب ، هل بلغ من قدرك أن تقتل ملوك الهند وأبطالها وتأسر فرسانها ؟ اليوم آخر أيامك من الدنيا . فلما سمع سعدان هذا الكلام احمرّت عيناه وهجم على بطاش فضربه بالعمود فخابت الضربة ولف سعدان مع العمود فوقع على الأرض ، فما افاق إلاّ وهو مكتف مقيد فسحبوه إلى خيامهم . فلما نظر الجمرقان إلى صاحبه اسيراً قال : يا لدين الخليل إبراهيم ، ولكز جواده وحمل على بطاش الأقران فتجاولا ساعة ثم هجم بطاش على الجمرقان فجذبه من جلبات ذراعه واقتلعه من سرجه ورماه على الأرض فكتّفوه وسحبوه إلى خيامهم . ولم يزل بطاش يبرز له مقدم حتى أسر من المسلمين اربعة وعشرين مقدماً . فلما نظر المسلمون إلى ذلك ، اغتمّوا غمّاً شديداً . فلما نظر غريب ما حلّ بأبطاله ، سحب من تحت ركبته عموداً من الذهب وزنه مائة وعشرون رطلاً وهو عمود برقان ملك الجان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها اختها : ما احلى حديثك واطيبه واحلاه واعذبه . فقالت لها : وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وابقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 661

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك غريباً لما نظر ما حلّ بأبطاله، سحب عموداً من الذهب كان لبرقان ملك الجان ثم ساق جواده البحري فجرى تحته مثل هبوب الريح واندفع حتى صار في وسط الميدان وصاح : الله أكبر، فتح ونصر وخذل من كفر بدين إبراهيم الخليل . ثم حمل على بطاش وضربه بالعمود فوقع على الأرض . فالتفت نحو المسلمين ونظر إلى أخيه سهيم الليل وقال له : كتّف هذا الكلب . فلما سمع سهيم كلام غريب اندفع على بطاش فشدّ وثاقه وأخذه وصار أبطال المسلمين يتعجبون من ذلك الفارس وصار الكفّار يقولون لبعضهم : من هذا الفارس الذي خرج من بينهم وأسر صاحبنا؟ كل هذا وغريب يطلب البراز، فبرز له مقدّم من الهنود فضربه غريب بالعمود فوقع على الأرض ممدوداً، فكتّفه الكيلجان والقورجان وسلّماه إلى سهيم . ولم يزل غريب يأسر بطلاً بعد بطل حتى أسر اثنين وخمسين بطلاً مقدمين أعياناً وقد فرغ النهار، فدقوا طبول الإنفصال وطلع غريب من الميدان وقصد عسكر المسلمين وكان أول من لاقاه سهيم، فقبّل رجله في الركاب وقال له : لا شلّت يداك يا فارس الزمان فاخبرنا من أنت من الشجعان؟ فعند ذلك رفع البرقع الزرد عن وجهه فعرفه وقال سهيم : يا قوم، هذا ملككم وسيدكم غريب وقد أتى من أرض الجان . فلما سمع المسلمون بذكر ملكهم، رموا أرواحهم عن ظهور الخيل وقدموا إليه وقبّلوا رجليه في الركاب وسلموا عليه وفرحوا بسلامته ودخلوا به إلى مدينة عمان ونزل على كرسي مملكته ودار قومه حوله في غاية الفرح . ثم قدموا الطعام فأكلوا، وبعد ذلك حكى لهم جميع ما جرى له في جبل قاف من قبائل الجان . فتعجبوا غاية العجب وحمدوا الله على سلامته . وكان الكيلجان والقورجان لا يفارقان غريباً . ثم أمر غريب قومه بالإنصراف إلى مراقدهم فتفرّقوا إلى بيوتهم ولم يبقَ عنده إلاّ الماردان فقال لهما : هل تقدران انّ تحملاني إلى الكوفة لأتملى بحريمي وترجعا بي في آخر الليل؟ فقالا : يا مولانا هذا أهون ما طلبت . وكان بين الكوفة وعمان ستون يوماً للفارس المجدّ . فقال الكيلجان للقورجان : أنا أحمله في الذهاب وأنت تحمله في المجيء . فحمله الكيلجان وحاذاه القورجان، فما كان إلاّ ساعة حتى وصلوا الكوفة وعدلوا به إلى باب القصر فدخل على عمه الدامغ . فلما رآه قام له وسلم عليه ثم قال له : كيف حال زوجتي فخرتاج وزوجتي مهدية؟ قال : إنهما طيبتان بخير وعافية . ثم دخل الخادم فأخبر الحريم بمجيء غريب، ففرحوا وزلغطوا ووهبوا للخادم بشارته، ثم دخل الملك غريب فقاموا له وسلّموا عليه . ثم بعد ذلك تحدثوا وحضر الدامغ فحكى له ما جرى له مع الجن . فتعجب الدامغ والحريم ونام بقية الليل مع فخرتاج إلى أن قرب الفجر، فخرج إلى الماردين وودّع أهله وحريمه وعمه الدامغ ثم ركب ظهر القورجان وحاذاه الكيلجان فما انكشف الظلام إلاّ وهو في مدينة عمان، ولبس آلة حربه وكذلك قومه وأمر بفتح الأبواب، وإذا بفارس قد وصل من عسكر الكفّار ومعه الجمرقان وسعدان الغول والمقدمون المأسورون وقد خلصهم ثم سلّمهم لغريب ملك المسلمين . ففرح المسلمون بسلامتهم ثم تدرعوا وركبوا وقد دقوا كؤوس الحرب واعتلوا للطعن والضرب وركب الكفّار واصطفوا صفوفاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : ما أحسن هذا الحديث وأطيبه وأحلاه وأعذبه . فقالت : وأين هذا مما

أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 662

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن عسكر المسلمين لما ركبوا في الميدان للحرب والطعان فأول من فتح باب الحرب الملك غريب وسحب سيفه الماحق وهو سيف يافث بن نوح عليه السلام، وساق جواده بين الصفين ونادى : من عرفني فقد اكتفى شرّي ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا الملك غريب ملك العراق واليمن، أنا غريب أخو عجيب . فلما سمع رعد شاه ابن ملك الهند كلام غريب صاح على المقدمين وقال : ائتوني بعجيب . فأتوا به . فقال له : أنت تعلم بأن هذه الفتنة فتنتك وأنت كنت السبب فيها، وهذا أخوك في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان، فاخرج له وائتني به أسيراً حتى أركبه على جمل بالمقلوب وأمثل به حتى أصل إلى بلاد الهند . فقال له عجيب : يا ملك، أرسل له غيري فإني أصبحت ضعيفاً . فلما سمع رعد شاه كلامه شخر ونخر وقال : وحق النار ذات الشرر والنور والظل والحرور إن لم تخرج إلى أخيك وتأتني به سريعاً قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك . فخرج عجيب وساق جواده وقد شجّع قلبه وقارب أخاه في حومة الميدان وقال له : يا كلب العرب وأخسّ من دق طنب، أتضاهي الملوك؟ فخذ ما جاءك وابشر بموتك . فلما سمع الملك غريب هذا الكلام قال له : من أنت من الملوك؟ قال له : أنا أخوك فاليوم آخر أيامك من الدنيا . فلما تحقّق غريب أنه أخوه عجيب صاح وقال : يا لثأر أبي وأمي . ثم أعطى الكيلجان سيفه وحمل عليه وضربه بالدبوس ضربة جبار عنيد كادت أن تخرج أضلاعه وقبضه من أطواقه وجذبه فاقتلعه من سرجه وضرب به الأرض، فاندفع عليه الماردان وشدّا وثاقه ثم قاداه ذليلاً حقيراً . كل هذا وغريب قد فرح بأسر عدوّه وأنشد قول الشاعر : [من المتقارب]

بَلَغْتُ المُرادَ وزالَ العَنا	لَكَ الحَمْدُ والشُّكْرُ يا ربَّنا
نَشَأْتُ ذَليلاً فَقيراً حَقيراً	فأعْطانِيَ اللهُ كُلَّ المُنَى
مَلَكْتُ البِلادَ قَهَرْتُ العِبادَ	فَلَوْلاكَ ما كُنْتُ يا ربَّنا

فلما نظر رعدشاه ما حلّ بعجيب من أخيه غريب، دعا بجواده ولبس آلة حربه وجلبابه وخرج إلى الميدان وساق جواده إلى أن قارب الملك غريباً في مقام الحرب والطعان وصاح عليه وقال : يا أخس العرب وحمال الحطب، بلغ من قدرك أن تأسر الملوك والأبطال؟ فانزل عن جوادك وكتّف نفسك وقبّل رجلي وأطلق أبطالي وسر معي إلى ملكي وأنت مقيد مسلسل حتى أعفو عنك وأجعلك شيخ بلادنا تأكل فيها لقمة الخبز . فلما سمع غريب منه هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له : يا كلب، أكلب وذئب أجرب، سوف تنظر من تدور عليه الدوائر . ثم صاح على سهيم وقال له : ائتني بالأسارى . فأتاه بهم فضرب رقابهم . فعند ذلك حمل رعدشاه على غريب حملة صنديد وصدمه صدمة جبار عنيد ولم يزالا في كر وفر وصدام حتى هجم الظلام فدقوا طبول الإنفصال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : ما أحسن هذا الحديث وأطيبه وأحلاه وأعذبه . فقالت : وأين هذا مما أحدّثكم به الليلة

القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 663

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنهم لما دقوا طبول الإنفصال وافترقا من بعضهما ذهب كل ملك إلى موضعه فهنوهما بالسلامة . فقال المسلمون للملك غريب : ما هي عادتك يا ملك ان تطاول في القتال . فقال : يا قوم ، قاتلت الأبطال والأقيال فما رأيت أحسن ضرباً من هذا البطل ، وكنت أردت ان أسحب سيف يافث وأضربه فاهشّم عظامه وأفني أيامه ، ولكن طاولته ظناً مني أني آخذه اسيراً ويكون له حظ في الإسلام . هذا ما كان من أمر غريب . وأما ما كان من أمر رعدشاه فإنه دخل السرادق وجلس على سريره ودخل عليه كبراء قومه فسألوه عن خصمه فقال لهم : وحق النار ذات الشر ما رأيت عمري مثل هذا البطل وفي غد آخذه اسيراً واقوده ذليلاً حقيراً وباتوا إلى الصباح . فدقوا طبول الحرب واعتدوا للطعن والضرب وتقلّدوا الصفاح وأقاموا الصياح وركبوا الجرد القوارح وخرجوا من الخيام فملؤوا الأرض والآكام والبطاح والأماكن الفساح . وكان أول من فتح باب الحرب والطعان الفارس المقدام والأسد الضرغام الملك غريب ، فجال وصال وقال : هل من مبارز ؟ هل من مناجز لا يخرج لي اليوم كسلان ولا عاجز ؟ فما استتم كلامه حتى برز له رعدشاه وهو راكب على فيل كأنه قبة عظيمة ، وعلى ظهر الفيل تخت مخرّم بشرائط حرير ، والفيال راكب بين آذان الفيل وفي يده كلاب يضرب به الفيل ويهتز يميناً وشمالاً . فلما قرب الفيل من جواد غريب وقد نظر الجواد شيئًا ما رآه قط فجفل منه ، فنزل غريب عنه وسلّمه للكيلجان وسحب سيفه الماحق وتقدم نحو رعدشاه ماشيًا على أقدامه حتى صار قدام الفيل ، وكان رعدشاه إذا رأى نفسه مغلوباً مع بطل من الأبطال يركب في تخت الفيل ويأخذ معه شيئًا اسمه الوهق وهو في هيئة الشبكة واسع من أسفل وضيّق من فوق وفي ذيله حلق وفيه قنّب حرير ، فيقصد الفارس والفرس ويضعه عليهما ويسحب القنب فينزل عن الجواد راكبه فيأخذه اسيراً وقد قهر الفرسان بهذا الشان . فلما قارب غريب رفع يده بالوهق وفرشه على غريب فانتشر عليه وسحبه فصار عنده على ظهر الفيل ، وصاح على الفيل أن يرد إلى عسكره . وكان الكيلجان والقورجان ما يفارقان غريبًا ، فلما رأيا ما حلّ بصاحبهما امسكا الفيل ، كل هذا وغريب قد تمطع في الوهق فمزّقه وهجم الكيلجان والقورجان على رعدشاه وكتّفاه وقاداه في حبل ليف وقد حمل الناس على بعضهم كأنهم بحران يلتطمان أو جبلان يصطدمان ، والغبار قد طلع إلى عنان السماء وعاين العسكران العمى وقوي الحرب وسالت الدماء . ولم يزالوا في حرب شديد وطعن أكيد وضرب ما عليه من مزيد حتى ولّى النهار وأقبل الليل بالإعتكار ، فدقوا طبول الإنفصال وافترقوا من بعضهم . وكان المسلمون حاضرين في ذلك اليوم وقد قتل منهم جماعة كثيرة وجرح أكثرهم وذلك من ركاب الفيلة والزرافات ، فصعبوا على غريب فامر ان يداوى الجرحى والتفت إلى كبار جماعته وقال : ما عندكم من الرأي ؟ قالوا : يا ملك ، ما ضرّنا إلا الفيلة والزرافات فلو سلمنا منهم كنا غلبناهم . فقال الكيلجان والقورجان : نحن الإثنان نسحب سيوفنا ونهجم عليهم فنقتل أكثرهم . فتقدّم رجل من أهل عمان وكان صاحب رأي عند الجلند وقال : يا ملك ، ضمان هذا العسكر عليّ إذا طاوعتني وسمعت مني . فالتفت غريب إلى المقدمين وقال : مهما قاله لكم هذا المعلم فأطيعوه .

فقالوا : سمعاً وطاعة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 664

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الملك غريباً لما قال للمقدمين : كل ما قاله لكم هذا المعلم فاطيعوه . قالوا : سمعاً وطاعة . فاختار ذلك الرجل عشرة مقدمين وقال : ما تحت أيديكم من الأبطال ؟ فقالوا : عشرة آلاف بطل . فأخذهم ودخل دار السلاح فأعطى خمسة آلاف منهم بندقيات وعلّمهم كيفية الرمي بها . فلما لاح الفجر جهّز الكفار أرواحهم وقدموا الفيلة والزرافات ورجالهم حاملون السلاح الكامل ، وقدموا الوحوش وأبطالهم قدام العسكر ، وركب غريب وأبطاله واصطفوا صفوفاً ودقّت الكاسات وقدّمت السادات وتقدّم الوحوش والفيلة . فصاح الرجل على الرماة فاشتغلوا بالسهام والبندقيات فخرج النبل والرصاص فدخلت في اضلاع الوحوش ، فصاحت الوحوش وانقلبت على الأبطال والرجال وداستهم بأرجلها ثم هجم المسلمون على الكفار وأحاطوا بهم من الشمال إلى اليمين وداستهم الفيلة وشتتهم في البراري والقفار ، وسار المسلمون في اقفيتهم بالسيوف المهندة فما سلم من الفيلة والزرافات إلا القليل ورجع الملك غريب وقومه فرحين بالنصر ، فلما أصبحوا فرّقوا الغنائم وقعدوا خمسة أيام . ثم بعد ذلك جلس الملك غريب على كرسي المملكة وطلب اخاه عجيباً وقال له : يا كلب ، ما لك تحشد علينا الملوك والقادر على كل شيء ينصرني عليك ؟ فاسلم تسلم واترك لك ثار ابي وامي من اجل ذلك واجعلك ملكاً كما كنت واكون أنا من تحت يدك . فلما سمع عجيب كلام غريب قال له : ما افارق ديني . فجعله في قيد حديد ووكّل به مائة عبد شديد والتفت إلى رعدشاه وقال له : ما تقول في دين الإسلام . فقال : يا مولاي ، أنا أدخل في دينكم ولولا انه دين صحيح مليح ما غلبتونا . امدد يدك وانا اشهد ان لا إله إلا الله وان الخليل ابراهيم رسول الله . ففرح غريب بإسلامه وقال له : هل ثبتت في قلبك حلاوة الإيمان . قال : نعم يا مولاي . ثم قال له غريب : يا رعدشاه ، هل تمضي إلى بلادك وملكك ؟ فقال : يا ملك ، يقتلني أبي لأني خرجت من دينه . فقال غريب : انا أسير معك وأملكك الأرض حتى تطيعك البلاد والعباد بعون الله الكريم الجواد . فقبل يده ورجله . ثم انعم على صاحب الرأي الذي هو سبب انهزام العدو وأعطاه أموالاً كثيرة . والتفت إلى الكيلجان والقورجان وقال لهما : يا أرهاط الجن . قالا : لبيك . قال : مرادي ان تحملاني إلى بلاد الهند . فقالا : سمعاً وطاعة . فأخذ معه الجمرقان وسعدان وحملهما القورجان وحمل الكيلجان غريباً ورعدشاه وقصدا أرض الهند . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه . فقالت : وأين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا اقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 665

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الملك غريباً والجمرقان وسعدان الغول ورعدشاه لما حملهم المارادن وقصدا بهم ارض الهند وكان المسير وقت الغروب ، فما جاء آخر الليل إلا وهم في كشمير ، فأنزلاهم في قصر وانحدروا من سلالم القصر . وكان طركنان بلغه الخبر من المنهزمين بما جرى لابنه وعسكره وأنهم في هم عظيم وأن ابنه لا ينام ولا يلتذ بشيء ،

فصار متفكراً في أمره وما جرى له وإذا بالجماعة دخلوا عليه . فلما نظر الملك ابنه ومن معه بهت وأخذه الفزع من المردة والتفت اليه ابنه رعدشاه فقال له : إلى أين يا غدار يا عابد النار يا ويلك ، فاترك عبادة النار واعبد الملك الجبار خالق الليل والنهار الذي لا تدركه الأبصار . فلما سمع أبوه هذا الكلام ، كان معه دبوس حديد فرماه به فخلا عنه ووقع في ركن القصر فهدم ثلاثة أحجار وقال له : يا كلب ، أهلكت العساكر وضيّعت دينك وجئت تخرجني من ديني ؟ فتلقاه غريب ولكمه في عنقه فرماه ، فشدّ الكيلجان والقورجان وثاقه وهرب الحريم جميعًا . ثم إنه جلس على كرسي مملكته وقال لرعدشاه : أعدل أباك . فالتفت إليه وقال له : يا شيخ الضلال ، اسلم تسلم من النار ومن غضب الجبار . فقال طركنان : ما أموت إلا على ديني . فعند ذلك سحب غريب سيفه الماحق وضربه به فوقع على الأرض شطرين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . ثم امر بتعليقه على باب القصر فعلقوه وجعلوا شطراً يميناً وشطراً شمالاً وباتوا حتى فرغ النهار . فأمر غريب رعدشاه ان يلبس بدلة الملك ، فلبس وجلس على تخت أبيه وقعد غريب عن يمينه ووقف الكيلجان والقورجان والجمرقان وسعدان الغول يمينًا وشمالاً وقال لهم الملك غريب : كل من دخل من الملوك اربطوه ولا تخلوا مقدمًا ينفلت من أيديكم . فقالوا : سمعاً وطاعة . ثم بعد ذلك طلع المقدمون وقصدوا قصر الملك لأجل الخدمة ، فأول من طلع المقدم الكبير فنظر الملك طركنان معلّقا شطرين ، فاندهش وحار ولحقه الإنبهار فهمّ عليه الكيلجان وجذبه من أطواقه فرماه وكتفه ثم جذبه إلى داخل القصر ثم ربطه وسحبه . فما طلعت الشمس حتى ربط ثلاثمائة وخمسين مقدمًا وأوقفهم بين يدي غريب فقال لهم : يا قوم ، هل نظرتم ملككم وهو معلق على باب القصر ؟ فقالوا : من فعل به هذه الفعال ؟ فقال غريب : أنا فعلت به ذلك بعون الله تعالى ومن خالفني فعلت به مثله . فقالوا : ما تريد منا ؟ فقال : أنا غريب ملك العراق ، أنا الذي أهلكت ابطالكم وإن رعدشاه دخل في دين الإسلام وقد صار ملكاً عظيمًا وحاكمًا عليكم ، فاسلموا تسلموا ولا تخالفوا تندموا . فنطقوا بالشهادة وكتبوا من أهل السعادة . فقال غريب : هل صحت في قلوبكم حلاوة الإيمان ؟ قالوا : نعم . فامر بحلّهم فحلّوهم . فخلع عليهم وقال لهم : امضوا إلى قومكم واعرضوا عليهم الإسلام ، فمن أسلم فابقوه ومن أبى فاقتلوه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها اختها : ما احلى هذا الحديث واطيبه واعذبه . فقالت : وأين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا اقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 666

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان الملك غريباً لما قال لعسكر رعدشاه : امضوا إلى قومكم واعرضوا عليهم دين الإسلام فمن أسلم فابقوه ومن أبى فاقتلوه . فمضوا وجمعوا رجالهم الذين تحت أيديهم ويحكمون عليهم واعلموهم بما كان ثم عرضوا عليهم الإسلام فاسلموا إلا قليلاً فقتلوهم واخبروا غريباً بذلك . فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال : الحمد لله الذي هوّن علينا من غير قتال . واقام غريب في كشمير الهند اربعين يوماً حتى مهّد البلاد واخرب بيوت النار وأماكنها وبنى في مواضعها مساجد وجوامع . وقد حزم رعدشاه من الهدايا والتحف شيئًا كثيراً لا يوصف وارسله في المراكب . ثم ركب غريب على ظهر

الكيلجان وركب سعدان والجمرقان على ظهر القورجّان بعد ان ودّعوا بعضهم وساروا إلى آخر الليل . فما لاح الفجر إلا وهم في مدينة عمان، فتلقّاهم قومهم وسلّموا عليهم وفرحوا بهم . فلما وصل غريب إلى باب الكوفة أمر بإحضار اخيه عجيب فأحضروه وامر بصلبه . فأحضر له سهيم كلاليب من حديد وجعلها في عراقيبه وعلّقوه على باب الكوفة ثم امر برميه بالنبال، فرموه بها حتى صار كالقنفذ . ثم دخل الكوفة ودخل قصره وجلس على تخت ملكه فحكم ذلك اليوم حتى فرغ النهار، ثم دخل على حريمه فقامت له كوكب الصباح واعتنقته وكذلك الجواري هنينه بالسلامة . ثم اقام عند كوكب الصباح ذلك اليوم وتلك الليلة، فلما أصبح الصباح قام واغتسل وصلّى صلاة الصبح وجلس على سرير ملكه وشرع في عرس مهدية، فذبح ثلاثة الف راس من الغنم والفين من البقر والفا من المعز وخمسمائة من الجمال واربعة آلاف من الدجاج ومن الأرز كثيراً ومن الخيل خمسمائة، وكان هذا العرس لم يعمل مثله في الإسلام في ذلك الزمان . ثم دخل غريب على مهدية وازال بكارتها وقعد في الكوفة عشرة أيام ثم وصى عمه بالعدل في الرعية وسار بحريمه وأبطاله حتى وصل إلى مراكب الهدايا والتحف ففرّقها بجميع ما فيها واستغنت الابطال بالأموال . ولم يزالوا في سيرهم حتى وصلوا إلى مدينة بابل فخلع على اخيه سهيم الليل وجعله فيها سلطاناً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 667

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان الملك غريبًا لما خلع على أخيه سهيم خلعة وجعله سلطاناً فيها أقام عنده عشرة أيام ثم رحل . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى حصن سعدان الغول، فاستراحوا خمسة أيام . ثم إن غريبا قال للكيلجان والقورجان : امضيا إلى اسبانير المدائن وادخلا قصر كسرى واكشفا لي خبر فخرتاج وهاتيا لي رجلاً من أقارب الملك يخبرني بما جرى . فقالا : سمعًا وطاعة . ثم إنهما سارا الإثنان إلى اسبانير المدائن . فبينما هما سائران بين السماء والأرض وإذا هما بعسكر جرار مثل البحر الزاخر . فقال الكيلجان لقورجان : انزل بنا لنكشف خبر هذا العسكر . فنزلا ومشيا بين العساكر فوجداهم أعجاماً . فسألا بعض الرجال : مَن هذا العسكر؟ وإلى اين سائرون؟ فقالوا لهما : إلى غريب نقتله ونقتل كل من معه . فلما سمعا هذا الكلام توجّها إلى سرادق الملك المقدم عليهم وكان اسمه رستم، وصبرا حتى نام الأعجام في مراقدهم ونام رستم على تخته فحملوه بتخته وتجاوزا الحصن، فما جاء نصف الليل إلا وهم في خيام الملك غريب . فعند ذلك تقدّما إلى باب السرادق وقالا : دستور . فلما سمع غريب ذلك الكلام جلس وقال : ادخلوا . فدخلا بذلك التخت ورستم راقد عليه . فقال لهم غريب : من يكون هذا؟ فقالا : هذا ملك من ملوك العجم ومعه عسكر عظيم وقد أتى يريد قتلك أنت وقومك، وقد جئناك به ليخبرك عما تريد . فقال غريب : ائتوني بمائة بطل . فأتوا بهم . فقال : اسحبوا سيوفكم وقفوا على راس هذا العجمي . ففعلوا ما امرهم به ونبّهوه ففتح عينيه فوجد على رأسه قبة من سيوف . فغمض عينيه وقال : اي شيء هذا المنام القبيح؟ فوكزه الكيلجان بذباب السيف فقعد فقال له رستم : اين انا؟ فقال : انت في حضرة الملك غريب صهر ملك العجم، فما اسمك؟ وإلى اين تذهب . فلما سمع إسم غريب تفكّر وقال في نفسه : هل أنا نائم أم يقظان؟ فضربه سهيم وقال له : لم لا ترد الكلام . فرفع راسه وقال : من أتى بي من

خيمتي وأنا بين رجالي ؟ فقال غريب : جاء بك هذان الماردان . فلما نظر إلى الكيلجان والقورجان تغوط في لباسه . فهمّ عليه الماردان وقد كشّرا عن أنيابهما وسحبا سيوفهما وقالا له : أما تقدم تقبّل الأرض قدام الملك غريب ؟ فارتعب من الماردين وتحقّق انه غير نائم ، فوقف على اقدامه وقبّل الأرض وقال : باركت النار فيك وطال عمرك يا ملك . فقال غريب : يا كلب العجم ، النار ليست معبوداً لأنها تضر ولا تنفع إلا للطعام . فقال : فمن هو المعبود ؟ فقال غريب : المعبود الذي خلقك وصوّرك وخلق السموات والارض . فقال الأعجمي : فما أقول حتى أصير من حزب ذلك الرب وأدخل في دينكم ؟ فقال غريب : تقول : لا إله إلا الله ابراهيم خليل الله . فنطق بالشهادة فكتب من أهل السعادة وقال : أعلم يا مولاي أن صهرك الملك سابور طلب قتلك وقد بعثني في مائة ألف وأمرني أن لا أبقي منكم أحداً . فلما سمع غريب كلامه قال : أهذا جزائي حيث خلصت ابنته من الضيق ومن الردى ؟ ولكن يجازيه الله بما أضمره . ولكن فما اسمك ؟ قال : رستم مقدم سابور . فقال له غريب : وكذلك مقدم عسكري ثم قال له : يا رستم ، كيف حال الملكة فخرتاج . فقال له : تعيش رأسك يا ملك الزمان . فقال : ما سبب موتها ؟ قال : يا مولاي لما سرت إلى أخيك أتت جارية للملك سابور صهرك وقالت له : يا سيدي ، أأنت أمرت غريباً أن ينام عند سيدتي فخرتاج ؟ قال : لا وحق النار . ثم إنه سحب سيفه ودخل عليها وقال لها : يا خبيثة ، كيف خلّيت هذا البدوي ينام عندك ولا أعطاك مهراً ولا عمل عرساً . قالت له : يا أبت ، أنت أذنت له أن ينام عندي . فقال لها : هل قرب منك ؟ فسكتت وأطرقت رأسها إلى الأرض . فصاح على القوابل والجواري وقال لهن : كتفن هذه العاهرة وابصرن فرجها . فكتّفنها وأبصرن فرجها وقلن : يا ملك قد ذهبت بكارتها . فحمل عليها وأراد قتلها فقامت أمها ومنعت عنها وقالت : يا ملك ، لا تقتلها فتبقى معيرة ولكن احبسها في مخدع حتى تموت . فحبسها حتى هجم الليل فأرسلها مع اثنين من خواصه وقال لهما : ابعدا بها والقياها في بحر جيحون ولا تخبرا أحداً . ففعلا ما أمرهما وقد خفي ذكرها ومضى زمانها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 668

□ قالت : بلغني أيها الملك ، أن غريباً لما سأل عن فخرتاج أخبره رستم بخبرها وأن أباها غرّقها في البحر . فلما سمع غريب كلامه اسودّت الدنيا في عينيه وساءت أخلاقه وقال : وحق الخليل لأسيرنّ إلى هذا الكلب وأهلكه وأخرب دياره . ثم أرسل الكتب للجمرقان ولصاحب ميافارقين ولصاحب الموصل . ثم التفت إلى رستم وقال له : كم معك من العسكر ؟ فقال له : معي ألف من فرسان العجم . فقال له : خذ معك عشرة آلاف وسر إلى قومك وشاغلهم بالحرب وأنا على أثرك . فركب رستم في عشرة آلاف فارس من عسكره ثم سافر إلى قومه وقال في نفسه : إني أعمل عملاً يبيّض وجهي عند الملك غريب . فسار رستم سبعة أيام وقد قرب من عسكر العجم وبقي بينه وبينهم نصف يوم ، ففرق أربع فرق وقال لهم : دوروا حول العسكر واوقعوا فيهم السيف . فقالوا : سمعاً وطاعة . فركبوا من العشاء إلى نصف الليل حتى داروا حول العسكر وكانوا آمنين بعد فقد رستم من بينهم . فهجم عليهم المسلمون وصاحوا : الله أكبر . فقام الأعجام من النوم ودار فيهم الحسام وزلّت منهم الأقدام وغضب

عليهم الملك العلام وعمل فيهم رستم مثل عمل النار في الحطب اليابس، فما فرغ الليل إلا وعسكر العجم ما بين قتيل وهارب ومجروح، وغنم المسلمون الثقل والخيام وخزائن الأموال والخيل والجمال. ثم نزلوا في خيام الأعجام واستراحوا حتى أقبل الملك غريب ونظر ما فعل رستم وكيف دبر الحيلة وقتل الأعجام وكسر عسكرهم. فخلع عليه وقال له: يا رستم، أنت الذي كسرت العجم فجميع الغنيمة لك. فقبّل يد الملك وشكره واستراحوا يومهم ثم ساروا طالبين ملك العجم. ووصل المهزومون ودخلوا على الملكَ سابور وشكوا له الويل والثبور وعظائم الأمور. فقال لهم سابور: ما الذي دهاكم؟ ومن بشرّه رماكم؟ فحكوا له ما جرى وكيف هُجم عليهم في ظلام الليل. فقال سابور: ومن الذي هجم عليكم؟ فقالوا: ما هجم إلا مقدّم عسكرك لأنه أسلم وأما غريب فلم يأتنا. فلما سمع الملك بذلك رمى تاجه على الارض وقال: ما بقي لنا قيمة. ثم التفت إلى ولده وردشاه وقال: يا ولدي، ما لهذا الأمر إلا أنت. فقال وردشاه: وحياتك يا والدي لا بد من أن أجيء بغريب وكبراء قومه في الحبال وأهلك كل من كان معه. وأحصى عسكره فوجدهم مائتي ألف وعشرين ألفًا وباتوا على نية الرحيل. وقد أصبح الصباح وأرادوا أن يرحلوا وإذا هم بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وقد حجب أعين النظار. وكان الملك سابور راكباً لوداع ولده، فلما نظر إلى هذا العجاج العظيم صاح على ساع وقال: إكشف لي خبر هذا الغبار. فراح وعاد ثم قال: يا مولاي، قد أتى غريب وأبطاله. فعند ذلك حطّوا الأجمال واصطفّ الرجال للحرب والقتال. فلما أقبل غريب على اسبانير المدائن ونظر الأعجام وقد عزموا على الحرب والكفاح، ندب قومه وقال: احملوا باركت النار فيكم. فعندها هزّوا العلم وانطبقت العرب والعجم والأمم على الأمم وجرى الدم وانسجم وعاينت النفوس العدم وتقدّم الشجاع وهجم وولّى الجبان وانهزم. ولم يزالوا في حرب وقتال حتى ولّى النهار، فدقوا طبول الإنفصال وافترقوا من بعضهم وأمر الملك سابور أن ينصبوا الخيام على باب المدينة، وكذلك الملك غريب نصب خيامه قبال خيام الأعجام ونزل كل واحد في خيامه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 669

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عسكر الملك غريب وعسكر الملك سابور لما انفصلوا من بعضهم ذهب كل واحد إلى خيامه حتى أصبح الصباح، ثم ركبوا الجرد القراح وأقاموا الصياح وقد حملوا الرماح ولبسوا عدة الكفاح وتقدّم كل بطل جحجاح وليث وقاح. فأول من فتح باب الحرب رستم، فقدم جواده إلى وسط الميدان وصاح: الله أكبر. أنا رستم مقدم أبطال العرب والعجم، هل من مبارز؟ هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز؟ فبرز له طومان من العجم وحمل على رستم ورستم حمل عليه ووقع بينهما حملات منكرات، فوثب رستم على غريمه وضربه بعمود كان معه وزنه سبعون رطلا فخسف رأسه في صدره فوقع على الأرض قتيلاً وفي دمه غريقًا. فما هان ذلك على الملك سابور فأمر قومه بالحملة، فحملوا على المسلمين واستغاثوا بالشمس ذات الأنوار واستغاث المسلمون بالملك الجبار وتكاثر العجم على العرب وسقوهم كأس العطب. فعند ذلك صاح غريب وتقدم بهمته وسحب سيفه الماحق سيف يافث، وحمل على الأعجام. وكان الكيلجان

والقورجان بركاب الملك غريب، ولم يزل مكراً بسيفه حتى وصل إلى رافع العلم فضربه على راسه صفحًا فوقع في الأرض مغشيًا عليه، فأخذه الماردان إلى خيامهم . فلما نظرت الأعجام العلم قد وقع ولّوا هاربين وإلى أبواب المدينة طالبين . فتبعهم المسلمون بالسيوف حتى وصلوا إلى الأبواب وازدحموا فيها، فمات منهم خلق كثير ولم يقدروا على غلق الأبواب . فهجم رستم والجمرقان وسعدان وسهيم والدامغ والكيلجان والقورجان وجميع أبطال المسلمين وفرسان الموحدين على الأعجام والمارقين في الأبواب وجرى الدم من الكفار وفي الأزقة مثل التيار . فعند ذلك نادوا الأمان، فرفعوا السيف عنهم فرموا سلاحهم وعددهم وساقوهم سوق الغنم إلى خيامهم . وكان غريب قد رجع إلى سرادقه وقلع سلاحه ولبس ثياب العزّ بعدما اغتسل من دم الكفار وقعد على تخت ملكه وطلب ملك العجم فجاؤوا به وأوقفوه بين يديه . فقال له : يا كلب العجم ، ما حملك على ما فعلت بابنتك؟ كيف تراني لا أصلح لها بعلاً؟ فقال : يا ملك لا تؤاخذني بما فعلت فإني ندمت وما واجهتك بالقتال إلا خوفاً منك . فلما سمع غريب هذا الكلام أمر أن يصطحوه ويضربوه . ففعلوا ما أمرهم به حتى قطع الأنين ثم أدخلوه عند المحبوسين . ثم دعا بالأعجام وعرض عليهم الإسلام فأسلم منهم مائة وعشرون ألفا والباقي راحوا على السيف . وأسلم كل من في المدينة من الأعجام وركب غريب في موكب عظيم ودخل اسبانير المدائن وجلس على كرسي سابور ملك العجم ، وخلع ووهب وفرّق الغنيمة والذهب وفرّق على الأعاجم ، فأحبوه ودعوا له بالنصر والعز والبقاء . ثم إن أم فخرتاج تذكّرت بنتها وأقامت العزاء وامتلأ القصر بالصراخ والصياح . فسمعهم غريب فدخل عليهم وقال : ما خبركم ؟ فتقدمت أم فخرتاج وقالت له : يا سيدي ، إنك لما حضرت تذكّرت ابنتي وقلت : لو كانت طيبة كانت فرحت بقدومك . فبكى غريب عليها وجلس على تخته وقال : ائتوني بسابور . فأتوا به وهو يحجل في القيود فقال له : يا كلب العجم ، ما فعلت بابنتك؟ قال : أعطيتها لهذا وهذا وقلت لهما : غرقاها في بحر جيحون . فدعا غريب بالرجلين وقال لهما : هل ما ذكره هذا حق؟ قالا : نعم . ولكن يا ملك ما غرقناها بل شفقنا عليها وتركناها على شاطىء جيحون وقلنا لها : اطلبي النجاة لنفسك ولا ترجعي إلى المدينة فيقتلك ويقتلنا معك وهذا ما عندنا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 670

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الرجلين لما حكيا للملك غريب على قصة فخرتاج وقالا له : تركناها على شاطىء بحر جيحون . فلما سمع غريب منهم هذا، دعا بالمنجمين فحضروا . فقال لهم : اضربوا لي تخت رمل وانظروا حال فخرتاج هل هي في قيد الحياة أو ماتت؟ فضربوا تخت رمل وقالوا : يا ملك الزمان، ظهر لنا أن الملكة في قيد الحياة وقد جاءت بولد ذكر وهما عند طائفة من الجان ولكن تغيب عنك عشرين سنة، فاحسب كم لك في سفرتك؟ فحسب مدة الغيبة فكانت ثمان سنين فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وبعث رسلاً إلى القلاع والحصون التي في حكم سابور فأتوا طائعين . فبينما هو جالس في قصره إذ نظر غبارا ثار حتى سدّ الأقطار وأظلم الآفاق . فصاح على الكيلجان والقورجان وقال : ائتيان بخبر هذا الغبار . فسار الماردان ودخلا تحت الغبار وخطفا فارساً من الفرسان وأتيا به إلى غريب

وأوقفاه بين يديه وقالا له : إسأل هذا فإنه من العسكر . فقال له غريب : لمن هذا العسكر ؟ فقال : يا ملك ، إن هذا الملك وردشاه صاحب شيراز أتى يقاتلك . وكان السبب في ذلك ان سابور ملك العجم لما وقعت الوقعة بينه وبين غريب وجرى ما جرى ، قد هرب ابن الملك سابور في شرذمة من عسكر أبيه فسار حتى وصل إلى مدينة شيراز ودخل على الملك وردشاه وقبّل الأرض ودموعه نازلة على خدوده . فقال له : إرفع رأسك يا غلام وقل لي ما يبكيك ؟ فقال : يا ملك ، ظهر لنا ملك من العرب إسمه غريب أخذ ملك أبي وقتل الأعجام وسقاهم كأس الحمام . وحكى له ما جرى من غريب من أوله إلى آخره . فلما سمع وردشاه كلام ابن سابور قال : هل امرأتي طيبة ؟ فقال له : أخذها غريب . فعند ذلك قال : وحياة رأسي ما بقيت أبقي على وجه الأرض بدوياً ولا مسلماً . ثم كتب الكتب وأرسلها إلى نوابه فأقبلوا ، فعدّهم فوجدهم خمسة وثمانين ألفاً . ثم فتح الخزائن وفرّق على الرجال الدروع وآلات السلاح وسار بهم حتى وصلوا إلى اسبانير المدائن ونزلوا جميعهم قبال باب المدينة . فتقدم الكيلجان والقورجان وقبّلا ركبة غريب وقالا : يا مولانا ، اجبر قلوبنا واجعل هذا العسكر من قسمنا . فقال لهما : دونكما وإياهم . فعند ذلك طار الماردان حتى نزلا على سرادق وردشاه فوجداه على كرسي عزّه وابن سابور جالس على يمينه والمقدّمون حوله صفّان وهم يتشاورون على قتل المسلمين . فتقدم الكيلجان وخطف ابن سابور والقورجان خطف وردشاه وسارا بهما إلى غريب ، فأمر بضربهما حتى غابا عن الوجود . ثم عاد الماردان وسحبا سيفين ، كل سيف لا يقدر أحد أن يحمله ، وحطّا في الكفار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار . فلم تنظر الكفار سوى سيفين يلمعان ويحصدان الرجال حصد الزرع ولا يرون أحداً . ففاتوا خيامهم وساروا على مجرد الخيل ، فتبعاهم يومين وقد أفنيا منهم خلقا كثيراً ورجع الماردان فقبّلا يد غريب . فشكرهما على ما فعلا وقال لهما : غنيمة الكفار لكما وحدكما لا يشاركما فيها أحد . فدعوا له وانصرفا ولمّا أموالهما واطمأنا في أوطانهما . هذا ما كان من أمر غريب وقومه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 671

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً بعدما هزم عسكر وردشاه أمر الكيلجان والقورجان أن يأخذا أموالهم غنيمة ولم يشاركهما فيها أحد . فجمعا أموالهم وقعدا في أوطانهما . وأما الكفار فإنهم لم يزالوا في هزيمتهم حتى وصلوا إلى شيراز وأقاموا العزاء على من قتل منهم . وكان للملك وردشاه أخ اسمه سيران الساحر ، ليس في زمانه أسحر منه . وكان منعزلاً عن أخيه في حصن من الحصون كثير الأشجار والأنهار والأطيار والأزهار ، وكان بينه وبين مدينة شيراز نصف يوم . فسار القوم المنهزمون إلى الحصن ودخلوا على سيران الساحر وهم باكون صارخون . فقال لهم : ما أبكاكم يا قوم ؟ فأعلموه بالخبر وكيف خطف الماردان أخاه وردشاه وابن سابور . فلما سمع سيران هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال : وحق ديني لأقتلن غريباً ورجاله ولا أترك منهم دياراً ولا من يرد الأخبار . ثم إنه تلى كلمات وطلب الملك الأحمر فحضر فقال له : إمض إلى اسبانير المدائن واهجم على غريب وهو جالس على سريره . فقال له : سمعاً وطاعة . ثم إنه سار حتى وصل إلى الملك غريب . فلما رآه غريب سحب سيفه الماحق وحمل عليه ، وكذلك الكيلجان والقورجان وقصدا عسكر الملك الأحمر فقتلوا

منهم خمسمائة وثلاثين وجرحوا الملك الأحمر جرحاً بالغًا فولّى هارباً وولّى قومه مجروحين . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا حصن الفواكه ودخلوا على سيران الساحر وهم يدعون بالويل والثبور . فقالوا له : يا حكيم ، إن غريباً معه سيف يافث بن نوح المطلسم فكل من ضربه به قصمه ، ومعه ماردان من جبل قاف قد أعطاه إياهما الملك مرعش وهو الذي قتل برقان حين دخل جبل قاف وقتل الملك الأزرق وأفنى من الجن شيئًا كثيراً . فلما سمع الساحر كلام الملك الأحمر قال له : إمض . فمضى إلى حال سبيله . ثم إن الساحر عزم وأحضر ماردًا إسمه زعازع وأعطاه قدر درهم بنج طيار وقال : إمض إلى اسبانير المدائن واقصد قصر غريباً وتصوّر في صورة عصفور وارصده حتى ينام ولا يبقى عنده أحد ، فخذ البنج وحطّه في انفه وآتني به . فقال : سمعاً وطاعة . وسار حتى وصل إلى اسبانير المدائن وقصد قصر غريب وهو في صورة عصفور وقعد في طاقة من طيقان القصر وصبر حتى دخل الليل وذهبت الملوك إلى مراقدهم ونام غريب على تخته وصبر المارد حتى نام غريب ، فنزل وأخرج البنج المطحون وذرّه في انفه فخمدت انفاسه ، فلفّه في ملاية الفرش وحمله ومرق به مثل الريح العاصف . فما جاء نصف الليل إلا وهو في حصن الفواكه ودخل به على سيران الساحر . فشكره على فعله وأراد ان يقتله وهو في حالة تبنيجه فنهاه رجل من قومه عن قتله وقال له : يا حكيم إنك إن قتلته أخرب ديارنا الجان لأن الملك مرعش صاحبه يحمل علينا بكل عفريت عنده . قال له : وما نصنع به ؟ فقال : إرمه في جيحون وهو مبنج فلا يدري من رماه ويغرق ولا يعلم به احد . فأمر المارد ان يحمل غريباً ويرميه في جيحون . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 672

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المارد حمل غريبًا وأتى به إلى جيحون . فأراد أن يرميه في جيحون فلم يهن عليه ، فعمل رومس خشب وربطه بالحبال ودفع الرومس بغريب في التيار فأخذه التيار وراح . هذا ما كان من أمر غريب . وأما قومه فإنهم اصبحوا يقصدون خدمته فلم يجدوه ، ووجدوا سبحته على تخته وانتظروه أن يخرج فما خرج . فطلبوا الحاجب وقالوا له : أدخل الحريم وانظر الملك فإنه ما له عادة أن يغيب إلى هذا الوقت . فدخل الحاجب وسأل مَن في الحريم فقالوا له : من البارحة ما رأيناه . فرجع إليهم الحاجب وأخبرهم بذلك . فتحيّروا وقال بعضهم لبعض : ننظر ان يكون راح ليتنزه نحو البساتين . ثم إنهم سألوا البساتينية : هل الملك مرّ عليكم ؟ فقالوا : ما رأيناه . فاغتمّوا وفتّشوا جميع البساتين ورجعوا آخر النهار باكين ، وطاف الكيلجان والقورجان يفتشان عليه في المدينة فلم يعرفا له خبراً وعادا بعد ثلاثة أيام فلبس القوم السواد وشكوا لرب العباد الذي يفعل ما أراد . فهذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر غريب فانه صار ملقى على الرومس وهو يجري به في التيار خمسة أيام ، ثم قذفه التيار في البحر المالح فلعبت به الأمواج واختضّ باطنه فخرج منه البنج ، ففتح عينيه فوجد نفسه في وسط البحر والأمواج تلعب به فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا ترى من فعل بي هذا الفعل ؟ فبينما هو متحيراً في أمره وإذا بمركب سائرة ، فلوّح للركاب بكمه فأتوه وأخذوه ثم قالوا له : من تكون ؟ ومن اي البلاد انت ؟ فقال لهم : اطعموني واسقوني حتى تردّ لي روحي واقول لكم من انا . فأتوه بالماء والزاد ، فاكل

وشرب وردّ الله عليه عقله فقال: يا قوم، ما جنسكم؟ وما دينكم؟ فقالوا: نحن من الكرج ونعبد صنماً اسمه منقاش. فقال لهم: تباً لكم ولمعبودكم يا كلاب، ما يُعبد إلا الله الذي خلق كل شيء ويقول للشيء: كن فيكون. فعندها قاموا عليه بقوة وجنون وأرادوا القبض عليه وهو بلا سلاح، فصار كل من لكمه رماه وأعدمه الحياة. فبطح أربعين رجلاً فتكاثروا عليه وشدّوا وثاقه وقالوا: ما نقتله إلا في أرضنا حتى نعرضه على الملك. ثم ساروا حتى وصلوا إلى مدينة الكرج. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 673

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أهل المركب لما قبضوا على غريب وكتّفوه قالوا: ما نقتله إلا في أرضنا. ثم ساروا إلى مدينة الكرج، وكان الذي بناها عملاقاً جباراً وقد جعل على كل باب من أبوابها شخصاً من نحاس بالحكمة، فإذا دخل المدينة أحد غريب يصيح ذلك الشخص بالبوق فيسمعه كل من في المدينة، فيمسكونه ويقتلونه إن لم يدخل في دينهم. فلما دخل غريب صاح ذلك الشخص صيحة عظيمة وصرخ حتى أفزع قلب الملك، فقام ودخل على صنمه فوجد النار والدخان يخرجان من فيه وأنفه وعينيه وكان الشيطان دخل في الصنم ونطق على لسانه وقال: يا ملك قد وقع لك واحداً اسمه غريب وهو ملك العراق، وهو يأمر الناس أن يتركوا دينهم ويعبدوا ربّه. فإذا دخلوا عليك به فلا تبقه. فخرج الملك وجلس على تخته وإذا بهم قد دخلوا بغريب ثم أوقفوه بين يدي الملك وقالوا: يا ملك، قد وجدنا هذا الغلام كافراً بآلهتنا ووجدناه غريقاً وحكوا له حكايات غريب. فقال: اذهبوا به إلى بيت الصنم الكبير وانحروه أمامه لعله يرضى عنّا. فقال الوزير: يا ملك، نحره ما هو مليح فإنه يموت في ساعة. فقال: نحبسه ونجمع الحطب ونطلق فيه النار. فجمعوا الحطب وأطلقوا فيه النار إلى الصباح وخرج الملك وخرج أهل المدينة وأمروا بإحضار غريب، فذهبوا إليه ليحضروه فلم يجدوه فعادوا وأعلموا الملك بهروبه. فقال: وكيف هرب؟ قالوا: وجدنا السلاسل والقيود مرمية والأبواب مغلقة. فتعجب الملك وقال: هل هذا في السماء طار أو في الأرض غار؟ فقالوا: لا نعلم. ثم قال: أنا أمضي إلى إلهي وأسأله عنه فانه يخبرني أين مضى. ثم إنه قام وقصد الصنم ليسجد له فلم يجده، فصار يمعك عينيه ويقول: هل أنت نائم أم يقظان؟ والتفت إلى وزيره وقال: يا وزير، أين إلهي وأين الأسير؟ وحق ديني يا كلب الوزراء لو أنت أشرت عليّ بحرقه لكنت نحرته، فهو الذي سرق إلهي وهرب ولا بد أن آخذ ثأره. ثم سحب سيفه وضرب الوزير فقطع رقبته. وكان لرواح غريب والصنم سبب عجيب، وذلك أنه لما حبس غريباً في المخدع قعد بجانب القبة التي فيها الصنم، فقام غريب لذكر الله تعالى وطلب من الله عزّ وجلّ. فسمعه المارد الموكل بالصنم الناطق على لسانه فخشع قلبه وقال: يا خجلتاه من الذي يراني ولا أراه. ثم إنه تقدم إلى غريب وانكبّ على قدميه وقال له: يا سيدي، ما الذي أقول حتى أصير من حزبك وأدخل في ملتك؟ قال: تقول: لا إله إلا الله ابراهيم خليل الله. فنطق المارد بالشهادة فكتب من أهل السعادة. وكان اسم المارد زلزال بن المزلزل وأبوه من كبار ملوك الجان. ثم إنه حلّ غريباً من القيود وحمله الصنم وقصد الجو الأعلى. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 674

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن المارد لما حمل غريباً وحمل الصنم ، قصد الجو الأعلى . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الملك فإنه لما دخل يسأل الصنم عن غريب لم يجده وجرى ما جرى من أمر الوزير وقتله ، فلما رأى جند الملك ما جرى أنكروا عبادة الصنم وسحبوا سيوفهم وقتلوا الملك وحملوا على بعضهم ودار السيف بينهم ثلاثة أيام حتى افنوا بعضهم ولم يبق سوى رجلين . فتقوّى أحدهما على الآخر فقتله ، ووثب الصبيان على ذلك الرجل فقتلوه ودقوا في بعضهم حتى هلكوا عن آخرهم ، وهجمت النساء والبنات وقصدوا القرى والحصون وصارت المدينة خالية لم يسكنها إلا البوم . هذا ما جرى لهم . وأما ما كان من أمر غريب فإنه لمّا حمله زلزال بن المزلزل وقصد به بلاده وهي جزائر الكافور وقصر البلور والعجل المسحور . وكان الملك المزلزل عنده عجل أبلق قد ألبسه الحلى والحلل المنسوجة بالذهب الأحمر واتخذه إلهاً ، فدخل المزلزل يوما هو وقومه على عجله فوجده منزعجًا فقال له : يا الهي ، ما الذي أزعجك ؟ فصاح الشيطان في جوف العجل وقال : يا مزلزل ، إن ابنك صبا إلى دين الخليل ابراهيم على يد غريب صاحب العراق . ثم حدّثه بما جرى من أوله إلى آخره . فلما سمع كلام العجل خرج متحيّراً وجلس على كرسي مملكته وطلب أرباب دولته فحضروا ، فحكى لهم ما سمعه من الصنم . فتعجبوا من ذلك وقالوا : ما نفعل يا ملك ؟ قال : إذا حضر ولدي ورأيتموني أعتنقه فاقبضوا عليه . فقالوا : سمعاً وطاعة . ثم بعد يومين دخل زلزال على أبيه ومعه غريب وصنم ملك الكرج . فلما دخل من باب القصر هجموا عليه وعلى غريب وقبضوا عليهما وأوقفوهما قدام الملك المزلزل فنظر لابنه بعين الغضب وقال له : يا كلب الجان ، هل فارقت دينك ودين آبائك وأجدادك ؟ قال له : دخلت في دين الحق وانت يا ويلك ، فاسلم تسلم من غضب الملك الجبار خالق الليل والنهار . فغضب الملك على ولده وقال له : يا ولد الزنا ، أتواجهني بهذا الكلام ؟ ثم إنه أمر بحبسه فحبسوه . ثم التفت إلى غريب وقال له : يا قطاعة الإنس ، كيف لعبت بعقل ولدي واخرجته من دينه ؟ فقال غريب : اخرجته من الضلال إلى الهدى ومن النار إلى الجنة ومن الكفر إلى الإيمان . فصاح الملك على مارد إسمه سيار وقال له : خذ هذا الكلب وضعه في وادي النار حتى يهلك . وذلك الوادي من فرط حرّه والتهاب جمره كل من نزل فيه هلك ولا يعيش ساعة ، ومحيط بذلك الوادي جبل عال أملس ليس فيه منفذ . فتقدم الملعون سيار وحمل غريبًا وطار به وقصد الربع الخراب من الدنيا حتى صار بينه وبين الوادي ساعة واحدة ، وقد تعب العفريت بغريب فنزّله في وادي ذي أشجار وأنهار وأثمار . فلما نزل المارد وهو تعبان ، نزل غريب من على ظهره وهو مكبل . حين نام المارد من التعب وشخر ، فعالج غريب في قيده حتى حلّه واخذ حجراً ثقيلاً ولاقاه فوق رأسه فهشّم عظامه فهلك لوقته ومضى غريب في ذلك الوادي . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 675

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما قتل المارد مضى في ذلك الوادي فوجده في جزيرة في وسط البحر ، وتلك الجزيرة واسعة وفيها جميع الفواكه مما تشتهيه الشفة واللسان . فصار غريب يأكل من أثمارها ويشرب من انهارها ، ومضت عليه فيها السنون والأعوام وصار يأخذ من السمك ويأكل . ولم يزل على هذه الحالة منفردًا وحده سبع

سنين . فبينما هو ذات يوم جالس إذ نزل عليه من الجو ماردان ، مع كل مارد رجل ، وقد نظروا الى غريب فقالوا له : ما تكون يا هذا ؟ ومن أي القبائل انت ؟ وكان غريب قد طال شعره فحسبوه من الجن فسألوه عن حاله فقال لهم : ما انا من الجن . ثم اخبرهم بما جرى له من اوله إلى آخره . فحزنوا عليه فقال عفريت منهما : استمر مكانك حتى نؤدي هذين الخروفين إلى ملكنا يتغدى بواحد ويتعشّى بواحد ونعود إليك ونؤديك إلى بلادك . فشكرهما غريب وقال لهما : اين الخروفان اللذان معكما ؟ فقالا : هذان الآدميان . فقال غريب : استجرت بإله ابراهيم الخليل رب كل شيء وهو على كل شيء قدير . ثم إنهما طارا وقعد غريب ينتظر المارد . فبعد يومين أتاه ذلك المارد بكسوة فستره وحمله وطار به إلى الجو الأعلى حتى غاب عن الدنيا ، فسمع غريب تسبيح الملائك في الهواء فأصاب المارد منهم سهم من نار ، فهرب وقصد الأرض حتى بقي بينه وبين الأرض رمية رمح وقد قرب السهم منه وأدركه ، فنهض غريب ونزل عن كاهله ولحقه السهم فصار رماداً ولم يكن نزول غريب إلا في البحر ، فغطس مقدار قامتين وطلع . فعام ذلك اليوم وليلته وثاني يوم حتى ضعفت نفسه وأيقن بالموت . فما جاء اليوم الثالث إلا وقد يئس من الحياة ، فبان له جبل شامخ فقصده وطلعه ومشى فيه وتقوّت من نبات الأرض واستراح يوماً وليلة . ثم طلع من أعلى الجبل ونزل من خلفه وسار يومين فوصل إلى مدينة ذات أشجار وأنهار وأسوار وأبراج . فلما وصل إلى أبواب المدينة قام إليه البوابون وقبضوا عليه وأتوا به إلى ملكتهم . وكان اسمها جانشاه وكان لها من العمر خمسمائة سنة وكل من دخل مدينتها يعرضونه عليها فتأخذه وتراقده فلما يفرغ عمله تقتله ، وقد قتلت ناساً كثيراً . فلما أتوا بغريب إليها أعجبها فقالت له : ما اسمك ؟ وما دينك ؟ ومن أي البلاد أنت ؟ فقال : إسمي غريب ملك العراق وديني الإسلام . فقالت له : أخرج من دينك في ديني وأنا أتزوج بك وأجعلك ملكاً . فنظر غريب إليها بعين الغضب وقال لها : تباً لك ولدينك . صاحت عليه وقالت له : أتسبّ صنمي وهو من العقيق الأحمر مرصّع بالدر والجواهر ؟ ثم إنها قالت : يا رجال احبسوه في قبة الصنم لعله يلين قلبه . فحبسوه في قبة الصنم وقفلوا عليه الأبواب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 676

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنهم لما أخذوا غريباً وحبسوه في قبة الصنم وأغلقوا عليه الأبواب ومضوا إلى حال سبيلهم ، نظر غريب إلى الصنم وهو من العقيق الأحمر وفي عنقه قلائد الدر والجوهر ، فتقدّم غريب إلى الصنم وحمله وضرب به الأرض فصار هشيماً ونام حتى طلع النهار . فلما أصبح الصباح جلست الملكة على سريرها وقالت : يا رجال ائتوني بالأسير . فساروا إلى غريب وفتحوا القبة ودخلوا فوجدوا الصنم مكسوراً ، فلطموا على وجوههم حتى نزل الدم من آماق عيونهم ثم تقدّموا إلى غريب ليمسكوه ، فلكم منهم واحداً فمات وآخر فقتله حتى قتل خمسة وعشرين وهرب الباقي . فدخلوا على الملكة جانشاه وهم صارخون فقالت لهم : ما الخبر ؟ قالوا لها : إن الأسير كسر صنمك وقتل رجالك وأخبروها بما كان . فرمت تاجها على الأرض وقالت : ما بقي للأصنام قيمة . ثم إنها ركبت في الف بطل وقصدت بيت الصنم فوجدت غريباً قد خرج من القبة وقد أخذ سيفاً وصار يقتل الأبطال ويجندل الرجال . فنظرت جانشاه إلى غريب وشجاعته وغرقت في محبته وقالت : ليس لي حاجة

بالصنم وما مرادي إلا هذا الغريب يرقد في حضني بقية عمري . ثم إنها قالت لرجالها : ابعدوا عنه وانعزلوا . ثم إنها تقدّمت وهمهمت فوقف ذراع غريب وارتخت سواعده وسقط السيف من يده ، فمسكوه وكتفوه ذليلاً حقيراً متحيراً . ثم رجعت جانشاه وجلست على سرير ملكها وأمرت قومها بالإنصراف واختلت به في المكان فقالت له : يا كلب العرب ، أتكسر صنمي وتقتل رجالي ؟ فقال لها : يا ملعونة ، لو كان إلها لمنع عن نفسه ؟ فقالت له : ضاجعني وانا اترك لك ما صنعت . فقال لها : ما افعل شيئًا من ذلك . فقالت : وحق ديني لأعذبنك عذاباً شديداً . ثم إنها اخذت ماء وعزمت عليه ورشّته عليه فصار قرداً ، وصارت تطعمه وتسقيه ثم حبسته في مخدع ووكلت به من يقوم به سنتين . ثم دعته يومًا من الأيام فاحضرته إليها وقالت : اتسمع مني ؟ فقال لها برأسه : نعم . ففرحت وخلصته من السحر وقدمت له الأكل ، فأكل معها ولاعبها وقبلها فاطمأنت له . واقبل الليل فرقدت وقالت له : قم اعمل شغلك . فقال لها : نعم . ثم ركب على صدرها وقبض على رقبتها فكسرها ولم يقم عنها حتى خرجت روحها . ثم نظر إلى خزانة مفتوحة فدخلها فوجد فيها سيفاً مجوهراً ودرقة من الحديد الصيني ، فلبس كامل العدة وصبر إلى الصباح . ثم خرج ووقف على باب القصر فاقبل الأمراء وارادوا ان يدخلوا إلى الخدمة فوجدوا غريباً وهو لابس آلة الحرب . فقال لهم : يا قوم ، اتركوا عبادة الأصنام واعبدوا الملك العلام خالق الليل والنهار ربّ الآنام ومحي العظام وخالق كل شيء وهو على كل شيء قدير . فلما سمع الكفار ذلك الكلام هجموا عليه ، فحمل عليهم كأنه أسد كاسر فجال فيهم وقتل منهم خلقاً كثيراً . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 677

□ قالت : بلغني ؟أيها الملك السعيد ، ان غريباً لما حمل على الكفار قتل منهم خلقاً كثيراً ، وهجم الليل وهم يتكاثرون عليه وكلهم سعوا له وارادوا ان يأخذوه وإذا هو بألف مارد قد هجموا على الكفار بألف سيف ورئيسهم زلزال بن المزلزل وهو في أولهم . فأعملوا فيهم السيف البتار واسقوهم كاس البوار وعجل الله تعالى بأرواحهم إلى النار ، ولم يبقوا من قوم جانشاه من يرد الأخبار . فصاح الأعوان : الأمان الأمان . وآمنوا بالملك الديان الذي لا يشغله شان عن شان ، مبيد الأكاسرة ومفني الجبابرة ورب الدنيا والآخرة . ثم سلم زلزال على غريب وهناه بالسلامة . فقال له غريب : من اعلمك بحالي ؟ فقال : يا مولاي لما حبسني أبي وارسلك إلى وادي النار ، اقمت في الحبس سنتين ثم اطلقني . فاقمت بعد ذلك ثم عدت إلى ما كنت عليه ، فقتلت أبي وطاعتني الجنود ولي سنة وانا احكم عليهم . فنمت وأنت في خاطري فرأيتك في المنام وأنت تقاتل قوم جانشاه ، فاخذت هؤلاء الألف مارد واتيت إليك . فتعجب غريب من هذا الإتفاق ثم اخذ اموال جانشاه واموال قومه ونصب على المدينة حاكمًا ، وحملت المردة الأموال وغريباً وما باتوا ليلتهم إلا في مدينة زلزال ، واستضاف غريب عند زلزال ستة أشهر ثم أراد الرواح ، فأحضر زلزال الهدايا وبعث ثلاثة آلاف مارد فجاؤوا بالمال من مدينة الكرج ووضعوه على أموال جانشاه . ثم امرهم ان يحملوا الهدايا والأموال ، وحمل زلزال غريباً وقصدوا مدينة اسبانير المدائن . فما جاء نصف الليل إلا وهم فيها . فنظر غريب فرأى المدينة محصورة محيطاً بها عسكر جرار مثل البحر الزاخر فقال غريب لزلزال : يا أخي ، ما سبب هذه المحاصرة ؟

ومن أين هذا العسكر؟ ثم نزل غريب على سطح القصر ونادى: يا كوكب الصباح، يا مهدية. فقامتا من نومهما مدهوشتين وقالتا: من ينادينا في هذا الوقت؟ قال: أنا مولاكما غريب صاحب الفعل العجيب. فلما سمع السيدتان كلام مولاهما فرحتا، وكذلك الجواري والخدم. ونزل غريب فترامين عليه وزلغطن فدوى لهن القصر. فأتى المقدمون من مراقدهم وقالوا: ما الخبر؟ وطلعوا القصر وقالوا للطواشية: هل ولدت واحدة من الجواري؟ قالوا: لا، ولكن أبشروا فقد وصل إليكم الملك غريب. ففرح الأمراء وسلّم غريب على الحريم وخرج إلى أصحابه فتراموا عليه وقبلوا يديه ورجليه وحمدوا الله تعالى وأثنوا عليه. وقعد غريب على سريره ونادى أصحابه فحضروا وجلسوا حوله. فسألهم عن العسكر النازلين عليهم فقالوا: يا ملك، إن لهم ثلاثة أيام من حين نزلوا علينا ومعهم جن وإنس وما ندري ما يريدون وما وقع بيننا وبينهم قتال ولا كلام. فقال غريب: غداً نبعث إليهم كتاباً وننظر ما يريدون. ثم قالوا: وملكهم إسمه مرادشاه وتحت يده مائة ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ومائتان من أرهاط الجان. وكان لمجيء هذا العسكر سبب عظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 678

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنه كان لمجيء هذا العسكر ونزوله على مدينة اسبانير سبب عظيم. وذلك أنه لما بعث الملك سابور ابنته مع اثنين من قومه وقال لهم: غرّقاها في جيحون. فخرجا بها وقالا لها: إمضي إلى حال سبيلك ولا تظهري لأبيك فيقتلنا ويقتلك. فهجت فخرتاج وهي حيرانة لا تعرف أين تتوجه وقالت: أين عينك يا غريب تنظر حالي والذي أنا فيه؟ ولم تزل سائرة من أرض إلى أرض ومن واد إلى واد حتى مرت بواد كثير الأشجار والأنهار وفي وسْطه حصن مبني، عالي البنيان مشيد الأركان كأنه روضة من الجنان. فتنحت فخرتاج إلى الحصن ودخلته فوجدته مفروشًا بالبسط الحرير وفيه من أواني الذهب والفضة شيء كثير، ووجدت فيه مائة جارية من الجواري الحسان. فلما نظرت الجواري فخرتاج، قمن إليها وسلمن عليها وهن يحسبن أنها من جواري الجن. فسألنها عن حالها فقالت لهن: أنا بنت ملك العجم. وحكت لهم ما جرى لها. فلما سمعت الجواري هذا الكلام حزن عليها، ثم إنهن طيبن قلبها وقلن لها: طيبي نفساً وقري عيناً ولك ما تأكلين وما تشربين وما تلبسين وكلنا في خدمتك. فدعت لهن. ثم إنهن قدمن إليها الطعام فأكلت حتى اكتفت. وقالت فخرتاج للجواري: ومن صاحب هذا القصر والحاكم عليكم؟ قالوا: سيدنا الملك صلصال بن دال وهو يأتي في كل شهر ليلة ويصبح متوجهاً ليحكم في قبائل الجان. فأقامت عندهن فخرتاج خمسة أيام فوضعت ولداً ذكراً مثل القمر، فقطعن سرّته وكحلن مقلته وسمّينه مرادشاه. فتربى في حجر أمه وعن قليل أقبل الملك صلصال وهو راكب على فيل أبيض قرطاسي قدر البرج المشيد، وحوله طوائف الجان. ثم دخل القصر وتلقته المائة جارية وقبلن الأرض ومعهن فخرتاج. فنظر الملك فقال لجواريه: من تكون هذه الجارية؟ فقالوا له: بنت سابور ملك العجم والترك والديلم. فقال: من أتى بها إلى هذا المكان؟ فحكين له ما جرى لها. فحزن عليها وقال: لا تحزني واصبري حتى تربي ولدك ويكبر، ثم إني أسير إلى بلاد العجم واقطع رأس أبيك من بين أكتافه وأجلس لك ولدك على تخت العجم والترك والديلم. فقامت

فخرتاج وقبلت يديه ودعت له وقعدت تربي ولدها مع أولاد الملك، وصاروا يركبون الخيل ويسيرون إلى الصيد والقنص. فتعلّم صيد الوحش وصيد السباع الضارية ويأكل من لحومها حتى صار قلبه من الحجر. فلما صار له من العمر خمسة عشر عاماً كبرت عنده نفسه فقال لأمه: يا أماه، ومن هو أبي؟ فقالت: يا ولدي أبوك غريب ملك العراق وأنا بنت ملك العجم. ثم إنها حكت له ما جرى. فلما سمع كلامها قال: وهل أمر جدي بقتلك وقتل أبي؟ قالت: نعم. فقال لها: وحق ما لك عليّ من التربية لأسيرن إلى مدينة أبيك وأقطع رأسه وأقدمها إلى حضرتك. ففرحت بقوله. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 679

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مرادشاه بن فخرتاج صار يركب مع المائتي مارد حتى إنه تربّى معهم وصاروا يشنّون الغارات ويقطعون الطرقات. ولم يزالوا في سيرهم حتى أشرفوا على بلاد شيراز، فهجموا عليها وهجم مرادشاه على قصر الملك فرمى رأسه وهو على تخته وقتل من جنده خلقًا كثيراً وصاح الباقي باللسان: الأمان الأمان. ثم إنهم قبّلوا ركبة مرادشاه، فعدّهم فوجدهم عشرة آلاف فارس. فركبوا في خدمته ثم ساروا إلى بلح فقتلوا ملكها وأهلكوا جندها وتملكوا أهلها وساروا إلى نورين. وقد سار مرادشاه في ثلاثين ألف فارس، وقد خرج إليهم صاحب نورين طائعاً وقدم إليهم الأموال والتحف وركب في ثلاثين ألف فارس وساروا قاصدين مدينة سمرقند العجم. فأخذوها وساروا إلى أخلاط فأخذوها. ثم ساروا ولم يصلوا إلى مدينة إلا أخذوها وقد صار مرادشاه في جيش عظيم، والذي يأخذه من الأموال والتحف من المدائن يفرّقه على الرجال، فحبّوه لأجل شجاعته وكرمه. وقد وصل إلى اسبانير المدائن فقال: اصبروا حتى أحضر باقي عسكري وأقبض على جدي وأحضره قدام أمي وأشفي قلبها بضرب عنقه. ثم إنه أرسل من يجيء بها. فلأجل هذا لم يحصل القتال ثلاثة أيام، وقد وصل غريب ومعه زلزال في أربعين ألف مارد حاملين الأموال والهدايا وسأل عن العسكر النازلين فقالوا: لا نعلم من أين هم، ولهم ثلاثة أيام لم يقاتلونا ولم نقاتلهم. ووصلت فخرتاج فاعتنقها ولدها مرادشاه وقال لها: اقعدي في خيمتك حتى أجيء لك بأبيك. فدعت له بالنصر من ربّ العالمين ربّ السموات وربّ الأرضين. فلما أصبح الصباح ركب مرادشاه والمائتا مارد على يمينه وملوك الإنس على شماله ودقوا طبول الحرب، فسمع غريب فركب وخرج ودعا قومه للحرب ووقفت الجن على يمينه والإنس على يساره. فبرز مرادشاه وهو غارق في عدة الحرب فساق جواده يميناً وشمالاً ثم نادى: يا قوم، لا يبرز لي إلا ملككم، فإن قهرني كان هو صاحب العسكرين وإن قهرته قتلته مثل غيره. فلما سمع غريب كلام مرادشاه قال: إخسأ يا كلب العرب. ثم حملا على بعضهما وتطاعنا بالرماح حتى تكسّرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت. ولم يزالا في كرّ وفرّ وقُرب وبُعد حتى انتصف النهار وقد وقعت الخيل من تحتهما فنزلا على الأرض وقد قبضا بعضهما. فعند ذلك هجم مرادشاه على غريب وخطفه وعلقه وأراد أن يضرب به الأرض فقبض غريب على أذنيه وجذبهما بشدّة، فحسّ مرادشاه أن السماء انطبقت على الأرض فصاح بملء فمه وقال: أنا في جيرتك يا فارس الزمان فكتّفه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 680

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن غريباً لما قبض على اذني مرادشاه وجذبهما فقال له : انا في جيرتك يا فارس الزمان فكتّفه. فأراد المردة أصحاب مرادشاه أن يهجموا ويخلّصوه، فحمل غريب بألف مارد وأرادوا أن يبطشوا بمردة مرادشاه فصاحوا : الأمان الأمان ورموا سلاحهم. فجلس غريب في سرادقه وكان من الحرير الأخضر مطرزاً بالذهب الاحمر مكللاً بالدر والجوهر، ثم دعا بمرادشاه فأحضروه بين يديه وهو يحجل في القيود والأغلال. فلما نظر مرادشاه إلى غريب أطرق براسه إلى الأرض من الحياء. فقال له غريب : يا كلب العرب، أي شيء وصفك حتى تركب وتضاهي الملوك؟ فقال : يا مولاي لا تواخذني فإني معذور. قال له غريب : ما وجه عذرك؟ قال مرادشاه : يا مولاي أعلم اني قد خرجت آخذ ثار أبي وأمي من سابور ملك العجم فإنه أراد قتلهما، فسلمت أمي وما أدري هل قتل أبي أم لا؟ فلما سمع غريب كلامه قال : والله إنك معذور، فمن هو أبوك ومن هي أمك وما اسم أبيك وما اسم أمك؟ فقال : إسم أبي غريب ملك العراق، واسم أمي فخرتاج بنت سابور ملك العجم. فلما سمع غريب كلامه صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فرشوا عليه ماء الورد. فلما افاق قال له : هل أنت ابن غريب من فخرتاج؟ قال : نعم. قال غريب : أنت فارس ابن فارس، حلّوا القيود عن ولدي. فتقدم سهيم والكيلجان وحلا مرادشاه واحتضن ولده وأجلسه في جانبه وقال له : أين أمك؟ قال : هي عندي في خيمتي. قال : ائتني بها. فركب مرادشاه إلى خيامه فتلقاه أصحابه وفرحوا بسلامته وسألوه عن حاله فقال : ما هذا وقت سؤال؟ ثم إنه دخل على أمه وحدّثها بما جرى. ففرحت فرحًا شديداً وأتى بها إلى أبيه فتعانقا وفرحا ببعضهما. وأسلمت فخرتاج وأسلم مرادشاه وعرضا على عسكرهما الإسلام فاسلموا جميعاً قلباً ولساناً وفرح غريب بإسلامهم. ثم احضر الملك سابور ووبّخه على فعاله هو وولده وعرض عليهما الإسلام فأبيا، فصلبهما على باب المدينة. وزينوا المدينة وفرح أهل المدينة وزينوها والبسوا مرادشاه التاج الكسروي وجعلوه ملك العجم والترك والديلم. وبعث الملك غريب عمه الملك الدامغ ملكاً على العراق وقد أطاعته كل البلاد والعباد وقعد غريب في مملكته يعدل في الرعية وقد أحبه الخلق أجمعون. ولم يزالوا في ارغد عيش إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات. فسبحان من يدوم عزّه وبقاؤه وعلى خلقه جلت الاؤه. وهذا ما بلغنا من حكاية غريب وعجيب.

57 - حكاية عتبة وريّا

وحكي أيضا أن عبد الله بن معمر القيسي قال : حججت سنة إلى بيت الله الحرام، فلما قضيت حجي عدت إلى زيارة قبر النبي ﷺ. فبينما أنا ذات ليلة جالس في الروضة بين القبر والمنبر إذ سمعت أنيناً رقيقاً بصوت رخيم. فانصت إليه وإذا هو يقول :[من الكامل]

أَشْجاكَ نَوْحُ حَمائِمِ السِّدْرِ ... فَأَهاجَ مِنْكَ بَلابِلَ الصَّدْرِ
أَمْ ساءَ حالَكَ ذِكْرُ غانِيَةٍ ... أَهْدَتْ إِلَيْكَ وَساوِسَ الفِكْرِ
يا لَيْلَةً طالَتْ عَلى دَنِفٍ ... يَشْكُو الغَرامَ وقِلَّةَ الصَّبْرِ

أَسْهَرْتَ مَنْ يُصْلَى بِحَرِّ جَوًى مُتَوَقِّدٌ كَتَوَقُّدِ الجَمْرِ
فالبَدْرُ يَشْهَدُ أَنَّنِي كَلِفٌ صَبٌّ بِحُبِّ شَبِيهَةِ البَدْرِ
ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّنِي كَلِفٌ حَتَّى بُلِيتُ وكُنْتُ لا أَدْرِي

ثم انقطع صوته ولم أدر من أين جاءني فبقيت حائراً وإذا به أعاد الأنين وأنشد يقول : [من الكامل]

أَشْجاكَ مِنْ ريّا خَيالٌ زائِرُ والليْلُ مُسْوَدُّ الذَّوائِبِ عاكِرُ
واعْتادَ مُقْلَتَكَ الْهَوَى بِسُهادِهِ واهْتاجَ مُهْجَتَكَ الخَيالُ الزّائِرُ
نادَيْتُ لَيْلِي والظَّلامُ كأنَّهُ بَحْرٌ تَلاطَمَ فِيهِ مَوْجٌ زاخِرُ
يا لَيْلُ طُلْتَ عَلى مُحِبٍّ ما لَهُ إلا الصَّباحُ مُساعِدٌ ومُؤازِرُ
فأجابَنِي لا تَشْكُوَنَّ إطالَتِي إنَّ الهَوَى لَهْوَ الْهَوانُ الحاضِرُ

قال : فنهضت إليه عند ابتداء الأبيات أقصد جهة الصوت فما انتهى إلى آخر الأبيات إلا وأنا عنده ، فرأيت غلاماً في غاية الجمال لم ينبت عذاره وقد خرق الدمع من وجنتيه خرقين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 681

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عبد الله بن معمر القيسي قال : فنهضت عند ابتداء الأبيات أقصد جهة الصوت فما انتهى إلى آخر الأبيات إلا وأنا عنده ، فرأيت غلاماً لم ينبت عذاره وقد خرق الدمع من وجنتيه خرقين . فقلت له : نعمت غلاماً؟ فقال : وأنت فمن الرجل ؟ قلت : عبد الله بن معمر القيسي . قال : أفلك حاجة؟ قلت له : كنت جالساً في الروضة فما راعني هذه الليلة إلا صوتك فبنفسي أفديك ما الذي تجده؟ قال : إجلس فجلست . قال : أنا عتبة بن الجبان بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، عدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راكعاً وساجداً ثم اعتزلت أتعبد وإذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت : يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك؟ ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبراً ولا وقعت لها على أثر وها أنا حيران أنتقل من مكان إلى مكان ، ثم صرخ وانكب على الأرض مغشيا عليه . ثم أفاق كأنما صبغت ديباجة خديه بورس وأنشأ يقول هذه الأبيات : [من الطويل]

أَراكُمْ بِقَلْبِي مِنْ بِلادٍ بَعِيدَةٍ تُراكُمْ تَرَوْنِي بالقُلُوبِ على بُعْدِ
فُؤادي وطَرْفِي يأسَفانِ عَلَيْكُمُ وعِنْدَكُمُ رُوحِي وذِكْرُكُمُ عِنْدِي
ولَسْتُ أَلَذُّ العَيْشَ حَتَّى أَراكُمُ ولَوْ كُنْتُ في الفِرْدَوْسِ أَوْ جَنَّةِ الخُلْدِ

فقلت له : يا عتبة يا ابن أخي ، تب إلى ربك واستغفر من ذنبك فإن بين يديك هول الموقف . فقال : هيهات ما أنا سال حتى يؤوب القارظان . ولم أزل معه حتى طلع الفجر فقلت له : قم بنا إلى المسجد . فجلسنا فيه حتى صلينا الظهر وإذا بالنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن : يا عتبة ، ما ظنك بطالبة وصلك؟ قال : وما بالها؟ قلن : أخذها أبوها وارتحل إلى

السماوة. فسألتهن عن اسم الجارية فقلن: ريّا بنت الغطريف السليمي. فرفع رأسه وأنشد هذين البيتين: [من الطويل]

خَلِيلَيَّ رَيّا قَدْ أَجَدَّ بُكُورُها وسارَتْ إلى أَرْضِ السَّماوَةِ عِيرُها
خَلِيلَيَّ إِنِّي قَدْ غُشِيتُ مِنَ البُكا فَهَلْ عِنْدَ غَيْرِي عَبْرَةٌ أَسْتَعِيرُها

فقلت له: يا عتبة إني وردت بمال جزيل أريد به ستر أهل المروة، والله لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى، فقم بنا إلى مجلس الأنصار. فقمنا حتى أشرفنا على ملائهم فسلمت عليهم فأحسنوا الردّ ثم قلت: أيها الملأ ما تقولون في عتبة وأبيه؟ فقالوا: من سادات العرب. قلت: اعلموا أنه رمى بداهية الهوى، فأريد منكم المساعدة إلى. السماوة قالوا: سمعاً وطاعة. فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على مكان بني سليم. فعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادراً واستقبلنا وقال: حييتم يا كرام. فقلنا له: وأنت حييت إنّا لك أضياف. فقال: نزلتم بأكرم منزل رحب. فنزل ثم نادى: يا معشر العبيد انزلوا. فنزلت العبيد وفرشت الأنطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم. فقلنا: نحن لا نذوق طعامك حتى تقضي حاجتنا. قال: وما حاجتكم؟ قلنا: نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الجبان بن المنذر العالي الفخر الطيب العنصر. فقال: يا إخواني، إن التي تخطبونها أمرها لنفسها وأنا أدخل وأخبرها. ثم نهض مغضباً ودخل إلى ريا فقالت: يا ابت ما لي أرى الغضب بايناً عليك؟ فقال: ورد عليّ قوم من الأنصار يخطبونك مني. فقالت: سادات كرام، استغفر لهم النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فلمن الخطبة فيهم؟ فقال لها: لفتى يُعرف بعتبة بن الجبان. قالت: سمعت عتبة هذا إنه يفي بما وعد ويدرك ما طلب. فقال: اقسمت لا ازوّجنك به ابدًا فقد نما إليّ بعض حديثك معه. قالت: ما كان ذلك، ولكن اقسمت أن الأنصار لا يردّون مردًا قبيحًا فاحسن لهم الردّ. قال: بأي شيء؟ قالت: أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون. قال: ما أحسن ما قلت. ثم خرج مبادراً فقال: إن فتاة الحي قد أجابت ولكن تريد لها مهر مثلها، فمن القائم به؟ قال: عبد الله. فقلت: أنا. قال: أريد لها ألف أسورة من الذهب الأحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الأبراد والحبر وخمسة أكرشة من العنبر. قال: قلت لك ذلك فهل أجبت؟ قال: أجبت. فأنفذ عبدالله نفراً من الأنصار إلى المدينة المنورة فأتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام. قال: فأقمنا على هذا الحال أربعين يومًا ثم قال: خذوا فتاتكم. فحملناها على هودج وجهّزها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودّعنا وانصرف وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة. ثم خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب أنها من بني سليم، فحمل عليها عتبة بن الجبان فقتل عدة رجال وانحرف وبه طعنة ثم سقط إلى الأرض، وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنّا الخيل وقد قضى عتبة نحبه. وقلنا: واعتبتاه. فسمعت الجارية ذلك فألقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح بحرقة وتقول هذه الأبيات: [من الطويل]

تَصَبَّرْتُ لا كَوْني صَبَرْتُ وإنَّما أُعَلِّلُ نَفْسِي أَنَّـها بِكَ لاحِقَهْ
ولَوْ أَنْصفَتْ رُوحِي لكانَتْ إلى الرَّدَى أَمامَكَ مِنْ دُونِ البَرِيَّةِ سابِقَهْ
فَما أَحَدٌ بَعْدِي وبَعْدَكَ مُنْصِفٌ خَلِيلاً ولا نَفْسٌ لِنَفْسٍ مُوافِقَهْ

ثم شهقت شهقة واحدة وانقضى نحبها. فحفرنا لهما قبراً واحداً وواريناهما في التراب ورجعت إلى ديار قومي وأقمت سبع سنين ثم عدت إلى الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة فقلت: والله لأعودن إلى قبر عتبة. فأتيت إليه فإذا هو عليه شجرة عالية عليها عصائب حمر وصفر وخضر. فقلت لأرباب المنزل: ما يقال لهذه الشجرة؟ فقالوا: شجرة العروسين. فأقمت عند القبر يومًا وليلة وانصرفت. وكان آخر العهد به رحمه الله تعالى.

58- حكاية طلاق هند بنت النعمان

وحكي أيضا أن هنداً بنت النعمان كانت أحسن نساء زمانها. فوصف للحجاج حسنها وجمالها فخطبها وبذل لها مالاً كثيراً وتزوّج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم، فلما دخل بها مكث معها مدة طويلة. ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر وجهها في المرآة وتقول: [من الطويل]

وما هِنْدُ إلا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سُلالَةُ أَفْراسٍ تَحَلَّلَها بَغْلُ
فإنْ وَلَدَتْ أُنثى فَلِلّهِ دَرُّها وإنْ وَلَدَتْ بَغْلاً فَجاءَ بِهِ البَغْلُ

فلما سمع الحجاج ذلك انصرف راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به، فأراد الحجاج طلاقها فبعث إليها عبدالله بن طاهر يطلّقها. فدخل عبدالله بن طاهر عليها فقال لها: يقول لك الحجاج أبو محمد، كان تأخر لك عليه من الصداق مائتا ألف درهم وهي هذه حضرت معي ووكّلني في الطلاق. فقالت: أعلم يا ابن طاهر أننا كنا معًا والله ما فرحت به يومًا قط، وإن تفرقنا والله لا أندم عليه أبداً، وهذه المائتا ألف درهم لك بشارة بخلاصي من كلب ثقيف. ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وعذوبة ألفاظها وتغزل ألحاظها فأرسل إليها يخطبها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 682

□ قالت: بلغني أيّها الملك السعيد، أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما بلغه حسن الجارية وجمالها أرسل إليها يخطبها. فأرسلت إليه كتابًا تقول فيه: بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه محمد ﷺ، أما بعد فاعلم يا أمير المؤمنين أن الكلب ولغ في الإناء. فلما قرأ كتابها أمير المؤمنين ضحك من قولها وكتب لها قوله ﷺ: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا إحداهن بالتراب. وقال: اغسلي القذى عن محل الإستعمال. فلما رأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة وكتبت إليه تقول: بعد الثناء على الله تعالى أعلم يا أمير المؤمنين أني لا أجري العقد إلا بشرط، فإن قلت: ما الشرط؟ أقول: أن يقود الحجاج محملي إلى بلدك التي أنت فيها ويكون حافياً بملبوسه الذي هو لابسه. فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك ضحكاً عالياً شديداً وأرسل إلى الحجاج يأمره بذلك. فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب ولم يخالف وامتثل الأمر. ثم أرسل الحجاج إلى هند يأمرها بالتجهيز، فتجهزت في محمل وجاء الحجاج في موكبه حتى وصل إلى باب هند. فلما ركبت المحمل وركب حولها جواريها وخدمها

ترجّل الحجاج وهو حاف وأخذ بزمام البعير يقوده وسار بها، فصارت تسخر منه وتهزأ به وتضحك عليه مع بلانتها وجواريها . ثم إنها قالت لبلانتها : اكشفي لي ستارة المحمل . فكشفتها حتى قابل وجهها وجهه فضحكت عليه . فأنشد هذا البيت : [من الطويل]

فإنْ تَضْحكي يا هِنْدُ رُبـَّةَ لَيْلَةٍ ... تَرَكْتُكِ فِيها تَسْهَرِينَ نُواحا

فأجابته بهذين البيتين : [من البسيط]

وما نُبالي إذا أَرْواحُنا سَلِمَتْ ... بِمَا فَقَدْناهُ مِنْ مالٍ ومِنْ نَشَبِ

فالمالُ مُكْتَسَبٌ والعِزُّ مُرْتَجَعٌ ... إذا اشْتَفَى المَرْءُ مِنْ داءٍ ومِنْ عَطَبِ

ولم تزل تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة . فلما وصلت إلى البلد رمت من يدها ديناراً على الأرض وقالت له : يا جمال ، إنه قد سقط منّا درهم فانظره وناولنا إياه . فنظر الحجاج إلى الأرض فلم ير إلا ديناراً فقال لها : هذا دينار . فقالت له : بل هو درهم . فقال لها : بل دينار . فقالت : الحمد لله الذي عوّضنا بالدرهم الساقط ديناراً فناولنا إياه . فخجل الحجاج من ذلك ثم إنه أوصلها إلى قصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ودخلت عليه وكانت محظية عنده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

59 – حكاية خزيمة بن بشر وعكرمة الفياض

فلما كانت الليلة 683

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنه كان في أيام أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك رجل يقال له : خزيمة بن بشر من بني أسد ، كان له مروءة ظاهرة ونعمة وافرة وفضل وبر بالإخوان . فلم يزل على ذلك الحال حتى أقعده الدهر فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضّل عليهم ويواسيهم ، فواسوه حينًا ثم ملّوا به . فلما لاح له تغيّرهم عليه ذهب إلى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها : يا ابنة عمي ، قد رأيت من إخواني تغيّراً وقد عزمت على أن الزم بيتي إلى أن يأتيني الموت . فأغلق بابه عليه وأقام يتقوّت بما عنده حتى نفد وصار حائراً ، وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة . فبينما هو في مجلسه إذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض : ما حاله ؟ فقالوا له : قد صار إلى أمر لا يوصف ، وإنه أغلق بابه ولزم بيته . فقال عكرمة الفياض : إنما حصل له ذلك لشدة كرمه ، وكيف لم يجد خزيمة بن بشر مواسيًا ولا موافيًا ؟ فقالوا : إنه لم يجد شيئًا من ذلك . فلما جاء الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجلعها في كيس واحد ثم أمر بإسراج دابته وخرج سراً من أهله وركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من غلامه ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس وقال له : أصلح بهذا شانك . فأخذه فرآه ثقيلاً ، فوضعه عن يده ومسك بلجام الدابة وقال له : من أنت ؟ جعلت نفسي فداك . فقال له عكرمة : يا هذا ، ما جئتك في مثل هذا الوقت وأريد أن تعرفني ؟ قال : فما أقيلك حتى تعرفني من أنت ؟ فقال : أنا جابر عثرات الكرام . قال : فزدني . قال : لا . ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمه فقال لها : أبشري فقد أتى الله بالفرج القريب والخير ، فإن كان هذا دراهم فإنها كثيرة ، قومي فاسرجي .

قالت : لا سبيل إلى السراج . فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير فلا يصدق أنها دنانير . وأما عكرمة فإنه رجع إلى منزله فوجد امرأته قد تفقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه . فأنكرت ذلك عليه وارتابت منه وقالت له : إن والي الجزيرة لا يخرج بعد مدة من الليل منفرداً عن غلمانه في سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية . فقال لها : علم الله أني ما خرجت في واحدة منهما . فقالت : أخبرني فيم خرجت . قال لها : ما خرجت في هذا الوقت إلا لأجل أن لا يعلم به أحد . قالت : لا بد من إخباري . قال : هل تكتمينه إذا قلت لك؟ قالت : نعم . فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من أمره ثم قال لها : أتحبين أن أحلف لك أيضًا قالت : لا ، لا ، فإن قلبي قد سكن وركن إلى ما ذكرت . وأما خزيمة فإنه لما أصبح صالح الغرما وأصلح حاله ثم تجهّز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلاً يومئذ بفلسطين . فلما وقف ببابه واستأذن حجابه ، دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهوراً بالمروءة وكان سليمان به عارفًا فأذن له في الدخول . فلما دخل سلّم عليه سلام الخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك : يا خزيمة ، ما أبطاك عنّا؟ قال : سوء الحال . قال : فما منعك من النهضة إلينا؟ قال : ضعفي يا أمير المؤمنين . قال : فيم نهضت الآن؟ قال له : أعلم يا أمير المؤمنين أني كنت في بيتي بعد مدة من الليل وإذا برجل طرق الباب وكان من أمره كذا وكذا ، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها . فقال سليمان : هل تعرف الرجل ؟ فقال خزيمة : لا أعرفه يا أمير المؤمنين وذلك إنه كان متكبراً وما سمعت من لفظه إلا قوله : أنا جابر عثرات الكرام . فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال : لو عرفناه لكافاناه على مروءته . ثم عقد لخزيمة بن بشر لواء وجعله عاملاً على الجزيرة عوضًا عن عكرمة الفياض . فخرج خزيمة قاصدًا الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة ولاقاه وخرج أهل الجزيرة في ملاقاته ، فسلّما على بعضهما ثم ساروا جميعًا إلى أن دخل البلد . فنزل خزيمة دار الإمارة وأمر أن يؤخذ من عكرمة كفيلاً وأن يحاسب . فحوسب فوجد عليه أموالاً كثيرة فطالبه بأدائها . قال : ما لي إلى شيء من سبيل ؟ قال : لا بد منها. قال : ليست عندي فاصنع ما أنت صانع . فأمر به إلى الحبس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 684

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن خزيمة أمر بحبس عكرمة الفياض . أرسل إليه يطالبه بماعليه ، فارسل يقول له : إني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت . فأمر أن يكبل بالحديد ويسجن . فأقام شهراً أو اكثر حتى اضناه ذلك واضر به حبسه . ثم بلغ ابنة عمه خبره واغتمّت لذلك غاية الغم ودعت مولاة لها كانت ذات عقل وافر ومعرفة وقالت لها : إمضي في هذه الساعة إلى باب الأمير خزيمة بن بشر وقولي : إن عندي نصيحة . فإذا طلبها منك أحد فقولي : لا أقولها إلا للأمير . فإذا دخلت عليه فاسأليه الخلوة ، فإذا اختليت به فقولي له : ما هذا الفعل الذي فعلته ، ما كان جزاء جابر عثرات الكرام منك إلا أن كافأته بالحبس الشديد والضيق في الحديد . ففعلت الجارية ما أمرت به ، فلما سمع خزيمة كلامها نادى بأعلى صوته : واسوأتاه ، وإنه له و قالت : نعم . فأمر من وقته بدابته فاسرجت ودعا بوجوه البلد فجمعهم إليه وأتى بهم إلى باب الحبس وفتحه ودخل خزيمة ومن معه ، فرأوه قاعدًا متغيرّ الحال وقد أضناه الضرب والألم . فلما نظر إليه عكرمة ، أخجله ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة

وانكبّ على رأسه فقبلها. فرفع عكرمة إليه رأسه وقال: ما أعقب هذا منك؟ قال: كريم افعالك وسوء مكافأتي. قال: يغفر الله لنا ولك. ثم أمر خزيمة السجان أن يفك القيود عنه وأمر أن توضع القيود في رجليه. فقال عكرمة: ماذا تريد؟ قال: أريد أن ينالني مثل ما نالك. فقال عكرمة: أقسم عليك بالله أن لا تفعل. ثم خرجا جميعًا حتى وصلا إلى دار خزيمة فودّعه عكرمة وأراد الإنصراف فمنعه خزيمة من ذلك. فقال عكرمة: ما تريد؟ قال: أريد أن أغير حالك فإن حيائي من ابنة عمك أشد من حيائي منك. ثم أمر بإخلاء الحمام، فأخلي ودخلا جميعاً. فقام خزيمة وتولّى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه خلعة نفيسة وأركبه وحمّل معه مالاً كثيراً ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الإعتذار إلى ابنة عمه، فاعتذر إليها. ثم سأل بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ مقيمًا بالرمل، فأجابه إلى ذلك وسارا جميعًا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب وأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر. فراعه ذلك وقال: هل والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم، فأذن له في الدخول. فلما دخل قال له قبل أن يسلم عليه: ما وراءك يا خزيمة؟ قال له: الخير يا أمير المؤمنين. قال له: فما الذي أقدمك؟ قال: ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك على معرفته وشوقك إلى رؤيته. قال: ومن هو؟ قال: عكرمة الفياض. فأذن له بالتقرب فتقرب وسلّم عليه بالخلافة. فرحّب به وأدناه من مجلسه وقال له: يا عكرمة، ما كان خيرك له إلا وبالاً عليك. ثم قال سليمان: اكتب حوايجك كلها جميعًا وما تحتاج إليه في رقعة. ففعل ذلك فأمر بقضائها من ساعته وأمر له بعشرة آلاف دينار خلاف الحوايج التي كتبها وعشرين تختاً من الثياب زيادة على ما كتبه، ثم دعا بقناة وعقد له لواء على الجزيرة وأرمانية وأزربيجان وقال له: أمر خزيمة إليك أن شئت أبقيته وإن شئت عزلته. قال: بل أرده إلى محله يا أمير المؤمنين. ثم انصرفا من عنده جميعاً ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته.

60 - حكاية يونس الكاتب والوليد بن سهل

وحكى أيضا أنه كان في مدة خلافة هشام بن عبد الملك رجل يسمّى يونس الكاتب وكان مشهوراً. فخرج مسافرًا إلى الشام ومعه جارية في غاية الحسن والجمال وكان عليها جميع ما تحتاج إليه، وكان قدّر ثمنها مائة ألف درهم. فلما قرب من الشام نزلت القافلة على غدير ماء ونزل هو بناحية من نواحيه وأصاب من طعام كان معه وأخرج ركوة كان فيها نبيذ. فبينما هو كذلك إذا بفتى حسن الوجه والهيبة على فرس أشقر ومعه خادمان فسلّم عليه وقال له: أتقبل ضيفًا؟ قال: نعم. فنزل عنده وقال له: اسقنا من شرابك فأسقاه. فقال: إن شئت أن تغني لنا صوتاً. فغنّى منشداً هذا البيت: [من البسيط]

حَوَتْ مِنَ الحُسْنِ ما لَمْ تَحْوِهِ بَشَرُ فَلَذَّ لي في هَواها الدَّمْعُ والسَّهَرُ

فطرب طرباً شديداً وأسقاه مراراً حتى مال به السكر. ثم قال: قل لجاريتك أن تغني. فغنّت منشدة هذا البيت: [من البسيط]

حُورِيَّةٌ حارَ قَلْبِي في مَحاسِنِها فَلا قَضِيبٌ ولا شَمْسٌ ولا قَمَرُ

فطرب طربًا شديداً وأسقاه مراراً . ولم يزل مقيمًا عنده إلى ان صليا العشاء ثم قال له : ما اقدمك على هذا البلد ؟ قال : ما أقضي به ديني وأصلح به حالي . فقال له : أتبيعني هذه الجارية بثلاثين الف درهم ؟ قلت : ما أحوجني إلى فضل الله والمزيد منه . قال : أيقنعك فيها أربعون الفاً ؟ قال : فيها قضاء ديني وأبقى صفر اليدين . قال : قد أخذناها بخمسين الفاً من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في حالي ما بقيت . فقال : قد بعتكها . قال : أفتثق بي أن أوصل إليك ثمنها في غد وأحملها معي أو تكون عندك إلى أن احمل ذلك إليك غداً ؟ فحمله السكر والحياء مع الخشية منه على أن قال له : نعم قد وثقت بك ، فخذها قد بارك الله لك فيها . فقال لأحد غلاميه : إحملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ، ثم ركب فرسه وودعه وانصرف . فما هو إلا ان غاب عن البائع ساعة ، فتفكر البائع في نفسه وعرف أنه أخطأ في بيعها وقال في نفسه : ماذا صنعت حتى أسلّم جاريتي إلى رجل لا أعرفه ولا ادري من هو ، وهب أني عرفته فمن أين الوصول إليه ؟ ثم جلس متفكراً إلى ان صلى الصبح ودخل أصحابه دمشق وجلس هو حائراً لا يدري ما يفعل ، واستمرّ جالساً حتى أحرقته الشمس وكره المقام . فهمّ بالدخول في دمشق ثم قال في نفسه : إن دخلت لم آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فأكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية ، فجلس في ظل جدار كان هناك . فلما ولّى النهار وإذا بأحد الخادمين اللذين كانا مع الغلام قد اقبل عليه ، فلما رآه حصل له سرور عظيم وقال في نفسه : ما أعرف أني سررت بشيء أعظم من سروري هذا الوقت بالنظر إلى الخادم . فلما جاءه الخادم قال له : يا سيدي قد أبطأنا عليك . فلم يذكر له شيئًا من الوله الذي كان به . ثم قال له الخادم : هل تعرف الرجل الذي اخذ الجارية ؟ فقال له : لا . قال : هو الوليد بن سهل ولي العهد . فسكت عند ذلك ثم قال : قم فاركب . وكان معه دابة فاركبه إياها وسارا إلى ان وصلا إلى دار فدخلاها . فلما رأته الجارية وثبت إليه وسلّمت عليه فقال لها : ما كان من أمرك مع من اشتراك ؟ قالت : أنزلني في هذه الحجرة وأمر لي بما أحتاج إليه . فجلس عندها ساعة وإذا بخادم صاحب الدار قد جاء إليه ثم قال له : قم . فقام معه ودخل به على سيده فوجده ضيفه بالأمس ورآه جالسًا على سريره . فقال لي : من انت ؟ فقال له : يونس الكاتب . قال : مرحبًا بك قد كنت والله أتشوق إلى رؤيتك فإني كنت أسمع بخبرك ، فكيف كان مبيتك في ليلتك ؟ فقال له : بخير اعزك الله تعالى . ثم قال : لعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت في نفسك : إني دفعت جاريتي إلى رجل لا أعرفه ولاأعرف اسمه ولا من أي البلاد هو ؟ فقال له : معاذ الله أيها الأمير ان أندم عليها ، ولو أهديتها إلى الأمير لكانت اقل ما يهدى إليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 685

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان يونس الكاتب لما قال للوليد بن سهل : معاذ الله أن أندم ، ولو أهديتها للأمير لكانت أقل ما يهدى إليه ، وما هذه الجارية بالنسبة إلى مقامه ؟ فقال له الوليد : والله إني ندمت على اخذها منك وقلت : هذا رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي بأخذ الجارية ، أفتذكر ما كان بيننا ؟ قلت : نعم . قال : أتبيعني هذه الجارية بخمسين الف درهم ؟ قال : نعم . قال : هات يا غلام المال . فوضعه بين يديه فقال : يا غلام هات الفاً وخمسمائة دينار . فأتى بها ثم قال : هذا ثمن جاريتك فضمّه إليك وهذا

الألف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لأهلك، ارضيت؟ قال: رضيت. وقبلت يديه وقلت: والله قد ملأت عيني ويدي وقلبي. ثم قال الوليد: والله إني لم اخل بها ولا شبعت من غنائها، عليّ بها. فجاءت فأمرها بالجلوس فجلست. فقال لها: غني. فانشدت هذا الشعر: [من الوافر]

أَيا مَنْ حازَ كُلَّ الحُسْنِ طُرّاً ... ويا حُلْوَ الشَّمائِلِ والدَّلالِ
جَميعُ الحُسْنِ في تُرْكٍ وعُرْبٍ ... وما في الكُلِّ مِثْلُكَ يا غَزالي
تَعَطَّفْ يا مَليحُ عَلى مُحِبٍّ ... بِوَعْدِكَ لَوْ بِطَيْفٍ مِنْ خَيالِ
حَلالي فِيْكَ ذُلّي وٱفْتِضاحِي ... وطابَ لِمُقْلَتِي سَهَرُ اللَّيالي
وما أَنا فِيكَ أَوَّلُ مُسْتَهامٍ ... فَكَمْ قَبْلِي قَتَلْتَ مِنَ الرِّجالِ
رَضِيتُكَ لي مِنَ الدُّنْيا نَصِيباً ... وأَنْتَ أَعَزُّ مِنْ رُوْحِي ومَالي

فطرب طرباً شديداً وشكر حسن تأديبي لها وتعليمي إياها ثم قال: يا غلام قدّم له دابة بسرجها وآلاتها لركوبه وبغلاً لحمل حوايجه. ثم قال: يا يونس، إذا بلغك أن هذا الأمر قد أفضى إليّ فالحق بي، فوالله لأملأن بالخير يديك ولأعلين قدرك ولأغنينك ما بقيت. فأخذت المال وانصرفت. فلما أفضت إليه الخلافة سرت إليه فوفى لي والله بوعده وزاد في إكرامي وكنت معه على أسرّ حال وأسنى منزلة. وقد اتّسعت أحوالي وكثرت أموالي وصار لي من الضياع والأموال ما يكفيني إلى مماتي ويكفي ورثتي من بعدي. ولم أزل معه حتى قتل رحمه الله تعالى.

61 - حكاية هارون الرشيد والبنت البدوية

وحكى أيضاً أن أمير المؤمنين هارون الرشيد مرّ في بعض الأيام وصحبته جعفر البرمكي وإذا هو بعدّة بنات يسقين الماء، فعرّج عليهم يريد الشرب. وإذا إحداهن التفتت إليه وأنشدت هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

قُولي لِطَيفِكِ يَنْثَنِي ... عَنْ مَضْجَعِي وَقْتَ المَنامْ
كَيْ أَسْتَرِيحَ وتَنْطَفِي ... نارٌ تَأَجَّجَ في العِظامْ
دَنِفٌ تُقَلِّبُهُ الأَكُـ ... ـفُّ على بِساطٍ مِنْ سَقامْ
أَمَّا أَنا فَكَما عَلِمْـ ... ـتِ فَهَلْ لِوَصْلِكِ مِنْ دَوامْ

فأعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 686

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان أمير المؤمنين لما سمع هذه الأبيات من البنت أعجبته ملاحتها وفصاحتها فقال لها: يا بنت الكرام، أهذا من مقولك أم من منقولك؟ قالت: من مقولي. قال: إذا كان كلامك صحيحاً فامسكي المعنى وغيّري القافية. فأنشدت تقول: [من مجزوء الكامل]

قُولي لِطَيْفِكِ يَنْثَنِي ... عَنْ مَضْجَعِي وَقْتَ الوَسَنْ

كَيْ أَسْتَرِيحَ وتَنْطَفِي نارٌ تَأَجَّجُ في البَدَنْ
دَنِفٌ تُقَلِّبُهُ الأَكُـ ـفُ على بِساطٍ مِنْ شَجَنْ
أَمَّا أَنا فَـكَما عَلِمْـ ـتِ فَهَلْ لِوَصْلِكِ مِنْ ثَمَنْ

فقال لها : والآخر مسروق . قالت : بل كلامي . فقال : إن كان كلامك أيضًا فامسكي المعنى وغيّري القافية . فجعلت تقول : [من مجزوء الكامل]

قُولي لِطَيْفِكِ يَنْثَني عَنْ مَضْجَعِي وَقْتَ الرُّقادْ
كَيْ أَسْتَرِيحَ وتَنْطَفِي نارٌ تَأَجَّجُ في الفُؤَادْ
دَنِفٌ تُقَلِّبُهُ الأَكُـ ـفُ عَلى بِساطٍ مِنْ سُهَادْ
أَمَّا أَنا فَـكَما عَلِمْـ ـتِ فَهَلْ لِوَصْلِكِ مِنْ سَدَادْ

فقال لها : والآخر مسروق . فقالت : بل كلامي . فقال لها : إن كان كلامك فامسكي المعنى وغيّري القافية . فقالت : [من مجزوء الكامل]

قُولي لِطَيْفِكِ يَنْثَني عَنْ مَضْجَعِي وَقْتَ الهُجُوعْ
كَيْ أَسْتَرِيحَ وتَنْطَفِي نارٌ تَأَجَّجُ في الضُّلُوعْ
دَنِفٌ تُقَلِّبُهُ الأَكُـ ـفُ عَلَى بِساطٍ مِنْ دُمُوعْ
أَمَّا أَنا فَـكَما عَلِمْـ ـتِ فَهَلْ لِوَصْلِكِ مِنْ رُجُوعْ

فقال لها أمير المؤمنين : من أي هذا الحي ؟ قالت : من أوسطه بيتاً وأعلاه عموداً . فعلم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحي . ثم قالت له : وأنت من أي رعاة الخيل ؟ فقال : من أعلاها شجرة وأينعها ثمرة . فقبّلت الأرض وقالت : أيّدك الله يا أمير المؤمنين . ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب . فقال الخليفة لجعفر : لا بدّ من زواجها . فتوجه جعفر إلى أبيها وقال له : إن أمير المؤمنين يريد ابنتك . فقال : حبًا وكرامة تهدى جارية إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين . ثم جهّزها وحملها إليه وتزوّجها ودخل بها ، فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الأنعام . ثم بعد ذلك انتقل والدها إلى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاة أبيها فدخل عليها وهو كئيب ، فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت إلى حجرتها وقلعت كل ما كان عليها من الثياب الفاخرة ولبست الحداد وأقامت النعي عليه . فقيل لها : ما سبب هذا ؟ قالت : مات والدي . فمضوا إلى الخليفة فأخبروه ، فقام وأتى إليها وسألها من أخبرها بهذا الخبر قالت : وجهك يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأني منذ استقرّيت عندك ما رأيتك هكذا إلا في هذه المرّة ولم يكن لي من أخاف عليه إلا والدي لكبره ، وتعيش رأسك يا أمير المؤمنين . فتغرغرتِ عيناه بالدموع وعزّاها فيه وأقامت مدة حزينة على والدها ، ثم لحقت به رحمة الله عليهم أجمعين .

62 - حكاية الأصمعي والبنات الثلاث

وحكى أيضا أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق أرقاً شديداً في ليلة من الليالي ، فقام من فراشه وتمشّى من مقصورة إلى مقصورة ولم يزل قلقاً في نفسه قلقاً زائدًا . فلما أصبح قال : عليَّ

بالأصمعي . فخرج الطواشي إلى البوابين وقال : يقول لكم أمير المؤمنين إرسلوا لي الأصمعي . فلما حضر أُعلم به أمير المؤمنين فأمر بإدخاله وأجلسه ورحّب به وقال له : يا أصمعي ، أريد منك أن تحدّثني بأجود ما سمعت من أخبار النساء وأشعارهن . فقال : سمعًا وطاعة . لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاث أبيات أنشدهن ثلاث بنات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 687

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الأصمعي قال لأمير المؤمنين : لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاثة أبيات أنشدهن ثلاث بنات . فقال : حدثني بحديثهن . فقال : أعلم يا أمير المؤمنين اني اقمت سنة في البصرة فاشتدّ عليّ الحرّ ، فطلبت مقيلاً أقيل فيه فلم أجد . فبينما أنا التفت يميناً وشمالاً وإذا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح يفوح منه رايحة المسك . فدخلت الساباط وجلست على الدكة وأردت الإضطجاع فسمعت كلامًا عذباً من جارية وهي تقول : يا أخواتي ، إننا جلسنا يومنا هذا على وجه المؤانسة ، فتعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل واحدة منّا تقول بيتاً من الشعر ، فكل من قالت البيت الأعذب الأملح كانت الثلثمائة دينار لها . فقلن : حباً وكرامة . فقالت الكبرى بيتًا وهو هذا : [من الطويل]

عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زارَ في النَّوْمِ مَضْجَعِي ... ولَوْ زارَني مُسْتَيْقِظاً كانَ أَعْجَبا

فقالت الوسطى بيتاً وهو هذا : [من الطويل]

وما زارَني في النَّوْمِ إلاَّ خَيالُهُ ... فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلاً وسَهْلاً ومَرْحَبا

فقالت الصغرى بيتاً وهو هذا : [من الطويل]

بِنَفْسِي وأَهْلِي مَنْ أَرَى كُلَّ لَيْلَةٍ ... ضَجِيعي ورَيَّاهُ مِنَ المِسْكِ أَطْيَبا

فقلت : إن كان لهذا المثال جمال فقد تمّ الأمر على كل حال . فنزلت من على الدكة وأردت الإنصراف وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول : إجلس يا شيخ . فطلعت على الدكة ثانياً وجلست ، فدفعت لي ورقة فنظرت فيها خطًا في نهاية الحسن ، مستقيم الألفات مجوّف الهاآت مدوّر الواوات مضمونها : نعلم الشيخ أطال الله بقاءه أننا ثلاث بنات أخوات جلسن على وجه المؤانسة وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا أن كل من قالت البيت الأعذب الأملح كان لها الثلثمائة دينار ، وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما ترى والسلام . فقلت للجارية : عليّ بدواة وقرطاس . فغابت قليلاً وخرجت إليّ بدوات مفضضة وأقلام مذهبة . فكتبت هذه الأبيات : [من الطويل]

أُحَدِّثُ عَنْ خَوْدٍ تَحَدَّثْنَ مَرَّةً ... حَدِيثَ امْرِءٍ قاسَ الأُمُورَ وجَرَّبا
ثَلاثٌ كَبُكْراتِ الصَّباحِ صَباحَةً ... تَمَلَّكْنَ قَلْباً بالغَرامِ مُعَذَّبا
خَلَوْنَ وقَدْ نامَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... مِنَ النّاسِ قَدْ أَعْرَضْنَ عَمَّنْ تَجَنَّبا
فَبُحْنَ بِما يَخْفَيْنَ مِنْ داخِلِ الحَشَى ... نَعَمْ واتَّخَذْنَ الشِّعْرَ لَهْوًا ومَلْعَبا

فَقالَتْ عَرُوبٌ ذاتُ تِيهٍ عَزِيزَةٌ وتَبْسَمُ عَنْ عَذْبِ المَقالَةِ أَشْنَبا
عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زارَ في النَّوْمِ مَضْجَعي ولَوْ زارَني مُسْتَيْقِظاً كانَ أَعْجَبا
فَلَمَّا أنْقَضَى ما زَخْرَفَتْ بِتَضاحُكٍ تَنَفَّسَتِ الوُسْطَى، وقالَتْ تَطَرُّبا
وما زارَني في النَّوْمِ إلا خَيالُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وسَهْلاً ومَرْحَبا
وأَحْسَنَتِ الصُّغْرَى وقالَتْ مُجيبَةً بِلَفْظٍ لَها قَدْ كانَ أَشْهَى وأَعْذَبا
بِنَفْسِي وأَهْلِي مَنْ أَرَى كُلَّ لَيْلَةٍ ضَجِيعِي ورَيّاهُ مِنَ المِسْكِ أَطْيَبا
فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الَّذي قُلْنَ وأَنْبَرَى لِيَ الحُكْمُ لَمْ أَتْرُكْ لِذِي اللُّبِّ مَلْعَبا
حَكَمْتُ لِصُغْراهُنَّ في الشِّعْرِ أَنَّنِي رَأَيْتُ الَّذي قالَتْ إلى الحَقِّ أَقْرَبا

قال الأصمعي: ثم دفعت الورقة إلى الجارية. فلما صعدت عادت إلى القصر وإذا برقص وصفق وقيامة قائمة فقلت: ما بقي لي إقامة. فنزلت من فوق الدكة وأردت الإنصراف وإذا بالجارية تنادي وتقول: إجلس يا أصمعي. فقلت: ومن أعلمك اني الأصمعي؟ فقالت: يا شيخ، إن خفي علينا اسمك ما خفي علينا نظمك. فجلست وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الأولى وفي يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى، فتفكّهت وتحلّيت وشكرت صنيعها وأردت الإنصراف وإذا بالجارية تنادي وتقول: إجلس يا أصمعي. فرفعت بصري إليها فنظرت كفاً أحمر في كم أصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام، ورمت صرّة فيها ثلاثمائة دينار وقالت: هذا لي وهو مني إليك هدية في نظير حكومتك. فقال له أمير المؤمنين: لم حكمت للصغرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، إن الكبرى قالت: عجبت له أن زار في النوم مضجعي وهو محجوب معلّق على شرط قد يقع وقد لا يقع. وأما الوسطى قد مرّ بها طيف خيال في النوم فسلّمت عليه. وأما بيت الصغرى فإنها ذكرت فيه أنها ضاجعته مضاجعة حقيقية وشمّت منه أنفاسًا أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها، ولا يفدى بالنفس إلا مَن هو أعزّ منها. فقال الخليفة: أحسنت يا أصمعي. ودفع إليه ثلاثمائة دينار مثلها في نظير حكايته.

63 - حكاية إبراهيم الموصلي وإبليس

وحكى أيضا أن أبا اسحاق ابراهيم الموصلي قال: استأذنت الرشيد في أن يهب لي يوماً من الأيام للإنفراد بأهل بيتي وإخواني فأذن لي في يوم السبت. فأتيت منزلي وأخذت في إصلاح طعامي وشرابي وما أحتاج إليه وأمرت البوابين أن يغلقوا الأبواب وأن لا يأذنوا لأحد في الدخول عليّ. فبينما أنا في مجلسي والحريم قد حففن بي وإذا بشيخ ذي هيبة وجمال وعليه ثياب بيض وقميص ناعم، وعلى رأسه طليسان وفي يده عكاز قبضته من فضة، وروايح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق. فدخلني غيظ عظيم بدخوله عليّ وهممت بطرد البوابين، فسلّم عليّ بأحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس. فجلس وأخذ يحدثني بحديث العرب وأشعارها حتى ذهب ما بي من الغضب وظننت أن غلماني تحروا مسرتي بإدخال مثله عليّ لأدبه وظرافته فقلت له: هل لك في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي فيه. فقلت له: وفي الشراب. قال: ذلك إليك. فشربت رطلاً وسقيته مثله ثم قال: يا أبا اسحاق، هل لك أن تغنينا شيئًا؟ فنسمع من صنعتك

ما قد فقت به العام والخاص . فغاظني قوله ثم سهلت الأمر على نفسي فأخذت العود وضربت وغنيت . فقال : أحسنت يا أبا اسحاق . ثم قال ابراهيم : فازددت غيظًا وقلت : ما قنع بما فعله من دخوله بغير إذن واقتراحه عليّ حتى سمّاني باسمي مع جهل مخاطبتي . ثم قال : هل لك أن تزيد ونكافؤك ؟ فتحمّلت المشقة وأخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيت وقمت به قيامًا ما لقوله : ونكافؤك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 688

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ لما قال لأبي اسحاق : هل لك أن تزيدني ونكافؤك ؟ قال أبو اسحاق : فتحملت المشقة وأخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيت وقمت به قياماً تامًا لقوله : ونكافؤك . فطرب وقال : أحسنت يا سيدي . ثم قال : أتأذن لي في الغناء ؟ قال : شأنك . واستضعفت عقله في أن يغني بحضرتي بعد الذي سمعه مني . فأخذ العود وجسّه ، فوالله لقد خلت العود أن ينطق بلسان عربي فصيح بصوت أغن مليح . واندفع يغني هذه الأبيات : [من الطويل]

ولي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي	بِها كَبِدًا لَيْسَتْ بِذاتِ قُرُوحِ
أَباها عَلَيَّ النَّاسُ لا يَشْتَرُونَها	ومَنْ يَشْتَرِي ذا عِلَّةٍ بَصَحِيحِ
أَئِنُّ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي بِجَوانِحِي	أَنِينَ غُصَيْصٍ بِالشَّرابِ قَرِيحِ

قال أبو اسحاق : فوالله لقد ظننت أن الأبواب والحيطان وكل ما في البيت تجيبه وتغني معه من حسن صوته ، حتى خلت والله أني أسمع أعضائي وثيابي تجيبه . وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي . ثم غنّى بهذه الأبيات : [من الطويل]

أَلا يا حَمَامَاتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً	فَإِنِّي مِنْ أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ
فَعُدْنَ إلى أَيْكٍ فَكِدْنَ يُمِتْنَنِي	وكِدْتُ بِأَسْرارِي لَهُنَّ أَبِينُ
دَعَوْنَ فَرِيقاً بِالهَدِيرِ كَأَنَّما	شَرِبْنَ الحُمَيَّا أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمائِمَ	بَكَيْنَ ولَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ

ثم غنّى أيضًا بهذه الأبيات : [من الطويل]

أَلا يا صَبا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ	فَقَدْ زادَنِي مَسْراكِ وَجْدًا عَلى وَجْدِي
لَقَدْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى	عَلى فَنَنِ الأَغْصانِ بِالبانِ والرَّنْدِ
بَكَتْ مِثْلَ ما يَبْكِي الوَلِيدُ صَبابَةً	وأَبْدَتْ مِنَ الأَشْواقِ ما لَمْ أَكُنْ أُبْدِي
وقَدْ زَعَمُوا أَنَّ المُحِبَّ إذا دَنا	يَمَلُّ وأَنَّ البُعْدَ يَشْفِي مِنَ الوَجْدِ
بِكُلٍّ تَداوَيْنا فَلَمْ يُشْفَ ما بِنا	عَلى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ
عَلى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنافِعٍ	إذا كانَ مَنْ تَهْواهُ لَيْسَ بِذِي وُدِّ

ثم قال : يا ابراهيم غن هذا الغناء الذي سمعته وانح نحوه في غنائك وعلّمه جواريك . فقلت : أعِده عليّ . فقال : لست تحتاج إلى إعادة قد أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يدي .

فتعجبت منه وقمت إلى السيف وجذبته ثم غدوت نحو باب الحريم فوجدته مغلقًا فقلت للجواري : أي شيء سمعتن؟ فقلن : سمعنا أطيب غناء وأحسنه . فخرجت متحيّراً إلى باب الدار فوجدته مغلقاً فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا لي : شيخ ! فوالله ما دخل إليك اليوم أحد . فرجعت أتأمل أمره فإذا هو قد هتف من جانب الدار فقال : لا بأس عليك يا أبا اسحاق ، إنما أنا أبو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع . فركبت إلى الرشيد فأخبرته الخبر . فقال : أعد الأصوات التي أخذتها منه . فأخذت العود وضربت فإذا هي راسخة في صدري . فطرب بها الرشيد وجعل يشرب عليها ولم يكن له انهماك على الشراب وقال : ليته متّعنا بنفسه يوماً واحدًا كما متّعك . ثم أمر لي بصلة فأخذتها وانصرفت .

64 - عاشقان من بني عذرة

وحكى أيضا أن مسرور الخادم قال : أرق أمير المؤمنين هارون الرشيد ليلة أرقاً شديدًا فقال لي : يا مسرور ، من بالباب من الشعراء؟ فخرجت إلى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذري فقلت له : أجب أمير المؤمنين . فقال : سمعاً وطاعة . فدخلت ودخل معي إلى أن صار بين يدي هارون الرشيد فسلّم بسلام الخلافة فردّ عليه السلام وأمره بالجلوس ثم قال له الرشيد : يا جميل ، أعندك شيء من الأحاديث العجيبة؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أيما أحب إليك ما عاينته ورأيته أو ما سمعته ووعيته؟ فقال : حدثني بما عاينته ورأيته . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أقبل عليّ بكلّك واصغ إليّ بأذنيك . فعمد الرشيد إلى مخدة من الديباج الأحمر المزركش بالذهب محشوّة بريش النعام فجعلها تحت فخذيه ثم مكّن منها مرفقيه وقال : هلمّ بحديثك يا جميل . فقال : أعلم يا أمير المؤمنين أني كنت مفتوناً بفتاة محبًا لها وكنت أتردّد إليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 689

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين هارون الرشيد لما اتّكأ على مخدة من الديباج قال : هلمّ بحديثك يا جميل . فقال : أعلم يا أمير المؤمنين أني كنت مفتوناً بفتاة محباً لها وكنت أتردد إليها إذ هي سؤلي وبغيتي من الدنيا . ثم إن أهلها رحلوا لقلة المرعى فأقمت مدة لم أرها ، ثم إن الشوق أقلقني وجذبني إليها فحدّثتني نفسي بالمسير إليها . فلما كان ذات ليلة من الليالي هزّني الشوق إليها ، فقمت وشددت رحلي على ناقتي وتعمّمت بعمامتي ولبست أطماري وتقلّدت بسيفي واعتقلت رمحي وركبت ناقتي وخرجت طالباً لها وكنت أسرع في السير . فسرت ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وأنا مع ذلك أكابد هبوط الأودية وصعود الجبال فاسمع زئير الآساد وعي الذئاب وأصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلي وطاش لبي ، ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى . فبينما أنا أسير على هذا الحال إذ غلبني النوم فأخذت بي الناقة على غير الطريق التي كنت فيها وغلب عليّ النوم وإذا أنا بشيء لطمني في رأسي فانتبهت فزعًا مرعوباً وإذا بأشجار وأنهار وأطيار على تلك الأغصان تغرّد بلغاتها وألحانها ، وأشجار تلك المرج مشتبك بعضها ببعض . فنزلت عن ناقتي وأخذت بزمامها في يدي ولم أزل أتلطف في الخلاص إلى أن خرجت بها من تلك الأشجار إلى أرض فلاة ، فأصلحت

كورها واستويت راكبًا على ظهرها ولا أدري إلى أين أذهب ولا إلى أي مكان تسوقني الأقدار. فمددت نظري في تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها، فوكزت ناقتي وصرت متوجهاً إليها حتى وصلت إلى تلك النار، فقرّبت منها وتأمّلت وإذا بخباء مضروب ورمح مركوز ودابة قائمة وخيل واقفة وإبل سائمة. فقلت في نفسي: يوشك أن يكون لهذا الخباء شأن عظيم فإني لا أرى في تلك البرية سواه. ثم تقدّمت إلى جهة الخباء وقلت: السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة الله وبركاته. فخرج إليّ من الخباء غلام من أبناء التسعة عشر سنة فكأنه البدر إذا أشرق والشجاعة بين عينيه فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب، إني أظنك ضالاً عن الطريق. فقلت: الأمر كذلك، أرشدني يرحمك الله. فقال: يا أخا العرب إن بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش أن يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فإذا كان الغد أرشدتك إلى الطريق. فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفضل زمامها ونزعت ما كان عليّ من الثياب وتخففت وجلست ساعة، وإذا بالشاب قد عمد إلى شاة فذبحها وإلى نار فأضرمها وأجّجها ثم دخل الخباء وأخرج إبزاراً ناعمة وملحاً طيبًا وأقبل يقطع من ذلك اللحم قطعًا ويشويها على النار ويعطيني ويتنهد ساعة ويبكي أخرى. ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديداً وأنشد يقول هذه الأبيات: [من السريع]

لَمْ يَبْقَ إلاّ نَفَسٌ هافِتُ ومُقْلَةٌ إنْسانُها باهِتُ
لَمْ يَبْقَ في أَعْضائِهِ مَفْصِلٌ إلا وفيهِ سَقَمٌ ثابِتُ
ودَمْعُهُ جارٍ وأَحْشاؤُهُ تَوَقَّدُ لَكِنَّهُ ساكِتُ
تَبْكِي لَهُ أَعْداؤُهُ رَحْمَةً يا وَيْحَ مَنْ يَرْحَمُهُ الشَّامِتُ

قال جميل: فعلمت عند ذلك يا أمير المؤمنين أن الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى إلا من ذاق طعم الهوى. فقلت في نفسي: هل أسأله؟ ثم راجعت نفسي وقلت: كيف أتهجّم عليه في السؤال وأنا في منزله؟ فردعت نفسي وأكلت من ذلك اللحم بحسب كفايتي. فلما فرغنا من الأكل قام الشاب ودخل الخباء وأخرج طشتاً نظيفًا وإبريقًا حسناً ومنديلاً من الحرير وأطرافه مزركشة بالذهب الأحمر وقمقمًا ممتلئاً من ماء الورد الممسّك. فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي: لم أعرف الظرف في البادية. ثم غسلنا أيدينا وتحدّثنا ساعة ثم قام ودخل الخباء وفصل بيني وبينه بفاصل من الديباج الأحمر وقال: أدخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرتك هذه نصب مفرط. فدخلت وإذا أنا بفراش من الديباج الأخضر، فعند ذلك نزعت ما عليّ من الثياب وبت ليلة لم أبت في عمري مثلها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 690

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جميلاً قال: فبتّ ليلة لم أبت عمري مثلها، فكل ذلك وأنا متفكّر في أمر هذا الشاب إلى أن جنّ الليل ونامت العيون فلم أشعر إلا بصوت خفي لم أسمع ألطف منه ولا أرق حاشية، فرفعت الفاصل المضروب بيننا وإذا أنا بصبية لم أر أحسن منها وجهًا وهي في جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة

والجوى وشدة اشتياقهما إلى التلاقي . فقلت : يا لله العجب من هذا الشخص الثلني ، وحين دخلت هذا البيت لم أر فيه غير هذا الفتى وما عنده أحد . ثم قلت في نفسي : لا شك أن هذه من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرّد بها في هذا المكان وتفرّدت به . ثم أمعنت النظر فيها فإذا هي إنسية عربية إذا أسفرت عن وجهها تخجل الشمس المضيئة ، وقد أضاء الخباء من نور وجهها . فلما تحققت أنها محبوبته تذكّرت غيرة المحب فأرخيت الستر وغطّيت وجهي ونمت ، فلما أصبحت لبست ثيابي وتوضّأت لصلاتي وصلّيت ما كان عليّ من الفرض ثم قلت له : يا أخا العرب ، هل لك أن ترشدني إلى الطريق وقد تفضلت عليّ ؟ فنظر إليّ وقال : على رسلك يا وجه العرب ، إن الضيافة ثلاثة أيام وما كنت بالذي يدعك إلا بعد ثلاثة أيام . قال جميل : فأقمت عنده ثلاثة أيام . فلما كان في اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال : أما نسبي فأنا من بني عذرة ، وأما إسمي فأنا فلان بن فلان وعمي فلان . فإذا هو ابن عمي يا أمير المؤمنين وهو من أشرف بيت من بني عذرة . فقلت : يا ابن العم ، ما حملك على ما أراه منك من الإنفراد في هذه البرية ؟ وكيف تركت نعمتك ونعمة آبائك ؟ وكيف تركت عبيدك وإمائك وانفردت بنفسك في هذا المكان . فلما سمع يا أمير المؤمنين كلامي اغرورقت عيناه بالدموع والبكاء ثم قال : يا ابن العم ، إني كنت محباً لابنة عمي مفتوناً بها هائماً بحبها مجنوناً في هواها لا أطيق الفراق عنها ، فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فأبى وزوّجها لرجل من بني عذرة ودخل بها وأخذها إلى المحلة التي هو فيها من العام الأول . فلما بعدت عني واحتجبت عن النظر إليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على ترك أهلي ومفارقة عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت بهذا البيت في هذه البرية وألفت وحدتي . فقلت : وأين بيوتهم ؟ قال : هي قريب في ذروة هذا الجبل ، وهي كل ليلة عند نوم العيون وهدوء الليل تنسلّ من الحي سراً بحيث لا يشعر بها أحد فأقضي منها بالحديث وطراً وتقضي هي كذلك ، وها أنا مقيم على ذلك الحال أتسلى بها ساعة من الليل ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً أو يأتيني الأمر على رغم الحاسدين أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . ثم قال جميل : فلما أخبرني الغلام يا أمير المؤمنين ، غمّني أمره وصرت من ذلك حيراناً لما أصابني من الغيرة فقلت له : يا ابن العم ، وهل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك وفيها إن شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يزيل الله عنك الذي تخشاه ؟ فقال الغلام : قل لي يا ابن العم . فقلت له : إذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتي فإنها سريعة الرواح واركب أنت جوادك وأنا أركب بعض هذه النياق وأسير بكما الليلة جميعها ، فما يصبح الصباح إلا وقد قطعت بكما براري وقفار أو تكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها ، وأنا والله مساعدك ما حييت بروحي ومالي وسيفي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 691

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جميلاً لما قال لابن عمه على أخذ الجارية ويذهبان بها في الليل ويكون عوناً له ومساعداً مدة حياته . فلما سمع ذلك قال : يا ابن العم ، حتى أشاورها في ذلك فإنها عاقلة لبيبة بصيرة بالأمور . قال جميل : فلما جنّ الليل وحان وقت مجيئها وهو ينظرها في الوقت المعلوم فأبطأت عن عادتها ، فرأيت الفتى خرج من

باب الخباء وفتح وجعل يتنسم هبوب الريح الذي يهب من نحوها وينشق ريّاها وينشد هذين البيتين : [من الكامل]

رِيحُ الصَّبا تُهْدِي إليَّ نَسِيمُ مِنْ بَلْدَةٍ فِيها الحَبِيبُ مُقِيمُ
يا رِيحُ فِيكِ مِنَ الحَبِيبِ عَلامَةٌ أَفَتَعْلَمِينَ مَتَى يَكُونُ قُدُومُ؟

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكي ثم قال : يا ابن العم ، إن لابنة عمي في هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث أو عاقها عني عائق . ثم قال لي : كن مكانك حتى آتيك بالخبر . ثم أخذ سيفه وترسه ثم غاب عني ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يديه شيء يحمله ، ثم صاح عليّ فأسرعت إليه فقال ابن العم : أتدري ما الخبر ؟ فقلت : لا والله . فقال : لقد فجعت في ابنة عمي هذه الليلة ، لأنها قد توجّهت إلينا فتعرّض لها في طريقها أسد فافترسها ولم يبق منها إلا ما ترى . ثم طرح ما كان على يده فإذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ، ثم بكى بكاء شديداً ورمى القوس من يده وأخذ كيساً على يده ثم قال لي : لا تبرح إلى أن آتيك إن شاء الله تعالى . ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد وبيده رأس أسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتيته به ، فغسل فم الأسد وجعل يقبله ويبكي وزاد حزنه وجعل ينشد هذه الأبيات : [من الطويل]

ألا أَيُّها اللَّيْثُ المُغرُّ بِنَفْسِهِ هُلِكْتَ وقَدْ هَيَّجْتَ لي بَعْدَها حُزْنا
وصَيَّرْتَنِي فَرْدًا وقَدْ كُنْتُ إلْفَها وصَيَّرْتَ بَطْنَ الأَرْضِ قَبْرًا لَها هُنا
أَقُولُ لِدَهْرٍ ساءَنِي بِفِراقِها : أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ تُرِينِي لَها خِدْنا

ثم قال : يا ابن العم ، سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك أن تحفظ وصيتي ، فستراني الساعة ميتاً بين يديك فإذا كان ذلك فغسّلني وكفّني أنا وهذا الفاضل من عظام ابنة عمي في هذا الثوب وادفنا جميعاً في قبر واحد واكتب على قبرنا هذين البيتين : [من البسيط]

كُنَّا عَلَى ظَهْرِها والعَيْشُ في رَغَدٍ والشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ والدَّارُ والوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ والتَّصْرِيفُ إلْفَتَنا وصارَ يَجْمَعُنا في بَطْنِها الكَفَنُ

ثم بكى بكاء شديداً ثم دخل الخباء وغاب عني ساعة وخرج وصار يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة ففارق الدنيا . فلما رأيت ذلك منه ، عظم عليّ وكبر عندي حتى كدت أن ألحق به من شدة حزني عليه . ثم تقدّمت إليه فاضجعته وفعلت به ما أمرني به من العمل وكفنتهما جميعاً ودفنتهما جميعاً في قبر واحد وأقمت عند قبرهما ثلاثة أيام ، ثم ارتحلت وأقمت سنتين أتردد إلى زيارتهما . وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين . فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه وأجازه جائزة حسنة .

65 – حكاية الأعرابي وزوجته الوفية

وحكى أيضا أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين معاوية جلس يومًا في مجلس له بدمشق وكان الموضع مفتوح الطيقان من الجهات الأربع يدخل فيه النسيم من كل جانب . فبينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات وكان يوماً شديد الحر لا نسيم فيه ، وكان ذلك في وسط النهار وقد

اشتدت الهاجرة إذ نظر إلى رجل يمشي وهو يتلظّى من حرّ التراب ويحجل في مشيه حافياً. فتأمّله وقال لجلسائه : هل خلق الله سبحانه وتعالى أشقى ممن يحتاج إلى الحركة في هذا الوقت وفي هذه الساعة مثل هذا؟ قال بعضهم : لعله يقصد أمير المؤمنين. فقال : والله لئن قصدني لأعطينه وإن كان مظلومًا لأنصرنه. يا غلام قف بالباب فإذا طلب الدخول عليّ هذا الأعرابي لا تمنعه من الدخول عليّ. فخرج فوافاه الأعرابي فقال له : ما تريد؟ قال : أريد أمير المؤمنين. قال له : أدخل. فدخل وسلم عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 692

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الخادم لما اذن للأعرابي في الدخول، دخل وسلّم على أمير المؤمنين. فقال له معاوية : ممن الرجل؟ فقال : من بني تميم. قال : فما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ فقال : جئتك مشتكياً وبك مستجيراً. قال : ممن؟ قال : من مروان بن الحكم عاملك. ثم إنه أنشد وجعل يقول : [من الطويل]

مُعَاوِيَ يا ذا الجُودِ والحِلْمِ والفَضْلِ ... ويَا ذا النَّدَى والعِلْمِ والرُّشْدِ والنُّبْلِ
أَتَيْتُكَ لَمَّا ضاقَ في الأَرْضِ مَذْهَبي ... فَيا غَوْثَ لا تَقْطَعْ رَجائِي مِنَ العَدْلِ
وجُدْ لي بِإنْصافٍ مِنَ الجائِرِ الَّذي ... بَلانِي بِشَيْءٍ كانَ أَيْسَرُهُ قَتْلي
سَبانِي سُعادَ وأَنْبَرَى لِخُصُومَتِي ... وجارَ ولَمْ يَعْدِلْ وأَفْقَدَنِي أَهْلي
وهَمَّ بِقَتْلِي غَيْرَ أَنَّ مَنِيَّتِي ... تَأَنَّتْ ولَمْ أَسْتَكْمِلِ الرِّزْقَ مِنْ إجْلي

فلما سمع معاوية إنشاده والنار تتوقد من فيه قال له : أهلاً وسهلاً يا أخا العرب، أذكر قصتك وانبىء عن أمرك. فقال له : يا أمير المؤمنين، كان لي زوجة وكنت لها محبًا وبها كلفًا وكنت قرير العين طيب النفس، وكانت لي جملة من الإبل وكنت أستعين بها على قيام حالي، فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر وبقيت لا املك شيئاً. فلما قلّ ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهاناً ثقيلاً على الذي كان يرغب في زيارتي، فلما علم أبوها ما بي من سوء الحال وشر المآل، أخذها مني وجحدني وطردني واغلظ عليّ، فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم راجيًا لنصرته. فلما احضر أباها وسأله عن حالي قال : ما اعرفه قط. فقلت : أصلح الله الأمير إن رأى أن يحضر المرأة ويسألها عن قول أبيها تبين الحق. فبعث خلفها واحضرها. فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب فصار لي خصماً وعليّ منكراً واظهر لي الغضب وبعثني إلى السجن، فصرت كأنما نزلت من السماء واستوى بي الريح في مكان سحيق. ثم قال لأبيها : هل لك ان تزوّجها مني على ألف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصها من هذا الأعرابي؟ فرغب أبوها في البدل وأجابه إلى ذلك. فأحضرني ونظر إليّ كالأسد الغضبان وقال : يا أعرابي، طلّق سعاد. قلت : لا أطلقها. فسلط جماعة من غلمانه فصاروا يعذبونني بأنواع العذاب فلم أجد لي بدّاً إلا طلاقها ففعلت، فأعادني إلى السجن فمكثت فيه إلى ان انقضت العدة فتزوّج بها واطلقني. وقد جئتك راجياً وبك مستجيراً وإليك ملتجئًا. وانشد هذه الأبيات : [من مجزوء المجتث]

في القَلْبِ مِنِّيَ نارُ ... والنَّارُ فِيهَا اسْتِعارُ
والجِسْمُ مِنِّيَ سَقِيمٌ ... فِيهِ الطَّبِيبُ يُحارُ

وفي فُؤَادِيَ جَمْرٌ والجَمْرُ فِيهِ شَرارُ
والعَيْنُ تَهْطِلُ دَمْعًا ودَمْعُها مِدْرارُ
ولَيْسَ إلاَّ بِرَبِّي وبالأَمِيرِ انْتِصارُ

ثم اضطرب واصطكت أسنانه ووقع مغشيًا عليه وصار يتلوّى كالحية المقتولة . فلما سمع معاوية كلامه وإنشاده قال : تعدّى بن الحكم في حدود الدين وظلم واجترى على حريم المسلمين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 693

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين معاوية لما سمع كلام الأعرابي قال : تعدّى بن الحكم في حدود الدين وظلم واجترى على حريم المسلمين . ثم قال : يا أعرابي ، لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله قط . ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى مروان بن الحكم : قد بلغني انك تعدّيت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن يكون والياً أن يكفّ بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذّاتها . ثم كتب بعد ذلك كلاماً طويلاً اختصرته . من جملته هذه الأبيات : [من البسيط]

وَلَّيْتَ وَيْحَكَ أَمْراً لَسْتَ تُدْرِكُهُ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِنْ فِعْلِ امْرِءٍ زانِي
وقَدْ أَتانَا الفَتَى المِسْكِينُ مُنْتَحِبًا يَشْكُو إِلَيْنا بِبَيْنٍ ثُمَّ أَحْزانِ
أُعْطِي الإِلٰهُ يَمِيناً لا أُكَفِّرُها نَعَمْ وأَبْرَءُ مِنْ دِينِي وإِيمانِي
إِنْ أَنْتَ خالَفْتَ فِيما قَدْ كَتَبْتُ بِهِ لأَجْعَلَنَّكَ لَحْمًا بَيْنَ عُقْبانِي
طَلِّقْ سُعَادَ وعَجِّلْها مُجَهَّزَةً مَعَ الكُمَيْتُ ومَعَ نَصرِ بنِ ذُبْيانِ

ثم طوى الكتاب وطبعه بخاتمه واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لأمانتهما . فأخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلّما عليه وسلّما إليه الكتاب وأعلماه بصورة الحال . فصار مروان يقرأه ويبكي ، ثم قام إلى سعاد وأخبرها ولم يسعه مخالفة معاوية ، فطلّقها بمحضر من الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد . ثم كتب مروان كتاباً إلى معاوية يقول فيه : [من البسيط]

لا تُعْجِلَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَقَدْ أُوفِي بِنَذْرِكَ فِي رِفْقٍ وإِحْسانِ
وما أَتَيْتُ حَراماً حِينَ أَعْجَبَنِي فَكَيْفَ أُدْعَى بِإِسْمِ الخائِنِ الزَّانِي
وسَوْفَ تَأْتِيكَ شَمْسٌ لا نَظِيرَ لَها عِنْدَ الخَلِيفَةِ مِنْ إِنْسٍ ومِنْ جانِ

وختم الكتاب ودفعه إلى الرسولين . فسارا حتى وصلا إلى معاوية وسلّما إليه الكتاب فقرأه وقال : لقد أحسن في الطاعة وأطنب في ذكر الجارية . ثم أمر باحضارها ، فلما رآها رأى صورة حسنة لم ير مثلها في الحسن والجمال والقد والإعتدال ، فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان . فقال : عليّ بالأعرابي . فأتوا به وهو في حالة مزعجة من تغير الزمان عليه . فقال : يا أعرابي ، هل لك عنها من سلوة وأعوّضك عنها جواري نهدًا أبكارًا كأنهن أقمار ومع كل جارية ألف دينار وأجعل لك في بيت المال في كل سنة ما يكفيك ويغنيك؟ فلما سمع الأعرابي

كلام معاوية شهق شهقة فظن معاوية أنه قد مات . فلما قال له معاوية : ما بالك ؟ قال : بشر بال وسوء حال ، استجرت بعدلك من جور بن الحكم فبمن أستجير من جورك ؟ وانشد هذه الأبيات : [من البسيط]

لا تَجْعَلَنّي فَداكَ اللهُ مِنْ مَلِكٍ كالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بِالنَّارِ
أُرْدُدْ سُعادَ عَلَى حَيْرانِ مُكْتَئِبٍ يُمْسِي ويُصْبِحُ في هَمٍّ وتَذْكارِ
أَطْلِقْ وَثاقِي ولا تَبْخَلْ عَلَيَّ بِها فَإِنْ فَعَلْتَ فإنّي غَيْرُ كَفَّارِ

ثم قال : والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني ما خوّلته من الخلافة ما أخذته دون سعاد . وأنشد هذا البيت : [من المتقارب]

أَبَى القَلْبُ في الحُبِّ إلاَّ سُعادا هَواها غَدا لِيَ رِيّاً وزادا

فقال له معاوية : إنك مقرّ بأنك طلّقتها ومروان مقرّ بأنه طلقها ونحن نخيرها ، إن اختارت سواك زوّجناها إياه وإن اختارتك حوّلناها إليك . قال : إفعل . فقال معاوية : ما تقولين يا سعاد ، من احب إليك أمير المؤمنين في شرفه وعزّه وقصوره وسلطانه وأمواله وما ابصرتيه عنده ؟ أو مروان بن الحكم وعسفه وجوده ؟ او هذا الأعرابي وجوعه وفقره ؟ فانشدت هذين البيتين : [من البسيط]

هَذا وإنْ كانَ في جُوعٍ وأَضْرارِ أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ قَوْمِي ومِنْ جارِي
وصاحِبُ التَّاجِ أَوْ مَرْوانُ عامِلُهُ وكُلُّ ذِي دِرْهَمٍ عِنْدِي ودِينارِ

ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الأيام وإن له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى ، وأنا أحق من صبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء . فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها وامر لها بعشرة آلاف درهم ودفعها للأعرابي واخذ زوجته وانصرف .

66 - حكاية عاشقان من البصرة

وحكي أيضًا أيها الملك السعيد ، أن هارون الرشيد ارق ليلة فوجّه إلى الأصمعي وإلى حسين الخليع فاحضرهما وقال : حدّثاني وابدأ انت يا حسين . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، خرجت في بعض السنين منحدراً إلى البصرة ممتدحاً محمد بن سليمان الربيعي بقصيدة ، فقبلها وأمرني بالمقام . فخرجت ذات يوم إلى المريد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حرّ شديد ، فدنوت من باب كبير لأستسقي وإذا أنا بجارية كأنها قضيب ينثني وسناء العينين زجاء الحاجبين أسيلة الخدين عليها قميص جلناري ورداء صنعاني قد غلبت شدة بياض يديها حمرة قميصها ، يتلألأ من تحت القميص ثديان كرمانتين وبطن كطي القباطي بعكن كالقراطيس الناصعة المعقودة بالمسك محشوة ، وهي يا أمير المؤمنين متقلدة بخرز من الذهب الأحمر وهو بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج ولها حاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى ، تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدرّ ، وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز

تروح وتجيء تخطر على أكباد محبيها في مشيتها وقد أخرست سيقانها أصوات خلاخيلها . فهي كما قال فيها الشاعر : [من الرمل]

كُلُّ جُزْءٍ مِنْ مَحاسِنِها مُرْسِلٌ مِنْ حُسْنِها مَثَلا

فهبتها يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فإذا الدار والدهليز والشارع قد عبق بالمسك ، فسلّمت عليها فردّت عليّ بلسان خاشع وقلب حزين بلهيب الوجد محترق . فقلت لها : يا سيدتي ، إني شيخ غريب وأصابني عطش أفتأمرين لي بشربة ماء تؤجرين عليها ؟ قالت : إليك عني يا شيخ فإني مشغولة عن الماء والزاد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 694

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت : إني مشغولة عن الماء والزاد . فقلت : لأي علّة يا سيدتي ؟ قالت : لأني أعشق من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ، ومع ذلك فإني ممتحنة بمراقبة الرقباء . قلت : وهل يا سيدتي على بسيطة الأرض من تريدينه ولا يريدك ؟ قالت : نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال . قلت : وما وقوفك في هذا الدهليز ؟ قالت : ها هنا طريقه وهذا وقت اجتيازه . قلت لها : يا سيدتي ، فهل اجتمعتما في وقت من الأوقات وتحدّثتما حديثاً أوجب هذا الوجد ؟ فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم أنشدت هذين البيتين : [من الطويل]

وكُنّا كَغُصْنَيْ بانَةٍ فَوْقَ رَوْضَةٍ نَشُمُّ جَنَى اللَّذّاتِ في عِيشَةٍ رَغْدِ
فَأَفْرَدَ هَذا الغُصْنُ مِنْ ذاكَ قاطِعٌ فَيا مَنْ رَأَى فَرْدًا يَحِنُّ إلى فَرْدِ

قلت : يا هذه ، فما بلغ من عشقك لهذا الفتى ؟ قالت : أرى الشمس على حيطان أهله فأحسب أنها هو ، وربما أراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل . فقلت لها : اعذريني فإني على مثل ما بك من الصبابة مشتغل البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى بك من شحوب اللون ورقة البشرة ما يشهد بتباريح الهوى ، وكيف لم يمسك الهوى وأنت مقيمة في أرض البصرة ؟ قالت والله كنت قبل محبتي هذا الغلام في غاية الدلال بهيّة الجمال والكمال ، ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتتن بي هذا الغلام . قلت : يا هذه ، ما الذي فرّق بينكما ؟ قالت : نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شأن عجيب . وذلك إني قعدت في يوم نيروز ودعوت عدة من جواري البصرة وفي تلك الجواري جارية سيران وكان ثمنها عليه من عمان ثمانين ألف درهم ، وكانت لي مُحبة وبي مولعة . فلما دخلت رمت نفسها عليّ وكادت تقطعني قرصًا وعضًا ، ثم خلونا ننعم بالشراب إلى أن يتهيأ طعامنا ويتكامل سرورنا ، وكانت تلاعبني وألاعبها فتارة أنا فوقها وتارة هي فوقي . فحملها السكر على أن ضربت يدها إلى دكتي فحلّتها من غير ريبة كانت بيننا ونزل سروالي بالملاعبة . فبينما نحن كذلك إذ دخل هو على حين غفلة فرأى ذلك ، فاغتاظ لذلك وانصرف عني انصراف المهرة العربية إذا سمعت صلاصل لجامها فولّى خارجًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 695

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الجارية قالت لحسين الخليع : إن محبوبي لما رأى ما ذكرت لك من ملاعبتي مع جارية سيران خرج مغضباً مني . فأنا يا شيخ من منذ ثلاث سنين لم ازل اعتذر إليه واتلطف به واستعطفه فلا ينظر إليّ بطرف ولا يكتب إليّ بحرف ولا يكلّم لي رسولاً ولا يسمع مني قليلاً . قلت لها : يا هذه ، أمن العرب هو ام من العجم ؟ قالت : ويحك ، هو من جملة ملوك البصرة . فقلت لها : أشيخ هو ام شاب ؟ فنظرت إليّ شذراً وقالت : إنك أحمق ، هو مثل القمر ليلة البدر اجرد أمرد لا يعيبه شيء غير انحرافه عني . فقلت لها : ما اسمه ؟ قالت : ما تصنع به ؟ قلت : أجتهد في لقائه لتحصيل الوصال بينكما . قالت : على شرط ان تحمل إليه رقعة . قلت : لا أكره ذلك . فقالت : إسمه ضمرة بن المغيرة ويكنّى بأبي السخاء وقصره بالمريد . ثم صاحت على من في الدار : هاتوا الدواة والقرطاس . وشمّرت عن ساعدين كأنهما طوقان من فضة وكتبت بعد التسمية : سيدي ، ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبىء عن تقصيري واعلم أن دعائي لو كان مستجاباً ما فارقتني لأني كثيراً ما دعوت ان لا تفارقني وقد فارقتني ، ولولا ان الجهد تجاوز بي حدّ التقصير لكان ما تكلّفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة معيناً لها مع يأسها منك لعلمها أنك تترك الجواب ، وأقصى مرادها سيدي نظرة إليك وقت اجتيازك في الشارع إلى الدهليز تحيي بها نفساً ميتة . وأجلّ من ذلك عندها ان تخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة ، رقعة وتجعلها عوضًا عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي انت ذاكر لها سيدي ، ألست لك محبة مدنفة ؟ فإن أجبت إلى المسألة كنت لك شاكرة ولله حامدة والسلام . فتناولت الكتاب وخرجت واصبحت غدوت إلى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلساً محتفلاً بالملوك ورأيت غلامًا قد زان المجلس وفاق على من فيه جمالاً وبهجة قد رفعه الأمير فوقه . فسألت عنه فإذا هو ضمرة بن المغيرة . فقلت في نفسي : بالحقيقة حلّ بالمسكينة ما حلّ بها . ثم قمت وقصدت المريد ووقفت على باب داره فإذا هو قد ورد في موكب ، فوثبت إليه وبالغت في الدعاء وناولته الرقعة . فلما قرأها وفهم معناها قال لي : يا شيخ قد استبدلنا بها ، فهل لك ان تنظر إلى البديل ؟ قلت : نعم . فصاح على فتاة وإذا هي جارية تخجل القمرين ، ناهدة الثديين تمشي مشية مستعجل من غير وجل ، فناولها الرقعة وقال : أجيبي عنها . فلما قرأتها اصفرّ لونها حيث عرفت ما فيها وقالت : يا شيخ ، استغفر الله مما جئت فيه . فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر رجلي حتى آتيتها واستأذنت عليها ودخلت . فقالت : ما وراءك ؟ قلت : البأس واليأس . قالت : ما عليك منه فأين الله والقدرة . ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وخرجت . ثم جزت على ذلك المكان بعد أيام فوجدت غلماناً وفرساناً فدخلت ، وإذا هم أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع إليه وهي تقول : لا والله لا نظرت له في وجه . فسجدت شكراً لله يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة وتقرّبت من الجارية فأبرزت لي رقعة فإذا فيها : بعد التسمية سيدتي ، لولا إبقائي عليك أدام الله حياتك لوضعت شطراً مما حصل منك وبسطت عذري في ظلامتك إياي إذ كنت الجانية على نفسك ونفسي المظهرة لسوء العهد وقلّة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا ، فخالفت هواي والله المستعان على ما كان من اختيارك والسلام . واوقفتني على ما حمله إليها من الهدايا والتحف وإذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار . ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوّج بها ضمرة . فقال الرشيد : لولا أن ضمرة سبقني إليها لكان لي معها شأن من الشؤون .

67 - إسحاق الموصلي وإبليس

وحكى أيضًا أيها الملك ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : بينما انا ذات ليلة في منزلي و كان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الأمطار تقطر كأفواه القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الأمطار والوحل وانا ضيق الصدر حيث لم يأتني احد من إخواني ولم اقدر أن أسير إليهم من شدة الوحل والطين . فقلت لغلامي : أحضر لي ما أتشاغل به . فأحضر لي طعاماً وشراباً، فتنغصته إذ لم يكن معي من يؤانسني . ولم أزل أتطلع من الطاقات وأراقب الطرقات حتى أقبل الليل ، فتذكرت جارية لبعض أولاد المهدي كنت أهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك آلات الملاهي . فقلت في نفسي : لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وقصرت ليلتي مما أنا فيه من الفكر والقلق . وإذا بداق يدق الباب وهو يقول : أيدخل محبوب على الباب واقف؟ فقلت في نفسي : لعل غرس التمني قد أثمر . فقمت إلى الباب فإذا بصاحبتي وعليها مرط اخضر قد اتّشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت في الطين إلى ركبتيها وابتلّ ما عليها من الميازيب وهي في قالب عجيب . فقلت لها : يا سيدتي ما الذي اتى بك في مثل هذه الأوحال فقالت : قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني إلا الإجابة والإسراع نحوك . فتعجبت من ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 696

□ قالت : بلغني أيها الملك السيعد ، ان الجارية لما اتت وطرقت باب اسحاق خرج لها وقال : يا سيدتي ، ما الذي اتى بك في هذه الأوحال ؟ قالت له : قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني إلا الإجابة والإسراع نحوك . فتعجبت من ذلك وكرهت أني اقول لها لم أرسل إليك أحدًا فقلت : الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من ألم الصبر ، ولو كنت أبطأت عليّ ساعة كنت أحق بالسعي إليك لأني اشتاق إليك كثير الصبابة نحوك . ثم قلت لغلامي : هات الماء . فأقبل بمسخنة فيها ماء حار حتى تصلح حالها ثم أمرته أن يصب الماء على رجليها وتولّيت غسلهما بنفسي ، ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فألبستها إياها بعد أن نزعت ما كان عليها وجلسنا ، ثم استدعيت بالطعام فأبت . فقلت : هل لك في الشراب؟ قالت : نعم . فتناولت أقداحًا ثم قالت : من يغن ؟ فقلت : أنا يا سيدتي . فقالت : لا أحب . فقلت : بعض جواري . قالت : لا اريد . قلت : غني بنفسك . قالت : ولا أنا . قلت لها : فمن يغن لك؟ قالت : أخرج التمس من يغني لي . فخرجت طاعة لها إلا اني يائس ومتيقن ان لا اجد احدًا في مثل هذا الوقت . فلم ازل ماشياً حتى بلغت الشارع وإذا أنا بأعمى يخبط الأرض بعصاه وهو يقول : لا جزى الله من كنت عندهم خيرًا ، إن غنيت لم يسمعوا وإن سكت استخفّوا بي . فقلت له : أمغن أنت؟ قال : نعم . قلت له : فهل لك أن تتم ليلتك عندنا وتؤنسنا ؟ قال : إن شئت خذ بيدي . فأخذت بيده وسرت إلى الدار وقلت لها : يا سيدتي ، قد أتيت بمغن أعمى نلتذ به ولا يرانا . فقالت : عليّ به . فأدخلته وعزمت عليه بالطعام فأكل أكلاً لطيفاً وغسل يديه ، وقدّمت إليه الشراب فشرب ثلاثة أقداح ثم قال : من تكن ؟ قلت : اسحاق بن

ابراهيم الموصلي . قال : لقد كنت أسمع بك والآن فرحت بمنادمتك . فقلت : يا سيدي فرحت بفرحك . ثم قال : غن لي يا اسحاق . فأخذت العود على سبيل المجون وقلت : السمع والطاعة . فلما ان غنيت وانقضى الصوت قال : يا اسحاق ، قاربت أن تكون مغنياً . فصغرت إلى نفسي والقيت العود من يدي فقال : اما عندك من يحسن الغناء ؟ قلت : عندي جارية . قال : أمرها أن تغني . فقلت : هل تغني وأنت واثق بغنائها ؟ قال : نعم فغنت . قال : لا ما صنعت شيئًا . فرمت العود من يدها مغضبة وقالت : الذي عندنا جدنا به فإن كان عندك شيء فتصدّق به علينا . فقال : عليّ بعود لم تمسه يد . فأمرت الخادم فجاء بعود جديد . فجسّ العود وضرب في طريق لا أعرفها واندفع يغني وينشد هذين البيتين : [من الطويل]

سَرَى يَقْطَعُ الظَّلْماءَ واللَّيْلُ عاكِفٌ حَبِيبٌ بأَوْقاتِ الزِّيارَةِ عارِفُ
وما راعَنا إلاّ سَلامٌ وقَوْلُها أَيَدْخُلُ مَحْبُوبٌ عَلَى البَابِ واقِفُ؟

قال : فنظرت إليّ الجارية شزراً وقالت : سرّ بيني وبينك ما يسعه صدرك ساعة وأودعته لهذا الرجل ؟ فحلفت لها واعتذرت إليها ثم أخذت أقبل يديها وأزغزغ ثدييها وأعض خديها حتى ضحكت . ثم التفت إلى الأعمى وقلت له : غن يا سيدي . فأخذ العود وغنى بهذين البيتين : [من الطويل]

أَلا رُبَّما زُرْتُ المِلاحَ ورُبَّما لَمَسْتُ بِكَفَّيَّ البَنانَ المُخَضَّبا
وزَغْزَغْتُ رُمَّانَ الصُّدُورِ ولَمْ أَزَلْ أُعَضْعِضُ تُفَّاحَ الخُدُودِ المُكَبَّا

فقلت لها : يا سيدتي من أعلمه بما نحن فيه ؟ قالت : صدقت . ثم تجنبناه فقال : إني حاقن . فقلت : يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه . فخرج وأبطأ ، فخرجنا في طلبه فلم نجده فإذا الأبواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة فلا ندري أفي السماء صعد أم في الأرض هبط ؟ فعلمت أنه ابليس وانه قاد لي . ثم انصرفت فتذكّرت قول أبي نواس حيث قال هذين البيتين : [من السريع]

عَجِبْتُ مِنْ إبْلِيسَ في كِبْرِهِ وخُبْثِ ما أَضْمَرَ في نِيَّتِهْ
تاهَ على آدَمَ في سَجْدَةٍ وصارَ قَوّادًا لِذُرِّيَّـــتِهْ

68 - حكاية عاشقان من أهل المدينة

وحكي أيضًا أن ابراهيم بن اسحاق قال : كنت منقطعًا إلى البرامكة فبينما أنا يوماً في منزلي وإذا ببابي يدق ، فخرج غلامي وعاد وقال لي : على الباب فتى جميل يستأذن فأذنت له . فدخل شاب عليه أثر السقم فقال : إن لي مدة أحاول لقائك ولي إليك حاجة . فقلت : ما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي وقال : أسألك أن تقبلها مني وتصنع لي لحنًا في بيتين قلتهما . فقلت له : أنشدنيهما . فأنشد وجعل يقول : وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابراهيم بن اسحاق لما دخل عليه الفتى ووضع بين يديه الدنانير وقال له : أسألك ان تقبلها وتصنع لي لحناً في بيتين قلتهما . فقال له : أنشدنيهما . فأنشد يقول :

[من البسيط]

باللهِ يا طَرْفِيَ الجاني عَلى كَبِدِي لَتُطْفِئَنَّ بِدَمْعِي لَوْعَةَ الحَزَنِ
الدَّهْرُ مِنْ جُمْلَةِ العُذَّالِ في سَكَنِي فَلا أَراهُ وَلَوْ أُدْرِجْتُ في كَفَنِي

قال : فصنعت له لحناً يشبه النوح ثم غنّيته فاغمي عليه حتى ظننت انه مات ثم افاق وقال : أعد . فناشدته الله وقلت : أخشى أن تموت . قال : ليت ذلك لو كان . وما زال يخضع ويتضرّع حتى رحمته وأعدته . فصعق صعقة أشدّ من الأولى فلم أشك في موته ، وما زلت أنضح عليه من ماء الورد حتى افاق وجلس . فحمدت الله على سلامته ووضعت دنانيره بين يديه وقلت له : خذ مالك وانصرف عني . فقال : لا حاجة لي به ولك مثلها إن أعدت اللحن . فانشرح صدري إلى المال فقلت له : أعيد ولكن بثلاثة شروط : أولها أن تقيم عندي وتأكل طعامي حتى تقوّي نفسك . والثاني أن تشرب من الشراب ما يمسك قلبك . والثالث أن تحدّثني بحديثك . ففعل ذلك ثم قال : إني رجل من أهل المدينة ، خرجت متنزّهاً وقد سلكت طريق العقيق مع إخوتي فرأيت جارية مع فتيات كأنهن غصن جلّله الندى ، تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس ملاحظتهما ، فأظللن حتى فرغ النهار ثم انصرفن وقد وجدت بقلبي جراحاً بطيئة الإندمال . فعدت أتنسّم أخبارها فلم أجد أحداً ، فصرت أتتبعها في الأسواق فلم أقع لها على خبر . ومرضت أسًى وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقال : لا بأس عليك ، هذه أيام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ وأخرج أنا معك فافعل مرادك . فاطمأنت نفسي بذلك إلى أن سال العقيق وخرج الناس فخرجت مع إخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه ، فما لبثنا إلا والنسوة أقبلن كفرسي رهان . فقلت لجارية من أقاربي : قولي لهذه الجارية ، يقول لك هذا الرجل : لقد أحسن من قال هذا البيت : [من الطويل]

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَقْصَدَ القَلْبَ وَانْثَنَتْ وقَدْ عاوَدَتْ جُرْحًا بِهِ ونُدُوبا

فمضت إليها وقالت لها ذلك . فقالت : قولي له : لقد أحسن من أجاب بهذا البيت : [من الطويل]

بِنا مِثْلَ ما تَشْكُوْ فَصَبْرًا لَعَلَّنا نَرَى فَرَجًا يَشْفِي القُلُوبَ قَرِيبَا

وامسكت عن الكلام خوف الفضيحة وقمت منصرفًا . فقامت لقيامي وتبعتها فرأتني حتى عرفت منزلها . وصارت تسير إليّ وأسير إليها حتى اجتمعنا وكثر ذلك حتى شاع وظهر وعلم أبوها . فلم أزل مجتهداً في لقائها وشكوت ذلك إلى أبي ، فجمع أهلنا ومضى إلى أبيها راغباً في خطبتها فقال : لو بدا لي ذلك قبل أن يفضحها لفعلت ، ولكن اشتهر ذلك فما كنت لأحقق قول الناس . قال ابراهيم : فأعدت عليه الصوت فعرفني منزله ثم انصرف وكان بيننا عشرة . ثم جلس

جعفر بن يحيى وحضرت على عادتي فغنّيته شعر الفتى . فطرب وشرب أقداحًا وقال : ويلك ، لمن هذا الصوت ؟ فحدّثته حديث الفتى . فأمرني بالركوب إليه وان أجعله على ثقة من بلوغ إربه . فمضيت إليه فاحضرته ، فاستعاده الحديث فحدّثه . فقال : انت في ذمتي حتى ازوّجك إياها . فطابت نفسه وأقام معنا ، فلما أصبح الصباح ركب جعفر إلى الرشيد وحدّثه بذلك . فاستظرفه وامر ان نحضر جميعاً ، فاستعاد الصوت وشرب عليه ثم امر بكتب كتاب إلى عامل الحجاز بإحضار أبي المرأة وأهلها مبجلاً إلى حضرته والإنفاق عليهم نفقة واسعة . فلم يمض إلا يسير حتى حضروا ، فأشار الرشيد بإحضار الرجل بين يديه فحضر ، وأمره بتزويج ابنته من الفتى وأعطاه مائة ألف دينار وانقلب إلى أهله . ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث ، فعاد الفتى بأهله إلى المدينة فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين .

69 – حكاية الملك الناصر ووزيره

وحكي أيضًا أيها الملك السعيد ، أن الوزير أبا عامر بن مروان كان قد أهدى إليه غلام من النصارى لا تقع العيون على أحسن منه . فلمحه الملك الناصر فقال لسيده : من أين هذا ؟ قال : هو من عند الله . فقال له : أتخوفنا بالنجوم وتأسرنا بالأقمار ؟ فاعتذر إليه ثم احتفل في هدية بعثها إليه مع الغلام وقال له : كن داخلاً في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي . وكتب معه هذين البيتين :[من الطويل]

أَمَوْلايَ هذا البَدْرُ سارَ لأُفْقِكُمْ … أَرى الأُفْقَ أَوْلى بالبُدُورِ مِنَ الأَرْضِ
فأُرْضِيكُمُ بالنَّفْسِ وَهْيَ نَفِيسَةٌ … ولَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ بِمُهْجَتِهِ يُرْضِي

فحسن ذلك عند الناصر وأتحفه بمال جزيل وتمكّن عنده . ثم بعد ذلك أهديت للوزير جارية من أجلاء نساء الدنيا ، فخاف أن ينمي ذلك إلى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام . فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وأرسلها مع الجارية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 698

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير أبا عامر لما أهديت إليه الجارية خاف أن يصل خبرها إلى الملك الناصر وتكون قصتها مثل قصة الغلام . فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وأرسلها وصحبتها الجارية وكتب معها هذه الأبيات :

[من الطويل]

أَمَوْلايَ هَذِيْ الشَّمْسُ والبَدْرُ أَوَّلاً … تَقَدَّمُ إِلَيْها يَلْتَقِي القَمَرانِ
قِرانٌ لَعَمْرِي بالسَّعادَةِ ناطِقٌ … فَدُمْ مِنْهُما في كَوْثَرٍ وجِنانِ
فَما لَهُما واللهِ في الحُسْنِ ثالِثٌ … وما لَكَ في مُلْكِ البَرِيَّةِ ثانِ

فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض أعدائه عند الناصر بأن عنده من الغلام بقية حرارة وإنه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على إهداء الغلام . فقال الناصر : لا

تحرّك به لسانك وإلا اطرت راسك . وكتب إليه على لسان الغلام ورقة فيها : يا مولاي ، أنت تعلم انك كنت لي على الإنفراد ولم ازل معك في نعيم ، وانا وإن كنت عند السلطان فإني احب انفرادي بك ولكنني اخشى من سطوة الملك . فتحيّل في استدعائي منه . ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول : هي من عند فلان وإن الملك لم يكلمه قط . فلما اوقف عليها ابو عامر ودلس عليه الخادم أحس بالشربة . فكتب على ظهر الورقة هذه الأبيات : [من الطويل]

أَمِنْ بَعْدِ إحْكامِ التَّجارِبَ يَنْبَغِي لِذِي الحَزْمِ أَنْ يَسْعَى إلى غَابَةِ الأَسَدْ
ولا أَنا مَمَّنْ يَغْلُبُ الحُبُّ عَقْلَهُ ولا جاهِلٌ ما يَدَّعِيهِ أُولو الحَسَدْ
فإنْ كُنْتَ رُوحِي قَدْ وَهَبْتُكَ طائِعًا وكَيْفَ تُرَدُّ الرُّوحُ إنْ فارَقَتْ جَسَدْ

فلما وقف الناصر على الجواب تعجّب من فطنته ولم يعد إلى استماع واش فيه بعد ذلك . ثم قال له : كيف خلصت من الشرك ؟ قال : لأن عقلي بالهوى غير مشترك والله أعلم .

70 - حكاية دليلة المحتالة

وحكي ايضًا ايها الملك السعيد ، انه كان في زمن خلافة هارون الرشيد رجل يسمّى احمد الدنف وآخر إسمه حسن شومان . وكانا صاحبا مكر وحيل ولهما افعال عجيبة . فبسبب ذلك خلع الخليفة على أحمد الدنف خلعة وجعله مقدّم الميمنة وخلع على حسن شومان خلعة وجعله مقدّم الميسرة ، وجعل لكل واحد منهما جامكية في كل شهر ألف دينار ، وكان لكل واحد منهما اربعون رجلاً من تحت يده وكان مكتوباً بأعلى : أحمد الدنف درك البر . فنزل أحمد الدنف ومعه حسن شومان ومن تحت أيديهما راكبين والأمير خالد الوالي بصحبتهم والمنادي ينادي حسبما رسم الخليفة انه : لا مقدّم بغداد في الميمنة إلا المقدّم احمد الدنف ، ولا مقدم بغداد في الميسرة إلا حسن شومان ، وإنهما مسموعان الكلمة واجبان الحرمة . وكان في البلدة عجوز تسمّى دليلة المحتالة ولها بنت تسمى زينب النصابة ، فسمعنا المناداة بذلك فقالت زينب لامها دليلة : أنظري يا أمي هذا أحمد الدنف جاء من مصر مطروداً ولعب مناصف في بغداد إلى ان تقرّب عند الخليفة وبقي مقدم الميمنة ، وهذا الولد الأقرع حسن شومان صار مقدم الميسرة وله سماط في الغداة وسماط في العشي ، ولهما جوامك لكل واحد منهما ألف دينار في كل شهر ، ونحن قاعدون معطلون في هذا البيت لا مقام لنا ولا حرمة وليس لنا من يسأل عنا . وكان زوج دليلة مقدم بغداد سابقًا وكان له عند الخليفة في كل شهر ألف دينار ، فمات عن بنتين : بنت متزوجة ومعها ولد يسمى أحمد اللقيط ، وبنت عازبة تسمّى زينب النصابة . وكانت دليلة صاحبة حيل وخداع ومناصف وكانت تتحيل على الثعبان حتى تطلعه من وكره ، وكان إبليس يتعلّم منها المكر . وكان زوجها برّاج عند الخليفة وكان له جامكية في كل شهر ألف دينار ، وكان يربي حمام البطاقة الذي يسافر بالكتب والرسائل . وكان عند الخليفة كل طير لوقت حاجته اعز من واحد من أولاده . فقالت زينب لأمها : قومي اعملي حيلاً ومناصف لعل بذلك يشتهر لنا صيت في بغداد وتكون لنا جامكية أبينا . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 699

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن زينب النصابة لما قالت لأمها : قومي اعملي لنا حيلاً ومناصف لعل بذلك يشيع لنا صيت في بغداد فتكون لنا جامكية ابينا . فقالت لها : وحياتك يا بنتي لألعب في بغداد مناصف أقوى من مناصف أحمد الدنف وحسن شومان . فقامت ضربت على وجهها لثاماً ولبست لباس الفقراء من الصوفية ولبست لباساً نازلاً لكعبها وجبّة صوف وتحزّمت بمنطقة عريضة وأخذت إبريقاً وملأته ماء لرقبته وحطّت في فمه ثلاثة دنانير وغطّت فم الإبريق بليفة وتقلّدت بسبح قدر حملة حطب، وأخذت راية في يدها وفيها شراميط حمر وصفر وطلعت تقول : الله واللسان ناطق بالتسبيح والقلب راكض في ميدان القبيح . وصارت تتلمح لمنصف تلعبه في البلد . فسارت من زقاق إلى زقاق حتى وصلت إلى زقاق مكنوس مرشوش وبالرخام مفروش فرأت باباً مقوصراً بعتبة من مرمر ورجلاً مغربياً بوّاباً واقفًا بالباب، وكانت تلك الدار لرئيس الشاويشية عند الخليفة، وكان صاحب الدار ذا زرع وبلاد وجامكية واسعة وكان يسمّى بالامير حسن شر الطريق، وما سمّوه بذلك إلا لكون ضربته تسبق كلمته، وكان متزوجًا بصبية مليحة وكان يحبها . وكانت ليلة دخلته بها حلّفته انه لا يتزوّج عليها ولا يبيت في غير بيته، إلى ان طلع زوجها يوماً من الأيام إلى الديوان فرأى كل أمير معه ولد أو ولدان، وكان قد دخل الحمام ورأى وجهه في المرآة فرأى بياض شعر ذقنه غطّى سوادها . فقال في نفسه : هل الذي اخذ اباك لا يرزقك ولداً . ثم دخل على زوجته وهو مغتاظ فقالت له : مساء الخير . فقال لها : روحي من قدامي، من يوم رأيتك ما رأيت خيراً . فقالت له : لأي شيء؟ فقال لها : ليلة دخلت عليك حلفتيني أني ما أتزوج عليك . ففي هذا اليوم رأيت الأمراء كل واحد معه ولد وبعضهم معه ولدان فتذكّرت المو ت وأنا ما رزقت بولد ولا بنت، ومن لا ذكر له لا يذكر . وهذا سبب غيظي فإنك عاقر لا تحبلين مني . فقالت له : اسم الله عليك، أنا خرقت الأهوان من دق الصوف والعقاقير وأنا ما لي ذنب والعاقة منك لأنك بغل افطس وبيضك رايق لا يحبل ولا يجيء بأولاد . فقال لها : لما أرجع من السفر أتزوج عليك . فقالت له : نصيبي على الله . وطلع من عندها وندما على معايرة بعضهما . فبينما زوجته تطل من طاقتها وهي كأنها عروسة، كنز من المصاغ الذي عليها وإذا بدليلة واقفة فرأتها فنظرت عليها صيغة وثياباً مثمنة . فقالت لنفسها : يا دليلة، لا اصنع من ان تأخذي هذه الصبية من بيت زوجها وتعرّيها من المصاغ والثياب وتأخذي جميع ذلك . فوقفت وذكرت تحت شباك القصر وقالت : الله الله . فرأت الصبية هذه العجوز وهي لابسة من الثياب البيض ما يشبه قبة من نور متهيئة بهيئة الصوفية وهي تقول : احضروا يا أولياء الله . فطلّت نساء الحارة من الطيقان . وقالت : شيئًا لله من المدد هذه شيخة طالع من وجهها النور . فبكت خاتون زوجة الأمير حسن وقالت لجاريتها : انزلي قبلي يد الشيخ أبي علي البوّاب وقولي له خليه يدخل الشيخة لنتبرّك بها . فنزلت وقبلت يده وقالت : سيدتي تقول لك خل هذه الشيخة تدخل إلى سيدتي لتتبرّك بها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 700

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الجارية لما نزلت للبوّاب وقالت له : سيدتي تقول لك : خل هذه الشيخة تدخل لسيدتي لتتبرّك بها لعل بركتها تعمّ علينا . فتقدّم البوّاب وقبّل يدها فمنعته وقالت له : إبعد عني لئلا تنقض وضوئي، أنت الآخر مجذوب وملحوظ من الأولياء، الله يعتقك من هذه الخدمة يا أبا علي . وكان للبوّاب أجرة ثلاثة أشهر على الأمير، وكان معسراً ولم يعرف أن يخلصها من ذلك الأمير . فقال لها : يا أمي، اسقيني من إبريقك لأتبرك بك . فأخذت الإبريق من كتفها وبرمت به في الهواء وهزّت يدها حتى طارت الليفة من فم الإبريق فنزلت الثلاثة دنانير على الأرض . فنظرها البوّاب والتقطها وقال في نفسه : شيء لله، هذه الشيخة من أصحاب التصرف فإنها كاشفت عليّ وعرفت أني محتاج للمصروف فتصرّفت لي في حصول ثلاثة دنانير من الهواء . ثم أخذها في يده وقال لها : خذي يا خالتي الثلاثة دنانير التي وقعت في الأرض من إبريقك . فقالت له العجوز : أبعدها عني فإني من ناس لا يشغلون بدنيا أبداً، خذها ووسّع بها على نفسك عوضاً عن الذي لك على الأمير . فقال : شيئًا لله من المدد وهذا من باب الكشف وإذا بالجارية قبّلت يدها وأطلعتها لسيدتها . فلما دخلت رأت سيدة الجارية كأنها كنز انفكّت عنه الطلاسم، فرحبت بها وقبلت يدها فقالت لها : يا بنتي، أنا ما جئتك إلا بمشورة . فقدمت لها الأكل فقالت : يا بنتي، أنا ما آكل إلا من مأكل الجنة وأديم صيامي فلا أفطر إلا خمسة أيام في السنة . ولكن يا بنتي أنا أنظرك مكدرة ومرادي أن تقولي لي على سبب تكديرك . فقالت : يا أمي، في ليلة ما دخلت حلّفت زوجي أنه لا يتزوّج غيري، فرأى الأولاد فتشوّق إليهم فقال لي : أنت عاقر . فقلت له : أنت بغل لا تحبل . فخرج غضباناً وقال : لمّا أرجع من السفر أتزوّج عليك . وأنا خائفة يا أمي أن يطلّقني ويأخذ غيري، فإن له بلاداً وزروعًا وجامكية واسعة فإذا جاء له أولاد من غيري يملكون المال والبلاد مني . فقالت لها : يا بنتي، هل أنت عمياء عن شيخي أبي الحملات؟ فكل من كان مديوناً وزاره قضى الله دينه وإن زارته عقيم فإنها تحبل . فقالت : يا أمي، أنامن يوم دخلت ما خرجت لا معزية ولا مهنية . وقالت لها العجوز : يا بنتي، أنا آخذك معي وأزورك أبا الحملات وارمي حملتك عليه وانذري له عسى أنه يجيء زوجك من السفر ويجامعك فتحبلي منه ببنت أو ولد، وكل شيء ولدتيه إن كان أنثى أو ذكراً يبقى درويش الشيخ أبي الحملات . فقامت الصبية ولبست مصاغها جميعه ولبست أفخر ما كان عندها من الثياب وقالت للجارية : إلقي نظرك على البيت . فقالت : سمعًا وطاعة يا سيدتي . ثم نزلت فقابلها الشيخ أبو علي البوّاب فقال لها : إلى أين يا سيدتي؟ فقالت له : انا رايحة لأزور الشيخ أبا الحملات . فقال البوّاب : صوم العام يلزمني، إن هذه الشيخة من الأولياء وملآنة بالولاية، وهي يا سيدتي من أصحاب التصريف لأنها أعطتني ثلاثة دنانير من الذهب الأحمر وكاشفت عليّ من غير أن أسألها وعلمت أني محتاج . فخرجت العجوز والصبية زوجة الأمير حسين شر الطريق معها . والعجوز الدليلة المحتالة تقول للصبية : إن شاء الله يا بنتي لمّا تزورين الشيخ أبا الحملات يحصل لك جبر الخاطر وتحبلين بإذن الله تعالى، ويحبك زوجك الأمير حسن ببركة هذا الشيخ ولا يسمعك كلمة تؤذي خاطرك بعد ذلك . فقالت لها : أزوره يا أمي . ثم قالت العجوز في نفسها : أين أعريها وآخذ ثيابها والناس رايحة وغادية؟ فقالت لها : يا بنتي، إذا

مشيت فامشي ورائي على قدر ما تنظرينني، لأن أمك صاحبة حمل كثيرة وكل من كان عليه حملة يرميها عليّ، وكل من كان معه نذر يعطيه لي ويقبّل يدي. فمشت الصبية وراءها بعيداً عنها والعجوز قدّامها إلى أن وصلتا إلى سوق التجار والخلخال يرن والعقوص تشن. فمرّت على دكان ابن تاجر يسمّى سيدي حسن وكان مليحاً جد الأنبات بعارضيه فرأى الصبية مقبلة وصار يلحظها شذراً. فلما لحظت ذلك العجوز، غمزت الصبية وقالت لها: اقعدي على هذا الدكان حتى أجيء إليك. فامتثلت أمرها وقعدت قدام دكان ابن التاجر، فنظرها ابن التاجر نظرة أعقبته ألف حسرة. ثم أتته العجوز وسلّمت عليه وقالت له: هل أنت اسمك سيدي حسن ابن التاجر محسن؟ فقال لها: نعم من أعلمك باسمي؟ فقالت: دلّني عليك أهل الخير، لي واعلم أن هذه الصبية بنتي وكان أبوها تاجراً فمات وخلّف لها مالاً كثيراً وهي بالغة وقالت العقلاء: اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك. وعمرها ما خرجت إلا في هذا اليوم وقد جاءت الإشارة ونوديت في سرّي أني أزوّجك بها، وإن كنت فقيراً أعطيتك رأس مال وافتح لك عوض الدكان اثنين. فقال ابن التاجر في نفسه: قد سألت الله عروسة فمنّ علي بثلاثة أشياء: كيس وكس وكساء. ثم قال لها: يا أمي، نعم ما أشرت به عليّ، فإن أمي طالما قالت لي: أريد أن أزوّجك. لم أرض بل أقول: أنا لا أتزوج إلا على نظر عيني. فقالت له: قم على قدميك واتبعني وأنا أريها لك عريانة. فقام معها وأخذ معه ألف دينار وقال في نفسه: ربما نحتاج شيئًا نشتريه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 701

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز قالت لحسن ابن التاجر محسن: قم اتبعني وأنا أريها لك عريانة. فقام معها وأخذ معه ألف دينار وقال في نفسه: ربما نحتاج إلى شيء فنشتريه ونحطّ معلوم عقد العقد. ثم قالت له العجوز: كن ماشياً بعيداً عنها على قدر ما تنظرها بالعين. وقالت العجوز في نفسها: أين تروحين بابن التاجر وقد قفل دكانه فتعريه هو والصبية؟ ثم مشت والصبية تابعة العجوز وابن التاجر تابع الصبية إلى أن أقبلت على مصبغة كان فيها واحد معلم يسمّى الحاج محمد، وكان مثل سكين القلاقسي يقطع الذكر والأنثى، يحب أكل التين والرمان. فسمع الخلخال يرن فرفع عينه فرأى الصبية والغلام وإذا بالعجوز قعدت عنده وسلّمت عليه وقالت له: أنت الحاج محمد الصباغ؟ فقال لها: نعم أنا الحاج محمد، أي شيء تطلبين؟ فقالت له: أنا دلّني عليك أهل الخير، فانظر هذه الصبية المليحة بنتي وهذا الشاب الأمرد المليح إبني، وأنا ربّيتهما وصرفت عليهما أموالاً كثيرة. واعلم أن لي بيتًا كبيراً خسعًا وصلبته على خشب وقال لي المهندس: اسكني في مطرح غيره ربما يقع عليك حتى تعمريه وبعد ذلك إرجعي إليه واسكني فيه. فطلعت افتش لي على مكان فدلّني عليك أهل الخير، ومرادي أن أسكن عندك بنتي وابني. فقال الصباغ في نفسه: قد جاءتك زبدة على فطيرة فقال لها: صحيح أن لي بيتاً وقاعة وطبقة ولكن أنا ما استغني عن مكان منها للضيوف والفلاحين أصحاب النيلة. فقالت له: يا ابني، معظمه شهر أو شهران حتى نعمر البيت، ونحن ناس غرباء فاجعل مكان الضيوف مشتركًا بيننا وبينك. وحياتك يا ابني إن طلبت أن ضيوفك تكون ضيوفنا فمرحبا بهم، نأكل معهم وننام معهم. فاعطاها المفاتيح واحداً كبيراً والآخر صغير

ومفتاحاً أعوج وقال لها : المفتاح الكبير للبيت والأعوج للقاعة والصغير للطبقة . فاخذت المفاتيح وتبعتها الصبية ووراءها ابن التاجر إلى أن اقبلت على زقاق فرأت الباب ففتحته ودخلت ودخلت الصبية وقالت لها : يا بنتي ، هذا بيت الشيخ أبي الحملات . وأشارت لها إلى القاعة ، ولكن اطلعي الطبقة وحلي إزارك حتى أجيء إليك فدخلت الصبية في الطبقة وقعدت . فأقبل ابن التاجر فاستقبلته العجوز وقالت له : اقعد في القاعة حتى أجيء إليك ببنتي لتنظرها . فدخل وقعد في القاعة ودخلت العجوز على الصبية فقالت لها الصبية : أنا مرادي أن أزور أبا الحملات قبل أن يجيء الناس . فقالت لها : يا بنتي ، يخشى عليك . فقالت لها : من أي شيء ؟ فقالت لها : هناك ولدي أبهل لا يعرف صيفاً من شتاء دائماً عريان وهو نقيب الشيخ ، فإن دخلت بنت مثلك لتزور الشيخ يأخذ حلقها ويشرم أذنها ويقطع ثيابها الحرير . فأنت تقلعين صيغتك وثيابك لأحفظها لك حتى تزوري . فقلعت الصبية الصيغة والثياب وأعطت العجوز إياها وقالت لها : إني أضعها لك على ستر الشيخ فتحصل لك البركة . ثم أخذتها العجوز وطلعت وخلّتها بالقميص واللباس وخبّأتها في محل في السلالم ثم دخلت على ابن التاجر فوجدته في انتظار الصبية فقال لها أين ابنتك حتى أنظرها ؟ فلطمت على صدرها فقال لها : ما لك ؟ فقالت له : لا عاش جار السوء ولا كان جيران يحسدون لأنهم رأوك داخلاً معي فسألوني عنك فقلت : أنا خطبت لبنتي هذا العريس . فحسدوني عليك فقالوا لبنتي : هل أمك تعبت من مؤنتك حتى تزوّجك لواحد مبتل ؟ فحلفت لها أني ما أخليها تنظرك إلا وأنت عريان . فقال : أعوذ بالله من الحاسدين . وكشف عن ذراعيه فرأتهما مثل الفضة فقالت له : لا تخشى من شيء فإني أدعك تنظرها عريانة مثل ما تنظرك عريان . فقال لها : خليها تجيء لتنظرني . وقلع الفروة السمور والحياصة والسكين وجميع الثياب حتى صار بالقميص واللباس وحط الألف دينار في الحوائج . فقالت له : هات حوائجك حتى أحفظها لك . وأخذتها ووضعتها على حوائج الصبية وحملت جميع ذلك وخرجت به من الباب وقفلته عليهما وراحت إلى حال سبيلها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 702

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما أخذت حوائج ابن التاجر وحوائج الصبية وقفلت الباب عليهما وراحت إلى حال سبيلها ، أودعت الذي كان معها عند رجل عطار وراحت إلى الصباغ فرأته قاعداً في انتظارها فقال لها : إن شاء الله يكون البيت أعجبكم ؟ فقالت : فيه بركة وأنا رايحة أجيء بالحمالين يحملون حوائجنا وفرشنا وأولادي قد اشتهوا عليّ عيشاً بلحم ، فأنت تأخذ هذا الدينار وتعمل لهما عيشاً بلحم وتروح تتغدّى معهم . فقال الصباغ : ومن يحرس المصبغة وحوائج الناس فيها؟ فقالت : صبيك . قال : وهو كذلك . ثم أخذ صحناً ومكبة معه وراح يعمل الغداء . هذا ما كان من أمر الصباغ وله كلام يأتي . وأما ما كان من أمر العجوز فإنها أخذت من العطار حوائج الصبية وابن التاجر ودخلت المصبغة وقالت لصبي الصباغ : إلحق معلمك وأنا لا أبرح حتى تأتيان . فقال لها : سمعاً وطاعة . ثم أخذت جميع ما فيها وإذا برجل حمّار حشاش له أسبوع وهو بطال . فقالت له العجوز : تعال يا حمّار فجاءها . فقالت له : هل أنت تعرف ابن الصباغ ؟ قال لها : أعرفه . قالت له : هذا

مسكين قد افلس وبقي عليه ديون، وكلما يحبس أطلقه. ومرادنا ان نثبت إعساره وانا رايحة أعطي الحوايج لأصحابها، ومرادي ان تعطيني الحمار حتى أحمل عليه الحوائج للناس وخذ هذا الدينار كراه، وبعد ان اروح تأخذ الدسترة وتنزح بها الذي في الخوابي ثم تكسر الخوابي والدنان لأجل إذا نزل كشف من طرف القاضي لا يجد شيئًا في المصبغة. فقال لها: إن المعلم فضله عليّ وأعمل شيئًا لله. فاخذت الحوائج وحملتها فوق الحمار وستر عليها الستار وعمدت إلى بيتها فدخلت على بنتها زينب. فقالت لها: قلبي عندك يا أمي، أي شيء عملت من المناصف؟ فقالت لها: أنا لعبت ربع مناصف على أربعة اشخاص، ابن تاجر وامراة شاويش وصبّاغ وحمّار، وجئت لك بجميع حوائجهم على حمار الحمّار. فقالت لها: يا أمي، ما بقيت تقدري ان تشقي في البلد من الشاويش الذي اخذت حوائج امراته، وابن التاجر الذي عريتيه، والصباغ الذي اخذت حوائج الناس من مصبغته، والحمّار صاحب الحمار. فقالت: آه يا بنتي، انا ما احسب إلا حساب الحمّار فإنه يعرفني. وأما ما كان من أمر المعلم الصبّاغ فإنه جهّز العيش باللحم وحمله على راس خادمه وفات على المصبغة فراى الحمّار يكسر في الخوابي ولم يبق فيها قماش ولا حوايج وراى المصبغة خراباً فقال له: إرفع يدك يا حمّار. فرفع يده وقال له الحمّار: الحمد لله على السلامة يا معلم، قلبي عليك. فقال له: لأي شيء؟ وما حصل لي؟ فقال له: قد صرت مفلساً وكتبوا حجة إعسارك. فقال له: من قال لك؟ فقال له: أمك قالت لي وأمرتني بكسر الخوابي ونزح الدنان خوفاً من الكشاف إذا جاء ربما يجد في المصبغة شيئًا. فقال له: الله يخيب البعيد، إن أمي ماتت من منذ زمان. ودق صدره بيده وقال: يا ضياع مالي ومال الناس. فبكى الحمّار وقال: يا ضيعة حماري. ثم قال للصباغ: هات لي حماري يا صباغ من امك. فتعلّق الصبّاغ بالحمّار وصار يلكمه ويقول: أحضر لي العجوز. فقال له: أحضر لي الحمار. فاجتمعت عليهما الخلائق. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 703

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصبّاغ تعلّق بالحمّار والحمّار تعلّق بالصبّاغ وتضاربا وصار كل منهما يدّعي على صاحبه. فاجتمعت عليهما الخلائق فقال واحد منهم: أي شيء الحكاية يا معلم محمد؟ قال له الحمّار: أنا أحكي لكم الحكاية. وحدّثهم بما جرى له وقال: إني اظن أني مشكور عند المعلم. فلما رآني دقّ صدره وقال لي: أمي ماتت. وأنا الآخر أطلب حماري منه لانه عمل عليّ هذا المنصف لأجل أن يضيع حماري عليّ. فقالت الناس: يا معلم محمد، وهذه العجوز انت تعرفها لأنك استأمنتها على المصبغة والذي فيها. فقال: لا أعرفها وإنما سكنت عندي في هذا اليوم هي وابنها وبنتها. فقال واحد: في ذمتي أن الحمار في عهدة الصباغ. فقيل له: ما اصله؟ فقال: لأن الحمّار ما اطمأن وأعطى العجوز حماره إلا لمّا راى الصبّاغ استأمن العجوز على المصبغة والذي فيها. فقال واحد: يا معلم، لمّا سكنتها عندك وجب عليك انك تجيء له بحماره. ثم تمشّوا قاصدين البيت ولهم كلام يأتي. وأما ابن التاجر فإنه انتظر مجيء العجوز فلم تجيء ببنتها. وأما الصبية فإنها انتظرت العجوز أن تجيء لها بإذن من ابنها المجذوب الذي هو نقيب الشيخ أبي الحملات فلم ترجع إليها. فقامت لتزور وإذا بابن التاجر يقول لها حين دخلت: تعالي أين أمك التي جاءت بي لأتزوّج بك؟ فقالت: إن أمي

ماتت فهل أنت ابنها المجذوب نقيب الشيخ أبي الحملات؟ فقال: هذه ما هي أمي، هذه عجوز نصابة نصبت عليّ حتى اخذت ثيابي والألف دينار. فقالت له الصبية: وأنا الأخرى نصبت عليّ وجاءت بي لأزور أبا الحملات وأعرتني. فصار ابن التاجر يقول للصبية: أنا ما أعرف ثيابي والألف دينار إلا منك. والصبية تقول: أنا ما أعرف حوائجي وصيغتي إلا منك فاحضر لي أمك. وإذا بالصباغ داخل عليهما فرأى ابن التاجر عرياناً والصبية عريانة. فقال: قولا لي أين أمكما؟ فحكت الصبية جميع ما وقع لها، وحكى ابن التاجر جميع ماجرى له. فقال الصباغ: يا ضياع مالي ومال الناس! وقال الحمّار: يا ضياع حماري! أعطني يا صبّاغ حماري. فقال الصباغ: هذه عجوز نصابة اطلعوا حتى أقفل الباب. فقال ابن التاجر: يكون عيباً عليك ان ندخل بيتك لابسين ونخرج منه عريانين. فكساه وكسى الصبية وروّحها بيتها ولها كلام يأتي بعد قدوم زوجها من السفر. وأما ما كان من أمر الصباغ فإنه قفل المصبغة وقال لابن التاجر: إذهب بنا لنفتش على العجوز ونسلّمها للوالي. فراح معه وصحبتهما الحمّار ودخلوا بيت الوالي وشكوا إليه. فقال لهم: يا ناس، أي شيء خبركم؟ فحكوا له ما جرى. فقال لهم: وكم عجوز في البلد؟ روحوا وفتشوا عليها وامسكوها وأنا أقرّرها لكم. فداروا يفتشون عليها ولهم كلام يأتي. وأما العجوز دليلة المحتالة فإنها قالت لبنتها زينب: با بنتي، أنا أريد أن أعمل منصفاً. فقالت لها: يا أمي أخاف عليك. فقالت لها: انا مثل سقط الفول عاص عن الماء والنار. فقامت ولبست ثياب خادمة من خدام الأكابر وطلعت تتلمّح لمنصف تعمله، فمرّت على زقاق مفروش فيه قماش ومعلق فيه قناديل وسمعت فيه مغانياً ونقر دفوف، ورأت جارية على كتفها ولد بلباس مطرّز بالفضة وعنيه ثياب جميلة وعلى رأسه طربوش مكلّل باللؤلؤ وفي رقبته طوق ذهب مجوهر وعليه عباءة من قطيفة. وكان هذا البيت لشاه بندر التجار ببغداد والولد ابنه وله أيضاً بنت بكر مخطوبة وهم يعملون أملاكها في ذلك اليوم، وكان عند أمها جملة نساء مغنيات. فكلما تطلع أمه أو تنزل يشبط معها الولد. فنادت الجارية وقالت لها: خذي سيدك لاعبيه حتى ينفضّ المجلس. ثم إن العجوز دليلة لما دخلت رأت الولد على كتف الجارية فقالت لها: أرى شيء عند سيدتك اليوم من الفرح. فقالت: تعمل أملاك بنتها وعندها المغاني. فقالت في نفسها: يا دليلة، ما منصف إلا أخذ هذا الولد من هذه الجارية. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 704

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما قالت لنفسها: يا دليلة، ما منصف إلا أخذ هذا الولد من هذه الجارية. قالت بعد ذلك: يا فضيحة الشوم. ثم طلعت من جيبها برقة صغيرة من الصفر مثل الدينار وكانت الجارية غشيمة. ثم قالت العجوز للجارية: خذي هذا الدينار وادخلي لسيدتك وقولي لها: أم الخير فرحت لك وفضلك عليها ويوم المحضر تجيء هي وبناتها وينعمن على المواشط بالنقوط. فقالت الجارية: يا أمي، وسيدي هذا كلما ينظر أمه يتعلّق بها. فقالت: هاتيه معي حتى تروحي وتجيئي. فأخذت الجارية البرقة ودخلت. وأما العجوز فإنها أخذت الولد وراحت إلى زقاق فقلّعته الصيغة والثياب التي عليه وقالت لنفسها: يا دليلة، ما شطارة إلا مثل ما لعبت على الجارية وأخذتيه منها ان تعملي منصفًا وتجعليه رهناً على شيء بألف دينار. ثم ذهبت إلى سوق الجواهرجية فرأت يهوديًا صائغاً وقدّامه قفص

ملآن صيغة فقالت لنفسها : ما شطارة إلا أن تحتالي على هذا اليهودي وتأخذي منه صيغة بألف دينار وتعطي الولد رهناً عنده عليها . فنظر اليهودي بعينه فرى الولد مع العجوز فعرفه أنه ابن شاه بندر التجار ، وكان اليهودي صاحب مال كثير وكان يحسد جاره إذا باع بيعة ولم يبع هو . فقال لها : أي شيء تطلبين يا سيدتي ؟ فقالت له : أنت المعلم عذرة اليهودي لأنها كانت سألت عن اسمه . فقال لها : نعم . فقالت له : أخت هذا الولد بنت شاه بندر التجار مخطوبة وفي هذا اليوم عملوا أملاكها وهي محتاجة لصيغة فات لنا بزوجين خلاخيل ذهباً وزوج أساور ذهباً وحلق لؤلؤ وحياصة وخنجر وخاتم . فأخذت منه شيئًا بألف دينار وقالت له : أنا آخذ هذا المصاغ على المشاورة ، فالذي يعجبهم يأخذونه وآتي إليك بثمنه وخذ هذا الولد عندك . فقال : الامر كما تريدين . فأخذت الصيغة وراحت بيتها . فقالت لها بنتها : أي شيء فعلت من المناصف ؟ فقالت : لعبت منصفاً فأخذت ابن شاه بندر التجار وأعريته ، ثم رحت رهنته على مصالح بألف دينار فأخذتها من يهودي . فقالت لها بنتها : ما بقيت تقدري أن تمشي في البلد . وأما الجارية فإنها دخلت لسيدتها وقالت : يا سيدتي إن أم الخير تسلّم عليك وفرحت لك ، ويوم المحضر تجيء هي وبناتها ويعطين النقوط . فقالت لها سيدتها : وأين سيدك ؟ فقالت لها : خلّيته عندها خوفاً أن يتعلّق بك وأعطتني نقوطًا للمغنيات . فقالت لرئيسة المغنيات : خذي نقوطك . فأخذته فوجدته برقة من الصفر . فقالت لها سيدتها : انزلي يا عاهرة انظري سيدك . فنزلت الجارية فلم تجد الولد ولا العجوز ، فصرخت وانقلبت على وجهها وتبدّل فرحهم بحزن وإذا بشاه بندر التجار أقبل ، فحكت له زوجته جميع ما جرى ، فطلع يفتّش عليه وصار كل تاجر يفتش من طريق . ولم يزل شاه بندر التجار يفتش حتى رأى ابنه عريانًا على دكان اليهودي . فقال له : هذا ولدي . فقال اليهودي : نعم . فأخذه أبوه ولم يسأل عن ثيابه لشدّة فرحه به . وأما اليهودي فإنه لمّا رأى التاجر أخذ ابنه ، تعلّق به وقال : الله ينصر فيك الخليفة . فقال له التاجر : ما بالك يا يهودي ؟ فقال اليهودي : إن العجوز أخذت مني صيغة لبنتك بألف دينار ورهنت هذا الولد عندي ، وما أعطيتها إلا لأنها تركت هذا الولد عندي رهناً على الذي أخذته ، وما ائتمنتها إلا لكوني أعرف ان هذا الولد ولدك . فقال التاجر : إن بنتي لا تحتاج إلى صيغة ، فاحضر لي ثياب الولد . فصرخ اليهودي وقال : أدركوني يا مسلمون ! وإذا بالحمّار والصبّاغ وابن التاجر دائرون يفتّشون على العجوز ، فسألوا التاجر واليهودي عن سبب خناقهما ، فحكيا لهم ما حصل . فقالوا : إن هذه عجوز نصّابة ونصبت علينا قبلكما وحكوا لهما جميع ما جرى لهم معها . فقال شاه بندر التجار : لما لقيت ولدي ، الثياب فداه . وإن وقعت العجوز طلبت الثياب منها . فتوجه شاه بندر التجار بابنه لأمه ففرحت بسلامته . وأما اليهودي فإنه سأل الثلاثة وقال لهم : أين تذهبون أنتم ؟ فقالوا له : إنّا نريد أن نفتش عليها . فقال لهم : خذوني معكم . ثم قال لهم : هل فيكم من يعرفها ؟ قال الحمّار : أنا أعرفها . فقال لهم اليهودي : إن طلعنا سواء لا يمكن أن نجدها وتهرب منّا ولكن كل واحد منا يروح من طريق ويكون اجتماعنا على دكان الحاج مسعود المزين المغربي . فتوجه كل واحد من طريق وإذا هي طلعت لتعمل منصفاً فرآها الحمّار فعرفها فتعلّق بها وقال لها : ويلك ، ألك زمان على هذا الأمر ؟ فقالت له : ما خبرك ؟ قال لها : حماري هاتيه . فقالت له : أستر ما ستر الله يا ابني ، أنت طالب حمارك وإلا حوائج الناس ؟ فقال : طالب حماري فقط . فقالت له : أنا رأيتك فقيراً

وحمارك أودعته لك عند المزين المغربي ، فقف بعيداً حتى أصل إليه وأقول له بلطافة أن يعطيك إياه . وتقدّمت للمغربي وقبلت يده وبكت . فقال لها : ما بالك ؟ فقالت له : يا ولدي ، أنظر ولدي الذي واقف كان ضعيفاً واستهوى فأفسد الهواء عقله وكان يقني الحمير ، فإن قام يقول حماري وإن قعد يقول حماري وإن مشى يقول حماري . فقال لي حكيم من الحكماء : إنه اختل في عقله ولا يطيبه إلا قلع ضرسين ويكوى في أصداغه مرتين . فخذ هذا الدينار وناده وقل له : حمارك عندي . فقال المغربي : صوم العام يلزمني لأعطينه حماره في كفّه . وكان عنده اثنان صنائعية فقال لواحد منهما : رح إحم مسمارين . ثم نادى الحمّار والعجوز راحت إلى حال سبيلها . فلما جاءه قال : إن حمارك عندي يا مسكين تعال خذه وحياتي لأعطينك إياه في كفك . ثم أخذه ودخل به في قاعة مظلمة وإذا بالمغربي لكمه فوقع ، فسحبوه وربطوا يديه ورجليه وقام المغربي قلع له ضرسين وكواه على صدغيه كيين ثم تركه . فقام وقال : يا مغربي ، لأي شيء عملت معي هذا الأمر ؟ فقال له : إن أمك أخبرتني أنك مختل العقل لأنك هويت وأنت مريض وإن قمت تقول حماري وإن قعدت تقول حماري وإن مشيت تقول حماري ، وهذا حمارك في يدك . فقال له : تلقى من الله بسبب تقليعك أضراسي . فقال له : إن أمك قالت لي : وحكى له جميع ما قالت . فقال : الله ينكّد عليها . وذهب الحمّار هو والمغربي يتخاصمان وترك الدكان . فلما رجع المغربي إلى دكانه لم يجد فيها شيئًا . وكانت العجوز حين راح المغربي هو والحمّار أخذت جميع ما في دكانه وراحت لبنتها وحكت لها جميع ما وقع لها وما فعلت . وأما المزين فإنه لما رأى دكانه خالية تعلّق بالحمّار وقال له : أحضر لي أمك ؟ فقال له : ما هي أمي وإنما هي نصّابة نصبت على ناس كثير وأخذت حماري . وإذا بالصبّاغ واليهودي وابن التاجر مقبلون فرأوا المغربي متعلّقاً بالحمّار والحمّار مكوياً في أصداغه فقالوا له : ما جرى لك يا حمّار فحكى لهم جميع ما جرى وكذلك المغربي حكى قصته . فقالوا له : إن هذه عجوز نصابة نصبت علينا ، وحكوا له ما وقع . فقفل دكانه وراح معهم إلى بيت الوالي وقالوا للوالي : ما نعرف حالنا ومالنا إلا منك . فقال الوالي : وكم عجائز في البلد ؟ هل فيكم من يعرفها ؟ فقال الحمّار : أنا أعرفها ولكن أعطنا عشرة من أتباعك . فخرج الحمّار بأتباع الوالي والباقي ورائهم ورأى الحمّار بالجميع وإذا بالعجوز دليلة مقبلة فقبضها هو وأتباع الوالي ، وراحوا بها إلى الوالي فوقفوا تحت شباك القصر حتى يخرج الوالي . ثم إن أتباع الوالي ناموا من كثرة سهرهم مع الوالي فجعلت العجوز نفسها نائمة فنام الحمّار ورفقاؤه كذلك ، فانسلّت منهم ودخلت إلى حريم الوالي فقبلت يد سيدة الحريم وقالت لها : أين الوالي ؟ فقالت : نائم ، أي شيء تطلبين ؟ فقالت : إن زوجي يبيع الرقيق فأعطاني خمسة مماليك أبيعهم وهو مسافر ، فقابلني الوالي ففصلهم مني بألف دينار ومائتين لي وقال ليّ : أوصليهم إلى البيت . فأنا جئت بهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 705

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما طلعت حريم الوالي قالت لزوجته : إن الوالي فصل مني المماليك بألف دينار ومائتي دينار لي وقال لي : أوصليهم البيت . وكان الوالي عنده ألف دينار وقال لزوجته : إحفظيها حتى نشتري بها مماليك . فلما سمعت من العجوز هذا الكلام تحقّقت من زوجها ذلك فقالت : وأين المماليك ؟ قالت

العجوز : يا سيدتي هم نائمون تحت شباك القصر الذي أنت فيه . فطلّت السيدة من الشباك فرأت المغربي لابسًا لبس المماليك وابن التاجر في صورة مملوك والصبّاغ والحمّار واليهودي في صورة المماليك الحليق . فقالت زوجة الوالي : هؤلاء كل مملوك أحسن من الف دينار . ففتحت الصندوق وأعطت العجوز الألف دينار وقالت لها : سيري حتى يقوم الوالي من النوم ونأخذ لك منه المائتي دينار . فقالت لها : يا سيدتي ، منهم مائة دينار لك تحت القلة الشربات التي شربتها والمائة الأخرى احفظيها لي عندك حتى أحضر . ثم قالت : يا سيدتي ، أطلعيني من باب السرّ . فطلّعتها منه وستر عليها الستار وراحت لبنتها . فقالت لها : يا أمي ما فعلت ؟ فقالت : يا بنتي لعبت منصفاً وأخذت هذا الألف دينار من زوجة الوالي وبعت الخمسة لها : الحمّار واليهودي والصبّاغ والمزين وابن التاجر وجعلتهم مماليك . ولكن يا بنتي ما عليّ أضرّ من الحمّار فإنه يعرفني . فقالت لها : يا أمي اقعدي يكفي ما فعلت ، فما كل مرة تسلم الجرّة . وأما الوالي فإنه لما قام من النوم قالت له زوجته : فرحت لك بالخمسة مماليك الذين اشتريتهم من العجوزة . فقال لها : أي مماليك ؟ فقالت له : لأي شيء تنكر مني ؟ إن شاء الله يصيرون مثلك أصحاب مناصب . فقال لها : وحياة رأسي ما اشتريت مماليك ، من قال ذلك ؟ فقالت : العجوز دليلة التي فصلتهم منها وواعدتها أنك تعطيها حقهم ألف دينار ومائتين لها . فقال لها : هل أعطيتها المال ؟ قالت له : نعم وأنا رأيت المماليك بعيني كل واحد عليه بدلة تساوي الألف دينار ، وأرسلت وصيت عليهم المقدّمين فنزل الوالي فرأى اليهودي والحمّار والمغربي والصبّاغ وابن التاجر . فقال : يا مقدمين أين الخمسة مماليك الذين اشتريناهم من العجوز بألف دينار ؟ فقالوا : ما هناك مماليك ولا رأينا إلا هؤلاء الخمسة الذين أمسكوا العجوز وقبضوا عليها ، فنمنا كلنا . ثم إنها انسلّت ودخلت الحريم وأتت الجارية تقول : هل الخمسة الذين جاءت بهم العجوز عندكم ؟ فقلنا : نعم . فقال الوالي : والله إن هذا أكبر منصف . والخمسة يقولون : ما نعرف حوائجنا إلا منك . فقال لهم : إن العجوز صاحبتكم باعتكم لي بألف دينار . فقالوا : ما يحلّ من الله ، نحن أحرار لا نباع ونحن وإياك للخليفة . فقال لهم : ما عرّف العجوز طريق البيت إلا أنتم ، ولكن أنا أبيعكم للغراب كل واحد بمائتي دينار . فبينما هم كذلك وإذا بالأمير حسن شرفان الطريق جاء من سفره ورأى زوجته عريانة وحكت له جميع ما جرى لها . فقال : أنا ما خصمي إلا الوالي . فدخل عليه وقال له : هل أنت تأذن للعجائز أن تدور في البلد وتنصب على الناس وتأخذ أموالهم ؟ هذا عهدتك ولا أعرف حوايج زوجتي إلا منك . ثم قال للخمسة : ما خبركم ؟ فحكوا له جميع ما جرى . فقال لهم : أنتم مظلومون . والتفت للوالي وقال له : لأي شيء تسجنهم ؟ فقال له : ما عرّف العجوز طريق بيتي إلا هؤلاء الخمسة حتى أخذت مالي الألف دينار وباعتهم للحريم . فقالوا : يا أمير حسن ، أنت وكيلنا في هذه الدعوة . ثم إن الوالي قال للأمير حسن : حوايج امرأتك عندي وضمان العجوز عليّ ولكن من يعرفها منكم ؟ فقالوا كلهم : نحن نعرفها ، أرسل معنا عشرة مقدمين ونحن نمسكها . فأعطاهم عشرة مقدمين فقال لهم الحمّار : إتبعوني فإني أعرفها بعيون زرق . وإذا بالعجوز دليلة مقبلة من زقاق وإذا بهم قبضوها وساروا بها إلى بيت الوالي . فلما رآها الوالي قال : أين حوايج الناس ؟ فقالت : لا أخذت ولا رأيت . فقال للسجان : إحبسها عندك للغد . قال السجان : أنا لا آخذها ولا أسجنها مخافة أن تعمل منصفاً وأصير أنا ملزماً بها . فركب الوالي

وأخذ العجوز والجماعة وخرج بهم إلى شاطىء دجلة ونادى للمشاعلي وأمره بصلبها من شعرها . فسحبها المشاعلي في البكر واستحفظ عليها عشرة من الناس وتوجه الوالي لبيته إلى أن أقبل الظلام ، غلب النوم على المحافظين . وإذا برجل بدوي سمع رجلاً يقول لرفيقه : الحمد لله على السلامة ، أين هذه الغيبة ؟ فقال له : في بغداد ، وتغدّيت زلابية بعسل . فقال البدوي : لا بد من دخولي بغداد وآكل فيها زلابية بعسل وكان عمره ما رآها ولا دخل بغداد . فركب حصانه وسار وهو يقول لنفسه : الزلابية كلها زين ، وذمة العرب ما آكل إلا زلابية بعسل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 706

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البدوي لما ركب حصانه وأراد دخول بغداد ، سار وهو يقول لنفسه : أكل الزلابية زين ، وذمة العرب أنا لا آكل إلا زلابية بعسل إلى أن وصل عند مصلب دليلة . فسمعته وهو يقول لنفسه هذا الكلام فاقبل عليها وقال لها : أي شيء أنت ؟ فقالت له : أنا في جيرتك يا شيخ العرب . فقال لها : إن الله قد أجارك ، ولكن ما سبب صلبك ؟ فقالت له : لي عدوّ زيّات يقلي الزلابية فوقفت أشتري منه شيئًا فبزقت فوقعت بزقتي على الزلابية فاشتكاني للحاكم فأمر الحاكم بصلبي وقال : حكمت أنكم تأخذون لها عشرة أرطال زلابية بعسل وتطعمونها إياها وهي مصلوبة ، فإن أكلتها فحلّوها وإن لم تأكلها فخلّوها مصلوبة ، وأنا نفسي ما تقبل الحلو . فقال البدوي : وذمة العرب ما جئت من النجع إلا لأجل أكل الزلابية بالعسل وأنا آكلها عوضاً عنك . فقالت له : هذه ما يأكلها إلا الذي يتعلّق موضعي . فانطبقت عليه الحيلة فحلّها وربطته موضعها بعدما قلّعته الثياب التي كانت عليه ثم إنها لبست ثيابه وتعمّمت بعمامته وركبت حصانه وراحت لبنتها . فقالت لها بنتها : ما هذا الحال ؟ فقالت لها : صلبوني . وحكت لها ما وقع لها مع البدوي . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر المحافظين فإنه لما صحا واحد منهم نبّه جماعته ، رأوا النهار قد طلع فرفع واحد منهم عينه وقال : دليلة . فأجابه البدوي وقال : والله ما نأكل بليلة ، هل احضرتم الزلابية بالعسل ؟ فقالوا : هذا رجل بدوي . فقالوا له : يا بدوي ، أين دليلة ؟ ومن فكها ؟ فقال : أنا فككتها ما تأكل الزلابية بالعسل غصبًا لأن نفسها لم تقبلها . فعرفوا أن البدوي جاهل بحالها فلعبت عليه منصفاً . وقالوا لبعضهم : هل نهرب أو نستمر حتى نستوفي ما كتبه الله علينا ؟ وإذا بالوالي مقبل ومعه الجماعة الذين نصبت عليهم فقال الوالي للمقدّمين : قوموا فكوا دليلة . فقال البدوي : ما نأكل بليلة ، هل أحضرتم الزلابية بالعسل . فرفع الوالي عينه إلى المصلب فرأى بدوياً بدل العجوز فقال للمقدّمين : ما هذا ؟ فقالوا : الأمان يا سيدي . فقال لهم : إحكوا لي ما جرى . فقالوا : نحن كنّا سهرنا معك في العسس وقلنا : دليلة مصلوبة ونعسنا ، فلما صحونا رأينا هذا البدوي مصلوباً ونحن بين يديك . فقال : يا ناس ، هذه نصّابة وأمان الله عليكم فحلّوا البدوي . فتعلّق البدوي بالوالي وقال : الله ينصر فيك الخليفة أنا ما أعرف حصاني وثيابي إلا منك . فسأله الوالي ، فحكى له البدوي قصّته . فتعجب الوالي وقال له : لأي شيء حللتها ؟ فقال له : ما عندي خبر إنها نصابة . فقال الجماعة : نحن ما نعرف حوايجنا إلا منك يا والي ، فإننا سلّمناها إليك وصارت في عهدتك ونحن وإياك إلى ديوان الخليفة . فكان حسن شر الطريق طلع الديوان وإذا بالوالي

والبدوي والخمسة مقبلون وهم يقولون : إننا مظلومون . فقال الخليفة : من ظلمكم ؟ فتقدّم كل واحد منهم وحكى له ما جرى عليه حتى الوالي قال : يا امير المؤمنين ، إنها نصبت عليّ وباعت لي هؤلاء الخمسة بألف دينار مع انهم احرار . فقال الخليفة جميع ما عدم لكم عندي . وقال للوالي : ألزمتك بالعجوز . فنفض الوالي طوقه وقال : لا التزم بذلك بعدما علّقتها في المصلب فلعبت على هذا البدوي حتى خلّصها وعلّقته في موضعها واخذت حصانه وثيابه . فقال الخليفة : هل الزم بها من غيرك ؟ فقال له : إلزم بها احمد الدنف فإن له في كل شهر الف دينار ، ولأحمد الدنف من الأتباع واحد واربعون ، لكل واحد في كل شهر مائة دينار . فقال الخليفة : يا مقدم أحمد . قال له : لبيك يا أمير المؤمنين . قال له : ألزمتك بحضور العجوز . فقال : ضمانها عليّ . ثم إن الخليفة حجز الخمسة والبدوي عنده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 707

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة لما الزم أحمد الدنف بإحضار العجوز قال له : ضمانها عليّ يا أمير المؤمنين . ثم نزل هو وأتباعه إلى القاعة فقالوا لبعضهم : كيف يكون قبضنا إياها ؟ وكم عجائز في البلد ؟ فقال واحد منهم يقال له علي كتف الجمل لأحمد الدنف : على أي شيء تشاورون حسن شومان ؟ وهل حسن شومان امر عظيم ؟ فقال حسن : يا علي ، كيف تستقلّني ؟ والإسم الأعظم لم ارافقكم في هذه المرة وقام غضبان . فقال أحمد الدنف : يا شباب ، كل قيّم يأخذ عشرة ويتوجه بهم إلى حارة ليفتّشوا على دليلة . فذهب علي كتف الجمل بعشرة وكذلك كل قيم وتوجه كل جماعة إلى حارة وقالوا قبل توجّههم وافتراقهم : يكون اجتماعنا في الحارة الفلانية في الزقاق الفلاني . فشاع في البلدان : أحمد الدنف التزم بالقبض على دليلة المحتالة . فقالت زينب : يا أمي ، إن كنت شاطرة تلعبي على أحمد الدنف وجماعته . فقالت : يا بنتي ، أنا ما أخاف إلا من حسن شومان . فقالت البنت : وحياة مقصوصي لآخذن لك ثياب الواحد واربعين . ثم قامت ولبست بدلة وتبرقعت وأقبلت على واحد عطّار له قاعة ببابين فسلّمت عليه وأعطته ديناراً وقالت له : خذ هذا الدينار حلوان قاعتك واعطنيها إلى آخر النهار . فأعطاها المفاتيح وراحت اخذت فرشاً على حمار الحمّار وفرشت القاعة وحطّت في كل ليوان سفرة طعام ومدام ووقفت على الباب مكشوفة الوجه وإذا بعلي كتف الجمل وجماعته مقبلون ، فقبّلت يده فرآها صبية مليحة فحبّها فقال لها : أي شيء تطلبين ؟ فقالت : هل انت المقدم احمد الدنف ؟ فقال : لا ، بل أنا من جماعته واسمي علي كتف الجمل . فقالت لهم : أين تذهبون ؟ فقال : نحن دائرون نفتش على عجوز نصابة أخذت أرزاق الناس ومرادنا أن نقبض عليها . ولكن من انت ؟ وما شأنك ؟ فقالت : إن أبي كان خمّاراً في الموصل فمات وخلّف لي مالاً كثيراً فجئت هذا البلد خوفًا من الحكام وسألت الناس من يحمني ؟ فقالوا لي : ما يحميك إلا احمد الدنف . فقال لها جماعته : اليوم تحتمين به . فقالت لهم : اقصدوا جبر خاطري بلقيمة وشربة ماء . فلما أجابوها أدخلتهم فأكلوا وسكروا وحطّت لهم البنج فبنّجتهم وقلّعتهم حوايجهم ومثل ما عملت فيهم عملت في الباقي . فدار أحمد الدنف يفتش على دليلة فلم يجدها ولم ير من اتباعه احداً إلى ان اقبل على الصبية ، فقبّلت يده فرآها فحبّها . فقالت له : انت المقدم احمد الدنف ؟ فقال لها : نعم . ومن انت ؟ قالت : غريبة

من الموصل وابي كان خمّاراً ومات وخلّف لي مالاً كثيراً وجئت به إلى هنا خوفًا من الحكام ، ففتحت هذه الخمارة فجعل الوالي عليّ قانونًا . ومرادي أن أكون في حمايتك والذي يأخذه الوالي أنت أولى به . فقال أحمد الدنف : لا تعطيه شيئًا ومرحباً بك . فقالت له : اقصد جبر خاطري وكُل طعامي . فدخل وأكل وشرب مدامًا فانقلب من السكر ، فبنّجته وأخذت ثيابه وحملت الجميع على فرس البدوي وحمار الحمّار وأيقظت علياً كتف الجمل وراحت . فلما افاق رأى نفسه عريان ورأى أحمد الدنف والجماعة مبنّجين فأيقظهم بضد البنج . فلما أفاقوا رأوا انفسهم عرايا . فقال أحمد الدنف : ما هذا الحال يا شباب ؟ نحن دائرون نفتّش عليها لنصطادها فاصطادتنا هذه العاهرة ، يا فرحة حسن شومان فينا . ولكن نصبر حتى تدخل العتمة ونروح . وكان حسن شومان قال للنقيب : أين الجماعة ؟ فبينما هو يسأله عنهم وإذا بهم قد اقبلوا وهم عرايا . فأنشد حسن شومان هذين البيتين : [من الكامل]

وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ في إيرادِهِمْ   وتَبايُنِ الأقْوامِ في الإصْدارِ
وِمِنَ الرِّجالِ مَعالِمُ ومَجاهِلُ   وِمِنَ النُّجُومِ غَوامِضُ ودَرارِي

فلما رآهم قال لهم : من لعب عليكم وعراكم ؟ فقالوا : تعهدنا بعجوز نفتش عليها ولا عرّانا إلا صبية مليحة . فقال حسن شومان : نِعم ما فعلت بكم . فقالوا : هل انت تعرفها يا حسن ؟ فقال : أعرفها أعرف العجوز . فقالوا له : أي شيء تقول عند الخليفة ؟ فقال شومان : يا دنف ، انفض طوقك قدامه فيقول الخليفة : من يتعهد بها ؟ فإن قال لك : لأي شيء ما قبضت عليها ؟ فقل : أنا ما أعرفها والزم بها حسن شومان . فإن ألزمني بها فأنا أقبضها وباتوا . فلما أصبحوا طلعوا إلى ديوان الخليفة فقبّلوا الأرض . فقال الخليفة : أين العجوز يا مقدم أحمد ؟ فنفض طوقه فقال له : لأي شيء ؟ فقال : أنا ما أعرفها والزم بها شومان فإنه يعرفها هي وبنتها . وقال : إنها ما عملت هذه الملاعب طمعًا في حوايج الناس ولكن لبيان شطارتها وشطارة بنتها لأجل أن ترتّب لها راتب زوجها ولبنتها مثل راتب أبيها . فشفع فيها شومان من القتل وهو يأتي بها . فقال الخليفة : وحياة أجدادي إن أعادت حوايج الناس عليها الأمان وهي في شفاعته . فقال شومان : أعطني الأمان يا أمير المؤمنين . فقال له : هي في شفاعتك . وأعطاه منديل الأمان . فنزل شومان وراح إلى بيت دليلة فصاح عليها ، فجاوبته بنتها زينب . فقال لها : أين أمك ؟ فقالت : فوق . فقال لها : قولي لها تجيء بحوايج الناس وتذهب معي لتقابل الخليفة وقد جئت لها بمنديل الأمان ، فإن كانت لا تجيء بالمعروف لا تلوم إلا نفسها . فنزلت دليلة وعلّقت المحرمة في رقبتها وأعطته حوايج الناس على حمار الحمّار وفرس البدوي . فقال لها شومان : بقي ثياب كبيري وثياب جماعته . فقالت : والإسم الأعظم إني ما عريّتهم . فقال : صدقت . ولكن هذا منصف بنتك زينب وهذه جميلة عملتها معك . وسار وهي معه إلى ديوان الخليفة فتقدّم حسن وعرض حوايج الناس على الخليفة وقدّم دليلة بين يديه ، فلما رآها أمر برميها في بقعة الدم . فقالت : أنا في جيرتك يا شومان . فقام شومان وقبّل أيادي الخليفة وقال له : العفو ، أنت أعطيتها الأمان . فقال الخليفة : وهي في كرامتك ، تعالي يا عجوز ما اسمك ؟ فقالت : إسمي دليلة . فقال : ما أنت إلا حيالة ومحتالة فلقبّت بدليلة المحتالة . ثم قال لها : لأي شيء عملت هذه المناصف وأتعبت قلوبنا ؟

فقالت : أنا ما فعلت هذه المناصف بقصد الطمع في متاع الناس ولكن سمعت بمناصف أحمد الدنف التي لعبها في بغداد ومناصف حسن شومان فقلت : أنا الأخرى أعمل مثلهما، وقد رددت حوايج الناس إليهم . فقام الحمّار وقال : شرع الله بيني وبينها فإنها ما كفاها اخذ حماري حتى سلّطت عليّ المزين المغربي فقلع أضراسي وكواني في أصداغي كيين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 708 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الحمّار لما قام وقال : شرع الله بيني وبينها، ما كفاها اخذ حماري حتى سلّطت عليّ المزين فقلع أضراسي وكواني في أصداغي كيين. أمر الخليفة للحمّار بمائة دينار وللصبّاغ بمائة دينار وقال : إنزل عمّر مصبغتك . فدعوا للخليفة ونزلا . واخذ البدوي حوايجه وحصانه وقال : حرام عليّ دخول بغداد وأكل الزلابية بالعسل . وكل من كان له شيء أخذه وانفضّوا كلهم . وقال الخليفة : تمنّي عليّ يا دليلة . فقالت : إن أبي كان عندك حاكم البطاقة وأنا ربيت حمام الرسائل وزوجي كان مقدم بغداد ومرادي استحقاق زوجي ومراد بنتي استحقاق أبيها . فرسم لهما الخليفة بما أرادتاه . ثم قالت له : أتمنى عليك أن أكون بوّابة الخان . وكان الخليفة قد عمل خانًا بثلاثة أدوار ليسكن فيه التجار وكان متدركًا بالخان أربعون عبدًا وأربعون كلبًا، وكان الخليفة جاء بهم من ملك السليمانية حين عزله وعمل للكلاب أطواقاً . وكان في الخان عبد طباخ يطبخ الطعام للعبيد ويطعم الكلاب اللحم . فقال الخليفة : يا دليلة، أكتب عليك درك الخان وإن ضاع منه شيء تكوني مطالبة به . فقالت : نعم . ولكن أسكن بنتي في القصر الذي على باب الخان فإن القصر له سطوح ولا يصح تربية الحمام إلا في الوسع . فأمر لها بذلك . وحوّلت بنتها جميع حوايجها في القصر الذي على باب الخان وتسلّمت الأربعين طيراً التي تحمل الرسائل . وأما زينب فإنها علقت الأربعين بدلة وبدلة أحمد الدنف عندها في القصر، وكان الخليفة جعل دليلة المحتالة رئيسة على الأربعين عبداً وأوصاهم بإطاعتها وجعلت محل قعودها خلف باب الخان وصارت كل يوم تطلع الديوان لربما يحتاج الخليفة إلى إرسال بطاقة للبلاد، فلم تنزل من الديوان إلا آخر النهار والأربعون عبداً واقفون يحرسون الخان، فإذا دخل الليل تطلق الكلاب لأجل أن تحرس الخان بالليل . هذا ما جرى لدليلة المحتالة في مدينة بغداد .

حكاية علي الزيبق المصري

وأما ما كان من أمر علي الزيبق المصري فإنه كان شاطراً بمصر في زمن رجل يسمّى صلاح المصري مقدم ديوان مصر، وكان له أربعون تابعًا . وكان أتباع صلاح المصري يعملون مكائد للشاطر علي ويظنون أنه يقع فيها فيفتشون عليه فيجدونه قد هرب كما يهرب الزيبق، فمن أجل ذلك لقّبوه بالزيبق المصري . ثم إن الشاطر علي كان جالساً يوماً من الأيام في قاعة بين أتباعه فانقبض قلبه وضاق صدره فرآه نقيب القاعة قاعداً عابس الوجه فقال له : ما لك يا كبيري ؟ إن ضاق صدرك فشقّ شقة في مصر فإنه يزول عنك الهمّ إذا مشيت في أسواقها . فقام وخرج ليشق في مصر فازداد غمّاً وهمّاً . فمرّ على خمارة فقال لنفسه : ادخل وأسكر . فدخل فرأى في الخمّارة سبعة صفوف من الخلق . فقال : يا خمّار، أنا ما أقعد إلا وحدي . فأجلسه الخمّار في طبقة وحده

واحضر له المدام فشرب حتى غاب عن الوجود ثم طلع من الخمّارة وسار في مصر . ولم يزل سائراً في شوارعها حتى وصل إلى الدرب الأحمر وخلت الطريق قدامه من الناس هيبة له، فالتفت فرأى رجلا سقّاء يسقي بالكوز ويقول في الطريق : يا معوض ، ما شراب إلا من زبيب ولا وصال إلا من حبيب ولا يجلس في الصدر إلا لبيب . فقال له : تعال اسقني . فنظر إليه السقاء وأعطاه الكوز ، فطل في الكوز وخضّه وكبّه على الأرض . فقال له السقاء : ما تشرب ؟ فقال له : اسقني . فملأه فأخذه وخضّه وكبّه في الأرض ، وثالث مرّة كذلك . فقال له : إن كنت ما تشرب روح . فقال له : اسقني . فملأ الكوز وأعطاه إياه فأخذه منه وشرب ثم أعطاه ديناراً . وإذا بالسقاء نظر إليه واستقل به وقال له : أنعم بك ، أنعم بك يا غلام ، صغار قوم كبار قوم آخرين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 709

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاطر علي لما أعطى السقّاء ديناراً ، نظر إليه واستقلّ به وقال له : أنعم بك ، أنعم بك ، صغار قوم كبار قوم آخرين . فنهض الشاطر علي وقبض على جلابيب السقّاء وسحب عليه خنجراً مثمناً . كما قيل فيه هذين البيتين :

[من الكامل]

إضْرِبْ بِخَنْجَرِكَ العَنِيدَ ولا تَخَفْ   أَحَداً سِوَى مِنْ سَطْوَةِ الخَلاَّقِ
وتَجَنَّبِ الخُلُقَ الذَّمِيمَ ولا تَكُنْ   أَبَدًا بِغَيْرِ مَكارِمِ الأَخْلاقِ

فقال له : يا شيخ كلّمني بمعقول ، فإن قربتك إن غلا ثمنها يبلغ ثلاثة دراهم والكوزان اللذان دلقتهما على الأرض مقدار رطل من الماء . قال له : نعم . قال له : فأنا أعطيتك ديناراً من الذهب ، ولأي شيء تستقلّ بي ؟ فهل رأيت أحداً أشجع مني أو أكرم مني ؟ فقال له : رأيت أشجع منك وأكرم منك فإنه ما دامت النساء تلد ، ما على الدنيا شجاع ولا كريم . فقال له : من الذي رأيت أشجع مني وأكرم مني ؟ فقال له : أعلم أن لي واقعة من العجب . وذلك إن أبي كان شيخ السقّايين بالشربة في مصر ، فمات وخلّف لي خمسة جمال وبغلاً ودكاناً وبيتًا ولكن الفقير لا يستغني وإذا استغنى مات . فقلت في نفسي : أنا أطلع الحجاز . فأخذت قطار جمال وما زلت أقترض حتى صار عليّ خمسمائة دينار وضاع مني جميع ذلك في الحج . فقلت في نفسي : إن رجعت إلى مصر تحبسني الناس على أموالهم . فتوجهت مع الحج الشامي حتى وصلت إلى حلب وتوجهت من حلب إلى بغداد ، ثم سألت عن شيخ السقايين ببغداد فدلّوني عليه . فدخلت وقرأت له الفاتحة ، فسألني عن حالي . فحكيت له جميع ما جرى لي . فأخلى لي دكانًا وأعطاني قربة وعدة وسرحت على باب الله وطفت في البلد ، فاعطيت واحداً الكوز ليشرب فقال لي : لم آكل شيئًا حتى أشرب عليه لأنه عزمني بخيل في هذا اليوم وجاءني بقلتين بين يديه . فقلت له : يا ابن الخسيس ، هل أطعمتني شيئًا حتى تسقيني عليه ؟ فرح يا سقّاء حتى آكل شيئًا وبعد ذلك اسقني . فجئت للثاني فقال : الله يرزقك . فصرت على هذا الحال إلى وقت الظهر ولم يعطني أحد شيئًا . فقلت : يا ليتني ما جئت إلى بغداد . وإذا أنا بناس يسرعون في الجري فتبعتهم ، فرأيت موكباً عظيماً منجراً اثنين اثنين وكلهم بالطوقي والشدود والبرانس واللبد والبولاد . فقلت لواحد :

هذا موكب من؟ فقال: موكب المقدم احمد الدنف. فقلت له: أي شيء رتبته؟ فقال: مقدم الديوان ومقدم بغداد وعليه درك البرّ وله على الخليفة في كل شهر الف دينار ولكل واحد من أتباعه مائة مائة دينار، حسن شومان له مثله ألف دينار وهم نازلون من الديوان إلى قاعتهم. وإذا بأحمد الدنف رآني فقال: تعال اسقني. فملأت الكوز وأعطيته إياه، فخضّه وكبّه وثاني مرة كذلك، وثالث مرة شرب رشفة مثلك وقال لي: يا سقّاء، من اين انت؟ فقلت له: من مصر. فقال: حي الله مصر واهلها، وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة؟ فحكيت له قصتي وافهمته اني مديون وهربان من الدين والعيلة. فقال: مرحبا بك. ثم اعطاني خمسة دنانير وقال لأتباعه: اقصدوا وجه الله واحسنوا إليه. فأعطاني كل واحد ديناراً وقال لي: يا شيخ، ما دمت في بغداد لك علينا ذلك كلما اسقيتنا. فصرت اتردّد عليهم وصار يأتني الخير من الناس. ثم بعد أيام احصيت الذي اكتسبته منهم فوجدته الف دينار فقلت في نفسي: صار رواحك إلى البلاد اصوب. فرحت له القاعة وقبّلت يديه. فقال: اي شيء تطلب؟ فقلت له: اريد السفر. وانشدته هذين البيتين: [من الوافر]

إقاماتُ الغَرِيبِ بِكُلِّ أَرْضٍ ... كَبُنْيانِ القُصُورِ عَلى الرِّياحِ
هُبُوبُ الرِّيحِ يَهْدُمُ ما بَناهُ ... لَقَدْ عَزَمَ الغَرِيبُ عَلى الرَّواحِ

وقلت له: إن القافلة متوجهة إلى مصر ومرادي ان اروح إلى عيالي. فأعطاني بغلة ومائة دينار وقال: غرضنا أن نرسل معك امانة يا شيخ فهل أنت تعرف اهل مصر؟ فقلت له: نعم. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 710

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان السقاء لما قال: إن أحمد الدنف أعطاني بغلة ومائة دينار وقال: غرضنا ان نرسل معك امانة فهل انت تعرف أهل مصر؟ قال السقاء: فقلت له نعم. فقال: خذ هذا الكتاب واوصله إلى علي الزيبق المصري وقل له: كبيرك يسلّم عليك وهو الآن عند الخليفة. فأخذت منه الكتاب وسافرت حتى دخلت مصر فرآني أرباب الديون فاعطيتهم الذي عليّ، ثم عملت سقّاء ولم اوصل الكتاب لأني لم اعرف قاعة علي الزيبق المصري. فقال له: يا شيخ طب نفسًا وقرّ عينًا، فأنا علي الزيبق المصري أول صبيان المقدم احمد الدنف. فهات الكتاب فأعطاه إياه. فلما فتحه وقراه راى فيه هذين البيتين: [من الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكَ يا زَيْنَ المِلاحِ ... عَلى وَرَقٍ يَسِيرُ مَعَ الرِّياحِ
ولَوْ أَنِّي أَطِيرُ لَطُرْتُ شَوْقاً ... وكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الجَناحِ؟

وبعد، فالسلام من المقدم احمد الدنف إلى أكبر أولاده علي الزيبق المصري، والذي نعلمك به أني تقصدت صلاح الدين المصري ولعبت معه مناصف حتى دفنته بالحياة واطاعتني صبيانه ومن جملتهم علي كتف الجمل وتوليت مقدم مدينة بغداد في ديوان الخليفة ومكتوب على درك البر، فإن كنت تراعي العهد الذي بيني وبينك فانت عندي لعلك تلعب منصفاً في بغداد يقرّبك

من خدمة الخليفة فيكتب لك جامكية وجراية ويعمّر لك قاعة هذا هو المرام والسلام . فلما قرأ الكتاب قبّله وحطّه على رأسه وأعطى السقّاء عشرة دنانير بشارة ثم توجه إلى القاعة ودخل على صبيانه وأعلمهم بالخبر وقال لهم : أوصيكم ببعضكم . ثم قلع ما كان عليه ولبس مشلحاً وطربوشاً وأخذ علبة فيها مزراق من عود القنا طوله أربعة وعشرون ذراعاً وهو معشق في بعضه . فقال له النقيب : أتسافر والخزن قد فرغ ؟ فقال له : إذا وصلت إلى الشام أرسل إليكم ما يكفيكم وسار إلى حال سبيله . فلحق ركباً مسافراً فرأى فيه شاه بندر التجار ومعه أربعون تاجراً قد حملوا حمولهم وحمول شاه بندر التجار على الأرض ورأى مقدمه رجلاً شامياً وهو يقول للبغالين : واحد منكم يساعدني . فسبّوه وشتموه . فقال علي في نفسه : لا يحسن سفري إلا مع هذا المقدم . وكان علي أمرد مليحاً فتقدم إليه وسلّم عليه فرحّب به وقال له : أي شيء تطلب؟ فقال له : يا عمي ، رأيتك وحيداً وحمولتك أربعون بغلاً ولأي شيء ما جئت لك بناس يساعدونك؟ فقال : يا ولدي ، قد اكتريت ولدين وكسيتهما ووضعت لكل واحد في جيبه مائتي دينار فساعداني إلى الخانكة وهربا . فقال له : وإلى اين تذهبون؟ قال : إلى حلب . فقال له : انا اساعدك. فحملوا الحمول وساروا وركب شاه بندر التجار بغلته وسار . ففرح المقدم الشامي بعلي وعشقه إلى ان اقبل الليل ، فنزلوا واكلوا وشربوا فجاء وقت النوم ، فحطّ على جنبه على الأرض وجعل نفسه نائماً ، فنام المقدم قريباً منه . فقام علي من مكانه وقعد على باب صيوان التاجر فانقلب المقدم واراد ان يأخذ علي في حضنه فلم يجده فقال في نفسه : لعله واعد واحداً فأخذه ولكن انا أولى وفي غير هذه الليلة احجزه . واما علي فانه لم يزل على باب صيوان التاجر إلى ان قرب الفجر فجاء ورقد عند المقدم . فلما استيقظ المقدم وجده فقال في نفسه : إن قلت له أين كنت يتركني ويروح ،ولم يزل يخادعه إلى ان اقبلوا على مغارة فيها غابة . وفي تلك الغابة سبع كاسر وكلما تمرّ قافلة يعملون القرعة بينهم ، فكل من خرجت عليه القرعة يرمونه إلى السبع . فعملوا القرعة فلم تخرج إلا على شاه بندر التجار وإذا بالسبع قطع عليهم الطريق ينتظر الذي يأخذه من القافلة ، فصار شاه بندر التجار في كرب شديد وقال للمقدم : الله يخيب كعبك وسفرتك ، ولكن وصيتك بعد موتي أن تعطي أولادي حمولي . فقال الشاطر علي : ما سبب هذه الحكاية؟ فأخبروه بالقصة . فقال : ولأي شيء تهربون من قط البر؟ فأنا التزم لكم بقتله . فراح المقدم إلى التاجر وأخبره فقال : إن قتله أعطيته ألف دينار . وقال بقية : التجار ونحن كذلك نعطيه . فقام علي وخلع المشلح فبان عليه عدة من بولاد ، فأخذ شريط بولاد وفرك لولبه وانفرد قدّام السبع وصرخ عليه ، فهجم عليه السبع فضربه علي المصري بالسيف بين عينيه فقسمه نصفين ، والمقدّم والتجار ينظرونه وقال للمقدم : لا تخف يا عمي . فقال له : يا ولدي ، انا بقيت صبيك . فقام التاجر واحتضنه وقبله بين عينيه وأعطاه الألف دينار ، وكل تاجر أعطاه عشرين ديناراً . فحطّ جميع المال عند التاجر وباتوا وصبحوا عامدين إلى بغداد فوصلوا إلى غابة الآساد ووادي الكلاب وإذا فيه رجل بدوي عاص قاطع الطريق ومعه قبيلة ، فطلع عليهم فولّت الناس من بين أيديهم . فقال التاجر : ضاع مالي . وإذا بعلي اقبل عليهم وهو لابس جلداً ملآن جلاجل واطلع المزراق وركب عقله في بعضها واختلس حصاناً من خيل البدوي وركبه وقال للبدوي : بارزني بالرمح ا وهزّ الجلاجل فجفلت فرس البدوي من الجلاجل وضرب مزراق البدوي فكسره وضربه على

رقبته فرمى دماغه . فنظره قومه فانطبقوا على علي فقال : الله أكبر . ومال عليهم فهزمهم وولّوا هاربين . ثم رفع دماغ البدوي على رمح وانعم عليه التجار وسافروا حتى وصلوا إلى بغداد، فطلب الشاطر علي المال من التاجر فاعطاه إياه . فسلّمه إلى المقدم وقال له : لمّا تروح مصر إسأل عن قاعتي واعط المال لنقيب القاعة . ثم بات علي وأصبح دخل المدينة وشقّ فيها وسأل عن قاعة احمد الدنف فلم يدلّه احد عليها . ثم تمشّى حتى وصل إلى ساحة النفض فرأى أولاداً يلعبون وفيهم ولد يسمّى أحمد اللقيط . فقال علي : لا تأخذ اخبارهم إلا من صغارهم . فالتفت علي فرأى حلوانياً فاشترى منه حلاوة وصاح على الأولاد وإذا بأحمد اللقيط طرد الأولاد عنه ثم تقدّم هو وقال لعلي : أي شيء تطلب ؟ فقال له : أنا كان معي ولد ومات فرأيته في المنام يطلب حلاوة فاشتريتها فأريد ان اعطي لكل ولد قطعة، وأعطى احمد اللقيط قطعة فنظرها فرأى فيها ديناراً لاصقاً بها فقال له : رح انا ما عندي فاحشة واسأل عني . فقال له : يا ولدي، ما يأخذ الكرى إلا شاطر ولا يحط الكرى إلا شاطر، انا درت في البلد افتش على قاعة احمد الدنف فلم يدلّني عليها احد، وهذا الدينار كراك وتدلّني على قاعة احمد الدنف . فقال له : انا أروح اجري قدامك وأنت تجري ورائي إلى ان اقبل على القاعة فآخذ في رجلي حصوة فارميها على الباب فتعرفها . فجرى الولد وجرى علي وراءه إلى ان اخذ الحصوة برجله ورماها على باب القاعة فعرفها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 711

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان أحمد اللقيط لما جرى قدّام الشاطر علي وأراه القاعة وعرفها قبض على الولد وأراد ان يخلص منه الدينار فلم يقدر فقال له : رح تستاهل الإكرام لأنك ذكي كامل العقل والشجاعة وإن شاء الله إن عملت مقدمًا عند الخليفة أجعلك من صبياني . فراح الولد . وأما علي الزيبق المصري فإنه أقبل على القاعة وطرق الباب فقال أحمد الدنف : يا نقيب إفتح الباب هذه طرقة علي الزيبق المصري . ففتح له الباب ودخل على أحمد الدنف وسلّم عليه وقابله بالعناق وسلّم عليه الأربعون . ثم إن أحمد الدنف ألبسه حلّة وقال له : إني لما ولاني الخليفة مقدمًا عنده كسا صبياني فأبقيت لك هذه الحلّة . ثم اجلسوه في صدر المجلس بينهم وأحضروا الطعام فأكلوا والشراب فشربوا وسكروا إلى الصباح . ثم قال احمد الدنف لعلي المصري : إياك ان تشق في بغداد بل استمر جالسًا في هذه القاعة . فقال له : لأي شيء؟ فهل جئت لأنحبس ؟ انا ما جئت إلا لأجل ان أتفرج . فقال له : يا ولدي، لا تحسب ان بغداد مثل مصر، هذه بغداد محل الخلافة وفيها شطار كثير وتنبت فيها الشطارة كما ينبت البقل في الأرض . فأقام علي في القاعة ثلاثة ايام . فقال احمد الدنف لعلي المصري : أريد ان أقربك عند الخليفة لأجل ان يكتب لك جامكية . فقال له : حتى يؤون الآوان فترك سبيله . ثم إن عليًا كان قاعدًا في القاعة يوماً من الأيام فانقبض قلبه وضاق صدره فقال لنفسه : قم شق في بغداد ينشرح صدرك . فخرج وسار من زقاق إلى زقاق فرأى في وسط السوق دكاناً فدخل وتغدّى فيه وطلع يغسل يديه وإذا بأربعين عبداً بالشريطات البولاد واللبد وهم سائرون اثنين اثنين وآخر الكل دليلة المحتالة، راكبة فوق بغلة وعلى رأسها خوذة مطلية بالذهب

وبيضة من بولاد وزردية وما يناسب ذلك وكانت دليلة نازلة من الديوان إلى الخان . فلما رأت علي الزيبق المصري تأمّلت فيه فراته يشبه احمد الدنف في طوله وعرضه وعليه عباءة وبرنس وشريط من بولاد ونحو ذلك والشجاعة لايحة عليه تشهد له ولا تشهد عليه . فسارت إلى الخان واجتمعت ببنتها زينب وأحضرت تخت رمل ، فضربت الرمل فطلع لها اسمه علي المصري وسعده غالب على سعدها وسعد بنتها زينب . فقالت لها : يا أمي ، أي شيء ظهر لك حين ضربت هذا التخت ؟ فقالت : انا رأيت اليوم شاباً يشبه أحمد الدنف وخائفة ان يسمع انك اعريت أحمد الدنف وصبيانه فيدخل الخان ويلعب معنا منصفاً لأجل ان يخلّص ثار كبيره وثار الأربعين واظن انه نازل في قاعة أحمد الدنف . فقالت لها بنتها زينب : أي شيء هذا ؟ اظن انك حسبت حسابه . ثم لبست بدلة أفخر ما عندها وخرجت تشق في البلد ، فلما رآها الناس صاروا يتعشّقون فيها وهي توعد وتحلف وتسمع وتسطح ، وسارت من سوق إلى سوق حتى رأت علياً المصري مقبلا عليها فزاحمته بكتفها والتفتت وقالت : الله يحي أهل النظر . فقال لها : ما أحسن شكلك ؟ لمن انت ؟ فقالت : للغندور الذي مثلك . فقال لها : هل أنت متزوجة او عازبة ؟ فقالت : متزوجة . فقال لها : عندي او عندك ؟ فقالت : انا بنت تاجر وزوجي تاجر وعمري ما خرجت إلا في هذا اليوم ، وما ذاك إلا أني طبخت طعاماً واردت ان آكل فما لقيت لي نفساً ولمّا رايتك وقعت محبتك في قلبي ، فهل يمكن أن تقصد جبر قلبي وتأكل عندي لقمة ؟ فقال لها : من دُعي فليُجب . ومشت وتبعها من زقاق إلى زقاق ثم قال في نفسه وهو ماش خلفها : كيف تفعل وأنت غريب ؟ وقد ورد من زنى في غربته ردّه الله خائبًا ولكن ادفعها عنك بلطف . ثم قال : خذي هذا الدينار واجعلي الوقت غير هذا . فقالت له : والإسم الأعظم ما يمكن إلا أن تروح معي في هذا الوقت إلى البيت وأصافيك . فتبعها إلى أن وصلت باب دار عليها بوّابة عالية والضبة مغلقة . فقالت له : إفتح هذه الضبة . فقال لها : وأين مفتاحها ؟ فقالت له : ضاع . فقال لها : كل من فتح ضبة بغير مفتاح يكون مجرماً وعلى الحاكم تأديبه ، وأنا ما أعرف شيئًا حتى أفتحها بلا مفتاح . فكشفت الإزار عن وجهها فنظرها نظرة أعقبته الف حسرة ، ثم اسبلت إزارها على الضبة وقرأت عليها أسماء أم موسى ففتحتها بلا مفتاح ودخلت ، فتبعها فرأى سيوفًا وأسلحة من البولاد . ثم إنها خلعت الإزرار وقعدت معه فقال لنفسه : استوف ما قدّره الله عليك . ثم مال عليها ليأخذ قبلة من خدّها فوضعت كفها على خدّها وقالت له : ما صفاء إلا في الليل . وأحضرت سفرة طعام ومدام فأكلا وشربا وقامت ملأت الإبريق من البئر وكبّت له على يديه فغسلهما . فبينما هما كذلك وإذا بها دقّت على صدرها وقالت : إن زوجي كان عنده خاتم ياقوت مرهون على خمسمائة دينار فلبسته فجاء واسعاً فضيّقته بشمعة ، فلما أدليت الدلو سقط الخاتم في البئر . ولكن التفت إلى جهة الباب حتى أتعرّى وانزل البئر لأجيء به . فقال لها : عيب علي أن تنزلي وأنا موجود فما ينزل إلا أنا فقلع ثيابه وربط نفسه في السلبة وأدلته في البئر وكان الماء فيه غزيراً ثم قالت له : إن السلبة قد قصرت مني ولكن فك نفسك وانزل . ففكّ نفسه ونزل في الماء وغطس فيه قامات ولم يحصل قرار البئر . وأما هي فإنها لبست إزارها وأخذت ثيابه وراحت إلى أمها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 712

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن علياً المصري لما نزل في البئر وأخذت ثيابه، راحت إلى أمها وقالت لها: قد عريّت علي المصري وأوقعته في بئر الأمير حسن صاحب الدار، وهيهات أن يخلص. وأما الأمير حسن صاحب الدار فإنه كان في وقتها غائبًا في الديوان، فلما أقبل رأى بيته مفتوحًا فقال للسايس: لأي شيء ما أغلقت الضبة؟ فقال: يا سيدي إني أغلقتها بيدي. فقال: وحياة رأسي إن بيتي قد دخله حرامي. ثم دخل الأمير حسن وتلفّت في البيت فلم يجد أحداً فقال للسايس: إملأ الإبريق حتى أتوضأ. فأخذ السايس الدلو وأدلاه فلما سحبه وجده ثقيلاً، فطل في البئر فرأى شيئًا قاعداً في السطل فألقاه في البئر ثانياً ونادى وقال: يا سيدي، قد طلع لي عفريت من البئر. فقال له الأمير حسن: رح هات أربعة فقهاء يقرؤون القرآن عليه حتى ينصرف. فلما أحضر الفقهاء قال لهم: احتاطوا بهذا البئر واقرؤوا على هذا العفريت. ثم جاء العبد والسايس وأنزلا الدلو وإذا بعلي المصري تعلّق به وخبأ نفسه في الدلو وصبر حتى صار قريبًا منهم ووثب من الدلو وقعد بين الفقهاء. فصاروا يلطشون بعضهم ويقولون: عفريت عفريت. فرآه الأمير حسن غلامًا إنسياً فقال له: هل أنت حرامي؟ فقال: لا. فقال له: ما سبب نزولك في البئر؟ فقال له: أنا نمت واحتلمت فنزلت لأغتسل في بحر الدجلة فغطست وجذبني الماء تحت الأرض حتى خرجت من هذا البئر. فقال له: قل الصدق. فحكى له جميع ما جرى له، فأخرجه من البيت بثوب قديم فتوجه إلى قاعة أحمد الدنف وحكى له ما وقع له. فقال: أما قلت لك أن بغداد فيها نساء تلعب على الرجال؟ فقال علي كتف الجمل: بحق الإسم الإعظم أن تخبرني كيف تكون رئيس فتيان مصر وتعرّيك صبية؟ فصعب عليه ذلك وندم، فكساه أحمد الدنف بدلة غيرها. ثم قال حسن شومان: هل أنت تعرف الصبية؟ فقال له: هذه زينب بنت دليلة المحتالة بوّابة خان الخليفة، فهل وقعت في شبكتها يا علي؟ قال: نعم. فقال له: يا علي، إن هذه أخذت ثياب كبيرك وثياب جميع صبيانه. فقال هذا عار عليكم. فقال له: وأي شيء مرادك؟ فقال: مرادي أن أتزوّج بها. فقال له: هيهات، سل فؤادك عنها. فقال له: وما حيلتي في زواجها يا شومان؟ فقال: مرحباً بك إن كنت تشرب من كفي وتمشي تحت رايتي بلغتك مرادك منها. فقال له: نعم. فقال له: يا علي، إقلع ثيابك. فقلع ثيابه وأخذ قدراً وغلى فيه شيئًا مثل الزفت ودهنه به فصار مثل العبد الأسود ودهن شفتيه وخديه وكحّله بكحل أحمر وألبسه ثياب خدام وأحضر عنده سفرة كباب ومدام وقال له: إن في الخان عبداً طباخًا وأنت صرت شبيهه ولا يحتاج من السوق إلا اللحمة والخضار، فتوجه إليه بلطف وكلّمه بكلام العبيد وسلّم عليه وقل له: زمان ما اجتمعت بك في البوظة. فيقول لك: أنا مشغول وفي رقبتي أربعون عبدًا أطبخ لهم سماطاً في الغداء وسماطاً في العشاء وأطعم الكلاب وسفرة لدليلة وسفرة لبنتها زينب. ثم قل له: تعال نأكل كباباً ونشرب بوظة، وادخل وإياه القاعة واسكره ثم اسأله عن الذي يطبخه كم لون هو، وعن أكل الكلاب وعن مفتاح المطبخ وعن مفتاح الكرار فإنه يخبرك، لأن السكران يخبر بجميع ما يكتمه في حال صحوه. وبعد ذلك بنّجه والبس ثيابه وخذ السكاكين في وسطك وخذ مقطف الخضار واذهب إلى السوق واشتر اللحم والخضار، ثم ادخل المطبخ والكرار واطبخ الطبيخ، ثم اغرفه وخذ الطعام وادخل به على دليلة في الخان وحط البنج

في الطعام حتى تبنج الكلاب والعبيد ودليلة وبنتها زينب ، ثم اطلع القصر وائت بجميع الثياب منه . وإن كان مرادك أن تتزوج بزينب تجيء معك بالأربعين طيراً التي تحمل الرسائل . فطلع فرأى العبد الطباخ فسلّم عليه وقال له : زمان ما اجتمعنا بك في البوظة . فقال : أنا مشغول بالطبخ للعبيد والكلاب . فأخذه وأسكره وسأله عن الطبيخ كم لون هو . فقال له : كل يوم خمسة ألوان في الغداء وخمسة ألوان في العشاء ، وطلبوا مني أمس لونًا سادساً وهو الزردة ولوناً سابعاً وهو طبيخ حب الرمان . فقال : وأي شيء حال السفرة التي تعملها ؟ فقال : أؤدي سفرة إلى زينب وبعدها أؤدي سفرة لدليلة وأعشي العبيد وبعدهم أعشي الكلاب وأطعم كل واحد كفايته من اللحم وأقل ما يكفيه رطل . وأنسته المقادير أن يسأله عن المفاتيح . ثم قلّعه ثيابه ولبسها هو وأخذ المقطف وراح السوق فأخذ اللحم والخضار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 713

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عليًا الزيبق المصري لما بنّج العبد الطباخ ، أخذ السكاكين وحطّها في حزامه وأخذ مقطف الخضار ثم ذهب إلى السوق واشترى اللحم والخضار ثم رجع ودخل من باب الخان فرأى دليلة قاعدة تنتقد الداخل والخارج ورأى الأربعين عبداً مسلحة فقوّى قلبه . فلما رأته دليلة عرفته فقالت له : إرجع يا رئيس الحرامية أتعمل عليّ منصفًا في الخان ؟ فالتفت علي المصري وهو في صورة العبد إلى دليلة وقال لها : ما تقولين يا بوّابة ؟ فقالت له : ماذا صنعت بالعبد الطباخ ؟ وأي شيء فعلت فيه ؟ فهل قتلته أو بنجته ؟ فقال لها : أي عبد طباخ ؟ فهل هناك عبد طباخ غيري ؟ فقالت : تكذب ، أنت علي الزيبق المصري . فقال لها بلغة العبيد : يا بوّابة هل المصرية بيضة أو سودة ؟ أنا ما بقيت أخدم . فقال العبيد : ما لك يا ابن عمنا ؟ فقالت دليلة : هذا ما هو ابن عمكم هذا علي الزيبق المصري وكأنه بنج ابن عمكم أو قتله . فقالوا : هذا ابن عمنا سعد الله الطباخ . فقالت لهم : ما هو ابن عمكم بل هو علي المصري وصبغ جلده . فقال لها : مَن علي ؟ أنا سعد الله . فقالت : إن عندي دهان الاختبار . وجاءت بدهان فدهنت به ذراعه وحكّته فلم يطلع السواد . فقال العبيد : خليه يروح ليعمل لنا الغداء . فقالت لهم : ان كان هو ابن عمكم يعرف أي شيء طلبتم منه ليلة أمس ويعرف كم لون يطبخها في كل يوم . فسألوه عن الألوان وعن ما طلبوه ليلة أمس . فقال : عدس وأرز وشوربة ويخني وماء وردية ولون سادس وهو زردة ولون سابع وهو حب الرمان ، وفي العشاء مثلها . فقال العبيد : صدق . فقالت لهم : ادخلوا معه فإن عرف المطبخ والكرار فهو ابن عمكم وإلا فاقتلوه . وكان الطباخ قد ربّى قطاً ، فكلما يدخل الطباخ يقف القط على باب المطبخ ثم ينط على أكتافه إذا دخل . فلما دخل ورآه القط نطّ على أكتافه فرماه فجرى قدامه إلى المطبخ ، فلحظ أن القط ما وقف إلا على باب المطبخ ، فأخذ المفاتيح فرأى مفتاحًا عليه أثر الريش فعرف أنه مفتاح المطبخ ، ففتحه وحطّ الخضار وخرج فجرى القط قدامه وعمد باب الكرار فلحظ انه الكرار ، فأخذ المفاتيح ورأى مفتاحًا عليه أثر الدهان فعرف أنه مفتاح الكرار ففتحه . فقال العبيد : يا دليلة ، لو كان غريباً ما عرف المطبخ والكرار ولا عرف مفتاح كل مكان من بين المفاتيح وإنما هذا ابن عمنا سعد الله . فقالت : إنما عرف الأماكن من القط وميّز المفاتيح من بعضها

بالقرينة، وهذا الأمر لا يدخل عليّ. ثم إنه دخل المطبخ وطبخ الطعام وطلّع سفرة إلى زينب فرأى جميع الثياب في قصرها، ثم نزل وحطّ سفرة لدليلة وغدّى العبيد وأطعم الكلاب، وفي العشاء كذلك. وكان الباب لا يفتح ولا يقفل إلا بشمس في الغداة والعشيّ. ثم إن علياً قام ونادى في الخان: يا سكان، قد سهرت العبيد للحرس وأطلقنا الكلاب وكل من طلع فلا يلوم إلا نفسه. وكان علي أخّر عشاء الكلاب وحطّ فيه السم ثم قدّمه إليها فلما أكلته ماتت، وبنّج جميع العبيد ودليلة وبنتها زينب. ثم طلع أخذ جميع الثياب وحمام البطاقة وفتح الخان وخرج وسار إلى أن وصل إلى القاعة. فرآه حسن شومان فقال له: أي شيء فعلت؟ فحكى له جميع ما كان فشكره. ثم إنه قام ونزع ثيابه وغلى له عشبًا وغسله به فعاد أبيض كما كان وراح إلى العبد وألبسه ثيابه وأيقظه من البنج. فقام العبد وذهب إلى الخضري فأخذ الخضار ورجع إلى الخان. هذا ما كان من أمر علي الزيبق المصري. وأما ما كان من امر دليلة المحتالة فإنه طلع من طبقته رجل تاجر من السكان عندما لاح الفجر فرأى باب الخان مفتوحاً والعبيد مبنجة والكلاب ميتة، فنزل إلى دليلة فرآها مبنجة وفي رقبتها ورقة ورأى عند رأسها اسفنجة فيها ضد البنج، فحطّها على مناخير دليلة فأفاقت. فلما أفاقت قالت: أين انا؟ فقال لها التاجر: انا نزلت فرأيت باب الخان مفتوحًا ورأيتك مبنّجة وكذلك العبيد وأما الكلاب فرأيتها ميتة. فأخذت الورقة فرأت فيها ما عمل هذا العمل إلا علي المصري. فشمّمت العبيد وزينب بنتها ضد البنج وقالت: أما قلت لكم أن هذا علي المصري؟ ثم قالت للعبيد: اكتموا هذا الأمر. وقالت لبنتها: كم قلت لك ان علياً ما يخلي ثأره؟ وقد عمل هذا العمل في نظير ما فعلت معه وكان قادراً أن يفعل معك شيئًا غير هذا ولكنه اقتصر على هذا إبقاء للمعروف وطلباً للمحبة بيننا. ثم إن دليلة خلعت لباس الفتوّة ولبست لباس النساء وربطت المحرمة في رقبتها وقصدت قاعة أحمد الدنف. وكان علي حين دخل بالثياب وحمام الرسائل قام شومان وأعطى للنقيب حق أربعين حمامة فاشتراها وطبخها بين الرجال وإذا بدليلة تدق الباب. فقال أحمد الدنف: هذه دقة دليلة قم افتح لها يا نقيب. فقام وفتح لها فدخلت دليلة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 714

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن النقيب لما فتح القاعة لدليلة دخلت فقال لها شومان: ما جاء بك هنا يا عجوز النحس وقد تحزبت انت واخوك زريق السمّاك؟ فقالت: يا مقدم إن الحق علي وهذه رقبتي بين يديك، ولكن الفتى الذي عمل معي هذا المنصف من هو منكم؟ فقال أحمد الدنف: هو أول صبياني. فقالت له: أنت سياق الله عليه أنه يجيء لي بحمام الرسائل وغيره وتجعل ذلك انعامًا عليّ. فقال حسن شومان: الله يقابلك بالجزاء يا علي لأي شيء طبخت ذلك الحمام؟ فقال علي: ليس عندي خبر إنه حمام الرسائل. ثم قال أحمد: يا نقيب هات نائبها. فأعطاها فأخذت قطعة من حمامة ومضغتها فقالت: هذا ما هو لحم طير الرسائل فإني أعلفه حب المسك ويبقى لحمه كالمسك. فقال لها شومان: إن كان مرادك أن تأخذي حمام الرسائل فاقضي حاجة علي المصري. فقالت: أي شيء حاجته. فقال لها: أن تزوّجيه بنتك زينب. فقالت: أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف. فقال حسن لعلي المصري: أعطها الحمام فأعطاها إياه فأخذته وفرحت به. فقال شومان: لا بد أن تروي علينا جواباً

كافيًا . فقالت : إن كان مراده أن يتزوّج بها فهذا المنصف الذي عمله هو شطارة ، وما الشطارة إلا أن يخطبها من خالها المقدم زريق فإنه وكيلها ، الذي ينادي : يا رطل سمك بجديدين . وقد علق في دكانه كيساً حطّ فيه من الذهب ألفين . فعندما سمعوها تقول ذلك قاموا وقالوا : ما هذا الكلام يا عاهرة ، إنما أردت أن تعدمينا أخانا عليًا المصري . ثم إنها راحت من عندهم إلى الخان فقالت لبنتها : قد خطبك مني علي المصري . ففرحت لأنها أحبته لعفته عنها وسألتها عن ما جرى . فحكت لها ما وقع وقالت : شرطت عليه أن يخطبك من خالك وأوقعته في الهلاك . وأما علي المصري فإنه التفت إليهم وقال : ما شأن زريق ؟ وأي شيء يكون هو ؟ فقالوا : هو رئيس فتيان أرض العراق يكاد أن ينقب الجبل ويتناول النجم ويأخذ الكحل من العين ، وهو في هذا الأمر ليس له نظير . ولكنه تاب عن ذلك وفتح دكان سماك ، فجمع من السمك ألفي دينار ووضعها في كيس وربط في الكيس قيطاناً من حرير ووضع في القيطان جلاجل وأجراساً من نحاس وربطه في وتد من داخل باب الدكان متصلاً بالكيس . وكلما يفتح الدكان يعلق الكيس وينادي : أين أنتم يا شطار مصر ويا فتيان العراق ويا مهرة بلاد العجم ؟ زريق السماك علّق كيساً على وجه الدكان كل من يدّعي الشطارة ويأخذه بحيلة فإنه يكون له . فتأتي الفتيان أهل الطمع ويريدون أنهم يأخذونه فلم يقدروا ، لأنه واضع تحت رجليه أرغفة من رصاص وهو يقلي ويوقد النار فإذا جاء الطماع ليساهيه ويأخذه ، يضربه برغيف من رصاص فيتلفه أو يقتله . فيا علي ، إذا تعرضت له تكون كمن يلطم في الجنازة ولا يعرف من مات ، فما لك قدرة على مقارعته فإنه يُخشى عليك منه ولا حاجة لك بزواجك زينب ، ومن ترك شيئًا عاش بلاه . فقال : هذا عيب يا رجال فلا بد لي من أخذ الكيس ، ولكن هاتوا لي لبس صبية . فأحضروا له لبس صبية فلبسه وتحنّى وأرخى لثاماً وذبح خاروفاً وأخذ دمه وطلع المصران ونظفه وعقده من تحت وملأه بالدم وربطه على فخذه ولبس عليه اللباس والخف وعمل له نهدين من حواصل الطير وملأهما باللبن وربط على بطنه بعض قماش ووضع بينه وبين بطنه قطناً وتحزّم عليه بفوطة كلها نشاء . فصار كل من ينظره يقول : ما أحسن هذا الكفل ! وإذا بحمّار مقبل فأعطاه دينارا وأركبه وسار به إلى جهة دكان زريق السماك فرأى الكيس معلّقاً ورأى الذهب ظاهرًا منه وكان زريق يقلي في السمك . فقال : يا حمّار ما هذه الرايحة ؟ فقال له : رايحة سمك زريق . فقال له : أنا امرأة حامل والرايحة تضرّني هات لي منه قطعة سمك . فقال الحمّار لزريق : هل أصبحت تفوح الرايحة على النساء الحوامل ؟ أنا معي زوجة الأمير حسن شر الطريق قد شمّت الرايحة وهي حامل ، فهات لها قطعة سمك لأن الجنين تحرّك في بطنها . يا ستّار اللهم اكفنا شر هذا النار . فأخذ قطعة سمك وأراد أن يقليها فانطفأت النار ، فدخل ليوقد النار وكان علي المصري قاعدًا فاتّكأ على المصران فقطعه فساح الدم من بين رجليه فقال : آه يا جنبي يا ظهري . فالتفت الحمّار فرأى الدم سايحاً فقال لها : ما لك يا سيدتي ؟ فقال له وهو في صورة المرأة : قد أسقطت الجنين . فطلّ زريق فرأى الدم فهرب في الدكان وهو خائف فقال له الحمّار : الله ينكد عليك يا زريق ، إن الصبية قد أسقطت الجنين وإنك ما تقدر على زوجها ، فلأي شيء أصبحت تفوح الرايحة ؟ وأنا أقول لك : هات لها قطعة سمك ما ترضى . ثم أخذ الحمّار حماره وتوجه إلى حال سبيله . وحين هرب زريق داخل الدكان مدّ علي المصري يده إلى الكيس فلما حصّله خشخش الذهب الذي فيه وصلصلت

الجلاجل والأجراس والحلق فقال زريق : ظهر خداعك يا علق ، أتعمل عليّ منصفاً وأنت في صورة صبية ؟ ولكن خذ ما جاءك . وضربه برغيف من رصاص فراح خائبًا وحط في غيره . فقام عليه الناس وقالوا : هل انت سوقي وإلا مضارب ؟ فإن كنت سوقياً فنزّل الكيس واكف الناس شرّك . فقال لهم : بسم الله على الراس . وأما علي فإنه راح إلى القاعة فقال له شومان : ما فعلت ؟ فحكى له جميع ما وقع له . ثم قلع لبس النساء وقال : يا شومان ، أحضر لي ثياب سايس . فأحضرها له فأخذها ولبسها ثم اخذ صحناً وخمسة دراهم وراح لزريق السماك . فقال له : أي شيء تطلب يا اسطا ؟ فأراه الدراهم في يده فأراد زريق ان يعطي له من السمك الذي على الطبلية فقال له : أنا ما آخذ إلا سمكاً سخناً . فحطّ السمك في الطاجن وأراد ان يقليه فانطفأت النار ، فدخل ليوقدها فمدّ علي المصري يده ليأخذ الكيس فحصل طرفه فخشخشت الأجراس والحلق والجلاجل فقال له زريق : ما دخل عليّ منصفك ولو جئتني في صورة سايس وأنا عرفتك من قبض يدك على الفلوس والصحن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 715

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان علياً المصري لما مدّ يده ليأخذ الكيس خشخشت الأجراس والحلق فقال له زريق : ما دخل علي منصفك ولو جئتني في صورة سايس فأنا عرفتك من قبض يدك على الفلوس والصحن ، وضربه برغيف من رصاص فزاغ عنه علي المصري فلم ينزل الرغيف الرصاص إلا في طاجن ملآن باللحم السخن فانكسر ونزل بمرقته على كتف القاضي وهو سائر ، ونزل الجميع في عبّ القاضي حتى وصل إلى محاشمه . فقال القاضي : يا محاشمي ! ما أقبحك يا شقي ؟ من عمل معي هذه العملة ؟ فقال له الناس : يا مولانا ، هذا ولد صغير رجم بحجر فوقع في الطاجن ، ما دفع الله كان أعظم . ثم التفتوا فوجدوا الرغيف الرصاص ، والذي رماه إنما هو زريق السمّاك . فقاموا عليه وقالوا : ما يحل من الله يا زريق ، نزّل الكيس أحسن لك . فقال : إن شاء الله أنزله . وأما علي المصري فإنه راح إلى القاعة ودخل على الرجال فقالوا له : أين الكيس ؟ فحكى لهم جميع ما جرى له . فقالوا له : أنت أضعت ثلثي شطارته . فقلع ما عليه ولبس بدلة تاجر وخرج فرأى حاوياً معه جراب فيه ثعابين وجربندية فيها أمتعته فقال له : يا حاوي ، مرادي ان تفرّج أولادي وتأخذ إحساناً . فأتى به إلى القاعة وأطعمه وبنّجه ولبس بدلته وراح إلى زريق السمّاك وأقبل عليه وزمّر بالزمارة فقال له : الله يرزقك . وإذا به طلّع الثعابين ورماها قدامه ، وكان زريق يخاف من الثعابين فهرب منها داخل الدكان . فأخذ الثعابين ووضعها في الجراب ومدّ يده إلى الكيس فحصل طرفه فشنّ الحلق والجلاجل والأجراس . فقال له : ما زلت تعمل عليّ المناصف حتى عملت حاوياً ؟ ورماه برغيف من رصاص وإذا بواحد جندي سائر ووراءه السايس فوقع الرغيف في رأس السايس فبطحه فقال الجندي : من بطحه ؟ فقال له الناس : هذا حجر نزل من السقيفة . فسار الجندي والتفتوا فرأوا الرغيف الرصاص فقاموا عليه وقالوا له : نزّل الكيس . فقال : إن شاء الله أنزله في هذه الليلة . وما زال علي يلعب مع زريق حتى عمل معه سبعة مناصف ولم يأخذ الكيس . ثم إنه أرجع ثياب الحاوي ومتاعه إليه وأعطاه إحساناً ورجع إلى دكان زريق فسمعه يقول : أنا إن بيّت الكيس في الدكان نقّب عليه وأخذه ، ولكن آخذه معي إلى البيت . ثم قام زريق وعزّل الدكان

ونّزل الكيس وحطّه في عبّه . فتبعه علي إلى أن قرب من البيت فرأى زريق جاره عنده فرح . فقال زريق في نفسه : حتى أروح البيت وأعطي زوجتي الكيس وألبس حوائجي ثم أعود إلى الفرح . ومشى وعلي تابعه ، وكان زريق متزوجًا بجارية سوداء من معاتيق الوزير جعفر ورزق منها بولد وسمّاه عبد الله وكان يوعدها أنه يطاهر الولد بالكيس ويزوّجه ويصرفه في فرحه . ثم دخل زريق على زوجته وهو عابس الوجه فقالت له : ما سبب عبوسك ؟ فقال لها : ربّنا بلاني بشاطر لعب معي سبعة مناصف على أنه يأخذ الكيس فما قدر أن يأخذه . فقالت : هاته حتى أدخره لفرح الولد . فأعطاها إياه . وأما علي المصري فإنه تخبأ في مخدع وصار يسمع ويرى . فقام زريق وقلع ما عليه ولبس بدلته وقال لها : إحفظي الكيس يا أم عبد الله وأنا رايح إلى الفرح . فقالت له : نم لك ساعة . فنام ، فقام علي ومشى على أطراف أصابعه وأخذ الكيس وتوجه إلى بيت الفرح ووقف يتفرّج . وأما زريق فإنه رأى في منامه ان الكيس أخذه طائر . فأفاق مرعوبًا وقال لأم عبد الله : قومي انظري الكيس . فقامت تنظره فما وجدته ، فلطمت على وجهها وقالت : يا سواد حظك يا أم عبد الله ، الكيس أخذه الشاطر . فقال : والله ما أخذه إلا الشاطر علي وما أحد غيره أخذ الكيس ولا بد أني أجيء به . فقالت : إن لم تجيء به وإلا قفلت عليك الباب وتركتك تبيت في الحارة . فأقبل زريق على الفرح فرأى الشاطر علي يتفرّج فقال : هذا الذي أخذ الكيس ولكنه نازل في قاعة أحمد الدنف . فسبقه زريق إلى القاعة وطلع على ظهرها ونزل فرآهم نائمين وإذا بعلي أقبل ودق الباب . فقال زريق : مَن بالباب ؟ فقال : علي المصري . فقال له : هل جئت بالكيس ؟ فظن أنه شومان فقال له : جئت به فافتح الباب . فقال له : ما يمكن أن أفتح لك حتى أنظره فإنه وقع بيني وبين كبيرك رهان . فقال : مد يدك . فمدّ يده من جنب عقب الباب فأعطاه الكيس ، فأخذه زريق وطلع من الموضع الذي نزل منه وراح إلى الفرح . وأما علي فإنه لم يزل واقفًا على الباب ولم يفتح له أحد ، فطرق الباب طرقة مزعجة فصحا الرجال وقالوا : هذه طرقة علي المصري . ففتح له النقيب وقال له : جئت بالكيس ؟ فقال : يكفي مزاحاً يا شومان أما أعطيتك إياه من جنب عقب الباب وقلت لي : أنا حالف اني لا افتح لك الباب حتى تريني الكيس . فقال : والله ما أخذته وإنما زريق هو الذي أخذه منك . فقال له : لا بد أني أجيء به . ثم خرج علي المصري متوجهاً إلى الفرح فسمع الخلبوص يقول : شوبش يا أبا عبد الله ، العاقبة عندك لولدك . فقال علي : أنا صاحب السعد . وتوجه إلى بيت زريق وطلع من فوق ظهر البيت ونزل فرأى الجارية نائمة ، فبنّجها ولبس بدلتها وأخذ الولد في حجره ودار يفتش ، فرأى مقطفاً فيه كعك العيد من بخل زريق . ثم إن زريقاً أقبل إلى البيت وطرق الباب فجاوبه الشاطر علي وجعل نفسه الجارية وقال له : من بالباب ؟ فقال : أبو عبد الله . فقال : أنا حلفت ما أفتح لك الباب حتى تجيء بالكيس ؟ فقال : جئت به . فقال : هاته قبل فتح الباب . فقال : ادلي المقطف وخذيه فيه . فأدلى المقطف فحطّه فيه ثم أخذه الشاطر علي وبنّج الولد وأيقظ الجارية ونزل من الموضع الذي طلع منه وقصد القاعة ، فدخل على الرجال وأراهم الكيس والولد معه . فشكروه وأعطاهم الكعك فأكلوه وقال : يا شومان هذا الولد بن زريق فاخفه عندك . فأخذه وأخفاه وأتى بخروف فذبحه وأعطاه للنقيب فطبخه قممة وكفّنه وجعله كالميت . وأما زريق فإنه لم يزل واقفاً على الباب ثم دق الباب دقة مزعجة . فقالت له الجارية : هل جئت بالكيس ؟ فقال لها : أما أخذته

في المقطف الذي أدليته؟ فقالت: انا ما ادليت مقطفاً ولا رايت كيساً ولا اخذته. فقال: والله إن الشاطر علي سبقني وأخذه. ونظر في البيت فرأى الكعك معدوماً والولد مفقوداً فقال: واولداه. فدقت الجارية على صدرها وقالت: انا وإياك للوزير، ما قتل ابني إلا الشاطر الذي يفعل معك المناصف وهذا بسببك. فقال لها: ضمانه عليّ. ثم طلع زريق وربط المحرمة في رقبته وراح إلى قاعة أحمد الدنف ودق الباب، ففتح له النقيب ودخل على الرجال فقال شومان: ما جاء بك؟ فقال: أنتم سياق على علي المصري ليعطيني ولدي وأسامحه في الكيس الذهب. فقال شومان: الله يقابلك يا علي بالجزاء، لأي شيء ما أعلمتني أنه ابنه؟ فقال زريق: اي شيء جرى عليه؟ فقال شومان: أطعمناه زبيباً فشرق ومات وهو هذا. فقال: واولداه، ما اقول لأمه؟ ثم قام وفكّ الكفن فرآه قممة فقال له: أطربتني يا علي. ثم إنهم أعطوه ابنه. فقال أحمد الدنف: أنت كنت معلقاً الكيس لكل من كان شاطراً يأخذه فإن أخذه شاطر يكون حقه، وإنه صار حق علي المصري. فقال: وأنا وهبته له. فقال له علي الزيبق المصري: إقبله من شأن بنت اختك زينب. فقال له: قبلته. فقالوا: نحن خطبناها لعلي المصري. فقال: أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف. ثم إنه أخذ ابنه وأخذ الكيس. فقال شومان: هل قبلت منّا الخطبة؟ فقال: قبلتها ممن كان يقدر على مهرها. فقال له: أي شيء مهرها؟ فقال: إنها حالفة أن لا يركب صدرها إلا من يجيء لها ببدلة قمر بنت عذرة اليهودي وباقي حوائجها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 716

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زريقاً قال لشومان: إن زينب حالفة أن لا يركب صدرها إلا الذي يجيء لها ببدلة قمر بنت عذرة اليهودي والتاج والحياصة والتاسومة الذهب. فقال علي المصري: إن لم أجيء ببدلتها في هذه الليلة لا حق لي في الخطبة. فقال له: يا علي تموت إن عملت معها منصفاً. فقال له: ما سبب ذلك؟ فقالوا له: إن عذرة اليهودي ساحر مكّار غدّار يستخدم الجن، وله قصر خارج المملكة حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة، وذلك القصر ظاهر للناس ما دام قاعداً فيه ومتى خرج منه فإنه يختفي، ورزق ببنت اسمها قمر وجاء لها بهذه البدلة من كنز. فيضع البدلة في صينية من الذهب ويفتح شبابيك القصر وينادي: أين شطّار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم؟ كل من أخذ البدلة تكون له. فحاوله بالمناصف سائر الفتيان فلم يقدروا أن يأخذوها وسحرهم قروداً وحميراً. فقال علي: لا بد من أخذها وتتجلّى بها زينب بنت دليلة المحتالة. ثم توجه علي المصري إلى دكان اليهودي فرآه فظّاً غليظاً وعنده ميزان وصنج وذهب وفضة ومناقد، ورأى عنده بغلة. فقام اليهودي وقفل الدكان وحطّ الذهب والفضة في كيسين وحطهما في خرج وحطه على البغلة وركب وسار إلى أن وصل خارج البلد وعلي المصري وراءه وهو لم يشعر. ثم أطلع اليهودي تراباً من كيس في جيبه وعزم عليه ورشّه في الهواء فرأى الشاطر علي قصراً ما له نظير، ثم طلعت البغلة باليهودي في السلالم وإذا بالبغلة عون يستخدمه اليهودي، فنزّل الخرج عن البغلة وراحت البغلة واختفت. وأما اليهودي فإنه قعد في القصر وعلي ينظر فعله، فأحضر اليهودي قصبة من ذهب وعلق فيها صينية من ذهب بسلاسل من ذهب وحطّ البدلة في الصينية، فرآها علي من خلف الباب. ونادى

اليهودي : أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم ؟ من أخذ هذه البدلة بشطارته فهي له .
وبعد ذلك عزم فوضعت سفرة طعام فأكل ثم رفعت السفرة بنفسها، وعزم مرة أخرى فوضعت بين يديه سفرة مدام فشرب . فقال علي : أنت لا تعرف ان تأخذ هذه البدلة إلا وهو يسكر . فجاء علي من خلفه وسحب شريط البولاد في يده فالتفت اليهودي وعزم وقال ليده : قفي بالسيف . فوقفت يده بالسيف في الهواء ، فمد يده الشمال فوقفت في الهواء وكذلك رجله اليمنى وصار واقفاً على رجل ، ثم إن اليهودي صرف عنه الطلسم فعاد علي المصري كما كان أولاً . ثم إن اليهودي ضرب تخت رمل فطلع له ان اسمه علي الزيبق المصري . فالتفت إليه وقال له : تعال ، من انت ؟ وما شأنك ؟ فقال : أنا علي المصري صبي أحمد الدنف وقد خطبت زينب بنت دليلة المحتالة وعملوا عليّ مهرها بدلة بنتك ، فأنت تعطيها إليّ إن أردت السلامة وتسلم . فقال له : بعد موتك ، فإن ناسًا كثيراً عملوا عليّ مناصف من شأن أخذ البدلة فلم يقدروا أن يأخذوها مني ، فإن كنت تقبل النصيحة تسلم بنفسك فإنهم ما طلبوا منك البدلة إلا لأجل هلاكك ولولا اني رأيت سعدك غالبًا على سعدي لكنت رميت رقبتك . ففرح علي لكون اليهودي رأى سعده غالباً على سعده فقال له : لا بد لي من أخذ البدلة وتسلم . فقال له : هل هذا مرادك ولا بد . قال : نعم . فأخذ اليهودي طاسة وملأها ماء وعزم عليها وقال : أخرج من الهيئة البشرية إلى هيئة حمار . ورشّه منها فصار حماراً بحوافر وآذان طوال وصار ينهق مثل الحمير . ثم ضرب عليه دائرة فصارت عليه صوراً وصار اليهودي يسكر إلى الصباح . فقال له : أنا اركبك واريّح البغلة .
ثم إن اليهودي وضع البدلة والصينية والقصبة والسلاسل في خشخانة ثم طلع وعزم عليه ، فتبعه وحطّ على ظهره الخرج وركب عليه واختفى القصر عن الأعين وسار وهو راكبه إلى أن نزل على دكانه وفرغ كيس الذهب وكيس الفضة في المنقد قدامه . وأما علي فإنه مربوط في هيئة حمار ولكنه يسمع ويعقل ولا يقدر أن يتكلم . وإذا برجل ابن تاجر جار عليه الزمن فلم يجد له صنعة خفيفة إلا السقاية ، فأخذ أساور زوجته وأتى إلى اليهودي وقال له : أعطني ثمن هذه الأساور لأشتري لي به حماراً ؟ فقال اليهودي : تحمل عليه أي شيء ؟ فقال له : يا معلم ، أملأ عليه ماء من البحر وأقتات من ثمنه . فقال له اليهودي : خذ مني حماري هذا . فباع له الأساور وأخذ ثمنها الحمار وأعطاه اليهودي الباقي وسار بعلي المصري وهو مسحور إلى بيته . فقال علي لنفسه : متى ما حط عليك الحمّار الخشب والقربة وذهب بك عشرة مشاوير أعدمك العافية وتموت . فتقدمت امرأة السقاء تحط له عليقه وإذا به لطشها بدماغه ، فانقلبت على ظهرها ونط عليها ودقّ بفمه في دماغها وأدلى الذي خلّفه له الوالد فصاحت ، فأدركها الجيران فضربوه ورفعوه عن صدرها وإذا بزوجها الذي أراد أن يعمل سقاء جاء إلى البيت . فقالت له : إما أن تطلقني وإما أن ترد الحمار إلى صاحبه . فقال لها : أي شيء جرى ؟ فقالت له : هذا شيطان في صفة حمار ، فإنه نطّ عليّ ولولا الجيران رفعوه من فوق صدري لفعل بي القبيح . فأخذه وراح إلى اليهودي . فقال له اليهودي : لأي شيء رددته ؟ فقال له : هذا فعل مع زوجتي فعلاً قبيحاً . فأعطاه دراهمه وراح .
وأما اليهودي فإنه التفت إلى علي وقال له : أتدخل باب المكر يا مشؤوم حتى ردّك إليّ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 717

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن اليهودي لما ردّ له السقّاء الحمار أعطاه دراهمه والتفت إلى علي المصري وقال له: أتدخل باب المكر يا مشؤوم حتى ردّك إليّ؟ ولكن حيثما رضيت أن تكون حماراً أنا أخليك فرجة للكبار والصغار. وأخذ الحمار وركبه وسار خارج البلد وأخرج الرماد وعزم عليه ورشّه في الهواء وإذا بالقصر ظهر، فطلع القصر ونزّل الخرج من على ظهر الحمار وأخذ كيسي المال وأخرج القصبة وعلّق فيها الصينية بالبدلة ونادى مثل ما ينادي كل يوم: أين الفتيان من جميع الأقطار؟ من يقدر أن يأخذ هذه البدلة؟ وعزم مثل الأول فوضع له سماط فأكل، وعزم فحضر المدام بين يديه فسكر وأخرج طاسة فيها ماء وعزم عليها ورشّ منها على الحمار وقال له: انقلب من هذه الصورة إلى صورتك الأولى. فعاد إنساناً كما كان أولاً. فقال له: يا علي، إقبل النصيحة واكتف شرّي ولا حاجة لك بزواج زينب وأخذ بدلة ابنتي فإنها ما هي سهلة عليك وترك الطمع أولى لك وإلا أسحرك دباً أو قرداً أو أسلّط عليك عوناً يرميك خلف جبل قاف. فقال له: يا عذرة، أنا التزمت بأخذ البدلة ولا بد من أخذها وتسلم وإلا أقتلك. فقال له: يا علي أنت مثل الجوز، لو لم تنكسر ما تؤكل. وأخذ طاسة فيها ماء وعزم عليها ورش منها عليه وقال: كن في صورة دب. فانقلب دباً في الحال وحط الطوق في رقبته وربط فمه ودق له وتداً من حديد وصار يأكل ويرمي له بعض لقم ويكبّ عليه فضل الكأس. فلما أصبح الصباح قام اليهودي ورفع الصينية والبدلة وعزم على الدب فتبعه إلى دكانه. ثم قعد في الدكان وفرّغ الذهب والفضة في النقد وربط السلسلة التي في رقبة الدب في الدكان، فصار علي يسمع ويعقل ولا يقدر أن ينطق. وإذا برجل تاجر أقبل على اليهودي في دكانه وقال: يا معلم، أتبيعني هذا الدب؟ فإن لي زوجة وهي بنت عمي قد وصفوا لها أن تأكل لحم دب وتندهن بشحمه. ففرح اليهودي وقال في نفسه: أبيعه لأجل أن يذبحه ونرتاح منه. فقال علي في نفسه: والله إن هذا يريد أن يذبحني والخلاص عند الله. فقال اليهودي: هو من عندي إليك هدية. فأخذه التاجر ومرّ به على جزّار فقال له: هات العدة وتعال معي. فأخذ السكاكين وتبعه ثم تقدّم الجزار وربطه وصار يسن السكين وأراد أن يذبحه، فلما رآه علي المصري قاصده فرّ من بين يديه وطار بين السماء والأرض ولم يزل طائراً حتى نزل في القصر عند اليهودي. وكان السبب في ذلك أن اليهودي ذهب إلى القصر بعد أن أعطى التاجر الدب فسألته بنته فحكى لها جميع ما وقع. فقالت: أحضر عونًا واسأله عن علي المصري هل هو هذا أو رجل غيره يعمل منصفاً؟ فعزم وأحضر عونًا وسأله: هل هذا علي المصري أو هو رجل آخر يعمل منصفًا؟ فاختطفه العون وجاء به وقال: هذا هو علي المصري بعينه، فإن الجزار كتّفه وسنّ السكين وشرع في ذبحه فخطفته من بين يديه وجئت به. فأخذ اليهودي طاسة فيها ماء وعزم عليها ورشّه منها وقال له: إرجع إلى صورتك البشرية. فعاد كما كان أولاً، فرأته قمر بنت اليهودي شاباً مليحاً فوقعت محبته في قلبها ووقعت محبتها في قلبه. فقالت له: يا مشؤوم، لأي شيء تطلب بدلتي حتى يفعل بك أبي هذه الفعال؟ فقال: أنا التزمت بأخذها لزينب النصابة لأجل أن أتزوّج بها. فقالت له: غيرك لعب مع أبي مناصف لأجل أخذ بدلتي فلم يتمكّن منها. ثم قالت له: أترك الطمع. فقال: لا بد لي من أخذها ويسلم أبوك وإلا أقتله. فقال لها

ابوها : انظري يا بنتي هذا المشؤوم كيف يطلب هلاك نفسه ! ثم قال له : أنا أسحرك كلبًا . وأخذ طاسة مكتوبة وفيها ماء وعزم عليها ورشّه منها وقال له : كن في صورة كلب . فصار كلباً وصار اليهودي يسكر هو وبنته إلى الصبح . ثم قام رفع البدلة والصينية وركب البغلة وعزم على الكلب فتبعه ، وصارت الكلاب تنبح عليه . فمر على دكان سقطي ، فقام السقطي منع عنه الكلاب فنام قدّامه ، والتفت اليهودي فلم يجده . فقام السقطي عزّل دكانه وراح بيته والكلب تابعه ، فدخل السقطي داره فنظرت بنت السقطي فرأت الكلب . فغطت وجهها وقالت : يا أبي ، اتجيء بالرجل الأجنبي فتدخله علينا؟ فقال : يا بنتي هذا كلب؟ فقالت له : هذا علي المصري سحره اليهودي . فالتفت إليه وقال له : أنت علي المصري ؟ فأشار له براسه : نعم . فقال لها أبوها : لأي شيء سحره اليهودي ؟ قالت له : بسبب بدلة بنته قمر وأنا أقدر أن أخلصه . فقال : إن كان خيراً فهذا وقته . فقالت : إن كان يتزوّج بي خلّصته . فأشار لها براسه : نعم . فأخذت طاسة مكتوبة وعزمت عليها وإذا بصرخة عظيمة والطاسة وقعت من يدها . فالتفتت فرأت جارية أبيها هي التي صرخت وقالت لها : يا سيدتي ، أهذا هو العهد الذي بيني وبينك ؟ وما أحد علمك هذا الفن إلا أنا ، واتفقت معي أنك لا تفعلين شيئًا إلا بمشورتي والذي يتزوّج بك يتزوّجني وتكون لي ليلة ولك ليلة . قالت : نعم . فلما سمع السقطي هذا الكلام من الجارية قال لبنته : ومن علّم هذه الجارية ؟ قالت له : يا أبت ، هي التي علّمتني واسألها عن الذي علّمها . فسأل الجارية فقالت له : أعلم يا سيدي ، أني لما كنت عند عذرة اليهودي كنت أتسلل عليه وهو يتلو العزيمة ، ولما يذهب إلى الدكان أفتح الكتب وأقرأ فيها إلى أن عرفت علم الروحاني . فسكر اليهودي يومًا من الأيام وطلبني للفراش فأبيت وقلت : لا أمكنك من ذلك حتى تسلم فأبى . فقلت له : سوق السلطان . فباعني وأتيت إلى منزلك فعلّمت سيدتي واشترطتُ عليها أن لا تفعل منه شيئًا إلا بمشورتي ، والذي يتزوّج بها يتزوّجني ولي ليلة ولها ليلة . وأخذت الجارية طاسة فيها ماء وعزمت عليها ورشّت منها الكلب وقالت له : إرجع إلى صورتك البشرية . فعاد إنساناً كما كان أولاً ، فسلّم عليه السقطي وسأله عن سبب سحره . فحكى له جميع ما وقع له . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 718 ثماني عشرة بعد السبعمائة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السقطي لما سلم على علي المصري وسأله عن سبب سحره وما وقع له ، حكى له جميع ما جرى له . فقال له : أتكفيك بنتي والجارية؟ فقال : لا بد من أخذ زينب . وإذا بداق يدق الباب فقالت الجارية : من بالباب؟ فقالت : قمر بنت اليهودي ، هل علي المصري عندكم ؟ فقالت لها بنت السقطي : يا ابنة اليهودي ، وإذا كان عندنا أي شيء تفعلين به؟ إنزلي يا جارية إفتحي لها الباب . ففتحت لها الباب فدخلت ، فلما رأت علياً ورآها قال لها : ما جاء بك هنا يا بنت الكلب؟ فقالت : أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فأسلمت وقالت له : هل الرجال في دين الإسلام يمهرون النساء أو النساء تمهر الرجال؟ فقال لها : الرجال يمهرون النساء . فقالت : وأنا جئت أمهر نفسي لك بالبدلة والقصبة والسلاسل ودماغ أبي عدوّك وعدو الله . ورمت دماغ أبيها قدامه وقالت : هذا رأس أبي عدوّك وعدو الله . وسبب قتلها أباها أنه لما سحر عليًا كلباً رأت في المنام

قائلا يقول لها : أسلمي فأسلمت . فلما انتبهت عرضت على أبيها الإسلام فأبى ، فلما أبى الإسلام بنجته وقتلته . فأخذ علي الأمتعة وقال للسقطي : في غد نجتمع عند الخليفة لأجل أن أتزوج بنتك والجارية . وطلع وهو فرحان قاصد القاعة ومعه الأمتعة وإذا برجل حلواني يخبط على يديه ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الناس صار كدّهم حراماً لا يروح إلا في الغش ، سألتك بالله أن تذوق هذه الحلاوة . فأخذ منه قطعة وأكلها فإذا فيها البنج ، فبنّجه وأخذ منه البدلة والقصبة والسلاسل وحطها داخل صندوق الحلاوة وحمل الصندوق وطبق الحلاوة وسار . وإذا بقاض يصيح عليه ويقول له : تعال يا حلواني . فوقف وحط القاعدة والطبق فوقها وقال : أي شيء تطلب ؟ فقال له : حلاوة وملبساً . ثم أخذ منهما في يده شيئًا وقال : إن هذه الحلاوة والملبس مغشوشان . وأخرج القاضي حلاوة من عبّه وقال للحلواني : أنظر هذه الصنعة ما أحسنها فكُل منها واعمل نظيرها . فأخذها الحلواني فأكل منها وإذا فيها البنج ، فبنّجه وأخذ القاعدة والصندوق والبدلة وغيرها وحط الحلواني في القاعدة وحمل الجميع وتوجه إلى القاعة التي فيها الدنف . وكان القاضي حسن شومان . وسبب ذلك أن علياً لما التزم بالبدلة وخرج في طلبها لم يسمعوا عنه خبراً فقال أحمد الدنف : يا شباب اطلعوا فتشوا على أخيكم علي المصري . فطلعوا يفتشون عليه في المدينة ، فطلع حسن شومان في صفة قاض فقابل الحلواني فعرفه أنه أحمد اللقيط ، فبنّجه وأخذه وصحبته البدلة وسار به إلى القاعة . وأما الأربعون فإنهم داروا يفتشون في شوارع البلد ، فخرج علي كتف الجمل من بين أصحابه فرأى زحمة ، وقصد الناس المزدحمين فرأى علياً المصري بينهم مبنّجاً فأيقظه من البنج . فلما أفاق رأى الناس مجتمعين عليه فقال علي كتف الجمل : أفق لنفسك . فقال : أين أنا ؟ فقال له علي كتف الجمل وأصحابه : نحن رأيناك مبنجاً ولم نعرف من بنجك . فقال : بنجني واحد حلواني وأخذ مني الأمتعة ولكن أين ذهب ؟ فقالوا له : ما رأينا أحداً ولكن تعال رح بنا القاعة . فتوجهوا إلى القاعة ودخلوا فوجدوا أحمد الدنف فسلم عليهم وقال : يا علي ، هل جئت بالبدلة ؟ فقال : جئت بها وبغيرها وجئت برأس اليهودي وقابلني حلواني فبنّجني وأخذها مني . وحكى له جميع ما جرى له . وقال له : لو رأيت الحلواني لجازيته . وإذا بحسن شومان طالع من مخدع فقال له : هل جئت بالأمتعة يا علي ؟ فقال له : جئت بها وجئت برأس اليهودي وقابلني حلواني فبنّجني وأخذ البدلة وغيرها ولم أعرف أين ذهب ، ولو عرفت مكانه لنكيته . فهل تعرف أين ذهب ذلك الحلواني ؟ فقال : أعرف مكانه . ثم قام وفتح له المخدع فرأى الحلواني مبنّجاً فيه ، فأيقظه من البنج ففتح عينيه فرأى نفسه قدام علي المصري وأحمد الدنف والأربعين . فانصرع وقال : أين أنا ؟ ومن قبضني ؟ فقال شومان : أنا الذي قبضتك . فقال له علي المصري : يا ماكراً تفعل هذه الفعال ؟ وأراد أن يذبحه فقال له حسن شومان : إرفع يدك هذا صار صهرك . فقال : صهري ! من أين ؟ فقال له : هذا أحمد اللقيط ابن أخت زينب . فقال علي : لأي شيء هكذا يا لقيط ؟ فقال له : أمرتني به جدتي الدليلة المحتالة وما ذاك إلا أن زريقاً السماك اجتمع بجدتي الدليلة المحتالة وقال لها : إن علياً المصري شاطر بارع الشطارة ولا بد أن يقتل اليهودي ويجيء بالبدلة . فأحضرتني وقالت لي : يا أحمد هل تعرف علياً المصري ؟ فقلت : أعرفه وكنت أرشدته إلى قاعة أحمد الدنف . فقالت لي : رح انصب له شركك فإن كان جاء بالأمتعة فاعمل عليه منصفاً وخذ منه

الأمتعة . فطفت في شوارع المدينة حتى رأيت حلوانياً واعطيته عشرة دنانير واخذت بدلته وحلاوته وعدّته وجرى ما جرى . ثم إن علياً المصري قال لاحمد اللقيط : رح إلى جدتك وإلى زريق السماك واعلمهما باني جئت بالأمتعة وراس اليهودي وقل لهما : غداً قابلاه في ديوان الخليفة وخذا منه مهر زينب . ثم إن أحمد الدنف فرح بذلك وقال : لا خابت فيك التربية يا علي . فلما أصبح الصباح ، أخذ علي المصري البدلة والصينية والقصبة والسلاسل الذهب وراس عذرة اليهودي على مزراق وطلع إلى الديوان مع عمّه وصبيانه وقبّلوا الأرض بين يدي الخليفة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 719

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن علياً المصري لما طلع الديوان مع عمه احمد الدنف وصبيانه ، قبّلوا الأرض بين يدي الخليفة . فالتفت الخليفة فرأى شاباً ما في الرجال أشجع منه ، فسأل الرجال عنه . فقال أحمد الدنف ، يا أمير المؤمنين ، هذا علي الزيبق المصري رئيس فتيان مصر وهو أول صبياني . فلما رآه الخليفة أحبه لكونه رأى الشجاعة لايحة بين عينيه تشهد له لا عليه . فقام علي ورمى دماغ اليهودي بين يدي الخليفة وقال له : عدوّك مثل هذا يا أمير المؤمنين . فقال له الخليفة : دماغ من هذا ؟ فقال له : دماغ عذرة اليهودي . فقال الخليفة : ومن قتله ؟ فحكى له علي المصري ما جرى له من الأول إلى الآخر . فقال الخليفة : ما ظننت أنك قتلته لأنه كان ساحراً . فقال له : يا أمير المؤمنين أقدرني ربي على قتله . فارسل الخليفة الوالي إلى القصر فرأى اليهودي بلا راس فاخذه في تابوت وأحضره بين يدي الخليفة فأمر بحرقه ، وإذا بقمر بنت اليهودي اقبلت وقبّلت الأرض بين يدي الخليفة وأعلمته بأنها ابنة عذرة اليهودي وأنها اسلمت . ثم جددت إسلامها ثانياً بين يدي الخليفة وقالت له : انت سياق على الشاطر علي الزيبق المصري أن يتزوجني . ووكّلت الخليفة في زواجها بعلي . فوهب الخليفة لعلي المصري قصر اليهودي بما فيه وقال له : تمنّ عليّ . فقال : تمنيت عليك ان اقف على بساطك وآكل من سماطك . فقال الخليفة : يا علي ، هل لك صبيان ؟ فقال : لي أربعون صبياً ولكنهم في مصر . فقال الخليفة : أرسل إليهم ليجيئوا من مصر . ثم قال له الخليفة : يا علي ، هل لك قاعة ؟ قال : لا . فقال حسن شومان : قد وهبت له قاعتي بما فيها يا أمير المؤمنين . فقال الخليفة : قاعتك لك يا حسن . وأمر الخازندار أن يعطي المعمار عشرة آلاف دينار ليبني له قاعة بأربعة لواوين وأربعين مخدعاً لصبيانه . وقال الخليفة : يا علي ، هل بقي لك حاجة نأمر لك بقضائها ؟ فقال : يا ملك الزمان ، ان تكون سياقاً على الدليلة المحتالة أن تزوّجني بنتها زينب وتأخذ بدلة بنت اليهودي وأمتعتها في مهرها . فقبلت دليلة سياق الخليفة وأخذت الصينية والبدلة والقصبة والسلاسل الذهب وكتبوا كتابها عليه ، وكتبوا أيضاً كتاب بنت السقطي والجارية وقمر بنت اليهودي عليه ، ورتّب له الخليفة جامكية وجعل له سماطاً في الغداء وسماطاً في العشاء وجراية وعلوفة ومسموحاً ، وشرع علي المصري في الفرح حتى كمل مدة ثلاثين يوماً . ثم إن علياً المصري أرسل إلى صبيانه بمصر كتاباً يذكر لهم فيه ما حصل له من الإكرام عند الخليفة وقال لهم في المكتوب : لا بد من حضوركم لأجل ان تحصلوا الفرح ، لأني تزوّجت بأربع بنات . فبعد مدة يسيرة حضر صبيانه الأربعون وحصلوا الفرح ، فوطنهم في القاعة وأكرمهم غاية الإكرام . ثم

عرضهم على الخليفة فخلع عليهم. وجلت المواشط زينب بالبدلة على علي المصري ودخل عليها فوجدها درة ما ثقبت ومهرة لغيره ما ركبت، وبعدها دخل على الثلاث بنات فوجدهن كاملات الحسن والجمال. ثم بعد ذلك اتفق ان علياً المصري سهر عند الخليفة ليلة من الليالي فقال له الخليفة: مرادي يا علي ان تحكي لي جميع ما جرى لك من الأول إلى الآخر. فحكى له جميع ما جرى من الدليلة المحتالة وزينب النصابة وزريق السماك. فأمر الخليفة بكتابة ذلك وان يجعلوه في خزانة الملك. فكتبوا جميع ما وقع له وجعلوه من جملة السير لأمة خير البشر، ثم قعدوا في ارغد عيش وأهناه إلى ان أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات والله سبحانه وتعالى أعلم.

71 - حكاية أردشير وحياة النفوس

ومما يحكى أيضاً أيها الملك السعيد، أنه كان بمدينة شيراز ملك عظيم يسمّى السيف الأعظم شاه. وكان قد كبر سنه ولم يرزق ولداً، فجمع الحكماء والأطباء وقال لهم: إني قد كبر سني وقد علمتم حالي وحال المملكة ونظامها وإني خائف على الرعية من بعدي، وإلى الآن لم ارزق ولداً. فقالوا: نحن نصنع لك شيئًا من العقاقير يكون فيه النفع إن شاء الله تعالى. فصنعوا له شيئًا واستعمله ثم واقع زوجته فحملت بإذن الله تعالى الذي يقول للشيء: كن فيكون. فلما استكملت شهورها وضعت ولداً ذكراً مثل القمر فسمّاه أزدشير. فكبر وانتشى وتعلّم العلم والأدب إلى ان صار له من العمر خمسة عشر سنة. وكان بالعراق ملك يسمّى الملك عبد القادر، وكان له بنت كالبدر الطالع وكانت تسمى حياة النفوس، وكانت تبغض الرجال فلا يكاد أحد ان يذكر الرجال بحضرتها، وقد خطبها من أبيها الملوك الأكاسرة. فيكلمها ابوها فتقول: لا افعل هذا أبداً وإن غصبتني عليه قتلت نفسي. فسمع ابن الملك أزدشير بذكرها فاعلم والده بذلك، فنظر إلى حاله ورقّ له وصار كل يوم يوعده بزواجها. ثم ارسل وزيره إلى ابيها ليخطبها فابى. فلما رجع الوزير من عند الملك عبد القادر اخبره بما اتفق له معه وأعلمه بعدم قضاء حاجته. فصعب ذلك على الملك واغتاظ غيظًا شديداً وقال: هل مثلي يرسل إلى أحد من الملوك في حاجة فلم يقضها؟ ثم أمر منادياً أن ينادي في العسكر بتبريز الخيام وكثرة الإهتمام ولو بالقرض في النفقة وقال: ما بقيت ارجع حتى أخرب ديار الملك عبد القادر وأقتل رجاله وأمحوا آثاره وأنهب أمواله. فلما بلغ ولده أزدشير هذا الخبر، قام عن فراشه ودخل على أبيه الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال له: أيها الملك الأعظم، لا تكلف نفسك بشيء من هذا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 720 □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان ابن الملك لمّا بلغه هذا الخبر، دخل على ابيه الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال له: أيها الملك الأعظم، لا تكلف نفسك بشيء من هذا وتجرّد هذه الأبطال وهذا العسكر وتنفق مالك فإنك أقوى منه، ومتى جرّدت عليه هذا العسكر الذي معك اخربت دياره وبلاده وقتلت رجاله وأبطاله ونهبت أمواله ويقتل هو أيضًا، فيبلغ ابنته ذلك مما حصل لأبيها وغيره من تحت رأسها فتقتل نفسها وأنا أموت بسببها ولا أعيش بعدها أبداً. فقال له الملك: فما يكون رأيك يا ولدي؟ قال له: أنا أتوجه في حاجتي بنفسي والبس لبس التجار وأتحيّل في الوصول إليها وانظر كيف يكون قضاء حاجتي منها. فقال له أبوه:

هل اخترت هذا الرأي؟ فقال له: نعم يا والدي. فدعا الملك بالوزير وقال له: سافر مع ولدي وثمرة فؤادي وساعده على مقاصده واحتفظ عليه ودبره برايك الرشيد، فإنك معه عوضاً عني. فقال الوزير: سمعاً وطاعة. ثم إن الملك أعطى ولده ثلثمائة الف دينار من الذهب وأعطاه جواهر وفصوصاً ومصاغاً ومتاعاً وذخائر وما أشبه ذلك. ثم إن الولد دخل إلى والدته وقبّل يديها وسألها الدعاء، فدعت له. ثم قامت من ساعتها وفتحت خزانتها وأخرجت له ذخائر وقلائد ومصاغاً وملابس وتحفًا وجميع الشيء الذي كان مدخراً من عهد الملوك السالفة مما لا تعادله أموال. ثم أخذ معه من مماليكه وغلمانه ودوابه جميع ما يحتاج إليه في الطريق وغيره وتزيى بزي التجار هو والوزير ومن معهما، وودّع والدته وأهله وقرابيه وساروا يقطعون البراري والقفار إناء الليل والنهار. فلما طالت عليه الطريق أنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

غَرامِي مِنَ الأَشْواقِ والسَّقْمِ زائِدُ ... وما لي عَلَى جَوْرِ الزَّمانِ مُساعِدُ
أُراعِي الثُّرَيَّا والسِّماكَ إذا بَدا ... كَأَنِّيَ مِنْ فَرْطِ الصَّبابَةِ عابِدُ
أُراقِبُ نَجْمَ الصُّبْحِ حَتَّى إذا أَتَى ... أَهِيمُ بأَشْواقِي ووَجْدِيَ زائِدُ
أُحِبُّكُمْ لَسْتُ أُحِبُّ سِواكُمُ ... سَقيمٌ فُؤادي ساهِرُ الجَفْنِ واجِدُ
فَإِنْ عَزَّ ما أَرْجُوهُ زادَ بِيَ الضَّنا ... وقَلَّ اصْطِبارِي بَعْدَكُمْ والمُساعِدُ
صَبَرْتُ إلى أَنْ يَجْمَعَ اللهُ شَمْلَنا ... وتَكْمَدُ مِنْ ذاكَ العِدَى والحَواسِدُ

فلما فرغ من شعره غشي عليه ساعة، فرش الوزير عليه ماء الورد. فلما أفاق قال له: يا ابن الملك صبّر نفسك فإن الصبر عاقبته الفرج، وها أنت سائر إلى ما تريد. ولم يزل الوزير يلاطفه ويسليه إلى أن سكن روعه وجدّوا في السير. فلما طالت على ابن الملك الطريق تذكّر محبوبته فأنشد هذه الأبيات: [من البسيط]

طَالَ البِعادُ وزادَ الهَمُّ والقَلَقُ ... ومُهْجَتِي في لَهِيبِ النَّارِ تَحْتَرِقُ
وشَابَ رَأْسِيَ مِمّا قَدْ بُلِيتُ بِهِ ... مِنَ الغَرامِ ودَمْعُ العَيْنِ يَنْدَفِقُ
أَقْسَمْتُ يا مُنْيَتِي يا مُنْتَهَى أَمَلِي ... بِخالِقِ الخَلْقِ مِنْها الغُصْنُ والوَرَقُ
سَهْلاً حَمَلْتُ عذاباً مِنْكِ يا قَدَرِي ... فَلَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ في النَّاسِ مَنْ عَشِقُوا
فاسْتَخْبِرُوا اللَّيْلَ عَنِّي فَهْوَ يُخْبِرُكُمْ ... إنْ كانَ جَفْنِي طُولَ اللَّيْلِ يَنْطَبِقُ

فلما فرغ من إنشاد شعره بكى بكاء شديداً مما يلاقيه من شدة الغرام. فلاطفه الوزير وسلاه ووعده ببلوغ مناه وساروا أياماً قلائل حتى أشرفوا على المدينة البيضاء بعد طلوع الشمس. فقال الوزير لابن الملك: أبشر يا ابن الملك بكل خير وانظر هذه المدينة البيضاء التي أنت طالبها. ففرح ابن الملك بذلك فرحاً شديداً وأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

خَلِيلَيَّ إنِّي مُغْرَمُ القَلْبِ هائِمُ ... ووَجْدِي مُقِيمٌ والغَرامُ مُلازِمُ
أَنُوحُ كَما الثَّكْلانُ أَسْهَرَهُ الأَسَى ... إذا جَنَّ لَيْلِي لَيْسَ في العِشْقِ راحِمُ
وإنْ هَبَّتِ الأَرْياحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ ... وَجَدْتُ لَها بَرْداً عَلَى القَلْبِ قادِمُ

وتَنْهَلُ أَجْفاني كَغَيْمٍ مَوَاطِرٍ فَفي بَحْرِ دَمْعي ذا فُؤَادي عَائِمُ .

فلما وصلا إلى المدينة البيضاء دخلاها وسألا عن خان التجار ومحل أرباب الأموال فدلّوهما عليه ، فنزلا فيه وأخذا لهما ثلاثة حواصل . فلما أخذا المفاتيح فتحاها وأدخلا فيها بضائعهما وأمتعتهما وأقاما حتى استراحا . ثم قام الوزير يتحيّل في أمر ابن الملك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 721

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير وابن الملك لما نزلا في الخان وأدخلا بضائعهما في الحواصل وأجلسا هناك غلمانهما ثم أقاما حتى استراحا . قام الوزير يتحيّل في أمر ابن الملك فقال له : قد خطر ببالي شيء وأظن أن فيه الصلاح لك إن شاء الله تعالى . فقال له : أيها الوزير الحسن التدبير ، إفعل ما خطر ببالك سدّد الله رأيك . قال له الوزير : أريد أن أستكري لك دكاناً في سوق البزازين وتقعد فيها ، لأن كل أحد من الخاص والعام يحتاج إلى السوق وأنا أظن أنك إذا جلست في الدكان ونظرت إليك الناس بالعيون تميل إليك القلوب فتقوى على نيل المطلوب ، لأن صورتك جميلة وتميل إليك الخواطر وتبتهج بك النواظر . فقال له : إفعل ما تختار وتريد . فعند ذلك نهض الوزير من ساعته ولبس أفخر ثيابه وكذلك ابن الملك ، وأخذ في جيبه كيساً فيه ألف دينار ثم خرجا يمشيان في المدينة . فنظرت الناس إليهما وبهتوا في حسن ابن الملك وقالوا : سبحان من خلق هذا الشاب من ماء مهين ، فتبارك الله أحسن الخالقين . وكثر الكلام فيه وقالوا : ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم . ومن الناس من يقول : هل سها رضوان خازن الجنان عن باب الجنة فخرج منها هذا الغلام ؟ وصارت الناس تتبعهما إلى سوق القماش حتى دخلا فيه ووقفا . فتقدّم إليهما شيخ ذو هيبة ووقار فسلّم عليهما فردّا عليه السلام ثم قال لهما : يا سادتي ، هل لكم من حاجة نتشرّف بقضائها ؟ قال له الوزير : ومن تكون أنت يا شيخ ؟ قال : أنا عريف السوق . فقال له الوزير : أعلم يا شيخ أن هذا الشاب ولدي وأنا أشتهي أن آخذ له دكاناً في هذا السوق ليجلس فيها ويتعلّم البيع والشراء والأخذ والعطاء ويتخلّق بأخلاق التجار . قال العريف : سمعاً وطاعة . ثم إن العريف أحضر لهما مفتاح دكان في الوقت والساعة وأمر الدلالين أن يكنسوها . فكنسوها ونظفوها وأرسل الوزير أحضر من أجل الدكان مرتبة عالية محشوّة بريش النعام وعليها سجادة صغيرة ودائرها مزركش بالذهب الأحمر ، وأحضر أيضاً مخدة وأحضر من المتاع والقماش الذي حضر معه ما يملأ الدكان . فلما كان في اليوم الثاني ، حضر الغلام وفتح الدكان وجلس على تلك المرتبة وأوقف قدامه مملوكين لابسين أحسن الملابس ، وأوقف في أسفل الدكان عبدين من أحسن الحبوش . وقد أوصاه الوزير بكتمان سرّه عن الناس ليجد بذلك الإعانة على قضاء حوائجه . ثم تركه ومضى إلى المخازن وأوصاه أن يعرّفه بجميع ما يتفق له في الدكان يوماً بيوم . فصار الغلام جالساً في دكانه كأنه البدر في تمامه ، وكانت الناس تتسامع به وبحسنه فيأتون إليه لغير حاجة ويحضرون السوق حتى ينظروا إلى حسنه وجماله وقدّه واعتداله ويسبّحون الله تعالى الذي خلّقه وسوّاه . وصار ذلك السوق لا يقدر أحد أن يشقّه من فرط ازدحام الخلق عليه ، وصار ابن الملك يتلفّت يميناً وشمالاً وهو متحيّر في أمره من الناس الذين هم باهتون له ويترجّى أن يعمل

صحبة مع أحد من المقرّبين إلى الدولة لعلّه أن يجلب إليه ذكر ابنة الملك، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً. وضاق صدره لذلك والوزير يمنيه في كل يوم بحصول مراده، ولم يزل على هذا الحال مدة مديدة. فبينما هو جالس في الدكان يومًا من الأيام، وإذا بامرأة عجوز عليها حشمة وهيبة ووقار وهي لابسة ثياب الصلاح وخلفها جاريتان كأنهما قمران. فوقفت على الدكان وتأملت الغلام ساعة وقالت: سبحان من خلق هذه الطلعة وأتقن هذه الصنعة، ثم إنها سلّمت عليه فردّ عليها السلام وأجلسها إلى جانبه. فقالت له: من أي البلاد أنت يا مليح الوجه؟ قال لها: أنا من نواحي الهند يا أمي، وقد جئت إلى هذه المدينة على سبيل الفرجة. فقالت له: كرمت من قادم. ثم قالت له: أي شيء عندك من البضائع والمتاع والقماش؟ ارني شيئًا مليحاً يصلح للملوك. فلما سمع كلامها قال: أتريدين المليح حتى أعرضه عليك؟ فإن عندي كل شيء يصلح لأربابه. قالت له: يا ولدي، أنا أريد شيئًا يكون غالي الثمن مليح الشكل، أغلى شيء يكون عندك. قال لها: لا بد أن تعلميني لمن تطلبين البضاعة حتى أعرض عليك مقام الطالب. قالت: صدقت يا ولدي، أنا أريد شيئًا لسيدتي حياة النفوس بنت الملك عبد القادر صاحب هذه الأرض وملك هذه البلاد. فلما سمع ابن الملك كلامها، طار عقله فرحًا وخفق قلبه، فمدّ يده إلى خلفه ولم يأمر مماليكه ولا عبيده وأخرج صرّة فيها مائة دينار ودفعها للعجوز وقال لها: هذه الصرّة من أجل غسيل ثيابك. ثم مد يده إلى بقجة وأخرج منها حلّة تساوي عشرة آلاف ديناراً وأكثر وقال: هذا من جملة ما جئت به إلى أرضكم. فلما نظرت إليها العجوز أعجبتها وقالت: بكم هذه الحلة يا كامل الأوصاف؟ فقال: بغير ثمن. فشكرته وأعادت عليه القول فقال: والله ما آخذ لها ثمناً بل هي هبة مني إليك إذا لم تقبله الملكة، ويكون ضيافة مني لك والحمد لله الذي جمع بيني وبينك حتى إذا احتجت في بعض الأيام حاجة وجدتك معينة لي على قضائها. فتعجبت العجوز من حسن ذلك الكلام وكثرة كرمه وزيادة أدبه فقالت له: ما الإسم يا سيدي؟ قال لها: أزدشير. قالت: والله هذا إسم عجيب تسمّى به أولاد الملوك، وأنت في زي بني التجار. قال لها: من محبة والدي إياي سمّاني بهذا الإسم وليس الإسم يدل على شيء. فتعجبت منه العجوز وقالت: يا ولدي، خذ ثمن بضاعتك. فحلف أنه لا يأخذ شيئًا. ثم قالت له العجوز: يا حبيبي أعلم أن الصدق أعظم الأشياء، وما هذا الكرم الذي أنت تصنعه معي إلا من أجل أمر، فاعلمني بأمرك وضميرك لعل لك حاجة فأساعدك على قضائها. فعند ذلك حطّ يده في يدها وعاهدها على الكتمان وحدّثها بحديثه كله وأخبرها بمحبته لبنت الملك وبما هو فيه من أجلها. فهزّت العجوز رأسها وقالت: هذا هو الصحيح، ولكن يا ولدي قالت العقلاء في المثل السائر: إذا أردت أن تطاع فاسأل عن ما لا يستطاع. وأنت يا ولدي إسمك تاجر ولو كان معك مفاتيح الكنوز لا يقال لك إلا تاجر وإذا أردت أن تعطي درجة عالية عن درجتك فاطلب بنت قاض أو بنت أمير، فلأي شيء يا ولدي ما تطلب الا بنت ملك العصر والزمان؟ وهي بنت بكر عذراء لم تعلم شيئًا من أمور الدنيا ولا رأت في عمرها غير قصرها الذي هي فيه، ومع صغر سنها فإنها عاقلة لبيبة فطنة حاذقة ذات عقل راجح وفعل صالح ورأي قادح، وإن أباها ما رزق إلا هي، وهي عنده أعز من روحه، وفي كل يوم يأتي إليها ويصبح عليها وكل من في قصرها يخاف منها. ولا تظن يا ولدي أن أحدًا يقدر أن يكلّمها بشيء من هذا الكلام فلا سبيل إلى ذلك. والله يا ولدي إن قلبي وجوارحي تحبك ومرادي لو كنت مقيمًا عندها، ولكن أنا أعرفك بشيء لعل

الله أن يجعل فيه شفاء قلبك ، وأخاطر معك بروحي ومالي حتى أقضي لك حاجتك . فقال لها : وما هو يا أمي ؟ قالت له : أطلب مني بنت وزير أو بنت أمير ، فإن طلبت مني ذلك فأنا أجيبك إلى سؤالك ، لأنه لا يمكن لأحد أن يصعد من الأرض إلى السماء بوثبة واحدة . فقال لها الغلام بأدب وعقل : يا أمي أنت امرأة عاقلة تعرفين مواقع الأمور ، هل الإنسان إذا وجعته رأسه يربط يده ؟ قالت : لا والله يا ولدي . قال : وهكذا إن قلبي ما يطلب أحداً سواها ولم يقتلني غير هواها ، والله إني من الهالكين إذا لم أجد لي إرشاد معين . فبالله عليك يا أمي أن ترحمي غربتي وانسكاب عبرتي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 722

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أزدشير ابن الملك قال للعجوز : بالله عليك يا أمي أن ترحمي غربتي وانسكاب عبرتي . قالت له : والله يا ولدي إن قلبي يتقطع من أجل كلامك هذا وليس في يدي حيلة أفعلها . قال : أريد من إحسانك أن تحملي مني هذه الورقة وتوصليها إليها وتقبّلي لي يديها . فحنت عليه وقالت له : أكتب فيها ما تريد وأنا أوصلها إليها . فلما سمع ذلك كاد أن يطير من الفرح ودعا بدواة وقرطاس وكتب إليها هذه الأبيات : [من الخفيف]

يا حَياةَ النُّفُوسِ جُودِي بِوَصْلٍ لِمُحِبٍّ أَذابَهُ الهِجْرانُ
كُنْتُ في لَذَّةٍ وفي طِيبِ عَيْشٍ فَأنا اليَوْمَ وَالِهٌ حَيْرانُ
ولَزِمْتُ السُّهادَ في طُولِ لَيْلِي وسَمِيري بِطُولِهِ أَحْزانُ
فارْحَمِي عَاشِقاً كَئِيباً مُعَنًّى مِنْهُ شَوْقاً تَقَرَّحَتْ أَجْفانُ
قَلْبِيَ القَلْبُ إنْ أَحَسَّ بِنَشْوَةْ فَهْوَ مِنْ قَرْقَفِ الهَوَى نَشْوانُ

فلما فرغ من رقم الكتاب ، طواه وقبّله وأعطى العجوز إياه ثم مدّ يده إلى الصندوق وأخرج لها صرّة أخرى فيها مائة دينار وأعطاها إياها وقال لها : فرّقي هذه على الجواري . فامتنعت وقالت : والله يا ولدي ما أنا معك بسبب شيء من ذلك . فشكرها وقال : لا بد من ذلك . فأخذتها منه وقبلت يديه وانصرفت . فدخلت عليها وقالت : يا سيدتي ، جئتك بشيء ما هو عند أهل مدينتنا ، وهو من عند شاب مليح ما على وجه الأرض أحسن منه . قالت : يا دايتي ، ومن أين الشاب ؟ قالت : هو من نواحي الهند ، أعطاني هذه الحلة المنسوجة بالذهب مرصّعة بالدر والجوهر تساوي ملك كسرى وقيصر . فلما فتحتها أضاء القصر من نور تلك الحلة بسبب حسن صنعتها وكثرة الفصوص والجواهر التي فيها . فتعجب منها كل من في القصر وتأمّلتها بنت الملك فلم تجد لها قيمة ولا ثمناً إلا خراج مُلك أبيها عاماً كاملاً . فقالت للعجوز : يا دايتي ، هل هذه الحلة من عنده أو من عند غيره ؟ قالت : هي من عنده . قالت : يا دايتي ، هل هذا التاجر من مدينتنا أو غريب ؟ قالت : هو غريب يا سيدتي وما نزل مدينتنا إلا عن قريب ، وهو والله صاحب حشم وخدم ، مليح الوجه معتدل القد كريم الأخلاق واسع الصدر ، ما رأيت أحسن منه إلا أنت . قالت بنت الملك : إن هذا الشيء عجيب ، كيف تكون هذه الحلة التي لا يفي بثمنها مال مع تاجر من التجار ؟ وما قدر ثمنها الذي أخبرك به يا دايتي ؟ فقالت العجوز : والله يا سيدتي ما أخبرني بمقدار ثمنها وإنما قال لي : لا آخذ لها

ثمنًا وإنما هي هدية مني لابنة الملك فإنها لا تصلح لأحد غيرها. وردّ الذهب الذي أرسلته معي وحلف أنه لا يأخذه وقال: هو لك إن لم تقبله الملكة. قالت بنت الملك: والله ما هذا إلا سماح عظيم وكرم جزيل وأخشى من عاقبة أمره ربما يؤدي إلى ضرر فلاي شيء لم تسأليه يا دايتي إن كان له حاجة تقضيها له؟ فقالت: يا سيدتي سألته وقلت له: هل لك حاجة؟ فقال: لي حاجة؟ ولم يطلعني عليها إلا أنه قد أعطاني هذه الورقة وقال لي: قدّميها للملكة. فأخذتها منها وفتحتها وقرأتها إلى آخرها، فتغير حالها وغاب صوابها واصفرّ لونها وقالت للعجوز: ويلك يا دايتي، ما يقال لهذا الكلب الذي يقول هذا الكلام لبنت الملك؟ وما المناسبة بيني وبين هذا الكلب حتى يكاتبني؟ والله العظيم رب زمزم والحطيم لولا اني اخاف الله تعالى لأبعثن إلى هذا الكلب بتكتيف يديه وشرم مناخيره وقطع انفه وأذنه وأمثل به وبعد هذا أصلبه على باب السوق الذي فيه دكانه. فلما سمعت العجوز الكلام، اصفرّ لونها وارتعدت فرائصها وانعقد لسانها ثم قوّت قلبها وقالت: خيرًا يا سيدتي، وما في الورقة حتى أزعجك؟ هل هو غير قصة رفعها إليك تتضمن شكاية حاله من فقر أو ظلم يرجو بها إحسانك إليه أو كشف ظلامته؟ قالت: لا والله يا دايتي بل هي شعر وكلام مستهجن، ولكن يا دايتي هذا الكلب ما يخلو من ثلاثة أحوال: إما أن يكون مجنوناً ليس عنده عقل، وإما أن يكون قاصداً قتل نفسه أو مستعينًا على مراده مني بذي قوة شديدة وسلطان عظيم، وإما أن يكون سمع بأني من بغايا هذه المدينة التي تبيت عند من يطلبها ليلة أو ليلتين حتى يراسلني بالأشعار المستهجنة ليفسد عقلي بذلك الأمر. قالت لها العجوز: والله يا سيدتي لقد صدقت، ولكن لا تعتني بهذا الكلب الجاهل فأنت قاعدة في قصرك العالي المشيد المنيع الذي لا تعلوه الطيور ولا يمرّ عليه الهواء وهو حائر، ولكن اكتبي له كتاباً ووبخيه فيه ولا تتركي له شيئًا من انواع التوبيخ وهدّديه غاية التهديد واعرضي عليه الموت وقولي له: من اين تعرفني حتى تكاتبني يا كلب التجار؟ يا من هو طول دهره مشتّت في البراري والقفار على درهم يكتسبه أو دينار. والله إن لم تنتبه من رقدتك وتصح من سكرتك لأصلبنك على باب السوق الذي فيه دكانك. قالت بنت الملك: إني أخاف إن كاتبته أن يطمع. قالت العجوز: وما مقداره؟ وما درجته حتى يطمع فينا؟ وإنما نكتب له لأجل ان ينقطع طمعه ويكثر خوفه. ولم تزل تتحيّل على بنت الملك حتى أحضرت دواة وقرطاساً وكتبت إليه هذه الأبيات: [من البسيط]

يا مُدَّعِي الحُبَّ والبَلْوَى مَعَ السَّهَرِ ... تَقْضِي اللَّيالِيَ في وَجْدٍ وفي فِكَرِ

أَتَطْلُبُ الوَصْلَ يا مَغْرُورُ مِنْ قَمَرٍ ... وهَلْ يَنالُ المُنَى شَخْصٌ مِنَ القَمَرِ

إنِّي نَصَحْتُكَ في الأقْوالِ مُسْتَمِعًا ... أَقْصِرْ فإنَّكَ بَيْنَ المَوْتِ والخَطَرِ

فإنْ رَجَعْتَ إلى هَذا السُّؤالِ فَقَدْ ... أَتاكَ مِنّا عَذابٌ زائِدُ الضَّرَرِ

فَكُنْ أَدِيباً لَبِيبًا عاقِلاً فَطِناً ... ها قَدْ نَصَحْتُكَ في شِعْرِي وفي خَبَرِي

وحَقِّ مَنْ خَلَقَ الأَشْياءَ مِنْ عَدَمٍ ... وزانَ وَجْهَ السَّما بالأَنْجُمِ الزُّهُرِ

لَئِنْ رَجَعْتَ إلى ما أَنْتَ قائِلُهُ ... لأُصلِبَنَّكَ في جِذْعٍ مِنَ الشَّجَرِ

ثم طوت الكتاب وأعطت العجوز إياه. فأخذته وسارت إلى أن وصلت إلى دكان الغلام فأعطته إياه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 723

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لمّا أخذت الكتاب من حياة النفوس وسارت إلى أن أعطت الغلام إياه وهو في دكانه وقالت له : إقرأ جوابك واعلم أنها لما قرأت الكتاب اغتاظت غيظاً عظيماً وما زلت الاطفها بالحديث حتى ردّت لك الجواب . فأخذ الكتاب بفرحة وقراه وفهم معناه، فلما فرغ من قراءته بكى بكاء شديداً . فتألّم قلب العجوز وقالت : يا ولدي، لا أبكى الله لك عيناً ولا أحزن لك قلبًا، فأي شيء ألطف من هذا في جواب كتابك حين فعلت هذه الفعال ؟ فقال : يا أمي، وماذا أفعل من الحيل ألطف من هذا وهي ترسل تهدّدني بالقتل وبالصلب وتنهاني عن مكاتبتها ؟ وإني والله أرى موتي خيرًا من حياتي . ولكن أريد من فضلك أن تأخذي هذه الورقة وتوصليها إليها . فقالت له : أكتب وعليّ ردّ الجواب . والله لا أخاطرنّ معك بروحي في حصول مرادك ولو هلكت في رضاك . فشكرها وقبّل يديها وكتب إليها هذه الأبيات : [من البسيط]

تُهَدِّدُونِي بِقَتْلِي في مَحَبَّتِكُمْ … والقَتْلُ لِي راحَةٌ والمَوْتُ مَقْدُورُ
والمَوْتُ أَهْنَى لِصَبٍّ أَنْ تَطُولَ بِهِ … حَيَاتُهُ وَهْوَ مَطْرُودٌ ومَنْهُورُ
فإنْ تَزُورُوا مُحِبّاً قَلَّ ناصِرُهُ … فإنَّ سَعْيَ الوَرَى في الخَيْرِ مَشْكُورُ
وإنْ عَزَمْتُمْ عَلَى أَمْرٍ فَدُونَكُمُ … قَدْ صِرْتُ عَبْداً لَكُم والعَبْدُ مَأْسُورُ
كَيْفَ السَّبِيلُ ولا لِي عَنْكَ مُصْطَبَرٌ … فَكَيْفَ هَذا وقَلْبُ الصَّبِّ مَجْبُورُ
يا سادَتِي فارْحَمُوا في حُبِّكُمْ دَنِفاً … فَكُلُّ مَنْ يَعْشَقِ الأَحْرارَ مَعْذُورُ

ثم طوى الكتاب وأعطى العجوز إياه وأعطاها صرّتين [illegible]، من أخذهما، فحلف عليها . فأخذتهما وقالت : لا بد أنني أبـ[illegible] عداك . وسارت حتى دخلت على حياة النفوس وأعطتها الكتاب فقالت لها : ما هذا يا دايتي ؟ قد صرنا في مراسلة وأنتِ رايحة جائية، إني أخاف أن ينكشف خبرنا فنفضح . قالت العجوز : وكيف ذلك يا سيدتي ؟ ومن يقدر أن يتكلم بهذا الكلام ؟ فأخذت الكتاب منها وقرأته وفهمت معناه ودقت يدًا على يد وقال : قد بلينا بهذا، ما عرفنا من أين جاءنا هذا الغلام ! قالت العجوز : يا سيدتي، بالله عليك أن تكتبي له كتابًا ولكن أغلظي عليه القول وقولي له : إن أرسلت كتاباً بعد ذلك ضربت عنقك . فقالت لها : يا دايتي، أنا أعرف أن هذا ما ينتهي على هذه الصورة والأليق عدم المكاتبة، وإن لم يرجع هذا الكلب بالتهديد السابق ضربت عنقه . قالت لها العجوز : أكتبي له كتاباً وعرّفيه بهذا الحال . فدعت بنت الملك بدواة وقرطاس وكتبت له تهدّده بهذه الأبيات : [من الطويل]

أَيا غافِلاً عَنْ حادِثاتِ الطَّوارِقِ … ويا مَنْ إلى وَصْلٍ لَهُ قَلْبُ عاشِقِ
تَأَمَّلْ أَيا مَغْرُورُ هَلْ تُدْرِكُ السَّما … وهَلْ أَنْتَ لِلْبَدْرِ المُنِيرِ بِلاحِقِ
سَأُصْلِيكَ ناراً لَيْسَ يَخْبُو لَهِيبُها … وتُضْحِي قَتِيلاً بالسُّيُوفِ المَواحِقِ

فَمَنْ دُونَهُ يا صَاحِ أَبْعَدُ شِقَّةً ... وأَمْرٌ خَفِيٌّ فِيهِ شَيْبُ المَفارِقِ
خُذِ النُّصحَ مِنِّي ثُمَّ كُفَّ عَنِ الهَوَى ... وعَنْ أَمْرِكَ أَرْجِعْ إنَّه غَيْرُ لائِقِ

ثم طوت الكتاب وأعطت العجوز إياه وهي في حال عجيب من أجل هذا الكلام. فأخذته العجوز وسارت حتى وصلت به إلى الغلام فناولته إياه، فأخذه منها وقرأه وأطرق برأسه إلى الأرض يخط بإصبعه ولم يتكلم. فقالت له العجوز: يا ولدي، ما لي أراك لا تبدي خطاباً ولا ترد جواباً؟ قال لها: يا أمي، أي شيء أقول وهي تهدّدني وما تزداد إلا قسوة ونفوراً؟ قالت: أكتب لها كتابًا بما تريد وأنا أدافع عنك ولا يكون قلبك إلا طيبًا، فلا بد أن أجمع بينكما. فشكر فضلها وقبل يديها وكتب إليها هذه الأبيات: [من الطويل]

فَلِلَّهِ قَلْبٌ لا يَلِينُ لِعاشِقٍ ... وصَبٌّ إلى وَصْلِ الأَحِبَّةِ شائِقُ
وأَجْفانُ عَينٍ لا تَزالُ قَرِيحَةً ... إذا جَنَّها مِنْ حالِكِ اللَّيْلِ غاسِقُ
فَمِنُّوا وجِدُّوا وأَرْحَمُوا وتَصَدَّقُوا ... عَلى مَنْ ضَناهُ العِشْقُ وهُوَ مُفارِقُ
يُقاسِي طِوالَ اللَّيْلِ وَهْوَ مُسَهَّدٌ ... حَرِيقاً وفي بَحْرِ المَدامِعِ غارِقُ
فَلا تَقْطَعِي أَطْماعَ قَلْبِي لأَنَّهُ ... كَئِيبٌ مُعَنًّى وَهْوَ في الحُبِّ خافِقُ

ثم طوى الكتاب وأعطى العجوز إياه وأعطاها ثلثمائة وقال لها: هذه غسيل يدك. فشكرته وقبلت يديه وسارت حتى دخلت على بنت الملك وأعطتها الكتاب. فأخذته وقرأته إلى آخره ورمته من يدها ونهضت قائمة على رجليها وتمشّت على قبقاب من الذهب مرصّع بالدرّ والجوهر حتى وصلت إلى قصر أبيها وعرق الغضب قائم بين عينيها وما جسر أحد أن يسأل عن حالها. فلما وصلت إلى القصر سألت عن الملك والدها فقال لها الجواري والمحاظي: يا سيدتي، إنه قد خرج إلى الصيد والقنص. فرجعت وهي مثل الأسد الضاري ولم تكلّم أحدًا إلا بعد ثلاث ساعات، وقد راق وجهها وسكن غيظها. فلما رأت العجوز أنها زال عنها ما عندها من الكدر والغيظ، تقدّمت إليها وقبّلت الأرض بين يديها وقالت لها: يا سيدتي، أين كانت هذه الخطوات الشريفة؟ قالت لها الملكة: إلى قصر أبي. قالت: يا سيدتي، أما كان أحد يقضي حاجتك؟ قالت: أنا ما رحت إلا لأجل أن أعلمه بما جرى لي من كلب التجار، وأسلّط عليه أبي فيمسكه ويمسك جميع من كان في سوقه ويصلبهم على دكاكينهم ولا يدع أحدًا من التجار الغرباء يقيم في مدينتنا. فقالت لها العجوز: وهل ما ذهبت إلى أبيك يا سيدتي إلا لهذا السبب؟ قالت لها: نعم. إلا أني ما وجدته حاضرًا بل رأيته غائباً في الصيد والقنص، وأنا منتظرة رجوعه. قالت العجوز: أعوذ بالله السميع العليم يا سيدتي، الحمد لله أنت أعقل الناس، وكيف تُعلمين الملك بهذا الكلام الهذيان الذي لا ينبغي لأحد إفشاؤه؟ قالت: ولِمَ ذلك؟ قالت العجوز: افرضي أنك لقيت الملك في قصره وعرّفتيه بهذا الحديث وأرسل خلف التجار وأمر بشنقهم على دكاكينهم ورآهم الناس، ألا يسألون عن ذلك ويقولون: ما سبب شنقهم؟ فيقال لهم في الجواب: إنهم أرسلوا ليفسدوا بنت الملك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 724

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز قالت لبنت الملك: افرضي انك أعلمت الملك بذلك وأمر بشنق التجار، أليس يراهم الناس ويسألون: ما سبب شنقهم؟ فيقال لهم في الجواب: إنهم ارادوا ان يفسدوا بنت الملك. فيختلفون في نقل الحكايات عنك! فبعضهم يقول: قعدت عندهم عشرة أيام وهي غائبة عن قصرها حتى شبعوا منها. وبعضهم يقول غير ذلك. والعرض يا سيدتي مثل اللبن أدنى غبار يدنسه، وكالزجاج إذا انصدع لا يلتئم. فإياك ان تخبري أباك أو غيره بهذا الأمر لئلا ينهتك عرضك يا سيدتي، ولا يفيدك إخبار الناس شيئًا ابدًا، وميّزي هذا الكلام بعقلك الراجح فإن لم تجديه صحيحاً فافعلي ما تريدين. فلما سمعت بنت الملك من العجوز هذا الكلام تأمّلته فوجدته في غاية الصواب فقالت لها: ما قلته يا دايتي صحيح، ولكن كان الغيظ طمس على قلبي. قالت العجوز: إن نيتك طيبة عند الله تعالى حيث لم تخبري احداً ولكن بقي شيء آخر، وهو أننا لا نسكت عن قلة حياء هذا الكلب اخس التجار، فاكتبي له كتاباً وقولي له: يا أخس التجار، لولا اني وجدت الملك غائباً لكنت في هذه الساعة امرت بصلبك انت وجميع جيرانك، ولكن ما يفوتك من هذا الأمر شيء. وأنا اقسم بالله تعالى متى رجعت إلى مثل هذا الكلام قطعت أثرك من على وجه الأرض. واغلظي عليه بالكلام حتى تردّيه عن هذا الأمر ونبّهيه من غفلته. قالت لها بنت الملك: وهل يرجع عما هو فيه بهذا الكلام؟ قالت: وكيف لا يرجع وانا اكلمه واعرفه بما وقع. فدعت بدواة وقرطاس وكتبت إليه هذه الأبيات: [من الطويل]

تَعَلَّقَتِ الآمالُ مِنْكَ بِوَصْلِنا ... وتَقْصِدُ مِنَّا أَنْ تَنالَ المآرِبا
وما يَقْتُلُ الإنْسانَ إلا غُرُورُهُ ... ويُولِيهِ ما يَبْغِيهِ مِنَّا المَصائِبا
فَما أَنْتَ ذُو بَأْسٍ ولا لَكَ عُصْبَةٌ ... ولا كُنْتَ سُلْطاناً ولا كُنْتَ نائِبا
ولَوْ كانَ هذا فِعْلَ مَنْ هُوَ مِثْلُنا ... لَعادَ مِنَ الأَهْوالِ والحَرْبِ شائِبا
ولَكِنْ سَأَعْفُو الآنَ عَمَّا جَنَيْتَهُ ... لَعَلَّكَ مِنْ ذا الحِينِ تَرْجِعُ تائِبا

ثم قدمت الكتاب للعجوز وقالت لها: يا دايتي، انهي هذا الكلب لئلا اقطع رأسه وندخل في خطيئته. قالت لها العجوز: والله يا سيدتي ما أخلّي له جنباً ينقلب عليه. وأخذت الكتاب وسارت به حتى وصلت إلى الغلام وسلّمت عليه فردّ عليها السلام وناولته الكتاب. فأخذه وقرأه وهزّ رأسه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وقال: يا أمي، ما يكون عملي وقد قلّ صبري وضعف جلدي؟ فقالت له العجوز: يا ولدي، صبر نفسك لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً واكتب ما في نفسك وأنا أجيء إليك بالجواب، وطب نفسا وقرّ عيناً فلا بد أن أجمع بينك وبينها إن شاء الله تعالى. فدعا لها وكتب كتاباً وضمّنه هذه الأبيات: [من الطويل]

إذا لَمْ يَكُنْ لِيَ في الهَوَى مَنْ يُجِيرُنِي ... وجَوْرُ غَرامِي قاتِلِي ومُمِيتُ
أُقاسِي لَهِيبَ النَّارِ مِنْ داخِلِ الحَشَى ... نَهاراً ولَيْلِي لَيْسَ فِيهِ مَبِيتُ
فَما لِيَ لا أَرْجُوكَ يَا غايَةَ المُنَى ... وأَرْضَى عَلَى ما بالغَرامِ لَقِيتُ

سَأَلْتُ إِلَهَ العَرْشِ يَرْزِقُنِي الرِّضا لأَنِّي بِحُبٍّ الغانِياتِ فَنِيتُ
وَيَقْضِي بِوَصْلٍ عاجِلٍ لي فَأَرْتَضِي لِكَوْنِيْ بِأَهْوالِ الغَرامِ رُمِيتُ

ثم طوى الكتاب وأعطى العجوز إياه وأخرج لها صرة فيها اربعمائة دينار. فأخذت الجميع وانصرفت إلى ان وصلت لبنت الملك وا: عطتها الكتاب فلم تأخذه منها وقالت لها ما هذه الورقة؟ فقالت لها: يا سيدتي هذه جواب الكتاب الذي أرسلته إلى هذا الكلب التاجر. قالت لها: هل نهيته كما عرّفتك؟ قالت: نعم وهذا جوابه. فأخذت الكتاب منها وقراته إلى آخره ثم التفتت نحو العجوز وقالت: أين نتيجة كلامك؟ قالت: يا سيدتي، ما ذكره في جوابه من أنه رجع وتاب واعتذر عن ما مضى. قالت: لا والله بل زاد. قالت: يا سيدتي، اكتبي له كتاباً وسوف يبلغك ما افعل به. فقالت: ما لي حاجة بكتاب ولا جواب. قالت العجوز: لا بد من جواب حتى أزجره واقطع أمله. قالت لها بنت الملك: إقطعي أمله من غير استصحاب كتاب. فقالت العجوز: لا بد في زجره وقطع أمله من استصحاب كتاب. فدعت بدواة وقرطاس وكتبت إليه هذه الأبيات: [من البسيط]

طالَ العِتابُ ولَمْ تَمْنَعْكَ مَعْتَبَةٌ وكَمْ بِخَطٍّ يَدِي بالشِّعْرِ أَنْهاكا
أُكْتُمْ هَواكَ ولا تَجْهَرْ بِهِ أَبَدًا وإنْ تُخالِفْ فإِنِّي لَسْتُ أَرْعاكا
وإنْ رَجَعْتَ إلى ما أَنْتَ قائِلُهْ فإِنَّما جاءَ ناعِي المَوْتُ يَنْعاكا
فَعَنْ قَلِيلٍ تَرَى الأَرْياحَ عاصِفَةً عَلَيْكَ والطَّيْرُ في البَيْداءِ تَغْشاكا
إرْجِعْ إلى خَيْرِ أَعْمالٍ تَفُزْ زَمَناً فإنْ قَصَدْتَ خَنًى أَو فُحْشَ أَرْداكَ

فلما فرغت من كتابتها رمت الورقة من يدها بغيظ، فأخذتها العجوز وسارت حتى وصلت إلى الغلام فأخذها منها. فلما قراها إلى آخرها علم انها لم ترق له ولم تزدد إلا غيظاً عليه وإنه ما يصل إليها، فخطر بقلبه انه يكتب جوابها ويدعو عليها. فكتب إليها هذه الأبيات: [من البسيط]

يَا رَبِّ بالخَمْسَةِ الأَشْياخِ تُنْقِذُنِي مِنَ التِي في هَواهَا صِرْتُ في مِحَنِ
وأَنْتَ تَعْلَمُ ما بِي مِنْ لَهِيبِ جَوًى وفَرْطِ شَوْقٍ إلى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي
فَلَمْ تَرِقُّ إلى ما قَدْ بُلِيتُ بِهِ كَمْ قَدْ تَجُورُ عَلى ضَعْفِي وتَظْلِمُنِي
أَهِيمُ في غَمَراتِ الانْقِطاعِ لَها ولَمْ أَجِدْ مُسْعِفاً يا قَوْمُ يُسْعِفُنِي
وكَمْ أَبِيْتُ وجُنْحُ اللَّيْلِ مُنْسَبِلٌ أُرَدِّدُ النَّوْحَ في سِرِّي وفي عَلَنِي
ولَمْ أَجِدْ لي سُلُوّاً عَنْ مَحَبَّتِكُمْ وكَيْفَ أَسْلُو وصَبْرِي في الغَرامِ فُنِي
يا طائِرَ البَيْنِ أَخْبِرْنِي فَهَلْ أَمِنَتْ مِنْ نائِباتِ صُرُوفِ الدَّهْرِ والمِحَنِ؟

ثم طوى الكتاب وأعطى العجوز إياه وأعطاها صرة فيها خمسمائة دينار. فأخذت الورقة وسارت حتى دخلت على بنت الملك وأعطتها الورقة. فلما قرأتها وفهمتها رمتها من يدها وقالت لها: عرفيني يا عجوز السوء، سبب جميع ما جرى لي منك ومن مكرك واستحسانك منه حتى كتبت لك ورقة بعد ورقة، ولم تزالي في حمل الرسائل بيننا حتى جعلت له معنا

مكاتبات وحكايات وفي كل وقت تقولين : أنا أكفيك شرّه واقطع عنك كلامه . وما تقولين هذا الكلام إلا لأجل ان أكتب له كتابًا وتصيرين بيننا رايحة غادية حتى هتكت عرضي . ويلكم يا خدام امسكوها . وأمرت الخدام بضربها، فضربوها إلى أن جرت دماؤها من جميع بدنها وغشي عليها، وأمرت الجواري أن يجرّوها فجرّوها من رجليها إلى آخر القصر . وأمرت أن تقف جارية عند رأسها فإذا أفاقت من غشيتها تقول لها : إن الملكة حلفت يميناً أنك لا تعودين إلى هذا القصر ولا تدخلينه، فإن عدت إليه أمرت بقتلك جزمًا . فلما أفاقت من غشيتها بلّغتها الجارية ما قالته الملكة فقالت : سمعًا وطاعة . ثم إن الجواري أحضرت لها قفصاً وأمرت حمّالاً أن يحملها إلى بيتها . فحملها الحمّال وأوصلها إلى بيتها وأرسلت وراءها طبيبًا وأمرته أن يداويها بملاطفة حتى تبرأ، فامتثل الطبيب الأمر . فلما أفاقت ركبت وتوجهت عند الغلام وكان قد حزن حزناً شديداً لانقطاعها عنه وصار متشوقاً إلى أخبارها، فلما رآها قام إليها ناهضاً وتلقّاها وسلّم عليها فوجدها متضعفة . فسألها عن حالها، فأخبرته بجميع ما جرى لها من الملكة . فصعب عليه ذلك الأمر ودقّ يدًا على يد وقال : والله عسر علي ما جرى لك، لكن يا أمي ما سبب كون الملكة تبغض الرجال ؟ فقالت : يا ولدي، أعلم أن لها بستاناً مليحًا ما على وجه الأرض أحسن منه، فاتفق أنها كانت نائمة فيه ذات ليلة من الليالي فبينما هي في لذيذ النوم إذ رأت في المنام أنها نزلت في البستان فرأت صياداً قد نصب شركًا ونثر حوله قمحاً وقعد على بعد منه ينظر ما يقع فيه من الصيد، فلم يكن إلا مقدار ساعة وقد اجتمعت الطيور لتلتقط القمح فوقع طير ذكر في الشرك وصار يتخبّط فيه فنفرت الطيور عنه وأنثاه من جملتها، فلم تغب عنه غير ساعة لطيفة ثم عادت إليه وتقدمت إلى الشرك وحاولت العين التي في رجل طيرها ولم تزل تعالج فيها بمنقارها حتى قرضتها وخلّصت طيرها، كل هذا والصياد قاعد ينعس . فلما أفاق نظر إلى الشرك فرآه قد انفسد، فأصلحه وجدّد نثر القمح وقعد على بعد من الشرك . فبعد ساعة وإذا بالطيور قد اجتمعت عليه ومن جملتها الأنثى والذكر، فتقدّمت الطيور لتلتقط الحب وإذا بالأنثى قد وقعت في الشرك وصارت تختبط فيه، فطار الحمام جميعه عنها وطيرها الذي خلّصته من جملة الطيور ولم يعد إليها، وكان الصياد غلب عليه النوم ولم يفق إلا بعد مدة مديدة . فلما أفاق من نومه وجد الطيرة وهي في الشرك، فقام وتقدّم إليها وخلّص رجليها من الشرك وذبحها . فانتبهت بنت الملك وهي مرعوبة وقالت : هكذا تفعل الرجال مع النساء، فالمرأة تشفق على الرجال وترمي روحها عليه وهو في المشقة وبعد ذلك إذا قضى عليها المولى ووقعت في مشقة فإنه يفوتها ولم يخلّصها وضاع ما فعلته معه من المعروف، فلعن الله من يثق بالرجال فإنهم ينكرون المعروف التي تفعله معهم النساء . ثم إنها بغضت الرجال من ذلك اليوم . فقال ابن الملك للعجوز : يا أمي، هل هي ما تخرج إلى الطريق أبدًا ؟ قالت : لا يا ولدي، إلا أن لها بستاناً وهو نزهة من أحسن منتزهات الزمان، وفي كل عام عند انتهاء الأثمار فيه تنزل إليه وتتفرّج فيه يوماً واحدًا ولا تبيت إلا في قصرها، وما تنزل إلى البستان إلا من باب السرّ وهو واصل إلى البستان، وأنا أريد أن أعلمك شيئًا وإن شاء الله يكون فيه صلاح لك . فاعلم أنه بقي إلى أوان الثمر شهر واحد وتنزل تتفرج فيه، فمن يومنا هذا أوصيك أن تروح إلى خولي ذلك البستان وتعمل بينك وبينه

صحبة مودة، فإنه ما يدع أحداً من خلق الله تعالى يدخل هذا البستان لكونه متصلاً بقصر بنت الملك، فإذا نزلت بنت الملك كون قد؟أعلمتك قبل نزولها بيومين فتروح أنت على جاري عادتك وتدخل البستان وتتحيل على بياتك فيه، فإذا نزلت بنت الملك تكون أنت مختفياً في بعض الأماكن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 725

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز أوصت ابن الملك وقالت له: إن بنت الملك تنزل في البستان وقبل نزولها بيومين أعلمك، فإذا نزلت تكون أنت فيه مختفياً في بعض الأماكن فإذا رأيتها فاخرج لها فإنها إذا رأتك تحبك فإن المحبة تستر كل شيء. واعلم يا ولدي أنها لو نظرتك لافتتنت بحبك لأنك جميل الصورة، فقرّ عيناً وطب نفساً يا ولدي فلا بد أن أجمع بينك وبينها. فقبّل يدها وشكرها ودفع إليها ثلاث شقات من الحرير الإسكندراني وثلاث شقات من الأطلس ألوانهن مختلفة، ومع كل شقة تفصيلة من أجل القمصان وخرقة من أجل السراويل ومنديل من أجل العصابة وثوب بعلبكيّ من أجل البطانة حتى كمل لها ثلاث بدلات، كل بدلة أحسن من أختها، ودفع لها صرة فيها ستمائة دينار وقال لها: هذه من أجل الخياطة. فأخذت الجميع وقالت له: يا ولدي، أتحب أن تعرف طريق بيتي؟ وأنا أيضاً أعرف مكانك. قال: نعم. فأرسل معها مملوكاً ليعرف مكانها ويعرّفها بيته. فلما توجهت العجوز، قام ابن الملك وأمر غلمانه أن يغلقوا الدكان وتوجه إلى الوزير وأعلمه بما جرى مع العجوز من أوله إلى آخره. فلما سمع الوزير كلام ابن الملك قال له: يا ولدي، فإذا خرجت حياة النفوس ولم يحصل لك منها إقبال فما تفعل؟ قال: ما يصير في يدي حيلة غير أني أخرج من القول إلى الفعل وأخاطر بنفسي معها وأخطفها من بين خدمها وأردفها على الحصان وأطلب بها عرض البر الأقفر، فإن سلمت حصل المراد وإن عطبت فإني أستريح من هذه الحياة الذميمة. قال له الوزير: يا ولدي، أبهذا العقل تعيش؟ كيف يكون سفرنا وبيننا وبين بلدنا مسافة بعيدة؟ وكيف تفعل هذه الفعال مع ملك من ملوك الزمان تحت يده مائة ألف عنان؟ وربما لا نأمن من أن يأمر بعض عساكره فتقطع علينا الطرق، وهذا ما هو مصلحة ولا يفعله عاقل. قال ابن الملك: فكيف يكون العمل أيها الوزير الحسن التدبير، فإني ميت لا محالة. قال له الوزير: إصبر إلى غد حتى نرى هذا البستان ونعلم حاله وما يجري لنا مع الخولي الذي فيه. فلما أصبح الصباح، نهض الوزير هو وابن الملك وأخذ في جيبه ألف دينار وتمشّيا حتى وصلا إلى البستان فرآياه عالي الحيطان قوي الأركان كثير الأشجار غزيز الأنهار مليح الأثمار، قد فاحت أزهاره وترنّمت أطياره كأنه روضة من رياض الجنان، ومن داخل الباب رجل شيخ كبير جالس على مصطبة. فلما رآهما وعاين هيبتهما، قام على قدميه بعد أن سلّما عليه. فردّ عليهما السلام وقال لهما: يا أسيادي، لعل لكما حاجة أتشرف بقضائها. قال له الوزير: أعلم يا شيخ، أننا قوم غرباء وقد حمي علينا الحر ومنزلنا بعيد في آخر المدينة وقصدنا من إحسانك أن تأخذ منّا هذين الدينارين وتشتري لنا شيئاً نأكله وتفتح لنا باب هذا البستان وتقعدنا في مكان مظل فيه ماء بارد لنتبرّد به حتى تحضر لنا بالأكل فنأكل نحن وأنت ونكون قد

استروحنا ونروح إلى حال سبيلنا . ثم إن الوزير حطّ يده في جيبه فأخرج دينارين وحطّهما في يد الخولي ، وكان هذا الخولي عمره سبعون سنة ما نظر في يده شيئًا من ذلك . فلما نظر الخولي الدينارين في يده ، طار عقله وقام من وقته وفتح الباب وأدخلهما وأجلسهما تحت شجرة مثمرة كثيرة الظل وقال لهما : إجلسا في هذا المكان ولا تدخلا البستان أبدًا لأن فيه باب السر الموصل إلى قصر الملكة حياة النفوس . قالا له : ما ننتقل عن مكاننا أبدًا . ثم توجه الشيخ البستاني ليشتري لهما ما أمراه به ، فغاب ساعة وأتى إليهما ومعه حمّال على رأسه خاروف مشوي وخبز ، فأكلوا وشربوا جميعاً وتحدّثوا ساعة . ثم تطلع الوزير والتفت يميناً وشمالاً إلى جوانب البستان فنظر في داخله قصراً عالي البنيان إلا أنه عتيق ، قد تقشّرت حيطانه من البياض وتهدّمت أركانه . فقال الوزير : يا شيخ ، هل هذا البستان ملكك أو أنت مستأجره ؟ قال : يا مولاي ، هو ليس ملكي ولا أنا مستأجره وإنما أنا حارس فيه . قال له الوزير : فكم أجرتك ؟ قال : يا سيدي ، في كل شهر دينار . قال الوزير : إنهم ظلموك وخصوصاً إن كنت صاحب عيال . قال الشيخ : والله يا سيدي ، إن لي من العيال ثمانية أولاد وأنا . قال الوزير : لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، والله لقد حمّلتني همّك يا مسكين . لكن ما تقول فيمن يفعل معك خيراً لأجل هذه العيال التي معك ؟ قال الشيخ : يا مولاي ، مهما فعلته من الخير يكون لك ذخيرة عند الله تعالى . قال الوزير : أعلم يا شيخ أن هذا البستان مكان مليح وفيه هذا القصر ، ولكنه عتيق خرب وأنا أريد أن أصلحه وأبيضه وأدهنه دهاناً مليحاً حتى يصير هذا المكان أحسن ما يكون في هذا البستان ، فإذا حضر صاحب البستان ووجده قد تعمّر وصار مليحاً فإنه لا بد أن يسألك عن عمارته . فإن سألك فقل له : أنا يا مولاي عمّرته لما رأيته خراباً لا ينتفع به أحد ولا يقدر أن يقعد فيه لأنه خرب داثر ، فعمّرته وصرفت عليه . فإذا قال لك : من أين لك المال الذي صرفته عليه ؟ فقل له : من مالي لأجل بياض وجهي عندك ورجاء إنعامك . فلا بد أنه ينعم عليك في نظير ما صرفته في المكان . وفي غد أحضر البنائين والمبيضين والدهانين لأجل أن يصلحوا شأن هذا المكان وأعطيك ما وعدتك به . ثم أخرج من جيبه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال له : خذ هذه الدنانير وانفقها على عيالك ودعهم يدعون إليّ وإلى ولدي هذا . فقال له ابن الملك : ما سبب ذلك ؟ قال له الوزير : ستظهر لك نتيجته . وأدرك شهرزاد للصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 726

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير لما أعطى الشيخ البستاني الذي في البستان الخمسمائة دينار وقال له : خذ هذه الدنانير وانفقها على عيالك ودعهم يدعون لي ولولدي هذا. فنظر الشيخ إلى ذلك الذهب ، فخرج عقله وانطرح على قدمي الوزير يقبلهما وصار يدعو له ولولده . ولما انصرفا من عنده قال لهما : إني لكما غداً في الإنتظار والله تعالى لا يفرّق بيني وبينكما لا ليلاً ولا نهاراً . فلما كان في اليوم الثاني جاء الوزير إلى ذلك المكان وطلب عريف البنائين ، فلما حضر بين يديه أخذه الوزير وتوجه به إلى البستان ، فلما رآه الخولي فرح به . ثم إن الوزير أعطاه ثمن المؤونة وما يحتاج إليه العملة في عمارة ذلك القصر ، فبنوه وبيضوه ودهنوه . فقال الوزير للدهانين : يا أيها المعلمون ، أصغوا إلى كلامي وافهموا قصدي ومرامي ، واعلموا أن لي بستاناً مثل هذا المكان كنت نائماً فيه ليلة من الليالي فرأيت في المنام أن صياداً

نصب شركاً ونثر حوله قمحاً، فاجتمعت عليه الطيور لتلتقط القمح فوقع طير ذكر في الشرك ونفرت عنه جميع الطيور ومن جملتها أنثى ذلك الذكر. ثم إن تلك الأنثى غابت ساعة وعادت إليه وحدها وقرضت العين التي في رجل ذكرها حتى خلّصته، وكان الصياد في ذلك الوقت نائماً. فلما أفاق من نومه وجد الشرك مختلاً فأصلحه وجدّد نثر القمح مرة ثانية وقعد بعيداً عنه ينتظر وقوع صيد في ذلك الشرك، فتقدّمت الطيور لتلتقط القمح، فتقدّم الطير والطيرة من جملة الطير فانشبكت الطيرة في الشرك ونفر الطير جميعه عنها وطيرها الذكر من جملة الطير ولم يعد إليها. فقام الصياد وأخذ الطيرة وذبحها. وأما الذكر فإنه لما نفر مع الطيور قد اختطفه جارح من الجوارح وذبحه وشرب دمه وأكل لحمه. وأنا أشتهي منكم أن تصوّروا لي هذا المنام جميعه على صفات ما ذكرت لكم بالدهان الجيد وتجعلوا ذلك منالاً في تزاويق البستان وحيطانه وأشجاره وأطياره، وتصوّروا مثال الصياد وشركه وصفة ما جرى للطير الذكر مع الجارح حين اختطفه. فإذا فعلتم ما شرحت لكم ونظرته وأعجبني فإني أنعم عليكم بما يسر خاطركم زيادة عن أجرتكم. فلما سمع الدهانون كلامه اجتهدوا في الدهان وأتقنوه غاية الإتقان. فلما انتهى وخلص أطلعوا الوزير عليه، فأعجبه ونظر إلى تصوير المنام الذي وصفه للدهانين كأنه هو. فشكرهم وأنعم عليهم بجزيل الأنعام. ثم أتى ابن الملك على العادة ودخل ذلك القصر ولم يعلم بما فعله الوزير، فلما نظر إليه رأى صفة البستان والصياد والشرك والطيور والطير الذكر وهو بين مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه وأكل لحمه فتحيّر عقله. ثم رجع إلى الوزير وقال: أيها الوزير الحسن التدبير، إني رأيت اليوم عجباً لو كتب بالإبر على آماقي البصر لكان عبرة لمن اعتبر. قال: وما هو يا سيدي؟ قال: أما أخبرتك بالمنام الذي رأته بنت الملك وإنه هو السبب في بغضها الرجال؟ قال: نعم. ثم قال: والله يا وزير لقد رأيته مصوّراً في جملة النقش بالدهان حتى كأني عاينته عياناً ووجدت شيئاً آخر خفي أمره على ابنة الملك فما رأته، وهو الذي عليه الاعتماد في نيل المراد. قال: وما هو يا ولدي؟ قال: وجدت الطير الذكر لما غاب عن طيرته حين وقعت في الشرك ولم يرجع إليها، قد قبض عليه جارح وذبحه وشرب دمه وأكل لحمه. فيا ليت بنت الملك كانت رأت المنام كله وقصّته لآخره وعاينت الطير الذكر لما اختطفه الجارح، وهذا سبب عدم عوده إليها وتخليصها من الشرك. قال له الوزير: أيها الملك السعيد، والله إن هذا أمر عجيب وهو من الغرائب. وصار ابن الملك يتعجّب من هذا الدهان ويتأسف حيث لم تره ابنة الملك إلى آخره ويقول في نفسه: يا ليتها رأت هذا المنام إلى آخره أو تراه جميعه مرة ثانية ولو في أضغاث الأحلام. قال الوزير: إنك كنت قلت لي: ما سبب عمارتك في هذا المكان؟ فقلت لك: سوف يظهر لك نتيجة ذلك. والآن قد ظهر لك نتيجته وأنا الذي قد فعلت ذلك الأمر وأمرت الدهانين بتصوير المنام وأن يجعلوا الطير الذكر في مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه وأكل لحمه، حتى إذا نزلت بنت الملك ونظرت إلى هذا الدهان ترى صورة هذا المنام وتنظر إلى الطير وقد ذبحه الجارح فتعذره وترجع عن بغضها الرجال. فلما سمع ابن الملك هذا الكلام، قبّل أيادي الوزير وشكره على فعله وقال له: مثلك يكون وزير الملك الأعظم، والله لئن بلغت قصدي ورجعت مسروراً إلى الملك لأعلمنه بذلك حتى يزيدك في الإكرام ويعظم شأنك ويسمع كلامك. فقبّل الوزير يده ثم إنهما ذهبا إلى الشيخ البستاني وقالا له: انظر إلى هذا المكان وما

أحسنه . قال الشيخ : كل هذا بسعادتكم . ثم قالا له : يا شيخ ، إذا سألك أصحاب هذا المكان عن عمارة هذا القصر فقل لهم : أنا عمّرته من مالي لأجل أن يحصل لك الخير والأنعام . فقال : سمعاً وطاعة . وصار ابن الملك لا ينقطع عن ذلك الشيخ . هذا ما جرى من الوزير وابن الملك . وأما ما كان من أمر حياة النفوس ، فإنها لما انقطعت عنها الكتب والمراسلة وغابت عنها العجوز ، فرحت فرحاً شديداً واعتقدت أن الغلام سافر إلى بلاده . فلما كان في بعض الأيام حضر إليها طبق مغطّى من عند أبيها ، فكشفته فوجدت فيه فاكهة مليحة . فسألت وقالت : هل جاء آوان هذه الفاكهة؟ قالوا : نعم . قالت : يا ليتني تجهّزت للفرجة في البستان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 727

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بنت الملك لما أرسل إليها أبوها الفاكهة سألت وقالت : هل جاء آوان هذه الفاكهة؟ فقالوا لها : نعم . قالت : يا ليتنا نتجهّز للفرجة في البستان . فقال لها جواريها : نِعم الرأي يا سيدتي ، والله لقد اشتقنا إلى ذلك البستان . قالت : كيف العمل ؟ وفي كل سنة ما يفرجنا في البستان ويبيّن لنا اختلاف هذه الأغصان إلا الداية ، وأنا قد ضربتها ومنعتها عنّي وقد ندمت على ما كان مني في حقها لأنها على كل حال دايتي ولها عليّ حق التربية ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فلما سمعت الجواري ذلك الكلام من بنت الملك ، نهضن جميعًا وقبّلن الأرض بين يديها وقلن لها : بالله عليك يا سيدتي أن تصفحي عنها وتأمري بإحضارها . قالت : والله إني عزمت على ذلك الأمر ، فمن فيكم يروح لها؟ فإني قد جهّزت لها خلعة سنية . فتقدّم إليها جاريتان : إحداهما تسمّى بلبل والأخرى تسمّى سواد العين ، وهما أكبر جواري بنت الملك وخواصها عندها ، وهما ذاتا حسن وجمال . فقالتا : نحن نروح إليها أيتها الملكة . قالت : إفعلا ما بدا لكما . فذهبتا إلى بيت الداية وطرقا عليها الباب ودخلا عليها . فلما عرفتهما تلقّتهما بأحضانها ورحّبت بهما . فلما استقر بهما الجلوس قالتا لها : يا داية ، إن الملكة قد حصل منها العفو والرضى عنك . قالت الداية : لا كان ذلك أبدًا ولو سقيت كؤوس الردى . فهل نسيت تعزيري قدام من يحبني ومن يبغضني حين صبغت أثوابي بالدم وكدت أن أموت من شدة الضرب وبعد ذلك سحبوني من رجلي مثل الكلب الميت حتى رموني خارج الباب؟ فوالله لا أرجع إليها أبدًا ولا أملأ عيني من رؤيتها . فقال لها الجاريتان : لا تردّي سعينا إليك خائباً ، فأين إكرامك إيانا؟ فابصري من حضر عندك ودخل عليك ، فهل تريدين أحدًا أكبر منّا منزلة عند بنت الملك ؟ قالت : أعوذ بالله ، أنا أعرف أن مقداري أقل منكما ، لولا أن ابنة الملك عظمت قدري عند جواريها وخدمها فكنت إذا غضبت على أكبر من فيهن تموت في جلدها . فقالت الجاريتان : إن الحال باق على عهده لم يتغيّر أبدًا بل هو أكثر مما تعهدين ، فإن بنت الملك وضعت نفسها لك وطلبت الصلح من غير واسطة . فقالت : والله لولا حضور كما عندي ما كنت أرجع إليها ولو أمرت بقتلي . فشكرتاها على ذلك ، ثم قامت من وقتها ولبست ثيابها وطلعت معهما وسرن جميعاً حتى دخلت على بنت الملك . فلما دخلت عليها قامت على قدميها فقالت لها الداية : الله يا بنت الملك هل الخطأ مني أو منك ؟ فقالت بنت الملك : الخطأ مني والعفو والرضى منك ، والله يا دايتي إن قدرك عال عندي ولك عليّ حق التربية . ولكن أنت

تعلمين أن الله سبحانه وتعالى قسم للخلق أربعة أشياء : الخلق والعمر والرزق والأجل ، وليس في قدرة الإنسان أن يرد القضاء وإني ما ملكت نفسي ولا قدرت على رجوعها ، وأنا يا دايتي ندمت على ما فعلت . فعند ذلك زال ما عند العجوز من الغيظ فنهضت وقبّلت الأرض بين يديها ، فدعت الملكة بخلعة سنية وأفرغتها عليها . ففرحت بتلك الخلعة فرحًا شديدًا والخدم والجواري واقفات بين يديها . فلما انتهى ذلك المجلس قالت لها : يا دايتي ، كيف حال الفواكه وثمر غيطاننا ؟ قالت : والله يا سيدتي ، نظرت غالب الفواكه في البلد ، ولكن في هذا اليوم أفتش على هذه القضية وأرد لك الجواب . ثم نزلت من عندها وهي مكرّمة في غاية الإكرام وسارت حتى أتت ابن الملك ، فتلقّاها بفرح وعانقها واستبشر بقدومها وانشرح خاطره لأنه كان كثير الإنتظار لرؤيتها . ثم إن العجوز حكت له على ما وقع لها مع بنت الملك وأن بنت الملك مرادها أن تنزل إلى البستان في اليوم الفلاني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 728

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما أتت عند ابن الملك وأخبرته بما جرى لها مع الملكة حياة النفوس وأنها تنزل البستان اليوم الفلاني . قالت له : هل فعلت ما أمرتك به من قضية بوّاب البستان ؟ وهل وصل إليه شيء من إحسانك ؟ قال لها : نعم ، إنه صار صديقي وطريقه طريقي وفي خاطره لو يكون لي إليه حاجة . ثم أخبرها بما جرى له من أمر الوزير وتصويره المنام الذي رآته بنت الملك وخبر الصياد والشرك والجارح . فلما سمعت العجوز هذا الكلام فرحت فرحاً شديداً ثم قالت له : بالله عليك أن تجعل وزيرك في وسط قلبك ، فإن فعله يدل على رجاحة عقله ولأنه أعانك على بلوغ مرادك . فانهض يا ولدي من ساعتك وادخل الحمام والبس أفخر الثياب فما بقي لنا حيلة أكبر من هذه ، واذهب إلى البوّاب واعمل عليه حيلة حتى يمكنك من بياتك في البستان ، فلو أُعطيَ ملأ الأرض ذهبًا ما يُمكّن أحداً من الدخول في البستان ، فإذا دخلت فاختف حتى لا تراك العيون . ولا تزل مختفياً حتى تسمعني أقول : يا خفي الألطاف أمنا مما نخاف . فاخرج من خبائك واظهر حسنك وجمالك وتوارى في الأشجار فإن حسنك يخجل الأقمار حتى تنظرك الملكة حياة النفوس وتملأ قلبها وجوارحها بهواك فتبلغ قصدك ومناك ويذهب همّك . قال الغلام : سمعًا وطاعة . وأخرج صرة فيها ألف دينار فأخذتها منه ومضت ، وخرج ابن الملك من وقته وساعته ودخل الحمام وتنعّم ولبس أفخر الثياب من لباس الملوك الاكاسرة وتوشّح بوشاح قد جمع فيه من أصناف الجواهر المثمّنة وتعمّم بعمامة منسوجة بشرائط الذهب الأحمر مكلّلة بالدر والجوهر ، وقد تورّدت وجنتاه واحمرّت شفتاه وغازلت أجفانه الغزلان وهو يتمايل كما النشوان ، وعمّه الحسن والجمال وفضح الأغصان قوامه الميّال . ثم إنه حطّ في جيبه كيساً فيه ألف دينار وسار إلى أن أقبل على البستان ودقّ بابه . فأجابه البوّاب وفتح له الباب ، فلما نظره فرح فرحاً شديداً وسلّم عليه أفخر السلام . ثم إنه وجد ابن الملك عابس الوجه فسأله عن حاله . فقال له : أعلم أيها الشيخ أني عند والدي مكرم ولا وضع يده عليّ إلا في هذا اليوم ، فوقع بيني وبينه كلام فشتمني ولطمني على وجهي وبالعصى ضربني وطردني فصرت لا أعرف صديقاً ، فخفت من غدر الزمان وأنت تعرف أن غضب الوالدين ما هو قليل . وقد حضرت إليك يا عم ، فإن والدي بك خبير وأريد من

إحسانك أن أقيم في البستان إلى آخر النهار وأبيت فيه إلى أن يصلح الله الشأن بيني وبين والدي . فلما سمع كلامه، توجّع لما جرى له مع والده فقال له : يا سيدي، أتأذن لي أن أروح إلى والدك وأدخل عليه وأكون سبباً في الصلح بينك وبينه ؟ قال له الغلام : يا عم ، إن والدي له أخلاق لا تطاق ومتى عارضته في الصلح وهو في حرارة خلقه لا يرجع إليك . قال الشيخ : سمعاً وطاعة . ولكن يا سيدي إمش معي إلى بيتي فأبيتك بين أولادي وعيالي ولا ينكر أحد علينا . فقال له الغلام : يا عم ، ما أقيم إلا وحدي في حالة الغيظ . فقال الشيخ : يعزّ عليّ أن تنام وحدك في البستان وأنا لي بيت . قال : يا عم ، لي في ذلك غرض حتى يزول العارض عني ، وأنا أعلم أن في هذا الأمر رضاه فيعطف عليّ خاطره . قال له الشيخ : فإن كان ولا بد فإني أحضر لك فراشاً تنام عليه وغطاء تتغطى به . قال له : يا عم لا بأس بذلك . فنهض الشيخ وفتح له باب البستان وأحضر له الفرش والغطاء والشيخ لا يعلم أن بنت الملك تريد الخروج إلى البستان . هذا ما كان من أمر ابن الملك . وأما ما كان من أمر الداية ، فإنها لما ذهبت إلى بنت الملك وأخبرتها بأن الأثمار طابت على أشجارها قالت لها : يا دايتي ، إنزلي معي إلى البستان لتتفرجي في غد إن شاء الله تعالى ، ولكن أرسلي إلى الحارس وعرّفيه أننا في غد نكون عنده في البستان . فأرسلت له الداية أن الملكة تكون عنده غداً في البستان وأنه لا يترك في البستان سواقين ولا مرابعين ولا يدع أحداً من خلق الله أجمعين يدخل البستان . فلما جاءه الخبر من عند بنت الملك ، أصلح المجاري واجتمع بالغلام وقال له : إن بنت الملك صاحبة هذا البستان ، ويا سيدي لك المعذرة والمكان مكانك وأنا ما أعيش إلا في إحسانك ، غير أن لساني تحت قدمي فأعرفك أن الملكة حياة النفوس تريد الخروج إلى البستان غداً في أول النهار وقد أمرت أني لا أخلّي أحداً في البستان يراها ، وأريد من فضلك أن تخرج من البستان في هذا النهار فإن الملكة لم تقم فيه سوى هذا اليوم إلى العصر ويصير لك مدة الشهور والدهور والأعوام . قال له : يا شيخ ، لعلك حصل لك من جهتنا ضرر . قال : لا والله يا مولاي ما حصل لي من جهتك إلا الشرف . فقال له الغلام : إن كان الأمر كذلك فما يحلّ لك من جهتنا إلا كل خير فإني أختفي في هذا البستان ولا يراني أحد حتى تروح بنت الملك إلى قصرها . قال الخولي : يا سيدي ، متى نظرت خيال بشر من خلق الله تعالى ضربت عنقي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 729

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ لما قال للغلام : إن بنت الملك متى رأت خيال بشر ضربت عنقي . قال له الغلام : أنا ما أخلّي أحداً يراني جملة كافية ، ولا شك أنك اليوم مقصّر في النفقة على العيال . ومد يده إلى الكيس وأخرج منه خمسمائة دينار وقال له : خذ هذا الذهب وانفقه على عيالك فيطيب قلبك من جهتهم . فلما نظر الشيخ إلى الذهب هانت عليه نفسه وأكد على ابن الملك في عدم الظهور في البستان ثم تركه جالساً . هذا ما كان من أمر الخولي وابن الملك . وأما ما كان من أمر بنت الملك ، فإنه لما كان بكرة النهار دخل عليها خدامها فأمرت بفتح باب السر الموصل إلى البستان الذي فيه القصر ، ولبست حلة كسروية مرصّعة باللؤلؤ والدرّ والجوهر ، ولبست حلة ومن تحتها قميص لطيف مرصّع بالياقوت ، ومن تحت الجميع ما يعجز عن وصفه اللسان ويتحيّر فيه الجنان وفي هواه يشجع الجبان ، ومن فوق

رأسها تاج من الذهب الأحمر مرصّع بالدرّ والجوهر وهي تخطر في قبقاب من اللؤلؤ الرطب مصوغ من الذهب الأحمر مرصّع بالفصوص والمعادن، وجعلت يدها على كتف العجوز وأمرت بالخروج من باب السرّ. وإذا بالعجوز قد نظرت إلى البستان فوجدته قد امتلأ من الخدم والجواري وهن يأكلن الثمار ويعكرن الأنهار ويردن التمتع باللعب والفرجة في هذا النهار. فقالت للملكة: إنك صاحبة العقل الوافر والفطنة الكاملة وأنت تعلمين أنك غير محتاجة لهذه الخدم في البستان، ولو كنت خارجة من قصر أبيك لكان سيرهم معك احترامًا لك ولكنك يا سيدتي طالعة من باب السرّ إلى البستان بحيث لا يراك أحد من خلق الله تعالى. قالت لها: لقد صدقت يا دايتي، فكيف يكون العمل؟ ثم قالت لها العجوز: أمري الخدام أن ترجع وما أخبرك بهذا إلا احتراماً للملك. فأمرت الخدام بالرجوع. قالت الداية: بقي بقيّة من الخدام الذين يبغون في الأرض الفساد، فاصرفيهم ولا تدعي معك غير جاريتين من الجواري لننشرح معهما. فلما نظرتها الداية قد صفى قلبها وراق لها الوقت قالت: الآن قد تفرجنا فرجة مليحة فقومي بنا الآن إلى البستان. فقامت بنت الملك وجعلت يدها على كتف الداية وخرجت من باب السر وجاريتاها يمشيان قدامها وهي تضحك عليهما وتتمايل في غلائلها والداية تمشي قدامها وتريها الأشجار وتطعمها من الأثمار وهي تروح من مكان إلى مكان، ولم تزل سائرة بها إلى أن وصلت إلى ذلك القصر. فلما نظرته الملكة رأته جديداً فقالت: يا دايتي، أما تنظرين هذا القصر قد عمرت أركانه وابيضّت حيطانه؟ قالت الداية: والله يا سيدتي إني سمعت كلاماً وهو أن جماعة من التجار أخذ منهم الخولي قماشاً وباعه وأخذ بثمنه طوباً وجيرًا وجبساً وحجراً وغير ذلك. فسألته ما فعل بذلك. فقال لي: عمّرت به القصر الذي كان داثراً. ثم قال الشيخ: إن التجار طالبوني بحقهم الذي لهم عليّ فقلت: حتى تنزل بنت الملك إلى البستان وتنظر العمارة وتعجبها فإذا طلعت أخذت منها ما تتفضل به عليّ وأعطيهم حقهم الذي لهم. فقلت له: ما حملك على ذلك؟ قال: رأيته قد وقع وتهدّمت أركانه وتقشّر بياضه وما رأيت لأحد مروءة أن يعمّره فاقترضت في ذمتي وعمّرته، وأرجو من ابنة الملك أن تعمل ما هي أهله. فقلت له: إن ابنة الملك كلها خير وعوض. وما فعل هذا كله إلا طمعاً في إحسانك. قالت بنت الملك: والله لقد بناه عن مروءة وفعل فعل الأجواد، ولكن نادي لي الخازندارة. فنادت الداية الخازندارة فحضرت في الحال عند ابنة الملك، فأمرتها أن تعطي الخولي ألفي دينار. فأرسلت العجوز رسولاً إلى الخولي، فلما وصل إليه الرسول قال له: واجب عليك امتثال أمر الملكة. فلما سمع الخولي من الرسول هذا الكلام، ارتعدت مفاصله وضعفت قوته وقال في نفسه: لا شك أن ابنة الملك نظرت الغلام ولا يكون هذا اليوم عليّ إلا أشأم الأيام. فخرج حتى وصل إلى داره وأعلم زوجته وأولاده بذلك وأوصى وودّعهم فتباكوا عليه. ثم إنه تمشى إلى أن وقف بين يدي ابنة الملك ووجهه مثل الكركم وهو يكاد أن يسقط من طوله. فعلمت العجوز منه ذلك فأدركته بكلامها وقالت: يا شيخ، قبّل الأرض شكرًا لله تعالى وابتهل بالدعاء للملكة، فقد أعلمتها بما فعلت من عمارة القصر الداثر ففرحت بذلك وقد أنعمت عليك في نظير ذلك بألفي دينار، فاقبضهما من الخازندارة وادع لها وقبّل الأرض بين يديها وارجع إلى حالك. فلما سمع الخولي ذلك الكلام من الداية، قبض الألفي دينار وقبّل الأرض بين يدي ابنة الملك ودعا لها. ثم عاد إلى منزله وفرحت عياله به ودعوا

لمن كان سبباً في هذا الأمر كله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 730 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ الحارس لما أخذ الألفي دينار من الملكة وعاد إلى منزله، فرحت عياله ودعوا لمن كان سبباً في ذلك كله . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر العجوز، فإنها قالت : يا سيدتي، لقد صار هذا المكان مليحًا وما رأيت قط أنصع من بياضه ولا أحسن من دهانه . يا ترى هل الأصلح ظاهره أو باطنه؟ وإلا عمل ظاهره بياضاً وباطنه سواداً؟ فادخلي بنا حتى نتفرّج على باطنه . فدخلت الداية وبنت الملك خلفها فوجداه مدهوناً ومزوّقاً من داخل بأحسن التزويق . فنظرت بنت الملك يميناً وشمالاً إلى أن وصلت إلى صدر الإيوان، فشخصت إليه وأطالت النظر فيه . فعلمت الداية أن عينها لحظت تصوير ذلك المنام، فأخذت الجاريتين عندها حتى لا يشغلاها . فلما انتهت بنت الملك إلى رؤية تصوير المنام التفتت إلى العجوز وهي متعجبة تدق يداً على يد وقالت : يا دايتي، تعالي انظري شيئًا عجيباً لو كتب بالإبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر . قالت العجوز : وما هو يا سيدتي؟ قالت لها الملكة : ادخلي صدر الإيوان وانظري، وأي شيء تنظرينه فعرّفيني به . فدخلت العجوز وتأمّلت تصوير المنام وخرجت وهي متعجبة وقالت : والله يا سيدتي، إن هذا هو صورة البستان والصياد والشرك وجميع ما رأيته في المنام، وما منع الذكر لما طار من أن يعود إلى أنثاه ويخلصها من شرك الصياد إلا مانع عظيم، فإني نظرته تحت مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه ومزّق لحمه وأكله، وهذا يا سيدتي سبب تأخيره عن العَود إليها وتخليصها من الشرك . ولكن يا سيدتي إنما العجب من تصوير هذا المنام بالزواق، ولو كنت أنت أردت أن تفعلي ذلك لعجزت عن تصويره، والله إن هذا الشيء عجيب يؤرّخ في السير . ولكن يا سيدتي لعل الملائكة الموكلين ببني آدم علموا أن الطير الذكر مظلوم حيث ظلمناه ولمناه على عدم عوده . فأقاموا حجة الذكر وبينوا عذره . وها أنا قد رأيته في هذه الساعة بين مخالب الجارح وهو مذبوح . قالت بنت الملك : يا دايتي، هذا الطير الذي جرى عليه القضاء والقدر ونحن قد ظلمناه . قالت العجوز : يا سيدتي، بين يدي الله تعالى تلتقي الخصوم، ولكن يا سيدتي قد تبين لنا الحق ووضح لنا عذر الطير الذكر، ولولا أنه تعلّقت به مخالب الجارح وذبحه وشرب دمه وأكل لحمه ما تأخر عن الرجوع إلى الطيرة بل كان يرجع إليها ويخلصها من الشرك . ولكن الموت ما فيه حيلة وخصوصاً ابن آدم، فإنه يجوّع نفسه ويطعم زوجته ويعرّي نفسه ويكسوها ويغضب أهله ويرضيها ويعصي والديه ويطيعها، وهي تطلع على سرّه وخبيئته ولا تصبر عنه ساعة واحدة، فلو غاب عنها ليلة واحدة لم تنم عينها ولم يكن عندها أعز منه، فتعزّه أكثر من والديها . وإذا ناما يتعانقان ويجعل يده تحت عنقها وهي تجعل يدها تحت عنقه كما قال الشاعر : [من الطويل]

تَوَسَّدْتُها زَنْدِي وبِتُّ ضَجِيعَها ... وقُلْتُ لِلَيلِي طُلْ فَقَدْ أَشْرَقَ البَدْرُ
فَيا لَيْلَةً لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مِثْلَها ... فأوَّلُها حُلْوٌ وآخِرُها مُرُّ

وبعد ذلك فهو يقبّلها وتقبّله . ومن جملة ما جرى لبعض الملوك مع زوجته أنها ضعفت وماتت، فدفن نفسه معها بالحياة ورضي لنفسه بالموت من محبته إياها ومن فرط الإلفة التي كانت بينهما . وكذلك جرى لبعض الملوك حين ضعف ومات، فلما قصدوا أن يدفنوه قالت

زوجته لأهلها : دعوني أدفن نفسي معه بالحياة وإلا أقتل نفسي وأبقى في ذمتكم . فلما علموا أنها لا ترجع عن ذلك تركوها، فرمت نفسها في القبر معه من كثرة محبتها إياه وشفقتها عليه . وما زالت العجوز تحدثها بحديث أخبار الرجال والنساء حتى زال ما كان في قلبها من بغض الرجال . فلما عرفت العجوز المودة التي تجدّدت عندها للرجال قالت : إنه آن آوان تفرّجنا في البستان . فخرجتا من القصر يتمشيان بين الأشجار فلاحت من ابن الملك التفاتة فوقعت عينه عليها ونظر إلى شكلها واعتدال قدّها وتورّد خدّها وسواد طرفها وبارع ظرفها وباهر جمالها ووافر كمالها، فاندهش عقله وشخص إليها بصره وعدم في الغرام رشده وتجاوز به العشق حدّه واشتعلت بخدمتها جوارحه والتهبت بنار العشق جوانحه، فغشي عليه ووقع على الأرض مغمى عليه . فلما أفاق وجدها غابت عن عينه وتوارت منه في الأشجار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 731

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن ابن الملك أزدشير لما كان مختفياً في البستان ونزلت بنت الملك هي والعجوز مشيا بين الأشجار، رآها ابن الملك فغشي عليه من شدة ما حصل له من العشق . فلما أفاق وجدها غابت عن عينه وتوارت منه في الأشجار . فتنهد من قلبه وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

ولما رأَتْ عَيْنِي بَدِيعَ جَمالِها ... تَمزَّقَ قَلْبِي بالصَّبابَةِ والوَجْدِ
فَأَصْبَحْتُ مَرْمِيّاً طَرِيحاً عَلى الثَّرَى ... ومَا عَلِمَتْ بِنْتُ المَلِيكِ بِما عِنْدِي
تَثَنَّتْ فَأَحْمَتْ قَلْبَ صَبٍّ مُتَيَّمٍ ... فَبِاللهِ رِقِّي وأَرْحَمِي صادِقَ الوَجْدِ
فَيا رَبِّ قَرِّبْ لِي الوِصالَ وأَحْظِنِي ... بِمُهْجَةِ قَلْبِي، خَشْيَتِي ظُلْمَةُ اللَّحْدِ
أُقَبِّلُها عَشْرًا وعَشْرًا وَعَشرةً ... تَكُونُ مِنَ المُضْنى الكَئِيبِ عَلى الخَدِّ

ولم تزل العجوز تفرّج بنت الملك في البستان إلى أن وصلت إلى المكان الذي فيه ابن الملك وإذا بالعجوز قالت : يا خفي الألطاف أمنا مما نخاف . فلما سمع ابن الملك الإشارة خرج من خبائه وتعجّب في نفسه وتاه وتمشّى بين الأشجار بقد يخجل الأغصان وتكلّل جبينه بالعرق وصارت وجنتاه كالشفق، فسبحان الله العظيم فيما خلق . فلاحت التفاتة من بنت الملك فنظرته، فلما رأته صارت شاخصة له ساعة طويلة ورأت حسنه وجماله وقده واعتداله وعيونه التي تغازل الغزلان وقامته التي تفضح غصون البان، فاذهل عقلها وسلب لبّها ورشقها بسهام عينيه في قلبها فقالت للعجوز : يا دايتي، من أين لنا هذا الغلام المليح القوام ؟ قالت : أين هو يا سيدتي ؟ قالت : ها هو قريب بين الأشجار . فصارت العجوز تتلفّت يمينًا وشمالاً كأنه لم يكن عندها خبر به وقالت : ومَن عرّف هذا الشاب طريق ذلك البستان؟ قالت لها حياة النفوس : ومَن يعرّفنا بخبر هذا الشاب ؟ فسبحان من خلق الرجال . ولكن يا دايتي، هل انت تعرفينه ؟ قالت لها : يا سيدتي، هو الشاب الذي كان يراسلك معي . قالت لها بنت الملك وهي غريقة في بحر هواها ونار شوقها وجواها : يا دايتي، ما أحسن هذا الشاب فإنه مليح الطلعة وأظن أنه ما على وجه الأرض أحسن منه . فلما علمت العجوز أن هواه ملكها قالت لها : أما قلت لك يا سيدتي إنه شاب مليح بوجه صبيح . قالت لها بنت الملك : يا دايتي، إن بنات الملوك لا يعرفن أحوال الدنيا ولا يعرفن صفات

من فيها ولا عاشرن ولا اخذن ولا اعطين . يا دايتي ، كيف الوصول إليه ؟ وبأي حيلة اقبل بوجهي عليه ؟ وماذا اقول له ويقول لي ؟ قالت العجوز : اي شيء في يدي الآن من الحيلة ؟ قد صرنا متحيرين في هذا الأمر من اجلك . قالت بنت الملك : يا دايتي أعلمي انه ما مات احد بالغرام إلا انا ، فها انا ايقنت بالممات من وقتي وكل هذا من نار وجدي . فلما سمعت العجوز كلامها ورات في هواه غرامها قالت لها : يا سيدتي ، أما حضوره عندك فلا سبيل إليه وانت معذورة في عدم رواحك إليه لأنك صغيرة ، لكن قومي معي وأنا قدامك إلى ان تصلي إليه وأنا اكون مخاطبة له فما يحصل لك خجل وهي لحظة عين ، حتى يحصل الإنس بينكما . قالت الملكة : قومي قدامي فقضاء الله لا يرد . ثم قامت الداية وبنت الملك حتى اقبلا على ابن الملك وهو جالس كأنه البدر في تمامه . فلما وصلتا إليه قالت له العجوز : أنظر يا فتى من حضر بين يديك وهي بنت ملك الزمان حياة النفوس ، فاعرف قيمتها ومقدار مشيها إليك وقدومها عليك ، قُم تعظيما لها وتمثّل قائماً على قدميك . فنهض الغلام من وقته وساعته قائماً على قدميه ووقعت عينه في عينها فصار كل واحد منهما كالسكران بغير مدام وقد زاد بها شوقه وغرامه ، ففتحت بنت الملك يديها وكذلك الغلام واعتنقا وهما في غاية الإشتياق ، فغلب عليهما الهوى والغرام فغشي عليهما الإثنان ووقعا على الارض واستمرا ساعة طويلة . فخشيت العجوز من الهتيكة فأدخلتهما القصر وقعدت على بابه وقالت للجواري : اغتنموا الفرجة فإن الملكة نائمة ، فرجع الجواري إلى الفرجة . ثم إنهما قاما من غشيتهما فوجدا انفسهما داخل القصر ثم قال الغلام : بالله عليك يا سيدة الملاح هل هذا منام أو أضغاث احلام ؟ ثم اعتنقا الإثنان وسكرا من غير مدام وتشاكيا لوعة الغرام فانشد الغلام هذه الأبيات : [من البسيط]

الشَّمْسُ مِنْ وَجْهِها الوَضَّاحِ طالِعَةٌ	كَذاكَ مِنْ وَجْنَتَيْها حُمْرَةُ الشَّفَقِ
فإِنَّهُ حَيْثُما لِلنَّاظِرينَ بَدا	يَغِيبُ مِنْهُ حَياءً كَوْكَبُ الأُفُقِ
وإنْ بَدا بارِقٌ مِنْ ثَغْرِ مَبْسِمِها	لاحَ الصَّباحُ فَأَجْلى غَيْهَبَ الغَسَقِ
وإنْ تُثَنِّي قَواماً مِنْ مَعاطِفِها	تَغارُ مِنْهُ غُصُونُ البانِ في الوَرَقِ
عِنْدِي عَنِ الكُلِّ ما يُغْنِي بِرُؤْيَتِها	أُعِيذُها بِإِلٰهِ النَّاسِ والفَلَقِ
أَعارَتِ البَدْرَ جُزْءاً مِنْ مَحاسِنِها	ورامَتِ الشَّمْسُ تَحْكِيها فَلَمْ تُطِقِ
مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ أَعْطافٌ تَمِيسُ بِها	مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ حُسْنُ الخَلْقِ والخُلُقِ
فَمَنْ يَلُمْنِي وكُلِّي في مَحَبَّتِها	ما بَيْنَ مُفْتَرِقٍ فِيها ومُتَّفِقِ
هِيَ التِي مَلَكَتْ قَلْبِي بِلَفْتَتِها	فَما الَّذي لِقُلُوبِ العاشِقِينَ بَقِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 732

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن الملك لما فرغ من شعره ضمّته بنت الملك إلى صدرها وقبّلت فاه وما بين عينيه ، فعادت إليه روحه وصار يشكو إليها ما قاساه من شدة العشق وجور الغرام وكثرة الشوق والهيام ، وما جرى له من قسوة قلبها . فلما سمعت كلامه قبّلت يديه وقدميه وكشفت رأسها فاظلم الديجور واشرقت فيه البدور

وقالت : يا حبيبي وغاية مرادي ، لا كان يوم الصدود ولا جعله الله بيننا يعود . فعندها تعانقا وتباكيا وانشدت بنت الملك هذه الأبيات : [من السريع]

يا مَخْجِلَ البَدْرِ وشَمْسَ النَّهارِ حَكَمْتَ في قَتْلِ مُحِبٍ فَحارْ
بِسَيْفِ لَحْظٍ قاطِعٍ في الحَشَى وأَيْنَ مِنْ سَيْفِ اللَّحاظِ الفِرارْ
وشِبْهُ قَوْسٍ حاجِباكَ ٱرْتَمَى مِنْها بِقَلْبِي سَهْمُ وَجْدٍ ونارْ
ومِنْ جَنَى خَدَّيْكَ لِي جَنَّةٌ فَهَلْ لِقَلْبِي عَنْ جَناها ٱصْطِبارْ
وقَدُّكَ المَايِسُ غُصْنٌ زَها مِنْ حَمْلِ هَذا الغُصْنِ تُجْنَى الثِّمارْ
جَذَبْتَنِي قَهْرًا وأَسْهَرْتَنِي وقَدْ خَلَعْتُ في هَواكَ العِذارْ
أَعانَكَ اللهُ بِنُورِ الضِّيا وقَرَّبَ البُعْدَ وأَدْنَى المَزارْ
فَارْحَمْ فُؤَاداً في هَواكَ ٱنْكَوَى وقَلْبَ مُضْنَى بِعُلاكَ ٱسْتَجارْ

فلما فرغت من شعرها ، فاض عليها الغرام وهامت وبكت بدموع غزار سجام فاحرقت قلب الغلام فتغنّى في هواها وهام وتقدّم إليها وقبّل يديها وبكا بكاء شديداً . ولم يزالا في عتاب ومنادمات واشعار إلى ان اذن العصر ولم يكن بينهما غير ذلك . فهمّا بالإنصراف فقالت له بنت الملك : يا نور عيني وحشاشة كبدي ، هذا وقت الفراق فمتى يكون التلاق ؟ قال الغلام وقد اصابه من كلامها سهام : والله لا أحب ذكر الفراق . ثم إنها خرجت من القصر فالتفت إليها فوجدها تئن انيناً يذيب الحجر وتبكي بدموع كالمطر . فغرق من العشق في بحر الهلكات وانشد هذه الأبيات : [من المتقارب]

أَيا مُنْيَةَ القَلْبِ زادَ ٱشْتِغالي لِفَرْطِ هَواكِ فَكَيْفَ ٱحْتِيالي
فَوَجْهُكِ كالصُّبْحِ مَهْما بَدَا وشَعْرُكِ في اللَّوْنِ يَحْكِي اللَّيالي
وقَدُّكِ غُصْنٌ إذا ما ٱنْثَنَى وقَدْ حَرَّكَتْهُ رِياحُ الشَّمالِ
وأَلْحاظُ عَيْنَيْكِ تَحْكِي الظِّبا إذا رَمَقَتْها كِرامُ الرِّجالِ
وخَصْرُكِ مُضْنَى بِرِدْفٍ ثَقِيلٍ فَهَذا ثَقِيلٌ وهَذاكَ بالِ
ومِنْ خَمْرِ رِيقِكِ أَحْلَى شَرابٍ ومِسْكٍ زَكِيٍّ وبَرْدِ الزُّلالِ
فَيا ظَبْيَةَ الحَيِّ كُفِّي الأَسَى وجُودِي عَلَيَّ بِطَيْفِ الخَيالِ

فلما سمعت ذلك بنت الملك في وصفها رجعت إليه واعتنقته بقلب حريق اضرم ناره الفراق ولا يطفؤه غير التقبيل والعناق وقالت : إن صاحب المثل السائر يقول : الصبر على الحبيب ولا فقده . ولا بد أن أدبر حيلة في الإجتماع ، ثم ودّعته وراحت وهي لا تدري أين تضع قدمها من شدة عشقها . ولم تزل سائرة حتى القت نفسها في مقصورتها . وأما الغلام فإنه قد زاد به الشوق والهيام وحرم لذيذ المنام . ثم إن الملكة لم تذق طعاماً وفرغ صبرها وضعف جلدها . فلما أصبح الصباح طلبت الداية ، فلما حضرت بين يديها وجدت حالها تغير فقالت لها : لا تسألي عمّا أنا فيه لأن جميع ما أنا فيه من يدك . ثم قالت لها : أين محبوب قلبي ؟ قالت لها العجوز : يا سيدتي ، ومتى فارقك ؟ هل بعد عنك غير هذه الليلة ؟ قالت لها : وهل يمكنني ان أصبر عنه

ساعة واحدة؟ قومي تحيّلي واجمعي بيني وبينه بسرعة فإن روحي كادت ان تخرج . قالت لها الداية : طوّلي روحك يا سيدتي حتى ادبر لكما امراً لطيفًا لا يشعر به احد . فقالت لها : والله العظيم إذا لم تأت به في هذا اليوم لأقولن للملك واخبره انك افسدت حالي، فيبر عنقك . قالت العجوز : سالتك بالله ان تصبري عليّ فإن هذا الأمر خطر . ولم تزل تخضع لها حتى صبّرتها ثلاثة أيام وبعد ذلك قالت لها : يا دايتي ، إن الثلاثة ايام مقوّمة عليّ بثلاث سنين ، فإن فات اليوم الرابع ولم تحضريه عندي سعيت في قتلك . فخرجت الداية من عندها وتوجّهت إلى منزلها . فلما كان صبح اليوم الرابع دعت بمواشط البلد وطلبت منهن نقشاً مليحًا من اجل تزويق بنت بكر وتنقيشها وتكتيبها، فاحضرن إليها مطلوبها من احسن ما يكون . ثم دعت بالغلام فحضر، وفتحت صندوقها واخرجت منه بقجة فيها حلة من ثياب النساء تساوي خمسة آلاف دينار بعصابة مطرزة بانواع الجواهر وقالت : يا ولدي، اتحب ان تجتمع بحياة النفوس ؟ قال لها : نعم . فاخرجت محفّة وحفّفته بها وكحّلته ثم اعرته وركبت النقش على يديه من ظفره إلى كتفه ومن مشط رجليه إلى فخذيه وكتبت سائر جسده، فصار كأنه ورد احمر على صفايح المرمر . ثم بعد مدة لطيفة غسلته ونظفته واخرجت له قميصاً ولباساً ثم البسته تلك الحلة الكسروية وعصبته وقنّعته وعلّمته كيف يمشي وقالت له : قدّم الشمال واخر اليمين . ففعل ما امرته به ومشى قدامها فصار كأنه حورية خرجت من الجنة . ثم قالت له : قوّ قلبك فإنك قادم على قصر ملك ولا بد ان يكون على باب القصر جنود وخدم ، ومتى فزعت منهم او حصل عندك وهم ، تفرّسوا فيك وعرفوك فيحصل لنا الأذى وتروح ارواحنا، فإن لم يكن عندك مقدرة على ذلك فاعلمني . قال : إن هذا الأمر لا يروّعني فطيبي نفساً وقرّي عيناً . فخرجت تمشي امامه إلى ان وصلا إلى باب القصر وهو ملآن بالخدام ، والتفتت العجوز إليه لتنظر هل حصل عنده وهم ام لا؟ فوجدته على حاله ولم يتغيّر . فلما وصلت العجوز نظر إليها رئيس الخدام فعرفها ووجد خلفها جارية تتحيّر العقول في وصفها . فقال في نفسه : اما العجوز فهي الداية، واما التي خلفها فما في ارضنا من يشبه شكلها ولا يقارب حسنها ولا ظرفها إلا إن كانت الملكة حياة النفوس ، ولكنها محجوبة لا تخرج ابدًا . فيا ليت شعري كيف خرجت في الطريق؟ ويا ترى هل خرجت بإذن الملك ام بغير إذنه؟ فنهض قائماً على قدميه حتى يكشف خبرها فتبعه نحو ثلاثين خادماً . فلما نظرتهم العجوز طار عقلها وقالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قد راحت ارواحنا في هذه الساعة بلا شك . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 733

☐ قالت : بلغني ايها الملك السعيد، ان العجوز لمّا رات رئيس الخدام مقبلاً هو وغلمانه حصل لها غاية الخوف وقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قد راحت ارواحنا في هذه الساعة بلا شك . فلما سمع رئيس الخدام من العجوز هذا الكلام ، ادركه الوهم لما يعلمه من سطوة بنت الملك وإن اباها تحت حكمها . ثم قال في نفسه : لعل الملك امر الداية ان تاخذ ابنته لقضاء حاجة ولا تريد ان يعلم احد بحالها ، ومتى تعرّضت لها يصير في نفسها شيء عظيم مني وتقول : إن هذا الطواشي واجهني ليكشف عن حالي . فتسعى في قتلي ، فليس لي بهذا الأمر حاجة . فولّى راجعًا ورجع الثلاثون خادمًا معه نحو باب القصر،

وطردوا الخلق من عند باب القصر. فدخلت الداية وسلّمت برأسها، فوقف الثلاثون خادماً إجلالاً لها وردّوا عليها السلام. ثم دخلت ودخل ابن الملك خلفها، ولم يزالا داخلين من الأبواب حتى عدّوا جميع الدركات وستر عليهما الستار إلى أن وصلا إلى الباب السابع، وهو باب القصر الأكبر الذي فيه سرير الملك ومنه يتوصل إلى مقاصير السراري وقاعات الحريم وقصر بنت الملك. فوقفت العجوز هناك وقالت: يا ولدي، ها نحن قد وصلنا إلى ها هنا، فسبحان من أوصلنا إلى هذا المكان. ويا ولدي، ما يتأتّى لنا الإجتماع إلا في الليل فإنه ستر على الخائف. قال لها: صدقت. فكيف الحيلة؟ قالت له: اختف في هذا المكان المظلم. فقعد في الجب وراحت العجوز إلى محل آخر وخلّته فيه حتى ولّى النهار، فحضرت إليه وأخرجته ودخلا من باب القصر. ولم يزالا داخلين حتى وصلا إلى مقصورة حياة النفوس، فطرقت الداية الباب فخرجت جارية صغيرة وقالت: من بالباب؟ فقالت الداية: أنا. فرجعت الجارية واستأذنت سيدتها في دخول الداية فقالت لها: إفتحي لها ودعيها تدخل هي ومن معها. فدخلا، فلما أقبلا التفتت الداية إلى حياة النفوس فوجدتها قد جهّزت المجلس وصفّت القناديل وفرشت المراتب واللواوين بالبسط وحطّت المساند وأوقدت الشموع على الشمعدانات الذهب والفضة، وحطّت السماط والفواكه والحلويات وأطلقت المسك والعود والعنبر وقعدت بين القناديل والشموع، فصار ضوء وجهها يغلب ضوء الجميع. فلما نظرت الداية قالت لها: يا دايتي، أين محبوب قلبي؟ قالت لها: يا سيدتي، ما لقيته ولا وقعت عيني عليه ولكن جئت لك بأخته شقيقته بين يديك. قالت لها: هل أنت مجنونة؟ ليس لي حاجة بأخته، فهل إذا وجع الإنسان رأسه يربط يده؟ قالت: لا والله يا سيدتي، ولكن انظري إليها فإن أعجبتك خلّيها عندك. وكشفت عن وجهها، فلما عرفته قامت على أقدامها وضمّته إلى صدرها وضمّها إلى صدره ثم وقعا على الأرض مغشياً عليهما ساعة طويلة، فرشت عليهما الداية ماء الورد فأفاقا. ثم إنها قبّلته في فمه ما ينوف عن ألف قبلة وأنشدت هذه الأبيات: [من الرمل]

زارَني مَحْبُوبُ قَلْبِي في الغَلَسْ ... قُمْتُ إجْلالاً لَهُ حَتَّى جَلَسْ
قُلْتُ: يا سُؤْلي ويَا كُلَّ المُنَى ... زُرْتَنِي في اللَّيْلِ ما خِفْتَ العَسَسْ
قَالَ لي: خِفْتُ ولَـكِنَّ الهَوَى ... آخِذٌ لِلرُّوحِ مِنِّي والنَّفَسْ
فاعْتَنَقْنا والتَزَمْنا ساعَةً ... ها هُنا أُمْنُنْ فَلا تَخْشَ حَرَسْ
ثُمَّ قُمْنا ما بِنا مِنْ رِيبَةٍ ... نَنْفُضُ الأذْيالَ ما فِيها دَنَسْ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 734

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حياة النفوس لما أتاها محبوبها في القصر، تعانقا وأنشدت أشعاراً فيما يناسب ذلك. فلما فرغت من إنشادها قالت: هل هذا صحيح من كوني نظرتك في منزلي وأنت نديمي ومؤنسي؟ ثم قوي بها الهوى وأضرمها الجوى حتى كاد أن يطير عقلها من الفرح به فأنشدت هذه الأبيات: [من الطويل]

بِنَفْسِي الَّذي قَدْ زارَ في غَسَقِ الدُّجَى ... وكُنْتُ إلى مِيعادِهِ مُتَرَقِّبا

فَما راعَنِي إلاّ رَخِيمَ بُكائِهِ فَقُلْتُ لَهُ: أَهْلاً وسَهْلاً ومَرْحَبا
وقَبَّلْتُهُ في خَدِّهِ أَلْفَ قُبْلَةٍ وعانَقْتُهُ أَلْفاً وكانَ مُحَجَّبا
وقُلْتُ: لَقَدْ نِلْتُ الَّذي كُنْتُ أَرْتَجِي فَلِلّهِ حَمْدٌ قَدْ أَحَقَّ وأَوْجَبا
وبِتْنَا كَما شِئْنا بِأَحْسَنِ لَيْلَةٍ إلى أَنْ جَلا مِنْ لَيْلِنا الصُّبْحُ غَيْهَبا

فلما أصبح الصباح ادخلته في محل عندها لم يطّلع عليها احد إلى ان اتى الليل ، فاطلعته وجلسا يتنادمان . فقال لها : قصدي ان أعود إلى دياري وأعلم ابي بأخبارك لأجل ان يجهّز وزيره إلى ابيك فيخطبك منه . قالت : يا حبيبي ، اخشى ان تروح إلى ارضك وحكمك فتلتهي عني وتسلا محبتي ، أو إن اباك لا يوافقك على هذا الكلام فاموت انا والسلام . والرأي السديد ان تكون أنت معي وفي قبضتي فتنظر إلى طلعتي وأنظر إلى طلعتك حتى أدبر لك حيلة واخرج أنا وانت في ليلة فننزح إلى بلادك ، فإني قطعت رجائي ويئست من أهلي . فقال لها : سمعاً وطاعة . واستمرّا على ما هما فيه من شرب الخمر . ثم إنه طاب لهما الشراب في ليلة من الليالي فلم يهجعا ولم يناما إلى أن لاح الفجر وإذا بأحد الملوك أرسل إلى أبيها هدية ومن جملتها قلادة من الجوهر اليتيم ، وهي تسعة وعشرون حبة لا تفي خزائن ملك بثمنها . ثم إن الملك قال : ما تصلح هذه القلادة إلا لبنتي حياة النفوس . والتفت إلى خادم كانت قلعت أضراسه لمقتضى ذلك ، فناداه الملك وقال : خذ هذه القلادة واوصلها إلى حياة النفوس وقل لها : إن احد الملوك أرسلها هدية لأبيك ولا يوجد مال يفي لها بقيمة ، فضعيها في عنقك . فأخذها الغلام وهو يقول : الله تعالى يجعلها آخر لبسها من الدنيا ، لقد أعدمتني نفع أضراسي . ثم إنه سار حتى وصل إلى باب المقصورة فوجد الباب مغلوقاً والعجوز نائمة على الباب ، فأيقظها فانتبهت مرعوبة وقالت له : ما حاجتك ؟ قال لها : إن الملك ارسلني في حاجة إلى ابنته . قالت : إن المفتاح ما هو حاضر ، رح إلى أن أحضر المفتاح . قال لها : ما أقدر أن أروح للملك . فراحت العجوز لأجل أن تحضر المفتاح فأدركها الخوف ، فطلبت النجاة لنفسها . فلما أبطأت على الخادم خاف من إبطائه على الملك ، فحرّك الباب وهزّه فانكسر القفيز وانفتح الباب فدخل . ولم يزل داخلاً إلى ان وصل إلى الباب السابع ، فلما دخل المقصورة وجدها مفروشة بفرش عظيم وهناك شموع وقناني . فتعجب الخادم من ذلك الأمر وتمشّى إلى ان وصل إلى التخت وعليه ستر من الإبريسم وعليه شبكة من الجوهر ، فكشف الستر عنه فوجد بنت الملك وهي راقدة وفي حضنها شاب أحسن منها . فعظم الله تعالى الذي خلقه من ماء مهين ثم قال : ما احسن هذه الفعال ممن تبغض الرجال ؟ ومن اين وصلت إلى هذا ؟ واظنها ما قلعت اضراسي إلا من اجله . ثم إنه ردّ الستر إلى مكانه وخرج طالب الباب . فانتبهت مرعوبة ونظرت للخادم كافور ونادته فلم يجبها ، فنزلت ولحقته وأخذت ذيله ووضعته على راسها وقبّلت رجليه وقالت له : استر ما ستر الله . فقال : الله لا يستر عليك ولا على من يستر عليك ، أنت قلعت اضراسي وتقولين لي : لا يذكر لي أحد شيئًا من صفات الرجال . وانفلت منها وخرج وهو يجري وقفل عليهما الباب وحطّ عليه خادماً يحرسه ودخل على الملك . فقال له الملك : هل أعطيت القلادة لحياة النفوس ؟ فقال الخادم : والله إنك تستحق أكثر من هذا كله . فقال الملك : وما حصل قل لي واسرع في الكلام . قال : لا اقول لك

إلا في خلوة بيني وبينك . فقال له : قل بلا خلوة . فقال الخادم : أعطني الأمان . فرمى له منديل الأمان . فقال الخادم : أيها الملك ، دخلت على الملكة حياة النفوس فوجدتها في مجلس مفروش وهي نائمة وفي حضنها شاب ، فقفلت عليهما الباب وحضرت بين يديك . فلما سمع الملك كلامه ، نهض قائماً وأخذ سيفاً في يده وصاح على رئيس الخدام وقال له : خذ معك صبيانك وادخل على حياة النفوس وهاتها هي ومن معها وهما على التخت نائمان وغطوهما بغطائهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 735

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما أمر الخادم أن يأخذ صبيانه ويتوجّهوا إلى حياة النفوس ويأتوا بها هي ومن معها بين يديه . خرج الخادم ومن معه ودخلوا فوجدوا حياة النفوس واقفة على أقدامها والبكاء والعويل قد أذابها ، وكذلك ابن الملك . فقال رئيس الخدام للغلام : أتضجع على السرير كما كنت وكذلك ابنة الملك . فخشيت بنت الملك عليه وقالت له : ما هذا وقت المخالفة ، فاتضجع الإثنان وحملوهما إلى أن أوصلوهما بين يدي الملك . فلما كشف الملك عنهما نهضت ابنة الملك على أقدامها ، فنظر لها الملك وأراد أن يضرب عنقها ، فسبق الغلام ورمى نفسه في صدر الملك وقال : أيها الملك ، ليس لها ذنب الذنب مني أنا ، فاقتلني قبلها . فقصده ليقتله فرمت حياة النفوس نفسها على أبيها وقالت : اقتلني أنا ولا تقتله فإنه ابن الملك الأعظم صاحب جميع الأرض في طولها والعرض . فلما سمع الملك كلام ابنته ، التفت إلى وزيره وكان محضر سوء وقال له : ما تقول يا وزير في هذا الأمر ؟ قال الوزير : الذي أقوله : كل من وقع في هذا الأمر يحتاج للكذب ، وما لهما إلا ضرب أعناقهما بعد أن تعذّبهما بأنواع العذاب . فعندها دعا الملك بسياف نقمته فجاء ومعه صبيانه . فقال الملك : خذوا هذا العلق واضربوا عنقه ، وبعده هذه الفاجرة واحرقوهما ولا تشاوروني في أمرهما مرة ثانية . فعند ذلك حط السياف يده في ظهرها ليأخذها ، فصاح الملك عليه ورجمه بشيء كان في يده كاد أن يقتله وقال له : يا كلب ، كيف تكون حليمًا عند غضبي ؟ حط يدك في شعرها وجرّها منه حتى تقع على وجهها . ففعل كما أمره الملك وسحبها على وجهها وكذلك الغلام إلى أن وصل بهما إلى محل الدم ، وقطع من ذيل ثوبه وعصب عينيه وجرّد سيفه وكان ماضياً ، وأخر بنت الملك ترجياً أن تقع فيها شفاعة وقد اشتغل بالغلام ولعب السيف ثلاث مرات وجميع العسكر يتباكون ويدعون الله أن يحصل لهما شفاعة . فرفع السياف يده وإذا بغبار قد ثار حتى ملأ الأقطار . وكان السبب في ذلك أن الملك أبا الغلام لما أبطأ عليه خبر ولده ، تجهّز في عسكر عظيم وتوجه بنفسه للبحث عن ولده . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الملك عبد القادر فإنه لما ظهر ذلك الغبار قال : يا قوم ما الخبر ؟ وما هذا الغبار الذي قد غشي الأبصار ؟ فنهض الوزير الأكبر ونزل من بين يديه متوجهًا إلى ذلك الغبار ليعرف حقيقة أمره ، فوجد خلقًا كالجراد لا يحصى لهم عدد ولا ينفذ لهم مدد ، قد ملأوا الجبال والأودية والتلال . فعاد الوزير إلى الملك وأخبره بالقضية . فقال الملك للوزير : إنزل واعرف لنا خبر هذا العسكر وما السبب في مجيئهم إلى بلادنا ؟ واسأل عن قائد هذا الجيش وبلّغه مني السلام واسأله : ما سبب حضوره ؟ فإن كان يقصد قضاء حاجة ساعدناه وإن كان له ثار عند أحد من الملوك ركبنا معه ، وإن كان يريد هدية هاديناه . فإن هذا عدد

عظيم وجيش جسيم ونخشى على أرضنا من سطوته . فنزل الوزير ومشى بين الخيام والجنود والأعوان ، ولم يزل ماشيًا من اول النهار إلى قرب المغرب حتى وصل إلى اصحاب السيوف المذهبة والخيام المكوكبة ، ثم وصل من بعدهم إلى الأمراء والوزراء والحجاب والنواب . ولم يزل يتمشى إلى أن وصل إلى السلطان فرآه ملكاً عظيماً ، فلما رآه أرباب الدولة صاحوا عليه : قبّل الأرض . فقبّل الأرض وقام ، فصاحوا عليه ثانياً وثالثاً إلى أن رفع راسه وقصد ان يقوم من طوله من شدة الهيبة . فلما تمثل بين يدي الملك قال : أدام الله ايامك واعز سلطانك ورفع قدرك أيها الملك السعيد وبعد ، فإن الملك عبد القادر يسلّم عليك ويقبّل الأرض بين يديك ويسألك في اي المهمات اتيت ؟ فإن كنت قاصد اخذ ثار من الملوك ركب في خدمتك ، وإن كنت قاصداً غرضاً يمكنه قضاؤه قام بخدمتك في شانه . قال له الملك : أيها الرسول ، إذهب إلى صاحبك وقل له : إن الملك الأعظم له ولد غاب عنه مدة وقد أبطأت عليه أخباره وانقطعت عنه آثاره ، فإن كان في هذه المدينة أخذه وارتحل عنكم ، وإن كان جرى عليه امر من الأمور وارتمى عندكم بمحظور فإن والده يخرب دياركم وينهب أموالكم ويقتل رجالكم ويسبي نساؤكم . فارجع إلى صاحبك سرعة وعرّفه بذلك من قبل أن يحل به البلاء . قال : سمعاً وطاعة . ثم قصد الإنصراف فصاح عليه الحجاب : قبّل الأرض قبّل الارض ، فقبّلها عشرين مرة فما قام إلا وروحه في انفه . ثم خرج من مجلس الملك ولم يزل سائراً وهو متفكر في أمر هذا الملك وكثرة جيوشه إلى أن وصل إلى الملك عبد القادر وهو مقطوف اللون في غاية الوجل مرتعد الفرائص ، ثم عرّفه بما اتفق له . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 736

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الوزير لما رجع من عند الملك الأعظم واخبر الملك عبد القادر بما وقع له وهو مقطوف اللون ترتعد فرائصه من شدة الوجل . قال له الملك عبد القادر وقد داخله الوسواس والمخافة على نفسه وعلى الناس : يا وزير ، من يكون ولد هذا الملك ؟ قال : إن ولده هو الذي أمرت بقتله ، والحمد لله الذي لم يعجل قتله فإن أباه كان يخرب ديارنا وينهب أموالنا . فقال له الملك : أنظر رأيك الفاسد حيث أشرت علينا بقتله ، فأين الغلام ولد هذا الملك الهمام ؟ قال له : أيها الملك الهمام ، إنك قد أمرت بقتله . فلما سمع هذا الكلام اندهش عقله وصاح من صميم قلبه ورأسه : ويلكم ، أدركوا السياف لئلا يوقع عليه القتل ، ففي الوقت أحضروا السياف . فلما حضر قال له : يا ملك الزمان ، قد ضربت عنقه كما أمرتني . فقال له : يا كلب ، إن صح ذلك لا بد أن الحقك به . قال : أيها الملك ، إنك أمرتني بقتله من غير أن اشاورك فيه مرة ثانية . قال الملك : كنت في غيظي . فتكلّم الحق قبل تلف روحك . قال له : أيها الملك ، هو في قيد الحياة . ففرح الملك واطمان قلبه وامر بإحضاره . فلما حضر بين يديه نهض له قائماً على قدميه وقبّل فاه وقال له : يا ولدي ، استغفر الله العظيم مما وقع مني في حقك ، فلا تتكلم بما يحط قدري عند والدك الملك الأعظم . قال الغلام : يا ملك الزمان ، وأين الملك الأعظم ؟ قال له : لقد جاء بسببك . قال الغلام : وحق حرمتك ما أبرح من بين يديك حتى أبرّىء عرضي وعرض بنتك مما نسبنا إليه وهي بكر عذراء ، فاطلب الدايات القوابل لتكشف عليها بين يديك فإن وجدت بكارتها زالت فقد أبحتك دمي وإن كانت عذراء فاظهر

براءة عرضي وعرضها . فدعا القوابل ، فلما كشفت عليها وجدتها عذراء فأخبرن الملك بذلك وطلبن منه الأنعام . فأنعم عليهن وخلع ما كان عليه وكذلك أنعم على جميع من في الحريم وأخرجوا طاسات الطيب فطيبوا أرباب الدولة وفرحوا غاية الفرح . ثم إن الملك اعتنق الغلام وعامله بالتعظيم والإكرام وأمر بإدخاله الحمام مع خاصته من الخدام . فلما خرج أفرغ عليه خلعة سنية وتوجّه بتاج من الجوهر ووشحه بوشاح من الإبريسم مزركش بالذهب الأحمر مرصّع بالدر والجوهر، وأركبه فرساً من احسن الخيل بسرج من الذهب مرصّع بالدر والجوهر، وأمر أرباب ورؤساء مملكته بالركوب في خدمته إلى ان يصل إلى ابيه . ثم أوصى الغلام ان يقول لأبيه الملك الأعظم : إن الملك عبد القادر تحت أمرك، سامع مطيع لك في جميع ما تأمره وتنهاه . فقال الغلام : لا بد من ذلك، ثم ودعه وسار متوجهاً إلى ابيه . فلما نظر إليه أبوه طار عقله من الفرح ، ثم نهض له قائماً على قدميه ومشى له خطوات وعانقه وشاع الفرح والسرور في عسكر الملك الأعظم . ثم حضر جميع الوزراء والحجاب وجميع الجند والقواد وقبّلوا الأرض بين يديه وفرحوا بقدومه . وكان لهم في الفرح يوم عظيم ، وأباح ابن الملك لمن معه وغيرهم من مدينة الملك عبد القادر ان يتفرجوا على ما عليه عساكر الملك الأعظم ولا يعارضهم أحد حتى يروا كثرة جنوده وقوّة سلطانه . فصار كل من دخل سوق البزازين ونظر الغلام قبل ذلك وهو جالس في المكان، يتعجب منه كيف رضي لنفسه ذلك مع شرف نفسه وعظيم منزلته، ولكن أحوجه إلى ذلك حبه وميله لبنت الملك . وشاعت الأخبار بكثرة عساكره فبلغ ذلك حياة النفوس فأشرفت من أعلى القصر ونظرت إلى الجبال فرأتها امتلأت بعساكر وجيوش ، وكانت في قصر ابيها مسجونة تحت الأمر حتى يعلموا ما يأمر به الملك في شأنها إما بالرضى والإطلاق وإما بالقتل والإحراق . فلما رأت حياة النفوس هذه العساكر وعلمت أنها عساكر أبيه خافت ان ابن الملك ينساها ويلتهي عنها بأبيه ثم يرحل عنها فيقتلها أبوها، فأرسلت إليه الجارية التي كانت عندها في المقصورة برسم الخدمة وقالت له : امضي إلى أزدشير ابن الملك ولا تخافي، فإذا وصلت إليه فقبّلي الأرض بين يديه وعرّفيه بنفسك وقولي له : إن سيدتي تسلّم عليك وإنها الآن محبوسة في قصر ابيها تحت الأمر فإما ان يقصد العفو عنها وإما ان يقصد قتلها وتسألك أنك لا تنساها ولا تتركها، فإنك اليوم ذو مقدرة ومهما أشرت إليه لا يقدر احد ان يخالف أمرك . فإن حسن عندك ان تخلصها من ابيها وتأخذها عندك كان من فضلك فإنها قد تحملت هذه المكاره من أجلك، وإن لم يحسن عندك ذلك حيث فرغ غرضك منها فقل لوالدك الملك الأعظم لعله يشفع لها عند أبيها ولا يرحل حتى يطلقها من أبيها ويأخذ عليه العهد والميثاق ان لا يفعل بها سوءاً ولا يتعمّد قتلها . وهذا آخر الكلام ولا أوحش الله منك والسلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 737

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان الجارية حين أرسلتها حياة النفوس إلى ازدشير ابن الملك الأعظم وصلت إليه وأخبرته بكلام سيدتها . فلما سمع منها ذلك الكلام بكا بكاء شديداً وقال لها : اعلمي ان حياة النفوس سيدتي وانا عبد هواها وأسيرها ولا نسيت ما كان بيننا ولا مرارة يوم الفراق فقولي لها بعد ان تقبّلي قدميها : إني احدث أبي في

أمرها ويرسل وزيره الذي خطبك منه أولاً يخطبك فإنه لم يقدر أن يخالف، فإن أرسل إليك أبوك ليشاورك في ذلك فلا تخالفي فإني لا أروح بلادي إلا بك. فرجعت الجارية إلى سيدتها وقبلت يديها وبلغتها رسالته. فلما سمعت ذلك بكت من شدة الفرح وحمدت الله تعالى. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر الغلام فإنه اختلى بأبيه في الليل وسأله عن حاله وما جرى له، فحدّثه بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره. فقال له: ما تريد أن أفعل لك يا ولدي؟ فإن اردت إتلافه أخربت دياره ونهبت أمواله وهتكت حريمه. فقال له: لا أريد ذلك يا أبي فإنه لم يفعل معي شيئًا يوجب ذلك بل أريد اتصالي بها وأريد من إحسانك أن تجهز هدية وتقدّمها لأبيها ولكن تكون هدية نفيسة وترسلها مع وزيرك صاحب الراي السديد. فقال له أبوه: سمعاً وطاعة. ثم إن أباه قصد ما ادخره من قديم الزمان وأخرج منه كل شيء نفيس ثم عرضه على ولده فأعجبه، ثم دعا بالوزير وأرسل ذلك صحبته وأمره أن يسير بذلك إلى الملك عبد القادر ويخطب منه بنته لابنه ويقول له: إقبل هذه الهدية وردّ له الجواب. فسار الوزير متوجهاً إلى الملك عبد القادر، وكان الملك عبد القادر حزيناً من وقت فارق الغلام ولم يزل مشغول الخاطر متوقعًا خراب ملكه وأخذ ضياعه وإذا بالوزير قد أقبل عليه وسلّم وقبّل الأرض بين يديه. فقام له الملك على الأقدام وقابله بالإكرام، فأسرع الوزير ووقع على قدميه وقبلهما وقال له: العفو يا ملك الزمان، إن مثلك لا يقوم لمثلي وأنا أقل عبيد الخدام. واعلم أيها الملك ان ابن الملك تكلّم مع أبيه وعرّفه ببعض فضلك عليه وإحسانك له فشكرك الملك على ذلك وقد جهّز لك صحبة خادمك الذي بين يديك هدية وهو يقرؤك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام. فلما سمع الملك منه ذلك لم يصدّقه من شدة خوفه حتى تقدّمت إليه الهدية، فلما عرضت عليه وجدها هدية لا يفي بقدرها مالاً ولا يقدر ملك من ملوك الأرض على مثلها فصغرت نفسه عنده. فعند ذلك نهض الملك قائمًا على قدميه وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقد شكر الملك ذلك الغلام. ثم قال له الوزير: أيها الملك الكريم إصغ لكلامي واعلم أن الملك الأعظم قد ورد عليك واختار القرب منك وقد جئتك قاصداً راغباً في بنتك السيدة المصونة والجوهرة المكنونة حياة النفوس وزواجها بولده أزدشير، فإن أجبت لهذا الأمر وكنت به راضياً فاتفق معي على صداقها. فلما سمع منه ذلك الكلام قال: سمعاً وطاعة. أما من جهتي أنا فليس عندي مخالفة وهو أحب ما يكون عندي، وأما من جهة البنت فإنها بالغة رشيدة وأمرها بيد نفسها، واعلم ان ذلك الأمر راجع إلى البنت فإنها بالإختيار إلى نفسها. ثم إنه التفت إلى رئيس الخدام وقال له: إمض إلى بنتي وعرّفها بهذه الأحوال. فقال رئيس الخدام: سمعًا وطاعة. ثم إنه مشى حتى طلع قصر الحريم ودخل على بنت الملك وقبّل يديها وأخبرها بما ذكره الملك. ثم قال لها: ما تقولين أنت في جواب هذا الكلام؟ فقالت: سمعاً وطاعة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 738

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن رئيس خدام الحريم لما أخبر بنت الملك بخطبتها لابن الملك الأعظم قالت: سمعًا وطاعة. فلما سمع رئيس خدام الحريم هذا الكلام رجع إلى الملك وأعلمه بالجواب. ففرح بذلك فرحًا شديداً ثم إنه دعا بخلعة سنية وأفرغها على الوزير وأمر له بعشرة آلاف دينار وقال له: أوصل الجواب إلى الملك واستأذنه

لي في أن أنزل إليه . فقال الوزير : سمعاً وطاعة . ثم إن الوزير خرج من عند الملك عبد القادر ومشى حتى وصل إلى الملك الأعظم وأوصل إليه الجواب وبلغه ما معه من الكلام . ففرح الملك بذلك، وأما ابن الملك فإنه قد طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح . ثم أذن الملك الأعظم بأن الملك عبد القادر ينزل إليه ويقابله . فلما كان في اليوم الثاني ، ركب الملك عبد القادر وحضر عند الملك الأعظم فتلقّاه ورفع مكانه وحيّاه وجلس هو وإياه ووقف ابن الملك بين أيديهما . ثم قام خطيب من خاصة الملك عبد القادر وخطب خطبة بليغة وهنّى ابن الملك بما قد حصل له من بلوغ مراده بتزويجه بالملكة سيدة بنات الملوك . ثم إن الملك الأعظم بعد جلوس الخطيب أمر بإحضار صندوق مملوء بالدر والجوهر وخمسين ألف دينار وقال للملك عبد القادر : إني وكيل عن ولدي في جميع ما استقرّ عليه الأمر . فاعترف الملك عبد القادر بقبض الصداق ومن جملته خمسون ألف دينار من أجل فرح بنته سيدة بنات الملوك حياة النفوس . وبعد هذا الكلام أحضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب بنت الملك عبد القادر على ابن الملك الأعظم أزدشير وكان يوماً مشهوداً، وفرحت فيه سائر المحبين واغتاظ به سائر المبغضين والحاسدين . ثم إنهم عملوا الولائم والدعوات . وبعد ذلك دخل عليها ابن الملك فوجدها درة ما ثقبت ومهر لغيره ما ركبت، فريدة مصونة وجوهرة مكنونة وظهر ذلك لأبيها . ثم إن الملك الأعظم سأل ولده : هل بقي في نفسه حاجة قبل الرحيل ؟ قال : نعم أيها الملك، أعلم أني أريد الإنتقام من الوزير الذي اساءنا والطواشي الذي افترى الكذب علينا . فبعث الملك الأعظم إلى الملك عبد القادر في الحال يطلب منه ذلك الوزير والطواشي فأرسلهما إليه . فلما حضرا بين يديه أمر بشنقهما على باب المدينة . ثم اقاموا بعد ذلك مدة يسيرة وطلبوا من الملك عبد القادر إذناً لابنته أن تتجهز للسفر . فجهّزها أبوها وأركبوا ابنة الملك في تخت من الذهب الأحمر مرصّع بالدر والجوهر تجرّه الخيل الجياد، وأخذت معها جميع جواريها وخدمها وعادت الداية إلى مكانها بعد هروبها وصارت على عادتها . وركب الملك الأعظم وولده وركب الملك عبد القادر وجميع أهل مملكته لوداع صهره وابنته وكان يومًا يعد من أحسن الأيام . فلما بعدوا عن الديار حلف الملك الأعظم على صهره أن يرجع إلى بلاده، فودّعه ورجع إلى دياره بعد أن ضمّه إلى صدره وقبّله بين عينيه وشكره على فضله وإحسانه وأوصاه على ابنته . وبعد وداع الملك الأعظم وولده رجع إلى ابنته وعانقها ثم قبّلت يديه وبكيا في موقف الوداع . ثم رجع إلى مملكته وسار ابن الملك الأعظم هو وزوجته ووالده إلى أن وصلوا إلى أرضهم وجدّدوا فرحهم . ثم أقاموا في ألذ عيش وأهناه وأرغده وأحلاه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات ومخرّب القصور ومعمّر القبور . وهذا آخر القصة .

72 - حكاية جلنار وبدر باسم

ومما يحكى أيضًا أيها الملك السعيد، أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان في أرض العجم ملك يقال له : شهرمان . وكان مستقرّه خراسان وكان عنده مائة سرية ولم يرزق منهن في طول عمره بذكر ولا أنثى . فتذكر ذلك يومًا من الأيام وصار يتأسف حيث مضى غالب عمره ولم يرزق بولد ذكر يرث الملك من بعده كما ورثه هو عن آبائه وأجداده، فحصل له بسبب ذلك

غاية الغم والقهر الشديد . فبينما هو جالس يوماً من الأيام إذ دخل عليه بعض مماليكه وقال له : يا سيدي ، إن على الباب جارية مع تاجر لم يرَ أحسن منها . فقال له : عليَّ بالتاجر والجارية . فأتاه التاجر والجارية فلما رآها وجدها تشبه الرمح الرديني وهي ملفوفة في إزار من حرير مزركش بالذهب . فكشف التاجر عن وجهها فأضاء المكان من حسنها وارتخى لها سبع ذوائب حتى وصلت إلى خلاخلها كأذيال الخيل ، وهي بطرف كحيل وردف ثقيل وخصر نحيل تشفي سقام العليل وتطفىء نار الغليل . كما قال الشاعر في المعنى هذه الأبيات : [من الوافر]

كَلِفْتُ بِها وقَدْ تَمَّتْ بِحُسْنٍ ... وكَمَّلَها السَّكِينَةُ والوَقارُ
فَلا طالَتْ ولا قَصُرَتْ ولَـكِنْ ... رَوادِفُها يَضِيقُ بِها الإزارُ
قَوامٌ بَيْنُ إيجازٍ وبَسْطٍ ... فَلا طُولٌ يُعابَ ولا اقْتِصارُ
وشَعْرٌ يَسْبِقُ الخَلْخالَ مِنْها ... ولَـكِنْ وَجْهُها أَبَدًا نَهارُ

فتعجب الملك من رؤيتها وحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وقال للتاجر : يا شيخ بكم هذه الجارية ؟ قال التاجر : يا سيدي اشتريتها بألفي دينار من التاجر الذي كان ملكها قبلي ، ولي ثلاث سنين مسافراً بها فتكلفت إلى أن وصلت إلى هذا المكان ثلاثة آلاف دينار وهي هدية مني إليك . فخلع عليه الملك خلعة سنية وأمر له بعشرة آلاف دينار . فأخذها وقبّل يدي الملك وشكر فضله وإحسانه وانصرف . ثم إن الملك سلم الجارية إلى المواشط وقال لهن : أصلحن أحوال هذه الجارية وزينها وافرشن لها مقصورة وادخلنها فيها ، وأمر حجابه أن تنقل إليها جميع ما تحتاج إليه . وكانت المملكة التي هو مقيم فيها على جانب البحر وكانت مدينته تسمّى المدينة البيضاء . فأدخلوا الجارية في مقصورة ، وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تطل على البحر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 739

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما أخذ الجارية وسلّمها للمواشط وقال لهن : أصلحن شأنها وادخلنها في مقصورة ، وأمر حجابه أن تغلق عليها جميع الأبواب بعد أن ينقلوا لها جميع ما تحتاج إليه . فادخلوها في مقصورة وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تطل على البحر . ثم إن الملك دخل على الجارية فلم تقم له ولم تفكر فيه فقال الملك : كأنها كانت عند قوم لم يعلّموها الأدب . ثم إنه التفت إلى تلك الجارية فرآها بارعة في الحسن والجمال والقد والإعتدال ، ووجهها كأنه دائرة القمر عند تمامه والشمس الضاحيةَ في السماء الصاحية . فتعجب من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فسبّح الله الخالق جلت قدرته . ثم إن الملك تقدم إلى الجارية وجلس بجانبها وضمّها إلى صدره وأجلسها على فخذه ومصّ رضاب ثغرها فوجده أحلى من الشهد . ثم إنه أمر بإحضار الموائد من أفخر الطعام وفيها من سائر الألوان ، فأكل الملك وصار يلقّمها حتى شبعت وهي لم تتكلم بكلمة واحدة . فصار الملك يحدثها ويسألها عن اسمها وهي ساكتة لم تنطق بكلمة ولم ترد عليه جواباً ولم تزل مطرقة برأسها إلى الأرض ، وكان الحافظ لها من غضب الملك عليها فرط حسنها وجمالها والدلال الذي كان لها . فقال الملك في نفسه : سبحان الله خالق هذه الجارية ما أظرفها إلا أنها لا تتكلم ولكن

الكمال لله تعالى . ثم إن الملك سأل الجواري : هل تكلمت ؟ فقلن له : من حين قدومها إلى هذا الوقت لم تتكلم بكلمة واحدة ولم نسمع لها خطاباً . فأحضر الملك بعض الجواري والسراري وأمرهن أن يغنين لها وينشرحن معها لعلها أن تتكلم . فلعبت الجواري والسراري قدامها بسائر الملاهي واللعب وغير ذلك وغنين حتى طرب كل من في المجلس والجارية تنظر إليهن وهي ساكتة ولم تضحك ولم تتكلم . فضاق صدر الملك ثم إنه صرف الجواري واختلى بتلك الجارية ، ثم إنه خلع ثيابه وخلع ثيابها ونظر إلى بدنها فرآه كأنه سبيكة فضة فأحبها محبة عظيمة . ثم قام الملك وأزال بكارتها فوجدها بنتًا بكرًا ففرح فرحاً شديداً وقال في نفسه : يا لله العجب ، كيف تكون جارية مليحة القوام والمنظر وأبقاها التجار بكرًا على حالها؟ ثم إنه مال إليها بالكلية ولم يلتفت إلى غيرها وهجر جميع سراريه والمحاظي وأقام معها سنة كاملة كأنها يوم واحد وهي لم تتكلم . فقال لها يوماً من الأيام وقد زاد عشقه بها والغرام : يا منية النفوس ، إن محبتك عندي عظيمة وقد هجرت من أجلك جميع جواري والسراري والنساء والمحاظي وجعلتك نصيبي من الدنيا ، وقد طولت روحي عليك سنة كاملة وأسأل الله تعالى من فضله أن يلين قلبك لي فتكلميني وإن كنت خرساء فاعلميني بالإشارة حتى أقطع العشم من كلامك ، وأرجو الله سبحانه أن يرزقني منك بولد ذكر يرث ملكي من بعدي فإني وحيد فريد ليس لي من يرثني وقد كبر سني . فبالله عليك إن كنت تحبينني أن تردي عليّ الجواب . فأطرقت الجارية رأسها إلى الأرض وهي تتفكر ثم إنها رفعت رأسها وتبسمت في وجه الملك ، فتخيل للملك البرق قد ملأ المقصورة وقالت : أيها الملك الهمّام والأسد الضرغام ، قد استجاب الله دعائك وإني حامل منك وقد آن آوان الوضع ، ولكن لا أعلم هل الجنين ذكر أو انثى ؟ ولولا أني حملت منك ما كلمتك كلمة واحدة . فلما سمع الملك كلامها تهلّل وجهه بالفرح والإنشراح وقبّل رأسها ويديها من شدة الفرح وقال : الحمد لله الذي منّ علي بأشياء كنت أتمناها ، الأول كلامك والثاني إخبارك بالحمل مني . ثم إن الملك قام من عندها وخرج وجلس على كرسي مملكته وهو في الإنشراح الزائد وأمر الوزير أن يخرج للفقراء والمساكين والأرامل وغيرهم مائة ألف دينار شكراً لله تعالى وصدقة عنه . ففعل الوزير ما أمره به الملك . ثم إن الملك دخل بعد ذلك على الجارية وجلس عندها وحضنها وضمّها إلى صدره وقال لها : يا سيدتي ومالكة رقي لماذا السكوت ولك عندي سنة كاملة ليلاً ونهاراً قائمة نائمة ولم تكلميني في هذه السنة إلا في هذا النهار ؟ فما سبب سكوتك ؟ فقالت الجارية : إسمع يا ملك الزمان واعلم أني مسكينة غريبة مكسورة الخاطر فارقت أمي وأهلي . فلما سمع الملك كلامها عرف مرادها فقال لها : أما قولك مسكينة فليس لهذا الكلام محل فإن جميع ملكي ومتاعي وما أنا فيه في خدمتك وأنا أيضًا صرت مملوكك ، وأما قولك فارقت أمي وأهلي وأخي فاعلميني في أي مكان هم وأنا أرسل إليهم وأحضرهم عندك . فقالت له : أعلم أيها الملك السعيد أن اسمي جلناز البحرية ، وكان أبي من ملوك البحر ومات وخلّف لنا الملك . فبينما نحن فيه إذ تحرّك علينا ملك من الملوك وأخذ الملك من أيدينا ولي أخ يسمّى صالح وأمي من نساء البحر ، فتنازعت أنا وأخي فحلفت أن أرمي نفسي عند رجل من أهل البر . فخرجت من البحر وجلست على طرف جزيرة في القمر فجاز بي رجل فأخذني وذهب بي إلى منزله وراودني عن نفسي فضربته على رأسه فكاد أن يموت ، فخرج بي وباعني

لهذا الرجل الذي اخذتني منه وهو رجل جيد صالح صاحب دين وأمانة ومروءة. ولولا ان قلبك حبني فقدمتني على جميع سراريك ما كنت قعدت عندك ساعة واحدة وكنت رميت نفسي إلى البحر من هذا الشباك واروح إلى أمي وجماعتي وقد استحيت ان أسير إليهم وانا حامل منك فيظنون بي سوءاً ولا يصدقونني ولو حلفت لهم إذا اخبرتهم انه اشتراني ملك بدراهمه وجعلني نصيبه من الدنيا واختص بي عن زوجاته وسائر ما ملكت يمينه. وهذه قصتي والسلام.
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 740

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان جلناز البحرية لما سألها الملك شهرمان حكت له قصتها من أولها إلى آخرها. فلما سمع كلامها شكرها وقبلها بين عينيها وقال لها: والله يا سيدتي ونور عيني إني لم أقدر على فراقك ساعة واحدة وإن فارقتيني مت من ساعتي فكيف يكون الحال؟ فقالت: يا سيدي، قد قرب آوان ولادتي ولا بد من حضور اهلي لأجل ان يباشروني، لأن نساء البر لا يعرفن طريقة ولادة بنات البحر وبنات البحر لا يعرفن طريقة ولادة بنات البر، فإذا حضر اهلي انقلب معهم وينقلبون معي. فقال لها الملك: وكيف يمشون في البحر ولا يبتلّون؟ فقالت: إنّا نمشي في البحر كما تمشون أنتم في البر ببركة الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام. ولكن أيها الملك إذا جاء اهلي وإخوتي فإني أعلمهم انك اشتريتني بمالك وفعلت معي الجميل والإحسان فينبغي ان تصدق كلامي عندهم ويشاهدون حالك بعيونهم ويعلمون انك ملك ابن ملك. فعند ذلك قال الملك: يا سيدتي إفعلي ما بدا لك مما تحبين فإني مطيع لك في جميع ما تفعلينه. فقالت الجارية: أعلم يا ملك الزمان إنّا نسير في البحر وعيوننا مفتوحة وننظر ما فيه وننظر الشمس والقمر والنجوم والسماء كأنها على وجه الأرض ولا يضرّنا ذلك، واعلم ايضاً ان في البحر طوائف كثيرة واشكالاً مختلفة من سائر الأجناس التي في البر، واعلم ايضاً ان جميع ما في البر بالنسبة لما في البحر شيء قليل جداً. فتعجب الملك من كلامها. ثم إن الجارية اخرجت من كتفها قطعتين من العود القماري واخذت منهما جزءاً وأوقدت مجمرة النار والقت ذلك الجزء فيها وصفّرت وصفرة عظيمة وصارت تتكلم بكلام لا يفهمه احد، فطلع دخان عظيم والملك ينظر. ثم قالت للملك: يا مولاي قم واختف في مخدع حتى اريك اخي وامي واهلي من حيث لا يرونك فإني أريد أن احضرهم وتنظر في هذا المكان في هذا الوقت العجب، وتتعجب مما خلق تعالى من الأشكال المختلفة والصور الغريبة. فقام الملك من وقته وساعته ودخل مخدعاً وصار ينظر ما تفعل، فصارت تبخر وتعزم إلى ان ازبد البحر واضطرب وخرج منه شاب مليح الصورة بهي المنظر كأنه البدر في تمامه، بجبين ازهر وخد احمر وشعر كأنه الدر والجوهر وهو اشبه الخلق بأخته ولسان الحال في حقه ينشد هذين البيتين: [من الكامل]

البَدْرُ يَـكْمُلُ كُلَّ شَهْرٍ مَرَّةً ... وجَمالُ وَجْهِكِ كُلَّ يَوْمٍ يَكْمُلُ
وحُلُولُهُ في قَلْبِ بُرْجٍ وَاحِدِ ... ولَكِ القُلُوبُ جَمِيعُهُنَّ المَنْزِلُ

ثم خرج من البحر عجوز شمطاء ومعها خمس جوار كأنهن الأقمار وعليهن شبه من

الجارية التي اسمها جلناز . ثم إن الملك رأى الشاب والعجوز والجواري يمشين على وجه الماء حتى قدموا على الجارية ، فلما قربوا من الشباك ونظرتهم جلناز قامت لهم وقابلتهم بالفرح والسرور ، فلما رآوها عرفوها ودخلوا عندها وعانقوها وبكوا بكاء شديداً ثم قالوا لها : يا جلناز ، كيف تتركيننا أربع سنين ولم نعلم المكان الذي انت فيه ؟ والله إنها ضاقت علينا الدنيا من شدة فراقك ولا نلتذ بطعام ولا شراب يوماً من الأيام ، ونحن نبكي بالليل والنهار من فرط شوقنا إليك . ثم إن الجارية صارت تقبّل يد الشاب أخيها ويد أمها وكذلك بنات عمها وجلسوا عندها ساعة وهم يسألونها عن حالها وما جرى لها وعن ما هي فيه . فقالت لهم : اعلموا أني لما فارقتكم وخرجت من البحر جلست على طرف جزيرة فأخذني رجل وباعني لرجل تاجر ، فأتى بي التاجر إلى هذه المدينة وباعني لملكها بعشرة آلاف دينار . ثم إنه احتفل بي وترك جميع سراريه ونسائه ومحاظيه من أجلي واشتغل بي عن جميع ما عنده وما في مدينته . فلما سمع أخوها كلامها قال : الحمد لله الذي جمع شملنا بك ، لكن قصدي يا أختي أن تقومي وتروحي معنا إلى بلادنا وأهلنا . فلما سمع الملك كلام أخيها طار عقله خوفاً على الجارية أن تقبل كلام أخيها ولا يقدر هو أن يمنعها مع أنه مولع بحبها ، فصار متحيراً شديد الخوف من فراقها . وأما الجارية جلناز فإنها لما سمعت كلام أخيها قالت : والله يا أخي إن الرجل الذي اشتراني ملك هذه المدينة وهو ملك عظيم ورجل عاقل كريم جيد في غاية الجود وقد أكرمني ، وهو صاحب مروءة ومال كثير وليس له ولد ذكر ولا أنثى ، وقد أحسن إليّ وصنع معي كل خير ، ومن يوم جئته إلى هذا الوقت ما سمعت منه كلمة رديئة تسوء خاطري ولم يزل يلاطفني ولا يفعل شيئًا إلا بمشاورتي وأنا عنده في أحسن الأحوال وأتم النعم ، وأيضاً متى فارقته يهلك فإنه لم يقدر على فراقي أبدًا ولا ساعة واحدة وإن فارقته أنا الأخرى مت من شدة محبتي إياه بسبب فرط إحسانه لي مدة مقامي عنده . فإنه لو كان أبي حياً ما كان لي مقام عنده مثل مقامي عند هذا الملك العظيم الجليل المقدار ، وقد رأيتموني حاملة منه والحمد لله الذي جعلني بنت ملك البحر وزوجي أعظم ملوك البرّ ، ولم يقطع الله تعالى بي وعوّضني خيرًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 741

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جلناز البحرية لما حكت لأخيها جميع حكايتها وقالت : إن الله تعالى لم يقطع بي وعوّضني خيراً وإن الملك ليس له ولد ذكر ولا أنثى ، وأطلب من الله تعالى أن يرزقني بولد ذكر يكون وارثاً عن هذا الملك العظيم ما خوّله الله تعالى من هذه العمارات والقصور والأملاك . فلما سمع أخوها وبنات عمها كلامها ، قرّت أعينهن بذلك الكلام وقالوا لها : يا جلناز ، أنت تعلمين بمنزلتك عندنا وتعرفين محبتنا إياك وتتحققين أنك أعز الناس جميعًا عندنا وتعتقدين أن قصدنا لك الراحة من غير مشقة ولا تعب ، فإن كنت في غير راحة فقومي معنا إلى بلادنا وأهلنا ، وإن كنت مرتاحة هنا في معزة وسرور فهذا هو المراد والمنى فإننا لا نريد إلا راحتك على كل حال . فقالت جلناز : والله إني في غاية الراحة والهناء والعز والمنى . فلما سمع الملك منها ذلك الكلام فرح واطمأن قلبه وشكرها على ذلك وازداد فيها حباً ودخل حبّها في صميم قلبه وعلم منها أنها تحبه كما يحبها وأنها تريد القعود عنده حتى ترى ولده منها . ثم إن الجارية التي هي جلناز البحرية أمرت جواريها أن تقدم الموائد

والطعام من سائر الألوان، وكانت جلناز هي التي باشرت الطعام في المطبخ، فقدمت لهم الجواري الطعام والحلويات والفواكه. ثم إنها أكلت هي وأهلها وبعد ذلك قالوا لها: يا جلناز، إن سيدك رجل غريب منا وقد دخلنا بيته من غير إذنه ولم يعلم بنا وأنت تشكرين لنا فضله وأيضًا احضرتي لنا طعامه فأكلنا، ولم نجتمع به ولم نره ولم يرنا ولا حضر عندنا ولا أكل معنا حتى يكون بيننا وبينه خبز وملح، وامتنعوا كلهم من الأكل واغتاظوا عليها وصارت النار تخرج من افواههم كالمشاعل. فلما رأى الملك ذلك طار عقله من شدة الخوف منهم ثم إن جلناز قامت إليهم وطيبت خواطرهم ثم بعد ذلك تمشّت إلى ان دخلت المخدع الذي فيه الملك سيدها وقالت له: يا سيدي، هل رأيت وسمعت شكري لك وثنائي عليك عند أهلي وسمعت ما قالوا لي من انهم يريدون ان يأخذوني معهم إلى أهلنا وبلادنا. فقال لها الملك: سمعت ورأيت جزاك الله عنّا خيرًا، والله ما علمت قدر محبتي عندك إلا في هذه الساعة المباركة ولم اشك في محبتك إياي. فقالت له: يا سيدي، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وانت قد احسنت إليّ وتكرّمت عليّ بجلائل النعم وأراك تحبني غاية المحبة وعملت معي كل جميل واخترتني على جميع من تحب وتريد، فكيف يطيب قلبي على فراقك والرواح من عندك؟ وكيف يكون ذلك وانت تحسن وتتفضل عليّ؟ فأريد من فضلك ان تأتي وتسلّم على أهلي وتراهم ويروك ويحصل الصفاء والود بينكما. ولكن أعلم يا ملك الزمان، أن أخي وأمي وبنات عمي قد احبوك محبة عظيمة لما شكرتك لهم وقالوا: ما نروح إلى بلادنا من عندك حتى نجتمع بالملك ونسلّم عليه. فيريدون أن ينظروك ويأتنسوا بك. فقال لها الملك: سمعاً وطاعة. فإن هذا هو مرادي. ثم إنه قام من مقامه وسار إليهم وسلّم عليهم بأحسن سلام، فبادروا إليه بالقيام وقابلوه أحسن مقابلة وجلس معهم في القصر وأكل معهم على المائدة وأقام هو وإياهم مدة ثلاثين يومًا. ثم بعد ذلك أرادوا التوجه إلى بلادهم ومحلّهم، فأخذوا خاطر الملك والملكة جلناز البحرية ثم ساروا من عندهما بعد أن أكرمهم الملك غاية الإكرام. وبعد ذلك استوفت جلناز أيام حملها وجاء آوان الوضع، فوضعت غلامًا كأنه البدر في تمامه، فحصل للملك بذلك غاية السرور لأنه ما رزق بولد ولا بنت في عمره. فأقاموا الأفراح والزينة مدة سبعة أيام وهم في غاية السرور والهناء، وفي اليوم السابع حضرت أم الملكة جلناز وأخوها وبنات عمها الجميع لمّا علموا ان جلناز قد وضعت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 742

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان جلناز لمّا وضعت وجاء إليها أهلها قابلهم الملك وفرح بقدومهم وقال لهم: أنا قلت ما أسمّي ولدي حتى تحضروا وتسمّوه أنتم بمعرفتكم. فسمّوه بدر باسم واتفقوا جميعًا على هذا الإسم. ثم إنهم عرضوا الغلام على خاله صالح فحمله على يديه وقام به من بينهم وتمشّى في القصر يمينًا وشمالاً، ثم خرج به من القصر ونزل به إلى البحر المالح ومشى حتى خفي عن عين الملك. فلما رآه الملك أخذ ولده وغاب عنه في قاع البحر يئس منه وصار يبكي وينتحب. فلما رأته جلناز على هذه الحالة قالت له: يا ملك الزمان لا تخف ولا تحزن على ولدك فأنا أحب ولدي أكثر منك، وإن ولدي مع أخي فلا تبالي من البحر ولا تخشى عليه من الغرق، ولو علم أخي أنه يحصل للصغير ضرر ما فعل الذي

فعله وفي هذه الساعة يأتيك بولدك سالمًا إن شاء الله تعالى . فلم يكن غير ساعة إلا والبحر قد اختبط واضطرب وطلع منه خال الصغير ومعه ابن الملك سالمًا ، وطار من البحر إلى ان وصل إليهم والصغير على يديه وهو ساكت ووجهه كالقمر في ليلة تمامه . ثم إن خال الصغير نظر إلى الملك وقال له : لعلك خفت على ولدك ضرراً لمّا نزلت به في البحر وهو معي . فقال : نعم يا سيدي ، خفت عليه وما ظننت انه يسلم منه قط . فقال له : يا ملك البرّ ، إنّا كحّلناه بكحل نعرفه وقرأنا عليه الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام . فإن المولود إذا ولد عندنا صنعنا به ما ذكرت لك ، فلا تخف عليه من الغرق ولا الخنق ولا من سائر البحار إذا نزل فيها ، ومثل ما تمشون انتم في البرّ نمشي نحن في البحر . ثم اخرج من جيبه محفظة مكتوبة ففضّ ختامها ونثرها فنزل منها جواهر منظومة من سائر أنواع اليواقيت والجواهر وثلثمائة قضيب من الزمرد وثلثمائة قصبة من الجواهر الكبار التي قدر بيض النعام ، نورها اضوء من نور الشمس والقمر وقال : يا ملك الزمان ، هذه الجواهر واليواقيت هدية مني إليك لأننا ما اتيناك بهدية قط ، لأننا ما كنا نعلم موضع جلناز ولا نعرف لها اثرًا ولا خبرًا . فلما رايناك اتصلت بها وقد صرنا كلنا شيئًا واحد اتيناك بهذه الهدية ، وبعد كل قليل من الأيام نأتيك بمثلها إن شاء الله تعالى . لأن هذه الجواهر واليواقيت عندنا اكثر من الحصى في البرّ ، ونعرف جيدها ورديئها وجميع طرقها ومواضعها وهي سهلة علينا . فلما نظر الملك إلى تلك الجواهر واليواقيت اندهش عقله وحار لبه وقال : والله إن جوهرة من هذه الجواهر تعادل ملكي . ثم إن الملك شكر فضل صالح البحري ونظر إلى الملكة جلناز وقال لها : أنا استحيت من اخيك لأنه تفضّل عليّ وهاداني بهذه الهدية السنية التي يعزّ عنها اهل الأرض . فشكرت جلناز اخاها على ما فعل . فقال اخوها : يا ملك الزمان لك ، علينا حقاً قد سبق وشكرك علينا قد وجب لأنك قد احسنت إلى اختي ودخلنا منزلك واكلنا زادك . وقد قال الشاعر : [من الطويل]

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكاها بَـكَيْتُ صَبابَةً ... بِسَعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
ولَـكِنْ بَـكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي البُكا ... بُـكاها فَقُلْتُ: الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

ثم قال صالح : ولو وقفنا في خدمتك يا ملك الزمان الف سنة على وجوهنا ما قدرنا ان نكافئك وكان ذلك في حقك قليل . فشكره الملك شكرًا بليغًا واقام صالح عند الملك هو وأمه وبنات عمه اربعين يوماً . ثم إن صالحاً اخا جلناز قام وقبّل الأرض بين يدي الملك زوج اخته فقال له : ما تريد يا صالح ؟ فقال صالح : يا ملك الزمان ، قد تفضلت علينا والمراد من إحسانك ان تتصدّق علينا وتعطينا إذنًا فإننا قد اشتقنا إلى اهلنا وبلادنا واقاربنا واوطاننا ، ونحن ما بقينا ننقطع عن خدمتك ولا عن اختي ولا عن ابن اختي . فوالله يا ملك الزمان ما يطيب لقلبي فراقكم ، ولكن كيف نعمل ونحن قد ربينا في البحر وما يطيب لنا البر ؟ فلما سمع الملك كلامه نهض قائماً على قدميه وودّع صالحاً البحري وأمه وبنات عمه وتباكوا للفراق ثم قالوا له : عن قريب نكون عندكم ولا نقطعكم ابدًا ، وبعد كل قليل من الأيام نزوركم . ثم إنهم طاروا وقصدوا البحر حتى صاروا فيه وغابوا عن العين . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 743

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن أقارب جلناز البحرية لما ودعوا الملك وجلناز تباركوا من أجل فراقهم، ثم انهم طاروا ونزلوا في البحر وغابوا عن العين. فأحسن الملك إلى جلناز وأكرمها إكراماً زائدًا ونشأ الصغير منشأ حسناً، وكان خاله وجدته وخالته وبنات عم أمه بعد كل قليل من الأيام يأتون محل الملك ويقيمون عنده الشهر والشهرين ثم يرجعون إلى أماكنهم. ولم يزل الولد يزداد بزيادة السن حسناً وجمالاً إلى أن صار عمره خمسة عشر عاماً، وكان فريدًا في كماله وقده واعتداله وقد تعلّم الخط والقراءة والأخبار والنمو واللغة والرمي بالنشاب، وتعلّم اللعب بالرمح وتعلّم الفروسية وسائر ما تحتاج إليه أولاد الملوك. ولم يبق أحد من أولاد أهل المدينة من الرجال والنساء إلا وله حديث بمحاسن ذلك الصبي لأنه كان بارع الجمال والكمال، متصفاً بمضمون قول الشاعر : [من الكامل]

كَتَبَ العِذارُ بِعَنْبَرٍ في لُؤْلُؤٍ سَطْرَيْنِ مِنْ سَبَجٍ عَلى تُفَّاحِ
القَتْلُ في الحَدَقِ المِراضِ إذا رَنَتْ والسُّكْرُ في الوَجَناتِ لا في الرَّاحِ

فكان الملك يحبه محبة عظيمة. ثم إن الملك أحضر الوزير والأمراء وأرباب الدولة وأكابر المملكة وحلّفهم الإيمان الوثيقة انهم يجعلون بدر باسم ملكًا عليهم بعد أبيه. فحلفوا له الإيمان الوثيقة وفرحوا بذلك. وكان الملك محسناً في حق العالم وكان لطيف الكلام محضر خير لا يتكلم إلا بما فيه المصلحة للناس. ثم إن الملك ركب في ثاني يوم هو وأرباب الدولة وسار الأمراء وجميع العساكر، مشوا في المدينة ورجعوا. فلما قاربوا القصر ترجل الملك في خدمة ولده وصار هو وسائر الأمراء وأرباب الدولة يحملون الغاشية قدامه، فصار كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة يحمل الغاشية ساعة. فلم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دهليز القصر وهو راكب ثم ترجل، فحضنه أبوه هو والأمراء وأجلسوه على سرير الملك ووقف أبوه وكذلك الأمراء قدامه. ثم إن بدر باسم حكم بين الناس وعزل الظالم وولّى العادل واستمرّ في الحكومة إلى قريب الظهر، ثم قام عن سرير الملك ودخل على أمه جلناز البحرية وعلى رأسه التاج وهو كأنه القمر. فلما رأته أمه والملك بين يديه قامت إليه وقبلته وهنته بالسلطنة ودعت له ولوالده بطول البقاء والنصر على الأعداء، فجلس عند والدته واستراح. ولما كان وقت العصر ركب والأمراء بين يديه حتى وصل إلى الميدان ولعب بالسلاح إلى وقت العشاء مع أبيه وأرباب دولته ثم رجع إلى القصر والناس جميعهم بين يديه، وصار في كل يوم يركب إلى الميدان وإذا رجع يقعد للحكومة بين الناس وينصف بين الأمير والفقير. ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة، وبعد ذلك صار يركب للصيد والقنص ويدور في البلدان والأقاليم التي تحت حكمه وينادي بالأمان والإطمئنان ويفعل ما تفعل الملوك، وكان أوحد أهل زمانه في العز والشجاعة والعدل بين الناس. فاتفق أن الملك والد بدر باسم مرض يوماً من الأيام فخفق قلبه وحسّ بالإنتقال إلى دار البقاء، ثم ازداد به المرض حتى أشرف على الموت. فأحضر ولده ووصّاه بالرعية ووصّاه بوالدته وبسائر أرباب دولته وبجميع الأتباع وحلّفهم وعاهدهم على طاعة ولده ثاني مرة واستوثق منهم بالإيمان، ثم مكث بعد ذلك أيامًا قلائل وتوفي إلى رحمة الله تعالى. فحزن عليه ولده بدر باسم وزوجته جلناز والأمراء

والوزراء وأرباب الدولة وعملوا له تربة ودفنوه بها، ثم إنهم قعدوا في عزائه شهراً كاملاً. وأتى صالح أخو جلناز وأمها وبنات عمها وعزّوهم في الملك وقالوا: يا جلناز، إن كان الملك مات فقد خلّف هذا الغلام الماهر، ومن خلّف مثله ما مات. وهذا هو العديم النظير الأسد الكاسر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 744 □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان اخا جلناز صالحاً وأمها وبنات عمها قالوا لها: إن كان الملك قد مات فقد خلف هذا العديم النظير الأسد الكاسر والقمر الزاهر. ثم إن أرباب الدولة والأكابر دخلوا على الملك بدر باسم وقالوا له: يا ملك، لا بأس بالحزن على الملك، ولكن الحزن لا يصلح إلا للنساء فلا تشغل خواطرك وخاطرنا بالحزن على والدك فإنه قد مات وخلّفك، ومن خلّف مثلك ما مات. ثم إنهم لاطفوه وسلوه وبعد ذلك أدخلوه الحمام. فلما خرج من الحمام لبس بدلة فاخرة منسوجة من الذهب مرصعة بالجواهر والياقوت، ووضع تاج الملك على رأسه وجلس على سرير ملكه وقضى أشغال الناس وأنصف القوي من الضعيف وأخذ للفقير حقه من الأمير. فاحبه الناس حباً شديداً ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة، وبعد كل مدة قليلة تزوره أهله البحرية فطاب عيشه وقرّت عينه. ولم يزل على هذه الحالة مدة مديدة. فاتفق أن خاله دخل ليلة من الليالي على جلناز وسلم عليها، فقامت له واعتنقته وأجلسته إلى جانبها وقالت له: يا أخي، كيف حالك وحال والدتي وبنات عمي؟ فقال لها: يا أختي، إنهم طيبون بخير وحظ عظيم ولم ينقص عليهم إلا النظر إلى وجهك. ثم إنها قدمت له شيئًا من الأكل فأكل، ودار الحديث بينهما وذكروا الملك بدر باسم وحسنه وجماله وقده واعتداله وفروسيته وعقله وأدبه. وكان الملك بدر باسم متكئاً فلما سمع أمه وخاله يذكرانه ويتحدثان في شأنه اظهر أنه نائم وصار يسمع حديثهما. فقال صالح لأخته جلناز: إن عمر ولدك سبعة عشر عاماً ولم يتزوج ونخاف أن يجري له أمر ولم يكن له ولد، فأريد أن أزوجه بملكة من ملكات البحر تكون في حسنه وجماله. فقالت جلناز: اذكرهن لي فإني أعرفهن. فصار يعدهن لها واحدة بعد واحدة وهي تقول: ما أرضى هذه لولدي ولا أزوجه إلا بمن تكون مثله في الحسن والجمال والعقل والدين والأدب والمروءة والملك والحسب والنسب. فقال لها: ما بقيت أعرف واحدة من بنات الملوك البحرية، وقد عددت لك أكثر من مائة بنت وأنت ما يعجبك واحدة منهن. ولكن انظري يا أختي هل ابنك نائم أو لا؟ فجسته فوجدت عليه آثار النوم فقالت له: إنه نائم، فما عندك من الحديث؟ وما قصدك بنومه؟ فقال لها: يا أختي، أعلمي أني قد تذكرت بنتاً من بنات البحر تصلح لابنك وأخاف أن أذكرها فيكون ولدك منتبهاً فيتعلق قلبه بمحبتها، وربما لا يمكننا الوصول إليها فيتعب هو ونحن وأرباب دولته ويصير لنا شغل بذلك. وقد قال الشاعر: [من الكامل]

العِشْقُ أَوَّلُ ما يَـكُونُ مَجاجَةً فإذا تَحَـكَّمَ صارَ بَحْرًا واسِعا

فلما سمعت أخته كلامه قالت له: قل لي ما شأن هذه البنت؟ وما اسمها؟ فأنا أعرف بنات البحر من ملوك وغيرهم فإذا رأيتها تصلح له خطبتها من أبيها ولو إني أصرف جميع ما تملكه يدي عليها، فاخبرني بها ولا تخش شيئًا فإن ولدي نائم. فقال: أخاف أن يكون يقظاناً. وقد قال

الشاعر : [من البسيط]

عَشِقْتُهُ عِنْدَما أَوْصافَهُ ذَكَرَتْ ... والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيانا

فقالت له : جلناز : قل واوجز ولا تخف يا أخي . فقال : والله يا أختي ما يصلح لابنك إلا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل ، وهي مثله في الحسن والجمال والبهاء والكمال ، ولا يوجد في البحر ولا في البر الطف ولا أحلى شمائل منها لأنها ذات حسن وجمال وقد واعتدال وخد أحمر وجبين أزهر وشعر كأنه الجوهر وطرف أحور وردف ثقيل وخصر نحيل ووجه جميل ، إن التفتت تخجل المهى والغزلان وإن خطرت يغار غصن البان وإذا اسفرت تخجل الشمس والقمر وتسبي كل من نظر ، عذبة المراشف لينة المعاطف . فلما سمعت كلام اخيها قالت له : صدقت يا أخي ، والله إني رأيتها مراراً عديدة وكانت صاحبتي ونحن صغار وليس لنا اليوم معرفة ببعضنا لموجب البعد ، ولي اليوم ثمانية عشر عاماً ما رأيتها ، والله ما يصلح لولدي إلا هي . فلما سمع بدر باسم كلامهما وفهم ما قالاه من أوله إلى آخره في وصف البنت التي ذكرها صالح وهي جوهرة بنت الملك السمندل ، عشقها بالسماع وأظهر لهم انه نائم وصار في قلبه من اجلها لهيب النار وغرق في بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 745 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك بدر باسم لما سمع كلام خاله صالح وأمه جلناز في وصف بنت الملك السمندل ، صار في قلبه من أجلها لهيب النار وغرق في بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار . ثم إن صالحاً نظر إلى أخته جلناز وقال لها : والله يا أختي ما في ملوك البحر أحمق من أبيها ولا أقوى سطوة منه ، فلا تعلمي ولدك بحديث هذه الجارية حتى نخطبها له من أبيها ، فإن أنعم بإجابتنا حمدنا الله تعالى وإن ردنا ولم يزوجها لابنك فنستريح ونخطب غيرها . فلما سمعت جلناز كلام أخيها صالح قالت : نعم الرأي الذي رأيته . ثم إنهما سكتا وباتا تلك الليلة ، والملك بدر باسم في قلبه لهيب النار من عشق الملكة جوهرة ، وكتم حديثه ولم يقل لأمه ولا لخاله شيئًا من خبرها مع انه من حبها على مقالي الجمر . فلما أصبحوا دخل الملك هو وخاله الحمام واغتسلا ، ثم خرجا وشربا الشراب وقدموا بين أيديهم الطعام ، فأكل الملك بدر باسم وأمه وخاله حتى اكتفوا ، ثم غسلوا أيديهم . وبعد ذلك قام صالح على قدميه وقال للملك بدر باسم وأمه جلناز : عن إذنكما ، قد عزمت على الرواح إلى الوالدة فإن لي عندكم مدة أيام وخاطرهم مشغول عليّ وهم في انتظاري . فقال الملك بدر باسم لخاله صالح : اقعد عندنا هذا اليوم . فامتثل كلامه . ثم إنه قال : قم بنا يا خالي واخرج بنا إلى البستان . فذهبا إلى البستان وصارا يتفرجان ويتنزهان ، فجلس الملك بدر باسم تحت شجرة مظلة وأراد أن يستريح وينام فتذكّر ما قاله خاله صالح من وصف الجارية وما فيها من الحسن والجمال ، فبكى بدموع غزار وأنشد هذين البيتين : [من البسيط]

لَوْ قِيلَ لِي ولَهِيبُ النَّارِ مُتَّقِدٌ ... والنَّارُ في القَلْبِ والأَحْشاءِ تَضْطَرِمُ

أَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تُشاهِدَهُمْ ... أَمْ شُرْبَةٌ مِنْ زُلالِ الماءِ قُلْتُ : هُمُ .

ثم شكى وأنّ وبكى وأنشد هذين البيتين : [من الخفيف]

مَنْ مُجِيري مِنْ عِشْقِ ظَبْيَةِ أُنْسٍ ذاتِ وَجْهٍ كالشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَجْمَلْ
كانَ قَلْبِي مِنْ حُبِّها مُسْتَرِيحاً فَتَلَظَّى بِحُبِّ بِنْتِ السَّمَنْدَلْ

فلما سمع خاله صالح مقاله ، دق يداً على يد وقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم قال له : هل سمعت يا ولدي ما تكلمت به أنا وأمك من حديث الملكة جوهرة وذكرنا لأوصافها . فقال بدر باسم : نعم يا خالي وعشقتها على السماع حين سمعت ما قلتم من الكلام ، وقد تعلق قلبي بها وليس لي صبر عنها . فقال له : يا ملك ، دعنا نرجع إلى أمك ونعلمها بالقضية واستأذنها في أني آخذك معي واخطب لك الملكة جوهرة ثم نودّعها وأرجع أنا وأنت ، لأني أخاف إن أخذتك وسرت من غير إذنها أن تغضب عليّ ويكون الحق معها ، لأني أكون السبب في فراقكما كما أني كنت السبب في افتراقها منا ، وتبقى المدينة بلا ملك وليس عندهم من يسوسهم وينظر أحوالهم فيفسد عليك أمر المملكة ويخرج الملك من يدك . فلما سمع بدر باسم كلام خاله صالح قال له : أعلم يا خالي اني متى رجعت إلى أمي وشاورتها في ذلك لم تمكّني من ذلك ، فلا أرجع إليها ولا أشاورها أبداً . وبكى قدام خاله وقال له : أروح معك ولا أعلمها ثم أرجع . فلما سمع صالح كلام ابن أخته حار في أمره وقال : استعنت بالله تعالى على كل حال . ثم إن خاله صالحاً لما رأى ابن أخته على هذه الحالة وعلم انه لا يحب أن يرجع إلى أمه بل يروح معه ، أخرج من إصبعه خاتماً منقوشاً عليه أسماء من أسماء الله تعالى وناول الملك بدر باسم إياه وقال له : إجعل هذا في إصبعك تأمن من الغرق ومن غيره ومن شر دواب البحر وحيتانه . فأخذ الملك بدر باسم الخاتم من خاله صالح وجعله في إصبعه ، ثم إنهما غطسا في البحر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 746

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك بدر باسم وخاله صالحًا لما غطسا في البحر سارا ، ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قصر صالح فدخلاه ، فرأته جدته أم أمه وهي قاعدة وعندها أقاربها . فلما دخلا عليهم قبّلا أيديهم ، فلما رأته جدته قامت إليه واعتنقته وقبّلت ما بين عينيه وقالت له : قدوم مبارك يا ولدي ، كيف خلفت أمك جلناز ؟ قال لها : طيبة بخير وعافية وهي تسلم عليك وعلى بنات عمها . ثم إن صالحاً أخبر أمه بما وقع بينه وبين أخته جلناز وأن الملك بدر باسم عشق الملكة جوهرة بنت الملك السمندل على السماع ، وقصّ لها القصة من أولها إلى آخرها وقال : إنه ما أتى إلا ليخطبها من أبيها ويتزوّجها . فلما سمعت جدة الملك بدر باسم كلام صالح ، اغتاظت عليه غيظاً شديداً وانزعجت واغتمّت وقالت له : يا ولدي ، لقد أخطأت بذكر الملكة جوهرة بنت الملك السمندل قدام ابن أختك ، لأنك تعلم أن الملك السمندل أحمق جبار قليل العقل شديد السطوة بخيل بابنته جوهرة على خطابها ، فإن سائر ملوك البحر خطبوها منه فأبى ولم يرض بأحد منهم بل ردّهم وقال لهم : ما أنتم أكفاء لها في الحسن ولا في الجمال ولا في غيرهما . ونخاف أن نخطبها من أبيها فيردّنا كما ردّ غيرنا ، ونحن أصحاب مروءة فنرجع مكسورين الخاطر . فلما سمع صالح كلام أمه قال لها : يا أمي ، كيف يكون العمل ؟ فإن الملك بدر باسم قد عشق هذه البنت لما ذكرتها لأختي جلناز وقال : لا بد

أن نخطبها من أبيها ولو أبذل جميع ملكي وزعم أنه إن لم يتزوج بها يموت فيها عشقاً وغراماً. ثم إن صالحاً قال لأمه: أعلمي أن ابن أختي أحسن وأجمل منها، وأن أباه كان ملك العجم بأسره وهو الآن ملكهم ولا تصلح جوهرة إلا له. وقد عزمت على أني آخذ جواهر من يواقيت وغيرها وأحمل هدية تصلح له واخطبها منه، فإن احتج علينا بأنه ملك فهو أيضاً ملك ابن ملك، وإن احتج علينا بالجمال فهو أجمل منها، وإن احتج علينا بسعة المملكة فهو أوسع مملكة منها ومن أبيها وأكثر أجنادا وأعواناً. فإن ملكه أكبر من ملك أبيها ولا بد أن أسعى في قضاء حاجة ابن أختي ولو أن روحي تذهب لأني كنت سبب هذه القضية، ومثل ما رميته في بحار عشقها أسعى في زواجه بها والله تعالى يساعدني على ذلك. فقالت له أمه: إفعل ما تريد وإياك أن تغلظ عليه بالكلام إذا كلمته، فإنك تعرف حماقته وسطوته وأخاف أن يبطش بك لأنه لم يعرف قدر أحد. فقال لها: السمع والطاعة. ثم إنه نهض وأخذ معه جرابين ملآنين من الجواهر واليواقيت وقضبان الزمرد ونفايس المعادن من سائر الأحجار وحمّلهما لغلمانه وسار بهم هو وابن أخته إلى قصر الملك السمندل واستأذن في الدخول عليه، فأذن له. فلما دخل قبّل الأرض بين يديه وسلم بأحسن سلام، فلما رآه الملك السمندل قام إليه وأكرمه غاية الإكرام وأمره بالجلوس فجلس. فلما استقرّ به الجلوس قال له الملك: قدوم مبارك أوحشتنا يا صالح، ما حاجتك حتى أنك أتيت إلينا؟ فأخبرني بحاجتك حتى أقضيها لك. فقام وقبّل الأرض ثاني مرة وقال: يا ملك الزمان، حاجتي إلى الله وإلى الملك الهمام والأسد الضرغام الذي بمحاسن ذكره سارت الركبان وشاع خبره في الأقاليم والبلدان بالجود والإحسان والعفو والصفح والإمتنان. ثم إنه فتح الجرابين وأخرج منهما الجواهر وغيرهما ونثرها قدام الملك السمندل وقال له: يا ملك الزمان، عساك تقبل هديتي وتتفضل عليّ وتجبر قلبي بقبولها مني. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 747

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن صالحًا لما قدم الهدية إلى الملك السمندل وقال له: القصد من الملك أن يتفضّل عليّ ويجبر قلبي بقبولها مني. قال له الملك السمندل: لأي سبب أهديت لي هذه الهدية؟ قل لي قصتك واخبرني بحاجتك، فإن كنت قادراً على قضائها قضيتها لك في هذه الساعة ولا أحوجك إلى تعب، وإن كنت عاجزاً عن قضائها فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فقام وقبّل الأرض ثلاث مرات وقال: يا ملك الزمان، إن حاجتي أنت قادر على قضائها وهي تحت حوزك وأنت مالكها ولم أكلف الملك مشقة ولم أكن مجنوناً حتى أخاطب الملك في شيء لا يقدر عليه. فبعض الحكماء قال: إذا أردت أن تطاع فسل عن ما يستطاع. فأما حاجتي التي جئت في طلبها فإن الملك حفظه الله قادر عليها فقال له الملك: إسأل حاجتك واشرح قضيتك واطلب مرادك. فقال له: يا ملك الزمان، أعلم أني قد أتيتك خاطباً راغباً في الدرة اليتيمة والجوهرة المكنونة الملكة جوهرة بنت مولانا فلا تخيب أيها الملك قاصدك. فلما سمع الملك كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه استهزاء به وقال: يا صالح، كنت أحسبك رجلاً عاقلاً وشاباً فاضلاً لا تسعى إلا بسداد ولا تنطق إلا برشاد، وما الذي أصاب عقلك ودعاك إلى هذا الأمر العظيم والخطر الجسيم حتى أنك تخطب بنات الملوك أصحاب البلدان والأقاليم؟

وهل بلغ من قدرك أنك انتهيت إلى هذه الدرجة العالية ؟ وهل نقص عقلك إلى هذه الغاية حتى تواجهني بهذا الكلام ؟ فقال صالح : اصلح الله الملك ، إني لم اخطبها لنفسي ولو خطبتها لنفسي كنت كفؤًا لها بل اكثر لأنك تعلم ان أبي ملك من ملوك البحر وإن كنت اليوم ملكنا ، ولكن أنا ما خطبتها إلا للملك بدر باسم صاحب أقاليم العجم وأبوه الملك شهرمان وأنت تعرف سطوته ، وإن زعمت أنك ملك عظيم فالملك بدر باسم ملك أعظم ، وإن ادعيت ان ابنتك جميلة فالملك بدر باسم اجمل منها واحسن صورة وافضل حسباً ونسباً فإنه فارس زمانه . فإن اجبت إلى ما سألتك تكن يا ملك الزمان قد وضعت الشيء في محله ، وإن تعاظمت علينا فإنك ما انصفتنا ولا سلكت بنا الطريق المستقيم . وانت تعلم ايها الملك ان هذه الملكة جوهرة بنت مولانا الملك لا بد لها من الزواج ، فإن الحكيم يقول : لا بد للبنت من الزواج او القبر . فإن كنت عزمت على زواجها فإن ابن أختي أحق بها من سائر الناس . فلما سمع الملك كلام الملك صالح ، اغتاظ غيظًا شديدًا وكاد عقله ان يذهب وكادت روحه أن تخرج من جسده وقال له : يا كلب الرجال ، هل مثلك يخاطبني بهذا الكلام وتذكر ابنتي في المجالس وتقول : أن ابن أختك جلناز كفؤ لها ؟ فمن هو انت ؟ ومن هي اختك ؟ ومن هو ابنها ؟ ومن هو أبوه ؟ حتى تقول لي هذا الكلام وتخاطبني بهذا الخطاب . فهل أنتم بالنسبة إليها إلا كلاب ؟ ثم صاح على غلمانه وقال : يا غلمان ، خذوا راس هذا العلق . فأخذوا السيوف وجرّدوها وطلبوه فولّى هارباً ولباب القصر طالباً . فلما وصل إلى باب القصر رأى أولاد عمه وقرائبه وعشيرته وغلمانه وكانوا أكثر من الف فارس ، غارقين في الحديد والزرد النضيد وبأيديهم الرماح وبيض الصفاح . فلما رأوا صالحاً على تلك الحالة قالوا له : ما الخبر ؟ فحدّثهم بحديثه . وكانت أمه قد ارسلتهم إلى نصرته ، فلما سمعوا كلامه علموا أن الملك أحمق شديد السطوة ، فترجلوا عن خيولهم وجرّدوا سيوفهم ودخلوا على الملك السمندل فرأوه جالساً على كرسي مملكته غافلاً عن هؤلاء وهو شديد الغيظ على صالح ، ورأوا خدامه وغلمانه وأعوانه غير مستعدين . فلما رآهم وبأيديهم السيوف مجرّدة صاح على قومه وقال : يا ويلكم ، خذوا رؤوس هؤلاء الكلاب . فلم تكن غير ساعة حتى انهزم قوم الملك السمندل وركنوا إلى الفرار ، وكان صالح واقاربه قد قبضوا على الملك السمندل وكتّفوه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 748

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان صالحاً واقاربه كتّفوا الملك السمندل . ثم إن جوهرة لما انتبهت علمت ان اباها قد اسر وان اعوانه قد قتلوا فخرجت من القصر هاربة إلى بعض الجزائر ، ثم إنها قصدت شجرة عالية واختفت فوقها . ولما اقتتل هؤلاء الطائفتان فرّ بعض غلمان الملك السمندل هاربين فرآهم بدر باسم فسألهم عن حالهم ، فأخبروه بما وقع . فلما سمع أن الملك السمندل قبض عليه ، ولّى هارباً وخاف على نفسه وقال في قلبه : إن هذه الفتنة كانت من أجلي وما المطلوب إلا انا . فولّى هارباً وللنجاة طالباً وصار لا يدري أين يتوجه ، فساقته المقادير الأزلية إلى تلك الجزيرة التي فيها جوهرة بنت الملك السمندل . فأتى عند الشجرة وانطرح مثل القتيل وأراد الراحة بانطراحه ولا يعلم ان كل مطلوب لم يسترح ولا يعلم أحد ما خفي له في الغيب من التقادير . فلما رقد رفع بصره نحو الشجرة فوقعت عينه في

عين جوهرة، فنظر إليها فرآها كأنها القمر إذا أشرق فقال: سبحان خالق هذه الصورة البديعة وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير، سبحان الله العظيم الخالق البادىء المصور، والله إن صدقني حذري تكون هذه جوهرة بنت الملك السمندل. واظنها لما سمعت بوقوع الحرب بينهما هربت وأتت إلى هذه الجزيرة واختفت فوق هذه الشجرة، وإن لم تكن هذه هي الملكة جوهرة فهذه أحسن منها. ثم إنه صار متفكراً في أمرها وقال في نفسه: أقوم أمسكها وأسألها عن حالها، فإن كانت هي فإني أخطبها من نفسها وهذا هو بغيتي. فانتصب قائماً على قدميه وقال لجوهرة: يا غاية المطلوب، من أنت؟ ومن أتى بك إلى هذا المكان؟ فنظرت جوهرة إلى بدر باسم فرأته كأنه البدر إذا ظهر من تحت الغمام الأسود وهو رشيق القوام مليح الإبتسام فقالت له: يا مليح الشمائل، أنا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل، وقد هربت في هذا المكان لأن صالحًا وجنده تقاتلوا مع أبي وقتلوا جنده وأسروه هو وبعض جنده فهربت أنا خوفاً على نفسي. ثم إن الملكة جوهرة قالت للملك بدر باسم: وأنا ما أتيت إلى هذا المكان إلا هاربة خوفاً من القتل، ولم أدر ما فعل الزمان بأبي. فلما سمع الملك بدر باسم كلامها، تعجب غاية العجب من هذا الإتفاق الغريب وقال: لا شك أني نلت غرضي بأسر أبيها. ثم إنه نظر إليها وقال لها: انزلي يا سيدتي فإني قتيل هواك وأسرتني عيناك، وعلى شاني وشانك كانت هذه الفتنة وهذه الحروب. واعلمي أني أنا الملك بدر باسم ملك العجم وأن صالحاً هو خالي وهو الذي أتى إلى أبيك وخطبك منه، وأنا قد تركت ملكي لأجلك واجتماعنا في هذا الوقت من عجائب الإتفاق. فقومي وانزلي عندي حتى أروح أنا وأنت إلى قصر أبيك وأسأل خالي صالحاً في إطلاقه وأتزوج بك في الحلال. فلما سمعت جوهرة كلام بدر باسم قالت في نفسها: على شان هذا العلق اللئيم كانت هذه القضية وأسر أبي وقتل حجابه وحشمه وتشتت أنا عن قصري وخرجت مسبية إلى تلك الجزيرة؟ فإن لم أعمل معه حيلة أتحصن بها منه تمكّن مني ونال غرضه لأنه عاشق، والعاشق مهما فعله لا يلام عليه فيه. ثم إنها خادعته بالكلام ولين الخطاب وهو لا يدري ما أضمرته له من المكائد وقالت له: يا سيدي ونور عيني، هل أنت الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز؟ فقال لها: نعم يا سيدتي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 749

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جوهرة بنت الملك السمندل قالت للملك بدر باسم: هل أنت يا سيدي الملك بدر باسم بن الملكة جلناز؟ قال لها: نعم يا سيدتي. فقالت: قطع الله أبي وأزال ملكه عنه ولا جبر له قلباً ولا ردّ له غربة إن كان يريد أحسن منك وأحسن من هذه الشمائل الظريفة، والله إنه قليل العقل والتدبير. ثم قالت له: يا ملك الزمان لا تؤاخذ أبي بما فعل، وإن كنت أحببتني شبراً فأنا أحببتك ذراعًا وقد وقعت في شرك هواك وصرت من جملة قتلاك، وقد انتقلت المحبة التي كانت عندك وصارت عندي وما بقي عندك منها إلا معشار ما عندي. ثم إنها نزلت من فوق الشجرة وقربت منه وأتت إليه واعتنقته وضمته إلى صدرها تقبله. فلما رأى الملك بدر باسم فعلها فيه ازدادت محبته لها واشتد غرامه بها وظن أنها عشقته، ووثق بها وصار يضمّها ويقبّلها. ثم إنه قال لها: يا ملكة، والله لم يصف لي خالي صالح ربع معشار ما أنت عليه من الجمال ولا ربع قيراط من أربعة وعشرين قيراطاً.

ثم إن جوهرة ضمّته إلى صدرها وتكلّمت بكلام لا يفهم وتفلت في وجهه وقالت له : أخرج من هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر أحسن الطيور أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين . فما تمّ كلامها حتى انقلب الملك بدر باسم إلى صورة طائر أحسن ما يكون من الطيور وانتفض ووقف على رجليه وصار ينظر إلى جوهرة . وكان عندها جارية من جواريها تسمّى مرسينة فنظرت إليها وقالت : والله لولا أخاف من كون أبي أسيراً عند خاله لقتلته فلا جزاه الله خيراً ، فما أشأم قدومه علينا فهذه الفتنة كلها من تحت رأسه . ولكن يا جارية خذيه واذهبي به إلى الجزيرة المعطشة واتركيه هناك حتى يموت عطشانًا . فأخذته الجارية وأوصلته إلى الجزيرة وأرادت الرجوع من عنده ثم قالت في نفسها : والله إن صاحب هذا الحسن والجمال لا يستحق أن يموت عطشاناً . ثم إنها أخرجته من الجزيرة المعطشة وأتت به إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار فوضعته فيها ورجعت إلى سيدتها وقالت لها : قد وضعته في الجزيرة المعطشة . هذا ما كان من أمر بدر باسم . وأما ما كان من أمر صالح خال الملك بدر باسم ، فإنه لمّا احتوى على الملك السمندل وقتل أعوانه وخدمه وصار تحت أسره ، قد طلب جوهرة بنت الملك فلم يجدها . فرجع إلى قصره عند أمه وقال : يا أمي أين ابن أختي الملك بدر باسم ؟ فقالت : يا ولدي ، والله ما لي به علم ولا أعرف أين ذهب . فإنه لمّا بلغه أنك تقاتلت مع الملك السمندل وجرت بينكم الحروب والقتال فزع وهرب . فلما سمع صالح كلام أمه حزن على ابن أخته وقال : يا أمي ، والله إننا قد فرطنا في الملك بدر باسم وأخاف أن يهلك أو يقع به أحد من جنود الملك السمندل أو تقع به ابنة الملك جوهرة ، فيحصل لنا من أمه خجل ولا يحصل لنا منها خير لأني قد أخذته بغير إذنها . ثم إنه بعث خلفه الأعوان والجواسيس إلى جهة البحر وغيره فلم يقفوا له على خبر ، فرجعوا أعلموا الملك صالحاً بذلك فزاد همّه وغمّه وقد ضاق صدره على الملك بدر باسم . هذا ما كان من أمر الملك بدر باسم وخاله صالح . وأما ما كان من أمر أمه جلناز البحرية ، فإنها لما نزل ابنها بدر باسم مع خاله صالح ، انتظرته فلم يرجع إليها وأبطأ خبره عنها . فقعدت أياماً عديدة في انتظاره ثم إنها قامت ونزلت في البحر وأتت أمها . فلما نظرتها أمها قامت إليها وقبّلتها واعتنقتها وكذلك بنات عمها ، ثم إنها سألت أمها عن الملك بدر باسم فقالت لها : يا بنتي ، قد أتى هو وخاله . ثم إن خاله قد أخذ يواقيت وجواهر وتوجه بها هو وإياه إلى الملك السمندل وخطب ابنته فلم يجبه ، وشدّد على أخيك في الكلام . فأرسلت إلى أخيك نحو ألف فارس ووقع الحرب بينهم وبين الملك السمندل فنصر الله أخاك عليه وقتل أعوانه وجنوده وأسر الملك السمندل ، فبلغ ذلك الخبر ولدك فكأنه خاف على نفسه فهرب من عندنا بغير اختيارنا ولم يعد إلينا بعد ذلك ولم نسمع له خبراً . ثم إن جلناز سألتها عن أخيها صالح فأخبرتها أنه جالس على كرسي المملكة في محل الملك السمندل ، وقد أرسل إلى جميع الجهات بالتفتيش على ولدك وعلى الملكة جوهرة . فلما سمعت جلناز كلام أمها حزنت على ولدها حزنًا شديداً واشتد غضبها على أخيها صالح لكونه أخذ ولدها ونزل به البحر من غير إذنها . ثم إنها قالت : يا أمي ، إني خائفة على الملك الذي لنا لأني أتيتكم وما أعلمت أحدًا من أهل المملكة وأخشى إن أبطأت عليهم أن يفسد الملك علينا وتخرج المملكة من أيدينا . والرأي السديد أني أرجع وأسوس المملكة إلى أن يدبر الله لنا أمر ولدي ، ولا تنسوا ولدي ولا تتهاونوا في أمره فإنه إن حصل له ضرر هلكت لا محالة لأني لا أرى الدنيا إلا به ولا

التذ إلا بحياته . فقالت : حباً وكرامة يا بنتي ، لا تسالي على ما عندنا من فراقه وغيبته . ثم إن أمها ارسلت من يفتّش عليه ورجعت أمه حزينة القلب باكية العين إلى المملكة وقد ضاقت بها الدنيا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 750

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة جلناز لما رجعت من عند أمها إلى مملكتها ، قد ضاق صدرها واشتد أمرها . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر الملك بدر باسم ، فإنه لما سحرته الملكة جوهرة وارسلته مع جاريتها إلى الجزيرة المعطشة وقالت لها : دعيه فيها يموت عطشاناً ، لم تضعه الجارية إلا في جزيرة خضراء مثمرة ذات أشجار وأنهار ، فصار يأكل من الثمار ويشرب من الأنهار . ولم يزل كذلك مدة أيام وليالي وهو في صورة طائر لا يعرف أين يتوجه ولا كيف يطير . فبينما هو ذات يوم من الأيام في تلك الجزيرة إذ أتى هناك صياد من الصيادين ليصطاد شيئًا يتقوّت به فرأى الملك بدر باسم وهو في صورة طائر أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين يسبي الناظر ويدهش الخاطر . فنظر إليه الصياد فأعجبه وقال في نفسه : إن هذا الطائر مليح وما رأيت طيراً مثله في حسنه ولا في شكله . ثم إنه رمى الشبكة عليه واصطاده ودخل به المدينة وقال في نفسه : إني أبيعه وآخذ ثمنه . فقابله واحد من أهل المدينة وقال له : بكم هذا الطائر يا صياد ؟ فقال له الصياد : إذا اشتريته ماذا تعمل به ، قال : أذبحه وآكله . فقال له الصياد : من يطيب قلبه ان يذبح هذا الطائر ويأكله ؟ إني أريد أن أهديه إلى الملك فيعطيني أكثر من المقدار الذي تعطينيه أنت في ثمنه ، ولا يذبحه بل يتفرّج عليه وعلى حسنه وجماله ، لأني في طول عمري وأنا صياد ما رأيت مثله في صيد البحر ولا في صيد البر . وأنت إن رغبت فيه نهاية ما تعطيني في ثمنه ؟ درهماً وأنا والله العظيم لا أبيعه . ثم إن الصياد ذهب به إلى دار الملك ، فلما رآه الملك أعجبه حسنه وجماله وحمرة منقاره ورجليه فأرسل إليه خادمًا ليشتريه منه . فأتى الخادم إلى الصياد وقال له : أتبيع هذا الطائر ؟ قال : لا ، بل هو للملك هدية مني إليه . فأخذه الخادم وتوجه به إلى الملك وأخبره بما قاله . فأخذه الملك وأعطى الصياد عشرة دنانير ، فأخذها وقبّل الأرض وانصرف . وأتى الخادم بالطائر إلى قصر الملك ووضعه في قفص مليح وعلّقه وحطّ عنده ما يأكل وما يشرب . فلما نزل الملك قال للخادم : أين الطائر ؟ أحضره حتى أنظره ، والله إنه مليح . فأتى به الخادم ووضعه بين يدي الملك وقد رأى الأكل الذي عنده لم يأكل منه شيئًا . فقال الملك : والله لا أدري ما يأكل حتى أطعمه . ثم أمر بإحضار الطعام فاحضرت الموائد بين يديه ، فأكل الملك من ذلك . فلما نظر الطير إلى اللحم والطعام والحلويات والفواكه أكل من جميع ما في السماط الذي قدام الملك . فبهت له الملك وتعجب من أكله وكذلك الحاضرون . ثم قال الملك لمن حوله من الخدام والمماليك : عمري ما رأيت طيراً يأكل مثل هذا الطير . ثم أمر الملك أن تحضر زوجته لتتفرج عليه ، فمضى الخادم ليحضرها فلما رآها قال لها : يا سيدتي ، إن الملك يطلبك لأجل أن تتفرجي على هذا الطير الذي اشتراه ، فإننا لما حضرنا بالطعام طار من القفص وسقط على المائدة وأكل من جميع ما فيها . فقومي يا سيدتي تفرّجي عليه فإنه مليح المنظر وهو أعجوبة من أعاجيب الزمان . فلما سمعت كلام الخادم أتت بسرعة ، فلمّا نظرت إلى الطير وتحقّقته غطّت وجهها وولّت راجعة . فقام الملك وراءها وقال لها : لأي شيء غطّيت وجهك ؟

وما عندك غير الجواري والخدام التي في خدمتك وزوجك. فقالت له: أيها الملك، إن هذا الطير ليس بطائر وإنما هو رجل مثلك. فلما سمع كلام زوجته قال لها: تكذبي، ما أكثر ما تمزحين، كيف يكون غير طائر؟ فقالت له: والله ما مزحت معك ولا قلت لك إلا حقاً، إن هذا الطير الملك بدر باسم ابن الملك شهرمان صاحب بلاد العجم وأمه جلناز البحرية. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 751

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زوجة الملك لما قالت للملك: أن هذا ليس بطائر وإنما هو رجل مثلك وهو الملك بدر باسم ابن الملك شهرمان وأمه جلناز البحرية قال لها: وكيف صار إلى هذا الشكل؟ قالت له: إنه قد سحرته الملكة جوهرة بنت الملك السمندل، ثم حدثته بما جرى له من أوله إلى آخره وإنه قد خطب جوهرة من أبيها فلم يرض أبوها بذلك، وإن خاله صالحاً اقتتل هو والملك السمندل وانتصر صالح عليه وأسره. فلما سمع الملك كلام زوجته تعجب غاية العجب، وكانت هذه الملكة زوجته أسحر أهل زمانها. فقال لها الملك: بحياتي عليك أن تحليه من سحره ولا تخليه معذباً قطع الله تعالى يد جوهرة ما أقبحها وما أقل دينها وأكثر خداعها ومكرها. قالت له زوجته: قل له: يا بدر باسم ادخل هذه الخزانة. فأمره الملك أن يدخل الخزانة. فلما سمع كلام الملك دخل الخزانة، فقامت زوجة الملك وسترت وجهها وأخذت في يدها طاسة ماء ودخلت الخزانة وتكلّمت على الماء بكلام لا يفهم وقالت له: بحق هذه الأسماء العظام والآيات الكرام وبحق الله تعالى خالق السموات والأرض ومحيي الأموات وقاسم الأرزاق والآجال أن تخرج من هذه الصورة التي أنت فيها وترجع إلى الصورة التي خلقك الله عليها. فلم يتم كلامها حتى انتفض نفضة ورجع إلى صورته، فرآه الملك شاباً مليحاً ما على وجه الأرض أحسن منه. ثم إن الملك بدر باسم لما نظر إلى هذه الحالة قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، سبحان خالق الخلائق ومقدر أرزاقهم وآجالهم. ثم إنه قبّل يدي الملك ودعا له بالبقاء، وقبّل الملك رأس بدر باسم وقال له: يا بدر باسم، حدثني بحديثك من أوله إلى آخره. فحدثه الملك بحديثه ولم يكتم منه شيئاً. فتعجب الملك من ذلك ثم قال له: يا بدر باسم، قد خلصك الله من السحر فما الذي اقتضاه رأيك؟ وما تريد أن تصنع؟ قال له: يا ملك الزمان، أريد من إحسانك أن تجهز لي مركباً وجماعة من خدامك وجميع ما أحتاج إليه، فإن لي زماناً طويلاً وأنا غائب وأخاف أن تروح المملكة مني، وما أظن أن والدتي بالحياة من أجل فراقي والغالب على ظني أنها ماتت من حزنها عليّ لأنها لا تدري ما جرى لي ولا تعرف هل أنا حي أم ميت؟ وأنا أسألك أيها الملك أن تتم إحسانك عليّ بما طلبته منك. فلما نظر الملك إلى حسنه وجماله وفصاحته أجابه وقال له: سمعاً وطاعة. ثم إنه جهز له مركباً ونقل فيها ما يحتاج إليه وسيّر معه جماعة من خدامه، فنزل في المركب بعد أن ودّع الملك وساروا في البحر وساعدهم الريح. ولم يزلوا سائرين عشرة أيام متوالية. ولما كان اليوم الحادي عشر هاج البحر هيجاناً شديداً، وصارت المركب ترتفع وتنخفض ولم تقدر البحرية أن يمسكوها، ولم يزالوا على هذه الحالة والأمواج تلعب بهم حتى قربوا إلى صخرة من صخر البحر، فوقعت تلك الصخرة على المركب فانكسرت وغرق جميع من كان فيها إلا الملك بدر باسم فإنه ركب على لوح من

الألواح بعد أن أشرف على الهلاك . ولم يزل ذلك اللوح يجري به في البحر ولا يدري إلى أين هو ذاهب وليس له حيلة في منع اللوح ، بل سار اللوح به مع الماء والريح ولم يزل كذلك مدة ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع طلع به اللوح على ساحل البحر فوجد هناك مدينة بيضاء مثل الحمامة الشديدة البياض ، وهي مبنية في الجزيرة التي على ساحل البحر لكنها عالية الأركان مليحة البنيان رفيعة الحيطان والبحر يضرب في سورها . فلما عاين الملك بدر باسم تلك الجزيرة التي فيها هذه المدينة ، فرح فرحًا شديداً وقد كان أشرف على الهلاك من الجوع والعطش . فنزل من فوق اللوح وأراد أن يصعد إلى المدينة فأتت إليه بغال وحمير وخيول عدد الرمل ، فصاروا يضربونه ويمنعونه أن يطلع من البحر إلى المدينة . ثم إنه عام خلف تلك المدينة وطلع إلى البر فلم يجد هناك أحداً فتعجب وقال : يا ترى ، لمن هذه المدينة ؟ وهي ليس لها ملك ولا فيها أحد ، ومن أين هذه البغال والحمير والخيول التي منعوني من الطلوع ؟ وصار متفكرًا في أمره وهو ماش وما يدري أين يذهب . ثم بعد ذلك رأى شيخاً بقالاً ، فلما رآه الملك بدر باسم سلّم عليه فردّ عليه السلام ونظر إليه الشيخ فرآه جميلاً فقال له : يا غلام ، من أين أقبلت ؟ وما أوصلك إلى هذه المدينة ؟ فحدثه بحديثه من أوله إلى آخره . فتعجب منه وقال له : يا ولدي ، أما رأيت أحدًا في طريقك ؟ فقال له : يا والدي ، إنما أتعجب من هذه المدينة حيث كانت خالية من الناس . فقال له الشيخ : يا ولدي ، اطلع إلى الدكان لئلا تهلك . فطلع بدر باسم وقعد في الدكان ، فقام الشيخ وجاء له بشيء من الطعام وقال له : يا ولدي ، ادخل في داخل الدكان فسبحان من سلمك من هذه الشيطانة . فخاف الملك بدر باسم خوفاً شديداً ثم أكل من طعام الشيخ حتى اكتفى وغسل يديه ونظر إلى الشيخ وقال له : يا سيدي ، ما سبب هذا الكلام ؟ فقد خوفتني من هذه المدينة ومن أهلها . فقال له الشيخ : يا ولدي ، أعلم أن هذه المدينة مدينة السحرة وبها ملكة ساحرة كأنها شيطانة وهي كاهنة سحارة مكارة غدارة ، والتي تنظرها من الخيل والبغال والحمير هؤلاء كلهم مثلك ومثلي من بني آدم لكنهم غرباء ، لأن كل من يدخل هذه المدينة وهو شاب مثلك تأخذه هذه الكافرة الساحرة وتقعد معه أربعين يوماً وبعد الأربعين يوماً تسحره فيصير بغلاً أو فرساً أو حماراً من هذه الحيوانات التي نظرتها على جانب البحر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 752

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ البقّال لما حكى للملك بدر باسم وأخبره بحال الملكة السحارة قال له : إن كل أهل هذه المدينة قد سحرتهم وإنك لما أردت الطلوع إلى البر خافوا عليك أن تسحرك مثلهم فقالوا لك بالإشارة : لا تطلع لئلا تراك الساحرة شفقة عليك ، فربما تعمل فيك مثل ما عملت فيهم . وقال له : إنها قد ملكت هذه المدينة من أهلها بالسحر واسمها الملكة لاب ، وتفسيره بالعربي تقويم الشمس . فلما سمع الملك بدر باسم ذلك الكلام من الشيخ ، خاف خوفاً شديداً وصار يرتعد مثل القصبة الريحية وقال له : أنا ما صدقت أني خلصت من البلاء الذي كنت فيه من السحر حتى ترميني المقادير في مكان أقبح منه ؟ فصار متفكرًا في حاله وما جرى له . فلما نظر إليه الشيخ رآه قد اشتد خوفه فقال له : يا ولدي ، قم واجلس على عتبة الداكان وانظر إلى تلك الخلائق وإلى لباسهم وألوانهم وما هم فيه من السحر ولا تخف فإن الملكة وكل من في المدينة يحبني ويراعيني ولا يرجفون لي قلباً ولا

يتعبون لي خاطراً . فلما سمع الملك بدر باسم كلام الشيخ خرج وقعد على باب الدكان يتفرّج فجازت عليه الناس فنظر إلى عالم لا يحصى عدده . فلما نظره الناس تقدموا إلى الشيخ وقالوا له : يا شيخ ، هل هذا أسيرك وصيدك في هذه الأيام ؟ فقال لهم : هذا ابن أخي وسمعت أن أباه قد مات فأرسلت خلفه وأحضرته لأطفىء نار شوقي به . فقالوا له : إن هذا شاب مليح الشباب ، ولكن نحن نخاف عليه من الملكة لاب لئلا ترجع عليك بالغدر وتأخذه منك لأنها تحب الشباب الملاح . فقال لهم الشيخ : إن الملكة لا تعصي أمري وهي تراعيني وتحبني ، وإذا علمت أنه ابن أخي لا تتعرّض له ولا تسوءني فيه ولا تشوّش خاطري به . فأقام الملك بدر باسم عند الشيخ مدة أشهر في أكل وشرب وحبه الشيخ محبة عظيمة . ثم إن بدر باسم كان جالساً على دكان الشيخ ذات يوم على جري عادته وإذا بألف خادم وبأيديهم السيوف مجردة وعليهم أنواع الملابس وفي وسطهم المناطق المرصعة بالجواهر وهم راكبون الخيول العربية متقلدون السيوف الهندية وقد جاؤوا على دكان الشيخ وسلّموا عليه ثم مضوا ، وجاء بعدهم ألف جارية كأنهن الأقمار وعليهن أنواع الملابس من الحرير الأطلس مطرزة بطرازات الذهب مرصّعة بأنواع الجواهر ، وكلهن متقلدات الرماح وفي وسطهن جارية راكبة على فرس عربية عليها سرج من الذهب مرصّع بأنواع الجواهر واليواقيت ، ولم يزلن سائرات حتى وصلن إلى دكان الشيخ وسلمن عليه . ثم توجهن وإذا بالملكة لاب قد أقبلت في موكب عظيم ، وما زالت مقبلة إلى أن وصلت إلى دكان الشيخ فرأت الملك بدر باسم وهو جالس على الدكان كأنه البدر في تمامه ، فلما رأته الملكة لاب حارت في حسنه وجماله واندهشت وصارت ولهانة به . ثم أقبلت على الدكان ونزلت وجلست عند الملك بدر باسم وقالت للشيخ : من أين لك هذا المليح ؟ فقال : هذا ابن أخي جاءني عن قريب . فقالت : دعه يكون الليلة عندي لأتحدث أنا وإياه . قال لها : أتأخذينه مني ولا تسحرينه ؟ قالت : نعم . قال : إحلفي لي . فحلفت له أنها لا تؤذيه ولا تسحره . ثم أمرت أن يقدموا له فرساً مليحاً مسرجاً ملجماً بلجام من ذهب وكل ما عليه ذهب مرصّع بالجواهر ووهبت للشيخ ألف دينار وقالت له : استعن به . ثم إن الملكة لاب أخذت الملك بدر باسم وراحت به وهو كأنه البدر في ليلة أربعة عشر ، وسار معها وصارت الناس كلما نظروا إليه وإلى حسنه يتوجعون عليه ويقولون : والله إن هذا الشاب لا يستحق أن تسحره هذه الملعونة . والملك بدر باسم يسمع كلام الناس ولكنه ساكت وقد سلّم أمره إلى الله تعالى ، ولم يزالوا سائرين إلى القصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 753

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك بدر باسم لم يزل سائراً هو والملكة لاب وأتباعها إلى أن وصلوا إلى باب القصر ، ثم ترجل الأمراء والخدام وأكابر الدولة وقد أمرت الحجاب أن يأمروا أرباب الدولة كلهم بالإنصراف ، فقبّلوا الأرض وانصرفوا ودخلت الملكة والخدام والجواري في القصر . فلما نظر الملك بدر باسم إلى القصر رأى قصراً لم ير مثله قط ، وحيطانه مبنية بالذهب وفي وسط القصر بركة عظيمة غزيرة الماء في بستان عظيم . فنظر الملك بدر باسم إلى البستان فرأى فيه طيوراً تناغي بسائر اللغات والأصوات المفرحة والمحزنة ، وتلك الطيور من سائر الأشكال والألوان . فنظر الملك بدر باسم إلى ملك عظيم فقال : سبحان الله من

كرمه وحلمه يرزق من يعبد غيره . فجلست الملكة في شباك يشرف على البستان وهي على سرير من العاج وفوق السرير فرش عال ، وجلس الملك بدر باسم إلى جانبها فقبّلته وضمّته إلى صدرها ثم أمرت الجواري بإحضار مائدة . فحضرت مائدة من الذهب الأحمر مرصّعة بالدر والجوهر وفيها من سائر الأطعمة ، فأكلا حتى اكتفيا وغسلا أيديهما . ثم أحضرت الجواري أواني الذهب والفضة والبلور وأحضرت أيضا جميع أجناس الأزهار وأطباق النقل . ثم إنها أمرت بإحضر مغنيات ، فحضر عشر جوار كأنهن الأقمار وبأيديهن سائر آلات الملاهي . ثم إن الملكة ملأت قدحاً وشربته وملأت آخر وناولت الملك بدر باسم إياه فأخذه وشربه ، ولم يزالا كذلك يشربان حتى اكتفيا . ثم أمرت الجواري أن يغنين ، فغنين بسائر الألحان وتخيل للملك بدر باسم أنه يرقص به القصر طرباً ، فطاش عقله وانشرح صدره ونسي الغربة وقال : إن هذه الملكة شابة مليحة ما بقيت أروح من عندها أبدًا لأن ملكها أوسع من ملكي وهي أحسن من الملكة جوهرة . ولم يزل يشرب معها إلى أن أمسى المساء وأوقدت القناديل والشموع وأطلقوا البخور ، ولم يزالا يشربان إلى أن سكرا والمغنيات يغنين . فلما سكرت الملكة لاب ، قامت من موضعها ونامت على سرير وأمرت الجواري بالإنصراف ، ثم أمرت الملك بدر باسم بالنوم إلى جانبها . فنام معها في أطيب عيش إلى أن أصبح الصباح . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 754

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة لما قامت من النوم دخلت الحمام الذي في القصر والملك بدر باسم صحبتها واغتسلا ، فلما خرجا من الحمام أفرغت عليه أجمل القماش وأمرت بإحضار آلات الشراب ، فأحضرتها الجواري فشربا . ثم إن الملكة قامت وأخذت بيد الملك بدر باسم وجلسا على الكرسي وأمرت بإحضار الطعام ، فأكلا وغسلا أيديهما ثم قدمت الجواري لهما أواني الشراب والفواكه والأزهار والنقل . ولم يزالا يأكلان ويشربان والجواري تغني باختلاف الألحان إلى المساء ، ولم يزالا في أكل وشرب وطرب مدة أربعين يومًا ثم قالت له : يا بدر باسم ، هل هذا المكان أطيب أو دكان عمك البقال ؟ قال لها : والله يا ملكة إن هذا طيب وذلك إن عمي رجل صعلوك يبيع الباقلا . فضحكت من كلامه ثم إنهما رقدا في أطيب حال إلى الصباح . فانتبه الملك بدر باسم من نومه فلم يجد الملكة لاب بجانبه فقال : يا ترى ، أين راحت ؟ وصار مستوحشاً من غيبتها ومتحيراً في أمره وقد غابت عنه مدة طويلة ولم ترجع . فقال في نفسه : أين ذهبت ؟ ثم إنه لبس ثيابه وصار يفتش عليها فلم يجدها . فقال في نفسه : لعلها ذهبت إلى البستان . فمضى إلى البستان فرأى فيه نهراً جارياً وبجانبه طيرة بيضاء وعلى شاطىء ذلك النهر شجرة وفوقها طيور مختلفة الألوان . فصار ينظر إلى الطيور والطيور لا تراه وإذا بطائر أسود نزل على تلك الطيرة البيضاء فصار يزقها زق الحمام ، ثم إن الطير الأسود وثب على تلك الطيرة ثلاث مرات . ثم بعد ساعة انقلبت تلك الطيرة في صورة بشر فتأملها وإذا هي الملكة لاب ، فعلم أن الطير الأسود إنسان مسحور وهي تعشقه وتسحر نفسها طيرة ليجامعها ، فأخذته الغيرة واغتاظ على الملكة لاب من أجل الطير الأسود . ثم إنه رجع إلى مكانه ونام على فراشه وبعد ساعة رجعت إليه وصارت الملكة لاب تقبّله وتمزح معه وهو شديد الغيظ عليها فلم يكلّمها كلمة واحدة فعلمت ما به وتحقّقت أنه رآها حين صارت طيرة وكيف

واقعها ذلك الطير، فلم تظهر له شيئًا بل كتمت ما بها. فلما قضى حاجتها قال لها: يا ملكة أريد ان تأذني لي في الرواح إلى دكان عمي فإني قد تشوقت إليه ولي أربعون يوماً ما رأيته. فقالت له: رح إليه ولا تبطىء عليّ فإني ما أقدر أن افارقك ولا اصبر عنك ساعة واحدة. فقال لها: سمعاً وطاعة. ثم إنه ركب ومضى إلى دكان الشيخ البقال فرحّب به وقام إليه وعانقه وقال له: كيف انت مع هذه الكافرة؟ فقال له: كنت طيبًا في خير وعافية إلا أنها كانت في هذه الليلة نائمة في جانبي فاستيقظت فلم أرها، فلبست ثيابي ودرت أفتش عليها إلى ان اتيت إلى البستان وأخبره بما رآه من النهر والطيور التي كانت فوق الشجرة. فلما سمع الشيخ كلامه قال له: إحذر منها واعلم ان الطيور التي كانت على الشجرة كلهم شباب غرباء عشقتهم وسحرتهم طيوراً، وذلك الطير الأسود الذي رأيته كان من جملة مماليكها وكانت تحبه محبة عظيمة، فمد عينه إلى بعض الجواري فسحرته في صورة طير أسود. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 755

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن بدر باسم لما حكى للشيخ البقال جميع حكاية الملكة لاب وما رآه منها اعلمه الشيخ بأن الطيور التي على الشجرة كلهم شباب غرباء وسحرتهم، وكذلك الطير الأسود كان من مماليكها وسحرته في صورة طير اسود، وكلما اشتاقت إليه تسحر نفسها طيرة ليجامعها لانها تحبه محبة عظيمة. ولما علمت أنك علمت بحالها اضمرت لك السوء ولا تصفى لك. ولكن ما عليك بأس منها ما دمت اراعيك انا فلا تخف، فإني رجل مسلم واسمي عبد الله وما في زماني أسحر مني، ولكن لا أستعمل السحر إلا عند اضطراري إليه وكثيراً ما أبطل سحر هذه الملعونة واخلص الناس منها ولا ابالي بها لأنها ليس لها عليّ سبيل بل هي تخاف مني خوفاً شديداً، وكذلك كل من كان في المدينة ساحراً مثلها على هذا الشكل يخافون مني وكلهم على دينها يعبدون النار دون الملك الجبار. فإذا كان غد تعال عندي واعلمني بما تعمله معك فإنها في هذه الليلة تسعى في هلاكك، وانا اقول لك على ما تفعله معها حتى تتخلص من كيدها. ثم إن الملك بدر باسم ودّع الشيخ ورجع إليها فوجدها جالسة في انتظاره، فلما رأته قامت إليه وأجلسته ورحبت به وجاءت له بأكل وشرب، فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم أمرت بإحضار الشراب فحضر، وصارا يشربان إلى نصف الليل. ثم مالت عليه بالأقداح وصارت تعاطيه حتى سكر وغاب عن حسه وعقله، فلما رأته كذلك قالت له: بالله عليك وبحق معبودك إن سألتك عن شيء هل تخبرني عنه بالصدق وتجيبني إلى قولي؟ فقال لها وهو في حالة السكر: نعم يا سيدتي. قالت له: يا سيدي ونور عيني، لما استيقظت من نومك لم ترني وفتشت عليّ وجئتني في البستان ورأيت الطير الأسود الذي وثب عليّ فانا اخبرك بحقيقة هذا الطائر، إنه كان من مماليكي وكنت أحبه محبة عظيمة، فتطلّع يوماً لجارية من جواري فحصلت لي غيرة وسحرته في صورة طير اسود وأما الجارية فإني قتلتها وإني اليوم لم اصبر عنه ساعة واحدة، وكلما اشتقت اليه اسحر نفسي طيرة وأروح إليه لينطّ عليّ ويتمكّن مني كما رأيت. أما أنت لأجل هذا مغتاظ مني؟ مع أني وحق النار والنور والظل والحرور قد ازددت فيك محبة وجعلتك نصيبي من الدنيا. فقال وهو سكران: إن الذي فهمته من غيظي بسبب ذلك صحيح وليس لغيظي سبب غير ذلك. فضمّته وقبّلته وأظهرت له المحبة ونامت ونام

الآخر جانبها. فلما كان نصف الليل قامت من الفراش والملك بدر باسم منتبه وهو يظهر أنه نائم وصار يسرق النظر وينظر ما تفعل، فوجدها قد أخرجت من كيس أحمر شيئًا أحمر وغرسته في وسط القصر فإذا هو صار نهراً يجري مثل البحر، وأخذت كبشة شعير بيدها وبذرتها فوق التراب وسقته من هذا الماء فصار زرعاً مسنبلاً، فأخذته وطحنته دقيقاً ثم وضعته في موضع ورجعت نامت عند بدر باسم إلى الصباح. فلما أصبح الصباح قام الملك بدر باسم وغسل وجهه ثم استأذن الملكة في الرواح إلى الشيخ فأذنت له، فذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى منها وما عاين. فلما سمع الشيخ كلامه ضحك وقال: والله إن هذه الكافرة الساحرة قد مكرت بك، ولكن لا تبال بها أبدًا. ثم أخرج له قدر رطل سويقاً وقال له: خذ هذا معك واعلم أنها إذا رأته تقول لك: ما هذا؟ وما تعمل به؟ فقل لها: زيادة الخير خير وكُل منه، فإذا أخرجت هي سويقها وقالت لك: كُل من هذا السويق. فأرها أنك تأكل منه وكُل من هذا وإياك أن تأكل من سويقها شيئًا ولو حبة واحدة. فإن أكلت منه ولو حبة واحدة فإن سحرها يتمكّن منك فتسحرك وتقول لك: أخرج من هذه الصورة البشرية. فتخرج من صورتك إلى أي صورة أرادت، وإذا لم تأكل منه فإن سحرها يبطل ولا يضرّك منه شيء فتخجل هي غاية الخجل وتقول لك: إنما أنا أمزح معك وتقرّ لك بالمحبة والمودة وكل ذلك نفاق ومكر منها. فأظهر لها أنت المحبة وقل لها: يا سيدتي ويا نور عيني، كُلي من هذا السويق وانظري لذّته. فإذا أكلت منه ولو حبة واحدة فخذ في كفك ماء واضربه في وجهها وقل لها: اخرجي من هذه الصورة البشرية إلى أي صورة أردت، ثم خلّها وتعال إليّ حتى أدبر لك أمراً. ثم ودّعه بدر باسم وسار إلى أن طلع القصر ودخل عليها، فلما رأته قالت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً. ثم قامت له وقبلته وقالت له: أبطأت عليّ يا سيدي. فقال لها: كنت عند عمي. ورأى عندها سويقاً فقال لها: وقد أطعمني عمي من هذا السويق فإن عندنا سويقاً أحسن منه. ثم إنها حطت سويقه في صحن وسويقها في صحن آخر وقالت له: كُل من هذا فإنه أطيب من سويقك. فأظهر لها أنه يأكل منه. فلما علمت أنه أكل منه أخذت في يدها ماء ورشته به وقالت له: أخرج من هذه الصورة يا علق يا لئيم وكن في صورة بغل أعور قبيح المنظر، فلم يتغيّر. فلما رأته على حاله لم يتغيّر قامت له وقبلته بين عينيه وقالت له: يا محبوبي، إنما كنت أمزح معك فلا تتغيّر عليّ بسبب ذلك. فقال لها: والله يا سيدتي ما تغيّرت عليك أصلاً بل أعتقد أنك تحبينني، فكُلي من سويقي هذا. فأخذ[illegible] لقمة وأكلتها فلما استقرت في بطنها اضطربت، فأخذ الملك بدر باسم في كفه ماء ورشه به في وجهها وقال لها: اخرجي من هذه الصورة البشرية إلى صورة بغلة زرزورية. فما نظرت نفسها إلا وهي في تلك الحالة، فصارت دموعها تنحدر على خديها وصارت تمرغ خديها على رجليه، فقام يلجمها فلم تقبل اللجام فتركها وذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى. فقام الشيخ وأخرج له لجامًا وقال له: خذ هذا اللجام وألجمها به. فأخذه وأتى عندها، فلما رأته تقدّمت إليه وحطّ اللجام في فمها وركبها وخرج من القصر وتوجه إلى الشيخ عبد الله. فلما رآها قام لها وقال لها: خزاك الله تعالى يا ملعونة. ثم قال له الشيخ: يا ولدي، ما بقي لك في هذه البلد إقامة فاركبها وسر بها إلى أي مكان شئت وإياك أن تسلم اللجام إلى أحد. فشكره الملك بدر باسم وودّعه وسار، ولم يزل سائراً ثلاثة أيام. ثم أشرف على مدينة فلقيه شيخ مليح الشيبة فقال له: يا ولدي، من أين أقبلت؟

قال : من مدينة هذه الساحرة . قال له : أنت ضيفي في هذه الليلة . فأجابه وسار معه في الطريق وإذا بامرأة عجوز كلّما نظرت البغلة بكت وقالت : لا إله إلا الله ، إن هذه البغلة تشبه بغلة ابني التي ماتت وقلبي متشوش عليها ، فبالله عليك يا سيدي أن تبيعني إياها . فقال لها : والله يا أمي ما أقدر أن أبيعها . قالت له : بالله عليك لا ترد سؤالي فان ولدي إن لم أشتر له هذه البغلة ميت لا محالة . ثم إنها أطنبت عليه في السؤال فقال : ما أبيعها إلا بألف دينار . وقال بدر باسم في نفسه : من أين لهذه العجوز تحصيل ألف دينار . فعند ذلك أخرجت من حزامها ألف دينار فلما نظر الملك بدر باسم إلى ذلك قال لها : يا أمي ، إنما أنا أمزح معك وما أقدر أن أبيعها . فنظر إليه الشيخ وقال له : يا ولدي ، إن هذه البلد ما يكذب فيها أحد ، وكل من كذب في هذه البلد قتلوه . فنزل الملك بدر باسم من فوق البغلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 756

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك بدر باسم لما نزل من فوق البغلة وسلمها إلى المرأة العجوز أخرجت اللجام من فمها وأخذت في يدها ماء ورشتها به وقالت : يا بنتي ، أخرجي من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها . فانقلبت في الحال وعادت إلى صورتها الأولى وأقبلت كل واحدة منهما على الأخرى وتعانقتا . فعلم الملك بدر باسم أن هذه العجوز أمها وقد تمّت الحيلة عليه ، فأراد أن يهرب وإذا بالعجوز صفرت صفرة عظيمة فتمثل بين يديها عفريت كأنه الجبل العظيم ، فخاف الملك بدر باسم ووقف فركبت العجوز على ظهره وأردفت بنتها خلفها وأخذت الملك بدر باسم قدامها وطار بهم العفريت ، فما مضى عليهم غير ساعة ووصلوا إلى قصر الملكة لاب . فلما جلست على كرسي المملكة التفتت إلى الملك بدر باسم وقالت له : يا علق ، قد وصلت إلى هذا المكان ونلت ما تمنيت وسوف أريك ما أعمل بك وبهذا الشيخ البقال ، فكم أحسنت له وهو يسوءني وأنت ما وصلت إلى مرادك إلا بواسطته . ثم أخذت ماء ورشته به وقالت له : أخرج من هذه الصورة التي أنت فيها إلى صورة طير قبيح المنظر أقبح ما يكون من الطيور . فانقلب في الحال وصار طيراً قبيح المنظر ، فجعلته في قفص وقطعت عنه الأكل والشرب . فنظرت إليه جارية فرحمته وصارت تطعمه وتسقيه وبغير علم الملكة . ثم إن الجارية وجدت سيدتها غافلة في يوم من الأيام فخرجت وتوجهت إلى الشيخ البقال وأعلمته بالحديث وقالت له : إن الملكة لاب عازمة على هلاك ابن أخيك . فشكرها الشيخ وقال لها : لا بد أن آخذ المدينة منها وأجعلك ملكتها عوضاً عنها . ثم صفر صفرة عظيمة فخرج له عفريت له أربعة أجنحة فقال له : خذ هذه الجارية وامض بها إلى مدينة جلناز البحرية وأمها فراشة فإنهما أسحر من يوجد على وجه الأرض وقال للجارية : إذا وصلت إلى هناك فاخبريهما بأن الملك بدر باسم في أسر الملكة لاب . فحملها العفريت وطار بها ، فلم يكن إلا ساعة حتى نزل بها على قصر الملكة جلناز البحرية ، فنزلت الجارية من فوق سطح القصر ودخلت على الملكة جلناز وقبلت الأرض وأعلمتها بما قد جرى لولدها من أول الأمر إلى آخره . فقامت إليها جلناز وأكرمتها وشكرتها ودقت البشائر في المدينة وأعلمت أهلها وأكابر دولتها بأن الملك بدر باسم وجد . ثم إن جلناز البحرية وأمها فراشة وأخاها صالحًا أحضروا جميع قبائل الجان وجنود البحر ، لأن ملوك الجان قد أطاعوهم بعد أسر الملك السمندل . ثم إنهم طاروا في الهواء ونزلوا

على مدينة الساحرة ونهبوا القصر وقتلوا جميع من كان فيه، ونهبوا المدينة وقتلوا جميع من كان فيها من الكفرة في طرفة عين وقالت للجارية : أين ابني ؟ فأخذت الجارية القفص وأتت به بين يديها وأشارت إلى الطائر الذي فيه وقالت : هذا ولدك . فأخرجته الملكة جلناز من القفص ثم أخذت بيدها ماء ورشته به وقالت له : أخرج من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها . فلم يتم كلامها حتى انتفض وصار بشراً كما كان . فلما رأته أمه على صورته الأصلية قامت إليه واعتنقته، فبكى بكاء شديداً وكذلك خاله صالح وجدّته فراشة وبنات عمه وصاروا يقبلون يديه ورجليه . ثم إن جلناز أرسلت خلف الشيخ عبد الله وشكرته على فعله الجميل مع ابنها، وزوّجته بالجارية التي أرسلها إليها بأخبار ولدها ودخل بها . ثم جعلته ملك تلك المدينة وأحضرت ما بقي من أهل المدينة من المسلمين وبايعتهم للشيخ عبد الله وعاهدتهم وحلفتهم أن يكونوا في طاعته وفي خدمته . فقالوا : سمعاً وطاعة . ثم إنهم ودّعوا الشيخ عبد الله وساروا إلى مدينتهم ، فلما دخلوا قصرهم تلقّاهم أهل مدينتهم بالبشائر والفرح وزينوا المدينة ثلاثة أيام لشدة فرحهم بملكهم بدر باسم ، وفرحوا فرحًا شديداً . ثم بعد ذلك قال الملك بدر باسم لأمه : يا امي ، ما بقي إلا اني اتزوج ويجتمع شملنا ببعضنا أجمعين . فقالت : يا ولدي ، نِعم الرأي الذي رأيته ولكن إصبر حتى نسأل على من يصلح لك من بنات الملوك . فقالت جدّته فراشة وبنات عمه وخاله : نحن يا بدر باسم كلنا في الوقت نساعدك على ما تريد . ثم إن كل واحدة منهن نهضت ومضت تفتش في البلاد وكذلك جلناز البحرية بعثت جواريها على أعناق العفاريت وقالت لهن : لا تتركن مدينة ولا قصراً من قصور الملوك حتى تتأمّلن جميع من فيه من البنات الحسان . فلما رأى الملك بدر باسم اعتناءهن بهذا الأمر قال لأمه جلناز : يا أمي ، اتركي هذا الأمر فإنه ليس يرضيني إلا جوهرة بنت الملك السمندل ، لأنها جوهرة كاسمها . فقالت أمه : قد عرفت مقصودك . ثم ارسلت في الحال من يأتيها بالملك السمندل ، ففي الوقت احضروه بين يديها ثم أرسلت إلى بدر باسم . فلما جاء باسم أعلمته بمجيء الملك السمندل فدخل عليه ، فلما رآه الملك السمندل مقبلاً قام له وسلم عليه ورحب به . ثم إن الملك بدر باسم خطب منه بنته جوهرة . فقال له : هي في خدمتك وجاريتك وبين يديك . ثم إن الملك السمندل أرسل بعض أصحابه إلى بلاده وأمرهم بإحضار بنته جوهرة وان يعلموها ان أباها عند الملك بدر باسم ابن جلناز البحرية . فطاروا في الهواء وغابوا ساعة ثم جاؤا ومعهم الملكة جوهرة ، فلما عاينت أباها تقدّمت إليه واعتنقته . فنظر إليها وقال : يا بنتي ، اعلمي أنني قد زوّجتك بهذا الملك الهمّام والأسد الضرغام الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز ، وإنه أحسن أهل زمانه وأجملهم وأرفعهم قدراً وأشرفهم حسباً ، ولا يصلح إلا لك ولا تصلحين إلا له . فقالت له : يا أبي ، أنا ما أقدر أن أخالفك فافعل ما تريد ، فقد زال الهم والتنكيد وأنا له من جملة الخدام . فعند ذلك أحضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز البحرية على الملكة جوهرة ، وأهل المدينة زينوها وأطلقوا البشائر وأطلقوا كل من في الحبوس ، وكسا الملك الأرامل والأيتام وخلع على أرباب الدولة والأمراء والأكابر . ثم أقاموا الفرح العظيم وعملوا الولائم وأقاموا في الأفراح مساء وصباحاً مدة عشرة أيام ، وجلوها على الملك بدر باسم بتسع خلع . ثم خلع الملك بدر باسم على الملك السمندل وردّه إلى بلاده وأهله وأقاربه . ولم يزالوا في ألذ عيش وأهنى أيام ،

يأكلون ويشربون ويتنعمون إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات . وهذا آخر حكايتهم رحمة الله عليهم أجمعين .

73 - حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال

واعلم أيها الملك السعيد، أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان ملك من ملوك العجم إسمه محمد بن سبائك، وكان يحكم على بلاد خراسان . وكان في كل عام يغزو بلاد الكفار في الهند والسند والصين والبلاد التي وراء النهر وغير ذلك من بلاد العجم وغيرها . وكان ملكاً عادلاً شجاعًا كريمًا جواداً، وكان ذلك الملك يحب المنادمات والروايات والأشعار والأخبار والحكايات والأسمار وسير المتقدمين، وكان كل من يحفظ حكاية غريبة ويحكيها له ينعم عليه . وقيل : إنه كان إذا أتاه رجل غريب بسمر غريب وتكلم بين يديه واستحسنه وأعجبه كلامه يخلع عليه خلعة سنية ويعطيه ألف دينار ويركبه فرساً مسرجاً ملجماً ويكسوه من فوق إلى أسفل ويعطيه عطايا عظيمة فيأخذها الرجل وينصرف لحال سبيله . فاتفق أنه أتاه رجل كبير بسمر غريب فتحدّث بين يديه، فاستحسنه وأعجبه كلامه فأمر له بجائزة سنية ومن جملتها ألف دينار خراسانية وفرس بعدة كاملة . ثم بعد ذلك شاعت هذه الأخبار عن هذا الملك في جميع البلدان فسمع به رجل يقال له : التاجر حسن . وكان كريماً جواداً عالمًا شاعرًا فاضلاً . وكان عند ذلك الملك وزير حسود محضر سوء لا يحب الناس جميعًا، لا غنيًا ولا فقيراً . وكان كلما ورد على ذلك الملك أحد وأعطاه شيئًا يحسده ويقول : إن هذا الأمر يفني المال ويخرب الديار وإن الملك دأبه هذا الأمر . ولم يكن ذلك الكلام إلا حسداً وبغضًا من ذلك الوزير . ثم إن الملك سمع بخبر التاجر حسن فأرسل إليه وأحضره، فلما حضر بين يديه قال له : يا تاجر حسن، إن الوزير خالفني وعاداني من أجل المال الذي أعطيه للشعراء والندماء وأرباب الحكايات والأشعار، وإني أريد منك أن تحكي لي حكاية مليحة وحديثاً غريباً بحيث لم أكن سمعت مثله قط . فإن أعجبني حديثك أعطيتك بلاداً كثيرة بقلاعها وأجعلها زيادة على إقطاعك وأجعل مملكتي كلها بين يديك وأجعلك كبير وزرائي تجلس على يميني وتحكم في رعيتي، وإن لم تأتني بما قلت لك أخذت جميع ما في يدك وطردتك من بلادي . فقال التاجر حسن : سمعًا وطاعة لمولانا الملك، لكن يطلب منك المملوك أن تصبر عليه سنة ثم أحدثك بحديث ما سمعت مثله في عمرك ولا سمع غيرك بمثله ولا بأحسن منه قط . فقال الملك : قد أعطيتك مهلة سنة كاملة . ثم دعا بخلعة سنية فألبسه إياها وقال له : إلزم بيتك ولا تركب ولا ترح ولا تجيء مدة سنة كاملة حتى تحضر بما طلبته منك . فإن جئت بذلك فلك الأنعام الخاص وابشر بما وعدتك به، وان لم تجيء بذلك فلا أنت منّا ولا نحن منك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 757

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك محمد بن سبائك لما قال للتاجر حسن : إن جئتني بما طلبته منك فلك الأنعام الخاص وابشر بما وعدتك به، وإن لم تجئني بذلك فلا أنت منا ولا نحن منك . فقبّل التاجر حسن الأرض بين يديه وخرج . ثم اختار من مماليكه خمسة أنفس كلهم يكتبون ويقرؤون، وهم فضلاء عقلاء أدباء من خواص

مماليكه، وأعطى كل واحد خمسة آلاف دينار وقال لهم : أنا ما ربيتكم إلا لمثل هذا اليوم، فأعينوني على قضاء غرض الملك وانقذوني من يده. فقالوا له : وما الذي تريد أن تفعل ؟ فأرواحنا فداءك. قال لهم : أريد أن يسافر كل واحد منكم إلى إقليم وأن تستقصوا على العلماء والأدباء والفضلاء وأصحاب الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة، وابحثوا لي عن قصة سيف الملوك وتأتوني بها وإذا لقيتموها عند أحد فرغبوه في ثمنها، ومهما طلب من الذهب والفضة فاعطوه إياه ولو طلب منكم ألف دينار فاعطوه المتيسر وعِدُوه بالباقي وآتوني بها. ومن وقع منكم بهذه القصة وأتاني بها فإني أعطيه الخلع السنية والنعم الوفية ولم يكن عندي أعز منه. ثم إن التاجر حسن قال لواحد منهم : رح أنت إلى بلاد الهند والسند وأعمالها وأقاليمها. وقال للآخر : رح أنت إلى بلاد العجم والصين وأقاليمها. وقال للآخر : رح أنت إلى بلاد خراسان وأعمالها وأقاليمها. وقال للآخر : رح أنت إلى بلاد المغرب وأقطارها وأقاليمها وأعمالها وجميع أطرافها. وقال للآخر وهو الخامس : رح أنت إلى بلاد الشام ومصر وأعمالها وأقاليمها. ثم إن التاجر اختار لهم يوماً سعيداً وقال لهم : سافروا في هذا اليوم واجتهدوا في تحصيل حاجتي ولا تتهاونوا ولو كان فيها بذل الأرواح. فودّعوه وساروا وكل واحد منهم ذهب إلى الجهة التي أمره بها، فمنهم أربعة أنفس غابوا أربعة أشهر وفتشوا ولم يجدوا شيئًا. فضاق صدر التاجر حسن لما رجع إليه الأربعة مماليك وأخبروه أنهم فتشوا المدائن والبلاد والأقاليم على مطلوب سيدهم فلم يجدوا شيئًا منه. وأما المملوك الخامس فإنه سافر إلى أن دخل بلاد الشام ووصل إلى مدينة دمشق، فوجدها مدينة طيبة أمينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار، تسبح الله الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار، فأقام فيها أياماً وهو يسأل عن حاجة سيده فلم يجبه أحد. ثم إنه أراد أن يرحل منها ويسافر إلى غيرها وإذا هو بشاب يجري ويتعثّر في أذياله فقال له المملوك : ما بالك تجري وأنت مكروب ؟ وإلى أين تقصد ؟ فقال له : هنا شيخ كل يوم يجلس على كرسي في مثل هذا الوقت ويحدث حكايات وأخبار وأسماراً ملاحًا لم يسمع أحد مثلها، وأنا أجري حتى أجد لي موضعاً قريباً وأخاف إني لم أحصل لي موضعًا من كثرة الخلق. فقال له المملوك : خذني معك. فقال له الفتى : أسرع في مشيك. فغلق بابه وأسرع في السير معه حتى وصل إلى الموضع الذي يحدّث فيه الشيخ بين الناس، فرأى ذلك الشيخ صبيح الوجه وهو جالس على كرسي يحدّث الناس فجلس قريباً منه وصغى ليسمع حديثه. فلما جاء وقت غروب الشمس فرغ الشيخ من الحديث وسمع الناس ما تحدّث به وانفضوا من حوله، فعند ذلك تقدّم إليه المملوك وسلّم عليه فردّ عليه وزاده في التحية والإكرام. فقال له المملوك : إنك يا سيدي الشيخ، رجل مليح محتشم وحديثك مليح، وأريد أن أسألك على شيء. فقال له : إسأل عما تريد. فقال له المملوك : هل عندك قصة سمر سيف الملوك وبديع الجمال ؟ فقال له الشيخ : وممن سمعت هذا الكلام ؟ ومن الذي أخبرك بذلك ؟ فقال المملوك : أنا ما سمعت ذلك من أحد ولكن أنا من بلاد بعيدة وجئت قاصداً لهذه القصة، فمهما طلبت من ثمنها أعطيك إن كانت عندك وتنعم وتصدق عليّ بها وتجعلها من مكارم أخلاقك صدقة عن نفسك، ولو أن روحي في يدي وبذلتها لك فيها لطاب خاطري بذلك. فقال له الشيخ : طب نفساً وقرّ عيناً وهي تحضر لك، ولكن هذا سمر لا يتحدث به أحد على قارعة الطريق ولا أعطي هذه القصة لكل أحد. فقال له المملوك : بالله يا

سيدي لا تبخل عليّ بها واطلب مهما أردت . فقال له الشيخ : إن كنت تريد هذه القصة فاعطني مائة دينار وأنا اعطيك إياها ولكن بخمس شروط . فلما عرف أنها عند الشيخ وأنه سمح له بها فرح فرحاً شديداً وقال له : أعطيك مائة دينار ثمنها وعشرة جعالة وآخذها بالشروط التي ذكرتها . فقال له الشيخ : رح هات الذهب وخذ حاجتك . فقام المملوك وقبّل يدي الشيخ وراح إلى منزله فرحاً مسروراً وأخذ في يده مائة دينار وعشرة ووضعها في كيس كان معه . فلما أصبح الصباح قام ولبس ثيابه وأخذ الدنانير وأتى بها إلى الشيخ فرآه جالساً على باب داره ، فسلّم عليه فردّ عليه السلام فأعطاه المائة دينار وعشرة ، فأخذها منه الشيخ وقام ودخل داره وأدخل المملوك وأجلسه في مكان وقدّم له دواة وقلماً وقرطاساً وقدّم له كتاباً وقال له : أكتب الذي انت طالبه من هذا الكتاب من قصة سمر سيف الملوك . فجلس المملوك يكتب هذه القصة إلى أن فرغ من كتابتها ، ثم قرأها على الشيخ وصحّحها وبعد ذلك قال له الشيخ : أعلم يا ولدي أن أول شرط أنك لا تقول هذه القصة على قارعة الطريق ولا عند النساء والجواري ولا عند العبيد والسفهاء ولا عند الصبيان ، وإنما تقرؤها عند الأمراء والملوك والوزراء وأهل المعرفة من المفسّرين وغيرهم . فقبل المملوك الشروط وقبّل يدي الشيخ وودّعه وخرج من عنده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 758 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مملوك التاجر حسن لما نقل القصة من كتاب الشيخ الذي بالشام وأخبره بالشروط وودّعه وخرج من عنده وسافر في يومه فرحاناً مسروراً ، ولم يزل مجداً في السير من كثرة الفرح الذي حصل له بسبب تحصيله لقصة سمر سيف الملوك حتى وصل إلى بلاده وأرسل تابعه يبشّر التاجر ويقول له : إن مملوكك قد وصل سالماً وبلغ مراده ومقصوده . وحين وصل المملوك إلى مدينة سيده وأرسل إليه البشير لم يبقَ من الميعاد الذي بين الملك وبين التاجر حسن غير عشرة أيام ، ودخل على سيده التاجر وأخبره بما حصل له . ففرح فرحًا عظيمًا واستراح المملوك في مكان خلوته وأعطى سيده الكتاب الذي فيه قصة سيف الملوك وبديع الجمال . فلما رأى سيده ذلك خلع على المملوك جميع ما كان عليه من ملابسه وأعطاه عشرة من الخيل الجياد وعشرة من الجمال وعشرة من البغال وثلاثة عبيد ومملوكين . ثم إن التاجر أخذ القصة وكتبها بخطّه مفسّرة وطلع إلى الملك وقال له : أيها الملك السعيد ، إني جئت بسمر وحكايات مليحة نادرة لم يسمع مثلها أحد قط . فلما سمع الملك كلام التاجر حسن أمر في وقته وساعته بأن يحضر كل أمير عاقل وكل عالم فاضل وكل أديب وشاعر ولبيب ، وجلس التاجر حسن وقرأ هذه السيرة عند الملك . فلما سمعها الملك وكل من كان حاضراً تعجبوا واستحسنوها وكذلك استحسنها الذين كانوا حاضرين ونثروا عليه الذهب والفضة والجواهر . ثم أمر الملك للتاجر حسن بخلعة سنية من أفخر ملبوسه وأعطاه مدينة كبيرة بقلاعها وضياعها وجعله من أكابر وزرائه وأجلسه على يمينه ، ثم أمر الكتّاب أن يكتبوا هذه القصة بالذهب ويجعلوها في خزائنه الخاصة . وصار الملك كلما ضاق صدره يحضر التاجر حسن فيقرؤها .

ومضمون هذه القصة أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان في مصر ، ملك يسمّى

عاصم بن صفوان . وكان ملكاً سخياً جواداً صاحب هيبة ووقار ، وكان له بلاد كثيرة وقلاع وحصون وجيوش وعساكر ، وكان له وزير يسمّى فارس بن صالح ، وكانوا جميعاً يعبدون الشمس والنار دون الملك الجبار الجليل القهار . ثم إن هذا الملك صار شيخاً كبيراً قد أضعفه الكبر والسقم والهرم لأنه عاش مائة وثمانين سنة ولم يكن له ولد ذكر ولا أنثى ، وكان بسبب ذلك في هم وغم ليلاً ونهاراً . فاتفق أنه كان جالساً يوماً من الأيام على سرير ملكه والأمراء والوزراء والمقدمون وأرباب الدولة في خدمته على جري عادتهم وعلى قدر منازلهم ، وكل من دخل عليه من الأمراء ومعه ولد أو ولدان يحسده الملك ويقول في نفسه : كل واحد مسرور فرحان بأولاده وأنا ما لي ولد ، في غد أموت وأترك ملكي وتختي وضياعي وخزائني وأموالي وتأخذها الغرباء وما يذكرني أحد قط ولا يبقى لي ذكر في الدنيا . ثم إن الملك عاصم استغرق في بحر الفكر ومن كثرة توارد الأحزان والأفكار على قلبه ، بكى ونزل من فوق تخته وجلس على الأرض يبكي ويتضرّع . فلما رآه الوزير والجماعة الحاضرون من أكابر الدولة فعل بنفسه ذلك صاحوا على الناس وقالوا لهم : اذهبوا إلى منازلكم واستريحوا حتى يفيق الملك مما هو فيه . فانصرفوا ولم يبق غير الملك والوزير . فلما أفاق الملك قبّل الوزير الأرض بين يديه وقال له : يا ملك الزمان ، ما سبب هذا البكاء ؟ فاخبرني بمن عاداك من الملوك وأصحاب القلاع أو من الأمراء وأرباب الدولة ؟ وعرّفني بمن يخالفك أيها الملك حتى نكون كلنا عليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ؟ فلم يتكلم الملك ولم يرفع رأسه . ثم إن الوزير قبّل الأرض بين يديه ثانيًا وقال له : يا ملك الزمان ، أنا مثل ولدك وعبدك وقد ربيتني ، فأنا لم أعرف سبب غمّك وهمّك وجزعك وما أنت فيه ، فمن يعرف غيري ويقوم مقامي بين يديك ؟ فاخبرني بسبب هذا البكاء والحزن . فلم يتكلم ولم يفتح فاه ولم يرفع رأسه ، وما زال يبكي ويصوت بصوت عال وينوح بنواح زائد ويتأوّه والوزير صابر له . ثم بعد ذلك قال له الوزير : إن لم تقل لي ما سبب ذلك وإلا قتلت نفسي بين يديك من ساعتي وأنت تنظر ولا أراك مهمومًا . ثم إن الملك عاصماً رفع رأسه ومسح دموعه وقال : يا أيها الوزير الناصح خلّني بهمّي وغمّي فالذي في قلبي من الأحزان يكفيني . فقال له الوزير : قل لي أيها الملك : ما سبب هذا البكاء ؟ لعلّ الله يجعل الفرج على يدي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 759

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير لما قال للملك عاصم : قل لي ما سبب هذا البكاء لعل الله يجعل لك الفرج على يدي . قال له الملك : يا وزير ، إن بكائي ما هو على مال ولا على خيل ولا على شيء ولكن أنا بقيت رجلاً كبيرًا وصار عمري نحو مائة وثمانين سنة ولا رزقت ولدًا ذكر ولا أنثى فإذا متّ يدفنوني ثم ينمحي رسمي وينقطع إسمي ويأخذ الغرباء تختي وملكي ولا يذكرني أحدًا أبدًا . فقال الوزير : يا ملك الزمان ، أنا أكبر منك بمائة سنة ولا رزقت بولد قط ، ولم أزل ليلاً ونهاراً في همّ وغمّ وكيف نفعل أنا وأنت ؟ ولكن سمعت بخبر سليمان بن داود عليهما السلام وأن له ربّاً عظيمًا قادرًا على كل شيء ، فينبغي أن أتوجه إليه بهدية وأقصده في أن يسأل ربّه لعله يرزق كل واحد منّا بولد . ثم إن الوزير تجهّز للسفر وأخذ هدية فاخرة وتوجه بها إلى سليمان بن داود عليهما السلام . هذا ما كان من أمر

الوزير . وأما ما كان من أمر سليمان بن داود عليهما السلام ، فإن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه وقال : يا سليمان ، إن ملك مصر أرسل إليك وزيره الكبير بالهدايا والتحف وهي كذا وكذا، فارسل إليه وزيرك آصف بن برخيا لاستقباله بالإكرام والزاد في مواضع الإقامات فإذا حضر بين يديك فقل له : إن الملك ارسلك تطلب كذا وكذا، وإن حاجتك كذا وكذا ثم اعرض عليه الإيمان . فحينئذ أمر سليمان وزيره آصف ان يأخذ معه جماعة من حاشيته للقائهم بالإكرام والزاد الفاخر في مواضع الإقامات ، فخرج آصف بعد أن جهّز جميع اللوازم إلى لقاهم وسار حتى وصل إلى فارس وزير ملك مصر ، فاستقبله وسلّم عليه وأكرمه هو ومن معه إكراماً زائداً وصار يقدّم إليهم الزاد والعلوفات في مواضع الإقامات وقال لهم : اهلاً وسهلاً ومرحباً بالضيوف القادمين ، فابشروا بقضاء حاجتكم وطيبوا نفساً وقروا عيناً وانشرحوا صدوراً . فقال الوزير في نفسه : من أخبرهم بذلك ؟ ثم إنه قال لآصف بن برخيا : ومن أخبركم بنا وبأغراضنا يا سيدي ؟ فقال له آصف : إن سليمان بن داود عليهما السلام هو الذي أخبرنا بهذا . فقال الوزير فارس : ومن أخبر سيدنا سليمان ؟ قال له : أخبره ربّ السموات والأرض وإله الخلق أجمعين . فقال له الوزير فارس : ما هذا إلا إله عظيم . فقال له آصف بن برخيا : وهل أنتم لا تعبدونه ؟ فقال فارس وزير ملك مصر : نحن نعبد الشمس ونسجد لها . فقال له آصف : يا وزير فارس ، إن الشمس كوكب من جملة الكواكب المخلوقة لله سبحانه وتعالى وحاشى ان تكون ربّاً ، لأن الشمس تظهر احيانًا وتغيب أحياناً وربنا حاضر لا يغيب وهو على كل شيء قدير . ثم إنهم سافروا قليلاً حتى وصلوا إلى قرب تخت ملك سليمان بن داود عليهما السلام . فأمر سليمان بن داود عليهما السلام جنوده من الإنس والجن وغيرهما أن يصطفوا في طريقهم صفوفاً . فوقفت وحوش البحر والأفيلة والنمورة والفهودة جميعاً واصطفوا في الطريق صفّين ، وكل جنس انحازت أنواعه وحدها وكذلك الجان ، كل منهم ظهر للعيون من غير خفاء على صورة هائلة مختلفة الأحوال . فوقفوا جميعًا صفّين والطيور نشرت أجنحتها على الخلائق لتظلّهم وصارت الطيور تناغي بعضها بسائر اللغات وبسائر الألحان . فلما وصل أهل مصر إليهم هابوهم ولم يجسروا على المشي . فقال لهم آصف : ادخلوا بينهم وامشوا ولا تخافوا منهم فإنهم رعايا سليمان بن داود وما يضركم منهم احد . ثم إن آصف دخل بينهم فدخل وراءه الخلق أجمعون ، ومن جملتهم جماعة وزير ملك مصر وهم خائفون . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى المدينة فأنزلوهم في دار الضيافة وأكرموهم غاية الأكرام وأحضروا لهم الضيافات الفاخرة مدة ثلاثة أيام . ثم أحضروهم بين يدي سليمان نبي الله عليه السلام ، فلما دخلوا عليه أرادوا ان يقبّلوا الأرض بين يديه فمنعهم من ذلك سليمان بن داود وقال : لا ينبغي ان يسجد إنسان على الأرض إلا لله عزّ وجلّ خالق الأرض والسموات وغيرهما ، ومن أراد منكم ان يقف فليقف ، ولكن لا يقف أحد منكم في خدمتي . فامتثلوا وجلس الوزير فارس وبعض خدامه ووقف في خدمته بعض الأصاغر ، فلما استقرّ بهم الجلوس مدّوا لهم الأسمطة فأكل العالم والخلق اجمعون من الطعام حتى اكتفوا . ثم إن سليمان أمر وزير مصر ان يذكر حاجته لتقضى وقال له : تكلّم ولا تخف شيئًا مما جئت بسببه فإنك ما جئت إلا لقضاء حاجة وانا اخبرك بها ، وهي كذا وكذا وأن ملك مصر الذي ارسلك إسمه عاصم ، وقد صار شيخاً كبيراً هرمًا ضَعيفًا ولم يرزقه الله تعالى

بولد ذكر ولا أنثى فصار في الغمّ والهمّ والفكر ليلاً ونهاراً، حتى اتفق له أنه جلس على كرسي مملكته يوماً من الأيام ودخل عليه الأمراء والوزراء وأكابر دولته فرأى بعضهم له ولدان وبعضهم له ولد وبعضهم له ثلاثة أولاد وهم يدخلون ومعهم أولادهم ويقفون في الخدمة. فتذكر في نفسه وقال من فرط حزنه: يا ترى، من يأخذ مملكتي بعد موتي؟ وهل يأخذها إلا رجل غريب وأصير أنا كأني لم أكن؟ فغرق في بحر الفكر بسبب هذا، ولم يزل متفكراً حزيناً حتى فاضت عيناه بالدموع، فغطّى وجهه بالمنديل وبكى بكاء شديداً. ثم قام من فوق سريره وجلس على الأرض يبكي وينتحب ولم يعلم ما في قلبه إلا الله تعالى، وهو جالس على الأرض. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 760

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما أخبر الوزير فارساً بما حصل للملك من الحزن والبكاء وما حصل بينه وبين وزيره فارس من أوله إلى آخره قال بعد ذلك للوزير فارس: هل هذا الذي قلته لك يا وزير صحيح؟ فقال الوزير فارس: يا نبي الله، إن الذي قلته حق وصدق، ولكن يا نبي الله لما كنت أتحدث أنا والملك في هذه القضية ولم يكن عندنا أحد قط ولم يشعر بخبرنا أحد من الناس، فمن أخبرك بهذه الأمور كلها؟ قال له: أخبرني ربي الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فحينئذ قال الوزير فارس: يا نبي الله، ما هذا إلا ربّ كريم عظيم على كل شيء قدير. ثم أسلم الوزير فارس هو ومن معه. ثم قال نبي الله سليمان للوزير: إن معك كذا وكذا من التحف والهدايا. قال الوزير: نعم. فقال له سليمان: قد قبلت منك الجميع ولكني وهبتها لك، فاسترح أنت ومن معك في المكان الذي نزلتم فيه حتى يزول عنكم تعب السفر وفي غد إن شاء الله تعالى نقضي حاجتك على أتم ما يكون بمشيئة الله تعالى ربّ الأرض والسماء وخالق الخلق أجمعين. ثم إن الوزير فارساً ذهب إلى موضعه وتوجه إلى السيد سليمان ثاني يوم فقال له نبي الله سليمان: إذا وصلت إلى الملك عاصم بن صفوان واجتمعت أنت وإياه فاطلعا فوق الشجرة الفلانية واقعدا ساكتين، فإذا كان بين الصلاتين وقد برد حرّ القائلة فانزلا إلى أسفل الشجرة وانظرا هناك تجدا ثعبانين يخرجان، رأس أحدهما كرأس القرد ورأس الآخر كرأس العفريت. فإذا رأيتماهما فارمياهما بالنشاب واقتلاهما ثم ارميا من جهة رؤوسهما قدر شبر واحد ومن جهة أذيالهما كذلك فتبقى لحومهما، فاطبخاها واتقنا طبخها وأطعماها زوجتيكما وناما معهما تلك الليلة فإنهما يحملان بإذن الله تعالى بأولاد ذكور. ثم إن سليمان عليه السلام أحضر خاتماً وسيفاً وبقجة فيها قباآن مكلّلان بالجواهر وقال: يا وزير فارس، إذا كبر ولداكما وبلغا مبلغ الرجال فاعطوا كل واحد منهما قباء من هذين القباءين. ثم قال للوزير: بسم الله، قضى الله تعالى حاجتك وما بقي لك إلا أن تسافر على بركة الله تعالى فإن الملك ليلاً ونهاراً ينتظر قدومك وعينه دائماً تلاحظ الطريق. ثم إن الوزير فارساً تقدم لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وودّعه وخرج من عنده بعد أن قبّل يديه وسافر بقية يومه وهو فرحان بقضاء حاجته، وجدّ في السفر ليلاً ونهاراً. ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى قرب مصر، فأرسل بعض خدامه ليعلم الملك عاصماً بذلك. فلما سمع عاصم بقدومه وقضاء حاجته، فرح فرحاً شديداً هو وخواصه وأرباب مملكته

وجميع جنوده وخصوصاً بسلامة الوزير فارس . فلما تلاقى الملك هو والوزير ، ترجّل الوزير وقبّل الأرض بين يديه وبشّر الملك بقضاء حاجته على أتم الوجوه ، وعرض عليه الإيمان والإسلام . فأسلم الملك عاصم وقال للوزير فارس : رح بيتك واسترح هذه الليلة واسترح أيضاً جمعة من الزمان وادخل الحمام وبعد ذلك تعال عندي حتى أخبرك بشيء نتدبر فيه . فقبّل الوزير الأرض وانصرف هو وحاشيته وغلمانه وخدمه إلى داره واستراح ثمانية أيام ، ثم بعد ذلك توجه إلى الملك وحدثه بجميع ما كان بينه وبين سليمان بن داود عليهما السلام . ثم إنه قال للملك : قم وحدك وتعال معي . فقام هو والوزير وأخذا قوسين ونشابين وطلعا فوق الشجرة وقعدا ساكتين إلى أن مضى وقت القائلة ولم يزالا إلى قرب العصر ، ثم نزلا ونظرا فرآيا ثعبانين خرجا من أسفل تلك الشجرة . فنظرهما الملك وأحبهما لأنهما أعجباه حين رآهما بالأطواق الذهب وقال : يا وزير ، إن هذين الثعبانين مطوقان بالذهب والله إن هذا شيء عجيب ، خلّنا نمسكهما ونجعلهما في قفص ونتفرّج عليهما . فقال الوزير : هذان خلقهما الله لمنفعتهما ، فارم أنت واحداً بنشابة وأرمي أنا واحداً بنشابة ، فرمى الإثنان عليهما بالنشاب فقتلاهما وقطعا من جهة رؤوسهما شبراً ومن جهة أذنابهما شبراً ورمياه ، ثم ذهبا بالباقي إلى بيت الملك وطلبا الطباخ وأعطياه ذلك اللحم وقالا له : اطبخ هذا اللحم طبخاً مليحاً بالتقلية والأبازير ، واغرفه في زبديتين وهاتهما وتعال هنا في الوقت الفلاني والساعة الفلانية ولا تبطىء . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 761

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك والوزير لما أعطيا الطباخ لحم الثعبانين وقالا له : اطبخه واغرفه في زبديتين وهاتهما هنا ولا تبطىء . أخذ الطباخ اللحم وذهب به إلى المطبخ وطبخه وأتقن طبخه بتقلية عظيمة ثم غرفه في زبديتين وأحضرهما بين يدي الملك والوزير . فأخذ الملك زبدية والوزير زبدية وأطعماهما لزوجتيهما وباتا تلك الليلة معهما . فبإرادة الله سبحانه وتعالى وقدرته ومشيئته حملا في تلك الليلة ، فمكث الملك بعد ذلك ثلاثة أشهر وهو متشوّش الخاطر يقول في نفسه : يا ترى ، هل هذا الأمر صحيح أم غير صحيح ؟ ثم إن زوجته كانت جالسة يوماً من الأيام فتحرّك الولد في بطنها فعلمت أنها حامل ، فتوجعت وتغيّر لونها وطلبت واحداً من الخدام الذين عندها وهو أكبرهم وقالت : إذهب إلى الملك في أي موضع يكون وقل له : يا ملك الزمان ، أبشرك أن سيدتنا ظهر حملها والولد قد تحرّك في بطنها . فخرج الخادم سريعاً وهو فرحان فرأى الملك وحده ويده على خده وهو متفكر في ذلك ، فأقبل عليه الخادم وقبّل الأرض بين يديه وأخبره بحمل زوجته . فلما سمع كلام الخادم نهض قائماً على قدميه ، ومن شدة فرحه قبّل يد الخادم ورأسه وخلع ما كان عليه وأعطاه إياه وقال لمن كان حاضراً في مجلسه : من كان يحبني فلينعم عليه . فأعطوه من الأموال والجواهر واليواقيت والخيل والبغال والبساتين شيئًا لا يعد ولا يحصى . ثم إن الوزير دخل في ذلك الوقت على الملك وقال : يا ملك الزمان ، أنا في هذه الساعة كنت قاعداً في البيت وحدي وأنا مشغول الخاطر متفكّر في شأن الحمل وأقول في نفسي : يا ترى هل هو حق ؟ وإن خاتون تحبل أم لا ؟ وإذا بالخادم دخل عليّ وبشّرني بأن زوجتي خاتون حامل وأن الولد قد تحرّك في بطنها وتغيّر لونها ، فمن فرحتي خلعت

ما كان عليّ من القماش وأعطيت الخادم إياه وأعطيته الف دينار وجعلته كبير الخدام . ثم إن الملك عاصمًا قال : يا وزير ، إن الله تبارك وتعالى أنعم علينا بفضله وإحسانه وجوده وامتنانه وبالدين القويم وأكرمنا بكرمه وفضله وقد أخرجنا من الظلمات إلى النور ، وأريد ان أفرج على الناس وأفرحهم . فقال له الوزير : إفعل ما تريد ؟ فقال : يا وزير ، إنزل في هذا الوقت وأخرج كل من كان في الحبس من اصحاب الجرائم ومن عليهم ديون وكل من وقع منه ذنب . بعد ذلك نجازيه بما يستحقه ونرفع عن الناس الخراج ثلاث سنوات وانصب في دائر هذه المدينة مطبخاً حول الحيطان وامر الطبّاخين ان يعلقوا عليه جميع انواع القدور وان يطبخوا سائر أنواع الطعام ويداوموا الطبخ بالليل والنهار ، وكل من كان في هذه المدينة وما حولها من البلاد البعيدة والقريبة يأكلون ويشربون ويحملون إلى بيوتهم . وأمرهم أن يفرحوا ويزينوا المدينة سبعة أيام ولا يقفلوا حوانيتهم ليلاً ولا نهاراً . فخرج الوزير من وقته وساعته وفعل ما أمره به الملك عاصم وزينوا المدينة والقلعة والأبراج أحسن الزينة ولبسوا أحسن ملبوس . وصار الناس في أكل وشرب ولعب وانشراح إلى ان حصل الطلق لزوجة الملك بعد انقضاء أيامها ، فوضعت ولداً ذكراً كالقمر ليلة تمامه فسمّاه سيف الملوك . وكذلك زوجة الوزير وضعت ولداً كالصباح فسمّاه ساعداً . فلما بلغا رشدهما صار الملك عاصم كلما ينظرهما يفرح بهما الفرح الشديد . فلما صار عمرهما عشرين سنة طلب الملك وزيره فارس في خلوة وقال له : يا وزير ، قد خطر ببالي أمر أريد أن أفعله ولكن أستشيرك فيه . فقال له الوزير : مهما خطر ببالك فافعله فإن رأيك مبارك . فقال الملك عاصم : يا وزير ، انا صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرماً لأني طعنت في السن وأريد أن أقعد في زاوية لأعبد الله تعالى وأعطي ملكي وسلطنتي لولدي سيف الملوك ، فإنه صار شاباً مليحاً كامل الفروسية والعقل والأدب والحشمة والرياسة . فما تقول ايها الوزير في هذا الراي ؟ فقال الوزير : نِعم الرأي الذي رأيته وهو رأي مبارك سعيد ، فإذا فعلت انت هذا فأنا الآخر افعل مثلك ويكون ولدي ساعداً وزيراً له ، لأنه شاب مليح ذو معرفة ورأي ويصير الإثنان مع بعضهما ونحن ندبر شأنهما ولا نتهاون في أمرهما بل ندلّهما على الطريق المستقيم . ثم قال الملك عاصم لوزيره : اكتب الكتب وارسلها مع السعاة إلى جميع الأقاليم والبلاد والحصون والقلاع التي تحت أيدينا وأمر أكابرها أن يكونوا في الشهر الفلاني حاضرين في ميدان الفيل . فخرج الوزير فارس من وقته وساعته وكتب إلى جميع العمال وأصحاب القلائع ومن كان تحت حكم الملك عاصم أن يحضروا جميعهم في الشهر الفلاني ، وأمر أن يحضر كل من في المدينة من قاص ودان . ثم إن الملك عاصماً بعد مضي غالب تلك المدة أمر الفراشين ان يضربوا القباب في وسط الميدان وأن يزيّنوها بأفخر الزينة وان ينصبوا التخت الكبير الذي لا يقعد عليه الملك إلا في الأعياد . ففعلوا في الحال جميع ما أمرهم به ونصبوا التخت وخرجت النواب والحجاب والأمراء وخرج الملك وأمر أن ينادى في الناس : بسم الله ابرزوا إلى الميدان . فبرز الأمراء والوزراء وأصحاب الأقاليم والضياع إلى ذلك الميدان ودخلوا في خدمة الملك على جري عادتهم واستقرّوا كلهم في مراتبهم ، فمنهم من قعد ومنهم من وقف إلى أن اجتمعت الناس جميعهم ، وأمر الملك أن يمدّوا السماط ، فمدّوه وأكلوا وشربوا ودعوا للملك . ثم أمر الملك الحجاب أن ينادوا في الناس بعدم الذهاب . فنادوا وقالوا في المناداة : لا يذهب منكم أحد حتى يسمع كلام الملك . ثم رفعوا الستور فقال الملك :

من أحبني فليمكث حتى يسمع كلامي . فقعد الناس جميعهم مطمئنين النفوس بعد ان كانوا خائفين . ثم قام الملك على قدميه وحلّفهم ان لا يقوم احد من مقامه وقال لهم : ايها الأمراء والوزراء وأرباب الدولة ، كبيركم وصغيركم ومن حضر من جميع الناس ، هل تعلمون ان هذه المملكة لي وراثة عن آبائي واجدادي ؟ قالوا له : نعم ايها الملك كلنا نعلم ذلك . فقال لهم : انا وانتم كنا كلنا نعبد الشمس والقمر ورزقنا الله تعالى الإيمان وانقذنا من الظلمات إلى النور وهدانا الله سبحانه وتعالى إلى دين الإسلام ، واعلموا اني الآن صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرماً عاجزاً واريد ان اجلس في زاوية اعبد الله تعالى فيها واستغفره من الذنوب الماضية ، وهذا ولدي سيف الملوك حاكم وتعرفون أنه شاب مليح فصيح خبير بالأمور عاقل فاضل عادل . فاريد في هذه الساعة ان اعطيه مملكتي واجعله ملكاً عليكم عوضاً عني واجلسه سلطاناً في مكاني واتخلى انا لعبادة الله تعالى في زاوية ، وابني سيف الملوك يتولّى الملك ويحكم بينكم ، فأي شيء قلتم كلكم باجمعكم ؟ فقاموا كلهم وقبّلوا الأرض بين يديه واجابوا : بالسمع والطاعة . وقالوا : يا ملكنا وحامينا ، لو اقمت علينا عبداً من عبيدك لأطعناه وسمعنا قولك وامتثلنا امرك فكيف بولدك سيف الملوك ؟ قبلناه ورضيناه على العين والرأس . فقام الملك عاصم بن صفوان ونزل من فوق سريره واجلس ولده على التخت الكبير ورفع التاج من فوق رأس نفسه ووضعه فوق رأس ولده وشدّ وسطه بمنطقة الملك وجلس الملك عاصم على كرسي مملكته بجانب ولده ، فقام الأمراء والوزراء واكابر الدولة وجميع الناس وقبّلوا الأرض بين يديه وصاروا وقوفاً يقولون لبعضهم : هو حقيق بالملك وهو اولى به من الغير ، ونادوا بالأمان ودعوا له بالنصر والإقبال . ونثر سيف الملوك الذهب والفضة على رؤوس الناس اجمعين . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 762

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الملك عاصماً لما اجلس ولده سيف الملوك على التخت ودعا له كامل الناس بالنصر والإقبال ، نثر الذهب والفضة على رؤوس الناس اجمعين وخلع الخلع ووهب واعطى . ثم بعد لحظة قام الوزير فارس وقبّل الأرض وقال : يا أمراء ، يا أرباب الدولة ، هل تعرفون اني وزير ووزارتي قديمة من قبل ان يتولى الملك عاصم بن صفوان ؟ وهو الآن قد خلع نفسه من المُلك وولّى ولده عوضاً عنه . قالوا : نعم . نعرف وزارتك أباً عن جدّ . فقال : والآن اخلع نفسي واولي ولدي ساعداً هذا فإنه عاقل فطن خبير ، فأي شيء تقولون بأجمعكم ؟ فقالوا : لا يصلح وزيراً للملك سيف الملوك إلا ولدك ساعد ، فإنهما يصلحان لبعضهما . فعند ذلك قام الوزير فارس وقلع عمامة الوزارة ووضعها فوق رأس ولده ساعد وحطّ دواة الوزارة قدّامه أيضاً . وقالت الحجاب والأمراء : إنه يستحق الوزارة . فعند ذلك قام الملك عاصم والوزير فارس وفتحا الخزائن وخلعا الخلع السنية على الملوك والأمراء والوزراء واكابر الدولة والناس اجمعين ، واعطى النفقة والأنعام وكتبا لهم المناشير الجديدة والمراسيم بعلامة سيف الملوك وعلامة الوزير ساعد بن الوزير فارس ، واقام الناس في المدينة جمعة وبعدها كل منهم سافر إلى بلاده ومكانه . ثم إن الملك عاصماً اخذ ولده سيف الملوك وساعداً ولد الوزير ثم دخلوا المدينة وطلعوا القصر واحضروا الخازندار وامروه

بإحضار الخاتم والسيف والبقجة . وقال الملك عاصم : يا اولادي تعالوا كل واحد منكم يختار من هذه الهدية شيئًا وياخذه . فأول من مد يده سيف الملوك فأخذ البقجة والخاتم ، ومدّ ساعد يده فاخذ السيف والمهر ، وقبّلا يدي الملك وذهبا إلى منازلهم . فلما اخذ سيف الملوك البقجة لم يفتحها ولم ينظر ما فيها بل رماها فوق التخت الذي ينام عليه بالليل هو وساعد وزيره ، وكان من عادتهما ان يناما مع بعضهما . ثم إنهم فرشوا لهما فراش النوم ورقد الإثنان مع بعضهما على فراشهما والشموع تضيء عليهما واستمرا إلى نصف الليل ، ثم انتبه سيف الملوك من نومه فرأى البقجة عند رأسه . فقال في نفسه : يا ترى اي شيء في هذه البقجة التي أهداها لنا الملك من التحف ؟ فاخذها واخذ الشمعة ونزل من فوق التخت وترك ساعداً نائماً ودخل الخزانة وفتح البقجة فرأى فيها قباء من شغل الجان ، ففتح القباء وفرده فوجد على البطانة التي من داخل في جهة ظهر القباء صورة بنت منقوشة بالذهب ، ولكن جمالها شيء عجيب . فلما رأى هذه الصورة طار عقله من رأسه وصار مجنوناً بعشق تلك الصورة ووقع في الأرض مغشياً عليه ، وصار يبكي وينتحب ويلطم على وجهه وصدره ويقبلها . ثم انشد هذين البيتين : [من الكامل]

الحُبُّ أوَّلُ ما يَكُونُ مُجاجَةً تَأتِي بِهِ وتَسُوقُهُ الأَقْدارُ
حَتَّى إذا خاضَ الفَتَى لُجَجَ الهَوَى جاءَتْ أُمُورٌ لا تُطاقُ كِبارُ

ولم يزل سيف الملوك ينتحب ويبكي ويلطم على وجهه وصدره حتى انتبه الوزير ساعد وتأمّل الفرش فلم ير سيف الملوك ، فرأى شمعة . فقال في نفسه : اين راح سيف الملوك ؟ ثم اخذ الشمعة وقام يدور في القصر جميعه حتى وصل إلى الخزانة التي فيها سيف الملوك فرآه وهو يبكي بكاء شديداً وينتحب . فقال له : يا اخي ، لأي سبب هذا البكاء ؟ اي شيء جرى لك ؟ فحدثني واخبرني بسبب ذلك . وسيف الملوك لم يكلمه ولم يرفع رأسه بل يبكي وينتحب ويدق يده على صدره . فلما رآه ساعد على هذه الحالة قال : انا وزيرك واخوك وتربيت انا وإياك ، وإن لم تبين لي امورك وتطلعني على سرّك ، فعلى من تخرج سرّك وتطلعه عليه ؟ ولم يزل ساعد يتضرّع ويقبّل الأرض ساعة زمانية وسيف الملوك لم يلتفت إليه ولم يكلمه كلمة واحدة بل يبكي . فلما راع ساعداً حاله واعياه امره خرج من عنده واخذ سيفاً ودخل الخزانة التي فيها سيف الملوك وحطّ ذبابه على صدر نفسه وقال لسيف الملوك : إنتبه يا اخي ، إن لم تقل لي أي شيء جرى ، قتلت روحي ولا اراك في هذه الحال . فعند ذلك رفع سيف الملوك رأسه إلى وزيره ساعد وقال له : يا اخي ، انا استحيت ان اقول لك واخبرك بالذي جرى لي . فقال له ساعد : سألتك بالله ربّ الأرباب ومعتق الرقاب ومسبّب الأسباب الواحد التوّاب الكريم الوهّاب ان تقول لي ما الذي جرى لك ؟ ولا تستحي مني فانا عبدك ووزيرك ومشيرك في الأمور كلها . فقال سيف الملوك : تعال انظر إلى هذه الصورة . فلما رأى ساعد تلك الصورة تأمّل فيها ساعة زمانية ورأى مكتوباً على رأس الصورة باللؤلؤ المنظوم : هذه الصورة صورة بديع الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك من ملوك الجان المؤمنين الذين هم نازلون في مدينة بابل وساكنون في بستان إرم بن عاد الأكبر .
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 763

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن سيف الملوك ابن الملك عاصم والوزير ساعد بن الوزير فارس لما قرآ الكتابة التي على القباء ورأيا فيها صورة بديع الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك بابل، من ملوك الجان المؤمنين النازلين بمدينة بابل الساكنين في بستان إرم بن عاد الأكبر. قال الوزير ساعد للملك سيف الملوك : يا أخي، أتعرف من صاحبة هذه الصورة من النساء حتى تفتش عليها؟ فقال سيف الملوك : لا والله يا أخي ما أعرف صاحبة هذه الصورة. فقال ساعد : تعال اقرأ هذه الكتابة. فتقدم سيف الملوك وقرأ الكتابة التي على التاج وعرف مضمونها فصرخ من صميم قلبه وقال : آه آه. فقال له ساعد : يا أخي، إن كانت صاحبة هذه الصورة موجودة واسمها بديعة الجمال وهي في الدنيا فأنا أسرع في طلبها من غير مهلة حتى تبلغ مرادك، فبالله يا أخي أن تترك البكاء لأجل أن تدخل أهل الدولة في خدمتك، فإذا كان ضحوة النهار فاطلب التجار والفقراء والسواحين والمساكين واسألهم عن صفات هذه المدينة لعل أحداً ببركة الله سبحانه وتعالى وعونه يدلّنا عليها وعلى بستان إرم. فلما أصبح الصباح، قام سيف الملوك وطلع فوق التخت وهو معانق للقباء لأنه صار لا يقوم ولا يقعد ولا يأتيه نوم إلا وهو معه. فدخلت عليه الأمراء والوزراء والجنود وأرباب الدولة، فلما تم الديوان وانتظم الجمع قال الملك سيف الملوك لوزيره ساعد : ابرز لهم وقل لهم : إن الملك حصل له تشويش، والله ما بات البارحة إلا وهو ضعيف. فطلع الوزير ساعد وأخبر الناس بما قال الملك. فلما سمع الملك عاصم ذلك لم يهن عليه ولده، فعند ذلك دعا بالحكماء والمنجمين ودخل بهم على ولده سيف الملوك فنظروا إليه ووصفوا له الشراب واستمر موضعه مدة ثلاثة أشهر. فقال الملك عاصم للحكماء الحاضرين وهو مغتاظ عليهم : ويلكم يا كلاب، هل عجزتم كلكم عن مداواة ولدي؟ فإن لم تداووه في هذه الساعة اقتلكم جميعاً. فقال رئيسهم الكبير : يا ملك الزمان، إننا نعلم أن هذا ولدك وأنت تعلم أننا لا نتساهل في مداواة الغريب فكيف بمداواة ولدك؟ ولكن ولدك به مرض صعب، إن شئت معرفته نذكره لك ونحدّثك به. قال الملك عاصم : أي شيء ظهر لكم من مرض ولدي؟ فقال له الحكيم الكبير : يا ملك الزمان، إن ولدك الآن عاشق ويحب من لا سبيل إلى وصاله. فاغتاظ الملك عليهم وقال : من أين علمتم أن ولدي عاشق؟ ومن أين جاء العشق لولدي. فقالوا له : إسأل أخاه ووزيره ساعداً فإنه هو الذي يعلم حاله. فعند ذلك قام الملك عاصم ودخل في خزانة وحده ودعا بساعد وقال له : أصدقني بحقيقة مرض أخيك. فقال له : ما أعلم حقيقته. فقال الملك للسياف : خذ ساعداً واربط عينيه واضرب رقبته. فخاف ساعد على نفسه وقال : يا ملك الزمان أعطني الأمان. فقال له : قل لي ولك الأمان. فقال له ساعد : إن ولدك عاشق. فقال له الملك : ومن معشوقه؟ فقال ساعد : بنت ملك من ملوك الجان فإنه رأى صورتها في قباء من البقجة التي أهداها إليكم سليمان نبي الله. فعند ذلك قام الملك عاصم ودخل على ابنه سيف الملوك وقال له : يا ولدي، أي شيء دهاك؟ وما هذه الصورة التي عشقتها؟ ولأي شيء لم تخبرني؟ فقال سيف الملوك : يا أبت، كنت أستحي منك وما كنت أقدر أن أذكر لك ولا أقدر أن أظهر أحداً على شيء منه أبداً، والآن قد علمت بحالي فانظر كيف تعمل في مداواتي. فقال له أبوه : كيف تكون الحيلة؟ لو كانت هذه من بنات الإنس كنا دبرنا حيلة في

الوصول إليها ولكن هذه من بنات ملوك الجان ومن يقدر عليها الا إذا كان سليمان بن داود؟ فإنه هو الذي يقدر على ذلك. ولكن يا ولدي قم في هذه الساعة وقوّ روحك واركب ورح إلى الصيد والقنص واللعب في الميدان واشتغل بالأكل والشرب واصرف الهمّ والغمّ عن قلبك وأنا أجيء لك بمائة بنت من بنات الملوك، وما لك حاجة ببنات الجان التي ليس لنا قدرة عليهم ولا هم من جنسنا. فقال له: أنا ما أتركها ولا أطلب غيرها. فقال له: كيف يكون العمل يا ولدي؟ فقال له ابنه: أحضر لنا جميع التجار والمسافرين والسواحين في البلاد لنسألهم عن ذلك لعل الله يدلنا على بستان إرم وعلى مدينة بابل. فأمر الملك عاصم أن يحضر كل تاجر في المدينة وكل غريب فيها وكل رئيس في البحر. فلما حضروا سألهم عن مدينة بابل وعن جزيرتها وعن بستان إرم فما أحد منهم عرف هذه الصفة ولا أخبر عنها بخبر. وعند انفضاض المجلس قال واحد منهم: يا ملك الزمان، إن كنت تريد أن تعرف ذلك فعليك ببلاد الصين، فإنها مدينة كبيرة ولعل أحداً منها يدلّك على مقصودك. ثم إن سيف الملوك قال: يا أبي، جهّز لي مركباً للسفر إلى بلاد الصين. فقال له أبوه الملك عاصم: يا ولدي، إجلس أنت على كرسي مملكتك واحكم في الرعية وأنا أسافر إلى بلاد الصين وأمضي إلى هذا الأمر بنفسي. فقال سيف الملوك: يا أبي إن هذا الأمر متعلّق بي وما يقدر أحد أن يفتش عليه مثلي، وأي شيء يجري إذا كنت تعطيني إذناً بالسفر وأتغرّب مدة من الزمان؟ فإن وجدت لها خبراً حصل المراد وإن لم أجد لها خبراً يكون في السفر انشراح صدري ونشاط خاطري ويهون أمري بسبب ذلك، وإن عشت رجعت إليك سالماً. وأدرك شهزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 764

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن سيف الملوك قال لوالده الملك عاصم: جهّز لي مركباً لأسافر فيها إلى بلاد الصين حتى أفتش على مقصودي، فإن عشت رجعت إليك سالماً. فنظر الملك إلى ابنه فلم ير له حيلة غير أنه يعمل له الذي يرضيه، فأعطاه إذنًا بالسفر وجهّز له أربعين مركباً وعشرين ألف مملوك غير الأتباع وأعطاه أموالاً وخزائن وكل شيء يحتاج إليه من آلات الحرب وقال له: سافر يا ولدي في خير وعافية وسلامة وقد استودعتك عند من لا تخيب عنده الودائع. فعند ذلك ودّعه أبوه وأمه وشحنت المراكب بالماء والزاد والسلاح والعساكر ثم سافروا. ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى مدينة الصين. فلما سمع أهل الصين أنه وصل إليهم أربعون مركبًا مشحونة بالرجال والعدد والسلاح والذخائر اعتقدوا أنهم أعداء جاؤوا إلى قتالهم وحصارهم، فقفلوا أبواب المدينة وجهّزوا المنجنيقات. فلما سمع الملك سيف الملوك ذلك، أرسل إليهم مملوكين من مماليكه الخواص وقال لهم امضوا إلى ملك الصين وقولوا له: إن هذا سيف الملوك ابن الملك عاصم، جاء إلى مدينتك ضيفاً ليتفرّج في بلادك مدة من الزمان ولا يقاتل ولا يخاصم، فإن قبلته نزل عندك وإن لم تقبله رجع ولا يشوّش عليك ولا على أهل مدينتك. فلما وصل المماليك إلى المدينة قالوا لأهلها: نحن رسل الملك سيف الملوك. ففتحوا لهم الباب وذهبوا بهم وأحضروهم عند ملكهم وكان اسمه قعفوشاه، وكان بينه وبين الملك عاصم قبل تاريخه معرفة. فلما سمع أن الملك القادم عليه هو سيف الملوك ابن الملك عاصم، خلع على الرسل وأمر بفتح الأبواب وجهّز الضيافات وخرج بنفسه مع خواص دولته

وجاء إلى سيف الملوك وتعانقا وقال له : أهلاً وسهلاً ومرحباً بمن قدم علينا ، وأنا مملوكك ومملوك أبيك ومدينتي بين يديك وكل ما تطلبه يحضر إليك . وقدّم له الضيافات والزاد في مواضع الإقامات وركب الملك سيف الملوك وساعد وزيره ومعهم خواص دولتهم وبقية العساكر ، وساروا في ساحل البحر إلى ان دخلوا المدينة وضربت الكاسات ودقت البشائر وأقاموا فيها مدة اربعين يوماً في ضيافات حسنة . ثم بعد ذلك قال له : يا ابن أخي ، كيف حالك ؟ هل أعجبتك بلادي ؟ فقال له سيف الملوك : أدام الله تعالى تشريفها بك أيها الملك . فقال الملك قعفوشاه : ما جاء بك إلا حاجة طرأت لك ، وأي شيء تريده من بلادي فأنا أقضيه لك . فقال له سيف الملوك : إن حديثي عجيب ، وهو أني عشقت صورة بديع الجمال . فبكى ملك الصين رحمة له وشفقة عليه وقال له : وما تريد الآن يا سيف الملوك ؟ فقال له : أريد منك أن تحضر لي جميع السواحين والمسافرين ومَن له عادة بالأسفار حتى أسألهم عن صاحبة هذه الصورة لعل أحداً منهم يخبرني بها . فأرسل الملك قعفوشاه النواب والحجاب والأعوان وأمرهم أن يحضروا جميع مَن في البلاد من السواحين والمسافرين ، فأحضروهم وكانوا جماعة كثيرة فاجتمعوا عند الملك قعفوشاه . ثم سأل الملك سيف الملوك عن مدينة بابل وعن بستان إرم فلم يرد عليه أحد منهم جواباً . فتحيّر الملك سيف الملوك في أمره . ثم بعد ذلك قال واحد من الرؤساء البحرية : أيها الملك ، إن أردت أن تعلم هذه المدينة وذلك البستان فعليك بالجزائر التي في بلاد الهند . فعند ذلك أمر سيف الملوك أن يحضروا المركب . ففعلوا ونقلوا فيها الماء والزاد وجميع ما يحتاجون إليه وركب سيف الملوك وساعد وزيره بعد أن ودّعوا الملك قعفوشاه وسافروا في البحر مدة أربعة أشهر في ريح طيبة سالمين مطمئنين . فاتفق أن خرج عليهم ريح في يوم من الأيام وجاءهم الموج من كل مكان ونزلت عليهم الأمطار وتغيّر البحر من شدة الريح ، ثم ضربت المراكب بعضها بعضاً من شدة الريح فانكسرت جميعها وكذلك الزوارق الصغيرة وغرقوا جميعهم وبقي سيف الملوك مع جماعة من مماليكه في زورق صغير . ثم سكت الريح وسكن بقدرة الله تعالى وطلعت الشمس ، ففتح سيف الملوك عينه فلم ير شيئاً من المراكب ولم يرَ غير السماء والماء وهو ومن معه في الزورق الصغير . فقال لمن معه من مماليكه : أين المراكب والزوارق الصغيرة ؟ وأين أخي ساعد ؟ فقالوا له : يا ملك الزمان ، لم يبق مراكب ولا زوارق ولا من فيها فإنهم غرقوا كلهم وصاروا طعماً للسمك . فصرخ سيف الملوك وقال كلمة لا يخجل قائلها وهي : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وصار يلطم على وجهه وأراد أن يرمي نفسه في البحر فمنعه المماليك وقالوا له : يا ملك ، أي شيء يفيدك من هذا ؟ فأنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ولو سمعت كلام أبيك ما كان جرى عليك من هذا شيء ، ولكن كل هذا مكتوب من القدم بإرادة بارىء النسم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 765

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن سيف الملوك لمّا أراد أن يرمي نفسه في البحر منعته المماليك وقالوا له : أي شيء يفيدك من هذا ؟ فأنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ، ولكن هذا شيء مكتوب من القدم بإرادة بارىء النسم حتى يستوفي العبد ما كتب الله عليه . وقد قال المنجمون لأبيك عند ولادتك : إن ابنك هذا تجري عليه الشدائد كلها ،

وحينئذ ليس لنا حيلة إلا الصبر حتى يفرج الله علينا الكرب الذي نحن فيه . فقال سيف الملوك : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لا مفر من قضاء الله تعالى ولا مهرب . ثم إنه تنهد وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

تَحَيَّرْتُ والرَّحْمٰنُ لا شَكَّ في أَمْرِي ... وأَدْرَكَنِي الوَسْواسُ مِنْ حَيْثُ لا أَدْرِي

سأَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّنِي ... صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

وما طَعْمُ صابِ الصَّبْرِ صَبْرِي وإنَّما ... صَبَرْتُ على شَيْءٍ أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ

وما حِيلَتِي في الأَمْرِ هذا وإنَّما ... أُفَوِّضُ أَحْوالِي إلى صاحِبِ الأَمْرِ

ثم غرق في بحر الأفكار وجرت دموعه على خدّه كالمدرار ونام ساعة من النهار ، ثم استفاق وطلب شيئًا من الأكل فأكل حتى اكتفى ورفعوا الزاد من قدامه والزورق سائر بهم ولم يعلموا إلى أي جهة يتوجه بهم . ولم يزل يسير بهم مع الأمواج والرياح ليلاً ونهاراً مدة مديدة من الزمان حتى فرغ منهم الزاد وذهلوا عن الرشاد ، وصاروا في أشد ما يكون من الجوع والعطش والقلق وإذا بجزيرة قد لاحت لهم على بعد ، فصارت الأرياح تسوقهم إلى أن وصلوا إليها وأرسوا عليها وطلعوا من الزورق وتركوا فيه واحد . ثم توجهوا إلى تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه كثيرة من سائر الألوان ، فأكلوا منها حتى اكتفوا وإذا بشخص جالس بين تلك الأشجار ، طويل الوجه رؤيته عجيبة أبيض اللحية والبدن . فنادى بعض المماليك باسمه وقال له : لا تأكل من هذه الفواكه لأنها لم تستو وتعال عندي حتى أطعمك من هذه الفواكه المستوية . فنظر إليه المملوك وظن أنه من جملة الغرقى الذين غرقوا وطلع على هذه الجزيرة ، ففرح برؤيته غاية الفرح ومشى حتى وصل قريباً منه وذلك المملوك لا يعلم الذي قدّر عليه في الغيب وما هو مسطّر على جبينه . فلما صار ذلك المملوك قريباً منه وثب عليه ذلك الرجل لأنه مارد ، وركب فوق أكتافه ولفّ إحدى رجليه على رقبته والأخرى أرخاها على ظهره وقال له : امش ما بقي لك مني خلاص وأنت بقيت حماري . فصاح ذلك المملوك على رفقائه وصار يبكي ويقول : واسيداه ، اخرجوا وانجوا بأنفسكم من هذه الغابة واهربوا لأن واحداً من سكانها ركب فوق أكتافي وإن البقية يطلبونكم ويريدون أن يركبوكم مثلي . فلما سمعوا ذلك الكلام الذي قاله المملوك ، هربوا كلهم ونزلوا في الزورق . فتبعوهم في البحر وقالوا لهم : اين تذهبون ؟ تعالوا اقعدوا عندنا ولنركب فوق ظهوركم ونطعمكم ونسقيكم وتبقوا حميرنا . فلما سمعوا منهم هذا الكلام أسرعوا بالسير في البحر إلى أن بعدوا عنهم وتوجهوا متوكلين على الله تعالى ، ولم يزالوا كذلك مدة شهر حتى بانت لهم جزيرة أخرى . فطلعوا في تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه مختلفة الأنواع ، فاشتغلوا بأكل الفواكه وإذا هم بشيء في الطريق يلوح على بعد . فلما قربوا منه نظروا إليه فرأوه بشع المنظر مرمياً مثل عامود من فضة ، فلكزه مملوك برجله وإذا هو شخص طويل العينين مشقوق الرأس وهو مختفٍ تحت إحدى أذنيه لأنه كان إذا نام يحط أذنه تحت رأسه ويتغطّى بالأذن الأخرى . ثم خطف ذلك المملوك الذي لكزه وراح به في وسط الجزيرة فإذا هي كلها غيلان يأكلون بني آدم . ثم إن ذلك المملوك صاح على رفقائه وقال لهم : فوزوا بأنفسكم فإن هذه الجزيرة جزيرة الغيلان ، يأكلون بني آدم ويريدون أن يقطعوني ويأكلوني . فلما سمعوا هذا الكلام ولّوا معرضين ونزلوا

من البرّ إلى الزورق ولم يجمعوا من هذه الفواكه شيئًا، وساروا مدة أيام . فاتفق أنه ظهرت لهم يومًا من الأيام جزيرة أخرى فلما وصلوا إليها وجدوا فيها جبلاً عاليًا، فطلعوا في ذلك الجبل فرأوا فيه غابة كثيرة الأشجار وهم جياع فاشتغلوا بأكل الفواكه، فلم يشعروا إلاّ وقد خرج لهم من بين الأشجار أشخاص هائلة المنظر طوال، طول كل واحد منهم خمسون ذراعاً وأنيابه خارجة من فمه مثل أنياب الفيل وإذا هم بشخص جالس على قطعة لباد أسود فوق صخرة من الحجر وحواليه الزنوج وهم جماعة كثيرة واقفون في خدمته . فجاء هؤلاء الزنوج وأخذوا سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدي ملكهم وقالوا : إنّا لقينا هذه الطيور بين الأشجار . وكان الملك جائعاً فأخذ من المماليك اثنين وذبحهما وأكلهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 766

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الزنوج لما أخذوا الملك سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدي ملكهم وقالوا له : يا ملك، إنّا لقينا هذه الطيور بين الأشجار . فأخذ ملكهم مملوكين وذبحهما وأكلهما . فلما رأى سيف الملوك هذا الأمر خاف على نفسه وبكى ثم أنشد هذين البيتين : [من الكامل]

أَلِفَ الحَوادِثَ مُهْجَتِي وأَلِفْتُها ... بَعْدَ التَّنافُرِ والكَرِيمُ أَلُوفُ
لَيْسَ الهُمُومُ عَلَيَّ صِنْفاً وَاحِدًا ... عِنْدي بِحَمْدِ اللهِ مِنْهُ أُلُوفُ

ثم تنهد وأنشد أيضاً هذين البيتين : [من الوافر]

رَمانِي الدَّهْرُ بالأَرْزاءِ حَتَّى ... فُؤَادي في غِشاءٍ مِنْ نِبالِ
فَصِرْتُ إذا أَصابَتْنِي سِهامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصالُ عَلَى النِّصالِ

فلما سمع الملك بكاءه وتعديده قال : إن هؤلاء طيور مليحة الصوت والنغمة قد أعجبتني أصواتهم ، فاجلعوا كل واحد منهم في قفص . فحطّوا كل واحد منهم في قفص وعلّقوهم على رأس الملك ليسمع أصواتهم ، وصار سيف الملوك ومماليكه في الأقفاص والزنوج يطعمونهم ويسقونهم وهم ساعة يبكون وساعة يضحكون وساعة يتكلمون وساعة يسكتون، كل هذا وملك الزنوج يتلذّذ بأصواتهم . ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان . وكان للملك بنت متزوجة في جزيرة أخرى، فسمعت أن أباها عنده طيور لها أصوات مليحة، فأرسلت جماعة إلى أبيها تطلب منه شيئًا من الطيور . فأرسل إليها أبوها سيف الملوك وثلاثة مماليك في أربعة أقفاص مع القاصد الذي جاء في طلبهم ، فلما وصلوا إليها ونظرتهم أعجبوها، فأمرت أن يطلعوهم في موضع فوق رأسها . فصار سيف الملوك يتعجب مما جرى له ويتفكّر ما كان فيه من العز وصار يبكي على نفسه والمماليك الثلاثة يبكون على أنفسهم ، كل هذا وبنت الملك تعتقد أنهم يغنون . كانت عادة بنت الملك إذا وقع عندها أحد من بلاد مصر أو من غيرها وأعجبها يصير له عندها منزلة عظيمة، وكان بقضاء الله تعالى وقدره أنها لمّا رأت سيف الملوك عجبها حسنه وجماله وقده واعتداله، فأمرت بإكرامهم . واتفق أنها اختلت يوماً من الأيام بسيف الملوك وطلبت منه أن يجامعها فأبى سيف الملوك ذلك وقال لها : يا سيدتي، أنا رجل غريب وبحب الذي أهواه كئيب وما أرضى بغير وصاله . فصارت بنت الملك تلاطفه وتراوده فامتنع منها، ولم تقدر أن تدنو منه

ولا أن تصل إليه بحال من الأحوال. فلما أعياها أمره غضبت عليه وعلى مماليكه وأمرتهم أن يخدموها وينقلوا إليها الماء والحطب، فمكثوا على هذه الحالة أربع سنوات. فأعيى سيف الملوك ذلك الحال وأرسل يتشفع عند الملكة عسى أن تعتقهم ويمضوا إلى حال سبيلهم ويستريحوا مما هم فيه. فأرسلت أحضرت سيف الملوك وقالت: إن وافقتني على غرضي أعتقتك من الذي أنت فيه وتروح لبلادك سالمًا غانماً. وما زالت تتضرع إليه وتأخذ بخاطره فلم يجبها إلى مقصودها. فأعرضت عنه مغضبة وصار سيف الملوك والمماليك عندها في الجزيرة على تلك الحالة، وعرف أهلها أنهم طيور بنت الملك فلم يتجاسر أحد من أهل المدينة على أن يضرّهم بشيء، وصار قلب بنت الملك مطمئناً عليهم وتحقّقت أنهم ما بقي لهم خلاص من هذه الجزيرة. فصاروا يغيبون عنها اليومين والثلاثة ويدورون في البرية ليجمعوا الحطب من جوانب الجزيرة ويأتوا به إلى مطبخ بنت الملك، فمكثوا على هذه الحالة خمس سنوات. فاتفق أن سيف الملوك قعد هو ومماليكه يوماً من الأيام على ساحل البحر يتحدّثون فيما جرى، فالتفت سيف الملوك فرأى روحه في هذا المكان هو ومماليكه فتذكر أمه وأباه وأخاه ساعداً وتذكر العزّ الذي كان فيه، فبكى وزاد في البكاء والنحيب وكذلك المماليك بكوا مثله. ثم قال المماليك: يا ملك الزمان، إلى متى نبكي والبكاء لا يفيد وهذا أمر مكتوب على جباهنا بتقدير الله عزّ وجلّ، وقد جرى القلم بما حكم وما ينفعنا إلا الصبر لعل الله سبحانه وتعالى الذي ابتلانا بهذه الشدة يفرجها عنّا. فقال لهم سيف الملوك: يا إخوتي، كيف نعمل في خلاصنا من هذه الملعونة؟ ولا أرى لنا خلاصاً إلا أن يخلصنا الله منها بفضله. ولكن خطر ببالي إنّا نهرب ونستريح من هذا التعب. فقالوا له: يا ملك الزمان، أين نروح من هذه الجزيرة وهي كلها غيلان يأكلون بني آدم؟ وكل موضع توجهنا إليه وجدونا فيه فإما أن يأكلونا وإما أن يأسرونا ويردّونا إلى موضعنا وتغضب علينا بنت الملك. فقال سيف الملوك: أنا أعمل لكم شيئًا، لعل الله تعالى يساعدنا به على الخلاص ونخلص من هذه الجزيرة. فقالوا له: كيف تعمل؟ فقال: نقطع من هذه الأخشاب الطوال ونفتل من قشرها حبالاً ونربط بعضها في بعض ونجعلها فلكاً ونرميه في البحر ونملأه من تلك الفاكهة ونعمل له مجاديف وننزل فيه، لعل الله تعالى ان يجعل لنا به فرجاً فإنه على كل شيء قدير، وعسى الله ان يرزقنا الريح الطيب الذي يوصلنا إلى بلاد الهند ونخلص من هذه الملعونة. فقالوا له: هذا رأي حسن. وفرحوا به فرحاً شديداً وقاموا في الوقت والساعة يقطعون الأخشاب لعمل الفلك، ثم فتلوا الحبال لربط الأخشاب في بعضها واستمرّوا على تلك مدة شهر، وكل يوم في آخر النهار يأخذون شيئًا من الحطب ويروحون به إلى مطبخ بنت الملك ويجعلون بقية النهار لأشغالهم في صنع الفلك إلى أن أتمّوه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 767

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن سيف الملوك ومماليكه لما قطعوا الأخشاب من الجزيرة وفتلوا الحبال، ربطوا الفلك الذي عملوه. فلما فرغوا من عِمله رموه في البحر ووسقوه من الفواكه التي في الجزيرة من تلك الأشجار وتجهّزوا في آخر يومهم ولم يعلموا احداً بما فعلوا. ثم ركبوا في ذلك الفلك وساروا في البحر مدة أربعة أشهر ولم يعلموا أين يذهب بهم، وفرغ منهم الزاد وصاروا في أشد ما يكون من الجوع والعطش. وإذا بالبحر قد

أرغى وأزبد وطلع له أمواج عالية، فأقبل عليهم تمساح هائل ومدّ يده وخطف مملوكاً من المماليك وبلعه. فلما رأى سيف الملوك ذلك التمساح فعل بالمملوك ذلك الفعل بكى بكاء شديداً وسار في الفلك هو والمملوك الباقي وحدهما وبعدا عن مكان التمساح وهما خائفان، ولم يزالا كذلك حتى ظهر لهما يوماً من الأيام جبل عظيم هائل عال شاهق في الهواء ففرحا به. وظهر لهما بعد ذلك جزيرة، فجدّا في السير إليها وهما مستبشران بدخولهما الجزيرة. فبينما هما على تلك الحالة وإذا بالبحر قد هاج وعلت أمواجه وتغيّرت حالاته فرفع تمساح رأسه ومدّ يده فأخذ المملوك الذي بقي من مماليك سيف الملوك وبلعه، فصار سيف الملوك وحده حتى وصل إلى الجزيرة وصار يعالج إلى أن صعد فوق الجبل ونظر فرأى غابة. فدخل الغابة ومشى بين الأشجار وصار يأكل من الفواكه، فرأى الأشجار قد طلع فوقها ما يزيد عن عشرين قرداً كبار كل واحد منهم أكبر من البغل. فلما رأى سيف الملوك هذه القرود حصل له خوف شديد، ثم نزلت القرود واحتاطوا به من كل جانب وبعد ذلك ساروا أمامه وأشاروا إليه أن يتبعهم ومشوا، فمشى سيف الملوك خلفهم. وما زالوا سائرين وهو تابعهم حتى أقبلوا على قلعة عالية البنيان مشيدة الأركان، فدخلوا تلك القلعة ودخل سيف الملوك وراءهم فرأى فيها من سائر التحف والجواهر والمعادن ما يكلّ عنه وصف اللسان. ورأى في تلك القلعة شاباً لا نبات بعارضيه لكنه طويل زائد الطول فلما رأى سيف الملوك ذلك الشاب استأنس به، ولم يكن في تلك القلعة غير ذلك الشاب من البشر. ثم إن الشاب لما رأى سيف الملوك أعجبه غاية الإعجاب فقال له: ما اسمك؟ ومن أي البلاد أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ فأخبرني بحديثك ولا تكتم منه شيئاً. فقال له سيف الملوك: أنا والله ما وصلت إلى هنا بخاطري ولا كان هذا المكان مقصودي وأنا لا أقدر أن أسير من مكان إلى مكان حتى أنال مطلوبي. فقال له الشاب: وما مطلوبك؟ فقال له سيف الملوك: أنا من بلاد مصر واسمي سيف الملوك وأبي اسمه الملك عاصم بن صفوان. ثم إنه حكى له ما جرى له من أول الأمر إلى آخره. فقام ذلك الشاب في خدمة سيف الملوك وقال: يا ملك الزمان، أنا كنت في مصر وسمعت بأنك سافرت إلى بلاد الصين، وأين هذه البلاد من بلاد الصين؟ إن هذا لشيء عجيب وأمر غريب. فقال له سيف الملوك: كلامك صحيح. ولكن سافرت بعد ذلك من بلاد الصين إلى بلاد الهند، فخرج علينا ريح وهاج البحر وكسرت جميع المراكب التي كانت معي. وذكر له جميع ما جرى له إلى أن قال: وقد وصلت إليك في هذا المكان. فقال له الشاب: يا ابن الملك، يكفي ما جرى لك من هذه الغربة وشدائدها والحمد لله الذي أوصلك إلى هذا المكان، فاقعد عندي لأئتنس بك إلى أن أموت وتكون أنت ملكاً على هذا الإقليم، فإن فيه هذه الجزيرة التي لا يعرف لها حد وإن هذه القرود أصحاب صنائع وكل شيء طلبته تجده هاهنا. فقال سيف الملوك: يا أخي، ما أقدر أن أقعد في مكان حتى تقضى حاجتي ولو أطوف جميع الدنيا وأسأل عن غرضي لعل الله يبلغني مرادي أو يكون سعيي إلى مكان فيه أجلي فأموت. ثم إن الشاب التفت إلى قرد وأشار إليه، فغاب القرد ساعة ثم أتى ومعه قرود مشدودة الوسط بالفوط الحرير وقدّموا السماط ووضعوا فيه نحو مائة صحفة من الذهب والفضة وفيها من سائر الأطعمة، وصارت القرود واقفة على عادة الأتباع بين أيدي الملوك. ثم أشار للحجاب بالقعود، فقعدوا ووقف الذي عادته الخدمة ثم أكلوا حتى اكتفوا. ثم رفعوا السماط وأتوا بطشوط وأباريق من الذهب فغسلوا

أيديهم . ثم جاؤا بأواني الشراب نحو أربعين آنية ، كل آنية فيها نوع من الشراب ، فشربوا وتلذّذوا واطربوا وطاب وقتهم وجميع القرود يرقصون ويلعبون وقت اشتغال الآكلين بالأكل . فلما رأى سيف الملوك ذلك ، تعجب منهم ونسي ما جرى له من الشدائد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 768

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن سيف الملوك لما رأى فعل القرود ورقصهم تعجب منهم ونسي ما جرى له من الغربة وشدائدها . فلما كان الليل أوقدوا الشموع ووضعوها في الشمعدانات الذهب والفضة ثم أتوا بأواني النقل والفاكهة فأكلوا ، ولما جاء وقت النوم فرشوا لهم الفرش وناموا . فلما أصبح الصباح قام الشاب على عادته ونبّه سيف الملوك وقال له : أخرج رأسك من هذا الشباك وانظر أي شيء هذا الواقف تحت الشباك . فنظر فرأى قروداً ملأت الفلا الواسع والبرية كلها وما يعلم عدد تلك القرود إلا الله تعالى . فقال سيف الملوك : هؤلاء قرود كثيرون قد ملؤوا الفضاء ولأي شيء اجتمعوا في هذا الوقت ؟ فقال له الشاب : إن هذه عادتهم وجميع ما في الجزيرة قدامي ، وبعضهم جاء من سفر يومين أو ثلاثة أيام ، فإنهم يأتون في كل يوم سبت ويقفون هنا حتى أنتبه من منامي وأخرج راسي من هذا الشباك فحين يبصرونني يقبّلون الأرض بين يدي ثم ينصرفون إلى أشغالهم . وأخرج رأسه من الشباك حتى رأوه ، فلما نظروه قبّلوا الأرض بين يديه وانصرفوا . ثم إن سيف الملوك قعد عند الشاب مدة شهر كامل وبعد ذلك ودّعه وسافر ، فأمر الشاب نفراً من القرود نحو المائة قرد بالسفر معه . فسافروا في خدمة سيف الملوك مدة سبعة أيام حتى أوصلوه إلى آخر جزائرهم ثم ودّعوه ورجعوا إلى أماكنهم . وسافر سيف الملوك وحده في الجبال والتلال والبراري والقفار مدة أربعة أشهر ، يوم يجوع ويوم يشبع ويوم يأكل من الحشيش ويوم يأكل من ثمر الأشجار . وصار يتندم على ما فعل بنفسه وعلى خروجه من عند ذلك الشاب وأراد أن يرجع إليه على أثره فرأى شبحاً أسود يلوح على بعد فقال في نفسه : هل هذه بلدة سوداء أم كيف الحال ؟ ولكن لا أرجع حتى أنظر أي شيء هذا الشبح . فلما قرب منه رآه قصراً عالي البنيان وكان الذي بناه يافث بن نوح عليه السلام ، وهو القصر الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله : وبئر معطلة وقصر مشيد . ثم إن سيف الملوك جلس على باب القصر وقال في نفسه : يا ترى ما شأن داخل هذا القصر ؟ ومن فيه من الملوك ؟ فمن يخبرني بحقيقة الأمر ؟ وهل سكانه من الإنس أو من الجن ؟ فقعد يتفكر ساعة زمانية ولم يجد أحداً يدخله ولا يخرج منه . فقام يمشي وهو متوكّل على الله حتى دخل القصر وعدّ في طريقه سبعة دهاليز فلم ير أحداً ونظر على يمينه ثلاثة أبواب وقدّامه باب عليه ستارة مسبولة . فتقدّم إلى ذلك الباب ورفع الستارة بيده ومشى داخل الباب وإذا هو بإيوان كبير مفروش بالبسط الحرير ، وفي صدر ذلك الإيوان تخت من الذهب وعليه بنت جالسة وجهها مثل القمر ، وعليها ملبوس الملوك وهي كالعروس في ليلة زفافها ، وتحت التخت أربعون سماطاً وعليها صحاف الذهب والفضة وكلها ملآنة بالأطعمة الفاخرة . فلما رآها سيف الملوك أقبل عليها وسلّم فردّت عليه السلام وقالت له : هل أنت من الإنس أو من الجن ؟ فقال : أنا من خيار الإنس ، فإني ملك بن ملك . فقالت له : أي شيء تريد ؟ دونك وهذا الطعام وبعد ذلك حدثني

بحديثك من أوله إلى آخره وكيف وصلت إلى هذا الموضع . فجلس سيف الملوك على السماط وكشف المكبة عن السفرة وكان جائعًا وأكل من تلك الصحاف حتى شبع ، وغسل يديه وطلع على التخت وقعد عند البنت . فقالت له : من أنت ؟ وما اسمك ؟ ومن أين جئت ؟ ومن أوصلك إلى هنا ؟ فقال لها سيف الملوك : أما أنا فحديثي طويل . فقالت له : قل لي من أين أنت ؟ وما سبب مجيئك إلى هنا ؟ وما مرادك ؟ فقال لها : أخبريني أنت ما شأنك ؟ وما اسمك ؟ ومن جاء بك إلى هنا ؟ ولأي شيء أنت قاعدة في هذا المكان وحدك ؟ فقالت له البنت : أنا إسمي دولة خاتون بنت ملك الهند ، وأبي ساكن في مدينة سرنديب ، ولأبي بستان مليح كبير ما في الهند وأقطارها أحسن منه وفيه حوض كبير . فدخلت في ذلك البستان يوماً من الأيام مع جواري وتقرّبت أنا وجواري ونزلنا في ذلك الحوض وصرنا نلعب وننشرح فلم أشعر إلا وشيء مثل السحاب نزل عليّ وخطفني من بين جواري وطار بي بين السماء والأرض وهو يقول : يا دولة خاتون ، لا تخافي وكوني مطمئنة القلب . ثم طار بي مدة قليلة وبعد ذلك أنزلني هذا القصر ثم انقلب من وقته وساعته فإذ هو شاب مليح حسن الشباب نظيف الثياب وقال لي : أتعرفينني ؟ فقلت : لا يا سيدي . فقال : أنا ابن الملك الأزرق ملك الجان وأبي ساكن في قلعة القلزم وتحت يديه ستمائة ألف من الجن الطيارة والغواصين ، واتفق لي أني كنت عابرًا في طريق ومتوجهاً إلى حال سبيلي ، فرأيتك وعشقتك ونزلت عليك وخطفتك من بين الجواري وجئت بك إلى هذا القصر المشيد ، وهو موضعي ومسكني فلا أحد يصل إليه قط لا من الجن ولا من الإنس ، ومن الهند إلى هنا مسيرة مائة وعشرين سنة . فتحقّقي أنك لا تنظرين بلاد أبيك وأمك أبدًا ، فاقعدي عندي في هذا المكان مطمئنة القلب والخاطر وأنا أحضر بين يديك كل ما تطلبينه . ثم بعد ذلك عانقني وقبّلني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 769

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البنت قالت لسيف الملوك : ثم إن ملك الجان بعد أن أخبرني عانقني وقبّلني وقال لي : اقعدي هنا ولا تخافي من شيء . ثم تركني وغاب ساعة وبعد ذلك أتى ومعه هذا السماط والفرش والبسط . ولكن يجئني في كل يوم الثلاثاء على هذه الحالة ، وعند مجيئه يأكل ويشرب معي ويعانقني ويقبلني وأنا بنت بكر على الحالة التي خلقني الله تعالى عليها ولم يفعل بي شيئًا . وأبي إسمه تاج الملوك ولم يعلم لي بخبر ولم يقع لي على أثر . وهذا حديثي فحدّثني أنت بحديثك . فقال لها سيف الملوك : إن حديثي طويل وأخاف إن حدثتك يطول الوقت علينا فيجيء العفريت . فقالت له : إنه لم يسافر من عندي إلا قبل دخولك بساعة ، ولن يأت إلا في يوم الثلاثاء فاقعد واطمئن وطيب خاطرك وحدّثني بما جرى لك من الأول إلى الآخر . فقال سيف الملوك : سمعاً وطاعة . ثم ابتدأ بحديثه حتى أكمله من الأول إلى الآخر ، فلما وصل إلى حكاية بديع الجمال تغرغرت عيناها بالدموع الغزار وقالت : ماهو ظني فيك يا بديع الجمال ، آه من الزمان يا بديع الجمال ، أما تذكرينني ولا تقولين أختي دولة خاتون أين راحت ! ثم إنها زادت في البكاء وصارت تتأسف حيث لم تذكرها بديع الجمال . فقال لها سيف الملوك : يا دولة خاتون ، إنك إنسية وهي جنية فمن أين تكون هذه أختك ؟ فقالت له : إنها أختي من الرضاع ، وسبب ذلك أن أمي نزلت تتفرج في البستان

فجاءها الطلق فولدتني في البستان، وكانت أم بديع الجمال في البستان هي وأعوانها فجاءها الطلق فنزلت في طرف البستان وولدت بديع الجمال وأرسلت بعض جواريها إلى أمي تطلب منها طعاماً وحوايج للولادة. فبعثت إليها أمي ما طلبته وعزمت عليها، فقامت وأخذت بديع الجمال معها وأتت إلى أمي، فأرضعت أمي بديع الجمال. ثم أقامت أمها وهي معها عندنا في البستان مدة شهرين وبعد ذلك سافرت إلى بلادها وأعطت أمي حاجة وقالت لها: إذا احتجت إليّ أجيئك في وسط البستان. وكانت تأتي بديع الجمال مع أمها في كل عام ويقيمان عندنا مدة من الزمان ثم يرجعان إلى بلادهما. فلو كنت أنا عند أمي يا سيف الملوك ونظرتك عندنا في بلادنا ونحن مجتمع شملنا مثل العادة، كنت أتحيل عليها بحيلة حتى أوصلك إلى مرادك. ولكن أنا في هذا المكان ولا يعرفون خبري، فلو عرفوا خبري وعلموا أني هنا كانوا قادرين على خلاصي من هذا المكان ولكن الأمر إلى الله سبحانه وتعالى وأي شيء أعمل؟ فقال سيف الملوك: قومي وتعالي معي نهرب ونسير إلى حيث يريد الله تعالى. فقالت له: لا نقدر على ذلك، والله لو هربنا مسيرة سنة لجاء بنا هذا الملعون في ساعة ويهلكنا. فقال سيف الملوك: أنا أختفي في موضع فإذا جاز عليّ أضربه بالسيف فأقتله. فقالت له: ما تقدر أن تقتله إلا إن قتلت روحه. فقال لها سيف الملوك: وروحه في أي مكان؟ فقالت: أنا سألته عنها مرات عديدة فلم يقرّ لي بمكانها، فاتفق أني ألححت عليه يوماً من الأيام فاغتاظ منّي وقال لي: كم تسألينني عن روحي! ما سبب سؤالك عن روحي؟ فقلت له: يا حاتم، أنا ما بقي لي أحد غيرك إلا الله، وأنا ما دمت بالحياة لم أزل معانقة لروحك، وإن كنت أنا ما أحفظ روحك وأحطها في وسط عيني فكيف تكون حياتي بعدك؟ وإذا عرفت روحك حفظتها مثل عيني اليمين. فعند ذلك قال لي: إني حين ولدت أخبر المنجمون أن هلاك روحي يكون على يد واحد من أولاد الملوك الإنسية، فأخذت روحي ووضعتها في حوصلة عصفور وحبست العصفور في حق ووضعت الحق في علبة ووضعت العلبة في داخل سبع علب ووضعت العلب في قلب سبع صناديق ووضعت الصناديق في طابق من رخام في جانب هذا البحر المحيط، لأن هذا الجانب بعيد عن بلاد الإنس وما يقدر أحد من الإنس أن يصل إليه. وها أنا قلت لك ولا تقولي لأحد على هذا فإنه سرّ بيني وبينك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 770

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن دولة خاتون لما أخبرت سيف الملوك بروح الجني الذي خطفها وبينت له ما قاله الجني إلى أن قال لها: وهذا سرّ بيننا. قالت له: مَن أحدّثه به؟ وما يأتيني أحد غيرك حتى أقول له؟ ثم والله إنك جعلت روحك في حصن حصين عظيم لا يصل إليه أحد فكيف يصل إلى ذلك أحد من الإنس؟ حتى لو فرض المحال وقدر الله مثل ما قال المنجمون فكيف يكون أحد من الإنس يصل إلى هذا؟ فقال: ربما كان أحد منهم في إصبعه خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ويأتي إلى هنا ويضع يده بهذا الخاتم على وجه الماء ثم يقول: بحق هذه الأسماء إن روح فلان تطلع. فيطلع التابوت فيكسره والصناديق كذلك والعلب ويخرج العصفور من الحق ويخنقه فأموت أنا. فقال سيف الملوك: هو أنا ابن الملك وهذا خاتم سليمان بن داود عليهما السلام في إصبعي، فقومي بنا إلى شاطىء هذا البحر

حتى نبصر هل كلامه هذا كذب أم صدق؟ فعند ذلك قام الإثنان ومشيا إلى ان وصلا إلى البحر ووقفت دولة خاتون على جانب البحر ودخل سيف الملوك في الماء إلى وسطه وقال: بحق ما في هذا الخاتم من الأسماء والطلاسم وبحق سليمان عليه السلام ان تخرج روح فلان ابن الملك الأزرق الجني. فعند ذلك هاج البحر وطلع التابوت فاخذه سيف الملوك وضربه على الحجر فكسره وكسر الصناديق والعلب وأخرج العصفور من الحق وتوجها إلى القصر وطلعا فوق التخت، وإذا بغبرة هائلة وشيء عظيم طائر وهو يقول: ابقني يا ابن الملك ولا تقتلني واجعلني عتيقك وأنا أبلغك مقصودك. فقالت له دولة خاتون: قد جاء الجني فاقتل العصفور لئلا يدخل هذا الملعون القصر ويأخذه منك ويقتلك ويقتلني بعدك. فعند ذلك خنق العصفور فمات فوقع الجني على الأرض كوم رماد أسود. فقالت خاتون: قد خلصنا من يد هذا الملعون وكيف نعمل؟ فقال سيف الملوك: المستعان بالله تعالى الذي بلانا فإنه يدبرنا ويعيننا على خلاصنا مما نحن فيه. ثم قام سيف الملوك وقلع من أبواب القصر نحو عشرة أبواب، وكانت تلك الأبواب من الصندل والعود ومساميره من الذهب والفضة. ثم اخذ حبالاً كانت هناك من الحرير والإبريسم وربط الأبواب بعضهما في بعض وتعاون هو ودولة خاتون إلى أن وصلا بها إلى البحر ورمياها فيه بعد أن صارت فلكاً، وربطوه على الشاطىء ثم رجعا إلى القصر وحملا الصحاف الذهب والفضة وكذلك الجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة، ونقلا جميع ما في القصر من الذي خفّ حمله وغلا ثمنه وحطّاه في ذلك الفلك وركبا فيه متوكلين على الله تعالى الذي من توكّل عليه كفاه ولا يخيبه. وعملا لهما خشبتين على هيئة المجاديف ثم حلا الحبال وتركا الفلك يجري بهما في البحر، ولم يزالا سائرين على تلك الحالة مدة أربعة أشهر حتى فرغ منهم الزاد واشتد عليهما الكرب وضاقت أنفسهما فطلبا من الله أن يرزقهما النجاة مما هما فيه. وكان سيف الملوك في مدة سيرهما إذا نام يجعل دولة خاتون خلف ظهره فإذا انقلب كان السيف بينهما. فبينما هما على تلك الحالة ليلة من الليالي، فاتفق أن سيف الملوك كان نائماً ودولة خاتون يقظانة وإذا بالفلك مال إلى طرف البرّ وجاء إلى مينة وفي تلك المينة مراكب، فنظرت دولة خاتون المراكب وسمعت رجلاً يتحدث مع البحرية. وكان الذي يتحدّث رئيس الرؤساء وكبيرهم، فلما سمعت دولة خاتون صوت الريس علمت أن هذا البرّ مينة مدينة من المدن وأنهما وصلا إلى العمار. ففرحت فرحًا شديداً ونبّهت سيف الملوك من النوم وقالت له: قم واسأل هذا الريس عن اسم هذه المدينة وعن هذه المينة. فقام سيف الملوك وهو فرحان وقال له: يا أخي، ما اسم هذه المدينة؟ وما يقال لهذه المينة؟ وما اسم ملكها؟ فقال له الريس: يا ساقع الوجه يا بارد اللحية، إذا كنت لا تعرف هذه المينة ولا هذه المدينة فكيف جئت إلى هنا؟ فقال سيف الملوك: أنا غريب وقد كنت في سفينة من سفن التجار فانكسرت وغرقت بجميع ما فيها وطلعت على لوح فوصلت إلى هنا، فسألتك والسؤال ما هو عيب. فقال الريس: هذه مدينة عمارية وهذه المينة تسمّى مينة كمين البحرين. فلما سمعت دولة خاتون هذا الكلام فرحت فرحاً شديداً وقالت: الحمد لله. فقال سيف الملوك: ما الخبر؟ فقال: يا سيف الملوك أبشر بالفرج القريب، فإن ملك هذه المدينة عمي أخو أبي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 771

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن دولة خاتون لما قالت لسيف الملوك: أبشر بالفرج القريب فإن ملك هذه المدينة عمي أخو أبي واسمه عالي الملوك. ثم قالت له: اسأله وقل له: هل سلطان هذه المدينة عالي الملوك طيب؟ فسأله عن ذلك فقال له الريس وهو مغتاظ منه: أنت تقول عمري ما جئت إلى هنا وإنما أنا رجل غريب فمن عرّفك باسم صاحب المدينة؟ ففرحت دولة خاتون وعرفت الريس وكان اسمه معين الدين وهو من رؤساء أبيها، وإنما خرج ليفتش عليها حين قعدت فلم يجدها ولم يزل دائراً حتى وصل إلى مدينة عمها. ثم قالت لسيف الملوك: قل له: يا ريس معين الدين تعال كلم سيدتك. فناداه بما قالته له. فلما سمع الريس كلام سيف الملوك، اغتاظ غيظًا شديداً وقال له: يا كلب، من أنت؟ وكيف عرفتني؟ ثم قال لبعض البحرية: ناولوني عصى من الشوم حتى أروح إلى هذا النحس واكسر رأسه. فأخذ العصى وتوجه إلى جهة سيف الملوك فرأى الفلك ورأى فيه شيئًا عجيباً بهيجاً فاندهش عقله، ثم تأمّله وحقّق النظر فرأى دولة خاتون وهي جالسة مثل فلقة القمر. فقال له الريس: ما الذي عندك؟ فقال له: عندي بنت تسمّى دولة خاتون. فلما سمع الريس هذا الكلام وقع مغشياً عليه حين سمع باسمها وعرف أنها سيدته وبنت ملكه. فلما أفاق ترك الفلك وما فيه وتوجه إلى المدينة وطلع قصر الملك فاستأذن عليه. فدخل الحاجب إلى الملك وقال: إن الريس معين جاء إليك ليبشرك. فأذن له بالدخول، فدخل على الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال له: يا ملك عندك البشارة فإن بنت أخيك دولة خاتون وصلت إلى المدينة طيبة بخير وهي في الفلك وصحبتها شاب مثل القمر ليلة تمامه. فلما سمع الملك خبر بنت أخيه، فرح وخلع على الريس خلعة سنية وأمر من ساعته أن يزينوا المدينة لسلامة بنت أخيه وأرسل إليها وأحضرها عنده هي وسيف الملوك وسلّم عليهما وهنأهما بالسلامة. ثم إنه أرسل إلى أخيه ليعلمه بأن ابنته وجدت وهي عنده. ثم إنه لما وصل إليه الرسول تجهّز واجتمعت العساكر وسافر تاج الملوك أبو دولة خاتون حتى وصل إلى أخيه عالي الملوك واجتمع ببنته دولة خاتون وفرحوا فرحًا شديداً وقعد تاج الملوك عند أخيه جمعة من الزمان. ثم إنه أخذ بنته وكذلك سيف الملوك وسافروا حتى وصلوا إلى سرنديب بلاد أبيها، واجتمعت دولة خاتون بأمها وفرحوا بسلامتها وأقاموا الأفراح وكان ذلك يوماً عظيمًا لا يرى مثله. وأما الملك فإنه أكرم سيف الملوك وقال له: يا سيف الملوك إنك فعلت معي ومع ابنتي هذا الخير كله وأنا لا أقدر أن أكافئك عليه وما يكافئك إلا ربّ العالمين، ولكن أريد منك أن تقعد على التخت في موضعي وتحكم في بلاد الهند فإني قد وهبت لك ملكي وتختي وخزائني وخدمي وجميع ذلك يكون هبة مني لك. فعند ذلك قام سيف الملوك وقبّل الأرض بين يدي الملك وشكره وقال له: يا ملك الزمان، قد قبلت جميع ما وهبته لي وهو مردود مني إليك هدية أيضًا، وأنا يا ملك الزمان ما أريد مملكة ولا سلطنة وما أريد إلا أن الله تعالى يبلغني مقصودي. فقال له الملك: هذه خزائني بين يديك يا سيف الملوك مهما طلبته منها خذه ولا تشاورني فيه وجزاك الله عني كل خير. فقال سيف الملوك: أعز الله الملك، لا حظ لي في الملك ولا في المال حتى أبلغ مرادي. ولكن غرضي الآن أن أتفرج في هذه المدينة وأنظر شوارعها وأسواقها. فأمر تاج الملوك أن يحضروا له فرساً من جياد الخيل، فاحضروا له فرساً مسرجاً ملجمًا من جياد الخيل، فركبها

وطلع إلى السوق وشقّ في شوارع المدينة . فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً إذ رأى شاباً ومعه قباء وهو ينادي عليه بخمسة عشر ديناراً . فتأمّله فوجده يشبه اخاه ساعداً وفي نفس الأمر هو بعينه إلا أنه تغيّر لونه وحاله من طول الغربة ومشقّات السفر فلم يعرفه . ثم قال لمن حوله : هاتوا هذا الشاب لأستخبره . فأتوا به إليه فقال : خذوه واوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه وخلّوه عندكم إلى ان ارجع من الفرجة . فظنوا انه قال لهم : خذوه واوصلوه إلى السجن . وقالوا : لعل هذا مملوك من مماليكه هرب منه . فأخذوه وأوصلوه إلى السجن وقيدوه وتركوه قاعداً . فرجع سيف الملوك من الفرجة وطلع القصر ونسي أخاه ساعداً ولم يذكره له أحد . فصار ساعد في السجن ولما خرجوا بالأسارى إلى اشغال العمارات أخذوا ساعداً معهم وصار يشتغل مع الأسارى وكثر عليه الوسخ . ومكث ساعد على هذه الحالة مدة شهر وهو يتذكر في أحواله ويقول في نفسه : ما سبب سجني ؟ وقد اشتغل سيف الملوك بما هو فيه من السرور وغيره . فاتفق أن سيف الملوك جلس يوماً من الأيام وتذكر أخاه ساعداً فقال للمماليك الذين كانوا معه : أين المملوك الذي كان معكم في اليوم الفلاني ؟ فقالوا : أما قلت لنا أوصلوه إلى السجن ؟ فقال سيف الملوك : أنا ما قلت لكم هذا الكلام وإنما قلت لكم : أوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه . ثم إنه أرسل الحجاب إلى ساعد فأتوا به إليه وهو مقيّد ، ثم فكّوه من قيده وأوقفوه بين يدي سيف الملوك فقال له : يا شاب ، من أي البلاد أنت ؟ فقال له : أنا من مصر واسمي ساعد بن الوزير فارس . فلما سمع سيف الملوك كلامه نهض من فوق التخت وألقى نفسه عليه وتعلّق برقبته ومن فرحه صار يبكي بكاء شديداً وقال : يا أخي ساعد ، الحمد لله حيث عشت ورأيتك فانا أخوك سيف الملوك ابن الملك عاصم . فلما سمع ساعد كلام أخيه وعرفه ، تعانقا مع بعضهما وتباكيا فتعجب الحاضرون منهما . ثم أمر سيف الملوك أن يأخذوا ساعداً ويذهبوا به إلى الحمام . فذهبوا به إلى الحمام وعند خروجه من الحمام ألبسوه ثياباً فاخرة وأتوا به إلى مجلس سيف الملوك فأجلسه معه على التخت . ولما علم تاج الملوك فرح فرحاً شديداً باجتماع سيف الملوك وأخيه ساعد ، وحضر وجلس الثلاثة يتحدثون فيما قد جرى لهم من الأول إلى الآخر . ثم إن ساعداً قال : يا أخي يا سيف الملوك ، لما غرقت المركب وغرقت المماليك طلعت أنا وجماعة من المماليك على لوح خشب وسار بنا في البحر مدة شهر كامل . ثم بعد ذلك رمانا الريح بقدرة الله تعالى على جزيرة فطلعنا عليها ونحن جياع ، فدخلنا بين الأشجار وأكلنا من الفواكه واشتغلنا بالأكل فلم نشعر إلا وقد خرج علينا أقوام مثل العفاريت ، فوثبوا علينا وركبوا فوق أكتافنا وقالوا لنا : إمشوا بنا فانتم صرتم حميرنا . فقلت للذي ركبني : ما أنت ؟ ولأي شيء ركبتني ؟ فلما سمع مني ذلك الكلام لفّ رجله على رقبتي حتى كدت أن أموت وضرب ظهري برجله الأخرى فظننت أنه قطع ظهري ، فوقعت في الأرض على وجهي وما بقي عندي قوة بسبب الجوع والعطش . فحيث وقعت عرف أني جائع فأخذ بيدي وأتى بي إلى شجرة كثيرة الأثمار وهي من الكمثري فقال لي : كُل من هذه الشجرة حتى تشبع . فأكلت من تلك الشجرة حتى شبعت وقمت أمشي بغير اختياري ، فما مشيت غير قليل حتى ولّى ذلك الشخص وركب فوق أكتافي فصرت ساعة أمشي وساعة أجري وساعة أهرول وهو راكب يضحك ويقول : عمري ما رأيت حماراً مثلك . فاتفق أننا جمعنا شيئًا من عناقيد العنب يوماً من الأيام ثم وضعناه في حفرة بعد أن دسناه بأرجلنا فصارت تلك الحفرة بركة

كبيرة، فصبرنا مدة وأتينا إلى تلك الحفرة فوجدنا الشمس قد ضربت ذلك الماء فصار خمر. فبقينا نشرب منه ونسكر فتحمّر وجوهنا ونغني ونرقص من نشوة السكر. فقالوا: ما الذي يحمّر وجوهكم ويصيركم ترقصون وتغنون؟ فقلنا لهم: لا تسألون عن هذا وما تريدون بالسؤال عنه؟ فقالوا: أخبرونا حتى نعرف حقيقة الأمر. فقلنا: عصير العنب. فذهبوا بنا إلى وادي ولم نعرف له طولاً من عرض، وفي ذلك الوادي كروم من العنب لا يعرف أولها من آخرها، وكل عنقود من العناقيد التي فيها قدر عشرين رطلاً وكله داني القطوف. فقالو لنا: اجمعوا من هذه. فجمعنا منه شيئًا كثيراً ورأيت هناك حفرة كبيرة أكبر من الحوض الكبير، فملأناها عنباً ودسناه بأرجلنا وفعلنا كما فعلنا أول مرة، فصار خمراً وقلنا لهم: هذا بلغ حد الإستواء فأي شيء تشربون به؟ فقالوا لنا: إنه كان عندنا حمير مثلكم فأكلناهم وبقيت رؤوسهم، فاسقونا في جماجمهم. فأسقيناهم فسكروا ثم رقدوا وكانوا نحو المائتين فقلنا لبعضنا: أما يكفي هؤلاء أن يركبونا حتى يأكلونا أيضاً! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولكن نحن نقوّى عليهم السكر ثم نقتلهم ونستريح منهم ونخلص من أيديهم. فنبهناهم وصرنا نملأ لهم تلك الجماجم ونسقيهم فيقولون: هذا مرّ. فقلنا لهم: لأي شيء تقولون هذا مرّ؟ وكل من قال ذلك إن لم يشرب منه عشر مرات فإنه يموت من يومه. فخافوا من الموت وقالوا لنا: اسقونا تمام العشر مرات. فلما شربوا بقية العشر مرات سكروا وزاد عليهم السكر وهمدت قوتهم، فجررناهم من أيديهم. ثم إننا جمعنا من حطب تلك الكروم شيئًا كثيراً وجعلناه حولهم وفوقهم وأوقدنا النار في الحطب ووقفنا من بعيد ننظر ما يكون منهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 772

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ساعداً قال: لما أوقدت النار في الحطب أنا ومن معي من المماليك وصارت الغيلان في وسطها، وقفنا من بعيد لننظر ما يكون منهم. ثم قدمنا إليهم بعد أن خمدت النار فرأيناهم صاروا كوم رماد، فحمدنا الله تعالى الذي خلصنا منهم وخرجنا من تلك الجزيرة وطلبنا ساحل البحر ثم افترقنا من بعضنا. فأما أنا واثنان من المماليك فمشينا حتى وصلنا إلى غابة كبيرة كثيرة الأشجار فاشتغلنا بالأكل، وإذا بشخص طويل القامة طويل اللحية طويل الأذنين كأنهما مشعلان، وقدامه غنم كثير يرعاها وعنده جماعة أخر في كيفيته. فلما رآنا استبشر وفرح ورحب بنا وقال: أهلاً وسهلاً تعالوا عندي حتى أذبح لكم شاة من هذه الأغنام وأشويها وأطعمكم. فقلنا له: وأين موضعك؟ فقال: قريب من هذا الجبل، فاذهبوا إلى هذه الجهة حتى تروا مغارة فادخلوا فيها فإن فيها ضيوفاً كثيرا مثلكم، فروحوا واقعدوا معهم حتى نجهز لكم الضيافة. فاعتقدنا أن كلامه حق، فسرنا إلى تلك الجهة ودخلنا تلك المغارة فرأينا الضيوف الذين فيها كلهم عمياناً. فحين دخلنا عليهم قال واحد منهم: أنا مريض. وقال الآخر: أنا ضعيف. فقلنا لهم: أي شيء هذا القول الذي تقولونه؟ ما سبب ضعفكم ومرضكم؟ فقالوا: من أنتم؟ فقلنا لهم: نحن ضيوف. قالوا لنا: ما الذي أوقعكم في يد هذا الملعون؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا غول يأكل بني آدم وقد أعمانا ويريد أن يأكلنا. فقلنا لهم: كيف أعماكم هذا الغول؟ فقالوا: إنه في هذا الوقت يعميكم مثلنا. فقلنا لهم: وكيف يعمينا؟ فقالوا لنا: إنه يأتيكم بأقداح من اللبن ويقول لكم: أنتم تعبتم من السفر

فخذوا هذا اللبن واشربوا منه . فحين تشربون منه تصيرون مثلنا . فقلت في نفسي : ما بقي لنا خلاص إلا بحيلة ، فحفرت حفرة في الأرض وجلست عليها . ثم بعد ساعة دخل الملعون الغول علينا ومعه اقداح من اللبن فناولني قدحاً وناول من معي كل واحد قدحاً وقال لنا : أنتم جئتم من البر عطاشاً فخذوا هذا اللبن واشربوا منه حتى أشوي لكم اللحم . فأما أنا فاخذت القدح وقرّبته من فمي ودلقته في الحفرة وصحت : آه ، قد راحت عيني وعميت . وامسكت عيني بيدي وصرت ابكي واصيح وهو يضحك ويقول : لا تخف . واما الإثنان رفيقاي فإنهما شربا اللبن فعميا . فقام الملعون من وقته وساعته وغلق باب المغارة وقرب مني وجس اضلاعي فوجدني هزيلاً وما عليّ شيء من اللحم ، فجسّ غيري فرآه سميناً ففرح . ثم ذبح ثلاثة اغنام وسلخها وجاء بأسياخ من الحديد ووضع فيها لحم الاغنام ووضعها على النار وشواه وقدمه إلى رفيقيّ فاكلا واكل معهما ، ثم جاء بزق ملآن خمراً وشربه ورقد على وجهه وشخر . فقلت في نفسي : إنه غرق في النوم وكيف أقتله؟ ثم تذكرت الأسياخ فاخذت منها سيخين ووضعتهما في النار وصبرت عليهما حتى صارا مثل الجمر ، ثم قمت وشددت وسطي ونهضت على أقدامي واخذت السيخين الحديد بيدي وتقرّبت من الملعون وادخلتهما في عينيه واتّكات عليهما بقوّتي ، فنهض من حلاوة الروح قائماً على قدميه واراد ان يمسكني بعد ان عمي فهربت منه داخل المغارة وهو يسعى خلفي . فقلت للعميان الذين عنده : كيف العمل مع هذا الملعون؟ فقال واحد منهم : يا ساعد ، إنهض واصعد إلى الطاقة ، واخذت السيف واتيت عند ذلك الرجل فقال : خذه واضربه في وسطه فإنه يموت في الحال . فقمت وجريت خلفه وقد تعب من الجري فجاء إلى العميان ليقتلهم فجئت إليه وضربته بالسيف في وسطه فصار نصفين فصاح عليّ وقال لي : يا رجل ، حيث أردت قتلي فاضربني ضربة ثانية . فهممت ان اضربه ضربة ثانية فقال الذي دلّني على السيف : لا تضربه ضربة ثانية فإنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 773

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان ساعداً قال : لما ضربت الغول بالسيف قال لي : يا رجل ، حيث ضربتني وأردت قتلي فاضربني ضربة ثانية . فهممت ان اضربه فقال لي الذي دلّني على السيف : لا تضربه ضربة ثانية فإنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا . فامتثلت امر ذلك الرجل ولم اضربه فمات الملعون . فقال لي الرجل : قم افتح المغارة ودعنا نخرج منها لعل الله يساعدنا ونستريح من هذا الموضع . فقلت له : ما بقي علينا ضرر بل نستريح ونذبح من هذه الاغنام ونشرب من هذا النبيذ لأن البر طويل ، فأقمنا في هذا المكان مدة شهرين ونحن نأكل من هذه الأغنام ومن هذه الفواكه . فاتفق اننا جلسنا على شاطىء البحر يوماً من الأيام فرأينا مركباً كبيرة تلوح في البحر على بعد ، فأشرنا إلى اهلها وصحنا عليهم ، فخافوا من ذلك الغول وكانوا يعرفون ان هذه الجزيرة فيها غول يأكل الآدميين فطلبوا الهروب ، فأشرنا إليهم بفاضل عمايمنا وقربنا منهم وصرنا نصيح عليهم . فقال واحد من الركاب وكان حديد البصر : يا معاشر الركاب ، إني ارى هذه الأشباح آدميين مثلنا وليس عليهم زيّ الغيلان . ثم إنهم ساروا جهتنا قليلاً إلى ان قربوا منا ، فلما تحقّقوا اننا آدميون سلّموا علينا فرددنا عليهم

السلام وبشّرناهم بقتل الغول الملعون فشكرونا . ثم إننا تزوّدنا من الجزيرة بشيء من الفواكه فيها ثم نزلنا المركب وسارت بنا في ريح طيبة مدة ثلاثة أيام ، وبعد ذلك ثارت علينا ريح وازداد ظلام الجو فما كان غير ساعة واحدة حتى جذب الريح المركب إلى جبل فانكسرت وتمزّقت الواحها ، فقدّر الله العظيم اني تعلّقت بلوح منها وركبته وسار بي يومين وقد أتت ريح طيبة فصرت فوق اللوح اقدف برجليّ ساعة زمانية حتى أوصلني الله تعالى إلى البر بالسلامة ، فطلعت إلى هذه المدينة وقد صرت غريباً فريداً وحيداً لا أدري ما أصنع ، وقد اضرّ بي الجوع وحصل لي الجهد الأكبر . فأتيت إلى سوق المدينة وقد تواريت وقلعت هذا القباء وقلت في نفسي : أبيعه وآكل بثمنه حتى يقضي الله ما هو قاض . ثم إني يا أخي اخذت القباء في يدي والناس ينظرونه ويتزايدون في ثمنه حتى أتيت أنت ونظرتني وأمرت بي إلى القصر فأخذني الغلمان وسجنوني . ثم إنك تذكرتني بعد هذه المدة فاحضرتني عندك ، وقد اخبرتك بما جرى لي والحمد لله على الإجتماع . فلما سمع سيف الملوك وتاج الملوك ابو دولة خاتون حديث الوزير ساعد تعجبا من ذلك عجباً شديداً ، وقد اعدّ تاج الملوك ابو دولة خاتون مكاناً مليحاً لسيف الملوك واخيه ساعد ، وصارت دولة خاتون تأتي لسيف الملوك وتشكره وتتحدث معه على إحسانه . فقال الوزير ساعد : ايتها الملكة ، المراد منك المساعدة على بلوغ غرضه . فقالت : نعم أسعى في مراده حتى يبلغ مراده إن شاء الله تعالى . ثم التفتت إلى سيف الملوك وقالت له : طب نفساً وقرّ عيناً هذا ما كان من أمر سيف الملوك ووزيره ساعد . وأما ما كان من أمر الملكة بديع الجمال فإنها وصلت إليها الأخبار برجوع أختها دولة خاتون إلى أبيها ومملكتها فقالت : لا بد من زيارتها والسلام عليها في زينة بهية وحلي وحلل . فتوجهت إليها ، فلما قربت من مكانها قابلتها الملكة دولة خاتون وسلمت عليها وعانقتها وقبلتها بين عينيها وهنّتها الملكة بديع الجمال باالسلامة ثم جلستا تتحدثان . فقالت بديع الجمال لدولة خاتون : أي شيء جرى لك في الغربة ؟ فقالت دولة خاتون : يا أختي ، لا تسأليني عما جرى لي من الأمور ، يا ما تقاسي الخلائق من الشدائد . فقالت لها بديع الجمال : وكيف ذلك ؟ قالت : يا أختي ، إني كنت في القصر المشيد وقد احتوى عليّ فيه ابن الملك الأزرق . ثم حدّثتها ببقية الحديث من أوله إلى آخره وحديث سيف الملوك ، وما جرى له في القصر وما قاسى من الشدائد والأهوال حتى وصل إلى القصر المشيد ، وكيف قتل ابن الملك الأزرق ، وكيف قلع الأبواب وجعلها فلكاً وعمل لها مجاديف ، وكيف دخل إلى ها هنا . فتعجبت بديع الجمال ثم قالت : والله يا أختي ، إن هذا من اغرب العجائب ، واريد ان أخبرك بأصل حكايته لكن يمنعني الحياء من ذلك . فقالت لها بديع الجمال : ما سبب الحياء ؟ وأنت أختي ورفيقتي وبيني وبينك شيء كثير وأنا أعرف انك ما تطلبين لي إلا الخير ، فمن اي شيء تستحيين مني ؟ فاخبريني بما عندك ولا تستحي مني ولا تخفي مني شيئًا من ذلك . فقالت لها دولة خاتون : إنه نظر صورتك في القباء الذي أرسله أبوك إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، فلم يفتحه ولم ينظر ما فيه بل أرسله إلى الملك عاصم بن صفوان ملك مصر في جملة الهدايا والتحف التي ارسلها إليه والملك عاصم أعطاه لولده سيف الملوك قبل ان يفتحه . فلما اخذه سيف الملوك فتحه وأراد ان يلبسه فرأى فيه صورتك ، فعشقها وخرج في طلبك وقاسى هذه الشدائد كلها من اجلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة

774

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن دولة خاتون أخبرت بديع الجمال بأصل محبة سيف الملوك لها وعشقه إياها وأن سببها القباء الذي فيه صورتها، وحين عاين الصورة خرج من ملكه هائمًا وغاب عن أهله من أجلها. وقالت لها: إنه قاسى من الأهوال ما قاساه من أجلك. فقالت بديع الجمال وقد احمرّ وجهها وخجلت من دولة خاتون: إن هذا شيء لا يكون أبدًا فإن الإنس لا يتفقون مع الجان. فصارت دولة خاتون تصف لها سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ولم تزل تثني عليه وتذكر لها صفاته حتى قالت: يا اختي، لأجل الله تعالى ولأجلي، تعالي تحدثي معه ولو كلمة واحدة. فقالت بديع الجمال: إن هذا الكلام الذي تقولينه لا أسمعه ولا أطيعك فيه، وكأنها لم تسمع منه شيئًا ولم يقع في قلبها شيء من محبة سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته. ثم إن دولة خاتون صارت تتضرّع لها وتقبّل رجليها وتقول: يا بديع الجمال، بحق اللبن الذي رضعناه أنا وأنت وبحق النقش الذي على خاتم سليمان عليه السلام أن تسمعي كلامي هذا، فإني تكفّلت له في القصر المشيد بأني أريه وجهك، فبالله عليك أن تريه صورتك مرة واحدة لأجل خاطري وأنت الأخرى تنظرينه. وصارت تبكي لها وتتضرّع إليها وتقبّل يديها ورجليها حتى رضيت وقالت: لأجلك أريه وجهي مرة واحدة. فعند ذلك طاب قلب دولة خاتون وقبّلت يديها ورجليها وخرجت وجاءت إلى القصر الأكبر الذي في البستان وأمرت الجواري أن يفرشنه وينصبن فيه تختاً من الذهب ويجعلن أواني الشراب مصفوفة. ثم إن دولة خاتون قامت ودخلت على سيف الملوك وساعد وزيره وهما جالسان في مكانهما وبشّرت سيف الملوك ببلوغ إربه وحصول مراده وقالت له: توجه إلى البستان أنت وأخوك وادخلا القصر واختفيا عن أعين الناس بحيث لا ينظركما أحد ممن في القصر حتى أجيء أنا وبديع الجمال. فقام سيف الملوك وساعد وتوجها إلى المكان الذي دلّتهما عليه دولة خاتون، فلما دخلاه رأيا تختاً من الذهب منصوباً وعليه الوسائد وهناك الطعام والشراب. فجلسا ساعة من الزمان ثم إن سيف الملوك تذكر معشوقته فضاق صدره وهاج عليه الشوق والغرام فقام ومشى حتى خرج من دهليز القصر، فتبعه أخوه ساعد فقال له: يا أخي، اقعد أنت مكانك ولا تتبعني حتى أجيء إليك. فقعد ساعد ونزل سيف الملوك ودخل البستان وهو سكران من خمر الغرام، حيران من فرط العشق والهيام. وقد هزّه الشوق وغلب عليه الوجد فأنشد هذه الأبيات: [من الخفيف]

يا بَدِيعَ الجَمالِ ما لي سِوَاكِ ... فارْحَمِينِي، إنِّي أَسِيرُ هَواكِ
أَنْتِ سُؤْلِي ومُنْيَتِي وسُرُورِي ... قَدْ أَبَى القَلْبُ أَنْ يُحِبَّ سِواكِ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ قَدْ عَلِمْتِ بُكائي ... طُولَ لَيْلِي مُسَهَّدُ الجَفْنِ باكِ
فأْمُرِي النَّوْمَ أَنْ يُلِمَّ بِجَفْنِي ... فَعَسَى في المَنامِ أَنِّي أَراكِ
فاعْطِفِي في الهَوَى عَلَى مُسْتَهامٍ ... أَنْقِذِيهِ مِنْ مُهْلِكاتِ جَفاكِ
زادَكِ اللهُ بَهْجَةً وسُرُوراً ... وجَمِيعُ العِدَى تَكُونُ فِداكِ
يُحْشَرُ العاشِقُونَ تَحْتَ لِوائي ... وجَمِيعُ المِلاحِ تَحْتَ لِواكِ

ثم بكى وأنشد أيضاً هذين البيتين : [من البسيط]

بَدِيعَةَ الحُسْنِ أَضْحَتْ بُغْيَتِي أَبَدًا ... لأنَّـها في ضَمِيرِ القَلْبِ أَسْراري
فَإِنْ نَطَقْتُ فَنُطْقِي في مَحاسِنِها ... وإنْ سَكَتُّ فَفِيها عَقْدُ إِضْماري

ثم بكى بكاء شديداً وأنشد أيضا هذه الأبيات : [من الطويل]

وفي كَبِدي نارٌ يَزِيدُ وَقُودُها ... وأَنْتُمْ مُرادِي والغَرامُ يَطُولُ
أَمِيلُ إِلَيْكُمْ لا أَمِيلُ لِغَيْرِكُمْ ... وأَرْجُو رِضاكُمْ والمُحِبُّ حَمُولُ
لِكَي تَرْحَمُوا مَنْ أَنْحَلَ الحُبُّ جِسْمَهُ ... وأَضْعَفَهُ والقَلْبُ مِنْهُ عَلِيلُ
فَرِقُّوا وجُودُوا وأَنْعِمُوا وتَفَضَّلُوا ... فَلَمْ أَنْتَقِلْ عَنْكُمْ ولَسْتُ أَحُولُ

ثم بكى وأنشد أيضاً هذين البيتين : [من الخفيف]

وَصَلَتْني الهُمُومُ وَصْلَ هَواكِ ... وجَفاني الرُّقادُ مِثْلُ جَفاكِ
وحَكَى لي الرَّسُولُ أَنَّكِ غَضْبَى ... يا كَفَى اللهُ شَرَّ ما هُوَ حاكِ

ثم إن ساعداً استبطأه فخرج من القصر يفتش عليه في البستان، فرآه ماشياً في البستان متحيّراً وهو ينشد هذين البيتين : [من الكامل]

واللهِ واللهِ العَظِيمِ وَحَقِّ مَنْ ... يَتْلُو مِنَ القُرْآنِ سُورَةَ فاطِرِ
ما جالَ طَرْفِي في مَحاسِنِ مَنْ أَرَى ... إلاّ وشَخْصُكَ يا بَدِيعُ مُسامِرِي

ثم اجتمع سيف الملوك وساعد أخوه وصارا يتفرجان في البستان ويأكلان من الفواكه . هذا ما كان من أمر ساعد وسيف الملوك . وأما ما كان من أمر دولة خاتون، فإنها لما أتت هي وبديع الجمال إلى القصر دخلتا فيه بعد أن أتحفه الخدام بأنواع الزينة وفعلوا فيه جميع ما أمرتهم به دولة خاتون، وقد أعدّوا لبديع الجمال تختاً من الذهب لتجلس عليه . فلما رأت بديع الجمال ذلك التخت جلست عليه وكان بجانبها طاقة تشرف على البستان وقد أتت الخدام بأنواع الطعام الفاخر، فأكلت بديع الجمال هي ودولة خاتون وصارت دولة خاتون تلقّمها حتى اكتفت . ثم دعت بأنواع الحلويات فأحضرها الخدام وأكلتا منها بحسب الكفاية وغسلتا أيديهما، ثم إنها هيّأت الشراب وآلات المدام وصفت الأباريق والكاسات وصارت دولة خاتون تملأ وتسقي بديع الجمال ثم تملأ الكاس وتشرب هي . ثم إن بديع الجمال نظرت من الطاقة التي بجانبها إلى ذلك البستان ورأت ما فيه من الأثمار والأغصان، فلاحت منها التفاتة إلى جهة سيف الملوك فرأته وهو دائر في البستان وخلفه الوزير ساعد، وسمعت سيف الملوك ينشد الأشعار وهو يذري الدموع الغزار . فلما نظرته أعقبتها تلك النظرة ألف حسرة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 775

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن بديع الجمال لما رأت سيف الملوك وهو دائر في البستان، نظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة . فالتفتت إلى دولة خاتون وقد لعب الخمر بأعطافها وقالت لها : يا أختي، مَن هذا الشاب الذي أراه في البستان وهو حائر ولهان كئيب؟ فقالت لها دولة خاتون : هل تأذنين في حضوره عندنا حتى نراه؟ قالت لها : إن أمكنك

أن تحضريه فاحضريه . فعند ذلك نادته دولة خاتون وقالت له : يا ابن الملك ، إصعد إلينا واقدم بحسنك وجمالك علينا . فعرف سيف الملوك صوت دولة خاتون فصعد إلى القصر فلما وقع نظره على بديع الجمال خرّ مغشياً عليه ، فرشّت عليه دولة خاتون قليلاً من ماء الورد فأفاق من غشيته . ثم نهض وقبّل الأرض قدام بديع الجمال ، فبهتت من حسنه وجماله . فقالت دولة خاتون : أعلمي أيتها الملكة أن هذا سيف الملوك الذي كانت نجاتي بقضاء الله تعالى على يديه ، وهو الذي جرى عليه كامل المشقّات من أجلك وقصدي أن تشمليه بنظرك . فقالت بديع الجمال وقد ضحكت : ومن يفي بالعهود حتى يفي بها هذا الشاب؟ لأن الإنس ليس لهم مودة . فقال سيف الملوك : أيتها الملكة ، إن عدم الوفاء لا يكون عندي أبداً وما كل الخلق سواء . ثم إنه بكى بين يديها وانشد هذه الأبيات : [من البسيط]

أَيا بَدِيعَ الجَمالِ إنَّني شَبَحٌ ... مُضْنًى أَهِيمُ بِطَرْفٍ ساحِرٍ جانِ
بِحَقِّ ما جَمَعَتْ خَدَّاكِ مِنْ مَلَحٍ ... مِنْ أَبْيَضَ وشَقِيقٍ أَحْمَرَ قانِ
لا تَنْقِمِي بِنِكالِ الهَجْرِ مِنْ دَنِفٍ ... فَإِنَّ جِسْمِي مِنْ طُولِ النَّوى فانِ
هذا مُرادِي وهذا مُنْتَهَى أَمَلِي ... والوَصْلُ قَصْدِي عَلَى تَقْدِيرِ إمْكانِ

ثم إنه بكى بكاء شديداً وتحكّم عنده العشق والهيام فصار يسلّم عليها بهذه الأبيات : [من الطويل]

سَلامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ مُحِبٍّ مُتَيَّمٍ ... وكُلُّ كَرِيمٍ لِلْكَرِيمِ جَمِيلُ
سَلامٌ عَلَيْكُم لا عَدِمْتُ خَيالَكُمْ ... ولَمْ يَخْلُ مِنْكُمْ مَجْلِسٌ ومُقِيلُ
أَغارُ عَلَيْكُمْ لَسْتُ أَذْكُرُ اسْمَكُمْ ... وكُلُّ حَبِيبٍ لِلْحَبِيبِ يَمِيلُ
فَلا تَقْطَعُوا حَسَناتِكُمْ عَنْ مُحِبِّكُمْ ... فإنَّ الأَسَى يُرْدِيهِ وَهْوَ عَلِيلُ
أُراعِي النُّجُومَ الزُّهْرَ وَهْيَ تَرُوعُنِي ... ولَيْلِيَ فِي فَرْطِ الغَرامِ يَطُولُ
ولَمْ يَبْقَ لِي صَبْرٌ ولا لِيَ حِيلَةٌ ... فأَيَّ كَلامٍ فِي السُّؤالِ أَقُولُ
عَلَيْكُمْ سَلامُ اللهِ فِي ساعَةِ الجَفَا ... سَلامٌ مِنَ الوَلْهانِ وَهْوَ حَمُولُ

ثم إنه من كثرة وجده وغرامه أنشد أيضاً هذه الأبيات : [من الكامل]

إنْ كانَ قَصْدِي غَيْرَكُمْ يا سادَتِي ... لا نِلْتُ مِنْكُمْ بُغْيَتِي وإرادَتِي
مَنْ ذا الَّذِي حازَ الجَمالَ سِواكُمُ ... حَتَّى تَقُومَ الآنَ فِيهِ قِيامَتِي
هَيْهاتِ أَنْ أَسْلُو الهَوَى وأَنا الَّذِي ... أَفْنَيْتُ فِيكُم مُهْجَتِي وحُشاشَتِي

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً . فقالت له بديع الجمال : يا ابن الملك ، إني أخاف أن أقبل عليك بالكلية فلا أجد منك إلفة ولا محبة ، فإن الإنس ربما كان خيرهم قليلاً وغدرهم جليلاً . واعلم أن السيد سليمان بن داود عليهما السلام أخذ بلقيس بالمحبة فلما رأى غيرها أحسن منها أعرض عنها إليه . فقال لها سيف الملوك : يا عيني ويا روحي ، ما خلق الله كل الإنس سواء ، وأنا إن شاء الله أفي بالعهد وأموت تحت أقدامك وسوف تبصرين ما أفعل موافقاً لما أقول ،

والله على ما أقول وكيل . فقالت له بديع الجمال : اقعد واطمئن واحلف لي على قدر دينك ونتعاهد على أننا لا نخون بعضنا ، ومن خان صاحبه ينتقم الله تعالى منه . فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام ، قعد ووضع كل منهما يده في يد صاحبه وتحالفا أن كلا منهما لا يختار على صاحبه أحداً لا من الإنس ولا من الجن . ثم إنهما تعانقا ساعة زمانية وتباكيا من شدة فرحهما وغلب الوجد على سيف الملوك فأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

بَـكَيْتُ غَراماً وَاشْتِياقاً ولَوْعَةً عَلى شَأْنِ مَنْ يَهْواه قَلْبي ومُهْجَتِي
وبِي زادَتِ الآلامُ مِنْ طُولِ هَجْرِكُمْ وباعِي قَصِيرٌ عَنْ تَقارُبِ نِسْبَتِي
وحُزْنِي مِمَّا ضاقَ عَنْهُ تَجَلُّدِي يُوَضِّحُ لِلُّوَّامِ بَعْضَ بَلِيَّتِي
وقَدْ ضاقَ بَعْدَ الاتِّساعِ حَقِيقَةً مَجالُ اصْطِباري لا بِحَوْلِي وقُوَّتِي
فَيا هَلْ تَرَى قَدْ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَنا وتَبْرَى مِنَ الآلامِ والسُّقْمِ غُصَّتِي

وبعد أن تحالفت بديع الجمال هي وسيف الملوك ، قام سيف الملوك يمشي وقامت بديع الجمال تمشي أيضاً ومعها جارية حاملة شيئًا من الأكل وحاملة أيضاً قنانية ملآنة خمرًا . ثم قعدت بديع الجمال ووضعت الجارية بين يديها الأكل والمدام فلم يمكثا غير ساعة إلا وسيف الملوك قد أقبل ، فلاقته بالسلام وتعانقا وقعدا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 776

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بديع الجمال لما أحضرت الطعام والشراب وجاء سيف الملوك فلاقته بالسلام . ثم قعدا يأكلان ويشربان ساعة فقالت بديع الجمال : يا ابن الملك ، إذا دخلت بستان إرم ترى خيمة كبيرة منصوبة وهي من أطلس أحمر وبطانتها من حرير أخضر ، فادخل الخيمة وقوّ قلبك فإنك ترى عجوزاً جالسة على تخت من الذهب الأحمر مرصّع بالدر والجوهر ، فإذا دخلت فسلّم عليها بأدب واحتشام وانظر إلى جهة التخت تجد تحته نعالاً منسوجة بقضبان الذهب مزركشة بالمعادن ، فخذ تلك النعال وقبلها وضعها على رأسك ثم حطها تحت إبطك اليمنى وقف قدام العجوز وأنت ساكت مطرق الرأس ، فإذا سألتك وقالت لك : من أين جئت ؟ وكيف وصلت إلى ها هنا ؟ ومن عرّفك هذا المكان ؟ ومن شأن أي شيء أخذت هذه النعال ؟ فاسكت أنت حتى تدخل جاريتي هذه وتتحدّث معها وتستعطفها عليك وتسترضي خاطرها بالكلام لعل الله تعالى يعطف قلبها عليك وتجيبك إلى ما تريد . ثم إنها نادت تلك الجارية وكانت اسمها مرجانة وقالت لها : بحق محبتي أن تقضي هذه الحاجة في هذا اليوم ولا تتهاوني في قضائها ، وإن قضيتها في هذا اليوم فأنت حرة لوجه الله تعالى ولك الإكرام ولا يكون عندي أعز منك ولا أظهر سرّي إلا عليك . فقالت لها : يا سيدتي ونور عيني ، قولي لي ما حاجتك حتى أقضيها لك على رأسي وعيني . فقالت لها : أن تحملي هذا الإنسي على أكتافك وتوصليه إلى بستان إرم عند جدتي أم أبي وتوصليه إلى خيمتها وتحتفظي عليه ، وإذا دخلت الخيمة أنت وإياه ورأيته أخذ النعال وخدمها وقالت له : من أين أنت ؟ ومن أي طريق أتيت ؟ ومن أوصلك إلى هذا المكان ؟ ومن شأن أي شيء أخذت هذه النعال ؟ وأي شيء حاجتك حتى أقضيها لك ؟ فعند ذلك ادخلي بسرعة وسلّمي عليها وقولي لها : يا سيدتي ،

أنا الذي جئت به هنا وهو ابن ملك مصر وهو الذي راح إلى القصر المشيد وقتل ابن الملك الأزرق وخلّص الملكة دولة خاتون وأوصلها إلى أبيها سالمة وقد أوصلته إليك لأجل أن يخبرك ويبشّرك بسلامتها فتنعمي عليه . ثم بعد ذلك قولي لها : يا سيدتي ، إنه كامل العرض والمروءة والشجاعة وهو صاحب مصر وملكها وقد حوى سائر الخصال الحميدة . فاذا قالت لك : أي شيء حاجته ؟ فقولي لها : إن سيدتي تسلّم عليك وتقول لك : إلى متى وهي قاعدة في البيت عازبة بلا زواج ؟ فقد طالت عليها المدة فما مرادكم بعدم زواجها ؟ ولأي شيء ما تزوّجينها في حياتك ؟ وحياة أمها مثل البنات . فإذا قالت لك : كيف نعمل في زواجها ؟ فان كانت هي تعرف أحداً أو وقع في خاطرها أحد تخبرنا عنه ونحن نعمل لها على مرادها على غاية ما يمكن . فعند ذلك قولي لها : يا سيدتي ، إن بنتك تقول لك : أنتم كنتم تريدون تزويجي بسليمان عليه السلام ، وصوّرتم له صورتي في القباء فلم يكن له نصيب فيّ وقد أرسل القباء إلى ملك مصر فأعطاه لولده فرأى صورتي منقوشة فيه فعشقني وترك ملك أبيه وأمه وأعرض عن الدنيا وما فيها وخرج هائماً في الدنيا على وجهه وقاسى أكبر الشدائد والأهوال من أجلي . ثم إن الجارية حملت سيف الملوك وقالت له : غمّض عينيك . ففعل ، فطارت به إلى الجو ثم بعد ساعة قالت له : يا ابن الملك إفتح عينيك . ففتح عينيه فنظر البستان وهو بستان إرم . فقالت له الجارية مرجانة : أدخل يا سيف الملوك هذه الخيمة . فذكر الله سيف الملوك ودخل ومد عينيه بالنظر في البستان فرأى العجوز قاعدة على التخت وفي خدمتها الجواري ، فقرب منها بأدب واحتشام وأخذ النعال وقبّلها وفعل ما وصفته له بديع الجمال . فقالت له العجوز : من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ ومن أي البلاد أنت ؟ ومن جاء بك إلى هذا المكان ؟ ولأي شيء أخذت هذه النعال وقبّلتها ؟ ومتى قلت لي على حاجة ولم أقضها لك ؟ فعند ذلك دخلت الجارية مرجانة وسلّمت عليها بأدب واحتشام ثم تحدثت بحديث بديع الجمال الذي قالته لها . فلما سمعت العجوز هذا الكلام صرخت عليها واغتاظت منها وقالت : من أين يحصل بين الإنس والجن اتفاق ؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 777

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما سمعت الكلام من الجارية اغتاظت غيظاً شديداً وقالت : من أين للإنس مع الجن اتفاق ؟ فقال سيف الملوك : أنا أتفق معك وأكون غلامك وأموت على حبك وأحفظ عهدك ولا أنظر غيرك وسوف تنظرين صدقي وعدم كذبي وحسن مروءتي معك إن شاء الله تعالى . ثم إن العجوز تفكّرت ساعة زمانية ورأسها مطرق ثم رفعت رأسها وقالت : أيها الشاب المليح ، هل تحفظ العهد والميثاق ؟ فقال لها : نعم وحق من رفع السماء وبسط الأرض على الماء إني أحفظ العهد . فعند ذلك قالت العجوز : أنا أقضي لك حاجتك إن شاء الله تعالى ، ولكن رح في الساعة إلى البستان وتفرّج فيه وكُل من الفواكه التي لا نظير لها ولا في الدنيا مثلها حتى أبعث إلى ولدي شهيال فيحضر وأتحدث معه في شأن ذلك ولا يكون إلا خيراً إن شاء الله تعالى ، لأنه لا يخالفني ولا يخرج عن أمري وأزوّجك بنته بديع الجمال ، فطب نفساً فإنها تكون زوجة لك يا سيف الملوك . فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام شكرها وقبّل يديها ورجليها وخرج من عندها متوجهاً إلى البستان .

وأما العجوز فإنها التفتت إلى تلك الجارية وقالت لها : اطلعي فتشي على ولدي شهيال وانظريه في اي الأقطار والأماكن واحضريه عندي . فراحت الجارية وفتشت على الملك شهيال فاجتمعت به وأحضرته عند أمه هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر سيف الملوك فإنه صار يتفرّج في البستان وإذا بخمسة من الجان وهم من قوم الملك الأزرق قد نظروه فقالوا : من أين هذا؟ ومن جاء به إلى هذا المكان : ولعله الذي قتل ابن الملك الأزرق . ثم إنهم قالوا لبعضهم : إنّا نحتال عليه بحيلة ونسأله ونستخبر منه . ثم صاروا يتمشوا قليلاً قليلاً إلى ان وصلوا إلى سيف الملوك في طرف البستان وقعدوا عنده وقالوا له : أيها الشاب المليح ، ما قصرت في قتل ابن الملك الأزرق وخلاص دولة خاتون منه ، فإنه كلب غدار قد مكر بها ولولا ان الله قيضك لها ما خلصت ابداً ، وكيف قتلته؟ فنظر إليهم سيف الملوك وقال لهم : قد قتلته بهذا الخاتم الذي في إصبعي . فثبت عندهم أنه هو الذي قتله ، فقبض اثنان على يديه واثنان على رجليه والآخر قبض على فمه حتى لا يصيح فيسمعه قوم الملك شهيال فينقذوه من أيديهم ، ثم إنهم حملوه وطاروا به . ولم يزالوا طائرين حتى نزلوا عند ملكهم وأوقفوه بين يديه وقالوا : يا ملك الزمان ، قد جئناك بقاتل ولدك . فقال : وأين هو؟ قالوا : هذا . فقال له الملك الأزرق : هل قتلت ولدي وحشاشة كبدي ونور بصري بغير حق وبغير ذنب فعله معك؟ فقال له سيف الملوك : نعم أنا قتلته ولكن لظلمه وعدوانه ، لأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم إلى البئر المعطلة والقصر المشيد ويفرّق بينهم وبين أهليهم ويفسق فيهم ، وقتلته بهذا الخاتم الذي في إصبعي وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . فثبت عند الملك الأزرق أن هذا هو قاتل ولده بلا شك . فعند ذلك دعا بوزيره وقال له : هذا قاتل ولدي ولا محالة من غير شك فماذا تشير عليّ في أمره؟ فهل أقتله اقبح قتلة أو أعذبه اصعب عذاب أو كيف أعمل ؟ فقال الوزير الأكبر : إقطع منه عضواً . وقال آخر : اضربه كل يوم ضرباً شديداً وقال آخر : اقطعوا وسطه . وقال آخر : اقطعوا أصابعه جميعاً واحرقوهم بالنار . وقال آخر : اصلبوه . وصار كل واحد منهم يتكلّم بحسب رأيه . وكان عند الملك الأزرق أمير كبير له خبرة بالأمور ومعرفة بأحوال الدهور فقال له : يا ملك الزمان ، إني أقول لك كلاماً ما والرأي لك في سماع ما أشير به عليك ، وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته وكان الملك يسمع كلامه ويعمل برأيه ولا يخالفه في شيء . فقام على قدميه وقبّل الأرض بين يديه وقال له : يا ملك الزمان ، إذا أشرت عليك برأي في شأن هذا الأمر هل تتبعه وتعطيني الأمان؟ فقال له الملك : بيّن رأيك وعليك الأمان . فقال : يا ملك ، إن أنت قتلت هذا ولم تقبل نصحي ولم تتعقل كلامي فإن قتله في هذا الوقت غير صواب لأنه تحت يدك وفي حماك وأسيرك ومتى طلبته وجدته وتفعل به ما تريد ، فاصبر يا ملك الزمان فإن هذا قد دخل بستان إرم وتزوّج بديع الجمال بنت الملك شهيال وصار منهم واحداً ، وجماعتك قبضوا عليه وأتوا به إليك وما أخفى حاله منهم ولا منك فإن قتلته فإن الملك شهيال يطلب ثأره منك ويعاديك ويأتيك بالعسكر من اجل بنته ولا مقدرة لك على عسكره وليس لك به طاقة . فسمع منه ذلك وأمر بسجنه . هذا ما جرى لسيف الملوك . وأما ما كان من أمر السيدة بديع الجمال فإنها لما اجتمعت بوالدها شهيال أرسلت الجارية تفتش على سيف الملوك فلم تجده ، فرجعت إلى سيدتها وقالت : ما وجدته في البستان . فأرسلت إلى عملة البستان وسألتهم عن سيف الملوك فقالوا : نحن رأيناه قاعداً تحت شجرة وإذا بخمسة أشخاص

من جماعة الملك الأزرق نزلوا عنده وتحدّثوا معه ثم إنهم حملوه وسدّوا فمه وطاروا به وراحوا. فلما سمعت السيدة بديع الجمال ذلك الكلام لم يهن عليها واغتاظت غيظاً شديداً وقامت على أقدامها وقالت لابنها الملك شهيال: كيف تكون ملكاً وتجيء جماعة الملك الأزرق إلى بستاننا ويأخذون ضيفنا ويروحون به سالمين وأنت بالحياة وكذلك أمه؟ وصارت تحرّضه وتقول: لا ينبغي أن يتعدّى علينا أحد في حياتك. فقال لها: يا أمي، إن هذا الإنسي قتل ابن الملك الأزرق وهو جني فرماه الله في يده فكيف أذهب وأعاديه من أجل الإنسي؟ فقالت له أمه: إذهب إليه واطلب منه ضيفنا فإن كان بالحياة وسلّمه إليك فخذه وتعال، وإن كان قتله فامسك الملك الأزرق بالحياة هو وأولاده وحريمه وكل من يلوذ به من اتباعه وائتني بهم بالحياة حتى أذبحهم بيدي وأخرب دياره. وإن لم تفعل ما أمرتك به لا أجعلك في حل من لبني والتربية التي ربيتها لك تكون حراماً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 778

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن بديع الجمال قالت لابنها شهيال: اذهب إلى الملك الأزرق وانظر سيف الملوك، فإن كان باقيًا بالحياة فهاته وتعال وإن كان قتله فامسكه هو وأولاده وحريمه وكامل من يلوذ به وائتني بهم بالحياة حتى أذبحهم بيدي وأخرب ملكه. وإن لم تذهب إليه وتفعل ما أمرتك به فلا أجعلك في حل من لبني وتكون تربيتك حراماً. فعند ذلك قام الملك شهيال وأمر عسكره بالخروج وتوجه إليه كرامة لأمه ورعاية لخاطرها وخواطر أحبابها ولأجل شيء كان مقدراً في الأزل. ثم إن شهيال سافر بعسكره ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى الملك الأزرق وتلاقى العسكران، فانكسر الملك الأزرق هو وعسكره ومسكوا أولاده كباراً وصغاراً وأرباب دولته وأكابرها وربطوهم وأحضروهم بين يدي الملك شهيال فقال له: يا أزرق، أين سيف الملوك الإنسي الذي هو ضيفي؟ فقال له الملك الأزرق: يا شهيال، أنت جني وأنا جني وهل لأجل إنسي قتل ولدي تفعل هذه الفعال؟ وهو قاتل ولدي وحشاشة كبدي وراحة روحي، وكيف عملت هذه الاعمال كلها وأهرقت دم كذا وكذا الف جني؟ فقال له: خل عنك هذا الكلام فإن كان هو بالحياة فاحضره وأنا أعتقك وأعتق كل من قبضت عليه من أولادك، وإن كنت قتلته فأنا أذبحك أنت وأولادك. فقال له الملك الأزرق: يا ملك، هل هذا أعز عليك من ولدي؟ فقال له الملك شهيال: إن ولدك ظالم لكونه يخطف أولاد الناس وبنات الملوك ويضعهم في القصر المشيد والبئر المعطلة ويفسق فيهم. فقال له الملك الأزرق: إنه عندي، ولكن أصلح بيننا وبينه. فأصلح بينهم وخلع عليهم وكتب بين الملك الأزرق وبين سيف الملوك حجة من جهة قتل ولده، وتسلّمه الملك شهيال وضيّفهم ضيافة مليحة وأقام الملك الأزرق عنده هو وعسكره ثلاثة أيام. ثم أخذ سيف الملوك وأتى به إلى أمه ففرحت به فرحاً شديداً، وتعجب شهيال من حسن سيف الملوك وكماله وجماله، وحكى له سيف الملوك حكايته من أولها إلى آخرها وما وقع له مع بديع الجمال. ثم إن الملك شهيال قال: يا أمي، حيث رضيت بذلك فسمعًا وطاعة لكل أمر فيه رضاؤك، فخذيه وروحي به إلى سرنديب واعملي هناك فرحاً عظيماً فإنه شاب مليح وقاسى الأهوال من أجلها. ثم إنها سافرت هي وجواريها إلى أن وصلن إلى سرنديب ودخلن البستان الذي لأم دولة خاتون ونظرته بديع الجمال بعد أن مضين

إلى الخيمة واجتمعن وحدّثتهن العجوز بما جرى له من الملك الأزرق، وكيف كان أشرف على الموت في سجن الملك الأزرق وليس في الإعادة إفادة . ثم إن الملك تاج الملوك قال له : يا ملك العفو، أنا اطلب منك حاجة وأخاف أن تردني عنها خائبًا . فقال له تاج الملوك : والله لو طلبت روحي ما منعتها عنك لما فعلت من الجميل . فقال سيف الملوك : أريد أن تزوّج دولة خاتون بأخي ساعد حتى نصير كلنا غلمانك . فقال تاج الملوك : سمعًا وطاعة . ثم إنه جمع أكابر دولته ثانياً وعقد عقد بنته دولة خاتون على ساعد . ولما خلصوا من كتب الكتاب نثروا الذهب والفضة وأمر أن يزينوا المدينة ثم أقاموا الفرح ودخل سيف الملوك على بديع الجمال ودخل ساعد على دولة خاتون في ليلة واحدة . ولم يزل سيف الملوك يختلي ببديع الجمال أربعين يوماً . فقالت له في بعض الأيام : يا ابن الملك، هل بقي في قلبك حسرة على شيء؟ فقال سيف الملوك : حاش لله، قد قضيت حاجتي وما بقي في قلبي حسرة أبدًا، ولكن قصدي الإجتماع بأبي وأمي بأرض مصر وأنظر هل استمرّوا طيبين أم لا؟ فأمرت جماعة من خدمها أن يوصلوه هو وساعداً إلى أرض مصر . فوصّلوهم إلى أهلهم بأرض مصر واجتمع سيف الملوك بأبيه وأمه وكذلك ساعد، وقعدا عندهم جمعة ثم إن كل منهما ودّع أباه وأمه وسارا إلى مدينة سرنديب . وصارا كلما اشتاقا إلى أهلهما يروحان ويرجعان . وعاش سيف الملوك هو وبديع الجمال في أطيب عيش وأهناه وكذلك ساعد مع دولة خاتون إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، فسبحان الحي الذي لا يموت وخلق الخلق وقضى عليهم بالموت وهو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء .

74 - حكاية حسن الصايغ

ومما حكى أيضًا أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان رجل تاجر من التجار مقيم بأرض البصرة، وكان ذلك التاجر له ولدان ذكران وكان عنده مال كثير . فقدر الله السميع العليم أن التاجر توفي إلى رحمة الله تعالى وترك تلك الأموال، فأخذ ولداه في تجهيزه ودفنه وبعد ذلك اقتسما الأموال بينهما بالسوية وأخذ كل واحد منهما قسمه وفتحا لهما دكانين : أحدهما نحاس والثاني صايغ . فبينما الصايغ جالس في دكانه يوماً من الأيام وإذا برجل أعجمي ماش في السوق بين الناس حتى مرّ على دكان الولد الصايغ ، فنظر إلى صنعته وتأمّلها بمعرفته فأعجبته . وكان اسم الولد الصايغ حسن . فهزّ الأعجمي رأسه وقال : والله إنك صايغ مليح . وصار ينظر إلى صناعته وهو ينظر إلى كتاب عتيق كان بيده والناس مشغولون بحسنه وجماله وقده واعتداله . فلما كان وقت العصر خلت الدكان من الناس ، فعند ذلك أقبل الرجل الأعجمي عليه وقال له : يا ولدي، أنت شاب مليح ، ما هذا الكتاب؟ وأنا ما لي ابن وقد عرفت صنعة ما في الدنيا أحسن منها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 779

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن العجمي لما أقبل على حسن الصايغ قال له : يا ولدي، أنت شاب مليح ، ما هذا الكتاب؟ وأنا ما لي ابن ، وقد عرفت صنعة ما في الدنيا أحسن منها وقد سألني خلق كثير من الناس في شأن تعليمها فما رضيت أن أعلّمها أحدًا منهم ، ولكن قد سمحت نفسي أن أعلّمك إياها وأجعلك ولدي وأجعل بينك وبين

الفقر حجاباً وتستريح من هذه الصنعة والتعب في المطرقة والفحم والنار . فقال له حسن : يا سيدي ، ومتى تعلّمني ؟ فقال : في غد آتيك وأصنع لك من النحاس ذهباً خالصًا بحضرتك . ففرح حسن وودّع الأعجمي وسار إلى والدته ، فدخل وسلّم عليها وأكل معها وهو مدهوش بلا وعي ولا عقل . فقالت له أمه : ما بالك يا ولدي ، إحذر أن تسمع كلام الناس خصوصًا الأعجام فلا تطاوعهم في شيء ، فإن هؤلاء غشاشون يعملون صنعة الكيميا وينصبون على الناس ويأخذون أموالهم ويأكلونها بالباطل . فقال لها : يا أمي ، نحن ناس فقراء وما عندنا شيء يطمع فيه حتى ينصب علينا ، وقد جاءني رجل أعجمي لكنه شيخ صالح عليه أثر الصلاح وإنما هو قد حنّنه الله عليّ . فسكتت أمه على غيظ وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذه نوم في تلك الليلة من شدّة فرحه بقول الأعجمي له . فلما أصبح الصباح قام وأخذ المفاتيح وفتح الدكان وإذا بالأعجمي قد أقبل عليه ، فقام له وأراد حسن أن يقبّل يديه فامتنع ولم يرض بذلك وقال : يا حسن ، عمّر البودقة وركّب الكير . ففعل ما أمره به الأعجمي وأوقد الفحم . فقال له الاعجمي : يا ولدي ، هل عندك نحاس ؟ قال : عندي طبق مكسور . فأمره أن يتكيء عليه بالكاز ويقطعه قطعًا صغاراً ، ففعل كما قال له وقطّعه قطعاً صغاراً ورماه في البودقة ونفخ عليه بالكير حتى صار ماء . فمدّ الأعجمي يده إلى عمامته وأخرج منها ورقة ملفوفة وفتحها وذرّ منها شيئًا في البودقة مقدار نصف درهم ، وذلك الشيء يشبه الكحل الأصفر ، وأمر حسناً أن ينفخ عليه بالكير . ففعل مثل ما أمره حتى صار سبيكة ذهب . فلما نظر حسن إلى ذلك اندهش وتحيّر عقله من الفرح الذي حصل له وأخذ السبيكة وقلبها وأخذ المبرد وبردها فرآها ذهباً خالصاً من عال العال ، فطار عقله واندهش من شدة الفرح . ثم انحنى على يد الأعجمي ليقبّلها فقال له : خذ هذه السبيكة وانزل بها إلى السوق وبعها واقبض ثمنها سريعاً ولا تتكلم . فنزل حسن إلى السوق وأعطى السبيكة إلى الدلال فأخذها منه وحكّها فوجدها ذهباً خالصاً ، ففتحوا بابها بعشرة آلاف درهم ، وقد تزايد فيها التجار فباعها بخمسة عشر ألف درهم وقبض ثمنها ومضى إلى البيت وحكى لأمه جميع ما فعل . وقال لأمه : يا أمي ، إني قد تعلّمت هذه الصنعة . فضحكت عليه وقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 780

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسنًا الصائغ لما حكى لأمه ما فعل الأعجمي وقال لها : إني قد تعلّمت هذه الصنعة . قالت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسكتت على غيظ منها . ثم إن حسناً أخذ من جهله هوناً وذهب به إلى الأعجمي وهو قاعد في الدكان ووضعه بين يديه . فقال له : يا ولدي ، ما تريد أن تصنع بهذا الهون ؟ قال : ندخله النار ونعمله سبائك ذهب . فضحك الأعجمي وقال له : يا ولدي ، هل انت مجنون حتى تنزل السوق بسبيكتين في يوم واحد ؟ أما تعلم أن الناس ينكرون علينا وتروح أرواحنا ؟ ولكن يا ولدي إذا علّمتك هذه الصنعة لا تعملها في السنة إلا مرة واحدة ، فهي تكفيك من السنة إلى السنة . قال : صدقت يا سيدي . ثم إنه قعد في الدكان وركب البودقة ورمى الفحم في النار فقال له الأعجمي : يا ولدي ، ماذا تريد ؟ قال : علّمني هذه الصنعة . فضحك الأعجمي وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أنت يا ابني قليل العقل ما تصلح لهذه الصنعة قط ، هل أحد في عمره

يتعلم هذه الصنعة على قارعة الطريق أو في الأسواق ؟ فإن اشتغلنا بها في هذا المكان يقول النّاس علينا : إن هؤلاء يصنعون الكيميا . فتسمع بنا الحكام فتروح أرواحنا ، فإن كنت يا ولدي تريد أن تتعلم هذه الصنعة فاذهب معي إلى بيتي . فقام حسن وأغلق الدكان وتوجه مع الأعجمي ، فبيْنما هو في الطريق إذ تذكّر قول أمه وحسب في نفسه ألف حساب ووقف وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية . فالتفت الأعجمي فرآه واقفاً فضحك وقال له : هل أنت مجنون ؟ كيف أضمر لك في قلبي الخير وأنت تحسب أني أضرك ؟ ثم قال له الأعجمي : إن كنت خائفًا من ذهابك معي إلى بيتي فأنا أروح معك إلى بيتك وأعلّمك هناك . فقال له حسن : نعم يا عم . فقال له : امش قدامي . فسار حسن قدامه إلى منزله وسار الأعجمي خلفه إلى أن وصل منزله ، فدخل حسن إلى داره فوجد والدته فأعلمها بحضور الأعجمي معه والأعجمي واقف على الباب ، ففرشت لهما البيت ورتبته فلما فرغت من أمرها راحت . ثم إن حسنا أذن للأعجمي أن يدخل فدخل . ثم إن حسنًا أخذ في يده طبقاً وذهب به إلى السوق ليجيء فيه بشيء يأكله ، فخرج وجاء بأكل وأحضره بين يديه وقال له : كُل يا سيدي لأجل أن يصير بيننا خبز وملح والله تعالى ينتقم ممن يخون الخبز والملح . فقال له : صدقت يا ولدي . ثم تبسم وقال : يا ولدي ، من يعرف قدر الخبز والملح ؟ ثم تقدم الأعجمي وأكل مع حسن حتى اكتفيا ثم قال له الأعجمي : يا ولدي يا حسن ، هات لنا شيئًا من الحلوى . فمضى حسن إلى السوق وأحضر عشر قبات من الحلوى وفرح حسن بكلام الأعجمي . فلما قدم له الحلوى أكل منها وأكل معه حسن . ثم قال له الأعجمي جزاك الله خيراً يا ولدي ، مثلك من يصاحبه الناس ويظهرونه على أسرارهم ويعلّمونه ما ينفعه . ثم قال الأعجمي : يا حسن ، أحضر العدّة . فما صدق حسن بهذا الحديث وقد خرج مثل المهر إذا انطلق من الربيع حتى أتى إلى الدكان وأخذ العدة ورجع ووضعها بين يديه ، فأخرج الأعجمي قرطاساً من الورق وقال : يا حسن ، وحق الخبز والملح لولا أنت أعزّ من ولدي ما أطلعتك على هذه الصنعة وما بقي معي شيء من هذا الإكسير إلا هذا القرطاس ، ولكن تأمل حين أركب العقاقير وأضعها قدامك . واعلم يا ولدي يا حسن أنك تضع على كل عشرة أرطال نحاساً نصف درهم من هذا الذي في الورقة فتصير العشرة أرطال ذهبًا خالصًا إبريزاً . ثم قال له : يا ولدي يا حسن ، إن في هذه الورقة ثلاثة أوراق بالوزن المصري وبعد أن يفرغ ما في هذه الورقة أعمل لك غيره . فأخذ حسن الورقة فرأى فيها شيئًا أصفر أنعم من الأول فقال : يا سيدي ، ما اسم هذا ؟ وأين يوجد ؟ وفي أي شيء يعمل ؟ فضحك الأعجمي وطمع في حسن وقال له : عن أي شيء تسأل ؟ إعمل وأنت ساكت . وأخرج طاسة من البيت وقطعها وألقاها في البودقة ورمى عليها قليلاً من الذي في الورقة فصارت سبيكة من الذهب الخالص ، فلما رأى حسن ذلك فرح فرحاً شديدًا وصار متحيّرًا في عقله مشغولاً بتلك السبيكة . فأخرج الأعجمي صرة من رأسه بسرعة وقطعها ووضعها في قطعة من الحلوى وقال له : يا حسن ، أنت بقيت ولدي وصرت عندي أعز من روحي ومالي ، وعندي بنت أزوجك بها . فقال حسن : أنا غلامك ، ومهما فعلته معي كان عند الله تعالى . فقال الأعجمي : يا ولدي ، طوّل بالك وصبّر نفسك فيحصل لك الخير . ثم ناوله القطعة الحلوى فأخذها وقبّل يده ووضعها في فمه وهو لا يعلم ما له في الغيب ، ثم بلع القطعة الحلوى فسبقت رأسه رجليه وغاب عن الدنيا . فلما رآه الأعجمي وقد حل به البلاء فرح

فرحاً شديداً وقام على اقدامه وقال له : وقعت يا علق يا كلب العرب ، لي أعوام كثيرة أفتش عليك حتى حصلتك يا حسن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 781

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان حسناً الصائغ لما أكل القطعة الحلوى التي أعطاها له الأعجمي ووقع منها على الأرض مغشياً عليه ، فرح الاعجمي وقال له : لي أعوام كثيرة وأنا أفتش عليك حتى حصلتك . ثم إن الأعجمي شدّ وسطه وكتّف حسناً وربط رجليه على يديه وأخذ صندوقاً وأخرج منه الحوايج التي كانت فيه ووضع حسناً فيه وقفله عليه وفرّغ صندوقاً آخر وحطّ فيه جميع المال الذي عند حسن والسبائك الذهب التي عملها أولاً وثانياً وقفله ، ثم خرج يجري إلى السوق وأحضر حمّالاً وحمل الصندوقين وتقدّم إلى المركب الراسية ، وكانت تلك المركب مهيأة للأعجمي وريسها منتظر له . فلما نظرته بحريتها ، أتوا إليه وحملوا الصندوقين ووضعوهما في المركب وصرخ الأعجمي على الريس وعلى جميع البحرية وقال لهم : قوموا قد انقضت الحاجة وبلغنا المراد . فصرخ الريس على البحرية وقال لهم : اقلعوا المراسي وحلوا القلوع وسارت المركب بريح طيبة . هذا ما كان من أمر الأعجمي وحسن . وأما ما كان من أمر أم حسن فإنها انتظرته إلى العشاء فلم تسمع له صوتاً ولا خبراً جملة كافية ، فجاءت إلى البيت فرأته مفتوحاً ولم تر فيه أحداً ولم تجد الصناديق ولا المال ، فعرفت أن ولدها قد فقد ونفذ فيه القضاء . فلطمت وجهها وشقّت أثوابها وصاحت وولولت وصارت تقول : وولداه ، واثمرة فؤاداه . ثم أنشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

لَقَدْ قَلَّ صَبْرِي ثُمَّ زادَ تَمَلْمُلِي   وزادَ نَحِيبِي بَعْدَكُمْ وتَعَلُّلِي
ولا صَبْرَ لي واللهِ بَعْدَ فِراقِكُمْ   وكَيْفَ اصْطِبارِي بَعْدَ فُرْقَةِ مَأْمَلِي
وبَعْدَ حَبِيبِي كَيْفَ أَلْتَذُّ بالكَرَى   ومَنْ ذا الَّذي يَهْنَى بِعَيْشِ التَّذَلُّلِ
رَحَلْتَ فَأَوْحَشْتَ الدِّيارَ وأَهْلَهَا   وكَدَّرْتَ مِنْ صَفْوِي مَشارِبَ مَنْهَلِي
وكُنْتَ مُعِينِي في الشَّدائِدِ كُلِّها   وعِزِّي وجاهِي في الوَرَى وتَوَسُّلِي
فَلا كانَ يَوْمٌ كُنْتَ فِيهِ مُباعَدًا   عَنِ العَيْنِ إلا أَنْ أَراكَ تَعُودَ لِيْ

ثم إنها صارت تبكي وتنوح إلى الصباح ، فدخل عليها الجيران وسألوها عن ولدها فأخبرتهم بما جرى له مع الأعجمي واعتقدت أنها لا تراه بعد ذلك أبداً وجعلت تدور في البيت وتبكي . فبينما هي دائرة في البيت إذ رأت سطرين مكتوبين على الحائط فأحضرت فقيهاً فقرأهما لها فإذا فيهما : [من الطويل]

سَرَى طَيْفُ لَيْلِي عِنْدَما غَلَبَ الكَرَى   سُحَيْراً وصَحْبِي في الفَلاةِ رُقُودُ
فَلَمَّا انْتَبَهْنا لِلْخَيالِ الَّذي سَرَى   بَدَا الجَوُّ قَفْرًا والمَزارُ بَعِيدُ

فلما سمعت أم حسن هذه الأبيات صاحت وقالت : نعم يا ولدي ، إن الدار قفراء والمزار بعيد . ثم إن الجيران ودّعوها بعد أن دعوا لها بالصبر وجمع الشمل قريباً وانصرفوا . ولم تزل أم حسن تبكي إناء الليل وأطراف النهار وبنت في وسط البيت قبراً وكتبت عليه إسم حسن وتاريخ

فقده وكانت لا تفارق ذلك القبر. ولم يزل ذلك دأبها من حين فارقها ولدها. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر ولدها حسن مع الأعجمي، فإن الأعجمي كان مجوسياً وكان يبغض المسلمين كثيراً وكلما قدر على أحد من المسلمين يهلكه. وهو خبيث لئيم كيماوي كما قال فيه الشاعر: [من الطويل]

هُوَ الكَلْبُ وابْنُ الكَلْبِ والكَلْبُ جَدُّهُ ... ولا خَيْرَ في كَلْبٍ تَناسَلَ مِنْ كَلْبِ

وكان إسم ذلك الملعون بهرام المجوسي، وكان له في كل سنة واحد من المسلمين يأخذه ويذبحه على مطلب. فلما تمّت حيلته على حسن الصايغ وسار به من أول النهار إلى الليل رست المركب على بر إلى الصباح، فلما طلعت الشمس وسارت المركب أمر الأعجمي عبيده وغلمانه ان يحضروا له الصندوق الذي فيه حسن فأحضروه له، ففتحه وأخرجه منه ونشّقه بالخل ونفخ في أنفه ذروراً فعطس وتقايا البنج وفتح عينيه ونظر يميناً وشمالاً فوجد نفسه في وسط البحر والمركب سائرة والأعجمي قاعد عنده، فعلم أنها حيلة عملت عليه قد عملها الملعون المجوسي وأنه وقع في الأمر الذي كانت أمه تحذّره منه فقال كلمة لا يخجل قائلها وهي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم الطف بي في قضائك وصبّرني على بلائك يا رب العالمين. ثم التفت إلى الأعجمي وكلمه بكلام رقيق وقال له: يا والدي، ما هذه الفعال؟ وأين الخبز والملح واليمين التي حلفتها لي؟ فنظر إليه وقال له: يا كلب، هل مثلي يعرف خبزاً وملحًا؟ وأنا قد قتلت مثلك الف صبي إلا صبياً وأنت تمام الألف، وصاح عليه فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 782

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لمّا رأى نفسه وقع مع الأعجمي الملعون كلّمه بكلام رقيق فلم يفده بل صاح عليه، فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه. فعند ذلك أمر الملعون بحل كتافه ثم سقوه قليلاً من الماء والمجوسي يضحك ويقول: وحق النار والنور والظل والحرور ما كنت أظن انك تقع في شبكتي، ولكن النار قوّتني عليك وأعانتني على قبضك حتى اقضي حاجتي وأرجع وأجعلك قرباناً لها حتى ترضى عني. فقال حسن: قد خنت الخبز والملح. فرفع المجوسي يده وضربه ضربة فوقع وعضّ الأرض بأسنانه وغشي عليه وجرت دموعه على خده. ثم أمر المجوسي أن يوقدوا له ناراً فقال له حسن: ما تصنع بها؟ فقال له: هذه النار صاحبة النور والشرر وهي التي أعبدها فإن كنت تعبدها مثلي فأنا أعطيك نصف مالي وأزوّجك بنتي. فصاح حسن عليه وقال له: ويلك، إنما أنت مجوسي كافر تعبد النار دون الملك الجبار، خالق الليل والنهار وما هذه إلا مصيبة في الأديان. فعند ذلك غضب المجوسي وقال: أما توافقني يا كلب العرب وتدخل في ديني؟ فلم يوافقه حسن على ذلك، فقام المجوسي الملعون وسجد للنار وأمر غلمانه أن يرموا حسناً على وجهه، فرموه على وجهه وصار المجوسي يضربه بسوط مظفور من جلد حتى شرح جوانبه وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجيره أحد. فرفع طرفه إلى الملك القهّار وتوسّل إليه بالنبي المختار وقد عدم الإصطبار وجرت دموعه على خديه كالأمطار وأنشد هذين البيتين: [من الكامل]

صَبْرًا لِحُكْمِكَ يا إلٰهِي في القَضا أَنا صابِرٌ إنْ كانَ في هذا رِضَى
جارُوا عَلَيْنا واعْتَدَوْا وتَحَكَّمُوا فَعَسَاكَ بالإحْسانِ تَغْفِرُ ما مَضَى

ثم إن المجوسي أمر العبيد أن يقعدوه وأمر أن يأتوا إليه بشيء من المأكول والمشروب، فأحضروه فلم يرض أن يأكل ولا يشرب. وصار المجوسي يعذبه ليلاً ونهاراً مسافة الطريق وهو صابر ويتضرّع إلى الله عزّ وجلّ وقد قسى قلب المجوسي عليه، ولم يزالوا سائرين في البحر مدة ثلاثة أشهر وحسن معه في العذاب. فلما كملت الثلاثة أشهر أرسل الله تعالى على المركب ريحاً، فاسودّ البحر وهاج بالمركب من كثرة الريح. فقال الريس والبحرية: هذا والله كله ذنب هذا الصبي الذي له ثلاثة أشهر في العقوبة مع هذا المجوسي وهذا ما يحل من الله تعالى، ثم إنهم قاموا على المجوسي وقتلوا غلمانه وكل من معه. فلما رآهم المجوسي قتلوا الغلمان أيقن بالهلاك وخاف على نفسه وحلّ حسناً من كتافه وقلّعه ما كان عليه من الثياب الرثة وألبسه غيرها وصالحه ووعده أن يعلّمه الصنعة ويردّه إلى بلده وقال له: يا ولدي، لا تؤاخذني بما فعلت معك. فقال له حسن: كيف بقيت أركن إليك؟ فقال له: يا ولدي، لولا الذنب ما كانت المغفرة وأنا ما فعلت معك هذه الفعال إلا لأجل أن أنظر صبرك وأنت تعلم أن الأمر كله بيد الله. ففرحت البحرية والريس بخلاصه، ودعا لهم حسن وحمد الله تعالى وشكره فسكتت الرياح وانكشفت الظلمة وطاب الريح والسفر. ثم إن حسنا قال للمجوسي: يا أعجمي، إلى أين تتوجه؟ قال: يا ولدي، أتوجه إلى جبل السحاب الذي فيه الأكسير الذي نعمله كيميائياً. وحلف له المجوسي بالنار والنور أنه ما بقي لحسن عنده ما يخيفه. فطاب قلب حسن وفرح بكلام المجوسي وصار يأكل معه ويشرب وينام ويلبسه من ملبوسه، ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثة أشهر أخر. وبعد ذلك رست المركب على بر طويل كله حصى أبيض وأصفر وأزرق وأسود وغير ذلك من جميع الألوان. فلما رست المركب نهض الأعجمي قائماً وقال: يا حسن، قم اطلع فإننا قد وصلنا إلى مطلوبنا ومرادنا. فقام حسن وطلع مع الأعجمي وأوصى المجوسي الريس على مصالحه ثم مشى حسن مع المجوسي إلى أن بعدا عن المركب وغابا عن الأعين. ثم قعد المجوسي وأخرج من جيبه طبلاً نحاساً وزخمة من حرير منقوشة بالذهب وعليها طلاسم وضرب الطبل، فلما فرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية. فتعجب حسن من فعله وخاف منه وندم على طلوعه معه وتغيّر لونه فنظر إليه المجوسي وقال له: ما لك يا ولدي؟ وحق النار والنور ما بقي عليك خوف مني، ولولا أن حاجتي ما تقضى إلا على اسمك ما كنت طلعتك من المركب. فابشر بكل خير، وهذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 783

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الأعجمي قال: إن هذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها. فما كان إلا قليل حتى انكشفت الغبرة عن ثلاث نجائب: فركب الأعجمي واحدة وركب حسن واحدة وحملا زادهما على الثالثة وسارا سبعة أيام، ثم انتهيا إلى أرض واسعة. فلما نزلا في تلك الأرض نظرا إلى قبة معقودة على أربعة أعمدة من الذهب الأحمر، فنزلا من فوق النجائب ودخلا تحت القبة وأكلا وشربا واستراحا. فلاحت التفاتة من حسن فرأى شيئًا عالياً فقال له حسن: ما هذا يا عم؟ فقال

المجوسي : هذا قصر . فقال له حسن : أما تقوم ندخله لنستريح فيه ونتفرج عليه ؟ فذهب المجوسي وقال له : لا تذكر لي هذا القصر فإن فيه عدوي ووقعت لي حكاية ليس هذا وقت إخبارك بها ، ثم دق الطبل فاقبلت النجائب فركبا وسارا سبعة أيام . فلما كان اليوم الثامن قال المجوسي : يا حسن ، ما الذي تنظره ؟ فقال حسن : أنظر سحاباً وغماماً بين المشرق والمغرب . فقال له المجوسي : ما هذا سحاب ولا غمام وإنما هو جبل عظيم شاهق ينقسم عليه السحاب وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوّه وعظم ارتفاعه ، وهذا الجبل هو المقصود لي وفوقه حاجتنا ولأجل هذا جئت بك معي وحاجتي تقضى على يديك . فعند ذلك يئس حسن من الحياة ثم قال للمجوسي : بحق معبودك وبحق ما تعتقده من دينك أي شيء الحاجة التي جئت بي من أجلها ؟ فقال له : إن صنعة الكيمياء لا تصلح إلا بحشيش ينبت في المحل الذي يمرّ به السحاب وينقطع عليه ، وهو هذا الجبل والحشيش فوقه فإذا حصلنا الحشيش أريك أي شيء هذه الصنعة . فقال له حسن من خوفه : نعم يا سيدي . وقد يئس من الحياة وبكى لفراق امه وأهله ووطنه وندم على مخالفته امه وأنشد هذين البيتين : [من الوافر]

تَأَمَّلْ صُنْعَ رَبِّكَ كَيْفَ تَأْتِي ... لَكَ السَّرَّاءُ مَعْ فَرَجٍ قَرِيبِ
ولا تَيْأَسْ إذا ما نِلْتَ خَطْباً ... فَكَمْ في الخَطْبِ مِنْ لُطْفٍ عَجِيبِ

ولم يزالا سائرين إلى أن وصلا إلى ذلك الجبل ووقفا تحته ، فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصراً فقال للمجوسي : ما هذا القصر ؟ فقال المجوسي : هذا مسكن الجان والغيلان والشياطين . ثم إن المجوسي نزل من فوق نجيبه وأمره بالنزول وقام إليه وقبّل رأسه وقال : لا تؤاخذني بما فعلته معك فأنا أحفظك عند طلوعك القصر وينبغي أنك لا تخونني في شيء من الذي تحضره منه وأكون أنا وأنت فيه سواء . فقال له : السمع والطاعة . ثم إن الأعجمي فتح جراباً وأخرج منه طاحوناً وأخرج منه أيضا مقداراً من القمح وطحنه على تلك الطاحون وعجن منه ثلاثة أقراص وأوقد النار وخبز الأقراص ، ثم أخرج الطبل النحاس والزخمة المنقوشة ودقّ الطبل فحضرت النجائب ، فاختار منها نجيباً وذبحه وسلخ جلده ثم التفت إلى حسن وقال له : إسمع يا ولدي يا حسن ما أوصيك به . قال : نعم . قال : أدخل في هذا الجلد وأخيط عليك وأطرحك على الأرض فتأتي طيور الرخم فتحملك وتطير بك إلى أعلى الجبل وخذ هذه السكين معك ، فإذا فرغت من طيرانها وعرفت إنها حطّتك فوقه فشق بها الجلد واخرج فإن الطير يخاف منك ويطير عنك ، وطل لي من فوق الجبل وكلّمني حتى أخبرك بالذي تعمله . ثم هيأ له الثلاثة اقراص وركوة فيها ماء وحطّها معه في الجلد وبعد ذلك خيطه عليه ثم بعد عنه ، فجاء طير الرخم حمله وطار به إلى أعلى الجبل ووضعه هناك . فلما عرف حسن أن الرخم وضعه على الجبل ، شقّ الجلد وخرج منه وكلّم المجوسي . فلما سمع المجوسي كلامه فرح ورقص من شدة الفرح وقال له : إمض إلى ورائك ومهما رأيته فاعلمني به . فمضى حسن فرأى رمماً كثيرة وعندهم حطب كثير فأخبره بجميع ما رآه . فقال : هذا هو المقصود والمطلوب ، فخذ من الحطب ست حزم وارمها لي فإنها هي التي نعملها كيمياء . فرمى له الست حزم . فلما رأى المجوسي تلك الحزم قد وصلت عنده قال لحسن : يا علق ، قد انقضت الحاجة التي أردتها منك وإن شئت فدم على هذا الجبل أو الق

نفسك على الأرض حتى تهلك ثم مضى المجوسي . فقال حسن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قد مكر بي هذا الكلب . ثم قعد ينوح على نفسه وانشد هذه الأبيات :[من الرجز]

إذا أَرادَ اللهُ أَمراً بِامْرِىءٍ وكانَ ذا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وبَصَرْ
أَصَمَّ أُذْنَيْهِ وأَعْمَى قَلْبَهُ وسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إذا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ
فَلا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضاءٍ وقَدَرْ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 784

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المجوسي لما طلع حسن الجبل ورمى له حاجته من فوقه وبّخه ثم تركه وسار . فقال حسن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قد مكر بي هذا الكلب الملعون . ثم إنه وقف على قدميه والتفت يميناً وشمالاً ثم مضى فوق الجبل وايقن في نفسه بالموت ، وصار يتمشى حتى وصل إلى الطرف الآخر من الجبل فرأى بجنب الجبل بحر أزرق متلاطم الأمواج قد أزبد ، وكل موجة منه كالجبل العظيم . فقعد وقرأ ما تيسّر من القرآن وسأل الله تعالى أن يهون عليه ، إما بالموت وإما بالخلاص من هذه الشدائد . ثم صلى على نفسه صلاة الجنازة ورمى نفسه في البحر ، فحملته الأمواج على سلامة الله تعالى إلى أن طلع من البحر سالماً بقدرة الله تعالى . ففرح وحمد الله تعالى وشكره ثم قام يمشي ويفتش على شيء يأكله . فبينما هو كذلك وإذا هو بالمكان الذي كان فيه هو وبهرام المجوسي ، ثم مشى ساعة فإذا هو بقصر عظيم شاهق في الهواء فدخله ، فإذا هو القصر الذي كان سأل عنه المجوسي وقال له : إن هذا القصر فيه عدوي . فقال حسن : والله لا بد من دخولي هذا القصر لعل الفرج يحصل لي فيه . فلما جاءه رأى بابه مفتوحاً ، فدخل من الباب فرأى مصطبة في الدهليز وعلى المصطبة بنتان كالقمرين بين أيديهما رقعة شطرنج وهما يلعبان . فرفعت واحدة منهما رأسها إليه وصاحت من فرحتها وقالت : والله إن هذا آدمي وأظنه الذي جاء به بهرام المجوسي في هذه السنة . فلما سمع حسن كلامهما رمى نفسه بين أيديهما وبكى بكاء شديداً وقال : يا سيداتي ، هو أنا ذلك المسكين . فقالت البنت الصغرى لأختها الكبرى : إشهدي عليّ يا أختي أن هذا أخي في عهد الله وميثاقه وإني أموت لموته وأحيى لحياته وأفرح لفرحه وأحزن لحزنه . ثم قامت له وعانقته وقبّلته وأخذته من يده ودخلت به القصر وأختها معها وقلّعته ما كان عليه من الثياب الرثة وأتت له ببدلة من ملابس الملوك وألبسته إياها وهيّأت له الطعام من سائر الألوان وقدّمته له وقعدت هي وأختها وأكلتا معه وقالتا له : حدّثنا بحديثك مع الكلب الفاجر الساحر من حين وقعت في يده إلى حين خلصت منه ، ونحن نحدّثك بما جرى لنا معه من أول الأمر إلى آخره حتى تصير على حذر إذا رأيته . فلما سمع حسن منهما هذا الكلام ورأى الإقبال منهما عليه اطمأنت نفسه ورجع له عقله وصار يحدثهما بما جرى له معه من الأول إلى الآخر . فقالتا له : هل سألته عن هذا القصر؟ قال : نعم سألته فقال لي : لا احب سيرته فإن هذا القصر للشياطين والأبالسة . فغضبت البنتان غضباً شديداً وقالتا : هل جعلنا هذا الكافر شياطين

وأبالسة؟ فقال لهما حسن: نعم. فقالت الصغيرة أخت حسن: والله لأقتلنه أقبح قتلة وأعدمنه نسيم الدنيا. فقال حسن: وكيف تصلين إليه وتقتلينه؟ قالت: هو في بستان يسمى المشيد ولا بد لي عن قتله قريباً. فقالت لها أختها: صدق حسن وكل ما قاله عن هذا الكلب صحيح، ولكن حدثيه بحديثنا كله حتى يبقى في ذهنه. فقالت البنت الصغيرة: أعلم يا أخي أننا من بنات الملوك وأبونا ملك من ملوك الجان العظام الشأن وله جنود وأعوان وخدم من المردة، ورزقه الله تعالى بسبع بنات من امرأة واحدة، ولحقه من الحماقة والغيرة وعزة النفس ما لا مزيد عليه حتى أنه لم يزوّجنا لأحد من الرجال. ثم إنه أحضر وزراءه وأصحابه وقال لهم: هل أنتم تعرفون لي مكاناً لا يطرقه طارق لا من الإنس ولا من الجن ويكون كثير الأشجار والأثمار والأنهار؟ فقالوا له: ما الذي تصنع به يا ملك الزمان؟ فقال: أريد أن أجعل فيه بناتي السبعة. فقالوا له: يا ملك، يصلح لهن قصر جبل السحاب الذي كان أنشأه عفريت من الجن المردة الذين تمرّدوا على عهد سليمان عليه السلام، فلما هلك لم يسكنه أحد بعده لا من الجن ولا من الإنس لأنه منقطع لا يصل إليه أحد، وحوله الأشجار والأثمار والأنهار، وحوله ماء جار أحلى من الشهد وأبرد من الثلج، ما شرب منه أحد به برص أو جذام أو غيرهما إلا عوفي من وقته وساعته. فلما سمع والدنا بذلك، أرسلنا إلى هذا القصر وأرسل معنا العساكر والجنود وجمع لنا ما نحتاج فيه إليه. وكان إذا أراد الركوب يضرب الطبل فيحضر له جميع الجنود، فيختار ما يركبه منهم وينصرف الباقون. فإذا أراد والدنا أننا نحضر عنده، أمر أتباعه من السحرة بإحضارنا فيأتوننا ويأخذوننا ويوصلوننا بين يديه حتى يأتنس بنا ونقضي أغراضنا منه ثم يرجعوننا إلى مكاننا. ونحن لنا خمس أخوات ذهبن يتصيّدن في هذه الفلاة فإن فيها من الوحوش ما لا يعد ولا يحصى، وكل اثنتين منّا عليهما نوبة في القعود لتسوية الطعام، فجاءت النوبة علينا أنا وأختي هذه فقعدنا لنسوّي لهن الطعام. وكنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا شخصا آدميا يؤانسنا فالحمد لله الذي أوصلك إلينا، فطب نفساً وقرّ عيناً ما عليك بأس. ففرح حسن وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى طريق الخلاص وحنّن علينا القلوب. ثم قامت وأخذته من يده وأدخلته مقصورة وأخرجت منها من القماش والفرش ما لا يقدر عليه واحد من المخلوقات. ثم بعد ساعة حضر أخواتهنّ من الصيد والقنص فأخبرتاهن بحديث حسن، ففرحن به ودخلن عليه في المقصورة وسلّمن عليه وهنّينه بالسلامة. ثم أقام عندهن في أطيب عيش وأهنى سرور، وصار يخرج معهن إلى الصيد والقنص ويذبح الصيد واستأنس حسن بهن. ولم يزل معهن على هذه الحالة حتى صحّ جسده وبرىء من الذي كان به وقوي جسمه وغلظ وسمن بسبب ما هو فيه من الكرامة وقعوده عندهن في ذلك الموضع، وهو يتفرّج ويتفسّح معهن في ذلك القصر المزخرف وفي جميع البساتين والأزهار، وهن يأخذن بخاطره ويؤانسنه بالكلام. وقد زالت عنه الوحشة وزادت البنات به فرحاً وسروراً وكذلك هو فرح بهن أكثر مما فرحن به. ثم إن أخته الصغيرة حدّثت أخواتها بحديث بهرام المجوسي وإنه جعلهن شياطين وأبالسة وغيلاناً، فحلفن لها أنه لا بد من قتله. فلما كان العام الثاني، حضر الملعون ومعه شاب مليح مسلم كأنه القمر وهو مقيد بقيد ومعذّب غاية العذاب. فنزل به تحت القصر الذي دخل فيه حسن على البنات وكان حسن جالساً على النهر تحت الأشجار، فلما رآه حسن خفق قلبه وتغيّر لونه وضرب بكفيه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 785

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً الصائغ لما رأى المجوسي ، خفق قلبه وتغيّر لونه وضرب بكفيه وقال للبنات : بالله يا أخواتي ، أعنّني على قتل هذا الملعون ، فها هو قد حضر في قبضتكن ومعه شاب مسلم أسير من أولاد الناس الأكابر وهو يعذبه بأنواع العذاب الأليم ، وقصدي أن أقتله وأشفي فؤادي منه وأريّح هذا الشاب من عذابه وأربح الثواب ويرجع الشاب المسلم إلى وطنه فيجتمع شمله مع إخوانه وأهله وأحبابه ويكون ذلك صدقة عنكن وتفزن بالأجر من الله تعالى . فقال له البنات : السمع والطاعة لله ولك يا حسن . ثم إنهن ضربن لهن لثامات ولبسن آلات الحرب وتقلّدن السيوف وأحضرن لحسن جواداً من أحسن الخيل وهيّأنه بعدّة كاملة وسلّحنه سلاحاً مليحاً ، ثم ساروا جميعاً فوجدوا المجوسي قد ذبح جملاً وسلخه وهو يعاقب الشاب ويقول له : أدخل هذا الجلد . فجاء حسن من خلفه والمجوسي ما عنده علم به ثم صاح عليه فأذهله ، ثم تقدم إليه وقال له : إمسك يدك يا ملعون ، يا عدو الله وعدو المسلمين ، يا كلب يا غدار يا عابد النار يا سالك طريق الفجار ، أتعبد النار والنور وتقسم بالظل والحرور ؟ فالتفت المجوسي فرأى حسناً فقال له : يا ولدي ، كيف تخلّصت ؟ ومن أنزلك إلى الأرض ؟ فقال له حسن : خلّصني الله الذي جعل قبض روحك على يد أعدائك كما عذبتني طول الطريق يا كافر يا زنديق ، قد وقعت في الضيق وزغت عن الطريق فلا أم تنفعك ولا أخ ولا صديق ولاعهد وثيق . إنك قلت : من يخون العيش والملح ينتقم الله منه . وأنت خنت الخبز والملح فأوقعك الله في قبضتي وصار خلاصك مني بعيداً . فقال له المجوسي : والله يا ولدي أنت عندي أعز من روحي ومن نور عيني . فتقدم إليه حسن وعجّل عليه بضربة على عاتقه فخرج السيف يلمع من علايقه وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . ثم إن حسناً أخذ الجراب الذي كان معه وفتحه وأخرج الطبل منه والزخمة وضرب بها على الطبل فجاءت النجائب مثل البرق إلى حسن ، فحلّ الشاب من وثاقه وأركبه نجيباً وحمل له الباقي زاداً وماء وقال له : توجه إلى مقصدك . فتوجه بعد أن خلّصه الله من الضيق على يد حسن . ثم إن البنات لما رأين حسناً ضرب رقبة المجوسي فرحن به فرحاً شديداً ودرن حوله وتعجبن من شجاعته ومن شدة بأسه وشكرنه على ما فعل وهنينه بالسلامة وقلن له : يا حسن ، لقد فعلت فعلاً أشفيت به العليل وأرضيت به الملك الجليل . وسار هو والبنات إلى القصر وأقام معهن في أكل وشرب ولعب وضحك وطابت له الإقامة عندهن ونسي أمه . فبينما هو معهن في ألذ عيش إذ قد طلعت عليهم غبرة عظيمة من صدر البرية أظلم لها الجو . فقالت له البنات : قم يا حسن وادخل مقصورتك واختف وإن شئت فادخل البستان وتوارى بين الشجر والكروم فما عليك بأس . ثم إنه قام ودخل واختفى في مقصورته وأغلقها عليه من داخل القصر ، وبعد ساعة انكشف الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر العجّاج مقبلاً من عند الملك أبي البنات . فلما وصل العسكر أنزلنهم أحسن منزل وضيّفنهم ثلاثة أيام . وبعد ذلك سألتهم البنات عن حالهم وعن خبرهم فقالوا : إننا جئنا من عند الملك في طلبكن . فقلن لهم : وما يريد الملك منا ؟ قال : إن بعض الملوك يعمل فرحاً ويريد أن تحضرن ذلك الفرح لتتفرجن . فقالت لهم البنات : وكم نغيب عن موضعنا ؟ فقالوا : مدة

الرواح والمجيء وإقامة شهرين . فقامت البنات ودخلن القصر على حسن وأعلمنه بالحال وقلن له : إن هذا الموضع موضعك وبيتنا بيتك فطب نفساً وقر عيناً ولا تخف ولا تحزن فإنه لا أحد يقدر أن يجيء إلينا في هذا المكان ، فكن مطمئن القلب منشرح الخاطر حتى نحضر إليك وهذه مفاتيح مقاصيرنا معك ، ولكن يا أخانا نسألك بحق الأخوة أنك لا تفتح هذا الباب فإنه ليس لك بفتحه حاجة . ثم إنهن ودّعنه وانصرفن صحبة العساكر وقعد حسن في القصر وحده ، ثم انه قد ضاق صدره وفرغ صبره وزاد كربه واستوحش وحزن لفراقهن حزناً عظيماً وضاق عليه القصر مع اتساعه . فلما رأى نفسه وحيداً مستوحشاً تذكرهن وأنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

ضَاقَ الفَضاءُ جَميعُهُ في ناظِرِي ... وتَكَدَّرَتْ مِنْهُ جَمِيعُ خَواطِرِي
مُذْ سَارَتِ الأَحْبابُ صَفْوِي بَعْدَهُمْ ... كَدَرٌ ودَمْعِي فائِضٌ بِمَحاجِرِي
والنَّوْمُ فارَقَ مُقْلَتِي لِفِراقِهِمْ ... وتَكَدَّرَتْ مِنِّي جَمِيعُ سَرائِرِي
أَتَرَى الزَّمانَ يَعُودُ يَجْمَعُ شَمْلَنَا ... ويَعُودُ لي إِلْفِي بِهِمْ ومُسامِرِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 786

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسنًا بعد ذهاب البنات من عنده ، قعد في القصر وحده فضاق صدره من أجل فراقهن . ثم إنه صار يذهب وحده إلى الصيد في البراري فيأتي به ويذبحه ويأكل وحده . وزادت به الوحشة والقلق من انفراده ، فقام ودار في القصر وفتش جميع جهاته وفتح مقاصير البنات فرأى فيها من الأموال ما يذهب عقول الناظرين ، وهو لا يلتذ بشيء من ذلك بسبب غيبتهن . والتهبت في قلبه النار من أجل الباب الذي أوصته أخته بعدم فتحه وأمرته أنه لا يقربه ولا يفتحه أبدًا . فقال في نفسه : ما أوصتني أختي بعدم فتح هذا الباب إلا لكونه فيه شيء تريد أن لا يطّلع عليه أحد ، والله إني لأقوم وأفتحه وأنظر ما فيه ولو كان فيه المنية . فأخذ المفتاح وفتحه فلم ير فيه شيئًا من المال ، ولكنه رأى سلّماً في صدر المكان معقوداً بحجر من جزع يماني . فرقى على ذلك السلم وصعد إلى أن وصل إلى سطح القصر . فقال في نفسه : هذا الذي منعتني عنه . ودار فوقه فأشرف على مكان تحت القصر مملوء بالمزارع والبساتين والأشجار والأزهار والوحوش والطيور وهي تغرد وتسبّح الله الواحد القهار ، وصار يتأمل في تلك المنتزهات فرأى بحرًا عجاجاً متلاطماً بالأمواج . ولم يزل دائرًا حول ذلك القصر يمينًا وشمالاً حتى انتهى إلى قصر على أربعة أعمدة فرأى فيه مقعداً منقوشاً بسائر الأحجار التي كالياقوت والزمرد والبلخش وأصناف الجواهر ، وهو مبني طوبة من ذهب وطوبة من فضة وطوبة من ياقوت وطوبة من زمرد أخضر ، وفي وسط ذلك القصر بحيرة ملآنة بالماء وعليها مكعب من الصندل وعود الند وهو مشبك بقضبان الذهب الأحمر والزمرد الأخضر ومزركش بأنواع الجواهر واللؤلؤ التي كل حبة منه قدر بيضة الحمامة ، وعلى جانب البحيرة تخت من العود الند مرصّع بالدر والجوهر ، مشبك بالذهب الأحمر وفيه من سائر الفصوص الملونة والمعادن النفيسة وهي في الترصيع يقابل بعضها بعضاً ، وحوله الأطيار تغرّد بلغات مختلفة وتسبّح الله تعالى بحسن أصواتها واختلاف لغاتها ، وهذا القصر لم يملك مثله

كسرى ولا قيصر . فاندهش حسن لما رأى ذلك وجلس فيه ينظر ما حوله . فبينما هو جالس فيه وهو يتعجب من حسن صنعته ومن بهجة ما حواه من الدر والياقوت وما فيه من سائر الصناعات ومتعجب أيضاً من تلك المزارع والأطيار التي تسبّح الله الواحد القهّار ويتأمّل في آثار من قدرة الله تعالى على عمارة هذا القصر فإنه عظيم الشأن، وإذا هو بعشرة طيور قد أقبلوا من جهة البر وهم يقصدون ذلك القصر وتلك البحيرة . فعرف حسن أنهم يقصدون البحيرة ليشربوا من مائها، فاستتر منهم خوفاً أن ينظروه فيفروا منه . ثم إنهم نزلوا على شجرة عظيمة مليحة وداروا حولها ونظر منهم طيراً عظيماً مليحًا وهو أحسن ما فيهم والبقية محتاطون به وهم في خدمته . فتعجب حسن من ذلك وصار ذلك الطير ينقر التسعة بمنقاره ويتعاظم عليهم وهم يهربون منه وحسن واقف يتفرّج عليهم من بعيد . ثم إنهم جلسوا على السرير وشقّ كل طير منهم جلده بمخاليبه وخرج منه فإذ هو ثوب من ريش وقد خرج من الثياب عشر بنات أبكار يفضحن بحسنهن بهجة الأقمار . فلما تعرّين من ثيابهن نزلن كلهن في البحيرة واغتسلن وصرن يلعبن ويتمازحن ، وصارت الطيرة الفائقة عليهن ترميهن وتغطسهن فهربن منها ولم يقدرن أن يمددن أيديهن إليها . فلما نظرها حسن غاب عن صوابه وسلب عقله وعرف أن البنات ما نهينه عن فتح هذا الباب إلا لهذا السبب ، فشغف حسن بها حبّاً لِما رأى من حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها ، وهي في لعب ومزاح ومراشّة بالماء وحسن واقف ينظر إليهن ويتحسّر حيث لم يكن معهن . وقد حار عقله من حسن الجارية الصغيرة وتعلّق قلبه بشرك محبتها ووقع في شرك هواها والعين ناظرة وفي القلب نار محرقة والنفس أمارة بالسوء ، فبكى حسن شوقاً لحسنها وجمالها وانطلقت في قلبه النيران من أجلها وزاد به لهيب لا يطفىء شرره وغرام لا يخفى أثره . ثم بعد ذلك طلعت البنات من تلك البحيرة وحسن واقف ينظر إليهن وهن لا ينظرنه وهو يتعجب من حسنهن وجمالهن ولطف معانيهن وظرف شمائلهن ، فحانت منه التفاتة فنظر حسن إلى الجارية الكبيرة وهي عريانة فبان له ما بين فخذيها وهو قبة عظيمة مدورة بأربعة أركان كأنه طاسة من فضة أو من بلور . يذكر قول الشاعر : [من الطويل]

وَلَمّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كسِّها ... وَجَدْتُ بِهِ ضِيقاً كَخَلْقِي وأَرْزاقي
فَأَوْلَجْتُ فِيها نِصْفَهُ فَتَنَهَّدَتْ ... فَقُلْتُ: لِما هذا؟ فَقالَتْ: عَلى الباقي

فلما خرجن من الماء لبست كل واحدة ثيابها وحليها ، وأما الجارية الكبيرة فإنها لبست حلة خضراء ففاقت بجمالها ملاح الآفاق وزهت ببهجة وجهها على بدور الإشراق وفاقت على الغصون بحسن التثني وأذهلت العقول بوهم التجني . وهي كما قال الشاعر : [من المتقارب]

وجارِيَةٍ في نَشاطٍ بَدَتْ ... تَرَى الشَّمْسَ مِنْ خَدِّها مُسْتَعارَهْ
أَتَتْ في قَمِيصٍ لَها أَخْضَرَ ... كَخُضْرِ الغُصُونِ على جِلَّنارَهْ
فَقُلْتُ لَها : ما اسْمُ هذا اللِّباسِ ؟ ... فَقالَتْ كَلاماً مَلِيحَ العِبارَهْ
شَقَقْنا مَرائِرَ أَحْبابِنا ... فَفاحَ نَسِيمٌ يَشُقُّ المَرارَهْ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 787

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما رأى البنات قد خرجن من البحيرة والكبيرة فيهن أخذت عقله بحسنها وجمالها أنشد تلك الأبيات. ثم إن البنات لما لبسن ثيابهن جلسن يتحدثن ويتضاحكن وحسن واقف ينظر إليهن وهو غريق في بحر عشقه وتائه في فكره وهو يقول في نفسه: والله ما قالت لي أختي لا تفتح هذا الباب إلا من شأن هؤلاء البنات وخوفاً من أن أتعلق بإحداهن. ثم إنه صار ينظر في محاسن هذه الجارية وكانت أجمل ما خلق الله في وقتها وقد فاقت بحسنها جميع البشر، لها فم كأنه خاتم سليمان، وشعر أسود من ليل الصدود على الكئيب الولهان، وغرة كهلال عيد رمضان، وعيون تحاكي عيون الغزلان، وأنف أقنى كثير اللمعان، وخدان كأنهما شقائق النعمان، وشفتان كأنهما مرجان وأسنان كأنها لؤلؤ منظوم في قلائد العقيان، وعنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان، وبطن طيات وأركان يبتهل فيه العاشق الولهان وسرّة تَسَع أوقية مسك طيب الأردان، وأفخاذ غلاظ سمان كأنها عواميد رخام أو مخدتين محشوّتين من ريش النعام وبينهما شيء كأنه أعظم العقبان أو أرنب مقطوش الأذان وله سطوح وأركان. وهذه الصبية فاقت بحسنها وقدّها على غصون البان وعلى قضيب الخيزران. وهي كما قال الشاعر الولهان: [من الطويل]

وخَوْداءَ أَضْحَى رِيقُها حاكِيَ الشَّهْدِ لَها مُقْلَةٌ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الهِنْدِي
وتُخْجِلُ غُصْنَ البَانِ مِنْ حَرَكاتِها إذا ٱبْتَسَمَتْ فالبَرْقُ مِنْ ثَغْرِها تُبْدِي
وقايَسْتُ بالوَرْدِ المُصَفَّفِ خَدَّها فَصَدَّتْ وقالَتْ مَنْ يُقايِسُ بالوَرْدِ
وشَبَّهَ بالرُّمَّانِ نَهْدِي فَما ٱسْتَحَى ومِنْ أَيْنَ لِلرُّمَّانِ غُصْنٌ حَوَى نَهْدِي
وحَقِّ جَمالِي والعُيُونِ ومُهْجَتِي وجَنَّةِ وَصْلِي والتَّنَهُّدِ في الصَّدْرِ
لَئِنْ عادَ لِلتَّشْبِيهِ حَقّاً حَرَمْتُهُ لَذِيذَ وِصالِي ثُمَّ أَقْلِيهِ بالصَّدِّ
يَقُولُونَ في البُسْتانِ وَرْدٌ مُصَفَّفٌ وما وَرْدُهُ خَدِي ولا غُصْنُهُ قَدِّي
إذا كانَ مِثْلِي في البَساتِينِ عِنْدَهُ فَماذا الَّذي قَدْ جاءَ يَطْلُبُهُ عِنْدِي

ثم إن البنات لم يزلن في ضحك ولعب وهو واقف على قدميه ينظر إليهن ونسي الأكل والشرب إلى أن قرب العصر. فقالت الصبية لصواحبها: يا بنات الملوك، إن الوقت أمسى علينا وبلادنا بعيدة ونحن قد سئمنا المقام هنا فقمن لنروح محلنا. فقامت كل واحدة منهن ولبست ثوبها الريش، فلما اندرجن في ثيابهن صرن طيوراً كما كن أولاً وطرن كلهن سوية وتلك الصبية في وسطهن. فيئس حسن منهن وأراد أن يقوم وينزل فلم يقدر أن يقوم وصار دمعه يجري على خده. ثم اشتد به الغرام فأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

حُرِمْتُ وَفاءَ العَهْدِ إنْ كُنْتُ بَعْدَكُمْ عَرَفْتُ لَذِيذَ النَّوْمِ كَيْفَ يَكُونُ
ولا أُغْمِضَتْ عَيْنايَ بَعْدَ فِراقِكُمْ ولا لَذَّ لي بَعْدَ الرَّحِيلِ سُكُونُ
يُخَيِّلُ لي في النَّوْمِ أَنِّي أَراكُمُ فَيا لَيْتَ أَحْلامَ المَنامِ يَقِينُ
وإنِّي لأَهْوَى النَّوْمَ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ لَعَلَّ لِقاكُم في المَنامِ يَكُونُ

ثم إن حسناً مشى قليلاً وهو لا يهتدي إلى الطريق حتى نزل إلى أسفل القصر، ولم يزل يزحف إلى ان وصل إلى باب المخدع ، فدخل واغلقه عليه واضطجع عليلاً لا يأكل ولا يشرب وهو غريق في بحر افكاره فبكى وناح نفسه إلى الصباح . فلما أصبح الصباح أنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

فَطارَتْ طُيُورٌ بِالعِشاءِ وصاحُوا ... ومَنْ ماتَ وَجْدًا مَا عَلَيْهِ جُنَاحُ
أُسِرُّ حَدِيثَ العِشْقِ ما أَمْكَنَ البَقا ... وإنْ غَلَبَ الشَّوْقُ الشَّدِيدُ يُباحُ
سَرَى طَيْفُ مَنْ يَحْكي بِطَلْعَتِهِ الضُّحَى ... ولَيْسَ لِلَيْلِي في الغَرَامِ صَبَاحُ
أَنُوحُ عَلَيْهِمْ والخَلِيُّونَ نُوَّمٌ ... وقَدْ لَعِبَتْ بي في الغَرامِ رِياحُ
سَمَحْتُ بِدَمْعِي ثُمَّ مَالي ومُهْجَتي ... وعَقْلِي ورُوحِي والسَّمَاحُ رَبَاحُ
وأَقْبَحُ أَنْواعِ المَكارِهِ والأَذَى ... إذا كانَ مِنْ عِنْدِ المِلاحِ كِفَاحُ
يَقُولُونَ وَصْلُ الغَانِيَاتِ مُحَرَّمٌ ... وسَفْكُ دِماءِ العاشِقِينَ مُباحُ
وما حِيلَةُ المُضْنَى سِوَى بَذْلِ نَفْسِه ... يَجُودُ بِها، هَلْ في الغَرامِ مُزاحُ
أَصِيحُ اشْتِياقاً لِلْحَبِيبِ ولَوْعَةً ... وغايَةُ جَهْدِ المُسْتَهامِ نُوَاحُ

فلما طلعت الشمس فتح باب المخدع وطلع إلى المكان الذي كان فيه أولاً وجلس في مكان قبال المنظرة إلى أن أقبل الليل فلم يحضر أحد من الطيور وهو جالس في انتظارهم ، فبكى بكاء شديداً حتى غشي عليه ووقع على الأرض مطروحاً ، فلما افاق من غشيته زحف ونزل إلى أسفل القصر وقد أقبل الليل وضاقت عليه الدنيا بأسرها . وما زال يبكي وينوح على نفسه طول ليله إلى ان أتى الصباح وطلعت الشمس على الروابي والبطاح وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقرّ له قرار ، وفي نهاره حيران وفي ليله سهران مدهوش سكران من الفكر الذي هو فيه ومن شدة الغرام . وأنشد قول الشاعر الولهان : [من الطويل]

أَمُخْجِلَةَ الشَّمْسِ المُنِيرَةِ في الضُّحَى ... وفاضِحَةَ الأَغْصانِ مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِي
تُرَى تَسْمَحُ الأَيَّامُ مِنْكَ بِعَوْدَةٍ ... وتَخْمُدُ نِيرانٌ تُوَقَّدُ في صَدْرِي
ويَجْمَعُنا عِنْدَ اللِّقاءِ تَعانُقٌ ... وخَدُّكِ في خَدِّي ونَحْرُكِ في نَحْرِي
فَمَنْ قالَ إنَّ الحُبَّ فِيهِ حَلاوَةٌ ... فَفِي الحُبِّ أَيَّامٌ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 788

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً الصايغ لما زاد عشقه أنشد الأشعار وهو في القصر وحده ولم يجد من يؤانسه . فبينما هو في شدّة ولهه وإذا هو بغبرة قد طلعت من البر ، فقام يجري إلى أسفل واختفى وعرف ان أصحاب القصر قد أتوا . فلم يكن غير ساعة إلا والعسكر قد نزلوا وداروا بالقصر ، ونزلت السبع بنات ودخلن القصر فنزعن سلاحهن وما كان عليهن من آلات الحرب . وأما البنت الصغيرة أخته فإنها لم تنزع ما عليها من آلة الحرب بل جاءت إلى مقصورة حسن فلم تره ، ففتشت عليه فوجدته في مخدع من المخادع

وهو ضعيف نحيل قد كلّ جسمه ورقّ عظمه واصفرّ لونه وغابت عيناه في وجهه من قلة الأكل والشرب ومن كثرة الدموع بسبب تعلّقه بالصبية وعشقه لها. فلما رأته أخته الجنية على هذه الحالة اندهشت وغاب عنها عقلها فسألته عن حاله وما هو فيه وأي شيء أصابه وقالت له: أخبرني يا أخي حتى أتحيل لك في كشف ضرك وأكون فداك. فبكى بكاء شديداً وأنشد يقول: [من الطويل]

مُحِبٌّ إذا ما بَانَ عَنْه حَبِيبُهُ فَلَيْسَ لَهُ إلاَّ الكَآبَةُ والضَّرُّ
فَبَاطِنُهُ سَقَمٌ وظاهِرُهُ جَوًى وأوَّلُهُ ذِكْرٌ وآخِرُهُ فِكْرُ

فلما سمعت أخته منه ذلك تعجبت من فصاحته ومن بلاغة قوله ومن حسن لفظه ومجاوبته لها بالشعر فقالت له: يا أخي، متى وقعت في هذا الأمر الذي أنت فيه؟ ومتى حصل لك؟ فإني أراك تتكلم بالأشعار وترخي الدموع الغزار، فبالله عليك يا أخي وحرمة الحب الذي بيننا أن تخبرني بحالك وتطلعني على سرّك ولا تخف مني شيئًا مما جرى لك في غيابنا، فإنه قد ضاق صدري وتكدّر عيشي بسببك. فتنهّد وأرخى الدموع مثل المطر وقال: أخاف يا أختي إذا أخبرتك أنك لم تساعديني على مطلوبي وتتركينني أموت كمداً بغصتي. فقالت: لا والله يا أخي ما أتخلى عنك ولو كانت روحي تروح. فحدثها بما جرى له وما عاينه حين فتح الباب وأخبرها أن سبب الضرر والبلاء عشق الصبية التي رآها ومحبته لها وأن له عشرة أيام لم يستطعم بطعام ولا شراب. ثم إنه بكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين: [من الكامل]

رُدُّوا الفُؤَادَ والهَنَاءَ إلى الحَشَى والمُقْلَتَينِ إلى الكَرَى ثُمَّ اهْجُرُوا
أَزَعَمْتُمُ أنَّ اللَّيالي غَيَّرَتْ عَهْدَ الهَوَى، لا كانَ مَنْ يَتَغَيَّرُ

فبكت أخته لبكائه ورقّت لحاله ورحمت غربته ثم قالت له: يا أخي، طب نفساً وقر عيناً فأنا أخاطر بنفسي معك وأبذل روحي في رضائك وأدبر لك حيلة ولو كان فيها ذهاب نفائسي ونفسي حتى أقضي غرضك إن شاء الله تعالى، ولكن أوصيك يا أخي بكتمان السر عن أخواتي فلا تظهر حالك على واحدة منهن لئلا تروح روحي وروحك، وإن سألنك عن فتح الباب فقل لهن: ما فتحته أبداً ولكن أنا مشغول القلب من أجل غيابكن عني ووحشتي إليكن وقعودي في القصر وحدي. فقال لها: نعم هذا هو الصواب. ثم إنه قبّل رأسها وطاب خاطره وانشرح صدره، وكان خائفاً من أخته بسبب فتح الباب فردّت إليه روحه بعد أن كان مشرفاً على الهلاك من شدة الخوف. ثم إنه طلب من أخته شيئًا يأكله. فقامت وخرجت من عنده ثم دخلت على أخواتها وهي حزينة باكية عليه فسألنها عن حالها فأخبرتهن أن خاطرها مشغول على أخيها وأنه مريض وله عشرة أيام ما نزل في بطنه زاد أبداً. فسألنها عن سبب مرضه فقالت لهن: سببه غيابنا عنه حيث أوحشناه، فإن هذه الأيام التي غبناها عنه كانت عليه أطول من الف عام. وهو معذور لأنه غريب ووحيد ونحن تركناه وحده وليس عنده من يؤانسه ولا من يطيب خاطره، وهو شاب صغير على كل حال وربما تذكر أهله وأمه وهي امرأة كبيرة فظن أنها تبكي عليه آناء الليل وأطراف النهار ولم تزل حزينة عليه، وكنا نسليه بصحبتنا له. فلما سمع أخواتها كلامها بكين من شدة التأسف عليه وقلن لها: والله إنه معذور. ثم خرجن إلى العسكر وصرفنهم ودخلن على

حسن فسلمن عليه ورأينه قد تغيّرت محاسنه واصفرّ لونه وانتحل جسمه، فبكين شفقة عليه وقعدن عنده وآنسنه وطيبن قلبه بالحديث وحكين له جميع ما رأين من العجائب والغرائب وما جرى للعريس مع العروسة. ثم إن البنات أقمن عنده مدة شهر كامل وهن يؤانسنه ويلاطفنه وهو في كل يوم يزداد مرضاً على مرضه، وكلما رأينه على هذه الحالة يبكين عليه بكاء شديداً وأكثرهن بكاء البنت الصغيرة. ثم بعد الشهر اشتاقت البنات إلى الركوب للصيد والقنص فعزمن على ذلك وسألن اختهن الصغيرة أن تركب معهن فقالت لهن: والله يا أخواتي ما أقدر أن أخرج معكن وأخي على هذه الحالة حتى يتعافى ويزول عنه ما هو فيه من الضرر، بل أجلس عنده لأعلله. فلما سمعن كلامها شكرنها على مروءتها وقلن لها: كل ما تفعلينه مع هذا الغريب تؤجرين عليه. ثم تركنها عنده في القصر وركبن وأخذن معهن زاد عشرين يوماً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 789

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن البنات لما ركبن ورحن إلى الصيد والقنص تركن أختهن الصغرى قاعدة عند حسن في القصر. فلما بعدن عن القصر عرفت أختهن أنهن قطعن مسافة بعيدة فأقبلت على أخيها وقالت له: يا أخي، قم أرني هذا الموضع الذي رأيت فيه البنات. فقال: بسم الله على الرأس. وفرح بقولها وأيقن ببلوغ مقصوده. ثم إنه أراد أن يقوم معها ويريها المكان فلم يقدر على المشي فحملته في حضنها وجاءت به إلى القصر، فلما صارا فوقه أراها الموضع الذي رأى فيه البنات وأراها المقعد وبركة الماء. فقالت له أخته: صف لي يا أخي حالهن كيف جئن. فوصف لها ما رأى منهن وخصوصاً البنت التي تعلق بها. فلما سمعت وصفها عرفتها، فاصفرّ وجهها وتغيّر حالها فقال لها: يا أختي قد اصفرّ وجهك وتغيّرت حالتك. فقالت له: يا أخي أعلم أن هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشأن، قد ملك أبوها إنساً وجاناً وسحرة وكهاناً وارهاطاً وأعواناً وأقاليم وبلداناً كثيرة وأموالاً عظاماً وأبونا نائب من جملة نوابه، فلا يقدر عليه أحد من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله. وقد جعل لأولاده البنات التي رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولاً وعرضاً، وقد زاد على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلا يقدر أن يصل إلى ذلك المكان لا من الإنس ولا من الجان. وله من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات بالرماح خمسة وعشرون ألفاً كل واحدة منهن إذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم ألف فارس من الشجعان، وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما في أخواتهن وأزيد. وقد ولّى على هذا القطر الذي عرفتك به ابنته الكبرى وهي أكبر أخواتها وفيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلب به جميع أهل مملكتها، وأما البنات التي معها فهن أرباب دولتها وأعوانها وخواصها من ملكها. وهذه الجلود الريش التي يطرن بها إنما هي صنعة سحرة الجان. وإذا أردت أن تملك هذه الصبية وتتزوّج بها فاقعد هنا وانتظرها لأنهن يحضرن على رأس كل شهر في هذا المكان، فإذا رأيتهن قد حضرن فاختف وإياك أن تظهر فتروح أرواحنا جميعاً. فاعرف الذي أقوله لك واحفظه في ذهنك واقعد في مكان يكون قريباً منهن بحيث أنك تراهن وهن لا يرينك، فإذا قلعن ثيابهن فالقِ نظرك على الثوب الريش الذي هو للكبيرة التي في مرادك وخذه ولا تأخذ شيئًا غيره فإنه هو الذي يوصلها إلى بلادها فإنك إذا ملكته

ملكتها . وإياك أن تخدعك وتقول : يا من سرق ثوبي ردّه عليّ وها أنا عندك وبين يديك وفي حوزتك . فإنك إن أعطيتها إياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل أبانا فاعرف حالك كيف تكون . فإذا رأى أخواتها أن ثوبها قد سرق ، طرن وتركنها قاعدة وحدها ، فادخل عليها وامسكها من شعرها واجذبها فإذا جذبتها إليك فقد ملكتها وصارت في حوزتك . فاحتفظ بعد هذا على الثوب الريش فإنه ما دام عندك فهي في قبضتك وأسرك لأنها لا تقدر أن تطير إلى بلادها إلا به، فإذا أخذتها فاحملها وانزل بها إلى مقصورتك ولا تبين لها أنك أخذت الثوب . فلما سمع حسن كلام أخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الألم ثم انتصب قائماً على قدميه وقبّل رأس أخته ، وبعد ذلك قام ونزل من فوق القصر هو وأخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه إلى أن أصبح الصباح . فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع إلى فوق وقعد ولم يزل قاعداً إلى العشاء ، فطلعت له أخته بشيء من الأكل والشرب وغيّرت ثيابه ونام . ولم تزل معه على هذه الحالة في كل يوم إلى أن هلّ الشهر ، فلما رأى الهلال صار يرتقبهم . فبينما هو كذلك وإذا بهن قد أقبلن عليه مثل البرق ، فلما رآهن اختفى في مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه . فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن في مكان وقطعن ثيابهن وكذلك البنت التي يحبها ، وكان ذلك في مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع اخواتها . فعند ذلك قام حسن ومشى قليلاً وهو مختف وستر الله عليه فأخذ الثوب ، ولم تنظره واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهن . فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش فجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده ، فصاحت ولطمت على وجهها وشقّت ثيابها فأقبلت عليها أخواتها وسألنها عن حالها ، فأخبرتهن أن ثوبها الريش قد فقد . فبكين وصرخن ولطمن على وجوههن ، وحين أمسى عليهن الليل لم يقدرن أن يقعدن عندها فتركنها فوق القصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 790

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده ، وطار أخواتها وتركنها وحدها . فلما رآهن حسن طرن وغبن عنها صغى إليها فسمعها تقول : يا من أخذ ثوبي وأعراني ، سألتك أن تردّه عليّ وتستر عورتي فلا أذاقك الله حسرتي . فلما سمع حسن هذا الكلام منها ، سلب عقله في عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها ، فقام من مكانه وصار يجري حتى هجم عليها وامسكها ثم جذبها إليه ونزل بها إلى أسفل القصر وأدخلها مقصورته ورمى عليها عباءته وهي تبكي وتعض على يديها . فأغلق عليها الباب وراح لأخته وأعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها إلى مقصورته وقال لها : إنها الآن قاعدة تبكي وتعض على يديها . فلما سمعت أخته كلامه قامت وتوجهت إلى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكي وهي حزينة . فقبلت الأرض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية : يا بنت الملك ، أهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك ؟ وأنت تعرفين أن أبي ملك عظيم وأن ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء والكهان والشياطين والمردة من لا طاقة لأحد عليه ، وتحت يده خلق لا يعلم عددهم إلا الله . وكيف يصح لكم يا بنات الملوك أن تأوين رجال الإنس عندكن وتطلعنهم على أحوالنا وأحوالكن ؟ وإلا فمن أين أن يصل هذا الرجل إلينا ؟ فقالت لها أخت حسن : يا بنت الملك ، إن هذا الإنسي كامل

المروءة وليس قصده امرًا قبيحاً وإنما هو يحبك وما خلقت النساء إلا للرجال ، ولولا أنه يحبك ما مرض لأجلك وكادت روحه ان تزهق في هواك . وحكت لها جميع ما اخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرهن واغتسالهن وإنه لم يعجبه من جميعهن غيرها لأن كلهن جوار لها ، وإنها كانت تغطسهن في البحيرة وليس واحدة منهن تقدر أن تمد يدها إليها . فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص . فعند ذلك قامت أخت حسن وخرجت من عندها واحضرت لها بدلة فاخرة فالبستها إياها واحضرت لها شيئًا من الأكل والشرب ، فأكلت هي وإياها وطيبت قلبها وسكنت روعها . ولم تزل تلاطفها بلين ورفق وتقول لها : ارحمي من نظرك نظرة فاصبح قتيلاً في هواك . ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهي تبكي إلى ان طلع الفجر . فطابت نفسها وامسكت عن بكائها لما علمت أنها وقعت ولم يمكن خلاصها قالت لأخت حسن : يا بنت الملك ، بهذا حكم الله على ناصيتي من غربتي وانقطاعي عن بلدي وأهلي واخواتي ، فصبر جميل على ما قضاه ربي . ثم إن أخت حسن أخلت لها مقصورة في القصر لم يكن هناك أحسن منها ، ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الأهل والأوطان وفراق اخواتها وابويها وملكها . ثم إن اخت حسن خرجت إليه وقالت له : قم ادخل عليها في مقصورتها وقبّل يديها ورجليها . فدخل وفعل ذلك ثم قبّل ما بين عينيها وقال لها : يا سيدة الملاح ، وحياة الأرواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب انا ما اخذتك إلا لأجل ان أكون عبدك إلى يوم القيامة واختي هذه جاريتك وانا ، يا سيدتي ما قصدي إلا ان أتزوّجك بسنة الله ورسوله واسافر إلى بلادي وأكون انا وانت في مدينة بغداد واشتري لك الجواري والعبيد ، ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك . وليس هناك بلاد أحسن من بلادنا وكل ما فيها أحسن مما في غيرها من سائر البلاد وأهلها ، وناسها ناس طيبون بوجوه صباح . فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهي لا تخاطبه بحرف واحد وإذا بداق يدق باب القصر ، فخرج حسن ينظر من بالباب وإذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ، ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعين له بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر . ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن في مقصورتها ونزعت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشاً مليحاً وخرجن إلى الصيد والقنص ، فاصطدن شيئًا كثيراً من الغزلان وبقر الوحش والأرانب والسباع والضباع وغير ذلك ، وقدمن منه شيئًا إلى الذبح وتركن الباقي عندهن في القصر ، وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحاً شديداً . فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيئًا ليتغدين به ، فتقدم حسن إلى البنت الكبيرة وقبل راسها وصار يقبل راسهن واحدة بعد واحدة . فقلن له : لقد أكثرت التنازل إلينا يا اخانا وعجبنا من فرط تردّدك إلينا وانت رجل آدمي ونحن من الجن . فدمعت عيونه وبكى بكاء شديداً فقلن : ما الخبر ؟ وما يبكيك ؟ فقد كدرت عيشنا ببكائك في هذا اليوم ! كأنك اشتقت إلى والدتك وإلى بلادك . فإن كان الأمر كذلك فنجهزك ونسافر بك إلى وطنك واحبابك . فقال لهن : والله ما مرادي فراقكن . فقلن له : وحينئذ من شوّش عليك منا حتى تكدرت ؟ فخجل ان يقول : ما شوّش عليَّ إلا عشق الصبية خيفة أن ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشيء من حاله . فقامت أخته وقالت لهن : إنه اصطاد طيرة من

الهواء ويريد منكن أن تعنّه على تأهيلها . فالتفتن إليه وقلن له : نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه ، لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئًا من حالك . فقال لأخته : قصي خبري عليهن فإني أستحي منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 791

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً قال لأخته : قصي عليهن قصتي فإني أستحي ولاأقدر أن أقابلهن بهذا الكلام . فقالت أخته لهن : يا أخواتي ، إننا لما سافرنا وخلينا هذا المسكين وحده ، ضاق عليه القصر وخاف أن يدخل عليه أحد وأنتن تعرفن أن عقول بني آدم خفيفة ، ففتح الباب الموصل إلى سطح القصر حين ضاق صدره وصار منفردًا وحده وطلع فوقه وقعد هناك وأشرف على الوادي وصار يطل على جهة الباب خوفاً أن يقصد أحد القصر . فبينما هو جالس يوماً من الأيام وإذا بالعشر طيور قد أقبلن عليه قاصدات القصر ، ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التي فوق المنظرة ، فنظر إلى الطيرة التي هي أحسنهن وهي تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها ثم جعلن مخالبهن في أطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه . ثم خلعن ما عليهن وحسن واقف ينظر إليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها وهي أحسنهن وجهاً وأعدلهن قداً وأنظفهن لباساً ، ولم يزلن على هذه الحالة إلى أن قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن في القماش الريش والتففن فيه وطرن . فاشتغل فؤاده واشتغل قلبه بالنار من أجل الطيرة الكبيرة وندم لأنه لم يسرق قماشها الريش ، فمرض وأقام فوق القصر ينتظرها . فامتنع من الأكل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لاح الهلال . فبينما هو قاعد وإذا بهن قد أقبلن على عادتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة ، فلما عرف أنها لم تقدر أن تطير إلا به أخذه وأخفاه خفية أن يطلعن عليه فيقتلنه ، ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر . فقلن لها أخواتها : وأين هي ؟ قالت لهن : هي عنده في المخدع الفلاني . فقلن : صفيها لنا يا أختي . فقالت : هي أحسن من القمر ليلة تمامه ووجهها أضوأ من الشمس وريقها أحلى من الشراب وقدها أرشق من القضيب ، ذات طرف أحور ووجه أقمر وجبين أزهر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن مطوي الأعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن وساقين كأنهما من المرمرْ عمودان ، تأخذ القلوب بطرف كحيل ودقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشفي العليل ، مليحة القوام حسنة الإبتسام كأنها البدر التمام . فلما سمعت البنات هذه الأوصاف التفتن إلى حسن وقلن له : أرنا إياها . فقام معهن وهو ولهان إلى أن أتى بهن إلى المخدع الذي فيه بنت الملك وفتحه ودخل وهن خلفه ، فلما رأينها وعاينّ جمالها قبّلن الأرض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها : والله يا بنت الملك الأعظم إن هذا شيء عظيم ، ولو سمعتي بوصف هذا الإنسي عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك ، وهو متعلق بك غاية التعلق إلا أنه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك إلا في الحلال . ولو علمنا أن البنات تستغني عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع أنه لم

يرسل اليك رسولاً بل آتى إليك بنفسه واخبرنا أنه أحرق الثوب الريش وإلا كنا أخذناه منه . ثم إن واحدة من البنات اتفقت هي وإياها وتوكّلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها وزوّجتها له بإذنها ، وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وادخلته عليها . فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده شغفاً بها . وحيث حصل مطلوبه هنّى نفسه وانشد هذه الأبيات : [من الطويل]

قَوامُكَ فَتّانٌ وطَرْفُكَ أَحْوَرُ ... ووَجْهُكَ مِنْ ماءِ المَلاحَةِ يَقْطُرُ
تَصَوَّرْتَ في عَيْنِي أَجَلَّ تَصَوُّرٍ ... فَنِصفُكَ ياقُوتٌ وثُلْثُكَ جَوْهَرُ
وخُمْسُكَ مِنْ مِسْكٍ وسُدْسُكَ عَنْبَرٌ ... وأَنْتَ شَبيهُ الدُّرِّ بَلْ أَنْتَ أَزْهَرُ
وما وَلَدَتْ حَوّاءُ مِثْلَكَ واحِدًا ... ولا في جِنانِ الخُلْدِ مِثْلُكَ آخَرُ
فإنْ شِئْتَ تَعْذِيبي فَمِنْ سُنَنِ الهَوَى ... وإنْ شِئْتَ أَنْ تَعْفُو فأَنْتَ مُخَيَّرُ
فَيا زِينَةَ الدُّنْيا ويا غايَةَ المُنَى ... فَمَنْ ذا الَّذي عَنْ حُسْنِ وَجْهِكَ يَصْبِرُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 792

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما دخل على بنت الملك وازال بكارتها ، التذّ بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فأنشد فيها الأبيات المذكورة . وكانت البنات واقفات على الباب ، فلما سمعن الشعر قلن لها : يا بنت الملك ، اسمعت قول هذا الإنسي ؟ كيف تلومينا وقد انشد الشعر في هواك ؟ فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت . ثم إن حسناً أقام معها مدة اربعين يومًا في حظ وسرور ولذة وحبور والبنات تجدّد له كل يوم فرحاً ونعمة وهدايا وتحفاً وهو بينهن في سرور وانشراح ، وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت أهلها . ثم بعد الأربعين يومًا كان حسن نائمًا فرأى والدته حزينة عليه وقد رقت عظامها وانتحل جسمها واصفر لونها وتغيّر حالها وكان هو في حالة حسنة . فلما رأته على هذه الحالة قالت له : يا ولدي يا حسن ، كيف تعيش في الدنيا منعماً وتنساني ؟ فانظر لحالي بعدك وأنا ما انساك ولا لساني يترك ذكرك حتى أموت ، وقد عملت لك قبراً عندي في الدار حتى لا انساك أبداً ، أترى أعيش يا ولدي وانظرك عندي ويعود شملنا مجتمعاً كما كان ؟ فانتبه حسن من نومه وهو يبكي وينوح ودموعه تجري على خديه مثل المطر ، وصار حزيناً كئيباً لا ترتفع دموعه ولم يجئه نوم ولم يقر له قرار ولم يبق عنده اصطبار . فلما أصبح دخلت عليه البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت إليهن ، فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن : ما ادري . فقلن لها : إسأليه عن حاله . فتقدمت إليه وقالت له : ما الخبر يا سيدي ؟ فتنهد وتضجر واخبرها بما رآه في منامه ثم أنشد هذين البيتين : [من الخفيف]

قَدْ بَقِينا مُوَسْوِسِينَ حَيارَى ... نَطْلُبُ القُرْبَ ما إلَيْهِ سَبِيلُ
فَدَواهِي الهَوَى تَزِيدُ عَلَيْنا ... ومُقامُ الهَوَى عَلَيْنا ثَقِيلُ

فاخبرتهن زوجته بما قال لها . فلما سمعت البنات الشعر رقين لحاله وقلن له : تفضل بسم الله

ما نقدر أن نمنعك من زيارتها، بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه. ولكن ينبغي أن تزورنا ولا تنقطع عنا ولو في كل سنة مرة واحدة. فقال لهن: سمعاً وطاعة. فقامت البنات من وقتهن وعملن له الزاد وجهزن له العروسة بالحلي والحلل وكل شيء غال يعجز عنه الوصف، وهيأن له تحفا تعجز عن حصرها الأقلام. ثم إنهن ضربن الطبل فجاءت النجائب إليهن من كل مكان، فاخترن منها ما يحمل جميع ما جهزنه واركبن الجارية وحسناً وحملن إليهما خمسة وعشرين تختاً من الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلاثة أيام فقطعن فيها مسافة ثلاثة أشهر. ثم إنهن ودعنهما وأردن الرجوع عنهما فاعتنقته أخته الصغيرة وبكت حتى غشي عليها. فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين: [من البسيط]

لا كانَ يَوْمُ الفِراقِ أَصْلاً　　لَمْ يُبْقِ في الْمُقْلَتَيْنِ نَوْمَا
شَتَّتَ مِنَّا ومِنْكَ شَمْلاً　　وهَدَّ مِنّا قُوَى وجِسْمَا

فلما فرغت من شعرها ودّعته وأكدت عليه أنه إذا وصل إلى بلده واجتمع بأمه واطمأن قلبه لا يقطعها من الزيارة في كل ستة أشهر مرة وقالت له: إذا أهمك أمرًا وخفت مكروهاً فدق طبل المجوسي فتحضر لك النجائب واركب وارجع إلينا ولا تتخلّف عنّا. فحلف لها على ذلك ثم أقسم عليهن أن يرجعن بعد أن ودّعنه وحزنّ على فراقه، وأكثرهن حزناً أخته الصغيرة فإنها لم يستقر لها قرار ولم يطاوعها اصطبار وصارت تبكي ليلاً ونهاراً. هذا ما كان منهن. وأما ما كان من أمر حسن، فإنه صار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البراري والقفار والأودية والأوعار في الهواجر والأسحار، وكتب الله لهما السلامة فسلما ووصلا إلى مدينة البصرة. ولم يزالا سائرين حتى أناخا على باب داره نجائبهما. ثم صرف النجائب وتقدم إلى الباب ليفتحه فسمع والدته وهي تبكي بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريق وهي تنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

وكَيْفَ يَذُوقُ النَّوْمَ مَنْ عَدِمَ الكَرَى　　ويَسْهَرُ لَيْلاً والأنامُ رُقُودُ
وقَدْ كانَ ذا مالٍ وأَهْلٍ وعِزَّةٍ　　فَأَضْحَى غَرِيبَ الدَّارِ وَهْوَ وَحِيدُ
لَهُ جَمْرَةٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ وأَنَّةٌ　　وشَوْقٌ شَدِيدٌ ما عَلَيْهِ مَزِيدُ
تَوَلَّى عَلَيْهِ الوَجْدُ والوَجْدُ حاكِمٌ　　يَنُوحُ بما يَلْقاهُ وَهْوَ جَلِيدُ
وحالَتُهُ في الحُبِّ تُخْبِرُ أَنَّهُ　　حَزِينٌ كَئِيبٌ والدُّمُوعُ شُهُودُ

فبكى حسن لما سمع والدته تبكي وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت أمه: من بالباب؟ فقال لها: إفتحي. ففتحت الباب ونظرت إليه فلما عرفته خرّت مغشياً عليها، فما زال يلاطفها إلى أن أفاقت فعانقها وعانقته وقبّلته ثم نقل حوائجه ومتاعه إلى داخل الدار والجارية تنظر إلى حسن وأمه. ثم إن أم حسن لما اطمأن قلبها وجمع الله شملها بولدها أنشدت هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

رَقَّ الزَّمانُ لِحالَتِي　　ورَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي
وأَنالَنِي ما أَشْتَهِي　　وأَزالَ خَصْماً أَتَّقِي

فَلأَصفَحَنْ عَمَّا جَنَى مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ
حَتَّى جِنايَتُهُ بما فَعَلَ المَشِيبُ بِمَفْرِقِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 793

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن والدة حسن قعدت هي وإياه يتحدثان وصارت تقول له : كيف كان حالك يا ولدي مع الأعجمي؟ فقال لها : يا أمي ، ما كان أعجمياً بل كان مجوسياً يعبد النار دون الملك الجبار . ثم إنه أخبرها بما فعل به من أنه سافر به وحطّه في جلد الجمل وخيّطه عليه وحملته الطيور وحطّته فوق الجبل ، وأخبرها بما رآه فوق الجبل من الخلايق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسي ويتركهم فوق الجبل بعد أن يقضوا حاجته ، وكيف رمى روحه في البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى وأوصله إلى قصر البنات ومؤاخات البنت له وقعوده عند البنات ، وكيف أوصل الله المجوسي إلى المكان الذي هو فيه ، وأخبرها بعشق الصبية وكيف اصطادها وبقصتها كلها إلى أن جمع الله شملهما ببعضهما . فلما سمعت أمه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته وسلامته ، ثم قامت إلى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فأخبرها بما فيها ففرحت فرحاً عظيماً . ثم تقدمت إلى الجارية تحدّثها وتؤانسها ، فلما وقعت عينها عليها اندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم قالت له : يا ولدي ، الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالماً . ثم إن أمه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها . ثم نزلت في بكرة النهار إلى السوق فاشترت عشر بدلات أفخر ما في المدينة من الثياب ، وأحضرت لها الفرش العظيم وألبست الصبية وجمّلتها بكل شيء مليح . ثم أقبلت على ولدها وقالت : يا ولدي ، نحن بهذا المال لم نقدر أن نعيش في هذه المدينة وأنت تعرف إننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء ، فقم بنا نسافر إلى مدينة بغداد دار السلام لنقيم في حرم الخليفة وتقعد أنت في دكان فتبيع وتشتري وتتقي الله عز وجل فيفتح عليك بهذا المال . فلما سمع حسن كلامها استصوبه وقام من وقته وخرج من عندها وباع البيت وأحضر النجائب وحمّل عليها جميع أمواله وأمتعته وأمه وزوجته وسار . ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى الدجلة ، فاكترى مركباً لبغداد ونقل فيها جميع ماله وحوايجه ووالدته وزوجته وكل ما كان عنده ، ثم ركب المركب وسارت بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى أشرفوا على بغداد . فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة ، فطلع من وقته وساعته إلى المدينة واكترى مخزناً في بعض الخانات ثم نقل حوايجه من المركب إليه وطلع وأقام ليلة في الخان . فلما أصبح غيّر ما عليه من الثياب ، فلما رآه الدلال سأله عن حاجته وعن ما يريد . فقال له : أريد داراً تكون مليحة واسعة . فعرض عليه الدور التي عنده ، فأعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه الثمن . ثم عاد إلى الخان الذي نزل فيه ونقل جميع ماله وحوايجه إلى الدار ، ثم خرج إلى السوق وأخذ ما تحتاج إليه الدار من آنية وفرش وغير ذلك ، واشترى خدماً ومن جملتها عبد صغير للدار . وأقام مطمئناً مع زوجته في ألذ عيش وسُرور مدة ثلاث سنين وقد رزق منها بغلامين سمّى أحدهما ناصراً والآخر منصوراً . وبعد هذه المدة تذكر أخواته البنات وتذكر إحسانهن إليه وكيف

ساعدنه على مقصوده، فاشتاق إليهن وخرج إلى أسواق المدينة فاشترى منها شيئًا من حلي وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه. فسألته أمه عن سبب اشتراء تلك التحف فقال لها: إني عزمت على أن أسافر إلى أخواتي التي فعلن معي كل جميل، ورزقي الذي أنا فيه من خيرهن وإحسانهن إليّ، فإني أريد أن أسافر إليهن وأنظرهن وأعود قريباً إن شاء الله تعالى. فقالت له: يا ولدي، لا تغب عليّ. فقال لها: أعلمي يا أمي كيف تكونين مع زوجتي، وهذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الأرض فاحرصي عليه لئلا تقع فيه فتأخذه وتطير هي وأولادها ويروحون وأبقى لا أقع لهم على خبر فأموت كمدًا من أجلهم. واعلمي يا أمي أني أحذرك من أن تذكري ذلك لها، واعلمي أنها بنت ملك الجان وما في ملوك الجان أكبر من أبيها ولا أكثر منه جنودًا ولا مالاً. واعلمي أنها سيدة قومها وأعز ما عند أبيها، فهي عزيزة النفس جداً فاخدميها أنت بنفسك ولا تمكنيها من أن تخرج من الباب أو تطل من الطاقة أو من حائط فإني أخاف عليها من الهواء إذا هب، وإذا جرى عليها أمر من أمور الدنيا فأنا أقتل روحي من أجلها. فقالت أمه: أعوذ بالله من مخالفتك يا ولدي، هل أنا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية وأخالفك فيها؟ سافر يا ولدي وطب نفساً وسوف تحضر في خير وتنظرها إن شاء الله تعالى وتخبرك بما جرى لها مني، ولكن يا ولدي لا تقعد غير مسافة الطريق. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 794

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما أراد السفر إلى البنات وصّى أمه على زوجته حِكم ما ذكرنا، وكانت زوجته بالأمر المقدّر تسمع كلامه لأمه وهما لا يعرفان ذلك. ثم إن حسناً قام وخرج إلى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين من تحف العراق وودّع والدته وزوجته وأولاده، وكان عمر واحد من ولديه سنة وعمر الآخر سنتان. ثم إنه رجع إلى والدته وأوصاها ثانياً ثم إنه ركب وسافر إلى أخواته، ولم يزل مسافرًا ليلاً ونهارًا في أودية وجبال وسهل وأوعار مدة عشرة أيام. وفي اليوم الحادي عشر وصل إلى القصر ودخل على أخواته ومعه الذي أحضره إليهن، فلما رأينه فرحن به وهنينه بالسلامة. وأما أخته فإنها زيّنت القصر ظاهره وباطنه ثم إنهن أخذن الهدية وأنزلنه في مقصورة مثل العادة وسألنه عن والدته وعن زوجته، فأخبرهن أنها ولدت منه ولدين. ثم إن أخته الصغيرة لما رأته طيباً بخير فرحت فرحاً شديدًا وأنشدت هذا البيت: [من البسيط]

وأَسْأَلُ الرِّيحَ عَنْكُم كُلَّما خَطَرَتْ   وغَيْرُكُم في فُؤادي قَطُّ ما خَطَرَ

ثم إنه أقام عندهن في الضيافة والكرامة مدة ثلاثة أشهر وهو في فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص. هذا ما كان من حديثه. وأما ما كان من حديث أمه وزوجته فإنه لما سافر حسن أقامت زوجته يوماً وثانياً مع أمه وقالت لها في اليوم الثالث: سبحان الله، هل أقعد معه ثلاث سنين ما أدخل الحمام؟ وبكت. فرقّت أمه لحالها وقالت لها: يا بنتي، نحن هنا غرباء وزوجك ما هو في البلد، فلو كان حاضراً كان يقوم بخدمتك أما أنا فلا أعرف أحدًا، ولكن يا بنتي أسخن لك الماء وأغسل رأسك في حمام البيت. فقالت لها: يا سيدتي، لو قلت هذا القول لبعض

الجواري كانت طلبت البيع في السوق وما كانت تقعد عندكم ، ولكن يا سيدتي إن الرجال معذورون فإن عندهم غيرة وعقولهم تقول لهم : إن المرأة إذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة . والنساء يا سيدتي ما كلهن سواء ، وانت تعرفين ان المرأة إذا كان لها غرض في شيء ما يغلبها احد ولا يقدر ان يحرص عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمام ولا غيره ولا من ان تعمل كل ما تختاره . ثم انها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدّد على نفسها وغربتها ، فرقّت لحالها أم زوجها وعلمت ان كل ما قالته لا بدّ منه . فقامت وهيأت حوايج الحمام التي يحتاجان إليها واخذتها وراحت إلى الحمام . فلما دخلتا الحمام قلعتا ثيابهما فصار النساء جميعاً ينظرن إليها ويسبحن الله عز وجل ويتاملن فيما خلق من الصورة البهية ، وصار كل من جاز من النساء على الحمام يدخل ويتفرّج عليها . وشاع في البلد ذكرها وازدحم النساء عليها وصار الحمام لا ينشق من كثرة النساء التي فيه . فاتفق بسبب ذلك الأمر العجيب انه حضر إلى الحمام في ذلك اليوم جارية من جواري امير المؤمنين هارون الرشيد يقال لها : تحفة العوادة . فرأت النساء في زحمة والحمام لا ينشق من كثرة النساء والبنات ، فسألت عن الخبر فاخبرنها بالصبية . فجاءت عندها ونظرت إليها وتأملت فيها فتحيّر عقلها من حسنها وجمالها وسبّحت الله جلّ جلاله على ما خلق من الصور الملاح ، ولم تدخل ولم تغسل وإنما صارت قاعدة وباهتة في الصبية إلى ان فرغت الصبية من الغسل وخرجت لبست ثيابها فزادت حسناً على حسنها . فلما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرة إليها ، فالتفتت اليهن وخرجت . فقامت تحفة العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودّعتها ورجعت إلى قصر الخليفة ، وما زالت سائرة حتى وصلت بين أيادي السيدة زبيدة وقبّلت الأرض بين يديها . فقالت السيدة زبيدة : يا تحفة ، ما سبب إبطائك في الحمام ؟ فقالت : يا سيدتي ، رأيت اعجوبة ما رأيت مثلها في الرجال ولا في النساء وهي التي اشغلتني وادهشت عقلي وحيّرتني حتى انني ما غسلت رأسي . فقالت : وما هي يا تحفة ؟ قالت : يا سيدتي ، رأيت جارية في الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأى احد مثلها ، لا قبلها ولا بعدها ، وليس مثل صورتها في الدنيا بأسرها وحق نعمتك يا سيدتي إن عرّفت بها امير المؤمنين قتل زوجها واخذها منه لأنه لا يوجد مثلها واحدة من النساء . وقد سألت عن زوجها فقالوا : إن زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصري . وتبعتها من الحمام إلى ان دخلت بيتها فرأيته بيت الوزير الذي له بابان ، باب من جهة البحر وباب من جهة البر . وانا اخاف يا سيدتي ان يسمع بها امير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوّج بها . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 795

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان جارية امير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصري ووصفت حسنها للسيدة زبيدة قالت : يا سيدتي ، إني اخاف ان يسمع بها امير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوّج بها . فقالت السيدة زبيدة : ويلك يا تحفة ، هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال ان امير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لأجلها ؟ والله لا بد لي من النظر إلى هذه الصبية ، فإن لم تكن كما ذكرت أمرت بضرب عنقك يا فاجرة . إن في سراية امير المؤمنين ثلاثمائة وستين جارية بعدد أيام السنة ما فيهن واحدة

بالصفات التي تذكرينها . فقالت : يا سيدتي ، لا والله ولا في بغداد بأسرها مثلها ، بل ولا في العجم ولا في العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها . فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبّل الأرض بين يديها فقالت له : يا مسرور ، اذهب إلى دار الوزير التي بالبابين ، باب على البحر وباب على البر وائتني بالصبية التي هناك هي وأولادها والعجوز التي عندها بسرعة ولا تبطىء . فقال مسرور : السمع والطاعة . ثم خرج من بين يديها وسار حتى وصل إلى باب الدار ، فطرق الباب فخرجت له العجوز أم حسن وقالت : من بالباب؟ فقال لها : مسرور خادم أمير المؤمنين . ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال لها : إن السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي ﷺ تدعوك إليها أنت وزوجة ابنك وأولادها ، فإن النساء أخبرنها عنها وعن حسنها . فقالت أم حسن : يا مسرور ، نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدي وما هو في البلد ولم يأمرني بالخروج أنا ولا هي لأحد من خلق الله تعالى ، وأنا أخاف أن يجري أمر ويحضر ولدي فيقتل روحه . فمن إحسانك يا مسرور أن لا تكلفنا ما لا نطيق؟ فقال مسرور : يا سيدتي ، لوعلمت أن في هذا خوفاً عليكم ما كلفتكم الرواح ، وإنما مراد السيدة زبيدة أن تنظرها وترجع ، فلا تخالفي تندمي وكما آخذكما أردكما إلى هنا سالمتين إن شاء الله تعالى . فما قدرت أم حسن أن تخالفه فدخلت وهيأت الصبية وأخرجتها هي وأولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم إلى قصر الخليفة ، فطلع بهم حتى أوقفهم قدام السيدة زبيدة . فقبّلوا الأرض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه . فقالت لها السيدة زبيدة : أما تكشفين عن وجهك لأنظره؟ فقبّلت الصبية الأرض بين يديها وأسفرت عن وجه يخجل البدر في أفق السماء . فلما نظرتها السيدة زبيدة شخصت إليها وسرحت فيها البصر وأضاء القصر من نورها وضوء وجهها واندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من في القصر ، وصار كل من رآها مجنوناً لا يقدر أن يكلم أحداً . ثم إن السيدة زبيدة قامت وأوقفت الصبية وضمّتها إلى صدرها وأجلستها معها على السرير وأمرت أن يزينوا القصر ، ثم أمرت بأن يحضروا لها بدلة من أفخر الملبوس وعقداً من أنفس الجواهر وألبست الصبية إياهما وقالت لها : يا سيدة الملاح ، إنك أعجبتني وملأت عيني أي شيء عندك من الذخائر؟ فقالت الصبية : يا سيدتي ، لي ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت من أحسن الصنائع ما تتعجبي منه ويتحدث بحسنه كل من يراه جيلاً بعد جيل . فقالت : وأين ثوبك هذا؟ قالت : هو عند أم زوجي فاطلبيه لي منها . فقالت السيدة زبيدة : يا أمي ، بحياتي عندك أن تنزلي وتأتي لها بثوبها الريش حتى تفرّجنا على الذي تعمله وخذيه ثانياً . فقالت العجوز : يا سيدتي هذه كذابة ، هل رأينا أحداً من النساء له ثوب من الريش؟ فهذا لا يكون إلا للطيور . فقالت الصبية للسيدة زبيدة : وحياتك يا سيدتي لي عندها ثوب ريش وهو في صندوق مدفون في الخزانة التي في الدار . فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوي خزاين كسرى وقيصر وقالت لها : يا أمي ، خذي هذا العقد . وناولتها إياه وقالت لها : بحياتي أن تنزلي وتأتي بذلك الثوب لنتفرّج عليه وخذيه بعد ذلك . فحلفت لها أنها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقاً . فصرخت السيدة زبيدة على العجوز وأخذت منها المفتاح ونادت مسروراً فحضر فقالت له : خذ هذا المفتاح واذهب إلى الدار وافتحها وادخل الخزانة التي بابها كذا وكذا وفي وسطها صندوق فاطلعه واكسره وهات الثوب

الريش الذي فيه واحضره بين يدي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 796

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان السيدة زبيدة لما اخذت المفتاح من أم حسن وأعطته لمسرور وقالت له : خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واطلع منها الصندوق واكسره واطلع منه الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي . قال : سمعاً وطاعة . ثم إنه تناول المفتاح من يد السيدة زبيدة وسار . فقامت العجوز أم حسن وهي باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها ، ولم تكن الصبية طلبت الحمام إلا مكيدة . ثم إن العجوز دخلت هي ومسرور وفتحت باب الخزانة ، فدخل واخرج الصندوق واخرج منه القميص الريش ولفّه معه في فوطة وأتى به إلى السيدة زبيدة . فأخذته وقلبته وقد تعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها وقالت لها : هل هذا ثوبك الريش ؟ قالت : نعم يا سيدتي . ومدت الصبية يدها إليه وأخذته منها وهي فرحانة . ثم إن الصبية افتقدته فرأته صحيحاً كما كان عليها ولم يضع منه ريشة ، ففرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة وأخذت القميص وفتحته وأخذت أولادها في حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عزّ وجل . فتعجبت السيدة زبيدة من ذلك وكذلك كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها . ثم إن الصبية تمايلت وتمشّت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان فصيح : يا سادتي ، هل هذا مليح ؟ فقال لها الحاضرون : نعم يا سيدة الملاح كل ما فعلته مليح . ثم قالت لهم : وهذا الذي اعمله احسن منه يا سادتي . وفتحت اجنحتها وطارت بأولادها وصارت فوق القبّة ووقفت على سطح القاعة ، فنظروا اليها بالأحداق وقالوا لها : والله إن هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط . ثم إن الصبية لما ارادت ان تطير إلى بلادها تذكّرت حسناً وقالت : إسمعوا يا ساداتي . وانشدت هذه الابيات : [من الكامل]

يا مَنْ خَلا عَنْ ذي الدِّيارِ وسارَ ... نَحْوَ الحَبايِبِ مُسْرِعاً فَرَّارا
أَتَظُنُّ أَنّي في نَعِيمٍ بَيْنَكُمْ ... والعَيْشُ مِنْكُم لَمْ يَكُنْ أَكْدارا
لمَّا أُسِرْتُ وصِرْتُ في شَرَكِ الهَوَى ... جَعَلَ الهَوَى سِجْنِي وشَطَّ مَزارا
لَمَّا آخْتَفَى ثَوْبِي تَيَقَّنَ أَنَّني ... لَمْ أَدْعُ فِيهِ الواحِدَ القَهَّارا
قَدْ صارَ يُوصِي أُمَّهُ بِحِفاظه ... في مَخْدَعٍ وعَدا عَلَيَّ وجَارَ
فَسَمِعْتُ ما قَالُوهُ ثُمَّ حَفِظْتُهُ ... ورَجَوْتُ خَيْرًا زائداً مِدْرارا
فَرَواحِي الحَمَّامَ كانَ وَسِيلَةً ... حَتَّى غَدَتْ فِيَّ العُقُولُ حَيَارَى
وتَعَجَّبَتْ عِرسُ الرَّشِيدِ لِبَهْجَتِي ... إذْ شاهَدَتْنِي يُمْنَةً ويَسارا
نادَيْتُ يا أَمْرَأَةَ الخَلِيفَةِ إنَّ لِي ... ثَوْباً مِنَ الرِّيشِ العَلِيِّ فَخارا
لَوْ كانَ فَوْقِي تَنْظُرِينَ عَجائِباً ... تَمْحُو العَنا وتُبَدِّدُ الأَكْدارَ
فاسْتَفْسَرَتْ عِرسُ الخَلِيفَةِ أَيْنَ ذا ... فأَجَبْتُ في دارِ الَّذي قَدْ دارَى
فانْقَضَّ مَسْرُورٌ وحَضَّرَهُ لَها ... وإذا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الأَنْوارَ

فأخَذْتُهُ مِنْ كَفِّهِ وفَتَحتُهُ ورأَيتُ مِنْهُ الجَيْبَ والأَزْرارا
فَدَخلْتُ فِيهِ ثُمّ أَوْلادي مَعِي وفَرَدْتُ أَجْنِحَتِي وطِرْتُ فِرارا
يا أُمَّ زَوْجِي أَخْبِرِيهِ إذا أَتَى إنْ حَبَّ وَصْلي فَلْيُفارِقْ دارا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة : أما تنزلين عندنا حتى نتملّى بحسنك يا سيدة الملاح ، سبحان من أعطاك الفصاحة والصباحة . قالت : هيهات أن يرجع ما فات . ثم قالت لأم حسن الحزين المسكين : والله يا سيدتي يا أم حسن إنك توحشيني ، فإذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزّته أرياح المحبة والأشواق فليجئني إلى جزائر واق . ثم طارت هي وأولادها وطلبت بلادها . فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها وانتحبت حتى غشي عليها . فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة : يا سيدتي الحجة ، ما كنت أعرف أن هذا يجري ولو كنت أخبرتني بها ما كنت أتعرض لك ، وما عرفت أنها من الجن الطيارة إلا في هذا الوقت ، ولو عرفت أنها على هذه الصفة ما كنت مكّنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تأخذ أولادها ، ولكن يا سيدتي اجعليني في حِلّ . فقالت العجوز وما وجدت في يدها حيلة : أنت في حل . ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشي عليها . فلما أفاقت من غشيتها استوحشت إلى الصبية وإلى أولادها وإلى رؤية ولدها فأنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

يَوْمَ الفِراقِ بِعادُكُمْ أَبْكانِي أَسَفًا لِبُعْدِكُمُ عَنِ الأَوْطانِ
نادَيْتُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ بِحُرْقَةٍ والدَّمْعُ قَرَّحَ بالبُكا أَجْفانِي
هَذا الفِراقُ فَهَلْ لنا مِنْ عَوْدَةٍ فَلَقَدْ أَزالَ فِراقُكُمْ كِتْمانِي
يا لَيْتَهُمْ عادُوا إلى حُسْنِ الوَفا فَلَعَلَّ إنْ عادُوا يَعُودُ زَمانِي

ثم قامت وحفرت في البيت ثلاثة قبور وأقبلت عليها بالبكاء آناء الليل وأطراف النهار . وحين طالت غيبة ولدها وزاد بها القلق والشوق والحزن أنشدت هذه الأبيات : [من الوافر]

خَيالُكَ بَيْنَ طابِقَةِ الجُفُونِ وذِكْرُكَ في الخَوافِقِ والسُّكُونِ
وحُبُّكَ قَدْ جَرَى في العَظْمِ مِنِّي كَجَرْيِ الماءِ في ثَمَرِ الغُصُونِ
ويَوْمٌ لا أَراكَ يَضِيقُ صَدْرِي وتَعْذِرُنِي العَواذِلُ في شُجُونِي
أَيا مَنْ قَدْ تَمَلَّكَنِي هَواهُ وزادَ عَلَى مَحَبَّتِهِ جُنُونِي
خَفِ الرَّحْمٰنَ فِيَّ وكُنْ رَحِيماً هَواكَ أَذاقَنِي رَيْبَ المَنُونِ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 797

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أم حسن صارت تبكي آناء الليل وأطراف النهار لفراق ولدها وزوجته وأولاده . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر ولدها حسن فإنه لما وصل إلى البنات حلفن عليه أن يقيم عندهن ثلاثة أشهر ، ثم بعد ذلك جهّزن له المال وهيّأن له عشرة أحمال : خمسة من الذهب وخمسة من الفضة ، وهيّأن له من

الزاد حملاً واحداً وسفّرنه وخرجن معه. فحلف عليهن ان يرجعن، فأقبلن على عناقه من أجل التوديع، فتقدّمت إليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشي عليها وانشدت هذين البيتين: [من الطويل]

مَتَى تَنْطَفي نارُ الفِراقِ بِقُرْبِكُمْ ... ونَقْضِي على الفِرْقَة ونَبْقَى كَما كُنَّا
لَقَدْ راعَنِي يَوْمُ الفِراقِ وضَرَّنِي ... وقَدْ زادَنِي التَّودِيعُ يا سادَتِي وَهْنَا

ثم تقدّمت البنت الثانية وعانقته وانشدت هذين البيتين: [من المتقارب]

وَداعُكَ مِثْلُ وَداعِ الحَياةِ ... وفَقْدُكَ يُشْبِهُ فَقْدَ النَّدِيمِ
وبُعْدُكَ نارٌ كَوَتْ مُهْجَتِي ... وقُرْبُكَ عِنْدِي أَرضُ النَّعِيمِ

ثم تقدّمت البنت الثالثة وعانقته وانشدت هذين البيتين: [من الخفيف]

ما تَرَكْنا الوَداعَ يَوْمَ ٱفْتَرَقْنا ... عَنْ مَلالٍ ولا لِوَجْهٍ قَبِيحِ
أَنْتَ رُوحِي عَلَى الحَقِيقَةِ قَطْعاً ... كَيْفَ أَخْتارُ أَنْ أُوَدِّعَ رُوحِي

ثم تقدّمت البنت الرابعة وعانقته وانشدت هذين البيتين: [من الكامل]

لَمْ يُبْكِنِي إلاَّ حَدِيثُ فِراقِهِ ... لَمَّا أَسَرَّ بِهِ إِلَيَّ مُوَدِّعِي
هُوَ ذَلِكَ القَوْلُ الَّذي أَوْدَعْتَهُ ... فِي مَسْمَعِي أَجْرَيْتَهُ مِنْ مَدْمَعِي

ثم تقدّمت البنت الخامسة وعانقته وانشدت هذين البيتين: [من البسيط]

لا تَرْحَلَنَّ فعَنْكُمْ لَيْسَ لِي جَلَدُ ... كَيْما أُوَدِّعَكُمْ تَوْدِيعَ مُرْتَحِلِ
ولا مِنَ الصَّبْرِ ما أَلْقَى الفِراقَ بِهِ ... ولا مِنَ الدَّمْعِ ما أُذْرِي عَلَى طَلَلِ

ثم تقدّمت البنت السادسة وعانقته وانشدت هذين البيتين: [من الكامل]

قَدْ قُلْتُ مُذْ سارَ السَّفِينُ بِهِمْ ... والشَّوْقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهَبا
لَوْ كانَ لِي مُلْكٌ أَصُولُ بِهِ ... لأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبا

ثم تقدّمت البنت السابعة وعانقته وانشدت هذين البيتين: [من المنسرح]

إذا رَأَيْتَ الوَداعَ فَاصْبِرْ ... ولا يَهُولَنَّكَ البِعادُ
تَرَقَّبِ العَوْدَ عَنْ قَرِيبٍ ... فإِنْ هَجَرْتَ الوَداعَ عادُوا

ثم إن حسناً ودّعهن وبكى إلى ان غشي عليه بسبب فراقه وانشد هذه الأبيات: [من الكامل]

ولَقَدْ جَرَتْ يَوْمَ الفِراقِ سَوامِحِي ... دُرَراً نَظَمْتُ عُقُودَها مِنْ أَدْمُعِي
وحَدا بِهِمْ حادِي الرِّكابِ فَلَمْ أَجِدْ ... جَلَدًا ولا صَبْرًا ولا قَلْبِي مَعِي
وَدَّعْتُهُمْ ثُمَّ ٱنْثَنَيْتُ بِحَسْرَةٍ ... وتَرَكْتُ أُنْسَ مَعاهِدِي والأَرْبُعِ
فَرَجَعْتُ لا دَرَّ الطَّرِيقُ ولَمْ تَطِبْ ... نَفْسِي سِوَى أَنِّي أَراكَ بِمَرْجِعِي
يا صاحِبِي أَنْصِتْ لأَخْبارِ الهَوَى ... حاشَى لِقَلْبِكَ أَنْ أَقُولَ ولا يَعِي

يا نَفْسُ مُذْ فارَقْتِهِنَّ فَفارِقي طِيبَ الحَياةِ وفي البَقا لا تَطْمَعِي

ثم إنه جد في المسير ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى بغداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يدر بالذي جرى بعد سفره، فدخل الدار على والدته ليسلم عليها فرآها قد انتحل جسمها ورقّ عظمها من كثرة النوح والسهر والبكاء والعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر أن ترد الكلام. فصرف النجائب وتقدّم عليها، فلما رآها على تلك الحالة قام في الدار وفتش على زوجته وعلى أولاده فلم يجد لهم أثراً، ثم إنه نظر في الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحاً ولم يجد فيه الثوب. فعند ذلك عرف أنها تمكنت من الثوب الريش وأخذته وطارت وأخذت أولادها معها. فرجع إلى أمه فرآها قد أفاقت من غشيتها، فسألها عن زوجته وعن أولاده فبكت وقالت: يا ولدي، عظم الله أجرك فيهم وهذه قبورهم الثلاثة. فلما سمع كلام أمه صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه واستمرّ كذلك من أول النهار إلى الظهر، فازدادت أمه غماً على غمّها وقد يئست من حياته. فلما أفاق بكى ولطم على وجهه وشقّ ثيابه وصار دائراً في الدار متحيّراً. ثم إنه أنشد هذين البيتين: [من الوافر]

شَكَى أَلَمَ الفِراقِ النَّاسُ قَبْلِي ورُوِّعَ بالنَّوَى حَيٌّ ومَيْتُ
وأَمَّا مِثْلَ ما ضَمَّتْ ضُلُوعِي فإنِّي لا سَمِعْتُ ولا رَأَيْتُ

فلما فرغ من شعره أخذ سيفه وسلّه وجاء إلى أمه وقال لها: إن لم تعلميني بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحي. فقالت له: يا ولدي لا تفعل ذلك وأنا أخبرك. ثم قالت له: اغمد سيفك واقعد حتى أحدّثك بالذي جرى. فلما أغمد سيفه وجلس إلى جانبها أعادت عليه القصة من أولها إلى آخرها وقالت له: يا ولدي، لولا أني رأيتها بكت على طلب الحمّام وخفت منك أن تجيء وتشكو إليك فتغضب عليّ ما كنت ذهبت بها إليه، ولولا أن السيدة زبيدة غضبت عليّ وأخذت مني المفتاح قهراً ما كنت أخرجت الثوب ولو كنت أموت. ويا ولدي، أنت تعرف أن يد الخلافة لا تطاولها يد. فلما أحضروا لها الثوب أخذته وقلبته وكانت تظن أنه فقد منه شيء، فوجدته لم يصبه شيء ففرحت وأخذت أولادها وشدّتهم في وسطها ولبست الثوب الريش بعدما قلعت لها الست زبيدة كل ما عليها إكراماً لها ولجمالها. فلما لبست الثوب الريش انتفضت وصارت طيرة ومشت في القصر وهم ينظرون إليها ويتعجبون من حسنها وجمالها. ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت إليّ وقالت لي: إذا جاء ولدك وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزّته أرياح المحبة والأشواق، فليفارق وطنه ويذهب إلى جزائر واق. هذا ما كان من حديثها في غيبتك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 798

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما سمع كلام أمه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت، صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه، ولم يزل كذلك إلى آخر النهار. فلما أفاق لطم على وجهه وصار يتقلّب على الأرض مثل الحية، فقعدت أمه تبكي عند رأسه إلى نصف الليل. فلما أفاق من غشيته بكى بكاءً عظيماً وأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

قِفُوا وانْظُرُوا حالَ الَّذي تَهْجُرُونَهُ لَعَلَّكُمُ بَعْدَ الجَفا تَرْحَمُونَهُ
فإنْ تَنْظُرُوهُ تُنْكِرُوهُ لِسَقْمِهِ كأنَّكُمُ واللهِ لا تَعْرِفُونَهُ
وما هُوَ إلاَّ مَيِّتٌ في هَواكُمُ يُعَدُّ مِنَ الأمْواتِ إلاَّ أَنِينَهُ
ولا تَحْسَبُوا أنَّ التَّفَرُّقَ هَيِّنٌ يَعِزُّ على المُشْتاقِ والمَوْتُ دُونَهُ

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور في البيت وينوح ويبكي وينتحب مدة خمسة أيام ولم يذق فيها طعاماً ولا شراباً. فقامت إليه امه وحلّفته واقسمت عليه ان يسكت من البكاء وهو لا يقبل كلامها، ولا زال يبكي وينتحب وامه تسليه وهو لا يسمع منها شيئًا. ثم انشد هذه الأبيات :[من الكامل]

أكَذا يُجازَى وُدُّ كُلِّ قَرِينِ أَمْ هَذِهِ شِيَمُ الظِّباءِ العِينِ
أفَما بُيُوتُ النَّحْلِ بَيْنَ شِفاهِهِم مَنْضُوضَةٌ أَوْ حانَةُ الزَّرْجُونِ
قُصُّوا عَلَيَّ حَدِيثَ مَنْ قَتَلَ الهَوَى إنَّ التَّأسِّي رُوحُ كُلِّ حَزِينِ
ووَراءَ ذَيَّاكِ المُصَلَّى مَوْرِدٌ حَصْباؤُهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ مَكْنُونِ
لَوْ كُنْتُ زَرْقاءَ اليَمامَةِ ما رَأتْ مِنْ بارِقٍ حَيّاً عَلَى جَيْرُونِ
تَرْمِي بِعَيْنَيْكَ الفِجاجَ مُقَلِّباً ذاتَ الشِّمالِ بِها وذاتَ يَمِينِ

وما زال حسن على هذه الحالة يبكي إلى الصباح ، ثم إنه اغفت عيناه فرأى زوجته حزينة وهي تبكي . فقام من نومه وهو صارخ وانشد هذين البيتين :[من الطويل]

خَيالُكِ عِنْدِي لَيْسَ يَبْرَحُ ساعَةً جَعَلْتُ لَهُ في القَلْبِ أَشْرَفَ مَوْضِعِ
ولَوْلا رَجاءُ الوَصْلِ ما عِشْتُ لَحْظَةً ولَوْلا خَيالُ الطَّيْفِ لَمْ أَتَهَجَّعِ

فلما أصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه، ولم يزل باكي العين حزين القلب ساهر الليل قليل الأكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل. فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله أنه يسافر إلى اخواته لأجل ان يساعدنه على قصده من حصولها. فأحضر النجائب ثم حمّل هجينة من تحف العراق وركب واحدة منهن، ثم اوصى والدته على البيت واودع جميع حوايجه إلا قليلاً أبقاه في الدار ثم سار متوجهاً إلى اخواته لعله ان يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته. ولم يزل سائراً حتى وصل إلى قصر البنات في جبل السحاب، فلما دخل عليهن قدّم إليهن الهدايا ففرحن بها وهنينه بالسلامة وقلن له : يا أخانا، ما سبب مجيئك بسرعة وما لك غير شهرين ؟ فبكى وأنشد هذه الأبيات :[من الطويل]

أرَى النَّفْسَ في فِكْرٍ لِفَقْدِ حَبِيبِها فَلا تَتَهَنَّى بالحَياةِ وطِيبِها
سَقامِيَ داءٌ لَيْسَ يُعْرَفُ طِبُّهُ وهَلْ يُبْرِىءُ الأسْقامَ غَيْرُ طَبِيبِها
فَيا مانِعِي طِيبَ المَنامِ تَرَكْتَنِي أُسائِلُ عَنْكَ الرِّيحَ عِنْدَ هُبُوبِها
قَرِيبَةُ عَهْدٍ مِنْ حَبِيبِي وقَدْ حَوَى مَحاسِنَ تَدْعُو مُقْلَتِي لِصَبِيبِها
فَيا أيُّها الشَّخْصُ المُلِمُّ بأرْضِهِ عَسَى نَفْحَةٌ تُحْيِي القُلُوبَ بِطِيبِها

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشيًا عليه . وقعدت البنات حوله يبكين عليه حتى أفاق من غشيته . فلما أفاق أنشد هذين البيتين : [من الطويل]

عَسَى ولَعَلَّ الدَّهرَ يَلْوِي عِنانَه ... ويَأتِي بِحِبِّي والزَّمانُ غَيُورُ
ويُسْعِدَني دَهْرِي فَتُقْضَى حَوائِجي ... وتَحْصُلُ مِنْ بَعْدِ الأُمُورِ أُمُورُ

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق أنشد هذين البيتين : [من البسيط]

باللهِ يا مُنْتَهى سُقْمِي وأَمْراضِي ... هَلْ أَنْتَ راضٍ فإنِّي في الهَوَى راضِ
أَتَهْجُرِينَ بِلا ذَنْبٍ ولا سَبَبٍ ... فَواصِلِي وارْحَمِي مِنْ هَجْرِكِ الماضِي

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق أنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

هَجَرَ المَنامَ وواصَلَ التَّسْهِيدَ ... والعَيْنُ بالدَّمْعِ المَصُونِ تَجُودُ
تَبْكِي بِدَمْعٍ كالعَقِيقِ صَبابَةً ... يَرْبُو على طُولِ المَدَى ويَزِيدُ
أَهْدَى إليَّ الشَّوْقُ يا أَهْلَ الهَوَى ... ناراً لَها بَيْنَ الضُّلُوعِ وَقُودُ
وإذا ذَكَرْتُكِ لَمْ تَفِضْ لِي دَمْعَةٌ ... إلاَّ وفِيها بارِقٌ ورُعُودُ

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

أَفِي العِشْقِ والتَّبْرِيحِ دُنْتُمْ كَما دُنَّا ... وهَلْ وُدُّنا مِنْكُمْ كَما وُدُّكُمْ مِنَّا
أَلا قاتَلَ اللهُ الهَوَى ما أَمَرَّهُ ... فَيا لَيْتَ شِعْرِي ما يُرِيدُ الهَوَى مِنَّا
وُجُوهُكُمُ الحَسْناءُ إنْ شَطَّتِ النَّوَى ... تَمَثَّلُ في أَبْصارِنا أَيْنَما كُنَّا
فَقَلْبِيَ مَشْغُولٌ بِتَذْكارِ حَيِّكُمْ ... ويُطْرِبُنِي صَوْتُ الحَمامِ إذا غَنَّى
أَلا يا حَماماً باتَ يَدْعُو أَلِيفَهُ ... لَقَدْ زِدْتَنِي شَوْقاً وأَصْحَبْتَنِي حُزْنَا
تَرَكْتَ جُفُونِي لا تَمَلُّ مِنَ البُكا ... عَلَى سادَةٍ غابُوا بِرُؤْيَتِهِم عَنَّا
أَحِنُّ إلَيْهِمْ كُلَّ وَقْتٍ وساعَةٍ ... وأَشْتاقُهُمْ فِي اللَّيْلِ واللَّيْلُ قَدْ جَنَّ

فلما سمعت كلامه أخته خرجت إليه فرأته راقدًا مغشياً عليه ، فصرخت ولطمت وجهها فسمعها أخواتها فخرجن إليها فرأين حسناً راقدًا مغشياً عليه ، فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام . فسألنه عن حاله ، فبكى وأخبرهن بما جرى له في غيابه حيث طارت زوجته وأخذت أولادها معها . فحزن عليه وسألنه عن الذي قالت عندما راحت قال : يا أخواتي إنها قالت لوالدتي : قولي لولدك إذا جاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزّته أرياح المحبة والأشواق فليجيئني في جزائر واق . فلما سمعن كلامه تغامزن وتذكرن وصارت كل واحدة تنظر إلى أختها وحسن ينظرهن ، ثم أطرقن برؤوسهن إلى الأرض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم قلن له : امدد يدك إلى السماء فإن وصلت إلى السماء تصل إلى زوجتك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 799

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن البنات لما قلن لحسن : امدد يدك إلى السماء فإن وصلت إليها تصل إلى زوجتك وأولادك . جرت دموعه على خديه مثل المطر حتى بلّت ثيابه وانشد هذه الأبيات :

[من البسيط]

قَدْ هَيَّجَتْنِي الخُدُودُ الحُمْرُ والحَدَقُ ... وفارَقَ الصَّبْرُ لَمّا أَقْبَلَ الأَرَقُ
بِيضٌ نَواعِمُ أَضْنَتْ بالجَفا جَسَدِي ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُ لأَبْصارِ الوَرَى رَمَقُ
حُورٌ تَمِيسُ كَغِزْلانِ النَّقا سَفَرَتْ ... عَنْ بَهْجَةٍ لَوْ رآها الأَوْلِيا عَلِقُوا
يَمْشِينَ مِثْلَ نَسِيمِ الرَّوْضِ في سَمَرٍ ... بِعِشْقِهِنَّ عَرانِي الهَمُّ والقَلَقُ
عَلَّقْتُ مِنْهُنَّ آمالي بِغانِيَةٍ ... قَلْبِي لَها بِلَظَى النِّيرانِ يَحْتَرِقُ
خَوْداءُ ناعِمَةُ الأَطْرافِ مايِسَةٌ ... في وَجْهِها الصُّبْحُ بَلْ في شَعْرِها الغَسَقُ
قَدْ هَيَّجَتْنِي وكَمْ في الحُبِّ مِنْ بَطَلٍ ... قَدْ هَيَّجَتْهُ جُفُونُ البِيضِ والحَدَقُ

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه واخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يتلطّفن به ويصبّرنه ويدعين له بجمع الشمل . فأقبلت عليه أخته وقالت له : يا أخي طب نفساً وقر عيناً واصبر تبلغ مرادك ، فمن صبر وتأنّى نال ما تمنّى ، والصبر مفتاح الفرج . فقد قال الشاعر : [من البسيط]

دَعِ ٱلْمَقادِيرَ تَجْرِ في أَعِنَّتِها ... ولا تَبِيتَنَّ إلاَّ خالِيَ البَالِ
ما بَينَ غَمْضَةِ عَينٍ وٱنْتِباهَتِها ... يُغَيِّرُ اللهُ مِنْ حالٍ إلى حالِ

ثم قالت له : قوِّ قلبك واشدد عزمك فإن ابن عشرة لا يموت وهو في تسعة ، والبكاء والغم والحزن تمرض وتسقم ، واقعد عندنا حتى تستريح وأنا أتحيّل لك في الوصول إلى زوجتك وأولادك إن شاء الله تعالى . فبكى بكاءً شديداً وانشد هذين البيتين : [من الوافر]

لَئِنْ عُوفِيتُ مِنْ مَرَضٍ بِجِسْمِي ... فَما عُوفِيتُ مِنْ مَرَضٍ بِقَلْبِي
ولَيْسَ دَواءُ أَمْراضِ التَّصابِي ... سِوَى وَصْلِ الحَبِيبِ مَعَ المُحِبِّ

ثم جلس إلى جانب أخته وصارت تحدّثه وتسلّيه وتسأله عن الذي كان سبباً في رواحها ، فأخبرها عن سبب ذلك . فقالت له : والله يا أخي إني أردت أن أقول لك أحرق الثوب الريش فأنساني الشيطان ذلك . وصارت تحدّثه وتلاطفه . فلما طال عليه الأمر وزاد به القلق أنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِي حَبِيبٌ أَلِفْتُهُ ... ولَيْسَ لِمَا قَدْ قَدَّرَ اللهُ مَدْفَعُ
مِنَ العُرْبِ قَدْ حازَ المَلاحَةَ كُلَّها ... غَزالٌ ولَـكِنْ في فُؤادِيَ يَرْتَعُ
لَئِنْ عَزَّ صَبْرِي في هَواهُ وحِيلَتِي ... بَـكَيْتُ عَلَى أَنَّ البُكا لَيْسَ يَنْفَعُ
مَلِيحٌ لَهُ سَبْعٌ وسَبْعٌ كَأَنَّـهُ ... هِلالٌ لَهُ خَمْسٌ وخَمْسٌ وأَرْبَعُ

فلما نظرت أخته إلى ما هو فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام ، قامت إلى أخواتها وهي باكية العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن ورمت نفسها عليهن وقبّلت أقدامهن وسألتهن مساعدة أخيها على قضاء حاجته واجتماعه بأولاده وزوجته وعاهدتهن على أن يدبرن أمراً يوصله إلى جزائر واق . وما زالت تبكي بين يدي أخواتها حتى أبكتهن وقلن لها : طيبي قلبك فإننا مجتهدات في اجتماعه بأهله إن شاء الله . ثم إنه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع ، وكان لأخواتها عم أخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبد القدوس ، وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة ، وكان في كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضي حوايجها . وكانت البنت قد حدّثته بحديث حسن وما وقع له مع المجوسي وكيف قدر على قتله . ففرح عمهن بذلك ودفع للبنت الكبيرة صرّة فيها بخور وقال لها : يا بنت أخي ، إذا أهمك أمراً وأنالك مكروه أو عرضت لك حاجة فالقي هذا البخور في النار واذكريني فإني أحضر لك بسرعة وأقضي حاجتك . وكان هذا الكلام في أول يوم من السنة . فقالت تلك البنت لبعض أخواتها : إن السنة مضت بتمامها وعمي لم يحضر ، قومي اقدحي الزناد وائتني بعلبة البخور . فقامت البنت وهي فرحانة وأحضرت علبة البخور وفتحتها وأخذت منها شيئًا يسيراً وناولته لأختها فأخذته ورمته في النار وذكرت عمها ، فما فرغ البخور إلا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادي . ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحته ، فلما نظرته البنات صار يشير إليهن بيديه ورجليه ، ثم بعد ساعة وصل إليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقنه وقبلن يديه وسلمن عليه . ثم إنه جلس وصارت البنات يتحدّثن معه ويسألنه عن غيابه فقال : إني كنت في هذا الوقت جالساً أنا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت إليكن على هذا الفيل ، فما تريدين يا بنت أخي ؟ فقالت : يا عم ، إننا اشتقنا إليك وقد مضت السنة وما عادتك أن تغيب عنا أكثر من سنة . فقال لهن : إني كنت مشغولاً وكنت عزمت على أن أحضر إليكن غداً . فشكرنه ودعين له وقعدن يتحدّثن معه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 800

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البنات لما قعدن يتحدّثن مع عمهن قالت له البنت الكبيرة : يا عمي ، إننا كنا حدّثناك بحديث حسن البصري الذي جاء به بهرام المجوسي وكيف قتله ، وحدثناك بالصبية بنت الملك الأكبر التي أخذها وما قاسى من الأمور الصعاب والأهوال ، وكيف اصطاد بنت الملك وتزوّج بها ، وكيف سافر بها إلى بلاده . قال : نعم . فما حدث له بعد هذا ؟ قالت له : إنها غدرت به وقد رزق منها بولدين فأخذتهما وسافرت بهما إلى بلادها وهو غائب وقالت لأمه : إذا حضر ولدك وطالت عليه ليالي الفراق وأراد مني القرب والتلاق وهزّته أرياح المحبة والإشتياق فليجئني إلى جزائر واق . فحرّك رأسه وعضّ على إصبعه ثم طرق رأسه إلى الأرض وصار ينكت في الأرض بإصبعه ، ثم التفت يميناً وشمالاً وحرّك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه . فقالت البنات لعمهن : ردّ علينا الجواب فقد تفتّتت منّا الأكباد . فهز رأسه إليهن وقال لهن : يا بناتي ، لقد أتعب هذا الرجل نفسه ورمي روحه في هول عظيم وخطر جسيم فإنه لا يقدر أن يقبل على جزائر واق . فعند ذلك نادت البنات حسناً فخرج إليهن وتقدّم إلى الشيخ عبد القدوس وقبّل يده وسلّم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه . فقالت

البنات لعمهن : يا عم ، بيّن لأخينا حقيقة ما قلته . فقال له : يا ولدي ، اترك عنك هذا العذاب الشديد فإنك لا تقدر أن تصل إلى جزائر واق ولو كان معك الجن الطيارة والنجوم السيارة ، لأن بينك وبين الجزائر سبعة أودية وسبعة بحار وسبعة جبال عظام ، وكيف تقدر أن تصل إلى هذا المكان ؟ ومن يوصلك إليه ؟ بالله عليك أن ترجع من قريب ولا تتعب سرّك . فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشي عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه ، وأما البنت الصغيرة فإنها شقّت ثيابها ولطمت على وجهها حتى غشي عليها . فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهمّ والوجد والحزن ، رقّ لهم وأخذته الرأفة عليهم فقال : أسكتوا . ثم قال لحسن : طيب قلبك وابشر بقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى . ثم قال له : يا ولدي ، قم وشد حيلك واتبعني . فقام حسن على حيله بعد أن ودّع البنات وتبعه وقد فرح بقضاء حاجته . ثم إن الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر ، فركبه وأردف حسناً خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل إلى جبل عظيم أزرق وحجارته كلها زرق ، وفي ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصيني . فأخذ الشيخ بيد حسن وأنزله ، ثم نزل الشيخ وأطلق الفيل . ثم تقدّم إلى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب وخرج إليه عبد أسود أجرود كأنه عفريت ، وبيده اليمنى سيف والأخرى ترس من بولاد . فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمى السيف والترس من يده وتقدّم إلى الشيخ عبد القدوس وقبّل يده ثم أخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو وإياه وقفل العبد الباب خلفهما ، فرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جداً ولها دهليز معقود . ولم يزالوا سائرين مقدار ميل ، ثم انتهى بهم السير إلى فلاة عظيمة وتوجهوا إلى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الأصفر ، ففتح الشيخ عبد القدوس باباً منهما ودخل وردّه وقال لحسن : اقعد على هذا الباب واحذر أن تفتحه وتدخل حتى أدخل وأرجع إليك عاجلاً . فلما دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان مسرج ملجم ، إن سار طار وإن طار لم يلحقه غبار . فقدّمه الشيخ لحسن وقال : إركب . ثم إن الشيخ فتح الباب الثاني فبان منه برية واسعة ، فركب حسن الحصان وخرج الإثنان من الباب وسارا في تلك البرية . فقال الشيخ لحسن : يا ولدي ، خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان إلى الموضع الذي يوصلك إليه فإذا نظرته وقف على باب مغارة مثل هذه ، فانزل عن ظهره واجعل عنانه في قربوص السرج واطلقه فإنه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فإنه في اليوم السادس يخرج إليك شيخ أسود عليه لباس أسود ودقنه بيضاء طويلة نازلة إلى سرّته ، فاذا رأيته فقبّل يديه وامسك ذيله واجعله على رأسك وابك بين يديه حتى يرحمك فانه يسألك عن حاجتك . فإذا قال لك : ما حاجتك ؟ فادفع إليه هذا الكتاب فإنه يأخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك . فقف مكانك خمسة أيام أخر ولا تضجر ، وفي اليوم السادس انتظره فإنه يخرج إليك . فإن خرج إليك بنفسه فاعلم أن حاجتك تقضى ، وإن خرج إليك أحد من غلمانه فاعلم أن الذي خرج إليك يريد قتلك والسلام . واعلم يا ولدي أن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 801

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسناً الكتاب أعلمه بما يتحصل له وقال له: إن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه. فإن كنت تخاف على نفسك فلا تلق بها إلى الهلاك، وإن كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بيّنت لك الأمور، وإن شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضر فإنه يسير بك إلى بنات أخي وهن يوصلنك إلى بلادك ويردنك إلى وطنك ويرزقك الله خيراً من هذه البنت التي تعلّقت بها. فقال حسن للشيخ: وكيف تطيب لي الحياة من غير أن أبلغ مرادي، والله إني لا أرجع أبداً حتى أبلغ حبيبتي أو تدركني منيتي. ثم بكى وأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

عَلى فَقْدِ حِبِّي مَعْ تَزايُدِ صَبْوَتِي — وَقَفْتُ أُنادِي بانْكِسارِي وذِلَّتِي
وقَبَّلْتُ تُرْبَ الرَّبْعِ شَوْقاً لأَجْلِهِ — ولَمْ يُجْدِنِي إلا تَزايُدُ حَسْرَتِي
رَعَى اللهُ مَنْ بانُوا وفي القَلْبِ ذِكْرُهُمْ — فَواصَلْتُ آلامِي وفارَقْتُ لَذَّتِي
يَقُولُونَ لِي صَبْراً وقَدْ رَحَلُوا بِهِ — وقَدْ أَضْرَمُوا يَوْمَ التَّرَحُّلِ زَفْرَتِي
وما راعَنِي إلاَّ الوَداعُ وقَوْلُهُ — إذا غِبْتَ فاذْكُرْنِي ولا تَنْسَ صُحْبَتِي
لِمَنْ أَلْتَجِي مَنْ أَرْتَجِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ — وكانُوا رَجائِي في رَخائِي وشِدَّتِي
فَواحَسْرَتِي لَمَّا رَجَعْتُ مُوَدِّعاً — وسُرَّ عِداكَ المُبْغِضُونَ بِرَجْعَتِي
فَوَا أَسَفَا هَذا الَّذي كُنْتَ حاذِراً — ويا لَوْعَتِي زِيدِي لَهِيباً بِمُهْجَتِي
فإنْ غابَ أَحْبابِي فَلا عَيْشَ بَعْدَهُمْ — وإنْ رَجَعُوا يا فَرْحَتِي ومَسَرَّتِي
فَواللهِ لَمْ يَنْفَضُّ دَمْعِي مِنَ البُكا — عَلى فَقْدِهِمْ بَلْ عَبْرَةٌ بَعْدَ عَبْرَةِ

فلما سمع الشيخ عبد القدوس إنشاده وكلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وأن الكلام لا يؤثر فيه، وتيقّن أنه لا بد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته. فقال: أعلم يا ولدي أن جزائر واق سبع جزائر فيها عسكر عظيم، وذلك العسكر كله بنات أبكار. وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وأرهاط مختلفة، وكل من دخل أرضهم لا يرجع وما وصل إليهم أحد قط ورجع. فبالله عليك أنت ترجع إلى أهلك من قريب، واعلم أن البنت التي قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلها، وكيف تقدر أن تصل إليها؟ فاسمع مني يا ولدي ولعل الله يعوّضك خيراً منها. فقال حسن: والله يا سيدي، لو قطعت في هواها إرباً إرباً ما ازددت إلا حبّاً وطرباً، ولا بد من رؤية زوجتي وأولادي والدخول في جزائر واق، وإن شاء الله تعالى ما أرجع إلا بها وبأولادي. فقال له الشيخ عبد القدوس: حينئذ لا بد لك من السفر. فقال: نعم. وإنما أريد منك الدعاء بالإسعاف والإعانة لعل الله يجمع شملي بزوجتي وأولادي عن قريب. ثم بكى من عظم شوقه وأنشد هذه الأبيات: [من البسيط]

أَنْتُمْ مُرادِي وأَنْتُمْ أَحْسَنُ البَشَرِ — أُحِلُّكُمْ في مَحَلِّ السَّمْعِ والبَصَرِ
مَلَكْتُمُ القَلْبَ مِنِّي وَهْوَ مَنْزِلُكُمْ — وبَعْدَكُمْ سادَتِي أَصْبَحْتُ في كَدَرِ
فَلا تَظُنُّوا انْتِقالِي عَنْ مَحَبَّتِكُمْ — فَحُبُّكُمْ صَيَّرَ المِسْكِينَ في حَذَرِ

غِبْتُمْ فَغابَ سُرُورِي بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ   وأَصْبَحَ الصَّفْوُ عِنْدِي غايَةَ الكَدَرِ
تَرَكْتُمُونِي أُراعِي النَّجْمَ مِنْ أَلَمٍ   أَبْكِي بِدَمْعٍ يُحاكِي هاطِلَ المَطَرِ
يا لَيْلُ طُلْتَ عَلَى مَنْ باتَ فِي قَلَقٍ   مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ يَرْعَى طَلْعَةَ القَمَرِ
إنْ جُزْتَ يا رِيحُ حَيّاً فِيهِ قَدْ نَزَلُوا   بَلِّغْ سَلامِي لَهُمْ فَالعُمْرُ فِي قِصَرِ
وقُلْ لَهُمْ بَعْضَ ما لاقَيْتُ مِنْ أَلَمٍ   إنَّ الأَحِبَّةَ لا يَدْرُونَ عَنْ خَبَرِي

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه. فلما أفاق قال له الشيخ عبد القدوس: يا ولدي، إن لك والدة فلا تذقها فقدك. فقال حسن للشيخ: والله يا سيدي ما بقيت ارجع إلا بزوجتي أو تدركني منيتي. ثم بكى وناح وانشد هذه الأبيات: [من الطويل]

وحَقِّ الهَوَى ما غَيَّرَ البُعْدُ عَهْدَكُمْ   وما أنا مِمَّنْ لِلْعُهُودِ يَخُونُ
وعِنْدِي مِنَ الأَشْواقِ ما لَوْ شَرَحْتُهُ   إلى النَّاسِ قالُوا: قَدْ عَراهُ جُنُونُ
فَوَجْدٌ وحُزْنٌ وانْتِحابٌ ولَوْعَةٌ   ومَنْ حالُهُ هَذا فَكَيْفَ يَكُونُ؟

فلما فرغ من شعره علم الشيخ أنه لا يرجع عن ما هو فيه ولو ذهبت روحه، فناوله الكتاب ودعا له وأوصاه بالذي يفعله وقال له: إني قد أكدت لك في الكتاب على أبي الرويش بن بلقيس بنت معين، فهو شيخي ومعلمي وجميع الإنس والجن يخضعون له ويخافون منه. ثم قال له: توجه على بركة الله. فتوجه وأرخى عنان الحصان فطار به أسرع من البرق، ولم يزل حسن مسرعاً بالحصان مدة عشرة أيام حتى نظر أمامه شبحاً عظيماً أسود من الليل قد سدّ ما بين المشرق والمغرب. فلما قرب حسن منه صهل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان، فخاف حسن منها وفزع ولم يزل سائراً والخيول حوله إلى أن وصل إلى المغارة التي وصفها له الشيخ عبد القدوس. فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه ووضع عنانه في سرجه، فدخل الحصان المغارة ووقف حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكّراً في عاقبة أمره كيف تكون، حيران والهان لا يعلم الذي يجري له. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 802

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسنا لما نزل من فوق ظهر الحصان وقف على باب المغارة متفكّراً في عاقبة أمره كيف تكون، لا يعلم الذي يجري له. ولم يزل واقفا على باب المغارة خمسة أيام بلياليها وهو سهران حزنان حيران متفكّر حيث فارق الأهل والأوطان والأصحاب والخلان، باكي العين حزين القلب. ثم إنه تذكّر والدته وتفكّر فيما يجري له، وفي فراق زوجته وأولاده وفي ما قاساه. فأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

لَدَيْكُمْ دَواءُ القَلْبِ والقَلْبُ ذاهِبُ   ومِنْ سَفْحِ أَجْفانِي دُمُوعٌ سَواكِبُ
فِراقٌ وحُزْنٌ واشْتِياقٌ وغُرْبَةٌ   وبُعْدٌ عَنِ الأَوْطانِ والشَّوْقُ غالِبُ
وما أنا إلاَّ عاشِقٌ ذُوْ صَبابَةٍ   بِبُعْدِ الَّذِي يَهْوَى دَهَتْهُ المَصائِبُ
فإنْ كانَ عِشْقِي قَدْ رَمانِي بِنَكْبَةٍ   فأيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ النَّوائِبُ

فلم يفرغ حسن من شعره إلا والشيخ أبو الرويش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس اسود . فلما نظره حسن عرفه بالصفات التي اخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرّغ خديه على قدميه ومسك رجله وحطّها على راسه وبكى قدامه . فقال له الشيخ ابو الرويش : ما حاجتك يا ولدي ؟ فمدّ يده بالكتاب وناوله للشيخ أبي الرويش ، فأخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جواباً . فقعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكي ، وما زال قاعداً مكانه مدة خمسة أيام وقد ازداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الأرق فصار يبكي ويتضجر من الم البعاد وكثرة السهاد . ثم انشد هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

سُبْحانَ جَبَّارِ السَّماءِ	إنَّ المُحِبَّ لَفِي عَناءِ
مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الهَوَى	لَمْ يَدْرِ ما جَهْدُ البَلاءِ
لَوْ كُنْتُ أَحْبِسُ عَبْرَتِي	لَوَجَدْتُ أَنْهارَ الدِّماءِ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ قَدْ قَسَى	قَلْباً وأَوْلَعَ بالشَّقاءِ
فإذا تَعَطَّفَ لامَنِي	فَأَقولُ ما بِي مِنْ بُكاءِ
لَـكَ قَدْ ذَهَبْتُ لأَرْتَدِي	فَـأَصابَ عَيْـنَيَّ رِدائِي
بَكَتِ الوُحُوشُ لِوَحْشَتِي	وكذاكَ سُكَّانُ الهَواءِ

ولم يزل حسن يبكي إلى ان لاح الفجر وإذا بالشيخ أبو الرويش قد خرج إليه وهو لابس لباساً ابيض واوما إليه بيده ان يدخل ، فدخل حسن فاخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وأيقن أن حاجته قد قضيت . ولم يزل الشيخ سائراً وحسن معه مقدار نصف نهار ، ثم وصلا إلى باب مقنطر عليه باب من البولاد ، ففتح الباب ودخل هو وحسن في دهليز معقود بحجارة من المجزع المنقوش بالذهب . ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قاعة كبيرة مرخمة واسعة وفي وسطها بستان فيه من سائر الأشجار والأزهار والأثمار والأطيار على الأشجار تناغي وتسبّح الله الملك القهار . وفي القاعة اربع لواوين يقابل بعضها بعضاً ، وفي كل ليوان مجلس فيه فسقية ، وعلى كل ركن من اركان كل فسقية صورة سبع من الذهب ، وفي كل مجلس كرسي وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جداً وبين أيديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور ، وكل شيخ منهم بين يديه طلبة يقرؤون عليه الكتب . فلما دخلا عليهم قاموا إليهما وعظّموهما ، فاقبل عليهم واشار لهم ان يصرفوا الحاضرين فصرفوهم . وقام الأربعة مشايخ وجلسوا بين يدي الشيخ أبي الرويش وسالوه عن حال حسن . فعند ذلك أشار الشيخ أبو الرويش إلى حسن وقال له : حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من أول الأمر إلى آخره . فعند ذلك بكى حسن بكاء شديداً وحدّثهم بحديثه . فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشايخ كلهم وقالوا : هل هذا هو الذي أطلعه المجوسي إلى جبل السحاب بالنسور وهو في جلد الجمل ؟ فقال لهم حسن : نعم . فأقبلوا على الشيخ أبي الرويش وقالوا له : يا شيخنا ، إن بهرام تحيّل في طلوعه على الجبل وكيف نزل ؟ وما الذي رآه فوق الجبل من العجائب ؟ فقال الشيخ أبو الرويش : يا حسن ، حدّثهم كيف نزلت واخبرهم بالذي رأيته من العجائب . فأعاد عليهم ما جرى له من أوله إلى

آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف غدرت به زوجته واخذت أولاده وطارت وبجميع ما قاساه من الأهوال والشدائد. فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم اقبلوا على الشيخ أبي الرويش وقالوا له: يا شيخ الشيوخ، والله إن هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 803

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ أبي الرويش: هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده. فقال لهم الشيخ أبو الرويش: يا إخواني، إن هذا أمر عظيم خطر وما رأيت أحداً يكره الحياة غير هذا الشاب، وأنتم تعرفون أن جزائر واق صعبة الوصول، ما وصل إليها أحد إلا خاطر بنفسه وتعرفون قوّتهم وأعوانهم، وأنا حالف إني ما أدوس لهم أرضاً ولا أتعرض لهم في شيء، وكيف يصل هذا إلى بيت الملك الأكبر؟ ومن يقدر أن يوصله إليها أو يساعده على هذا الأمر؟ فقالوا: يا شيخ الشيوخ، إن هذا الرجل أتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر إليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته. فقام حسن وقبّل قدم أبي الرويش ورفع ذيله ووضعه على رأسه وبكى وقال له: سألتك بالله أن تجمع بيني وبين أولادي وزوجتي ولو كان في ذلك ذهاب روحي ومهجتي. فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ أبي الرويش: اغتنم أجر هذا المسكين وافعل معه جميلاً لأجل أخيك الشيخ عبد القدوس. فقال: إن هذا الشاب مسكين ما يعرف الذي هو قادم عليه، ولكن نساعده على قدر الطاقة. ففرح حسن لما سمع كلامه وقبّل يديه وقبّل أيادي الحاضرين واحداً بعد واحد وسألهم المساعدة. فعند ذلك أخذ أبو الرويش ورقة ودواة وكتب كتاباً وختمه وأعطاه لحسن ودفع له خريطة من الأدم فيها بخور وآلات نار من زناد وغيره وقال له: احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت في شدة فبخّر بقليل منه واذكرني فإني أحضر عندك وأخلّصك منها. ثم أمر بعض الحاضرين أن يحضر له عفريتاً من الجن الطيارة في ذلك الوقت فحضر. فقال له الشيخ: ما اسمك؟ قال: عبدك دهنش بن فقطش. فقال له أبو الرويش: ادن مني. فدنى منه فوضع الشيخ أبو الرويش فاه على أذن العفريت وقال له كلاماً، فحرّك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن: يا ولدي، قم اركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فإذا رفعك إلى السماء وسمعت تسبيح الملائكة في الجو فلا تسبّح فتهلك أنت وهو. فقال حسن: لا أتكلم أبداً. ثم قال له الشيخ: يا حسن، إذا سار بك فإنه يضعك ثاني يوم في وقت السحر على أرض بيضاء نقية مثل الكافور، فإذا وضعك هناك فامش عشرة أيام وحدك حتى تصل إلى باب المدينة. فإذا وصلت إليها فادخل واسأل عن ملكها، فإذا اجتمعت به فسلم عليه وقبّل يده واعطه هذا الكتاب ومهما أشار به إليك فافهمه. فقال حسن: سمعاً وطاعة. وقام مع العفريت وقام المشايخ ودعوا له ووصّوا العفريت عليه. فلما حمله العفريت على عاتقه ارتفع به إلى عنان السماء ومشى به يوماً وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء، فلما كان الصبح وضعه في أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف. فلما أدرك حسن أنه على الأرض ولم يكن عنده أحد، سار في الليل والنهار مدة عشرة أيام إلى أن وصل إلى باب المدينة، فدخلها وسأل عن الملك فدلوه عليه وقالوا: إن اسمه الملك حسون ملك

أرض الكافور، وعنده من العساكر والجنود ما يملأ الأرض في طولها والعرض. فاستأذن فاذن له، فلما دخل عليه وجده ملكًا عظيمًا فقبّل الأرض بين يديه. فقال له الملك: ما حاجتك؟ فقبّل حسن الكتاب وناوله إياه. فاخذه وقرأه ثم حرّك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه: خذ هذا الشاب وانزله في دار الضيافة. فأخذه وسار حتى انزله هناك فأقام بها مدة ثلاثة أيام في أكل وشرب وليس عنده إلا الخادم الذي معه، فصار ذلك الخادم يحدّثه ويؤانسه ويسأله عن خبره وكيف وصل إلى هذه الديار. فاخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه. وفي اليوم الرابع أخذه الغلام وأحضره بين يدي الملك فقال له: يا حسن، أنت قد حضرت عندي تريد أن تدخل جزائر واق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ، يا ولدي أنا أرسلك في هذه الأيام إلا ان في طريقك مهالك كثيرة وبراري معطشة كثيرة المخاوف، ولكن إصبر ولا يكون إلا خيرًا فلا بد ان اتحيّل واوصلك إلى ما تريد إن شاء الله تعالى. واعلم يا ولدي أن هنا عسكرًا من الديلم يريدون الدخول في جزائر واق مهيؤون بالسلاح والخيل والعدد وما قدروا على الدخول. ولكن يا ولدي لأجل شيخ الشيوخ أبي الرويش ابن بنت اللعين ابليس ما اقدر ان اردّك إليه إلا مقضي الحاجة، وعن قريب تاتي إلينا مراكب من جزائر واق وما بقي لها إلا القليل. فإذا حضرت واحدة منها انزلتك فيها واوُصي البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك إلى جزائر واق، وكل من سألك عن حالك وخبرك فقل له: انا صهر الملك حسون صاحب أرض الكافور، وإذا رست المركب على جزائر واق وقال لك الريس: إطلع البر. فاطلع، ترى دككاً كثيرة في جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها ولا تتحرّك. فإذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد أحاط بالبضائع، فمد يدك وامسك صاحبة هذه الدكة التي أنت تحتها واستجر بها. واعلم يا ولدي أنها إذا أجارتك قضيت حاجتك فتصل إلى زوجتك وأولادك، وإن لم تجرك فاحزن على نفسك وايئس من الحياة وتيقّن بهلاك نفسك. واعلم يا ولدي أنك مخاطر بنفسك ولا اقدر لك على شيء غير هذا والسلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 804

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذي ذكرناه وقال له: أنا لا أقدر لك على شيء غير هذا. قال له بعد ذلك: واعلم انه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت إلى هنا. فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكى حتى غشي عليه. فلما أفاق أنشد هذين البيتين: [من الكامل]

لا بُدَّ لي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُومَةٍ فإذا انْقَضَتْ أَيَّامُها مُتُّ
لَوْ صارَعَتْنِي الأُسْدُ في غاباتِها لَقَهَرْتُها ما دامَ لي وَقْتُ

فلما فرغ حسن من شعره قبّل الأرض بين يدي الملك وقال له: أيها الملك العظيم، وكم بقي من الأيام حتى تأتي المراكب؟ قال: مدة شهر، ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين ثم يرجعون إلى بلادهم، فلا تترجى سفرك فيها إلا بعد ستة أشهر كاملة. ثم إن الملك امر حسناً ان يذهب إلى دار الضيافة وأمر أن يحمل له كل ما يحتاج إليه من ماكول ومشروب وملبوس من الذي يناسب الملوك. فاقام في دار الضيافة شهرًا وبعد الشهر حضرت المراكب. فخرج الملك والتجار وأخذ

حسنًا معه إلى المراكب، فرأى مركباً فيها خلق كثير مثل الحصى ما يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وتلك المركب في وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيها من البضائع إلى البر. فأقام حسن عندهم حتى نزع البضائع منها إلى البر وباعوا واشتروا وما بقي للسفر إلا ثلاثة أيام، فأحضر الملك حسنًا بين يديه وجهز له ما يحتاج إليه وانعم عليه انعاما عظيماً ثم بعد ذلك استدعى ريس تلك المركب وقال له: خذ هذا الشاب معك في المركب ولا تعلم به أحداً واوصله إلى جزائر واق واتركه هناك ولا تأت به. فقال الريس: سمعاً وطاعة. ثم إن الملك أوصى حسناً وقال له: لا تعلم أحدًا من الذين معك في المركب بشيء من حالك ولا تطلع أحدًا على قصتك فتهلك. قال: سمعاً وطاعة. ثم ودّعه بعد أن دعا له بطول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والأعداء، وشكره الملك على ذلك ودعا له بالسلامة وقضاء حاجته ثم سلّمه للريس، فأخذه وحطّه في صندوق وأنزله ولم يطلعه في المركب إلا والناس مشغولون في نقل البضائع، وبعد ذلك سافرت المراكب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام. فلما كان اليوم الحادي عشر وصلوا إلى البر فطلّعه الريس من المركب، فلما طلع من المركب إلى البر رأى فيه دككاً لا يعلم عددها إلا الله، فمشى حتى وصل إلى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها. فلما أقبل الليل جاءت خلق كثير من النساء كالجراد المنتشر وهن ماشيات على أقدامهن وسيوفهن مشهورة في أيديهن ولكنهن غائصات في الزرد، فلما رأت النساء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لأجل الإستراحة. فجلست واحدة منهن على الدكة التي تحتها حسن، فأخذ حسن طرف ذيلها وحطّه فوق رأسه ورمى نفسه عليها وصار يقبّل يديها وقدميها وهو يبكي فقالت له: يا هذا، قم واقفًا قبل أن يراك أحد فيقتلك. فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائماً على قدميه وقبّل يديها وقال لها: يا سيدتي أنا في جيرتك. ثم بكى وقال لها: ارحمي من فارق أهله وزوجته وأولاده وبادر إلى الإجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته، فارحميني وايقني أنك تؤجرين على ذلك بالجنة، وإن لم تقبليني فأسألك بالله العظيم الستّار أن تستري عليّ. فصارت التجار شاخصة له وهو يكلّمها، فلما سمعت كلامه ونظرت تضرّعه رحمته ورقّ قلبها إليه وعلمت أنه ما خاطر بنفسه وجاء إلى هذا المكان إلا لأمر عظيم. فعند ذلك قالت لحسن: يا ولدي، طب نفساً وقر عيناً وطيب قلبك وخاطرك وارجع إلى مكانك واختف تحت الدكة كما كنت أولاً إلى الليلة الآتية يفعل الله ما يريده، ثم ودّعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان. ثم إن العساكر بتن يوقدن الشموع الممزوجة بالعود الند والعنبر الخام إلى الصباح، فلما طلع النهار رجعت المراكب إلى البر واشتغل التجار بنقل البضائع والأمتعة إلى أن أقبل الليل وحسن مختف تحت الدكة باكي العين حزين القلب ولم يعلم بالذي قدّر له في الغيب. فبينما هو كذلك إذ أقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها وناولته زردية وسيفاً وحياصة مذهبة ورمحاً ثم انصرفت عنه خوفاً من العسكر، فلما رأى ذلك علم أن التاجرة ما أحضرت له هذه العدّة إلا ليلبسها. فقام حسن ولبس الزردية وشدّ الحياصة على وسطه وتقلّد بالسيف تحت إبطه وأخذ الرمح بيده وجلس على تلك الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى بل يطلب منه الستر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 805

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما أخذ السلاح الذي أعطته إياه الصبية التاجرة التي استجار بها وقالت له: إجلس تحت الدكة ولا تخل أحداً يفهم حالك، تقلّد به ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله وصار يطلب من الله الستر. فبينما هو جالس إذ أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع وأقبلت عساكر النساء، فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن. فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصل إلى خيامهن، دخلت كل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن وإذا هي خيمة صاحبته التي كان استجار بها. فلما دخلت خيمتها ألقت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب والقى حسن سلاحه ونظر إلى صاحبته فوجدها زرقاء العينين كبيرة الأنف وهي داهية من الدواهي، أقبح ما يكون في الخلق، بوجه أجدر وحاجب أمعط وأسنان مكسرة وخدود معجرة وشعر شايب وفم بالريالة سائل. وهي كما قال في مثلها الشاعر: [من الطويل]

لَها في زَوايا الوَجْهِ تِسْعُ مَصَائِبَ ... فَواحِدَةٌ مِنْهُنَّ تُبْدِي جَهَنَّما
بِوَجْهٍ بَشِيعٍ ثُمَّ ذاتِ قَبِيحَةٍ ... كَصُورَةِ خِنْزِيرٍ تَراهُ مُرَمْرِما

وهي بذات معطاء كحية رقطاء. فلما نظرت العجوز إلى حسن تعجبت وقالت: كيف وصل هذا إلى هذه الديار؟ وفي أي المراكب حضر؟ وكيف سلم؟ وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله. فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرّغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشي عليه. فلما أفاق أنشد هذه الأبيات: [من الوافر]

مَتَى الأَيَّامُ تَسْمَحُ بالتَّلاقي ... وتَجْمَعُ شَمْلَنا بَعْدَ الفِراقِ
وأَحْظَى بالَّذي أَرْضاهُ مِنْهُمْ ... عِتاباً يَنْقَضِي والوُدُّ باقِ
لَوْ أَنَّ النِّيلَ يَجْرِي مِثْلَ دَمْعِي ... لَمَا خَلَّى عَلَى الدُّنْيا شَرَاقِي
وفاضَ عَلَى الحِجازِ وأَرْضِ مِصْرَ ... كَذاكَ الشَّامُ مَعْ أَرْضِ العِراقِ
وذاكَ لأَجْلِ صَدِّكَ يا حَبِيبِي ... تَرَفَّقْ بِي وواعِدْ بالتَّلاقِي

فلما فرغ من شعره أخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكي ويستجير بها. فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وتوجّعه وكربته، حنّ قلبها إليه وأجارته وقالت له: لا تخف أبداً. ثم سألته عن حاله، فحكى لها جميع ما جرى له من المبتدا إلى المنتهى. فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له: طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقي عليك خوف وقد وصلت إلى مطلوبك وقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى. ففرح حسن بذلك فرحاً شديداً ثم إن العجوز أرسلت إلى قوّاد العسكر أن يحضروا، وكان ذلك في آخر يوم من الشهر. فلما حضروا بين يديها قالت لهم: أخرجوا ونادوا في جميع العسكر أن يخرجوا في غد بكرة النهار ولا يتخلّف أحد منهم، فإن تخلّف أحد راحت روحه. فقالوا لها: سمعاً وطاعة. ثم خرجوا ونادوا في جميع العسكر بالرحيل في غد بكرة النهار، ثم عادوا وأخبروها بذلك. فعلم حسن أنها هي رئيسة العسكر وصاحبة الرأي فيه وهي المقدمة عليه. ثم إن حسناً لم يقلع السلاح من فوق بدنه في ذلك النهار

وكان إسم تلك العجوز التي هو عندها شواهي وتكنّى بأم الدواهي . فما فرغت العجوز من أمرها ونهيها إلا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من اماكنه ولم تخرج العجوز معهم . فلما سار العسكر وخلت منه الأماكن قالت شواهي لحسن : ادن مني يا ولدي . فدنى منها ووقف بين يديها فأقبلت عليه وقالت له : ما السبب في مخاطرتك بنفسك ودخولك إلى هذه البلاد؟ وكيف رضيت نفسك بالهلاك؟ فاخبرني بالصحيح عن جميع شأنك ولا تخف عني منه شيئًا ولا تخف فإنك قد صرت في عهدي وقد أجرتك ورحمتك ورثيت لحالك ، فإن أخبرتني بالصدق اعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح الأرواح وهلاك الأشياخ ، وحيث وصلت إليّ ما بقي عليك بأس ولا أخلي احدًا يصل إليك بسوء أبدًا من كل ما في جزائر واق . فحكى لها قصته من أولها إلى آخرها وعرّفها بشأن زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوّج بها ثم اقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف أخذت أولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش ، ولم يخف من حديثه شيئًا من أوله إلى يومه الذي هو فيه . فلما سمعت العجوز كلامه حرّكت رأسها وقالت له : سبحان الله الذي سلمك وأوصلك إلى هنا وأوقعك عندي ، ولو كنت وقعت عند غيري كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ، ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك إلى زوجتك وأولادك هو الذي أوصلك إلى حصول بغيتك ، ولولا أنك لها محب وبها ولهان ما كنت خاطرت بنفسك هذه المخاطرة والحمد لله على السلامة . وحينئذ يجب علينا أن نقضي لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب إن شاء الله تعالى . ولكن أعلم يا ولدي أن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر ليلاً ونهاراً ، فإننا نسير من هنا حتى نصل إلى أرض يقال لها : أرض الطيور ، فمن شدّة صياح الطيور وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 806

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز قالت لحسن : إن زوجتك في الجزيرة السابعة وهي الجزيرة الكبيرة من جزائر واق ، ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر فإننا نسير من هنا إلى أرض الطيور ، ومن شدة طيرانها وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض . ثم نسير في تلك الأرض مدة أحد عشر يوماً ليلاً ونهاراً ، ثم بعد ذلك نخرج منها إلى أرض يقال لها : أرض الوحوش ، فمن شدّة صياح السباع والضباع والوحوش وعيّ الذئاب وزئير الأسود لا نسمع شيئًا ، فنسير في تلك الأرض مدة عشرين يوماً . ثم نخرج منها إلى أرض يقال لها : ارض الجن ، فمن شدة صياح وصعود الشيران وتطاير الشرار والدخان من افواههم وتصاعد زفراتهم وتمرّدهم يسدّون الطريق قدامنا وتصمّ آذاننا وتغشى أبصارنا حتى لا نسمع ولا نرى ، ولا يمكن أن يلتفت منا أحد إلى خلفه فيهلك ، ويضع الفارس في ذلك المكان رأسه على قربوص سرجه ولا يرفعها مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك يقابلنا جبل عظيم ونهر جار متصلان بجزائر واق . واعلم يا ولدي أن جميع هذا العسكر بنات أبكار والحاكم علينا من الملوك امرأة من جزائر واق السبع ، ومسيرة تلك السبع جزائر سنة كاملة للراكب المجد في السير . وعلى شاطىء هذا النهر جبل يسمّى جبل واق ، وهذا الإسم علم على شجرة اغصانها تشبه رؤوس بني

آدم فإذا طلعت عليها الشمس تصيح تلك الرؤوس جميعاً وتقول في صياحها : واق واق سبحان الملك الخلاق . فإذا سمعنا صياحها نعلم ان الشمس قد طلعت وكذلك إذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤوس وتقول في صياحها ايضًا : واق واق سبحان الملك الخلاق . فنعلم ان الشمس قد غربت ولا يقدر احد من الرجال ان يقيم عندنا ولا يصل إلينا ولا يطأ أرضنا ، وبيننا وبين الملكة التي تحكم على هذه الأرض مسافة شهر من هذا البر ، وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة ، وتحت يدها ايضاً قبائل الجان المردة والشياطين ، وتحت يدها من السحرة ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم . فإن كنت تخاف أرسلت معك من يوصلك إلى الساحل واجيء بالذي يحملك معه في مركب ويوصلك إلى بلادك ، وإن كان يطيب على قلبك الإقامة معنا فلا امنعك وانت عندي في عيني حتى تقضي حاجتك إن شاء الله تعالى . فقال لها : يا سيدتي ، ما بقيت افارقك حتى أجتمع بزوجتي او تذهب روحي . فقالت له : هذا أمر يسير ، فطيب قلبك وسوف تصل إلى مطلوبك إن شاء الله تعالى ولا بد ان أطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك . فدعا لها حسن وقبّل يديها وراسها وشكرها على فعلها وفرط مروءتها وسار معها وهو متفكّر في عاقبة أمره وأهوال غربته . فصار يبكي وينتحب وجعل ينشد هذه الأبيات :

[من الخفيف]

مِنْ مَكانِ الحَبِيبِ هَبَّ نَسِيمُ فَتَرانِي مِنْ فَرْطِ وَجْدِي أَهِيمُ
إنَّ لَيْلَ الوِصالِ صُبْحٌ مُضِيءٌ ونَهارُ الفِراقِ لَيْلٌ بَهِيمُ
ووَداعُ الحَبِيبِ صَعْبٌ شَدِيدُ وفِراقُ الأَنِيسِ خَطْبٌ جَسِيمُ
لَسْتُ أَشْكُو جَفاهُ إلاَّ إلَيْهِ لَمْ يَكُنْ في الوَرَى صَدِيقٌ حَمِيمُ
وسُلُوِّي عَنْكُمْ مِحالٌ فإنِّي لَيْسَ يَسْلِي قَلْبِي عَذُولٌ ذَمِيمُ
يا وَحِيدَ الجَمالِ عِشْقِي وَحِيدُ يا عَدِيمَ المِثالِ قَلْبِي عَدِيمُ
كُلُّ مَنْ يَدَّعِي المَحَبَّةَ فِيكُمْ ويَهابُ المَلامَ فَهْوَ مَلُومُ

ثم إن العجوز امرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن صحبة العجوز وهو من الغرق في بحر الأفكار يتضجر وينشد الأشعار والعجوز تصبّره وتسلّيه وهو لا يفيق ولا يعي ما إليه تلقيه . ولم يزالوا سائرين إلى ان وصلوا إلى أول جزيرة من الجزائر السبع وهي جزيرة الطيور ، فلما دخلوها ظن حسن أن الدنيا قد انقلبت من شدة الصياح وأوجعته راسه وطاش عقله وعمي بصره وانسدّت اذناه وخاف خوفاً شديداً وايقن بالموت وقال في نفسه : إذا كانت هذه أرض الطيور فكيف تكون ارض الوحوش ؟ فلما راته العجوز المسمّاة بشواهي على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له : يا ولدي ، إذا كان هذا حالك من أول جزيرة فكيف بك إذا وصلت إلى بقية الجزائر ؟ فسأل الله وتضرّع إليه وطلب منه ان يعينه على ما بلاه به وان يبلغه مناه . ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا أرض الطيور وخرجوا منها ودخلوا في أرض الجان ، فلما رآها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم ثم استعان بالله تعالى وسار معهم ، فعند ذلك خلصوا من أرض الجان ووصلوا إلى النهر . فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطىء النهر ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر مرصّعة بالدر والجوهر وسبائك الذهب الأحمر على جنب

النهر، فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه. ثم بعد ذلك نصبوا خيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم أكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لأنهم وصلوا إلى بلادهم. وكان حسن واضعاً على وجهه لثاماً بحيث لم يظهر منه غير عينيه، وإذا بجماعة من البنات مشين إلى قرب خيمة حسن ثم قلعن ثيابهن ونزلن في النهر، فصار حسن ينظر إليهن وهن يغتسلن، فصرن يلعبن وينشرحن ولا يعلمن أنه ناظر إليهن لأنهن ظنن أنه من بنات الملوك. فاشتدّ على حسن وتره حيث كان ينظر إليهن وهن مجرّدات من ثيابهن وقد رأى ما بين أفخاذهن أنواعاً مختلفة، ما بين ناعم مقبقب وسمين مربرب وغليظ المشافر وكامل وبسيط ووافر، ووجوههن كالأقمار وشعورهن كليل على نهار لأنهن من بنات الملوك. ثم إن العجوز نصبت له سريراً وأجلسته فوقه، فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجرّدات كالقمر ليلة البدر. وقد اجتمع جميع العسكر قدام حسن لأن العجوز أمرت أن ينادى في جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجرّدن من ثيابهن وينزلن في النهر ويغتسلن فيه لعل زوجته أن تكون فيهن فيعرفها، وصارت العجوز تسأله عنهن طائفة بعد طائفة فيقول: ما هي في هؤلاء يا سيدتي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 807

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز كانت تسأل حسناً عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعرف زوجته من بينهن، وكلما سألته عن طائفة يقول: ما هي في هؤلاء يا سيدتي. ثم بعد ذلك تقدمت جارية في آخر الناس وفي خدمتها ثلاثون خادمة كلهن نهد أبكار، فنزعن ثيابهن ونزلن معها في النهر فصارت تتدلّل عليهن وترميهن في البحر وتغطسهن ولم تزل معهن على هذا الحال ساعة زمانية، ثم طلعن من النهر وقعدن فقدّمن إليها مناشف من حرير مزركشة بالذهب فأخذتها وتنشّفت بها، ثم قدموا إليها ثياباً وحللاً وحلياً من عمل الجن فأخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العسكر هي وجواريها. فلما رآها حسن طار قلبه وقال: هذه أشبه الناس بالطيرة التي رأيتها في البحيرة في قصر أخواتي البنات، وكانت تتدلل على أتباعها مثلها. فقالت العجوز: يا حسن، هل هذه زوجتك؟ فقال: لا وحياتك يا سيدتي ما هذه زوجتي ولا عمري رأيتها وما في جميع البنات التي رأيتهن في هذه الجزيرة مثل زوجتي ولا مثل قدّها واعتدالها وحسنها وجمالها. فقالت العجوز: صفها لي وعرّفني بجميع أوصافها حتى تكون في ذهني، فإني أعرف كل بنت في جزائر واق لأني نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن، وإن وصفتها لي عرفتها وتحيّلت لك في أخذها. فقال لها حسن: إن زوجتي صاحبة وجه مليح وقد رجيح، أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الأسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كأنها غصن مائل، بديعة الصفة حمراء الشفة بعيون كحال وشفايف رقاق، على خدها الأيمن شامة وعلى بطنها من تحت سرّتها علامة وجهها منير كقمر مستدير، وخصرها نحيل وردفها ثقيل وريقها يشفي العليل كأنه الكوثر أو السلسبيل. فقالت العجوز: زدني في أوصافها بياناً زادك الله فيها افتتاناً لها. فقال حسن: إن زوجتي ذات وجه جميل وخد أسيل وعنق طويل وطرف كحيل وخدود كالشقيق وفم كخاتم عقيق وثغر لامع البريق يغني عن الكأس والإبريق، قد ركبت في هيكل اللطافة وبين فخذيها تخت الخلافة. ما مثل حرمه بين المشاعر كما قال في حقه

الشاعر : [من مجزوء الرجز]

إسْمُ الَّذي حيَّرَني حُرُوفُهُ مُشْتَهَرَهْ
أَرْبَعَةٌ في خَمْسَةٍ وسِتَّةٌ في عَشَرَهْ

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال :

وَجْدِي بِكُمْ وَجْدَ هِنْدِي ضَيَّعَ القَصْعَهْ أَوْ وَجْدَ ساعِي وفي رِجلُو اليَمِين قُصْعَهْ
أَوْ وَجْدَ مُضنَى عَلِيلْ بِجرُوحٍ مُتُّسْعَهْ أَوْ وَجْدَ مَنْ حَرَّرَ السَّبْعَهْ عَلَى العِشْرِينْ
ولَعْنَةُ اللهِ عَلى مَنْ يَتْبَعْ التِّسْعَهْ

فاطرقت العجوز برأسها إلى الأرض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها إلى حسن وقالت : سبحان الله العظيم الشأن، إني بليت بك يا حسن فيا ليتني ما كنت عرفتك لأن المرأة التي وصفتها لي هي زوجتك بعينها فإني قد عرفتها بصفاتها وهي بنت الملك الأكبر الكبيرة التي يحكم على جزائر واق بأسرها . فافتح عينيك وتدبر أمرك ، وإن كنت نائمًا فانتبه فإنه لا يمكنك الوصول إليها ابدًا ، وإن وصلت إليها لا تقدر على تحصيلها لأن بينك وبينها مثل ما بين السماء والأرض . فارجع يا ولدي من قريب ولا ترم نفسك في الهلاك وترميني معك فإني اظن انه ليس لك فيها نصيب ، وارجع من حيث أتيت لئلا تروح أرواحنا وخافت على نفسها وعليه . فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديدًا حتى غشي عليه . فما زالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى افاق من غشيته ، وصار يبكي حتى بلّ ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يئس من الحياة . ثم قال للعجوز : يا سيدتي ، وكيف أرجع بعد أن وصلت إلى هنا ؟ وما كنت اظن في نفسي أنك تعجزين عن تحصيل غرضي خصوصًا وأنت نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن . فقالت : بالله عليك يا ولدي ان تختار لك بنتاً من هؤلاء البنات وأنا أعطيك إياها عوضًا عن زوجتك لئلا تقع في يد الملوك فلا يبقى لي في خلاصك حيلة ، فبالله عليك ان تسمع مني وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع إلى بلادك من قريب سالمًا ولا تجرعني غصتك . والله رميت نفسك في بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر احد أن يخلّصك منه . فعند ذلك اطرق حسن رأسه وبكى بكاء شديدًا وانشد هذه الأبيات : [من الوافر]

فَقُلْتُ لِعُذَّلِي لا تَعْذِلُونِي لِغَيْرِ الدَّمْعِ ما خُلِقَتْ جُفُونِي
مَدامِعُ مُقْلَتِي طَفَحَتْ فَفاضَتْ عَلَى خَدِّي وأَحْبابِي جَفَوْنِي
دَعُونِي في الهَوَى قَدْ رَقَّ جِسْمِي لأَنِّي في الهَوَى أَهْوَى جُنُونِي
ويا أَحْبابُ قَدْ زادَ آشْتِياقِي إِلَيْكُمْ ما لَكُمْ لا تَرْحَمُونِي
جَفَوْتُمْ بَعْدَ مِيثاقٍ وَعَهْدٍ وخُنْتُمْ صُحْبَتِي وتَرَكْتُمُونِي
ويَوْمَ البَيْنِ لَمَّا قَدْ رَحَلْتُمْ سُقِيتُ مِنَ الصُّدُودِ شَرابُ هُوْنِ
فَيا قَلْبِي عَلَيْهِم ذُبْ غَرامًا وُجُودِي بالمَدامِعِ يا عُيُونِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 808

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما قالت لحسن : بالله يا ولدي أن تسمع مني كلامي وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع إلى بلادك من قريب سالمًا . فاطرق راسه وبكى بكاء شديدًا وانشد الأبيات المذكورة، فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فما زالت العجوز ترش الماء على وجهه حتى أفاق من غشيته ثم اقبلت عليه وقالت : يا سيدي، إرجع إلى بلادك فإني متى سافرت بك إلى المدينة راحت روحك وروحي، لأن الملكة إذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك إلى بلادها وجزائرها التي لم يصلها احد من أولاد بني آدم وتقتلني حيث حملتك معي واطلعتك على هذه الأبكار التي رايتهن في البحر مع أنه لم يمسّهن فحل ولم يقربهن بعل . فحلف حسن أنه ما نظر إليهن نظر سوء قط . فقالت له : يا ولدي، إرجع إلى بلادك وانا اعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغني به عن جميع النساء، فاسمع كلامي وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك . فلما سمع حسن كلامها بكى ومرّغ خديه على قدميها وقال : يا سيدتي ومولاتي وقرّة عيني، كيف أرجع بعد ما وصلت إلى هذا المكان ولا انظر من اريد؟ وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب ولعله أن يكون لي في الإجتماع نصيب . ثم انشد هذه الأبيات : [من الخفيف]

يا مُلُوكَ الجَمالِ رِفقاً بأَسْرَى ... لِجُفُونٍ تَمَلَّكَتْ مُلْكَ كِسْرَى
قَدْ غَلَبْتُمْ رَوائحَ المِسْكِ طَيْباً ... وبَهَرْتُمْ مَحاسِنَ الوَرْدِ زَهْرا
ونَسِيمُ النَّعِيمِ حَيْثُ حَلَلْتُمْ ... فالصَّبا مِنْ هُناكَ تَعْبَقُ نَشْرا
عاذِلي كُفَّ عَنْ مَلامِي ونُصْحِي ... إنَّما جِئْتَ بالنَّصِيحَةِ نُكْرا
ما عَلى صَبْوَتِي مِنَ العَذْلِ واللَّوْ ... مِ إذا لَمْ تُحِطْ بِذَلكَ خبْرا
أَسَرَتْنِي العُيُونُ وَهْيَ مِراضٌ ... ورَمَتْنِي في الحُبِّ عُنْفاً وقَهْرا
أَنْثُرُ الدَّمْعَ حِينَ أَنْظُمُ شِعْرِي ... هاكَ مِنِّي الحَدِيثَ نَظْمًا ونَثْرا
حُمْرَةُ الخَدِّ قَدْ أَذابَتْ فُؤَادِي ... فَتَلَظَّتْ مِنِّي الجَوارِحُ جَمْرا
خَبِّرانِي مَتَى تَرَكْتُ حَدِيثِي ... فَبِأَيِّ الحَدِيثِ أَشْرَحُ صَدْرا
طُولُ عُمْرِي في هَوَى الغِيدِ لكِنْ ... يُحْدِثُ اللهُ بَعْدَ ذَلكَ أَمْرا

فلما فرغ حسن من شعره رقّت له العجوز ورحمته واقبلت عليه وطيّبت خاطره وقالت له : طب نفساً وقر عينًا واخل فكرك من الهمّ، والله لأخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك أو تدركني منيتي . فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدّث مع العجوز إلى آخر النهار . فلما أقبل الليل تفرّقت البنات كلهن، فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام . ثم إن العجوز اخذت حسناً معها ودخلت به البلد فاخلت له مكانًا وحده لئلا يطلع عليه أحد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من أتى به . ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوّفه من سطوة الملك الأكبر أبي زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول : يا سيدتي، قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا إن لم اجتمع بزوجتي وأولادي فأنا اخاطر بروحي، إما ان أبلغ مرادي وإما ان أموت .

فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصاله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في أمر هذا المسكين الذي رمى روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا نفسه. وصاحب المثل يقول: العاشق لا يسمع كلام خليّ. وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى، وكان لهذه الملكة سبع اخوات بنات ابكار مقيمات عند أبيهن الملك الأكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر وأقطار واق، وكان تخت ذلك الملك في المدينة التي هي أكبر مدن ذلك البر. وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلى سائر أقطارها. ثم إن العجوز لما رأت حسناً محترقاً على الإجتماع بزوجته وأولاده، قامت وتوجهت إلى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبّلت الأرض بين يديها، وكان للعجوز فضل عليها لأنها ربّت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة، وهي مكرّمة عندهم عزيزة عند الملك. فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها وأجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها فقالت لها: والله يا سيدتي إنها كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معي هدية سأحضرها بين يديك. ثم قالت لها: يا بنتي، يا ملكة العصر والزمان، إني قد أتيت معي بشيء عجيب وأريد أن أطلعك عليه لأجل أن تساعديني على قضاء حاجته. فقالت لها: وما هو؟ فأخبرتها بحكاية حسن من أولها إلى آخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك وقالت لها: يا سيدتي، قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفياً تحت الدكة فأجرته وأتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه احد وأدخلته البلد. ثم قالت لها: وقد خوّفته من سطوتك وعرّفته بباسك وقوّتك، وكلما أخوّفه يبكي وينشد الأشعار ويقول لي: لا بد من زوجتي وأولادي أو أموت ولا أرجع إلى بلادي من غيرهم. وقد خاطر بنفسه وجاء إلى جزائر واق ولم أر عمري آدمياً أقوى قلباً منه ولا أشد بأساً، إلا أن الهوى قد تمكّن منه غاية التمكّن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 809

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها: ما رأيت أقوى قلباً منه إلا أن الهوى قد تمكّن منه غاية التمكّن. فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن، غضبت غضباً شديداً وأطرقت رأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى العجوز وقالت لها: يا عجوز النحس، هل بلغ من خبثك أنك تحملين الذكور وتأتين بهم معك إلى جزائر واق وتدخلين بهم عليّ ولم تخافي من سطوتي؟ وحق رأس الملك لولا ما لك عليّ من التربية لقتلتك أنت وإياه في هذه الساعة أقبح قتلة حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل أحد مثل ما فعلت من هذه الفعلة العظيمة التي لم يقدر أحد عليها، ولكن أخرجي واحضريه في هذه الساعة حتى أنظره. فخرجت العجوز من بين يديها وهي مدهوشة لا تدري أين تذهب وتقول: كل هذه المصيبة ساقها الله لي من هذه الملكة على يد حسن ومضت إلى أن دخلت على حسن فقالت له: قم كلّم الملكة يا من آخر عمره قد دنا. فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ويقول: اللهم الطف بي في قضائك وخلّصني من بلائك. فسارت به حتى أوقفته بين يدي الملكة نور الهدى وأوصته العجوز في

الطريق بما يتكلم به معها . فلما تمثّل بين يدي نور الهدى رآها ضاربة لثاماً ، فقبّل الارض بين يديها وسلّم عليها وانشد هذين البيتين : [من الوافر]

أَدامَ اللهُ عِزَّكَ في سُرُورٍ وخَوَّلَكَ الإلهُ بما حَباكَ
وزادَكَ ربُّنا عِزاً ومَجْداً وأَيَّدَكَ القَديرُ عَلى عِداكَ

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة إلى العجوز ان تخاطبه قدّامها لتسمع مجاوبته . فقالت العجوز : إن الملكة ترد عليك السلام وتقول لك : ما اسمك ؟ ومن أي البلاد انت ؟ وما اسم زوجتك وأولادك الذين جئت من اجلهم ؟ وما اسم بلادك ؟ فقال لها وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير : يا ملكة العصر والآوان ووحيدة الدهر والزمان ، أما انا فاسمي حسن الكثير الحزن وبلدي البصرة ، وأما زوجتي فما أعرف لها اسماً ، وأما اسم أولادي فواحد إسمه ناصر والآخر إسمه منصور . فلما سمعت الملكة كلامه وحديثه قالت : فمن اين اخذت اولادها ؟ فقال لها : يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة . فقالت له : وهل قالت لكم شيئًا عندما طارت ؟ قال : إنها قالت لوالدتي : إذا جاء ولدك وطالت عليه ايام الفراق واشتهى القرب والتلاقي وهزّته رياح الإشتياق فليجئني إلى جزائر واق . فحرّكت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له : إنها لو كانت ما تريدك ما قالت لأمك هذا الكلام ، ولولا انها تريدك وتشتهي قربك ما كانت اعلمتك بمكانها و لا طلبتك إلى بلادها . فقال حسن : يا سيدة الملوك والحاكمة على كل ملك وصعلوك ، الذي جرى أخبرتك به ولا أخفيت منه شيئًا ، وانا استجير بالله وبك ان لا تظلميني ، فارحميني واربحي أجري وثوابي وساعديني على الإجتماع بزوجتي وأولادي وردّي لهفتي وقرّة عيني بأولادي واسعفيني برؤيتهم . ثم بكى وحنّ واشتكى وأنشد هذين البيتين : [من البسيط]

لأشْكُرَنَّكَ ما ناحَتْ مُطَوَّقَةٌ جَهْدِي وإنْ كُنْتُ لا أَقْضِي الَّذي وَجَبا
فَما تَقَلَّبْتُ في نَعْماءَ سابِقَةٍ إلاَّ وَجَدْتُكَ فِيها الأَصْلَ والسَّبَبا

فاطرقت الملكة نور الهدى رأسها إلى الأرض وحرّكته زماناً طويلاً ثم رفعته وقالت له : قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت على ان اعرض عليك كل بنت في المدينة وفي بلاد جزيرتي ، فإن عرفت زوجتك سلّمتها إليك وإن لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز . فقال لها حسن : قبلت ذلك منك يا ملكة الزمان . ثم أنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

أَقَمْتُمْ غَرامِي في الهَوا وَقَعَدْتُمُ وأَسْهَرْتُمُوْ جَفْنِي القَرِيحَ ونِمْتُمُ
وعاهَدْتُمُونِي أَنَّكُمْ لَنْ تُماطِلُوا فَلَمَّا أَخَذْتُمْ بالقِيادِ غَدَرْتُمُ
عَشِقْتُكُمُ طِفْلاً ولَمْ أَدْرِ ما الهَوَى فَلا تَقْتُلُونِي إنَّنِي مُتَظَلِّمُ
أَمَا تَتَّقُونَ اللهَ في قَتْلِ عاشِقٍ يَبِيتُ يُراعِي النَّجْمَ والنَّاسُ نُوَّمُ
فَبِاللهِ يا قَوْمِي إذا مِتُّ فَاكْتُبُوا عَلَى لَوْحِ قَبْرِي : إنَّ هَذا مُتَيَّمُ
لَعَلَّ فَتًى مِثْلِي أَضَرَّ بِهِ الهَوَى إذا ما رَأَى قَبْرِي عَلَيَّ يُسَلِّمُ

فلما فرغ من شعره قال : رضيت بالشرط الذي شرطته ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم . فعند ذلك أمرت الملكة نور الهدى ان لا تبقى بنت في المدينة حتى تطلع القصر وتمر امامه . ثم إن

الملكة أمرت العجوز شواهي أن تنزل بنفسها إلى المدينة وتحضر كل بنت كانت في المدينة إلى الملكة في قصرها، وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق في المدينة بنت إلا وقد عرضتها على حسن فلم يرَ زوجته فيهن. فسألته الملكة وقالت له: هل رأيتها في هؤلاء؟ فقال لها: وحياتك يا ملكة ما هي فيهن. فاشتدّ غضب الملكة عليه وقالت للعجوز: ادخلي واخرجي كل من كان في القصر واعرضيه عليه. فلما عرضت عليه كل من في القصر لم يرَ زوجته فيهن وقال للملكة: وحياة رأسك يا ملكة ما هي فيهن. فغضبت وصرخت على من حولها وقالت: خذوه واسحبوه على وجهه فوق الأرض واضربوا عنقه لئلا يخاطر بنفسه أحد بعده ويطّلع على حالنا ويجوز علينا في بلادنا ويطأ أرضنا وجزائرنا. فسحبوه على وجهه وطرحوا ذيله فوقه وغمّضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الإذن. فعند ذلك تقدّمت شواهي إلى الملكة وقبّلت الأرض بين يديها ومسكت ذيلها ورفعته فوق رأسها وقالت لها: يا ملكة، بحق التربية لا تعجلي عليه خصوصاً وأنت تعرفين أن هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه وقاسى أموراً ما قاساها أحد قبله ونجّاه الله عزّ وجل من الموت لطول عمره، وقد سمع بعدلك فدخل بلادك وحماك. فإن قتلته تنتشر الأخبار عنك مع المسافرين بأنك تبغضين الأغراب وتقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك ومقتول سيفك إن لم تظهر زوجته في بلدك، وأي وقت تشتهين حضوره فأنا قادرة على ردّه إليك، وأيضاً فأنا ما أجرته إلا طمعاً في كرمك بسبب ما لي عليك من التربية حتى ضمنت له أنك توصلينه إلى بغيته لعلمي بعدلك وشفقتك. ولولا أني أعلم منك هذا ما كنت أدخلته بلدك. وقلت في نفسي: إن الملكة تتفرّج عليه وعلى ما يقوله من الأشعار والكلام المليح الفصيح الذي يشبه الدر المنظوم، وهذا قد دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب حقّه علينا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 810

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملكة نور الهدى لما أمرت غلمانها بأخذ حسن وضرب عنقه، صارت العجوز تأخذ بخاطرها وتقول لها: إنه دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب حقّه علينا خصوصاً وقد وعدته بالإجتماع بك، وأنت تعرفين أن الفراق صعب وتعرفين أن الفراق قتّال خصوصاً فراق الأولاد، وما بقي علينا من النساء واحدة إلا أنت فاريه وجهك. فتبسّمت الملكة وقالت: من أين له أن يكون زوجي وخلّف مني أولاداً حتى أريه وجهي. ثم أمرت بحضوره فأدخلوه عليها وأوقفوه بين يديها وكشفت وجهها، فلما رآه حسن صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه، فلم تزل العجوز تلاطفه حتى أفاق. فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات: [من الرمل]

يا نَسِيمًا هَبَّ مِنْ أَرْضِ العِراقْ	في زَوايا أَرْضِ مَنْ قَدْ قالَ واقْ
بَلِّغْ الأَحْبابَ عَنِّي أَنَّـنِي	مِتُّ مِنْ طَعْمِ الهَوَى المُرِّ المَذاقْ
يا أُهَيْلَ الحُبِّ مُنُّوا وَاعْطِفُوا	ذابَ قَلْبِي مِنْ تَبارِيحِ الفِراقْ

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصر أن يسقط على من فيه ثم وقع مغشياً عليه. فما زالت العجوز تلاطفه حتى أفاق وسألته عن حالته فقال: إن هذه

الملكة إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 811

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما سألته عن حاله قال لها : إن هذه الملكة إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي . فقالت الملكة للعجوز : ويلك يا داية ، إن هذا الغريب مجنون أو مختل لأنه ينظر في وجهي ويحملق عينيه . فقالت لها العجوز : يا ملكة ، إن هذا معذور فلا تؤاخذيه ، فإنه يقال في المثل : مريض الهوى ما له دواء وهو والمجنون سواء . ثم إن حسناً بكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين : [من الوافر]

أَرَى آثارَهُمْ فأذُوبُ شَوْقًا وأَسْكُبُ في مَواطِنِهِمْ دُمُوعِي
وأَسْأَلُ مَنْ بِفُرْقَتِهِمْ بَلانِي يَمُنُّ عَلَيَّ مِنْهُمْ بالرُّجُوعِ

ثم إن حسناً قال للملكة : والله ما انت زوجتي ولكنك أشبه النّاس بها . فضحكت الملكة نور الهدى حتى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت : يا حبيبي تمهّل على روحك وميزني وجاوبني عن الذي أسالك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول فإنه قد قرب لك الفرج . فقال حسن : يا سيدة الملوك وملجأ كل غني ، إني حين نظرتك جننت لأنك إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي ، فاسأليني الآن عمّا تريدين . فقالت : اي شيء في زوجتك يشبهني ؟ فقال : يا سيدتي ، جميع ما فيك من الحسن والجمال والظرف والدلال ، كاعتدال قوامك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك يشبهها . ثم إن الملكة التفتت إلى شواهي أم الدواهي وقالت لها : يا أمي ، ارجعيه إلى موضعه الذي كان فيه عندك واخدميه انت بنفسك حتى أتفحص عن أمره ، فإن كان هذا الرجل صاحب مروءة بحيث يحفظ الرفق والصحبة والودّ وجب علينا مساعدته على قضاء حاجته خصوصاً وقد نزل أرضنا وأكل طعامنا مع ما تحمّله من مشقات الأسفار ومكابدة أهوال الأخطار . ولكن إذا أوصلته إلى بيتك فاوصي عليه اتباعك وارجعي إليّ بسرعة وإن شاء الله تعالى لا يكون إلا خير . فعند ذلك خرجت العجوز وأخذت حسناً ومضت به إلى منزلها وأمرت جواريها وخدمها وحشمها بخدمته وأمرتهم أن يحضروا له جميع ما يحتاج إليه وان لا يقصّروا في حقّه ثم عادت إلى الملكة بسرعة . فأمرتها ان تحمل سلاحها وتأخذ معها الألف فارس من الشجعان . فامتثلت العجوز شواهي أمرها ولبست درعها وأحضرت الألف فارس . ولما وقفت بين يديها وأخبرتها بإحضار الألف فارس ، أمرتها ان تسير إلى مدينة الملك الأكبر أبيها وتنزل عند بنته منار السنا أختها وتقول لها : ألبسي ولديك الدرعين اللذين عملتهما لهما وارسليهما إلى خالتهما فإنها مشتاقة إليهما . وقالت لها : أوصيك يا أمي بكتمان أمر حسن ، فإذا أخذتهما قولي لها : إن أختك تستدعيك إلى زيارتها . فإذا أعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة ، فاحضري بهما سريعاً وخلّيها تحضر على مهلها وتعالي من طريق غير الطريق التي تجيء منها ويكون سفرك ليلاً ونهاراً ، واحذري أن يطلع على هذا الأمر احد أبداً . ثم إني أحلف بجميع الأقسام إن طلعت أختي زوجته وظهر ان ولديها ولداه لا أمنعه من أخذها ولا من سفرها معه بأولادها . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 812

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة قالت : إني أحلف بالله واقسم جميع الأقسام أنها إن طلعت زوجته لا امنعه من اخذها ، بل اساعده على اخذها وعلى سفرها معه إلى بلاده . فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما اضمرته في نفسها . وقد أضمرت العاهرة في نفسها أنها إن لم تكن زوجته ولا أولادها يشبهونه تقتله . ثم إن الملكة قالت للعجوز : يا امي ، إن صدق حذري تكون زوجته اختي منار السنا والله أعلم ، فإن هذه الصفات صفاتها وجميع الأوصاف التي ذكرها من الجمال البارع والحسن الباهر لا يوجد في أحد غير اخواتي خصوصاً الصغيرة . ثم إن العجوز قبّلت يدها ورجعت إلى حسن وأعلمته بما قالته الملكة ، فطار عقله من الفرح وقام إلى العجوز وقبّل رأسها . فقالت له : يا ولدي ، لا تقبّل راسي وقبّلني في فمي واجعل هذه القبلة حلاوة السلامة ، وطب نفساً وقرّ عيناً ولا يكن صدرك إلا منشرحاً ولا تستكره تقبيلي في فمي فإني انا السبب في اجتماعك بها ، فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن إلا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودّعته وانصرفت . فأنشد حسن هذين البيتين :
[من الكامل]

لي في مَحَبَّتِكُمْ شُهُودٌ أَرْبَعُ ... وشُهُودُ كُلِّ قَضِيَّةٍ ٱثْنانِ
خَفَقانُ قَلْبِي وٱضْطِرابُ جَوارِحِي ... ونُحُولُ جِسْمِي وٱنْعِقادُ لِسَانِي

ثم انشد ايضاً هذين البيتين : [من الكامل]

شَيْئانِ لَوْ بَكَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِما ... عَيْناي حَتَّى يُؤْذِنا بِذَهابِ
لَمْ يَقْضِيا المِعْشارَ مِنْ حَقَيْهِما : ... شَرْخُ الشَّبابِ وفُرْقَةُ الأَحْبابِ

ثم إن العجوز حملت سلاحها واخذت معها الف فارس حاملين السلاح وتوجهت إلى تلك الجزيرة التي فيها أخت الملكة . وسارت إلى ان وصلت إلى اخت الملكة ، وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة أختها ثلاثة أيام . فلما وصلت شواهي إلى المدينة وطلعت إلى أخت الملكة منار السنا ، سلّمت عليها وبلّغتها السلام من أختها نور الهدى وأخبرتها باشتياقها إليها وإلى أولادها وعرّفتها ان الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها إياها . فقالت لها الملكة منار السنا : الحق عليّ لأختي وأنا مقصّرة بعدم زيارتي لها ولكن أزورها الآن . ثم أمرت بتبريز خيامها إلى خارج المدينة وأخذت لأختها معها ما يصلح لها من الهدية والتحف . ثم إن الملك اباها نظر من طيقان القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له : إن الملكة منار السنا نصبت خيامها بتلك الطريق لأنها تريد زيارة أختها نور الهدى . فلما سمع الملك بذلك جهّز لها عسكراً يوصلها إلى أختها وأخرج من خزائنه من الأموال ومن المآكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف . وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من اب واحد وأم واحدة إلا الصغيرة . وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السنا وهي الصغيرة فيهن وهي زوجة حسن ، وكانت أختهن من أبيهن فقط . ثم إن العجوز قدّمت وقبّلت الأرض بين يدي منار السنا فقالت لها منار السنا : هل لك حاجة يا أمي ؟ فقالت لها : إن الملكة نور الهدى اختك تامرك ان تغيّري

على ولديك وتلبسيهما الدرعين اللذين فصلتهما لهما وأن ترسليهما معي إليها فآخذهما وأسبق بهما وأكون المبشرة بقدومك عليها. فلما سمعت منار السنا كلام العجوز أطرقت رأسها إلى الأرض وقد تغيّر لونها ولم تزل مطرقة زماناً طويلاً، ثم حرّكت رأسها ورفعتها إلى العجوز وقالت لها: يا أمي، قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عندما ذكرت أولادي فإنهم من حين ولادتهم لم ينظر أحد وجوههم من الجن والبشر لا أنثى ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم إذا سرى. فقالت لها العجوز: أي شيء هذا الكلام يا سيدتي؟ أتخافين عليهم من أختك؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 813

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما قالت للسيدة منار السنا: أي شيء هذا الكلام يا سيدتي؟ أتخافين عليهم من أختك؟ سلامة عقلك، وإن خالفت الملكة في هذا الأمر لا يمكنك المخالفة فإنها تعتب عليك. ولكن يا سيدتي أولادك صغار وأنت معذورة في الخوف عليهم والمحب مولع بسوء الظن، ولكن يا بنتي أنت تعلمين شفقتي ومحبتي لك ولأولادك وقد ربيتكم قبلهم، وأنا أتسلّمهم وآخذهم وأفرش لهم خدي وأفتح قلبي وأجعلهم في داخله ولا أحتاج إلى الوصية عليهم في مثل هذا الأمر. فطيبي نفساً وقرّي عيناً وارسليهم لها، وأكثر ما أسبقك به يوم واحد أو يومان. ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبأ لها في الغيب فسمحت بإرسالهم مع العجوز. ثم إنها دعت بهم وحمّتهم وهيّأتهم وغيّرت عليهم والبستهم الدرعين وسلّمتهم للعجوز، فأخذتهم وسارت بهم مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها أمهم مثل ما أوصتها الملكة نور الهدى. ولم تزل تجدّ في السير وهي خائفة عليهم إلى أن وصلت بهم إلى مدينة الملكة نور الهدى، فعدّت بهم البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهم إلى الملكة نور الهدى خالتهم. فلما رأتهم الملكة فرحت بهم وعانقتهم وضمّتهم إلى صدرها وأجلست واحداً على فخذها الأيمن والثاني على فخذها الأيسر ثم التفتت إلى العجوز وقالت لها: احضري الآن حسناً فأنا قد أعطيته زمامي وأجرته من حسامي وقد تحصّن بداري ونزل في جواري بعد أن قاسى الأهوال والشدائد وتعدّى أسباب الموت التي همّها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كأسه وقطع أنفاسه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 814

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز بإحضار حسن قالت لها: إنه قاسى الأهوال والشدائد وتعدّى أسباب الموت التي همّها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كأسه وقطع أنفاسه. فقالت لها العجوز: إذا أحضرته بين يديك هل تجمعين بينه وبينهم؟ وإن لم يظهر أنهم أولاده تعفي عنه وتردّيه إلى بلاده؟ فلما سمعت الملكة كلامها غضبت غضباً شديداً وقالت: ويلك يا عجوز النحس، إلى متى هذه المخادعة في شأن هذا الرجل الغريب الذي تجاسر علينا وكشف سترنا واطّلع على أحوالنا؟ هل يظن أنه يجيء أرضنا وينظر وجوهنا ويوسّخ أعراضنا ويرجع إلى بلاده سالماً؟ فيفضح أحوالنا في بلاده وبين أهله وتبلغ أخبارنا سائر الملوك في أقطار الأرض وتسافر التجار بأخبارنا في

جميع الجهات ويقولون : إنسيّ دخل جزائر واق وعدّى بلاد السحرة والكهنة وتخطّى ارض الجان وأرض الوحوش والطيور ورجع سالماً؟ فهذا لا يكون ابداً، وانا اقسم بخالق السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها إن لم يكونوا اولاده لأقتلنّه وانا الذي اضرب عنقه بيدي . ثم إنها صرخت على العجوز فوقعت من الخوف واغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكاً وقالت لهم : امضوا مع هذه العجوز وآتوني بالصبي الذي عندها في بيتها بسرعة . فخرجت العجوز مجرورة مع الحاجب والمماليك وقد اصفرّ لونها وارتعدت فرائصها، ثم سارت إلى منزلها ودخلت على حسن . فلما دخلت عليه قام إليها وقبّل يديها وسلّم علَيها فلم تسلّم عليه وقالت له : قم كلّم الملكة، اما قلت لك إرجع إلى بلادك ونهيتك عن هذا كله؟ فما سمعت قولي . وقلت لك : أعطيك شيئًا لا يقدر عليه أحد وارجع إلى بلادك من قريب؟ فما اطعتني ولا سمعت مني بل خالفتني واخترت الهلاك لي ولك . فلونك وما اخترت فإن الموت قريب، قم كلّم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة . فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول : يا سلام سلّم، اللهم الطف بي فيما قدّرته عليّ من بلائك واسترني يا أرحم الراحمين . وقد يئس من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكاً والحاجب والعجوز، فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصراً ومنصوراً جالسين في حجرها وهي تلاعبهما وتؤنسهما . فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشياً عليه من شدّة الفرح بولديه . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 815

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان حسناً لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشيًا عليه . فلما افاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلّصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وانطقهما الله عز وجل بقولهما : يا أبانا . فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا : الحمد لله الذي جمع شملكما بأبيكما . فلما افاق حسن من غشيته عانق اولاده ثم بكى حتى غشي عليه . فلما افاق من غشيته انشد هذه الأبيات : [من لبسيط]

وحَقِّكُمْ إنَّ قَلْبِي لَمْ يُطِقْ جَلَدَ ... عَلَى الفِراقِ ولَوْ كانَ الوِصالُ رَدَى
يَقُولُ لِي طَيْفُكُمْ إنَّ اللِّقاءَ غَدا ... وهَلْ أَعِيشُ عَلَى رَغْمِ العِداةِ غَدَا
وحَقِّكُم يا سادَتِي مِنْ يَوْمِ فُرْقَتِكُمْ ... ما لَذَّ لِي طِيبُ عَيْشٍ بَعْدَكُمْ أَبَدا
وإنْ قَضَى اللهُ نَحْبِي في مَحَبَّتِكُمْ ... أَمُوتُ فِي حُبِّكُمْ مِن أَعْظَمِ الشُّهَدَا
وظَبْيَةٍ في زَوايا القَلْبِ مَرْتَعُها ... وشَخْصُها كالكَرَى عَنْ مُقْلَتِي شَرَدَا
إنْ أَنْكَرَتْ فِي مَجالِ الشَّرْعِ سَفْكَ دَمِي ... فإنَّهُ فَوْقَ خَدَّيْها لَقَدْ شَهِدَا

فلما تحقّقت الملكة ان الصغار اولاد حسن وإن اختها السيدة منار السنا زوجته التي جاء في طلبها، غضبت عليها غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 816

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان الملكة نور الهدى لما تحقّقت ان الصغار أولاد حسن وأن أختها منار السنا زوجته الذي جاء في طلبها، غضبت عليها غضباً شديداً ما عليه من مزيد وصرخت في وجه حسن فغشي عليه. فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

[من الطويل]

بَعُدْتُمْ وأَنْتُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ في الحَشَى ... وغِبْتُمْ وأَنْتُمْ في الفُؤَادِ حُضُورُ
فَواللهِ ما قَدْ مِلْتُ عَنْكُمْ لِغَيْرِكُمْ ... وإنِّي عَلَى جَوْرِ الزَّمانِ صَبُورُ
تَمُرُّ اللَّيالي في هَواكُمْ وتَنْقَضِي ... وفي القَلْبِ مِنِّي زَفْرَةٌ وسَعِيرُ
وكُنْتُ فَتًى لا أَرْتَضِي البُعْدَ ساعَةً ... فَكَيْفَ وقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ شُهُورُ
أَغارُ إذا هَبَّتْ عَلَيْكِ نُسَيْمَةٌ ... وإنِّي عَلَى الغِيدِ المِلاحِ غَيُورُ

فلما فرغ حسن من شعره خرّ مغشياً عليه. فلما افاق رآهم قد اخرجوه مسحوباً على وجهه، فقام يمشي ويتعثّر في اذياله وهو لم يصدق بالنجاة مما قاساه منها. فعزّ ذلك على العجوز شواهي ولم تقدر ان تخاطب الملكة في شأنه من قوّة غضبها. فلما خرج حسن من القصر صار متحيّراً لا يعرف اين يروح ولا اين يجيء ولا اين يذهب، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد من يحدّثه ويؤانسه ولا من يسلّيه ولا من يستشيره ولا من يقصده ويلجأ إليه، فأيقن بالهلاك لأنه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر ان يجوز على وادي الجان وأرض الوحوش وجزائر الطيور. فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه، فلما افاق تفكر أولاده وزوجته وقدومها على اختها وتفكر فيما يجري لها مع الملكة اختها. ثم ندم على حضوره في هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام احد فانشد هذه الأبيات: [من الطويل]

دَعُوا مُقْلَتِي تَبْكِي عَلى فَقْدِ مَنْ أَهْوَى ... فَقَدْ عَزَّ سُلْوانِي وزادَتْ بِيَ البَلْوَى
فَكاسَ صُرُوفِ البَيْنِ صِرْفاً شَرِبْتُها ... فَمَنْ ذا عَلَى فَقْدِ الأَحِبَّةِ قَدْ يَقْوَى
بَسَطْتُمْ بِساطَ العَتْبِ بَيْني وبَيْنَكُمْ ... الا يا بِساطَ العَتْبِ عَنّا مَتى تُطْوَى
سَهِرْتُ ونِمْتُمْ إذ زَعَمْتُمْ بأَنَّنِي ... سَلَوْتُ هَواكُمْ إذْ سَلَوْتُ عَنِ السَّلْوَى
أَلا إنَّ قَلْبِي مُولَعٌ بِوَصالِكُمْ ... وأَنْتُمْ أَطِبَّائِي حُفِظْتُمْ مِنَ الأَدْوا
أَلَمْ تَنْظُرُوا ما حَلَّ بي مِنْ صُدُودِكُمْ ... ذَلَلْتُ لِمَنْ يَسْوَى ومَنْ لَمْ يَكُنْ يَسْوَى
كَتَمْتُ هَواكُمْ والغَرامُ يُذِيعُهُ ... وقَلْبِي بِنيرانِ الهَوَى أَبَدًا يُكْوَى
فَرِقُّوا لحالي وارْحَمُوني لأَنَّنِي ... أَ قَمْتُ عَلَى المِيثاقِ في السِّرِّ والنَّجْوَى
فَيا هَلْ تُرَى الأَيّامُ تَجْمَعُنِي بِكُمْ ... فَأَنْتُم مُنَى قَلْبِي ورُوحِي لَكُمْ تَهْوَى
فُؤَادِي جَرِيحٌ بالفِراقِ فَلَيْتَكُمْ ... تُفِيدُونَنا عَنْ حُبِّكُمْ خَبَرًا يُرْوَى

ثم إنه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهباً إلى ان خرج إلى ظاهر المدينة فوجد النهر، فسار على جانبه وهو لا يعلم اين يتوجه. هذا ما كان من امر حسن. وأما ما كان من امر زوجته منار السنا فإنها أرادت الرحيل في اليوم الثاني بعد اليوم الذي رحلت فيه العجوز. فبينما هي عازمة على

الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبّل الأرض بين يديها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 817

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن منار السنا بينما هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبّل الأرض بين يديها وقال لها : يا ملكة ، إن أباك الملك الأكبر يسلّم عليك ويدعوك إليه . فنهضت متوجهة مع الحاجب إلى أبيها تنظر حاجته ، فلما رآها أبوها أجلسها إلى جانبه فوق السرير وقال لها : يا بنتي ، إعلمي أني رأيت في هذه الليلة رؤيا وأنا خائف عليك منها وخائف أن يصل لك من سفرك هذا هم طويل . فقالت له : لأي شيء يا أبتي ؟ وأي شيء رأيت في المنام ؟ قال : رأيت كأني دخلت كنزاً فرأيت فيه أموالاً عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكأنه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها إلا سبع حبّات وهن أحسن ما فيه . فاخترت من السبع جواهر واحدة وهي أصغرها وأحسنها وأعظمها نوراً وكأني أخذتها في كفّي لما أعجبني حسنها وخرجت بها من الكنز ، فلما خرجت من بابه فتحت يدي وأنا فرحان وقلبت الجوهرة وإذا بطائر غريب قد أقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد انقضّ عليّ من السماء وخطف الجوهرة من يدي ورجع بها إلى المكان الذي أتيت بها منه . فلحقني الهمّ والحزن والضيق وفزعت فزعاً عظيماً أيقظني من المنام ، فانتبهت وأنا حزين متأسّف على تلك الجوهرة . فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامي فقالوا لي : إن لك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهراً بغير رضاك . وأنت يا بنتي أصغر بناتي وأعزهن عندي وأكرمهن عليّ ، وها أنت مسافرة إلى أختك ولا أعلم ما يجري عليك منها فلا تروحي وارجعي إلى قصرك . فلما سمعت منار السنا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على أولادها وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعته إلى أبيها وقالت له : أيها الملك ، إن الملكة نور الهدى قد هيّأت لي ضيافة وهي في انتظار قدومي عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع سنين ما رأتني ، وإن قعدت عن زيارتها تغضب عليّ ، ومعظم قعودي عندها شهر زمان وأحضر عندك . ومن هذا الذي يطرق بلادنا ويصل إلى جزائر واق ؟ ومن يقدر أن يصل إلى الأرض البيضاء والجبل الأسود ويصل إلى جزيرة الكافور وقلعة الطيور ؟ وكيف يقطع وادي الطيور ثم وادي الوحوش ثم وادي الجان ثم يدخل جزائرنا ؟ ولو دخل إليها غريب لغرق في بحار الهلكات ، فطب نفساً وقرّ عيناً من شأن سفري فإنه لا قدرة لأحد على أن يدوس أرضنا . ولم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 818

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير ، ثم إنه أمر ألف فارس أن يسافروا معها ليوصلوها إلى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل إلى مدينة أختها فتدخل قصر أختها ، وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها ويحضروا بها إلى أبيها . وأوصاها أبوها أن تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم إنها نهضت وخرجت وخرج معها أبوها وودّعها وقد أثّر كلام أبيها

في قلبها فخافت على أولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر . فجدّت في السير ثلاثة أيام بلياليها حتى وصلت إلى النهر وضربت خيامها على ساحله، ثم عدّت النهر ومعها بعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها . ولمّا وصلت إلى مدينة الملكة نور الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت أولادها يبكون عندها ويصيحون : يا أبانا ! فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمّت أولادها إلى صدرها وقالت لهم : هل رأيتم أباكم ؟ فلا كانت الساعة التي فارقته فيها، ولو عرفت أنه في دار الدنيا لكنت وصلتكم إليه . ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء أولادها وأنشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

أَأَحْبابَنا إِنّي عَلى البُعْدِ والجَفَا ... أَحِنُّ إِلَيْكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ وأَعْطِفُ
وطَرْفِي إِلى أَوْطانِكُمْ مُتَلَفِّتٌ ... وقَلْبِي عَلى أَيّامِكُمْ مُتَلَهِّفُ
وكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنا عَلى غَيْرِ رِيبَةٍ ... مُحِبَّيْنِ يُهْنِينا الوَفَى والتَّلَطُّفُ

فلما رأتها أختها قد ضمّت أولادها وقالت : أنا التي فعلت بنفسي وبأولادي هكذا وأخربت بيتي فلم تسلّم عليها أختها نور الهدى بل قالت لها : يا عاهرة، من أين لك هذه الأولاد ؟ هل تزوجت بغير علم أبيك أو زنيت ؟ فان كنت زنيت وجب تنكيلك وإن كنت تزوّجت من غير علمنا، فلأي شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرّقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا ؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 819 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملكة نور الهدى قالت لأختها نور السنا : وإن كنت تزوّجت من غير علمنا فلأي شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرّقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وقد أخفيت أولادك عنّا ؟ أتظنين أننا لا ندري بذلك، والله تعالى علام الغيوب قد أظهر لنا أمرك وكشف حالك وبيّن عوراتك . ثم بعد ذلك أمرت أعوانها أن يمسكوها فقبضوا عليها، فكتّفتها وقيّدتها بالقيود الحديد وضربتها ضرباً وجيعاً حتى شرحت جسدها وصلبتها من شعرها ووضعتها في سجن وكتبت كتاباً إلى الملك الأكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له : إنه قد ظهر في بلادنا رجل من الإنس وأختي نور السنا تدّعي أنها تزوّجته في الحلال وجاءت منه بولدين وقد أخفتهما عنّا وعنك ولم تظهر على نفسها شيئاً إلى أن أتانا ذلك الرجل الذي من الإنس وهو يسمّى حسناً وأخبرنا أنه تزوّج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم أخذت أولادها وراحت من غير علمه وأخبرت والدته عند رواحها وقالت لها : قولي لولدك إذا حصل له اشتياق أن يجيئني إلى جزائر واق . فقبضنا على الرجل عندنا وأرسلت إليها العجوز شواهي تحضرها عندي هي وأولادها فجهّزت نفسها وحضرت . وقد كنت أمرت العجوز أن تحضر لي أولادها أولاً فتسبق بهم إليّ قبل حضورها . فجاءت العجوز بالأولاد قبل حضورها، فأرسلت إلى الرجل الذي ادّعى أنها زوجته فلما دخل عليّ ورأى الأولاد عرفهم فتحققت أن الأولاد أولاده وأنها زوجته، وعلمت أن كلام الرجل صحيح ولم يكن عنده عيب ورأيت أن القبح والعيب عند أختي فخفت من هتك عرضنا عند أهل جزائرنا . فلما دخلت عليّ هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضرباً وجيعاً وصلبتها من شعرها .

وقد أعلمتك بخبرها والأمر أمرك فالذي تأمرنا به نفعله . وانت تعلم ان هذا الأمر فيه هتيكة لنا وعيب في حقنا وحقك وربما تسمع اهل الجزائر بذلك فنصبر بينهم مثله فينبغي ان ترد لنا جواباً سريعًا . ثم أعطت المكتوب للرسول وسار به إلى الملك . فاقرأه الملك الاكبر واغتاظ غيظًا شديدًا على ابنته منار السنا وكتب إلى ابنته نور الهدى مكتوباً يقول لها فيه : أنا قد فوّضت أمرها إليك وحكمتك في دمها ، فإن كان الأمر كما ذكرت فاقتليها ولا تشاوريني في أمرها . فلما وصل إليها كتاب أبيها وقرأته أرسلت إلى منار السنا واحضرتها بين يديها وهي غريقة في دمها مكتّفة بشعرها مقيّدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر ثم أوقفوها بين يدي الملكة فوقفت حقيرة ذليلة . فلما رأت نفسها في هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد ، تفكّرت ما كانت فيه من العز وبكت بكاء شديدًا وانشدت هذين البيتين : [من البسيط]

يا رَبِّ إنَّ العِدَى يَسْعَوْنَ في تَلَفِي ... ويَزْعُمُونَ بِأنّـي لَسْتُ بالنَّاجِي
وقَدْ رَجَوْتُكَ في إبْطالِ ما صَنَعُوا ... يا رَبِّ أَنْتَ مَلاذُ الخائِفِ الرَّاجِي

ثم بكت بكاء شديدًا حتى وقعت مغشياً عليها فلما افاقت انشدت هذين البيتين : [من الكامل]

أَلِفَ الحَوادِثَ مُهْجَتِي وأَلِفْتُها ... بَعْدَ التَّنافُرِ : والكَرِيمُ أَلُوفُ
لَيْسَ الهُمُومُ عَلَيَّ صِنْفًا واحِدًا ... عِنْدِي بِحَمْدِ اللهِ مِنْهُ أُلُوفُ

ثم انشدت أيضا هذين البيتين : [من الكامل]

ولَرُبَّ نازِلَةٍ يَضِيقُ بِها الفَتَى ... ذَرْعًا وعِنْدَ اللهِ مِنْها المَخْرَجُ
ضاقَتْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَتْ حَلَقاتُها ... فُرِجَتْ وكُنْتُ أَظُنُّها لا تُفْرَجُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 820 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة نور الهدى لما امرت بإحضار اختها الملكة منار السنا ، أوقفوها بين يديها وهي مكتفة فأنشدت الأشعار السابقة . ثم إن أختها أحضرت لها سلّماً من خشب ومدّتها عليه وامرت ان يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدّت سواعدها وربطتها في الحبال ، ثم كشفت راسها ولفّت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها . فلما رأت منار السنا نفسها في هذه الحالة من الذل والهوان صاحت وبكت فلم يغثها أحد . فقالت لها : يا أختي ، كيف قسا قلبك عليّ ؟ فما ترحميني ولا ترحمي هذه الأطفال الصغار ؟ فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشتمتها وقالت لها : يا عاشقة يا عاهرة ، لا رحم الله من يرحمك كيف أشفق عليك يا خائنة ؟ فقالت لها منار السنا وهي مشبوحة : احتسبت عليك برب السماء فيما تسبينني به وأنا بريئة منه ، والله ما زنيت وإنما تزوّجته في الحلال وربي يعلم هل قولي صحيح أم لا . وقلبي قد غضب عليك من شدّة قسوة قلبك عليّ ، فكيف ترمينني بالزنا من غير علم ؟ ولكن ربي يخلّصني منك . وإن كان الذي قذفتني به من الزنا حقاً فسيعاقبني الله عليه . فتفكّرت أختها في نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها : كيف تخاطبينني بهذا الكلام ؟ ثم قامت لها وضربتها حتى غشي عليها . فرشّوا على وجهها الماء حتى افاقت وقد تغيّرت محاسنها من شدّة الضرب ومن قوّة الرباط ومن فرط ما

حصل لها من الإهانة ثم أنشدت هذين البيتين :[من مجزوء الكامل]

وإذا جنَيْتُ جنايةً وأتَيْتُ شَيْئاً مُنْكَرا
أنا تائِبٌ عمّا مَضَى وأتَيْتُكُمْ مُسْتَغْفِرا

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضباً شديداً وقالت لها : أتتكلمين يا عاهرة قدّامي بالشعر وتستعذرين من الذي فعلته من الكبائر ؟ وكان مرادي أن ترجعي لزوجك حتى أشاهد فجورك وقوّة عينك لأنك تفتخرين بالذي وقع منك من الفجور والفحش والكبائر . ثم إنها أمرت الغلمان أن يحضروا لها الجريد فأحضروه . فقامت وشمّرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها إلى قدميها . ثم دعت بسوط مظفور لو ضرب به الفيل لهرول مسرعاً، فنزلت بذلك السوط على ظهرها وبطنها وجميع أعضائها حتى غشي عليها . فلما رأت العجوز شواهي ذلك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهي تبكي وتدعو عليها . فصاحت على الخدم وقالت لهم : ائتوني بها . فتجاروا عليها ومسكوها وأحضروها بين يديها ، فأمرت برميها على الأرض وقالت للجواري : اسحبوها على وجهها واخرجوها . فسحبوها وأخرجوها من بين يديها . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر حسن فإنه قام متجلّداً ومشى في شاطىء النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وصار مدهوشاً لا يعرف الليل من النهار لشدة ما أصابه . وما زال يمشي إلى أن قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلّقة ، فتناولها حسن بيده ونظرها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

دبَّرْتَ أمْرَكَ عِنْدَما كُنْتَ الجَنِينَ بِبَطْنِ أُمِّكْ
وعلَيْكَ قَدْ حَنَّنْتَها حَتَّى لَقَدْ جادَتْ بِضَمِّكْ
وأنا لَـكافِؤكَ الَّذي يأتِي بِهَمِّكَ أوْ بِغَمِّكْ
فَاضْرَعْ إلَيْنا ناهِضاً نَأخُذْ بِكَفِّكَ في مُهِمِّكْ

فلما فرغ من قراءة الورقة أيقن بالنجاة من الشدّة وظفره بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع قفر ذي خطر لا يجد فيه أحداً يستأنس به . فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

نَسِيمُ الصَّبا إنْ جُزْتَ أرْضَ أحِبَّتِي فَبَلِّغْهُمُ عَنِّي جَزِيلَ سَلامِي
وقُلْ لَهُمُ إنِّي رَهِينُ صَبَابَةٍ وإنَّ غَرامِي فَوْقَ كُلِّ غَرامِ
عَسَى عَطْفَةٌ مِنْهُمْ يَهُبُّ نَسِيمُها فَيَحْيا بِها صَبٌّ رَمِيمُ عِظامِ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 821

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما قرأ الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وتحقق الظفر بجمع الشمل . ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع ذي خطر ولم يكن عنده أحد يؤانسه ، فبكى بكاء شديداً وأنشد الأشعار التي ذكرناها . ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من أولاد السحرة والكهان وبين أيديهما

قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم ، وبجانب القضيب طاقية من الأدم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد أسماء وخواتم ، والقضيب والطاقية مرميان على الأرض والولدان يختصمان ويتضاربان عليهما حتى سال الدم بينهما . وهذا يقول : ما يأخذ القضيب إلا انا والآخر يقول : ما يأخذ القضيب إلا أنا . فدخل حسن بينهما وخلّصهما من بعضهما وقال لهما : ما سبب هذه المخاصمة ؟ فقالا له : يا عم ، احكم بيننا فإن الله تعالى ساقك إلينا لتقضي بيننا بالحق . فقال : قصّا عليّ حكايتكما وانا أحكم بينكما . فقالا له : نحن الإثنان اخوان شقيقان ، وكان أبونا من السحرة الكبار وكان مقيماً في مغارة في هذا الجبل ، ثم مات وخلّف لنا هذه الطاقية وهذا القضيب . وأخي يقول : ما يأخذ القضيب إلا أنا . وانا اقول : ما يأخذه إلا انا . فاحكم بيننا وخلّصنا من بعضنا . فلما سمع حسن كلامهما قال لهما : ما الفرق بين القضيب والطاقية ؟ وما مقدارهما ؟ فإن القضيب بحسب الظاهر يساوي ستة جدد والطاقية تساوي ثلاثة جدد . فقالا له : أنت ما تعرف فضلهما . فقال لهما : أي شيء فضلهما ؟ قالا له : في كل منهما سر عجيب ، وهو أن القضيب يساوي خراج جزائر واق بأقطارها والطاقية كذلك . فقال له حسن : يا ولدي ، بالله إكشف لي عن سرهما . فقال له : يا عم ، إن سرّهما عظيم لأن أبانا عاش مائة وخمسة وثلاثين سنة يعالج تدبيرهما حتى أحكمهما غاية الإحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما الإستخدامات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحلّ بهما جميع الطلسمات ، وعندما فرغ من تدبيرهما ادركه الموت الذي لا بد لكل احد منه . فأما الطاقية فإن سرّها أن كل من وضعها على رأسه اختفى عن أعين الناس جميعاً فلا ينظره احد ما دامت على رأسه . وأما القضيب فإن سرّه أن كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب . فكلّهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه وصار في يده إذا ضرب به الأرض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن في خدمته . فلما سمع حسن هذا الكلام اطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم قال في نفسه : والله إنني لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية إن شاء الله تعالى ، فأنا أحق بهما منهما . ففي هذه الساعة أتحيّل على أخذهما منهما لأستعين بهما على خلاصي وخلاص زوجتي وأولادي من هذه الملكة الظالمة ونسافر من هذا المكان المظلم الذي ما لأحد من الإنس خلاص منه ولا مفر ، ولعل الله ما ساقني لهذين الغلامين إلا لأستخلص منهما القضيب والطاقية . ثم رفع رأسه إلى الغلامين وقال لهما : إن شئتما فصل القضية فأنا أمتحنكما ، فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية . فإن امتحنتكما وميزت بينكما عرفت ما يستحقّه كل منكما . فقالا له : يا عم ، وكّلناك في امتحاننا والحكيم بيننا بما تختار . فقال لهما حسن : هل تسمعان مني وترجعان إلى قولي ؟ فقالا له : نعم . فقال لهما حسن : أنا آخذ حجراً وأرميه فمن سبق منكم إليه وأخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخّر ولم يلحقه يأخذ الطاقية . فقالا : قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به . ثم إن حسناً اخذ حجراً ورماه بعزمه فغاب عن العيون ، فتسارع الغلامان تحته . فلما بعدا أخذ حسن الطاقية ولبسها وأخذ القضيب في يده وانتقل من موضعه لينظر صحة قولهما في شأن سر أبيهما . فسبق الولد الصغير إلى الحجر وأخذه ورجع به إلى المكان الذي فيه حسن فلم يرَ له أثراً . فصاح على أخيه وقال له : أين الرجل الحاكم بيننا ؟ فقال : لا أراه ولم أعرف هل طلع إلى السماء العليا أو نزل إلى الأرض السفلى . ثم إنهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف في مكانه .

فشتما بعضهما وقالا : قد راح القضيب والطاقية لا لي ولا لك وكان أبونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكنّا نسينا ما أخبرنا به . ثم إنهما رجعا على أعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية وفي يده القضيب ولم يره أحد من الناس . ثم دخل القصر وطلع إلى الموضع الذي فيه شواهي ذات الدواهي فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ، ومشى حتى تقرّب من رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصيني فحرّكه بيده فوقع الذي فوقه على الأرض . فصاحت شواهي ذات الدواهي ولطمت على وجهها ثم قامت وأرجعت الذي وقع إلى مكانه وقالت في نفسها : والله ما أظن إلا أن الملكة نور الهدى أرسلت إليّ شيطاناً فعمل معي هذه العملة ، فأنا أسأل الله تعالى أن يخلّصني منها ويسلمني من غضبها . فيا رب إذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب مع أختها وهي عزيزة عند أبيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلي إذا غضبت عليه؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 822

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز ذات الدواهي لما قالت : إذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع أختها فكيف يكون حال الغريب معها إذا غضبت عليه؟ ثم قالت : أقسمت عليك أيها الشيطان بالحنان المنان العظيم الشأن القوي السلطان خالق الإنس والجان وبالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تكلّمني وتجيبني . فأجابها حسن وقال لها : ما أنا شيطان أنا حسن الولهان الهائم ثم الحيران . ثم قلع الطاقية من فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فأخذته واختلت به وقالت له : أي شيء حصل لك في عقلك حتى عبرت إلى هنا؟ رح اختف فإن هذه الفاجرة صنعت بزوجتك ما صنعت من العذاب وهي أختها فكيف إذا وقعت بك؟ ثم حكت له جميع ما وقع لزوجته وما هي فيه من الضيق والعقوبة والعذاب ، وكذلك حكت له ما وقع لها من العذاب . ثم قالت له : إن الملكة ندمت حيث أطلقتك وقد أرسلت إليك من يحضرك لها وتعطيه من الذهب قنطاراً وتجلّه في رتبتي عندها . وحلفت إن أرجعوك قتلتك وتقتل زوجتك وأولادك . ثم إن العجوز بكت وأظهرت لحسن ما فعلته الملكة بها . فبكى حسن وقال : يا سيدتي ، كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة الظالمة؟ وما الحيلة التي توصلني إلى أن أخلص زوجتي وأولادي ثم أرجع بهم إلى بلادي؟ فقالت له العجوز : ويلك ، انج بنفسك . فقال : لا بد لي من خلاصها وخلاص أولادي منها قهراً عنها . فقالت له العجوز : وكيف تخلّصهم قهراً عنها؟ رح واختف يا ولدي حتى يأذن الله تعالى . ثم إن حسنا أراها القضيب النحاس والطاقية ، فلما رأتهما العجوز فرحت بهما فرحاً شديداً وقالت له : سبحان من يحيي العظام وهي رميم ، والله يا ولدي ما كنت أنت وزوجتك إلا من الهالكين والآن يا ولدي قد نجوت أنت وزوجتك وأولادك لأني أعرف القضيب وأعرف صاحبه ، فإنه كان شيخي الذي علّمني السحر وكان ساحراً عظيماً مكث مائة وخمسة وثلاثين سنة حتى أتقن هذا القضيب وهذه الطاقية . فلما انتهى إتقانهما أدركه الموت الذي لا بد منه وسمعته يقول لولديه : يا ولديّ ، هذان ما هما من نصيبكما وإنما يأتي شخص غريب الديار يأخذهما منكما قهراً ولا تعرفان كيف يأخذهما . فقالا : يا أبانا ، عرّفنا كيف يصل إلى أخذهما؟ فقال : لا أعرف ذلك . فكيف وصلت يا ولدي لأخذهما؟ فحكى لها كيف أخذهما من الولدين .

فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له : يا ولدي ، كما ملكت زوجتك وأولادك إسمع مني ما أقول لك عليه : أنا ما بقي لي عند هذه الفاجرة إقامة بعد ما تجاسرت عليّ ونكلتني وأنا راحلة عنها إلى مغارة السحرة لأقيم عندهم وأعيش معهم إلى أن أموت . وأنت يا ولدي إلبس الطاقية وخذ القضيب في يدك وادخل على زوجتك وأولادك في المكان الذي هم فيه واضرب الأرض بالقضيب وقل : يا خدام هذه الأسماء . تطلع إليك خدامه ، فإن طلع لك أحد من رؤوس القبائل فأمره بما تريد وتختار . ثم إنه ودّعها وخرج ولبس الطاقية وأخذ القضيب معه ودخل المكان الذي فيه زوجته فرآها في حالة العدم ، مصلوبة على السلّم وشعرها مربوط فيه وهي باكية العين حزينة القلب في أسوأ حال ، لا تدري طريقًا لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهي تنظرهم وتبكي عليهم وعلى نفسها بسبب ما جرى لها مما أصابها ، وهي تقاسي من العذاب والضرب المؤلم أشد النكال . فلما رآها في أسوأ الحالات سمعها تنشد هذه الأبيات : [من السريع]

لَمْ يَبْقَ إلاّ نَفَسٌ هافِتُ ومُقْلَةٌ إنْسانُها باهِتُ
ومُغْرَمٌ تُضْرَمُ أَحْشاؤُهُ بالنَّارِ إلاَّ أَنَّهُ ساكِتُ
يَرْثِي لَهُ الشَّامِتُ مِمَّا رَأَى يا وَيْحَ مَنْ يَرْثِي لَهُ الشَّامِتُ

ثم إن حسنًا لما رأى ما هي فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشي على أمهم من كثرة التألّم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا : يا أبانا . فغطّى رأسه واستفاقت أمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وإنما نظرت أولادها وهم يبكون ويصيحون : يا أبانا . فبكت لمّا سمعتهم يذكرون أباهم ويبكون وانكسر قلبها وتقطّعت أحشاؤها ونادت من كبد قد تصدّع وقلب موجع : أين أنتم ؟ وأين أبوكم ؟ ثم تذكّرت أوقات اجتماع شملها وتذكّرت ما جرى عليها بعد فراقه فبكت بكاء شديدًا حتى جرحت دموعها خدّيها وبلّت الأرض ، وصارت خدودها غريقة في دموعها من كثرة البكاء وليس لها يد مطلوقة حتى تمسح دموعها بها عن خدودها وشبع الذباب من جلدها . ولم تجد لها مساعدًا غير البكاء والتسلي بإنشاد الأشعار فأنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

وذَكَرْتُ يَوْمَ البَينِ بَعْدَ مُوَدِّعِي فَجَرَتْ دُمُوعِي أَنْهُرًا في مَرْجِعِي
وحَدَا بِهِمْ حادي الرِّكابِ فَلَمْ أَجِدْ صَبْرًا ولا جَلَدًا ولا قَلْبِي مَعِي
وَرَجَعْتُ لا أَدْرِي الطَّرِيقَ ولَمْ أَفِقْ مِنْ لَوْعَتِي وتَوَلُّعِي وتَوَجُّعِي
وأَضَرَّ ما بي في رُجُوعِي شَامِتٌ قَدْ جاءَنِي في صُورَةِ المُتَخَشِّعِ
يا نَفْسُ إذْ بَعُدَ الحَبِيبُ فَفارِقِي طِيبَ الحَياةِ وفي البَقا لا تَطْمَعِي
يا صَاحِبِي أَنْصِتْ لأَخْبارِ الهَوَى حاشَا لِقَلْبِكَ أَنْ أَقُولَ ولا يَعِي
أَرْوِي الغَرامَ مُسَلْسَلاً بِعَجائِبِ وغَرائِبِ حَتَّى كأَنِّي الأَصْمَعِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 823

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان حسنًا لما دخل على زوجته رأى اولاده وسمعها تنشد الأبيات التي ذكرناها ، وقد التفتت يميناً وشمالاً لترى سبب صياح اولادها وندائهم لأبيهم فلم تر احداً . ولما لم تر احداً تعجبت من ذكر أولادها لأبيهم في هذه الوقت . هذا ما كان من أمرها .

واما ما كان من أمر حسن فإنه لما سمع شعرها بكى حتى غشي عليه وجرت دموعه على خده مثل المطر ودنا من الأولاد وكشف الطاقية . فلما راوه عرفوه وصاحوا بقولهم : يا أبانا . فبكت أمهم حين سمعتهم يذكرون اباهم وقالت : لا حيلة في قدر الله . وقالت في نفسها : يا للعجب ! ما سبب ذكرهم لأبيهم في هذا الوقت وندائهم له ؟ ثم بكت وانشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

خَلَتِ الدِّيارُ مِنَ السِّراجِ الطَّالِعِ	يا مُقْلَتِي جُودِي بِفَيْضِ الأَدْمُعِ
رَحَلُوا فَكَيْفَ تَصَبُّرِي مِنْ بَعْدِهِمْ	أَقْسَمْتُ ما قَلْبِي ولا صَبْرِي مَعِي
يا راحِلِينَ وفي الفُؤادِ مَحَلُّهُمْ	هَلْ بَعْدَ ذا يا سادَتِي مِنْ مَرْجَعِ
ما ضَرَّ لَوْ رَجَعُوا وفُزْتُ بأُنْسِهِمْ	وَرَثَوْا لِفَيْضِ مَدامِعِي وتَوَجُّعِي
أَجْرَوْا سَحائِبَ مُقْلَتِي يَوْمَ النَّوَى	عَجَباً ولَمْ يُطْفِىءْ تَضَرُّمُ أَضْلُعِي
وطَمِعْتُ أَنْ يَبْقُوا فَعانَدَنِي البَقا	فِيهِمْ وخَيَّبَ بالتَّفَرُّقِ مَطْمَعِي
بِاللهِ يا أَحْبابَنا عُودُوا لَنا	فَلَقَدْ كَفَى ما قَدْ جَرَى مِنْ أَدْمُعِي

فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن راسه . فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من في القصر ثم قالت له : كيف وصلت إلى هنا ؟ هل من السماء نزلت أو من الأرض طلعت ؟ ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له : يا رجل ، ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب ، قد نفذ القضاء وعمى البصر وجرى القلم بما حكم الله في القدم . فبالله عليك من أي مكان جئت رح واختف لئلا ينظرك احد فيعلم اختي بذلك فتذبحني وتذبحك . فقال لها حسن : يا سيدتي وسيدة كل ملكة ، انا خاطرت بروحي وجئت إلى هنا ، فإما ان أموت وإما أن اخلّصك من الذي انت فيه واسافر انا وانت واولادي إلى بلادي على رغم انف هذه الفاجرة أختك . فلما سمعت كلامه تبسّمت وضحكت وصارت تحرّك راسها زماناً طويلاً وقالت له : هيهات يا روحي ان يخلّصني احد مما انا فيه إلا الله تعالى . ففز بنفسك وارحل ولا ترم روحك في الهلاك فإن لها عسكراً جراراً ما قدر احد ان يقابله ، وهب انك اخذتني وخرجت فكيف تصل إلى بلادك وتخلص من هذه الجزائر وصعوبة هذه الأماكن ؟ وقد رايت في الطريق الذي نظرتها من العجائب والغرائب والأهوال والشدائد ما لا يخلص منه أحد من الجن المتمردة . فرُح من قريب ولا تزدني هماً على همّي ولا غماً على غمّي ولا تدّعي انك تخلّصني من هذا ، فمن يوصلني إلى بلادك في هذه الأودية والأرض المعطشة والأماكن المهلكة ؟ فقال لها حسن : وحياتك يا نور عيني ما أخرج من هنا ولا أسافر إلا بك . فقالت له : يا رجل ، كيف تقدر على هذا الأمر ؟ اي شيء جنسك ؟ فإنك لا تعرف الذي تقوله ولو كنت تحكم على جان وعفاريت وسحرة وارهاط واعوان فإنه لا يقدر احد ان يتخلّص من هذه الأماكن . ففز انت بنفسك سالماً

وخلّني لعل الله يحدث بعد الأمور اموراً . فقال لها حسن : يا سيدة الملاح ، أنا ما جئت إلا لأخلصك بهذا القضيب وبهذه الطاقية ثم حكى لها حكايته مع الولدين . فبينما هو في الحديث وإذا بالملكة دخلت عليهما فسمعت حديثهما . فلما رأى الملكة لبس الطاقية فقالت لأختها : يا فاجرة، من الذي كنت تتحدثين معه؟ فقالت لها : ومن عندي يكلّمني غير هذه الأطفال؟ فأخذت السوط وصارت تضربها به وحسن واقف ينظر، ولم تزل تضربها حتى غشي عليها . ثم امرت بنقلها من ذلك المحل إلى محل آخر، فحلّوها وخرجوا بها إلى محل غيره وخرج حسن معهم إلى المكان الذي أوصلوها إليه ثم القوها مغشياً عليها ووقفوا ينظرون إليها . فلما أفاقت من غشيتها أنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

ولَقَدْ نَدِمْتُ عَلى تَفَرُّقِ شَمْلِنا	نَدَمًا أفاضَ الدَّمْعَ مِنْ أَجْفانِي
ونَذَرْتُ إنْ عادَ الزَّمانُ يَلُمُّنا	ما عُدْتُ أَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِساني
وأَقُولُ لِلْحُسَّادِ مُوتُوا حَسْرَةً	واللهِ إنِّي قَدْ بَلَغْتُ أَماني
طَفَحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى إنَّهُ	مِنْ فَرْطِ ما قَدْ سَرَّني أَبْكاني
يا عَيْنُ ما بالُ البُكا لَكِ عادَةً	تَبْكِينَ في فَرَحٍ وفي أَحْزانِ

فلما فرغت من شعرها خرج من عندها الجواري . فعند ذلك قلع حسن الطاقية فقالت له زوجته : أنظر يا رجل ما حلّ بي، هذا كله إلا لكوني عصيتك وخالفت أمرك وخرجت من غير إذنك . فبالله عليك يا رجل لا تؤاخذني بذنبي واعلم أن المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه، وأنا أذنبت وأخطأت ولكن أستغفر الله العظيم مما وقع مني، وإن جمع الله شملنا لا أعصي لك أمراً بعد ذلك أبداً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 824

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن زوجة حسن اعتذرت إليه وقالت له : لا تؤاخذني بذنبي وأنا أستغفر الله العظيم . فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها : أنت ما أخطأت وما أخطأ إلا أنا لأني سافرت وخلّيتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك قيمة ولا مقدار . واعلمي يا حبيبة قلبي وثمرة فؤادي ونور عيني أن الله سبحانه أقدرني على تخليصك فهل تحبين أن أوصلك إلى ديار أبيك وتستوفي عنده ما قدّره الله عليك أو تسافرين إلى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج ؟ فقالت له : ومن يقدر على تخليصي إلا رب السماء؟ فرح بلادك وخلّ عنك الطمع فإنك لا تعرف أخطار هذه الديار، وإن لم تطعني سوف تنظر . ثم إنها أنشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

عَلَيَّ وعِنْدي ما تُريدُ مِنَ الرِّضَى	فَما لَكَ غَضْبانًا عَلَيَّ ومُعْرِضا
وما قَدْ جَرَى حاشَا الّذي كانَ بَيْنَنا	مِنْ الوُدِّ أَنْ يُنْسَى قَديماً ويُنْقَضَ
وما بَرِحَ الواشِي لَنا مُتَجَنِّبًا	فَلَمَّا رَأَى الإعْراضَ مِنَّا تَعَرَّضَ
فإنِّي بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ لَواثِقُ	وإنْ جَهِلَ الواشِي وقالَ وحَرَّضَ
عَلَيْنا ؛ فَسِرُّ الحُبِّ سَوْفَ نَصُونُهُ	ولَوْ كانَ سَيْفُ العَذْلِ باللَّوْمِ مُنْتَضَى

أَظَلُّ نَهارِي كُلَّهُ مُتَشَوِّقًا لَعَلَّ بَشِيرًا مِنْكَ يُقْبِلُ بالرِّضَى

ثم بكت هي وأولادها وسمع الجواري بكاءهم فدخلن عليهم فوجدن الملكة منار السنا تبكي هي وأولادها ولم ينظرن حسناً عندهم . فبكى الجواري رحمة لهم ودعين على الملكة نور الهدى . فصبر حسناً إلى أن أقبل الليل وذهب الحرس الموكلون بها إلى مراقدهم ، ثم بعد ذلك قام وشدّ وسطه وجاء إلى زوجته وحلّها وقبّل رأسها وضمّها إلى صدره وقبّل ما بين عينيها وقال لها : ما أطول شوقنا إلى ديارنا واجتماع شملنا هناك ، فهل اجتماعنا هذا في المنام أو في اليقظة ؟ ثم إنه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر وقد أسبل الله عليهما الستر وسارا ، فلما وصلا إلى خارج القصر وقفا عند الباب الذي يقفل على سراية الملكة ، فلما صارا هناك رآياه مقفولاً . فقال حسن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ثم إنهما يئسا من الخلاص فقال حسن : يا مفرج الكروب . ودق يداً على يد وقال : كل شيء حسبته ونظرت في عاقبته إلا هذا . فإنه إذا طلع علينا النهار يأخذوننا وكيف تكون الحيلة في هذا الأمر ؟ ثم إن حسناً أنشد هذين البيتين :[من البسيط]

حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بالأيَّامِ إذْ حَسُنَتْ ولَمْ تَخَفْ سُوءَ ما يأْتِي بِهِ القَدَرُ
وسالَمَتْكَ اللَّيالي فاغْتَرَرْتَ بِها وعِنْدَ صَفْوِ اللَّيالي يَحْدُثُ الكَدَرُ

ثم بكى حسن وبكت زوجته لبكائه ولما هي فيه من الإهانة وآلام الزمان . فالتفت حسن إلى زوجته وانشد هذين البيتين :[من الطويل]

يُعانِدُنِي دَهْري كأنّي عَدُوُّهُ وفي كُلِّ يَوْمٍ بالكَرِيهَةِ يَلْقاني
وإنْ رُمْتُ خَيْرًا جاءَ دَهْري بِضِدِّهِ إذا ما صَفا يَوْمًا تَكَدَّرَني الثَّاني

وانشد أيضاً هذين البيتين :[من الطويل]

تَنَكَّرَ لي دَهْري ولَمْ يَدْرِ أنَّني أعِزُّ، وأنَّ النَّائِباتِ تَهُونُ
وباتَ يُرِيِني الخَطْبَ كَيْفَ اعْتِداؤُهُ وبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

فقالت له زوجته : والله ما لنا فرج إلا أن نقتل أرواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم وإلا نصبح نقاسي العذاب الأليم . فبينما هما في الكلام وإذا بقائل يقول من خارج الباب : والله ما أفتح لك يا سيدتي منار السنا وزوجك حسن إلا إن تطاوعاني فيما أقوله لكما . فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأرادا الرجوع إلى المكان الذي كانا فيه وإذا بقائل يقول : ما لكما سكتما ولم تردّا على الجواب ؟ فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها : مهما تأمرينا به نعمله ولكن إفتحي لنا الباب فإن أولاً هذا الوقت ما هو وقت كلام . فقالت له : والله ما أفتح لكما حتى تحلفا لي أنكما تأخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ، ومهما أصابكما أصابني وإن سلمتما سلمت وإن عطبتما عطبت ، فإن هذه الفاجرة المساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكلني من أجلكما ، وأنت يا بنتي تعرفين مقداري . فلما عرفاها اطمأنا بها وحلفا لها بالإيمان التي تثق بها . فلما حلفا لها بما تثق فتحت لهما الباب وخرجا ، فلما خرجا وجداها راكبة على زير رومي من فخار أحمر وفي حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلّب من تحتها ويجري جرياً

اقوى من جري المهر النجدي . فتقدّمت قدامهما وقالت لهما : اتبعاني ولا تفزعا من شيء فإني احفظ اربعين باباً من السحر ، اقل باب منها اجعل به هذه المدينة بحراً عجاجاً متلاطماً بالأمواج واسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك اعمله قبل الصبح . ولكني كنت لا اقدر ان افعل شيئًا من ذلك الشرّ خوفاً من الملك أبيها ورعاية لأخواتها لأنهم مستعزون بكثرة الأعوان والأرهاط والخدم ، ولكن سوف اريكما عجائب سحري فسيرا بنا على بركة الله تعالى وعونه . فعند ذلك فرح حسن هو وزوجته وأيقنا بالخلاص . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 825

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً وزوجته والعجوز شواهي لما طلعوا من القصر وايقنوا بالخلاص ، خرجوا إلى ظاهر المدينة فاخذ حسن القضيب وضرب به الأرض وقوّى جنانه وقال : يا خدم هذه الأسماء احضروا لي واطلعوني على إخوانكم . وإذا بالأرض قد انشقّت وخرج منها عشرة عفاريت كل عفريت منهم رجلاه في تخوم الأرض وراسه في السحاب . فقبّلوا الأرض بين يدي حسن ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد : لبيك يا سيدنا والحاكم علينا بأي شيء تأمرنا ؟ فنحن لأمرك سامعون ومطيعون ، إن شئت نيبس لك البحار وننقل لك الجبال من أماكنها . ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم فشجع قلبه وقوّى جنانه وعزمه وقال لهم : من أنتم ؟ وما اسمكم ؟ ولمن تنسبون من القبائل ؟ ومن اي طائفة انتم ؟ ومن اي قبيلة ؟ ومن اي رهط ؟ فقبّلوا الأرض ثانياً وقالوا بلسان واحد : نحن سبع ملوك ، كل ملك منّا يحكم على سبع قبائل من الجن والشياطين والمردة . فنحن سبع ملوك نحكم على تسعة واربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والأرهاط والأعوان الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبراري والقفار وعمار البحار ، فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعًا ونصير تحت طاعته . فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحاً عظيماً وكذلك زوجته والعجوز . فعند ذلك قال حسن للجان : أريد منكم أن تطلعوني على رهطكم وجندكم وأعوانكم . فقالوا : يا سيدنا إذا اطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلى من معك لأنهم جند كثيرة مختلفة الصور والخلق والألوان والوجوه والأبدان ، فمنا رؤوس بلا أبدان ومنا أبدان بلا رؤوس ومنا من هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع . ولكن إن شئت ذلك فلا بد لنا من ان نعرض عليك أولاً من هوعلى صفة الوحوش . ولكن يا سيدي ما تريد منا في هذا الوقت ؟ فقال لهم حسن : اريد منكم ان تحملوني انا وزوجتي وهذه المرأة الصالحة في هذه الساعة إلى مدينة بغداد . فلما سمعوا كلامه اطرقوا رؤوسهم . فقال لهم حسن : لم لاَ تجيبون ؟ فقالوا بلسان واحد : أيها السيد الحاكم علينا إننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلّفنا أننا لا نحمل احداً من بني آدم على ظهورنا . فنحن من ذلك الوقت ما حملنا احدًا من بني آدم على اكتافنا ولا على ظهورنا ، ولكن نحن في هذه الساعة نشدّ لك من خيول الجن ما يبلغك بلادك انت ومن معك . فقال لهم حسن : وكم بيننا وبين بغداد ؟ فقالا له : مسافة سبع سنين للفارس المجد . فتعجب حسن من ذلك وقال لهم : كيف جئت انا إلى هنا فيما دون السنة ؟ فقالا له : انت قد حنّن الله عليك قلوب عباده الصالحين

ولولا ذلك ما كنت تصل إلى هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبداً، لأن الشيخ عبد القدوس الذي أركبك الفيل وأركبك الجواد الميمون قطع بك في الثلاثة أيام ثلاث سنين للفارس المجد في السير. وأما الشيخ أبو الرويش الذي أعطاك لدهنش فإنه قد قطع بك في اليوم والليلة مسافة ثلاث سنين. وهذا من بركة الله العظيم لأن الشيخ أبي الرويش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ إسم الله الأعظم ومن بغداد إلى قصر البنات سنة فهذه هي السبع سنين. فلما سمع حسن كلامهم تعجب عجباً عظيماً وقال: سبحان الله مهوّن العسير وجابر الكسير ومقرّب البعيد ومذلّ كل جبار عنيد، الذي هوّن علينا كل أمر وأوصلني إلى هذه الديار وسخّر لي هؤلاء العالم وجمع شملي بزوجتي وأولادي. فما أدري هل أنا نائم أو يقظان؟ وهل أنا صاح أو سكران؟ ثم التفت إليهم وقال لهم: إذا أركبتموني خيولكم في كم يوم تصل بنا إلى بغداد. فقالوا: تصل بك فيما دون السنة بعد أن تقاسي الأمور الصعاب والشدائد والأهوال وتقطع أودية معطشة وقفاراً موحشة وبراري ومهالك كثيرة، ولا نأمن عليك يا سيدي من أهل هذه الجزائر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 826

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجان قالوا لحسن: لا نأمن عليك يا سيدي من أهل هذه الجزائر ولا من شرّ الملك الأكبر ولا من هذه السحرة والكهنة، فربما يقهروننا ويأخذونكم منا ونبتلي بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا: أنتم الظالمون، كيف قدمتم على الملك الأكبر وحملتم الإنس من بلاده وحملتم أيضاً ابنته معكم؟ ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الأمر. ولكن الذي أوصلك إلى هذه الجزائر قادر أن يوصلك إلى بلادك ويجمع شملك بأمك قريباً غير بعيد، فاعزم وتوكل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك إلى بلادك. فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم: جزاكم الله خيراً. ثم قال لهم: عجلوا بالخيل. فقالوا: سمعاً وطاعة. ثم دقوا الأرض بأرجلهم فانشقّت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا وإذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلاثة أفراس مسرجة ملجمة، وفي مقدّم كل سرج خرج في إحدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الأخرى ملآنة زاداً. ثم قدّموا الخيل فركب حسن جواداً وأخذ ولداً قدامه وركبت زوجته الجواد الثاني وأخذت ولداً قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا. ولم يزالوا سائرين طول الليل حتى أصبح الصباح، فعرّجوا عن الطريق وقصدوا الجبل وألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله وساروا النهار كله تحت الجبل. فبينما هم سائرون إذ نظر حسن إلى جبل قدامه مثل العامود وهو طويل كالدخان المتصاعد إلى السماء. فقرأ شيئاً من القرآن وتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقرّبوا منه. فلما دنوا منه وجدوه عفريتاً رأسه كالقبة العظيمة وأنيابه كالكلاليب ومنخراه كالإبريق وأذناه كالأدراق وفمه كالمغارة وأسنانه كعواميد الحجارة ويداه كالمداري ورجلاه كالصواري ورأسه في السحاب وقدماه في تخوم الأرض تحت التراب. فلما نظر حسن إلى العفريت انحنى وقبّل الأرض بين يديه فقال له: يا حسن لا تخف مني، أنا رئيس عمار هذه الأرض وهذه أول جزيرة من جزائر واق، وأنا مسلم موحّد بالله وسمعت بكم وعرفت قدومكم. ولما اطلعت على حالكم اشتهيت أن أرحل من بلاد السحرة إلى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة من الإنس والجان أعيش فيها

منفرداً وحدي وأعبد الله حتى يدركني أجلي ، فاردت أن أرافقكم وأكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر، وأنا ما أظهر إلا بالليل . فطيبوا قلوبكم من جهتي فإنني مسلم مثل ما أنتم مسلمون . فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحاً شديداً وايقن بالنجاة ثم التفت إليه وقال له : جزاك الله خيراً فسر معنا على بركة الله . فسار العفريت قدامهم وصاروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكي لزوجته جميع ما جرى له وما قاساه ، ولم يزالوا سائرين طول الليل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 827

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنهم لم يزالوا سائرين طول الليل إلى الصباح والخيل تسير بهم كالبرق الخاطف . فلما طلع النهار مد كل واحد يده في خرجه وأخرج منه شيئًا وأكله وأخرج ماء وشربه ثم جدوا في السير . ولم يزالوا سائرين والعفريت أمامهم وقد عرّج بهم عن الطريق إلى طريق أخرى غير مسلوكة على شاطىء البحر ، وما زالوا يقطعون الأودية والقفار مدة شهر كامل . وفي اليوم الحادي والثلاثين طلعت عليهم غبرة سدّت الأقطار واظلم منها النهار ، فلما نظرها حسن لحقه الإصفرار وقد سمعوا ضجات مزعجة . فالتفتت العجوز إلى حسن وقالت له : يا ولدي ، هذه عساكر جزائر واق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذوننا قبضاً باليد . فقال لها حسن : ما اصنع يا أمي ؟ فقالت له : أضرب الأرض بالقضيب . ففعل فطلع إليه السبعة ملوك وسلّموا عليه وقبّلوا الأرض بين يديه وقالوا له : لا تخف ولا تحزن . ففرح حسن بكلامهم وقال : أحسنتم يا سادة الجن والعفاريت هذا وقتكم . فقالوا له : إطلع انت وزوجتك وأولادك ومن معك فوق الجبل وخلّونا نحن وإياهم لأننا نعرف أنكم على الحق وهم على الباطل وينصرنا الله عليهم . فنزل حسن هو وزوجته وأولاده والعجوز عن ظهور الخيل ، وصرفوا الخيل وطلعوا على طرف الجبل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 828

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد أن صرفوا الخيل . ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت عليهم النقباء وصفّوهم جملة جملة ، وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان والتهبت النيران واقدمت الشجعان وفرّ الجبان ورمت الجن من أفواهها لهيب الشرر إلى أن اقبل الليل المعتكر فافترق الجمعان وانفصل الفريقان . ولما نزلوا عن خيولهم واستقرّوا على الأرض أشعلوا النّيران وطلع السبعة ملوك إلى حسن وقبّلوا الأرض بين يديه . فأقبل عليهم وشكرهم ودعا لهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا له : إنهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة أيام ، فنحن كنا اليوم ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار ألفين وقتلنا منهم خلقًا كثيراً لا يحصى عددهم . فطب نفسًا وانشرح صدراً . ثم إنهم ودّعوه ونزلوا إلى عسكرهم يحرسونه وما زالوا يشعلون النيران إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح ، فركبت الفرسان الخيل القراح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التطام البحار واستعرّ بينهم في الحرب لهيب النار . ولم يزالوا في نضال

وسباق حتى انهزمت عساكر واق وانكسرت شوكتهم وانحطّت همّتهم وزلّت أقدامهم وأينما هربوا فالهزيمة قدّامهم ، فولّوا الأدبار وركبوا إلى الفرار وقتل أكثرهم وأسرت الملكة نور الهدى هي وكبار مملكتها وخواصها . فلما أصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدي حسن ونصبوا له سريراً من المرمر مصفّحاً بالدر والجوهر ، فجلس فوقه ونصبوا عنده سريراً آخر للسيدة منار السنا زوجته وذلك السرير من العاج المصفّح بالذهب الوهّاج ، ونصبوا جنبه سريراً آخر للعجوز شواهي ذات الدواهي . ثم إنهم قدّموا الأسارى بين يدي حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين . فلما رأتها العجوز قالت لها : ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة إلا من يجوّع كلبتين ويربطهما معك في أذناب الخيل ويسوقهما إلى البحر حتى يتمزّق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك ويطعمك . كيف فعلت بأختك هذه الفعال يا فاجرة؟ مع أنها تزوّجت في الحلال بسنّة الله ورسوله لأنه لا رهبانية في الإسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام ، وما خلقت النساء إلا للرجال . فعند ذلك أمر حسن بقتل الأسارى جميعها . فصاحت العجوز وقالت : اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحداً . فلما رأت الملكة منار السنا أختها في هذه الحالة وهي مقيّدة مأسورة ، بكت عليها وقالت لها : يا أختي ، ومن هذا الذي أسرنا في بلادنا وغلبنا؟ فقالت لها : هذا أمر عظيم ، إن هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكّمه الله فينا وفي سائر ملكنا وتغلّب علينا وعلى ملوك الجن . فقالت لها أختها : إنه ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا أسركم إلا بهذه الطاقية والقضيب . فتحقّقت أختها ذلك وعرفت أنه خلصها بهذا السبب ، فتضرّعت لأختها حتى حنّ قلبها عليها ثم قالت لزوجها حسن : ما تريد أن تفعل بأختي ؟ فها هي بين يديك وهي ما فعلت مكروها حتى تؤاخذها به . فقال لها : كفى تعذيبها إياك مكروهاً . فقالت له : كل مكروه فعلته معي كانت معذورة فيه ، وأما أنت فإنك قد أحرقت قلب أبي بفقدي فكيف يكون حاله بعد أختي؟ فقال لها حسن : الرأي رأيك مهما أردته فافعليه . فعند ذلك أمرت الملكة منار السنا بحل الأسارى جميعهم . فحلّوهم لأجل أختها وكذلك أختها . وبعد ذلك أقبلت على أختها وعانقتها وصارت تبكي هي وإياها . ولم يزالا كذلك ساعة زمانية ثم قالت الملكة نور الهدى لأختها : يا أختي لا تؤاخذيني بما فعلته معك . فقالت لها السيدة منار السنا : يا أختي إن هذا كان مقدّراً عليّ . ثم جلست هي وأختها على السرير يتحدّثان ، وبعد ذلك أصلحت منار السنا بين العجوز وبين أختها على أحسن ما يكون وطابت قلوبهما . ثم إن حسناً صرف العسكر الذين كانوا في خدمة القضيب وشكرهم على ما فعلوه من نصره على أعدائه . ثم إن السيدة منار السنا حكت لأختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها : يا أختي ، من كانت هذه الفعال فعاله وهذه القوّة قوّته وقد أيّده الله تعالى بشدّة البأس حتى دخل بلادنا وأخذك وأسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الأكبر الذي يحكم على ملوك الجن يجب أن لا يفرط في حقّه . فقالت لها أختها : والله يا أختي لقد صدقت فيما أخبرتني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل ، وهل كل هذا من أجلك يا أختي؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 829

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السيدة منار السنا لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها : والله إن هذا الرجل ما يفرّط فيه خصوصًا بسبب مروءته، وهل كل هذا من أجلك؟ قالت : نعم . ثم إنهم باتوا يتحدّثون إلى الصباح ، فلما طلعت الشمس أراد الرحيل فودّع بعضهم بعضاً وودّعت منار السنا العجوز بعدما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى . فعند ذلك ضرب حسن الأرض بالقضيب فطلع له خدّامه وسلّموا عليه وقالوا له : الحمد لله على هدوء سرّك فامرنا بما تريد حتى نعمله لك في أسرع من لمح البصر؟ فشكرهم على قولهم وقال لهم : جزاكم الله . ثم إنه قال لهم : شدّوا لنا جوادين من أحسن الخيل . ففعلوا ما أمرهم به في الوقت وقدّموا له جوادين مسرجين، فركب حسن جواداً منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت زوجته الجواد الآخر وأخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة نور الهدى هي والعجوز وتوجه الجميع إلى بلادهم . فسار حسن هو وزوجته يميناً وسارت الملكة نور الهدى هي والعجوز شمالاً . ولم يزل حسن سائرًا هو وزوجته وأولاده مدة شهر كامل . وبعد الشهر أشرفوا على مدينة فوجدوا حولها أثماراً وأنهاراً، فلما وصلوا إلى تلك الأشجار نزلوا عن ظهور الخيل وأرادوا الراحة ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هم بخيول كثيرة قد أقبلت عليهم . فلما رآهم حسن ، قام على رجليه وتلقّاهم وإذا هم الملك حسون صاحب أرض الكافور وقلعة الطيور ، فعند ذلك تقدّم حسن إلى الملك وقبّل يديه وسلّم عليه . ولما رآه الملك ترجّل عن ظهر جواده وجلس هو وحسن على الفرش تحت الأشجار بعد أن سلّم على حسن وهنّاه بالسلامة وفرح به فرحاً شديدًا وقال له : يا حسن ، أخبرني بما جرى لك من أوله إلى آخره . فأخبره حسن بجميع ذلك . فتعجب منه الملك حسون وقال له : يا ولدي، ما وصل أحد إلى جزائر واق ورجع منها أبدًا إلا أنت فأمرك عجيب، ولكن الحمد لله على السلامة . ثم بعد ذلك قام الملك وركب وأمر حسنًا أن يركب ويسير معه . ففعل ، ولم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المدينة . فدخلوا دار الملك ، فنزل الملك حسون ونزل حسن هو وزوجته وأولاده في دار الضيافة . فلما نزلوا أقاموا عنده ثلاثة أيام في أكل وشرب وطرب . ثم بعد ذلك استأذن حسن الملك حسون في السفر إلى بلاده فأذن له . فركب هو وزوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام ، فلما أراد الملك الرجوع ودّع حسناً . وسار حسن هو وزوجته وأولاده ولم يزالوا سائرين مدة شهر كامل . فلما كان بعد الشهر أشرفوا على مغارة كبيرة أرضها من النحاس الأصفر . فقال حسن لزوجته : أنظري هذه المغارة هل تعرفينها؟ قالت : نعم . قال : إن فيها شيخاً يسمّى أبا الرويش وله عليّ فضل كبير لأنه هو الذي كان سبباً في المعرفة بيني وبين الملك حسون . وصار يحدّث زوجته بخبر أبي الرويش وإذا بالشيخ أبي الرويش قد خرج من باب المغارة . فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبّل يديه فسلّم عليه الشيخ أبو الرويش وهنّاه بالسلامة وفرح به وأخذه ودخل به المغارة وجلس هو وإياه . وصار يحدّث الشيخ أبا الرويش بما جرى له في جزائر واق . فتعجب الشيخ أبو الرويش غاية العجب وقال : يا حسن ، كيف خلّصت زوجتك وأولادك؟ فحكى له حكاية القضيب والطاقية . فلما سمع الشيخ أبو الرويش تلك الحكاية تعجب وقال : يا حسن يا ولدي، لولا هذا القضيب وهذه الطاقية ما كنت خلّصت زوجتك وأولادك . فقال له

حسن : نعم يا سيدي . فبينما هما في الكلام وإذا بطارق يطرق باب المغارة ، فخرج الشيخ أبو الرويش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قد أتى وهو راكب فوق الفيل . فتقدم الشيخ أبو الرويش وسلم عليه واعتنقه وفرح به فرحاً عظيماً وهنّاه بالسلامة . وبعد ذلك قال الشيخ أبو الرويش لحسن : إحك للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى لك يا حسن . فشرع حسن يحكي للشيخ ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 830

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً شرع يحكي للشيخ عبد القدوس والشيخ أبي الرويش وهم في المغارة يتحدثون ، جميع ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب والطاقية . فقال الشيخ عبد القدوس لحسن : يا ولدي ، أما أنت فقد خلّصت زوجتك وأولادك ولم يبق لك حاجة بهما ، وأما نحن فإننا كنا السبب في وصولك إلى جزائر واق وقد عملت معك الجميل لأجل بنات أخي ، وأنا أسألك من فضلك وإحسانك أن تعطيني القضيب وتعطي الشيخ أبا الرويش الطاقية . فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس أطرق رأسه إلى الأرض واستحى أن يقول : ما أعطيهما لكما . ثم قال في نفسه : إن هذين الشيخين قد فعلا معي جميلاً عظيماً وهما اللذان كانا السبب في وصولي إلى جزائر واق ، ولولاهما ما وصلت إلى هذه الأماكن ولا خلّصت زوجتي وأولادي ولا خلّصت هذا القضيب وهذه الطاقية . ثم رفع رأسه وقال : نعم أنا أعطيهما لكما . ولكن يا سادتي إني أخاف من الملك الأكبر والد زوجتي أن يأتيني بعساكر إلى بلادنا فيقاتلونني ولا أقدر على دفعهما إلا بالقضيب والطاقية . فقال الشيخ عبد القدوس لحسن : يا ولدي لا تخف ، فنحن نبقى لك جاسوساً ورداً في هذا الموضع وكل من أتى إليك من عند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تخف من شيء أصلاً جملة كافية ، فطب نفساً وقر عيناً وانشرح صدراً ما عليك بأس . فلما سمع حسن كلام الشيخ أخذه الحياء وأعطى الطاقية للشيخ أبي الرويش وقال للشيخ عبد القدوس : إصحبني إلى بلادي وأنا أعطيك القضيب . ففرح الشيخان بذلك فرحاً شديداً وجهزا لحسن من الأموال والذخائر ما يعجز عنه الوصف ثم أقام عندهما ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر . فتجهّز الشيخ عبد القدوس للسفر معه ، فلما ركب حسن دابة وأركب زوجته دابة صفر الشيخ عبد القدوس وإذا بفيل عظيم قد أقبل يهرول بيديه ورجليه من صدر البرية ، فأخذه الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الرويش فإنه دخل المغارة . وما زال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الأرض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلّهم على الطريق السهلة والمنافذ القريبة حتى قربوا من الديار ، وفرح حسن بقربه من ديار والدته ورجوع زوجته وأولاده إليه . وحيث وصل حسن إلى تلك الديار بعد هذه الأهوال الصعبة ، حمد الله تعالى على ذلك وشكره على نعمته وفضله وأنشد هذه الأبيات : [من الوافر]

لَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُنا قَرِيبًا ... فَنُصْبِحَ في مُكانَفَةِ العِناقِ
وأُخْبِرَكُمْ بِأَعْجَبِ ما جَرَى لِيْ ... وما لاقَيْتُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ

وأشْفِي مُقْلَتِي نَظَرًا إلَيْكُمْ فإنَّ القَلْبَ أصبَحَ في ٱشْتِياقِ
خَبَأْتُ لَكُمْ حَدِيثًا في فُؤادي لأخْبِرَكُمْ بِهِ عِنْدَ التَّلاقِي
أُعاتِبُكُمْ عَلَى ما كانَ مِنْكُمْ عِتابًا يَنْقَضِي، والوِدُّ باقِ

فلما فرغ حسن من شعره نظر وإذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الأخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد. فقال لهم الشيخ عبد القدوس: يا حسن أبشر بالخير فانت الليلة ضيف عند بنات أخي. ففرح حسن بذلك فرحاً شديداً وكذلك زوجته. ثم إنهم نزلوا عند القبة واسترحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر، فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلّمن عليهم وعلى عمّهم. وسلّم عليهم عمّهم وقال لهم: يا بنات أخي، ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده. فتقدّم إليه البنات وعانقنه وفرحن به وهنينه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد. ثم تقدّمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديداً وكذلك حسن بكى معها على طول الوحشة. ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق وتعب سرّها وما قاسته من فراقه وأنشدت هذين البيتين: [من الطويل]

وما نَظَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ مُقْلَتِي إلى أحَدٍ إلاَّ وشَخْصُكَ ماثِلُ
وما غَمَضَتْ إلاَّ رَأَيْتُكَ في الكَرَى كأنَّكَ بَيْنَ الجَفْنِ والعَيْنِ نازِلُ

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحًا شديداً. فقال لها حسن: يا أختي، أنا ما أشكر أحدًا في هذا الأمر إلا أنت من دون سائر الأخوات، فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية. ثم إنه حدّثها بجميع ما جرى له في سفره من أوله إلى آخره، وما قاساه وما اتفق له مع أخت زوجته وكيف خلّص زوجته وأولاده، وحدّثها أيضًا بما رآه من العجائب والأهوال الصعاب حتى أن أختها كانت أرادت أن تذبحه وتذبحها وتذبح أولادها وما سلّمهم منها إلا الله تعالى. ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وأن الشيخ أبا الرويش والشيخ عبد القدوس طلباهما منه وإنه ما أعطاهما لهما إلا من شأنها. فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء. فقال: والله ما أنسى كل ما فعلته معي من الخير من أول الأمر إلى آخره. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 831

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما اجتمع بالبنات حكى لأخته جميع ما قاساه وقال لها: أنا ما أنسى الذي فعلته معي من أول الزمان إلى آخره. فالتفتت أخته إلى زوجته منار السنا وعانقتها وضمّت أولادها إلى صدرها ثم قالت لها: يا بنت الملك الأكبر أما في قلبك رحمة حتى فرّقت بينه وبين أولاده وحرقت قلبه عليهم؟ فهل كنت تريدين بهذا الفعل أن يموت؟ فضحكت وقالت: بهذا حكم الله سبحانه وتعالى، ومن خادع الناس خدعه الله. ثم أحضروا شيئًا من الأكل والشرب وأكلوا جميعاً وشربوا وانشرحوا. ثم إنه أقام عندهم عشرة أيام في أكل وشرب وفرح وسرور. ثم بعد العشرة أيام تجهّز حسن للسفر،

فقامت أخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته إلى صدرها لأجل الوداع وعانقته. فأشار إليها حسن وانشد هذه الأبيات: [من السريع]

ما سَلْوَةُ العُشّاقِ إلاّ بَعِيدْ ... وما فِراقُ الحُبِّ إلاّ شَدِيدْ
وما الجَفا والبُعْدُ إلاّ عَناءْ ... وما قَتِيلُ الحُبِّ إلاّ شَهِيدْ
ما أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلى عاشِقٍ ... قَدْ فارَقَ الخِلَّ وأَمْسَى فَرِيدْ
دُمُوعُهُ تَجْرِي عَلى خَدِّهِ ... يَقُولُ: يا لَلدَّمْعِ هَلْ مِنْ مَزِيدْ

ثم إن حسناً أعطى الشيخ عبد القدوس القضيب، ففرح به فرحًا شديدًا وشكر حسناً على ذلك. وبعد أن أخذه منه ركب ورجع إلى محله. ثم ركب حسن هو وزوجته وأولاده من قصر البنات ثم خرجوا معه يودّعونه وبعد ذلك رجعوا. ثم توجه حسن إلى بلاده فسار في البر الأقفر مدة شهرين وعشرة أيام حتى وصل إلى مدينة بغداد دار السلام، فجاء إلى داره من باب السر الذي يفتح إلى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب. وكانت والدته من طول غيبته قد هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والعويل حتى مرضت وصارت لا تأكل طعاماً ولا تلتذ بمنام بل تبكي في الليل والنهار ولا تفتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه إليها. فلما وقف على الباب سمعها تبكي وتنشد هذه الأبيات: [من البسيط]

باللهِ يا سادَتِي طِبُّوا مَرِيضَكُمُ ... فَجِسْمُهُ ناحِلٌ والقَلْبُ مَكْسُورُ
فإنْ سَمَحْتُمْ بِوَصْلٍ مِنْكُمُ كَرَمًا ... فَالصَّبُّ مِنْ نِعَمِ الأحْبابِ مَغْمُورُ
لا يَأْسَ مِنْ قُرْبِكُمْ فاللهُ مُقْتَدِرٌ ... أَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلَ، فالإحْسانُ تَقْدِيرُ

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسناً ينادي على الباب: يا أماه، إن الأيام قد سمحت بجمع الشمل. فلما سمعت كلامه عرفته، فجاءت إلى الباب وهي ما بين مصدّق ومكذّب. فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفاً هو وزوجته وأولاده معه، فصاحت من شدة الفرح ووقعت في الأرض مغشياً عليها. فما زال حسن يلاطفها حتى أفاقت وعانقته ثم بكت، وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وأمرتهم أن يدخلوا جميع ما معه في الدار. فأدخلوا الأحمال في الدار. ثم دخلت زوجته وأولاده فقامت لها أمه وعانقتها وقبّلت رأسها وقبّلت قدميها وقالت لها: يا ابنة الملك الأكبر، إن كنت أخطأت في حقك فها أنا أستغفر الله العظيم. ثم التفتت إلى ابنها وقالت له: يا ولدي، ما سبب هذه الغيبة الطويلة؟ فلما سألته عن ذلك أخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره. فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت في الأرض مغشياً عليها من ذكر ما جرى لولدها. فلم يزل يلاطفها حتى أفاقت وقالت له: يا ولدي، والله لقد فرّطت في القضيب والطاقية فلو كنت احتفظت عليهما وأبقيتهما لكنت ملكت الأرض بطولها والعرض. ولكن الحمد لله يا ولدي على سلامتك أنت وزوجتك وأولادك. وباتوا في أهنى ليلة وأطيبها. فلما أصبح الصباح غيّر ما عليه من الثياب ولبس بدلة من أحسن القماش ثم خرج إلى السوق وصار يشتري العبيد والجواري والقماش والشيء النفيس من الحلي والحلل والفراش ومن الأواني المثمّنة التي لا يوجد مثلها عند الملوك. ثم اشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك.

ثم إنه أقام هو وأولاده وزوجته ووالدته في أكل وشرب ولذّة ولم يزالوا في أرغد عيش وأهناه حتى أتاهم هادم اللذّات ومفرّق الجماعات . فسبحان ذي الملك والملكوت وهو الحي الباقي الذي لا يموت .

75 - خليفة الصيّاد

ومما يحكى أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان بمدينة بغداد رجل صياد يسمّى خليفة . وكان ذلك الرجل فقير الحال صعلوكاً لم يتزوج في عمره قط . فاتفق له يوماً من الأيام أنه أخذ شبكته ومضى بها إلى البحر مثل عادته ليصطاد قبل الصيادين ، فلما وصل إلى البحر تحزّم وتشمّر ثم تقدّم إلى البحر ونشر شبكته ورماها أول مرة وثاني مرة فلم يطلع فيها شيء . ولم يزل يرميها إلى أن رماها عشر مرات فلم يطلع فيها شيء أبداً . فضاق صدره وتحيّر فكره في أمره وقال : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو ، الحي القيوم وأتوب إليه ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، الرزق على الله عزّ وجل وإذا أعطى الله عبداً لا يمنعه أحد وإذا منع عبداً لا يعطيه أحد . ثم إنه من كثرة ما حصل له من الغم أنشد هذين البيتين : [من الطويل]

إذا رَماكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ ... فَهيِىءْ لَها صَبْرًا وأَوْسِعْ لَها صَدْرًا
فَإِنَّ إلَهَ العَالَمِيْنَ بِجُودِهِ ... سَيُعْقِبُ بَعْدَ العُسْرِ مِنْ فَضْلِهِ يُسْرَا

ثم جلس ساعة يتفكّر في أمره وهو مطرق براسه إلى الأرض . وبعد ذلك أنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

إصْبِرْ عَلى حُلْوِ الزَّمانِ ومُرِّهِ ... وأعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ
فَلَرُبَّ لَيْلٍ في الهُمُومِ كَدُمَّلٍ ... عالَجْتَهُ حَتَّى ظَفِرْتَ بِفَجْرِهِ
ولَقَدْ تَمُرُّ الحادِثاتُ عَلى الفَتَى ... وتَزُولُ حَتَّى لا تَعُودَ لِفِكْرِهِ

ثم قال في نفسه : أرمي هذه المرة الأخرى وأتوكل على الله لعله لا يخيب رجائي . ثم إنه تقدّم ورمى الشبكة على طول باعه في البحر وطوى حبلها وصبر عليها ساعة زمانية ثم بعد ذلك سحبها فوجدها ثقيلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 832

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصياد لما رمى شبكته في البحر مراراً ولم يطلع له فيها شيء ، تفكّر في نفسه وأنشد الأبيات السابقة ثم قال في نفسه : أرمي هذه المرة الأخرى وأتوكل على الله لعله لا يخيب رجائي . فقام ورمى الشبكة وصبر عليها ساعة زمانية ثم سحبها فوجدها ثقيلة . فلما عرف أنها ثقيلة مارسها بلطف وسحبها حتى طلعت إلى البر وإذا فيها قرد أعور أعرج . فلما رآه خليفة قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أي شيء هذا النحس المنحوس والطالع المنحوس ؟ ما الذي حصل لي في هذا النهار المبارك ؟ ولكن هذا كله بتقادير الله تعالى . ثم إنه أخذ القرد وربطه في حبل وتقدم إلى شجرة طالعة على ساحل البحر وربط فيها القرد . وكان معه سوط فأخذه في يده ورفعه في الهواء

وأراد أن ينزل به على القرد فانطق الله هذا القرد بلسان فصيح وقال له : يا خليفة ، إمسك يدك ولا تضربني وخلّني مربوطاً في هذه الشجرة ورح إلى البحر وارم شبكتك وتوكّل على الله فإنه يأتيك برزقك . فلما سمع خليفة كلام القرد أخذ الشبكة وتقدّم إلى البحر ورماها وأرخى لها الحبل ثم سحبها فوجدها أثقل من المرة الأولى . فلم يزل يعالج فيها حتى طلعت إلى البر وإذا فيها قرداً آخر مفلج الثنايا مكحل العينين مخضب اليدين وهو يضحك وفي وسطه ثوب خلق . فقال خليفة : الحمد لله الذي أبدل سمك البحر بقرود . ثم أتى إلى ذلك القرد المربوط في الشجرة وقال له : أنظر يا مشؤوم ما أقبح ما أشرت به عليّ ، فما أوقعني في القرد الثاني إلا أنت فإنك لما صبّحتني بعرجك وعورك أصبحت غلباناً تعباناً لا أملك درهمًا ولا ديناراً . ثم إنه أخذ مسوقة في يده ولفّها في الهواء ثلاث مرات وأراد أن ينزل بها على القرد فاستغاث منه وقال له : سألتك بالله أن تعفو عني لأجل صاحبي هذا ، واطلب منه حاجتك فإنه يدلك على ما تريد . فرمى خليفة المسوقة وعفى عنه ثم أتى إلى القرد الثاني ووقف عنده . فقال له القرد : يا خليفة ، هذا الكلام ما يفيدك شيئًا إلا إذا سمعت مني ما أقوله لك ، فإن سمعت مني وطاوعتني ولم تخالفني كنت أنا السبب في غناك . فقال له خليفة : ما الذي تقوله لي حتى أطيعك فيه ؟ فقال له : خلّني مربوطاً مكاني ورح إلى البحر وارم شبكتك حتى أقول لك أي شيء تفعله بعد هذا . فأخذ خليفة الشبكة ومضى إلى البحر ورماها وصبر عليها ساعة ثم سحبها فوجدها ثقيلة ، فما زال يعالج فيها حتى طلّعها إلى البر وإذا فيها قرد آخر ، إلا أن هذا القرد أحمر وفي وسطه ثياب زرق وهو مخضب اليدين والرجلين مكحل العينين . فلما نظره خليفة قال : سبحان الله العظيم ، سبحان مالك الملك ، إن هذا اليوم مبارك من أوله إلى آخره لأن طالعه سعيد بوجه القرد الأول والصحيفة تظهر من عنوانها فهذا اليوم يوم قرود ولم يبق في البحر ولا سمكة ونحن ما خرجنا اليوم إلا لنصطاد القرود والحمد لله الذي بدّل السمك بقرود . ثم التفت إلى القرد الثالث وقال له : أي شيء تكون أنت الآخر يا مشؤوم ؟ فقال له : هل أنت لا تعرفني يا خليفة ؟ قال : لا . قال : أنا قرد أبي السعادات اليهودي الصيرفي . فقال له خليفة : وأي شيء تصنع له ؟ فقال له : أصبّحه من أول النهار فيكسب خمسة دنانير ، وأمسيه في آخر النهار فيكتسب خمسة دنانير . فالتفت خليفة إلى القرد الأول وقال له : أنظر يا مشؤوم ما أحسن قرود الناس وأما أنت فتصبّحني بعرجك وعورك وشؤم طلعتك فأصير فقيراً مفلساً جائعًا . ثم إنه أخذ المسوقة ولفّها في الهواء ثلاث مرات وأراد أن ينزل بها عليه فقال له قرد أبي السعادات : أتركه يا خليفة وارفع يدك وتعال عندي حتى أقول لك أي شيء تعمل . فرمى خليفة المسوقة من يده وتقدّم إليه وقال له : على أي شيء تقول لي يا سيد القرود كلها ؟ فقال له : خذ الشبكة وارمها في البحر وخلّني أنا وهؤلاء القرود قاعدين عندك ، ومهما طلع لك فيها فهاته وتعال عندي وأنا أخبرك بما يسرّك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 833

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن قرد أبي السعادات لما قال لخليفة : خذ شبكتك وارمها في البحر وكل شيء طلع لك فيها هاته وتعال عندي حتى أخبرك بما يسرّك . قال له خليفة : سمعاً وطاعة . ثم إنه أخذ الشبكة وطواها على كتفه وانشد هذه الأبيات :

[من الطويل]

إذا ضَاقَ صَدْرِي أَسْتَعِينُ بِخالِقِي قَدِيرٌ عَلَى تَيْسِيرِ كُلٌّ عَسِيرِ
فَقَبْلَ ٱرْتِدادِ الطَّرْفِ مِنْ لُطْفِ رَبِّنا فِكاكُ أَسِيرٍ وٱنْجِبارُ كَسِيرِ
فَسَلِّمْ إلى اللهِ الأُمُورَ جَمِيعُها فَإِفْضالُهُ يَدْرِيهِ كُلٌّ بَصِيرِ

ثم انشد ايضاً هذين البيتين : [من البسيط]

أَنْتَ الَّذي قَدْ رَمَيْتَ النَّاسَ في تَعَبٍ تَنْفِي الهُمُومَ وأَسْبابَ البَلِيّاتِ
لا تُطْمِعَنِّي بِشَيْءٍ لَسْتُ أُدْرِكُهُ كَمْ طامِعٍ فاتَ تَحْصِيلُ الإِراداتِ

فلما فرغ خليفة من شعره تقدّم إلى البحر ورمى فيه الشبكة وصبر عليها ساعة ثم سحبها وإذا فيها حوت سمك كبير الرأس وذنبه كأنه مغرفة وعيناه كأنهما ديناران . فلما رآه خليفة فرح به لأنه ما اصطاد نظيره في عمره ، فأخذه وهو متعجب منه وأتى به إلى قرد ابي السعادات اليهودي وهو كأنه قد ملك الدنيا بحذافيرها . فقال له : ما تريد أن تصنع بهذا يا خليفة ؟ وأي شيء تعمل في قردك ؟ فقال له خليفة : أنا أخبرك يا سيد القرود كلها بما افعله . اعلم اني قبل كل شيء اتدبر في هلاك هذا الملعون قردي واتخذك عوضاً عنه واطعمك في كل يوم ما تشتهيه . فقال له القرد : حيث أنك قد اخترتني فأنا اقول لك كيف تفعل أنت ويكون فيه صلاح حالك إن شاء الله تعالى ، فافهم ما أقوله لك وهو أنك تهيىء لي انا الآخر حبلاً وتربطني به في شجرة ثم تتركني وتذهب إلى وسط الرصيف وتطرح شبكتك في بحر الدجلة ، وإذا طرحتها فاصبر عليها قليلاً واسحبها فإنك تجد فيها سمكة ما رايت اظرف منها طول عمرك ، فهاتها وتعال عندي وانا اقول لك كيف تفعل بعد ذلك . فعند ذلك قام خليفة من وقته وساعته وطرح الشبكة في بحر الدجلة وسحبها فراى فيها سمكة بيضاء قدر الخروف ، ما راى مثلها في طول عمره وهي أكبر من الحوت الأول ، فأخذها وذهب بها إلى القرد . فقال له القرد : هات لك قدراً من الحشيش الأخضر واجعل نصفه في قفة وحط السمكة عليه وغطها بالنصف الآخر واتركنا مربوطين ، ثم احمل القفة على كتفك وادخل بها في مدينة بغداد وكل من كلّمك او سألك فلا ترد عليه جواباً حتى تدخل سوق الصيارف ، فتجد في صدر السوق دكان المعلم أبي السعادات اليهودي شيخ الصيارف وتراه قاعداً على مرتبة وورائه مخدة وبين يديه صندوقان : واحد للذهب والآخر للفضة ، وعنده مماليك وعبيد وغلمان . فتقدّم إليه وحط القفة قدامه وقل له : يا أبا السعادات ، إني قد خرجت اليوم إلى الصيد وطرحت الشبكة على اسمك فبعث الله تعالى هذه السمكة . فيقول : هل اريتها لغيري ؟ فقل له : لا والله . فيأخذها منك ويعطيك ديناراً فردّه عليه ، فيعطيك دينارين فردّهما عليه . وكلما يعطيك شيئًا ردّه عليه ولو اعطاك وزنها ذهباً فلا تاخذ منه شيئًا . فيقول لك : قل لي ما تريد ؟ فقل له : والله ما أبيعها إلا بكلمتين . فإذا قال لك : وما هما الكلمتان ؟ فقل له : قم على رجليك وقل : اشهدوا يا مَن حضر في السوق أني أبدلت قرد خليفة الصياد بقردي وأبدلت قسمه بقسمي وبخته ببختي وهذا ثمنها وما لي حاجة بالذهب . فإذا فعل معك ذلك فأنا كل يوم اصبّحك وامسيك وتبقى كل يوم تكسب عشرة دنانير ذهباً ويصير أبو السعادات اليهودي يصبّحه قرده هذا الأعور الأعرج فيبليه الله كل يوم بغرامة يغرمها ، ولا يزال كذلك حتى يفتقر ويصير لا يملك شيئًا أبداً . فاسمع مني ما أقوله لك تسعد وترشد . فلما سمع خليفة الصياد كلام القرد قال له : قبلت ما

اشرت به عليّ يا ملك القرود كلها . وأما هذا المشؤوم لا بارك الله فيه فإني لا ادري أي شيء اعمل معه . فقال له : سيبه في الماء وسيبني انا الآخر . فقال : سمعاً وطاعة . ثم تقدّم إلى القرود وحلّها وتركها . فنزلت في البحر وتقدم خليفة إلى السمكة واخذها وغسلها وجعل تحتها حشيشاً اخضر في المقطف وغطّاها بحشيش أيضاً وحملها على كتفه وسار يغني بهذا الموال : [من البسيط]

سَلِّمْ أُمُورَكَ إلى رَبِّ السَّمَا تَسْلَمْ وَافْعَلْ جَمِيلاً يَطُلْ عُمْرُكَ ولا تَنْدَمْ
ولا تُعاشِرْ لأرْبابِ التُّهَمْ تُتْهَمْ وصُنْ لِسانَكَ لا تَشْتُمْ بِهِ تُشْتَمْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 834

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصياد لما فرغ من مغانيه ، حمل القفة على كتفه وسار . ولم يزل سائراً إلى ان دخل مدينة بغداد . فلما دخلها عرفه الناس فصاروا يصبّحون عليه ويقولون : أي شيء معك يا خليفة؟ وهو لا يلتفت إلى أحد منهم حتى وصل إلى سوق الصيارف وفات الدكاكين كما أوصاه القرد . ثم نظر إلى ذلك اليهودي فرآه جالساً في الدكان والغلمان في خدمته وهو كأنه ملك من ملوك خراسان . فلما رآه خليفة عرفه ، فمشى حتى وقف بين يديه . فرفع اليهودي إليه رأسه فعرفه وقال له : أهلاً بك يا خليفة ما حاجتك ؟ وما الذي تريد ؟ فإن كان أحد كلّمك أو خاصمك قل لي حتى أروح معك إلى الوالي فيأخذ لك حقك منه . فقال : لا وحياة رأسك يا قيم اليهود ما كلّمني أحد وإنما انا سرحت اليوم من بيتي على بختك ومضيت إلى البحر ورميت شبكتي في الدجلة فطلعت هذه السمكة ، ثم فتح المقطف ورمى السمكة قدام اليهودي . فلما رآها اليهودي استحسنها وقال : وحق التوراة والشعر والكلمات إني كنت نائمًا البارحة فرايت في المنام كأني بين يدي العذراء وهي تقول لي : أعلم يا أبا السعادات أني قد أرسلت إليك هدية مليحة . فلعل الهدية هذه السمكة من غير شك . ثم إنه التفت إلى خليفة وقال له : بحق دينك هل رآها أحد غيري ؟ فقال له خليفة : لا والله وحق أبي بكر الصديق يا قيم اليهود ما رآها أحد غيرك . فالتفت اليهودي إلى بعض غلمانه وقال له : تعالى خذ هذه السمكة ورح بها إلى البيت وخل سعادة تجهّزها وتقلي وتشوي إلى حين اقضي شغلي وأجيء . فقال له خليفة أيضاً : رح يا غلام خل امراة المعلم تقلي منها وتشوي منها . فقال الغلام : سمعاً وطاعة يا سيدي . ثم إنه أخذ السمكة وذهب بها إلى البيت . وأما اليهودي فإنه مد يده بدينار وناوله لخليفة الصياد وقال له : خذ هذا لك يا خليفة واصرفه على عيالك . فلما نظره خليفة في كفّه قال : سبحان مالك الملك . وكأنه ما نظر شيئًا من الذهب في عمره وأخذ الدينار ومشى قليلاً ثم إنه تذكّر وصية القرد فرجع ورمى له الدينار وقال له : خذ ذهبك وهات سمك الناس ، هل أنت عندك الناس سخرية؟ فلما سمع اليهودي كلامه ظن أنه يلعب معه ، فناوله دينارين على الدينار الأول . فقال له خليفة : هات السمك بلا لعب ، هل أنت تعرف أني أبيع السمك بهذا الثمن ؟ فمد اليهودي يده إلى اثنين آخرين وقال له : خذ هذه الخمسة دنانير حق السمك واترك الطمع . فأخذها خليفة في يده وتوجه بها وهو فرحان وصار ينظر إلى الذهب ويتعجب منه ويقول : سبحان الله ليس مع خليفة ببغداد مثل ما معي في هذا اليوم . ولم يزل سائراً

حتى وصل إلى راس السوق ، ثم تذكّر كلام القرد والوصية التي اوصاه بها فرجع إلى اليهودي ورمى له الذهب . فقال له : ما لك يا خليفة؟ اي شيء تطلب ؟ أتاخذ صرف دنانيرك دراهم ؟ فقال له : لا أريد دراهم ولا دنانير وإنما أريد أن تعطيني سمك الناس . فغضب اليهودي وصرخ عليه وقال له : يا صياد ، أتجيء لي بسمكة لا تساوي ديناراً واعطيك فيها خمسة دنانير فلا ترضى ؟ هل انت مجنون؟ قل لي : بكم تبيعها؟ فقال له خليفة : أنا لا أبيعها بفضة ولا بذهب وما أبيعها إلا بكلمتين تقولهما لي . فلما سمع اليهودي قوله كلمتين قامت عيناه في أم راسه وضاقت انفاسه وقرط على اضراسه وقال له : يا قطاعة المسلمين ، هل تريد أن أفارق ديني لأجل سمكتك وتفسد عليّ ملّتي وعقيدتي التي وجدت عليها آبائي من قبلي ؟ وصاح على غلمانه فحضروا بين يديه فقال لهم : ويلكم ، دونكم هذا النحس قطعوا بالصك قفاه واكثروا من الضرب أذاه . فنزلوا عليه بالضرب وما زالوا يضربونه حتى وقع تحت الدكان . فقال لهم اليهودي : خلّوا عنه حتى يقوم . فقام خليفة على حيله كأنه لم يكن به شيء . فقال له اليهودي : قل لي اي شيء تريده في ثمن هذه السمكة وانا أعطيك إياه ؟ فإنك ما نلت مناّ خيراً في هذه الساعة . فقال خليفة : لا تخف عليّ يا معلم من الضرب لأني آكل ضرباً قدر عشرة حمير . فضحك اليهودي من كلامه وقال له : بالله عليك قل لي : أي شيء تريد وانا وحق ديني أعطيك إياه . فقال له : لا يرضيني منك في ثمن هذه السمكة إلا كلمتان . فقال له اليهودي : اظن انك تطلب مني ان أسلم . فقال له خليفة : والله يا يهودي إن اسلمت فإسلامك لا ينفع المسلمين ولا يضرّ اليهود ، وإن بقيت على كفرك فكفرك لا يضرّ المسلمين ولا ينفع اليهود ، ولكن الذي اطلبه منك ان تقوم على قدميك وتقول : اشهدوا عليّ يا اهل السوق إني قد ابدلت قردي بقرد خليفة الصياد وحظي في الدنيا بحظه وبختي ببخته . فقال اليهودي : إن كان هذا الأمر مرادك فهو عليّ هيّن . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 835

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان اليهودي قال لخليفة الصياد : إن كان هذا الأمر مرادك فهو عليّ هيّن . ثم قام اليهودي من وقته وساعته ووقف على قدميه وقال مثل ما قال له خليفة الصياد وبعد ذلك التفت اليه وقال له : هل بقي لك عندي شيء ؟ فقال الصياد : لا . فقال له اليهودي : مع السلامة . فنهض خليفة من وقته وساعته واخذ قفّته وشبكته وجاء إلى بحر الدجلة ورمى الشبكة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما طلّعها إلا بعد جهد . فلما طلّعها رآها ملآنة بالسمك من جميع الأصناف . فجاءت له امراة ومعها طبق فاعطته ديناراً فاعطاها به سمكاً ، وجاء إليه خادم آخر واخذ بدينار ، وهكذا حتى باع سمكاً بعشرة دنانير . ولم يزل يبع في كل يوم بعشرة دنانير إلى نهاية عشرة أيام حتى جمع مائة دينار ذهباً . وكان لذلك الصياد بيت من داخل ممر التجار . فبينما هو نائم في بيته ليلة من الليالي إذ قال في نفسه : يا خليفة ، إن الناس كلهم يعرفون انك رجل فقير صياد وقد حصل معك مائة دينار من الذهب فلا بد أن أمير المؤمنين هارون الرشيد يسمع بخبرك من أحاد الناس فربما يحتاج إلى مال فيرسل إليك ويقول لك : إني محتاج إلى مبلغ من الدنانير وقد بلغني ان عندك مائة دينار فاقرضني إياها . فأقول : يا امير المؤمنين ، انا رجل فقير والذي اخبرك ان عندي مائة دينار كذب عليّ وليس معي ولا عندي

شيء من ذلك . فيسلمني إلى الوالي ويقول له : جرّده من ثيابه وعاقبه بالضرب حتى يقرّ ويأتي بالمائة دينار التي عنده . فالرأي الصواب الذي يخلّصني من هذه الورطة أني أقوم في هذه الساعة وأعاقب نفسي بالسوط لأكون قد تمرّنت على الضرب . وقال له حشيشه : قم تجرّد من ثيابك . فقام من وقته وساعته وتجرّد من ثيابه وأخذ في يده سوطاً كان عنده وكان عنده مخدة من جلد، فصار يضرب على تلك المخدة ضربة وعلى جلده ضربة ويقول : آه آه، والله إن هذا كلام باطل يا سيدي وإنهم يكذبون عليّ وأنا رجل فقير صياد وليس معي شيء من حطام الدنيا . فسمع الناس خليفة الصياد وهو يعاقب نفسه ويضرب فوق المخدة بالسوط، ولوقع الضرب على جسده وعلى المخدة دويّ في الليل . ومن جملة من سمعه التجار فقالوا : يا ترى ما لهذا المسكين يصيح ونسمع وقع الضرب نازلاً عليه ؟ فكأن اللصوص قد نزلوا عليه وهم الذين يعاقبونه . فعند ذلك قاموا كلهم على حس الضرب والصياح وخرجوا من منازلهم وجاؤوا إلى بيت خليفة فرأوه مقفولاً . فقالوا لبعضهم : ربما يكون اللصوص نزلوا عليه من وراء القاعة فينبغي أن نطلع من السطوح . فطلعوا السطوح ونزلوا من الممرق فرأوه عريانا وهو يعاقب نفسه فقالوا له : ما لك يا خليفة ؟ أي شيء خبرك ؟ فقال : اعلموا يا جماعة أني حصلت بعض دنانير وأنا خائف أن يرفع أمري إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد فيحضرني بين يديه ويطلب مني تلك الدنانير، وإذا أنكرت أخاف أن يعاقبني . فها أنا أعاقب نفسي وأجعل ذلك تمريناً لنفسي على ما يأتي . فضحك عليه التجار وقالوا له : اترك هذه الفعال لا بارك الله فيك ولا في الدنانير التي جاءتك، فقد أقلقتنا في هذه الليلة وأزعجت قلوبنا . فبطّل خليفة الضرب عن نفسه ونام إلى الصباح . فلما قام من النوم وأراد أن يذهب إلى شغله، تفكّر في أمر المائة دينار التي حصلت معه وقال في نفسه : إذا تركتها في البيت يسرقها اللصوص وإن وضعتها في كمر على وسطي فربما ينظرهم أحد فيترصّدني حتى أنفرد في مكان خال عن الناس فيقتلني ويأخذهم مني . ولكن أنا أفعل شيئًا من الحيل وهو مليح نافع جداً . ثم إنه نهض من وقته وساعته وخيّط له جيباً في طوق جبّته وربط المائة دينار في صرة ووضعها في ذلك الجيب الذي عمله، ثم قام وأخذ شبكته وقفّته وعصاه وسار حتى وصل إلى بحر الدجلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 836

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن خليفة الصياد لما وضع المائة دينار في جيبه أخذ قفّته وعصاه وشبكته وذهب إلى بحر الدجلة ورمى شبكته فيه ثم سحبها فلم يطلع له شيء، فانتقل من ذلك الموضع إلى موضع غيره ورمى شبكته فيه فلم يطلع له شيء . ولم يزل ينتقل من مكان إلى مكان حتى بعد عن المدينة مسافة نصف يوم وهو يرمي الشبكة ولم يطلع له شيء . فقال في نفسه : والله إني ما بقيت أرمي شبكتي في الماء إلا هذه المرة فإما عليها وإما بها . فطرح الشبكة بقوة عزمه لشدة غيظه فطارت الصرّة التي فيها المائة دينار من طوقه ووقعت في وسط البحر وراحت في قوة التيار، فرمى الشبكة من يده وتجرّد من ثيابه وتركها على البر ونزل في البحر وغطس خلف الصرّة . ولم يزل يغطس ويطلع نحو مائة مرة حتى ضعفت قوّته فلم يقع بتلك الصرة . فلما يئس منها طلع إلى البر فلم يجد سوى العصى والشبكة والقفّة وطلب ثيابه فلم يقع لها على أثر . فقال في نفسه : اهجن ما يضرب به المثل «لا تكمل الحجة إلا بنيك

الجمل». ثم إنه فرد الشبكة والتفّ فيها وأخذ العصى في يده والقفّة على كتفه وسار يهرول مثل الجمل الهائم، يجري يميناً وشمالاً وخلفاً وأمامًا، أشعث أغبر كالعفريت المتمرّد إذا انطلق من السجن السليماني. هذا ما كان من أمر خليفة الصياد. وأما ما كان من أمر الخليفة هارون الرشيد فإنه كان له صاحب جوهري يقال له: ابن القرناص. وقد كان جميع الناس والتجار والدلالين والسماسرة يعرفون أن ابن القرناص تاجر الخليفة وجميع ما يباع في مدينة بغداد من التحف وغيرها من الأمور المثمّنة لا يباع حتى يعرض عليه، ومن جملة ذلك المماليك والجواري. فبينما ذلك التاجر الذي هو ابن القرناص جالس في دكانه يومًا من الأيام وإذا بشيخ الدلالين قد أقبل عليه ومعه جارية ما رأى الراؤون مثلها، وهي في غاية من الحسن والجمال والقد والاعتدال. ومن جملة محاسنها أنها تعرف في جميع العلوم والفنون وتنظم الأشعار وتضرب على جميع آلات الطرب. فاشتراها ابن القرناص الجوهري بخمسة آلاف دينار ذهباً وكساها بألف دينار وأتى بها إلى أمير المؤمنين، فباتت عنده تلك الليلة واختبرها الخليفة في كل فن فرآها عارفة بجميع العلوم والصنايع، ليس لها في عصرها نظير وكان اسمها قوت القلوب. وهي كما قال الشاعر: [من البسيط]

أُرَدِّدُ الطَّرْفَ فِيها كُلَّما سَفَرَتْ ... وفي تَمَنُّعِها لِلطَّرْفِ رَدّاتُ
تَحْكِي الغِزالَ بِجيدٍ كُلَّما ٱلتَفَتَتْ ... ولِلْغَزالِ كَما قَدْ قِيلَ لَفْتاتُ

وأين هذا من قول الآخر: [من البسيط]

مَنْ لي بِأَسْمَرَ تَرْوِي عَنْ مَعاطِفِهِ ... ٱلسُّمْرِ الرِّشاقِ عَوالٍ سَمْهَرِيّاتُ
ساجِي الجُفُونِ حَرِيرِيُّ العِذارِ لَهُ ... في قَلْبِ عاشِقِهِ المُضْنَى مَقاماتُ

فلما أصبح الصباح أرسل الخليفة هارون الرشيد إلى ابن القرناص الجوهري، فلما حضر رسم له بعشرة آلاف دينار ثمن تلك الجارية. ثم إن الخليفة اشتغل قلبه بتلك الجارية المسمّات بقوت القلوب وترك السيدة زبيدة بنت القاسم وهي بنت عمه وترك جميع المحاظي وقعد شهراً كاملا لم يخرج من عند تلك الجارية إلا لصلاة الجمعة ثم يعود إليها على الفور. فعظم ذلك على أرباب الدولة فشكوا هذا الأمر إلى الوزير جعفر البرمكي، فصبر الوزير على امير المؤمنين حتى كان يوم الجمعة، فدخل الجامع واجتمع بأمير المؤمنين وحكى له جميع ما وقع له من القصص التي تتعلّق بالعشق الغريبة لأجل أن يستخرج ما عنده. فقال له الخليفة: يا جعفر، والله إن ذلك الأمر ليس باختياري ولكن قلبي تعلّق في شرك الهوى وما أدري كيف يكون العمل. فقال له الوزير جعفر: أعلم يا أمير المؤمنين ان هذه المحظية قوت القلوب قد صارت تحت أمرك ومن جملة خدمك وما تملكه اليد تزهده النفس، وانا اخبرك بشيء آخر وهو أن أحسن ما تفتخر به الملوك وأبناء الملوك هو الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص، فإذا فعلت ذلك ربما تشتغل به عنها وربما تنساها. فقال له الخليفة: نعم ما قلته يا جعفر، فامض بنا على الفور في هذه الساعة إلى الصيد. فلما انقضت صلاة الجمعة خرجا من الجامع وركبا من وقتهما وساعتهما وسارا إلى الصيد والقنص. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 837

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد طلع هو وجعفر إلى الصيد والقنص وسارا حتى وصلا إلى البرية. وقد كان امير المؤمنين هو والوزير جعفر راكبين على بغلتين فتشاغلا في الحديث مع بعضهما وسبقهما العسكر وقد حمي عليهما الحر فقال الرشيد: يا جعفر، إني قد لحقني العطش الشديد. ثم إن الرشيد مدّ نظره فرأى زوالاً على كوم عال فقال للوزير : هل انت ناظر ما أنا ناظره؟ فقال له الوزير : نعم يا امير المؤمنين انظر زوالاً على كوم عال، وهو إما حارس بستان أو حارس مقات، وعلى كل حال فلا تخلو جهته من الماء. ثم قال الوزير : أنا أمضي إليه وآتيك بالماء من عنده. فقال الرشيد : إن بغلتي اسرع من بغلتك، فقف أنت هنا من أجل العسكر وأنا أروح بنفسي واشرب من عند هذا الشخص واعود. ثم إن الرشيد ساق بغلته فخرجت مثل الريح في المسير أو مثل الماء في الغدير، ولم تزل منطلقة به حتى وصل إلى ذلك الزوال في مقدار لمح البصر، فلم يجد ذلك الزوال إلا خليفة الصياد. فرآه الرشيد وهو عريان ملتف بالشبكة وعيناه من غاية الإحمرار كأنهما مشاعل النار، بصورة هائلة وقامة مائلة وهو اشعث اغبر كأنه عفريت أو غضنفر، فسلّم عليه الرشيد، فردّ عليه السلام وهو غضبان ومن نفسه تلتهب النيران. فقال له الرشيد : يا رجل، هل عندك شيء من الماء؟ فقال له خليفة : يا هذا هل أنت أعمى أو مجنون؟ فدونك بحر الدجلة فإنه وراء هذا الكرم. فدار الرشيد من خلف الكرم ونزل إلى بحر الدجلة وشرب وسقى بغلته ثم طلع من وقته وساعته ورجع إلى خليفة الصياد. فقال له : ما شأنك يا رجل واقفاً هنا؟ وما صنعتك؟ فقال له خليفة : إن هذا السؤال اعجب واغرب من سؤالك عن الماء، اما ترى آلة صنعتي على كتفي؟ فقال له الرشيد : كأنك صياد. فقال له: نعم. فقال له الرشيد : فاين جبتك؟ واين شملتك؟ واين حرامك؟ واين ثيابك؟ وقد كانت الحوايج التي راحت من خليفة مثل الذي ذكرها له سواء بسواء. فلما سمع خليفة ذلك الكلام من الخليفة ظن في نفسه أنه هو الذي أخذ ثيابه من على شاطىء البحر، فنزل خليفة من وقته وساعته من فوق الكوم أسرع من البرق الخاطف وقبض على لجام بغلة الخليفة وقال له : يا رجل، هات لي حوايجي وخلّ عنك اللعب والمزاح. فقال له الخليفة : أنا والله ما رايت ثيابك ولا اعرفها. وقد كان الرشيد له خدود كبار وفم صغير فقال له خليفة : لعل صنعتك أنك مغن أو زمّار، ولكن هات لي ثيابي بالتي هي أحسن وإلا اضربك بهذه العصى حتى تبوّل على نفسك وتلوّث ثيابك. ثم إن الخليفة لما عاين العصا مع خليفة قال في نفسه : والله أنا ما احمل من هذا الصعلوك نصف ضربة بهذه العصا. وكان على الرشيد قباء من أطلس فقلعه وقال الخليفة : يا رجل، خذ هذا القباء عوضاً عن ثيابك. فأخذه خليفة وقلبه وقال : إن ثيابي تساوي عشرة مثل هذه العباءة المزوّقة. فقال الرشيد : البسه حتى أجيء لك بثيابك. فأخذه خليفة ولبسه فرآه طويلاً عليه، وقد كان مع خليفة سكين مربوطة في أذن القفّة فأخذها وقطع بها ذيل القباء مقدار ثلثه حتى صار لتحت ركبته. ثم انه التفت إلى الرشيد وقال له : بحق الله عليك يا زمّار ان تخبرني عن قدر جامكيتك في كل شهر عند أستاذك في صنعة المزمار. فقال له الخليفة : جامكيتي في كل شهر عشرة دنانير ذهباً. فقال له خليفة : والله يا مسكين لقد حمّلتني همّك، والله إن العشرة دنانير اكتسبها في كل يوم. فهل تريد ان تكون معي

في خدمتي وأنا أعلمك صنعة الصيد وأشاركك في المكسب؟ فتعمل في كل يوم بخمسة دنانير وتكون غلامي وأحميك من أستاذك بهذه العصا؟ فقال له الرشيد: رضيت بذلك. فقال له: إنزل الآن من فوق ظهر الحمارة واربطها حتى تبقى تنفعنا في حمل السمك وتعال حتى أعلمك الصيد في هذه الساعة. فعند ذلك نزل الرشيد عن ظهر بغلته وربطها وشمّر أذياله في دور منطقته. فقال له خليفة: يا زامر، إمسك هذه الشبكة كذا واعملها على ذراعك كذا وارميها في بحر الدجلة كذا. فقوّى الرشيد قلبه وفعل مثل ما أراه خليفة ورمى الشبكة في البحر وسحبها فما قدر أن يطلعها، فجاء إليه خليفة وسحبها معه فلم يقدر على تطليعها. فقال له خليفة: يا زامر النحس، إن كنت أخذت عباءتك عوضاً عن ثيابي في المرة الأولى، ففي هذه المرة آخذ حمارتك في شبكتي إن رأيتها تقطّعت وأضربك حتى تنساب على روحك. فقال له الرشيد: أسحب أنا وأنت معاً. فسحبها الإثنان معاً فما قدرا أن يطلعا تلك الشبكة إلا بالمشقة. فلما أطلعاها نظراها فإذا هي ملآنة من جميع أنواع السمك ومن سائر الوانه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 838

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن خليفة الصياد لما طلّع الشبكة هو والخليفة رآياها ملآنة من جميع أصناف السمك. فقال له خليفة: والله يا زمّار إنك قبيح، ولكن إذا عانيت الصيد تكون صياداً عظيماً، فالرأي الصواب أنك تركب حمارتك وتروح إلى السوق وتأتي بفردين وأنا أحفظ هذا السمك حتى تحضر ونحمله أنا وأنت على ظهر حمارتك وعندي الميزان والأرطال وجميع ما نحتاج إليه، فنأخذ الجميع معنا وليس عليك إلا أن تمسك الميزان وتقبض الأثمان، فإن معنا سمكاً يساوي عشرين ديناراً، فأسرع بمجيء الفردين ولا تبطىء. فقال له الخليفة: سمعاً وطاعة. ثم تركه وترك السمك وساق بغلته وهو في غاية الفرح، ولم يزل يضحك على ما جرى له مع الصياد حتى وصل إلى جعفر. فلما رآه جعفر قال له: يا أمير المؤمنين، لعلك لما رحت إلى الشرب وجدت بستاناً طيباً، فدخلته وتفرّجت فيه وحدك. فلما سمع الرشيد كلام جعفر ضحك. ثم إن جميع البرامكة قاموا وقبّلوا الأرض بين يديه وقالوا له: يا أمير المؤمنين أدام الله عليك الأفراح وأذهب عنك الأتراح، ما سبب تأخيرك حين ذهبت إلى الشرب؟ وما الذي جرى لك؟ فقال لهم الخليفة: لقد جرى لي حديث غريب وأمر مطرب عجيب. ثم أعاد عليهم حديث خليفة الصياد وما جرى له معه من قوله، أنت سرقت ثيابي، ومن كونه أعطاه قباه، ومن كون الصياد قطع القباء لما رآه طويلاً. فقال جعفر: والله يا أمير المؤمنين، لقد كان في خاطري أني أطلب القباء منك، ولكن أروح في هذه الساعة إلى الصياد وأشتريها منه. فقال له الخليفة: والله لقد قطع ثلثها من جهة ذيلها وأتلفها، ولكن يا جعفر قد كلّيت من صيدي في البحر لأني قد اصطدت سمكاً كثيراً وهو على شاطىء البحر عند معلمي خليفة، فإنه واقف هناك ينتظرني حتى أرجع إليه وآخذ له فردين ثم أروح أنا وإياه إلى السوق فنبيعه ونقسم ثمنه. فقال له: يا أمير المؤمنين، وأنا أجيء إليكم بالذي يشتري منكم. فقال له الخليفة: يا جعفر، وحق آبائي الطاهرين إن كل من جاء لي بسمكة من السمك الذي قدام خليفة الذي علّمني الصيد أعطيه فيها ديناراً ذهباً. فنادى المنادي في العسكر أن: اطلعوا واشتروا سمكاً لأمير المؤمنين. فطلع المماليك وقصدوا شاطىء البحر. فبينما خليفة ينتظر أمير المؤمنين حتى

يحضر له فردين وإذا بالمماليك قد انقضت عليه مثل العقبان واخذوا السمك ووضعوه في مناديل مزركشة من الذهب وصاروا يتضاربون عليه . فقال خليفة : لا شك أن هذا السمك من سمك الجنة . ثم اخذ سمكتين بيده اليمنى وسمكتين بيده اليسرى ونزل في الماء لحلقه وصار يقول : يا الله ، بحق هذا السمك ، إن عبدك الزمّار شريكي يجيء في هذه الساعة . وإذا بعبد قد أقبل عليه ، وكان ذلك العبد مقدّماً على جميع العبيد الذين كانوا عند الخليفة . وكان سبب تأخيره عن المماليك ان جواده وقف يبوّل في الطريق ، فلما وصل عند خليفة وجد السمك لم يبق منه شيء قليل ولا كثير . فنظر يميناً وشمالاً فرأى خليفة الصياد واقفاً في الماء ومعه السمك . فعند ذلك قال له : يا صياد تعال . فقال له الصياد : رح بلا فضول . فتقدّم إليه الخادم وقال له : هات هذا السمك وأنا أعطيك الثمن . قال خليفة الصياد للخادم : هل أنت قليل العقل ، انا لا ابيعه . فسحب عليه الدبوس . فقال له خليفة : لا تضرب يا شقي ، فالأنعام خير من الدبوس . ثم إنه رمى إليه السمك ، فاخذه الخادم وجعله في منديله وحطّ يده في جيبه فلم يجد ولا درهماً واحداً . فقال : يا صياد ، إن بختك مشؤوم وأنا والله ما معي شيء من الدراهم ، ولكن في غد تعال في دار الخلافة وقل دلّوني على الطواشي صندل ، فيدلك الخدام عليّ فإذا جئتني هناك يحصل لك الذي فيه النصيب فتأخذه وتروح إلى حال سبيلك . فعند ذلك قال خليفة : إن هذا اليوم مبارك وبركته ظاهرة من أوله . ثم إنه أخذ شبكته على كتفه ومشى حتى دخل بغداد ، ومشى في الأسواق فرأى الناس خلعة الخليفة عليه وصاروا ينظرون إليه حتى دخل الحارة ، وكان دكان خياط امير المؤمنين على باب الحارة . فنظر الخياط خليفة الصياد وعليه خلعة تساوي ألف دينار من ملابس الخليفة فقال : يا خليفة ، من أين لك هذه الفرجية ؟ فقال له خليفة : وأي شيء لك في الفضول ؟ انا أخذتها من الذي علّمته الصيد وصار غلامي وعفوت عنه في قطع يده لأنه سرق ثيابي ، وأعطاني هذه العباءة عوضًا عنهم . فعلم الخياط ان الخليفة قد عبر عليه وهو يصطاد ومزح معه وأعطاه الفرجية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 839

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الخياط لما علم أن الخليفة قد عبر على خليفة الصياد وهو يصطاد وقد مزح معه وأعطاه الفرجية ثم توجه الصياد إلى بيته . هذا ما كان من امره . وأما ما كان من أمر الخليفة هارون الرشيد فإنه ما طلع إلى الصيد والقنص إلا لأجل ما يشتغل عن الجارية قوت القلوب . وكانت زبيدة لما سمعت بالجارية واشتغال الخليفة بها أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة حتى امتنعت من الطعام والشراب وهجرت لذيذ المنام وصارت تنتظر غياب الخليفة أو سفره حتى تنصب لقوت القلوب شرك المكائد . فلما علمت ان الخليفة خرج إلى الصيد والقنص ، أمرت الجواري ان يفرشن الدار وأكثرت من الزينة والإفتخار ووضعت الأطعمة والحلويات وعملت من جملة ذلك طبقًا صينيًا فيه حلاوة من الطف ما يكون ووضعت فيه البنج وبنّجته ، ثم إنها أمرت بعض الخدام ان يمضي إلى الجارية قوت القلوب ويدعوها إلى زاد السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين ويقول لها : إن زوجة أمير المؤمنين قد شربت اليوم دواء وقد سمعت بطيب نغمك فاشتهت ان تتفرّج على شيء من صناعتك . فقالت : سمعاً وطاعة لله وللسيدة زبيدة . ثم إنها نهضت قائمة من وقتها وساعتها ولم تعلم بما

هو مخبوء لها في الغيب وأخذت معها ما تحتاج من الآلات وسارت مع الخادم، ولم تزل سائرة حتى دخلت على السيدة زبيدة. فلما دخلت عليها قبّلت الأرض بين يديها مراراً عديدة ثم نهضت قائمة على قدميها وقالت: السلام على الستر الرفيع والجناب المنيع والسلالة العباسية والبضعة النبوية، بلغك الله الإقبال والسلام في الأيام والأعوام ثم وقفت من جملة الجواري والخدام. فعند ذلك رفعت إليها السيدة زبيدة راسها ونظرت إلى حسنها وجمالها فرأت جارية أسيلة الخدود رمانية النهود، بوجه أقمر وجبين أزهر وطرف أحور، قد سكنت جفونها فتوراً وابتهج وجهها نوراً كأن الشمس تطلع من غرّتها وظلام الليل من طرّتها والمسك يفوح من نكهتها والأزهار تزهو من بهجتها والقمر يبدو من جبينها والغصن يميل من قدّها، كأنها البدر التام قد أشرق في جنح الظلام وقد تغزلت عيناها وتقوّست حاجباها وصيغت من المرجان شفتاها، تذهل بحسنها كل من نظرها وتسحر بطرفها كل من رآها، جل من خلقها وكملها وسواها. وهي كما قال الشاعر في من ضاهاها: [من الوافر]

إذا غَضِبَتْ رَأَيْتَ النَّاسَ قَتْلى ... وإنْ رَضِيَتْ فَأَرْواحٌ تَعُودُ
لَها مِنْ طَرْفِها لَحَظاتُ سِحْرٍ ... تُمِيتُ بِها وتُحْيِي مَنْ تُرِيدُ
وتَسْبِي العَالَمِينَ بِمُقْلَتَيْها ... كأَنَّ العَالَمِينَ لَها عَبِيدُ

ثم إن السيدة زبيدة قالت لها: أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا قوت القلوب، إجلسي حتى تفرجينا على أشغالك وحسن صناعتك. فقالت: سمعاً وطاعة. ثم جلست ومدّت يدها وأخذت الدف الذي قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات: [من الوافر]

أَيا ذا الطَّارِ قَلْبِي طارَ شَوْقًا ... ويَصْرُخُ مِنْ جَواهُ وأَنْتَ تَضْرِبْ
فَلَمْ تَأْخُذْ سِوَى قَلْبٍ جَرِيحٍ ... على تَوْقِيعِكَ الإِنْسانُ يَرْغَبْ
فَقُلْ قَوْلاً ثَقِيلاً أَوْ خَفِيفًا ... ولَحِّنْ ما تَشاءُ فَأَنْتَ تُطْرِبْ
وطِبْ واْخْلَعْ عِذارَكَ يا مُحِبُّ ... وقُمْ وأَرْقُصْ ومِلْ وأَعْجِبْ وعَجِّبْ

ثم ضربت ضرباً كثيراً وغنّت حتى أوقفت الطير وهاج بهم المكان. ثم حطّت الدف وأخذت الشبّابة التي قيل فيها هذا البيت: [من الطويل]

لَها أَعْيُنٌ إنْسانُها بأَصابعٍ ... يُشِيرُ إلى لَحْنٍ صَحِيحٍ بِلا شَكْلِ

وكما قال الشاعر أيضًا هذا البيت: [من الوافر]

إذا أَنْهَتْ إلى القَصْدِ الأَغاني ... يَطِيبُ الوَقْتُ مِنْ طَرَبٍ بِوَصْلِ

ثم إنها حطّت الشبّابة بعد أن طرب بها كل من حضر. ثم أخذت العود الذي قال فيه الشاعر: [من الطويل]

وغُصْنٍ رَطِيبٍ عادَ عَوْدَةَ قَيْنَةٍ ... يَحِنُّ إِلَيْهِ الأَكْرَمُونَ الأَفاضِلُ
تَجُسُّ وتَبْلُوهُ لِفَرْطِ ذَكائِها ... بأَنْمُلِها ما أَتْقَنَتْهُ السَّلاسِلُ

فشدّت أوتاره وعركت آذانه وحطّته في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها. فكان

الشاعر قال فيها وفي عودها هذه الأبيات : [من السريع]

قَدْ أَفْصَحَتْ بالوَتَرِ الأَعْجَمِي ... وأَفْهَمَتْ مَنْ لَمْ يَكُنْ فاهِمْ
وخَبَّرَتْ أَنَّ الهَوَى قاتِلٌ ... يُودِي بِعَقْلِ الرَّجُلِ المُسْلِمْ
جارِيَةٌ للهِ مِنْ كَفِّها ... مُصَوَّرٌ يَنْطِقُ عَنْ ذي فَمْ
قَدْ حَبَسَتْ بالعُودِ مَجْرَى الهَوَى ... حَبْسَ الطَّبِيبِ العَدْلِ مَجْرَى الدَّمْ

ثم ضربت اربعة عشر طريقة وغنّت نوبة كاملة حتى اذهلت الناظرين واطربت السامعين . ثم انشدت هذين البيتين : [من مجزوء الكامل]

قَدَمٌ عَلَيْكَ مُبارَكٌ ... فِيهِ السُّرُورُ يُجَدَّدُ
إِقْبالُهُ مُتَواتِرٌ ... ونَعِيمُهُ لا يَنْفَدُ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 840

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان الجارية قوت القلوب لما غنّت الأشعار وضربت على الأوتار بين يدي السيدة زبيدة كادت أن تعشقها وقالت في نفسها : ما يلام ابن عمي الرشيد في عشقها . ثم إن الجارية قبّلت الأرض بين يدي زبيدة وقعدت ، فقدّموا لها الطعام ثم قدّموا الحلو وقدّموا الصحن الذي فيه البنج فأكلت منه ، فما استقرّت الحلوى في جوفها حتى انقلب راسها وانطرحت على الأرض نائمة . فقالت السيدة زبيدة للجواري : ارفعنها إلى بعض المقاصير حتى اطلبها . فقلن لها : سمعًا وطاعة . ثم قالت لبعض الخدام : إعمل لنا صندوقًا واتني به . ثم امرت ان يعمل صورة قبر ويشيعوا ان الجارية قد شرقت وماتت ، ونبّهت على خواصها أن كل من قال إنها بالحياة تضرب رقبته . وإذا بالخليفة قد أتى في تلك الساعة من الصيد والقنص واول ما سأل سأل عن الجارية . فتقدّمَ إليه بعض خدمه وقد كانت أوصته السيدة زبيدة أنه إذا سأله الخليفة عنها يقول له إنها ماتت . فقبّل الأرض بين يديه وقال له : يا سيدي تعيش راسك ، وتيقّن ان قوت القلوب غصّت بالطعام فماتت . فقال الخليفة : لا بشّرك الله بالخير يا عبد السوء . ثم قام ودخل القصر فسمع بموتها من كل من في القصر فقال : اين قبرها ؟ فأتوا به إلى التربة واروه القبر الذي عمل تزويرًا وقالوا له : هذا قبرها . فلما نظره صاح واعتنق القبر وبكى وانشد هذين البيتين : [من البسيط]

باللهِ يا قَبْرُ هَلْ زالَتْ مَحاسِنُها ... وهَلْ تَغَيَّرَ ذاكَ المَنْظَرُ النَّضِرُ
يا قَبْرُ ما أَنْتَ لا رَوْضٌ ولا أُفُقٌ ... فَكَيْفَ يُجْمَعُ فِيكَ الغُصْنُ والقَمَرُ

ثم إن الخليفة بكى عليها بكاء شديدًا ومكث هناك ساعة زمانية ثم قام من عند القبر وهو في غاية الحزن . فعلمت السيدة زبيدة ان حيلتها قد تمّت . فقالت للخادم : هات الصندوق . فاحضره بين يديها ، فأحضرت الجارية ووضعتها فيه وقالت للخادم : إجتهد في بيع الصندوق واشترط على من يشتريه أنه يشتريه وهو مقفول ثم تصدّق بثمنه . فأخذه الخادم وخرج من عندها وامتثل امرها . هذا ما كان من امر هؤلاء . واما ما كان من امر خليفة الصياد فإنه لما اصبح الصباح

واضاء بنوره ولاح قال : ليس لي شغل في هذا اليوم احسن من رواحي إلى الطواشي الذي قد اشترى مني السمك ، فإنه واعدني ان اروح إليه في دار الخلافة . ثم إن خليفة خرج من داره قاصداً دار الخلافة ، فلما وصل إليها وجد المماليك والعبيد والخدم قياماً وقعوداً ، فتأمّلهم وإذا بالخادم الذي اخذ منه السمك جالس والمماليك في خدمته . فصاح عليه غلام من المماليك ، فالتفت إليه الخادم لينظر من هو وإذا هو بالصياد ، فلما عرف الصياد أنه رآه وتحقّق ذاته قال له : ما قصرت يا شقير هكذا تكون اصحاب الأمانات . فلما سمع الخادم كلامه ضحك عليه وقال له : والله لقد صدقت يا صياد . ثم إن الخادم صندل اراد ان يعطيه شيئًا فمدّ يده إلى جيبه وإذا بصياح عظيم ، فرفع الخادم راسه لينظر ما الخبر وإذا بالوزير جعفر البرمكي خارج من عند الخليفة . فلما رآه الخادم نهض إليه قائمًا ومشى بين يديه وصارا يتحدّثان وهما ماشيان حتى طال الوقت ، فوقف خليفة الصياد مدّة والخادم لم يلتفت إليه . فلما طال وقوفه تعرّض إليه الصياد وهو بعيد عنه واشار إليه بيده وقال : يا سيدي شقير ، خلّيني اروح . فسمعه الخادم واستحى ان يرد عليه بسبب حضور الوزير جعفر وصار الخادم يتحدّث مع الوزير ويتشاغل عن الصياد فقال خليفة : يا مماطل ، قبّح الله كل ثقيل وكل من ياخذ متاع الناس ويتثاقل عليهم ، انا دخيلك يا سيدي كرش النخال ان تعطيني الذي لي لأجل ان اروح . فسمعه الخادم فاستحى من جعفر ، ورآه ايضًا جعفر وهو يشير بيديه ويتحدّث مع الخادم ولكنه لم يعرف ما يقوله له . فقال للخادم وقد انكر عليه : يا طواشي ، اي شيء يطلب منك هذا السائل المسكين ؟ فقال له صندل الخادم : أما تعرف هذا يا مولانا الوزير ؟ فقال الوزير جعفر : والله ما اعرفه ومن اين اعرف هذا وأنا ما رايته إلا في هذه الساعة ؟ فقال له الخادم : يا مولانا هذا الصياد الذي نهبنا سمكه من شاطىء الدجلة وكنت أنا ما لحقت شيئًا واستحييت ان ارجع إلى امير المؤمنين بلا شيء وكل المماليك قد اخذوا ، فلما وصلت إليه وجدته واقفًا في وسط البحر يدعوا الله ومعه اربع سمكات فقلت له : هات ما معك وخذ حقه . فلما اعطاني السمك ادخلت يدي في جيبي واردت ان اعطيه شيئًا فما رايت فيه شيئًا . فقلت له : تعال إليّ في القصر وانا اعطيك شيئًا تستعين به على فقرك . فجاءني في هذا اليوم فمددت يدي واردت ان اعطيه شيئًا فجئت انت ، فقمت في خدمتك واشتغلت بك عنه فطال عليه الامر . فهذه قصته وهذا سبب وقوفه . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 841

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان صندلاً الطواشي لما حكى لجعفر البرمكي حكاية خليفة الصياد قال له بعد ذلك : فهذه قصّته وهذا سبب وقوفه . فلما سمع الوزير كلام الطواشي تبسّم منه وقال : يا طواشي ، كيف جاء هذا الصياد في وقت حاجته ولم تقضها له ؟ اما تعرفه يا رئيس الطواشية ؟ قال : لا . قال : هذا معلم امير المؤمنين وشريكه ، وقد اصبح اليوم مولانا الخليفة ضيّق الصدر حزين القلب مشتغل البال وما له شيء يشرح صدره إلا هذا الصياد ، فلا تخله يروح حتى اشاور عليه الخليفة واحضره بين يديه فلعل الله يفرج ما به ويسلّيه على فقد قوت القلوب بسبب حضوره فيعطيه شيئًا يستعين به ، فتكون انت السبب في ذلك . فقال له الخادم : يا مولاي ، إفعل ما تريد فالله تعالى يبقيك ركناً لدولة امير المؤمنين ادام الله ظلها وحفظ فرعها واصلها . ثم إن الوزير جعفر نهض متوجهًا إلى الخليفة والخادم امر المماليك انهم لا

يفارقون الصياد . فقال خليفة الصياد عند ذلك : ما أجمل إحسانك يا شقير ، قد صار الطالب مطلوباً لأني جئت لأطلب مالي فحبسوني على البواقي . فلما دخل جعفر على الخليفة وجده قاعداً وهو مطرق برأسه إلى الأرض ضيّق الصدر كثير الفكر يترنم بقول الشاعر : [من الطويل]

تُكَلِّفُنِي السُّلْوانَ عَنْها عَواذِلي وما لي عَلى قَلْبِي إذا لَمْ يُطِعْ أَمْرِي
وكَيْفَ يَكُونُ الصَّبْرُ عَنْ حُبِّ طِفْلَةٍ عَلى حُبِّها في الهَجْرِ لا يُجْدِني صَبْرِي
ولَمْ أَنْسَها والكأسُ قَدْ دارَ بَيْنَنا وقَدْ مالَ بي مِنْ خَمْرِ أَلحاظِها سُكْرِي

فلما صار جعفر بين يدي الخليفة قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حرمة الدين وابن عم سيد المرسلين ﷺ وعلى آله أجمعين . فرفع الخليفة رأسه وقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . فقال جعفر : عن إذن أمير المؤمنين يتكلم خادمه ولا حرج عليه . فقال الخليفة : ومتى كان عليك حرج في الكلام وأنت سيد الوزراء؟ تكلم بما تريد . فقال له الوزير جعفر : إني خرجت يا مولانا من بين يديك أريد داري فرأيت أستاذك ومعلمك وشريكك خليفة الصياد واقفاً بالباب وهو متغيّر عليك ويشتكي منك ويقول : سبحان الله ، قد علّمته الصيد وذهب ليأتيني بفردين فلم يعد إليّ ، وما هذا شأن الشركة ولا شأن المعلمين . فإن كان لك غرض في الشركة فلا بأس وإلا فعرّفه ليشارك غيرك . فلما سمع الخليفة كلامه تبسّم وزال ما كان عنده من ضيق الصدر ثم قال لجعفر : بحياتي عليك ، أحق ما تقوله من أن الصياد واقف بالباب؟ قال جعفر : وحياتك يا أمير المؤمنين إنه واقف بالباب . فعند ذلك قال الخليفة : يا جعفر ، والله لأسعين في قضاء حقّه فإن يرد الله له على يدي شقاوة نالها وإن يرد له على يدي سعادة نالها . ثم إن الخليفة أخذ ورقة وقطّعها قطعاً وقال : يا جعفر أكتب بيدك عشرين قدراً من دينار إلى ألف دينار ، ومراتب الولاية والإمارات من أقل العمل إلى الخلافة ، وعشرين صنفاً من أنواع النكال من أقل التعزيز إلى القتل . فقال جعفر : سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين . ثم كتب الأوراق بيده كما أمره الخليفة . ثم بعد ذلك قال الخليفة : يا جعفر ، أقسم بحق آبائي الطاهرين واتصالي بحمزة وعقيل إني أريد أن أحضر خليفة الصياد وآمره أن يأخذ ورقة من هذه الأوراق لا يعرف ما فيها إلا أنا وأنت ، فأي شيء كان فيها ملكته له ولو كان فيها الخلافة نزعت نفسي منها وملكته إياها ولا أبخل بها عليه ، وإن كان فيها شنق أو قطع أو هلاك فعلته به ، فاذهب وائتني به . فلما سمع جعفر هذا الكلام قال في نفسه : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ربما يطلع لهذا المسكين شيء بإتلافه فأكون أنا السبب ، ولكن الخليفة قد حلف وما بقي إلا أنه يدخل ولا يكون إلا ما يريده الله . ثم توجه إلى خليفة الصياد وقبض على يده وأراد الدخول به ، فطار عقل خليفة من رأسه وقال في نفسه : أي شيء عبثي حتى جئت إلى هذا العبد النحس شقير فجمع بيني وبين كرش النخال؟ ثم إن جعفر لم يزل سائراً به والمماليك خلفه وقدامه وهو يقول : ما كفى الحبس حتى يكون هؤلاء خلفي وقدامي فيحرموني أن أهرب؟ ولم يزل جعفر سائراً به حتى قطع سبعة دهاليز . ثم قال الخليفة : ويلك يا صياد ، إنك تقف بين يدي أمير المؤمنين وحامي الدين . ثم رفع الستر الأكبر فوقعت عين خليفة الصياد على الخليفة وهو جالس على سريره وأرباب الدولة قيام في خدمته . فلما عرفه تقدّم إليه وقال : أهلاً وسهلاً يا زمّار ، ما يصح منك أن تعمل صياداً ثم تتركني قاعداً حرس السمك

وتروح ولم تجيء، فما شعرت إلا والمماليك قد اقبلوا على دواب مختلفة الألوان فخطفوا السمك مني وأنا واقف وحدي وهذا كله من تحت راسك، فلو كنت جئت بالأفراد سريعًا كنا بعنا منه بمائة دينار. ولكن أنا جئت في طلب حقي فحبسوني وانت من حبسك في هذا الموضع؟ فتبسّم الخليفة ثم رفع طرف الستارة وأخرج راسه من تحتها وقال له: تقدّم وخذ لك ورقة من هذه الأوراق. فقال خليفة الصياد لأمير المؤمنين: انت كنت صياد واراك اليوم منجماً، ولكن من كثرت صنايعه كثر فقره. فقال جعفر: خذ الورقة بسرعة من غير كلام وامتثل ما أمرك به أمير المؤمنين. فتقدم خليفة الصياد ومد يده وقال: هيهات إن كان هذا الزمّار يرجع غلامي ويصطاد معي. ثم أخذ الورقة وناولها للخليفة وقال: يا زمّار، أي شيء طلع لي فيها لا تخف منه شيئًا. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 842

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن خليفة الصياد لما أخذ ورقة من الأوراق وناولها للخليفة قال له: يا زمّار، أي شيء طلع لي فيها لا تخف منه شيئًا. فأخذها الخليفة بيده وناولها للوزير جعفر وقال له: إقرأ ما فيها. فنظر إليها جعفر وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقال الخليفة: خير خير يا جعفر، ما رأيت فيها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، طلع في الورقة: يضرب الصياد مائة عصا. فأمر الخليفة بضربه مائة عصا. فامتثلوا أمره وضربوا خليفة مائة عصا ثم قام وهو يقول: لعن الله هذا اللعب يا كرش النخال هل الحبس والضرب من جملة اللعب؟ فقال جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا المسكين جاء إلى البحر وكيف يرجع عطشانًا؟ نرجو من صدقات أمير المؤمنين أن يأخذ له ورقة أخرى فلعله يطلع له فيها شيء فيرجع به ليستعين به على فقره. فقال الخليفة: والله يا جعفر إن أخذ ورقة وطلع له فيها قتل لأقتلنه فتكون أنت السبب. فقال جعفر: إن كان يموت فإنه يستريح. فقال له خليفة الصياد: لا بشرك الله بالخير، هل أنا ضيّقت عليكم بغداد حتى تطلبوا قتلي؟ فقال جعفر: خذ لك ورقة واستخر الله تعالى. فمد يده وأخذ ورقة وأعطاها لجعفر فأخذها منه وقرأها وسكت. فقال له الخليفة: ما لك سكت يا ابن يحيى؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه طلع في الورقة لا يعطى الصياد شيئًا. فقال الخليفة: ما له رزق عندنا، قل له يروح من وجهي. فقال: جعفر بحق آبائك الطاهرين أن تخليه يأخذ الثالثة لعله يطلع له فيها رزق. فقال الخليفة: دعه يأخذ له ورقة لا شيء غيرها. فمد يده وأخذ الورقة الثالثة وإذا فيها يعطى الصياد ديناراً. فقال جعفر لخليفة: طلبت لك السعادة فما أراد الله لك إلا هذا الدينار. فقال خليفة: كل مائة عصا بدينار خير كثير، لا أصحّ الله لك بدناً. فضحك الخليفة وأخذ جعفر بيد خليفة وخرج به، فلما وصل إلى الباب رآه صندل الخادم فقال له: تعال يا صياد أنعم علينا مما أعطاك أمير المؤمنين وهو يمزح معك. فقال له خليفة: والله صدقت يا شقير، وهل تريد أن تقاسمني يا أسود الجلد وقد أكلت مائة عصا وأخذت ديناراً واحداً؟ أنت في حل منه. ثم رمى الدينار للخادم وخرج ودموعه تجري على صحن خده. فلما نظره الخادم وهو على تلك الحالة عرف أنه صادق فرجع إليه وصاح على الغلمان أن ردّوه. فردّوه، فمد يده إلى جيبه فأخرج منه كيسًا أحمر ففتحه ونفضه وإذا فيه مائة دينار من الذهب وقال: يا صياد، خذ هذا الذهب حق سمكك وامض إلى حال سبيلك. فعند ذلك فرح خليفة

الصياد وأخذ المائة دينار ودينار الخليفة وخرج وقد نسي الضرب . ولما أراد الله تعالى إنفاذ ما قضاه ، عَبَرَ خليفة الصياد في سوق الجواري فرأى حلقة كبيرة وفيها خلق كثير . فقال خليفة في نفسه : أي شيء هؤلاء الناس ؟ ثم تقدّم وشقّ بين الناس من تجار وغيرهم . فقال التجار : وسّعوا للناخودة زليط . فوسعوا له فنظر خليفة وإذا بشيخ قائم على رجليه وبين يديه صندوق وعليه خادم جالس والشيخ ينادي ويقول : يا تجار يا أرباب الأموال ، من يخاطر ويبادر بالعطاء لهذا الصندوق المجهول من دار السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين الرشيد بكم عليكم بارك الله فيكم . فقال واحد من التجار : والله إن هذه مخاطرة ، فأنا أقول كلاماً وما عليّ فيه ملام ، هو عليّ بعشرين ديناراً . فقال آخر : بخمسين ديناراً . ثم تزايد التجار فيه إلى أن وصل مائة دينار . فقال المنادي : هل عندكم زيادة يا تجار ؟ فقال خليفة الصياد : عليّ بمائة دينار ودينار . فلما سمع التجار كلام خليفة حسبوه يلعب ، فضحكوا عليه وقالوا : يا طواشي ، بع إلى خليفة بالمائة دينار ودينار . فقال الطواشي : والله ما أبيعه إلا له . خذ يا صياد بارك الله لك فيه وهات الذهب . فأخرج خليفة الذهب وسلّمه إلى الخادم ووقعت المعاقدة . ثم إن الخادم تصدّق بالذهب وهو في موضعه ورجع إلى القصر وأعلم السيدة زبيدة بما فعل ففرحت بذلك . ثم إن خليفة الصياد حمل الصندوق على كتفه فلم يقدر على حمله لعظم ثقله ، فحمله على رأسه وأتى به إلى الحارة ووضعه عن رأسه وكان قد تعب ، فقعد يتفكّر فيما جرى له وصار يقول في نفسه : يا ليت شعري ما في هذا الصندوق . ثم فتح باب داره وعالج في الصندوق حتى أدخله داره وبعد ذلك عالج أن يفتحه فلم يقدر . فقال في نفسه : أي شيء حصل في عقلي حتى اشتريت هذا الصندوق ؟ فلا بد من كسره وأنظر ما فيه . ثم عالج القفل فلم يقدر . فقال في نفسه : أنا أخليه إلى غد . ثم طلب أن ينام فلم يجد موضعاً ينام فيه لأن الصندوق جاء على قياس البيت ، فطلع ونام فوقه واستمرّ ساعة وإذا بشيء يتحرّك ، ففزع خليفة وفرّ عنه النوم وقد طار عقله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 843

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصياد لما نام على الصندوق استمرّ ساعة وإذا بشيء يتحرّك . ففزع وطار عقله وقام من النوم وقال : كأن فيه جن ، الحمد لله الذي ما جعلني فتحته لأني لو كنت فتحته لقاموا عليّ في الظلام وأهلكوني ولم يحصل لي منهم خير . ثم إنه رجع ونام وإذا بالصندوق يتحرّك ثاني مرة أكثر من الأول . فنهض خليفة قائماً وقال : هذه نوبة أخرى لكنها مزعجة . ثم بادر إلى سراج فلم يجده ولم يكن معه ما يشتري به سراجاً ، فخرج من البيت وصاح : يا أهل الحارة . وكان أكثر أهل الحارة نائمين فانتبهوا على صياحه وقالوا : ما لك يا خليفة ؟ فقال : إلحقوني بسراج فإن الجن خرجوا عليّ . فضحكوا عليه وأعطوه سراجاً ، فأخذه ودخل به بيته وضرب قفل الصندوق بحجر فكسره وفتح الصندوق ، وإذا هو بجارية كأنها حورية وهي نائمة في الصندوق وكانت مبنّجة وقد تقايت البنج في تلك الساعة فاستفاقت وفتحت عينيها وحسّت بالضيق فتحرّكت . فلما رآها خليفة نهض إليها وقال : بالله يا سيدتي ، من أين أنت ؟ ففتحت عينها وقالت : هات لي ياسميناً ونرجساً . فقال خليفة : ما هنا إلا تمر حناء . فاستفاقت في نفسها ونظرت خليفة فقالت له : أي شيء أنت ؟ ثم إنها

قالت : وأين انا ؟ قال لها : انت في بيتي . قالت : اما انا في قصر الخليفة هارون الرشيد ؟ فقال لها : اي شيء الرشيد يا مجنونة ؟ ما انت إلا جاريتي وفي هذا اليوم اشتريتك بمائة دينار ودينار وجئت بك إلى بيتي وكنت في هذا الصندوق نائمة . فلما سمعت الجارية كلامه قالت له : ما اسمك ؟ قال : إسمي خليفة . ما بال نجمي قد سعد وانا اعرف نجمي غير ذلك . فضحكت وقالت : دعني من هذا الكلام ، هل عندك شيء يؤكل ؟ فقال : والله ولا شيء يشرب ، وانا والله لي يومان ما اكلت شيئًا وانا الآن محتاج إلى لقمة . فقالت له : أما معك دراهم ؟ فقال : الله يحفظ هذا الصندوق الذي افقرني لأني أوردت ما كان معي فيه وبقيت مفلساً . فضحكت عليه الجارية وقالت : قم اطلب من جيرانك شيئًا آكله فإني جائعة . فقام خليفة وخرج من البيت وصاح : يا اهل الحارة . وقد كانوا راقدين فانتبهوا وقالوا : ما لك يا خليفة ؟ فقال : يا جيراني انا جائع وما عندي شيء آكله . فنزل له واحد برغيف وآخر بكسرة وآخر بقطعة جبن وآخر بخيارة فامتلأ حجره ودخل البيت وحطّ الجميع بين يديها وقال لها : كلي . فضحكت عليه وقالت له : كيف آكل من هذا ولا عندي كوز ماء أشرب منه ؟فأخاف أن أشرق بلقمة فأموت ؟ فقال خليفة : أنا أملأ لك هذه الجرة . ثم اخذ الجرة وخرج في وسط الحارة وصاح : يا أهل الحارة . فقالوا له : ما مصيبتك في هذه الليلة يا خليفة ؟ فقال لهم : انتم أعطيتموني فأكلت ولكن عطشت فاسقوني . فنزل له هذا بكوز وهذا بإبريق وهذا بقلة فملأ الجرة ودخل بها البيت وقال لها : يا سيدتي ، ما بقي لك حاجة . فقالت : صحيح ، ما بقي لي حاجة في هذه الساعة . فقال لها : كلّميني وحدّثيني بحديثك . فقالت : ويلك ، إن كنت لم تعرفني فانا اعرّفك بنفسي : انا قوت القلوب جارية الخليفة هارون الرشيد ، وقد غارت مني السيدة زبيدة وبنّجتني ووضعتني في هذا الصندوق . ثم قالت : الحمد لله الذي كان هذا الأمر السهل ولم يكن غيره ، ولكن ما جرى لي هذا إلا من اجل سعادتك فلا بد أن تأخذ من الخليفة الرشيد مالاً كثيراً يكون سببًا في غنائك . فقال لها خليفة : أما هو الرشيد الذي كنت في قصره محبوساً ؟ قالت : نعم . قال : والله ما رأيت أبخل منه ذلك الزمّار القليل الخير والعقل ، فإنه ضربني أمس مائة عصا وأعطاني ديناراً واحداً مع اني علّمته الصيد وشاركته فغدر بي . فقالت له : دع عنك هذا الكلام القبيح وافتح عينك وعليك بالأدب إذا رأيته بعد هذه المرة فإنك تبلغ مرادك . فلما سمع كلامها كان كانه نائم واستيقظ وكشف الله عن بصيرته لأجل سعادته . فقال لها : على الرأس والعين . ثم قال لها : بسم الله نامي . فقامت ونامت ونام هو بعيداً عنها إلى الصباح . فلما اصبحت طلبت منه دواة وورقة فأحضرهما لها ، فكتبت إلى التاجر الذي هو صاحب الخليفة تخبره بحالها وما جرى لها من انها عند خليفة الصياد وقد اشتراها . ثم دفعت له الورقة وقالت له : خذ هذه الورقة وامض بها إلى سوق الجواهر واسأل عن دكان ابن القرناص الجوهري واعطه هذه الورقة ولا تتكلم . فقال لها خليفة : سمعاً وطاعة . ثم إنه أخذ الورقة من يدها ومضى بها إلى سوق الجواهر وسأل عن دكان ابن القرناص فأرشدوه إليه . فأتاه وسلّم عليه فردّ عليه السلام واحتقره في عينه وقال له : أي حاجة لك ؟ فناوله الورقة . فأخذها ولم يقرأها لظنه أنه صعلوك يطلب منه صدقة . فقال لبعض غلمانه : أعطه نصف درهم . فقال له خليفة : لا حاجة لي بالصدقة ولكن إقرأ الورقة . فأخذ الورقة وقرأها ففهم ما فيها . فلما عرف ما فيها قبّلها ووضعها على رأسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 844

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ابن القرناص لما قرأ الورقة وفهم ما فيها قبّلها ووضعها على رأسه ونهض قائماً وقال له: يا أخي، أين بيتك؟ فقال له خليفة: وما تريد ببيتي؟ فهل مرادك أن تروح إليه وتسرق جاريتي؟ فقال له: لا بل اشتري لك شيئًا تأكله أنت وإياها. فقال له: بيتي في الحارة الفلانية. فقال له: أحسنت، لا أعطاك الله عافية يا مندبور. ثم صاح على عبدين من عبيده وقال لهما: إمضيا مع هذا الرجل إلى دكان محسن الصيرفي وقولا له: يا محسن، أعط هذا الألف دينار من الذهب وارجعا به إليّ بسرعة. فمضى العبدان مع خليفة إلى دكان الصيرفي وقالا له: يا محسن، أعط هذا الرجل الألف دينار من الذهب. فأعطاه إياها فأخذها خليفة ورجع مع العبدين إلى دكان سيدهما فوجدوه راكباً زرزورية تساوي الألف دينار والمماليك والغلمان حوله، وفي جنب بغلته بغلة مثلها مسرجة ملجمة. فقال لخليفة: بسم الله إركب هذه البغلة. فقال خليفة: أنا لا أركب والله إني أخاف أن ترميني. فقال له التاجر ابن القرناص: والله لا بد من ركوبك. فتقدّم خليفة ليركبها فركبها مقلوباً ومسك ذنبها وصرخ، فرمته على الأرض فضحكوا عليه. ثم قام وقال: أنا ما قلت لك ما أركب هذا الحمار الكبير. ثم إن ابن القرناص ترك خليفة في السوق وراح إلى أمير المؤمنين وأعلمه بالجارية ثم رجع ونقلها إلى بيته. ثم إن خليفة ذهب إلى البيت لينظر الجارية فرأى أهل الحارة مجتمعين وهم يقولون: إن خليفة اليوم مرهوب بالكلية، يا ترى هذه الجارية من أين له؟ فقال واحد منهم: هذا قوّاد مجنون لعله وجدها في الطريق سكرانة فحملها وأتى بها إلى بيته وما غاب إلا لأنه عرف ذنبه. فبينما هم في الكلام وإذا بخليفة أقبل عليهم فقالوا له: أي شيء حالك يا مسكين؟ أما تعرف أي شيء جرى لك؟ فقال: لا والله. فقالوا: في هذه الساعة جاء مماليك وأخذوا جاريتك وطلبوك فما وجدوك. فقال خليفة: كيف أخذوا جاريتي؟ فقال واحد: لو كان وقع كانوا قتلوه. فلم يلتفت خليفة إليهم بل رجع يجري إلى دكان ابن القرناص فرآه راكبًا فقال له: والله ما يصح منك فإنك شاغلتني وأرسلت مماليكك فأخذوا جاريتي. فقال: يا مجنون تعال وأنت ساكت. ثم أخذه وأتى به إلى دار مليحة البناء فدخل به هناك، فنظر الجارية قاعدة فيها على سرير من ذهب وحولها عشر جوار كأنهن الأقمار. فلما رآها ابن القرناص قبّل الأرض بين يديها. فقالت له: ما فعلت بسيدي الجديد الذي اشتراني بجميع ما يملك؟ فقال لها: يا سيدتي، أعطيته الألف دينار من الذهب، وحكى لها خبر خليفة من أوله إلى آخره. فضحكت وقالت: لا تؤاخذه فإنه رجل عامي. ثم قالت: وهذه ألف دينار أخرى هبة مني إليه وإن شاء الله تعالى يأخذ من الخليفة ما يغنيه. فبينما هم في الحديث وإذا بخادم من عند الخليفة قد أقبل يطلب قوت القلوب لأنه علم أنها في بيت أبي القرناص، وحين علم ذلك لم يصبر عنها فأمر بإحضارها. فلما توجهت إليه أخذت خليفة معها وذهبت حتى أقبلت على الخليفة، فلما وصلت إليه قبّلت الأرض بين يديه. فقام إليها وسلّم عليها ورحّب بها وسألها كيف كان حالها مع من اشتراها. فقالت له: إنه رجل يسمّى خليفة الصياد وها هو واقف بالباب، وقد ذكر لي أن له مع مولانا أمير المؤمنين محاسبة من أجل الشركة التي كانت بينه وبينه في الصيد. فقال: هل هو واقف؟ قالت: نعم. فأمر بإحضاره فحضر وقبّل الأرض بين يدي الخليفة ودعا له بدوام العز

والنعم . فتعجب الخليفة منه وضحك عليه وقال له : يا صياد، هل كنت أمس شريكي حقيقة؟ ففهم خليفة كلام أمير المؤمنين فقوّى قلبه وثبت جنانه وقال له : وحق من أنعم عليك بخلافة ابن عمك ما أعلمها على أي حالة وما كان مني غير النظر والحديث . ثم أعاد عليه جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر وصار الخليفة يضحك عليه . ثم إنه حدّثه بحديث الخادم وما جرى له معه وكيف أعطاه المائة دينار على الدينار الذي أخذه من الخليفة، وحدّثه أيضاً بدخوله السوق واشترائه الصندوق بالمائة دينار وهو لا يعلم ما فيه، وحكى له جميع الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى . فضحك عليه الخليفة وانشرح صدره وقال له : نحن على ما تريد يا موصل الحق إلى أهله ثم سكت . وبعد ذلك أمر له الخليفة بخمسين ألف دينار ذهباً وخلعة سنية من ملابس الخلفاء الكبار وبغلة، وأهدى إليه عبيداً من السودان يخدمونه، وصار كأنه بعض الملوك الموجودة في ذلك الزمان . وقد فرح الخليفة بقدوم جاريته وعلم أن هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 845

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة فرح برجوع قوت القلوب وعرف أن هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه، فزاد غضبه عليها وهجرها مدة من الزمان وصار لا يدخل عليها ولا يميل إليها . فلما تحققت ذلك، حصل لها من غيظه همّ عظيم واصفرّ لونها بعد الإحمرار . فلما أعياها الصبر أرسلت إلى ابن عمها أمير المؤمنين تعتذر إليه وتقرّ بذنبها وقد أنشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

أَميلُ إلى ما كانَ مِنْكُمْ مِنَ الرِّضَى ... لأُطْفِىءَ مِنِّي حَسْرَةً وتَأَسُّفا

أَيا سادَتِي رِقُّوا لِفَرْطِ صَبابَتِي ... فَهذا الَّذي لاقَيْتُهُ مِنْكُمْ كَفَا

لَقَدْ عِيلَ صَبْرِي بَعْدَكُمْ يا أَحِبَّتِي ... وكَدَّرْتُـمُ العَيْشَ الَّذي كانَ قَدْ صَفا

حَياتِي إذا أَوْفَيْتُمُوْ بِعُهُودِكُمْ ... ومَوْتِي إذا لَمْ تَسْمَحُوا لِي بالوَفا

هَبُوا أَنَّـنِي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَسامِحُوا ... فَواللهِ ما أَحْلَى الحَبِيبَ إذا عَفا

فلما وصلت مراسلة السيدة زبيدة إلى أمير المؤمنين وقرأها عرف أنها اعترفت بذنبها وأرسلت تعتذر إليه مما فعلت . فقال في نفسه : إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم . وأرسل إليها ردّ الجواب عن مراسلتها مشتملاً على الرضى والسماح والعفو عمّا مضى فحصل لها الفرح العظيم . ثم إن الخليفة رتّب لخليفة في كل شهر خمسين ديناراً جائزة له وصار له عند الخليفة منزلة عظيمة ومقام عال وحرمة واحتشام . ثم إن خليفة قبّل الأرض بين يدي أمير المؤمنين عند خروجه وخرج يمشي ويتبختر، فلما وصل إلى الباب نظر إليه الخادم الذي أعطاه المائة دينار فعرفه وقال له : يا صياد، من أين لك هذا كله؟ فحدّثه بما جرى له من أوله إلى آخره . ففرح الخادم بذلك حيث كان هو السبب في غنائه وقال له : أما تعطيني أنعاماً من هذا المال الذي صار لك؟ فمد خليفة يده إلى جيبه فطلع منه كيساً فيه ألف دينار من الذهب وناوله للخادم . فقال له الخادم : خذ مالك بارك الله لك فيه . وتعجب من مروءته وسماحة نفسه على فقره . ثم إن خليفة خرج من عند الخادم وهو راكب على البغلة والخدام ماسكة كفلها وهو سائر إلى أن أتى

إلى الخان والناس يتفرّجون عليه ويتعجّبون مما حصل له من العز . فتقدّم إليه الناس بعدما نزل من فوق البغلة وسألوه عن سبب تلك السعادة، فأخبرهم بما جرى له من الأول إلى الآخر . ثم إنه اشترى دار مليحة الأركان وانفق عليها جملة من المال حتى صارت كاملة المعاني . وسكن في تلك الدار وصار ينشد هذين البيتين : [من السريع]

أُنْظُرْ لِدارٍ شِبْهِ دارِ النَّعِيمْ ... أَلْهَمُّ تَنْفِيهِ وتَشْفِي السَّقِيمْ
قَدْ جَعَلَتْ بُنْيانَها لِلْعُلى ... والخَيْرُ فِيها كُلَّ وَقْتٍ مُقِيمْ

ثم إنه لما استقرّ في داره خطب له بنتاً من بنات أعيان أهل المدينة، من البنات الحسان ودخل بها وحصل له غاية الأنس والحظ الزائد والإنبساط، وصار في نعمة زائدة وسعادة كاملة . فلما راى نفسه في ذلك النعيم ، شكر الله سبحانه وتعالى على ما أعطاه من النعمة الوافرة والمكارم المتواترة . وصار لربه حامداً حمد الشاكر مترنّماً بقول الشاعر : [من الطويل]

لَكَ الحَمْدُ يا مَنْ فَضْلُهُ مُتَواتِرُ ... ويا مَنْ لَهُ جُودٌ عَمِيمٌ وغامِرُ
لَكَ الحَمْدُ مِنّي فَاقْبَلِ الحَمْدَ إنَّنِي ... لِجُودِكَ والإحْسانِ والفَضْلِ ذاكِرُ
لَقَدْ جُدْتَ إنْعامًا عَلَيَّ ومِنَّةً ... وفَضْلاً وإحْسانًا فَها أنا شاكِرُ
وكُلُّ الوَرَى مِنْ بَحْرِ جُودِكَ ناهِلٌ ... وأَنْتَ لَهُمْ عِنْدَ الشَّدائِدِ ناصِرُ
وخَوَّلْتَنا يا رَبُّ آثارَ نِعْمَةٍ ... وأَسْبَغْتَها يا مَنْ لِذَنْبِيَ غافِرُ
بِجاهِ الَّذي قَدْ جاءَ لِلنَّاسِ رَحْمَةً ... نَبِيٌّ كَرِيمٌ صادِقُ القَوْلِ طاهِرُ
عَلَيْهِ صَلاةُ اللهِ ثُمَّ سَلامُهُ ... وأَنْصارُهُ والآلُ ما زارَ زائِرُ
وأَصْحابُهُ الغُرُّ الكِرامُ أُولِي النُّهَى ... مَدَى الدَّهْرِ ما غَنَّى عَلَى الأَيْكِ طائِرُ

ثم إن خليفة صار يتردّد على الخليفة هارون الرشيد مع القبول عنده، وصار الرشيد يشمله بإحسانه وجوده . ولم يزل خليفة في أتم نعمة وسرور وعز وحبور، وفي نعمة زائدة ورفعة متصاعدة وعيشة طيبة هنية ولذة صافية مرضية إلى ان أتاهم هادم اللذّات ومفرّق الجماعات . فسبحان من له العزّ والبقاء وهو حي دائم لا يموت أبدًا .

76 - مسرور وزين المواصف

ومما يحكى أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر أسمه مسرور . وكان ذلك الرجل من أحسن أهل زمانه، كثير المال مرفّه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبستاتين ويلتهي بهوى النساء الملاح . فاتفق أنه كان نائمًا في ليلة من الليالي فراى في نومه أنه في روضة من أحسن الرياض وفيها أربع طيور ومن جملتها حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية، فأعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك راى انه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه . ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة، فصار يعالج أشواقه إلى الصباح . فقال في نفسه : لا بد ان أروح اليوم إلى من يفسّر لي هذا المنام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 846

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن مسروراً التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج أشواقه إلى الصباح . فلما أصبح الصباح قال : لا بد أن أروح اليوم إلى من يفسّر لي هذا المنام . فقام وصار يمشي يميناً وشمالاً إلى أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسّر له هذا المنام ، ثم بعد ذلك طلب الرجوع إلى منزله . فبينما هو في الطريق إذ خطر بباله أنه يميل إلى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الأغنياء . فلما وصل إليها وإذا به يسمع بها صوت أنين من كبد حزين وهو ينشد هذه الأبيات[من الطويل]

نَسِيمُ الصَّبا هبَّتْ لَنا مِنْ رُسُومِها ... مُعَطَّرَةً يَشْفِي العَلِيلَ شَمِيمُها
وَقَفْتُ بأطْلالٍ دَوارِسَ سائلاً ... ولَيْسَ يُجِيبُ الدَّمْعَ إلا رَمِيمُها
فَقُلْتُ : نَسِيمَ الرِّيحِ بِاللهِ خَبِّرِي ... هَلِ الدَّارُ هَذي قَدْ يَعُودُ نَعِيمُها
وأَحْظَى بِظَبْيٍ مالَ بي لِينُ قَدِّهِ ... وأَجْفانُهُ الوَسْنَى ضَنانِي سَقِيمُها

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل الباب فرأى روضة من أحسن الرياض في باطنها ستر من ديباج أحمر مكلّل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر أربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كأنها البدر المنير والقمر المستدير، بعينين كحيلتين وحاجبين مقرونين وفم كأنه خاتم سليمان وشفتين وأسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدّها واعتدالها . فلما رآها مسرور دخل الدار وبالغ في الدخول حتى وصل إلى الستر فرفعت رأسها إليه ونظرته، فعند ذلك سلّم عليها فردّت عليه السلام بعذوبة الكلام . فلما نظرها وتأمّلها طاش عقله وذهب قلبه ونظر إلى الروضة وكانت من الياسمين والمنثور والبنفسج والورد والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشموم ،وقد توشّحت جميع الأشجار بالأثمار والماء منحدر من أربعة لواوين يقابل بعضهما بعضًا . فتأمّل في الليوان الأول فرأى مكتوباً على دائره بالزنجفر الأحمر هذان البيتان : [من الوافر]

أَلا يا دارُ لَمْ يَدْخُلْكِ حُزْنٌ ... ولَمْ يَغْدُرْ بِصاحِبِكِ الزَّمانُ
فَنِعْمَ الدَّارُ تأْوِيْ كُلَّ ضَيْفٍ ... إذا ما الضَّيْفُ ضاقَ بِهِ المكانُ

ثم تأمّل في الليوان الثاني فرأى مكتوباً في دائره بالذهب الأحمر هذه الأبيات : [من البسيط]

لاحَتْ عَلَيْكِ ثِيابُ السَّعْدِ يا دارُ ... ما غَرَّدَتْ في غُصُونِ الرَّوْضِ أَطْيارُ
ودامَ فِيكِ عُبَيْراتٌ مُعَطَّرَةٌ ... وتَنْقَضِي بِكَ للأَحْبابِ أَوْطارُ
وعاشَ أَهْلُكِ في عِزٍّ وفي نِعَمٍ ... ما لاحَ نَجْمٌ عَلَى العَلْياءِ سَيَّارُ

ثم تأمّل في الليوان الثالث فرأى مكتوباً في دائره باللازورد الأزرق هذان البيتان : [من البسيط]

بَقِيتِ في العِزِّ والإقْبالِ يا دارُ ... ما جَنَّ لَيْلٌ وما قَدْ لاحَ أَنْوارُ
فِي بابِكِ السَّعْدُ يأْوي كُلَّ مَنْ دَخَلُوا ... والخَيْرُ مِنْكِ لِمَنْ وَافاكِ مِدْرارُ

ثم تأمّل في الليوان الرابع فرأى مكتوباً في دائره بالمدار الأصفر هذا البيت : [من الخفيف]

هذه رَوْضَةٌ وهذا غَدِيرُ　　مَجْلِسٌ طَيِّبٌ ورَبٌّ غَفُورُ

وفي تلك الروضة طيور من قرى وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته، والصبية تتمايل في حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها يفتتن بها كل من رآها. ثم قالت: أيها الرجل، ما الذي أقدمك على دار غير دارك وعلى جوار غير جواريك من غير إجازة أصحابها؟ فقال لها: يا سيدتي، رأيت هذه الروضة فأعجبني حسن اخضرارها وفيح أزهارها وترنّم أطيارها فدخلتها لأتفرج فيها ساعة من الزمان وأروح إلى حال سبيلي. فقالت له: حباً وكرامة. فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر إلى طرفها ورشاقة قدّها تحيّر من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير. فطار عقله من ذلك وصار متحيّراً في أمره وأنشد هذه الأبيات: [من الكامل]

قَمَرٌ تَبَدَّى في بَدِيعِ مَحاسِنٍ　　بَيْنَ الرُّبا والرَّوحِ والرَّيْحانِ
والآسِ والنِّسْرينِ ثُمَّ بَنَفسَجٍ　　فاحَتْ رَوائِحُهُ مِنَ الأَغْصانِ
يا رَوْضَةً كَمُلَتْ بِحُسْنِ صِفاتِها　　وحَوَتْ جَمِيعَ الزَّهْرِ والأَفْنانِ
فالبَدْرُ يَجْلُو تَحْتَ ظِلِّ غُصُونِها　　والطَّيْرُ تَنْشُدُ أَطْيَبَ الأَلْحانِ
قُمْرِيُّها وهَزارُها ويَمامُها　　وكذا البَلابِلُ هَيَّجَتْ أَشْجاني
وَقَفَ الغَرامُ بِمُهْجَتِي مُتَحَيِّراً　　في حُسْنِها كَتَحَيُّرِ السَّكْرانِ

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور، نظرت له نظرة أعقبته ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبّه وأجابته على شعره بهذه الأبيات: [من الكامل]

لا تَرْتَجِي وَصْلَ التي عَلَّقْتَها　　واقْطَعْ مَطامِعَكَ التي أَمَّلْتَها
وذَرِ الَّذي تَرْجُوهُ إِنَّكَ لَمْ تُطِقْ　　صَدَّ التي في الغانياتِ عَشِقْتَها
تَجْنِي عَلَى العُشّاقِ أَلْحاظِي ولَمْ　　يَعْظُمْ عَلَيَّ مَقالَةٌ قَدْ قُلْتُها

فلما سمع مسرور كلامها تجلّد وصبر وكتم أمرها في سره وتنكّر وقال في نفسه: ما للبلية إلا الصبر. ثم داموا على ذلك إلى أن هجم الليل، فأمرت بحضور المائدة فحضرت بين يديهما وفيها من سائر الألوان، من السمان وأفراخ الحمام ولحوم الضأن، فأكلا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت، وحضرت آلات الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات، فوضعت وجعل فيها شمع الكافور. ثم بعد ذلك قالت زين المواصف: والله إن صدري ضيّق في هذه الليلة لأني محمومة. فقال لها مسرور: شرح الله صدرك وكشف غمّك. فقالت: يا مسرور، أنا معوّدة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئاً؟ قال: نعم أنا عارف به. فقدّمته بين أيديهما وإذا هو من الأبنوس مقطّع بالعاج، له رقعة مرقومة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 847

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنها لمّا أمرت بإحضار الشطرنج أحضروه بين أيديهما، فلما رآه مسرور حار فكره. فالتفتت إليه زين المواصف وقالت له: هل أنت تريد الحمر أم البيض؟ فقال: يا سيدة الملاح وزين الصباح، خذي أنت الحمر لأنهم ملاح ولمثلك أملح ودعي لي الحجارة البيض. فقالت: رضيت بذلك. فأخذت الحمر

وصفّتها مقابلة البيض ومدّت يديها إلى القطع تنقل في أول الميدان، فنظر إلى أناملها فرآها كأنها من عجين. فاندهش مسرور من حسن أناملها ولطف شمائلها فالتفتت إليه وقالت له: يا مسرور لا تندهش واصبر واثبت. فقال لها: يا ذات الحسن الذي فضح الأقمار إذا نظرك المحب كيف يكون له اصطبار؟ فبينما هو كذلك وإذا هي تقول له: الشاه مات. فغلبته عند ذلك وعلمت زين المواصف أنه بحبها مجنون فقالت له: يا مسرور، لا العب معك إلا برهن معلوم وقدر مفهوم. فقال لها: سمعاً وطاعة. فقالت له: إحلف لي واحلف لك أن كلاً منا لا يغدر صاحبه. فتحالفا معاً على ذلك. فقالت: يا مسرور، إن غلبتك أخذت منك عشرة دنانير وإن غلبتني لم أعطك شيئًا. فظن أنه يغلبها فقال لها: يا سيدتي، لا تحنثي في يمينك فإني أراك أقوى مني في اللعب. فقالت له: رضيت بذلك. وصارا يلعبان ويتسابقان بالبيادق وألحقتهم بالإفراز وصفّتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الأفراس، وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الأزرق فوضعته عن رأسها وشمّرت عن معصم كأنه عامود من نور ومرّت بكفها على القطع الحمر وقالت له: خذ حذرك. فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر إلى رشاقتها ورقة معانيها فاحتار وأخذه الإنبهار، فمدّ يده إلى البيض فراحت إلى الحمر. فقالت: يا مسرور أين عقلك؟ الحمر لي والبيض لك. فقال لها: إن من ينظر إليك ليس يملك عقله. فلما نظرت زين المواصف إلى حاله أخذت منه البيض وأعطته الحمر فلعب بها فغلبته. ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع لها في كل مرة عشرة دنانير. فلما عرفت زين المواصف أنه مشغول بهواها قالت: يا مسرور، ما بقيت تنال مرادك إلا إذا كنت تغلبني كما هو شرطك، ولا بقيت ألعب معك في كل مرة إلا بمائة دينار. فقال لها: حباً وكرامة. فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرّر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك إلى الصباح وهو لم يغلبها أبدًا. فنهض قائماً على أقدامه فقالت له: ما الذي تريد يا مسرور؟ قال: أمضي إلى منزلي وآتي بمال لعلي أبلغ آمالي. فقالت له: إفعل ما تريد مما بدا لك. فمضى إلى منزله وأتاها بالمال جميعه فلما وصل إليها أنشد هذين البيتين: [من الرجز]

رَأَيْتُ طَيْرًا قَدْ تَرَبَّى في المَنامْ … في رَوْضِ أُنْسٍ زَهْرُهُ ذُو ٱبْتِسامْ
لَـكِنَّهُ لَمَّا بَدا لِي صِدْتُهُ … مِنْكَ الوَفا تَأْوِيلُ هذا المَنامْ

فلما حضر عندها مسرور بجميع ماله صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر أن يغلبها بدور واحد. ولم يزالا كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ماله. فلما نفذ ماله قالت له: يا مسرور، ما الذي تريد؟ قال: الاعبك على دكان العطارة. قالت له: كم تساوي تلك الدكان؟ قال: خمسمائة دينار. فلعب بها خمسة أشواط فغلبته. ثم لعب معها على الجواري والعقارات والبساتين والعمارات، فأخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه. وبعد ذلك التفتت إليه وقالت له: هل بقي معك شيء من المال تلعب به؟ فقال لها: وحق من أوقفني معك في شرك المحبة ما بقت يدي تملك شيئًا من المال وغيره لا قليلاً ولا كثيراً. فقالت له: يا مسرور، كل شيء يكون أوله رضى لا يكون آخره ندامة. فإن كنت ندمت خذ مالك واذهب عنا إلى حال سبيلك وأنا أجعلك في حِل من قبلي. فقال لها مسرور: وحق من قضى علينا بهذه الأمور لو أردت أخذ روحي لكانت قليلة في رضاك فما أعشق أحدًا سواك. فقالت له: يا مسرور، حينئذ اذهب واحضر

القاضي والشهود واكتب لي جميع الأملاك والعقارات. فقال: حباً وكرامة. ثم نهض قائماً في الوقت والساعة وأتى بالقاضي والشهود وأحضرهم عندها. فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبّه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال لها: يا سيدتي، لا أكتب الحجة إلا بشرط أن تشتري العقارات والجواري والأملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفي حيازتك. فقالت: قد اتفقنا على ذلك، فاكتب لي حجة بأن ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل إلى ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا. فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم على ذلك وأخذت الحجة زين المواصف. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 848

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لما أخذت الحجة من القاضي مشتملة على أن جميع ما كان ملكاً لمسرور صار ملكاً لها. قالت له: يا مسرور، إذهب إلى حال سبيلك. فالتفتت إليه جاريتها هبوب وقالت له: أنشدنا شيئًا من الأشعار. فأنشد في شأن لعب الشطرنج هذه الأبيات: [من البسيط]

أَشْكُو الزَّمانَ وما قَدْ حَلَّ بي وجَرَى ... وأَشْتَكِي الخَسْرَ والشَّطْرَنْجَ والنَّظَرا
في حُبِّ جارِيَةٍ غَيْداءَ ناعِمَةٍ ... ما مِثْلُها في الوَرَى أُنْثَى ولا ذَكَرا
فَفَوَّقَتْ لي سِهاماً مِنْ لَواحِظِها ... وقَدَّمَتْ لي جُيُوشاً تَغْلِبُ البَشَرا
حُمْرًا وبِيضاً وفُرْساناً مُصادِمَةً ... فَبارَزَتْني وقالَتْ لي: خُذِ الحَذَرا
وأَهْمَلَتْني إذا مَرَّتْ أَنامِلُها ... في جُنْحِ لَيْلٍ بَهِيمٍ يُشْبِهُ الشَّعَرا
لَمْ أَسْتَطِعْ لِخَلاصِ البِيضِ أَنْقُلُها ... والوَجْدُ صَيَّرَ مِنِّي الدَّمْعَ مُنْهَمِرا
بَيادِقٌ ورُخُوخٌ مَعْ فَرازِنَةٍ ... كَرَّتْ فَأَدْبَرَ جَيْشُ البِيضِ مُنْكَسِرا
لَقَدْ رَمَتْني بِسَهْمٍ مِنْ لَواحِظِها ... فَصارَ قَلْبي بِذاكَ السَّهْمِ مُنْفَطِرا
وخَيَّرَتْني بَيْنَ العَسْكَرَيْنِ مَعًا ... فَاخْتَرْتُ تِلْكَ الجُيُوشَ البِيضَ مُقْتَمِرا
وقُلْتُ: هَذي جُيُوشُ البِيضِ تَصْلُحُ لي ... قالَتْ: تَصَبَّرْ بِفِكْرِي أَنْقُلُ الحَجَرَ
ولاعَبَتْني عَلَى رَهْنٍ رَضِيتُ بِهِ ... ولَمْ أَكُنْ عَنْ رِضاها أَبْلُغُ الوَطَرا
يا لَهْفَ قَلْبِي ويا شَوْقِي ويا حَزَنِي ... عَلَى وِصالِ فَتاةٍ تُشْبِهُ القَمَرا
ما القَلْبُ في حُرَقٍ كَلاَّ ولا أَسَفٍ ... عَلَى عُقارِي ولَكِنْ يَأْلَفُ النَّظَرا
وصِرْتُ حَيْرانَ مَبْهُوتاً عَلَى وَجَلٍ ... أُعاتِبُ الدَّهْرَ فِيما تَمَّ لي وجَرَى
قالَتْ: فَما لَكَ مَبْهُوتاً فَقُلْتُ لَها: ... هَلْ شارِبُ الخَمْرِ قَدْ يَصْحُو إذا سَكِرا
إِنْسِيَّةٌ سَلَبَتْ عَقْلِي بِقامَتِها ... إِنْ لانَ مِنْها فُؤادٌ يُشْبِهُ الحَجَرا
أَطْمَعْتُ نَفْسِي وقُلْتُ اليَوْمَ أَمْلِكُها ... عَلَى الرِّهانِ ولا خَوْفاً ولا حَذَرا
لا زالَ يَطْمَعُ قَلْبي في تَواصُلِها ... حَتَّى بَقِيتُ عَلَى الحالَيْنِ مُفْتَقِرا
هَلْ يَرْجِعُ الصَّبُّ عَنْ عِشْقٍ أَضَرَّ بِهِ ... ولَوْ غَدا في بِحارِ الوَجْدِ مُنْحَدِرا
فَأَصْبَحَ العَبْدُ لا مالٌ يُقَلِّبُهُ ... أَسِيرَ شَوْقٍ ووَجْدٍ ما قَضَى وَطَرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الأبيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له : يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع إلى عقلك وامض إلى حال سبيلك ، فقد أفنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك إليه . فالتفت مسرور إلى زين المواصف وقال لها : يا سيدتي ، اطلبي اي شيء ولك كل ما تطلبينه فإني أجيء به إليك وأحضره بين يديك . فقالت : يا مسرور ، ما بقي معك شيء من المال ؟ فقال لها : يا منتهى الآمال ، إذا لم يكن عندي شيء من المال تساعدني الرجال . فقالت له : هل الذي يعطي يصير مستعطياً ؟ فقال لها : إن لي قرايب وأصحاباً ومهما طلبته يعطوني إياه . فقالت له : أريد منك أربع نوافح من المسك الأدفر وأربع أواني من الغالية وأربعة أرطال من العنبر وأربعة آلاف دينار وأربعمائة حلة من الديباج الملوكي المزركش ، فإن كنت يا مسرور تأتي بذلك الأمر أبحث لك الوصال . فقال لها : هذا عليّ هين يا مخجلة الأقمار . ثم إن مسروراً خرج من عندها ليأتيها بذلك الذي طلبته منه فأرسلت خلفه هبوباً الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذين ذكرهم لها . فبينما هو يمشي في شوارع المدينة إذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد ، فوقف إلى أن لحقته فقال لها : يا هبوب ، إلى أين ذاهبة ؟ فقالت له : إن سيدتي أرسلتني خلفك من أجل كذا وكذا ، وأخبرته بما قالته لها زين المواصف من أوله إلى آخره . فقال : والله يا هبوب إن يدي لا تملك شيئًا من المال . قالت له : فلأي شيء وعدتها ؟ فقال : كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لا بد منه . فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له : يا مسرور ، طب نفساً وقر عيناً والله لأكونن سببًا في اتصالك بها . ثم إنها تركته ومشت ، وما زالت ماشية إلى أن وصلت إلى سيدتها فبكت بكاء شديداً وقالت لها : يا سيدتي ، والله إنه رجل كبير المقدار محترم عند الناس . فقالت لها سيدتها : لا حيلة في قضاء الله تعالى ، إن هذا الرجل ما وجد عندنا قلباً رحيمًا لأننا أخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال ، وإن ملت إلى مراده أخاف أن يشيع الأمر . فقالت لها هبوب : يا سيدتي ، ما سهل علينا حاله وأخذ ماله ، ولكن ما عندك إلا أنا وجاريتك سكوب فمن يقدر أن يتكلم منا فيك ونحن جواريك ؟ فعند ذلك أطرقت براسها إلى الأرض . فقال لها الجواري : يا سيدتي ، الراي عندنا أن ترسلي خلفه وتنعمي عليه ولا تدعيه يسأل أحدًا من اللئام فما أمر السؤال . فقبلت كلام الجواري ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليه هذه الأبيات : [من الطويل]

دَنا الوَصْلُ يا مَسْرُورُ فابْشِرْ بِلا مَطْلِ ... إذا اَسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ بِالفِعْلِ
ولا تَسْأَلِ الأَنْذالَ في المالِ يا فَتًى ... فَقَدْ كُنْتُ في سُكْرِي وقَدْ رُدَّ لي عَقْلِي
فَمالُكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ جَمِيعُهُ ... وزِدْتُكَ يا مَسْرُورُ مِنْ فَوْقِهِ وَصْلِي
لأنَّكَ ذُو صَبْرٍ وفِيكَ حَلاوَةٌ ... عَلى جَوْرِ مَحْبُوبٍ جَفاكَ بِلا عَدْلِ
فَبادِرْ لِتَغْنَمْ وَصْلَنا ولَكَ الهَنا ... ولا تُعْطِ إهْمالاً فَتَدْرِي بِنا أَهْلِي
هَلُمَّ إلَيْنا مُسْرِعاً غَيْرَ مُبْطِىءٍ ... وكُلْ مِنْ ثِمارِ الوَصْلِ في غَيْبَةِ البَعْلِ

ثم إنها طوت الكتاب وأعطته لجاريتها هبوب . فأخذته ومضت به إلى مسرور فوجدته يبكي وينشد قول الشاعر : [من الطويل]

وَهَبَّ عَلى قَلْبِي نَسِيمٌ مِنَ الجَوَى ... فَفَتَّتِ الأَكْبادَ مِنْ فَرْطِ لَوْعَتِي

لَقَدْ زادَ وَجْدِي بَعْدَ بُعْدِ أَحِبَّتِي وفاضَتْ جُفُونِي في تَزايُدِ عَبْرَتي
وعِنْدِي مِنَ الأَوْهامِ ما إنْ أَبُحْ بِهِ لِصُمِّ الحَصَى والصَّخْرِ لانَتْ بِسُرْعَةِ
أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى ما يَسُرُّنِي وأَحْظَى بِما أَرْجُوهُ مِنْ نَيْلِ بُغْيَتِي
وتُطْوَى لَيالِي الصَّدِّ مِنْ بَعْدِ هَجْرِها وأَبْرَأَ مِمَّا داخَلَ القَلْبَ؛ خَلَّتِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 849

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن مسروراً لما زاد به الهيام صار ينشد الأشعار وهو في غاية الشوق . فبينما هو يترنّم بتلك الأبيات ويردّدها إذ سمعت هبوب فطرقت عليه الباب، فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب . فأخذه وقرأه وقال لها : يا هبوب، ما وراءك من أخبار سيدتك ؟ فقالت : يا سيدي، إن في هذا الكتاب ما يغني عن ردّ الجواب وانت من ذوي الألباب . ففرح مسرور فرحاً شديداً وانشد هذين البيتين : [من الكامل]

وَرَدَ الكِتابُ فَسَرَّنا مَضْمُونُهُ وسُرِرْتُ أَنِّي في الفُؤادِ أَصُونُهُ
وأَزْدَدْتُ شَوْقاً عِنْدَما قَبَّلْتُهُ فَكَأَنَّما دُرُّ الهَوَى مَكْنُونُهُ

ثم إنه كتب كتاباً جواباً لها وأعطاه لهبوب فأخذته وأتت به إلى زين المواصف . فلما وصلت إليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر اوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله بها . فقالت لها زين المواصف : يا هبوب، إنه أبطأ عن الوصول إلينا . فقالت لها هبوب : إنه سيأتي سريعاً . فلم تستتم كلامها وإذا به قد اقبل وطرق الباب، ففتحت له وأخذته وأجلسته عند سيدتها زين المواصف، فسلّمت عليه ورحّبت به وأجلسته إلى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب : هاتي له بدلة من أحسن ما يكون . فقامت هبوب وأتت ببدلة مذهبة فأخذتها وأفرغتها عليه وافرغت على نفسها بدلة ايضاً من افخر الملابس ووضعت على رأسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على السبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت، وأرخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج ، وأرخت شعرها كأنه الليل الداجي، وتبخّرت بالعود وتعطّرت بالمسك والعنبر . فقالت لها جاريتها هبوب : الله يحفظك من العين . فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتتعطّف . فأنشدت الجارية من بديع شعرها هذه الأبيات : [من الكامل]

خَجِلَتْ غُصُونُ البَانِ مِنْ خَطَواتِها وَسَطَتْ عَلَى العُشّاقِ مِنْ لَحَظاتِها
قَمَرٌ تَبَدَّى في غَياهِبِ شَعْرِها كالشَّمْسِ تُشْرِقُ في دُجَى وَفَراتِها
طُوبَى لِمَنْ باتَتْ تَلِيهِ بِحُسْنِها ويَمُوتُ فِيها حالِفاً بِحَياتِها

فشكرتها زين المواصف . ثم إنها اقبلت على مسرور وهي كالبدر المشهور . فلما رآها مسرور نهض قائماً على قدميه وقال : إن صدقني ظني فما هي إنسية وإنما هي من عرايس الجنة . ثم إنها دعت بالمائدة فحضرت وإذا مكتوب على أطراف المائدة هذه الأبيات : [من البسيط]

عُجْ بِالمَلاعِقِ في رَبْعِ السَّكارِيجِ ولُذْ بِنَوْعِ القَلايا والطَّياهِيجِ

عَلَيْهِ سُمَّانَةٌ ما زِلْتُ أَعْشَقُها مَعَ الفِراخِ الغَوالي والفَرارِيجِ
للهِ دَرُّ الكَبابِ الَّذي يَزْهو بِحُمْرَتِهِ والبَقْلُ يُغْمَسُ في خَلِّ السَّكارِيجِ
نِعْمَ الأَرُزُّ بِأَلْبانِ الحَليبِ غَدَتْ فيهِ الكُفُوفُ إلى حَدِّ الدَّماليجِ
يا لَهْفَ قَلْبي عَلى لَوْنَيْنِ مِنْ سَمَكٍ لَدَى رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ التَّوارِيجِ

ثم إنهم أكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدّموا سفرة المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الأنفاس وملأ الكأس مسرور وقال: يا من أنا عبدها وهي سيدتي. ثم صار يترنّم بإنشاد هذه الأبيات: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِعَيْنِي إنْ تَمِلْ لِمُلالِها بِحُسْنِ فَتاةٍ أَشْرَقَتْ بِجَمالِها
ولَيْسَ لَها في عَصْرِها مِنْ مُشابِهٍ لِلُطْفِ مَعانِيها وحُسْنِ خِصالِها
ويَحْسُدُ غُصْنُ البَانِ لِينَ قَوامِها إذا خَطَرَتْ في حُلَّةٍ باعْتِدالِها
بِوَجْهٍ مُنِيرٍ يُخْجِلُ البَدْرَ في الدُّجَى وفَرْقٍ حَكى في النُّورِ ضَوْءَ هِلالِها
إذا خَطَرَتْ في الأَرْضِ يَعْبَقُ نَشْرُها نَسِيماً يُرَى في سَهْلِها وجِبالِها

فلما فرغ مسرور من شعره قالت: يا مسرور، كل من تمسّك بدينه وقد أكل خبزنا وملحنا وجب حقّه علينا، فخل عنك هذه الأمور وأنا أرد عليك أملاكك وجميع ما أخذناه منك. فقال: يا سيدتي، أنت في حل مما تذكرينه وإن كنت غدرت في اليمين التي بيني وبينك فأنا أروح وأصير مسلماً. فقالت لها جاريتها هبوب: يا سيدتي، أنت صغيرة السن وتعرفين كثيراً، وأنا أستشفع عندك بالله العظيم فإن لم تطيعيني في أمري وتجبري خاطري لا أنام الليلة عندك في الدار. فقالت لها: يا هبوب، لا يكون إلا ما تريدينه، قومي جدّدي لنا مجلساً آخر. فنهضت الجارية هبوب وجدّدت مجلساً وزينته وعطّرته بأحسن العطر كما تحب وتختار، وجهّزت الطعام وأحضرت المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الأنفاس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 850

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لما أمرت جاريتها هبوب بتجديد مجلس الأنس، قامت وجدّدت الطعام والمدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الأنفاس. فقالت زين المواصف: يا مسرور، قد آن أوان اللقاء والتداني، فإن كنت لحبنا تعاني فانشد لنا شعراً بديع المعاني. فانشد مسرور هذه القصيدة: [من الطويل]

أُسِرْتُ وفي قَلْبِي لَهِيبٌ تَضَرَّما بِحَبْلِ وِصالٍ في الفِراقِ تَصَرَّما
أُحِبُّ فَتاةً قَدَّ قَلْبِي قَوامُها وقَدْ سَلَبَتْ عَقْلِي بِخَدٍّ تَنَعَّما
لَها الحاجِبُ المَقْرُونُ والطَّرْفُ أَحْوَرُ وثَغْرٌ يُحاكِي البَرْقَ حِينَ تَبَسَّما
لَها مِنْ سِنِينِ العُمْرِ عَشْرٌ وأَرْبَعٌ ودَمْعِي حكَى في حُبِّ هاتِيكَ عَنْدَما
فَعايَنْتُها ما بَيْنَ نَهْرٍ ورَوْضَةٍ بِوَجْهٍ يَفُوقُ البَدْرَ في أُفُقِ السَّما

وَقَفْتُ لَها شِبْهَ الأسِيرِ مَهابَةً وقُلْتُ: سَلامُ اللهِ يا ساكِنَ الحِمى
فَرَدَّتْ سَلامِي عِنْدَ ذلِكَ رَغْبَةً بِلُطْفِ حَدِيثٍ مِثْلِ دُرٍّ تَنَظَّما
وحِينَ رَأَتْ قَوْلي لَدَيْها تَحَقَّقَتْ مَرامِي وصارَ القَلْبُ مِنْها مُصَمِّما
وقالَتْ: أمَا هذا الكَلامُ جَهالَةٌ فَقُلْتُ لَها: كُفِّي عَنِ الصَّبِّ التَّلَوُّما
فإنْ تَقْبَلِيني اليَوْمَ فَالخَطْبُ هَيِّنٌ فَمِثْلُكِ مَعْشُوقٌ ومِثْلِي مُتَيَّما
فَلَمَّا تَيَقَّنَتِ المَرامَ تَبَسَّمَتْ وقالَتْ: ورَبٍّ خالِقِ الأرْضِ والسَّما
يَهُودِيَّةٌ أقْسَى التَّهَوُّدِ دِينُها وما أنْتَ إلاَّ لِلنَّصارَى مُلازِما
فَكَيْفَ تَرَى وَصْلِي ولَسْتَ بِمِلَّتِي فَمَنْ رامَ هذا الفِعْلَ أصْبَحَ نادِما
أتَلْعَبُ بالدِّينَيْنِ هَلْ حَلَّ فِي الهَوَى لِتُصْبِحَ مِثْلِي بالمَلامِ مُكَلَّما
وتَمْضِي بهذا الأمْرِ فِي كُلِّ وُجْهَةٍ وتَبْقَى عَلَى دِينِي ودِينِكَ، مُجْرِما
فإنْ كُنْتَ تَهْوانِي تَهَوَّدْ مَحَبَّةً وصَيِّرْ سِوى وَصْلِي عَلَيْكَ مُحَرَّما
وتَحْلِفُ بالإنْجِيلِ قَوْلاً مُحَقَّقاً لِتَحْفَظَ سِرِّي فِي هَواكَ وتَكْتُما
وأحْلِفُ بالتَّوْراةِ إيمانَ صادِقٍ بِأنِّي عَلَى العَهْدِ الَّذِي قَدْ تَقَدَّما
حَلَفْتُ عَلَى دِينِي وشَرْعِي ومَذْهَبِي وحَلَّفْتُها مِثْلِي يَمِيناً مُعَظَّما
وقُلْتُ لَها: ما الإسْمُ يا غايَةَ المُنَى فَقالَتْ: أنا زَيْنُ المَواصِفِ فِي الحِمى
فَنادَيْتُ: يا زَيْنَ المَواصِفِ، إنَّنِي بِحُبِّكِ مَشْغُوفٌ فَعِينِي المُتَيَّما
وعايَنْتُ مِنْ تَحْتَ اللِّثامِ جَمالَها فَصِرْتُ كَئِيباً سَيِّءَ الحالِ مُغْرَما
فَما زِلْتُ تَحْتَ السِّتْرِ أخْضَعُ شاكِياً كَثِيرَ غَرامٍ فِي الفُؤادِ تَحَكَّما
فَلَمَّا رَأَتْ حالِي وفَرْطَ تَوَلُّهِي جَلَتْ لِيَ وَجْهاً ضاحِكاً مُتَبَسِّما
وهَبَّ لَنا رِيحُ الوِصالِ وعَطَّرَتْ نَوافِحُ عِطْرِ المِسْكِ جِيداً ومِعْصَما
وقَدْ عَبِقَتْ مِنْها الأماكِنُ كُلُّها وقَبَّلْتُ مِنْ فِيها رَحِيقاً ومَبْسِما
ومالَتْ كَغُصْنِ البانِ تَحْتَ غَلائِلَ وحَلَّلْتُ وَصْلاً كانَ قَبْلُ مُحَرَّما
نَعِمْنا جَمِيعاً والقَمِيرُ سَمِيرُنا بِضَمٍّ ولَثْمٍ وارْتِشافٍ مِنَ اللَّمَى
وما زِينَةُ الدُّنْيا سِوَى مَنْ تُحِبُّهُ يَكُونُ قَرِيباً مِنْكَ كَيْ تَتَنَعَّما
فَلَمّا تَجَلَّى الصُّبْحُ قامَتْ ووَدَّعَتْ بِوَجْهٍ جَمِيلٍ فائِقٍ قَمَرَ السَّما
وقَدْ أنْشَدَتْ عِنْدَ الوَداعِ ودَمْعُها ودَمْعِي عَلَى الخَدَّيْنِ دُرّاً مُنَظَّما:
فَإنْ أنْسَ ما أنْسَى عُهُوداً قَطَعْتُها وحُسْنَ اللَّيالِي واليَمِينَ المُعَظَّما

فعند ذلك طربت زين المواصف وقالت: يا مسرور، ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك. ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبّلها وبلغ منها ما ظن أنه محال وفرح بما نال من طيب الوصال. فعند ذلك قالت له زين المواصف: يا مسرور، إن مالك حرام علينا حلال لك لأننا قد صرنا أحباباً. ثم إنها ردّت عليه جميع ما أخذته منه من

الأموال وقالت له : يا مسرور ، هل لك من روضة تأتي إليها وتتفرّج عليها ؟ قال : نعم يا سيدتي ، لي روضة ليس لها نظير . ثم مضى إلى منزله وأمر جواريه أن يصنعن طعامًا فاخرًا وأن يهيّئن مجلساً حسناً وصحبة عظيمة . ثم إنه دعاها إلى منزله فحضرت هي وجواريها ، فأكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الأنفاس وخلا كل حبيب بحبيبه . فقالت له : يا مسرور ، إنه خطر ببالي شعر رقيق أريد أن أقوله على العود . فقال لها : قوليه . فأخذت العود بيدها وأصلحت شأنه وحرّكت أوتاره وحسّنت النغمات وأنشدت تقول هذه الأبيات : [من الكامل]

قَدْ مالَ بي طَرَبٌ مِنَ الأوْتارِ ... وصَفا الصَّبُوحُ لَنا لَدَى الأسْحارِ
والحُبُّ يَكْشِفُ عَن فُؤادٍ مُتَيَّمٍ ... فَبَدا الهَوَى بِتَهَتُّكِ الأسْتارِ
مَعْ خَمْرَةٍ رَقَّتْ بِحُسْنِ صِفاتِها ... كالشَّمْسِ تُجْلى في يَدِ الأقْمارِ
في لَيْلَةٍ جاءَتْ لنا بِسُرُورِها ... تَمْحُو بِصَفْوٍ شائِبَ الأكْدارِ

فلما فرغت من شعرها قالت له : يا مسرور ، أنشدنا شيئًا من أشعارك ومتّعنا بفواكه أثمارك . فأنشد هذين البيتين : [من الطويل]

طَرِبْنا عَلى بَدْرٍ يُدِيرُ مُدامَةً ... ونَغْمَةَ عُودٍ في رِياضٍ مَقامِنا
وغَنَّتْ قَمَارِيها ومالَتْ غُصُونُها ... سُحَيْرًا وفي أنْحائِها غايَةُ المُنَى

فلما فرغ من شعره قالت له زين المواصف : أنشد لنا شعراً فيما وقع لنا إن كنت مشغولاً بحبنا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 851

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زين المواصف قالت لمسرور : إن كنت مشغولاً بحبنا فأنشد لنا شعراً فيما وقع لنا . فقال : حبّاً وكرامة . وأنشد هذه القصيدة :

[من مجزوء المجتث]

قِفْ وأسْتَمِعْ ما جَرَى لي ... في حُبِّ هذا الغَزالِ
رِيمٌ رَماني بِنَبْلٍ ... ولَحْظِه قَدْ غَزا لي
فُتِنْتُ عِشْقاً وإنِّي ... في الحُبِّ ضاقَ آحْتِيالي
هَوِيتُ ذاتَ دَلالٍ ... مَحْجُوبَةً بالنِّصالِ
أَبْصَرْتُها وَسْطَ رَوْضٍ ... وقَدُّها ذُو آعْتِدالِ
سَلَّمْتُ قالَتْ سَلاماً ... لَمّا صَغَتْ لِمَقالي
سَأَلْتُ ما الإسْمُ؟ قالَتْ ... إسْمِي وفاقَ جَمالي
سُمِّيتُ زَيْنَ المَواصِفْ ... فَقُلْتُ: رِقِّي لِحالي
فإنَّ عِنْدِي غَراماً ... هَيْهاتِ صَبٌّ مِثالي

قالَتْ فإن كُنْتَ تَهوَى ... وطامِعًا في وِصالي
أُرِيدُ مالاً جَزِيلاً ... فَوْقَ كُلِّ نَوالِ
أُرِيدُ مِنْكَ ثِياباً ... مِنَ الحَرِيرِ غَوالِ
ورُبْعَ قِنْطارِ مِسْكٍ ... بِرَسْمِ لَيْلِ وِصالي
ولُؤْلُؤًا وعَقِيقًا ... مِنَ النَّفِيسِ الغالِي
وفِضَّةً ونُضارًا ... مِنَ الحُلِيِّ الحالي
أَظْهَرْتُ صَبْرًا جَمِيلاً ... عَلى عَظِيمِ اَشْتِغالي
فَأَنْعَمَتْ لي بِوَصْلٍ ... في لَيْلَةٍ ذي هِلالِ
إنْ لامَنِي الغَيْرُ فِيها ... أَقُولُ: يا لِلْرِّجالِ
لَها شُعُورٌ طِوالٌ ... واللَّوْنُ لَوْنُ اللَّيالي
وخَدُّها فِيهِ وَرْدٌ ... مِثْلُ اللَّظَى في اَشْتِعالِ
وجَفْنُها فِيهِ سَيْفٌ ... ولَحْظُها كالنِّبالِ
وثَغْرُها فِيهِ خَمْرٌ ... ورِيقُها كالزُّلالِ
كأَنَّــهُ عِقْدُ دُرٍّ ... حَوَى نِظامَ اللآلي
وجِيدُها جِيدُ ظَبْيٍ ... مَلِيحَةٌ في كَمالِ
وصَدْرُها كَرُخامٍ ... ونَهْدُها كالقِلالِ
وبَطْنُها فِيهِ طَيٌّ ... مُعَطَّرٌ بالغَوالي
وتَحْتَ ذلِكَ شَيْءٌ ... لَهُ اَنْتَهَتْ آمالي
مُرَبَّبٌ وسَمِينٌ ... مُكَلْثَمٌ يا مَوالي
كأَنَّهُ تَخْتُ مُلْكٍ ... عَلَيْهِ أَعْرِضُ حالي
بَيْنَ العَمُودَيْنِ تَلْقَى ... مصاطِباً بِتَعالِ
لَـكِنَّهُ فِيهِ وَصْفٌ ... يُذْهِبِي عُقُولَ الرِّجالِ
لَهُ شِفاهٌ كِبارٌ ... ونُـقْرَةٌ كالبِغـالِ
يَبْدُو بِحُمْرَةِ عَيْنٍ ... ومِشْفَرٍ كالجِمالِ
إذا أَتَيْتَ إلَيْهِ ... بِهِمَّةٍ في الفِعـالِ
تَلْقـاهُ حَرَّ المَلاقِي ... بِـقُوَّةٍ وحِقـالي
يَرُدُّ كُلَّ شُجاعٍ ... مَحْلُولِ عَزْمِ القِتالِ
وتارَةً تَلْتَقِيهِ ... بِلِحْـيَةٍ في مِطالِ
يُنْبِيكَ عَنْهُ مَلِيحٌ ... ذُو بَهْجَةٍ وجَمالِ
كَمِثْلِ زَيْنِ المَواصِفْ ... مَلِيحَةٍ في الكَمالِ
أَتَيْتُ لَيْلاً إلَيْها ... ونِلْتُ شَيْئًا حَلالي

وَلَيْلَةٍ بِتُّ مَعْهَا فاقَتْ جَمِيعَ اللَّيالي
لَمّا أَتَى الصُّبْحُ قامَتْ ووَجْـهُـها كالهِلالِ
تَهُزُّ مِنْها قَواماً هَزَّ الرِّماحِ العَوالي
وودَّعَتْنِي وقالَتْ: مَتَى تَعُودُ اللَّيالي
فَقُلْتُ: يا نُورَ عَيْنِي إذا أَرَدْتِ تَعَالي

فطربت زين المواصف من هذه القصيدة طرباً عظيماً وحصل لها غاية الإنشراح وقالت: يا مسرور، قد دنا الصباح ولم يبقَ إلا الرواح خوفاً من الإفتضاح. فقال: حباً وكرامة. ثم نهض قائماً على قدميه وأتى بها إلى أن أوصلها إلى منزلها ومضى إلى محله وبات وهو متفكّر في محاسنها. فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، هيّأ لها هدية فاخرة وأتى بها إليها وجلس عندها، وأقاما على ذلك مدة أيام وهما في أرغد عيش وأهناه. ثم إنه ورد عليها في بعض الأيام كتاب من عند زوجها مضمونه أنه يصل إليها عن قريب. فقالت في نفسها: لا سلّمه الله ولا أحياه، لأنه إن وصل إلينا تكدّر عيشنا، يا ليتني كنت يئست منه. فلما أتى إليها مسرور جلس يتحدث معها على العادة فقالت له: يا مسرور، قد ورد علينا كتاب من عند زوجي مضمونه أنه يصل إلينا من سفره عن قريب، فكيف يكون العمل؟ وما لأحد منّا عن صاحبه صبر. فقال لها: لست أدري ما يكون بل أنت أخبر وأدرى بأخلاق زوجك ولاسيما أنت من أعقل النساء، صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن مثله الرجال. فقالت: إنه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته، ولكن إذا قدم من سفره وسمعت بقدومه فاقدم عليه وسلّم عليه واجلس إلى جانبه وقل له: يا أخي، أنا رجل عطار. واشتر منه شيئاً من أنواع العطارة وتردّد عليه مراراً وأطل معه الكلام ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه، فلعل ما أحتال به يكون مصادفاً. فقال لها: سمعاً وطاعة. وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة. فلما وصل زوجها إلى الدار فرحت بوصوله ورحّبت به وسلّمت عليه، فنظر في وجهها فرأى فيه لون الإصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء. فسألها عن حالها فذكرت له أنها مريضة من وقت ما سافر هي والجواري. وقالت له: إن قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك. وصارت تشكو إليه مشقّة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول: لو كان معك رفيق ما حمل قلبي هذا الهم كله، فبالله عليك يا سيدي ما بقيت تسافر إلا برفيق، ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة

852

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لما قالت لزوجها: لا تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك. قال لها: حباً وكرامة. والله إن أمرك رشيد ورأيك سديد، وحياتك على قلبي ما يكون إلا ما تريدينه. ثم إنه خرج بشيء من بضاعته إلى دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق. فبينما هو في دكانه وإذا بمسرور قد أقبل وسلّم عليه وجلس إلى جانبه وصار يحييه، ومكث يتحدّث معه ساعة ثم أخرج كيساً وحلّه وأخرج منه ذهباً ودفعه إلى زوج زين المواصف وقال له: أعطني

بهذه الدنانير شيئاً من أنواع العطارة لأبيعه في دكاني. فقال له : سمعاً وطاعة . ثم اعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردّد عليه اياماً . فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له : انا مرادي رجل اشاركه في المتجر . فقال له مسرور : وانا الآخر مرادي رجل اشاركه في المتجر لان ابي كان تاجراً في بلاد اليمن وخلف لي مالاً عظيماً وانا خائف على ذهابه . فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له : هل لك ان تكون رفيقاً لي واكون لك رفيقاً وصاحباً وصديقاً في السفر والحضر واعلمك البيع والشراء والأخذ والعطاء؟ فقال له مسرور : حباً وكرامة . ثم إنه أخذه وأتى به إلى منزله وأجلسه في الدهليز ودخل إلى زوجته زين المواصف وقال لها : إني رافقت رفيقاً ودعوته إلى الضيافة فجهّزي لنا ضيافة حسنة . ففرحت زين المواصف وعرفت أنه مسرور ، فجهّزت وليمة فاخرة وصنعت طعاماً حسناً من فرحتها بمسرور حيث تمّ تدبير حيلتها . فلما حضر مسرور في دار زوج زين المواصف قال : أخرجي معي إليه ورحّبي به وقولي له آنستنا . فغضبت زين المواصف وقالت له : أتحضرني قدام رجل غريب أجنبي؟ أعوذ بالله ، ولو قطّعتني قطعاً ما أحضر قدامه . فقال لها زوجها : لأي شيء تستحيين منه وهو نصراني ونحن يهود ونصير أصحاباً؟ فقالت : انا ما اشتهي ان أحضر قدام الرجل الأجنبي الذي ما نظرته عيني ولا اعرفه . فظن زوجها أنها صادقة في قولها ، ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلفلفت واخذت الطعام وخرجت إلى مسرور ورحّبت به . فأطرق رأسه إلى الأرض كأنه مستحي . فنظر الرجل إلى إطراقه وقال : لا شك إن هذا زاهد . فأكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدّموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور ، فصارت تنظره وينظرها إلى أن مضى النهار . فانصرف مسرور إلى منزله والتهبت في قلبه النار . وأما زوج زين المواصف فإنه صار متفكراً في لطف صاحبه وفي حسنه . فلما أقبل الليل قدّمت إليه زوجته طعاماً ليتعشّى كعادته ، وكان عنده في الدار طير هزار إذا جلس يأكل يأتي إليه ذلك الطير ويأكل معه ويرفرف على رأسه ، وكان ذلك الطير قد ألف مسروراً فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام ، فحين غاب مسرور وحضر صاحبه فلم يعرفه ولم يقرب منه ، فصار متفكراً في أمر ذلك الطير وفي بعده عنه . وأما زين المواصف فإنها لم تنم بل صار قلبها مشغولاً بمسرور واستمرّ ذلك الأمر إلى ثاني ليلة وثالث ليلة ، ففهم اليهودي أمرها ونقد عليها وهي مشغولة البال فانكر عليها . وفي رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج في منامها بذكر مسرور وهي نائمة في حضنه ، فانكر ذلك عليها وكتم امره . فلما اصبح الصباح ذهب إلى دكانه وجلس فيها . فبينما هو جالس وإذا بمسرور قد أقبل وسلّم عليه فردّ عليه السلام وقال : مرحبا يا أخي . ثم قال له : إني مشتاق إليك . وجلس يتحدّث معه ساعة زمانية ثم قال له : قم يا أخي معي إلى منزلي حتى نعقد المؤاخاة . فقال مسرور : حباً وكرامة . فلما وصلا إلى المنزل تقدّم اليهودي وأخبر زوجته بقدوم مسرور وإنه يريد أن يتّجر هو وإياه ويؤاخيه وقال لها : هيّئي لنا مجلساً حسناً ولا بد أنك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة . فقالت له : بالله عليك لا تحضرني قدام هذا الرجل الغريب فما لي غرض أن أحضر قدامه . فسكت عنها وأمر الجواري أن تقدم الطعام والشراب . ثم إنه استدعى بالطير الهزار فنزل في حجر مسرور ولم يعرف صاحبه . فعند ذلك قال له : يا سيدي ما اسمك؟ قال : إسمي مسرور . والحال إن زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الإسم . ثم رفع رأسه فنظرها وهي تشير إليه وتغمزه بحاجبها فعرف ان الحيلة قد تمّت عليه

فقال : يا سيدي ، امهلني حتى أجيء بأولاد عمي يحضرون المؤاخاة . فقال له مسرور : إفعل ما بدا لك . فقام زوج زين المواصف وخرج من الدار وجاء من وراء المجلس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 853 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زوج زين المواصف قال لمسرور : امهلني حتى أجيء بأولاد عمي ليحضروا عقد المؤاخاة بيني وبينك . ثم إنه مشى وجاء من وراء المجلس ووقف ، وكان هناك طاقة تشرف عليهما فجاء إليها وصار ينظرهما منها وهما لا ينظرانه . وإذا بزين المواصف قالت لجاريتها سكوب : أين راح سيدك ؟ قالت : إلى خارج الدار . قالت لها : إغلقي الباب ومكّنيه بالحديد ولا تفتحي له حتى يدق الباب بعد أن تخبريني . قالت لها الجارية : وهو كذلك . كل ذلك وزوجها يعاين حالهم . ثم إن زين المواصف أخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت إلى مسرور ، فقام لها وتلقّاها وقال لها : والله إن ريقك أحلى من هذا الشراب . وصارت تسقيه ويسقيها ، وبعد ذلك رشّته بماء الورد من فرقه إلى قدمه حتى فاحت روايحه في المجلس ، كل ذلك وزوجها ينظر اليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما ، وقد امتلأ قلبه غيظاً مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة . فأتى إلى الباب فوجده مغلقاً فطرقه طرقاً قوياً من شدة غيظه . فقالت الجارية : يا سيدتي ، قد جاء سيدي . فقالت : إفتحي له الباب فلا ردّه الله بسلامة . فمضت سكوب إلى الباب وفتحته فقال لها : ما لك تغلقين الباب ؟ فقالت : هكذا في غيابك لم يزل مغلقاً ولا يفتح ليلاً ولا نهاراً . فقال : أحسنت فإنه يعجبني ذلك . ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم أمره وقال : يا مسرور ، دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم ونتآخى في يوم آخر غير هذا اليوم . فقال : سمعاً وطاعة إفعل ما تريد . فعند ذلك مضى مسرور إلى منزله وصار زوج زين المواصف متفكراً في أمره ولا يدري ما يصنع ، وصار خاطره في غاية التكدير . وقال في نفسه : حتى الهزار أنكرني والجواري أغلقت الأبواب في وجهي وملن إلى غيري . ثم إنه صار من شدّة قهره يردّد إنشاده هذه الأبيات : [من الطويل]

لَقَدْ عاشَ مَسْرُورٌ زَماناً مُنَعَّما ... بِلَذَّةِ أَيامٍ وعَيْشٍ تَصَرَّما
تُعانِدُنِي الأَيّامُ فِيمَنْ أُحِبُّهُ ... وقَلْبِي بِنِيرانٍ يَزِيدُ تَضَرُّما
صَفا لَكَ دَهْرٌ بالمَلِيحَةِ قَدْ مَضَى ... ولا زِلْتَ في ذاكَ الجَمالِ مُهَيَّما
لَقَدْ عايَنَتْ عَيْناي حُسْنَ جَمالِها ... فَأَصْبَحَ قَلْبِي في هَواها مُتَيَّما
لَقَدْ طالما قَدْ أَرْشَفَتْنِي مَعَ الرِّضَى ... بِعَذْبِ ثَناياها رَحِيقاً عَلى ظَمَا
فَما لَكَ يا طَيْرَ الهَزارِ تَرَكْتَنِي ... وصِرْت على العُذّالِ صُبْحاً مُسَلِّما
وقَدْ أَبْصَرَتْ عَيْنِي أُمُوراً عَجِيبَةً ... تُنَبِّهُ أَجْفانِي إذا كُنَّ نُوَّما
رَأَيْتُ حَبِيبِي قَدْ أَضاعَ مَوَدَّتِي ... وطَيْرُ هَزارِي لَمْ يَكُنْ لِي مُحَوِّما
وحَقِّ إلٰهِ العالَمِينَ الَّذي إذا ... أَرادَ قَضاءً في الخَلِيقَةِ أَبْرَما
لأَفْعَلُ ما يَسْتَوْجِبُ الظّالِمَ الَّذي ... بِجَهْلٍ دَنا مِنْ وَصْلِها وتَقَدَّما

فلما سمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائصها واصفرّ لونها وقالت لجاريتها: هل سمعت هذا الشعر؟ فقالت الجارية: ما سمعته في عمري قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول. فلما تحقّق زوجها أن هذا الأمر صحيح، صار يبيع في كل ما تملكه يده وقال في نفسه: إن لم أغربهما عن أوطانهما لم يرجعا عمّا هما فيه أبداً. فلما باع جميع أملاكه كتب كتاباً مزوّراً ثم قرأه عليها وادّعى أن هذا الكتاب جاءه من عند أولاد عمه يتضمّن طلب زيارته لهم هو وزوجته. فقالت: وكم نقيم عندهم؟ قال: اثني عشر يوماً. فأجابته إلى ذلك وقالت له: هل آخذ معي بعض جواريّ؟ قال: خذي منهن هبوب وسكوب ودعي هنا خطوب. ثم هيّأ لهن هودجاً مليحًا وعزم على الرحيل بهن، فأرسلت زين المواصف إلى مسرور أن فات الميعاد الذي بيننا ولم نأت، فاعلم أنه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة وأبعدنا عن بعضنا، فلا تنس العهود والمواثيق التي بيننا فإني أخاف من حيله ومكره. ثم إن زوجها جهّز حاله للسفر، وأما زين المواصف فإنها صارت تبكي وتنتحب ولا يقر لها قرار في ليل ولا نهار. فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها، فلما رأت زين المواصف أن زوجها لا بد له من السفر لمّت قماشها ومتاعها وأودعت جميع ذلك عند أختها وأخبرتها بما جرى لها وودّعتها وخرجت من عندها وهي تبكي، ثم رجعت إلى بيتها فرأت زوجها قد أحضر الجمال وصار يضع عليها الأحمال وهيّأ لزين المواصف أحسن الجمال. فلما رأت زين المواصف أنه لا بد من فراقها لمسرور تحيّرت. فاتفق أن زوجها قد خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 854

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لما رأت زوجها أحضر الجمال وعلمت بالسفر تحيّرت. فاتفق ان زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات:

[من الطويل]

أَلا يا حَمَامَ الدَّارِ بَلِّغْ سَلامَنا ... مِنَ الصَّبِّ لِلْمَحْبُوبِ عِنْدَ فِراقِنا

وبَلِّغْهُ أَنِّي لا أَزالُ حَزِينَةً ... نَدِمْتُ عَلى ما كانَ مِنْ طِيبِ وَقْتِنا

كَما أَنَّ حِبِّي لا يَزالُ مُتَيَّماً ... حَزِيناً عَلى ما قَدْ مَضَى مِنْ سُرُورِنا

قَضَيْنا زَماناً بالمَسَرَّةِ والهَنَا ... وفُزْنا بِوَصْلٍ لَيْلَنا ونَهارَنا

فَلَمْ نَسْتَفِقْ إلاَّ وأَصْبَحَ صائِحاً ... عَلَيْنا غُرابُ البَيْنِ يَنْعَى فِراقَنا

رَحَلْنا وخَلَّيْنا الدِّيارَ بَلاقِعَ ... فَيا لَيْتَنا لَمْ نُخْلِ تِلْكَ المَساكِنا

ثم أتت إلى الباب الثاني وكتبت عليه هذه الأبيات: [من الطويل]

أَيا واصِلا لِلْبابِ بِاللهِ فانْظُرا ... جَمالَ حَبِيبِي في الدَّياجِي وأَخْبِرا

بِأَنِّيَ باكٍ إنْ تَذَكَّرْتُ وَصْلَهُ ... ولا يَنْفُدُ الدَّمْعُ الَّذي بِالْبُكا جَرَى

فإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا عَلى ما أَصابَنِي ... فَضَعْ قُرْبَ أَجْمالِي التُّرابَ وغَبِّرا

وسافِرْ إلى شَرْقِ البِلادِ وغَرْبِها وعِشْ صابِراً فاللهُ لِلأَمْرِ قَدَّرا

ثم أتت إلى الباب الثالث وبكت بكاء شديداً وكتبت عليه هذه الأبيات : [من الطويل]

رُوَيدَكَ يا مَسْرُورُ إنْ زُرْتَ دارَها فأعْبِرْ إلى الأَبْوابِ واقْرأْ سُطُورَها
ولا تَنْسَ عَهْدَ الوُدِّ إنْ كُنْتَ صادِقاً فَكَمْ طَعِمْتَ حُلْوَ اللَّيالِي ومُرَّها
فَبِاللهِ يا مَسْرُورُ لا تَنْسَ قُرْبَها فَقَدْ تَرَكَتْ فِيكَ الهَنا وسُرُورَها
ألا وابْكِ أيّامَ الوِصالِ وطِيبِها وأنْتَ مَتَى ما جِئْتَ أَرْخَتْ سُتُورَها
فَسافِرْ قُصِياتِ البِلادِ لأَجْلِنا وخُضْ بَحْرَها واسْتَقْصِ عَنّا بُرُورَها
لَقَدْ ذَهَبَتْ عَنّا لَيالِي وِصالِنا وفَرْطُ ظَلامِ الهَجْرِ أَطْفَأَ نُورَها
رَعَى اللهُ أيّاماً مَضَتْ ما أَسَرَّها بِرَوْضِ الأَمانِي إذْ قَطَفْنا زُهُورَها
فَهَلاّ اسْتَمَرَّتْ مِثْلَ ما كُنْتُ أَرْتَجِي أَبَى اللهُ إلاَّ وِرْدَها وصُدُورَها
فَهَلْ تَرْجِعُ الأَيّامُ تَجْمَعُ شَمْلَنا وأُوفِي إذا وافَتْ لِرَبِّي نُذُورَها
وكُنْ عالِماً أنَّ الأُمُورَ بِكَفِّ مَنْ يَخُطُّ عَلَى لَوْحِ الجَبِينِ سُطُورَها

ثم بكت بكاء شديداً ورجعت إلى الدار تبكي وتنتحب وصارت تتذكر ما مضى وقالت : سبحان الله الذي حكم علينا بهذا . ثم زاد تأسفها على مفارقة الأحباب وعلى فراق الديار وانشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا مَنْزِلاً خَلا لَقَدْ قَضَّتِ الأَيّامُ فِيكَ سُرُورَها
ألاَ يا حَمامَ الدّارِ لا زِلْتَ نائِحًا لِمَنْ فارَقَتْ أَقْمارَها وبُدُورَها
رُوَيْدَكَ يا مَسْرُورُ فابْكِ لِفَقْدِنا لَقَدْ فَقَدَتْ عَيْنِي لِفَقْدِكَ نُورَها
ولَوْ نَظَرَتْ عَيْناكَ يَوْمَ رَحِيلِنا ونِيرانُ قَلْبِي زادَ دَمْعِي سَعِيرَها
ولا تَنْسَ ذاكَ العَهْدَ في ظِلِّ رَوْضَةٍ حَوَتْ شَمْلَنا فِيها وأَرْخَتْ سُتُورَها

ثم حضرت بين يدي زوجها فحملها على الهودج الذي صنعه لها . فلما إن صارت على ظهر البعير انشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا مَنْزِلاً خَلا وقَدْ طالَ ما زِدْنَا هُناكَ تَجَمُّلا
فَلَيْتَ زَمانِي في ذُراكَ تَصَرَّمَتْ لَيالِيهُ حَتَّى في الصَّبابَةِ أُقْتَلا
جَزِعْتُ عَلَى بُعْدِي وشَوْقِي لِمَوْطِنِ شُغِفْتُ بِهِ لَمْ أَدْرِ ما قَدْ تَحَصَّلا
فَيا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى فِيهِ عَوْدَةً تَرُوقُ كَمَا راقَتْ لَنا فِيهِ أَوَّلا

فقال لها زوجها : يا زين المواصف ، لا تحزني على فراق منزلك فإنك تعودين إليه عن قريب . وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ، ثم ساروا حتى خرجوا إلى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق وعلمت ان الفراق قد تحقّق فعظم ذلك عليها . كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكّر في امره وامر محبوبته ، فحسّ قلبه بالفراق فنهض قائمًا على قدميه من وقته وساعته وصار حتى جاء إلى

منزلها فرأى الباب مقفولاً ورأى الابيات التي كتبتها زين المواصف. فقرأ ما على الباب الأول، فلما قرأه وقع في الأرض مغشياً عليه. ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الأول ودخل إلى الباب الثاني فرأى ما كتبته وكذلك الثالث. فلما قرأ جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام فخرج في اثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب، فرآها في آخره وزوجها في أوله لأجل حوايجه. فلما رآها تعلّق بالهودج باكياً حزيناً من الم الفراق وانشد هذه الأبيات: [من الخفيف]

لَيْتَ شِعْري بِأيِّ ذَنْبٍ رُمِينا ... بِسِهامِ الصُّدُودِ طُولَ السِّنِينا
يا مُنَى القَلْبِ جِئْتُ لِلدَّارِ يَوْماً ... عِنْدَما ازْدَدْتُ في هَواكِ شُجُونا
فَرَأَيْتُ الدِّيارَ قَفْراً يَباباً ... فَشَكَوْتُ النَّوَى وزِدْتُ أَنِينا
وسَأَلْتُ الجِدارَ عَنْ كُلِّ قَصْدِي ... أَيْنَ راحُوا وصارَ قَلْبِي رَهِينا
قالَ: سارُوا عَنِ المَنازِلِ حَتَّى ... صَيَّرُوا الوَجْدَ في الفُؤادِ كَمِينا
قَدْ كَتَبْتُ عَلَى الجِدارِ سُطُوراً ... فِعْلُ أَهْلِ الوَفا مِنَ العالَمِينَ

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت انه مسرور. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 855

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور. فبكت هي وجواريها ثم قالت له: يا مسرور، سألتك بالله ان ترجع عنّا لئلا يراك ويراني زوجي. فلما سمع مسرور ذلك غشي عليه. فلما افاق ودّعا بعضهما وانشد هذه الأبيات: [من البسيط]

نادَى الرَّحِيلُ سُحَيْراً في الدُّجَى الهادِي ... قَبْلَ الصَّباحِ وهَبَّتْ نَسْمَةُ النَّادِي.
شَدُّوا المَطايا وجَدُّوا في تَرَحُّلِهِمْ ... وأَسْرَعَ الرَّكْبُ لَمَّا زَمْزَمَ الحادِي
وعَطَّرُوا أَرْضَهُمْ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ ... وعَجَّلُوا سَيْرَهُمْ في ذَلِكَ الوادِيَ
تَمَلَّكُوا مُهْجَتِي عِشْقاً وقَدْ رَحَلُوا ... وغادَرُونِي عَلَى آثارِهِمْ غادِي
يا جِيرَةً مَقْصَدِي أَنْ لا أُفارِقَهُمْ ... حَتَّى بَلَلْتُ الثَّرَى مِنْ دَمْعِيَ الغَادِي
يا وَيْحَ قَلْبِي ووَيْحِي بَعْدَما صَنَعَتْ ... يَدُ الفِراقِ عَلَى رُغْمِي بِأَكْبادِي

وما زال مسرور ملازمًا للركب وهو يبكي وينتحب وهي تستعطفه في ان يرجع قبل الصباح خشية الإفتضاح. فتقدّم إلى الهودج وودّعها ثاني مرة وغشي عليه ساعة زمانية، فلما أفاق وجدهم سائرين. فالتفت نحو سيرهم وشمّ ريح القبول وصار يترنّم بإنشاد هذه الأبيات: [من الكامل]

ما هَبَّ رِيحُ القُرْبِ لِلْمُشْتاقِ ... إلاَّ شَكا مِنْ لَوْعَةِ الأَشْواقِ
هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسْمَةٌ سِحْرِيَّةٌ ... ما فاقَ إلاَّ وَهْوَ في الآفاقِ
مُلْقًى عَلَى فُرُشِ السَّقامِ مِنَ الضَّنَى ... يَبْكِي الدِّماءَ بِدَمْعِهِ المُهْراقِ

مِنْ جِيرَةٍ رَحَلُوا وقَلْبِي والحَشَى ... بَيْنَ الرِّكابِ يُساقُ بِالسُّوَّاقِ
واللهِ مَا في القُرْبِ هَبَّتْ نَسْمَةٌ ... إلا وَقَفْتُ لَها على الأَحْداقِ

ثم رجع مسرور إلى الدار وهو في غاية الإشتياق فرآها خالية من الأطناب موحشة من الاحباب، فبكى حتى بل الثياب وغشي عليه وكادت ان تخرج روحه من جسده. فلما افاق انشد هذين البيتين: [من الكامل]

يا رَبْعُ رِقَّ لِذِلَّتِي وخَضَوعِي ... ونُحولِ جِسْمِي وأنْهمالِ دُمُوعِي
وأنْشُرْ إلَيْنا مِنْ عَبِيرِ نَسِيمِهِمْ ... أَرَجاً لِتَشْفِي خاطِرِي المَوْجُوعِ

فلما رجع مسرور إلى منزله صار متحيّراً من أجل ذلك باكي العين، ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام. هذا ما كان من امر مسرور. وأما ما كان من امر زين المواصف فإنها عرفت ان الحيلة قد تمّت عليها، فإن زوجها ما زال سائراً بها مدة عشرة ايام ثم انزلها في بعض المدن. فكتبت زين المواصف كتاباً لمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت: ارسلي هذا الكعاب إلى مسرور ليعرف كيف تمّت الحيلة علينا وكيف غدر بنا اليهودي. فأخذت الجارية منها الكتاب وارسلته إلى مسرور، فلما وصل إليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بلّ التراب وكتب كتاباً وارسله إلى زين المواصف وختمه بهذين البيتين: [من البسيط]

كَيْفَ الطَّرِيقُ إلى أَبْوابِ سُلْوانِ ... وكَيْفَ يَسْلُو الَّذي في حَرِّ نِيرانِ
ما كانَ أَطْيَبَ أَوْقاتٍ لَهُمْ سَلَفَتْ ... فَلَيْتَ مِنْها لَدَيْنا بَعْضُ أَحْيانِ

فلما وصل الكتاب إلى زين المواصف اخذته وقراته واعطته لجاريتها هبوب وقالت لها: اكتمي خبره. فعلم زوجها انهما يتراسلان، فاخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يومًا ثم نزل بهن في بعض المدن. هذا ما كان من امر زين المواصف. وأما ما كان من امر مسرور فإنه صار لا يهنأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اصطبار. ولم يزل كذلك إذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في المنام ان زين المواصف قد جاءت إليه في الروضة وصارت تعانقه، فانتبه من نومه فلم يرها. فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه في غاية الولوع فأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

سَلامٌ عَلى مَنْ زارَ في النَّوْمِ طَيْفُها ... فَهَيَّجَ أَشْواقِي وزادَ غَرامِي
وقَدْ قُمْتُ مِنْ ذاكَ المَنامِ مُوَلَّعاً ... بِرُؤْيَةِ طَيْفٍ زارَنِي بِمَنامِي
فَهَلْ تَصْدُقُ الأَحْلامُ فِيمَنْ أُحِبُّهُ ... وتَشْفِي غَلِيلِي في الهَوَى وسَقامِي
فَطَوْراً تُعاطِينِي وطَوْراً تَضُمُّنِي ... وطَوْراً تُواسِينِي بِطِيبِ كَلامِ
ولَمَّا تَقَضَّى في المَنامِ عِتابُنا ... وصارَتْ عُيُوني بِالدُّمُوعِ دَوامِي
رَشَفْتُ رِضَاباً مِنْ لَمَاها كَأَنَّهُ ... رَحِيقٌ أَرَى رَيّاهُ مِسْكَ خِتامِ
عَجِبْتُ لِما قَدْ كانَ في النَّوْمِ بَيْنَنا ... وقَدْ نِلْتُ مِنْها مُنْيَتِي ومَرامِي
وقَدْ قُمْتُ مِنْ ذاكَ المَنامِ ولَمْ أَجِدْ ... مِنَ الطَّيْفِ إلاَّ لَوْعَتِي وغَرامِي

فأَصْبَحْتُ كالمَجْنُونِ حِينَ رَأَيْتُها   وأَمْسَيْتُ سَكْراناً بِغَيْرِ مُدامِ
أَلا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بِاللهِ بَلِّغِي   تَحِيَّةَ أَشْواقِي لَهُمْ وسَلامِي
وقَوْلِي لَهُمْ ذاكَ الَّذِي تَعْهَدُونَهُ   سَقَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ كأسَ حِمَامِ

ثم إنه توجه إلى منزلها وما زال يبكي حتى وصل إليه، فنظر إلى المكان فوجده خالياً ورأى خيالها يلوح قدامه وكان شخصها أمامه، فاشتعلت نيرانه وزادت أحزانه ووقع مغشياً عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 856

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن مسروراً لما رأى في المنام زين المواصف وهي تعانقه فرح غاية الفرح، ثم انتبه من النوم وراح إلى دارها فرأى الدار خالية، فزادت أحزانه ووقع مغشياً عليه. فلما أفاق جعل ينشد هذه الأبيات:

[من الطويل]

تَنَشَّقْتُ مِنْهُم فائحَ العِطْرِ والبانِ   فَرُحْتُ بِقَلْبٍ زائِدِ الوَجْدِ وَلْهانِ
أُعالِجُ أَشْواقِي كَئِيباً مُتَيَّماً   بِرَبْعٍ خَلا عَنْ حُسْنِ أُنْسِي وخِلاَّنِي
فَأَمْرَضَنِي بِالْبَيْنِ والوَجْدِ والأَسَى   وذَكَّرَنِي العَهْدُ القَدِيمِ بِخِلاَّنِي

فلما فرغ من شعره سمع غراباً ينعق على جانب الدار. فبكى وقال: سبحان الله لا ينعق الغراب إلا على الدار الخراب. ثم تحسّر وتنهّد وأنشد هذه الأبيات: [من البسيط]

ما لِلْغُرابِ بِدارِ الحُبِّ يَبْكِيها   والنَّارُ تَحْرُقُ أَحْشائِي وتَكْوِيها
عَلَى زَمانٍ تَقَضَّى فِي مَحَبَّتِهِمْ   قَدْ راحَ قَلْبِي ضِياعاً فِي مَهاوِيهَا
أَمُوتُ وَجْداً ونارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِي   وأَكْتُبُ الكُتْبَ ما لِي مَنْ يُؤَدِّيها
وَاحَسْرَتِي لِضَنَى جِسْمِي وقَدْ رَحَلَتْ   حَبِيبَتِي، يا تُرَى تَأْتِي لَيالِيها
فَيا نَسِيمُ الصَّبا إِنْ زُرْتَها سَحَراً   سَلِّمْ عَلَيْها وقِفْ بالدَّارِ حَيِّيها

وقد كان لزين المواصف أخت تسمّى نسيماً وكانت تنظر إليه من مكان عال. فلما رأته على تلك الحالة بكت وتحسرت وأنشدت هذه الأبيات: [من البسيط]

كَمْ ذا التَّرَدُّدِ فِي الأَوْطانِ تَبْكِيها   والدَّارُ تَنْدُبُ بالأَحْزانِ بانِيها
كانَ السُّرُورُ بِها مِنْ قَبْلِ أَنْ رَحَلَتْ   سُكَّانُها وشُمُوسٌ أَشْرَقَتْ فِيها
أَيْنَ البُدُورُ الَّتِي كانَتْ طَوالِعَةً   مَحَتْ صُرُوفُ الرَّدَى أَبْهَى مَعانِيها
دَعْ ما مَضَى مِنْ مِلاحٍ كُنْتَ تَأْلَفُها   وانْظُرْ عَسَى تَرْجِعُ الأَيَّامُ تُبْدِيها
لَوْلاكَ ما رَحَلَتْ سُكَّانُها أَبَداً   ولا رَأَيْتَ غُراباً فِي أَعالِيها

فبكى مسرور بكاء شديداً لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام. وكانت أختها تعرف ما هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له: بالله عليك يا مسرور، كف عن هذا المنزل لئلا يشعر بك أحد فيظن أنك تأتي من أجلي لأنك رحّلت أختي وتريد أن ترحّلني أنا

الأخرى، وأنت تعرف أنه لولا أنت ما خلت الديار من سكانها. فتسلّى عنها واتركها فقد مضى ما مضى. فلما سمع مسرور ذلك من أختها بكى بكاء شديداً وقال لها: يا نسيم، لو قدرت أن أطير لطرت شوقاً إليها فكيف أتسلّى عنها؟ فقالت: ما لك حيلة إلا الصبر. فقال لها: سألتك بالله أن تكتبي لها كتاباً من عندك وتردّي لنا جواباً ليطيب خاطري وتنطفي النار التي في ضمائري. فقالت: حباً وكرامة. ثم أخذت دواة وقرطاساً وصار مسرور يصف لها شدّة شوقه وما يكابده من ألم الفراق ويقول: إن هذا الكتاب عن لسان الهايم الحزين المفارق المسكين الذي لا يقر له قرار في ليل ولا في نهار بل يبكي بدموع غزار، قد قرّحت الدموع أجفانه وأضرمت في كبده أحزانه وطال تأسفه وكثر قلقه مثل طير فقد إلفه وعجّل تلفه. فيا أسفي من مفارقتك ويا لهفي على معاشرتك. لقد ضرّ جسمي النحول ودمعي صار في همول وضاقت عليّ الجبال والسهول فأمسيت من فرط وجدي أقول: [من الكامل]

وَجْدي عَلى تِلْكَ المَنازِلِ باقِ ... زادَتْ إلى سُكَّانِها أَشْواقِي

وبَعَثْتُ نَحْوَكُمُو حَديثَ صَبابَتِي ... وبِكأسِ حُبِّكُمُو سَقانِي السَّاقِي

وعلى رَحِيلِكُمُو وبُعْدِ دِيارِكُمْ ... جَرَتِ الجُفُونُ بِدَمْعِها المُهْراقِ

يا حادِيَ الأَظْعانِ عَرِّجْ بِالحِمَى ... فَالقَلْبُ مِنِّي زائِدُ الإحْراقِ

واقْرَأْ سَلامِي لِلْحَبِيبِ وقُلْ لَهُ: ... ما إنْ لَهُ غَيْرُ اللَّمَا مِنْ راقِ

أَوْدَى الزَّمانُ بِهِ فَشَتَّتَ شَمْلَهُ ... ورَمَى حُشاشَتَهُ بِسَهْمِ فِراقِ

بَلِّغْ لَهُمْ وَجْدِي وشِدَّةَ لَوْعَتِي ... مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِمْ وما أَنا لاقِ

قَسَماً بِحُبِّكُمُو يَمِيناً إنَّنِي ... أُوفِي لَكُمْ بِالعَهْدِ والمِيثاقِ

ما مِلْتُ قَطُّ ولا سَلَوْتُ هَواكُمُ ... كَيْفَ السُّلُوُّ لِعاشِقٍ مُشْتاقِ

فَعَلَيْكُمُ مِنِّي السَّلامُ تَحِيَّةً ... مَمْزُوجَةً بِالمِسْكِ في الأَوْراقِ

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة أشعاره، فرقّت له وختمت الكتاب بالمسك الأذفر وبخّرته بالند والعنبر وأوصلته إلى بعض التجار وقالت له: لا تسلّم هذا إلا لأختي أو جاريتها هبوب. فقال: حباً وكرامة. فلما وصل الكتاب إلى زين المواصف عرفت أنه من إملاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه، فقبّلته ووضعته على عينيها وأجرت الدموع من جفنيها، ولم تزل تبكي حتى غشي عليها. فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هي فيه من الحنين إلى الأحباب، وشكت حالها إليه وما نالها من الوجد عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 857

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه: إن هذا كتاب إلى سيدي ومالك رقي ومولاي وصاحب سري ونجواي. أما بعد فقد أقلقني السهر وزاد بي الفكر وما لي على بعدك مصطبر، يا من حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلقني والوجد أهلكني، وكيف لا أكون كذلك وأنا مع الهالكين. فيا بهجة الدنيا وزينة الحياة هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كاسه؟ لأنه لا هو مع

الأحياء ولا مع الأموات . ثم انشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

كِتابُكَ يا مَسْرُورُ قَدْ هيَّجَ البَلْوَى فَوالله ما لِي عَنْكَ صَبْرٌ ولا سَلْوَى
ولَمَّا قَرأْتُ الخَطَّ حَنَّتْ جَوارِحِي ومِنْ ماءِ دَمْعِي والجَوَى لَمْ أَزَلْ أُروَى
فَلَوْ كُنْتُ طَيْرًا طِرْتُ في جُنْحِ لَيْلَةٍ فَلَمْ أَدْرِ طَعْمَ المَنِّ بَعْدَكَ والسَّلْوَى
حَرامٌ عَلَيَّ العَيْشُ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ فَإِنِّي عَلَى حَرِّ التَّفَرُّقِ لا أَقْوَى

ثم تربّت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له : لا تسلمه إلا لأختي نسيم . فلما وصل إلى أختها نسيم أوصلته إلى مسرور ، فقبّله ووضعه على عينيه وبكى حتى غشي عليه . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر زوج زين المواصف فإنه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجاريتيها من محل إلى محل . فقالت له زين المواصف : سبحان الله ، إلى أين تسير بنا وتبعدنا عن الأوطان؟ قال : إلى ان أقطع بكم سنة حتى لا يصل إليكن مراسلات من مسرور وأنظر كيف اخذتن جميع مالي وأعطيتنه لمسرور؟ فكل شيء ضاع لي آخذه منكن وانظر هل ينفعكن مسروراً ويقدر على خلاصكن من يدي؟ ثم إنه مضى إلى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد وأتى بها إليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثياباً من الشعر وصار يبخّرها بالكبريت ثم جاء إليهن بالحداد وقال له : ضع هذه القيود في رجل هؤلاء الجواري ، فأول ما قدّم زين المواصف . فلما رآها الحداد غاب صوابه وعضّ على أنامله وطار عقله من راسه وزاد غرامه وقال لليهودي : ما ذنب هؤلاء الجواري؟ فقال : إنهن جواريّ وسرقن مالي وهربن مني . فقال له الحداد : خيّب الله ظنك ، والله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة واذنبت كل يوم الف ذنب لا يؤاخذها وايضًا لا يظهر عليها علامة السرقة ولا يقدر على وضع الحديد في رجليها . ثم سأله ان لا يقيّدها وصار يستشفع عنده في عدم تقييدها . فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودي : سألتك بالله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب . فقال لها : وكيف خرجت قدّام مسرور؟ فلم ترد له جواباً . ثم قبل شفاعة الحداد ووضع في رجليها قيداً صغيراً وقيّد الجواري بالقيود الثقيلة . وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمّل الخشونة ، فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي وجواريها ليلاً ونهاراً إلى ان انتحلت جسومهن وتغيّرت الوانهن . وأما الحداد فإنه وقع في قلبه لزين المواصف عشق عظيم . فسار إلى منزله وهو بأشد الحسرات وجعل ينشد هذه الأبيات : [من البسيط]

شُلَّتْ يَمِينُكَ يا قَينُ بِما وَثَقَتْ تِلْكَ القُيُودُ عَلَى الأَقْدامِ والعَصَبِ
قَيَّدْتَ أَقْدامَ مَوْلاةٍ مُنَعَّمَةٍ أَنِيسَةٍ خُلِقَتْ مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ
لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ ما كانَتْ خَلاخِلُها مِنَ الحَدِيدِ وقَدْ كانَتْ مِنَ الذَّهَبِ
ولَوْ رَأَى حُسْنَها قاضِي القُضاةِ رَثَى لَها وأَجْلَسَها تِيهاً عَلَى الرُّكَبِ

وكان قاضي القضاة ماراً على دار الحداد وهو يترنّم بإنشاد هذه الأبيات . فأرسل إليه ، فلما حضر قال : يا حداد ، من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها؟ فنهض الحداد قائماً على قدميه بين يدي القاضي وقبّل يده وقال : أدام الله أيام مولانا القاضي وفسح في عمره ، إنها جارية

صفتها كذا وكذا . وصار يصف له الجارية وما هي فيه من الحسن والجمال والقد والإعتدال والظرف والكمال ، بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل . ثم أخبره بما هي فيه من الذلّ والحبس والقيود وقلّة الزاد . فقال القاضي : يا حداد ، دلّها علينا واوصلها إلينا حتى ناخذ لها حقّها لأن هذه الجارية صارت متعلّقة برقبتك ، وإن كنت لا تدلّها علينا فإن الله يجازيك يوم القيامة . فقال الحداد : سمعاً وطاعة . ثم إنه توجه من وقته وساعته إلى دار زين المواصف فوجد الباب مغلوقاً وسمع كلاماً رخيماً من كبد حزين . فإن زين المواصف كانت في ذلك الوقت تنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ فِي وَطَنِي والشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... والحُبُّ يَمْلأُ لِي بالصَّفْوِ أَقْداحَا
دارَتْ عَلَيْنا بِما نَهْواهُ مِنْ طَرَبٍ ... فَلَيْسَ نُنْكِرُ إِمْساءً وإِصْباحَا
لَقَدْ قَضَيْنا زَمَاناً كانَ يُنْعِشُنا ... كَأْساً وعُوداً وقانُوناً وأَفْراحَا
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ والتَّصْرِيفُ إِلْفَتَنا ... والحُبُّ وَلَّى ووَقْتُ الصَّفْوِ قَدْ راحَ
فَلَيْتَ عَنّا غُرابَ البَيْنِ مُنْزَجِرٌ ... ولَيْتَ فَجْرَ وِصالِي فِي الهَوَى لاحَ

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام ، بكى بدمع كدمع الغمام . ثم طرق الباب عليهن . فقلن : من بالباب ؟ فقال لهن : أنا الحداد . ثم أخبرهن بما قال القاضي وإنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه حتى يخلّص لهن حقهن . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 858

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الحداد لما أخبر زين المواصف بكلام القاضي وإنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلّص لهن حقهن . قالت للحداد : كيف نروح إليه والباب مغلوق علينا والقيود في أرجلنا والمفاتيح مع اليهودي ؟ قال لهن الحداد : أنا أعمل للأقفال مفاتيح وافتح بها الباب والقيود . قالت : فمن يعرّفنا بيت القاضي ؟ فقال الحداد : أنا أصفه لكن . فقالت زين المواصف : وكيف نمضي عند القاضي ونحن لابسات ثياب الشعر المبخّرة بالكبريت ؟ فقال لهن الحداد : إن القاضي لا يعيبكن وأنتن في هذه الحالة . ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح للأقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلّها من أرجلهن وأخرجهن ودلّهن على بيت القاضي . ثم إن جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها إلى الحمام وغسلتها والبستها ثياب الحرير فرجع لونها إليها . ومن تمام السعادة أن زوجها كان في وليمة عند بعض التجار ، فتزيّنت زين المواصف بأحسن الزينة ومضت إلى بيت القاضي . فلما نظرها القاضي وقف قائمًا على قدميه ، فسلّمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ ورشقته في ضمن ذلك بسهام الألحاظ وقالت له : أدام الله مولانا القاضي وأيّد به المتقاضي . ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الأجواد وما صنع بها اليهودي من العذاب الذي يدهش الألباب ، وأخبرته أنه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فكاك . فقال القاضي : يا جارية ما اسمك ؟ قالت : إسمي زين المواصف وجاريتي هذه إسمها هبوب . فقال لها القاضي : إن اسمك وافق مسمّاه وطابق لفظه

معناه . فتبسّمت ولفّت وجهها فقال لها القاضي : يا زين المواصف ، الك بعل أم لا؟ قالت : ما لي بعل . قال : وما دينك؟ قالت : ديني الإسلام وملّة خير الآنام . فقال لها : اقسمي بالشريعة ذات الآيات والعبر انك على ملة خير البشر . فاقسمت له وتشهّدت . فقال لها القاضي : كيف انقضى شبابك مع هذا اليهودي؟ فقالت : أعلم أيها القاضي أدام الله أيامك بالتراضي وبلغك آمالك وختم بالصالحات اعمالك ، إن أبي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر الف دينار وجعلها في يد هذا اليهودي ليتّجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة الشرعية . فعندما مات أبي طمع اليهودي فيّ وطلبني من أمي ليتزوّج بي . فقالت له أمي : كيف أخرجها من دينها واجعلها يهودية ، فوالله لأعرفن الدولة بك . فخاف ذلك اليهودي من كلامها واخذ المال وهرب إلى مدينة عدن ، وعندما سمعنا به أنه في مدينة عدن جئنا في طلبه . فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر في البضائع ويشتري بضاعة بعد بضاعة فصدقناه . فلم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا أشد العذاب ، ونحن غرباء وما لنا معين إلا الله تعالى ومولانا القاضي . فلما سمع القاضي هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب : هل هذه سيدتك وانتن غرباء وليس لها بعل؟ قالت : نعم . قال : زوّجيني بها ، وانا يلزمني العتق والصيام والحج والصدقة إن لم اخلّص لكن حقّكن من هذا الكلب بعد ان اجازيه بما فعل . فقالت هبوب : لك السمع والطاعة . فقال القاضي : روحي طيبي قلبك وقلب سيدتك وفي غد إن شاء الله تعالى أرسل إلى هذا الكافر واخلص لكن حقّكن منه وتنظرين العجب في عذابه . فدعت له الجارية وانصرفت من عنده وخلّته في كرب وهيام وشوق وغرام . وبعد أن انصرفت من عنده هي وسيدتها سألتا على دار القاضي الثاني فدلّوهما عليه . فلما حضرتا لديه أعلمتاه بذلك . وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت أمرها إلى القضاة الأربعة وكل واحد يسألها ان تتزوّج به فتقول له : نعم . ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ، ولم يعلم اليهودي بشيء من ذلك لأنه كان في دار الوليمة . فلما أصبح الصباح ، نهضت جاريتها وافرغت عليها حلّة من افخر الملابس ودخلت بها على القضاة الأربعة في مجلس الحكم . فلما رأت القضاة حاضرين أسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلّمت عليهم فردّوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم . وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يده ، وبعضهم كان يتحدّث فتلجلج لسانه ، وبعضهم كان يحسب فغلط في حسابه . فعند ذلك قالوا لها : يا ظريفة الخصال ، لا يكن قلبك إلا طيباً فلا بد من ان نخلص لك حقك ونبلغك مرادك . فدعت لهم ثم ودّعتهم وانصرفت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 859

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان القضاة قالوا لزين المواصف : يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال ، لا يكن قلبك إلا طيباً بقضاء غرضك وبلوغ مرادك . فدعت لهم ثم ودّعتهم وانصرفت . هذا كله واليهودي مقيم عند أصحابه في الوليمة وليس له علم بذلك ، وصارت زين المواصف تدعو ولاة الأحكام وارباب الأقلام لينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلّصوها من اليم العذاب . ثم بكت وأنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

يا عَيْنُ سِحِّي الدَّمْعَ كالطُّوفانِ فَعَسَى بِدَمْعِي تَنْطَفِي أَحْزانِي
مِنْ بَعْدِ لُبْسِي لِلْحَرِيرِ مُطَرَّزًا أَضْحَى لِباسِي مَلْبَسُ الرُّهْبانِ
قَدْ صارَ كِبْرِيتاً بَخُورُ مَلابِسِي شَتَّانَ بَيْنَ النَّدِّ والرَّيْحانِ
لَوْ كُنْتَ يا مَسْرُورُ تَعْلَمُ حالَنا ما كُنْتَ تَرْضَى ذِلَّتِي وهَوانِي
وهُبُوبِي في قَيْدِ الحَدِيدِ أَسِيرَةٌ مَعْ كافِرٍ بالواحِدِ الدَّيَّانِ
وزَهِدْتُ أَحْوالَ اليَهُودِ ودِينَهُمْ واليَوْمَ دِينِي أَشْرَفُ الأَدْيانِ
وسَجَدْتُ لِلرَّحْمنِ سَجْدَةَ مُسْلِمٍ وتَبِعْتُ شَرْعَ مُحَمَّدٍ بِبَيانِ
مَسْرُورُ لا تَنْسَ المَوَدَّةَ بَيْنَنا واحْفَظْ وَثِيقَ العَهْدِ والإِيمانِ
أَبْدَلْتُ دِينِي في هَواكَ وإِنَّنِي مِنْ فَرْطِ حُبِّي لَمْ يَزَلْ كِتْمانِي
بادِرْ إِلَيْنا إِنْ حَفِظْتَ وِدادَنا حِفْظَ الكِرامِ ولا تَكُنْ مُتَوانِي

ثم إنها كتبت كتاباً يتضمّن جميع ما عمله معها اليهودي من الأول إلى الآخر وسطرت فيه هذه الأشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها : احفظي هذا الكتاب في جيبك حتى نرسله إلى مسرور . فبينما هما كذلك وإذا باليهودي قد دخل عليهما فرآهما فرحانتين . فقال : ما لي أراكما فرحانتين ؟ هل جاءكما كتاب من عند صديقكما مسرور ؟ فقالت له زين المواصف : نحن ما لنا معين عليك إلا الله سبحانه وتعالى فإنه هو الذي يخلّصنا من جورك ، وإن لم تردنا إلى بلادنا وأوطاننا فنحن في غد نترافع وإياك إلى حاكم هذه المدينة وقاضيها . فقال اليهودي : ومن خلّص القيود من أرجلكما ؟ ولكن لا بد أن أصنع لكل واحدة منكن قيداً قدره عشرة أرطال وأطوف بكن حول المدينة . فقالت له هبوب : جميع ما نويته لنا تقع فيه إن شاء الله كما أبعدتنا عن أوطاننا وفي غد نقف وإياك قدام حاكم المدينة . واستمرّوا على ذلك إلى الصباح ، ثم نهض اليهودي وجاء إلى الحداد ليصنع قيوداً لهن ، فعند ذلك قامت زين المواصف هي وجواريها وأتت إلى دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة ، فسلّمت عليهم فردّ عليها جميع القضاة السلام . ثم قال قاضي القضاة لمن حوله : إن هذه الجارية زهراوية وكل من رآها حبّها وخضع لحسنها وجمالها . ثم إن القاضي أرسل معها من الرسل أربعة وكانوا أشرافاً وقال لهم : أحضروا غريمها في أسوأ حال . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر اليهودي ، فإنه لما صنع لهن القيود توجه إلى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار في أمره . فبينما هو كذلك وإذا بالرسل قد تعلّقوا به وضربوه ضرباً شديداً وجرّوه سحبًا على وجهه حتى أتوا به إلى القاضي . فلما رآه القاضي صرخ في وجهه وقال : ويلك يا عدوّ الله ، هل وصل من أمرك أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت مالهن وتريد أن تجعلهن يهوداً ؟ فكيف تريد تكفير المسلمين ؟ فقال اليهودي : يا مولاي ، إن هذه زوجتي . فلما سمع القضاة منه ذلك الكلام صاحوا كلهم وقالوا : ارموا هذا الكلب على الأرض وانزلوا على وجهه بنعالكم واضربوه ضرباً وجيعًا فإن ذنبه لا يغفر . فنزعوا عنه ثيابه الحرير والبسوه ثيابًا من الشعر وألقوه على الأرض ونتفوا لحيته وضربوه ضرباً وجيعًا على وجهه بالنعال ثم أركبوه على حمار وجعلوا وجهه إلى كفله وأمسكوه ذيل الحمار في يده وطافوا به

حول المدينة حتى جرّسوه في سائر البلد ثم عادوا به إلى القاضي وهو في ذلّ عظيم ، فحكم عليه القضاة الأربعة بأن تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب . فاندهش الملعون من ذلك القول وغاب عقله وقال : يا سادات القضاة ، ما تريدون مني ؟ فقالوا له : قل إن هذه الجارية ما هي زوجتي وإن المال مالها وأنا تعدّيت عليها وشتّتها عن أوطانها . فأقرّ بذلك وكتبوا بإقراره حجة وأخذوا منه المال ودفعوه إلى زين المواصف وأعطوها الحجة وخرجت ، فصار كل من رأى حسنها وجمالها متحيّراً في عقله ، وقد ظنّ كل واحد من القضاة أنها يؤول أمرها إليه . فلما وصلت إلى منزلها جهّزت أمرها من جميع ما تحتاج إليه وصبرت إلى أن دخل الليل ، فأخذت ما خفّ حمله وغلا ثمنه وسارت هي وجواريها في ظلام الليل ، ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام بلياليها . هذا ما كان من أمر زين المواصف . وأما ما كان من أمر القضاة فإنهم بعد ذهابها أمروا بحبس اليهودي زوجها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 860

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القضاة أمروا بحبس اليهودي زوج زين المواصف . فلما أصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون أن تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند أحد منهم . ثم إن القاضي الذي ذهبت إليه أولاً قال : أنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لأن لي حاجة هناك . ثم ركب بغلته وأخذ غلامه وصار يطوف في أزقة المدينة طولاً وعرضاً ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبر . فبينما هو كذلك إذ وجد باقي القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن أنه ليس بينها وبين غيره ميعاد . فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في أزقة المدينة فأخبروه بشأنهم ، فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله . ثم صار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر ، فانصرف كل واحد منهم إلى منزله مريضاً ورقدوا على فرش الضنى . ثم إن قاضي القضاة تذكّر الحداد فأرسل إليه . فلما حضر بين يديه قال : يا حداد ، هل تعرف شيأ من خبر الجارية التي دللتها علينا ؟ فوالله إن لم تطلعني عليها إلا ضربتك بالسياط . فلما سمع الحداد كلام القاضي أنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

إنَّ الَّتِي مَلَكَتْنِي فِي الهَوَى مَلَكَتْ ... مَجامِعَ الحُسْنِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ حَسَنا
رَنَتْ غَزالاً وفَاحَتْ عَنْبَرًا وبَدَتْ ... شَمْساً وماجَتْ غَدِيراً وانْثَنَتْ غُصُنا

ثم إن الحداد قال : والله يا مولاي من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني أبداً ، وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي ، وقد مضيت إلى منزلها فلم أجدها ولم أرَ أحداً يخبرني عن شأنها ، فكأنها غطست في قرار الماء أو عرج بها إلى السماء . فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه أن تخرج منها وقال : والله ما كان لنا حاجة برؤيتها . فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من أجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الأربعة ، وصارت الحكماء تتردّد عليهم وما بهم من مرض يحتاج إلى الطبيب . ثم إن وجهاء الناس دخلوا على القاضي الأول فسلّموا عليه واستخبروه عن حاله . فتنهد وباح بما في ضميره وأنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

كُفُّوا المَلامَ كَفاني مُؤْلِمُ السَّقَمِ وٱسْتَعْذِرُوا قاضِياً يَقْضِي عَلى الأُمَمِ
مَنْ كانَ يَعْذُلُنِي في الحُبِّ يَعْذِرُنِي ولا يَلُمْ فَقَتِيلُ الحُبِّ لَمْ يُلَمِ
فَقاضِياً كُنْتُ والأَقْدارُ تُسْعِدُنِي على المَراتِبِ في حَظِّي وفي قَلَمِي
حَتَّى رُمِيتُ بِسَهْمٍ لا طَبِيبَ لَهُ مِنْ طَرْفِ جارِيَةٍ جاءَتْ لِسَفْكِ دَمِي
ما مِثْلُ مُسْلِمَةٍ تَشْكُو ظُلامَتَها ثَغْرُها كَيَتِيمِ الدُّرِّ مُنْتَظِمِ
نَظَرْتُ تَحْتَ مُحَيَّاها وقَدْ سَفَرَتْ بَدْراً بَدا تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ في الظُّلَمِ
وَجْهاً مُنِيراً وثَغْراً باسِماً عَجَباً قَدْ عَمَّها الحُسْنُ مِنْ فَرْقٍ إلى قَدَمِ
واللهِ ما نَظَرَتْ عَيْنِي كَطَلْعَتِها مِنَ البَرِيَّةِ في عُرْبٍ ولا عَجَمِ
يا حُسْنَ ما وَعَدَتْنِي وَهْيَ قائِلَةٌ: إذا وَعَدْتُ أَفِي يا قاضِيَ الأُمَمِ
هَذا مَقامِي وهَذا ما بُلِيتُ بِهِ لا تَسْأَلُوا عَنْ شُجُونِي يا أُولِي الهِمَمِ

فلما فرغ القاضي من هذه الأبيات بكى بكاء شديداً ثم إنه شهق شهقة ففارقت روحه جسده . فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلّوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الأبيات : [من الكامل]

كَمُلَتْ صِفاتُ العاشِقِينَ لِمَنْ غَدا في القَبْرِ مَقْتُولُ الحَبِيبِ وصَدِّهِ
قَدْ كانَ هَذا لِلْبَرِيَّةِ قاضِياً ويَراعُهُ سَجَنَ الحُسامَ بِغِمْدِهِ
فَقَضَى عَلَيْهِ الحُبُّ لَمْ نَرَ قَبْلَهُ مَوْلى تَذَلَّلَ في الأَنامِ لِعَبْدِهِ

ثم إنهم ترحّموا عليه وانصرفوا إلى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضرراً ولا ألماً يحتاج إلى طبيب . فسألوه عن حاله وشغل باله ، فعرّفهم بقضيته ، فلاموه وعنّفوه على تلك الحالة . فأجابهم مترنّماً بهذه الأبيات : [من الوافر]

بُلِيتُ بِها ومِثْلِي لا يُلامُ رُمِيتُ بِنَبْلَةٍ مِنْ كَفِّ رامِ
أَتَتْنِي ٱمْرَأَةٌ تُدْعَى هُبُوباً تَعُدُّ الدَّهْرَ عاماً بَعْدَ عامِ
ومَعْها طِفْلَةٌ أَبْدَتْ مُحَيًّا يَفُوقُ البَدْرَ في جُنْحِ الظَّلامِ
فَبَيَّنَتِ المَحاسِنَ وَهْيَ تَشْكُو وأَدْمُعُ جَفْنِها ذاتُ ٱنْسِجامِ
سَمِعْتُ كَلامَهَا ونَظَرْتُ فِيها فَأَضْنَتْنِي بِثَغْرٍ ذِي ٱبْتِسامِ
وقَدْ رَحَلَتْ بِقَلْبِي حِينَ راحَتْ وخَلَّتْنِي رَهِيناً في غَرامِي
فَهذِي قِصَّتِي فارْثُوا لِحالِي وحُطُّوا قاضِياً غَيْرِي غُلامِي

ثم إنه شهق شهقة ففارقت روحه جسده . فجهّزوه ودفنوه وترحّموا عليه ثم توجّهوا إلى القاضي الثالث فوجدوه مريضاً وحصل له ما حصل للثاني وكذلك الرابع . فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضًا مرضى بحبها ، فإن كل من رآها مات بحبها ، وإن لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 861

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها ، فإن كل من رآها مات بعشقها وإن لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبّها رحمهم الله أجمعين . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر زين المواصف فإنها جدّت في السير مدة أيام حتى قطعت مسافة بعيدة . فاتفق أنها خرجت هي وجواريها فمرّت على دير في الطريق وفيه راهب كبير إسمه دانس ، وكان عنده أربعون بطريقاً . فلما رأى جمال زين المواصف نزل إليها وعزم عليها وقال لها : استريحوا عندنا عشرة أيام ثم سافروا . فنزلت عنده هي وجواريها في ذلك الدير . فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها أفسدت عقيدته وافتتن بها وصار يرسل إليها البطارقة واحداً بعد واحد لأجل أن يؤلفها ، فصار كل من أرسله إليها يقع في حبّها ويراودها عن نفسها له وهي تتعذّر وتتمنّع . ولم يزل دانس يرسل إليها واحداً بعد واحد حتى أرسل إليها أربعين بطريقاً وكل واحد حين يراها يتعلّق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس ، فتمتنع من ذلك وتجاوبهم بأغلظ جواب . فلما فرغ صبر دانس واشتدّ غرامه قال في نفسه : إن صاحب المثل يقول : ما حكّ جسمي غير ظفري ، ولا سعى في مرامي مثل أقدامي . ثم نهض قائماً على قدميه وصنع طعاماً مفتخراً وحمله ووضعه بين يديها ، وكان ذلك في اليوم التاسع من العشرة أيام التي اتفق معها على إقامتها عنده لأجل الإستراحة . فلما وضعه بين يديها قال : تفضلي بسم الله ، خير الزاد ما حصل . فمدّت يدها وقالت : بسم الله الرحمن الرحيم ، وأكلت هي وجواريها . فلما فرغت من الأكل قال لها : يا سيدتي ، أريد أن أنشدك أبياتاً من الشعر . قالت له : قل . فأنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

مَلَكْتِ قَلْبِي بِأَلْحاظٍ وَوَجَنَاتِي ... وفي هَواكِ غَدا نَثْرِي وأَبْياتِي
أَتَتْرُكِينَ مُحِبّاً مُغْرَماً دَنِفاً ... يُعالِجُ العِشْقَ حَتَّى في المَنامات
لا تَتْرُكِينِي صَرِيعاً وَالِهاً فَلَقَدْ ... تَرَكْتُ أَشْغالَ دَيْرِي بَعْدَ لَذَّاتِي
يا غادَةً جَوَّزَتْ في الحُبِّ سَفْكَ دَمِي ... رِفْقاً بِحالي وعَطفاً في شُكَيَّاتي

فلما سمعت زين المواصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين : [من البسيط]

يا طالِبَ الوَصْلِ لا يَغْرُرْكَ بي أَمَلٌ ... أُكْفُفْ سُؤَالَكَ عَنِّي أَيُّها الرَّجُلُ
لا تُطْمِعِ النَّفْسَ فِيمَا لَسْتَ تَمْلُكُهُ ... إنَّ المَطامِعَ مَقْرُونٌ بِها الوَجَلُ

فلما سمع شعرها رجع إلى صومعته وهو متفكّر في نفسه ولم يدر كيف يصنع في أمرها ثم بات تلك الليلة في أسوأ حال . فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها : قوموا بنا فإننا لا نقدر على أربعين رجلاً رهباناً وكل أحد منهم يراودني عن نفسي . فقال لها الجواري : حباً وكرامة . ثم إنهن ركبن دوابهن وخرجن من باب الدير ليلاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 862

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان زين المواصف لمّا خرجت هي وجواريها من الدير ليلاً لم يزلن سائرات وإذا هن بقافلة سائرة فاختلطن بها. وإذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين المواصف، فسمعت أهل القافلة يتحدّثون بخبر زين المواصف ويذكرون أن القضاة والشهود ماتوا في حبّها وولّى أهل المدينة قضاة وشهوداً غيرهم واطلقوا زوج زين المواصف من الحبس. فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت إلى جواريها وقالت لجاريتها هبوب: الا تسمعين هذا الكلام؟ فقالت لها جاريتها: إذا كان الرهبان الذين عقيدتهم أن الترهّب عن النساء عبادة قد افتتنوا في هواك فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم انه لا رهبانية في الإسلام؟ ولكن إمض بنا إلى اوطاننا ما دام أمرنا دنا مكتوماً. ثم إنهن سرن وبالغن في السير. هذا ما كان من أمر زين المواصف وجواريها. وأما ما كان من أمر الرهبان، فإنهم لما اصبح الصباح أتوا إلى زين المواصف لأجل السلام فرأوا المكان خالياً فأخذهم المرض في أجوافهم. ثم إن الراهب الأول مزّق ثيابه وصار ينشد هذه الأبيات: [من الطويل]

أَلا يا أُصَيْحابِي تَعالَوا فإنَّنِي ... مُفارِقُكُمْ عَمّا قَلِيلٍ وراحِلُ
فإنَّ فُؤَادِي فِيهِ آلامُ لَوْعَةٍ ... وقَلْبِي بِهِ مِنْ زَفْرَةِ الحُبِّ قاتِلُ
لأَجْلِ فَتاةٍ قَدْ أَتَتْ نَحْوَ أَرْضِنا ... لَها البَدْرُ في أُفْقِ السَّماءِ يُعادِلُ
فَراحَتْ وخَلَّتْنِي قَتِيلَ جَمالِها ... طَرِيحَ سِهامٍ صادَفَتْها مَقاتِلُ

ثم إن الراهب الثاني أنشد هذه الأبيات: [من الكامل]

يا راحِلِينَ بِمُهْجَتِي رِفْقاً عَلى ... مِسْكِينِكُمْ وتَعَطَّفُوا بالمَرْجِعِ
راحُوا فَراحَتْ راحَتِي مِنْ بَعْدِهِمْ ... ونأَوا وطِيبُ حَدِيثِهِمْ في مَسْمَعِي
شَطُّوا فَشَطَّ مَزارُهُمْ يا لَيْتَهُمْ ... مَنُّوا عَلَيْنا في المَنامِ بِمَرْجَعِ
أَخَذُوا فُؤَادِي عِنْدَما رَحَلُوا وقَدْ ... تَرَكُوا جَمِيعِي في سَوافِحِ أَدْمُعِي

ثمّ إن الراهب الثالث انشد هذه الأبيات: [من الطويل]

يُصَوِّرُكُمْ قَلْبِي وعَيْنِي ومَسْمَعِي ... فَقَلْبِي لَكُمْ مَأْوى وكُلِّي بِأَجْمَعِي
وذِكْرُكُمُ أَحْلى مِنَ الشَّهْدِ في فَمِي ... ويَجْرِي كَمَجْرى الرُوحِ في كُلِّ أَضْلُعِي
وصَيَّرْتُمُونِي كَالخِلالِ مِنَ الضَّنى ... وأَغْرَقْتُمُونِي في الغَرامِ بِمَدْمَعِي
دَعُونِي أَراكُمْ في المَنامِ لَعَلَّكُمْ ... تُرِيحُوا خُدُودِي مِنْ تَبارِيحِ أَدْمُعِي

ثم إن الراهب الرابع أنشد هذين البيتين: [من الكامل]

خَرِسَ اللِّسانُ وقَلَّ فِيكَ كَلامِي ... والحُبُّ مِنْهُ تَوَجُّعِي وسَقامِي
يا بَدْرُ تِمٍ في السَّماءِ مَحَلُّهُ ... قَدْ زادَ فِيكَ تَوَلُّهِي وهُيامِي

ثم إن الراهب الخامس انشد هذه الأبيات: [من المجتث]

أَهْوى قَمَراً عادِلَ القَدِّ رَشِيقْ ... والخَصْرُ نَحِيلُ شاكِي الضَّرَرْ

وريقُهُ شِبْهُ سُلافٍ ورَحِيقْ | والرِّدْفُ ثَقِيلُ لاهِي البَشَرْ
والقَلْبُ غَدا بِالغَرامِ حَرِيقْ | والصَّبُّ قَتِيلُ بَيْنَ السُّمُرْ
والدَّمْعُ على الخَدِّ قانٍ كَعَقِيقْ | في الخَدِّ يَسِيلُ مِثْلَ المَطَرْ

ثم إن الراهب السادس أنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

يا مُتْلِفي في الحُبِّ فَرْطُ صُدُودِهِ | يا غُصْنَ بَانٍ لاحَ نَجْمُ سُعُودِهِ
أَشْكُو إِلَيْكَ كَآبَتِي وصَبَابَتِي | يا مُحْرِقي في نارِ وَرْدِ خُدُودِهِ
هَلْ مِثْلُ صَبٍّ فيكَ غادَرَ نُسْكَهُ | وغَدا عَدِيمَ رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ

ثم إن الراهب السابع أنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

سَجَنَ الفُؤادَ ودَمْعَ عَيْنِي أَطْلَقا | والوَجْدُ جَدَّدَهُ وصَبْرِي مَزَّقا
حُلْوُ الشَّمائِلِ ما أَمَرَّ صُدُودَهُ | يَرْمِي الفُؤادَ بِسَهْمِهِ عِنْدَ اللِّقا
يا عاذِلِي أَقْصِرْ وتُبْ عَمَّا مَضى | ما أَنْتَ في خَبَرِ الغَرامِ مُصَدَّقا

وهكذا باقي البطارقة والرهبان كلهم يبكون وينشدون الأشعار . وأما كبيرهم دانس فإنه زاد به البكاء والعويل ولم يجد لوصالها من سبيل . ثم إنه صار يترنّم بإنشاد هذه الأبيات : [من الطويل]

عَدِمْتُ اصْطِباري يَوْمَ سارَ أَحِبَّتِي | وفارَقَنِي مَنْ كانَ سُؤْلِي ومُنْيَتِي
فيا حادِيَ الأَظْعانِ رِفْقاً بِعِيسِهِمْ | عَسى أَنْ يَمُنُّوا بِالرُّجُوعِ لِدارَتِي
جَفا جَفْنَ عَيْنِي النَّوْمُ بَعْدَ فِراقِهِمْ | وجَدَّدْتُ أَحْزانِي وفارَقْتُ لَذَّتِي
إِلى اللهِ أَشْكُو ما أُلاقِي بِحُبِّها | لَقَدْ أَنْحَلَتْ جِسْمِي وأَوْدَتْ بِقُوَّتِي

ثم إنهم لما يئسوا منها اجمع رأيهم على أنهم يصوّرون صورتها عندهم واتفقوا على ذلك إلى أن أتاهم هادم اللذات . هذا ما كان من أمر هؤلاء الرهبان أصحاب الدير . وأما ما كان من أمر زين المواصف ، فإنها سارت تقصد محبوبها مسروراً . ولم تزَل سائرة إلى أن وصلت إلى منزلها وفتحت الأبواب ودخلت الدار ثم أرسلت إلى أختها نسيم . فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحًا شديداً وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش . ثم إنها فرشت لها وألبستها وأرخت الستور على الأبواب وأطلقت العود والند والعنبر والمسك والأدفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار أعظم ما يكون . ثم إن زين المواصف لبست أفخر قماشها وتزيّنت أحسن الزينة . كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها، بل كان في همّ شديد وحزن ما عليه من مزيد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 863

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لمّا دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش والقماش وفرشت لها وألبستها أفخر الثياب، كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في همّ شديد وحزن ما عليه من مزيد . ثم جلست زين المواصف تتحدّث مع جواريها التي تخلّفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الأول إلى

الآخر، ثم إنها التفتت إلى هبوب وأعطتها دراهم وأمرتها أن تذهب وتأتي لها بشيء تأكله هي وجواريها، فذهبت وأتت بالذي طلبته من الأكل والشرب. فلما انتهى أكلهن وشربهن أمرت هبوب أن تمضي إلى مسرور وتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الأحوال. وكان مسرور لا يقرّ له قرار ولا يمكنه اصطبار. فلما زاد عليه الوجد والغرام والعشق والهيام صار يتسلّى بإنشاد الأشعار ويذهب إلى الدار ويقبّل الجدار. فاتفق أنه مضى إلى محل التوديع وصار ينشد هذا الشعر البديع: [من الكامل]

أَخْفَيْتُ ما أَلْقاهُ مِنْهُ وقَدْ ظَهَرْ والنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بالسَّهَرْ
نادَيْتُ لَمّا قَدْ سَبَتْ قَلْبِي الفِكَرْ يا دَهْرُ لا تُبْقِي عَلَيَّ ولا تَذَرْ
ها مُهْجَتِي بَيْنَ المَشَقَّةِ والخَطَرْ

لَوْ كانَ سُلْطانُ المَحَبَّةِ مُنْصِفِي ما كانَ نَوْمِي مِنْ عُيُونِي قَدْ نُفِي
يا سادَتِي رِقُّوا لِصَبٍّ مُدْنَفِ وارْثُوا لِحالِ كَبِيرِ قَوْمٍ زَلَّ في
شَرْعِ الهَوَى وغَنِيُّ قَوْمٍ إفْتَقَرْ

لَجَّ العَواذِلُ فِيكَ ما طاوَعْتُهُمْ وسَدَدْتُ كُلَّ مَسامِعي وكَتَمْتُهُمْ
وحَفِظْتَ مِيثاقَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ قالُوا: عَشِقْتَ مُفارِقاً فَأَجَبْتُهُمْ
كُفُّوا، إذا نَزَلَ القَضا عَمِيَ البَصَرْ

ثم إنه رجع إلى منزله وقعد يبكي فغلب عليه النوم فرأى في منامه كأن زين المواصف أتت إلى الدار. فانتبه من نومه وهو يبكي ثم سار متوجهًا إلى منزل زين المواصف وهو ينشد هذه الأبيات: [من الطويل]

أَأَسْلُو الَّتي في الحُبِّ قَدْ مَلَكَتْ أَسْرِي وقَلْبِي على نارٍ أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ
عَشِقْتُ التي أَشْكُو إلى اللهِ بُعْدَها وصَرْفَ اللَّيالي والحَوادِثَ مِنْ دَهْرِي
مَتَى المُلْتَقَى يا غايَةَ القَلْبِ والمُنَى وأَحْظَى بِجَمْعِ الشَّمْلِ يا طَلْعَةَ البَدْرِ

وكان آخر ما أنشد من الشعر وهو ماش في زقاق زين المواصف، فشم منه الروايح الزكية فهاج لبّه وفارق صدره قلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه وإذا بهبوب متوجهة إلى قضاء حاجة فرآها وهي مقبلة من صدر الزقاق، فلما رآها فرح فرحًا شديدًا. فلما رأته هبوب أتت إليه وسلّمت عليه وبشّرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت له: إنها أرسلتني في طلبك إليها. ففرح بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد. ثم أخذته ورجعت به إليها. فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبّلته وقبّلها وعانقته وعانقها، ولم يزالا يقبّلان بعضهما ويتعانقان حتى غشي عليهما زمناً طويلاً من شدة المحبة والفراق. فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاريتها هبوب بإحضار قلّة مملوءة من شراب السكر وقلّة مملوءة من شراب الليمون. فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته، ثم أكلوا وشربوا. وما زالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من أوله إلى آخره. ثم إنها أخبرته بإسلامها، ففرح وأسلم هو أيضاً وكذلك جواريها وتابوا إلى الله تعالى. فلما أصبح الصباح أمرت بإحضار القاضي والشهود وأخبرتهم أنها عازبة وقد وفت

العدّة ومرادها الزواج بمسرور، فكتبوا كتابها عليه وصاروا في الذ عيش . هذا ما كان من أمر زين المواصف ومسرور . وأما ما كان من أمر زوجها اليهودي فإنه حين أطلقه أهل المدينة من السجن سافر منها متوجهاً إلى بلاده، ولم يزل مسافراً حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين المواصف ثلاثة أيام . فأخبرت بذلك زين المواصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها : إمض إلى مقبرة اليهود واحفري قبراً وضعي عليه الرياحين ورشّي حوله الماء، وإن جاء اليهودي وسالك عني فقولي له : إن سيدتي ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوماً . فإن قال لك : أريني قبرها . فخذيه إلى القبر وتحيّلي على دفنه فيه بالحياة . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم إنهم رفعوا الفراش وأدخلوه في مخدع ومضت إلى بيت مسرور، فقعد هو وإياها في أكل وشرب ولم يزالوا كذلك حتى مضت الثلاثة أيام . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر زوجها فإنه لما أقبل من السفر دقّ الباب . فقالت هبوب : من بالباب؟ فقال : سيدك . ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خدّها فقال لها : ما يبكيك؟ وأين سيدتك؟ فقالت له : إن سيدتي قد ماتت بسبب قهرها عليك . فلما سمع منها ذلك الكلام تحيّر في أمره وبكى بكاء شديداً ثم قال لها : يا هبوب، أين قبرها؟ فأخذته ومضت به إلى المقبرة وأرته القبر الذي حفرته . فعند ذلك بكى بكاء شديداً ثم أنشد هذين البيتين : [من الكامل]

شَيْئان : لَوْ بَـكَتْ الدِّماءَ عَلَيْهِما	عَيْناي َ حَتَّى يُؤْذِنا بِذَهابِ
لَمْ يَقْضِيا المِعْشارَ مِنْ حَقَّيْهِما	شَرْخُ الشَّبابِ وفُرْقَةُ الأَحْبابِ

ثم بكى بكاءً شديداً وأنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

أوَّاه وَاأَسَفي قَدْ خانَنِي جَلَدِي	ومِنْ فِراقِ حَبِيبِي مُتُّ بالكَمَدِ
يا ما دَهانِيَ مِنْ بُعْدِ الحَبِيبِ ويا	تَقْطِيعَ قَلْبِي عَلى ما قَدَّمَتْهُ يَدِي
يا لَيْتَنِي قَدْ كَتَمْتُ السِّرَّ في زَمَنِي	ولَمْ أَبُحْ بِغَرامٍ هاجَ في كَبِدِي
قَدْ كُنْتُ في عِيشَةٍ مَرْضِيَّةٍ رَغَدٍ	وصِرْتُ مِنْ بَعْدِها في الذُّلِّ والنَّكَدِ
فَيا هَبُوبُ لَقَدْ هَيَّجْتِ لي شَجَناً	بِمَوْتِ مَنْ كانَ مِنْ دُونِ الوَرَى سَنَدِي
زَيْنَ المَواصِفِ لا كانَ الفِراقُ ولا	كانَ الَّذي فارَقَتْ رُوحِي بِهِ جَسَدِي
لَقَدْ نَدِمْتُ على نَقْضِ العُهُودِ وقَدْ	عاتَبْتُ نَفْسِي عَلَى التَفْرِيطِ في عَمَدِي

فلما فرغ من شعره بكى وأنّ واشتكى فخرّ مغشياً عليه . فلما غشي عليه أسرعت هبوب بجرّه ووضعه في القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش، ثم سدّت عليه ورجعت إلى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر . ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأنشدت هذين البيتين : [من الكامل]

الدَّهْرُ أَقْسَمَ لا يَزالُ مُكَدِّرِي	حَنَثَتْ يَمِينُكَ يا زَمانُ فَـكَفِّرِي
ماتَ العَذُولُ ومَنْ هَوِيتُ مُواصِلِي	فَانْهَضْ إلى داعِ السُّرُورِ وشَمِّرِي

ثم إنهم أقاموا مع بعضهم على الأكل والشرب واللهو واللعب والطرب إلى أن أتاهم هادم اللذّات ومفرّق الجماعات ومميت البنين والبنات.

77 - حكاية علي نور الدين ومريم

ومما يحكى أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمّى تاج الدين ، وكان من أكابر التجار ومن الامناء الاحرار إلا أنه كان مولعاً بالسفر إلى جميع الأقطار ويحب السير في البراري والقفار والسهول والأوعار وجزائر البحار في طلب الدرهم والدينار ، وكان له عبيد ومماليك وخدم وجواري وطالما ركب الأخطار وقاسى في السفر ما يشيب الأطفال الصغار . وكان أكثر التجار في ذلك الزمان مالاً وأحسنهم مقالاً ، صاحب خيول وبغال وبخاتي وجمال وغراير وأعدال وبضايع وأموال وأقمشة عديمة المثال ، من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مروزية وتفاصيل هندية وأزرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار رومية وغلمان مصرية . وكانت غراير أحماله من الحرير لأنه كان كثير الأموال بديع الجمال مائس الأعطاف شهي الإنعطاف كما قال فيه بعض واصفيه : [من الرجز]

وتاجِرٍ عايَنْتُ عُشّاقَهْ   والحَرْبُ فِيما بَيْنَهُمْ ثائِرْ
فَقالَ : ما لِلنَّاسِ في ضَجَّهْ   قُلْتُ : على عَيْنِكَ يا تاجِرْ

وقال آخر في وصفه واجاد واتى فيه بالمراد : [من السريع]

وتاجِرٍ في وَصْلِهِ زارَنا   والقَلْبُ مِنْ ألحاظِهِ حائِرُ
فَقالَ لي : ما لَكَ في حِيرَةٍ   قُلْتُ : على عَيْنِكَ يا تاجِرُ

وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمّى علياً نور الدين ، كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر ، بديع الحسن والجمال ظريف القد والإعتدال . فجلس ذلك الصبي يوماً من الأيام في دكان والده على جري عادته للبيع والشراء والأخذ والعطاء وقد دارت حوله أولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم ، بجبين أزهر وخدّ أحمر وعذار أخضر وجسم كالمرمر . كما قال فيه الشاعر : [من مجزوء الرمل]

ومَلِيحٍ قالَ : صِفْني   قُلْتُ : أَنْتَ في الحُسْنِ رَجِيحْ
قُلْتُ قَوْلاً بِاخْتِصارٍ   كُلُّ ما فِيكَ مَلِيحْ

وكما قال فيه بعض واصفيه : [من الوافر]

لَهُ خالٌ على صَفَحاتِ خَدٍّ   كَنُقْطَةِ عَنْبَرٍ في صَحْنِ مَرْمَرْ
وألْحاظٌ بِأَسْيافٍ تُنادِي   على عاصِي الهَوَى اللهُ أَكْبَرْ

فعزمه أولاد التجار وقالوا له : يا سيدي نور الدين ، نشتهي في هذا اليوم أننا نتفرّج وإياك في البستان الفلاني . فقال لهم : حتى أشاور والدي فإني لم أقدر أن أروح إلا بإجازته . فبينما هم في الكلام وإذا بوالده تاج الدين قد أتى ، فنظر ليه ولده وقال : يا أبي ، إن أولاد التجار قد عزموني لأجل أن أتفرّج أنا وإياهم في البستان الفلاني فهل تأذن لي في ذلك ؟ فقال : نعم يا ولدي . ثم إنه أعطاه شيئاً من المال وقال : توجه معهم . فركب أولاد التجار حميراً وبغالاً وركب

نور الدين بغلة وسار معهم إلى بستان فيه ما تشتهي الانفس وتلذّ الاعين وهو مشيد الأركان رفيع البنيان، له باب مقنطر كأنه إيوان وباب سماوي يشبه ابواب الجنان وبوّابه إسمه رضوان، وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الألوان الأحمر كأنه مرجان والأسود كأنه أنوف السودان والأبيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمّان والكمثري والبرقوق والتفاح ، كل هذه الأنواع مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 864

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كامل ما تشتهي الشفّة واللسان، ووجدوا العنب مختلف الألوان صنواناً وغير صنوان. كما قال فيه الشاعر :

[من الخفيف]

عِنَبٌ طَعْمُهُ كَطَعْمِ الشَّرابِ ... حالِكٌ لَوْنُهُ كَلَوْنِ الغُرابِ
بَيْنَ أَوْراقِهِ زُها فَتَراهُ ... كَبَنانِ النِّساءِ بَيْنَ الخِضابِ

وكما قال فيه الشاعر أيضًا : [من الوافر]

عَناقِيدٌ حَكَتْ لَمّا تَدَلَّتْ ... على قُضْبانِها جِسْمِي نُحُولا
حَكَتْ عَسَلاً وماءً في إناءٍ ... وعادَتْ بَعْدَ حِصْرِمِها شَمُولا

ثم انتهوا إلى عريشة البستان فرأوا رضوان بوّاب البستان جالساً في تلك العريشة كأنه رضوان خازن الجنان . ورأوا مكتوباً على باب العريشة هذان البيتان : [من الطويل]

سَقَى اللهُ بُسْتاناً تَدَلَّتْ قُطُوفُهُ ... فَمالَتْ بِها الأَغْصانُ مِنْ شِدَّةِ الشُّرْبِ
إذا رَقَّصَتْ أَغْصانَهُ بِيدُ الصَّبا ... تُنَقِّطُها الأَنْواءُ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ

ورأوا مكتوباً في داخل العريشة هذان البيتان : [من السريع]

أُدْخُلْ بِنا يا صاحِ في رَوْضَةٍ ... تَجْلُو عَنِ القَلْبِ صِدَى هَمِّهِ
نَسِيمُها يَعْثُرُ في ذَيْلِهِ ... وزَهْرُها يَضْحَكُ في كِمِّهِ

وفي ذلك البستان فواكه ذات افنان واطيار من جميع الاصناف والألوان، مثل فاخت وبلبل وكروان وقمري وحمام يغرد على الأغصان، وأنهارها بها الماء الجاري وقد راقت تلك المجاري بأزهار وأثمار ذات لذات . كما قال فيه الشاعر هذين البيتين : [من الكامل]

سَرَتِ النَّسِيمُ عَلَى الغُصُونِ فَشابَهَتْ ... خَوْدًا تَعَثَّرُ في جَمِيلِ ثِيابِها
وحَكَتْ جَداوِلُها السُّيُوفَ إذا انْتَضَتْ ... أَيْدِي الفَوارِسِ مِنْ غِلافِ قِرابِها

وكما قال فيه الشاعر أيضًا : [من الكامل]

والنَّهْرُ مَدَّ على الغُصُونِ ولَمْ يَزَلْ ... أَبَدًا يُمَثِّلُ شَخْصَها في قَلْبِهِ
حَتَّى إذا فَطَنَ النَّسِيمُ سَرَى لَها ... مِنْ غَيْرَةٍ فَأَمالَها مِنْ قُرْبِهِ

وأشجار ذلك البستان عليها من كل فاكهة زوجان، وفيه من الرمان ما يشبه أكر القيروان كما قال فيه الشاعر وأجاد: [من الوافر]

ورُمَّانٍ رَقيقِ القِشْرِ يَحْكِي ... نهودَ البِكْرِ إِذْ بَرَزَتْ فُحُولا
إذا قَشَّرْتَهُ يَبْدو لَدَيْنا ... مِنَ الياقوتِ ما بَهَرَ العُقُولا

وكما قال فيه الشاعر: [من الطويل]

ما مُلَمَّمَةٌ تُبْدِي لِقاصِدِ جَوْفِها ... يواقيتَ حَمْرا في مَعاطِفِ عَبْقَرِيْ
ورُمَّانَةٍ شَبَّهْتُها إِذْ رَأَيْتُها ... بِنَهْدِ العَذَارى أَوْ بِقُبَّةِ مَرْمَرِ
وفيها شِفاءٌ لِلْمَريضِ وصِحَّةٌ ... وفيها حَديثٌ لِلنَّبِيِّ المُطَهَّرِ
وفيها يَقولُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... مَقالاً بَليغاً في الكِتابِ المُسَطَّرِ

وفي ذلك البستان تفاح سكّري ومسكي يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر: [من البسيط]

تُفَّاحَةٌ جَمَعَتْ لَوْنَيْنِ قَدْ حَكَيا ... خَدَّيْ حَبِيبٍ ومَحْبُوبٍ قَدْ اجْتَمَعا
لاحَا على الغُصْنِ كالضِّدَّيْنِ مِنْ عَجَبٍ ... فَذاكَ أَسْوَدُ والثاني بِهِ لُمَعا
تَعانَقا فَبَدا واشٍ فراعَهُما ... فَاحْمَرَّ ذا خَجَلاً واصْفَرَّ ذا وَلَعا

وفي ذلك البستان مشمش لوزي وكافوري وجيلاني وعنتابي كما قال فيه الشاعر: [من الكامل]

والمِشْمِشُ اللَّوْزِيُّ يَحْكِي عاشِقاً ... جاءَ الحَبِيبُ لَهُ فَحَيَّرَ لُبَّهُ
وكَفاهُ مِنْ صِفَةِ المُتَيَّمِ ما بِهِ ... يَصْفَرُّ ظاهِرُهُ ويَكْسِرُ قَلْبَهُ

وقال فيه آخر وأجاد: [من السريع]

أُنْظُرْ إِلى المِشْمِشِ في زَهْرِهِ ... حَدائِقُ يَجْلُو سَناها الحَدَقْ
كَالأَنْجُمِ الزُّهْرِ إِذا ما زَهَتْ ... الغُصْنُ يَزْهُو بِها في الوَرَقْ

وفي ذلك البستان برقوق وقراصيا وعنّاب تشفي السقيم من الأوصاب، والتين فوق أغصانه ما بين أحمر وأخضر يحيّر العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر: [من البسيط]

كَأَنَّما التِّينُ يَبْدو مِنْهُ أَبْيَضُهُ ... مَعْ أَخْضَرَ بَيْنَ أَوْراقٍ مِنَ الشَّجَرِ
أَبْناءُ رُومٍ على أَعْلَى القُصُورِ وَقَدْ ... جَنَّ الظَّلامُ بِهِمْ باتُوا على حَذَرِ

وقال آخر وأجاد: [من مجزوء الرجز]

أَهْلاً بِتِينٍ جاءَنا ... مُنَضَّداً على طَبَقْ
كَسُفْرَةٍ مَضْمومَةٍ ... قَدْ جُمِعَتْ بِلا حَلَقْ

وقال آخر وأجاد: [من البسيط]

أَنْعِمْ بِتِينٍ طابَ طَعْماً واكْتَسى ... حُسْناً وقارَبَ مَنْظَراً مِنْ مَخْبَرِ

يُبْدِي تَعاطِيْهِ إذا ما ذُقْتَهُ ... رِيحَ الأقاحِ وطِيْبَ طَعْمِ السُّكَّرِ
وحكى إذا ما صُبَّ في أَطْباقِهِ ... أكراً صُنِعْنَ مِنَ الحَرِيْرِ الأَخْضَرِ

وما أحسن قول بعضهم : [من البسيط]

قالُوا وقَدْ أَلِفَتْ نَفْسِي تَفَكُّهها ... بِغَيْرِ فاكِهَةٍ في حُبِّها هامُوا
لأيِّ شَيْءٍ تُحِبُّ التِّينَ قُلْتُ لَهُمْ ... لِلتِّينِ قَوْمٌ ولِلْجُمَّيْزِ أَقْوامُ

وأحسن منه قول الآخر : [من البسيط]

التِّينُ يُعْجِبُنِي عَنْ كُلِّ فاكِهَةٍ ... لَمَّا اسْتَوى والتَوى في غُصْنِهِ الزَّاهِي
كَأَنَّهُ عابِدٌ والسُّحْبُ ماطِرَةٌ ... فاضَتْ مَدَامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ

وفي ذلك البستان من الكمثري الطوري والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 865

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ما ذكرناه ، ووجدوا فيه من الكمثري الطوري والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان ، ما بين أصفر وأخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر :

[من السريع]

يَهْنِيْكَ كُمَّثْرى غَدا لَوْنُها ... لَوْنَ مُحِبٍّ زائِدِ الصُّفْرَهْ
شَبِيْهَةٌ بِالبِكْرِ في خِدْرِها ... والوَجْهُ مِنْها مُسْبَلُ السُّتْرَهْ

وفي ذلك البستان من الخوخ السلطاني ما هو مختلف الألوان من أصفر وأحمر . كما قال فيه الشاعر : [من المتقارب]

كَأَنَّما الخَوْخُ في رَوْضِهِ ... وقَدْ بَدَا حُمْرَةَ العَنْدَمِ
بَنادِقُ مِنْ ذَهَبٍ أَصْفَرَ ... قَدْ خَضَّبَتْ وَجْهَها بِالدَّمِ

وفي ذلك البستان من اللوز الأخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمّار ولبّه من داخل ثلاثة أثواب صنعة الملك الوهّاب كما قيل فيه : [من الطويل]

ثَلاثَةُ أَثْوابٍ على جَسَدٍ رَطْبِ ... مُخَالِفَةِ الأَشْكَالِ مِنْ صُنْعَةِ الرَّبِّ
تُرِيْهِ الرَّدى في لَيْلِهِ ونَهارِهِ ... وإِنْ يَكُنِ المَسْجُونُ فيها بلا ذَنْبِ

وقال آخر وأجاد : [من المجتث]

أما تَرى اللَّوْزَ حِينَ تُظْهِرُهُ ... مِنَ الأَفانِينِ كَفُّ مُعْتَطِفِ
وقِشْرُهُ قَدْ جَلا القُلُوبَ لَنا ... كَأَنَّهُ الدُّرُّ مِنْ داخِلِ الصَّدَفِ

وأحسن منه قول الآخر : [من مجزوء الرجز]

يا حُسْنَ لَوْزٍ أَخْضَرَ ... أَصْفَرَ مِلْءُ اليَدِ

كأنَّما زُبَيْرُهُ نَبْتُ عِذارِ الأمْرَدِ
وقَدْ غَدَتْ قُلُوبُهُ مِنْ مُزْدَوِجٍ ومُفْرَدِ
كأنَّــها لُـؤْلُـؤَةٌ تُصَانُ في زَبَرْجَدِ

وقال آخر وأجاد : [من الكامل]

ما أبْصَرَتْ عَيْنايَ مِثْلَ اللَّوْزِ في حَسَناتِهِ لَمَّا بَدَتْ أنْوارُهُ
الرَّأسُ مِنْهُ بِاشْتِعالٍ شائِبٌ حِينَ انْتَشى واخْضَرَّ مِنْهُ عِذارُهُ

وفي ذلك البستان النبق مختلف الألوان صنوان وغير صنوان . كما قال فيه بعض واصفيه هذا الشعر : [من البسيط]

أُنْظُرْ إلى النَّبْقِ في الأغْصانِ مُنْتَظِماً كَمِشْمِشٍ مُعْجِبٍ يَزْهُو على القُضُبِ
كَأنَّ صُفْرَتَهُ لِلْناظِرِينَ غَدَتْ تَحْكِي جَلاجِلَ قَدْ صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ

وقال آخر وأجاد : [من مجزوء المجتث]

وسِدْرَةٍ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ حُسْنِها في فُنُونِ
كَأنَّـما النَّبْقُ فيها وقَدْ بَدا لِلْعُيُونِ
جَلاجِلُ مِنْ نُضَارٍ قَدْ عَلَّقَتْ في غُصُونِ

وفي ذلك البستان النارنج كأنه خولجان كما قال فيه الشاعر الولهان : [من الطويل]

وحَمْراءَ مِلْءِ الكَفِّ تَزْهُو بِحُسْنِها فَظاهِرُها نارٌ وباطِنُها ثَلْجُ
ومِنْ عَجَبٍ ثَلْجٌ مَعَ النَّارِ لَمْ يَذُبْ ومِنْ عَجَبٍ نارٌ ولَيْسَ لَها وَهْجُ

وقال بعضهم وأجاد : [من الطويل]

وأشْجَارِ نارَنْجَ كَأنَّ ثِمارَها إذا ما بَدَتْ لِلْناظِرِ المُتَفَرِّسِ
خُدُودُ نِساءٍ قَدْ تَبَرَّجْنَ زِيْنَةً بِأيَّامِ عِيْدٍ في غَلائِلِ سُنْدُسِ

وقال آخر وأجاد : [من الطويل]

كَأنَّ رُبى النَّارِنْجَ أذْهَبَتِ الصَّبا وأضْحَتْ بِهِ الأغْصانُ وهي تَمِيْدُ
خُدُوْدٌ عَلَيْها بَهْجَةُ الحُسْنِ أقْبَلَتْ عَلَيْها بِأوْقاتِ السَّلامِ خُدُوْدُ

وقال آخر وأجاد : [من السريع]

وشادِنٍ قُلْنا لَهُ صِفْ لَنا بُسْتانَنَا هَذا ونارَنْجا
فقال لي : بُسْتَانُكُمْ طَلْعَتِي ومَنْ جَنى النَّارَنْجَ ناراً جَنى

وفي ذلك البستان الاترج لونه كلون التبر وقد حطّ من أعلى مكان وتدلّى في الأغصان كمال فيه كأنه سبائك العقبين . وقد قال فيه الشاعر الولهان : [من البسيط]

أَما تَرى أَيْكَةَ الأُتْرُجِّ مُثْمِرةً ... يُخْشى عَلَيْها إذا مالَتْ مِنَ العَطَبِ
كَأنَّــها ـ عِنْدَما مَرَّ النَّسِيْمُ بِها ... غُصْنٌ تَحَمَّلَ قُضْبَاناً مِنَ الذَّهَبِ

وفي ذلك البستان الكباد منسدل في أغصانه كنهود أبكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر وأجاد : [من الطويل]

وكَبَّادَةٍ بَين الرِّيَاضِ نَظَرْتُها ... على غُصُنٍ رَطْبٍ كَقامَةِ أَغْيَدِ
إذا سَيَّلَتْها الرِّيحُ مالَتْ كَأكْرَةٍ ... بَدَتْ ذَهَباً في صَوْلَجانِ زَبَرْجَدِ

وفي ذلك البستان الليمون زاكي الرائحة يشبه بيض الدجاج ، ولكن صفرته زينة مجانية وريحه يزهو لجانيه . كما قال فيه بعض واصفيه : [من السريع]

أما تَرى اللَّيْمُونَ لَمَّا بَدا ... يَأخُذُ إشْراقَهُ بِالعِيانِ
كَأَنَّهُ بَيْضُ دَجَاجٍ وقَدْ ... لَطَّخَهُ المُخَمَّسُ بِالزَّعْفَرانِ

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضراوات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبري والورد بسائر أنواعه ، ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الأجناس . وذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائيه إذا دخله العليل خرج منه كالأسد الغضبان ، ولم يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لا توجد إلا في الجنان كيف لا واسم بوّابه رضوان ، لكن بين المقامين شتان . فلما تفرج أولاد التجار في ذلك البستان ، جلسوا بعد التفرّج والتنزّه على ليوان من لواوينه وأجلسوا نور الدين في وسط الإيوان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 866

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أولاد التجار لما جلسوا في الليوان أجلسوا نور الدين في وسط الإيوان على نطع من الأديم المزركش متكئاً على مخدة محشوة بريش النعام وظهارتها مدورة سنجابية . ثم ناولوه مروحة من ريش النعام مكتوباً عليها هذان البيتان :

[من الوافر]

ومِرْوَحَةٍ مُعَطَّرَةِ النَّسِيْمِ ... تُذَكِّرُ طِيبَ أَوْقاتِ النَّعِيمِ
وتَهْدِي طِيبَها في كُلِّ وَقْتٍ ... إلى وَجْهِ الفَتى الحُرِّ الكَرِيْمِ

ثم إن هؤلاء الشباب خلعوا ما كان عليهم من العمايم والثياب وجلسوا يتحدّثون ويتنادمون ويتجاذبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمّل في نور الدين وينظر إلى حسن صورته . وبعد أن اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أوان من الصيني والبلور ، لأن بعض أولاد التجار كان وصّى أهل بيته بها قبل خروجه إلى البستان . وكانت تلك السفرة مما درج وطار وسبح في البحار ، كالقطا والسمان وأفراخ الحمام وشياه الضأن وألطف السمك . فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدّموا وأكلوا بحسب الكفاية ، ولما فرغوا من الأكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء الصافي والصابون الممسك وبعد ذلك

نشفو أيديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدّموا لنور الدين منديلاً مطرزاً بالذهب الأحمر فمسح به يديه. وجاءت القهوة فشرب كل منهم مطلوبه ثم جلسوا للحديث وإذا بخولي البستان ذهب وجاء بسلّ مملوء بالورد وقال: ما تقولون يا سادتنا في المشموم؟ فقال بعض أولاد التجار: لا بأس به خصوصاً الورد فإنه لا يرد. فقال البستاني: نعم. لكن عادتنا إننا لا نعطي الورد إلا بالمنادمة، فمن أراد أخذه فليأت بشيء من الشعر يناسب المقام. وكان أولاد التجار عشرة أشخاص فقال واحد منهم: نعم. أعطني وأنا أنشدك شيئاً من الشعر يناسب المقام. فناوله حزمة من الورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من مجزوء المجتث]

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ ... لأَنَّهُ لا يُمَلُّ
كُلُّ الرَّياحِينِ جُنْدٌ ... وَهْوَ الأَمِيْرُ الأَجَلُّ
إِنْ غابَ عَزُّوا وتاهُوا ... حَتَّى إذا جاءَ ذَلُّوا

ثم ناول الثاني حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من المتقارب]

دُوْنَكَ يا سَيِّدِي وَرْدَةً ... يُذَكِّرُكَ المِسْكُ أَنْفاسَها
كَغَادَةٍ أَبْصَرَها عاشِقٌ ... غَطَّتْ بِأَكْمامِها رَأْسَها

ثم ناول الثالث حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من البسيط]

وَرْدٌ نَفِيسٌ تَسُرُّ القَلْبَ رُؤْيَتُهُ ... تَحْكِي رَوَائِحُهُ ما طابَ مِنْ نَدٍّ
قَدْ ضَمَّهُ الغُصْنُ فِي أَوْرَاقِهِ طَرَباً ... كَقُبْلَةٍ بِفَمٍ مِنْ غَيْرِ ما صَدٍّ

ثم ناول الرابع حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من البسيط]

أَما تَرى دَوْحَةَ الوَرْدِ التي ظَهَرَتْ ... لَها بَدائِعُ قَدْ رُكِّبْنَ في قُضُبِ
كَأَنَّهُنَّ يَواقِيْتٌ يَطُوْفُ بِها ... زَبَرْجَدٌ قَدْ حَوى شَيْئاً مِنَ الذَّهَبِ

ثم ناول الخامس حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين اليتين: [من الكامل]

قُضُبَ الزَّبَرْجَدِ قَدْ حَمَلْنَ وإِنَّما ... أَثْمارُهُنَّ سَبَائِكُ العُقْيانِ
وكَأَنَّ وَقْعَ القَطْرِ مِنْ أَوْراقِهِ ... دَمْعٌ بَكَتْهُ فَواتِرُ الأَجْفانِ

ثم ناول السادس حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من البسيط]

يا وَرْدَةً لِبَدِيْعِ الحُسْنِ قَدْ جَمَعَتْ ... وأَوْدَعَ اللهُ فِيْها لُطْفَ أَسْرارِ
كَأَنَّها خَدُّ مَحْبُوبٍ ونَقَّطَهُ ... لَدى التَّواصُلِ مُشْتاقٌ بِدِيْنارِ

ثم ناول السابع حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من الخفيف]

قُلْتُ لِلْوَرْدِ ما لِشَوْكِكَ يُؤْذِي ... كُلَّ مَنْ مَسَّهُ؛ سَرِيعُ الجِراحِ
قال لِي: مَعْشَرُ الرَّياحِينِ جُنْدِي ... أَنا سُلْطانُها وشَوْكِي سِلاحِي

ثم ناول الثامن حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من المتقارب]

رَعى اللهُ وَرْدًا غَدا أَصْفَرا   بَهِيّاً نَضِيرًا يُحَاكِي النُّضَارا
وحُسْنَ غُصُوْنٍ بِهِ أَثْمَرَتْ   حَمَلْنَ مِنْهُ شُمُوْساً صُغارا

ثم ناول التاسع حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين : [من الكامل]

شَجَراتُ وَرْدٍ أَصْفَرَ جَذَبَتْ   في قَلْبِ كُلِّ مُتَيَّمٍ طَرَبا
عَجَباً لَها مِنْ دَوْحَةٍ سُقِيَتْ   ماءُ اللُّجَيْنِ فَأَثْمَرَتْ ذَهَبا

ثم ناول العاشر حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين : [من الوافر]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جُنْدَ الوَرْدِ يَزْهُو   بِصُفْرٍ مِنْ مَطَالِعِه وحُمْرِ
وقَدْ شَبَّهْتُهُ والشَّوْكُ فِيْه   نِصالَ زُمُرُّدٍ في تُرْسِ تِبْرِ

فلما استقر الورد في أيديهم أحضر البستاني صفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الأحمر وأنشد يقول هذين البيتين : [من الخفيف]

هَتَفَ الفَجْرُ بِالسَّنا فَاسْقِ خَمْرًا   عانِساً تَجْعَلُ الحَلِيمَ سَفِيْها
لَسْتُ أَدْرِي مِنْ لُطْفِها وصَفَاها   أَبِكَأْسٍ تُرى أَمِ الكَأْسُ فِيْها

ثم إن خولي البستان ملأ وشرب ودار الدور إلى أن وصل إلى نور الدين ابن التاجر تاج الدين ، فملأ خولي البستان كأساً وناوله إياه . فقال له نور الدين : أنت تعرف أن هذا شيء لا أعرفه ولا شربته قط لأن فيه إثمًا كبيراً وقد حرّمه في كتابه الرب القدير . فقال خولي البستان : يا سيدي نور الدين ، إن كنت ما تركت شربه إلا من أجل الإثم فإن الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شيء . ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال : [من البسيط]

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فإنَّ اللهَ ذو كَرَمٍ   وما عَلَيْكَ إذا أَذْنَبْتَ مِنْ باسِ
إلا اثْنَتَيْنِ فلا تَقْرَبَهُما أَبَدًا   الشِّرْكُ باللهِ والإِضْرارُ بِالنَّاسِ

ثم قال واحد من أولاد التجار : بحياتي عليك يا سيدي نور الدين أن تشرب هذا القدح . وتقدّم شاب آخر وحلف عليه بالطلاق ، وآخر وقف بين يديه على أقدامه . فاستحى نور الدين وأخذ القدح من خولي البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال : هذا مرّ . فقال له الشاب خولي البستان : يا سيدي نور الدين ، لولا إنه مرّ ما كانت فيه هذه المنافع . ألم تعلم أن كل حلو إذا أكل على سبيل التداوي يجده الآكل مرّاً ، وأن هذه الخمرة منافعها كثيرة ؟ فمن جملة منافعها أنها تهضم الطعام وتصرف الهمّ والغمّ وتزيل الأرياح وتروّق الدم وتصفّي اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوّي همّة الرجل على الجماع . ولو كنا ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء : [من الطويل]

شَرِبْنا وعَفْوُ اللهِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ   وداوَيْتُ أَسْقامِي بِرِشْفِي لِلْكَاسِ
وما غَرَّنِي فِيها وأَعْرِفُ إِثْمَها   سِوَى قَوْلِهِ : فِيها مَنافِعُ لِلنَّاسِ

ثم إن خولي البستان نهض قائماً على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعاً من مخادع ذلك الإيوان وأخرج منه قمع سكر مكرّر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين في القدح وقال له: يا سيدي، إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا. فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكأس واحد من أولاد التجار وقال: يا سيدي نور الدين، أنا عبدك. وكذا الآخر قال: أنا خدامك. وقام الآخر وقال: من أجل خاطري. وقام الآخر وقال: بالله عليك يا سيدي نور الدين أجبر بخاطري. ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين إلى أن أسقوه العشرة أقداح، كل واحد قدحاً. وكان نور الدين باطنه بكر عمره ما شرب خمراً قط إلا في تلك الساعة، فدار الخمر في دماغه وقوي عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال: يا جماعة، والله أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح إلا إنه يحتاج إلى سماع طيب فإن الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده. كما قال الشاعر فيه هذين البيتين: [من الوافر]

أَدِرْها بِالكَبِيرِ وبِالصَّغِيرِ ... وخُذْها مِنْ يَدِ القَمَرِ المُنِيرِ
ولا تَشْرَبْ بِلا طَرَبٍ فإنِّي ... رَأَيْتُ الخَيْلَ تَشْرَبُ بالصَّفِيرِ

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها لية طرية أو فضة نقية أو دينار في صينية أو غزال في برية، بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بلبلية وحواجب كأنها قسي محنية وخدود وردية وأسنان لؤلؤية ومراشف سكّرية وعيون مرخية ونهود عاجية وبطن خماصية وأعكان مطوية وأرداف كأنها مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شيء كأنه صرّة في بقجة مطوية. كما قيل فيها هذه الأبيات: [من الطويل]

ولَوْ أَنَّها لِلْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضَتْ ... رَأَوا وَجْهَها مِنْ دُونِ أَصْنامِهِمْ رَبّا
ولَوْ أَنَّها في الشَّرْقِ لاحَتْ لِراهِبٍ ... لَخَلَّى سَبِيلَ الشَّرْقِ وأَتْبَعَ الغَرْبا
ولَوْ تَفَلَتْ في البَحْرِ والبَحْرُ مالِحٌ ... لأَصْبَحَ ماءُ البَحْرِ مِنْ رِيقِها عَذْبا

وقال آخر هذه الأبيات: [من البسيط]

أَبْهَى مِنَ البَدْرِ كَحْلاءَ العُيُونِ بَدَتْ ... كَأَنَّها ظَبْيَةٌ قَنَصَتْ أَشْبالَ آسادِ
أَرْخَتْ عَلَيْها اللَّيالي مِنْ ذَوائِبِها ... بَيْتاً مِنَ الشَّعْرِ لَمْ يُشْدَدْ بَأَوْتادِ
مِنْ وَرْدِ وَجْنَتِها النِّيرانُ ما اتَّـقَدَتْ ... إلاَّ بِأَفْئِدَةٍ ذابَتْ وأَكْبادِ
فَلَوْ رَآها حِسانُ العَصْرِ قُمْنَ لَها ... على الرُّؤُوسِ وقُلْنا: الفَضْلُ لِلْبادي

وما أحسن قول بعض الشعراء: [من البسيط]

ثَلاثَةٌ مَنَعَتْها عَنْ زِيارَتِنا ... خَوْفَ الرَّقِيبِ وخَوْفَ الحاسِدِ الحَنِقِ
ضَوْءُ الجَبِينِ ووَسْواسُ الحُلِيِّ وما ... حَوَتْ مَعاطِفُها مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الجَبِينَ بِفَضْلِ الكمِّ تَسْتُرُهُ ... والحَلْيَ تَنْزَعُهُ ما حِيلَةُ العَرَقِ

وتلك الصبية كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر وعليها بدلة زرقاء بقناع أخضر فوق جبين ازهر، تدهش العقول وتحيّر ارباب المعقول. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 867 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان خولي البستان لمّا جاء لهم بالصبية التي ذكرنا أنها في غاية من الحسن والجمال ورشاقة القد والإعتدال كأنها المرادة بقول الشاعر:

[من الخفيف]

أَقْبَلَتْ في غِلالَةٍ زَرْقاءَ لازَوَرْدِيَّةٍ كَلَوْنِ السَّماءِ
فَتَحَقَّقْتُ في الغِلالَةِ مِنْها قَمَرَ الصَّيْفِ في لَيالي الشِّتاءِ

وما احسن قول الآخر واجوده: [من البسيط]

جاءَتْ مُبَرْقِعَةً فَقُلْتُ لَها اسْفِري عَنْ وَجْهِكِ القَمَرَ المُنيرَ الأَزْهَري
قالَتْ: أَخافُ العارَ قُلْتُ لَها أَقْصِري بِحَوادِثِ الأَيّامِ لا تَتَحَيَّري
رَفَعَتْ نِقابَ الحُسْنِ عَنْ وَجَناتِها فَتَساقَطَ البَلُّورُ فَوْقَ الجَوْهَرِ
ولَقَدْ هَمَمْتُ بِقَتْلِها مِنْ حُبِّها كَيْما تَكُونَ خَصيمَتي في المَحْشَرِ
ونَكُونَ أَوَّلَ عاشِقَيْنِ تَخاصَما يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبٍّ أَكْبَرِ
وأَقُولُ: طَوِّلْ في الحِسابِ وُقُوفَنا حَتَّى يَطُولَ إلى الحَبِيبَةِ مَنْظَري

ثم إن الشاب خولي البستان قال لتلك الصبية: اعلمي يا سيدة الملاح وكل كوكب لاح اننا ما قصدنا بحضورك في هذا المكان إلا ان تنادمي هذا الشاب المليح الشمائل سيدي نور الدين، فإنه لم يأت محلنا هذا إلا في هذا اليوم. فقالت له الصبية: ليتك كنت اخبرتني لأجل ان أجيء بالذي كان معي. فقال لها: يا سيدتي، أنا أروح وأجيء به إليك. فقالت الصبية: إفعل ما بدا لك. فقال لها: أعطيني إمارة. فاعطته منديلاً. فعند ذلك خرج سريعاً وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس اخضر من حرير اطلس بشكلين من الذهب، فأخذته الصبية منه وحلّته ونفضته فنزل منه اثنتان وثلاثون قطعة خشب، ثم ركبت الخشب في بعضه على صورة ذكر في أنثى وأنثى في ذكر وكشفت عن معاصمها واقامته فصار عوداً محكوكاً مجروداً صنعة الهنود. ثم انحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها وزغزغته بأنامل يدها. فعند ذلك انّ العود ورنّ ولأماكنه القديمة قد حنّ، وقد تذكر المياه التي قد سقته والأرض التي نبت منها وتربّى فيها، وتذكر النجارين الذين قطّعوه والدهّانين الذين دهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التي حملته. فصرخ وصاح وعدّد وناح وكأنها سالته عن ذلك كله فأجابها بلسان الحال منشداً هذه الأبيات: [من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ عُوداً لِلْبَلابِلَ مَنْزِلاً أَمِيلُ بِها وَجْداً وفَرْعِي أَخْضَرُ

يَنُوحُونَ مِنْ فَوْقِي تَعَلَّمْتُ نَوْحَهُمْ ... ومِنْ أَجْلِ ذاكَ النَّوْحِ سِرِّيَ مُجْهَرُ
رَماني بِلا ذَنْبٍ عَلَى الأَرْضِ قاطِعِي ... وصَيَّرَنِي عُودًا نَحِيلاً كَما تَرَوْا
وقَدْ ضَرَّ بِيَ بالأَنامِلِ مُخْبِرٌ ... بأَنِّي قَتِيلٌ في الأَنامِ مُصَبَّرُ
فَمِنْ أَجْلِ هَذا صارَ كُلُّ مُنادِمٍ ... إذا ما رَأَى نَوْحِي يَهِيمُ ويَسْكَرُ
وقَدْ حَنَّنَ المَوْلَى عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ ... وقَدْ صِرْتُ في أَعْلَى الصُّدُورِ أُصَدَّرُ
تُعانِقُ قَدِّي كُلُّ مَنْ فاقَ حُسْنَها ... وكُلُّ غَزالٍ ناعِسِ الطَّرْفِ أَحْوَرُ
فَلا فَرَّقَ اللهُ المُهَيْمِنُ بَيْنَنا ... ولا عاشَ مَحْبُوبٌ يَصُدُّ ويَهْجُرُ

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك أخذت ذلك العود في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وضربت عليه طرقاً عديدة ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأنشدت هذه الأبيات : [من البسيط]

لَوْ أَنَّهُمْ جَنَحُوا لِلصَّبِّ أَوْ زارُوا ... لَحُطَّ عَنْهُ مِنَ الأَشْواقِ أَوْزارُ
وعَنْدَلِيبٌ على غُصْنٍ يُشاجِرُهُ ... كَأَنَّــهُ عاشِقٌ شَطَّتْ بِهِ الدارُ
قُمْ وانْتَبِهْ فَلَيالِي الوَصْلِ مُقْمِرَةٌ ... كَأَنَّها بِاجْتِماعِ الشَّمْلِ أَسْحارُ
واليَوْمَ في غَفْلَةٍ عَنَّا حَواسِدُنا ... وقَدْ دَعَتْنا إِلَى اللَّذَّاتِ أَوْتارُ
أَما تَرى أَرْبَعاً في اللَّحْظِ قَدْ جُمِعَتْ ... آسٌ ووَرْدٌ ومَنْثُورٌ وأَنْوارُ
واليَوْمَ قَدْ جُمِعَتْ لِلَّحْظِ أَرْبَعَةٌ ... صَبٌّ وخِلٌّ ومَشْرُوبٌ ودِينارُ
فَاظْفَرْ بِحَظِّكَ في الدُّنْيا فَلَذَّتُها ... تَفْنى وتَبْقى رِواياتٌ وأَخْبارُ

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الأبيات نظر إليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدّة الميل إليها وهي الأخرى كذلك ، لأنها نظرت إلى الجماعة الحاضرين من أولاد التجار كلهم وإلى نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم ، لأنه كان رخيم اللفظ والدلال كامل القد والإعتدال والبهاء والجمال ، الطف من النسيم وارق من التسنيم . كما قيل فيه هذه الأبيات : [من الكامل]

قَسَماً بِوَجْنَتِهِ وباسِمِ ثَغْرِهِ ... وبِأَسْهُمٍ قَدْ رانَها مِنْ سِحْرِهِ
وبِلِينِ مِعْطَفِهِ ونَبْلِ لِحَاظِهِ ... وبَياضِ غُرَّتِهِ وأَسْوَدِ شَعْرِهِ
وبِحاجِبٍ حَجَبَ الكَرى عَنْ ناظِرِي ... وسَطا عَلَيَّ بِنَهْيِهِ وبِأَمْرِهِ
وعَقارِبٍ قَدْ أُرْسِلَتْ مِنْ صُدْغِهِ ... وسَعَتْ لِقَتْلِ العاشِقِينَ بِهَجْرِهِ
وبِوَرْدِ خَدَّيْهِ وآسِ عِذارِهِ ... وعَقِيقِ مَبْسِمِهِ ولُؤْلُؤِ ثَغْرِهِ
وبِغُصْنِ قامَتِهِ الذي هُوَ مُثْمِرٌ ... رُمَّانُهُ يَزْهُو جَناهُ بِصَدْرِهِ
وبِرِدْفِهِ المُرْتَجِّ في حَرَكاتِهِ ... وسُكُونِهِ وبِدِقَّةٍ في خَصْرِهِ
وحَرِيرِ مَلْبَسِهِ وخِفَّةِ ذاتِهِ ... وبِما حَواهُ مِنَ الجَمالِ بِأَسْرِهِ

إنَّ الشَّذا قَدْ فاحَ مِنْ أنْفاسِه والرِّيحُ يَرْوِي طِيبُها عَنْ نَشْرِهِ
وكَذلِكَ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ دُونَهُ وكَذا الهِلالُ قُلامَةٌ مِنْ ظُفْرِهِ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 868

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها أعجبه نظامها . وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول :

[من مجزوء الكامل]

عَوَّادَةٌ مالَتْ بِنا في نَشْوَةِ المُتَنبِّذِ
قالَتْ لَنا أَوْتارُها أَنْطَقَنا اللهُ الذي

فلما تكلّم نور الدين بهذا الكلام وأنشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقاً وغراماً . وقد صارت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قدّه واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانياً وانشدت هذه الأبيات : [من الوافر]

يُعاتِبُني على نَظَري إِلَيْهِ وَيَهْجُرُني ورُوحي في يَدَيْهِ
ويُبْعِدُني ويَعْلَمُ ما بِقَلْبي كَأَنَّ اللهَ قَدْ أَوْحى إِلَيْهِ
كَتَبْت مِثالَهُ في وَسْطِ كَفِّي وقُلْتُ لِناظِري عَوِّلْ عَلَيْهِ
فَلا عَيْني تَرى مِنْهُ بَدِيْلاً ولا قَلْبِي يُصَبِّرُني لَدَيْهِ
فَيا قَلْبِي نَزَعْتُكَ مِنْ فُؤادي لأَنَّكَ في العَداوَةِ مِنْ بَنِيْهِ
إِذا ما قُلْتُ: يا قَلْبِي تَسَلَّى يُجاوِبُني :فَيا لَكَ مِنْ كَرِيهِ

فلما أنشدت الصبية تلك الأبيات تعجّب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها، فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر أن يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال إليها وضمّها إلى صدره فانطبقت الأخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبّلته بين عينيه وقبّل هو فاهها بعد ضمّ القوام ولعب معها في التقبيل زقّ الحمام ، فالتفتت له وفعلت معه مثل ما فعل معها . فهام الحاضرون وقاموا على أقدامهم ، فاستحى نور الدين ورفع يده عنها . ثم إنها أخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

قَمَرٌ يَسُلُّ مِنَ الجُفُونِ إذا انْثَنَى غَضَباً ويَهْزَأُ بالغَزالِ إذا رَنا
مَلِكٌ مَحاسِنُهُ البَدِيعَةُ جُنْدُهُ ولَدَى الطِّعانِ قَوامُهُ يَحْكِي القَنا
لَوْ أَنَّ رِقَّةَ قَلْبِهِ في خَصْرِهِ ما جارَ قَطُّ على المُحِبِّ ولا جَنَى
يا قَلْبُهُ القاسِي ورِقَّةَ خَصْرِهِ هَلاَّ لا انْتَقَلتَ إلى هُنا مَنْ هاهُنا
يا عاذِلي في حُبِّهِ كُنْ عاذِرِي فَلَكَ البَقاءُ بَحُسْنِهِ ولي الفَنا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال إليها من الطرب ولم يملك عقله من شدّة العجب ثم إنه انشد هذه الأبيات : [من الطويل]

لَقَدْ خِلْتُها شَمْسَ الضُّحَى فَتَخَيَّلَتْ ... ولَـكِن لَهِيبُ الحَرِّ مِنها بِمُهْجَتِي
وماذا عَلَيْها لَوْ أشارَتْ فَسَلَّمَتْ ... عَلَيْنا بِأطْرافِ البَنانِ وأوْمَتِ
رَأى وَجْهَها اللاَّحِي فَقالَ وتاهَ في ... مَحاسِنِها اللاّتي عَنِ الحُسْنِ أجْلَتِ
أهذي الَّتي قَدْ هِمْتَ شَوْقاً بِحبِّها ... فإنَّكَ مَعْذُورٌ فَقُلْتُ: هِيَ الَّتي
رَمَتْني بِسَهْمِ اللَّحْظِ عَمْدًا وما رَثَتْ ... لِحالي وذُلِّي وانْكِساري وغُرْبَتِي
فأصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الفُؤادِ مُتَيَّمًا ... أنُوحُ وأبْكي طُولَ يَوْمي ولَيْلَتِي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته وأخذت عودها وضربت عليه بأحسن حركاتها وأعادت جميع النغمات ثم انشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

وحَياةِ وَجْهِكَ يا حَياةَ الأنْفُسِ ... لا حِلْتُ عَنْكَ يَئِسْتُ أمْ لَمْ أيْأسِ
فَلَئِنْ جَفَوْتَ فإنَّ طَيْفَكَ واصِلٌ ... أوْ غِبْتَ عَنْ عَيْني فَذِكْرُكَ مُؤْنِسِي
يا مُوحِشاً طَرْفي وتَعْلَمُ أنَّـني ... أبَدًا بِغَيْرِ هَواكَ لَمْ أسْتَأنِسِ
خَدّاكَ مِنْ وَرْدٍ ورِيقُكَ قَهْوَةٌ ... هَلاَّ سَمَحْتَ بِها بِهذا المَجْلِسِ ؟

فعند ذلك طرب نور الدين من إنشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم اجابها عن شعرها بهذه الأبيات : [من البسيط]

ما أسْفَرَتْ عَنْ مُحَيَّا الشَّمْسِ في الغَسَقِ ... إلاّ لِتَحْجُبَ بَدْرَ التِّمِّ في الأُفُقِ
ولا بَدَتْ لِعُيُونِ الصُّبْحِ طُرَّتُها ... إلاّ وعَوَّذْتُ ذاكَ الفَرْقَ بالفَلَقِ
خُذْ عَنْ مَجارِي دُمُوعِي في تَسَلْسُلِها ... وأرْوِ الحَدِيثَ هَوًى مِنْ أقْرَبِ الطُّرُقِ
ورُبَّ رامِيَةٍ بالنَّبْلِ قُلْتُ لَها : ... مَهْلاً بِنَبْلِكِ إنَّ القَلْبَ في فَرَقِ
إنْ كانَ دَمْعِي لِبَحْرِ النِّيلِ نِسْبَتَهُ ... فإنَّ وُدَّكِ مَنْسُوبٌ إلى المَلَقِ
قالَتْ : فَهاتِ جَمِيعَ المالِ قُلْتُ : خُذي ... قالَتْ : ونَوْمُكَ أيْضًا قُلْتُ : مِنْ حَدَقِي

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبها واندهش لبّها وقد احتوى على مجامع قلبها ، فضمّته إلى صدرها وصارت تقبّله تقبيلاً كزق الحمام وكذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق . وبعد ان فرغت من التقبيل اخذت العود وأنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

وَيْلاهُ وَيْلي مِنْ مَلامَةِ عاذِلٍ ... أشْكُوهُ أمْ أشْكُو إلَيْهِ تَمَلْمُلي
يا هاجِري ما كُنْتُ أحْسَبُ أنَّني ... ألْقَى الإهانَةَ في هَواكَ وأنْتَ لي
عَنَّفْتُ أرْبابَ الصَّبابَةِ بالجَوَى ... وأبَحْتُ فِيكَ لِعاذِلِيكَ تَذَلُّـلي
بِالأمْسِ كُنْتُ ألُومُ أرْبابَ الهَوَى ... واليَوْمَ أعْذُرُ كُلَّ صَبٍّ مُبْتَلِي

وإنْ أعْتَرَتْني مِنْ فِراقِكَ شِدَّةٌ   أصْبَحْتُ أدْعُو اللهَ باسْمِكَ يا عَلِي

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها أنشدت أيضاً هذين البيتين : [من الكامل]

قَدْ قالَتِ العُشّاقُ إنْ لَمْ يَسْقِنا   مِنْ رِيقِهِ ورَحِيقِ فِيهِ السَّلْسَلِ
نَدْعُو إلهَ العالَمِينَ يُجِيبُنا   ويَقُولُ فِيهِ الكُلُّ مِنّا يا عَلِي

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها على ظرافة افتنانها . فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وقلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجرّدت من ذلك كله ، ثم جلست على ركبتيه وقبّلته بين عينيه وعلى شامتي خدّيه ووهبت له جميع ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 869

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت له : أعلم يا حبيب قلبي أن الهدية على مقدار هاديها . فقبل ذلك منها نور الدين ثم ردّه عليها وقبّلها في فمها وخدّيها وعينيها . فلما انقضى ذلك ولم يدم إلا الحي القيّوم رازق الطاووس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على قدميه . فقالت له الصبية : إلى أين يا سيدي ؟ فقال لها : إلى بيت والدي . فحلف عليه أولاد التجار أنَّه ينام عندهم ، فأبى وركب بغلته ولم يزل سائراً حتى وصل إلى بيت والده . فقامت له أمه وقالت له : يا ولدي ، ما سبب غيابك إلى هذا الوقت ؟ والله إنك قد شوّشت عليّ وعلى والدك بغيابك عنّا وقد اشتغل خاطرنا عليك . ثم إن أمه تقدّمت إليه لتقبّله في فمه فشمّت منه رائحة الخمر فقالت : يا ولدي ، كيف بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصي من له الخلق والأمر ؟ فبينما هما في الكلام وإذا بوالده قد أقبل ، ثم إن نور الدين ارتمى في الفراش ونام . فقال أبوه : ما لنور الدين هكذا ؟ قالت له أمه : كأن رأسه أوجعته من هوى البستان . فعند ذلك تقدّم له والده ليسأله عن وجعه ويسلّم عليه فشمّ منه رائحة الخمر ، وكان ذلك التاجر المسمّى تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر . فقال له : ويلك يا ولدي ، هل بلغ بك السفه إلى هذا الحد حتى تشرب الخمر ؟ فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده وهو في سكره ولطمه بها فجاءت اللطمة بالأمر المقدر على عين والده اليمنى ، فسالت على خده فوقع على الأرض مغشياً عليه ، واستمرّ في غشيته ساعة فرشّوا عليه ماء الورد . فلما أفاق من غشيته أراد أن يضربه فمنعته أمه ، فحلف بالطلاق من أمه أنه إذا أصبح الصباح لا بد من قطع يده اليمنى . فلما سمعت أمه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تداري والده وتأخذ بخاطره إلى أن غلب عليه النوم . فصبرت إلى أن طلع القمر وأتت إلى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له : يا نور الدين ، ما هذا الفعل القبيح الذي فعلته مع والدك ؟ فقال لها : وما الذي فعلته مع والدي . فقالت : إنك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده ، وقد حلف بالطلاق أنه إذا أصبح الصباح لا بد أن يقطع يدك اليمنى . فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم . فقالت له أمه : يا ولدي ، إن هذا الندم لا ينفعك وإنما ينبغي لك أنك تقوم في هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك وتختفي عند خروجك حتى تصل

إلى أحد من أصحابك وانتظر ما يفعلَ الله فإنه يغيّر حالاً بعد حال . ثم إن أمه فتحت صندوق المال وأخرجت منه كيساً فيه مائة دينار وقالت له : يا ولدي ، خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك ، فإذا فرغت منك يا ولدي فارسل اعلمني حتى أرسل إليك غيرها ، وإذا راسلتني فارسل إليّ أخبارك سراً ولعل الله أن يقدر لك فرجاً وتعود إلى منزلك . ثم إنها ودّعته وبكت بكاء شديداً ما عليه من مزيد . فعند ذلك أخذ نور الدين كيس الدنانير من أمه وأراد أن يخرج فرأى كيساً كبيراً قد نسته أمه بجنب الصندوق فيه ألف دينار ، فأخذه نور الدين ثم ربط الإثنين على وسطه وخرج من الزقاق وتوجه إلى جهة بولاق قبل الفجر . فلما أصبح الصباح وقامت الخلايق توحّد الملك الفتّاح وخرج كل واحد منهم إلى مقصد ليحصل ما قسم الله له ، كان نور الدين وصل إلى بولاق . فصار يمشي على ساحل البحر فرأى مركباً سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها ربع مدقوقة في البر ، ورأى البحرية واقفين . فقال لهم نور الدين : إلى أين أنتم مسافرون؟ فقالوا له : إلى مدينة اسكندرية . فقال لهم نور الدين : خذوني معكم . فقالوا له : أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا شاب يا مليح . فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى إلى السوق واشترى ما يحتاج إليه من زوّادة وفرش وغطاء ثم رجع إلى المركب ، وكانت تلك المركب تجهّزت للسفر . فلما نزل نور الدين في المركب لم تمكث إلا قليلاً وسارت من وقتها وساعتها ، ولم تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت إلى مدينة رشيد . فلما وصلوا إلى هناك رأى نور الدين زورقاً صغيراً سائراً إلى اسكندرية فنزل فيه وعدّى الخليج ، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى قنطرة تسمّى قنطرة الجامي . فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له : باب السدرة ، وقد ستر الله عليه فلم ينظره أحد من الواقفين في الباب . فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندرية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 870

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن نور الدين لمّا دخل مدينة اسكندرية رآها مدينة حصينة الأسوار حسنة المتنزهات تلذّ لسكانها وترغب في إيطانها ، قد ولّى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وازدهت أزهارها وأورقت أشجارها وأينعت أثمارها وتدفقت أنهارها ، وهي مدينة مليحة الهندسة والقياس وأهلها أجناد من خيار الناس إذا غلقت أبوابها أمنت أصحابها . وهي كما قيل فيها هذه الأبيات : [من مجزوء المجتث]

قَدْ قُلْتُ يَوْماً لِخِلٍّ ... لَهُ مَقالٌ فَصيحُ
إسْكَنْدَرِيَّةَ صِفْها ... فَقالَ : ثَغْرٌ مَليحُ
قُلْتُ : وفيها مَعَاشٌ ... فَقالَ : إنْ هَبَّ رِيحُ

وقال بعض الشعراء : [من مجزوء المجتث]

إسْكَنْدَرِيَّةُ ثَغْرٌ ... رُضابُهُ يُسْتَطابُ
ما أَحْسَنَ الوَصْلَ فِيها ... إنْ لَمْ يُصِبْها غُرابُ

فمشى نور الدين في تلك المدينة ولم يزل ماشياً فيها إلى أن وصل إلى سوق النجارين ثم إلى

سوق الصرافين ثم إلى سوق النقلية ثم إلى سوق الفكهانية ثم إلى سوق العطّارين وهو يتعجب من تلك المدينة لأن وصفها قد شاكل اسمها. فبينما هو يمشي في سوق العطّارين وإذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلّم عليه ثم اخذه من يده ومضى به إلى منزله، فرأى نور الدين زقاقاً مليحاً مكنوساً مرشوشاً، قد هبّ عليه النسيم وراق وظللته من الأشجار أوراق، وفي ذلك الزقاق ثلاث دور. وفي صدر ذلك الزقاق دار أساسها راسخ في الماء وجدرانها شاهقة إلى عنان السماء، قد كنّسوا الساحة التي قدّامها ورشّوها، وتشمّ روائح الأزهار قاصدوها، يقابلها النسيم كأنه من جنان النعيم. فأول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش. فدخل الشيخ بنور الدين إلى تلك الدار وقدّم له شيئًا من المأكول وأكل هو وإياه. فلما فرغ من الأكل قال له الشيخ: متى كان القدوم من مدينة مصر إلى هذه المدينة؟ فقال له: يا والدي، في هذه الليلة. قال له: ما اسمك؟ قال: علي نور الدين. فقال له الشيخ: يا ولدي يا نور الدين، يلزمني الطلاق ثلاثاً إنك ما دمت مقيماً في هذه المدينة لا تفارقني وأنا أخلي لك موضعاً تسكن فيه. فقال له نور الدين: يا سيدي الشيخ، زدني بك معرفة. فقال: يا ولدي، أعلم أني دخلت مصر في بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجراً آخر فاحتجت إلى الف دينار، فوزنها عني والدك تاج الدين من غير معرفة له بي ولم يكتب عليّ بها منشوراً، وصبر عليّ بها إلى ان رجعت إلى هذه المدينة وأرسلتها إليه مع بعض غلماني ومعها هدية وقد رأيتك وانت صغير، وإن شاء الله تعالى اجازيك ببعض ما فعل والدك معي. فلما سمع نور الدين هذا الكلام اظهر الفرح والإبتسام واخرج الكيس الذي فيه الألف دينار واعطاه لذلك الشيخ وقال له: خذ هذا وديعة عندك حتى اشتري به شيئًا من البضائع لأتجر فيه. ثم إن نور الدين أقام في مدينة اسكندرية مدة أيام وهو يتفرّج كل يوم في شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويتلذّذ ويطرب إلى ان فرغت منه المائة دينار التي كانت معه برسم النفقة، فأتى إلى الشيخ العطار ليأخذ منه شيئًا من الألف دينار وينفقه فلم يجده في الدكان، فجلس في دكانه ينتظره إلى ان يعود وصار يتفرّج على التجار ويتأمّل ذات اليمين وذات الشمال. فبينما هو كذلك وإذا بأعجمي قد أقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية أو بلطية في فسقية أو غزالة في برية، بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بلبلية ونهود عاجية وأسنان لؤلؤية وبطن خماصية وأعطاف مطوية وسيقان كأطراف لية، كاملة الحسن والجمال ورشاقة القد والإعتدال. كما قال فيها بعض واصفيها: [من البسيط]

كأنّــها مِثْلَ ما تَهْواهُ قَدْ خُلِقَتْ ... في رَوْنَقِ الحُسْنِ لا طُولٌ ولا قِصَرُ

الوَرْدُ مِنْ خَدِّها يَحْمَرُّ مِنْ خَجَلٍ ... والغُصْنُ مِنْ قَدِّها يَزْهُو بِهِ الثَّمَرُ

اَلْبَدْرُ طَلْعَتُها والمِسْكُ نَكْهَتُها ... والغُصْنُ قامَتُها ما مِثْلُها بَشَرُ

كأنّها أُفْرِغَتْ مِنْ ماءِ لُؤْلُؤَةٍ ... في كُلِّ جارِحَةٍ مِنْ حُسْنِها قَمَرُ

ثم إن الأعجمي نزل عن بغلته وأنزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه. فقال له: خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق. فأخذها الدلال ونزل بها إلى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسي من الأبنوس مزركش بالعاج الأبيض، فوضعه الدلال على الأرض واجلس

عليه تلك الصبية . ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمي أو كوكب درّي وهي كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر . بغاية الجمال الباهر كما قال الشاعر : [من البسيط]

قَدْ عارَضَ البَدْرُ جَهْلاً حُسْنَ صُورَتِها ... فَراحَ مُنْكَسِفاً وٱنْشَقَّ بالغَضَبِ
وسَرْحَةُ البانِ إنْ قِيسَتْ بِقامَتِها ... تَبَّتْ يَدا مَنْ غَدَتْ حَمّالَةَ الحَطَبِ

وما أحسن قول الشاعر : [من الكامل]

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ في الخِمارِ المُذْهَبِ ... ماذا فَعَلْتِ بِعابِدٍ مُتَرَهِّبِ
نُورُ الخِمارِ ونُورُ وَجْهِكَ تَحْتَهُ ... هَزَما بِضَوْئِهِما جُيُوشَ الغَيْهَبِ
وإذا أَتَى طَرْفي لِيَسْرِقَ نَظْرَةً ... في الخَدِّ حُرَّاسٌ رَمَتْهُ بِكَوكَبِ

فعند ذلك قال الدلال للتجار : كم دفعتم في درّة الغواص وفليتة القناص ؟ فقال له تاجر من التجار : عليّ بمائة دينار . وقال آخر : بمائتين . وقال آخر : بثلاثمائة . ولم يزل التجار يتزايدون في تلك الجارية إلى أن أوصلوا ثمنها إلى تسعمائة وخمسين ديناراً وتوقّف البيع على الإيجاب والقبول . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 871

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن التجار صاروا يتزايدون في الجارية إلى أن بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً . فعند ذلك أقبل الدلال على الأعجمي سيدها وقال له : إن جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً فهل تبيع ونقبض لك الثمن ؟ فقال الأعجمي : هل هي راضية بذلك ؟ فإني أحب مراعاة خاطرها لأني ضعفت في هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة ، فحلفت أني لا أبيعها إلا لمن تشتهي وتريد وجعلت بيعها بيدها فشاورها ، فإن قالت : رضيت . فبعها لمن أرادته . وإن قالت : لا . فلا تبعها . فعند ذلك تقدّم الدلال إليها وقال لها : يا سيدة الملاح ، أعلمي أن سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين ديناراً ، أفتأذنين أن أبيعك؟ فقالت الجارية للدلال : أرني الذي يريد أن يشتريني قبل انعقاد البيع . فعند ذلك جاء الدلال بها إلى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم ، فنظرت إليه الجارية ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت إلى الدلال وقالت له : يا دلال ، هل أنت مجنون أو مصاب في عقلك ؟ فقال لها الدلال : لأي شيء يا سيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام ؟ فقالت له الجارية : أيحل لك من الله أن تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شأن زوجته هذه الأبيات : [من البسيط]

تَقُولُ لي وَهْيَ غَضْبَى مِنْ تَدَلُّلِها ... وقَدْ دَعَتْني إلى شَيْءٍ فَما كانا
إنْ لَمْ تَنِكْني نَيْكَ المَرْءِ زَوْجَتَهُ ... فَلا تَلُمْني إذا أَصْبَحْتَ قَرْنانا
كأنَّ أَيْرَكَ مِنْ شَمْعٍ رَخاوَتُهُ ... فَكُلَّما عَرَكَتْهُ راحَتي لانا

وقال في أيره أيضًا : [من الخفيف]

لِيَ أَيْرٌ يَنامُ لُؤْماً وشُؤْماً ... كُلَّما نِلْتُ مِنْ حَبِيبٍ وِصالا

وإذا ما غَدَوْتُ في البَيْتِ فَرْداً طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ والنِّزالا

وقال في أيره أيضاً : [من المتقارب]

ولي أَيْرُ سُوءٍ كَثِيرُ الجَفا يُعامِلُ بِاللُّؤْمِ مَنْ يُكْرِمُهْ
إذا نِمْتُ قامَ وإنْ قُمْتُ نامَ فَلا رَحِمَ اللهُ مَنْ يَرْحَمُهْ

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح ، اغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال للدلال : يا أنحس الدلالين ، ما جئت لنا في السوق إلا بجارية مشؤومة تتجارى عليّ وتهجوني بين التجار ؟ فعند ذلك أخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها : يا سيدتي ، لا تكوني قليلة الأدب ، إن هذا الشيخ الذي هجوته هو شيخ السوق ومحتسبه وصاحب مشورة التجار . فضحكت وانشدت هذه الأبيات : [من السريع]

يُصْلِحُ لِلْحُكَّامِ في عَصْرِنا وذاكَ لِلْحُكَّامِ مِمَّا يَجِبْ
الشَّنْقُ لِلْوالي عَلى بابِهِ والضَّرْبُ بالدِّرَّةِ لِلْمُحْتَسِبْ

ثم إن تلك الجارية قالت للدلال : والله يا سيدي ، أنا ما أباع لهذا الشيخ فبعني إلى غيره لانه ربما خجل مني فيبيعني إلى آخر فأصير ممتهنة ، ولا ينبغي لي ان أدنس نفسي بالإمتهان وقد علمت أن أمر بيعي مفوّض إليّ . فقال لها الدلال : سمعاً وطاعة . ثم توجه بها إلى رجل من التجار الكبار . فلما وصل بها إلى ذلك الرجل قال لها : يا سيدتي ، هل أبيعك إلى سيدي شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين ديناراً ؟ فنظرت إليه الجارية فرأته شيخاً ولكن لحيته مصبوغة . فقالت للدلال : هل أنت مجنون او مصاب في عقلك حتى تبيعني إلى هذا الشيخ الفاني ؟ فهل أنا من كتكت المشاق او من مهلهل الأخلاق حتى تطوف بي على شيخ بعد شيخ ؟ وكلاهما كجدار آيل إلى السقوط أو عفريت محقه النجم بالهبوط . أما الأول فإنه ناطق لسان الحال بقول من قال : [من البسيط]

طَلَبْتُ قُبْلَتَها في الثَّغْرِ قائِلَةً لا والَّذي أَوْجَدَ الأَشْياءَ مِنْ عَدَمِ
ما كانَ لي في بَياضِ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبٍ أَفي الحَياةِ يَكُونُ القُطْنُ حَشْوَ فَمِي

وما أحسن قول الشاعر : [من الكامل]

قالُوا : بَياضُ الشَّعْرِ نُورٌ ساطِعٌ يَكْسُو الوُجُوهَ مَهابَةً وَضِياءَ
حَتَّى بَدا وَخْطُ المَشِيبِ بِمَفْرِقِي فَوَدِدْتُ أَنْ لا أُعْدَمَ الظَّلْماءَ
لَوْ أَنَّ لِحْيَةَ مَنْ يَشِيبُ صَحِيفَةٌ بِمَعادِهِ ما أَخْتارَها بَيْضاءَ

وأحسن منه قول الآخر : [من البسيط]

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِمٍ السَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللِّمَمِ
أَبْعِدْ بَعُدْتَ بَياضاً لا بَياضَ لَهُ لأَنْتَ أَسْوَدُ في عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

وأما الآخر فإنه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب قد أتى في خضاب شيبه بأقبح مين . وانشد لسان حاله هذين البيتين : [من البسيط]

قالَتْ : أراكَ خَضَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتُ لَها   كَتَمْتُهُ عَنْكِ يا سَمْعِي ويا بَصَرِي
فَقَهْقَهَتْ ثُمَّ قالَتْ : إنَّ ذا عَجَبٌ   تَكاثَرَ الغِشُّ حَتَّى صارَ في الشَّعَرِ

وما أحسن قول الشاعر : [من الكامل]

يا مَنْ يُخَضِّبُ بالسَّوادِ مَشِيبَهُ   كَي يَسْتَقِرَّ لَهُ الشَّبابُ وَيَحْصُلُ
ها فاخْتَضِبِ بِسَوادِ حَظِّي مَرَّةً   ولَكَ الضَّمانُ بأنَّهُ لا يَنْصُلُ

فلما سمع الشيخ الذي صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام ، اغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال للدلال : يا أنحس الدلالين ، ما جئت في هذا اليوم سوقنا إلا بجارية سفيهة تسفه على كل من في السوق واحداً بعد واحد ، وتهجوهم بالأشعار والكلام الفشار . ثم إن ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه . فأخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال : والله إني ما رأيت عمري جارية أقل حياء منك وقد قطعت رزقي ورزقك في هذا النهار وقد بغضني من أجلك جميع التجار . فرآهما في الطريق رجل من التجار فزاد في ثمنها عشرة دنانير وكان اسم ذلك التاجر شهاب الدين . فاستأذن الدلال الجارية في البيع فقالت : أرني إياه حتى انظر إليه وأسأله عن حاجة ، فإن كانت تلك الحاجة في بيته فأنا أباع له وإلا فلا . فخلاها الدلال واقفة ثم تقدّم إليه وقال له : يا سيدي شرف الدين ، أعلم أن هذه الجارية قالت لي أنها تسألك عن حاجة فإن كانت عندك فإنها تباع لك ، وها أنت قد سمعت ما قالته لأصحابك من التجار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 872

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الدلال قال للتاجر : إنك سمعت ما قالته هذه الجارية لأصحابك التجار ، أنا والله خائف أن أجيء بها إليك فتعمل معك مثل ما عملت مع جيرانك وأبقى أنا معك مفضوحاً ، فإن أذنت لي في المجيء بها أجيء بها إليك . فقال له : ائتني بها . فقال الدلال : سمعاً وطاعة . ثم ذهب الدلال وأتى بالجارية إليه . فنظرته الجارية وقالت له : يا سيدي شهاب الدين ، هل في بيتك مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب ؟ فقال لها : نعم يا سيدة الملاح ، عندي في البيت عشر مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب ، فبالله عليكِ ماذا تصنعين بهذه المدورات ؟ فقالت : أصبر عليك حتى ترقد وأجعلها على فمك وأنفك حتى تموت . ثم إنها التفتت إلى الدلال وقالت له : يا أخس الدلالين ، كأنك مجنون حتى تعرضني من منذ ساعة على اثنين من الشيوخ ، في كل واحد منهما عيبان ، وبعد ذلك تعرضني على سيدي شهاب الدين وفيه ثلاثة عيوب : الأول إنه قصير . والثاني إن أنفه كبير . والثالث إن لحيته طويلة . وقد قال فيه بعض الشعراء : [من الخفيف]

ما رَأَيْنا ولا سَمِعْنا بِشَخْصٍ   مِثْلَ هذا بَيْنَ الخَلائِقِ أَجْمَعْ
فَلَهُ لِحْيَةٌ ذِراعٌ وأنفٌ   طُولُ شِبْرٍ وقامَةٌ طُولُ أُصْبُعْ

وقال بعضهم أيضاً : [من السريع]

مَنارَةُ الجامعِ في وَجْهِهِ   كَرِقَّةِ الخِنْصَرِ في الخاتِمِ

لَوْ دَخلَ العالَمُ في أَنفِهِ أَصبَحَتِ الدُّنْيا بِلا عالَمِ

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان وأخذ بطوق الدلال وقال له : يا أنحس الدلالين ، كيف تأتي إلينا بجارية توبّخنا وتهجونا واحدًا بعد واحد بالأشعار والكلام الفشار ؟ فعند ذلك أخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها : والله طول عمري وأنا في هذه الصناعة ما رأيت جارية أقل أدباً منك ولا أنحس عليّ من نجمك لأنك قد قطعت رزقي في هذا اليوم ولا ربحت منك إلا الصفع على القفا والأخذ بالطوق . ثم إن الدلال وقف بتلك الجارية أيضًا على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها : أتباعي لهذا التاجر سيدي علاء الدين ؟ فنظرته فوجدته أحدب فقالت : إن هذا أحدب . وقد قال فيه الشاعر : [من الكامل]

قَصُرَتْ مَناكِبُهُ وطالَ فَقارُهُ فَحَكاهُ شَيْطانٌ يُصادِفُ كَوْكَبا
وكَأَنَّهُ قَدْ ذاقَ أَوَّلَ دِرَّةٍ وأَحَسَّ ثانِيَةً فَصارَ مُعَجَّبا

وقال فيه بعض الشعراء أيضًا : [من الرجز]

لَمَّا ارْتَقى أَحَدُكُمْ بَغْلَةْ صارَ بِها بَيْنَ الوَرَى مُثْلَهْ
أَمالَهُ الضِّحْكُ فَلا تَعْجَبُوا إِنْ جَفَلَتْ مِنْ تَحْتِهِ البَغْلَهْ

وكما قال فيه بعض الشعراء : [من الكامل]

ولَرُبَّ أَحْدَبَ زادَ في حَدَباتِهِ قُبْحاً فَقاطِبَةُ العُيُونِ تَمُجُّهُ
فَكَأَنَّهُ غُصْنٌ تَقَلَّصَ يابِسٌ ولَواهُ مِنْ طُوْلِ المَدى أَتْرُجُّهُ

فعند ذلك أسرع الدلال إليها وأخذها وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها : أتباعي لهذا ؟ فنظرت إليه فوجدته أعمش فقالت : إن هذا أعمش ، كيف تبيعني له ؟ وقد قال فيه بعض الشعراء : [من المجزوء الكامل]

رَمَدٌ بِهِ أَمْراضُهُ هَدَّتْ قُوَى لِحيَتِهْ
يا قَوْمُ قُوْمُوا فَانْظُروا هذا القَذى في عَيْنِهْ

فعند ذلك أخذها الدلال وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها : أتباعي لهذا ؟ فنظرت إليه فرأت لحيته كبيرة . فقالت للدلال : ويلك إن هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله في حلقه كيف تبيعني له يا أنحس الدلالين ؟ أما سمعت أن كل طويل الذقن قليل العقل ، وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان العقل . وهذا أمر مشهور بين العقلاء كما قال بعض الشعراء : [من السريع]

ما رَجُلٌ طالَتْ لَهُ لِحيَةٌ فَزادَتِ اللِّحْيَةُ في هَيْبَتِهْ
إلاَّ وما يَنْقُصُ مِنْ عَقْلِهِ يَكونُ طُوْلاً زادَ في لِحيَتِهْ

وكما قال فيه بعض الشعراء أيضًا : [من المجتث]

لَنا صَدِيقٌ لَهُ لِحيَةٌ طَوَّلَها اللهُ بِلا فائِدَهْ
كَأَنَّها بَعْضُ لَيالِي الشِّتاءِ طَوِيلَةٌ مُظْلِمَةٌ بارِدَهْ

فعند ذلك اخذها الدلال ورجع فقالت له : إلى اين تتوجه بي؟ فقال لها : إلى سيدك الأعجمي وكفانا ما جرى لنا بسببك في هذا النهار ، وقد تسببت في منع رزقي ورزقه بقلة ادبك . ثم إن الجارية نظرت في السوق والتفتت يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً فوقع نظرها بالأمر المقدر على نور الدين علي المصري ، فرأته شاباً مليحًا نقي الخد رشيق القد وهو ابن أربعة عشر سنة ، بديع الحسن والجمال والظرف والدلال ، كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر ، بجبين أزهر وخد أحمر وعنق كالمرمر وأسنان كالجوهر وريق أحلى من السكر . كما قال فيه بعض واصفيه : [من الكامل]

بَدَتْ لِتُحاكي حُسْنَهُ وجَمالَهُ	بُدورٌ وغِزْلانٌ فَقُلْتُ لَها : قِفِي
رُوَيْدَكِ يا غِزْلانُ لا تَتَشَبَّهي	بِهذا ويا أَقْمارُ لا تَتَكَلَّفِي

وما أحسن قول بعض الشعراء : [من الكامل]

ومُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وجَبِينِه	تَغْدُو الوَرَى في ظُلْمَةٍ وضِياءِ
لا تُنْكِروا الخالَ الذي في خَدِّهِ	كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْداءِ

فلما نظرت تلك الجارية إلى نور الدين ، حال بينها وبين عقلها ووقع في خاطرها موقعاً عظيما وتعلّق قلبها بمحبته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 873

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما رأت علياً نور الدين تعلّق قلبها بمحبته . فالتفتت إلى الدلال وقالت له : هل هذا الشاب التاجر الذي جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودي ما زاد في ثمني شيئًا؟ فقال لها الدلال : يا سيدة الملاح ، إن هذا شاب غريب مصري ووالده من أكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها وأكابرها ، وله مدة يسيره في هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من أصحاب أبيه ولم يتكلّم فيك بزيادة ولا نقصان . فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت من إصبعها خاتم ياقوت مثمناً وقالت للدلال : وصلني عند هذا الشاب المليح ، فإن اشتراني كان هذا الخاتم لك في نظير تعبك في هذا اليوم معنا . ففرح الدلال وتوجه بها إلى نور الدين ، فلما صارت عنده تأمّلته فرأته كأنه بدر التمام لأنه ظريف الجمال رشيق القد والأعتدال . كما قال فيه بعض واصفيه : [من الوافر]

صَفا في وَجْهِهِ ماءُ الجَمالِ	ومِنْ أَلحاظِهِ رَمْيُ النِّبالِ
ويُشْرِقُ كُلُّ صَبٍّ إنْ سَقاهُ	بِمُرِّ صُدودِهِ مِنْ وَصْلِ حالِ
فَغُرَّتُهُ وقامَتُهُ وعِشْقِي	كَمالٌ في كَمالٍ في كَمالِ
وإن غَلائِلَ الأَثْوابِ مِنْهُ	مُزَرَّرَةٌ على طَوْقِ الهِلالِ
ومُقْلَتُهُ وخالاهُ ودَمْعِي	لَيالٍ في لَيالٍ في لَيالِ
وحاجِبُهُ وطَلْعَتُهُ وجِسْمِي	هِلالٌ في هِلالٍ في هِلالِ
وطافَتْ مُقْلَتاهُ بِكَأسِ خَمْرٍ	على العُشَّاقِ إنْ مَرَّ حَيالي
وأَرْشَفَني على ظَمَإٍ زُلالاً	بِباسِمِ ثَغْرِهِ يَوْمَ الوِصالِ
فَقَتْلي عِنْدَهُ ودَمِي لَدَيْه	حَلالٌ في حَلالٍ في حَلالِ

ثم إن الجارية نظرت إلى نور الدين وقالت له : يا سيدي ، بالله عليك أما أنا مليحة ؟ فقال لها : يا سيدة الملاح ، وهل في الدنيا أحسن منك ؟ فقالت له الجارية : ولأي شيء رأيت التجار كلهم زادوا في ثمني وأنت ساكت ما تكلّمت بشيء ولا زدت في ثمني ديناراً واحداً ؟ كأنني ما أعجبتك يا سيدي . فقال لها : يا سيدتي ، لو كنت في بلدي كنت اشتريك بجميع ما تملكه يدي من المال . فقالت له : يا سيدي ، أنا ما قلت لك اشترني على غير مرادك ولكن لو زدت في ثمني شيئاً لجبرت بخاطري ، ولو كنت لا تشتريني لأجل أن تقول التجار : لولا أن هذه الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصري لأن أهل مصر لهم خبرة بالجواري . فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذي ذكرته واحمر وجهه وقال للدلال : كم بلغ ثمن هذه الجارية ؟ قال : بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً غير الدلالة ، وأما قانون السلطان فإنه على البائع . فقال نور الدين للدلال : خلّها عليّ بألف دينار دلالة وثمناً . فبادرت الجارية وتركت الدلال وقالت : بعت نفسي لهذا الشاب المليح بألف دينار . فسكت نور الدين . فقال واحد : بعناه . وقال آخر : يستأهل . وقال آخر : ملعون ابن ملعون من يزود ولا يشتري . وقال آخر : والله إنهما يصلحان لبعضهما . فلم يشعر نور الدين إلا والدلال أحضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء في ورقة وناولها لنور الدين وقال : تسلّم جاريتك ، الله يجعلها مباركة عليك ، فهي ما تصلح إلا لك ولا تصلح أنت إلا لها . وأنشد الدلال هذين البيتين : [من المتقارب]

أَتَتْهُ السَّعادَةُ مُنْقادَةً ... إِلَيْهِ تُجَرْجِرُ أَذْيالَها
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلاَّ لَهُ ... وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلاَّ لَها

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته وزن الألف دينار التي كان وضعها وديعة عند العطار صاحب أبيه وأخذ الجارية وأتى بها إلى البيت الذي أسكنه فيه الشيخ العطار . فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه خلق بساط ونطعاً عتيقاً . فقالت له : يا سيدي ، هل أنا ما لي منزلة عندك ولا أستحق أن توصلني إلى بيتك الأصلي الذي فيه مصالحك ؟ ولأي شيء ما دخلت بي عند أبيك ؟ فقال لها نور الدين : والله يا سيدة الملاح ، إن هذا بيتي الذي أنا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من أهل هذه المدينة وقد أخلاه لي وأسكنني فيه . وقد قلت لك إنني غريب وإنني من أولاد مدينة مصر . فقالت له الجارية : يا سيد ، أقل البيوت يكفي إلى أن ترجع إلى بلدك . ولكن يا سيدي بالله عليك أن تقوم وتأتي لنا بشيء من اللحم المشوي والمدام والنقل والفاكهة . فقال لها نور الدين : والله يا سيدة الملاح ما كان عندي من المال غير الألف دينار الذي وزنته في ثمنك ، ولا أملك غير تلك الدنانير شيئاً من المال وكان معي بعض دراهم صرفتها بالأمس . فقالت له : أما لك في هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهماً وتأتيني بها حتى أقول لك أي شيء تفعل بها ؟ فقال لها : ما لي صديق سوى العطار . ثم ذهب من وقته وتوجه إلى العطار وقال له : السلام عليك يا عم . فردّ عليه السلام وقال له : يا ولدي ، أي شيء اشتريت بالألف دينار في هذا اليوم ؟ فقال له : اشتريت بها جارية . فقال له : يا ولدي ، هل أنت مجنون حتى تشتري جارية واحدة بألف دينار ؟ يا ليت شعري ، ما جنس هذه الجارية ؟ فقال له نور الدين : يا عمّ ، إنها جارية من أولاد الإفرنج . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 874

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن نور الدين قال للشيخ العطار : إنها جارية من أولاد الإفرنج. فقال له الشيخ : أعلم يا ولدي أن خيار أولاد الإفرنج عندنا في هذه المدينة ثمنه مائة دينار، ولكن والله يا ولدي قد عملت عليك حيلة في هذه الجارية فإن كنت حببتها فبت عندها في هذه الليلة واقض غرضك منها واصبح إنزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتي دينار، وقدّر أنك غرقت في البحر أو طلع عليك اللصوص في الطريق. فقال نور الدين : كلامك صحيح، ولكن يا عم أنت تعرف أنه ما كان معي غير الألف دينار الذي اشتريت به الجارية ولم يبق معي شيء انفقه ولا درهم واحد، وإني أريد من فضلك وإحسانك أن تقرضني خمسين درهمًا انفقها إلى غد فأبيع الجارية وأردها لك من ثمنها. فقال الشيخ : اعطيك يا ولدي على الرأس. ثم وزن له خمسين درهماً وقال له : يا ولدي، أنت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلّق بها قلبك فما يهون عليك أن تبيعها وانت ما تملك شيئًا تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهمًا فتأتيني، فأقرضك أول مرة وثاني مرة وثالث مرة إلى عشر مرات، فإذا أتيتني بعد ذلك فلا أردّ عليك السلام الشرعي وتضيع محبتنا مع والدك. ثم ناوله الشيخ خمسين درهمًا فأخذها نور الدين وأتى بها إلى الجارية. فقالت له : يا سيدي، رح إلى السوق في هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهمًا حريرًا ملوناً خمسة الوان وهات لنا بالثلاثين درهمًا الأخرى لحمًا وخبزًا وفاكهة وشراباً ومشمومًا. فعند ذلك ذهب نور الدين إلى السوق واشترى منه كل ما طلبته تلك الجارية وأتى به إليها، فقامت من وقتها وساعتها وشمّرت عن يديها وطبخت طعامًا وأتقنته غاية الإتقان. ثم قدّمت له الطعام فأكل وأكلت معه حتى اكتفيا. ثم قدّمت المدام وشربت هي وإياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه إلى أن سكر ونام. فقامت الجارية من وقتها وساعتها وأخرجت من بقجتها جراباً من أديم طائفي وفتحته وأخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها إلى أن فرغ، فصار زناراً مليحًا فلفته في خرقته بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرّت ونامت بجانب نور الدين وكبسته. فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية أنعم من الحرير وأطرى من اللية وهي اشهر من علم وأحسن من حمر النعم، خماسية القد قاعدة النهد بحواجب كأنها قسي السهام وعيون كأنها عيون غزلان وخدود كأنها شقائق النعمان وبطن خميصة الأعكان وسرّة تسع أوقية من دهن البان وفخذين كأنهما مخدّتان محشوّتان من ريش النعام وبينهما شيء يكلّ عن وصفه اللسان وتنسكب عند ذكره العبرات. فكأن الشاعر قصدها بهذه الأبيات : [من الطويل]

فَمِنْ شَعْرِها لَيْلٌ ومِنْ فَرْقِها فَجْرُ ... ومِنْ خَدِّها وَرْدٌ ومِنْ رِيقِها خَمْرُ
ومِنْ وَصْلِها مأْوَى ومِنْ هَجْرِها لَظَى ... ومِنْ ثَغْرِها دُرٌّ ومِنْ وَجْهِها بَدْرُ

وما أحسن قول بعض الشعراء : [من الوافر]

بَدَتْ قَمَرًا وماسَتْ غُصْنَ بانٍ ... وفاحَتْ عَنْبَرًا ورَنَتْ غَزالا
كَأَنَّ الحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَساعَةَ هَجْرِها يَجِدُ الوِصالا
لَها وَجْهٌ يَفُوقُ عَلَى الثُّرَيّا ... ونُورُ جَبِينِها فاقَ الهِلالا

وقال بعضهم أيضًا : [من الطويل]

سَفَرْنَ بُدُوراً وانْجلَيْنَ أَهِلَّةً ... ومِسْنَ غُصُوناً والتَفَتْنَ جآذِرا
وفِيهِنَّ كَحْلاءُ العُيُونِ لِحُسْنِها ... تَوَدُّ الثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ لَها ثَرَى

فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته إلى تلك الجارية وضمّها إلى صدره ومصّ شفتها الفوقية بعد أن مصّ التحتية ثم زرق اللسان بين الشفتين وقام إليها فوجدها درّة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت، فأزال بكارتها ونال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال، وتابع في خدها تقبيلاً كوقع الحصى في الماء ورهزاً كطعن الرماح في الغارة الشعواء، لأن نور الدين كان مشتاقاً إلى اعتناق الحور ومصّ الثغور وحلّ الشعور وضمّ الخصور وعضّ الخدود وركوب النهود، مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلمة نوبية وتضجر ريفيّة وأنين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرية. وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال. كما قال فيها الشاعر : [من البسيط]

هَذِي التِي أَنا طُولَ الدَّهْرِ ناسِيها ... فَلا جَنَحْتُ إلى مَنْ لَيْسَ يُدْنِيها
كَأَنَّها البَدْرُ في تَكْوِينِ صُورَتِها ... سُبْحانَ خالِقِها سُبْحانَ بارِيها
إنْ كانَ ذَنْبِي عَظِيماً في مَحَبَّتِها ... فَلَيْسَ لِي تَوْبَةٌ يَوْمًا أُرَجِّيها
قَدْ صَيَّرَتْنِي حَزِيناً ساهِراً دَنِفاً ... والقَلْبُ قَدْ حارَ فِكْرًا في مَعانِيها
وأَنْشَدَتْ بَيْتَ شِعْرٍ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... إلاَّ فَتًى لِقَوافِي الشِّعْرِ يَرْوِيها
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاّ مَنْ يُكابِدُهُ ... ولا الصَّبابَةَ إلاّ مَنْ يُعانِيها

ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشراح. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 875

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن نور الدين لما نام هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشراح لابسين حلل العناق محكمة الأزرار، آمنين طوارق الليل والنهار وقد باتا على أحسن حال ولم يخشيا في الوصال كثرة القيل والقال كما قال فيهما الشاعر المفضال : [من الكامل]

زُرْ مَنْ تُحَبُّ ودَعْ مَقالَةَ حاسِدٍ ... لَيْسَ الحَسُودُ على الهَوَى بِمُساعِدِ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمٰنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عاشِقَيْنِ عَلى فِراشٍ واحِدِ
مُتَعانِقَيْنِ عَلَيْهِما حِلَلُ الرِّضَى ... مُتَوَسِّدِينِ بِمِعْصَمٍ وبِساعِدِ
وإذا تآلَفَتِ القُلُوبُ عَلى الهَوَى ... فالنَّاسُ تَضْرِبُ في حَدِيدٍ بارِدِ
يا مَنْ يَلُومُ على الهَوَى أَهْلَ الهَوَى ... هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلاحَ قَلْبٍ فاسِدِ
وإذا صَفا لَكَ مِنْ زَمانِكَ واحِدٌ ... نِعْمَ الصَّدِيقُ وعِشْ بِذاكَ الواحِدِ

فلما أصبح الصباح وضاء بنوره ولاح انتبه نور الدين من نومه فرآها أحضرت الماء،

فاغتسل هو وإياها وأدى ما عليه من الصلاة لربه، ثم أتته بما تيسّر من المأكول والمشروب فأكل وشرب. ثم أدخلت الجارية يدها تحت المخدة وأخرجت الزنّار الذي صنعته بالليل وناولته إياه وقالت له: يا سيدي، خذ هذا الزنار. فقال لها: من أين هذا الزنار؟ قالت: يا سيدي، هو الحرير الذي اشتريته البارحة بالعشرين درهماً، فقم واذهب به إلى سوق العجم واعطه للدلال لينادي عليه ولا تبعه إلا بعشرين ديناراً سالمة ليدك. فقال لها نور الدين: يا سيدة الملاح، هل شيء بعشرين درهماً يباع بعشرين ديناراً يعمل في ليلة واحدة؟ قالت له الجارية: يا سيدي، أنت ما تعرف قيمة هذا ولكن إذهب به إلى السوق واعطه للدلال فإذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته. فعند ذلك أخذ نور الدين الزنار من الجارية وأتى به إلى سوق الأعاجم وأعطى الزنار للدلال وأمره أن ينادي عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان. فغاب الدلال عنه ساعة ثم أتى إليه وقال له: يا سيدي، قم اقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين ديناراً سالمة ليدك. فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب واهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين ديناراً وهو ما بين مصدّق ومكذّب، فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حريراً من سائر الألوان لتعمله الجارية كله زنانير. ثم رجع إلى البيت وأعطاها الحرير وقال لها: اعمليه كله زنانير وعلّميني أيضًا حتى أعمل معك فإني طول عمري ما رأيت صنعة أحسن من هذه الصنعة ولا أكثر مكسبًا منها قط، وإنها والله أحسن من التجارة بألف مرة. فضحكت الجارية من كلامه وقالت له: يا سيدي نور الدين، إمض إلى صاحبك العطار واقترض منه ثلاثين درهماً وفي غد ادفعها له من ثمن الزنار هي والخمسين درهما التي اقترضتها منه قبلها. فقام نور الدين وأتى إلى صاحبه العطار وقال له: يا عم، اقرضني ثلاثين درهماً وفي غد إن شاء الله تعالى أجيء لك بالثمانين درهمًا جملة واحدة. فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلاثين درهماً فأخذها نور الدين وأتى بها إلى السوق واشترى بها لحمًا وخبزًا ونقلاً وفاكهة ومشموماً كما فعل بالأمس وأتى به إلى الجارية، وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية. فلما أخذت اللحم، قامت من وقتها وساعتها وهيّأت طعامًا فاخراً ووضعته قدام سيدها نور الدين ثم بعد ذلك هيّأت سفرة المدام وتقدّمت تشرب هي وإياه وصارت تملأ وتسقيه وهو يملأ ويسقيها. فلما لعب المدام بعقلهما أعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فأنشدت هذين البيتين: [من الوافر]

أَقُولُ لأهْيَفٍ حَيًّا بِكَأْسٍ ... لَها مِنْ مِسْكِ نَكْهَتِهِ خِتامُ
أَمِنْ خَدَّيْكَ تُعْصَرُ قالَ: كَلاَّ ... مَتَى عُصِرَتْ مِنَ الوَرْدِ المُدامُ

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين وينادمها وتعاطيه الكأس والطاس وتطلب أن يملأ لها ويسقيها ما تطيب به الأنفاس وإذا وضع يده عليها تتمنّع منه دلالاً. وقد زادها السكر حسناً وجمالاً فأنشد هذين البيتين: [من الطويل]

وهَيْفاءَ تَهْوى الرَّاحَ قالَتْ لِصَبِّها ... بِمَجْلِسِ أُنْسٍ وَهْوَ يَخْشَى مَلالَها
إذا لَمْ تُدِر كأسَ المُدامِ وتَسْقِنِي ... أَبِيتُكَ مَهْجُوراً فَخافَ مُلالَها

ولم يزالا كذلك إلى أن غلب عليه السكر ونام. فقامت هي من وقتها وساعتها وعملت شغلها في الزنار على جري عادتها، ولما فرغت أصلحته ولفّته في ورقة ثم نزعت ثيابها ونامت

بجانبه إلى الصباح . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 876 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار اصلحته ولفّته في ورقة ونزعت ثيابها ونامت بجانبه إلى الصباح وكان بينهما ما كان من الوصال . ثم قام نور الدين وقضى شغله وناولته الزنار وقالت له : إمض به إلى السوق وبعه بعشرين ديناراً كما بعت نظيره بالأمس . فعند ذلك اخذه ومضى به إلى السوق وباعه بعشرين ديناراً وأتى إلى العطار ودفع له الثمانين درهماً وشكر فضله ودعا له . فقال له : يا ولدي ، هل انت بعت الجارية ؟ فقال نور الدين : كيف أبيع روحي من جسدي ؟ ثم إنه حكى له الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى وأخبره بجميع ما جرى له . ففرح الشيخ العطار بذلك فرحًا شديداً ما عليه من مزيد وقال له : والله يا ولدي ، إنك قد فرّحتني وإن شاء الله انت بخير دائماً فإني أودّ لك الخير لمحبتي لوالدك وبقاء صحبتي معه . ثم إن نور الدين فارق الشيخ العطار وراح من وقته وساعته إلى السوق واشترى اللحم والفاكهة والشراب وجميع ما يحتاج إليه على جري العادة وأتى به إلى تلك الجارية . ولم يزل نور الدين هو والجارية في أكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة ، وهي تعمل في كل ليلة زناراً ويصبح يبيعه بعشرين ديناراً ينفق منها ما يحتاج إليه والباقي يعطيه لها تحفظه عندها إلى وقت الحاجة إليه . وبعد السنة قالت له الجارية : يا سيدي نور الدين ، إذا بعت الزنار في غد فخذ لي من حقّه حريراً ملوناً ستة الوان فإنه قد خطر ببالي أن اصنع لك منديلاً تجعله على كتفك ، ما فرحت بمثله اولاد التجار ولا اولاد الملوك . فعند ذلك خرج نور الدين إلى السوق وباع الزنار واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به إليها . فقعدت مريم الزنارية تصنع في المنديل جمعة كاملة ، لانها كلما فرغت من زنار في ليلة تعمل في المنديل شيئًا إلى أن خلّصته . ثم ناولته لنور الدين فجعله على كتفه وصار يمشي به في السوق ، فصار التجار والناس وأكابر البلد يقفون عنده صفوفاً ليتفرّجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته . فاتفق أن نور الدين كان نائماً ذات ليلة من الليالي فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكي بكاء شديداً وتنشد هذه الأبيات : [من المجتث]

دَنا فِراقُ الحَبيبِ وأَقْتَرَبا ... وَاحَرَبا لِلْفِراقِ واحَرَبا
تُفَتَّتْ مُهْجَتِي فَواأَسَفِي ... على لَيالٍ مَضَتْ لَنا طَرَبا
لا بُدَّ أَنْ يَنْظُرَ الحَسُودُ لَنا ... بِعَينِ سُوءٍ ويَبْلُغَ الأَرَبا
فَما عَلَيْنا أَضَرُّ مِنْ حَسَدٍ ... ومِنْ عُيُونِ الوُشاةِ والرُّقَبا

فقال لها نور الدين : يا سيدتي مريم ، ما لك تبكين ؟ فقالت له : ابكي من الم الفراق فقد أحس قلبي به . فقال لها : يا سيدة الملاح ، ومن الذي يفرّق بيننا وانا الآن احب الخلق إليك وأعشقهم لك ؟ فقالت له : إن عندي اضعاف ما عندك ولكن حسن الظن بالليالي يوقع الناس في الأسف . ولقد احسن الشاعر حيث قال : [من البسيط]

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بالأَيّامِ إذْ حَسُنَتْ ... ولَمْ تَخَفْ سُوءَ ما يَأْتِي بِهِ القَدَرُ
وسالَمَتْكَ اللَّيالي فاغْتَرَرْتَ بِها ... وعِنْدَ صَفْوِ اللَّيالي يَحْدُثُ الكَدَرُ

وفي السَّماءِ نُجومٌ لا عِدادَ لَها ... ولَيْسَ يَكْلُفُ إلا الشَّمْسُ والقَمَرُ
وكَمْ على الأَرْضِ مِنْ خَضْراءَ يابِسَةٍ ... ولَيْسَ يُرْجَمُ إلا ما لَهُ ثَمَرُ
أَما تَرَى البَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ ... وتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قاعِهِ الدُّرَرُ

ثم قالت : يا سيدي نور الدين ، إذا كنت تحرص على عدم الفراق فخذ حذرك من رجل إفرنجي أعور العين اليمنى أعرج الرجل الشمال وهو شيخ أغبر الوجه مكلثم اللحية ، لأنه هو الذي يكون سبباً لفراقنا ، وقد رأيته أتى في تلك المدينة وأظن أنه ما جاء إلا في طلبي . فقال لها نور الدين : يا سيدة الملاح ، إن وقع بصري عليه قتلته ومثلت به . فقالت له مريم : يا سيدي ، لا تقتله ولا تكلّمه ولا تبايعه ولا تشاريه ولا تعامله ولا تجالسه ولا تماشيه ولا تتحدّث معه بكلام قط ، وادعو الله أن يكفينا شرّه ومكره . فلما أصبح الصباح أخذ نور الدين الزنار وذهب به إلى السوق وجلس على مصطبة دكان يتحدّث هو وأولاد التجار فأخذته سنة من النوم ، فنام على مصطبة الدكان . فبينما هو نائم وإذا بذلك الإفرنجي مرّ على ذلك السوق في تلك الساعة ومعه سبعة من الإفرنج ، فرأى نور الدين نائماً على مصطبة الدكان ووجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه في يده . فقعد الإفرنجي عنده وأخذ طرف المنديل وقلبه في يده ، واستمرّ يقلب فيه ساعة . فاستحس به نور الدين فأفاق من النوم فرأى الإفرنجي الذي وصفته الجارية بعينه جالساً عند رأسه ، فصرخ عليه نور الدين صرخة عظيمة أرعبته . فقال له الافرنجي : لأي شيء تصرخ علينا؟ هل نحن أخذنا منك شيئًا؟ فقال له نور الدين : والله يا ملعون ، لو كنت أخذت مني شيئًا لكنت ذهبت بك إلى الوالي . فقال له الافرنجي : يا مسلم ، بحق دينك وما تعتقده أن تخبرني من أين لك هذا المنديل ؟ فقال له نور الدين : هو شغل والدتي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 877

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الإفرنجي لما سأل نور الدين عن الذي عمل المنديل قال له : إن هذا المنديل شغل والدتي عملته لي بيدها . فقال له الإفرنجي : أتبيعه لي وتأخذ ثمنه مني؟ فقال نور الدين : والله يا ملعون ، لا أبيعه لك ولا لغيرك فإنها ما عملته إلا على اسمي ولم تعمل غيره . فقال : بعه لي وأنا أعطيك ثمنه في هذه الساعة خمسمائة دينار ، ودع الذي عملته تعمل لك غيره أحسن منه . فقال له نور الدين : أنا ما أبيعه أبدًا لأنه لا نظير له في هذه المدينة . فقال له الإفرنجي : يا سيدي ، وهل لا تبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص ؟ ولم يزل يزيده مائة بعد مائة إلى أن أوصله إلى تسعمائة دينار . فقال نور الدين : يفتح الله عليّ بغير بيعه أنا ما أبيعه ولا بألفي دينار ولا بأكثر أبدًا . ولم يزل ذلك الإفرنجي يرغّب نور الدين بالمال في ذلك المنديل إلى أن أوصله إلى ألف دينار . فقال له جماعة من التجار الحاضرين : نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه . فقال نور الدين : أنا ما أبيعه والله . فقال له تاجر من التجار : أعلم يا ولدي أن هذا المنديل قيمته مائة دينار إن كثرت ووجد له راغب ، وإن هذا الإفرنجي دفع فيه ألف دينار جملة ، فربحك تسعمائة دينار . فأي ربح تريد أكثر من هذا الربح ؟ فالرأي عندي أنك تبيع هذا المنديل وتأخذ الألف دينار وتقول للتي عملته لك تعمل لك غيره أو أحسن منه ، واربح أنت الألف دينار من هذا الإفرنجي الملعون عدو الدين . فاستحى نور الدين من التجار

وباع الإفرنجي المنديل بألف دينار ودفع له الثمن في الحضرة وأراد نور الدين أن ينصرف ويمضي إلى جاريته مريم ليبشّرها بما كان من أمر الإفرنجي. فقال الإفرنجي: يا جماعة التجار، احجزوا نور الدين فإنكم وإياه ضيوفي في هذه الليلة فإن عندي بتية خمر رومي من معتق الخمر وخاروفاً سميناً وفاكهة ونقلاً ومشموماً. فأنتم تؤانسونا في هذه الليلة ولا يتأخر منكم أحد. فقال التجار: يا سيدي نور الدين، نشتهي أن تكون معنا في مثل هذه الليلة لنتحدث وإياك، فمن فضلك وإحسانك أن تكون معنا فنحن وإياك ضيوف عند هذا الإفرنجي لأنه رجل كريم. ثم إنهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالغضب عن الرواح إلى بيته، ثم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين وأخذوا نور الدين معهم وراحوا مع الإفرنجي إلى قاعة مطيبة رحيبة بليوانين، فأجلسهم فيها ووضع بين أيديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل، فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسؤول. ثم وضع الإفرنجي على تلك السفرة الأواني النفيسة من الصيني والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم. ثم قدم لهم الإفرنجي بتية ملآنة بالخمر الرومي المعتق وأمر بذبح خاروف سمين. ثم إن الإفرنجي أوقد النار وصار يشوي من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين أن ينزلوا عليه بالشراب. فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده. فلما رآه الإفرنجي مستغرقاً في السكر قال: آنستنا يا سيدي نور الدين في هذه الليلة، فمرحبا بك ثم مرحبا بك. وصار الإفرنجي يؤانسه بالكلام ثم تقرّب منه وجلس بجانبه وسارقه في الحديث ساعة زمانية ثم قال له: يا سيدي نور الدين، هل تبيعني جاريتك التي اشتريتها بحضرة هؤلاء التجار بألف دينار من مدة سنة؟ وأنا أعطيك في ثمنها الآن خمسة آلاف دينار بزيادة أربعة آلاف. فأبى نور الدين، ولم يزل ذلك الإفرنجي يطعمه ويسقيه ويرغّبه في المال حتى أوصل الجارية إلى عشرة آلاف دينار. فقال نور الدين وهو في سكره قدام التجار: بعتك إياها هات العشرة آلاف دينار. ففرح الإفرنجي بذلك القول فرحاً شديداً وأشهد عليه التجار وباتوا في أكل وشرب وانشراح إلى الصباح. ثم صاح الإفرنجي على غلمانه وقال لهم: ائتوني بالمال. فأحضروا له المال. فعدّ لنور الدين العشرة آلاف دينار نقداً وقال له: يا سيدي نور الدين، تسلّم هذا المال ثمن جاريتك التي بعتها لي الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين. فقال نور الدين: يا ملعون، أنا ما بعتك شيئاً وأنت تكذب عليّ وليس عندي جواري. فقال له الإفرنجي: قد بعتني جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع. فقال التجار كلهم: نعم يا نور الدين أنت بعته جاريتك قدامنا، ونحن نشهد عليك أنك بعته إياها بعشرة آلاف دينار. قم اقبض الثمن وسلّم إليه الجارية والله يعوّضك خيراً منها. أتكره يا نور الدين أنك اشتريت جارية بألف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذّذ في كل يوم وليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة آلاف دينار فوق ثمنها الأصلي، وفي كل يوم تعمل لك منديلاً تبيعه بعشرين ديناراً وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح؟ أي ربح أكثر من هذا الربح؟ وأي مكسب أكثر من هذا المكسب؟ فإن كنت تحبها فها أنت قد شبعت منها في هذه المدة. فاقبض الثمن واشتر غيرها أحسن منها أو نزوّجك بنتا من بناتنا بمهر أقل من نصف هذا الثمن؟ وتكون البنت أجمل منها ويصير معك باقي المال رأس مال في يدك. ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين بالملاطفة والمخادعة إلى أن قبض

العشرة آلاف دينار ثمن الجارية وأحضر الإفرنجي من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية التي إسمها مريم الزنارية من نور الدين . هذا ما كان من أمر نور الدين . وأما ما كان من أمر مريم الزنارية فإنها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم إلى المغرب، ومن المغرب إلى نصف الليل فلم يعد إليها سيدها . فجزعت وصارت تبكي بكاء شديداً فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فأرسل إليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها : يا سيدتي، ما لك تبكين ؟ فقالت لها : يا أمي، إني قعدت انتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء إلى هذا الوقت، وأنا خائفة أن يكون أحد عمل عليه حيلة من أجلي لأجل أن يبيعني، فدخلت عليه الحيلة وباعني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 878

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن مريم الزنارية قالت لزوجة العطار : أنا خائفة أن يكون أحد عمل على سيدي حيلة من شاني لأجل أن يبيعني، فدخلت عليه الحيلة وباعني . فقالت لها زوجة العطار : يا سيدتي مريم، لو أعطوا سيدك فيك ملء هذه القاعة ذهباً لم يبعك لما أعرفه من محبته لك . ولكن يا سيدتي مريم، ربما يكون جماعة أتوا من مدينة مصر من عند والدته فعمل لهم عزومة في المحل الذي هم نازلون فيه واستحى أن يأتي بهم إلى هذا المحل لأنه لا يسعهم، أو لأن مرتبتهم أقل من أن يجيء بهم إلى البيت، أو أحب أن يخفي أمرك عنهم، فبات عندهم إلى الصباح ويأتي إن شاء الله تعالى إليك في غد بخير . فلا تحمّلي نفسك هماً ولا غماً يا سيدتي، فهذا سبب غيابه عنك في هذه الليلة وها أنا أبيت عندك في هذه الليلة وأسليك إلى أن يأتي إليك سيدك . ثم إن زوجة العطار صارت تلاهي مريم وتسلّيها بالكلام إلى أن ذهب الليل كله، فلما أصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق وذلك الإفرنجي وراءه وجماعة التجار حواليه . فلما رأتهم مريم ارتعدت فرائصها واصفرّ لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة في وسط بحر مع شدة الريح . فلما رأتها امرأة العطار قالت لها : يا سيدتي مريم، ما لي أراك قد تغيّر حالك واصفرّ وجهك وزاد به الذبول ؟ فقالت لها الجارية : يا سيدتي، والله إن قلبي قد أحس بالفراق وبعد التلاق . ثم إن الجارية تأوّهت بتصاعد الزفرات وأنشدت هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

لا تَرْكَنَنَّ إلى الفرا ... قِ فإنَّهُ مُرُّ المَذاقِ
الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِها ... تَصْفَرُّ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ
وكذاكَ عِنْدَ شُرُوقِها ... تَبْيَضُّ مِنْ فَرَحِ التَّلاقي

ثم إن مريم الزنارية بكت بكاء شديداً ما عليه من مزيد وتيقّنت الفراق وقالت لزوجة العطار : يا سيدتي، أما قلت لك إن سيدي نور الدين قد عملت عليه حيلة من أجل بيعي ؟ فما أشك أنه باعني في هذه الليلة لهذا الأفرنجي وقد كنت حذّرته منه، ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولي . فبينما هي وزوجة العطار في الكلام وإذا بسيدها نور الدين قد دخل عليها في تلك الساعة، فنظرت إليه الجارية فرأته قد تغيّر لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهها أثر الحزن والندامة . فقالت له : يا سيدي نور الدين، كأنك بعتني . فبكى بكاء شديداً وتأوّه وتنفّس الصعداء

وانشد هذه الأبيات : [من الكامل]

هِيَ المَقاديرُ فَما يُغْنِي الحَذَرْ إنْ كُنْتَ أخْطَأْتَ فَما أخْطا القَدَرْ
فإذا أرادَ اللهُ أمْرًا بامْرِىءٍ وكانَ ذا عَقْلٍ وسَمْعٍ وبَصَرْ
أصَمَّ أُذْنَيهِ وأعْمَى عَيْنَهُ وسَلَّهُ مِنْهُ كَما سُلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إذا أنْفَذَ فيهِ حُكْمَهُ رَدَّ إلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ
فَلا تَقُلْ فِيما جَرَى كَيْفَ جَرَى فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضاءٍ وقَدَرْ

ثم إن نور الدين اعتذر إلى الجارية وقال لها : والله يا سيدتي مريم إنه قد جرى القلم بما الله حكم ، والناس قد عملوا عليّ حيلة من أجل بيعك ، فدخلت عليّ الحيلة فبعتك وقد فرّطت فيك أعظم تفريط . ولكن عسى من حكم بالفراق أن يمنّ بالتلاق . فقالت له : قد حذّرتك من هذا وكان في وهمي . ثم ضمّته إلى صدرها وقبّلت ما بين عينيه وانشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

وحَقِّ هَواكُمْ ما سَلَوْتُ وِدادَكُمْ ولَوْ تَلِفَتْ رُوحِي هَوًى وتَشَوُّقا
أنُوحُ وأبْكِي كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ كَما ناحَ قُمْرِيٌّ على شَجَرِ النَّقا
تَنَغَّصَ عَيْشِي بَعْدَكُمْ يا أحِبَّتِي مَتَى غِبْتُمُو عَنِّي فَما لِيَ مُلْتَقَى

فبينما هما على هذه الحالة وإذا بالإفرنجي قد طلع عليهما وتقدّم ليقبّل أيادي السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له : إبعد يا ملعون ، فما زلت ورائي حتى خدعت سيدي . ولكن يا ملعون إن شاء الله تعالى لا يكون إلا خيراً . فضحك الإفرنجي من قولها وتعجب من فعلها واعتذر إليها وقال لها : يا سيدتي مريم ، أي شيء ذنبي أنا ؟ وإنما سيدك نور الدين هذا هو الذي باعك برضى نفسه وطيب خاطره ، وإنه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرّط فيك ولولا إنه فرغ غرضه منك ما باعك . وقد قال بعض الشعراء : [من الكامل]

مَنْ مَلَّنِي فَلْيَمْضِ عَنِّي عامِدًا إنْ عُدْتُ أذْكُرُهُ فَلَسْتُ بِراشِدِ
ما ضاقَتِ الدُّنْيا عَلَيَّ بِأسْرِها حَتَّى تَرانِي راغِباً في زاهِدِ

وقد كانت هذه الجارية بنت ملك إفرنجة ، وهي مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والنبات تشبه مدينة القسطنطينية . وقد كان لخروج تلك الجارية من مدينة أبيها حديث غريب وأمر عجيب نسوقه على الترتيب حتى يطرب السامع ويطيب . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 879

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن لخروج مريم الزنارية من عند أبيها وأمها سبباً عجيباً وأمرًا غريباً . وذلك إنها تربت عند أبيها وأمها في العزّ والدلال وتعلّمت الفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة ، وتعلّمت جميع الصنايع مثل الزركشة والخياطة والحياكة وصنعة الزنار والعقادة ورمي الذهب على الفضة والفضة على الذهب ، وتعلّمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها وأوانها ، وقد

أعطاها الله عزّ وجلّ من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع أهل عصرها، فخطبها ملوك الجزائر من أبيها، وكل من خطبها منه يأبى أن يزوجها له لأنه كان يحبها حبّاً عظيماً ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها، وكان معه من الأولاد الذكور كثير ولكنه كان مشغوفا بحبها أكثر منهم. فاتفق أنها مرضت في بعض السنين مرضاً شديداً حتى أشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها أنها إذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلاني الذي في الجزيرة الفلانية. وكان ذلك الدير معظّماً عندهم وينذرون له النذور ويتبرّكون به. فلما عوفيت مريم من مرضها أرادت أن توفي بنذرها الذي نذرته على نفسها لذلك الدير، فأرسلها والدها ملك إفرنجة إلى ذلك الدير في مركب صغير وأرسل معها بعضاً من بنات أكابر المدينة ومن البطارقة لأجل خدمتها. فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين المجاهدين في سبيل الله فأخذوا جميع ما في تلك المركب من البطارقة والبنات والأموال والتحف فباعوا ما أخذوه في مدينة القيروان، فوقعت مريم في يد رجل أعجمي تاجر من التجار، قد كان ذلك الأعجمي عنيناً لا يأتي النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة. ثم إن ذلك الأعجمي مرض مرضاً شديداً حتى أشرف على الهلاك، وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت في خدمته إلى أن عافاه الله من مرضه. فتذكّر ذلك الأعجمي منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فأراد أن يكافأها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها: تمنّي عليّ يا مريم؟ فقالت: يا سيدي، تمنّيت عليك أن لا تبيعني إلا لمن أريده وأحبه. فقال لها: نعم، لك عليّ ذلك. والله يا مريم ما أبيعك إلا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك. ففرحت فرحاً شديداً، وكان الأعجمي قد عرض عليها الإسلام فأسلمت، وعلّمها العبادات فتعلّمت من ذلك الأعجمي في تلك المدة أمر دينها وما يجب عليها وحفظها القرآن وما تيسّر من العلوم الفقهية والأحاديث النبوية. فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن أرادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا. فأخذها علي نور الدين كما أخبرنا. هذا ما كان من سبب خروجها من بلادها. وأما ما كان من أمر أبيها ملك إفرنجة فإنه لما بلغه أمر ابنته ومن معها، قامت عليه القيامة وأرسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان والرجال الأبطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش في جزائر المسلمين، ورجعوا إلى أبيها بالويل والثبور وعظائم الأمور. فحزن عليها أبوها حزناً شديداً فأرسل وراءها ذلك الأعور اليمين الأعرج الشمال لأنه كان أعظم وزرائه وكان جباراً عنيداً ذا حيل وخداع، وأمره أن يفتش عليها في جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملء مركب ذهباً. ففتش عليها ذلك الملعون في جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على خبر إلى أن وصل إلى مدينة اسكندرية وسأل عنها، فوقع على خبرها عند نور الدين علي المصري. فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذي لا يحسن صنعته غيرها، وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة. فلما صارت عنده مكثت في بكاء وعويل. فقال لها: يا سيدتي مريم، خلي عنك هذا الحزن والبكاء وقومي معي إلى مدينة أبيك ومحل مملكتك ومنزل عزّك ووطنك لتكوني بين خدمك وغلمانك واتركي هذا الذلّ وهذه الغربة، ويكفي ما قد حصل لي من التعب والسفر من أجلك وصرف الأموال، فإن لي في السفر والتعب وصرف الأموال نحو سنة ونصف، وقد أمرني والدك أن أشتريك ولو

بملء مركب ذهباً . ثم إن وزير ملك افرنجة صار يقبّل قدميها ويتخضّع لها ، ولم يزل يكرّر تقبيل يديها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك أدباً معها وقالت له : يا ملعون ، الله تعالى لا يبلغك ما في مرادك . ثم قدّم إليها الغلمان في تلك الساعة بغلة بسرج مزركش وأركبوها عليها ورفعوا فوق رأسها سحابة من حرير بعواميد من ذهب وفضة وصار الإفرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وانزلوها في قارب صغير وصاروا يقدفون بها إلى أن أوصلوها إلى المركب الكبيرة وأنزلوها فيها . فعند ذلك نهض الوزير الأعور وقال لبحرية المركب : ارفعوا الصاري . فرفعوه من وقتهم وساعتهم ونشروا القلوع والأعلام ونشروا القطن والكتان وأعملوا المقاديف وسافرت بهم تلك المركب . هذا كله ومريم تنظر إلى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها ، فصارت تبكي في سرها بكاء شديداً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 880

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن وزير ملك افرنجة لما سافرت بهم المركب وفيها مريم الزنارية ، صارت تنظر إلى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها . فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات :

[من الطويل]

أَيا مَنْزِلَ الأَحْبابِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ	إلَيْنا وما عِلْمِي بِما اللهُ صانِعُ
فَسارَتْ بِنا سُفُنُ الفِراقِ وأَسْرَعَتْ	وطَرْفِي قَرِيحٌ قَدْ مَحَتْهُ المَدامِعُ
لِفُرْقَةِ خِلٍّ كانَ غايَةَ مَقْصِدِي	بِهِ يُشْتَفَى سَقْمِي وتُمْحَى المَواجِعُ
أَلا يا إلٰهِي كُنْ عَلَيْهِ خَلِيفَتِي	فَعِنْدَكَ يَوْماً لا تَضِيعُ الوَدائِعُ

ولم تزل مريم كلما تذكرته تبكي وتنوح ، فاقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاماً بل شغلها داعي الوجد والغرام . ثم إنها بكت وأنّت واشتكت وأنشدت هذه الأبيات :

[من الطويل]

لِسانُ الهَوَى في مُهْجَتِي لَكَ ناطِقُ	يُخَبِّرُ عَنِّي أَنَّنِي لَكَ عاشِقُ
ولِي كَبِدٌ جَمْرُ الهَوَى قَدْ أَذابها	وقَلْبِي جَرِيحٌ مِنْ فِراقِكَ خافِقُ
وكَمْ أَكْتُمُ الحُبَّ الَّذي قَدْ أَذابَنِي	فَجَفْنِي قَرِيحٌ والدُّمُوعُ سَوابِقُ

ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها . هذا ما كان من أمرها هي والوزير الأعور . وأما ما كان من أمر نور الدين علي المصري ابن التاجر تاج الدين فإنه بعد نزول مريم المركب وسفرها ، ضاقت عليه الدنيا وصار لا يقرّ له قرار ولا يطاوعه اصطبار ، فتوجه إلى القاعة التي كان مقيماً بها هو ومريم فرآها في وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التي كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التي كانت على جسدها . فضمّها إلى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

تَرَى هَلْ يَعُودُ الشَّمْلُ بَعْدَ تَشَتُّتِي	وبَعْدَ تَوالِي حَسْرَتِي وتَلَفُّتِي
فَهَيْهاتِ ما قَدْ كانَ لَيْسَ بِراجِعٍ	فَيا هَلْ تُرَى أَحْظَى بِوَصْلِ حَبِيبَتِي

ويا هَلْ تُرَى قَدْ يَجمَعُ اللهُ شَمْلَنا ويَذْكُرُ أَحْبابي عُهُودَ مَوَدَّتِي
ويَحفُظُ وُدِّي مَنْ بِجَهْلِي أَضَعْتَهُ ويَرْعَى عُهُودي ثُمَّ سالِفَ صُحْبَتِي
فَما أَنا إلاّ مَيِّتٌ بَعْدَ بُعْدِهِمْ وهَلْ تَرْتَضِي الأَحْبابُ يَوْماً مَنِيَّتِي
فَيا أَسَفِي إنْ كانَ يُجْدِي تَأَسُّفِي لَقَدْ ذُبْتُ وَجْدًا مِنْ تَزايُدِ حَسْرَتِي
وضاعَ زَمانٌ كان فِيهِ تَواصُلِي فَيا هَلْ تُرَى دَهْرِي يَجُودُ بِمُنْيَتِي
فَيا قَلْبُ زِدْ وَجْدًا ويا عَيْنُ أَهْمِلِي دُمُوعًا ولا تُبْقِي الدُّمُوعَ بِمُقْلَتِي
ويا بُعْدَ أَحْبابِي وفَقْدَ تَصَبُّرِي وقَدْ قَلَّ أَنْصاري وزادَتْ بَلِيَّتِي
سَأَلْتُ إلٰهِي أَنْ يُتَمِّمَ فَرْحَتِي بِعَوْدِ حَبِيبِي والوِصَالِ كَعادَتِي

ثم إن نور الدين بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد ونظر إلى زوايا القاعة وانشد هذين البيتين : [من الوافر]

أَرى آثارَهُمْ فَأَذوبُ شَوْقاً وأَجْرِي في مَواطِنِهِمْ دُمُوعِي
وأَسْأَلُ مَنْ قَضى بِالبُعْدِ عَنْهُمْ يَمُنُّ عَلَيَّ يَوْماً بِالرُّجُوعِ

ثم إن نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجري إلى البحر وصار يتأمّل في موضع المركب التي سافرت بمريم . ثم بكى وصعّد الزفرات وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِي عَنْكُمُ غِنَى وإنِّي على الحالَيْنِ في القُرْبِ والبُعْدِ
أَحِنُّ إِلَيْكُمْ كُلَّ وَقْتٍ وساعَةٍ وأَشْتاقُكُمْ شَوْقَ العِطاشِ إلى الوِرْدِ
وعِنْدَكُمُ سَمْعِي ولُبِّي وناظِرِيْ وتَذْكارُكُمْ عِنْدي أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ
فَيا أَسَفِي لَمَّا اسْتَقَلَّتْ رِكابُكُمْ وحادَتْ بِكُمْ تِلْكَ السَّفِينَةُ عَنْ قَصْدِيْ

ثم إن نور الدين ناح وبكى وانّ وحنّ واشتكى ونادى : يا مريم ، يا مريم ، هل كانت رؤيتي لك في المنام أم اضغاث احلام ؟ ولما زادت به الحسرات انشد هذه الأبيات : [من الطويل]

فَهَلْ بَعْدَ هذا البُعْدِ عَيْنِيْ تَراكُمُ وأَسْمَعُ مِنْ قُرْبِ الدِّيارِ نِداكُمُ
وتَجْمَعُنا الدَّارُ التي أَنِسَتْ بِنا وأُعْطَى مُنَى قَلْبِيْ وأَنْتُمْ مُناكُمُ
خُذُوا لِعِظامِيْ أَيْنَ سِرْتُمْ مَحَفَّةً وأَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنونِيْ حِذاكُمُ
فَلَوْ كانَ لِي قَلْبانِ عِشْتُ بِواحِدٍ وأَتْرُكُ قَلْباً مُغْرَماً في هَواكُمُ
ولَوْ قِيلَ لِي ماذا على اللهِ تَشْتَهِيْ لَقُلْتُ : رِضى الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رَضاكُمُ

فبينما نور الدين على هذه الحالة يبكي ويقول : يا مريم ، يا مريم . وإذا بشيخ قد طلع من مركب واقبل عليه فرآه يبكي وينشد هذين البيتين : [من البسيط]

يا مَرْيَمَ الحُسْنِ عُوْدِيْ إنَّ لِي مُقَلاً سَحائِبُ المُزْنِ تَجْرِيْ مِنْ سَواكِبِها
واسْتَخْبِرِي عُذَّلِي دُوْنَ الأَنامِ تَرى أَجْفانَ عَيْنَيَّ غَرْقَى في كَواكِبِها

فقال له الشيخ : يا ولدي ، كأنك تبكي على الجارية التي سافرت البارحة مع الإفرنجي . فلما سمع نور الدين كلام الشيخ خرّ مغشياً عليه ساعة زمانية . ثم افاق وبكى بكاء شديدًا ما عليه من مزيد وانشد هذه الأبيات : [من الطويل]

فَهَلْ بَعْدَ هذا البُعْدِ يُرْجى وِصالُها ... ولَذَّة أُنْسِي قَدْ يَعُودُ كَمالُها
فَإِنَّ بِقَلْبي لَوْعَةٌ وصَبابَةٌ ... ويُزْعِجُني قِيْلُ الوُشاةِ وقالُها
أُقِيمُ نَهاري باهِتاً مُتَحَيِّرًا ... وفي اللَّيْلِ أَرْجو أَنْ يَزُوْرَ خَيالُها
فَواللهِ لا أَسْلُو عَنِ العِشْقِ ساعَةً ... وكَيْفَ ونَفْسِي في الوُشاةِ مُلالُها
مُنَعَّمَةُ الأطْرافِ مَهْضُومَةُ الحَشى ... لَها مُقْلَةٌ في القَلْبِ مِنِّي نِبالُها
يُحاكِي قَضِيبَ البانِ في الرَّوْضِ قَدُّها ... ويُخْجِلُ ضَوْءَ الشَّمْسِ حُسْناً جَمالُها
ولَوْلا أَخافُ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ ... لَقُلْتُ لِذاتِ الحُسْنِ : جَلَّ جَلالُها

فلما نظر ذلك الشيخ إلى نور الدين ورأى جماله وقدّه واعتداله وفصاحة لسانه ولطف افتنانه ، حزن قلبه عليه ورقّ لحاله . وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة إلى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من تجار المسلمين المؤمنين . فقال له : إصبر ولا يكون إلا خير ، فإن شاء الله سبحانه وتعالى أوصلك إليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 881

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ الريس لما قال لنور الدين : أنا أوصلك إليها إن شاء الله تعالى . قال له نور الدين : متى السفر ؟ قال الريس : قد بقي لنا ثلاثة أيام ونسافر في خير وسلامة . فلما سمع نور الدين كلام الريس فرح فرحاً شديداً وشكر فضله وإحسانه ، وبعد ذلك تذكر أيام الوصال واجتماع الشمل بجاريته عديمة المثال . فبكى بكاء شديداً وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

فَهَلْ يَجْمَعُ الرَّحْمَنُ لي ولَكُمْ شَمْلاً ... وهَلْ أَبْلُغُ المَقْصُودَ يا سادَتي أَمْ لاَ
ويَسْمَحُ صَرْفُ الدَّهْرِ مِنْكُمْ بِزَوْرَةٍ ... وأُطْبِقُ أَجْفاني على ذاتِكُمْ بُخْلاَ
ولَوْ كانَ وَصْلُكُمْ يُباعُ اشْتَرَيْتُهُ ... بِرُوحِي ولَكِنِّي أَرى وَصْلَكُمْ أَغْلاَ

ثم إن نور الدين طلع من وقته وساعته وتوجه إلى السوق وأخذ منه جميع ما يحتاج إليه من الزاد وأدوات السفر وأقبل على ذلك الريس . فلما رآه قال له : يا ولدي ، ما هذا الذي معك ؟ قال : زوّادتي وما احتاج إليه في السفر . فضحك الريس من كلامه وقال له : يا ولدي ، هل أنت رايح تتفرّج على عمود الصواري ؟ إن بينك وبين مقصدك مسيرة شهرين إذا طاب الريح وصفت الأوقات . ثم إن ذلك الشيخ أخذ من نور الدين شيئًا من الدراهم وطلع إلى السوق واشترى له جميع ما يحتاج إليه في السفر على قدر كفايته وملأ له بتية ماء حلواً ثم أقام نور الدين في المركب ثلاثة أيام إلى أن تجهّز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا في المركب . ثم حلّ الريس قلوعها وساروا مدة واحد وخمسين يومًا . وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب وأسروا جميع من فيها وأتوا بهم إلى مدينة افرنجة وعرضوهم على الملك وكان نور الدين من جملتهم ،

فامر الملك بحبسهم . وفي وقت نزولهم من عند الملك إلى الحبس وصل الغراب الذي فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الأعور . فلما وصل الغراب إلى المدينة طلع الوزير إلى الملك وبشّره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة ، فدقّوا البشائر وزيّنوا المدينة باحسن زينة وركب الملك في جميع عسكره وأرباب دولته وتوجّهوا إلى البحر ليقابلوها . فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلّم عليها وسلّمت عليه وقدّم لها جواداً فركبته ، فلما وصلت إلى القصر قابلتها امها وعانقتها وسلّمت عليها وسألتها عن حالها وهل هي بكر مثل ما كانت عندهم سابقاً او صارت امرأة ثيباً ؟ فقالت لهم مريم : يا أمي ، بعد ان يباع الإنسان في بلاد المسلمين من تاجر إلى تاجر ويصير محكوماً عليه كيف يبقى بنتاً بكراً ؟ إن التاجر الذي اشتراني هدّدني بالضرب وغصبني وازال بكارتي وباعني لآخر وآخر باعني لآخر . فلما سمعت أمها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً . ثم اعادت على أبيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وكبر امره لديه وعرض حالها على أرباب دولته وبطارقته فقالوا له : أيها الملك ، إنها تنجست من المسلمين وما يطهّرها إلا ضرب مائة رقبة من المسلمين . فعند ذلك امر الملك بإحضار الأسارى الذين في المجلس . فاحضروهم جميعاً بين يديه ومن جملتهم نور الدين . فامر الملك بضرب رقابهم ، فاول من ضربوا رقبته ريس المركب . ثم ضربوا رقاب التجار واحد بعد واحد حتى لم يبق إلا نور الدين ، فشرطوا ذيله وعصبوا عينيه وقدّموه إلى نطع الدم وأرادوا ان يضربوا رقبته وإذا بامرأة عجوز اقبلت على الملك في تلك الساعة وقالت له : يا مولاي ، انت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة أسارى من المسلمين إن ردّ الله بنتك مريم لأجل ان يساعدوا في خدمتها . والآن قد وصلت إليك بنتك السيدة مريم ، فاوف بنذرك الذي نذرته . فقال لها الملك : يا أمي ، وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق عندي من الأسارى غير هذا الأسير الذي يريدون قتله ، فخذيه معك يساعدك في خدمة الكنيسة إلى ان يأتي إلينا أسارى من المسلمين فارسل إليك أربعة اخر ، ولو كنت سبقت قبل ان يضربوا رقاب هؤلاء الأسارى لأعطيناك كل ما تريدينه . فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم . ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها إلى نور الدين وأخرجته من نطع الدم ونظرت إليه فرأته شاباً لطيفاً ظريفاً رقيق البشرة ووجهه كانه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر . فأخذته ومضت به إلى الكنيسة وقالت له : يا ولدي ، إقلع ثيابك التي عليك فإنها لا تصلح إلا لخدمة السلطان . ثم إن العجوز جاءت لنور الدين بجبّة من صوف أسود ومئزر من صوف أسود وسير عريض ، فالبسته تلك الجبة وعمّمته بالمئزر وشدّت وسطه بالسير وأمرته ان يخدم الكنيسة . فخدم الكنيسة مدة سبعة أيام . فبينما هو كذلك وإذا بتلك العجوز قد أقبلت عليه وقالت له : يا مسلم ، خذ ثيابك الحرير والبسها وخذ هذه العشرة دراهم واخرج في هذه الساعة لتتفرج في هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة واحدة لئلا تروح روحك . فقال لها نور الدين : يا امي ، اي شيء الخبر ؟ فقالت له العجوز : أعلم يا ولدي ، أن بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد أن تدخل الكنيسة في هذا الوقت لأجل ان تزورها وتتبرّك بها وتقرّب لها قرباناً حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين ، وتوفي لها النذر التي نذرتها إن نجّاها المسيح . ومعها اربعمائة بنت ، ما واحدة منهن إلا كاملة في الحسن والجمال ، ومن جملتهن بنت الوزير وبنات الأمراء وأرباب الدولة . وفي هذه الساعة يحضرون وربما يقع نظرهن عليك في هذه الكنيسة فيقطّعنك بالسيوف . فعند ذلك اخذ

نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد أن لبس ثيابه وخرج إلى السوق وصار يتفرّج في شوارع المدينة حتى عرف جهاتها وأبوابها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 882

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن نور الدين لما لبس ثيابه أخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج إلى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة . ثم رجع إلى الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قد أقبلت على الكنيسة ومعها أربعمائة بنت نهد أبكار كأنهن الأقمار ، ومن جملتهن بنت الوزير الأعور وبنات الأمراء وأرباب الدولة وهي تمشي بينهن كأنها القمر بين النجوم . فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال : يا مريم يا مريم . فلما سمعت البنات صياح نور الدين وهو ينادي : يا مريم . هجمن عليه وجرّدن بيض الصفاح مثل الصواعق وأردن قتله في تلك الساعة . فالتفتت إليه مريم وتأمّلته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات : اتركن هذا الشاب فإنه مجنون بلا شك لأن علامة الجنون لايحة على وجهه . فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه وأشاح بيديه وعوج رجليه وأخرج الزبد من فيه وشدقيه . فقالت السيدة مريم : أما قلت لكن إن هذا مجنون . أحضرنه عندي وابعدن عنه حتى أسمع ما يقول فإني أعرف كلام العرب وانظر حاله ، وهل داء جنونه يقبل المداواة أم لا ؟ فعند ذلك حمله البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه . فقالت له : هل جئت إلى هنا من أجلي وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنوناً ؟ فقال لها نور الدين : يا سيدتي ، أما سمعت قول الشاعر : [من البسيط]

قالُوا : جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوى فَقُلْتُ لَهُمْ ... ما لَذَّةُ العَيْشِ إلاَّ لِلْمَجانِينِ
هاتُوا جُنُونِي وهاتُوا مَنْ جُنِنْتُ بِهِ ... فَإنْ وَفى بِجُنُونِي لا تَلُومُونِي

فقالت له مريم : والله يا نور الدين إنك الجاني على نفسك فإني حذّرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولي وتبعت هوى نفسك . وأنا ما أخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وإنما هو من باب المشاهدة والعيان ، لأني رأيت الوزير الأعور فعرفت أنه ما دخل في هذه البلدة إلا في طلبي . فقال لها نور الدين : يا سيدتي مريم ، نعوذ بالله من زلّة العاقل . ثم تزايد بنور الدين الحال فأنشد هذا المقال : [من البسيط]

هَبْ لي جِنايَةَ مَنْ زَلَّت بِهِ القَدَمُ ... قَدْ يَشْمَلُ العَبْدَ مِنْ ساداتِهِ كَرَمُ
حَسْبُ المُسيءِ بِذَنْبٍ مِنْ جِنايَتِهِ ... فَرْطُ النَّدامَةِ إذْ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ
فَعَلْتُ ما يَقْتَضِي التَّأْديبُ مُعْتَرِفاً ... فَأَيْنَ ما يَقْتَضِيهِ العَفْوُ والكَرَمُ

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكي لصاحبه ما جرى له ويتناشدان الأشعار ودموعهما تجري على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدّة الهوى وأليم الوحدة والجوى إلى أن لم يبق لأحدهما قوّة على الكلام . وكان النهار قد ولّى وأقبل الظلام وقد كان على السيدة مريم حلّة خضراء مزركشة بالذهب الأحمر مرصّعة بالدر والجوهر ، فزاد حسنها وجمالها وظرف معانيها . وقد أجاد من قال فيها : [من الطويل]

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التِّمِّ في الحُلَلِ الخُضْرِ ... مُفَكَّكَةَ الأَزْرارِ مَحْلُولَةَ الشَّعْرِ

فَقُلْتُ لَها : ما الإِسْمُ قالَتْ : أَنا التي كَوَيْتُ قُلوبَ العاشِقين عَلى الجَمْرِ
أَنا الفِضَّةُ البَيْضاءُ والذَّهَبُ الذي يُفَكُّ بِهِ المَأْسُورُ مِنْ شِدَّةِ الأَسْرِ
فَقُلْتُ لَها : إِنَّ الصُّدُودَ إِذابَنِي فَقالَتْ : أَتَشْكو لي وقَلْبِيَ مِنْ صَخْرِ
فَقُلْتُ لَها : إِنْ كان قَلْبُكِ صَخْرَةً فَقَدْ أَنْبَعَ اللهُ الزُّلالَ مِنَ الصَّخْرِ

فلما جن الليل أقبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن : هل أغلقتن الباب ؟ فقلن لها : قد أغلقناه . فعند ذلك أخذت السيدة مريم البنات وأتت بهن إلى مكان يقال له : مكان السيدة مريم العذراء أم النور ، لأن النصارى يزعمون أن روحنتها وسرّها في ذلك المكان . فصار البنات يتبرّكن به ويطفن في الكنيسة كلها . ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن : إني أريد أن أدخل وحدي في هذه الكنيسة وأتبرّك بها فإنه حصل لي اشتياق إليها بسبب طول غيبتي في بلاد المسلمين ، وأما أنتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئتن . فقلن لها : حباً وكرامة وافعلي أنت ما تريدينه . ثم إنهن تفرّقن عنها في الكنيسة ونمن . فعند ذلك استغلّتهن مريم وقامت تفتّش على نور الدين فرأته في ناحية جالساً على مقالي الجمر وهو في انتظارها . فلما أقبلت عليه قام لها على قدميه وقبّل يديها فجلست وأجلسته في جانبها ، ثم نزعت ما كان عليها من الحلي والحلل ونفيس القماش وضمّت نور الدين إلى صدرها وجعلته في حضنها . ولم تزل هي وإياه في بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان : ما أقصر ليل التلاق وما أطول يوم الفراق . وينشدان قول الشاعر : [من الرجز]

يا لَيْلَةَ الوَصْلِ وبِكْرُ الدَّهْرِ بَلْ أَنْتِ غُرَّةُ اللَّيالي الغُرّْ
قَدْ جِئْتِنِي بِالصُّبْحِ وَقْتَ العَصْرِ هَلْ كُنْتِ كُحْلاً في عُيُونِ الفَجْرِ
أَوْ كُنْتِ نَوْماً في عُيُونِ رُمَّدِ
يا لَيْلَةَ الهَجْرِ وما أَطْوَلَها آخِرُها مُواصِلٌ أَوَّلَها
كَحَلْقَةٍ مُفْرَغَةٍ ما إِنْ لَها مِنْ طَرَفٍ والحَشْرُ أَيْضاً قَبْلَها
فَالصَّبُّ بَعْدَ البَعْثِ مَيْتُ الصَدِّ

فبينما هما في هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة وإذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من عبادتهم الشعائر . وهو كما قال الشاعر : [من البسيط]

رَأَيْتُهُ يَضْرِبُ الناقوسَ قُلْتُ لَهُ : مَنْ عَلَّمَ الظَّبْيَ ضَرْباً بِالنَّواقِيسِ
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ : أَيُّ الضَّرْبِ يُؤْلِمُكِ ضَرْبُ النَّواقِيسِ أَمْ ضَرْبُ النَّوى قِيسِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 883

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مريم الزنارية ما زالت هي ونور الدين في لذّة وطرب إلى أن طلع الغلام النواقيسي فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس . فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها ، فشقّ ذلك على نور الدين وتكدّر وقته . فبكى وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

لا زِلْتُ أَلْثِمُ وَرْدَ خَدٍّ غَضٍّ	وأَعَضُّ ذاكَ مُبالغاً في العَضِّ
حَتَّى إذا طِبْنا ونامَ رَقِيبُنا	وعُيُونُهُ مالَتْ لِنَحْوِ الغُمْضِ
ضَرَبَتْ نَواقِيسَ فَشُبِّهَ مِثْلُها	بِمُؤَذِّنٍ يَدْعُو صَلاةَ الفَرْضِ
قامَتْ على عَجَلٍ لِلُبْسِ ثِيابِها	مِنْ خَوْفِ نَجْمِ رَقِيبِنا المُنْقَضِّ
وتَقُولُ: يا سُؤْلِي ويا كُلَّ المُنَى	جاءَ الصَّباحُ بِوَجْهِهِ المُبْيَضِّ
أَقْسَمْتُ لَوْ أُعْطِيتُ يَوْمَ وِلايَةٍ	وبَقِيتُ سُلْطاناً شَدِيدَ القَبْضِ
لَهَدَمْتُ أَرْكانَ الكَنائِسِ كُلِّها	وقَتَلْتُ كُلَّ مُقَسِّسٍ في الأَرْضِ

ثم إن السيدة مريم ضمّت نور الدين إلى صدرها وقبّلت خده وقالت له : يا نور الدين ، كم يوم لك في هذه المدينة ؟ فقال : سبعة أيام . فقالت له : هل سرت في هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارزها وأبوابها التي من ناحية البر والبحر ؟ قال : نعم . قالت : وهل تعرف طريق صندوق النذر الذي في الكنيسة ؟ قال : نعم . قالت له : حيث كنت تعرف ذلك كله ، إذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الأول فاذهب في تلك الساعة إلى صندوق النذر وخذ منه ما تريد وتشتهي وافتح باب الكنيسة الذي فيه الخوخة التي توصل إلى البحر فإنك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية ، فمتى رآك الريس يمد يده إليك فناوله يدك فإنه يطلعك في السفينة فاقعد عنده حتى أجيء إليك ، والحذر ثم الحذر من ان يلحقك النوم في تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم . ثم إن السيدة مريم ودّعت نور الدين وخرجت من عنده في تلك الساعة ونبّهت جواريها وسائر البنات من نومهن وأخذتهن وأتت إلى باب الكنيسة ودقّته ، ففتحت العجوز الباب . فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفاً فقدّموا لها بغلة فركبتها وأرخوا عليها ناموسية من الحرير وأخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاووشية وبأيديهم السيوف مسلولة وساروا بها إلى أن وصلوا بها إلى قصر أبيها . هذا ما كان من أمر مريم الزنارية . وأما ما كان من أمر نور الدين المصري فإنه لم يزل مختفياً وراء الستارة التي كان مستتراً خلفها هو ومريم إلى أن طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها ، فاختلط بالناس وجاء إلى تلك العجوز قيمة الكنيسة . فقالت له : أين كنت راقداً في هذه الليلة ؟ قال : في محل داخل المدينة كما أمرتني . فقالت له العجوز : إنك فعلت الصواب يا ولدي ، ولو كنت بتّ الليلة في الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة . فقال لها نور الدين : الحمد لله الذي نجاني من هذه الليلة . ولم يزل نور الدين يقضي شغله في الكنيسة إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بدياجي الإعتكار ، فقام نور الدين وفتح صندوق النذر وأخذ منه ما خفّ حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر إلى أن مضى ثلث الليل الأول وقام ومشى إلى باب الخوخة التي توصل إلى البحر وهو يطلب الستر من الله ، ولم يزل يمشي إلى أن وصل إلى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح إلى البحر . فوجد السفينة راسية على شاطىء البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخاً كبيراً ظريفاً لحيته طويلة وهو واقف في وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه ، فناوله نور الدين يده كما أمرته مريم ، فأخذه من يده وجذبه من البحر فصار في وسط السفينة . فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم : اقلعوا مرساة السفينة من البر وعوموا بنا قبل أن يطلع النهار . فقال واحد من العشرة

البحرية : يا سيدي الريس ، كيف نعوم والملك أخبرنا أنه في غد يركب السفينة في هذا البحر ليطّلع على ما فيه لأنه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين . فصاح عليهم الريس وقال : ويلكم يا ملاعين، هل بلغ من أمركم أنكم تخالفونني وتردون كلامي؟ ثم إن ذلك الشيخ الريس سلّ سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلّم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته . فقال له واحد : وأي شيء عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته؟ فمدّ يده إلى السيف وضرب به عنق هذا المتكلّم . ولم يزل ذلك الريس يضرب أعناق البحرية واحداً بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطىء البحر . ثم التفت إلى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة أرعبته وقال له : إنزل إقلع الوتد . فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائماً ووثب في البر وقلع الوتد ثم طلع في السفينة أسرع من البرق الخاطف . وصار الريس يقول له : إفعل كذا وكذا ودوّر كذا وكذا وانظر في النجوم ، ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب . ثم رفع شراع المركب وسارت بهما في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 884

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين في البحر العجاج وقد طاب لهما الريح ، كل ذلك ونور الدين ماسك بيده الراجع وهو غريق في بحر الأفكار . ولم يزل مستغرقاً في الفكر ولم يعلم بما هو مخبوء له في الغيب، وكلما نظر إلى الريس ارتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التي يتوجه إليها الريس بل صار مشغولاً في فكر ووسواس إلى أن تضحّى النهار . فعند ذلك نظر نور الدين إلى الريس فرآه قد أخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها في يده، وتأمّلها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زوراً . ثم تأمل نور الدين في ذات الريس ودقّق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه، وكانت قد تحيّلت بتلك الحيلة حتى قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته وأخذت جلده وركبته على وجهها . فتعجب نور الدين من فعلها وشجاعتها ومن قوّة قلبها وقد طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها : مرحباً يا منيتي وسؤلي وغاية مطلبي . ثم إن نور الدين هزّه الشوق والطرب وأيقن ببلوغ الأمل والأرب فردّد صوته بأطيب النغمات وأنشد هذه الأبيات : [من الرمل]

قُلْ لِقَوْمٍ هُمْ لِعِشْقِي جَهِلُوا ... في حَبِيبٍ ما إلَيْهِ وَصَلُوا
عَنْ غَرامي بَيْنَ قَوْمِي فاسْأَلُوا ... قَدْ حَلا نَظْمِي ورَقَّ الغَزَلُ
في هَوَى قَوْمٍ بِقَلْبي نَزَلُوا
ذِكْرُهُمْ عِنْدِي يُزِيلُ السَّقَما ... عَنْ فُؤَادِي ويُزِيحُ الألَما
زادَ شَوْقِي وهُيامِي عِنْدَما ... أَصْبَحَ القَلْبُ كَئِيباً مُغْرَما
وبِهِ فِي النَّاسِ سارَ المَثَلُ
أنا لا أَقْبَلُ فِيهِم لَوْمَهْ ... لا ولا أَقْصِدُ عَنْهُمْ سَلْوَهْ
لَـكِنِ الحُبُّ رَماني حَسْرَهْ ... أَشْعَلَتْ مِنْهُ بِقَلْبِي جَمْرَهْ

حَرُّها في كَبِدي يَشْتَعِلُ

مِنْ عَجِيبٍ قَدْ أَباحُوا سَقَمِي   مَعْ سُهادِي طُولَ لَيْلٍ مُظْلِمِ
كَيْفَ رامُوا بالتَّجافي عَدَمِي   وٱسْتَحَلُوا في الهَوَى سَفْكَ دَمِي

إنَّهُم في جَوْرِهِمْ ما عَدَلُوا

يا تُرَى مَنْ ذا الَّذي أَوْصاكُمُ   بِالتَّجافي عَنْ فَتًى يَهْواكُمُ
ولَعَمْرِي والَّذي أَنْشاكُمُ   إنْ يَقُلْ عُذَّلُ قَوْلاً عَنْكُمُ

كَذَبُوا واللهِ فِيما نَقَلُوا

لا أَزاحَ اللهُ عَنِّي عِلَلا   لا ولا شافٍ لِقَلْبي غَلَلا
يَوْمَ أَشْكُو مِنْ هَواكُمْ مَلَلاَ   أَنا لا أَرْضَى سِواكُم بَدَلا

عَذِّبوا قَلْبِي وإنْ شِئْتُم صِلُوا

لِي فُؤادٌ لَمْ يَحُلْ عَنْ حُبِّكُمْ   لَوْ يُعاني حَسْرَةً مِنْ صَدِّكُمْ
سُخْطُ هَذا والرِّضَى مِنْ عِنْدِكُمْ   ما تَشاؤُوا فافْعَلُوا في عَبْدِكُمْ

هُوَ بالرُّوحِ لَكُمْ لا يَبْخَلُ

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت منه السيدة مريم غاية العجب وشكرته على قوله وقالت له : من هذه حالته ينبغي ان يسلك مسالك الرجال ولا يفعل فعل الأنذال والأرذال . وقد كانت السيدة مريم قوية القلب تعرف بأحوال سير المراكب في البحر المالح وتعرف الأهواء كلها واختلافها وتعرف جميع طرق البحر . فقال لها نور الدين : والله يا سيدتي لو اطلت عليّ هذا الأمر لمتّ من شدة الخوف والفزع ، خصوصاً مع نار الوجد والإشتياق واليم عذاب الفراق . فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها واخرجت شيئًا من المأكول والمشروب ، فأكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا . بعد ذلك اخرجت من اليواقيت والجواهر وأصناف المعادن والذخائر الغالية وأنواع الذهب والفضة ما خفّ حمله وغلا ثمنه من الذي جاءت به واخرجته من قصر أبيها وخزائنه وعرضت ذلك على نور الدين ، ففرح به غاية الفرح . كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة ، ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا اعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود الصواري . فلما وصلوا إلى المينة ، طلع نور الدين من وقته وساعته من تلك السفينة وربطها في حجر من احجار القصارين واخذ معه شيئًا من الذخائر التي جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم : اقعدي يا سيدتي في السفينة حتى أطلع بك إلى اسكندرية مثل ما أحب واشتهي . فقالت له : ولكن ينبغي ان يكون ذلك بسرعة لأن التراخي في الأمور يورث الندامة . فقال لها : ما عندي تراخ . فقعدت مريم في السفينة وتوجه نور الدين إلى بيت العطار صاحب أبيه ليستعير لها من زوجته نقاباً وحبرة وخفاً وازراراً كعادة نساء اسكندرية ولم يعلم بما لم يكن له في حساب من تصرفات الدهر أبي العجب العجاب . هذا ما كان من أمر نور الدين ومريم الزنارية . وأما ما كان من أمر أبيها ملك افرنجة ، فإنه لما أصبح الصباح تفقّد ابنته مريم فلم يجدها . فسأل عنها من جواريها وخدمها فقالوا له : يا مولانا ، إنها خرجت بالليل وراحت إلى

الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبراً. فبينما الملك يتحدّث مع الجواري والخدم في تلك الساعة وإذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوى لهما المكان. فقال الملك: ما الخبر؟ فقالوا له: أيها الملك، إنه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذي في الكنيسة من جهة البحر مفتوحًا والأسير الذي كان في الكنيسة يخدمها قد فقد. فقال الملك: إن كانت سفينتي التي في البحر فقدت فبنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 885 ☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ملك افرنجة لما فقدت ابنته مريم جاؤوا له بالخبر وقالوا له: إن سفينتك قد فقدت. فقال: إن كانت سفينتي فقدت فابنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب. ثم إن الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له: وحق المسيح والدين الصحيح إن لم تلحق سفينتي في هذه الساعة بعسكر وتأتيني بها وبمن فيها لأقتلنك اشنع قتلة وأمثل بك. ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها: ما كنت تسمعين من الأسير الذي كان عندك في شأن بلاده ومن أي البلاد هو؟ فقالت له: كان يقول: أنا من مدينة اسكندرية. فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته إلى المينة وصاح على البحرية وقال لهم: تجهّزوا وحلّوا القلوع. ففعلوا ما أمرهم به وسافروا، ولم يزالوا مسافرين ليلاً ونهاراً حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية في الساعة التي طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم. وكان من جملة الإفرنج الوزير الأعور الذي كان اشتراها من نور الدين، فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها، فربطوا مراكبهم بعيداً عنها وأتوا إليها في مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء. وفي تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الأعور الأعرج لأنه كان جبّاراً عنيداً وشيطاناً مريداً ولصاً محتالاً لا يقدر احد على احتياله، يشبه أبا محمد البطال. ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى تلك السفينة، فهجموا عليها وحملوا حملة واحدة فلم يجدوا فيها أحداً إلا السيدة مريم، فأخذوها هي والسفينة التي هي فيها بعد أن أطلعوا على الشاطىء وأقاموا زمناً طويلاً. ثم عادوا من وقتهم وساعتهم إلى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح، ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح. ولم يزالوا مسافرين على حماية إلى أن وصلوا إلى مدينة افرنجة وطلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو في تخت مملكته. فلما نظر إليها أبوها قال لها: ويلك يا خائنة، كيف تركت دين الآباء والأجداد وحصن المسيح الذي عليه الإعتماد واتّبعت دين الإسلام الذي قام بالسيف على رغم الصليب والأصنام؟ فقالت له مريم: أنا ما لي ذنب، لأني خرجت في الليل إلى الكنيسة لأزور السيدة مريم وأتبرّك بها. فبينما أنا في غفلة وإذا بسراق المسلمين قد هجموا عليّ وسدّوا فمي وشدّوا وثاقي وحطّوني في السفينة وسافروا بي إلى بلادهم فخادعتهم وتكلّمت معهم في دينهم إلى أن فكوا وثاقي وما صدقت أن رجالك أدركوني وخلّصوني. وأنا وحق المسيح والدين الصحيح وحق الصليب ومن صلب عليه، قد فرحت بفكاكي من أيديهم غاية الفرح واتّسع صدري وانشرح حيث خلصت من أسر المسلمين. فقال لها أبوها: كذبت يا فاجرة يا عاهرة، وحق ما في محكم الإنجيل من منزل التحريم والتحليل لا بد لي من أن أقتلك

اقبح قتلة وأمثل بك اشنع مثلة . اما كفاك الذي فعلته في الأول ودخل علينا محالك حتى رجعت إلينا ببهتانك ؟ ثم إن الملك أمر بقتلها وصلبها على باب القصر . فدخل عليه الوزير الأعور في تلك الساعة وكان مغرماً بحبها قديماً وقال له : ايها الملك ، لا تقتلها وزوّجني بها وأنا احرص عليها غاية الحرص وما أدخل عليها حتى أبني لها قصراً من الحجر الجلمود وأعلي بنيانه حتى لا يستطيع احد من السارقين الصعود على سطحه ، وإذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين واجعلهم قرباناً للمسيح عني وعنها . فأنعم عليه الملك بزواجها وأذن للقسيسين والرهبان والبطارقة أن يزوّجوها له . فزوّجوها للوزير الأعور . وأذن أن يشرعوا لها في بنيان قصر مشيد يليق بها . فشرعت العمال في العمل . هذا ما كان من أمر الملكة مريم وأبيها والوزير الأعور . وأما ما كان من أمر نور الدين والشيخ العطار ، فإن نور الدين لما توجه إلى العطار صاحب أبيه واستعار من زوجته إزاراً ونقاباً وخفاً وثياباً كثياب نساء اسكندرية ورجع بها إلى البحر وقصد السفينة التي فيها السيدة مريم ، فوجد الجوّ قفراً والمزار بعيداً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 886

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن نور الدين لما وجد الجوّ قفراً والمزار بعيداً صار قلبه حزيناً . فبكى بدمع متواتر وأنشد قول الشاعر :

[من الطويل]

سَرَى طَيْفَ سَعْدَى طارِقاً فاسْتَفَزَّني ... سُحيراً وصَحْبي في الفَلاة رُقُودُ

فَلَمَّا أنْتبَهْنا لِلْخَيالِ الّذي سَرَى ... أرَى الجَوَّ قَفْراً والمَزارُ بَعِيدُ

فمشى نور الدين على شاطىء البحر يتلفت يميناً وشمالاً فرأى ناساً مجتمعين على الشاطىء وهم يقولون : يا مسلمين ، ما بقي لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الإفرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون إلى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم احد من المسلمين ولا من العساكر المغازين ؟ فقال لهم نور الدين : ما الخبر ؟ فقالوا له : يا ولدي ، ان مركباً من مراكب الإفرنج فيها عساكر هجموا في تلك الساعة على تلك المينة وأخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية الى بلادهم . فلما سمع نور الدين كلامهم وقع مغشياً عليه . فلما افاق سالوه عن قضيّته ، فاخبرهم بخبره من الأول إلى الآخر . فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له : لأي شيء ما تخرجها إلا بإزار ونقاب ؟ وصار كل واحد من الناس يقول له كلاماً مؤلماً ، ومنهم من يقول : خلّوه في حاله يكفيه ما جرى له . وصار كل احد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام الملام حتى وقع مغشياً عليه . فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة وإذا بالشيخ العطار مقبلاً فرأى الناس مجتمعين ، فتوجه إليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقد بينهم وهو مغشى عليه ، فقعد عند رأسه ونبّهه . فلما افاق قال له : يا ولدي ، ما هذا الحال الذي أنت فيه ؟ فقال له : يا عم ، إن الجارية التي كانت راحت مني قد جئت بها من مدينة أبيها في مركب وقاسيت ما قاسيت في المجيء بها ، فلما وصلت بها إلى هذه المدينة ربطت السفينة في البر وتركت الجارية فيها

وذهبت إلى منزلك وأخذت من زوجتك مصالح للجارية لأطلعها بها إلى المدينة ، فجاء الإفرنج وأخذوا السفينة والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا إلى مراكبهم . فلما سمع الشيخ العطار من نور الدين هذا الكلام ، صار الضياء في وجهه ظلاماً وتأسّف على نور الدين تأسفاً عظيماً وقال له : يا ولدي ، لأي شيء ما اخرجتها من السفينة إلى المدينة من غير إزار ؟ ولكن في هذا الوقت ما ينفع الكلام . قم يا ولدي واطلع معي إلى المدينة لعل الله يرزقك بجارية أحسن منها فتتسلّى بها عنها ، والحمد لله الذي ما خسّرك فيها شيئًا بل حصل لك الربح فيها . واعلم يا ولدي أن الإتصال والإنفصال بيد الملك المتعال . فقال له نور الدين : والله يا عم ، إني ما أقدر ان اسلاها أبداً ولا اترك طلبها ولو سقيت من أجلها كأس الردى . فقال له العطار : يا ولدي ، وأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله ؟ فقال له : نويت أن أرجع إلى بلاد الروم وادخل مدينة افرنجة واخاطر بنفسي ، فإما عليها وإما بها . فقال له : يا ولدي ، إن في الأمثال السائرة : ما كل مرّة تسلم الجرّة ، وإن كانوا ما فعلوا بك في المرة الأولى شيئًا ربما يقتلونك في هذه المرة لاسيما وقد عرفوك حق المعرفة . فقال نور الدين : يا عم ، دعني اسافر واقتل في هواها سريعاً ولا اقتل بتركها صبراً وتحيّراً . وكان بمصادفة القدر مركب راسية في المينة مجهّزة للسفر وركابها قد قضت جميع اشغالها ، وفي تلك الساعة قلعوا أوتادها ، فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة أيام وقد طاب لركابها الوقت والريح . فبينما هم سائرون وإذا بمراكب من مراكب الإفرنج دائرة في البحر العجاج لا يرون مركباً إلا ويأسرونها خوفاً على بنت الملك من سراق المسلمين ، وإذا أخذوا مركباً يوصلون جميع من فيها إلى ملك افرنجة فيذبحهم ويوفي بهم نذره الذي كان نذره من أجل ابنته مريم . فرأوا المركب التي فيها نور الدين فأسروها وأخذوا كل من كان فيها وأتوا بهم إلى الملك ابي مريم . فلما أوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر بذبحهم في الوقت والساعة ومن جملتهم نور الدين ، فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكان الجلاد قد أخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قدّه . فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال له : أما أنت نور الدين الذي كنت عندنا في المرة الأولى قبل هذه المرة ؟ فقال له : ما كنت عندكم وليس إسمي نور الدين وإنما إسمي ابراهيم . فقال له الملك : تكذب ، بل أنت نور الدين الذي وهبتك للعجوز القيمة على الكنيسة لتساعدها في خدمة الكنيسة . فقال له نور الدين : يا مولاي ، انا إسمي ابراهيم . فقال له الملك : إن العجوز قيمة الكنيسة إذا حضرت ونظرتك تعرف هل أنت نور الدين أو غيره ؟ فبينما هم في الكلام وإذا بالوزير الأعور الذي تزوّج بنت الملك قد دخل في تلك الساعة وقبّل الأرض بين أيادي الملك وقال له : أيها الملك ، أعلم أن القصر قد فرغ بنيانه وانت تعرف أني نذرت للمسيح إذا فرغت من بنائه أن اذبح على بابه ثلاثين من المسلمين . وقد آتيتك لآخذ من عندك ثلاثين مسلماً فاذبحهم واوفي بهم نذر المسيح ويكونون في ذمتي على سبيل القرض ، ومتى جاءني أسارى أعطيك بدلهم . فقال الملك : وحق المسيح والدين الصحيح ما بقي عندي غير هذا الأسير . واشار إلى نور الدين وقال له : خذه واذبحه في هذه الساعة حتى أرسل إليك البقية إذا جاءني أسارى من المسلمين . فعند ذلك قام الوزير الأعور وأخذ نور الدين ومضى به إلى القصر ليذبحه على عتبة بابه . فقال له الدهانون : يا مولانا ، قد بقي علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخر ذبح هذا الأسير حتى نفرغ من الدهان عسى أن يأتي إليك بقية الثلاثين

فتذبح الجميع دفعة واحدة وتوفي بنذرك في يوم واحد. فعند ذلك أمر الوزير بحبس نور الدين. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 887

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان الوزير لما أمر بحبس نور الدين اخذوه مقيّداً جائعاً عطشاناً يتحسّر على نفسه وقد نظر الموت بعينه. وكان بالأمر المقدّر والقضاء المبرم للملك حصانان اخوان شقيقان: أحدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق. وكانت بحسرة تحصيل واحد منهما الملوك الأكاسرة، وكان احدهما أشهب نقياً والآخر ادهم كالليل الحالك. وكان ملوك الجزائر جميعاً يقولون: كل من سرق لنا حصاناً من هذين الحصانين نعطيه جميع ما يطلبه من الذهب الأحمر والدر والجوهر. فلم يقدر أحد على سرقة واحد من هذين الحصانين. فحصل لأحدهما مرض في عينيه، فأحضر الملك جميع البياطرة لدوائه فعجزوا عنه كلهم. فدخل على الملك الوزير الأعور الذي تزوّج بنته فرآه مهموماً من قبل ذلك الحصان، فأراد أن يزيل همّه فقال: ايها الملك، أعطني هذا الحصان وانا اداويه. فأعطاه له، فنقله إلى الإصطبل الذي محبوس فيه نور الدين. فلما فارق هذا الحصان أخاه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى أزعج الناس من الصياح. فعرف الوزير انه ما حصل منه هذا الصياح إلا لفراقه من أخيه، فراح وأعلم الملك بذلك. فلما تحقّق الملك كلامه قال: إذا كان ذلك حيواناً ولم يصبر على فراق أخيه فكيف بذوي العقول؟ ثم امر الغلمان ان ينقلوا الحصان عند أخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم: قولوا للوزير: إن الملك يقول لك: إن الحصانين انعام منه عليك لأجل خاطر ابنته مريم. فبينما نور الدين نائم في الإصطبل وهو مقيّد مكبّل إذ نظر الحصانين فوجد على عيني أحدهما غشاوة، وكان عنده بعض معرفة بأحوال الخيل وممارسة دوائها. فقال في نفسه: هذا والله وقت فرصتي، فأقوم وأكذب على الوزير وأقول له: أنا أداوي هذا الحصان. وأعمل له شيئًا يتلف عينيه فيقتلني وأستريح من هذه الحياة الذميمة. ثم إن نور الدين انتظر الوزير إلى أن دخل الإصطبل ينظر الحصانين. فلما دخل قال له نور الدين: يا مولاي، أي شيء يكون لي عليك إذا أنا داويت لك هذا الحصان وأعمل له شيئًا يطيب عينيه؟ فقال له الوزير: وحياة رأسي إن داويته اعتقك من الذبح واخليك تتمنّى عليّ. فقال له: يا مولاي، أأمر بفك يدي. فأمر الوزير بإطلاقه. فنهض نور الدين وأخذ زجاجاً بكراً وسحقه وأخذ جيرًا بلا طفي وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع في عيني الحصان وربطهما وقال في نفسه: الآن تغور عيناه فيقتلوني وأستريح من هذه العيشة الذميمة. ثم إن نور الدين نام تلك الليلة بقلب خال من وسواس الهمّ وتضرّع إلى الله تعالى وقال: يا رب في علمك ما يغني عن السؤال. فلما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح، جاء الوزير إلى الإصطبل وفكّ الرباط عن عيني الحصان ونظر إليهما، فرآهما أحسن عيون ملاح بقدرة الملك الفتّاح. فقال له الوزير: يا مسلم، ما رأيت في الدنيا مثلك في حسن معرفتك، وحق المسيح والدين الصحيح إنك اعجبتني غاية الإعجاب فإنه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار في بلادنا. ثم تقدّم إلى نور الدين وحلّ قيده بيده ثم ألبسه حلة سنية وجعله ناظرًا على خيله ورتّب له مرتبات وجرايات وأسكنه في طبقة على الإصطبل، وكان في القصر الجديد الذي بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التي فيها نور

الدين . فقعد نور الدين مدة أيام يأكل ويشرب ويتلذّذ ويطرب ويأمر وينهي على خدمة الخيل ، وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوالة التي فيها خدمته ، يرميه ويضربه ضرباً شديداً ويضع في رجليه القيد الحديد . وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح واتّسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول أمره إليه . وكان نور الدين كل يوم ينزل إلى الحصانين ويمسحهما بيده لما يعلم من معزّتهما عند الوزير ومحبته لهما . وكان للوزير الأعور بنت بكر في غاية الجمال كأنها غزال شارد وغصن مائد . فاتفق أنها كانت جالسة ذات يوم من الأيام في الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذي فيه نور الدين ، إذ سمعت نور الدين يغني ويسلّي نفسه على المشقات بإنشاد هذه الأبيات : [من السريع]

يا عاذِلاً أَصْبَحَ في ذاتِهْ	مُنَعَّماً يَزْهُو بِلَذّاتِهْ
لَوْ عَضَّكَ الدَّهْرُ بآفاتِهْ	لَقُلْتَ مِنْ ذَوْقِ مَراراتِهْ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَراراتِهِ
لَكِنْ سَلِمْتَ اليَوْمَ مِنْ غَدْرِهْ	ومِنْ تَناهِيهِ ومِنْ جَوْرِهْ
فَلا تَلُمْ مَنْ حارَ في أَمْرِهْ	وقالَ مِنْ فَرْطِ صَباباتِهْ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهْ	أَحْرَقَ قَلْبي بِحَراراتِهْ
كُنْ عاذِرَ العُشّاقِ في حالِهِمْ	ولا تَكُنْ عَوْناً على عَذْلِهِمْ
إيّاكَ أَنْ تَشْتَدَّ في حَبْلِهِمْ	مُجَرَّعاً مِنْ مُرِّ لَوْعاتِهْ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهْ	أَحْرَقَ قَلْبي بِحَراراتِهْ
قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِكَ بَينَ العِبادْ	كَمِثْلِ مَنْ باتَ خَلِيَّ الفُؤادْ
لَمْ أَعْرِفِ العِشْقَ وطَعْمَ السُّهادْ	حَتَّى دَعاني لِمَقاماتِهْ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبي بِحَراراتِهْ
لَمْ يَدْرِ ما العِشْقُ وما ذُلُّهْ	إلاّ الَّذي أَسْقَمَهُ طُولُهْ
وضاعَ مِنْهُ في الهَوَى عَقْلُهْ	وشُرْبُهُ مِنْ مُرِّ جُرْعاتِهْ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهْ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَراراتِهْ
كَمْ عَيْنِ صَبٍّ في الدُّجَى أَسْهَرا	وأَحْرَمَ الجَفْنَ لَذِيذَ الكَرَى
وكَمْ أَسالَ دَمْعُهُ أَنْهُرا	تَجْرِي على الخَدِّ بِلَوْعاتِهْ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبي بِحَراراتِهْ
كَمْ في الوَرَى مِنْ مُغْرَمٍ مُسْتَهامْ	سَهْرانُ مِنْ وَجْدٍ بَعِيدُ المَنامْ
أَلْبَسَهُ ثَوْبَ الضَّنَى والسَّقامْ	مَنْ قَدْ نَفَى عَنْهُ مَناماتِهْ
آهٍ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبي بِحَراراتِهِ
كَمْ قَلَّ صَبْرِي وبَرَى أَعْظُمِي	وسالَ دَمْعِي مِنْهُ كالعَنْدَمِ
مُهَفْهَفٌ أَمَرُّ مِنْ مَطْعَمِي	ما كانَ حُلْواً في مَذاقاتِهْ

آهِ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهِ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَراراتِهْ
مِسْكِينٌ مَنْ في النَّاسِ مِثْلي عَشِقْ وباتَ في جُنْحِ اللَّيالي أَرِقْ
إنْ عامَ في بَحْرِ التَّجافي غَرِقْ يَشْكُو مِنَ العِشْقِ وزَفْراتِهْ
آهِ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهِ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَراراتِهْ
مَنْ ذا الَّذي بالعِشْقِ لَمْ يَبْتَلِ ومَنْ نَجا مِنْ كَيْدِهِ الأَسْهَلِ
ومَنْ يَعِشْ مِنْهُ بِعَيْشِ الخَلي وأَيْنَ مَنْ فازَ بِراحاتِهْ
آهِ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهْ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَراراتِهْ
يا رَبِّ دَبِّر مَنْ بِهِ قَدْ بُلِي واكْفُلْهُ نِعْمَ أَنْتَ مِنْ كافِلِ
وارْزُقْهُ مِنْك بالثَّباتِ الجَلي والْطُفْ بِهِ في كُلِّ آفاتِهْ
آهِ مِنَ العِشْقِ وحالاتِهْ أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَراراتِهْ

فلما استتمّ نور الدين اقصى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت في نفسها بنت الوزير : وحق المسيح والدين الصحيح إن هذا المسلم شاب مليح ولكنه لا شك عاشق مفارق ، فيا ترى هل معشوق هذا الشاب مليح مثله ؟ وهل عنده مثل ما عنده أم لا ؟ فإن كان معشوقه مليحاً مثله يحق له إسالة العبرات وشكوى الصبابات ، وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرم طعم اللذات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 888

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بنت الوزير قالت في نفسها : فإن كان معشوقه مليحاً يحق له إسالة العبرات ، وإن كان غير مليح فقد ضيّع عمره في الحسرات . وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير نقلت إلى القصر امس ذلك اليوم ، وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر ، فعزمت أن تذهب إليها وتحدّثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام . فما استتمّت الفكر في هذا الكلام حتى ارسلت خلفها السيدة مريم زوجة أبيها لأجل ان تؤانسها بالحديث . فذهبت إليها فرأت صدرها ضيقاً ودموعها جارية على خدّها وهي تبكي بكاء شديداً ما عليه من مزيد . تكفكف العبرات وتنشد هذه الأبيات : [من الوافر]

مَضَى عُمْري وعُمْرُ الوَجْدِ باقِ وصَدْري ضاقَ مِنْ فَرْطِ اشْتِياقِي
وقَلْبِي ذابَ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ يُؤَمِّلُ عَوْدَ أَيّامِ التَّلاقِي
لِيَنْتَظِمَ الوِصالُ عَلَى اتِّساقِ

أَقِلُّوا اللَّوْمَ عَنْ مَسْلُوبِ قَلْبِ نَحِيلُ الجِسْمِ مِنْ شَوْقٍ وكَرْبِ
ولا تَرْمُوا هَواهُ بِسَهْمِ عَتْبِ فَما في الكَوْنِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ
فَمُرُّ العِشْقِ حُلْوٌ في المَذاقِ

فقالت بنت الوزير للسيدة مريم : ما لك أيتها الملكة ضيّقة الصدر مشتّتة الفكر ؟ فلما سمعت السيدة مريم كلام بنت الوزير تذكّرت ما فات من عظيم اللذّات وانشدت هذين

البيتين :

سأصبرُ توطينًا على هجرِ صاحبي وأرسلُ درَّ الدمعِ نثرًا على نثرِ
عسى فرجٌ يأتي به اللهُ إنّهُ طوى كلَّ يسرٍ تحتَ جانحةِ العسرِ

فقالت لها بنت الوزير : أيتها الملكة ، لا تضيقي صدراً وقومي معي في هذه الساعة إلى شباك القصر فإن عندنا في الإصطبل شاباً مليحاً رشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق . فقالت لها السيدة مريم : بأي علامة عرفت أنه عاشق مفارق؟ فقالت لها بنت الوزير : أيتها الملكة، عرفت ذلك بإنشاده القصائد والأشعار آناء الليل وأطراف النهار . فقالت السيدة مريم في نفسها : إن كان قول بنت الوزير يقين فهذه صفات الكئيب المسكين علي نور الدين ، فيا هل ترى هو ذلك الشاب الذي ذكرته بنت الوزير؟ ثم إن السيدة مريم زاد بها العشق والهيام والوجد والغرام ، فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير إلى الشباك ونظرت منه فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ، ودقّقت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ، ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته إياها . ومن نار الوجد وألم الفراق والوله والإشتياق قد زاد به النحول فصار ينشد ويقول : [من الرجز]

القلبُ مملوكٌ وعيني جاريَهْ ليسَ لها سحابةٌ مجاريَهْ
بينَ بكائي وسهادي والجوى والنوحُ والحزنُ على أحبابيَهْ
واحرقتي واحسرتي والوعتي تكاملتْ أعدادُها ثمانيَهْ
وتابعتْها خمسةٌ في خمسةٍ ألا قفوا واستمعوا مقاليَهْ
ذكرٌ وفكرٌ وزفيرٌ وضنى وفرطُ شوقٍ واشتغالُ باليَهْ
في محنةٍ وغربةٍ وصبوةٍ ولهفةٍ وفرحةٍ ترانيَهْ
قلَّ اصطباري واحتمالي للجوى لمّا نأى صبري دنا محاليَهْ
قدْ زادَ في قلبي تباريحَ الجوى يا سائلاً عنْ نارِ قلبي ماهيَهْ
ما بالُ دمعي موقدًا في مهجتي فنارُ قلبي لا تزالُ حاميَهْ
أصبحتُ في طوفانِ دمعي غارقاً ومنْ لظى هذا الهوى في هاويَهْ

فلما رأت السيدة مريم سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره وتحقّقت أنه هو ولكنها كتمت أمرها عن بنت الوزير وقالت لها : وحق المسيح والدين الصحيح ، ما كنت أحسب أن عندك خبراً بضيق صدري . ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت إلى مكانها ومضت بنت الوزير إلى شغلها . ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت إلى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر إلى سيدها نور الدين وتتأمّل في لطفه ورقّة معانيه ، فرأته كالبدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر . لكنه دائم الحسرات جاري العبرات لأنه تذكر ما فات فأنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

أمّلتُ وصلَ أحبّتي ما نلتُهُ أبدًا ومرُّ العيشِ قدْ واصلتُهُ
دمعي يحاكي البحرَ في جريانِهِ وإذا رأيتُ عواذلي كفكفتُهُ
آهٍ على داعٍ دعا بفراقِنا لوْ نلتُ منهُ لسانَهُ لقطعتُهُ

لا عَتْبَ لِلأَيَّامِ في أَفْعالِها مَزَجَتْ بِصَرْفِ المُرِّ ما جُرِّعْتُهُ
فَلِمَنْ أَسِيرُ إلى سِواكُمْ قاصِداً والقَلْبُ في عَرَصاتِكُمْ خَلَّفْتُهُ
مَنْ مُنْصِفِي مِنْ ظالِمٍ مُتَحَكِّمٍ يَزْدادُ ظُلْمًا كُلَّما حَكَّمْتُهُ
مَلَّكْتُهُ رُوحِي لِيَحْفَظَ مُلْكَهُ فَأضاعَنِي وأضاعَ ما مَلَّكْتُهُ
أَنْفَقْتُ عُمْرِي في هَواهُ ولَيْتَنِي أُعْطي وِصالاً بالَّذي أَنْفَقْتُهُ
يا أَيُّها الرَّشأُ الْمُلِمُّ بِمُهْجَتِي يَكْفِي مِنَ الهِجْرانِ ما قَدْ ذُقْتُهُ
أَنْتَ الَّذي جَمَعَ المَحاسِنَ وَجْهُهُ لَكِنْ عَلَيْهِ تَصَبُّري فَرَّقْتُهُ
أَحْلَلْتُهُ قَلْبِي فَحَلَّ بِهِ البَلا إنِّي لَراضٍ بالَّذي أَحْلَلْتُهُ
وجَرَتْ دُمُوعِي مِثْلَ بَحْرٍ زاخِرٍ لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ مَسْلَكاً لَسَلَكْتُهُ
وخَشِيتُ خَوْفاً أَنْ أَمُوتَ بِحَسْرَةٍ ويَفُوتَ مِنِّي كُلُّ ما أَمَّلْتُهُ

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق المسكين إنشاد هذه الأشعار حصل عندها من كلامه إشعار. فأفاضت دموع العين وأنشدت هذين البيتين: [من الطويل]

تَمَنَّيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمّا لَقِيتُهُ ذُهِلْتُ فَلَمْ أَمْلُكْ لِساناً ولا طَرْفا
وكُنْتُ مُعِداً لِلْعِتابِ دَفاتِراً فَلَمّا اجْتَمَعْنا ما وَجَدْتُ ولا حَرْفا

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها وبكى بكاء شديداً وقال: والله، إن هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 889

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن نور الدين لما سمعها تنشد الأشعار قال في نفسه: إن هذه نغمة السيدة مريم بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب، فيا ترى هل ظني صحيح وإنها هي بعينها أو غيرها؟ ثم إن نور الدين زادت به الحسرات فتأوه وأنشد هذه الأبيات:

[من السريع]

لَمّا رَآنِي لائِمِي في الهَوَى صادَفْتُ حِبِّي في مَكانٍ رَحِيبْ
ولَمْ أَفُهْ بِالعَتْبِ عِنْدَ اللِّقا ورُبَّ عَتْبٍ فِيهِ بُرْءُ الكَئِيبْ
فَقالَ: ما هَذا السُّكُوتُ الَّذي صَدَّكَ عَنْ رَدِّ الجَوابِ المُصِيبْ
فَقُلْتُ: يا مَنْ قَدْ غَدا جاهِلاً بِحالِ أَهْلِ العِشْقِ كالمُسْتَرِيبْ
عَلامَةُ العاشِقِ في عِشْقِهِ سُكُوتُهُ عِنْدَ لِقاءِ الحَبِيبْ

فلما فرغ من شعره أحضرت السيدة مريم دواة وقرطاساً وكتبت فيه: بعد البسملة الشريفة. أما بعد، فسلام الله عليك ورحمته وبركاته وأخبرك أن الجارية مريم تسلّم عليك وهي كثيرة الشوق إليك وهذه مراسلتها إليك، فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك إنهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الإهتمام، والحذر كل الحذر من المخالفة ومن أن تنام فإذا

مضى ثلث الليل الأول، فإن تلك الساعة من أسعد الأوقات فلا يكون لك فيها شغل إلا أن تشدّ الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة، وكل من قال لك: أين أنت رايح؟ فقل له: أنا رايح أسيرهما. فإذا قلت ذلك لا يمنعك أحد فإن أهل هذه المدينة واثقون بقفل الأبواب. ثم إن السيدة مريم لفّت الورقة في منديل حرير ورمتها إلى نور الدين من الشباك، فأخذها وقرأها وفهم ما فيها وعرف أنها خط السيدة مريم. فقبّلها ووضعها بين عينيه وتذكّر ما حصل له معها من طيب الوصال فأسال دمع العين وأنشد هذين البيتين: [من الطويل]

أَتاني كِتابٌ مِنْكُمُ جُنْحَ لَيْلَةٍ فَهَيَّجَنِي شَوْقاً إِلَيْكُم وأَبْرانيْ
وذَكَّرَنِي عَيْشاً مَضَى بِوِصالِكُمْ فَسُبْحانَ رَبِّي بالتَّفَرُّقِ أَبْلانِيْ

ثم إن نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل بإصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل ثلثه الأول، ثم قام من وقته وساعته إلى الحصانين ووضع عليهما سرجين من أحسن السروج وخرج بهما من باب الإصطبل وقفل الباب وسار بهما إلى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة مريم. هذا ما كان من أمر نور الدين. وأما ما كان من أمر الملكة مريم، فإنها ذهبت من وقتها وساعتها إلى المجلس الذي هو معدّ لها في ذلك القصر فوجدت الوزير الأعور جالساً في ذلك المجلس متّكئاً على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستحي أن يمدّ يده إليها أو يخاطبها. فلما رأته ناجت ربّها في قلبها وقالت: اللهم لا تبلغه مني أرباً ولا تحكم عليّ بالنجاسة بعد الطهارة. ثم أقبلت عليه وأظهرت له المودّة وجلست في جانبه ولاطفته وقالت له: يا سيدي، ما هذا الإعراض عنّا؟ هل هو منك تيه ودلال علينا؟ ولكن صاحب المثل السائر يقول: إذا بار السلام سلمت القعود على القيام. فإن كنت يا سيدي ما تجيء عندي وتخاطبني أجيء أنا عندك وأخاطبك. فقال لها الوزير: الفضل والجميل لك يا ملكة الأرض في الطول والعرض، وهل أنا إلا من بعض خدّامك وأقل غلمانك؟ وإنما أنا مستح أن أتهجم على مخاطبتك الفخيمة أيتها الدرّة اليتيمة ووجهي منك في الأرض. فقالت له: دعنا من هذا الكلام وأتنا بالمأكل والمشرب. فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وأمرهم بإحضار المأكل والمشرب، فقدموا له سفرة فيها ما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان وأفراخ الحمام ورضيع الضأن وأوز سمين، وفيها دجاج محمّر، وفيها سائر الأشكال والألوان. فمدّت السيدة مريم يدها إلى السفرة وأكلت وصارت تلقّم الوزير وتبوّسه في فمه، وما زالا يأكلان حتى اكتفيا من الأكل ثم غسلا أيديهما. وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام وأحضروا سفرة المدام، فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه، وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد أن يطير قلبه من الفرح واتّسع صدره وانشرح. فلما غاب عقله عن الصواب وتمكّن منه الشراب، مدّت يدها إلى جيبها وأخرجت منه قرصاً من البنج البكر المغربي الذي إذا شمّ منه الفيل أدنى رائحة نام من العام إلى العام، كانت أعدته لهذه الساعة. ثم غافلت الوزير وفركته في القدح وملأته وأعطته إياه، فطار عقله من الفرح وما صدق أنها تناوله إياه فأخذ القدح وشربه، فما استقرّ في جوفه حتى خرّ صريعاً على الأرض في الحال. فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت إلى خرجين كبيرين ملأتهما مما خفّ حمله وغلا ثمنه من الجواهر واليواقيت وأصناف المعادن المثمّنة، ثم حملت معها شيئًا من المأكل والمشرب ولبست آلة

الحرب والكفاح من العدّة والسلاح وأخذت معها لنور الدين ما يسرّه من الملابس الملوكية الفاخرة وأهبة السلاح القاهرة، ثم إنها رفعت الخرجين على أكتافها وخرجت من القصر وكانت ذا قوة وشجاعة، وتوجهت إلى نور الدين. هذا ما كان من امر مريم. وأما ما كان من أمر نور الدين. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 890

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان مريم لما خرجت من القصر توجهت إلى نور الدين وكانت ذا قوة وشجاعة. هذا ما كان من أمر مريم. وأما ما كان من أمر نور الدين العاشق المسكين فإنه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده، فأرسل الله عزّ وجلّ عليه النوم فنام، وسبحان من لا ينام. وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوة على سرقة هذين الحصانين أو واحد منهما، وكان موجوداً في تلك الأيام عبد أسود تربّى في الجزائر يعرف سرقة الخيل، فصار ملوك الإفرنج يرشونه بمال كثير لأجل ان يسرق أحد الحصانين ووعدوه أنه إن سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعاً سنية. وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور في مدينة افرنجة وهو مختف فلم يقدر على أخذ الحصانين وهما عند الملك. فلما وهبهما للوزير الأعور ونقلهما إلى إصطبله، فرح العبد فرحاً شديداً وطمع في أخذهما وقال: وحق المسيح والدين الصحيح لأسرقنهما. ثم إن العبد خرج في تلك الليلة قاصداً ذلك الإصطبل ليسرق الحصانين. فبينما هو ماش في الطريق إذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائماً ومقاود الحصانين في يده، فنزع المقاود من رؤوسهما وأراد ان يركب واحداً ويسوق الآخر قدامه وإذا بالسيدة مريم قد أقبلت وهي حاملة الخرجين على كتفها فظنت ان العبد هو نور الدين، فناولته احد الخرجين فوضعه على الحصان، ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهي تظن أنه نور الدين. ثم إنها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له: يا سيدي نور الدين، ما لك ساكتاً؟ فالتفت العبد إليها وهو مغضب وقال لها: اي شيء تقولين يا جارية؟ فسمعت بربرة العبد فعرفت أنها غير لغة نور الدين، فرفعت رأسها إليه ونظرته فوجدت له مناخير كالإبريق. فلما نظرته صار الضياء في وجهها ظلاماً فقالت له: من تكون يا شيخ بني حام؟ وما اسمك بين الآنام؟ فقال لها: يا بنت اللئام، أنا إسمي مسعود سرّاق الخيل والناس نيام. فما ردّت عليه بشيء من الكلام بل جرّدت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علايقه فوقع صريعاً على الأرض يختبط في دمه وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار. فعند ذلك أخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحداً منهما وقبضت الآخر بيدها ورجعت إلى عقبها تفتش على نور الدين، فلقيته راقداً في المكان الذي واعدته بالإجتماع فيه والمقاود في يده وهو نائم يخط في نومه ولم يعرف يديه من رجليه. فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوباً وقال لها: يا سيدتي، الحمد لله على مجيئك سالمة. فقالت له: قم اركب هذا الحصان وأنت ساكت. فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثاني وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية. وبعد ذلك التفتت مريم إلى نور الدين وقالت له: أما قلت لك لا تنم؟ فإنه لا افلح من ينام. فقال: يا سيدتي، أنا ما نمت إلا من برد فؤادي بميعادك، وأي شيء جرى يا سيدتي؟ فأخبرته بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى. فقال لها نور الدين: الحمد لله

على السلامة . ثم جدّا في إسراع المسير وقد سلّما امرهما إلى اللطيف الخبير وصارا يتحدّثان حتى وصلا إلى العبد الذي قتلته السيدة مريم، فرآه مرمياً في التراب كأنه عفريت . فقالت مريم لنور الدين : إنزل جرّده من ثيابه وخذ سلاحه . فقال لها : يا سيدتي، والله انا لا اقدر ان انزل عن ظهر الحصان ولا اقف عنده ولا أتقرّب منه . وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم سارا . ولم يزالا سائرين سيراً عنيفاً بقية الليل إلى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابي والبطاح ، فوصلا إلى مرج افيح فيه الغزلان تمرح وقد اخضرت منه الجوانب وتشكّلت فيه الاثمار من كل جانب، وازهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات، وجداوله تجري مختلفة الصفات كما قال فيه الشاعر واجاد ووفى بالمراد : [من الوافر]

وَقاني لَفْحَةَ الرَّمْضاءِ وادٍ ... وَقاهُ مُضاعِفُ النَّبْتِ العَميمِ
نَزَلْنا دَوْحَةً فَحَنا عَلَيْنا ... حُنُوَّ المُرْضِعاتِ على الفَطِيمِ
وأَرْشَفَنا على ظَمَإٍ زُلالاً ... أَلَذَّ مِنَ المُدامَةِ لِلنَّديْمِ
يَصُدُّ الشَّمْسَ أَنّى واجَهَتْنا ... فَيَحْجُبُها وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تَرُوعُ حَصاهُ حالِيَةُ العَذارَى ... فَتَلْمُسُ جانِبَ الدُّرِّ النَّظِيمِ

وكما قال الآخر : [من الكامل]

وإذا تَرَنَّمَ طَيْرُهُ وغَدِيرُهُ ... يَشْتاقُهُ الوَلْهانُ في الأَسْحارِ
فَكَأَنَّهُ الفِرْدَوْسُ في أَكْنافِهِ ... ظِلٌّ وفاكِهَةٌ وماءٌ جارِ

فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي ونور الدين ليستريحا في ذلك الوادي . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 891

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السيدة مريم ونور الدين لما نزلا في ذلك الوادي أكلا من اثماره وشربا من أنهاره واطلقا الحصانين ياكلان في المرعى، فاكلا وشربا من ذلك الوادي وجلس نورالدين هو ومريم يتحدّثان ويتذاكران حكايتهما وما جرى لهما، وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من الم الفراق وما قاساه من البعد والإشتياق . فبينما هما كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الأقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح . وكان السبب في ذلك ان الملك لما زوّج ابنته للوزير ودخل عليها في تلك الليلة واصبح الصباح أراد الملك ان يصبّح عليهما كما جرت به العادة عند الملوك في بناتهم ، فقام واخذ معه اقمشة من الحرير ونثر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط . ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان إلى ان وصل إلى القصر الجديد، فوجد الوزير مرمياً على الفرش لم يعرف رأسه من رجليه . فالتفت الملك في القصر يميناً وشمالاً فلم يرَ ابنته فيه ، فتكدّر حاله واشتغل باله وأمر بإحضار الماء السخن والخل البكر والكندر . فلما أحضروا له ذلك خلطها ببعضها وسعط الوزير بها ثم هزّه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن . ثم إن الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه ،

فسأله عن حاله وعن حال ابنته مريم . فقال له : أيها الملك الأعظم ، لا علم لي بها غير أنها أسقتني قدحًا من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روحي إلا في هذه الساعة ولا أعلم ما كان من أمرها . فلما سمع الملك كلام الوزير ، صار الضياء في وجهه ظلاماً وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من أضراسه ثم إن الملك أرسل من وقته وساعته إلى الغلمان والسيّاس . فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له : أيها الملك ، إن الحصانين فقدا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما أيضًا ، فإننا أصبحنا وجدنا الأبواب كلها مفتوحة . فقال الملك : وحق ديني وما يعتقده يقيني ، ما أخذ الحصانين إلا ابنتي هي والأسير الذي كان يخدم الكنيسة ، وكان قد أخذها في المرة الأولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلّصه من يدي إلا هذا الوزير الأعور وقد جوزي بفعله . ثم إن الملك دعا في الوقت بأولاده الثلاثة وكانوا أبطالاً شجعاناً ، كل واحد منهم يقوم بألف فارس في حومة الميدان ومقام الضرب والطعان . ثم صاح الملك عليهم وأمرهم بالركوب ، فركبوا وركب الملك بجملتهم مع خواص بطارقته وأرباب دولته وأكابرهم وصاروا يتبعون أثرهما ، فلحقوهما في ذلك الوادي . فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلّدت بسيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين : ما حالك ؟ وكيف قلبك في القتال والحرب والنزال ؟ فقال لها : إن ثباتي في النزال مثل ثبات الوتد في النخال . ثم أنشد وقال : [من الكامل]

يا مَرْيَمُ أطَّرِحِي أليمَ عِتابِي ... لا تَقْصُدِي قَتْلِي وطُولَ عَذَابِي
مِنْ أيْنَ لِي أنِّي أكُونُ مُحارِباً ... إنِّي لأفْزَعُ مِنْ نَعِيقِ غُرابِ
وإذا نَظَرْتُ الفارَ أفْزَعُ خِيفَةً ... وأبُولُ مِنْ خَوْفِي عَلَى أثْوابِي
أنا لا أُحِبُّ الطَّعْنَ إلا خَلْوَةً ... والكُسُّ يَعْرِفُ سَطْوَةَ الأزْبابِ
هَذا هُوَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ وما يُرَى ... مِنْ دُونِ هَذا الرَّأْيِ غَيْرُ صَوابِ

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام أظهرت له الضحك والإبتسام وقالت له : يا سيدي نور الدين ، استقم مكانك وأنا أكفيك شرّهم ولو كانوا عدد الرمل . ثم إنها تهيّأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها وأطلقت من يدها طرف العنان وأدارت من الرمح جهة السنان ، فخرج ذلك الحصان من تحتها كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب . وقد كانت مريم أشجع أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها لأن أباها علّمها وهي صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب في ظلام الليل . وقالت لنور الدين : إركب جوادك وكن خلف ظهري وإذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فإن جوادك ما يلحقه لاحق . فلما نظر الملك إلى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت إلى ولده الأكبر وقال له : يا برطوط يا ملقب براس القلوط ، إن هذه أختك مريم لا شك فيها ولا ريب قد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا ، فابرز إليها واحمل عليها . وحق المسيح والدين الصحيح أنك إن ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى فإن رجعت إلى دينها القديم فارجع بها أسيرة ، وإن لم ترجع إليه فاقتلها أقبح قتلة ومثل بها أشنع مثلة ، وكذلك هذا الملعون الذي معها مثل به أقبح مثلة . فقال له برطوط : السمع والطاعة . ثم برز لأخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها ، فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقرّبت إليه . فقال لها برطوط : يا مريم ، أما يكفي ما

جرى منك حيث تركت دين الآباء والأجداد واتّبعت دين السياحين في البلاد يعني دين الإسلام ؟ ثم قال : وحق المسيح والدين الصحيح إن لم ترجعي إلى دين آبائك وأجدادك من الملوك وتسلكي فيه أحسن السلوك لأقتلنك شرّ قتلة وأمثل بك أقبح مثلة . فضحكت مريم من كلام أخيها وقالت : هيهات هيهات أن يعود ما فات ويعيش من مات ، بل أجرعك أشد الحسرات ، أنا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداه فإنه هو الدين الحق فلا أترك الهدى ولو سقيت كؤوس الردى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 892

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مريم قالت لأخيها : هيهات هيهات أن أرجع عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداه فإنه دين الهدى ولو سقيت كؤوس الردى . فلما سمع الملعون برطوط من أخته هذا الكلام ، صار الضياء في وجهه ظلامًا وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتهب بينهما القتال واشتدّ الحرب والنزال وغاص الإثنان في الأودية العراض الطوال وصبرا على الشدائد وشخصت لهما الأبصار فأخذها الإنبهار ، ثم تجاولا مليّاً واعتركا طويلاً وصار برطوط كلما يفتح لأخته مريم باباً من الحرب تبطله عليه وتسدّه بحسن صناعتها وقوّة براعتها ومعرفتها وفروسيتها . ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤوسهما الغبار وغاب الفرسان عن الأبصار ، ولم تزل مريم تحاوله وتسدّ عليه طريقه حتى كلّ وبطلت همّته واضمحلّ عزمه وضعفت قوّته ، فضربته بالسيف على عاتقه فخرج من علائقه وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . ثم إن مريم جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسألت الإنجاز وقالت : هل من مقاتل ؟ هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز؟ لا يبرز لي إلا أبطال أعداء الدين لأسقيهم كأس العذاب المهين ، يا عبدة الأوثان وذوي الكفر والطغيان ، هذا يوم تبيض فيه وجوه أهل الإيمان وتسود وجوه أهل الكفر بالرحمن . فلما رأى الملك ولده الكبير قد قتل ، لطم على وجهه وشقّ أثوابه وصاح على ولده الوسطاني وقال له : يا برطوس يا ملقّب بخرء السوس ، ابرز يا ولدي بسرعة إلى قتال أختك مريم وخذ منها ثار أخيك برطوط وائتني بها أسيرة ذليلة حقيرة . فقال له : يا أبت ، السمع والطاعة . ثم إنه برز لأخته مريم وحمل عليها ، فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هي وإياه قتالاً شديداً أشد من القتال الأول . فرأى أخوها الثاني نفسه عاجزاً عن قتالها فأراد الفرار والهروب فلم يمكنه ذلك من شدة بأسها ، لأنه كلما ركن إلى الفرار تقرّبت منه ولاصقته وضايقته . ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبّه وألحقته بأخيه . وبعد ذلك جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت : أين الفرسان والشجعان؟ أين الوزير الأعور الأعرج صاحب الدين الأعوج ؟ فعند ذلك صاح أبوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال : إنها قتلت ولدي الأوسط وحق المسيح والدين الصحيح . ثم إنه صاح على ولده الصغير وقال له : يا فسيان ، يا ملقّب بسلح الصبيان ، أخرج يا ولدي إلى قتال أختك وخذ منها ثار أخويك وصادمها ، إما لك أو عليك ، وإن ظفرت بها فاقتلها أقبح قتلة . فعند ذلك برز لها أخوها الصغير وحمل عليها ، فنهضت إليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وشجاعتها ومعرفتها بالحرب وفروسيتها وقالت له : يا عدو الله وعدو المسلمين ، لألحقنك بأخويك وبئس مثوى الكافرين . ثم إنها جذبت سيفها من

غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه وألحقته بأخويه وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار .
فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع ابيها أولاده الثلاثة قد قتلوا وكانوا أشجع اهل زمانهم ، وقع في قلوبهم الرعب من السيدة مريم وادهشتهم الهيبة ، ونكّسوا رؤوسهم إلى الأرض وأيقنوا بالهلاك والدمار والذلّ والبوار ، واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولّوا الأدبار وركنوا إلى الفرار . فلما نظر الملك إلى أولاده قد قتلوا وإلى عساكره قد انهزموا ، أخذته الحيرة والإنبهار واحترق قلبه بلهيب النار وقال في نفسه : إن السيدة مريم قد استقلّت بنا ، وإن جازفت بنفسي وبرزت إليها وحدي ربما غلبت عليّ وقهرتني فتقتلني أشنع قتلة وتمثل بي أقبح مثلة كما قتلت إخوتها ، لأنها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا في رجوعها طمع ، والراي عندي أن احفظ حرمتي وارجع إلى مدينتي . ثم إن الملك أرخى عنان فرسه ورجع إلى مدينته ، فلما استقر في قصره انطلقت في قلبه النار من أجل قتل أولاده الثلاثة وانهزام عسكره وهتك حرمته . فما استقرّ نصف ساعة حتى طلب أرباب دولته وكبراء مملكته وشكا إليهم فعل ابنته مريم معه ، من قتلها لأخوتها وما لاقاه من القهر والحزن ، واستشارهم . فأشاروا عليه كلهم أن يكتب كتاباً إلى خليفة الله في ارضه امير المؤمنين هارون الرشيد ويعلمه بهذه القضية . فكتب إلى الرشيد مكتوباً مضمونه : بعد السلام على أمير المؤمنين ، إن لنا بنتاً اسمها مريم الزنارية قد أفسدها علينا اسير من أسرى المسلمين إسمه نور الدين علي ابن التاجر تاج الدين المصري ، وأخذها ليلاً وخرج بها إلى ناحية بلاده . وأنا أسأل فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها إلينا مع رسول امين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 893

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ملك افرنجة لما كتب إلى الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد كتاباً يتضرّع إليه فيه بطلب ابنته مريم ، ويسأل فضله أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين . ومن جملة مضمون ذلك الكتاب ، إننا نجعل لكم في نظير مساعدتكم لنا على هذا الأمر ، نصف مدينة رومة الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ويحمل إليكم خراجها . وبعد أن كتب الكتاب برأي أهل مملكته وكبراء دولته ، طواه ودعا بوزيره الذي جعله وزيراً مكان الوزير الأعور ، وأمره أن يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه أرباب دولته بعد أن وضعوا خطوط أيديهم فيه . ثم قال لوزيره : إن أتيت بها فلك عندي إقطاع اميرين واخلع عليك خلعة بطرزين . ثم ناوله الكتاب وأمره أن يسافر إلى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب إلى أمير المؤمنين من يده إلى يده . ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الأودية والقفار حتى وصل إلى مدينة بغداد ، فلما دخلها مكث فيها ثلاثة أيام حتى استقرّ واستراح . ثم سأل عن قصر أمير المؤمنين هارون الرشيد فدلّوه عليه . فلما وصل إليه طلب إذناً من أمير المؤمنين في الدخول عليه فأذن له في ذلك ، فدخل عليه وقبّل الأرض بين يديه وناوله الكتاب الذي من ملك افرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بأمير المؤمنين . فلما فتح الخليفة المكتوب وقراه وفهم مضمونه ، أمر وزراءه من وقته أن يكتبوا المكاتيب إلى سائر بلاد المسلمين . ففعلوا ذلك وبينوا في المكاتيب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وإنهما هاربان ، فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما إلى أمير

المؤمنين، وحذّروهم من أن يعطوا في ذلك إمهالاً أو إهمالاً أو غفلة. ثم ختمت الكتب وأرسلت مع السعاة إلى العمال، فبادروا في امتثال الأمر وساروا يفتشون في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة. هذا ما كان من أمر هؤلاء الملوك وأتباعهم. وأما ما كان من أمر نور الدين المصري ومريم الزنارية بنت ملك افرنجة، فإنهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارواً إلى بلاد الشام، وقد ستر عليهما الستّار فوصلا إلى مدينة دمشق وكانت الطوالع التي أرسلها الخليفة قد سبقتهما إلى دمشق بيوم، فعلم أمير دمشق أنه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدي الخليفة. فلما كان يوم دخولهما إلى دمشق أقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما، فأخبروهما بالصحيح وقصّوا عليهما قصتهما وجميع ما جرى عليهما. فعرفوهما وقبضوا عليهما وأخذوهما وساروا بهما إلى أمير دمشق، فأرسلهما إلى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام. فلما وصلوا إليها استأذنوا في الدخول على أمير المؤمنين هارون الرشيد فأذن لهم. فلما دخلوا عليه قبّلوا الأرض بين يديه وقالوا له: يا أمير المؤمنين، إن هذه مريم الزنارية بنت ملك افرنجة وهذا نور الدين ابن التاجر تاج الدين المصري الأسير الذي أفسدها على أبيها وسرقها من بلاده ومملكته وهرب بها إلى دمشق، فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن أسمائهما فأجابونا بالصحيح، فعند ذلك أتينا بهما وأحضرناهما بين يديك. فنظر أمير المؤمنين إلى مريم فرآها رشيقة القدّ والقوام فصيحة الكلام مليحة أهل زمانها فريدة عصرها وأوانها، حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب. فلما وصلت إليه قبّلت الأرض بين يديه ودعت له بدوام العزّ والنعم وزوال البؤس والنقم. فأعجب الخليفة حُسن قوامها وعذوبة ألفاظها وسرعة جوابها. فقال لها: هل أنت مريم الزنارية بنت ملك افرنجة؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين وإمام الموحدين وحامي حومة الدين وابن عم سيد المرسلين. فعند ذلك التفت الخليفة فرأى علياً نور الدين شاباً مليحاً حسن الشكل كأنه البدر المنير في ليلة تمامه. فقال له الخليفة: هل أنت علي نور الدين الأسير ابن التاجر تاج الدين المصري؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين وعمدة القاصدين. فقال الخليفة: كيف أخذت هذه الصبية من مملكة أبيها وهربت بها؟ فصار نور الدين يحدّث الخليفة بجميع ما جرى له من أول الأمر إلى آخره. فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وأخذه من التعجب فرط الطرب وقال: ما أكثر ما تقاسيه الرجال! وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 894

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد لما سأل نور الدين عن قصته فأخبره بجميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى. فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال: ما أكثر ما تقاسيه الرجال! ثم إنه التفت إلى السيدة مريم وقال لها: يا مريم أعلمي أن والدك ملك افرنجة قد كاتبنا في شأنك، فما تقولين؟ قالت: يا خليفة الله في أرضه وقائماً بسنّة نبيّه وفرضه، خلد عليك النعم وأجارك من البؤس والنقم، أنت خليفة الله في أرضه، إني قد دخلت في دينكم لأنه هو الدين القويم الصحيح، وتركت ملّة الكفرة الذين يتكذّبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدّقة بما جاء به رسوله الرحيم، أعبد الله سبحانه وتعالى وأوحّده وأسجد خاضعة إليه وأمجّده. وأنا قائلة بين يدي الخليفة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد

أن محمداً رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فهل في وسعك يا أمير المؤمنين أن تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلني إلى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الأصنام ويعتقدون إلهية عيسى وهو مخلوق؟ فإن فعلت بي ذلك يا خليفة الله أتعلّق بأذيالك يوم العرض على الله وأشكوك إلى ابن عمك رسول الله ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فقال أمير المؤمنين: يا مريم، معاذ الله أن أفعل ذلك أبداً، كيف أردّ امرأة مسلمة موحدة بالله ورسوله إلى ما نهى الله عنه ورسوله؟ فقالت مريم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال لها أمير المؤمنين: يا مريم، بارك الله فيك وزادك هداية إلى الإسلام، وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب وهو أنني لا أفرّط فيك أبداً ولو بذل لي من أجلك ملء الأرض جواهر وذهباً. فطيبي نفساً وقرّي عيناً وانشرحي صدراً ولا يكن خاطرك إلا طيّباً، فهل رضيت أن يكون هذا الشاب علي المصري لك بعلاً وتكونين له أهلاً؟ فقالت مريم: يا أمير المؤمنين، كيف لا أرضى أن يكون لي بعلاً وقد اشتراني بماله وأحسن إليّ غاية الإحسان، ومن تمام إحسانه أنه خاطر بروحه من أجلي مرات عديدة. فزوّجها به مولانا أمير المؤمنين وعمل لها مهراً وأحضر القاضي والشهود وأكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوماً مشهوداً. ثم بعد ذلك التفت أمير المؤمنين من وقته وساعته إلى وزير ملك الروم وكان حاضراً في تلك الساعة وقال له: هل سمعت كلامها؟ كيف أرسلها إلى أبيها الكافر وهي مسلمة موحدة؟ وربما ساءها وأغلظ عليها خصوصاً وقد قتلت أولاده فأتحمّل أنا ذنبها يوم القيامة. وقد قال الله تعالى: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً. فارجع إلى ملكك وقل له: إرجع عن هذا الأمر ولا تطمع فيه. وكان ذلك الوزير أحمق فقال للخليفة: يا أمير المؤمنين، وحق المسيح والدين الصحيح أني لا يمكنني الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة، لأني لو رجعت إلى أبيها بدونها يقتلني. فقال الخليفة: خذوا هذا الملعون واقتلوه. وأنشد هذا البيت: [من مجزوء الكامل]

هَذا جَزاءُ مَنْ عَصَى   مَنْ فَوْقَهُ وعَصانِيَهْ

ثم أمر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه. فقالت السيدة مريم: يا أمير المؤمنين، لا تنجّس سيفك بدم هذا الملعون. ثم جرّدت سيفها وضربته به فأطاحت رأسه عن جثته، فذهب إلى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار. فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوّة جنانها، ثم خلع على نور الدين خلعة وأفرد لهما مكاناً في قصره هي ونور الدين ورتّب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات، وأمر بأن ينقل إليهما جميع ما يحتاجان إليه من الملابس والمفارش والأواني النفيسة. وأقاما في بغداد مدة من الزمان وهما في أرغد عيش وأهناه. وبعد ذلك اشتاق نور الدين إلى أمه وأبيه، فعرض الأمر على الخليفة وطلب منه إذناً في التوجه إلى بلاده وزيارة أقاربه ودعا بمريم وأحضرها بين يديه، فأجازه بالتوجه وأتحفه بالهدايا والتحف المثمّنة وأوصى مريم ونور الدين ببعضهما. ثم أمر بالمكاتيب إلى أمراء مصر المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين هو ووالديه وجاريته وإكرامهم غاية الإكرام. فلما وصلت الأخبار إلى مصر، فرح التاجر تاج الدين بعود ولده نور الدين وكذلك أمه فرحت بذلك غاية الفرح. وخرج للقائه الأكابر

والأمراء وأرباب الدولة من أجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين، وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب. وصارت الولايم كل يوم على واحد من الأمراء وفرحوا بهم الفرح الزائد وأكرموهم الإكرام المتصاعد. فلما اجتمع نور الدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهمّ والترح، وكذلك فرحوا بالسيدة مريم وأكرموها غاية الإكرام، ووصلت إليهم الهدايا والتحف من سائر الأمراء والتجار والعظام، وصاروا كل يوم في انشراح جديد وسرور أعظم من سرور العيد. ولم يزالوا في فرح ولذات ونِعم جزيلة مطربات، وأكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات ومخرّب الدور والقصور ومعمّر بطون القبور، فانتقلوا من الدنيا بالممات وصاروا في أعداد الأموات. فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت.

78 - حكاية الأمير شجاع الدين والامرأة الإفرنجية

ومما يحكى أيضاً أن الأمير شجاع الدين محمد متولي القاهرة قال: بتنا عند رجل من بلاد الصعيد فضيّفنا وأكرمنا، وكان ذلك الرجل أسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير. وكان له أولاد صغار بيض، بياضهم مشرّب بحمرة. فقلنا: يا فلان، ما بال أولادك هؤلاء بيضاً وأنت شديد السمرة؟ فقال: هؤلاء أمهم افرنجية، اخذتها ولي معها حديث عجيب. فقلنا له: اتحفنا به. فقال: نعم. أعلموا أني قد كنت زرعت كتّانًا في هذه البلدة وقلعته ونفضته وصرفت عليه خمسمائة دينار، ثم أردت بيعه فلم يجيء لي منه شيء أكثر من ذلك. فقالوا لي: إذهب به إلى عكّاء لعلك تربح فيه ربحًا عظيماً. وكانت عكاء ذلك الوقت في يد الإفرنج. فذهبت به إلى عكاء وبعت بعضه صبراً إلى ستة اشهر. فبينما انا ابيع إذ مرّت بي امرأة إفرنجية، وعادة نساء الإفرنج أن تمشي في السوق بلا نقاب. فأتت لتشتري مني كتّانًا فرأيت من جمالها ما بهر عقلي، فبعت لها شيئًا وتساهلت في الثمن فأخذته وانصرفت. ثم عادت إليّ بعد أيام فبعت لها شيئًا وتساهلت معها أكثر من المرة الأولى، فكرّرت مجيئها لي وعرفت أني احبها، وكان عادتها أن تمشي مع عجوز. فقلت للعجوز التي معها: إني قد شغفت بحبها فهل تتحيّلين لي في الإتصال بها؟ فقالت: اتحيّل لك في ذلك، ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا، انا وانت وهي. ومع ذلك لا بد من أن تبذل مالاً. فقلت لها: إذا ذهبت روحي باجتماعي عليها ما هو كثير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 895

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما أجابت ذلك الرجل قالت له: ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا، انا وانت وهي، ولا بد من ان تبذل مالاً. فقال لها: إذا ذهبت روحي في اجتماعي عليها ما هو كثير. واتفق الحال على أن يدفع لها خمسين ديناراً وتجيء إليه. فجهز الخمسين ديناراً وسلّمها للعجوز. فلما أخذت الخمسين ديناراً قالت له: هيء لها موضعًا في بيتك وهي تجيء إليك في هذه الليلة. ثم قال: فمضيت وجهّزت ما قدرت عليه من مأكل ومشرب وشمع وحلوى. وكانت داري مطلة على البحر وكان ذلك في زمن الصيف، ففرشت على سطح الدار وجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا، وجن الليل فنمنا تحت السماء

والقمر يضيء علينا وسرنا ننظر خيال النجوم في البحر . فقلت في نفسي : أما تستحي من الله عزّ وجلّ وأنت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصي الله تعالى مع نصرانية وتستوجب عذاب النار ؟ اللهم إني اشهدك اني قد عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك . ثم إني نمت إلى الصبح وقامت في السحر وهي غضبى ومضت إلى مكانها ومشيت أنا إلى حانوتي فجلست فيه ، وإذا هي قد عبرت عليّ هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر . فهلكت وقلت في نفسي : من هو انت حتى تترك هذه الجارية ؟ هل انت السري السقطي او بشر الحافي او الجنيد البغدادي أو الفضيل بن عياض ؟ ثم لحقت العجوز وقلت لها : إرجعي إليّ بها . فقالت العجوز : وحق المسيح ما ترجع إليك إلا بمائة دينار . فقلت : أعطيك مائة دينار . ثم اعطيتها المائة دينار وجاءت إليّ ثاني مرة ، فلما صارت عندي رجعت إلى تلك الفكرة فعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضيت ومشيت إلى موضعي . ثم عبرت عليّ العجوز وهي غضبى . فقلت لها : إرجعي بها إليّ . فقالت : وحق المسيح ، ما بقيت تفرح بها عندك إلا بخمسمائة دينار وتموت كمداً . فارتعدت لذلك وعزمت ان اغرم ثمن الكتّان جميعه وافدي نفسي بذلك . فما شعرت إلا والمنادي ينادي ويقول : يا معاشر المسلمين ، إن الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا مَن هنا من المسلمين جمعة ليقضوا اشغالهم وينصرفوا إلى بلادهم . فانقطعت عني واخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي اشتراه مني الناس مؤجلاً والمقايضة على ما بقي منه ، واخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكاء وانا في قلبي من الإفرنجية ما فيه من شدّة المحبة والعشق ، لانها اخذت قلبي ومالي . ثم خرجت وسرت حتى وصلت إلى دمشق وبعت البضاعة التي اخذتها من عكاء بأقصى ثمن لانقطاع وصولها بسبب انقضاء مدة الهدنة ، ومنّ الله سبحانه وتعالى عليّ بكسب جيد وصرت اتّجر في جواري السبي ليذهب ما بقلبي من الإفرنجية ولازمت التجارة فيهن . فمضت عليّ ثلاث سنوات وأنا بتلك الحالة ، وجرى للملك الناصر مع الإفرنج ما جرى من الوقائع ونصره الله عليهم وأسر جميع ملوكهم وفتح بلاد الساحل بإذن الله تعالى . فاتفق أنه جاء رجل وطلب مني جارية للملك الناصر ، وكان عندي جارية حسناء فعرضتها عليه فاشتراها له مني بمائة دينار ، فأوصلني تسعين ديناراً وبقي لي عشرة دنانير فلم يجدوها في خزنته ذلك اليوم لانه أنفق الأموال جميعها في حرب الإفرنج . فأخبروه بذلك فقال الملك : امضوا به إلى خزنة السبي وخيّروه بين بنات الإفرنج ليأخذ واحدة منهن في العشرة دنانير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 896

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك الناصر لما قال : خيّروه في واحدة منهن ليأخذها في العشرة دنانير التي له . اخذوني وتوجهوا بي إلى خزنة السبي ، فنظرت ما فيها وتأمّلت في جميع السبي فرأيت الجارية الإفرنجية التي كنت تعلّقت بها وعرفتها حق المعرفة ، وكانت امرأة فارس من فرسان الإفرنج . فقلت : أعطوني هذه . فأخذتها ومضيت إلى خيمتي وقلت لها : أتعرفينني ؟ قالت : لا . قلت : أنا صاحبك الذي كنت اتاجر في الكتان ، وقد جرى لي معك ما جرى واخذت مني الذهب وقلت : ما بقيت تنظرني إلا بخمسمائة دينار . وقد اخذتك ملكًا بعشرة دنانير . فقالت : هذا سر دينك الصحيح ، انا اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً

رسول الله . فأسلمت وحسن إسلامها . فقلت في نفسي : والله لا افضي إليها إلا بعد عتقها واطلاع القاضي . فرحت إلى ابن شداد وحكيت له ما جرى وعقد لي عليها ، ثم بعد ذلك بتّ معها فحملت . ثم رحل العسكر وأتينا دمشق ، فما كان إلا أيام قلائل وأتى رسول الملك يطلب الأسارى والسبي باتفاق وقع بين الملوك ، فردّ كل من كان اسيراً من النساء والرجال ولم يبق إلا المرأة التي عندي . فقالوا : إن امرأة الفارس فلان لم تحضر . وسألوا عنها وألحّوا في السؤال والكشف ، فأخبروا بأنها عندي . فطلبوها مني ، فحضرت وأنا في شدّة الوله وقد تغيّر لوني . فقالت لي : ما لك ، وما الذي أصابك ؟ فقلت : جاء رسول الملك يأخذ الأسارى جميعهم وطلبوك مني . فقالت : لا بأس عليك ، أوصلني إلى الملك وأنا أعرف الذي أقوله بين يديه . قال : فأخذتها وأحضرتها قدام السلطان الملك الناصر ، ورسول ملك الإفرنج جالس على يمينه . وقلت : هذه المرأة التي عندي . فقال لها الملك الناصر والرسول : أتروحين إلى بلادك أم إلى زوجك ؟ فقد فكّ الله أسرك أنت وغيرك . فقالت للسلطان : أنا قد أسلمت وحملت وها بطني كما ترون ، وما بقيت الإفرنج تنتفع بي . فقال الرسول : أيما أحب إليك ، أهذا المسلم أو زوجك الفارس فلان ؟ فقالت له كما قالت للسلطان . فقال الرسول لمن معه من الإفرنج : هل سمعتم كلامها ؟ قالوا : نعم . ثم قال لي الرسول : خذ امرأتك وامض بها . فمضيت بها . ثم إنه أرسل خلفي عاجلاً وقال : إن أمها أرسلت إليها معي وديعة وقالت : إن بنتي أسيرة وهي عريانة ومرادي أن توصل إليها هذا الصندوق ، فخذه وسلّمه إليها . فتسلّمت الصندوق ومضيت به إلى الدار وأعطيته لها ، ففتحته فرأت فيه قماشها بعينه ووجدت الصرّتين الذهب والخمسين ديناراً والمائة دينار . فرأيت الجميع برباطي لم يتغيّر منها شيء وحمدت الله تعالى . وهؤلاء الأولاد منها وهي تعيش إلى الآن ، وهي التي عملت لكم هذا الطعام . فتعجبنا من حكايته وما حصل له من الحظ والله أعلم .

79 - حكاية الفتى البغدادي والجارية

ومما يحكى أيضاً أنه كان في قديم الزمان رجل ببغداد من أولاد أهل النعم ، ورث عن أبيه مالاً جزيلاً . وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ، ولم يزل ينفق عليها إلى أن ذهب جميع ماله ولم يبق منه شيء . فطلب شيئًا من أسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر . وكان ذلك الفتى في أيام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها الغاية القصوى ، فاستشار بعض إخوانه فقال له : أنا لا أعرف لك صنعة أحسن من أن تغني أنت وجاريتك ، فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب . فكره ذلك هو والجارية . فقالت له جاريته : قد رأيت لك رأياً . قال : وما هو . قالت : تبيعني وتتخلص من هذه الشدة أنا وأنت وأكون في نعمة ، فإن مثلي ما يشتريه إلا ذو نعمة وبذلك أكون سبباً في رجوعي إليك . فاطلعها إلى السوق ، فكان أول من رآها رجل هاشمي من أهل البصرة ، وكان ذلك الرجل أديباً ظريفًا كريم النفس فاشتراها بألف وخمسمائة دينار . قال ذلك الفتى صاحب الجارية : فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت أنا والجارية وطلبت الإقالة فلم يرض . فوضعت الدنانير في الكيس وأنا لا أدري أين أذهب لأن بيتي موحش منها ، وحصل لي من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لي قط . فدخلت بعض المساجد وقعدت أبكي فيه واندهشت حتى صرت لا أعلم بنفسي ، فنمت وتركت الكيس تحت

راسي كالمخدة. فلم اشعر إلا وإنسان قد جذبه من تحت راسي ومضى يهرول، فانتبهت فزعاً مرعوباً فلم أجد الكيس، فقمت أجري خلفه وإذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت أبكي والطم. وقلت في نفسي: فارقتك روحك وضاع مالك. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 897

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال: قلت في نفسي: فارقتك روحك وضاع مالك. وزاد بي الحال فجئت إلى الدجلة وحملت ثوبي على وجهي والقيت نفسي في البحر. ففطنت بي الحاضرون وقالوا: إن ذلك لعظيم همّ حصل له. فرموا ارواحهم خلفي واطلعوني وسألوني عن أمري، فأخبرتهم بما حصل لي، فتأسّفوا لذلك. ثم جاءني شيخ منهم وقال: قد ذهب مالك وكيف تتسبّب في ذهاب روحك فتكون من أهل النار؟ قم معي حتى أرى منزلك. ففعلت ذلك، فلما وصلنا إلى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن ما بي فشكرته على ذلك ثم انصرف. فلما خرج من عندي كدت أن اقتل روحي فتذكّرت الآخرة والنار، فخرجت من بيتي هارباً إلى بعض الأصدقاء فأخبرته بما جرى لي. فبكى رحمة لي وأعطاني خمسين ديناراً وقال: إقبل رايي واخرج في هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك إلى أن يشتغل قلبك عن حبها وتسلو عنها، وأنت من أولاد أهل الإنشاء والكتابة وخطك جيد وأدبك بارع، فاقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريتك. فسمعت منه وقد قوّى عزمي وزال عني بعض همّي وعزمت على اني أقصد أرض واسط لأن لي بها أقارب. فخرجت إلى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون إليها أمتعة وقماشًا فاخراً، فسألتهم أن يأخذوني معهم. فقالوا: إن هذه السفينة لرجل هاشمي لا يمكننا أخذك على هذه الصورة. فرغّبتهم في الأجرة. فقالوا: إن كان ولا بد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منّا. فرجعت واشتريت شيئًا من ثياب الملاحين ولبسته وجئت إلى السفينة وكانت متوجهة إلى البصرة، فنزلت معهم فما كان إلا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان يخدمانها. فسكن ما كان عندي من الغيظ وقلت في نفسي: ها أنا أراها وأسمع غناءها إلى البصرة. فما أسرع أن جاء الهاشمي راكباً ومعه جماعة، فنزلوا في تلك السفينة وانحدرت بهم، وأخرج الطعام فأكل هو والجارية وأكل الباقون في وسط السفينة. ثم قال الهاشمي للجارية: كم هذا التمنّع عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء؟ ما أنت أول من فارق من يحب؟ فعلمت ما كان عندها من أمر حبي. ثم ضرب ساتراً على الجارية في جانب السفينة واستدعى الذين كانوا في ناحيتي وجلس معهم خارج الستارة، فسألت عنهم فإذا هم إخوته. ثم أخرج لهم ما يحتاجون إليه من الخمر والنقل، ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء إلى أن استدعت بالعود وأصلحته وأخذت تغنّي فأنشدت هذين البيتين: [من الكامل]

بانَ الخَليطُ بِمَنْ أُحِبُّ فأدْلَجُوا ... وعَنِ السُّرَى بَمُناي لَمْ يَتَحَرَّجُوا
والصَّبُّ بَعْدَ أنِ ٱسْتَقَلَّ رِكابُهُمْ ... جَمْرُ الغضا في قَلْبِهِ يَتَأَجَّجُ

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء، فتنغّص القوم ووقعت أنا مغشياً عليّ، فظن القوم أني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني. ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء إلى ان أصلحت العود وأخذت تغني فانشدت هذين البيتين : [من الكامل]

فَوَقَفْتُ أَنْدُبُ ظاعِنِينَ تَحَمَّلُوا ... هُمْ في الفُؤَادِ وإنْ نأوْا وتَرَحَّلُوا

وَوَقَفْتُ بالأَطْلالِ أَسْأَلُ عَنْهُمُ ... والدَّارُ قَفْرٌ والمَنازِلُ بَلْقَعُ

ثم وقعت مغشياً عليها. وارتفع البكاء من الناس وصرخت أنا ووقعت مغشياً عليّ. وضجّ الملاحون مني فقال بعض غلمان الهاشمي : كيف حملتم هذا المجنون؟ ثم قال بعضهم لبعض : إذا وصلتم إلى بعض القرى فاخرجوه وأريحونا منه. فحصل لي من ذلك همّ عظيم وعذاب أليم فتجلّدت غاية التجلّد وقلت في نفسي : لا حيلة لي في الخلاص من أيديهم إلا إذا أعلمتها بمكاني من السفينة لتمتنع من إخراجي. ثم سرنا حتى وصلنا إلى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة : اصعدوا بنا إلى الشاطىء. فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء، فقمت حتى صرت خلف الستارة وأخذت العود وغيّرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التي قد تعلّمتها مني ثم رجعت إلى موضعي من السفينة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 898

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الفتى قال : ثم رجعت إلى موضعي من السفينة. وبعد ذلك نزل القوم من الشاطىء ورجعوا إلى مواضعهم في السفينة وقد انبسط القمر على البر والبحر. فقال الهاشمي للجارية : بالله عليك لا تنغّصي علينا عيشنا. فأخذت العود وجسّته بيدها وشهقت، فظنوا ان روحها قد خرجت. ثم قالت : والله إن أستاذي معنا في هذه السفينة. فقال الهاشمي : والله لو كان معنا ما ضيّعته من معاشرتنا لأنه ربما كان يخفّف ما بك فننتفع بغنائك، ولكن كونه في السفينة أمر بعيد. فقالت : لا أقدر على ضرب العود وتقليب الأهوية ومولاي معنا. قال الهاشمي : نسأل الملاحين. فقالت : إفعل. فسألهم وقال : هل حملتم معكم أحداً؟ فقالوا : لا. وخفت أن ينقطع السؤال فضحكت وقلت : نعم أنا أستاذها وعلّمتها حين كنت سيدها. فقالت : والله إن هذا كلام مولاي. فجاءني الغلمان وأخذوني إلى الهاشمي. فلما رآني عرفني فقال : ويحك، ما هذا الذي انت فيه؟ وما أصابك حتى صرت في هذه الحالة؟ فحكيت له ما جرى من أمري وبكيت، وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمي هو وإخوته بكاء شديداً رأفة بي. ثم قال : والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء إلى اليوم، وأنا رجل قد وسّع الله عليّ وإنما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاقي من أمير المؤمنين وقد بلغت الأمرين، ولما أردت الرجوع إلى وطني قلت في نفسي : أسمع شيئًا من غناء بغداد. فاشتريت هذه الجارية ولم أعلم إنكما على هذه الحالة. فأنا أشهد الله على أن هذه الجارية إذا وصلت إلى البصرة أعتقها وأزوّجك إياها وأجري لكما ما يكفيكما وزيادة، ولكن على شرط أني إذا أردت السماع يضرب لها ستارة وتغني من خلف الستارة، وأنت من جملة إخواني وندمائي. ففرحت بذلك. ثم إن الهاشمي أدخل رأسه في الستارة وقال لها : أيرضيك ذلك. فأخذت تدعو له وتشكره. ثم استدعى بغلام له وقال له :

خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه والبسه ثياباً فاخرة وبخّره وقدّمه إلينا . فأخذني الغلام وفعل بي ما أمره سيده وقدّمني إليه ، فوضع بين يدي الشراب مثل ما وضعه بين أيديهما . ثم اندفعت الجارية تغني بأحسن النغمات وتنشد هذه الأبيات : [من الخفيف]

عَيَّرُونِي بأَنْ سَكَبْتُ دُمُوعِي ... حِينَ جاءَ الحَبِيبُ لِلتَّودِيعِ
لَمْ يَذُوقُوا طَعْمَ الفِراقِ ولا مَا ... أَحْرَقَتْ لَوْعَةُ الأَسَى مِنْ ضُلُوعِي
إنَّما يَعْرِفُ الغَرامَ كَئِيبٌ ... ساقِطُ القَلْبِ بَينَ تِلْكَ الرُّبُوعِ

قال : فطرب القوم من ذلك طرباً شديداً ، وزاد فرح الفتى بذلك حتى أخذ العود من الجارية وضرب به على أحسن النغمات وانشد هذه الأبيات : [من الخفيف]

إسْأَلِ المَعْرُوفَ إنْ سَأَلْتَ كَرِيماً ... لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الغِنَى واليَسارا
فَسؤَالُ الكَرِيمِ يُورِثُ عِزّاً ... وسُؤَالُ اللَّئِيمِ يُورِثُ عارا
وإذا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدٌّ ... فالقَ بِالذُّلِّ إنْ سَأَلْتَ الكِبارا
لَيْسَ إجْلاَلُكَ الكَرِيمَ بِذُلٍّ ... إنَّما الذُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصِّغارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم . ولم يزالوا في فرح وسرور وأنا أغني ساعة والجارية ساعة إلى أن جئنا إلى بعض السواحل ، فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وصعدت أنا أيضاً وكنت سكران ، فقعدت أبوّل فغلبني النوم فنمت ، ورجعت الركاب إلى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بي لأنهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة إلى الجارية ولم يبق معي شيء . ووصلوا إلى البصرة ولم أنتبه إلا من حرّ الشمس . فقمت في ذلك والتفت فما رأيت أحداً ونسيت أن أسأل الهاشمي عن اسمه وأين داره بالبصرة وبأي شيء يعرف ؟ وبقيت حيراناً وكأن ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام . ولم أزل متحيّراً حتى اجتازت بي مركب عظيمة ، فنزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت أعرف بها أحداً ولا أعرف بيت الهاشمي . فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 899

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيران وهو لا يعرف أحداً ولا يعرف دار الهاشمي قال : فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وقعدت أكتب . فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنساً فسألني عن أمري ، فأخبرته أني غريب فقير . فقال : أتقيم عندي ؟ ولك في كل يوم نصف درهم وأكلك وكسوتك ، وتضبط لي حساب دكاني . فقلت له : نعم . وأقمت عنده وضبطت أمره ودبّرت له دخله وخرجه . فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فشكرني على ذلك . ثم إنه جعل لي في كل يوم درهماً إلى أن حال الحول ، فدعاني أن أتزوج بابنته ويشاركني في الدكان . فأجبته إلى ذلك ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان إلا أني منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن . وكان البقال يشرب ويدعوني إلى ذلك فأمتنع حزناً ، فاستمرّيت على تلك الحالة مدة سنتين . فبينما أنا في الدكان وإذا بجماعة معهم طعام وشراب . فسألت البقال عن القضية فقال :

هذا يوم المتنعمين، يخرج فيه أهل الطرب واللعب والفتيان من ذوي النعمة إلى شاطىء البحر، يأكلون ويشربون بين الأشجار على نهر الأيلة. فدعتني نفسي إلى الفرجة على هذا الأمر وقلت في نفسي: لعلي إذا شاهدت هؤلاء الناس اجتمع بمن احب. فقلت للبقال: إني أريد ذلك. فقال: شانك والخروج معهم. ثم جهّز لي طعاماً وشراباً وسرت حتى وصلت إلى نهر الأيلة فإذا الناس منصرفون، فأردت الإنصراف معهم وإذا بريس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الأيلة. فصحت عليهم فعرفني هو ومن معه واخذوني عندهم وقالوا لي: ها انت حيّ. وعانقوني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها. فقالوا لي: إنّا ظننا أنه قوي عليك السكر وغرقت في الماء. فسألتهم عن حال الجارية فقالوا: إنها لما علمت بفقدك مزّقت ثيابها واحرقت العود واقبلت على اللطم والنحيب. فلما رجعنا مع الهاشمي إلى البصرة قلنا لها: اتركي هذا البكاء والحزن. فقالت: أنا ألبس السواد واجعل لي قبراً في جانب هذه الدار، فاقيم عند ذلك القبر واتوب عن الغناء. فمكّناها من ذلك وهي على تلك الحالة إلى الآن. ثم اخذوني معهم، فلما وصلت إلى الدار رايتها على تلك الحالة، فلما رآتني شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت أنها ماتت، فاعتنقتها عناقاً طويلاً. ثم قال لي الهاشمي: خذها. فقلت: نعم ولكن اعتقها كما وعدتني وزوّجني بها. ففعل ذلك ودفع إلينا امتعة نفيسة وثياباً كثيرة وفرشاً وخمسمائة دينار وقال: هذا مقدار ما أردت إجراءه لكما في كل شهر، ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية. ثم اخلى لنا داراً وامر بأن ينقل إليها جميع ما نحتاج إليه. فلما توجهت إلى تلك الدار وجدتها قد غمرت بالفرش والقماش وحملت إليها الجارية. ثم إنني جئت إلى البقال واخبرته بجميع ما حصل لي وسألته أن يجعلني في حلّ من طلاق ابنته من غير ذنب، ودفعت إليها مهرها وما يلزمني واقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين، وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لي حالتي التي كنت فيها أنا والجارية في بغداد، وقد فرج الله الكريم عنّا، وأسبغ جزيل النعم علينا وجعل مآل صبرنا إلى الظفر بالمراد. فله الحمد في المبتدأ والميعاد والله أعلم.

80 - حكاية الملك جليعاد والشماس

ومما يحكى أيضا أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان ملك في بلاد الهند، وكان ملكاً عظيماً طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسناً للفقراء محبًا للرعية ولجميع أهل دولته وكان اسمه جليعاد. وكان تحت يده في مملكته إثنان وسبعون ملكاً، ولبلاده ثلاثمائة وخمسون قاضياً، وكان له سبعون وزيراً وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيساً وكان أكبر وزرائه شخص يقال له: شماس. وكان عمره اثنين وعشرين سنة. وكان حسن الخلق والطباع لطيفاً في كلامه لبيباً في جوابه حاذقًا في جميع أموره، حكيماً مدبراً رئيساً مع صغر سنه، عارفاً بكل حكمة وادب، وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل إليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما أعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية. وكان ذلك الملك عادلاً في مملكته حافظاً لرعيته مواصلاً كبيرهم وصغيرهم بالإحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والأمان والطمأنينة ومخفّفاً للخراج عن كامل الرعية، وكان محبّاً لهم كبيراً وصغيراً ومعاملاً لهم بالإحسان إليهم والشفقة عليهم، وأتى في حسن سيرته بينهم بما لم يأت به أحد قبله، ومع

هذا كله لم يرزقه الله تعالى بولد. فشقّ ذلك عليه وعلى أهل مملكته. فاتفق أن الملك كان مضطجعًا في ليلة من الليالي وهو مشغول الفكر في عاقبة امر مملكته، ثم غلب عليه النوم فرأى في منامه كأنه يصبّ ماء في أصل شجرة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 900

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان الملك رأى في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة، وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة، وإذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة وأحرقت جميع ما كان حولها من الأشجار. فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعًا مرعوباً واستدعى أحد غلمانه وقال له: إذهب بسرعة وائتني بشماس الوزير عاجلاً. فذهب الغلام إلى شماس وقال له: إن الملك يدعوك في هذه الساعة لأنه انتبه من نومه مرعوباً فأرسلني إليك لتحضر عنده عاجلاً. فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه إلى الملك ودخل عليه فرآه قاعدًا على فراشه، فسجد بين يديه داعياً له بدوام العز والنعم. وقال له: لا احزنك الله أيها الملك، ما الذي اقلقك في هذه الليلة؟ وما سبب طلبك إياي بسرعة؟ فأذن له الملك بالجلوس فجلس، وصار الملك يقصّ عليه ما رأى قائلاً: إني رأيت في ليلتي هذه منامًا اهالني، وهو كأني اصب ماء في أصل شجرة، وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة. فبينما أنا في هذه الحالة وإذا بنار قد خرجت من أصل تلك الشجرة وأحرقت جميع ما حولها من الأشجار، ففزعت من ذلك وأخذني الرعب. فانتبهت عند ذلك وارسلت دعوتك لكثرة معرفتك ولما أعلمه من اتّساع علمك وغزارة فهمك. فأطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسّم. فقال له الملك: ماذا رأيت يا شماس؟ اصدقني الخبر ولا تخف عني شيئًا. فأجابه شماس وقال له: أيها الملك، إن الله تعالى خوّلك واقرّ عينك وامر هذه الرؤيا يؤول إلى كل خير، وهو أن الله تعالى يرزقك ولدًا ذكرًا يكون وارثاً للملك عنك من بعد طويل عمرك، غير انه يكون فيه شيء لا احب تفسيره في هذا الوقت لأنه غير موافق لتفسيره. ففرح الملك بذلك فرحاً عظيمًا وزاد سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه وقال: إن كان الأمر كذلك من حسن تأويل هذا المنام فكمّل لي تأويله إذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله، فالذي لا ينبغي تأويله الآن ينبغي ان تؤوّله لي إذا آن آوانه لأجل ان يكمل فرحي لأني لا ابتغي بذلك غير رضى الله سبحانه وتعالى. فلما رأى شماس من الملك أنه مصمم على تمام تفسيره، احتج له بحجة دفع بها عن نفسه. فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للأحلام الذين في مملكته، فحضروا جميعا بين يديه وقصّ عليهم ذلك المنام وقال لهم: أريد منكم ان تخبروني بصحة تفسيره. فتقدم واحد منهم وأخذ إذناً من الملك بالكلام فلما اذن له قال: أعلم ايها الملك ان وزيرك شمّاساً ليس بعاجز عن تفسير ذلك، وإنما هو احتشم منك وسكّن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية. ولكن إذا أذنت لي بالكلام تكلّمت. فقال له الملك: تكلّم أيها المفسّر بلا احتشام واصدق في كلامك. فقال المفسّر: أعلم أيها الملك أنه يظهر منك غلام يكون وارثاً للملك عنك بعد طول حياتك ولكنه لا يسير في الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما اصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى. فقال الملك: وما حكاية السنور والفار؟

فقال المفسّر : اطال الله عمر الملك ، إن السنور وهو القط سرج ليلة من الليالي إلى شيء يفترسه في بعض الغيطان فما وجد شيئًا وضعف من شدّة البرد والمطر الذي صار في تلك الليلة ، فاخذ يحتال لنفسه بشيء . فبينما هو دائر على تلك الحالة إذ راى وكراً في أسفل شجرة ، فدنا منه وصار يشمشم ويدندن حتى أحس بأن داخل الوكر فأر ، فحاوله وهمّ بالدخول عليه لكي ياخذه . فلما أحس به الفأر أعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسدّ باب الوكر عليه ، فعند ذلك صار السنور يصوت صوتاً ضعيفاً ويقول له : لم تفعل ذلك يا اخي ؟ وانا ملتجىء إليك لتفعل معي رحمة ؟ بأن تقرني في وكرك هذه الليلة لأني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوّتي ولست أقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة وكم دعوت بالموت على نفسي لكي أستريح ، وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر واسألك بالله من صدقتك ان تأخذ بيدي وتدخلني عندك وتأويني في دهليز وكرك لأني غريب ومسكين . وقد قيل : من آوى بمنزله غريباً مسكيناً كان مأواه الجنة يوم الدين . فانت يا أخي حقيق بأن تكسب اجري وتاذن لي في ان ابيت عندك هذه الليلة إلى الصباح ثم اروح إلى حال سبيلي . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 901

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السنور لما قال للفأر : أتأذن لي أن أبيت عندك هذه الليلة ثم اروح إلى حال سبيلي . فلما سمع الفار كلام السنور قال له : كيف تدخل وكري وانت لي عدو بالطبع ومعاشك من لحمي ؟ واخاف ان تغدر بي لأن ذلك من شيمتك لأنه لا عهد لك . وقد قيل : لا ينبغي الأمان للرجل الزاني على المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب وليس بواجب عليّ أن أستأمنك على نفسي . وقد قيل : عداوة الطبع كلما ضعف صاحبها كانت اقوى . فأجاب السنور قائلاً باخمد صوت واسوأ حال : إن الذي قلته من المواعظ حق ولست أنكر عليك ، ولكن أسألك الصفح عن ما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لأنه قد قيل : من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه . وقد كنت قبل ذلك عدواً لك وها انا اليوم طالب صداقتك . وقد قيل : إذا اردت أن يكون عدوّك لك صديقًا فافعل معه خيراً . وانا يا اخي أعطيك عهد الله وميثاقه اني لا اضرّك ابدًا ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك ، فثق بالله وافعل خيرًا واقبل عهدي وميثاقي . فقال الفأر : كيف أقبل عهد من تأسّست العداوة بيني وبينه وعادته ان يغدر بي ؟ ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الأشياء غير الدم لهان عليّ ذلك ، ولكنها عداوة طبيعية بين الأرواح . وقد قيل : من استأمن عدوّه على نفسه كان كمن أدخل يده في فم الأفعى . فقال السنور وهو ممتلىء غيظاً : قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها أنا في النزع وعن قليل أموت على بابك ويبقى إثمي عليك لأنك قادر على نجاتي مما أنا فيه وهذا آخر كلامي معك . فحصل للفأر خوف من الله تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه : من اراد المعونة من الله تعالى على عدوّه فليصنع معه رحمة وخيراً ، وانا متوكّل على الله في هذا الأمر وانقذ هذا السنور من هذا الهلاك لأكسب اجره . فعند ذلك خرج الفأر إلى السنور وادخله في وكره سحباً ، فأقام عنده إلى ان اشتدّ واستراح وتعافى قليلاً فصار يتاسف على ضعفه

وذهاب قوّته وقلة أصدقائه، فصار الفأر يترفّق به ويأخذ بخاطره ويتقرّب منه ويسعى حوله. وأما السنور فإنه زحف إلى الوكر حتى ملك المخرج خوفاً أن يخرج منه الفأر. فلما أراد الخروج، قرب من السنور على عادته فلما صار قريباً منه قبض عليه وأخذه بين أظافيره وصار يعضه وينثره ويأخذه في فمه ويرفعه عن الأرض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذّبه. فعند ذلك استغاث الفأر وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول: أين العهد الذي عاهدتني به؟ وأين أقسامك التي أقسمت بها؟ أهذا جزائي منك وقد أدخلتك وكري واستأمنتك على نفسي؟ ولكن صدق من قال: من أخذ عهداً من عدوّه لا يبتغي لنفسه نجاة. ومن قال: من سلّم نفسه لعدوّه كان مستوجباً لنفسه الهلاك. ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخلّصني منك. فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد أن يهجم عليه ويفترسه وإذا برجل صياد معه كلاب جارية معودة بالصيد، فمرّ منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن أن فيه ثعلباً يفترس شيئاً، فاندفع الكلب منحدراً ليصطاده فصدف السنور فجذبه إليه. فلما وقع السنور بين يدي الكلب التهى بنفسه وأطلق الفأر حيّاً ليس فيه جرح، وأما هو فإنه خرج به الكلب الجارح بعد أن قطع عصبه ورماه ميتاً. وصدق في حقهما قول من قال: من رحم رحم آجلاً ومن ظلم ظلم عاجلاً. هذا ما جرى لهما أيها الملك، فلذلك لا ينبغي لأحد أن ينقض عهد من استأمنه، ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للسنور، لأنه كما يدين الفتى يدان، ومن يرجع إلى الخير ينل الثواب. ولكن لا تحزن أيها الملك ولا يشق عليك ذلك لأن ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود إلى حسن سيرتك وإن هذا العالم الذي هو وزيرك شماس أحب أن لا يكتم عليك شيئاً فيما رمزه إليك وذلك رشد منه. لأنه قد قيل: أكثر الناس خوفاً أوسعهم علماً وأغبطهم خيراً. فأذعن الملك عند ذلك وأمر لهم بإكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكّر في عاقبة أمره. فلما كان الليل أفضى إلى بعض نسائه وكانت أكرمهن عنده وأحبهن إليه فراقدها. فلما مضى لها نحو أربعة أشهر تحرّك الحمل في بطنها، ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأعلمت الملك بذلك. فقال: صدقت رؤياي والله المستعان. ثم إنه أنزلها أحسن المنازل وأكرمها غاية الإكرام وأعطاها أنعاماً جزيلاً وخوّلها بشيء كثير. وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وأرسله ليحضر شماساً. فلما حضر حدّثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلاً: قد صدقت رؤياي واتصل رجائي، فلعل ذلك الحمل يكون ولداً ذكراً ويكون وارثاً لملكي. فما تقول يا شماس في ذلك؟ فسكت شماس ولم ينطق بجواب. فقال له الملك: ما لي أراك لا تفرح لفرحي ولا ترد لي جواباً؟ يا ترى هل كاره لهذا الأمر يا شماس؟ فسجد عند ذلك شماس بين يدي الملك وقال: أيها الملك أطال الله عمرك، ما الذي ينفع المستظل بشجرة إذا كانت النار تخرج منها؟ وما لذة شارب الخمر الصافي إذا حصل له بها الشرق؟ وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد إذا غرق فيه؟ وإنما أنا عبد لله ولك أيها الملك. ولكن قد قيل ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن يتكلم في شأنها إلا إذا تمّت: المسافر حتى يرجع من سفره، والذي في الحرب حتى يقهر عدوّه، والمرأة الحامل حتى تضع حملها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 902

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الوزير شماس لما قال للملك : ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم في شأنها إلا إذا تمّت . قال له بعد ذلك : فاعلم أيها الملك ان المتكلم في شأن شيء لم يتم مثل الناسك المدفوق على رأسه السمن . فقال له الملك : وكيف حكاية الناسك ؟ وما جرى له ؟ فقال له : أيها الملك ، إنه كان إنسان عند شريف من أشراف بعض المدن ، وكان للناسك جراية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلاثة أرغفة مع قليل من السمن والعسل . وكان السمن في ذلك البلد غالياً وكان الناسك يجمع الذي يجيء إليه في جرّة عنده حتى ملأها وعقلها فوق رأسه خوفاً واحتراساً . فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده إذ عرض له فكر في أمر السمن وغلائه فقال في نفسه : ينبغي ان ابيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشتري بثمنه نعجة واشارك عليها احداً من الفلاحين ، فإنها في اول عام تلد ذكراً وانثى ، وثاني عام تلد انثى وذكراً ، ولا تزال هذه الغنم تتوالد ذكوراً وإناثاً حتى تصير شيئًا كثيراً . واقسم حصتي بعد ذلك وأبيع فيها ما شئت واشتري الأرض الفلانية وانشىء فيها غيطاً وابني فيها قصراً عظيماً واقني ثياباً وملبوساً واشتري عبيداً وجواري واتزوج بنت التاجر الفلاني وأعمل عرسًا ما صار مثله قط ، واذبح الذبايح وأعمل الأطعمة الفاخرة والحلويات والملبسات وغيرها ، واجمع فيه اهل الملاعب والفنون وآلات السماع . وأجهز الأزهار والمشمومات وأصناف الرياحين ، أدعو الأغنياء والفقراء والعلماء والرؤساء وأرباب الدولة ، وكل من طلب شيئًا احضرته إليه . وأجهز أنواع المآكل والمشارب ، وأطلق منادياً ينادي : من يطلب شيئًا يناله . وبعد ذلك ادخل على عروستي بعد جلائها واتمتّع بحسنها وجمالها ، وآكل واشرب واطرب واقول لنفسي : قد بلغت مناك واستريح من النسك والعبادة . وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاماً ذكراً ، فافرح به واعمل له الولائم واربيه في الدلال ، واعلمه الحكمة والأدب والحساب ، واشهر اسمه بين الناس وافتخر به عند أرباب المجالس وآمره بالمعروف فلا يخالفني ، وأنهاه عن الفاحشة والمنكر وأوصيه بالتقوى وفعل الخير وأعطيه العطايا الحسنة السنيّة . فإن رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة ، وإن رأيته مال إلى المعصية انزل عليه بهذه العصا . ورفعها ليضرب بها ولده فأصابت جرة السمن التي فوق رأسه فكسرتها ، فعند ذلك نزلت بشقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة . فلأجل ذلك أيها الملك ، لا ينبغي للإنسان أن يتكلم على شيء قبل أن يصير . فقال له الملك : لقد صدقت فيما قلت ، ونِعم الوزير أنت لكونك بالصدق نطقت وبالخير اشرت ، ولقد صارت رتبتك عندي على ما تحب ولم تزل مقبولاً . فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم وقال له : أدام الله أيامك وأعلى شأنك ، واعلم أنني لست أكتم عنك شيئًا لا في السرّ ولا في العلانية ، ورضاك رضاي وغضبك غضبي ، وليس لي فرح إلا بفرحك ولا يمكنني أن أبيت وانت ساخط عليّ لأن الله تعالى رزقني بكل خير بإكرامك إياي ، فأسأل الله تعالى ان يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه . فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك . ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاماً ذكراً ، فنهض المبشرون إلى الملك وبشّروه بغلامه . ففرح بذلك فرحاً شديداً وشكر الله شكراً جزيلاً وقال : الحمد لله الذي

رزقني ولداً بعد اليأس، وهو الشفوق الرؤوف على عباده. ثم إن الملك كتب إلى سائر أهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم إلى منزله، فحضر له الأمراء والرؤساء والعلماء وأرباب الدولة الذين تحت أمره. هذا ما كان من أمر الملك. وأما ما كان من أمر ولده فإنه قد دقت له البشائر والأفراح في سائر المملكة، واقبل أهلها إلى الحضور من سائر الأقطار، واقبل أهل العلوم والفلسفة والأدباء والحكماء ودخلوا جميعهم إلى الملك ووصل كل منهم إلى حدّ مقامه. ثم أشار إلى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس ان يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شأن ما هو بصدده. فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن الملك في الكلام فأذن له. فقال: الحمد لله الذي انشأنا من العدم إلى الوجود المنعم على عبادة الملوك أهل العدل والإنصاف بما أولاهم من الملك والعمل الصالح وبما أجراه على أيديهم لرعيتهم من الرزق، وخصوصاً ملكنا الذي أحيي به موات بلادنا بما أسداه الله علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل. فأي ملك يصنع بأهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا؟ من القيام بمصالحنا وأداء حقوقنا وإنصاف بعضنا من بعض وقلّة الغفلة عنّا وردّ مظالمنا. ومن فضل الله على الناس ان يكون ملكهم متعهداً لأمورهم وحافظاً من عدوّهم، لأن العدو غاية قصده أن يقهر عدوّه وأن يملكه في يده. وكثير من الناس يقدمون أولادهم إلى الملوك خدماً فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لأجل ان يمنعوا عنهم الأعداء. وأما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء في زمن ملكنا، لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفها وإنما هي فوق ذلك. وأنت أيها الملك حقيق بأنك أهل لهذه النعمة العظيمة، ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك. أحسن الله ثوابك وأدام بقاءك، لأننا كنا قبل ذلك نجدّ في الطلب من الله تعالى ان يمنّ علينا بالإجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولداً صالحاً تقرّ به عيناك، والله سبحانه وتعالى قد تقبّل منا واستجاب دعاءنا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية السمك في غدير الماء

فلما كانت الليلة 903

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير شماس قال للملك: إن الله تعالى قد تقبّل منّا واستجاب دعاءنا وآتانا الفرج القريب مثل ما آتى بعض السمك في غدير الماء. فقال الملك: وما حكاية السمك؟ وكيف ذلك؟ فقال شماس: أعلم أيها الملك أنه كان في بعض الأماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات. فعرض لذلك الغدير أنه قلّ ماؤه وصار ينضم بعضه إلى بعض ولم يبق من الماء ما يسعفها فكادت أن تهلك وقالت: ما عسى ان يكون من أمرنا؟ وكيف نحتال؟ ومن نستشيره في نجاتنا؟ فقامت سمكة منهن وكانت أكبرهن عقلاً وسناً وقالت: ما لنا حيلة في خلاصنا لا الطلب من الله، ولكن نلتمس الرأي من السرطان فإنه أكبرنا. فهلمّوا بنا إليه لننظر ما يكون من رأيه لأنه أكثر منا معرفة بحقائق الكلام. فاستحسنوا رأيها وجاؤوا بأجمعهم إلى السرطان فوجدوه رابضاً في موضعه وليس عنده علم ولا خبر مما هم فيه. فسلّموا عليه وقالوا له: يا سيدنا، أما يعنيك أمرنا وأنت حاكمنا ورئيسنا؟ فأجابهم السرطان قائلاً: وعليكم السلام، ما الذي بكم؟ وما تريدون؟ فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من أمر نقص الماء وإنه متى نشف حصل لهم الهلاك. ثم قالوا له: وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون فيه النجاة لأنك كبيرنا وأعرف منا. فعند ذلك أطرق رأسه ملياً ثم قال: لا شك ان عندكم نقص

عقل ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعًا. الم تعلموا ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب، وقدّر أرزاقهم قبل ان يخلق شيئًا من الأشياء، وجعل لكل شخص عمراً محدوداً ورزقًا مقسوماً بقدرته الإلهية، فكيف نحمل هم شيء في الغيب مسطور؟ والرأي عندي أنه لم يكن أحسن من الطلب من الله تعالى. فينبغي أن كل واحد منا يصلح سريرته مع ربّه في سرّه وعلانيته ويدعو الله ان يخلّصنا وينقذنا من الشدائد، لأن الله تعالى لا يخيب رجاء من توكّل عليه ولا يرد طلب من توسّل إليه. فإذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير ونعمة، وإذا جاء الشتاء وغمر أرضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذي بناه. فالرأي أن نصبر وننتظر ما يفعله الله بنا، فإن كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا، وإن كان يحصل لنا ما يوجب الهروب هربنا ورحلنا من أرضنا إلى حيث يريد الله. فأجاب السمك جميعه من فم واحد: صدقت يا سيدنا جزاك الله عنّا خيراً وتوجه كل واحد منهم إلى موضعه.

فما مضى إلا أيام قلائل وأتاهم الله بمطر شديد حتى ملأ محل الغدير زيادة عما كان أولاً. وهكذا نحن أيها الملك كنا يائسين من ان يكون لك ولد، وحيث منّ الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك، فنسأل الله تعالى ان يجعله ولداً مباركاً وأن يقرّ به عينك ويجعله خليفة صالحة ويرزقنا منه مثل ما رزقنا منك، فإن الله تعالى لا يخيّب من قصده ولا ينبغي لأحد ان يقطع رجاءه من رحمة الله. ثم قام الوزير الثاني وسلّم على الملك فاجابه الملك قائلاً: وعليكم السلام. فقال ذلك الوزير: إن الملك لا يسمى ملكاً إلا إذا أعطى وعدل وحكم وأكرم وأحسن سيرته مع رعيته بإقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس، وأنصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكفّ الأذى عنهم، ويكون موصوفًا بعدم الغفلة عن فقرائهم وإسعاف أعلاهم وأدناهم وإعطائهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعاً داعين له ممتثلين لأمره. لأنه لا شك ان الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرعية، مكتسباً من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضى خالقها. ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك بأن جميع ما وصفناه عندك كما قيل: خير الامور ان يكون ملك الرعية عادلاً وحكيمها ماهراً وعالمها خبيراً عاملاً بعلمه، ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة. وكنا قبل ذلك قد وقعنا في اليأس من حصول ولد لك يرث ملكك، ولكن الله جلّ إسمه لم يخيّب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم أمرك إليه فنعم الرجاء رجاؤك. وقد صار فيك ما صار للغراب والحية. فقال الملك: وكيف ذلك؟ وما حكاية الغراب والحية؟

حكاية الغراب والحيّة

فقال الوزير: أعلم أيها الملك انه كان غراب ساكناً في شجرة هو وزوجته في أرغد عيش إلى ان بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ. فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة فتعلّقت بفروعها إلى أن صعدت إلى عش الغراب وربضت فيه ومكثت مدة أيام الصيف، وصار الغراب مطروداً لا يجد له فرصة ولا موضعاً يرقد فيه. فلما انقضت أيام الحر ذهبت الحية إلى موضعها. فقال الغراب لزوجته: نشكر الله تعالى الذي نجّانا وخلّصنا من هذه الآفة ولو كنا حرمنا من الزاد في هذه السنة، لأن الله تعالى لا يقطع رجاءنا، فنشكره على ما منّ علينا من السلامة وصحة أبداننا وليس لنا اتكال إلا عليه. وإذا أراد الله وعشنا إلى العام القابل عوّض الله علينا نتاجنا. فلما كان وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة، فبينما هي متعلقة ببعض اغصانها

وهي قاصدة عش الغراب على العادة وإذا بحدأة قد انقضّت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها. فعند ذلك سقطت الحية على الأرض مغشياً عليها وطلع عليها النمل فأكلها وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمأنينة، وفرّخا أولاداً كثيرة وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الأولاد. ونحن أيها الملك يجب علينا شكر الله على ما أنعم به عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء، أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 904

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير الثاني لما فرغ من كلامه ختمه بقوله: أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك. ثم قام الوزير الثالث وقال: أبشر أيها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل، لأن كل من تحبه أهل الأرض تحبه أهل السماء، والله تعالى قسم لك المحبة وجعلها في قلوب أهل مملكته فله الشكر وله الحمد منّا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك. واعلم أيها الملك أن الإنسان لا يستطيع شيئًا إلا بأمر الله تعالى وإنه هو المعطي، وكل خير عند شخص إليه ينتهي، قسّم النعم على عبيده كما يحب، فمنهم من أعطاه مواهب كثيرة، ومنهم من شغله بتحصيل القوت، ومنهم من جعله رئيسًا، ومنهم من جعله زاهداً في الدنيا راغباً إليه لأنه هو الذي قال: أنا الضار النافع، أشفي وأمرض وأغني وأفقر وأميت وأحيي وبيدي كل شيء وإليّ المصير فواجب على جميع الناس شكره. وأنت أيها الملك من السعداء الأبرار كما قيل: إن أسعد الأبرار من جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما أقامه ومن تعدّى وطلب غير ما قدّر الله له وعليه، يشبه حمار الوحش والثعلب. قال الملك: وما حديثهما؟

حكاية حمار الوحش والثعلب

قال الوزير: أعلم أيها الملك أن ثعلباً كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه. فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال وإذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشياً وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكايته مع ما افترسه. فقال أحدهما: إنني بالأمس وقعت في حمار وحش وكنت جائعاً وكان لي ثلاثة أيام ما أكلت، ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي سخره لي. ثم إني عمدت إلى قلبه فأكلته وشبعت. ثم رجعت إلى وطني ومضى عليّ ثلاثة أيام لم أجد شيئًا آكله ومع ذلك أنا شبعان إلى الآن. فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه: لا بد لي من أكل قلب حمار الوحش. فترك الأكل أياماً حتى انهزل وأشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض في وطنه. فبينما هو في وطنه ذات يوم من الأيام وإذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش، فأقاما النهار كله في أثره طرداً ثم إن بعضهما رماه بسهم مشعب فأصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور، فأدركه الصيادان فوجداه ميتاً، فأخرجا السهم الذي أصابه في قلبه فلم يخرج إلا العود وبقي السهم مشعباً في بطن حمار الوحش. فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجّر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحاً، ففرح فرحًا شديداً حتى كاد أن يطير من الفرح. فقال: الحمد لله الذي يسّر لي شهوتي من غير تعب لأني كنت لا أؤمل أني

أصيب حمار وحش ولا غيره، ولعل الله لو قع هذا وساقه إليّ في موضعي. ثم وثب عليه وشقّ بطنه وأدخل رأسه وصار يجول بفمه في أمعائه إلى أن وجد القلب فالتقمه بفمه وابتلعه. فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على إدخاله في بطنه ولا على إخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك. فلهذا أيها الملك ينبغي للإنسان أن يرضى بما قسّمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاؤه من مولاه. وها انت أيها الملك بحسن نيتك وإسداء معروفك رزقك الله ولداً بعد اليأس، فنسأل الله تعالى أن يرزقه عمراً طويلاً وسعادة دائمة ويجعله خلفاً مباركاً موفياً بعهدك من بعدك بعد طول عمرك. ثم قام الوزير الرابع وقال: إن الملك إذا كان فهيماً عالماً بأبواب الحكمة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 905

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير الرابع لما قام وقال: إن الملك إذا كان فهيمًا عالماً بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية وإكرام من يحب إكرامه وتوقير من يجب توقيره والعفو عند القدرة فيما لا بد منه ورعاية الرؤساء والمرؤوسين والتخفيف عنهم والإنعام عليهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقاً بالسعادة الدنيوية والأخروية، فإن ذلك مما يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على أعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة الله عليه وتوفيقه لشكره والفوز بعنايته. وإن الملك إذا كان بخلاف ذلك فإنه لم يزل في مصائب وبلايا هو وأهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السائح. فقال الملك: وكيف كان ذلك؟

حكاية ابن الملك السائح

فقال الوزير: أعلم أيها الملك انه كان في بلاد الغرب ملك جار في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيّع لرعاية رعيته ومن يدخل في مملكته. فكان لا يدخل في مملكته أحد إلا وتأخذ عمالة منه أربعة أخماس ماله ويبقون له الخمس لا غير. فقدّر الله أنه كان له ولد سعيد موفق، فلما رأى أحوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سائحاً عابداً لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج في طاعة الله تعالى يسرح في البراري والقفار ويدخل المدن. ففي بعض الأيام دخل تلك المدينة فلما وقف على المحافظين اخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيئًا سوى ثوبين: احدهما جديد والآخر عتيق. فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الإهانة والتحقير. فصار هو يشكو ويقول ويحكم: أيها الظالمون، أنا رجل فقير وسائح وما عسى أن ينفعكم من هذا الثوب؟ وإذا لم تعطوه لي ذهبت للملك وشكوتكم إليه. فأجابوه قائلين: إننا فعلنا ذلك بأمر الملك، فما بدا لك أن تفعله فافعله. فصار السائح يمشي إلى أن وصل إلى بلاد الملك وأراد الدخول فمنعه الحجاب. فرجع وقال في نفسه: ما لي إلا أني أرصده حتى يخرج وأشكو إليه حالي وما أصابني. فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك إذ سمع احد الأجناد يخبر عنه، فأخذ يتقدّم قليلاً قليلاً حتى وقف قبال الباب فما شعر إلا والملك خارج، فعارضه السائح ودعا له بالنصر وأخبره بما وقع له من المحافظين وشكا إليه حاله، وأخبره أنه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طالباً رضاء الله تعالى فصار سائحاً في الارض وكل من وفد عليه من الناس أحسن إليه بما أمكنه، وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة. ثم قال: فلما دخلت هذه المدينة ترجّيت

ان يفعل بي أهلها مثل ما يفعل بغيري من السائحين فعارضني اتباعك ونزعوا أحد أثوابي والهفوني ضرباً. فانظر في شاني وخذ بيدي وخلّص لي ثوبي وانا لا أقيم بهذه المدينة ساعة واحدة. فأجابه الملك الظالم قائلاً: من أشار عليك بدخولك هذه المدينة وأنت غير عالم بما يفعل ملكها؟ فقال: بعد أن آخذ ثوبي إفعل بي مرادك. فلما سمع الملك الظالم من السائح هذا الكلام حصل عنده تغيّر مزاج فقال: أيها الجاهل، نزعنا عنك ثوبك لكي تذلّ، وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندي فأنا أنزع نفسك منك ثم أمر بسجنه. فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب وعنّف نفسه حيث لم يترك ذلك ويفوز بروحه. فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال: يا الله، إنك أنت الحكم العادل، تعلم بحالي وما انطوى عليه أمري مع هذا الملك الجائر، وأنا عبدك المظلوم أسالك من فيض رحمتك أن تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحلّ به نقمتك لأنك لا تغفل عن ظلم كل ظالم. فإن كنت تعلم أنه ظلمني فاحلل نقمتك عليه في هذه الليلة وانزل به عذابك لأن حكمك عدل وأنت غيّاث كل ملهوف، يا من له القدرة والعظمة إلى آخر الدهر. فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين، صار جميع ما فيه من الأعضاء مرعوباً. فبينما هو كذلك وإذا بنار اتقدت في القصر الذي فيه الملك، فأحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح. فانطلق السائح وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى غير تلك المدينة، وأما مدينة الملك الظالم فإنها أحترقت عن آخرها بسبب جور ملكها. وأما نحن أيها الملك السعيد فما نمسي ونصبح إلا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك، مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك. وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفاً من أن يصير علينا ملك غيرك من بعدك، والآن قد أنعم الله بكرمه علينا وأزال عنّا الغمّ وأتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك. فنسأل الله تعالى أن يجعله خليفة صالحة ويرزقه العزّ والسعادة الباقية والخير الدائم. ثم قام الوزير الخامس وقال: تبارك الله العظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 906

□ قالت: بلغني أيها السعيد، أن الوزير الخامس قال: تبارك الله العظيم، مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية. وبعد فإنا تحقّقنا أن الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه. وأنت أيها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والإنصاف بين رعيتك بما يرضي الله تعالى، فلأجل ذلك أعلى الله شانك وأسعد أيامك ووهب هذه العطية الصالحة التي هي هذا الولد السعيد بعد اليأس، وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقطع، لأننا قبل ذلك كنا في هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولد لك، وفي أفكار فيما أنت منطوٍ عليه من عدلك ورأفتك بنا وخوفاً أن يقضي الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك. فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب. فقال الملك: وما حكاية الغراب؟ فأجابه الوزير قائلاً:

حكاية الغراب

أعلم أيها الملك السعيد أنه كان في بعض البراري واد متسع، وكان به أنهار وأشجار وأثمار، وبه أطيار تسبح الله الواحد القهّار خالق الليل والنهار. وكان من جملة الطيور غربان وكانوا في

اطيب عيش، وكان المقدّم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهم، وكانوا معه في أمان وطمأنينة. ومن حسن تصريفهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيور يقدر عليهم. فاتفق أن مقدمهم توفي وجاءه الأمر المحتوم على سائر الخلق، فحزنوا عليه حزناً شديداً. ومن زيادة حزنهم انه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه، فاجتمعوا جميعا وائتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحاً. فطائفة منهم اختاروا غراباً وقالوا: إن هذا يصلح أن يكون ملكًا علينا. وآخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه. فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم، وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على ان يناموا تلك الليلة ولا يبكر أحد إلى السروح في طلب المعيشة غداً بل يصبرون جميعاً إلى الصباح وعند الفجر يكونون مجتمعين في موضع واحد ثم ينظرون إلى كل طير يسبق في الطيران. وقالوا: إنه هو الذي يكون مختاراً عندنا للملك فنجعله ملكاً علينا ونوليه امرنا. فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضاً واتفقوا على هذا العهد. فبينما هم على ذلك الحال إذ طلع باز فقالوا له: يا أبا الخير، نحن اخترناك والياً علينا لتنظر في أمرنا. فرضي الباز بما قالوه وقال لهم: إن شاء الله تعالى سيكون لكم مني خير عظيم. ثم إنهم بعدما ولّوه عليهم صار كل يوم إذا سرح وسرح الغربان يستفرد بأحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقي. ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به فرأوا غالبهم قد هلك. فأيقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض: كيف نصنع وقد هلك أكثرنا؟ وما انتهينا حتى هلك أكابرنا؟ فينبغي لنا أن نتحفظ لأنفسنا. فلما أصبحوا نفروا منه وتفرّقوا من حوله. ونحن الآن نخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك. ولكن قد منّ الله علينا بهذه النعمة ووجهك إلينا ونحن واثقون الآن بالصلاح وجمع الشمل والأمن والأمانة والسلامة في الوطن. فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل، وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا وإياه السعادة العظمى وجعله سعيد الوقت قائم الجد. ثم قام الوزير السادس وقال: هناك الله أيها الملك بأحسن الهناء في الدنيا والآخرة. فقد تقدّم من قول المتقدّمون: ان من صلّى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربه وهو راض عنه. وقد وليت علينا فعدلت، فكنت في ذلك سعيد الحركات. فنسأل الله تعالى ان يجزل ثوابك ويأجرك على إحسانك. وقد سمعت ما قال هذا العالم فيما نتخوّف من حرمان حظنا بعدم الملك وبوجود ملك آخر لا يكون نظيره، فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الإختلاف. وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فالواجب علينا أن نبتهل إلى الله تعالى بالدعاء لعله يهب للملك ولداً سعيداً ويجعله وارثاً للملك بعده. ثم بعد ذلك ربما كان الذي يحبه الإنسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة له، وحينئذ لا ينبغي للإنسان ان يسأل ربه أمراً لا يدري عاقبته لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب إليه من نفعه، فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما أصاب الحاوي وزوجته وأولاده وأهل بيته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 907

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير السادس لما قال للملك: إن الإنسان لا ينبغي له ان يسأل ربه شيئًا لا يدري عاقبته، لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب إليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه ما أصاب الحاوي وأولاده وزوجته واهل بيته. فقال الملك: وما حكاية الحاوي وأولاده وزوجته واهل بيته؟

فقال الوزير : أعلم أيها الملك انه كان إنسان حاوياً وكان يربي الحيّات وهذه كانت صنعته . وكان عنده سلّة كبيرة فيها ثلاث حيّات لم يعلم بها أهل بيته ، وكان كل يوم يخرج يدور بها في المدينة ويتسبّب بها لتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء إلى بيته ويضع الأحناش في السلّة سراً وعند الصباح يأخذها ويدور بها في المدينة . فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعرف أهل بيته بما في السلة . فاتفق أنه لما عاد الحاوي إلى بيته على جري عادته سألته زوجته وقالت له : ما في هذه السلة ؟ فقال لها الحاوي : وما مرادك منها ؟ أليس الزاد عندكم كثير زائد ؟ فاقنعي بما قسم الله لك ولا تسألي عن غيره . فسكتت عنه تلك المراة وصارت تقول في نفسها : لا بد لي ان افتش هذه السلة واعرف ما فيها . وصمّمت على ذلك واعلمت أولادها واكدت عليهم ان يسألوا والدهم عن تلك السلة ويلحّوا عليه في السؤال لأجل ان يخبرهم . فعند ذلك تعلّق خاطر الأولاد بأن فيها شيئًا يؤكل ، فصار الأولاد كل يوم يطلبون من أبيهم أن يريهم ما في السلة ، وكان أبوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال . فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وأمهم تحثّهم على ذلك . ثم اتفقوا معها على أنهم لا يذوقون طعاماً ولا يشربون شراباً لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة . فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ حضر الحاوي ومعه شيء كثير من الأكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فأبوا الحضور إليه وبيّنوا له الغيظ ، فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم : أنظروا ماذا تريدون حتى أجيء به إليكم أكلا وشرباً وملبوساً . فقالوا له : يا والدنا ، ما نريد منك إلا فتح هذه السلة لننظر ما فيها وإلا قتلنا انفسنا . فقال لهم : يا أولادي ، ليس لكم فيها خير وإنما فتحها ضرر لكم . فعند ذلك ازدادوا غيظاً . فلما رآهم على هذه الحالة اخذ يهددهم ويشير لهم بالضرب إن لم يرجعوا عن تلك الحالة ، فلم يزدادوا إلا غيظاً ورغبة في السؤال . فعند ذلك غضب عليهم واخذ عصا ليضربهم بها فهربوا قدامه في الدار وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوي في مكان ، فخلّت المراة الرجل مشغولاً بالأولاد وفتحت السلة بسرعة لكي تنظر ما فيها وإذا بالحيّات قد خرجوا من السلة ولدغوا المراة اولاً فقتلوها . ثم داروا في الدار واهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوي ، فترك الحاوي الدار وخرج . فلما تحقّقت ذلك أيها الملك السعيد علمت ان الإنسان ليس له ان يتمنى شيئًا غير الذي لم يرده الله تعالى ، بل يطيب نفساً بما قدره الله له واراده . وها أنت أيها الملك مع غزارة عملك وجودة فهمك اقرّ الله عينك بحضور ولد لك بعد اليأس وطيب قلبك . ونحن نسأل الله تعالى أن يجعله من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى والرعية . ثم قام الوزير السابع وقال : أيها الملك ، إني قد علمت وتحقّقت ما ذكره لك إخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلّموا به في حضرتك أيها الملك ، وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميّزت به عمن سواك من الملوك حيث فضّلوك عنهم ، وذلك من بعض الواجب علينا أيها الملك . واما أنا فاقول : الحمد لله الذي تولاك لنعمته واعطاك صلاح الملك برحمته واعانك وإيانا على ان نزيده شكراً وما ذاك إلا بوجودك ، وما دمت فينا لم نتخوف جوراً ولا نبغي ظلماً ولا يستطيع احد أن يستطيل علينا مع ضعفنا . وقد قيل : إن أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلاً وشرهم من كان ملكهم جائراً . وقيل ايضاً : السكنى مع الأسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر . فالحمد لله تعالى على ذلك حمداً دائماً حيث

أنعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والطعن في السن، لأن أجلّ العطايا في الدنيا الولد الصالح. وقد قيل: من لا ولد له لا عاقبة ولا ذكر. وأنت بقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى أعطيت هذا الولد السعيد، فجاءك هذا الولد المبارك منّة من الله تعالى علينا وعليك، بحسن سيرتك وجميل صبرك. وصار فيك ذلك مثل ما صار في العنكبوت والريح. فقال الملك: وما حكاية العنكبوت والريح؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية العنكبوت والريح

فلما كانت الليلة 908

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك قال للوزير: وما حكاية العنكبوت والريح؟ فقال الوزير: أعلم أيها الملك أن عنكبوتة تعلّقت في باب متنحٍّ عالٍ وعملت لها بيتاً وسكنت فيه بأمان، وكانت تشكر الله تعالى الذي يسّر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام. فمكثت على هذا الحال مدة من الزمان وهي شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها. فامتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها، فأرسل إليها ريحاً عاصفاً شرقياً فحملها ببيتها ورماها في البحر، فجرّتها الأمواج إلى البر. فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها: أيتها الريح، لم فعلت بي ذلك؟ وما الذي حصل لك من الخير في نقلي من مكاني إلى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة في بيتي بأعلى ذلك الباب؟ فقال لها الريح: انتهي عن العتاب فإني سأرجع بك وأوصلك إلى مكانك كما كنت أولاً. فلبثت العنكبوت صابرة على ذلك راجية أن ترجع إلى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها، وهبت ريح الجنوب فمرّت بها واختطفتها وطارت بها إلى جهة ذلك البيت. فلما مرّت به عرفته فتعلّقت به. ونحن نسأل الله الذي أثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنّه، ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرّة عين ووهب له ما وهب من الملك والسلطان، فرحم رعيته وأولاهم نعمته. فقال الملك: الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر، لا إله إلا هو خالق كل شيء، الذي عرّفنا بنور آثاره جلال عظمته، يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لأنه ينتخب منهم من يشاء ليجعله خليفة ووكيلاً على خلقه، ويأمره فيهم بالعدل والإنصاف وإقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والإستقامة في أمورهم على ما أحب وأحبوا. فمن عمل منهم بما أمر الله كان لحظه مصيباً ولأمر ربه مطيعاً، فيكفيه هول دنياه ويحسن جزاءه في أخراه إنه لا يضيع أجر المحسنين. ومن عمل منهم بغير ما أمر الله أخطأ خطأ بليغاً وعصى ربه وآثر دنياه على أخراه فليس له في الدنيا مآثر ولا في الآخرة نصيب لأن الله لا يمهل على أهل الجور والفساد ولا يمهل أحداً من العباد. وقد ذكر وزراءنا هؤلاء أن من عدلنا بينهم وحسن تصرّفنا معهم أنعم الله علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد أنعامه، وكل واحد منهم قال ما ألهمه الله في ذلك وبالغوا في الشكر لله تعالى والثناء عليه بسبب نعمته وفضله. وأنا أشكر الله لأني إنما أنا عبد مأمور وقلبي بيده ولساني تابع له، راض بما حكم عليّ وعليهم بأي شيء صار. وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله من أمر هذا الغلام وذكروا ما كان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حدّاً يغلب معه اليأس وضعف اليقين. والحمد لله الذي نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك أنعاماً

عظيمًا عليهم وعلينا . فنحمد الله تعالى الذي رزقنا هذا الغلام سميعاً مطيعاً وجعله وارثاً من الخلافة محلاً رفيعاً . نسأله من كرمه وحلمه ان يجعله سعيد الحركات موفقاً للخيرات حتى يصير ملكاً وسلطاناً على رعيته بالعدل والإنصاف ، حافظاً لهم من هلكات الإعتساف بمنّه وكرمه وجوده . فلما فرغ الملك من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبّلوا يديه وانصرف كل واحد منهم إلى بيته . فعند ذلك دخل الملك بيته وابصر الغلام ودعا له وسمّاه وردخان . فلما مضى له من العمر اثنتا عشرة سنة اراد الملك أن يعلّمه العلوم ، فبنى له قصراً في وسط المدينة وبنى فيه ثلاثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ، ورتّب له ثلاثة من الحكماء والعلماء وامرهم ان لا يغفلوا عن تعليمه ليلاً ولا نهاراً ، وان يجلسوا معه في كل مقصورة يوماً ويحرصوا على ان لا يكون علم إلا ويعلّمونه إياه حتى يصير بجميع العلوم عارفاً . ويكتبون على باب كل مقصورة ما يعلمونه له فيها من أصناف العلوم ، ويرفعون إليه في كل سبعة أيام ما عرفه من العلوم . ثم إن العلماء اقبلوا على الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلاً ولا نهاراً ، ولا يؤخرون عنه شيئًا مما عندهم من العلوم . فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لأحد قبله ، وجعلوا يرفعون للملك في كل أسبوع مقدار ما تعلّمه ولده واتقنه . فكان الملك يستظهر من ذلك علمًا حسناً وادباً جميلاً . وقال العلماء : إننا ما رأينا قط من أعطى فهماً مثل هذا الغلام ، فبارك الله لك فيه ومتّعك بحياته . فلما أتمّ الغلام مدة اثنتي عشرة سنة حفظ من كل علم أحسنه وفاق جميع العلماء والحكماء الذين في زمانه . فأتى به العلماء إلى الملك والده وقالوا له : اقرّ الله عينك أيها الملك بهذا الولد السعيد ، وقد اتيناك به بعد أن تعلّم كل علم حتى لم يكن أحد من علماء الوقت وحكمائه بلغ ما بلغه . ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وزاد في شكر الله تعالى وخرّ ساجدًا له عزّ وجلّ وقال : الحمد لله على نعمه التي لا تحصى . ثم دعا بشماس الوزير وقال له : أعلم يا شماس ، أن العلماء قد أتوني وأخبروني أن ابني هذا قد تعلّم كل علم ، ولم يبق من العلوم علم إلا وقد علّموه له حتى فاق من تقدّمه في ذلك فما تقول يا شماس . فسجد عند ذلك لله عزّ وجلّ وقبّل يدي الملك وقال : أبت الياقوتة ولو كانت في الجبل الأصم إلا أن تكون مضيئة كالسراج . وابنك هذا جوهرة ، فما تمنعه حداثته من أن يكون حكيماً والحمد لله على ما أولاه ، وأنا إن شاء الله تعالى في غد أسأله وأستنطقه بما عنده في مجمع اجمعه له من خواص العلماء والأمراء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 909

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك جليعاد لما سمع كلام شماس أمر جهابذة العلماء وأذكياء الفضاء ومهرة الحكماء أن يحضروا إلى قصر الملك في غد ، فحضروا جميعاً . فلما اجتمعوا على باب الملك أذن لهم بالدخول . ثم حضر شماس الوزير وقبّل يدي ابن الملك ، فقام ابن الملك وسجد لشماس . فقال له شماس : ليس يجب على شبل الأسد أن يسجد لأحد من الوحوش ، ولا ينبغي أن يقترن النور بالظلام . قال الغلام : إن شبل الأسد لما رأى وزير الملك سجد له . فعند ذلك قال شماس : اخبرني ما الدائم المطلق وما كوناه ؟ وما الدائم من كونيه ؟ قال الغلام : أما الدائم المطلق فهو الله عزّ وجلّ لأنه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء . وأما كوناه فالدنيا والآخرة ، وأما الدائم من كونيه فهو نعيم الآخرة . قال شماس : صدقت

فيما قلت وقبلته منك غير أني أحب ان تخبرني من اين علمت ان أحد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة؟ قال الغلام: لان الدنيا خلقت ولم يكن من شيء كائن فآل امرها إلى الكون الأول غير انها عرض سريع الزوال متوجب الجزاء على الأعمال وذلك يستدعي إعادة الفاني، فالآخرة هي الكون الثاني. قال شماس: صدقت فيما قلت وقبلته منك غير اني أحب ان تخبرني من أين علمت أن نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين؟ قال الغلام: علمت ذلك من انها دار الجزاء على الأعمال التي اعدها الباقي بلا زوال. قال شماس: أخبرني أيّ أهل الدنيا أحمد عملاً؟ قال الغلام: مَن يؤثر آخرته على دنياه. قال شماس: ومن الذي يؤثر آخرته على دنياه؟ فقال الغلام: من كان يعلم أنه في دار منقطعة وانه ما خلق إلا للفناء وانه بعد الفناء يحاسب وانه لو كان في هذه الدنيا احد مخلداً أبداً لا يؤثر الدنيا على الآخرة. قال شماس: أخبرني هل تستقيم آخرة بغير دنيا؟ قال الغلام: مَن لم يكن له دنيا فلا آخرة له، ولكن رايت الدنيا وأهلها والمعاد الذي هم صائرون إليه كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم امير بيتاً ضيّقاً وادخلهم فيه وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلاً ووكّل به شخصاً، فمن عمل منهم ما امر به أخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق، ومن لم يعمل ما أمر به وقد انقضى الأجل المضرب له عوقب. فبينما هم كذلك إذ رشح لهم من شقوق البيت عسل، فلما اكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته توانوا في العمل الذي أمروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغمّ مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم صائرون إليها، وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل لا يدع أحداً منهم إذا جاء أجله إلا ويخرجه من ذلك البيت. فعرفنا أن الدنيا دار تتحيّر فيها الأبصار وتسرّب لأهلها فيها الآجال. فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا وأشغل نفسه بها كان من الهالكين، حيث آثر أمر دنياه على آخرته. ومن يؤثر أمر آخرته على دنياه ولم يلتفت إلى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين. قال شماس: قد سمعت ما ذكرت من أمر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكني قد رأيتهما مسلّطين على الإنسان فلا بد له من إرضائهما معاً وهما مختلفان. فإن أقبل العبد على طلب المعيشة فذلك إضرار بروحه في المعاد، وإن أقبل على الآخرة كان ذلك إضرار بجسده، وليس له سبيل إلى إرضاء المتخالفين معًا.

حكاية الملكين

قال الغلام: إنه من حصل المعيشة في الدنيا تقوّيه على الآخرة، فإني رايت أمر الدنيا والآخرة مثل ملكين: عادل وجائر. وكانت أرض الملك الجائر ذات أشجار وأثمار ونبات، وكان ذلك الملك لا يدع أحداً من التجار إلا اخذ ماله وتجارته وهم صابرون على ذلك لما يصيبون من خصب تلك الأرض في المعيشة. وأما الملك العادل فإنه بعث رجلاً من اهل أرضه وأعطاه مالاً وافراً وأمره أن ينطلق به إلى أرض الملك الجائر ليبتاع به جواهر منها، فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الأرض. فقيل للملك: إنه جاء إلى أرضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد أن يبتاع به جواهر منها. فأرسل إليه وأحضره وقال له: من انت؟ ومن أين أتيت؟ ومن جاء بك إلى أرضي؟ وما حاجتك؟ فقال له: إني من أرض كذا وكذا وإن ملك تلك الأرض أعطاني مالاً وأمرني أن ابتاع له به جواهر من هذه الأرض، فامتثلت امره وجئت. فقال له الملك: ويحك،

اما علمت صنعي بأهل ارضي من اني آخذ مالهم في كل يوم ؟ فكيف تأتيني بمالك وها أنت مقيم في أرضي منذ كذا وكذا؟ فقال له التاجر: إن المال ليس لي منه شيء وإنما هو أمانة تحت يدي حتى أوصله إلى صاحبه. فقال له: إني لست بتاركك تأخذ معيشتك من أرضي حتى تفدي نفسك بهذا المال جميعه. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 910

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان الملك الجائر قال للتاجر الذي يريد أن يشتري الجواهر من أرضه: لا يمكن أن تأخذ معاشًا من أرضي حتى تفدي نفسك بهذا المال أو تهلك. فقال الرجل في نفسه: قد وقعت بين ملكين وقد علمت أن جور هذا الملك عام على كل من أقام بأرضه. فإن لم أرضه كان هلاكي وذهاب المال لا بد منهما ولم أصب حاجتي، وإن اعطيته جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لا بد منه. وليس لي حيلة سوى أني أعطيه من هذا المال جزءًا يسيرًا وارضيه به وادفع عن نفسي وعن هذا المال الهلاك، واصيب من خصب هذه الأرض قوت نفسي حتى ابتاع ما اريد من الجواهر وأكون قد ارضيته بما أعطيته وآخذ نصيبي من ارضه هذه واتوجه إلى صاحب المال بحاجته، فإني أرجو من عدله وتجاوزه ما لا اخاف معه عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال خصوصاً إذا كان يسيراً. ثم إن التاجر دعا للملك وقال له: أيها الملك، انا افتدي نفسي وهذا المال بجزء صغير من منذ دخلت أرضك حتى أخرج منها. فقبل الملك منه ذلك وخلّى سبيله سنة، فاشترى الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق إلى صاحبه. فالملك العادل مثال للآخرة والجواهر التي بأرض الملك الجائر مثال للحسنات والعمل الصالح، والرجل صاحب المال مثال لمن طلب الدنيا، والمال الذي معه مثال الحياة الإنسان. فلما رأيت ذلك، علمت انه ينبغي لمن يطلب المعيشة في الدنيا ان لا يخلي يوماً عن طلب الآخرة فيكون قد أرضى الدنيا بما ناله من خصب الأرض وأرضى الآخرة بما يصرف من حياته في طلبها. قال شماس: فاخبرني هل الجسد والروح سواء في الثواب والعقاب؟ وإنما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات. قال الغلام: قد يكون الميل إلى الشهوات والخطيئات موجباً للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها والأمر بيد من يفعل ما يشاء، وبضدها تتميّز الأشياء على أن المعاش لا بد منه للجسد ولا جسد إلا بالروح وطهارة الروح بإخلاص النية في الدنيا والإلتفات إلى ما ينفع في الآخرة، فهما فرسا رهان ورضيعا لباب ومشتركان في الأعمال وباعتبار النية تفصيل الإجمال، وكذلك الجسد والروح مشتركان في الأعمال وفي الثواب والعقاب.

حكاية الأعمى والمقعد

وذلك مثل الأعمى والمقعد اللذين اخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستانه وأمرهما أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمرًا يضرّ به. فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للأعمى: ويحك، اني أرى أثمارًا طيبة وقد اشتهيتها ولست أقدر على القيام إليها لآكل منها، فقم أنت لأنك صحيح الرجلين وأتنا منها بما نأكل. فقال الأعمى: ويحك، قد ذكرتها لي وقد كنت عنها غافلاً ولست أقدر على ذلك لأني لست أبصرها. فما الحيلة في تحصيل ذلك؟ فبينما هما كذلك إذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلاً عالماً. فقال له المقعد: ويحك يا ناظر، أنا قد اشتهيت شيئًا من هذه الثمار ونحن كما ترى، أنا مقعد وصاحبي هذا أعمى لا يبصر شيئًا فما حيلتنا؟ فقال

لهما الناظر : ويحكما ، الستما تعلمان ما قد عاهدكما عليه صاحب البستان من أنكما لا تتعرّضا لشيء مما يؤثر فيه الفساد ؟ فانتهيا ولا تفعلا . فقالا له : لا بد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فاخبرنا بما عندك من الحيلة . فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما : الحيلة في ذلك ، أن يقوم الأعمى ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك أثمارها حتى إذا أدناك منها تجني أنت ما أصبت من الثمار . فقام الأعمى وحمل المقعد ، وجعل المقعد يهديه إلى السبيل حتى أدناه إلى شجرة ، فصار المقعد يأخذ منها ما أحب . ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسدا ما في البستان من الشجر . وإذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما : ويحكما ، ما هذه الفعال ؟ ألم أعاهدكما على أن لا تفسدا في هذا البستان ؟ فقالا له : قد علمت أننا لم نقدر أن نصل إلى شيء من الأشياء لأن أحدنا مقعد لا يقوم والآخر أعمى لا يبصر ما بين يديه ، فما ذنبنا ؟ فقال لهما صاحب البستان : لعلكما تظنان أني لست أدري كيف صنعتما وكيف أفسدتما في بستاني ؟ كأني بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجرة . ثم إنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وأخرجهما من البستان . فالأعمى مثال للجسد لأنه لا يبصر إلا بالنفس ، والمقعد مثال للنفس التي لا حركة لها إلا بالجسد ، وأما البستان فإنه مثال للعمل الذي يجازى به العبد ، والناظر مثال للعقل الذي يأمر بالخير وينهي عن الشرّ . فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب . قال له شماس : صدقت وقد قبلت قولك هذا فاخبرني أيّ العلماء عندك أحمد ؟ قال الغلام : من كان بالله عالماً وينفعه علمه . قال شماس : ومَن ذلك ؟ قال الغلام : من يلتمس رضى ربّه ويتجنّب سخطه . قال : فأيهم أفضل ؟ قال الغلام : مَن كان بالله أعلم . قال شماس : فمَن أشدّهم اختباراً ؟ قال : من كان على العمل بالعلم صباراً قال شماس : أخبرني مَن أرقّهم قلباً ؟ قال : أكثرهم استعداداً للموت وذكراً وأقلهم أملاً ، لأن من أدخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فإنه يعرف الحقيقة ، ولا تزداد المرآة إلا صفاء وبريقاً . قال شماس : أي الكنوز أحسن ؟ قال : كنوز السماء . قال : فأي كنوز السماء أحسن ؟ قال : تعظيم الله وتحميده . قال : فأي كنوز الأرض أفضل ؟ قال : اصطناع المعروف . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 911

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير شماس لما قال لابن الملك : أي كنوز الأرض أفضل ؟ قال له : اصطناع المعروف . قال : صدقت وقد قبلت قولك هذا ، فاخبرني عن الثلاثة المختلفة : العلم والرأي والذهن ، وعن الذي يجمع بينهما ؟ قال الغلام : إنما العلم من التعلّم . وأما الرأي فإنه من التجارب . وأما الذهن فإنه من التفكّر وثباتهم واجتماعهم في العقل . فمن اجتمعت فيه هذه الثلاث خصال كان كاملاً ، ومن جمع إليهن تقوى الله كان مصيبًا . قال شماس : صدقت وقد قبلت منك ذلك ، فاخبرني عن العالم العليم ذي الرأي السديد والفطنة الوقّادة والذهن الفائق الرائق ، هل يغيّره الهوى والشهوة عن هذه الحالات التي ذكرت ؟ قال الغلام : إن هاتين الخصلتين إذا دخلتا على الرجل غيّرتا علمه وفهمه ورأيه وذهنه وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذر ، المقيم في السماء لفرط حذقه . فبينما هو كذلك إذ نظر رجلاً صياداً قد نصب شركه ، فلما فرغ الرجل من نصب الشرك

وضع فيه قطعة لحم . فعند ذلك أبصر العقاب القطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهد من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطائر ، فانقضّ من جو السماء حتى وقع على القطعة اللحم فاشتبك في الشرك . فلما جاء الصياد رأى العقاب في شركه فتعجب عجباً شديداً وقال : أنا نصبت شركي ليقع فيه حمام أو نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب ؟ وقد قيل : إن الرجل العاقل إذا حمله الهوى والشهوة على أمر ، يتدبر عاقبة ذلك الأمر بعقله فيمتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه . فإذا حمله الهوى والشهوة على أمر ينبغي أن يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته إذا ركب الفرس الأرعن فإنه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معه على ما يريد . وأما من كان سفيهاً لاعلم له ولا رأي عنده والأمور مشتبهة عليه والهوى والشهوة مسلّطان عليه ، فإنه يعمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس أسوأ حالاً منه . قال شماس : صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك ، فاخبرني متى يكون العلم نافعاً والعقل لوبال الهوى والشهوة دافعاً ؟ قال الغلام : إذا صرفهما صاحبهما في طلب الآخرة ، لأن العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما أن يصرفهما في طلب الدنيا إلا بمقدار ما يصيب به قوّته منها ويدفع عن نفسه شرّها ويصرفهما في عمل الآخرة . قال : فاخبرني ، ما أحق أن يلزم الإنسان ويشغل به قلبه ؟ قال : العمل الصالح . قال : فإذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه ، كيف يفعل في المعيشة التي لا بد له منها ؟ قال الغلام : إن نهاره أربعة وعشرون ساعة ، فينبغي له أن يجعل منها جزءاً واحداً في طلب المعيشة وجزءاً واحداً للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب العلم . لأن الانسان إذا كان عاقلاً وليس عنده علم فإنما هو كالأرض المجدبة التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات ، فإذا لم تهيىء للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر ، وإذا هيئت للعمل وغرست أنبتت ثمراً حسناً . كذلك الإنسان بغير علم لا نفع به حتى يغرس فيه العلم فإذا غرس فيه العلم أثمر . قال شماس : فاخبرني عن العلم بغير عقل ما شأنه ؟ قال : كعلم البهيمة التي تعلّمت آوان مطعمها ومشربها وآوان يقظتها ولا عقل لها . قال شماس : قد أوجزت في الإجابة عن ذلك ولكن قد قبلت منك هذا الكلام ، فاخبرني كيف ينبغي أن أتوقّى السلطان ؟ قال الغلام : لا تجعل له عليك سبيلاً . قال : وكيف أستطيع أن لا أجعل له عليّ سبيلاً وهو مسلّط عليّ وزمام أمري بيده ؟ قال الغلام : إنما سلطانه عليك بحقوقه التي قبلك فإذا أعطيته حقّه فلا سلطان له عليك . قال شماس : ما حق الملك على الوزير ؟ قال : النصيحة والإجتهاد في السرّ والعلانية والرأي السديد وكتم سرّه وأن لا يخفي عنه شيئًا مما هو حقيق بالإطلاع عليه ، وقلّة الغفلة عما قلّده إياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه عليه . قال شماس : فاخبرني ، ما الذي يفعله الوزير مع الملك ؟ قال الغلام : إذا كنت وزيراً للملك وأحببت أن تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده ، واحذر أن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه .

حكاية الأسد والصيّاد

فإذا اغتررت بحلمه ونزّلت نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته إليها ويطرح لحومها ، فجعل الأسد يأتي إلى ذلك المكان فيأكل

من تلك الجيفة. فلما كثر تردّده إلى ذلك المحل استأنس بالصياد وألفه وأقبل الصياد يرمي إليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله. فعندما رأى الصياد سكون الأسد له واستئناسه به وتذلّله إليه قال في نفسه: إن هذا الأسد قد خضع إليّ وملكته، وما أرى إلا أني أركبه وأسلخ جلده مثل غيره من الوحوش. فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الأسد وطمع فيه. فلما رأى الأسد ما صنع الصياد غضب غضباً شديداً ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في أمعائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزّقه تمزيقاً. فمن ذلك علمت أنه ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغيّر الملك عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 912

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الغلام ابن الملك جليعاد قال لشماس الوزير: ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغيّر الملك عليه. قال شماس: فاخبرني، ما الذي يتزيّن به الوزير عند الملك؟ قال الغلام: أداء الأمانة التي فوّض إليه أمرها من النصيحة وسداد الرأي وتنفيذه لأوامره. قال له شماس: أما ذكرت من أن حق الملك على الوزير أن يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي رضاه ويهتم بما قلّده إياه؟ فإنه أمر واجب. ولكن أخبرني ما الحيلة إذا كان الملك إنما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والعسف؟ فما حيلة الوزير إذا هو ابتلي بعشرة ذلك الملك الجائر؟ فإنه إن أراد أن يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه فلا يقدر على ذلك، وإن هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدواً، فما تقول في هذا؟ فأجاب الغلام قائلاً: إن ما ذكرت أيها الوزير من الوزر والإثم إنما هو إذا تابعه على ما ارتكبه من الخطأ، ولكن يجب على الوزير إذا شاوره الملك في مثل هذا أن يبين له طريق العدل والإنصاف ويحذّره من الجور والإعتساف ويعرّفه حسن السيرة في الرعية ويرغّبه فيما في ذلك من الثواب ويحذّره عما يلزمه من العقاب. فإن مال وعطف إلى كلامه حصل المراد وإلا فلا حيلة له إلا بمفارقته إياه بطريقة لطيفة، لأن في المفارقة لكل واحد منهما الراحة. قال الوزير: فاخبرني، ما حق الملك على الرعية؟ وما حق الرعية على الملك؟ قال: الذي يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضي الله ورسوله، وحق الرعية على الملك حفظ أموالهم وصون حريمهم. كما إن للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الأنفس دونه وإعطاؤه واجب حقّه وحسن الثناء عليه بما أولاهم من عدله وإحسانه. قال شماس: قد بيّنت لي ما سألتك عنه من حق الملك والرعية، فاخبرني هل بقي للرعية شيء على الملك غير ما قلت؟ قال الغلام: نعم. حق الرعية على الملك أوجب من حق الملك على الرعية، وهو أن ضياع حقّهم عليه أضرّ من ضياع حقّه عليهم لأنه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمته إلا من ضياع حق الرعية. فمن تولّى مُلكاً يجب عليه أن يلازم ثلاثة أشياء وهي: إصلاح الدين وإصلاح الرعية وإصلاح السياسة. فبملازمة هذه الثلاثة يدوم ملكه. قال: فاخبرني، كيف ينبغي أن يستقيم في إصلاح الرعية؟ قال: بأداء حقّهم وإقامة سنتهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وإنصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكفّ عن أموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم. قال: فاخبرني ما حق الوزير على الملك؟ قال الغلام: ليس على

الملك حق لأحد من الناس اوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال : الأولى : للذي يصيبه معه عند خطأ الراي والإنتفاع العام للملك والرعية عند سداد الراي . والثانية : ليعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر إليه الرعية بعين الإجلال والتوقير وخفض الجناح . والثالثة : إن الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه . قال شماس : قد سمعت جميع ما قلته لي من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك ، فاخبرني ما ينبغي لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسبّ العرض والإفراط في الكلام ؟ قال الغلام : ينبغي للإنسان ان لا يتكلم إلا بالخير والحسنات ولا ينطق في شأن ما لا يعنيه ويترك النميمة ولا ينقل عن احد حديثاً سمعه منه لعدوّه ، ولا يطلب لصديقه ولا لعدوه ضرورة عند سلطانه ولا يعبأ بمن يرتجي خيره ويتّقي شرّه إلا الله تعالى لأنه هو الضار النافع على الحقيقة ، ولا يذكر لأحد عيباً ولا يتكلّم بجهل لئلا يلزمه الوزر والإثم من الله والبغض بين الناس . واعلم ان الكلام مثل السهم إذا نفذ لا يقدر احد على ردّه ، وليحذر ان يودع سرّه عند من يفشيه فربما يقع في ضرر إفشائه بعد ان يكون على ثقة من الكتمان وان يكون مخفياً لسرّه عن صديقه أكثر من إخفائه عن عدوّه فإن كتمان السرّ عند جميع الناس من اداء الأمانة . قال شماس : فاخبرني عن حسن الخلق مع الأهل والأقارب ؟ قال الغلام : إنه لا راحة لبني آدم إلا بحسن الخلق . ولكن ينبغي أن يصرف إلى الأهل ما يستحقّونه وإلى إخوانه ما يجب لهم . قال : فاخبرني ، ما الذي يجب أن يصرفه إلى الأهل ؟ قال : أما الذي يصرفه للوالدين ، فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والإكرام والوقار . وأما الذي يصرفه للإخوان ، فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على أسبابهم والفرح لفرحهم والإغضاء عن ما يقع منهم من الهفوات . فإذا عرفوا منه ذلك قابلوه بأعز ما عندهم من النصيحة وبذلوا الأنفس دونه . فإذا كنت من اخيك على ثقة فابذل له ودّك وكن مساعداً له على جميع اموره . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 913

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة وردّ له أجوبتها قال له الوزير شماس : إني أرى الإخوان صنفين : إخوان ثقة وإخوان معاشرة . أما إخوان الثقة فإنه يجب لهم ما وصفت ، فأسألك عن غيرهم من إخوان المعاشرة ؟ قال الغلام : أما إخوان المعاشرة فإنك تصيب منهم لذّة وحسن خلق وحلاوة وحسن معاشرة ، فلا تقطع منهم لذاتك بل ابذل لهم مثل ما يبذلونه لك وعاملهم بمثل ما يعاملونك به من طلاقة الوجه وعذوبة اللسان فيطيب عيشك ويكون كلامك مقبولاً عندهم . قال شماس : قد عرفنا هذه الأمور كلها ، فاخبرني عن الأرزاق المقدّرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل واحد رزق إلى تمام اجله ؟ وإذا كان الأمر كذلك ما الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المشقّة في طلب ما عرف انه إن كان مقدّراً له فلا بد من حصوله ؟ وإن لم يرتكب مشقّة السعي وإن لم يكن مقدّراً له فلا يتحصل له ولو سعى إليه غاية السعي . فهل يترك السعي ويكون على ربه متوكّلاً ولجسده ونفسه مريحاً ؟ قال الغلام : إنّا قد راينا ان لكل احد رزقاً مقسومًا واجلاً محتومًا ولكن لكل رزق طريق واسباب . فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لا بد من طلب الرزق . غير ان الطالب على

ضربين : إما أن يصيب وإما أن يحرم . فراحة المصيب في الحالتين إصابة رزقه وكون عاقبة طلبه حميدة . وراحة المحروم في ثلاث خصال : الإستعداد لطلب رزقه ، والتنزّه عن أن يكون كلاً على الناس ، والخروج عن عهدة الملامة . قال شماس : أخبرني عن باب طلب المعيشة ؟ قال الغلام : يستحلّ الإنسان ما أحلّه الله ويحرّم ما حرّمه الله عزّ وجلّ . وانقطع بينهما الكلام لما وصلا إلى هذا الحد . ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظّموه وبجّلوه وضمّه أبوه إلى صدره . ثم بعد ذلك أجلسه على سرير الملك وقال : الحمد لله الذي رزقني ولداً تقرّ به عيناي في حياتي . ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء : أيها العالم صاحب المسائل الروحانية ، إن لم يكن فتح الله عليّ من العلم إلا بشيء قليل فإني قد فهمت قصدك في قبولك مني ما أتيت به جواباً عن ما سألتني ، سواء كنت فيه مصيباً أو مخطئاً ولعلك صفحت عن خطئه . وأنا أريد أن أسألك عن شيء عجز عنه رأيي وضاق منه ذرعي وكلّ عن وصفه لساني لأنه أشكل عليّ إشكال الماء الصافي في الإناء الأسود . فأحب منك أن تشرحه لي حتى لا يكون شيء منه مبهماً على مثلي فيما يستقبل مثل إبهامه عليّ فيما مضى . لأن الله كما جعل الحياة بالماء والقوّة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت إلى كلامي . قال شماس : أيها المضيء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم بالفضل لحسن تفضيلك للأشياء وتقسيمك إياها وحسن إصابتك في إجابتك عمّا سألتك عنه . قد علمت أنك لست تسألني عن شيء إلا وأنت في تأويله أصوب رأياً وأصدق مقالاً لأن الله قد آتاك من العالم ما لم يؤت أحداً من الناس ، فأخبرني عن هذه الأشياء التي تريد أن تسألني عنها ؟ قال الغلام : أخبرني عن الخالق جلت قدرته من أي الأشياء خلق الخلق ؟ ولم يكن قبل ذلك شيء وليس يرى في هذه الدنيا شيء إلا وهو مخلوق من شيء ، والباري تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء ولكن اقتضت إرادته مع كمال القدرة والعظمة أنه لم يخلق شيئاً إلا من شيء . قال الوزير شماس : أما صناع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع لا يقدرون على ابتداع شيء إلا من شيء إذ هم مخلوقون ، وأما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فإن شئت أن تعرف قدرته تبارك وتعالى على إيجاد الأشياء فاطل الفكر في أصناف الخلق فإنك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته ، وإنه قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء بل أوجدها بعد العدم المحض لأن العناصر التي هي مادة الأشياء كانت عدماً محضاً وقد أوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شك منه ، ويبين ذلك آية الليل والنهار فإنهما يتعاقبان حتى إذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف له مقراً وإذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقراً وإذا أشرقت علينا الشمس لا نعرف أين يطوى نورها وإذا غربت لم نعرف مستقرّ غروبها . وأمثال ذلك من أفعال الخالق عزّ اسمه وجلت قدرته ، كثير مما يحيّر أفكار الأذكياء من المخاليق . قال الغلام : أيها العالم ، إنك عرّفتني من قدرة الخالق ما لا يستطاع إنكاره ، ولكن أخبرني كيف إيجاده لخلقه ؟ قال شماس : إنما الخلق مخلوقة بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الأشياء . قال الغلام : إن الله تعاظم إسمه وارتفعت قدرته إنما أراد إيجاد الخلق قبل وجودهم . قال شماس : وبإرادته خلقهم بكلمته فلولا أن له نطقاً وأظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 914

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة أجابه عنها . ثم قال له : يا بني ، إنه لا يخبرك أحد من الناس بغير ما قلته إلا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها . ومن ذلك قولك : إن الكلمة لها استطاعة أعوذ بالله من هذه العقيدة . بل قولنا في الله عزّ وجلّ : إنه خلق الخلق بكلمته معناه إنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناه إن كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله . كما إن الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شأنه وعزّ سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه . فالله جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق شيئًا وإنما خلق الأشياء بكلمته الحق . فبالحق نحن مخلوقون . قال الغلام : قد فهمت من أمر الخالق وعزّة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك منك بفهم ولكني سمعتك تقول : إنما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن أين عرض الباطل ؟ وكيف يمكن عروضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون إلى الفصل بينهما ؟ وهل الخالق عزّ وجلّ محب لهذا الباطل أم باغض له ؟ فإن قلت إنه محب لحق وبه خلق خلقه وباغض للباطل ، فمن أين دخل هذا الذي يبغضه الخالق على ما يحبه وهو الحق ؟ قال شماس : إن الله لما خلق الإنسان بالحق ولم يكن الإنسان محتاجاً إلى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به بسبب الإستطاعة التي جعلها الله في الإنسان وهي الإرادة والميل المسمّى بالكسب . فلما دخل الباطل على الحق بهذا الإعتبار التبس الباطل بالحق بسبب إرادة الإنسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الإختياري مع نصف طبيعة الإنسان ، فخلق الله له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبّته على الحق ، وخلق له العقوبة إن هو أقام على ملابسة الباطل . قال الغلام : فاخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به ؟ وكيف وجبت العقوبة على الإنسان حتى احتاج إلى التوبة ؟ قال شماس : إن الله لما خلق الإنسان بالحق جعله محبّاً له ولم يكن له عقوبة ولا توبة ، واستمرّ كذلك حتى ركّب الله فيه النفس التي هي من كمال الإنسانية مع ما هي مطبوعة عليه من الميل إلى الشهوات ، فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذي خلق الإنسان به وطبع على حبه . فلما صار الإنسان إلى هذه الغاية زاغ عن الحق بالمعصية ، ومن زاغ عن الحق إنما يقع في الباطل . قال الغلام : إن الحق إنما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة . قال شماس : وهو كذلك ، لأن الله يحب الإنسان ومن زيادة محبته له خلق الإنسان محتاجاً إليه وذلك هو الحق بعينه ، ولكن ربما استرخى الإنسان عن ذلك بسبب ميل النفس إلى الشهوات ومال إلى الخلاف ، فصار إلى ذلك الباطل بالمعصية التي بها عصى ربه فاستوجب العقوبة . وبإزاحة الباطل عنه بتوبته ورجوعه إلى محبة الحق إستوجب الثواب . قال الغلام : اخبرني عن مبدأ المخالفة مع أن الخلق مرجعهم جميعاً إلى أن وجد ابن آدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ؟ ثم قربت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبته الثواب أو العقاب . ونحن نرى بعض الخلق مقيماً على المخالفة مائلاً إلى ما لا يحبه مخالفاً لمقتضى أصل خلقته من حب الحق مستوجبًا لسخط ربه عليه ، ونرى بعضهم مقيماً على رضى خالقه وطاعته مستوجباً للرحمة والثواب . فما سبب الإختلاف الحاصل بينهم ؟ قال شماس : إن أول نزول هذه المعصية بالخلق إنما كان بسبب إبليس

الذي كان أشرف ما خلق الله جلّ اسمه من الملائكة والإنس والجن، وكان مطبوعاً على المحبة لا يعرف غيرها. فلما انفرد بهذا الأمر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الإيمان والطاعة لإمر خالقه فردّه الله دون الخلايق جميعهم واخرجه من المحبة وصيّر مثواه إلى نفسه في المعصية. فحين علم أن الله جل اسمه لا يحب المعصية ورأى آدم وما هو فيه من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه، داخله الحسد فاستعمل الحيلة في صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركاً معه في الباطل، فلزم آدم العقوبة لميله إلى المعصية التي زيّنها له عدوّه وانقياده إلى هواه حيث خالف وصية ربه بسبب عروض الباطل. ولما علم الخالق جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه ضعف الإنسان وسرعة ميله إلى عدوّه وتركه الحق، جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل إلى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه إبليس وجنوده ويرجع إلى الحق الذي هو مطبوع عليه. فلما نظر إبليس أن الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه قد جعل له أمداً ممتداً، بادر إلى الإنسان بالمحاربة وأدخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكاً له في السخط الذي استوجبه هو وجنوده، فجعل الله جلّ ثناؤه للإنسان استطاعة للتوبة وأمره أن يلزم الحق ويداوم عليه ونهاه عن المعصية والخلاف وألهمه أن له على الأرض عدواً محارباً لا يفترّ عنه ليله ولا نهاره. فبذلك استحق الإنسان ثواباً إن لازم الحق الذي جبلت طبيعته على حبه، وعقاباً إن غلبته نفسه ومالت به إلى الشهوات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 915

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة وأجابه عنها قال له بعد ذلك: أخبرني بأي قوة استطاع الخلق أن يخالفوا خالقهم وهو في غاية العظمة كما وصفت، مع أنه لا يقهره شيء ولا يخرج عن إرادته، ألا ترى أنه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية وإلزامهم المحبة دائماً؟ قال شماس: إن الله تعالى جلّ اسمه عادل منصف رؤوف بأهل محبته، قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الإستطاعة والقدرة على فعل ما أرادوا من الخير، فإن عملوا بخلاف ذلك صاروا إلى الهلاك والمعصية. قال الغلام: إذا كان الخالق هو الذي منحهم الإستطاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما أرادوا فلأي شيء لم يحل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى يردّهم إلى الحق؟ قال شماس: ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لأنه كما سبق منه لإبليس السخط ولم يرحمه كذلك، سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنه بعد سخطه عليه. قال الغلام: هذا هو الحق بعينه لأنه هو المجازي لكل أحد على عمله وليس خالق غير الله له القدرة على كل شيء. ثم قال الغلام: هل خلق الله ما يحب وما لا يحب أو إنما خلق ما يحب لا غيره؟ قال شماس: قد خلق كل شيء ولم يرضَ إلا ما يحب. قال الغلام: ما بال هذين الشيئين: أحدهما يرضي الله ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه؟ قال شماس: بيّن لي هذين الأمرين وفهّمني إياهما حتى أتكلّم في شأنهما؟ قال الغلام: هما الخير والشر المركبان في الجسم والروح. قال شماس: أيها العاقل، أراك قد علمت أن الخير والشر من الأعمال التي يعملها الجسد والروح، فسمّي الخير منهما خيراً لكونه فيه رضى الله. وسمّي الشرّ شراً لكونه فيه سخط الله. وقد وجب عليك أن تعرف الله وترضيه بفعل الخير لأنه أمرنا بذلك ونهانا عن فعل الشرّ. قال الغلام: إني أرى هذين

الشيئين، أعني الخير والشر إنما يعملهما الحواس الخمس المعروفة في جسد الإنسان وهي محل الذوق الناشىء عنه الكلام والسمع والبصر والشم واللمس. فاحب أن تعرّفني: هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعاً أم للشرّ؟ قال شماس: إفهم أيها الإنسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك واشربها قلبك، وهو ان الخالق تبارك وتعالى خلق الإنسان بالحق وطبعه على حبّه ولم يصدر منه مخلوق إلا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى إلا إلى الحكم بالعدل والإنصاف والإحسان. وقد خلق الإنسان لمحبته وركّب فيه النفس المطبوعة على الميل إلى الشهوات وجعل له الإستطاعة، وجعل هذه الحواس الخمس سبباً للنعيم أو الجحيم؟ قال الغلام: وكيف ذلك؟ قال شماس: لأنه خلق اللسان للنطق واليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والأذنين للسماع، وقد أعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة رهيجها على العمل والحركة وأمر كل واحدة منها أن لا تفعل إلا برضائه. والذي يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذي هو الكذب. ومما يرضيه من البصر صرفه النظر إلى ما يحبه الله وترك ضده وهو صرف النظر إلى ما يكرهه الله كالنظر إلى الشهوات. ومما يرضيه من السمع أن لا يستمع إلا إلى الحق كالموعظة وما في كتب الله وترك ضده وهو ان يسمع إلى ما يوجب سخط الله. ومما يرضيه من اليدين أن لا يقبضا ما خولّهما الله بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الإمساك أو صرف ما خولّهما الله في معصية. ومما يرضيه من الرجلين أن يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو أن يمشيا في غير سبيل الله. وما سوى ذلك من الشهوات التي يعلمها الإنسان فإنه يصدر من الجسد بأمر الروح. ثم الشهوة التي تصدره الجسد نوعان: شهوة التناسل وشهوة البطن. فالذي يرضي الله من شهوة التناسل إنها لا تكون إلا حلالاً وسخطه ان تكون حراماً. وأما شهوة البطن الأكل والشرب والذي يرضي الله من ذلك أن لا يتعاطى منه كل أحد إلا ما أحلّه الله له قليلاً كان او كثيراً ويحمد الله ويشكره، والذي يغضب الله منه أن يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الأحكام باطل. وقد علمت أن الله خلق كل شيء ولا يرضى إلا بالخير، وأمر كل عضو من أعضاء الجسد ان يفعل ما أوجبه عليه لأنه هو العليم الحكيم. قال الغلام: فاخبرني، هل سبق في علم الله جلت قدرته أن آدم سبب للأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة إلى المعصية؟ قال شماس: نعم ايها العالم قد سبق ذلك في علم الله تعالى قبل أن يخلق آدم. وبيان ذلك ودليله ما تقدّم له من التحذير عن الأكل وإعلامه بأنه إذا أكل منها يكون عاصيًا، وذلك من طريق العدل والإنصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه. فلما ان سقط في الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة، جرى ذلك في نسله من بعده فبعث الله تعالى الأنبياء والرسل وأعطاهم كتاباً فأعلمونا بالشرائع وبيّنوا لنا ما فيها من المواعظ والأحكام وفصّلوه لنا وأوضحوا لنا السبيل الموصل، وبيّنوا لنا ما يجب أن نفعله وما يجب أن نتركه فنحن مسلّطون بالإستطاعة. فمن عمل بهذه الحدود قد أصاب وربح ومن تعدّى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا قد خالف وخسر في الدارين وهذه سبيل الخير والشر، فقد علمت أن الله قادر على جميع الأشياء وما خلق الشهوات لنا إلا برضائه وإرادته وأمرنا أن نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيراً، وإذا استعملناها على وجه الحرام فإنها تكون لنا شراً. فما أصابنا من حسنة فمن الله تعالى

وما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 916 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماس عن هذه المسائل وردّ له أجوبتها قال له : ما وصنفه لي مما ينسب إلى الله تعالى ومما ينسب إلى خلقه قد فهمته ، فاخبرني عن هذا الامر الذي حير عقلي فرط التعجب منه . فإني عجبت من ولد بني آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا انهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون . قال شماس : نعم فإن الذي تراه من تغيّرها وغدرها بأهلها دليل انه لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه فليس يأمن صاحبها تغيّرها وإن كان قادراً عليها ومغتبطاً بها فلا بد أن يتغيّر حاله ويسرع إليه الإنتقال ، وليس الإنسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها . وحيث عرفنا ذلك عرفنا ان أسوأ الناس حالاً من اغترّ بها وسهى عن الآخرة وأن ذلك النعيم الذي قد أصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقّة والأهوال التي تحصل له بعد الإنتقال منها . وعلمنا أنه لو كان العبد يعلم ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لكان رفض الدنيا وما فيها وتيقنا ان الآخرة خير لنا وانفع . قال الغلام : أيها العالم ، قد زالت هذه الظلمة التي كانت على قلبي بمصباحك المضيء وأرشدتني إلى السبيل التي سلكتها من اتباع الحق واعطيتني سراجاً أنظر به . فعند ذلك قام أحد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال : إنه إذا كان زمان الربيع فلا بد أن يطلب الأرنب مع الفيل مرعى . وقد سمعت منكما أشياء من المسائل والتفاسير ما لم ار أني اسمعه ابداً فدعاني ذلك إلى ان أسالكما عن شيء . فاخبراني : ما خير مواهب الدنيا؟ قال الغلام : صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح . قال : فاخبراني ما الكبير وما الصغير ؟ قال الغلام : أما الكبير فهو ما صبر له أصغر منه . وأما الصغير فهو ما صبر لأكبر منه . قال : فاخبراني ما الأربعة أشياء التي تجتمع الخلائق فيها؟ قال الغلام : تجتمع الخلائق في الطعام والشراب ولذة النوم وشهوة النساء وفي سكرات الموت . قال : فما الثلاثة أشياء التي لا يقدر احد على تنحية القباحة عنها؟ قال الغلام : الحماقة وخسة الطبع والكذب . قال : فأي الكذب احسن مع انه كله قبيح ؟ قال الغلام : الكذب الذي يضع عن صاحبه الضرر ويجر نفعاً . قال : وأي الصدق قبيح وإن كان كله حسناً؟ قال الغلام : كبر الإنسان بما عنده وإعجابه به . قال : وما اقبح القبيح ؟ قال الغلام : إذا أعجب الإنسان بما ليس عنده . قال : فأي الرجال أحمق ؟ قال الغلام : من كان ليس له همة إلا في شيء يضعه في بطنه . قال شماس : أيها الملك ، انت ملكنا ولكن نحب ان تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية . فعند ذلك حثّ الملك من حضر من العلماء والناس على أن ما سمعوه منه يحفظونه ويعملون به وأمرهم ان يمتثلوا امر ابنه فإنه جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده ، وأخذ العهد على جميع أهل مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس ان لا يتخلّفوا عليه ولا ينكثوا عليه أمره . فلما اتى على ابن الملك سبع عشرة سنة مرض الملك مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت . فلما أيقن الملك ان الموت قد نزل به قال لأهله : هذا داء الموت قد نزل بي فادعوا لي اقاربي وولدي واجمعوا لي أهل مملكتي حتى لا

يبقى منهم أحداً إلا ويحضر. فخرجوا ونادوا الناس القريبين وأجهروا بالنداء للناس البعيدين حتى حضروا بأجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له: كيف أنت أيها الملك؟ وكيف ترى لنفسك من مرضك هذا؟ قال لهم الملك: إن مرضي هذا هو الذي فيه القاضية وقد نفذ السهم بما قدّره الله تعالى عليّ وانا الآن في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة. ثم قال لابنه: ادن مني. فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديداً حتى كاد ان يبل فراشه، والملك قد دمعت عيناه، وبكى كل من حضر. ثم قال الملك لولده: لا تبك يا ابني فإني لست بأول من جرى له هذا المحتوم لأنه سائر على جميع ما خلقه الله، فاتق الله واعمل خيراً يسبقك إلى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق، ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر الله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك، واجعل الحق نصب عينك وهذا آخر كلامي معك والسلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 917

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان الملك جليعاد لما أوصى ولده بهذه الوصية وعهد له بالملك من بعده قال الغلام لابيه: قد علمت يا أبتي أني لم أزل لك مطيعاً ولوصيتك حافظاً ولأمرك منفذاً ولرضاك طالبًا وأنت لي نِعم الأب فكيف أخرج بعد موتك عما ترضى به وأنت بعد حسن تربيتي مفارق لي ولا أقدر على ودّك عليّ؟ فإذا حفظت وصيتك صرت بها سعيداً وصار لي النصيب الأكبر. فقال له الملك وهو في غاية الإستغراق من سكرات الموت: يا بني، إلزم عشر خصال ينفعك الله بها في الدنيا والآخرة وهن: إذا اغتظت فاكظم غيظك، وإذا بليت فاصبر، وإذا نطقت فاصدق، وإذا وعدت فاوف، وإذا حكمت فاعدل، وإذا قدرت فاعف وأكرم فؤادك واصفح عن أعدائك وابذل معروفك لعدوّك وكف أذاك عنه. والزم أيضاً عشر خصال أخرى ينفعك الله بها في أهل مملكتك وهي: إذا قسمت فاعدل، وإذا عاقبت بحق فلا تجير، وإذا عاهدت فاوف بعهدك واقبل النصح واترك اللجاجة والزم الرعية بالإستقامة على الشرائع والسنن الحميدة. وكن حاكمًا عادلاً بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم ومفسدهم. ثم قال للحاضرين من العلماء والأمراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده: إياكم ومخالفة أمر ملككم وترك الإستماع لكبيركم فإن في ذلك هلاكاً لأرضكم وتفريقاً لجمعكم وضرراً لأبدانكم وتلفاً لأموالكم فتشمت بكم أعداؤكم. وها أنتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذي بيني وبينكم يكون أيضاً بينكم وبينه، وعليكم بالسمع والطاعة لأمره لأن في ذلك صلاح أحوالكم، واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم أموركم ويحسن حالكم. وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلام. ثم بعد هذا اشتدّت به سكرات الموت والتجم لسانه فضمّ ابنه إليه وقبّله وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه، فناح عليه جميع رعيته وأهل مملكته. ثم إنهم كفّنوه ودفنوه بإكرام وتبجيل وإعظام ثم رجعوا والغلام معهم فألبسوه حلّة الملك وتوّجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم في إصبعه وأجلسوه على سرير الملك. فسار الغلام فيهم بسيرة أبيه من الحلم والعدل والإحسان مدة يسيرة، ثم تعرّضت له الدنيا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها واقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلّده أبوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده وأهمل مملكته ومشى فيما

فيه هلاكه، واشتدّ به حبّ النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء إلا ويرسل إليها ويتزوّج بها، فجمع من النساء عدداً أكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني إسرائيل، وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمرّ مع من يختلي بهن شهراً كاملاً لا يخرج من عندهن ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو إليه من رعيته وإذا كاتبوه فلا يرد لهم جواباً. فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر في أمورهم وإهماله لأمور دولته وأمور رعيته تحقّقوا أنهم عن قليل يحلّ بهم البلاء. فشق ذلك عليهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. فقال بعضهم لبعض: امشوا بنا إلى شماس كبير وزرائه نقصّ عليه أمرنا ونعرّفه ما يكون من أمر هذا الملك لينصحه وإلا فعن قليل يحلّ بنا البلاء، فإن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها. فقاموا وأتوا شماس وقالوا له: أيها العالم الحكيم، إن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فأقبل على الباطل وسعى في فساد مملكته، وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير أمرنا إلى الهلاك. وسببه أننا نمكث شهراً وأياماً لا نراه ولا يبرز إلينا من عنده أمر لا للوزير ولا لغيره، ولا يمكن أن ترفع إليه حاجة ولا ينظر في حكومة ولا يتعهد حال أحد من رعيته لغفلته عنهم. وإننا قد أتينا إليك لنخبرك بحقيقة الأمور لأنك أكبرنا وأكمل منا، وليس ينبغي أن يكون بلاء في أرض أنت مقيم بها لأنك أقدر أحد على إصلاح هذا الملك. فانطلق وكلّمه لعله يقبل كلامك ويرجع إلى الله. فقام شماس ومضى إلى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول إليه وقال له: أيها الولد الجيد، أسألك أن تستأذن لي في الدخول على الملك لأن عندي أمراً أريد أن أنظر وجهه وأخبره به وأسمع ما يجيبني به عنه. فأجاب الغلام قائلاً: والله يا سيدي، من منذ شهر لم يأذن لأحد في الدخول عليه ولا أنا، فطول هذه المدة ما رأيت له وجهاً ولكن أدلّك على من يستأذنه لك، وهو إنك تتعلق بالوصيف الفلاني الذي يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ، فإذا خرج إلى المطبخ ليأخذ الطعام إسأله عما بدا لك فإنه يفعل لك ما تريد. فانطلق شماس إلى باب المطبخ وجلس قليلاً وإذا بالوصيف قد أقبل وأراد الدخول في المطبخ فكلّمه شماس قائلاً له: يا بنيّ أحب أن أجتمع بالملك لأخبره بكلام يخصّه، فمن فضلك إذا فرغ من غدائه وطابت نفسه أن تكلمه لي وتأخذ لي منه إذناً بالدخول عليه لكي أكلمه بما يليق به. فقال الوصيف: سمعاً وطاعة. فلما أخذ الوصيف الطعام وتوجه به إلى الملك وأكل منه فلما طابت نفسه قال له الوصيف: إن شماس واقف بالباب يريد منك الإذن في الدخول عليك ليعلمك بأمور تختص بك. ففزع الملك وارتاب من ذلك وأمر الوصيف بإدخاله عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 918

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك لما أمر الوصيف بإدخال شماس عليه خرج الوصيف إلى شماس ودعاه إلى الدخول. فلما دخل على الملك خرّ لله ساجداً وقبّل يدي الملك ودعا له. فقال الملك: ما أصابك يا شماس حتى طلبت الدخول عليّ؟ فقال: إن لي مدة لم أرَ وجه سيدي الملك وقد اشتقت إليك كثيراً، فها أنا شاهدت طلعتك وجئت إليك بكلام أذكره لك أيها الملك المؤيد بكل نعمة. فقال له: قل ما بدا لك؟ فقال شماس: أعلم أيها الملك أن الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنّك ما لم يرزقه

أحداً من الملوك قبلك، وإن الله تمّم لك ذلك بالملك، وإن الله يحب أنك لا تخرج عمّا خوّلك إياه إلى غيره بسبب عصيانك له، فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي أن تكون لوصاياه حافظاً ولأموره طائعاً، لأني قد رأيتك منذ أيام قلائل نسيت أباك ووصيته ورفضت عهده وأضعت نصحه وكلامه وزهدت عدله وأحكامه ولم يذكر نعمة الله عليك ولم تقيدها بشكره. قال الملك: وكيف ذلك؟ وما سببه؟ قال شماس: سببه أنك تركت تعهد أموز مملكتك وما قلّدك الله إياه من أمور رعيتك وإقبالك على النفس فيما حسّنته لك من قليل شهوات الدنيا. وقد قيل: إن إصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي للملك أن يحافظ عليه. والرأي عندي أيها الملك أن تحسن النظر في عاقبتك فإنك تجد السبيل الواضح الذي فيه النجاة، ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة إلى ورطة الهلاك فيصيبك ما أصاب صياد السمك. فقال له الملك: وكيف كان ذلك؟ قال شماس: قد بلغني أن صياداً قد أتى إلى نهر ليصطاد منه على عادته، فلما وصل إلى النهر ومشى على الجسر أبصر سمكة عظيمة. فقال في نفسه: ليس لي حاجة بالمقام ها هنا فأنا أمشي وأتبع هذه السمكة إلى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنيني عن الصيد مدة أيام. فتعرّى من ثيابه ونزل خلف السمكة فأخذه جريان الماء إلى أن ظفر بالسمكة وقبض عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيداً عن الشاطىء. فلما رأى ما قد صنع به جريان الماء لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيده وترك جسده سابحاً مع جريان الماء، فما زال يسحبه الماء إلى أن رماه في وسط دوامة لا يدخلها أحد ويخلص منها. فصار يصيح ويقول: انقذوا الغريق! فأتاه من المحافظين على البحر وقالوا له: ما شانك؟ وما دهاك حتى ألقيت نفسك في هذا الخطر العظيم؟ فقال لهم: أنا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيه النجاة وأقبلت على الهوى والهلكة. فقالوا: يا هذا، كيف تركت سبيل النجاة وأدخلت نفسك في هذه الهلكة؟ وأنت تعرف من قديم أنه ما دخل ها هنا أحد وسلم، فما الذي منعك عن رمي ما في يدك ونجاة نفسك؟ فكيف تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذي لا نجاة منه؟ والآن ليس أحد منّا ينقذك من هذه الهلكة. فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليه وهلك هلاكاً عظيماً. وما ضربت لك أيها الملك هذا المثل إلا لأجل أن تدع هذا الأمر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك وتنظر مما أنت متقلّده من سياسة رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى أحد فيك عيباً. قال الملك: فما الذي تأمرني به؟ قال شماس: إذا كان في غد وأنت بخير وعافية فائذن للناس بالدخول عليك وانظر في أحوالهم واعتذر إليهم ثم عدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة. فقال الملك: يا شماس، إنك تكلمت بالصواب وإني فاعل ما نصحتني به في غد إن شاء الله تعالى. فخرج شماس من عنده وأعلم الناس بكل ما ذكره. فلما أصبح الصباح خرج الملك من حجابه وأذن للناس في الدخول عليه وصار يعتذر إليهم ووعدهم أنه يصنع لهم ما يحبون. فرضوا بذلك وانصرفوا وصار كل واحد إلى منزله. ثم إن بعض نساء الملك وكانت أحبهن إليه وأكرمهن عنده، قد دخلت عليه فرأته متغيّر اللون متفكّراً في أموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت له: ما لي أراك أيها الملك قلق النفس؟ هل تشتكي شيئاً؟ فقال لها: لا وإنما استغرقتني اللذّات عن شؤوني فما لي ولهذه الغفلة عن أحوالي وعن أحوال رعيتي؟ وإن استمريت على ذلك فعن قليل يخرج ملكي من يدي. فأجابته قائلة: إني أراك أيها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشاً، فإنهم إنما يريدون نكايتك

وكيدك حتى لا تحصل لك من ملكك هذه اللذة ولا تغنم نعيماً ولا راحة، بل يريدون أن تقضي عمرك في اندفاع المشقّة عنهم حتى إن عمرك يفنى بالنصب والتعب وتكون مثل الذي قتل نفسه لإصلاح غيره أو تكون مثل الفتى واللصوص. فقال الملك: وكيف كان ذلك؟ فقالت: ذكروا أن سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمرّوا على بستان فيه جوز رطب، فدخلوا ذلك البستان وإذا هم بولد صغير واقف بينهم. فقالوا له: يا فتى، هل لك أن تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزاً؟ فأجابهم الفتى إلى ذلك ودخل معهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 919

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الفتى لما أجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض: انظروا إلى أخفّنا وأصغرنا فاصعدوه. فقالوا: ما ترى فينا ألطف من هذا الفتى؟ فلما أصعدوه قالوا: يا فتى، لا تلمس من الشجرة شيئًا لئلا يراك أحد فيؤذيك. فقال الفتى: وكيف أفعل؟ فقالوا له: اقعد في وسطها وحرّك كل غصن منها تحريكًا قوياً حتى يتناثر ما فيه فتلتقطه وإذا فرغ ما فيها ونزلت إلينا فخذ نصيبك مما التقطناه. فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرّك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه. فبينما هم كذلك وإذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال فقال لهم: ما لكم ولهذه الشجرة؟ فقالوا له: لم نأخذ منها شيئًا غير أننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا أنه صاحبها فطلبنا منه أن يطعمنا منها، فهزّ بعض الأغصان حتى انتثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب. فقال صاحب الشجرة للغلام: فما تقول أنت؟ فقال: كذب هؤلاء ولكن أنا أقول لك الحق وهو أتينا جميعاً إلى هنا فأمروني بالصعود على هذه الشجرة لأهز الأغصان كي ينتثر عليهم الجوز فامتثلت أمرهم. فقال صاحب الشجرة: لقد ألقيت نفسك في بلاء عظيم، وهل انتفعت بأكل شيء منها؟ فقال الغلام: ما أكلت منها شيئًا. فقال له صاحب الشجرة: لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو أنك سعيت في تلف نفسك لإصلاح غيرك. ثم قال للصوص: ما لي عليكم سبيل، إمضوا إلى حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه. وهكذا وزراؤك وأهل دولتك يريدون أن يهلكوك لإصلاح أمرهم ويفعلون بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى. فقال الملك: حقاً ما قلته ولقد صدقت في خبرك، فأنا لا أخرج إليهم ولا أترك لذّاتي. ثم بات مع زوجته في أرغد عيش إلى أن أصبح الصباح. فلما أصبح الصباح قام الوزير وجمع أرباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاؤوا إلى باب الملك مستبشرين فرحين، فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج إليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه. فلما يئسوا من ذلك قالوا لشماس: أيها الوزير الفاضل والحكيم، أما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع إلى ذنوبه الكذب؟ فانظر وعده لك كيف أخلفه ولم يوف بما وعد، وهذا ذنب يجب أن تضيفه إلى ذنوبه. ولكن نرجو أن تدخل إليه ثانياً وتنظر ما السبب في تأخيره ومنعه عن الخروج فإنّا غير منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا الأمر فإنه بلغ غاية القساوة. ثم إن شماس توجه إليه ودخل عليه وقال: السلام عليك أيها الملك، ما لي أراك قد أقبلت على شيء يسير من اللذّة وتركت الأمر الكبير الذي ينبغي الإعتناء به؟ وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطو على لبنها فألهاه حسن لبنها عن ضبط زمامها، فأقبل يوماً

على حلبها ولم يعتن بزمامها . فلما أحست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء ، فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع أن ضرر ما لقيه أكثر من نفعه . فانظر أيها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فإنه ليس ينبغي للرجل ان يديم الجلوس على باب المطبخ من أجل حاجته إلى الطعام ، ولا ينبغي له ان يكثر الجلوس مع النساء من أجل ميله إليهن . وكما ان الرجل يبتغي من الطعام ما يدفع ألم الجوع ومن الشراب ما يدفع ألم العطش . كذلك ينبغي للرجل العاقل أن يكتفي من هذه الأربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته ، ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن أكثر من ساعتين فإن ذلك فيه مضرّة لعقله وبدنه لأنهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن إليه ، ولا ينبغي منهن قولاً ولا فعلاً . وقد بلغني ان ناساً كثيرة هلكوا بسبب نسائهم ، فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه أطاعها فيما أمرته . فقال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قال شماس : زعموا ان رجلاً كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرّمة عنده ، فكان يسمع قولها ويعمل برأيها ، وكان له بستان غرسه بيده جديداً فكان يأتي إليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه . فقالت له زوجته يوماً من الأيام : أي شيء غرست في بستانك ؟ فقال لها : كل ما تحبينه وتريدينه ، وها أنا مجتهد في إصلاحه وسقيه . فقالت له : هل لك ان تأخذني وتفرّجني فيه حتى أراه وأدعوا لك دعوة صالحة فإن دعائي مستجاب . فقال : نعم إمهليني حتى آتي إليك في غد وآخذك . فلما أصبح الرجل أخذ زوجته معه وتوجه بها إلى البستان ودخلا فيه . وفي حال دخولهما نظر إليهما اثنان من الشباب على بعد فقال بعضهما لبعض : إن هذا الرجل زان وإن هذه المرأة زانية ، وما دخلا هذا البستان إلا ليزنيا فيه ، فتبعاهما لينظرا ما يكون من أمرهما . فأما الشابان فإنهما وقفا على جانب البستان ، وأما الرجل وزوجته فإنهما لما دخلا البستان واستقرّا فيه قال الرجل لزوجته : ادعي لي الدعوة التي وعدتني بها فقالت : لا أدعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال . فقال لها : ويحك أيتها المرأة أما كان مني في البيت كفاية ؟ وها هنا أخاف على نفسي من الفضيحة وربما أشغلتني عن مصالحي ، أما تخافين ان يرانا أحد ؟ قالت : فلا نبالي من ذلك لأننا لم نرتكب فاحشة ولا حراماً ، وأما سقي هذا البستان ففيه مهلة وأنت قادر على سقيه أي وقت أردت . ولم تقبل منه عذراً ولا حجة وألحّت عليه في طلب النكاح . فعند ذلك قام ونام معها . فعندما أبصرهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وأمسكوهما وقالا لهما : لا نطلقكما لأنكما من الزناة وإن لم نواقع المرأة نرفع أمركما إلى الحاكم . فقال لهما الرجل : ويحكما ، إن هذه زوجتي وأنا صاحب البستان . فما سمعا له كلاماً بل نهضا على المرأة . فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له : لا تدع الرجال يفضحونني . فأقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع إليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله وأتيا المرأة وفضحاها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 920

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان إلى المرأة وفضحاها . وإنما قلنا لك هذا أيها الملك لتعلم انه ليس ينبغي للرجل ان يسمع من امرأة كلاماً ولا يطيعها في أمر ولا يقبل لها رأياً في مشورة ، فإياك أن تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم أو تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع ، فلا تتبع لذة

يسيرة مصيرها إلى الفساد ومآلها إلى الخسران الزائد الشديد . فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له : أنا في غد اخرج إليهم إن شاء الله تعالى . فخرج شماس إلى الحاضرين من كبراء المملكة وأعلمهم بما قال الملك . فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له : إنما الرعية عبيد للملك والآن رأيت انك أيها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرّهم ، وهم إنما يريدون ان يختبروا باطنك فإن وجدوك ضعيفًا تهاونوا بك ، وإن وجدوك شجاعاً هابوك . وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لأن حيلهم كثيرة وقد أوضحت لك حقيقة كيدهم ، فإن وافقتهم على ما يريدون اخرجوك من امرك إلى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من أمر إلى أمر حتى يوقعوك في الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص . فقال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قالت : بلغني انه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض المدن ، فلما انتهى إلى مدينة اكترى له بها منزلاً ونزل فيه ، فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم ، فانطلقوا إلى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلاً إلى ذلك . فقال لهم رئيسهم : أنا اكفيكم امره . ثم إنه انطلق فلبس ثياب الأطباء وجعل على عاتقه جراباً فيه شيء من الدواء واقبل ينادي : من يحتاج إلى طبيب ؟ حتى وصل إلى منزل ذلك التاجر فرآه جالساً على غدائه . فقال له : أتريد لك طبيباً ؟ فقال له : لست محتاجاً إلى طبيب ولكن اقعد وكل معي . فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه ، وكان ذلك التاجر جيد الأكل . فقال اللص في نفسه : لقد وجدت فرصتي . ثم التفت إلى التاجر وقال له : لقد وجب عليّ نصيحتك لما حصل لي من إحسانك وليس يمكن ان اخفي عليك نصيحة ، وهو إني اراك رجلاً كثير الأكل وهذا سببه مرض في معدتك ، فإن لم تبادر بالسعي على دوائك وإلا آل أمرك إلى الهلاك . فقال التاجر : إن جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم ، وإن كنت جيد الأكل فليس ببدني مرض ولله الحمد والشكر . فقال له اللص : إنما ذلك بحسب ما يظهر لك وإلا فقد عرفت ان في باطنك مرضًا خفياً فإن انت أطعتني فداو نفسك . فقال التاجر : وأين أجد من يعرف دوائي ؟ فقال له اللص : إنما المداوي هو الله ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر إمكانه . فقال له التاجر : أرني الآن دائي واعطني منه شيئًا . فأعطاه سفوفاً فيه صبر كثير وقال له : استعمل هذا في هذه الليلة . فأخذه منه ، ولما كان الليل تعاطى منه شيئًا فرآه صبراً كريه الطعم فلم ينكر منه شيئًا . فلما تعاطاه وجد منه خفة في تلك الليلة . فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء فيه صبراً اكثر من الأول ، فأعطاه منه شيئًا . فلما تعاطاه أسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره . فلما رأى اللص ان التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقّق أنه لا يخالفه ، انطلق وجاءه بدواء قاتل وأعطاه له . فأخذه منه التاجر وشربه ، فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطّعت امعاؤه واصبح ميتاً . فقام اللصوص وأخذوا جميع ما كان للتاجر . وإني أيها الملك ما قلت لك هذا إلا لأجل انك لا تقبل من هذا المخادع كلاماً فيلحقك أموراً تهلك بها نفسك . فقال الملك : صدقت فأنا لا اخرج إليهم . فلما أصبح الصباح اجتمع الناس وجاءوا إلى باب الملك وقعدوا اكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم رجعوا إلى شماس وقالوا له : أيها الفيلسوف الحكيم والماهر العليم ، أما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد إلا كذباً علينا ؟ وإن إخراج المُلك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب ؟ فتنتظم بذلك أحوالنا وتستقيم أمورنا . ولكن ادخل إليه ثالثاً واعلمه انه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع المُلك منه إلا

إحسان والده إلينا وما اخذه علينا من العهود والمواثيق، ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن . فإن خرج إلينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس وإلا دخلنا عليه وقتلناه وَنجعلنا المُلك في يد غيره . فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له : ايها الملك المنهمك في شهواته ولهوه، ما هذا الذي تصنعه بنفسك؟ فيا هل ترى من يغريك على هذا؟ فإن كنت انت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة . فليت شعري من الذي حوّلك ونقلك من العلم إلى الجهل ومن الوفاء إلى الجفاء ومن اللين إلى القسوة ومن قبولك مني إلى إعراضك عني، فكيف انصحك ثلاث مرات ولا تقبل نصيحتي؟ واشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي؟ فاخبرني ما هذه الغفلة؟ وما هذا اللهو؟ ومن اغراك عليه؟ أعلم ان اهل مملكتك قد تواعدوا على أنهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك فهل لكم قوّة على جميعهم والنجاة من أيديهم؟ أو تقدر على حياة نفسك بعد قتلها؟ فإن كنت اعطيت هذا كله امنت من قبله فلا حاجة لك بكلامي، وإن كانت حاجتك إلى الدنيا والملك فافق لنفسك واضبط ملكك واظهر للناس قوّة بأسك واعلمهم باعذارك فإنهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه إلى غيرك، وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات . فإن الحجارة إذا طال مكثها في الماء متى أخرجت منه وضرب بعضها بعضاً انقدحت منها النار . والآن رعيتك خلق كثير وهم يتوازرون عليك ويريدون نقل المُلك منك إلى غيرك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

حكاية الثعلب والذئب

فلما كانت الليلة 921

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير شماس قال للملك : ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب . فقال الملك : وكيف كان ذلك؟ قال : زعموا أن جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون . فبينما هم يجولون في طلب ذلك وإذا هم بجمل ميت فقالوا في انفسهم : قد وجدنا ما نعيش به زماناً طويلاً، ولكن نخاف ان يبغي بعضنا على بعض ويميل القوي بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منّا، فينبغي لنا ان نطلب حكما يحكم بيننا ونجعل له نصيباً فلا يكون للقوي سلاطة على الضعيف . فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك وإذا بذئب اقبل عليهم . فقال بعضهم لبعض : إن أصاب رايكم فاجعلوا هذا الذئب حكمًا بيننا لأنه اقوى الناس وأبوه سابقاً كان سلطاناً علينا، ونحن نرجوا من الله ان يعدل بيننا . ثم إنهم توجهوا إليه واخبروه بما صار إليه رايهم وقالوا : لقد حكّمناك بيننا لأجل ان تعطي كل واحد منّا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغي قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضًا . فأجابهم الذئب إلى قولهم وتعاطى أمورهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم . فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه : إن قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود عليّ منها شيء إلا الجزء الذي جعلوه لي، وإن اكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضراً مع انهم غنم لي ولأهل بيتي، فمن الذي يمنعني عن اخذ هذا لنفسي؟ ولعل الله مسببه لي بغير جميلة منهم! فالاحسن لي ان اختص به دونهم ومن هذا الوقت لا اعطيهم شيئًا . فلما

أصبح الثعالب جاؤوا إليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له : يا أبا سرحان ، أعطنا مؤونة يومنا . فأجابهم قائلاً : ما بقي عندي شيء أعطيه لكم . فذهبوا من عنده على أسوأ حال ثم قالوا : إن الله أوقعنا في همّ عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة . ثم قال بعضهم لبعض : إنما حمله على هذا الأمر ضرورة الجوع ، فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب إليه . فلما أصبحوا توجهوا إليه وقالوا له : يا أبا سرحان ، إنما ولّيناك علينا لأجل أن تدفع لكل واحد منّا قوته وتنصف الضعيف من القوي وإذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائمًا تحت كنفك ورعايتك ، وقد مسّنا الجوع ولنا يومان ما أكلنا ، فاعطنا مؤونتنا وانت في حلّ من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك . فلم يرد عليهم جواباً بل ازداد قسوة ، فراجعوه فلم يرجع . فقال بعضهم لبعض : ليس لنا حيلة إلا أننا ننطلق إلى الأسد ونرمي أنفسنا عليه ونجعل له الجمل ، فإن إحسن لنا بشيء منه كان من فضله وإلا فهو أحق به من الخبيث . ثم انطلقو إلى الأسد واخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له : نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلّصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيداً . فلما سمع الأسد كلام الثعلب اخذته الحمية وغار لله تعالى ومضى معهم إلى الذئب . فلما رأىٰ الذئب الأسد مقبلاً طلب الفرار من قدامه ، فجرى الأسد خلفه وقبض عليه ومزّقه قطعاً ومكّن الثعالب من فريستهم . فمن هذا عرفنا أنه لا ينبغي لأحد من الملوك أن يتهاون في أمر رعيته ، فاقبل نصيحتي وصدّق القول الذي قلته لك ، واعلم أن أباك قبل وفاته قد أوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام .

فقال الملك : إني سامع منك وفي غد إن شاء الله تعالى أطلع إليهم . فخرج شماس من عنده وأخبرهم بأن الملك قبل نصيحته ووعده أنه في غد يخرج إليهم . فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولاً عن شماس وتحقّقت أنه لا بد من خروج الملك إلى الرعية أقبلت على الملك مسرعة وقالت له : ما أكثر تعجبي من إذعانك وطاعتك لعبيدك ؟ أما تعلم أن وزراءك هؤلاء عبيدك ؟ فلأي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى أوهمتهم أنهم هم الذين أعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وإنهم أعطوك العطايا ؟ مع أنهم لم يقدروا أن يفعلوا معك أدنى مكروه ، فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ أمورك ، فكيف تكون مرعوباً منهم هذا الرعب العظيم ؟ وقد قيل : إذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح أن تكون ملكاً ، وهؤلاء غرّهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع أنه ينبغي أن يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الإنقياد إليك . فإن أنت سارعت لقبول كلامهم وأهملتهم على ما هم فيه وقضيت لهم أدنى حاجة على غير مرادك نقلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة . فإن أطعتني لا ترفع لأحد منهم شأناً ولا تقبل لأحد منهم كلاماً ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية الراعي واللص

قالت : زعموا أنه كان رجل راعي غنم وكان محافظاً على رعايتهم ، فأتاه لص ذات ليلة يريد أن يسرق من غنمه شيئًا فرآه محافظاً عليهم لا ينام ليلاً ولا يغفل نهاراً ، فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء . فلما أعيته الحيلة انطلق إلى البرية واصطاد أسدًا وسلخ جلده وحشاه تبناً ثم أتى به ونصبه على محل عال في البرية بحيث يراه الراعي ويتحقّقه ثم اقبل اللص على الراعي

وقال له : إن هذا الأسد قد أرسلني اليك يطلب عشاء من هذا الغنم . فقال له الراعي : وأين الأسد ؟ فقال له اللص : إرفع بصرك ها هو واقف . فرفع الراعي رأسه فرأى صورة الأسد . فلما رآها ظن أنها أسد حقيقة ، ففزع منها فزعًا شديدًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 922

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الراعي لما رأى صورة الأسد ظن أنها أسد حقيقة . ففزع منها فزعاً شديداً وأخذه الرعب وقال للص : يا أخي ، خذ ما شئت ليس عندي مخالفة . فأخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه في الراعي بسبب شدّة خوفه ، فصار كل قليل يأتي إليه ويرغبه ويقول له : إن الأسد يحتاج إلى كذا وقصده أن يفعل كذا . ثم يأخذ من الغنم كفايته . ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى أفنى غالب الغنم . وإنما قلت لك هذا الكلام أيها الملك لئلا يغترّ كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك ، والرأي السديد أن يكون موتهم أقرب مما يفعلونه بك . فقبل الملك قولها وقال : إني قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعاً لمشورتهم ولا خارجاً إليهم . فلما أصبح الصباح اجتمع الوزراء وأكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولّوا غيره . فلما وصلوا إلى بيت الملك سألوا البوّاب أن يفتح لهم الباب فلم يفتح لهم ، فارسلوا ليحضروا ناراً فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا . فسمع البوّاب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة وأعلم الملك أن الخلق مجتمعون على الباب وقال له : إنهم سألوني أن افتح لهم فأبيت ، فارسلوا ليحضروا ناراً فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تأمرني ؟ فقال الملك في نفسه : إني وقعت في الهلكة العظيمة . ثم أرسل خلف المرأة فحضرت . فقال : إن شماس لم يخبرني بشيء إلا وقد وجدته صحيحاً ، وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلكم ، ولما لم يفتح لهم البواب أرسلوا ليحضروا النار يحرقون الأبواب فيحترق البيت ونحن داخله . فماذا تشيرين علينا ؟ فقالت له المرأة : لا بأس عليك ولا يهؤلنك أمرهم فإن هذا زمان يقوم فيه السفهاء على ملوكهم . فقال لها الملك : فما تشيرين به عليّ لأفعله ؟ وما الحيلة في هذا الأمر ؟ فقالت : الرأي عندي أنك تعصب رأسك بعصابة وتظهر أنك مريض ثم ترسل إلى الوزير شماس فيحضر إليك ويرى حالك الذي أنت فيه . فإذا حضر فقل له : قد أردت الخروج إلى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض ، فاخرج إلى الناس واخبرهم بما أنا فيه واخبرهم أني في غد أخرج إليهم واقضي حوايجهم وأنظر في أحوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم . وإذا أصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أبيك يكونون من أهل البأس والقوة وتكون آمناً على نفسك منهم ويكونون سامعين لقولك طائعين لأمرك كاتمين لسرّك حافظين لودّك . ثم أوقفهم على رأسك وأمرهم أن لا يمكّنوا أحدًا من الدخول عليك إلا واحداً بعد واحد . فإذا دخل واحد فقل لهم : خذوه واقتلوه . وإذا اتفقوا معك على ذلك فاصبح ناصباً كرسيك في ديوانك وافتح بابك ، فإنهم إذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم وأتوا لك بقلب سليم واستأذنوا في الدخول عليك ، فأذن لهم في الدخول واحد بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ، ولكن ينبغي أن تبدأ بقتل شماس الكبير أولهم فإنه هو الوزير الأعظم وهو صاحب الأمر فاقتله أولاً ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحد بعد واحد ولا تبقِ منهم من تعرف أنه ينكث لك

عهداً وكذلك كل من تخاف صولته. فإنك إذا فعلت بهم ذلك فإنهم لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكلية ويصفى لك الملك وتعمل ما تحب. واعلم انه لا حيلة لك انفع من هذه الحيلة. فقال لها الملك: إن رايك هذا سديد وامرك فيه رشيد، فلا بد ان اعمل ما ذكرت. ثم امر بعصابة فشدّ بها راسه وتضاعف وارسل إلى شماس فلما حضر بين يديه قال له: يا شماس، قد علمت اني لك محب ولرايك مطيع وانت لي كالاخ والوالد دون كل احد وتعرف اني اقبل منك جميع ما أمرتني به. وقد كنت آمرتني بالخروج إلى الرعية والجلوس لأحكامهم وتحققت انها نصيحة منك لنا، وقد اردت الخروج إليهم بالأمس فعرض لي هذا المرض ولست استطيع الجلوس. وقد بلغني ان اهل المملكة متنغصون من عدم خروجي إليهم وهمّوا ان يفعلو بي ما لا يليق من شرّهم فإنهم غير عالمين بما انا فيه من المرض. فاخرج إليهم واعلمهم بحالي وما انا فيه واعتذر إليهم عني فإني تابع لما يقولون وفاعل ما يحبون، فاصلح هذا الأمر واضمن لهم عني ذلك فإنك نصيح لي ولوالدي من قبلي وعادتك الإصلاح بين الناس، وإن شاء الله تعالى في غد اخرج إليهم ولعل مرضي ان يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما اضمرته لهم من الخير في سريرتي. فسجد شماس لله ودعا للملك وقبّل يديه وفرح بذلك وخرج إلى الناس واخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما ارادوه، واعلمهم بالعذر من سبب امتناع الملك عن الخروج، واخبرهم انه وعده في غد بالخروج إليهم وانه يصنع لهم ما يحبون. فانصرفوا عند ذلك إلى منازلهم. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 923

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن شماس خرج إلى الدولة وقال لهم: إن الملك في غد يخرج إليكم ويصنع لكم ما تحبون. فانصرفوا إلى منازلهم. هذا ما كان من امرهم. واما ما كان من أمر الملك فإنه بعث إلى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة ابيه وكانوا ذوي عزم جليد وبأس شديد. وقال لهم: قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشأن والإحسان إليكم مع لطفه بكم وإكرامه إياكم فانا انزلكم بعده عندي في درجة أرفع من تلك الدرجة وساعرّفكم سبب ذلك وانتم في أمان الله مني. ولكن اسألكم عن مسألة، هل تكونون معي فيها طائعين لأمري فيما اقوله لكم كاتمين لسري عن جميع الناس؟ ولكم مني الإحسان فوق ما تريدون حيث امتثلتم امري. فأجابوه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين: جميع ما تأمرنا به يا سيدنا نحن به عاملون ولا نخرج عن ما تشير به علينا مطلقًا وانت ولي امرنا. فقال لهم: احسن الله لكم فانا الآن اعرّفكم سبب اختصاصكم لمزيد الإكرام عندي، هو انكم قد علمتم ما كان يفعله ابي باهل مملكته من الإكرام وما عاهدهم عليه من امري وإقرارهم له بانهم لا ينكثون لي عهداً ولا يخالفون امري، وقد نظرتم ما كان منهم بالأمس حيث اجتمعوا جميعاً حولي يريدون قتلي وانا اريد ان اصنع بهم امراً. وذلك اني نظرت ما كان منهم بالأمس فرايت انه لا يزجرهم عن مثله إلا نكالهم، فلا بد ان اوكلكم بقتل من اشير لكم بقتله سراً حتى ادفع الشرّ والبلاء عن بلادي بقتل اكابرهم ورؤسائهم. وطريقة ذلك اني اقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غد واذن لهم بالدخول عليّ واحداً بعد واحد وان يدخلوا من باب ويخرجوا من آخر. فقفوا انتم العشرة بين يدي فاهمين لإشارتي وكل ما

يدخل واحد فخذوه وادخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثّته . فقالوا : سمعاً لقولك وطاعة لأمرك . فعند ذلك احسن إليهم وصرفهم وبات . فلما أصبح طلبهم وأمر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك وأخذ في يده كتاب القضاء وأمر بفتح الباب ، ففتح وأوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى المنادي : من كان له حكومة فليحضر إلى بساط الملك . فأتى الوزراء والقوّاد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته ثم أمر بالدخول واحداً بعد واحد . فدخل شماس الوزير أولاً كما هي عادة الوزير الأكبر . فلما دخل واستقرّ قدام الملك لم يشعر إلا والعشرة عبيد محتاطون به واخذوه وادخلوه البيت وقتلوه ، واقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء ، فصاروا يقتلونهم واحداً بعد واحد حتى فرغوا من الجميع . ثم دعا بالجلادين وامرهم بحط السيف في من بقي منهم الشجاعة وقوة البأس . فلم يتركوا احداً ممن يعرفون ان له شهامة إلا قتلوه ولم يتركوا إلا سفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم بأهله . ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذّاته واعطى نفسه شهواتها واتّبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدّمه من أهل الشرّ . وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقّعون له البلاء . فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له : إني ظفرت بما كنت أريد من اخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لأكابر دولته وأهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في أرضه ، فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع ما في يده لكونه صغيراً ولإدارته له بالحرب ولا راي له ولم يبق عنده من يرشده ولا يعضده ، فأنا اليوم أفتح معه باب الشرّ وهو اني أكتب له كتاباً واعبث به فيه وابكته على ما حصل منه وأنظر ما يكون من جوابه . فكتب له مكتوباً مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما أوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وافسدت ، وإن الله قد اعطاني النصر عليك وظفرني بك . فاسمع كلامي وامتثل أمري وابن لي قصراً منيعًا في وسط البحر ، وإن لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك وفز بنفسك فإني باعث إليك من اقصى الهند اثني عشر كردوساً ، كل كردوس اثنا عشر الف مقاتل ، فيدخلون بلادك وينهبون اموالك ويقتلون رجالك ويسبون حريمك واجعل قائدهم بديعاً وزيري وآمره ان يرسخ عليها محاصراً إلى ان يملكها . وقد أمرت هذا الغلام المرسل إليك انه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام . فإن امتثلت أمري نجوت وإلا ارسلت إليك ما ذكرته لك . ثم ختم الكتاب وأعطاه للرسول ، فسار به حتى وصل إلى تلك المدينة ودخل على الملك واعطاه الكتاب . فلما قرأه الملك ضعفت قوّته وضاق صدره والتبس عليه أمره وتحقّق الهلاك ، ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين به ولا من ينجده . فقام ودخل على زوجته وهو متغيّر اللون . فقالت له : ما شأنك أيها الملك ؟ فقال لها : لست اليوم بملك ولكني عبد للملك ، ثم فتح الكتاب وقرأه عليها . فلما سمعته اخذت في البكاء والنحيب وشقّت ثيابها . فقال لها الملك : هل عندك شيء من الراي والحيلة في هذا الأمر العسير ؟ فقالت له : وما عند النساء من الحيلة في الحروب ؟ والنساء لا قوة لهن ولا راي لهن وإنما القوة والحيلة للرجال في مثل هذا الأمر . فلما سمع الملك منها ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه في حق جماعته ورؤساء دولته . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 924

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسّف على ما فرط منه من قتل وزرائه وإشراف رعيته ، وتمنّى الموت لنفسه قبل أن يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع . ثم قال لنسائه : لقد وقع لي منكن ما وقع للدرّاج مع السحالف ؟ فقلن له : وكيف كان ذلك ؟ فقال الملك : زعموا أن سحالفاً كانت في جزيرة من الجزائر ، وكانت تلك الجزيرة ذات أشجار وأثمار وأنهار . فاتفق أن دراجاً اجتاز بها يوماً وقد أصابه الحر والتعب ، فلما أضرّ به ذلك حطّ من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السحالف . فلما رأى السحالف التجأ إليها ونزل عندها وكانت السحالف ترعى في جهات الجزيرة ثم ترجع إلى مكانها . فلما رجعت من مسارحها إلى مكانها رأت الدرّاج فيه . فلما رأته اعجبها وزيّنه الله لها فسبّحت خالقها وأحبت هذا الدرّاج حبّاً شديداً وفرحت به . ثم قال بعضها لبعض : لا شك أن هذا أحسن الطيور . فصارت كلها تلاطفه وتجنح إليه . فلما رأى منها عين المحبة مال إليها واستأنس بها وصار يطير إلى أي جهة أراد وعند المساء يرجع إلى البيت عندها ، فإذا أصبح الصباح يطير إلى حيث أراد وصارت هذه عادته واستمرّ على هذا الحال مدة من الزمان . فلما رأت السحالف أن غيابه عنها يوحشها وتحقّقت أنها لا تراه إلا في الليل وإذا أصبح طار مبادراً لا تشعر به مع زيادة حبّها له . قال بعضها لبعض : إن هذا الدراج قد أحببناه وصار لنا صديقاً وما بقي لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة إلى إقامته عندنا دائماً ؟ لأنه إذا طار يغيب عنّا النهار كله ولا نراه إلا في الليل . فأشارت عليها واحدة قائلة : استريحوا يا أخواتي وأنا أجعله لا يفارقنا طرفة عين . فقال لها الجميع : إن فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيداً . فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينها تقرّبت منه السحلفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له : يا سيدي ، أعلم أن الله قد رزقك منّا المحبة وكذلك أودع قلبك محبّتنا وصرت لنا في هذا القفر أنيساً وأحسن أوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق ، ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد إلينا إلا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة ، وقد شقّ علينا ذلك كثيراً ونحن في وجد عظيم بهذا السبب . فقال لها الدرّاج : نعم أنا عندي محبة لكنّ واشتياق عظيم إليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلاً عندي ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيراً بأجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائماً لأن هذا ليس من طبعي فإن الطير ذا الأجنحة ليس له مستقرّ إلا في الليل لأجل النوم وإذا أصبح طار وسرح في أي موضع أعجبه . فقالت له السحلفة : صدقت ولكن ذو الأجنحة في غالب الأوقات لا راحة لكونه لا يناله من الخير ربع ما يحصل له من المشقّة ، وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة . ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والإلفة ونخشى عليك ممن يصطادك من أعدائك فتهلك ونحرم من رؤية وجهك . فأجابها الدرّاج قائلاً : صدقت ولكن ما عندك من الراي والحيلة في أمري ؟ فقالت له : الرأي عندي أن تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحاً وتأكل من أكلنا وتشرب من شربنا في هذه السرحة الكثيرة الأشجار اليانعة الأثمار ونقيم نحن وأنت في هذا الموضع المخصب ويتمتّع كل منّا بصاحبه . فمال الدرّاج إلى قولها وقصد الراحة ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حِكم ما استحسنه من رأي السحلفة واستقرّ عندهن عائشاً معهن ورضي باللذّة

اليسيرة والطرب الزائل . فبينما هم على تلك الحالة وإذا بابن عرس قد مرّ عليه فرمقه بعينه وتأمّله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض . فلما رآه على تلك الحالة فرح به فرحاً شديداً وقال في نفسه : إن هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش . ثم دنا منه ابن عرس وافترسه ، فصاح الدرّاج وطلب النجدة من السحالف فلم ينجدنه بل تباعدن عنه وانكمشن في بعضهن لما رأين ابن عرس قابضاً عليه . وحيث رأين ابن عرس يعذّبه خنقهنّ البكاء عليه . فقال لهنّ الدرّاج : هل عندكنّ شيء غير البكاء؟ فقلن له : يا أخانا ، ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة في أمر ابن عرس . فحزن الدرّاج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسه وقال لهن : ليس لكنّ ذنب إنما الذنب لي حيث أطعتكم ونتفت أجنحتي التي أطير بها ، فأنا أستحق الهلاك لمطاوعتي لكنّ ولا الومكنّ في شيء . وأنا الآن لا الومكنّ أيتها النساء بل ألوم نفسي وأُءدبها حيث لم تتذكّر انكنّ سبب الهفوة التي حصلت من أبينا آدم ولأجلها خرج من الجنة . ونسيت انكنّ أصل كل شرّ فأطعتكنّ بجهلي وخطأ رأيي وسوء تدبيري وقتلت وزرائي وحكّام مملكتي الذين كانوا إليّ نصحاء في كل الأمور ، وكانوا عزّتي وقوّتي على كل أمر اهمّني . فأنا الآن لم أجد عوضاً عنهم ولا أرى أحداً يقوم مقامهم ، وقد وقعت في الهلاك العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 925

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لام نفسه وقال : أنا الذي أطعتكنّ بجهلي وقتلت وزرائي ولم أجد عوضاً عنهم يقوم مقامهم ، وإن لم يفتح الله عليّ بمن له رأي سديد يرشدني إلى ما فيه خلاصي وقعت في الهلكة العظيمة . ثم إنه قام ودخل مرقده بعد أن نعى الوزراء والحكماء قائلاً : يا ليت هؤلاء الأسود عندي في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى أعتذر إليهم وانظرهم وأشكوا إليهم أمري وما حصل بي بعدهم . ولم يزل غريقاً في بحر الهمّ طول نهاره ولا يأكل ولا يشرب . فلما جن الليل قام وغيّر لباسه ولبس ثياباً رديئة وتنكّر وخرج يسوح في المدينة لعله يسمع من أحد كلمة يرتاح بها . فبينما هو يطوف في الشوارع وإذا هو بغلامين مختلين بأنفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان في السن ، عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة ، فسمعهما يتحدّثان مع بعضهما . فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه ، فسمع واحداً منهما يقول للآخر : إسمع يا أخي ما حكاه لي والدي ليلة أمس من أجل ما وقع له في زرعه ويبسه قبل أوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة . فقال له الآخر : أتعرف ما سبب هذا البلاء؟ قال له : لا . فإن كنت تعرفه أنت فاذكره لي . فأجابه قائلاً نعم اعرفه وأخبرك به . أعلم أن بعض أصحاب والدي قال لي : إن ملكنا قد قتل وزراؤه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل من أجل حبّه للنساء وميله إليهن وإن الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وأمر بقتلهم طاعة لنسائه ، حتى إنه قتل شماس والدي وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ، ولكن سوف تنظر ما يفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه . فقال الغلام : وما عسى أن يفعل الله به بعد هلاكهم ؟ قال له : أعلم أن ملك الهند الأقصى قد استخفّ بملكنا وبعث إليه كتاباً يوبّخه فيه ويقول له : ابن لي قصراً في وسط البحر وإن لم تفعل ذلك فأنا أرسل إليك اثني عشر كردوساً ، كل كردوس فيه مائة الف

مقاتل، وأجعل قائد هذه العساكر بديعًا وزيري فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك. فلما جاءه رسول ملك الهند الأقصى بهذا الكتاب أمهله ثلاثة أيام. واعلم يا أخي أن ذلك الملك جبّار عنيد ذو قوّة وبأس شديد وفي مملكته خلق كثير، وإن لم يحتل ملكنا فيما يمنعه منه وقع في الهلكة، وبعد هلاك ملكنا يأخذ هذا الملك أرزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا. فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطراباً ومال إليهما وقال في نفسه: إن هذا الغلام لحكيم لكونه أخبر عن شيء لم يبلغه مني، فإن الكتاب الذي جاء من ملك أقصى الهند عندي والسرّ معي ولم يطّلع أحد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به؟ ولكن أنا التجيء إليه وأكلمه وأسأل الله أن يكون خلاصنا لديه. ثم إن الملك دنا من الغلام بلطف وقال له: أيها الولد الحبيب، ما هذا الذي ذكرته من أجل ملكنا؟ فإنه قد أساء كل الإساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه في الحقيقة قد أساء نفسه ورعيّته وأنت صدقت فيما قلته. ولكن عرّفني أيها الولد من أين عرفت أن ملك الهند الأقصى كتب إلى ملكنا كتاباً ووبّخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذي قلته؟ قال له الغلام: قد علمت هذا من قول القدماء: إنه ليس يخفى على الله خافية والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الأسرار الخفية. فقال له: صدقت يا ولدي، لكن هل لملكنا حيلة أو تدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم؟ فأجاب الغلام قائلاً: نعم. إذا أرسل الملك إليّ وسألني ماذا يصنعه ليدفع به عدوّه وينجو من كيده أخبرته بما فيه نجاته بقوّة الله تعالى. قال له الملك: ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل إليك ويدعوك؟ فأجابه قائلاً: إني سمعت عنه أنه يفتش على أهل الخبرة والرأي الرشيد وإذا أرسل إليّ سرت معهم إليه وعرّفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه، وإن أهمل هذا الأمر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه وأردت أني أعلمه بما فيه نجاته وتوجّهت إليه من تلقاء نفسي فإنه يأمر بقتلي مثل أولئك الوزراء وتكون معرفتي به سببًا لهلاكي، وتستقل الناس بي ويستنقصون عقلي وأكون من مضمون قول من قال: من كان علمه أكثر من عقله هلك ذلك العالم بجهله. فلما سمع الملك كلام الغلام تحقّق حكمته وتبيّن فضيلته وتيّقن أن النجاة تحصل له ولرعيته على يديه. فعند ذلك أعاد الملك الكلام على الغلام وقال له: من أين أنت؟ وأين بيتك؟ فقال له الغلام: إن هذه الحائط توصل إلى بيتنا. فتعهّد الملك ذلك المكان ثم إنه ودّع الغلام ورجع إلى مملكته مسروراً. فلما استقرّ في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنه النساء وأكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عن ما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم. ثم تاب إلى الله توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر، ودعا بأحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وأمره أن ينطلق إليه ويحضره بين يديه برفق. فمضى ذلك العبد إلى الغلام وقال له: إن الملك يدعوك لخير يصل إليك من قبله ويسألك سؤالاً ثم تعود في خير إلى منزلك. فأجاب الغلام قائلاً: وما حاجة الملك التي دعاني من أجلها؟ قال له الخادم: إن حاجة مولاي التي دعاك من أجلها هي سؤال وجواب. فقال له الغلام: ألف سمع وألف طاعة لأمر الملك. ثم سار معه حتى وصل إلى الملك. فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد أن سلّم عليه، فردّ الملك عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 926

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام لما جاء إلى الملك وسلّم عليه امره بالجلوس فجلس . فقال له : هل تعرف من تكلم معك بالأمس ؟ قال الغلام : نعم . قال له : فأين هو ؟ فأجابه بقوله : هو الذي يكلّمني في هذا الوقت . فقال له الملك : لقد صدقت أيها الحبيب . ثم أمر الملك بوضع كرسي إلى جانب كرسيه وأجلسه عليه وأمر بإحضار أكل وشرب ثم امتزجا في الحديث إلى ان قال الملك للغلام : إنك أيها الوزير حدّثتني بالأمس حديثاً وذكرت فيه ان معك حيلة تدفع بها عنّا كيد ملك الهند ، فما هي الحيلة ؟ وكيف التدبير في دفع شرّه عنّا ؟ فاخبرني لكي اجعلك اوّل من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزيراً لي واكون تابعاً لرأيك في كل ما أشرت به عليّ واجيزك جائزة سنيّة . فقال له الغلام : جائزتك لك أيها الملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي اشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء . فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهّد وقال : أيها الولد الحبيب ، وهل شماس والدك كما ذكرت؟ فاجابه الغلام قائلاً : إن شماس والدي حقاً وانا ولده صدقاً . فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله وقال : أيها الغلام ، إني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن عظيم . ولكن اسألك ان تكون مسامحاً لي وإني جاعلك في موضع ابيك واعلى مقاماً من مقامه ، وإذا زالت هذه النقمة النازلة بنا طوّقتك بطوق الذهب واركبتك اعز مركوب وأمرت المنادي ان ينادي قدّامك قائلاً : هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك . واما ما ذكرت من أمر النساء فإني اضمرت الإنتقام منهن وجعلته في الوقت الذي يريده الله تعالى ، فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي ؟ فاجابه الغلام قائلاً : اعطني عهداً انك لا تخالف رايي فيما اذكره لك وان اكون مما اخشاه في امان . فقال له الملك : هذا عهد الله بيني وبينك ، إني لا اخرج عن كلامك وإنك عندي صاحب المشورة ومهما امرتني به فعلته ، والشاهد بيني وبينك على ما أقول هو الله تعالى . فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتّسع عنده مجال الكلام فقال : أيها الملك ، إن التدبير والحيلة عندي انك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بعد المهلة التي أمهلته إياها ، فإذا حضر بين يديك وطلب الجواب إدفعه عنك وامهله إلى يوم آخر ، فعند ذلك يعتذر إليك بان ملكه حدّد عليه أياما معلومة ويراجعك في كلامك ، فاطرحه وامهله إلى يوم آخر ولا تعيّن له ذلك اليوم . فيخرج من عندك غضباناً ويتوجه إلى وسط المدينة ويتكلّم جهراً بين الناس ويقول : يا اهل المدينة ، إني ساعي ملك الهند الأقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين الحديد ، وقد ارسلني بكتاب إلى ملك هذه المدينة وحدّد لي أياماً وقال : إن لم تحضر عقب الأيام التي حدّدتها لك حلّت بك نقمتي . وها أنا جئت إلى ملك هذه المدينة واعطيته الكتاب ، فلما قراه امهلني ثلاثة أيام ثم يعطيني جواب ذلك الكتاب ، فاجبته إلى ذلك لطفاً به ورعاية لخاطره . وقد مضت الثلاثة أيام وأتيت أطلب منه الجواب فامهلني إلى يوم آخر وانا ليس عندي صبر . فها أنا منطلق إلى سيدي ملك الهند الأقصى واخبره بما وقع لي ، وانتم أيها القوم شاهدون بيني وبينه . فعند ذلك يبلغك كلامه فارسل إليه واحضره بين يديك وكلّمه بلطف وقل له : أيها الساعي لإتلاف نفسه ، ما الذي حملك على ملامتنا بين رعيتنا ؟ لقد استحقّيت منّا التلف عاجلاً . ولكن قالت القدماء : العفو من شيم الكرام . واعلم ان تأخير الجواب عنك ليس عجزاً منّا وإنما

هو لزيادة أشغالنا وقلّة تفرّغنا لكتابة جواب ملككم. ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانياً وبعد أن تفرغ من قراءته أكثر من الضحك وقل له: هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جواباً له أيضاً؟ فيقول لك: ليس معي كتاب غير هذا الكتاب. فأعد عليه القول ثانياً فيقول لك: ليس معي غيره أصلاً. فقل له: إن ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلامًا ما يريد به تقويم نفوسنا لأجل أن نتوجه بعسكرنا إليه فنغزوا بلاده ونأخذ مملكته. ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة على إساءة أدبه بهذا المكتوب لأنه قاصر العقل ضعيف الحزم. فالمناسب لمقدرتنا أن ننذره أولاً ونحذّره من أن يعود لمثل هذه الهذيانات، فإن خاطر بنفسه وعاد إلى مثلها استحق البلاء عاجلاً. وأظن أن الملك الذي أرسلك جاهل أحمق غير مفكّر في العواقب وليس له وزير عاقل سديد الرأي يستشيره، ولو كان عاقلاً لاستشار وزيراً قبل أن يرسل إلينا مثل هذا الكلام السخرية. ولكن له عندي جواب مثل كتابه وأزيد، وأنا أدفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه. ثم أرسل إليّ واطلبني فإذا حضرت بين يديك فأذن لي بقراءة الكتاب وردّ جوابه. فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام وأعجبته حيلته، فأنعم عليه وخوّله رتبة والده وصرفه مسروراً. فلما انقضت الثلاثة أيام التي جعلها مهلة للساعي، جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب فأمهله الملك إلى يوم آخر، فخرج الساعي إلى آخر البساط وتكلّم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام ثم خرج إلى السوق وقال: يا أهل هذه المدينة، إني رسول ملك الهند الأقصى إلى ملككم، جئته برسالة وهو يماطلني في جوابها وقد انقضت المدة التي حدّدها لي ملكنا ولم يبق لملككم عذر، فأنتم تكونون شهداء على ذلك. فلما بلغ الملك هذا الكلام أرسل إلى ذلك الساعي وأحضره بين يديه وقال له: أيها الساعي في إتلاف نفسه، ألست ناقلاً كتاباً من ملك إلى ملك وبينهما أسرار؟ فكيف تخرج بين الناس وتظهر أسرار الملوك على العامة؟ لقد استحقّيت منّا القصاص ولكن نحن نتحمّل ذلك لأجل عود جوابك لهذا الملك الأحمق، والأنسب أن لا يرد له جواباً عنّا إلا أقل صبيان المكتب. ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر، ولما دخل على الملك والساعي حاضر، سجد لله ودعا للملك بدوام العز والبقاء. فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له: إقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة. فأخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسّم بالضحك وقال للملك: هل إرسالك خلفي لأجل جواب هذا الكتاب؟ فقال له: نعم. فأجاب: بمزيد السمع والطاعة. وأخرج الدواة والقرطاس وكتب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 927

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الغلام لما أخذ الكتاب وقرأه أخرج في الوقت دواة وقرطاساً وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. السلام على من فاز بالأمان ورحمة الرحمن. أما بعد، فإني أعلمك أيها المدعو ملكاً كبيراً إسماً لا رسماً أنه قد وصل إلينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحقّقنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك إلى ما لا تقدر عليه، ولولا أن الرأفة أخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك. وأما رسولك فإنه خرج إلى السوق ونشر أخبار كتابك على الخاص والعام فاستحقّ منّا القصاص، ولكن أبقيناه رحمة منّا له لكونه معذوراً معك ولم نترك قصاصه وقاراً لك. فأما ما

ذكرته في كتابك من قتلي لوزرائي وعلمائي وكبراء مملكتي فإن ذلك حق ولكن لسبب قام عندي، وما قتلت من العلماء واحداً إلا وعندي من جنسه الف اعلم منه، وافهم واعقل وليس عندي طفل إلا وهو ممتلىء من العلوم، وعندي عوضاً عن كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا أقدر أن احصيه، وكل واحد من عسكري يقاوم كردوساً من عسكرك. وأما من جهة المال فإن عندي معمل الذهب والفضة. وأما المعادن فإنها عندي كقطع الحجارة. وأما أهل مملكتي فإني لا أقدر أن أصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم. فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا: ابن لي قصراً في وسط البحر؟ فإن هذا أمر عجيب ولعله ناشىء عن سخافة عقلك، لأنه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الأمواج وحركات الرياح وأنا أبني لك القصر. وأما زعمك أنك تظفر بي فحاش لله من ذلك، كيف يبغي علينا مثلك ويظفر بملكنا؟ بل إن الله تعالى أظفرني بك لكونك متعدّياً وباغياً عليّ بغير حق. فاعلم أنك قد استوجبت العذاب من الله ومني، ولكن أنا اخاف الله فيك وفي رعيتك ولا أركب عليك إلا بعد النذارة. فإن كنت تخشى الله فعجل لي بإرسال خراج هذه السنة وإلا لأرجع عن الركوب عليك ومعي الف الف ومائة الف مقاتل كلهم جبابرة بأفيال فاسردهم حول وزيرنا وآمره أن يقيم على محاصرتك ثلاث سنوات نظير الثلاثة أيام التي أمهلتها لقاصدك وأتملّك مملكتك بحيث لا أقتل منها أحداً غير نفسك ولا أسبي منها غير حريمك. ثم صور الغلام في المكتوب صورته وكتب بجانبها: إن هذا الجواب كتبه أصغر أولاد الكتّاب. ثم ختمه وسلّمه إلى الملك فأعطاه الملك للساعي، فأخذه الساعي وقبّل يدي الملك ومضى من عنده شاكراً لله تعالى وللملك على حلمه عليه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام. فلما وصل إلى ملكه وكان دخوله عليه في اليوم الثالث بعد الثلاثة أيام المحدودة له، وكان الملك في ذلك الوقت ناصب الديوان بسبب تأخير الساعي عن المدة المحدودة له. فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم أعطاه الكتاب، فأخذه وسأل الساعي عن سبب إبطائه وعن أحوال الملك وردخان. فقصّ عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه بأذنه. فاندهش عقل الملك وقال للساعي: ويحك، ما هذه الأخبار التي تخبرني بها عن مثل هذا الملك؟ فأجابه الساعي قائلاً: أيها الملك العزيز، ها أنا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب. فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذي كتبه، فأيقن بزوال ملكه وتحيّر فيما يكون من أمره. ثم التفت إلى وزرائه وعظماء دولته وأخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب، فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعباً عظيماً وصاروا يسكّنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزّق من الخفقان. ثم إن بديعاً الوزير الكبير قال: أعلم أيها الملك أن الذي يقوله إخوتي من الوزراء لا فائدة فيه، والرأي عندي أنك تكتب لهذا الملك كتاباً وتعتذر إليه فيه وتقول له: أنا محب لك ولوالدك من قبلك وما أرسلنا إليك الساعي بهذا الكتاب إلا على طريق الإمتحان لك لننظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والأمور العلمية والرموز الخفية وما أنت منطوٍ عليه من الكمالات الكلية، ونسأل الله تعالى أن يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانك حيثما كنت حافظاً لنفسك فتتم أمور رعيتك. وارسله له مع آخر. فقال الملك: والله العظيم إن في هذا لعجباً عظيماً، كيف يكون هذا ملكاً عظيماً معتداً للحرب بعد قتله لعلماء مملكته وأصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك

ويخرج منها هذه القوة العظيمة ؟ وأعجب من هذا ان صغار مكاتبها يردّون عن ملكها مثل هذا الجواب ! لكن انا بسوء طمعي أشعلت هذه النار عليّ وعلى أهل مملكتي ولا أدري من يطفئها إلا رأي وزيري هذا . ثم إنه جهز هدية ثمينة وخدماً وحشماً كثيرة وكتب كتاباً مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد أيها الملك العزيز وردخان ، ولد الأخ العزيز جليعاد رحمه الله وابقاك . لقد حضر لنا جواب كتابنا فقرأناه وفهمنا ما فيه ، فرأينا فيه ما يسرّنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأله أن يعلي شأنك ويشيد أركان مملكتك وينصرك على أعدائك الذين يريدون بك السوء . واعلم أيها الملك ان اباك كان لي أخاً وبيني وبينه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منّا إلا خيراً وكنا نحن كذلك لا نرى منه إلا خيراً ، ولما توفي وجلست انت على كرسي مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور . ولما بلغنا ما فعلت بوزرائك وأكابر دولتك خشينا أن يصل خبر ذلك إلى ملك غيرنا فيطمع فيك ، وكنا نظن انك في غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملاً لأمور مملكتك ، فكاتبناك بما ننبّهك به . فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك . متّعك الله بمملكتك وجعلك معاناً على شأنك والسلام . ثم جهّز له الهدية وأرسلها إليه مع مائة فارس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 928 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان ملك الهند الأقصى لمّا جهّز الهدية إلى الملك وردخان أرسلها له مع مائة فارس ، فساروا إلى أن اقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب . فقرأه وفهم معناه ثم أنزل رئيس المائة فارس في محل يصلح له وأكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحًا شديداً . ثم ارسل إلى الغلام بن شماس وأحضره بين يده وأكرمه ، وأرسل إلى رئيس المائة فارس . ثم طلب الكتاب الذي أحضره من ملكه وأعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسرّ الملك بذلك سروراً كبيراً وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبّل يديه ويعتذر إليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه . فشكره الملك على ذلك وأكرمه إكراماً زائداً وأعطاه وأعطى جميع من معه ما يليق بهم ، وجهّز معهم هدايا وأمر الغلام ان يكتب ردّ الجواب . فعند ذلك كتب الغلام الجواب وأحسن الخطاب وأوجز في باب الصلح وذكر أدب الرسول ومن معه من الفرسان . فلما تمّم الكتاب عرضه على الملك فقال له الملك : إقرأه أيها الولد العزيز لكي نعرف ما كتب فيه . فعند ذلك قرأه الغلام بحضرة المائة فارس فأعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلّمه إلى رئيس المائة فارس وصرفه وأرسل معه من عسكره طائفة توصلهم إلى أطراف بلادهم . هذا ما كان من أمر الملك والغلام . وأما ما كان من امر رئيس المائة فإنه اندهش عقله مما رآه من أمر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح . ثم إنه سار إلى ان وصل إلى ملك أقصى الهند وقدّم إليه الهدايا والتحف وأوصل إليه العطايا وناوله الكتاب وأخبره بما نظر . ففرح الملك بذلك فرحًا شديداً وشكر الله تعالى وأكرم رئيس المائة فارس وشكر همّته على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في أمن وأمان وطمأنينة وزيادة انشراح . هذا ما كان من أمر ملك أقصى الهند . وأما ما كان من أمر الملك وردخان فإنه استقام مع الله ورجع عن طريقه الرديئة وتاب إلى الله توبة خالصة عما كان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته إلى صلاح مملكته والنظر

بخوف الله إلى رعيته، وجعل ولد شماس وزيراً عوضاً عن والده وصاحب الراي المقدّم عنده في المملكة وكاتماً لسرّه، وامر بزينة مدينته سبعة أيام وكذلك بقية المدائن. وفرحت الرعية بذلك وزال الخوف والرعب عنهم واستبشروا بالعدل والإنصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذي أزال عنه وعنهم هذا الغمّ. وبعد ذلك قال الملك للوزير: ما الراي عندك في إتقان المملكة وإصلاح الرعية ورجوعها إلى ما كانت عليه أولاً من وجود الرؤساء والمدبرين؟ فعند ذلك اجابه الوزير قائلاً: أيها الملك العزيز الشأن، الراي عندي أنك قبل كل شيء تبتدىء بقطع امر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والعسف والإشتغال بالنساء لأنك إن رجعت إلى أصل المعاصي تكون الضلالة الثانية أشد من الأولى. فقال الملك: وما هي أصل المعاصي التي ينبغي ان اقلع عنها؟ فأجابه ذلك الوزير الصغير السن الكبير العقل قائلاً: أيها الملك الكبير، أعلم ان أصل المعصية اتّباع هوى النساء والميل إليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن، لأن محبتهن تغيّر العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة. والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكّرت فيها وتتبّعت وقائعها بإمعان النظر لوجدت لك ناصحاً من نفسك واستغنيت عن قولي جملة، فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لأن الله تعالى امر بعدم الإكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال بعض الملوك من الحكماء لولده: يا ولدي، إذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك وبالجملة فالإستكثار منهن يفضي إلى حبّهن وحبّهن يفضي إلى فساد الراي، والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام، الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط أحداً من الملوك التي تقدّمت مثل ما أعطاه فكانت النساء سبباً لهفوة والده. ومثل هذا كثير أيها الملك وإنما ذكرت لك سليمان لتعرف انه ليس لأحد ان يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الأرض. واعلم أيها الملك ان محبة النساء أصل كل شرّ وليس لإحداهن رأي، فينبغي للإنسان ان يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل إليهن كل الميل فإن ذلك يوقعه في الفساد والهلكة. فإن أطعت قولي أيها الملك استقامت لك جميع أمورك وإن تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم. فأجابه الملك قائلاً: لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل إليهن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 929

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان الملك وردخان لما قال لوزيره: إني قد تركت ما كنت فيه من الميل إليهن وأعرضت عن الإشتغال بالنساء جميعاً ولكن ماذا أصنع فيهن جزاء على ما فعلن؟ لأن قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهن على قتله. ثم تأوّه وصاح قائلاً: واأسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الرشيدة. فأجابه الوزير قائلاً: أعلم أيها الملك، ان الذنب ليس للنساء وحدهن لأنهن مثل بضاعة مستحسنة تميل إليها شهوات الناظرين، فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره أحد على الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصاً إذا كان عارفاً بمضرّة تلك البضاعة، وقد حذّرتك ووالدي من قبلي كان يحذّرك ولم تقبل منه نصيحة. فأجابه الملك: إنني أوجبت على نفسي الذنب كما قلت أيها الوزير ولا عذر لي إلا التقادير الإلهية. فقال الوزير: أعلم

يها الملك ، أن الله تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا إرادة واختياراً فإن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ، ولم يأمرنا الله بفعل ضرر لئلا يلزمنا ذنب ، فيجب علينا حساب فيما يكون فعله صواباً لأنه تعالى لا يأمرنا إلا بخير على سائر الأحول وإنما ينهانا عن الشر ، ولكن نحن بإرادتنا نفعل ما نفعله صواباً كان أو خطأ . فقال له الملك : صدقت وإنما كان خطأي مني لميلي إلى الشهوات وقد حذّرت نفسي من ذلك مراراً وحذّرني والدك شماس مراراً فغلبت نفسي على عقلي ، فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالباً على شهوات نفسي ؟ فأجاب الوزير : نعم . إني أرى شيئًا يمنعك من ارتكاب هذا الخطأ وهو أنك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصي هواك وتطيع مولاك وترجع إلى سيرة الملك العادل ابيك وتعمل ما يجب عليك من حقوق الله تعالى وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الأمور وتنزل عن الظلم والجور والبغي والفساد وتستعمل العدل والإنصاف والخضوع وتمتثل أوامر الله تعالى وتلازم الشفقة على خليقته الذين استخلفك عليهم وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك . لأنك إذا دام لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمته عنك وجعلك مهاباً عند كل من يراك وتتلاشى أعداؤك ويهزم الله تعالى جيوشهم وتصير عند الله مقبولاً وعند خلقه مهاباً محبوباً . فقال له الملك : لقد أحييت فؤادي ونوّرت قلبي بكلامك الحلو وجليت عين بصيرتي بعد العمى ، وأنا عازم على أن أفعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى وأترك ما كنت عليه من البغي والشهوات وأخرج نفسي من الضيق إلى السعة ومن الخوف إلى الأمن ، وينبغي ان تكون بذلك فرحًا مسروراً لأني صرت لك ابناً مع كبر سني وصرت انت لي والدًا حبيباً على صغر سنك ، وصار من الواجب عليّ بذل المجهود فيما تامرني به . وأنا أشكر فضل الله تعالى وفضلك فإن الله تعالى اولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همّي وغمّي ، وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك بأشرف معرفتك وحسن تدبيرك . فأنت الآن مدبر لملكي لا أتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي وكل ما تفعله جائز عليّ ولا راد لكلمتك وإن كنت صغير السن لأنك كبير العقل كثير المعرفة ، فاشكر الله الذي يسّرك لي حتى هديتني إلى سبيل الإستقامة بعد الإعوجاج المهلك . قال الوزير : أيها الملك السعيد ، أعلم أنه لا فضل لي عليك في بذل النصيحة لك لأن قولي من بعض ما يلزمني حيث كنت غريس نعمتك وليس هكذا أنا وحدي بل والدي من قبلي مغمور بجزيل نعمتك ، فنحن الجميع مقرّون بجميلك وفضلك . فكيف لا نقرّ بذلك وأنت أيها الملك راعينا وحاكمنا ومحارب عنّا أعداءنا ومتولّ حفظنا وحارسنا وباذل جهدك في سلامتنا ؟ وإننا لو بذلنا أرواحنا في طاعتك لم نقم بواجب شكرك . ولكن نتضرّع إلى الله تعالى الذي ولاك علينا وحكمك فينا ، ونسأله أن يهب لك العمر الطويل ويمنحك النجاح في جميع أعمالك ولا يمتحنك بمحنة في زمانك ويبلغك مرادك ويجعلك مهاباً إلى حين مماتك ويبسط بالكرم سواعدك حتى تقود كل عالم وتقهر كل معاند ، ويوجد بك في مملكتك كل عالم وشجاع وينزع منها كل جاهل وجبان ، ويرفع عن رعيتك الغلاء والبلاء ويزرع بينهم الإلفة والمحبة ويمتّعك من الدنيا بفلاحها ومن الآخرة بصلاحها بمنّه وكرمه وخفي لطفه آمين . إنه على كل شيء قدير وليس عليه أمر عسير وإليه المرجع والمصير . فلما سمع الملك منه هذا الدعاء حصل عنده غاية الفرح ومال إليه كل الميل وقال له : أعلم أيها

الوزير انك صرت عندي في مقام الأخ والولد وليس يفصلني عنك إلا الموت، وجميع ما تملكه يدي لك التصرّف فيه، وإن لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضاً عني. فأنت أولى من جميع أهل مملكتي فاوليك ملكي بحضرة أكابر مملكتي واجعلك ولي عهدي من بعدي إن شاء الله تعالى. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 930

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك وردخان قال لابن شماس الوزير: سوف أستخلفك عني وأجعلك ولي عهدي من بعدي وأشهد على ذلك أكابر مملكتي بعون الله تعالى. ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه، فأمره أن يكتب إلى سائر كبراء دولته بالحضور إليه وأجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وأمر أن يجتمع الأمراء والقواد والحجاب وسائر أرباب الخدم إلى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء. وعمل الملك ديواناً عظيماً وسماطاً لم يعمل مثله قط، وعزم جميع الناس من الخاص والعام. فاجتمع الجميع على حظ وأكل وشرب مدة شهر، وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته وأعطى العلماء عطايا وافرة. ثم اختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وأدخلهم عليه وأمره أن ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم. فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم أكبرهم سناً وأكملهم عقلاً وأكثرهم دراية وأسرعهم حفظاً، ورأى من بهذه الصفات ستة أشخاص. فقدّمهم إلى الملك وألبسهم ثياب الوزراء وكلّمهم قائلاً: انتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس، وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه أبداً ولو كان هو أصغركم سناً لأنه أكبركم عقلاً. ثم إن الملك أجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء وأجرى إليهم الأرزاق والنفقات. ثم أمرهم أن ينتخبوا من أكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الأجناد ليجعل منهم رؤساء ألوف ورؤساء مئين ورؤساء عشرات، ورتّب لهم المرتبات وأجرى إليهم الأرزاق على عادة الكبراء. ففعلوا ذلك في أسرع وقت. وأمرهم أيضاً أن ينعموا على بقية من حضر بالإنعامات الجزيلة وأن يصرفوا كل واحد إلى أرضه بعزّ وإكرام وأمر عماله بالعدل في الرعية وأوصاهم بالشفقة على الفقراء والأغنياء وأمر بإسعافهم من الخزنة على قدر درجاتهم. فدعا له الوزراء بدوام العزّ والبقاء. ثم إنه أمر بزينة المدينة ثلاثة أيام شكراً لله تعالى على ما حصل له من التوفيق. هذا ما كان من أمر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة وامرائها وعمالها. وأما ما كان من أمر النساء المحظيات من السراري وغيرهن اللاتي كنّ سبباً لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن، فإنه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقرى إلى محله واستقامت أمورهم أمر الملك بالوزير الصغير السن الكبير العقل الذي هو ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء. فلما حضروا جميعاً بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم: أعلموا أيها الوزراء أني كنت حائداً عن الطريق المستقيم مستغرقاً في الجهل معرضاً عن النصيحة ناقضاً للعهود والمواثيق مخالفاً لأهل النصح، وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن إياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي وقبولي لذلك لأني كنت اظن ان كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينه، فإذا هو سم قاتل. والآن قد تقرّر عندي أنهن لم يردن لي إلا الهلاك والتلف فقد استحقّين

العقوبة والجزاء مني على جهة العدل حتى اجعلهن عبرة لمن اعتبر. لكن فما الراي السديد في إهلاكهن؟ فأجابه الوزير ابن شماس قائلاً: ايها الملك العظيم الشأن، إنني قلت لك أولاً أن الذنب ليس مختصاً بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن. لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لأمرين: الأول تنفيذ قولك لكونك الملك الأعظم والثاني لتجاسرهنّ عليك وخداعهن لك ودخولهنّ فيما لا يعنيهنّ وما لا يصلحن للتكلم فيه فهن أحق بالهلاك، ولكن كفاهنّ ما هو نازل بهن ومن الآن إجعلهن بمنزلة الخدم والأمر إليك في ذلك وغيره. ثم إن بعض الوزراء أشار على الملك بما قاله ابن شماس، وبعض الوزراء تقدّم إلى الملك ويسجد له وقال: أدام الله أيام الملك، إن كان لا بد أن تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما أقوله لك. فقال الملك: ما الذي تقوله لي؟ فقال له: أن تأمر إحدى محاظيك بأن تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذي حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمر أن يعطى لهنّ قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك أبدانهن ولا يؤذنّ إليهن في الخروج من ذلك الموضع أصلاً، وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها إلى أن يمتن عن آخرهن. وهذا أقل جزائهن لأنهن كنّ سبباً لهذه الفتنة العظيمة بل وأصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في الزمان. وصدق عليهن قول القائل: إن من حفر بئراً لأخيه وقع فيها ولو طالت سلامته. فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وأرسل خلف أربع محظيات جبّارات وسلّم إليهن النساء وأمرهن أن يدخلنهن محل القتلى ويسجنهن فيه، وأجرى لهن طعاماً دنيئاً قليلاً وشراباً رديئاً. فكان من أمرهن أنهن حزنّ حزناً عظيماً وندمن على ما فرط منهنّ وتأسفن تأسفاً كثيراً، وأعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي وأعدّ لهنّ العذاب في الآخرة. ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن. وشاع خبر هذه الوقعة في جميع البلاد والأقطار. وهذا ما انتهى إليه أمر الملك ووزرائه ورعيّته والحمد لله مفني الأمم ومحيي الرمم، المستحق للتجليل والإعظام والتقديس على الدوام.

81- حكاية أبو قير وأبو صير

ومما يحكى أيضاً أن رجلين كانا في مدينة الإسكندرية وكان أحدهما صبّاغاً واسمه أبو قير، وكان الثاني مزيّناً واسمه أبو صير، وكانا جارين لبعضهما في السوق، وكان المزيّن في جانب دكان الصبّاغ وكان الصبّاغ نصّاباً كذّاباً صاحب شرقوي كأنما صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود، لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس. وكان من عادته أنه إذا أعطاه أحد قماشاً ليصبغه يطلب منه الكرى أولاً ويوهمه أنه يشتري به أجزاء ليصبغ بها، فيعطيه الكرى مقدماً. فإذا أخذه منه يصرفه على أكل وشرب ثم يبيع القماش الذي أخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الأكل والشرب وغير ذلك، ولا يأكل إلا طيباً من أفخر المأكول ولا يشرب إلا من أجود ما يذهب العقول. فإذا أتاه صاحب القماش يقول له: في غد تجيء إليّ من قبل الشمس فتلقي حاجتك مصبوغة. فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه: يوم من يوم قريب. ثم يأتيه في ثاني يوم على الميعاد فيقول له: تعال في غد فإني أمس ما كنت فاضياً لأنه كان عندي ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا، في غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغاً. فيروح ويأتيه في

ثالث يوم فيقول له: إني كنت أمس معذوراً لأن زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وأنا أقضي مصالح، ولكن في غد من كل بدّ تعال خذ حاجتك مصبوغة. فيأتي له على الميعاد فيطلع له بحيلة أخرى من حيث كان ويحلف له. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 931

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصباغ صار كلما أتى له صاحب الشيء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له. ولم يزل يوعده ويخلف إذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له: كم تقول لي في غد أعطني حاجتي فإني لا أريد صباغاً. فيقول: والله يا أخي، أنا مستحي منك ولكن أخبرك بالصحيح والله يؤذي كل من يؤذي الناس في امتعتهم. فيقول له: أخبرني ماذا حصل؟ فيقول: أما حاجتك فإني صبغتها صباغاً ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدري من سرقها. فإن كان صاحب الحاجة من أهل الخير يقل له: يعوّض الله عليّ، وإن كان من أهل الشرّ يستمرّ معه في هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شيئًا ولو اشتكاه إلى الحاكم. ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذّر بعضهم بعضاً من أبي قير ويضربون به الأمثال وامتنعوا عنه جميعاً وصار لا يقع معه إلا الجاهل بحاله، ومع ذلك لا بد له كل يوم من جرسة وهتيكة مع خلق الله فحصل له كساد بهذا السبب. فصار يأتي إلى دكان جاره المزين أبي صير ويقعد في داخلها قصاد المصبغة وينظر إلى باب المصبغة فإن رأى أحدًا جاهلاً بحاله واقفاً على باب المصبغة ومعه شيء يريد صباغه يقم من دكان المزيّن ويقول: ما لك يا هذا؟ فيقول له: خذ اصبغ لي هذا الشيء. فيقول له: أي لون تطلبه؟ لأنه مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده أن يصبغ سائر الألوان ولكنه لم يصدق مع أحد أبدًا والشقاوة غالبة عليه. ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له: هات الكرى لقدام وفي غد تعال خذها. فيعطيه الأجرة ويروح. وبعد أن يتوجه صاحب الشيء إلى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب إلى السوق فيبيعه ويشتري بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج إليه وإذا رأى أحداً واقفا على الدكان من الذين أعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر إليه ولا يريه نفسه، ودام على هذه الحالة سنين. فاتفق له في يوم من الأيام أنه أخذ حاجة من رجل جبّار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجيء إليه في كل يوم فلم يره في الدكان لأنه متى رأى أحدًا له عنده شيء يهرب منه في دكان المزين أبي صير. فلما لم يجده ذلك الجبار في دكانه وأعياه ذلك ذهب إلى القاضي وأتاه برسول من طرفه وسمّر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمها لأنه لم يرَ فيها غير بعض مواجير مكسّرة ولم يجد فيها شيئًا يقوم مقام حاجته. ثم أخذ الرسول المفتاح وقال للجيران: قولوا له يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي ليأخذ مفتاح دكانه. ثم ذهب الرجل والرسول إلى حالهما. فقال أبو صير لأبي قير: ما داهيتك؟ فإن كل من جاء لك بحاجة تعدمه إياها. أين راحت حاجة هذا الرجل الجبار؟ قال: يا جاري، إنها سرقت مني. قال أبو صير: عجائب، كل من أعطاك حاجة يسرقها منك لص، هل انت معاد جميع اللصوص؟ ولكن أظن أنك تكذب فاخبرني بقصتك. قال: يا جاري، ما أحد سرق مني شيئًا. قال أبو صير: وما تفعل في متاع الناس؟ فقال له: كل من أعطاني حاجة أبيعها وأصرف ثمنها. قال له أبو صير: أيحل لك هذا من الله؟ قال له أبو قير: إنما أفعل هذا من الفقر لأن صنعتي كاسدة وأنا فقير

وليس عندي شيء . ثم صار يذكر له الكساد وقلّة السبب ، وصار أبو صير يذكر له كساد صنعته أيضًا ويقول : أنا أسطى ليس لي نظير في هذه المدينة ولكن لا يحلق عندي احد لكوني رجلاً فقيراً وكرهت هذه الصنعة يا أخي . فقال له أبو قير الصبّاغ : وانا أيضًا كرهت صنعتي من الكساد . ولكن يا أخي ، ما الداعي لإقامتنا في هذا البلد ؟ فأنا وانت نسافر منها ، نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في أيدينا رائجة في جميع البلاد . فإذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهمّ العظيم . ولا زال أبو قير يحسن السفر لأبي صير حتى رغب في الإرتحال ثم إنهما اتفقا على السفر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 932

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أبا قير لا زال يحسن السفر لأبي صير حتى رغب في الإرتحال . ثم إنهما اتفقا على السفر وفرح أبو قير بأن ابا صير رغب في أن يسافر وانشد قول الشاعر :

[من الطويل]

تَغَرَّبْ عَنْ الأَوْطانِ في طَلَبِ العُلى ... وسافِرْ فَفي الأَسْفارِ خَمْسُ فَوائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ واكْتِسابُ مَعِيْشَةٍ ... وعِلْمٌ وآدابٌ وصُحْبَةُ ماجِدِ
وإِنْ قِيْلَ في الأَسْفارِ غَمٌّ وكُرْبَةٌ ... وتَشْتِيْتُ شَمْلٍ وارْتِكابُ شَدائِدِ
فَمَوْتُ الفَتى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَياتِهِ ... بِدارِ هَوانٍ بَيْنَ واشٍ وحاسِدِ

وحين عزما على السفر قال أبو قير لأبي صير : يا جاري ، نحن صرنا أخوين ولا فرق بيننا فينبغي أننا نقرأ الفاتحة على أن عاملنا يكتسب ويطعم بطّالنا ومهما فضل نضعه في صندوق ، فإذا رجعنا إلى الإسكندرية نقسمه بيننا بالحق والإنصاف . قال أبو صير : وهو كذلك . وقرأ فاتحة على أن العامل يكتسب ويطعم البطّال . ثم إن أبا صير قفل الدكان وأعطى المفاتيح لصاحبها وأبو قير ترك المفتاح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة وأخذا مصالحهما وأصبحا مسافرين ونزلا في غليون في البحر المالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما إسعاف . ومن تمام سعد المزيّن أن جميع من كان في الغليون لم يكن معهم أحد من المزيّنين وكان فيه مائة وعشرون رجلا غير الريس والبحرية . ولما حلوا قلّوع الغليون قام المزيّن وقال للصباغ : يا أخي ، هذا بحر نحتاج فيه إلى الأكل والشرب وليس معنا إلا قليل زاد وربما يقول لي أحد : تعال يا مزيّن احلق لي . فأحلق له برغيف أو بنصف فضة أو بشربة ماء فأنتفع بذلك أنا وأنت . فقال له الصباغ : لا بأس . ثم حطّ رأسه ونام ، وقام المزيّن وأخذ عدّته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطة لأنه فقير وشقّ بين الركاب . فقال له واحد : تعال يا اسطى احلق لي ، فحلق له . فلما حلق لذلك الرجل أعطاه نصف فضة . فقال له المزين : يا أخي ، ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت أعطيتني رغيفاً كان أبرك في هذا البحر لأن لي رفيقًا وزادنا شيء قليل . فأعطاه رغيفاً وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلواً فأخذ ذلك وأتى إلى أبي قير وقال له : خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما في الطاسة ، فأخذ ذلك منه وأكل وشرب . ثم إن أبا صير المزين بعد ذلك حمل عدّته وأخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشقّ في الغليون بين الركاب فحلق لإنسان برغيفين ولآخر

بقطعة جبن، ووقع عليه الطلب وصار كل من يقول له احلق لي يا اسطى يشرط عليه رغيفين ونصف فضة وليس في الغليون مزين غيره، فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفاً وثلاثين نصفاً فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ ،وصار كلما يطلب حاجة يعطونه إياها حتى صار عنده شيء كثير، وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد في السفر. فقال له القبطان: مرحباً بك، هات رفيقك في كل ليلة وتعشّيا عندي ولا تحملا هماً ما دمتما مسافرين معنا. ثم رجع إلى الصباغ فرآه لم يزل نائماً فأيقظه. فلما افاق أبو قير ورأى عند رأسه شيئًا كثيراً من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له: من أين لك ذلك؟ فقال: من فيض الله تعالى. فأراد ان يأكل فقال له أبو صير: لا تأكل يا أخي من هذا واتركه ينفعنا في وقت آخر، واعلم أني حلقت للقبطان وشكوت إليه قلة الزوادة فقال لي: مرحباً بك، هات رفيقك كل ليلة وتعشّيا عندي. فأول عشاءنا عند القبطان في هذه الليلة. فقال له أبو قير: أنا دايخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكاني فدعني أتعشّى من هذا الشيء ورح أنت وحدك عند القبطان. فقال له: لا بأس بذلك. ثم جلس يتفرّج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجار من الجبل ويبتلعها ابتلاع الفيل الذي له أيام ما أكل، ويلتهم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ نفخ الثور الجائع على التبن والفول. وإذا بنوتي جاء وقال: يا اسطى، يقول لك القبطان: هات رفيقك وتعال للعشاء. فقال أبو صير لأبي قير: أتقوم بنا؟ فقال له: أنا لا أقدر على المشي. فراح المزين وحده فرأى القبطان جالساً وقدامه سفرة فيها عشرون لوناً وأكثر، وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه. فلما رآه القبطان قال له: أين رفيقك؟ فقال له: يا سيدي، إنه دايخ من البحر. فقال له القبطان: لا بأس عليه ستزول عنه الدوخة، تعال انت تعشّى معنا فإني كنت في انتظارك. ثم إن القبطان عزل صحن كباب وحطّ فيه من كل لون فصار يكفي عشرة. وبعد أن تعشى المزين قال له القبطان: خذ هذا الصحن معك إلى رفيقك. فأخذه أبو صير وأتى به إلى أبي قير فرآه يطحن بأنيابه فيما عنده من الأكل مثل الجمل، ويلحق اللقمة باللقمة على عجل. فقال له أبو صير: أما قلت لك لا تأكل فإن القبطان خيره كثير؟ فانظر أي شيء بعث إليك لمّا اخبرته بأنك دايخ؟ فقال له: هات. فناوله الصحن فأخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الأكل مثل الكلب الكاشر او السبع الكاسر أو الرخ إذا انقضّ على الحمام او الذي كاد أن يموت من الجوع ورأي شيئًا من الطعام وصار يأكل. فتركه أبو صير وراح إلى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع إلى أبي قير فرآه قد أكل جميع ما في الصحن ورماه فارغًا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 933

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أبا صير لما رجع إلى أبي قير رآه قد أكل كل ما في الصحن ورماه فارغاً، فأخذه وأوصله إلى بعض أتباع القبطان ورجع إلى أبي قير ونام إلى الصباح. فلما كان ثاني الأيام صار أبو صير يحلق، وكلما جاء له شيء يعطيه لأبي قير وأبو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم إلا لإزالة الضرورة، وكل ليلة يأتي له بصحن ملآن من عند القبطان. واستمرا على هذه الحالة عشرين يوماً حتى رسا الغليون على مينة مدينة، فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة في خان وفرشها أبو صير واشترى جميع ما يحتاجان إليه وجاء بلحم وطبخه، وأبو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى

ايقظه أبو صير ووضع السفرة بين يده . فلما افاق اكل وبعد ذلك قال له : لا تؤاخذني فإني دايخ ثم نام . واستمرا على هذه الحالة اربعين يومًا وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور في المدينة فيعمل بالذي فيه النصيب ويرجع فيجد ابا قير نائمًا فينبهه ، وحين ينتبه يقبل على الأكل بلهفة فياكل اكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام . ولم يزل كذلك مدة اربعين يومًا أخرى ، وكلما يقول له ابو صير : إجلس ارتاح واخرج تفسّح في المدينة فإنها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن . يقول له أبو قير الصبّاغ : لا تؤاخذني فإني دايخ . فلا يرضى أبو صير المزيّن ان يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه . وفي اليوم الحادي والأربعين مرض المزيّن ولم يقدر ان يسرح فسخّر بوّاب الخان فقضى لهما حاجتهما واتى لهما بما ياكلان وما يشربان ، كل ذلك وابو قير ياكل وينام . وما زال المزيّن يسخّر بوّاب الخان في قضاء حاجته مدة أربعة أيام ، وبعد ذلك اشتدّ المرض على المزيّن حتى غاب عن الوجود من شدّة مرضه . وأما أبو قير فإنه أحرقه الجوع فقام وفتّش في ثياب ابي صير فرأى معه مقداراً من الدراهم فأخذه وقفل باب الحجرة على أبي صير ومضى ولم يعلم احدًا ، وكان البوّاب في السوق فلم يره حين خروجه . ثم إن أبا قير عمد إلى السوق وكسا نفسه ثياباً نفيسة وصار يدور في المدينة ويتفرّج ، فرآها مدينة ما وجد مثلها في المدائن وجميع ملبوسها ابيض وازرق من غير زيادة . فاتى إلى صباغ فرأى جميع ما في دكانه أزرق ، فأخرج له محرمة وقال له : يا معلم ، خذ هذه المحرَمة واصبغها وخذ اجرتك . فقال له : إن اجرة صباغ هذه عشرون درهماً . فقال له : نحن نصبغ هذه في بلادنا بدرهمين . فقال له : رح اصبغها في بلادكم وأما أنا فلا أصبغها إلا بعشرين درهماً لا تنقص عن هذا القدر شيئًا . فقال له ابو قير : اي لون تريد صبغها ؟ قال له الصباغ : أصبغها زرقاء . قال له أبو قير : أنا مرادي ان تصبغها لي حمراء . قال له : لا أدري صباغ الأحمر . قال : خضراء . قال : لا أدري صباغ الأخضر . قال : صفراء . قال له : لا ادري صباغ الأصفر . وصار ابو قير يعدّد له الألوان لوناً بعد لون . فقال له الصباغ : نحن في بلادنا أربعون معلماً لا يزيدون واحدًا ولا ينقصون واحدًا وإذا مات منّا واحد نعلّم ولده ، وإن لم يخلّف ولدًا نبقى ناقصين واحدًا ، والذي له ولدان نعلّم واحدًا منهما فإن مات علّمنا أخاه ، وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف ان نصبغ غير الأزرق من غير زيادة . فقال له أبو قير الصباغ : أعلم اني انا صبّاغ واعرف ان اصبغ سائر الألوان ، ومرادي ان تخدمني عندك بالأجرة وأنا اعلّمك جميع الألوان لأجل ان تفتخر بها على كل طائفة الصبّاغين . فقال له : نحن لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا ابدًا . فقال له : وإذا فتحت لي مصبغة وحدي ؟ قال له : لا يمكنك ذلك ابدًا . فتركه وتوجه إلى الثاني فقال له كما قال له الأول . ولم يزل ينتقل من صبّاغ إلى صبّاغ حتى طاف على الأربعين معلماً فلم يقبلوه لا اجيرًا ولا معلماً ، فتوجه إلى شيخ الصبّاغين واخبره . فقال له : إننا لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا . فحصل عند أبي قير غيظ عظيم وطلع يشكو إلى ملك تلك المدينة وقال له : يا ملك الزمان ، أنا غريب وصنعتي الصباغة وجرى لي مع الصبّاغين ما هو كذا وكذا ، وانا اصبغ الأحمر الواناً مختلفة كوردي وعنّابي والأخضر الواناً مختلفة كزرعي وفستقي وجناح الدرة والأسود الواناً مختلفة كفحمي وكحلي والأصفر الواناً مختلفة كنارنجي . وصار يذكر له سائر الألوان ثم قال : يا ملك الزمان ، كل الصبّاغين الذين في مدينتك لا يخرج من ايديهم ان يصبغوا شيئًا من هذه الألوان ولا يعرفون إلا صباغ الأزرق ولم يقبلوني ان أكون

عندهم معلماً ولا اجيراً. فقال له الملك : قد صدقت في ذلك ، ولكن انا افتح لك مصبغة وأعطيك رأس مال وما عليك منهم ، وكل من تعرّض لك شنقته على باب دكانه . ثم أمر البنائين وقال لهم : أمضوا مع هذا المعلّم وشقّوا انتم وإياه في المدينة واي مكان اعجبه فاخرجوا صاحبه منه سواء كان دكاناً أو خاناً أو غير ذلك ، وابنوا له مصبغة على مراده ، ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول . ثم إن الملك ألبسه بدلة مليحة وأعطاه ألف دينار وقال له : اصرفها على نفسك حتى تتم البناية . وأعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصاناً بعدّة مزركشة . فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنه امير ، وأخلى له الملك بيتاً وأمر بفرشه ، ففرشوه له . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 934

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك أخلى بيتاً لأبي قير وأمر بفرشه . ففرشوه له وسكن فيه وركب في ثاني يوم وشقّ في المدينة والمهندسون قدامه ، ولم يزل يتأمل حتى أعجبه مكان فقال : هذا المكان طيب . فأخرجوا صاحبه منه وأحضروه إلى الملك ، فأعطاه ثمن مكانه زيادة على ما يرضيه . ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنائين : ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا ، حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير . ثم حضر إلى الملك وأخبره بأن المصبغة تمّ بناؤها وإنما تحتاج لثمن من أجل إدارتها . فقال له الملك : خذ هذه الأربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وأرني ثمرة مصبغتك . فأخذها ومضى إلى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن ، فاشترى جميع ما يحتاج إليه من حوائج الصباغ . ثم إن الملك ارسل إليه خمسمائة شقّة من القماش ، فدوّر الصبغ فيها وصبغها من سائر الألوان ثم نشرها قدّام باب المصبغة . فلما مرّ الناس عليها رأوا شيئًا عجيباً عمرهم ما رأوا مثله . فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرّجون ويسألونه ويقولون له : يا معلم ، ما اسم هذه الألوان ؟ فيقول لهم : هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر ، ويذكر لهم اسامي الألوان . فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له : أصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب . ولما فرغ من صباغ قماش الملك أخذه وطلع به إلى الديوان ، فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وأنعم عليه إنعاماً زائدًا ، وصار جميع العسكر يأتون إليه بالقماش ويقولون له : اصبغ لنا هكذا . فيصبغ لهم على اغراضهم ويرمون عليه الذهب والفضة . ثم إنه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ، ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصبّاغين لم يقدر احد منهم ان يتكلم معه وإنما كانوا يأتونه ويقبّلون يديه ويعتذرون إليه مما سبق منهم في حقّه ويعرضون أنفسهم عليه ويقولون له : إجعلنا خدماء عندك . فلم يرضَ أن يقبل واحد منهم . وصار عنده عبيد وجواري وجمع مالاً كثيراً . هذا ما كان من أمر أبي قير . وأما ما كان من أمر أبي صير ، فإنه لما قفل عليه أبو قير باب الحجرة بعد ان اخذ دراهمه ، راح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود ، فصار مرمياً في تلك الحجرة والباب مقفول عليه واستمرّ كذلك ثلاثة أيام . فانتبه بوّاب الخان إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً ولم يرَ احدًا من هذين الإثنين إلى المغرب ولم يعلم لهما خبر . فقال في نفسه : لعلهما سافرا ولم يدفعا أجرة الحجرة أو ماتا أو ما خبرهما ؟ ثم إنه أتى إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً وسمع انين المزيّن في

داخلها ورأى المفتاح في الضبّة، ففتح الباب ودخل فرأى المزيّن فقال له : لا بأس عليك، أين رفيقك؟ فقال له : والله إني ما فقت من مرضي إلا في هذا اليوم وصرت انادي وما احد يردّ عليّ جواباً، بالله عليك يا أخي أن تنظر الكيس تحت راسي وتأخذ منه خمسة انصاف وتشتري لي بها شيئًا أقتات به فإني في غاية الجوع . فمدّ يده وأخذ الكيس فرآه فارغاً فقال للمزين : إن الكيس فارغ ما فيه شيء. فعرف أبو صير المزين ان أبا قير اخذ ما فيه وهرب . فقال له : أما رأيت رفيقي؟ فقال له : من مدة ثلاثة أيام ما رأيته وما كنت اظن إلا انك سافرت أنت وإياه. فقال له المزين : ما سافرنا وإنما طمع في فلوسي فاخذها وهرب حين رآني مريضاً ثم إنه بكى وانتحب. فقال له بوّاب الخان : لا بأس عليك وهو يلقى فعله من الله. ثم إن بوّاب الخان راح وطبخ له شوربة وغرف له صحناً وأعطاه إياه. ولم يزل يتعهّده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان به. ثم قام على أقدامه وقال لبوّاب الخان : إن أقدرني الله تعالى جازيتك على ما فعلت من الخير، ولكن لا يجازي إلا الله من فضله. فقال له بوّاب الخان : الحمد لله على العافية، انا ما فعلت معك ذلك إلا ابتغاء وجه الله الكريم. ثم إن المزين خرج من الخان وشقّ في الأسواق فاتت به المقادير إلى السوق الذي فيه مصبغة أبي قير، فرأى الأقمشة ملوّنة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرّجون عليها. فسأل رجلاً من اهل المدينة وقال له : ما هذا المكان؟ وما لي أرى الناس مزدحمين؟ فقال له المسؤول : إن هذه مصبغة السلطان التي أنشأها لرجل غريب إسمه أبو قير، وكلما صبغ ثوباً نجتمع عليه ونتفرّج على صباغه لأن بلادنا ما فيها صبّاغون يعرفون صباغ هذه الألوان وجرى له مع الصبّاغين الذين في البلد ما جرى، وأخبره بما جرى بين أبي قير وبين الصبّاغين وإنه شكاهم إلى السلطان، فأخذ بيده وبنى له هذه المصبغة وأعطاه كذا وكذا وأخبره بكل ما جرى. ففرح أبو صير وقال في نفسه : الحمد لله الذي فتح عليه وصار معلماً، والرجل معذور لعله التهى عنك بالصنعة ونسيك. ولكن أنت عملت معه معروفاً وأكرمته وهو بطّال فمتى رآك فرح بك وأكرمك في نظير ما أكرمته. ثم إنه تقدّم إلى جهة باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه أربعة عبيد وأربعة مماليك بيض لابسين أفخر الملابس، ورأى الصنايعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون، لأنه حين اشتراهم علّمهم صنعة الصباغة، وهو قاعد بين المخدّات كأنه وزير أعظم أو ملك أفخر، لا يعمل شيئًا بيده وإنما يقول لهم : افعلوا كذا وكذا. فوقف أبو صير قدامه وهو يظن أنه إذا رآه يفرح به ويسلّم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره. فلما وقعت العين في العين قال له أبو قير : يا خبيث، كم مرة وأنا أقول لك لا تقف في باب هذا الدولاب؟ هل مرادك أن تفضحني مع الناس يا حرامي؟ إمسكوه. فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام أبو قير على حيله وأخذ عصى وقال : إرموه. فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة وقال له : يا خبيث يا خائن، إن نظرتك بعد هذا اليوم واقفاً على باب هذه المصبغة أرسلتك إلى الملك في الحال فيسلّمك إلى الوالي ليرمي عنقك. إمش لا بارك الله لك. فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من الضرب والترذيل. فقال الحاضرون لأبي قير الصباغ : اي شيء عمل هذا الرجل؟ فقال لهم : إنه حرامي يسرق أقمشة الناس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 935

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أبا قير ضرب أبا صير وطرده وقال للناس : إن هذا حرامي يسرق أقمشة الناس ، فإنه سرق مني كم مرة من القماش وأنا أقول في نفسي : سامحه الله فإنه رجل فقير . لم أرضَ أن أشوّش عليه ، وأعطي الناس ثمن أقمشتهم وأنهاه بلطف فلم ينته . فإن رجع مرة غير هذه المرة أرسلته إلى الملك فيقتله ويريّح الناس من أذاه . فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه . هذا ما كان من أمر أبي قير . وأما ما كان من أمر أبي صير فإنه رجع إلى الخان وجلس يتفكّر فيما فعل به أبو قير ، ولم يزل جالساً حتى برد عليه الضرب . ثم خرج وشقّ في أسواق المدينة فخطر بباله أن يدخل الحمام . فسأل رجلاً من أهل المدينة وقال له : يا أخي ، من أين طريق الحمام ؟ فقال : وما يكون الحمام ؟ فقال له : موضع تغتسل فيه الناس ويزيلون ما عليهم من الأوساخ وهو من أطيب طيبات الدنيا . فقال له : عليك بالبحر . قال : أنا مرادي الحمام . قال له : نحن لم نعرف الحمام كيف يكون فإننا كلنا نروح إلى البحر حتى الملك إذا أراد أن يغتسل فإنه يروح إلى البحر . فلما علم أبو صير أن المدينة لم يكن فيها حمام وأهلها لا تعرف الحمام ولا كيفيته ، مضى إلى ديوان الملك ودخل عليه وقبّل الأرض بين يديه ودعا له وقال له : أنا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي ، فدخلت مدينتك وأردت الذهاب إلى الحمام فما رأيت فيها ولا حماماً واحداً ، والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام ؟ مع أنه من أحسن نعيم الدنيا . فقال له الملك : أي شيء يكون الحمام ؟ فصار يحكي له أوصاف الحمام وقال له : لا تكون مدينتك كاملة إلا إذا كان بها حمام . فقال له الملك : مرحباً بك . وألبسه بدلة ليس لها نظير وأعطاه حصاناً وعبدين ثم أنعم عليه بأربع جوار ومملوكين وهيأ له داراً مفروشة وأكرمه أكثر من الصبّاغ وأرسل معه البنائين وقال لهم : الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماماً . فأخذهم وشقّ بهم في وسط المدينة حتى أعجبه مكان ، فأشار لهم عليه فدوّروا فيه البناية ، وصار يرشدهم إلى كيفيته حتى بنوا له حماماً ليس له نظير . ثم أمرهم بنقشه ، فنقشوه نقشاً عجيباً حتى صار بهجة للناظرين . ثم طلع إلى الملك وأخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له : إنه لم يكن ناقصاً غير الفرش . فأعطاه الملك عشرة آلاف دينار . فأخذها وفرش الحمّام وصفّ فيه الفوط على الحبال ، وصار كل من مرّ على باب الحمّام يشخص له ويحتار فكره في نقشه ، وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم ، وصاروا يتفرّجون عليه ويقولون : أي شيء هذا ؟ فيقول لهم أبو صير ؟ هذا حمّام . فيتعجبون منه . ثم إنه سخن الماء ودوّر الحمّام وعمل سلسبيلاً في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من أهل المدينة ، وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ . فأعطاه عشرة مماليك مثل الأقمار . فصار يكيسهم ويقول لهم : إفعلوا مع الزبائن هكذا . ثم أطلق البخور وأرسل منادياً ينادي في المدينة ويقول : يا خلق الله ، عليكم بالحمّام فإنه يسمّى حمّام السلطان . فأقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك أن يغسلوا أجساد الناس ، وصار الناس ينزلون المغطس ويطلعون ، وبعد طلوعهم يجلسون في الليوان والمماليك تكيسهم مثل ما علّمهم أبو صير . واستمرّ الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجرة مدة ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع عزم الملك إلى الحمّام ، فركب هو وأكابر دولته وتوجهوا إلى الحمام . فقلع ودخل فدخل أبو صير وكيس الملك

وأخرج من جسده الوسخ مثل الفتائل وصار يريه له. ففرح الملك وصار وضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة. وبعد أن غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس، فنزل الملك في المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رآه. ثم بعد ذلك أجلسه في الليوان وصارت المماليك يكيسونه والمباخر تفوح بالعود الند. فقال الملك: يا معلم، أهذا هو الحمّام؟ قال: نعم. فقال له: وحياة راسي، إن مدينتي ما صارت مدينة إلا بهذا الحمّام. ثم قال له: انت تأخذ على كل رأس أي شيء أجرة؟ قال أبو صير: الذي تأمر لي به آخذه. فأمر له بألف دينار وقال له: كل من اغتسل عندك خذ منه ألف دينار. فقال له: العفو يا ملك الزمان، إن الناس ليسوا سواء بل فيهم الغني وفيهم الفقير وإذا أخذت من كل واحد ألف دينار يبطل الحمّام، فإن الفقير لا يقدر على الألف دينار. قال الملك: وكيف تفعل في الأجرة؟ قال: أجعل الأجرة بالمروءة، فكل من يقدر على شيء وسمحت به نفسه يعطيه، فنأخذ من كل إنسان على قدر حاله. فإن الأمر إذ كان كذلك تأتي إلينا الخلائق، والذي يكون غنياً يعطي على قدر مقامه والذي يكون فقيراً يعطي على قدر ما تسمح به نفسه. فإذا كان الأمر كذلك يدور الحمام ويبقى له شان عظيم. وأما الألف دينار فإنها عطية الملك ولا يقدر عليها كل احد. فصدّق عليه أكابر الدولة وقالوا: هذا هو الحق يا ملك الزمان، أتحسب أن الناس كلهم مثلك أيها الملك العزيز؟ قال الملك: إن كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقير وإكرامه واجب علينا، فإنه عمل في مدينتنا هذا الحمّام الذي عمرنا ما رأينا مثله ولا تزيّنت مدينتنا وصار لها شأن إلا به، فإذا أكرمناه بزيادة الأجرة ما هو كثير. فقالوا: إذا كنت تكرمه فاكرمه من مالك، وإكرام الفقير من الملك بقلّة أجرة الحمّام لأجل أن تدعو لك الرعية. وأما الألف دينار فنحن أكابر دولتك ولا تسمح أنفسنا بإعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء؟ فقال الملك: يا أكابر دولتي، كل منكم يعطيه في هذه المرة مائة دينار ومملوكاً وجارية وعبداً. فقالوا: نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه إلا ما تسمح به نفسه. فقال: لا باس بذلك. فجعل الأكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكاً وعبداً، وكان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم أربعمائة نفس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 936

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنه كان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في ذلك اليوم أربعمائة نفس، فصار جملة ما أعطوه من الدنانير أربعين ألف دينار، ومن المماليك أربعمائة مملوك، ومن العبيد أربعمائة عبد، ومن الجواري أربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية. وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشر جوار وعشرة عبيد. فتقدّم أبو صير وقبّل الأرض بين أيادي الملك وقال له: أيها الملك السعيد صاحب الرأي الرشيد، أي مكان يسعني بهذه المماليك والجواري والعبيد؟ فقال له الملك: أنا ما أمرت دولتي بذلك إلا لأجل أن تجمع لك مقداراً عظيماً من المال لأنك ربما تفكّرت بلادك وعيالك واشتقت إليهم وأردت السفر إلى أوطانك فتكون أخذت من بلادنا مقداراً جسيماً من المال تستعين به على وقتك في بلادك. قال: يا ملك الزمان أعزّك الله، إن هذه المماليك والجواري والعبيد الكثيرة شأن الملوك ولو كنت أمرت لي بمال نقد لكان خيراً لي من هذا الجيش، فإنهم يأكلون ويشربون

ويلبسون ومهما حصّلته من المال لا يكفيهم في الإنفاق عليهم . فضحك الملك وقال : والله إنك قد صدقت ، فإنهم صاروا عسكراً جرّاراً وانت ليس لك مقدرة على الإنفاق عليهم ، ولكن اتبيعهم لي كل واحد بمائة دينار ؟ فقال : بعتك إياهم بهذا الثمن . فارسل الملك إلى الخازندار ليحضر له المال فاحضره ، واعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال . ثم بعد ذلك انعم بهم على أصحابهم وقال : كل من يعرف عبده أو جاريته أو مملوكه فليأخذه فإنهم هدية إليكم . فامتثلوا أمر الملك واخذ كل واحد منهم ما يخصّه . فقال له أبو صير : اراحك الله يا ملك الزمان كما أرحتني من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر أن يشبعهم إلا الله . فضحك الملك من كلامه وصدّق عليه ثم أخذ اكابر دولته وذهب من الحمام إلى سرايته . وبات تلك الليلة أبو صير وهو يصرد الذهب ويضعه في الأكياس ويختم عليه ، وكان عنده عشرون عبداً وعشرون مملوكاً واربع جوار برسم الخدمة . فلما اصبح الصباح فتح الحمام وارسل منادياً ينادي ويقول : كل من دخل الحمام واغتسل فإنه يعطي ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروءته . وقعد أبو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزبائن ، وصار كل من طلع يحط الذي يهون عليه ، فما أمسى المساء حتى امتلأ الصندوق من خير الله تعالى . ثم إن الملكة طلبت دخول الحمام ، فلما بلغ ابا صير ذلك قسم النهار من أجلها قسمين : وجعل من الفجر إلى الظهر قسم الرجال ، ومن الظهر إلى الغروب قسم النساء . ولما اتت الملكة اوقف جارية خلف الصندوق ، وكان علّم أربع جوار البلانة حتى صرن بلانات ماهرات . فلما دخلت الملكة اعجبها ذلك وانشرح صدرها وحطّت الف دينار . وشاع ذكره في المدينة ، وصار كل من دخل يكرمه سواء كان غنياً او فقيراً ، فدخل عليه الخير من كل باب وتعرّف بأعوان الملك وصار له أصحاب واحباب ، وصار الملك يأتي إليه في الجمعة يوماً ويعطيه الف دينار وبقية أيام الجمعة للأكابر والفقراء ، وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة . فاتفق ان قبطان الملك دخل عليه في الحمام يوماً من الايام فقلع أبو صير ودخل معه وصار يكيسه ولاطفه ملاطفة زائدة ، ولما خرج من الحمام عمل له الشربات والقهوة . فلما اراد أن يعطيه شيئًا حلف انه لا يأخذ منه شيئًا . فحمل القبطان جميله لما رأى من مزيد لطفه به وإحسانه إليه وصار متحيّراً فيما يهديه إلى ذلك الحمامي في نظير إكرامه له . هذا ما كان من امر أبي صير . وأما ما كان من أمر أبي قير ، فإنه سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمّام وكل منهم يقول : إن هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك ، إن شاء الله يا فلان تدخل بنا غداً هذا الحمام النفيس . فقال أبو قير في نفسه : لا بد ان أروح مثل الناس وانظر هذا الحمام الذي اخذ عقول الناس . ثم إنه لبس افخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة واخذ معه اربعة عبيد وأربعة مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه إلى الحمام ثم إنه نزل في باب الحمام . فلما صار عند الباب شمّ رائحة العود الند ورأى ناساً داخلين وناساً خارجين ورأى المساطب ملآنة من الأكابر والأصاغر . فدخل الدهليز فرآه أبو صير فقام إليه وفرح به . فقال له أبو قير : هل هذا شرط أولاد الحلال ؟ وأنا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرّفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة وانت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول أين رفيقي ؟ وأنا عجزت وانا افتش عليك وابعث عبيدي ومماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الأماكن فلا يعرفون طريقك ولا أحد يخبرهم بخبرك . فقال له أبو صير : أما جئت إليك وجعلتني لصاً وضربتني وهتكتني بين الناس ؟ فاغتم أبو قير وقال : أي شيء هذا الكلام ؟ هل

هو أنت الذي ضربتك؟ فقال له أبو صير: نعم هو أنا. فحلف له أبو قير ألف يمين أنه ما عرفه وقال: إنما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت أنك هو. وصار يتندم ويضرب كفاً على كفّ ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم قد أسأناك، ولكن يا ليتك عرّفتني بنفسك وقلت أنا فلان، فالعيب عندك لكونك لم تعرّفني بنفسك خصوصاً وأنا مدهوش من كثرة الأشغال. فقال له أبو صير: سامحك الله يا رفيقي، وهذا الشيء كان مقدّرًا في الغيب والجبر على الله. أدخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط. فقال له: بالله عليك أن تسامحني يا أخي. فقال له: ابرأ الله ذمتك وسامحك فإنه كان أمر مقدّر عليّ في الأزل. ثم قال له أبو قير: ومن أين لك هذه السيادة؟ فقال له: الذي فتح عليك فتح عليّ، فإني طلعت إلى الملك وأخبرته بشأن الحمّام فأمر لي ببنائه. فقال له أبو قير: وكما إنك معرفة الملك فأنا الآخر معرفته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 937

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أبا قير لمّا تعاتب هو وأبو صير قال له: كما أنت معرفة الملك أنا الآخر معرفته، وإن شاء الله تعالى أنا أخلّيه يحبك ويكرمك زيادة على الإكرام من أجلي فإنه لم يعرف أنك رفيقي، فأنا أعرّفه بأنك رفيقي وأوصيه عليك. فقال له: ما أحتاج إلى وصية، فإن المحنن موجود وقد أحبني الملك هو وجميع دولته وأعطاني كذا وكذا وأخبره بالخبر. ثم قال له: إقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمّام وأنا أدخل معك لأجل أن أكيسك. فخلع ماعليه ودخل الحمام ودخل معه أبو صير وكيسه وصبنه وألبسه واشتغل به حتى خرج. فلما خرج أحضر له الغداء والشربات، وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة إكرامه له. ثم بعد ذلك اراد أبو قير أن يعطيه شيئًا، فحلف أنه لا يأخذ منه شيئًا وقال له: استح من هذا الامر وأنت رفيقي وليس بيننا فرق. ثم إن أبا قير قال لأبي صير: يا رفيقي، والله إن هذا الحمّام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة. فقال له: وما نقصها؟ قال له: الدواء الذي هو عقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة. فاعمل هذا الدواء فإذا أتى الملك فقدّمه إليه وعلّمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حباً شديداً ويكرمك. فقال له: صدقت، إن شاء الله أصنع ذلك. ثم إن أبا قير خرج وركب بغلته وذهب إلى الملك ودخل عليه وقال له: أنا ناصح لك يا ملك الزمان. فقال له: وما نصيحتك؟ فقال: بلغني خبر وهو أنك بنيت حمامًا. قال: نعم قد أتاني رجل غريب فأنشأته له كما أنشأت لك هذه المصبغة، وهو حمام عظيم وقد تزيّنت مدينتي به. وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام. فقال له أبو قير: وهل دخلته؟ قال: نعم. قال: الحمد لله الذي نجّاك شرّ هذا الخبيث عدوّ الدين وهو الحمامي. فقال له الملك: وما شأنه؟ قال أبو قير: أعلم يا ملك الزمان أنك إن دخلته بعد هذا اليوم فإنك تهلك. فقال له: لأي شيء؟ فقال له: إن الحمامي عدوّك وعدو الدين، فإنه ما حملك على إنشاء هذا الحمام إلا لأن مراده أن يدخل عليك فيه السمّ، فإنه صنع لك شيئًا وإذا دخلته يأتيك به ويقول لك: هذا دواء كل من دهن به تحته يرمي الشعر منه بسهولة. وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسمّ قاتل وإن هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى أنه إن قتلك يفكّ له زوجته وأولاده من الأسر. فإن زوجته وأولاده مأسورون عند سلطان النصارى وكنت مأسوراً معه في بلادهم، ولكن أنا فتحت مصبغة وصبغت لهم

ألواناً فاستعطفوا عليّ قلب الملك فقال لي الملك : أي شيء تطلب ؟ فطلبت منه العتق فأعتقني وجئت إلى هذه المدينة ورأيته في الحمام . فسألته وقلت له : كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك وأولادك ؟ فقال : لم أزل أنا وزوجتي وأولادي ماسورين ، حتى إن ملك النصارى عمل ديواناً فحضرت في جملة من حضر وكنت واقفاً من جملة الناس ، فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك إلى أن ذكروا ملك هذه المدينة فتأوّه ملك النصارى وقال : ما قهرني في الدنيا إلا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيّل لي على قتله فإني أعطيه كل ما يتمنّى . فتقدّمت أنا إليه وقلت له : إذا تحيّلت لك على قتله هل تعتقني أنا وزوجتي وأولادي ؟ فقال لي : نعم أعتقكم وأعطيك كل ما تتمنّى . ثم إني اتّفقت أنا وإياه على ذلك وأرسلني في غليون إلى هذه المدينة وطلعت إلى هذا الملك فبنى لي هذا الحمّام ، وما بقي عليّ إلا أن أقتله وأروح إلى ملك النصارى وأفدي أولادي وزوجتي وأتمنّى عليه . فقلت : وما الحيلة التي دبّرتها في قتله حتى تقتله ؟ قال لي : هي حيلة سهلة أسهل ما يكون ، فإنه يأتي إليّ في هذا الحمّام وقد اصطنعت له شيئًا فيه سمّ ، فإذا جاء أقول له : خذ هذا الدواء وادهن به تحتك فإنه يسقط الشعر . فيأخذه ويدهن به تحته فيلعب السمّ فيه يوماً وليلة حتى يسري إلى قلبه فيهلكه والسلام . فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليك لأن خيرك عليّ وقد أخبرتك بذلك . فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضباً شديداً وقال للصبّاغ : أكتم هذا السرّ . ثم طلب الرواح إلى الحمام حتى يقطع الشك باليقين . فلما دخل الملك الحمام تعرّى أبو صير على جري عادته وتقيد بالملك وكيسه وبعد ذلك قال له : يا ملك الزمان ، إني عملت دواء لتنظيف الشعر التحتاني . فقال : أحضره لي . فأحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصحّ عنده أنه سمّ فغضب وصاح على الأعوان وقال : إمسكوه . فقبض عليه الأعوان وخرج الملك وهو ممتزج بالغضب ولا أحد يعرف سبب غضبه ، ومن شدّة غضب الملك لم يخبر أحداً ولم يتجاسر أحد على أن يسأله . ثم إنه لبس وطلع الديوان ثم أحضر أبا صير بين يديه وهو مكتّف ثم طلب القبطان فحضر . فلما حضر القبطان قال له الملك : خذ هذا الخبيث وحطّه في زكيبة وحط في الزكيبة قنطارين جيراً من غير طفي واربط فمها عليه هو والجير ثم ضعها في الزورق وتعال تحت قصري فتراني جالساً في شباكه وقل لي : هل أرميه ؟ فأقول لك : إرمه . فإذا قلت لك ذلك فارمه حتى ينطفي الجير عليه لأجل أن يموت غريقًا حريقاً . فقال : سمعاً وطاعة . ثم أخذه من قدام الملك إلى جزيرة قصاد قصر الملك وقال لأبي صير : يا هذا ، أنا جئت عندك مرة واحدة في الحمّام فأكرمتني وقمت بواجبي وانبسطت منك كثيراً وحلفت أنك لم تأخذ مني أجرة ، وأنا قد أحببتك محبة شديدة . فأخبرني ما قضيتك مع الملك ؟ وأي شيء صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وأمرني أن تموت هذه الميتة الرديئة ؟ فقال له : والله ما عملت شيئًا وليس عندي علم بذنب فعلته معه يستوجب هذا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 938

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القبطان لما سأل أبا صير عن سبب غضب الملك عليه قال له : والله يا أخي ما عملت معه شيئًا قبيحاً يستوجب هذا . فقال له القبطان : إن لك عند الملك مقاماً عظيماً ما ناله أحد قبلك وكل ذي نعمة محسود ، فلعل أحدًا حسدك على هذه النعمة ورمى في حقك بعض كلام عند الملك حتى إن الملك غضب عليك هذا

الغضب ؟ ولكن مرحباً بك وما عليك من باس ، فكما انك أكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فأنا أخلصك . ولكن إذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون إلى ناحية بلادك فأرسلك معه . فقبّل ابو صير يد القبطان وشكره على ذلك . ثم إنه احضر الجير ووضعه في زكيبة ووضع فيها حجراً كبيراً قدر الرجل وقال : توكّلت على الله . ثم إن القبطان اعطى ابا صير شبكة وقال له : إرم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئًا من السمك ، لأن سمك مطبخ الملك مرتّب عليّ في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي أصابتك فأخاف أن تأتي غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه ، فإذا كنت تصطاد شيئًا فإنهم يجدونه حتى أروح أعمل الحيلة تحت القصر واجعل اني رميتك . فقال له أبو صير : انا اصطاد ورح انت والله يعينك . فوضع الزكيبة في الزورق وسار إلى ان وصل تحت القصر فرأى الملك جالساً في الشباك فقال : يا ملك الزمان هل أرميه ؟ فقال له : إرمه . وأشار بيده وإذا بشيء برق ثم سقط في البحر ، وإذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك وكان مرصوداً بحيث إذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فيقع رأسه من بين كتفيه ، وما أطاعته العساكر ولا قهر الجبابرة إلا بسبب هذا الخاتم . فلما وقع الخاتم من إصبعه كتم أمره ولم يقدر أن يقول : خاتمي وقع في البحر خوفاً من العسكر أن يقوموا عليه فيقتلوه فسكت . هذا ما كان من أمر الملك . وأما ما كان من أمر أبي صير فإنه بعد ذهاب القبطان أخذ الشبكة وطرحها في البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكاً . ثم طرحها ثانياً فطلعت ملآنة سمكاً أيضاً . ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكاً حتى صار قدامه كوم كبير من السمك . فقال في نفسه : والله إن لي مدة طويلة ما أكلت السمك . ثم إنه نقّى له سمكة كبيرة سمينة وقال : لمّا يأتي القبطان أقول له يقلي لي هذه السمكة لأتغذى بها . ثم إنه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين في نخشوشها فرأى خاتم الملك فيه لأنها كانت ابتلعته ، ثم ساقتها القدرة إلى تلك الجزيرة ووقعت في الشبكة . فأخذ الخاتم ولبسه في خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص وإذا بغلامين من خدام الطباخ أتيا لطلب السمك . فلما صارا عند أبي صير قالا : يا رجل ، أين راح القبطان ؟ فقال : لا أدري . وأشار بيده اليمنى وإذا برأسي الغلامين وقعا من بين أكتافهما حين أشار إليهما وقال : لا ادري . فتعجب أبو صير من ذلك وجعل يقول : يا ترى من قتلهما ؟ وصعبا عليه وصار يتفكّر في ذلك وإذا بالقبطان أقبل فرأى كوماً كبيراً من السمك ورأى الإثنين مقتولين ورأى الخاتم في إصبع ابي صير فقال له : يا اخي ، لا تحرّك يدك التي فيها الخاتم فإنك إن حرّكتها قتلتني . فتعجب من قوله لا تحرّك يدك التي فيها الخاتم لانك إن حرّكتها قتلتني . فلما وصل له القبطان قال : من قتل هذين الغلامين ؟ قال له أبو صير : والله يا أخي لا أدري . قال : صدقت . ولكن أخبرني عن هذا الخاتم من اين وصل إليك ؟ قال : رأيته في نخشوش هذه السمكة . قال : صدقت فإني رأيته نازلاً يبرق من قصر الملك حتى سقط في البحر وقت أن أشار إليك وقال لي : إرمه . فإنه لما أشار رميت الزكيبة وكان سقط من إصبعه ووقع في البحر فابتلعته هذه السمكة وساقها الله إليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك . ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم ؟ قال أبو صير : لا أدري له خواصاً . فقال القبطان : أعلم أن عسكر ملكنا ما أطاعوه إلا خوفاً من هذا الخاتم لأنه مرصود ، فإذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير به عليه

فيقع راسه من بين كتفيه. فإن بارقة تخرج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته. فلما سمع ابو صير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وقال للقبطان: ردّني إلى المدينة. فقال له القبطان: اردّك فإني ما بقيت اخاف عليك من الملك، فإنك متى اشرت بيدك واضمرت على قتله فإن راسه يقع بين يديك، ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فإنك تقتلهم من غير عاقة. ثم انزله في الزورق وتوجه به إلى المدينة. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 939

☐ قالت: بلغني ايها الملك السعيد، ان القبطان لما انزل ابا صير في الزورق توجه به إلى المدينة. فلما وصل إليها طلع إلى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالساً والعسكر بين يديه وهو في غمّ عظيم من شان الخاتم، ولم يقدر ان يخبر احداً من العسكر بضياع الخاتم. فلما رآه الملك قال له: اما رميناك في البحر؟ كيف فعلت حتى خرجت منه؟ فقال له: يا ملك الزمان، لما امرت برميي في البحر اخذني قبطانك وسار بي إلى جزيرة وسالني عن سبب غضبك عليّ وقال لي: اي شيء صنعت مع الملك حتى امر بموتك؟ فقلت له: والله ما اعلم اني عملت معه شيئاً قبيحاً. فقال لي: إن لك مقاماً عظيماً عند الملك فلعل احداً حسدك ورمى فيك كلاماً عند الملك حتى غضب عليك؟ ولكن انا جئتك في حمامك فاكرمتني، ففي نظير إكرامك إياي في حمامك انا اخلصك وارسلك إلى بلادك. ثم حطّ في الزورق حجراً عوضاً عني ورماه في البحر. ولكن حين اشرت له عليّ وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة وكنت انا في الجزيرة اصطاد سمكاً، فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فاخذتها واردت ان اشويها، فلما فتحت جوفها رايت الخاتم فيه فاخذته وجعلته في إصبعي. فأتاني اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك، فاشرت إليهما وانا لا ادري خاصية الخاتم فوقعت رؤوسهما. ثم اتى القبطان فعرف الخاتم وهو في إصبعي واخبرني برصده، فأتيت به إليك لأنك عملت معي معروفاً واكرمتني غاية الإكرام، وما عملته معي من الجميل لم يضع عندي، وهذا خاتمك فخذه وإن كنت فعلت معك شيئاً يوجب القتل فعرّفني بذنبي واقتلني وانت في حلّ من دمي. ثم خلع الخاتم من إصبعه وناوله للملك. فلما راى الملك ما فعل ابو صير من الإحسان، اخذ الخاتم منه وتختم به وردّت له روحه وقام على اقدامه واعتنق ابا صير وقال: يا رجل، انت من خواص اولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني مما صدر مني في حقّك، ولو كان احد غيرك ملك هذا الخاتم ما كان اعطاني إياه. فقال: يا ملك الزمان، إن اردت ان اسامحك فعرّفني بذنبي الذي اوجب غضبك عليّ حيث امرت بقتلي. فقال له: والله إنه ثبت عندي انك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل، وإنما الصبّاغ قد قال لي كذا وكذا، واخبره بما قاله الصبّاغ. فقال ابو صير: والله يا ملك الزمان انا لا اعرف ملك النصارى ولا عمري رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالي اني اقتلك، ولكن هذا الصبّاغ كان رفيقي وجاري في مدينة اسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرانا مع بعضنا فاتحة على ان العامل يطعم البطّال، وجرى لي معه كذا وكذا. واخبره بجميع ما قد جرى له مع ابي قير الصبّاغ وكيف اخذ دراهمه وفاته ضعيفاً في الحجرة التي في الخان، وإن بوّاب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه الله. ثم

طلع وسرح في المدينة بعدّته على العادة . فبينما هو في الطريق إذ رأى مصبغة عليها ازدحام ، فنظر في باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مصطبة هناك فدخل ليسلّم عليه فوقع له منه ما وقع من الضرب والإساءة وادّعى عليه أنه حرامي وضربه ضرباً مؤلماً . واخبر الملك بجميع ماجرى له من اوله إلى آخره . ثم قال : يا ملك الزمان ، هو الذي قال لي إعمل الدواء وقدّمه للملك فإن الحمّام كامل في جميع الأمور إلا ان هذا الدواء مفقود منه . واعلم يا ملك الزمان ان هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه في بلادنا وهو من لوازم الحمّام وانا كنت نسيته . فلما اتاني الصبّاغ واكرمته ذكّرني به وقال لي : إعمل الدواء . وارسل يا ملك الزمان هات بوّاب الخان الفلاني وصنايعية المصبغة واسأل الجميع عن ما اخبرتك به . فارسل الملك إلى بوّاب الخان وإلى صنايعية المصبغة . فلما حضر الجميع سألهم فأخبروه بالواقع . فارسل إلى الصبّاغ وقال : هاتوه حافياً مكشوف الراس مكتّفاً . وكان الصبّاغ جالساً في بيته مسروراً بقتل أبي صير فلم يشعر إلا واعوان الملك هجموا عليه والضرب على قفاه ثم كتّفوه وحضروا به قدام الملك ، فرأى ابا صير جالساً في جنب الملك وبوّاب الخان وصنايعية المصبغة واقفين أمامه . فقال له بوّاب الخان : اما هذا رفيقك الذي سرقت دارهمه وتركته عندي في الحجرة ضعيفاً وفعلت معه ما هو كذا وكذا ؟ وقال له صنايعية المصبغة : أما هذا الذي أمرتنا بالقبض عليه وضربناه ؟ فتبيّن للملك قباحة أبي قير وإنه يستحق ما هو اشد من تشديد منكر ونكير . فقال الملك : خذوه وجرّسوه في المدينة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 940

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الملك لما سمع كلام بوّاب الخان وصنايعية المصبغة تحقّق خبث أبي قير فاقام عليه النكير وقال لأعوانه : خذوه وجرّسوه في المدينة وحطّوه في زكيبة وارموه في البحر . فقال أبو صير : يا ملك الزمان ، شفعني فيه فإني سامحته من جميع ما فعل بي . فقال الملك : إن كنت سامحته في حقّك فانا لا يمكن ان اسامحه في حقي . ثم صاح وقال : خذوه وجرّسوه . وبعد ذلك وضعوه في زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه في البحر فمات غريقاً حريقاً . وقال الملك : يا أبا صير ، تمنّ عليّ تعط . فقال له : تمنّيت عليك ان ترسلني إلى بلادي فإني ما بقي لي رغبة في القعود ها هنا . فاعطاه شيئًا كثيراً زيادة على ماله ونواله ومواهبه ثم أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات ، وكان بحريته مماليك فوهبهم له أيضاً بعد أن عرض عليه أن يجعله وزيراً فما رضي . ثم ودّع الملك وسافر ، وجميع ما في الغليون ملكه حتى النواتية مماليكه . وما زال سائراً حتى وصل إلى أرض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا إلى البر فرأى مملوك من مماليكه زكيبة في جانب البر . فقال : يا سيدي ، إن في جنب شاطىء البحر زكيبة كبيرة ثقيلة وفمها مربوط ولا ادري ما فيها . فأتى أبو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر إلى جهة اسكندرية ، فأخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزاراً ووقف عليه أوقافًا وكتب على باب الضريح هذه الأبيات : [من الكامل]

أَلْمَرْءُ يُعْرَفُ فِي الأَنامِ بِفِعْلِهِ ... وفَعائِلُ الحُرِّ الكَرِيمِ كأَصْلِهِ
لا تَسْتَغِبْ فَتُسْتَغابُ فَرُبَّما ... مَنْ قالَ شَيْئًا قِيلَ فِيهِ بِمِثْلِهِ

وتَجَنَّبِ الفَحْشاءَ لا تَنْطِقْ بِها ... ما دُمْتَ في جِدِّ الكَلامِ وهَزْلِهِ
فالكَلْبُ إنْ حَفِظَ المَكارِمِ يُقْتَنَى ... وغَدا الهِزَبْرُ مُسَلْسَلاً مِنْ جَهْلِهِ
والبَحْرُ تَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُ الفَلا ... والدُّرُّ مَنْبُوذٌ بِأسْفَلِ رَمْلِه
ما كانَ عُصْفُورٌ يُزاحِمُ باشِقاً ... إلاّ لِطَيْشَتِهِ وخِفَّةِ عَقْلِه
في الجَوِّ مَكْتُوبٌ على صُحُفِ الهَوَى ... مَنْ يَفْعَلِ المَعْرُوفَ فازَ بِمِثْلِه
إيّاكَ تَجْنِي سُكَّرًا مِنْ حَنْظَلٍ ... فالشَّيْءُ يَرْجِعُ في المَذاقِ لأَصْلِه

ثم إن أبا صير أقام مدة وتوفّاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبي قير . ومن أجل ذلك سمّي هذا المكان بأبي قير وأبي صير ، واشتهر الآن بأنه أبو قير . وهذا ما بلغنا من حكايتهما فسبحان الباقي على الدوام وبإرادته تصرف الليالي والأيام .

82 - حكاية عبد الله البحري وعبد الله البرِّي

ومما يحكى أيضاً أنه كان رجل صياد إسمُهُ عَبْد الله ، وكان كثير العيال وله تسعة أولاد وأمهم . وكان فقيرًا جدًا لا يملك إلا الشبكة ، وكان يروح كل يوم إلى البحر ليصطاد فإذا اصطاد قليلاً يبيعه وينفقه على أولاده بقدر ما رزقه الله ، وإن اصطاد كثيراً يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة . ولم يزل يصرف حتى لا يبقى معه شيء ويقول في نفسه : رزق غد يأتي في غد . فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص ، وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيئًا أبدًا . فقالت له زوجته : يا سيدي ، انظر لي شيئًا أتقوّت به . فقال لها : ها أنا سارح على بركة الله تعالى إلى البحر في هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده . فقالت له : توكّل على الله . فأخذ الشبكة وتوجه إلى البحر . ثم إنه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال : اللهم اجعل رزقه يسيراً غير عسير وكثيراً غير قليل . وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشاً ورملاً وحصى وحشيشاً ولم يرَ فيها شيئًا من السمك لا كثيرًا ولا قليلاً . فرماها ثاني مرة وصبر عليها ثم سحبها فلم يرَ فيها سمكاً . فرمى ثالثاً ورابعاً وخامساً فلم يطلع فيها سمك ، فانتقل إلى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله تعالى . ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلم يصطد ولا صيرة . فتعجب في نفسه وقال : هل هذا المولود خلقه الله من غير رزق ؟ فهذا لا يكون أبدًا ، لأن الذي شقّ الأشداق تكفّل لها بالأرزاق ، فالله تعالى كريم رزاق . ثم إنه حمل الشبكة ورجع مكسور الخاطر وقلبه مشغول بعياله فإنه تركهم بغير أكل ولا سيما وزوجته نفساً . ولا زال يمشي وهو يقول في نفسه : كيف العمل ؟ وماذا أقول للأولاد في هذه الليلة ؟ ثم إنه وصل قدام فرن خباز فرأى عليه زحمة ، وكان الوقت وقت غلاء وفي تلك الأيام لا يوجد عند الناس من المؤونة إلا قليل ، والناس يعرضون الفلوس على الخباز ولا ينتبه لأحد منهم من كثرة الزحام . فوقف ينظر ويشمّ رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيه من الجوع . فنظر إليه الخباز وصاح عليه وقال : تعال يا صياد . فتقدم إليه فقال له : أتريد عيشاً ؟ فسكت فقال له : تكلم ولا تستحي فالله كريم ، إن لم يكن معك دراهم فأنا أعطيك وأصبر عليك حتى يجيئك الخير . فقال له : يا معلم ما معي دراهم ، لكن اعطني عيشاً كفاية عيالي وأرهن عندك هذه الشبكة إلى غد . فقال له : يا مسكين ، إن

هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فإذا رهنتها بأي شيء تصطاد؟ فاخبرني بالقدر الذي يكفيك. قال: بعشرة أنصاف فضة. فأعطاه خبزاً بعشرة أنصاف ثم أعطاه عشرة أنصاف فضة وقال له: خذ هذه العشرة أنصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفي غد هات لي بها سمكاً، وإن لم يحصل لك شيء تعال خذ عيشك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 941

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الخباز قال للصياد: خذ ما تحتاج إليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات بما استحقه عندك سمكاً. فقال له: آجرك الله تعالى وجزاك عني كل خير. ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسروراً واشترى له ما تيسّر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الأولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم: في هذا الوقت يأتي أبوكم بما تأكلونه. فلما دخل عليهم حطّ لهم العيش فأكلوا وأخبر زوجته بما حصل له. فقالت له: الله كريم. وفي ثاني يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول: أسألك يا رب أن ترزقني في هذا اليوم بما يبيّض وجهي مع الخباز. فلما وصل إلى البحر صار يطرح الشبكة ويجذبها فلم يخرج فيها سمك، ولم يزل كذلك إلى آخر النهار ولم يحصل شيئًا. فرجع وهو في غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز. فقال في نفسه: من أين أروح إلى داري؟ ولكن أسرع خطوي حتى لا يراني الخباز. فلما وصل إلى فرن الخباز رأى زحمة فأسرع في المشي من حيائه من الخباز حتى لا يراه وإذا بالخباز وقع بصره عليه فصاح وقال: يا صياد تعال خذ عيشك ومصروفك فإنك نسيت. قال: لا والله ما نسيت وإنما استحيت منك فإني لم اصطد سمكاً في هذا اليوم. فقال له: لا تستحي، أما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير. ثم أعطاه العيش والعشرة أنصاف وراح إلى زوجته وأخبرها بالخبر. فقالت له: الله كريم، إن شاء الله يأتيك الخير وتوفيه حقّه. ولم يزل على هذه الحالة مدة أربعين يومًا وهو في كل يوم يروح إلى البحر من طلوع الشمس إلى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشاً ومصروفًا من الخباز، ولم يذكر له السمك يوماً من الأيام ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة أنصاف والعيش. وكلما يقول له: يا أخي حاسبني. يقول له: رح ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فأحاسبك. فيدعو له ويذهب من عنده شاكرًا له. وفي اليوم الحادي والأربعين قال لامرأته: مرادي أن أقطع هذه الشبكة وأرتاح من هذه العيشة. فقالت له: لأي شيء؟ قال لها: كأن رزقي انقطع من البحر، فإلى متى هذا الحال؟ والله إني ذبت حياء من الخباز، فأنا ما بقيت أروح إلى البحر حتى لا أجوز على فرنه فإنه ليس لي طريق إلا على فرنه. وكلما جزت عليه يناديني ويعطيني العيش والعشرة أنصاف. وإلى متى وأنا أتداين منه؟ قالت له: الحمد لله تعالى الذي عطف قلبه عليك فيعطيك القوت وأي شيء تكره من هذا؟ قال: بقي له قدر عظيم من الدراهم ولا بد أنه يطلب حقّه. قالت له زوجته: هل آذاك بكلام؟ قال: لا ولم يرضَ أن يحاسبني ويقول لي: حتى يأتيك الخير. قالت: فإذا طالبك قل له: حتى يأتي الخير الذي نرتجيه أنا وأنت. فقال لها: متى يجيء الخير الذي نرتجيه؟ قالت له: الله كريم. قال: صدقت. ثم حمل شبكته وتوجه إلى البحر وهو يقول: يا رب ارزقني ولو بسمكة واحدة حتى أهديها إلى الخباز. ثم إنه رمى

الشبكة في البحر ثم سحبها فوجدها ثقيلة، فما زال يعالج فيها حتى تعب تعباً شديداً. فلما اخرجها رأى فيها حماراً ميتاً منفوخاً ورائحته كريهة. فسئمت نفسه ثم خلّصه من الشبكة وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة: ما بقي لي رزق في البحر دعيني أترك هذه الصنعة. وهي تقول لي: الله كريم سيأتيك الخير. فهل هذا الحمار الميت هو الخير؟ ثم إنه حصل له غمّ شديد وتوجه إلى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار وأخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فرآها ثقيلة، فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفّيه. فلما أخرج الشبكة رأى فيها آدمياً فظن انه عفريت من عفاريت السيد سليمان الذين كان يحبسهم في قماقم النحاس ويرميهم في البحر، فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منه ذلك العفريت وطلع في الشبكة. فهرب منه وصار يقول: الأمان الأمان يا عفريت سليمان. فصاح عليه الآدمي من داخل الشبكة وقال: تعال يا صياد لا تهرب مني فإني آدمي مثلك، فخلّصني لتنال اجري. فلما سمع كلامه الصياد اطمأن قلبه وجاءه وقال له: ما أنت عفريت من الجن؟ قال: لا إنما أنا إنسي مؤمن بالله ورسوله. قال له: ومن رماك في البحر؟ قال له: أنا من أولاد البحر، كنت دائراً فرميت عليّ الشبكة ونحن أقوام مطيعون لأحكام الله ونشفق على خلق الله تعالى، ولولا اني أخاف وأخشى ان أكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدّر الله عليّ. وأنت إذا خلّصتني تصير مالكاً لي وأنا أصير أسيرك. فهل لك ان تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي؟ أجيئك كل يوم في هذا المكان وأنت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البر، فإن عندكم عنباً وتيناً وبطيخاً وخوخاً ورمّاناً وغير ذلك، وكل شيء تجيء به إليّ مقبول منك. ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر، فأنا أملأ لك المشنة التي تجيء لي فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر. فما تقول يا أخي في هذا الكلام؟ فقال له الصياد: الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام. فقرأ كل منهما الفاتحة وخلّصه من الشبكة ثم قال له الصياد: ما اسمك؟ قال: إسمي عبد الله البحري، فإذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فناد وقل: أين أنت يا عبد الله يا بحري؟ فأكون عندك في الحال. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 942

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله البحري قال له: إذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فناد وقل: أين أنت يا عبد الله يا بحري؟ فأكون عندك في الحال. وأنت ما اسمك؟ فقال الصياد: إسمي عبد الله قال: أنت عبد الله البرّي وأنا عبد الله البحري. فقف هنا حتى أروح وآتيك بهدية. فقال له: سمعاً وطاعة. فراح عبد الله البحري في البحر. فعند ذلك ندم عبد الله البرّي على كونه خلّصه من الشبكة وقال في نفسه: من أين أعرف أنه يرجع إليّ؟ وإنما هو ضحك عليّ حتى خلّصته ولو أبقيته كنت أفرّج عليه الناس في المدينة وآخذ عليه الدراهم من جميع الناس وأدخل به بيوت الأكابر. فصار يتندم على إطلاقه ويقول لنفسه: راح صيدك من يدك. فبينما هو يتأسّف على خلاصه من يده وإذا بعبد الله البحري رجع إليه ويداه مملوءتان لؤلؤاً ومرجاناً وزمرداً وياقوتاً وجواهر وقال له: خذ يا أخي ولا تؤاخذني فإنه ما عندي مشنة كنت أملؤها لك. فعند ذلك فرح عبد الله البري وأخذ منه الجواهر وقال له: كل يوم تأتي

إلى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودّعه وانصرف ودخل البحر . وأما الصياد فإنه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى فرن الخباز وقال له : يا أخي ، قد أتانا الخير فحاسبني . قال له : ما يحتاج إلى حساب ، إن كان معك شيء فاعطني وإن لم يكن معك شيء فخذ عيشك ومصروفك ورح إلى أن يأتيك الخير . فقال له : يا صاحبي ، قد أتاني الخير من فيض الله ، وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذ هذا . وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر ، وكانت تلك الكبشة نصف ما معه . فأعطاها للخباز وقال له : أعطني شيئًا من المعاملة أصرفه في هذا اليوم حتى أبيع هذه المعادن ؟ فأعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز . وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد : أنا عبدك وخدامك . وحمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفه إلى البيت ، فأعطى العيش لزوجته وأولاده ثم راح إلى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر أصناف الفاكهة . وترك الفرن وأقام طول ذلك اليوم وهو يتعاطى خدمة عبد الله البري ويقضي له مصالحه . فقال له الصياد : يا اخي ، أتعبت نفسك . قال له الخباز : هذا واجب عليّ لأني صرت خدامك وإحسانك قد غمرني . فقال له : أنت صاحب الإحسان عليّ في الضيق والغلاء . وبات معه تلك الليلة على أكل طيب . ثم إن الخباز صار صديقاً للصياد وأخبر زوجته بوقعته مع عبد الله البحري . ففرحت وقالت له : أكتم سرّك لئلا تتسلّط عليك الحكّام . فقال لها : إن كتمت سرّي عن جميع الناس فلا أكتمه عن الخباز . ثم إنه اصبح في ثاني يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الأصناف في وقت المساء ، ثم حملها قبل الشمس وتوجه إلى البحر وحطّها على جنب الشاطىء وقال : اين انت يا عبد الله يا بحري ؟ وإذا به يقول له : لبيك ! وخرج إليه . فقدّم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس في البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع أصناف المعادن والجواهر . فحملها عبد الله البري على رأسه وذهب بها . فلما وصل إلى فرن الخباز قال له : يا سيدي ، قد خبزت لك أربعين كفّ شريك وأرسلتها إلى بيتك ، وها أنا أخبز العيش الخاص فمتى خلص أوصله إلى البيت وأروح لأجيء لك بالخضار واللحم . فكبش له من ثلاث كبشات وأعطاه إياها ، وتوجه إلى البيت وحطّ المشنة واخذ من كل صنف من أصناف الجواهر جوهرة نفيسة . ثم ذهب إلى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق وقال : إشتر مني هذه الجواهر ؟ فقال له : ارني إياها . فأراه إياها . فقال له : هل عندك غير هذا ؟ قال : عندي مشنة ممتلئة . قال له : أين بيتك ؟ قال له : في الحارة الفلانية . فأخذ منه الجواهر وقال لأتباعه : إمسكوه فإنه هو الحرامي الذي سرق مصالح الملكة زوجة السلطان . ثم أمرهم ان يضربوه ، فضربوه وكتفوه . وقام الشيخ هو وجميع أهل سوق الجواهر وصاروا يقولون : مسكنا الحرامي . وبعضهم يقول : ما سرق متاع فلان إلا هذا الخبيث . وبعضهم يقول : ما سرق جميع ما في بيت فلان إلا هو . وبعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا . كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على احد منهم جواباً ولم يبدله خطاباً حتى أوقفوه قدام الملك . فقال الشيخ : يا ملك الزمان ، لما سرق عقد الملكة أرسلت أعلمتنا وطلبت منّا وقوع الغريم ، فاجتهدت أنا من دون الناس وأوقعت لك الغريم وها هو بين يديك ، وهذه الجواهر خلّصناها من يده . فقال الملك للطواشي : خذ هذه المعادن وأرها للملكة وقل لها : هل هذا متاعك الذي ضاع من عندك ؟ فأخذها الطواشي ودخل بها قدام الملكة . فلما رأتها تعجبت منها

وأرسلت تقول للملك : إني رأيت عقدي في مكاني وهذا ما هو متاعي ، ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 943 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زوجة الملك لما أرسلت تقول له : هذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل ، وإن كان يبيعها فاشترها منه لبنتك أم السعود لنضعها لها في عقد . فلما رجع الطواشي وأخبر الملك بما قالته الملكة ، لعن شيخ الجوهرية هو وجماعته لعنة عاد وثمود . فقالوا : يا ملك الزمان ، إنّا كنا نعرف أن هذا الرجل صياد فقير ، فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا أنه سرقها . فقال : يا قبحاء ، أتستكثرون النعمة على مؤمن ؟ فلأي شيء لم تسألوه ؟ ربما رزقه الله تعالى بها من حيث لا يحاسب . فكيف تجعلونه حرامياً وتفتضحونه بين العالم ؟ اخرجوا لا بارك الله فيكم . فخرجوا وهم خائفون . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر الملك فإنه قال : يا رجل ، بارك الله لك فيما أنعم به عليك وعليك الأمان ، ولكن أخبرني بالصحيح من أين لك هذه الجواهر ؟ فإني ملك ولم يوجد عندي مثلها . فقال : يا ملك الزمان ، أنا عندي مشنة ممتلئة منها ، وهو إن الأمر كذا وكذا . وأخبره بصحبته لعبد الله البحري وقال له : إنه قد صار بيني وبينه عهد على أنني كل يوم أملأ له المشنة فاكهة وهو يملؤها لي من هذه الجواهر . فقال له : يا رجل هذا نصيبك ، ولكن المال يحتاج إلى الجاه فأنا أدفع عنك تسلّط الناس عليك في هذه الأيام . ولكن ربما عزلت أو مت وتولّى غيري فإنه يقتلك من أجل حب الدنيا والطمع . فمرادي أن أزوّجك ابنتي وأجعلك وزيري وأوصي لك بالملك من بعدي حتى لا يطمع فيك أحد بعد موتي . ثم إن الملك قال : خذوا هذا الرجل وادخلوه الحمام . فأخذوه وغسلوا جسده وألبسوه ثياباً من ثياب الملوك وأخرجوه قدام الملك فجعله وزيراً له . وأرسل السعاة وأصحاب النوبة وجميع نساء الأكابر إلى بيته ، فألبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هي وأولادها وأركبوها في تختروان ومشت قدامها جميع نساء الأكابر والعساكر والسعاة وأصحاب النوبة وأتوا بها إلى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها ، وأدخلوا أولادها الكبار على الملك فأكرمهم وأخذهم على حجره وأجلسهم في جانبه وهم تسعة أولاد ذكور . وكان الملك معدوم الذرية ، ما رزق غير تلك البنت التي اسمها أم السعود . أما الملكة فإنها أكرمت زوجة عبد الله البري وأنعمت عليها وجعلتها وزيرة عندها . وأمر الملك بكتب كتاب عبد الله البري على ابنته وجعل مهرها جميع ما كان عنده من الجواهر والمعادن . وفتحوا باب الفرح ، وأمر الملك أن ينادى بزينة المدينة من أجل فرح ابنته . وفي اليوم الثاني بعد أن دخل على بنت الملك وأزال بكارتها طلّ الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملاً على رأسه مشنة ممتلئة فاكهة . فقال له : ما هذا الذي معك يا نسيبي ؟ وإلى أين تذهب ؟ فقال : إلى صاحبي عبد الله البحري . فقال له : يا نسيبي ، ما هذا وقت الرواح إلى صاحبك ؟ فقال : أخاف أن أخلف معه الميعاد فيعدّني كذاباً ويقول لي : إن الدنيا الهتك عني . قال : صدقت رح إلى صاحبك أعانك الله . فمشى في البلد وهو متوجه إلى صاحبه وكانت الناس قد عرفته ، فصار يسمع الناس يقولون : هذا نسيب الملك رايح يبدل الأثمار بالجواهر . والذي يكون جاهلاً به ولا يعرفه يقول : يا رجل بكم الرطل ؟ تعال بعني . فيقول له : انتظرني حتى أرجع إليك ولا يغمّ أحداً . ثم راح

واجتمع بعبد الله البحري وأعطاه الفاكهة وأبدلها له بالجواهر. ولم يزل على هذه الحالة وفي كل يوم يمرّ على فرن الخباز فيراه مقفولاً، ودام على ذلك مدة عشرة أيام. فلما لم يرَ الخباز ورأى فرنه مقفولاً فقال في نفسه: إن هذا شيء عجيب! يا ترى أين راح الخباز؟ ثم إنه سأل جاره فقال له: يا أخي، أين جارك الخباز؟ فما فعل الله به؟ قال: يا سيدي، إنه مريض لا يخرج من بيته. قال له: أين بيته؟ قال له: في الحارة الفلانية. فعمد إليه وسأل عنه فلما طرق الباب طلّ الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه مشنة ممتلئة. فنزل إليه وفتح له الباب ورمى روحه عليه وعانقه وقال له: كيف حالك يا صاحبي؟ فإني كل يوم أمر على الفرن فأراه مقفولاً. ثم سألت جارك فأخبرني أنك مريض. فسألت عن البيت لأجل أن أراك. فقال له الخباز: جزاك الله عني كل خير، فليس بي مرض وإنما بلغني أن الملك أخذك لأن بعض الناس كذب عليه وادّعى أنك حرامي، فخفت أنا وقفلت الفرن واختفيت. قال: صدقت. ثم إنه أخبره بقصّته وما وقع له مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال: إن الملك قد زوّجني ابنته وجعلني وزيره. ثم قال له: خذ ما في هذه المشنة نصيبك ولا تخف. ثم خرج من عنده بعد أن أذهب عنه الخوف وراح إلى الملك بالمشنة فارغة. فقال له الملك: يا نسيبي، كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحري في هذا اليوم؟ فقال: رحت والذي أعطاه لي أعطيته إلى صاحبي الخباز فإن له عليّ جميلاً. قال: من يكون هذا الخباز؟ قال: إنه رجل صاحب معروف وجرى لي معه في أيام الفقر ما هو كذا وكذا، ولم يهملني يوماً ولا كسر خاطري. قال الملك: ما اسمه؟ قال: إسمه عبد الله الخباز، وأنا اسمي عبد الله البري، وصاحبي اسمه عبد الله البحري. قال الملك: وأنا إسمي عبد الله وعبيد الله كلهم إخوان، فارسل إلى صاحبك الخباز هاته لنجعله وزير ميسرة. فأرسل إليه، فلما حضر بين يدي الملك ألبسه بدلة وزير وجعله وزير الميسرة وجعل عبد الله البري وزير الميمنة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 944

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك جعل عبد الله البري نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة. واستمرّ عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة، وهو في كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن. ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيباً ولوزاً وبندقاً وجوزاً وتيناً وغير ذلك، وجميع ما يأخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته. فاتفق يوماً من الأيام أنه أخذ المشنة ممتلئة نقلاً على عادته، فأخذها منه وجلس عبد الله البري على الشاطيء وجلس عبد الله البحري في الماء قرب الشاطيء وصارا يتحدّثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى انجرّا إلى ذكر المقابر. فقال البحري: يا أخي، إنهم يقولون أن النبي ﷺ مدفون عندكم في البرّ فهل تعرف قبره؟ قال: نعم. قال له: في أي مكان هو؟ قال له: في مدينة يقال لها طيبة. قال: وهل تزوره الناس أهل البر؟ قال: نعم. قال: هنيئاً لكم يا أهل البر بزيارة هذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم الذي مَن زاره استوجب شفاعته. وهل أنت زرته يا أخي؟ قال: لا لأني كنت فقيراً ولا أجد ما أنفقه في الطريق، وما استغنيت إلا من حين عرفتك وتصدّقت عليّ بهذا الخير. ولكن قد وجبت عليّ زيارته بعد أن أحج بيت الله الحرام، وما منعني عن ذلك إلا محبتك فإني لا أقدر أن أفارقك يوماً واحداً. فقال له: وهل

تقدّم محبتي على زيارة قبر محمد ﷺ الذي يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته؟ وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد ﷺ؟ فقال: لا والله إن زيارته مقدّمة عندي على كل شيء، ولكن اريد منك إجازة ان ازوره في هذا العام. قال: أعطيتك الإجازة بزيارته وإذا وقفت على قبره فاقرئه مني السلام وعندي أمانة، فادخل معي في البحر حتى آخذك إلى مدينتي وادخلك بيتي واضيفك وأعطيك الأمانة لتضعها على قبر النبي ﷺ وقل له: يا رسول الله، إن عبد الله البحري يقرؤك السلام وقد أهدى إليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار. فقال له البري: يا أخي، انت خلقت في الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرّك فهل إذا خرجت منه إلى البر يحصل لك ضرر؟ قال: نعم. ينشف بدني وتهب عليّ نسمات البر فاموت. قال له: وأنا كذلك، خلقت في البر ومسكني البر فإذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فأموت. قال له: لا تخف من ذلك فإني آتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرّك الماء ولو كنت تقضي بقية عمرك وانت دائر في البحر وتنام وتقوم في البحر ولا يضرّك شيء. قال: إذا كان الأمر كذلك فلا بأس هات لي الدهان حتى اجرّبه. قال: وهو كذلك. ثم اخذ المشنة ونزل في البحر وغاب قليلاً ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه أصفر كلون الذهب ورائحته زكية. فقال له عبد الله البري: ما هذا يا أخي؟ فقال له: هذا شحم كبد صنف من اصناف السمك يقال له: الدندان، وهو اعظم أصناف السمك خلقة وهو أشدّ أعدائنا علينا وصورته أكبر صورة توجد عندكم من دواب البرّ، ولو رأى الجمل أو الفيل لابتلعه. فقال له: يا أخي، وما يأكل هذا المشؤوم؟ فقال له: يأكل من دواب البحر. اما سمعت انه يقال في المثل: مثل سمك البحر القوي يأكل الضعيف. قال: صدقت. ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير؟ قال: عندنا شيء لا يحصيه إلا الله تعالى. قال عبد الله البري: إني اخاف إذا نزلت معك أن يصادفني هذا النوع فيأكلني. قال له عبد الله البحري: لا تخف فإنه متى رآك عرف انك ابن آدم فيخاف منك ويهرب، ولا يخاف من أحد في البحر مثل ما يخاف من ابن آدم، لأنه متى أكل ابن آدم مات من وقته وساعته. فإن شحم ابن آدم سمّ قاتل لهذا النوع، ونحن ما نجمع شحم كبده إلا من اجل ابن آدم إذا وقع في البحر غريقاً فإنه تتغيّر صورته وربما تمزّق لحمه فيأكله الدندان لظنه انه من حيوان البحر فيموت، فنعثر به ميتاً فناخذ شحم كبده وندهن به اجسامنا وندور في البحر. فأي مكان كان فيه ابن آدم إذا كان فيه مائة أو مائتان أو الف أو أكثر من ذلك النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فإن الجميع يموتون لوقتهم من صيحته مرة واحدة. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 945

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان عبد الله البحري قال لعبد الله البري: وإذا سمع الف من هذا النوع أو اكثر من ابن آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر احد منهم ان ينتقل من مكانه. فقال عبد الله البري: توكّلت على الله. ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر في شاطىء البحر ودفن ثيابه، وبعد ذلك دهن جسمه من فرقه إلى قدمه بهذا الدهن. ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينيه فلم يضرّه الماء، فمشى يميناً وشمالاً ثم جعل إن شاء يعلو وإن شاء ينزل إلى القرار، ورأى ماء البحر مخيماً عليه مثل الخيمة ولا يضرّه. فقال له

عبد الله البحري : ماذا ترى يا أخي ؟ قال له : أرى خيراً يا أخي وقد صدقت في ما قلت ، فإن الماء ما ضرّني . قال له : اتبعني . فتبعه ولا زالا يمشيان من مكان إلى مكان وهو يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبالاً من الماء ، فصار يتفرّج عليها وعلى أصناف السمك وهي تلعب في البحر ، البعض كبير والبعض صغير ، وفيه شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الآدميين ، وكل نوع قرب منه يهرب حين يرى عبد الله البري . فقال للبحري : يا أخي ، ما لي أرى كل نوع قربنا منه يهرب منّا ؟ فقال له : مخافة منك لأن جميع ما خلقه الله يخاف من ابن آدم . ولا زال يتفرّج على عجائب البحر حتى وصلا إلى جبل عال ، فمشى عبد الله البري بجانب ذلك الجبل فلم يشعر إلا وصيحة عظيمة ، فالتفت فرأى شيئًا أسود منحدراً عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل أو أكبر وصار يصيح . فقال له : ما هذا يا أخي ؟ قال له البحري : هذا الدندان ، فإنه نازل في طلبي مراده أن يأكلني ، فصِحْ عليه يا أخي قبل أن يصل إلينا فيخطفني ويأكلني . فصاح عليه عبد الله البري وإذا هو وقع ميتاً . فلما رآه ميتاً قال : سبحان الله وبحمده ، أنا لا ضربته بسيف ولا بسكين كيف هذه العظمة التي فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتي بل مات ؟ فقال له عبد الله البحري : لا تعجب ، فوالله يا أخي لو كان من هذا النوع ألف أو ألفان لم يحملوا صيحة ابن آدم . ثم مشيا إلى مدينة فرأيا أهلها جميعاً بنات وليس فيهن ذكور . فقال : يا أخي ، ما هذه المدينة ؟ وما هذه البنات ؟ فقال له : هذه مدينة البنات لأن أهلها من بنات البحر . قال : هل فيهن ذكور ؟ قال : لا . قال : وكيف يحبلن ويلدن من غير ذكور ؟ قال : إن ملك البحر ينفيهن إلى هذه المدينة وهن لا يحبلن ولا يلدن وإنما كل واحدة غضب عليها من بنات البحر يرسلها إلى هذه المدينة ولا تقدر أن تخرج منها ، فإن خرجت منها فإن كان ما رآها من دواب البحر يأكلها . وأما غير هذه المدينة ففيه رجال وبنات . قال له : هل في البحر مدن غير هذه المدينة ؟ قال له : كثير . قال : وهل عليكم سلطان في البحر ؟ قال له : نعم . قال له : يا أخي ، إني رأيت في البحر عجائب كثيرة . قال له : وأي شيء رأيت من العجائب ؟ أما سمعت صاحب المثل يقول : عجائب البحر أكثر من عجائب البر . قال : صدقت . ثم إنه صار يتفرّج على هذه البنات فرأى لهن وجوهاً مثل الأقمار وشعوراً مثل شعور النساء ولكن لهن أياد وأرجل في بطونهن ولهن أذناب مثل أذناب السمك . ثم إنه فرّجه على أهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه إلى مدينة أخرى فرآها ممتلئة خلائق إناثاً وذكوراً ، صورهم مثل صور البنات ولهم أذناب . ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل أهل البر وليسوا لابسين ، بل الكل عرايا مكشوفون العورة . فقال له : يا أخي ، إني أرى الإناث والذكور مكشوفين العورة . فقال له : لأن أهل البحر لا قماش عندهم . فقال له : يا أخي ، كيف يصنعون إذا تزوّجوا ؟ فقال له : هم لا يتزوّجون بل كل من أعجبته أنثى يقضي مراده منها . قال له : إن هذا شيء حرام ولأي شيء لا يخطبها ويمهرها ويقيم لها فرحاً ويتزوّجها بما يرضي الله ورسوله ؟ قال له : ليس كلنا ملّة واحدة ، فإن فينا مسلمين موحّدين وفينا نصارى ويهوداً وغير ذلك ، والذي يتزوّج منا خصوص المسلمين . فقال : أنتم عريانون ولا عندكم بيع ولا شراء فأي شيء يكون مهر نسائكم ؟ هل تعطونهن جواهر ومعادن ؟ قال له : إن الجواهر أحجار ليس لها عندنا قيمة وإنما الذي يريد أن يتزوج يجعلون عليه شيئًا معلوماً من أصناف السمك يصطاده قدر ألف وألفين أو أكثر أو أقل بحسب ما يحصل عليه الإتفاق بينه وبين أبي الزوجة . فلما يحضر

المطلوب يجتمع أهل العريس وأهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته، وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها وإذا عجز تصطاد هي وتطعمه. قال: وإن زنا بعضهم ببعض كيف يكون الحال؟ قال: إن الذي يثبت عليه هذا الأمر، إن كانت أنثى ينفوها إلى مدينة البنات، فإذا كانت حاملاً من الزنا فإنهم يتركونها إلى أن تلد، فإن ولدت بنتاً ينفوها معها وتسمّى زانية بنت زانية ولم تزل بنتاً حتى تموت. وإن كان المولود ذكراً فإنهم يأخذونه إلى الملك سلطان البحر فيقتله. فتعجب عبد الله البري من ذلك. ثم إن عبد الله البحري أخذه إلى مدينة أخرى وبعدها أخرى وهكذا، وما زال يفرّجه حتى فرّجه على ثمانين مدينة، وكل مدينة يرى أهلها لا يشبهون أهل غيرها من المدن. فقال له: يا أخي، هل بقي في البحر مدائن؟ قال: وأي شيء رأيت من مدائن البحر وعجائبه؟ وحق النبي الكريم الرؤوف الرحيم لو كنت فرّجتك ألف عام في كل يوم على ألف مدينة وأريتك في كل مدينة ألف أعجوبة ما أريتك قيراطًا من أربعة وعشرين قيراطًا من مدائن البحر وعجائبه، وإنما فرّجتك على ديارنا وأرضنا لا غير. فقال له: يا أخي، حيث كان الأمر كذلك يكفيني ما تفرّجت عليه فإني سئمت من أكل السمك ومضى لي في صحبتك ثمانون يومًا وأنت لا تطعمني صباحًا ومساء إلا سمكاً طرياً، لا مشوياً ولا مطبوخًا. فقال له: أي شيء يكون المطبوخ والمشوي؟ قال له عبد الله البري: نحن نشوي السمك في النار ونطبخه ونجعله أصنافا ونصنع منه أنواعًا كثيرة. فقال له البحري: ومن أين تأتي لنا النار؟ فنحن لا نعرف المشوي ولا المطبوخ ولا غير ذلك. فقال له البري: نحن نقليه بالزيت والشيرج. فقال له البحري: ومن أين لنا الزيت والشيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيئًا مما ذكرته؟ قال: صدقت. ولكن يا أخي قد فرّجتني على مدائن كثيرة ولم تفرّجني على مدينتك. قال له: أما مدينتي فإننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البر الذي أتينا منه، وإنما تركت مدينتي وجئت بك إلى هنا لأني قصدت أن أفرّجك على مدائن البحر. قال له: يكفيني ما تفرّجت عليه، ومرادي أن تفرّجني على مدينتك. قال له: وهو كذلك. ثم رجع به إلى مدينته فلما وصل إليها قال له: هذه مدينتي. فرآها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرّج عليها. ثم دخل المدينة ومعه عبد الله البحري إلى أن وصل إلى مغارة. قال له: هذا بيتي، وكل بيوت هذه المدينة كذلك، مغارات كبار وصغار في الجبال، وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة. فإن كل من أراد أن يصنع له بيت يروح إلى الملك ويقول له: مرادي أن أتخذ بيتاً في المكان الفلاني. فيرسل الملك معه طائفة من السمك يسمّون النقارين، ويجعل كراهم شيئًا معلوماً من السمك، ولهم مناقير تفتّت الحجر الجلمود. فيأتون إلى الجبل الذي أراده صاحب البيت وينقرون فيه البيت، وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقّمهم حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه. وجميع أهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم إلا بالسمك وكلهم سمك. ثم قال له: أدخل. فدخل. فقال عبد الله البحري: يا بنتي. وإذا ببنته أقبلت عليه ولها وجه مدوّر مثل القمر ولها شعر طويل ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب. فلما رأت عبد الله البري مع أبيها قالت له: يا أبي، ما هذا الأزعر الذي جئت به معك؟ فقال لها: يا بنتي، هذا صاحبي البري الذي كنت أجيء لك من عنده بالفاكهة البرية، تعالي سلمي عليه. فتقدّمت وسلّمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ. فقال لها أبوها: هاتي زاداً لضيفنا الذي حلّت علينا بقدرته البركة. فجاءت

له بمسكين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخاروف . فقال له : كُل . فأكل غصباً عنه من الجوع لأنه سئم من أكل السمك وليس عندهم شيء غير السمك . فما مضى حصة إلا وامرأة عبد الله البحري أقبلت وهي جميلة الصورة ومعها ولدان، ولد في يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان في الخيارة . فلما رأت عبد الله البري مع زوجها قالت : أي شيء هذا الأزعر ؟ وتقدّم الولدان وأختهما وأمهم وصاروا ينظرون إلى دبر عبد الله البري ويقولون : أي والله إنه أزعر ويضحكون عليه . فقال له عبد الله البري : يا أخي ، هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك ؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 946

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله البري قال لعبد الله البحري : يا أخي، هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك ؟ فقال له عبد الله البحري : العفو يا أخي ، فإن الذي لا ذنب له غير موجود عندنا ، وإذا وجد واحد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه . ولكن يا أخي لا تؤاخذ هؤلاء الأولاد الصغار والمرأة فإن عقولهم ناقصة . ثم صرخ عبد الله البحري على عياله وقال لهم : اسكتوا . فخافوا وسكتوا وجعل يأخذ بخاطره . فبينما هو يتحدّث معه وإذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ أقبلوا عليه وقالوا : يا عبد الله ، إنه بلغ الملك أن عندك أزعر من زعر البر . فقال لهم : نعم وهو هذا الرجل ، فإنه صاحبي أتاني ضيفاً ومرادي أن أرجعه إلى البر . قالوا له : إننا لا نقدر أن نروح إلا به ، فإن كان مرادك كلاماً فقم وخذه واحضر به قدام الملك والذي تقوله لنا قله للملك . فقال عبد الله البحري : يا أخي العذر واضح لا يمكننا مخالفة الملك ، ولكن إمض معي للملك وأنا أسعى في خلاصك منه إن شاء الله ولا تخف ، فإنه متى رآك عرف أنك من أولاد البر ، ومتى علم أنك بري فلا بد أنه يكرمك ويردّك إلى البر . فقال عبد الله البري : الرأي رأيك فأنا أتوكّل على الله وأمشي معك . ثم أخذه ومضى به إلى أن وصل إلى الملك . فلما رآه الملك ضحك وقال : مرحباً بالأزعر . وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول : إي والله إنه أزعر . فتقدّم عبد الله البحري إلى الملك وأخبره بأحواله وقال له : هذا من أولاد البر وصاحبي وهو لا يعيش بيننا لأنه لا يحب أكل السمك إلا مقلياً أو مطبوخاً ، والمراد أنك تأذن لي في أن أردّه إلى البر . فقال له الملك : حيث كان الأمر كذلك لا يعيش عندنا فقد أذنت لك في أن تردّه إلى مكانه بعد الضيافة . ثم إن الملك قال : هاتوا الضيافة . فأتوا له بسمك أشكالاً وألواناً ، فأكل امتثالاً لأمر الملك . ثم قال له الملك : تمنّ عليّ . فقال عبد الله البري : أتمنّى أن تعطيني جواهر . فقال : خذوه إلى دار الجوهر ودعوه ينقّي ما يحتاج إليه . فأخذه صاحبه إلى دار الجوهر ونقّى على قدر ما أراد ثم رجع به إلى مدينته وأخرج له صرّة وقال له : خذ هذه أمانة أوصلها إلى قبر النبي ﷺ . فأخذها وهو لا يعلم ما فيها . ثم خرج معه ليوصله إلى البر فرأى في طريقه غناء وفرحاً وسماطاً ممدوداً من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم في فرح عظيم . فقال عبد الله البري لعبد الله البحري : ما لهؤلاء الناس في فرح عظيم ؟ هل عندهم عرس ؟ فقال البحري : ليس عندهم عرس وإنما مات عندهم ميت . فقال له : أنتم إذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون؟ قال : نعم . وأنتم يا أهل البر ماذا تفعلون؟ قال البري : إذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي والنساء يلطمن وجوههن

ويشققن جيوبهن حزناً على من مات . فحملق عبد الله البحري عينيه في عبد الله البري وقال له : هات الأمانة . فأعطاها له ثم اخرجه إلى البر وقال : قد قطعت صحبتك وودّك ، فبعد هذا اليوم لا تراني ولا أراك . فقال له : لماذا هذا الكلام ؟ فقال له : أما انتم يا أهل البر أمانة الله ؟ فقال البري : نعم . قال : لا يهون عليكم ان الله يأخذ أمانته بل تبكون عليها ، وكيف أعطيك أمانة النبي ﷺ ؟ وانتم إذا أتاكم المولود تفرحون به مع ان الله تعالى يضع فيه الروح امانة فإذا اخذها كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون ؟ فما لنا في رفقتكم حاجة ثم تركه وراح إلى البحر . ثم إن عبد الله البري لبس حوائجه واخذ جواهره وتوجه إلى الملك فتلقّاه باشتياق وفرح به وقال له : كيف انت يا نسيبي ؟ وما سبب غيابك عني هذه المدة ؟ فأخبره بقصته وما رآه من العجائب في البحر . فتعجب الملك من ذلك ثم اخبره بما قاله عبد الله البحري فقال له : هل انت الذي اخطأت في خبرك بهذا الخبر ؟ ثم إنه استمرّ مدة من الزمان وهو يروح إلى جانب البحر ويصيح على عبد الله البحري فلم يردّ عليه ولم يأت إليه . فقطع عبد الله البرّي الرجاء منه واقام هو والملك نسيبه واهلهما في أسرّ حال وحسن اعمال حتى أتاهم هادم اللذّات ومفرّق الجماعات وماتوا جميعاً . فسبحان الحي الذي لا يموت ذو المُلك والملكوت وهو على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير .

83 - حكاية هارون الرشيد وأبو الحسن العاني

ومما يحكى أيضاً ان الخليفة هارون الرشيد أرق ذات ليلة أرقاً شديداً فاستدعى مسروراً فحضر . فقال : ائتني بجعفر بسرعة . فمضى وأحضره فلما وقف بين يديه قال : يا جعفر ، إنه قد اعتراني في هذه الليلة أرق فمنع عني النوم ولا اعلم ما يزيله عني . قال : يا امير المؤمنين ، قد قالت الحكماء : النظر إلى المرآة ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهمّ والفكر . فقال : يا جعفر ، إني فعلت هذا كله فلم يزِل عني شيئًا ، وأنا أقسم بآبائي الطاهرين إن لم تتسبّب فيما يزيل عني ذلك لأضربن عنقك . قال : يا أمير المؤمنين ، هل تفعل ما أشير به عليك ؟ قال : وما الذي تشير به عليّ ؟ قال : ان تنزل بنا في زورق وتنحدر به في بحر الدجلة مع الماء إلى محل يسمّى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع أو ننظر ما لم ننظر . فإنه قد قيل : تفريج الهمّ بواحد من ثلاثة أمور : ان يرى الإنسان ما لم يكن رآه او يسمع ما لم يكن سمعه او يطأ ارضاً لم يكن وطئها . فلعل ذلك يكون سبباً لزوال القلق عنك يا أمير المؤمنين . فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر وأخوه الفضل واسحاق النديم وابو نواس وأبو دلف ومسرور السياف . وأدرك شهراد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 947

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا إلى الدجلة ، ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا إلى الموضع الذي يريدونه . فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الأبيات : [من الوافر]

أَقُولُ لَهُ وقَدْ حَضَرَ العُقارُ   وقَدْ غَنَّى عَلَى الأَيْكِ الهَزَارُ

إلى كَمْ ذا التَّلَنِّي عَنْ سُرُورٍ أَفِقْ ما العُمْرُ إلا مُسْتَعارُ
فَخُذْها مِنْ يَدَيْ خِلٍّ عَزيزٍ بِجَفْنَيْهِ فُتُورٌ وَٱنْكِسارُ
زَرَعْتُ بِخَدِّهِ وَرْداً طَرِيّاً فَأَثْمَرَ في السَّوالِفِ جُلَّنارُ
وتَحْسَبُ مَوْضِعَ التَّخْمِيشِ فِيهِ رَماداً خامِداً والخَدُّ نارُ
يَقُولُ لِي العَذُولُ تَسَلَّ عَنْهُ فَما عُذْرِي وقَدْ نَمَّ العِذارُ

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال : يا جعفر ، ما أحسن هذا الصوت . قال جعفر : يا مولانا ، ما طرق سمعي أطيب ولا أحسن من هذا الغناء . ولكن يا سيدي إن السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر؟ فقال : إنهض بنا يا جعفر حتى نتطفّل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عياناً . قال جعفر : سمعاً وطاعة . فصعدوا من المركب واستأذنوا في الدخول وإذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان قد خرج إليهم وقال : أهلا وسهلاً يا سادة المنعمين عليّ ، أدخلوا بالرحب والسعة . فدخلوا وهو بين ايديهم فرأوا الدار بأربعة أوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة باللازورد ، وفيها إيوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن أقمار . فصاح عليهن فنزلن عن أسرّتهن . ثم التفت ربّ المنزل إلى جعفر وقال : يا سيدي ، أنا ما اعرف منكم الجليل من الأجلّ ، بسم الله ليتفضل منكم من هو أعلى في الصدر ويجلس إخوانه كل واحد في مرتبته . فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور في الخدمة بين أيديهم . ثم قال لهم صاحب المنزل : يا أضيافي عن إذنكم ، هل أحضر لكم شيئاً من الماكول؟ قالوا له : نعم . فأمر الجواري بإحضار الطعام فاقبل أربع جوار مشدودات الأوساط بين أيديهن مائدة وعليها من غرائب الألوان ، مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان وأفراخ وحمام ، ومكتوب على حواشي السفرة من الأشعار ما يناسب المجلس . فأكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا أيديهم . فقال الشاب : يا سادتي ، إن كان لكم حاجة فاخبرونا بها حتى نتشرّف بقضائها . قالوا : نعم فإننا ما جئنا منزلك إلا لأجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا أن نسمعه ونعرف صاحبته . فإن رأيت ان تنعم علينا بذلك كان من مكارم أخلاقك ثم نعود من حيث جئنا . فقال : مرحباً بكم . ثم التفت إلى جارية سوداء وقال : أحضري سيدتك فلانة . فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسي فوضعته ثم ذهبت ثانياً وأتت ومعها جارية كأنها البدر في تمامه فجلست على الكرسي . ثم إن الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فاخرجت منها عوداً مرصّعاً بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 948

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما اقبلت جلست على الكرسي وأخرجت العود من الخريطة وإذا هو مرصّع بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب . فشدّت أوتاره لرنّات المزاهر وهي كما قال فيها وفي عودها الشاعر :

[من الكامل]

حَضَنَتْهُ كالأُمِّ الشَّفِيقَةِ بابِنِها في حِجْرِها وجَلا عَلَيْهِ مُلاوِيَه
ما حَرَّكَتْ يَدَها اليَمِينَ لِجَسِّهِ إلاَّ وأَصْلَحَتِ اليَسارُ مُلاوِيَه

ثم ضمّت العود إلى صدرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجسّت أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بأمه. ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

جادَ الزَّمانُ بِمَنْ أُحِبُّ فَأَعْتَبا ... يا صاحِبي فَأَدِرْ كُؤُوسَكَ وَٱشْرَبا
مِنْ خَمْرَةٍ ما مازَجَتْ قَلْبَ ٱمْرِىءٍ ... إلاّ وأَصْبَحَ بالمَسَرَّةِ مُطْرَبا
قامَ النَّسِيمُ بِحَمْلِها في كَأْسِها ... أَرَأَيْتَ بَدْرَ التِّمِّ يَحْمِلُ كَوْكَبا
كَمْ لَيْلَةٍ سامَرْتُ فِيها بَدْرَها ... مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَدْ أَضاءَ الغَيْهَبا
والبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ كَأَنَّما ... قَدْ مَدَّ فَوْقَ الماءِ سَيْفاً مُذْهَبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديداً وصاح كل من في الدار بالبكاء حتى كادوا أن يهلكوا، وما منهم أحد إلا وغاب عن وجوده ومزّق أثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها. فقال الرشيد : إن غناء هذه الجارية يدل على أنها عاشقة مفارقة. فقال سيدها : إنها ثاكلة لأمها وأبيها. فقال الرشيد : ما هذا بكاء مَن فقد أباه وأمه وإنما هو شجو مَن فقد محبوبه. وطرب الرشيد من غنائها وقال لإسحاق : والله ما رأيت مثلها. فقال اسحاق : يا سيدي، إني لأعجب منها غاية العجب ولا أملك نفسي من الطرب. وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر إلى صاحب الدار ويتأمّل في محاسنه وظرف شمائله فرأى في وجهه أثر اصفرار. فالتفت إليه وقال له : يا فتى. فقال : لبيك يا سيدي. هل تعلم من نحن؟ قال : لا. فقال له جعفر : أتحب أن نخبرك عن كل واحد باسمه؟ فقال : نعم. فقال جعفر : هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين. وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد : أشتهي أن تخبرني عن هذا الإصفرار الذي في وجهك هل هو مكتسب أو أصلي من حين ولادتك؟ قال : يا أمير المؤمنين، إن حديثي غريب وامري عجيب، لو كتب بالإبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر. قال : أعلمني به لعل شفاك يكون على يدي. قال : يا أمير المؤمنين، أوزعني سمعك واخل لي زرعك. قال : هات، فحدّثني فقد شوّقتني إلى سماعه. فقال : أعلم يا أمير المؤمنين اني رجل تاجر من تجار البحر وأصلي من مدينة عمان. وكان أبي تاجرًا كثير المال وكان له ثلاثون مركباً تعمل في البحر، أجرتها في كل عام ثلاثون ألف دينار. وكان رجلاً كريماً وعلّمني الخط وجميع ما يحتاج إليه الشخص. فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بما جرت به العادة ثم توفّاه الله تعالى إلى رحمته وأبقى الله أمير المؤمنين. وكان لأبي شركاء يتّجرون في ماله ويسافرون في البحر. فاتفق في بعض الأيام اني كنت قاعداً في منزلي مع جماعة من التجار إذ دخل عليّ غلام من غلماني وقال : يا سيدي، إن بالباب رجلاً يطلب الإذن في الدخول عليك. فأذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيئًا مغطّى، فوضعه بين يدي وكشفه فإذا فيه فواكه بغير أوان وملح وطرائف ليست في بلادنا. فشكرته على ذلك وأعطيته مائة دينار وانصرف شاكرًا. ثم فرّقت ذلك على كل من كان حاضراً من الأصحاب ثم سألت التجار : من أين هذا؟ فقالوا : إنه من البصرة وأثنوا عليه. وصاروا يصفون في حسن البصرة وأجمعوا على أنه ليس في البلاد أحسن من بغداد ومن أهلها، وصاروا يصفون بغداد وحسن أخلاق أهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها. فاشتاقت نفسي إليها وتعلّقت آمالي برؤيتها، فقمت وبعت العقارات والأملاك وبعت المراكب بمائة ألف دينار وبعت العبيد والجواري وجمعت مالي فصار ألف ألف

دينار غير الجواهر والمعادن، واكتريت مركباً وشحنتها بأموالي وسائر متاعي وسافرت بها أياماً ولياليَ حتى جئت إلى البصرة. فأقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة ونزلت ما لي فيها وسرنا منحدرين أياماً قلائل حتى وصلنا إلى بغداد. فسألت أين تسكن التجار؟ وأي موضع أطيب للسكان؟ فقالوا: في حارة الكرخ. فجئت إليها واستأجرت داراً في درب يسمّى الزعفران ونقلت جميع ما لي إلى تلك الدار. فأقمت فيها مدة ثم توجهت في بعض الأيام إلى الفرجة ومعي شيء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة. فأتيت إلى جامع يسمّى جامع المنصور تقام فيه الجمعة، وبعد أن خلصنا من الصلاة وخرجت مع الناس إلى موضع يسمّى قرن الصراط فرأيت في ذلك المكان موضعاً عالياً جميلاً وله روشن مطل على الشاطىء وهناك شباك. فذهبت في جملة الناس إلى ذلك المكان فرأيت شيخاً جالساً وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة، وقد سرّح لحيته فافترقت على صدره فرقتين كأنها قضب من لجين، وحوله أربع جواري وخمسة غلمان. فقلت لشخص: ما اسم هذا الشيخ؟ وما صنعته؟ فقال: هذا طاهر ابن العلاء وهو صاحب الفتيان، كل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر إلى الملاح. فقلت له: والله إن لي زماناً أدور على مثل هذا. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 949

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب لما قال: والله إن لي زماناً وأنا أدوّر على مثل هذا. ثم قال: فتقدّمت إليه يا أمير المؤمنين وسلّمت عليه وقلت له: يا سيدي، إن لي عندك حاجة. فقال: ما حاجتك؟ قلت: أشتهي أن أكون ضيفك في هذه الليلة. فقال: حبّاً وكرامة. ثم قال: يا ولدي، عندي جوار كثير، منهن مَن ليلتها بعشرة دنانير ومنهن مَن ليلتها بأربعين ديناراً ومنهن من ليلتها بأكثر، فاختار من تريد. فقلت: اختار التي ليلتها بعشرة دنانير. ثم وزنت له ثلاثمائة دينار عن شهر فسلّمني لغلام فأخذني ذلك الغلام وذهب بي إلى الحمام في القصر وخدمني خدمة حسنة. فخرجت من الحمام وأتى بي إلى مقصورة وطرق الباب. فخرجت له جارية فقال لها: خذي ضيفك. فتلقّتني بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وأدخلتني داراً عجيبة مزركشة بالذهب، فتأمّلت في تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه، وفي خدمتها جاريتان كأنهما كوكبان. ثم أجلستني وجلست بجانبي ثم أشارت إلى الجواري فأتين بمائدة فيها من أنواع اللحوم: من دجاج وسمان وقطا وحمام. فأكلنا حتى اكتفينا، وما رأيت في عمري ألذ من ذلك الطعام. فلما أكلنا رفعت تلك المائدة وأحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه، وأقمت عندها شهراً على هذا الحال. فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت إلى الشيخ وقلت له: يا سيدي، أريد التي ليلتها بعشرين ديناراً. فقال: زن الذهب. فمضيت وأحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر. فنادى غلاماً وقال له: خذ سيدك. فأخذني وأدخلني الحمام فلما خرجت أتى بي إلى باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية. فقال لها: خذي ضيفك. فتلتقّتني بأحسن ملتقى وإذا حولها أربع جوار. ثم أمرت بإحضار الطعام، فحضرت مائدة عليها من سائر الأطعمة فأكلت. ولما فرغت من الأكل ورفعت المائدة، أخذت العود وغنّت بهذه الأبيات: [من الطويل]

أَيا نَفَحاتِ المِسْكِ مِنْ أَرْضِ بابِلِ   بِحَقِّ غَرامِي أَنْ تُؤَدِّي رَسائِلِي

عَهِدْتُ بِهاتِيكَ الأَراضِي منازِلاً لأَحْبابِنا أَكْرِمْ بِها مِنْ مَنَازِلِ
وفِيها التِي في حبِّها كُلُّ عاشِقٍ تَعَنَّى ولَمْ يَرْتَدَّ مِنْها بِطائِلِ

فاقمت عندها شهرًا ثم جئت إلى الشيخ وقلت له : أريد صاحبة الأربعين ديناراً . فقال : زن لي الذهب . فوزنت له عن شهر الفاً ومائتي دينار ومكثت عندها شهرًا كانه يوم واحد لما رايت من حسن المنظر وحسن العشرة . ثم جئت إلى الشيخ وكنا قد امسينا ، فسمعت ضجة عظيمة واصواتاً عالية . فقلت له : ما الخبر ؟ فقال لي الشيخ : إن هذه الليلة عندنا اشهر الليالي ، وجميع الخلائق يتفرّجون على بعضهم فيها . فهل لك أن تصعد على السطح وتتفرّج على الناس ؟ فقلت : نعم . وطلعت على السطح فرايت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح ، وهناك صبية تدهش الناظرين حسناً وجمالاً وقداً واعتدالاً ، وبجانبها غلام يده على عنقها وهو يقبّلها وتقبّله . فلما رايتهما يا أمير المؤمنين لم املك نفسي ولم اعرف اين انا لما بهرني من حسن صورتها . فلما نزلت سالت الجارية التي انا عندها واخبرتها بصفتها فقالت : ما لك وما لها . فقلت : والله إنها اخذت عقلي . فتبسّمت وقالت : يا ابا الحسن ، الك فيها غرض ؟ فقلت : إي والله فإنها تملّكت قلبي ولبّي . فقالت : هذه ابنة طاهر بن العلاء وهي سيدتنا وكلنا جواريها . أتعرف يا أبا الحسن كم ليلتها ويومها ؟ قلت : لا . قالت : خمسمائة دينار ، وهي حسرة في قلوب الملوك . والله لأذهبنّ مالي كله على هذه الجارية . وبت اكابد الغرام طول ليلي . فلما اصبحت دخلت الحمام ولبست افخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت إلى ابيها وقلت : يا سيدي ، أريد التي ليلتها خمسمائة دينار . فقال : زن الذهب . فوزنت له عن كل شهر خمسة عشر الف دينار . فاخذها ثم قال للغلام : إعمد به إلى سيدتك فلانة . فاخذني وأتى بي إلى دار لم ترَ عيني أظرف منها على وجه الأرض ، فدخلتها فرايت الصبية جالسة . فلما رايتها ادهشت عقلي بحسنها يا أمير المؤمنين وهي كالبدر في ليلة أربعة عشر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 950

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاب لما حدّث أمير المؤمنين بصفات الجارية قال له : وهي كالبدر في ليلة أربعة عشر ، ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال والفاظ تفضح رنّات المزاهر . كأنها المقصودة بقول الشاعر :

[من الكامل]

قالَتْ وقَدْ لَعِبَ الغَرامُ بِعِطْفِها في جُنْحِ لَيْلٍ سابِلِ الأَحْلاكِ
يا لَيْلُ هَلْ لِي في دُجاكَ مُسامِرٌ أَوْ هَلْ لِهذا الكُسِّ مِنْ نَيَّاكِ
ضَرَبَتْ عَلَيْهِ بِكَفِّها وتَنَهَّدَتْ كَتَنَهُّدِ الآسِفِ الحَزِينِ الباكِي
والثَّغْرُ بِالمِسْواكِ يَظْهَرُ حُسْنُهُ والأَيْرُ لِلأَكْساسِ كَالمِسْواكِ
يا مُسْلِمونَ أَما تَقومُ أُيورُكُمْ ما فِيكُمُ أَحَدٌ يَغِيثُ الشَّاكِي
فَانْقَضَّ مِنْ تحتِ الغَلائِلِ قائِماً أَيْرِي وقالَ لَها : أَتاكِ أَتاكِي

وحَلَلْتُ عِقْدَ إزارِها فَتَفَزَّعَتْ مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: فَتىً أَجابَ نِداكِي
وغَدَوْتُ أَرْهِسُها بِمِثْلِ ذِراعِها رَهْسَ اللَّطِيفِ يَضُرُّ بِالأَوْراكِ
حَتَّى إذا ما قُمْتُ بَعْدَ ثَلاثَةٍ قالَتْ: هَناكَ النَّيْكُ قُلْتُ: هَناكِي

وما احسن قول الآخر: [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّها لِلْمُشْرِكِين تَعَرَّضَتْ لَباؤُوا بِها مِنْ دونَ أَصْنامِهِمْ رَبَّا
وَلَوْ تَفَلَتْ فِي البَحْرُ والبَحْرِ مالِحٌ لأَصْبَحَ ماءُ البَحْرِ مِنْ رِيقِها عَذْبا
وَلَوْ أَنَّها فِي الشَّرْقِ لاحَتْ لِراهِبٍ لَخَلَّى سَبِيلَ الشَّرْقِ واتَّبَعَ الغَرْبا

وما احسن قول الآخر: [من الكامل]

نَظَرْتُ إِلَيْها نَظْرَةً فَتَحَيَّرَتْ دَقائِقُ فِكْري في بَدِيعِ صِفاتِها
فَأَوْحى إِلَيْها الوَهْمُ أَنِّي أُحِبُّها فَأَثَّرَ ذاكَ الوَهْمَ في وَجَناتِها

فسلّمت عليها فقالت: اهلاً وسهلاً ومرحباً. واخذت بيدي يا امير المؤمنين واجلستني إلى جانبها. فمن فرط الإشتياق بكيت مخافة الفراق واسبلت دمع العين وانشدت هذين البيتين: [من الطويل]

أُحِبُّ لَيالِي الهَجْرِ لا فَرِحاً بِها عَسى الدَّهْرُ يَأْتي بَعْدَها بِوِصالِ
وَأَكْرَهُ أَيَّامَ الوِصالِ لأَنَّنِيْ أَرى كُلَّ شَيْءٍ مُعْقَباً بِزَوالِ

ثم إنها صارت تؤانسني بلطف الكلام وانا غريق في بحر الغرام خائف في القرب الم الفراق من فرط الوجد والإشتياق. وتذكّرت لوعة النوى والبين فانشدت هذين البيتين: [من الكامل]

فَكَّرْتُ ساعَةَ وَصْلِها في هَجْرِها فَجَرَتْ مَدامِعُ مُقْلَتِي كَالعَنْدَمِ
فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتِي في جِيْدِها مِنْ عادَةِ الكافورِ إِمْساكُ الدَّمِ

ثم أمرت بإحضار الأطعمة. فاقبلت اربع جوار نهد ابكار فوضعن بين أيدينا من الأطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك. فاكلنا يا امير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين في مجلس لا يصلح إلا للملك. ثم جاءتها يا امير المؤمنين جارية بخريطة من الإبريسم فاخذتها واخرجت منها عوداً فوضعته في حجرها وجسّت اوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بامه. وانشدت هذين البيتين: [من البسيط]

لا تَشْرَبِ الرَّاحَ إِلاَّ مِنْ يَدَيْ رَشإٍ تَحْكِيهِ في رِقَّةِ المَعْنى ويَحْكِيْها
إِنَّ المُدامَةَ لا يَلْتَذُّ شارِبُها حَتَّى يَكونَ نَقِيَّ الخَدِّ ساقِيْها

فاقمت يا امير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالي. فتذكرت وانا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالأنهار وصرت لا اعرف الليل من النهار. فقالت: لاي شيء تبكي؟ فقلت لها: يا سيدتي، من حين جئت إليك وابوك ياخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار، وما بقي عندي شيء من المال. وقد صدق الشاعر حيث قال: [من السريع]

الفَقْرُ في أَوْطانِنا غُرْبَةٌ والمالُ في الغُرْبَةِ أَوْطانُ

فقالت: أعلم أن أبي من عادته أنه إذا كان عنده تاجر وافتقر فإنه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود إلينا أبداً. ولكن أكتم سرّك واخف أمرك وأنا أعمل حيلة في اجتماعي بك إلى ما شاء الله، فإن لك في قلبي محبة عظيمة. واعلم أن جميع مال أبي تحت يدي وهو لا يعرف قدره، فأنا أعطيك في كل يوم كيساً فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لأبي وتقول له: ما بقيت أعطي الدراهم إلا يوماً بيوم. وكلما دفعته إليه فإنه يدفعه إليّ وأنا أعطيه لك، ونستمرّ هكذا إلى ما شاء الله. فشكرتها على ذلك وقبّلت يدها ثم أقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة. فاتفق في بعض الأيام أنها ضربت جاريتها ضرباً وجيعاً فقالت لها: والله لأوجعنّ قلبك كما أوجعتني. ثم مضت تلك الجارية إلى أبيها وأعلمته بأمرنا من أوله إلى آخره. فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من ساعته ودخل عليّ وأنا جالس مع ابنته وقال لي: يا فلان. قلت له: لبيك. قال: عادتنا أنه إذا كان عندنا تاجر وافتقر إننا نضيفه ثلاثة أيام، وأنت لك سنة عندنا تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء. ثم التفت إلى غلمانه وقال: اخلعوا ثيابه. ففعلوا وأعطوني ثياباً رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا لي عشرة دراهم ثم قال لي: أخرج فأنا لا أضربك ولا أشتمك واذهب إلى حال سبيلك، وإن أقمت في هذه البلدة كان دمك هدراً. فخرجت يا أمير المؤمنين برغم أنفي ولا أعلم أين أذهب وحلّ في قلبي كل همّ في الدنيا وأشغلني الوسواس وقلت في نفسي: كيف أجيء في البحر بمائة ألف ألف من جملتها ثمن ثلاثين مركباً ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك أخرج من عنده عرياناً مكسور القلب؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم أقمت في بغداد ثلاثة أيام لم أذق طعاماً ولا شراباً، وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة إلى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها إلى أن وصلت البصرة. فدخلت السوق وأنا في شدّة الجوع فرآني رجل بقال، فقام إليّ وعانقني لأنه كان صاحباً لي ولأبي من قبلي. وسألني عن حالي فأخبرته بجميع ما جرى لي. فقال: والله ما هذه فعال عاقل، ومع هذا الذي جرى لك فأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله؟ فقلت له: لا أدري ماذا أفعل. فقال: اتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهمان زيادة على أكلك وشربك؟ فأجبته إلى ذلك وأقمت عنده يا أمير المؤمنين سنة كاملة، أبيع وأشتري إلى أن صار معي مائة دينار، فاستأجرت غرفة على شاطىء البحر لعل مركباً تأتي ببضاعة فأشتري بالدنانير بضاعة وأتوجه بها إلى بغداد. فاتفق في بعض الأيام أن المركب جاءت وتوجه إليها جميع التجار يشترون، فرحت معهم وإذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما. ثم أقبل التجار عليهما لأجل الشراء فقالا لبعض الغلمان: أحضروا البساط. فأحضروه وجاء واحد بخرج فأخرج منه جراباً وفتحه وكبّه على البساط وإذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الألوان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 951

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب لما أخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب وما فيه من سائر أنواع الجواهر. قال: يا أمير المؤمنين ثم إن واحداً من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت إلى التجار وقال لهم: يا معاشر التجار، أنا ما أبيع في يومي هذا لأني تعبان. فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار. فقال لي صاحب

الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة : لماذا لم تتكلم ولم تزود مثل التجار ؟ فقلت له : والله يا سيدي ما بقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار . واستحيت منه ودمعت عيني . فنظر إليّ وقد عسر عليه حالي ثم قال للتجار : إشهدوا عليّ أني بعت جميع ما في الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف أنه يساوي كذا وكذا الف دينار وهو هدية مني إليه . فأعطاني الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر . فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار أثنوا عليه . ثم أخذت ذلك ومضيت به إلى سوق الجواهر وقعدت أبيع وأشتري ، وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين زنته نصف رطل ، وكان أحمر شديد الحمرة وعليه أسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم أعرف منفعته ، فبعت واشتريت مدة سنة كاملة . ثم أخذت قرص التعويذ وقلت : هذا له عندي مدة لا أعرفه ولا أعرف منفعته . فدفعته إلى الدلال فأخذه ودار به ثم عاد وقال : ما دفع فيه أحد من التجار سوى عشرة دراهم . فقلت : ما أبيعه بهذا القدر . فرماه في وجهي وانصرف ثم عرضته للبيع يوماً آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهماً ، فأخذته من الدلال مغضباً ورميته عندي . فبينما أنا جالس يوماً إذ أقبل عليّ رجل فسلّم عليّ وقال لي : عن إذنك هل أقلب ما عندك من البضائع ؟ قلت : نعم . وأنا يا أمير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ . فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ . فلما رآه يا أمير المؤمنين قبّل يده وقال : الحمد لله . ثم قال : يا سيدي ، أتبيع هذا ؟ فازداد غيظي وقلت له : نعم . فقال لي : كم ثمنه ؟ فقلت له : كم تدفع أنت فيه ؟ قال : عشرين ديناراً . فتوهمت أنه يستهزىء بي فقلت : إذهب إلى حال سبيلك . فقال لي : هو بخمسين ديناراً . فلم أخاطبه . فقال : بألف دينار . هذا كله يا أمير المؤمنين وأنا ساكت ولم أجبه وهو يضحك من سكوتي ويقول : لأي شيء لم ترد عليّ ؟ فقلت له : إذهب إلى حال سبيلك . وأردت أن أخاصمه وهو يزيد ألفاً بعد ألف ولم أرد عليه حتى قال : أتبيعه بعشرين ألف دينار ؟ وأنا أظن أنه يستهزىء بي . فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول لي : بعه ، وإن لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد . فقلت له : هل أنت تشتري أو تستهزىء ؟ فقال : هل أنت تبيع أو تستهزىء ؟ قلت له : أبيع . قال : هو بثلاثين ألف دينار خذها وامض البيع . فقلت للحاضرين : إشهدوا عليه ولكن بشرط أن تخبرني ما فائدته ؟ وما نفعه ؟ قال : إمض البيع وأنا أخبرك بفائدته ونفعه . فقلت : بعتك . فقال : الله على ما أقول وكيل . ثم أخرج الذهب وقبضني إياه وأخذ التعويذ ووضعه في جيبه ثم قال لي : هل رضيت ؟ قلت : نعم . فقال : إشهدوا عليه إنه أمضى البيع وقبض الثمن ثلاثين ألف دينار . ثم إنه التفت إليّ وقال لي : يا مسكين والله لو أخّرت البيع لزدناك إلى مائة ألف دينار بل إلى ألف ألف دينار . فلما سمعت يا أمير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهي وعلا عليه هذا الإصفرار الذي أنت تنظره من ذلك اليوم . ثم قلت له : أخبرني ما سبب ذلك ؟ وما نفع هذا القرص ؟ فقال : أعلم أن ملك الهند له بنت لم يرَ أحسن منها وبها داء الصداع ، فأحضر الملك أرباب الأقلام وأهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك . فقلت له وكنت حاضراً بالمجلس : أيها الملك ، أنا أعرف رجلاً يسمى سعد الله البابلي ما على وجه الأرض أعرف منه بهذه الأمور ، فإن رأيت أن ترسلني إليه فافعل . فقال : إذهب إليه . فقلت له : أحضر لي قطعة من العقيق . فأحضر لي قطعة كبيرة من العقيق ومائة ألف دينار وهدية .

فأخذت ذلك وتوجهت إلى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلّوني عليه، ودفعت له المائة ألف دينار والهدية. فأخذ ذلك مني ثم أخذ القطعة العقيق وأحضر حكّاكاً فعملها هذا التعويذ، ومكث الشيخ سبعة أشهر يرصد النجم حتى اختار وقتاً للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التي تنظرها. ثم جئت به إلى الملك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 952

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب قال لأمير المؤمنين: إن الرجل قال لي: فأخذت هذا التعويذ وجئت به إلى الملك. فلما وضعه على ابنته برئت من ساعتها. وكانت مربوطة في أربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة. فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها وفرح الملك بذلك فرحاً شديداً وخلع عليّ وتصدّق بمال كثير ثم وضعه في عقدها. فاتفق أنها نزلت يوماً في مركب هي وجواريها تتنزّه في البحر فمدّت جارية يدها إليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر، فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك. فحصل للملك ما حصل من الحزن فأعطاني مالاً كثيراً وقال لي: إذهب إلى الشيخ ليعمل لها تعويذاً عوضاً عنه. فسافرت إليه فوجدته قد مات. فرجعت إلى الملك وأخبرته، فبعثني أنا وعشرة انفس نطوف في البلاد لعلنا نجد لها دواء فأوقعني الله به عندك. فأخذه مني يا أمير المؤمنين وانصرف، فكان ذلك الأمر سبباً للإصفرار الذي في وجهي. ثم إني توجهت إلى بغداد ومعي جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها. فلما أصبح الصباح، لبست ثيابي وجئت إلى بيت طاهر بن العلاء لعلّي أرى من أحبها، فإن حبها لم يزل يتزايد في قلبي. فلما وصلت إلى داره رأيت الشباك قد انهدم. فسألت غلاما وقلت له: ما فعل الله بالشيخ؟ فقال: يا أخي، إنه قدم عليه في سنة من السنين رجل تاجر يقال له: أبو الحسن العماني، فأقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعدما ذهب ماله أخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حباً شديداً. فلما فارقها مرضت مرضاً شديداً حتى بلغت الموت، وعرف أبوها بذلك فأرسل خلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي به مائة ألف دينار. فلم يره أحد ولم يقع له على أثر، وهي إلى الآن مشرفة على الموت. قلت: وكيف حال أبيها؟ قال: باع الجواري من عظم ما أصابه. فقلت له: هل أدلك على أبي الحسن العماني؟ فقال: بالله عليك يا أخي أن تدلّني عليه. فقلت له: إذهب إلى أبيها وقل له: البشارة عندك، فإن أبا الحسن العماني واقف على الباب. فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون، ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ. فلما رآني رجع إلى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فأخذها وانصرف وهو يدعو لي. ثم أقبل الشيخ وعانقني وبكى وقال: يا سيدي، أين كنت في هذه الغيبة؟ فد هلكت ابنتي من أجل فراقك فادخل معي إلى المنزل. فلما دخلت سجد شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي جمعنا بك. ثم دخل لابنته وقال لها: قد شفاك الله من هذا المرض. فقالت: يا أبتي، ما أبرأ من مرضي إلا إذا نظرت وجه أبي الحسن. فقال: إذا أكلت أكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما. فلما سمعت كلامه قالت: أصحيح ما تقول؟ قال لها: والله العظيم إن الذي قلته صحيح. فقالت: والله إن نظرت وجهه ما أحتاج إلى أكل. فقال لغلامه: أحضر سيدك فدخلت. فلما نظرت إليّ يا أمير المؤمنين وقعت مغشياً عليها. فلما أفاقت أنشدت هذا البيت: [من الطويل]

وقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لا تَلاقِيا

ثم استوت جالسة وقالت : والله يا سيدي ، ما كنت أظن أني أرى وجهك إلا إن كان مناماً . ثم إنها عانقتني وبكت وقالت : يا أبا الحسن ، الآن آكل وأشرب فاحضروا الطعام والشراب . ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال . ثم إن أباها استدعى بالقاضي والشهود وكتب كتابها عليّ وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي إلى الآن . ثم إن ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع إليه بغلام بديع الجمال ، بقد ذي رشاقة واعتدال . وقال له : قبّل الأرض بين أيادي أمير المؤمنين . فقبّل الأرض بين يدي الخليفة . فتعجب الخليفة من حسنه وسبّح خالقه . ثم إن الرشيد انصرف هو وجماعته وقال : يا جعفر ، ما هذا إلا شيء عجيب ، ما رأيت ولا سمعت بأغرب منه . فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال : يا مسرور . قال : لبيك يا سيدي . قال : إجعل في هذا الإيوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان . فجمعه فصار مالاً عظيماً لا يحصي عدده إلا الله . ثم قال الخليفة : يا جعفر . قال : لبيك . قال : أحضر لي أبا الحسن . قال : سمعاً وطاعة ثم أحضره . فلما حضر قبّل الأرض بين يدي الخليفة وهو خائف أن يكون طلبه له بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله . فقال الرشيد : يا عمّاني . قال له : لبيك يا أمير المؤمنين خلّد الله نعمه عليك . فقال : إكشف هذه الستارة . وكان الخليفة أمرهم أن يضعوا مال الثلاثة أقاليم ويسبلوا عليه الستارة . فلما كشف العماني الستارة عن الإيوان اندهش عقله من كثرة المال . فقال الخليفة : يا أبا الحسن ، أهذا المال أكثر أم الذي فاتك من قرص التعويذ ؟ فقال : بل هذا يا أمير المؤمنين أكثر بأضعاف كثيرة . قال الرشيد : إشهدوا يا من حضر أني وهبت هذا المال لهذا الشاب . فقبّل الأرض واستحى وبكى من شدّة الفرح بين يدي الرشيد . فلما بكى جرى الدمع من عينيه على خدّه فرجع الدم إلى محلّه فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه . فقال الخليفة : لا إله إلا الله سبحان من يغيّر حالاً بعد حال وهو باق لا يتغيّر . ثم أتى بمرآة وأراه وجهه فيها . فلما رآه سجد شكراً لله تعالى . ثم أمر الخليفة أن يحمل إليه المال وسأله أنه لا ينقطع عنه لأجل المنادمة . فصار يتردّد إليه إلى أن توفي الخليفة إلى رحمة الله تعالى . فسبحان الذي لا يموت ذي الملك والملكوت .

84 - حكاية إبراهيم وجميلة

ومما يحكى أيضًا أيها الملك السعيد ، أن الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن أحسن منه ، وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج إلا لصلاة الجمعة . فمرّ وهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة ، فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب الكتب وتأمّلها فرأى فيها صورة امرأة تكاد أن تنطق ، لم ير أحسن منها على وجه الأرض . فسلبت عقله وأدهشت لبّه فقال له : يا شيخ ، بعني هذه الصورة ؟ فقبّل الأرض بين يديه ثم قال : يا سيدي ، بغير ثمن . فدفع له مائة دينار وأخذ الكتاب الذي فيه هذه الصورة ، فصار ينظر إليها ويبكي ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام وقال في نفسه : لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو لربما أخبرني . فإن كانت صاحبتها في الحياة توصّلت إليها وإن كانت صورة مطلقة تركت التولّع بها ولا أعذّب نفسي بشيء لا حقيقة له . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 953

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب لما قال في نفسه: لو سألت الكتبي عن هذه الصورة لربما أخبرني، فإن كانت صورة مطلقة تركت التولّع بها ولا أعذب نفسي بشيء لا حقيقة له. فلما كان يوم الجمعة مرّ على الكتبي فنهض إليه قائماً. فقال له: يا عم، أخبرني من صنع هذه الصورة؟ قال: يا سيدي، صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو القاسم الصندلاني في حارة الكرخ، وما أعلم صورة من هي؟ فقام الغلام من عنده ولم يعلم بحاله أحداً من أهل مملكته ثم صلّى الجمعة وعاد إلى البيت فأخذ جراباً وملأه من الجواهر والذهب، وقيمة الجواهر ثلاثون الف دينار. ثم صبر إلى الصباح وخرج ولم يعلم أحداً ولحق قافلة فرأى بدوياً فقال له: يا عم، كم بيني وبين بغداد؟ فقال له: يا ولدي، أين أنت؟ وأين بغداد؟ بينك وبينها مسيرة شهرين. فقال له: يا عم، إن وصّلتني إلى بغداد أعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التي تحتي وقيمتها ألف دينار. فقال له البدوي: الله على ما تقول وكيل، ولكن لا تنزل في هذه الليلة إلا عندي. فأجابه الى قوله وبات عنده. فلما لاح الفجر أخذه البدوي ثم سار به سريعاً في طريق قريب طمعاً في تلك الفرس التي وعده بها، وما زالا سائرين حتى وصلا إلى حيطان بغداد. فقال له البدوي: الحمد لله على السلامة يا سيدي، هذه بغداد. ففرح الغلام فرحاً شديداً ونزل عن الفرس وأعطاها للبدوي هي والمائة دينار ثم أخذ الجراب وسار يسأل عن حارة الكرخ وعن محل التجار. فساقه القدر إلى درب فيه عشر حجر، خمسة تقابل خمسة، وفي صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة، وفي الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان بأحسن الفرش، وفي إحداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين يديه خمسة مماليك كأنهم أقمار. فلما رأى الغلام ذلك، عرف العلامة التي ذكرها له الكتبي فسلّم على الرجل فردّ عليه السلام ورحّب به وأجلسه وسأله عن حاله. فقال له الغلام: أنا رجل غريب وأريد من إحسانك أن تنظر لي في هذا الدرب داراً لأسكن فيها. فصاح الرجل وقال: يا غزالة. فخرجت إليه جارية وقالت: لبيك يا سيدي. فقال: خذي معك بعض خدم واذهبوا إلى حجرة ونظّفوها وافرشوها وحطّوا فيها جميع ما يحتاج إليه من آنية وغيرها لأجل هذا الشاب الحسن الصورة. فخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به. ثم أخذه الشيخ وأراه الدار. فقال له الغلام: يا سيدي، كم أجرة هذه الدار؟ فقال له: يا صبيح الوجه، أنا ما آخذ منك أجرة ما دمت فيها. فشكره على ذلك. ثم إن الشيخ نادى جارية أخرى فخرجت جارية كأنها الشمس. فقال لها: هاتي الشطرنج. فأتت به. ففرش المملوك الرقعة وقال الشيخ للغلام: أتلعب معي؟ قال: نعم. فلعب معه مرات والغلام يغلبه. فقال: أحسنت يا غلام ولقد كملت صفاتك، والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني أنت. ثم بعد أن هيّأوا الدار بالفرش وسائر ما يحتاج إليه، سلّم إليه المفاتيح وقال له: يا سيدي، ألا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرّف بك؟ فأجابه الغلام إلى ذلك ومشى معه. فلما وصلا إلى الدار رأى داراً حسنة جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير، وفيها من أنواع الفرش والأمتعة ما يعجز عن وصفه اللسان. ثم صار يحييه وأمر بإحضار الطعام، فأتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت، وأتوا بالطعام ألواناً غريبة لم يوجد أفخر منها ولا ألذّ. فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه، وصار الغلام

ينظر إلى الدار والفرش ثم التفت إلى الجراب الذي كان معه فلم يره فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أكلت لقمة تساوي درهماً أو درهمين فذهب مني جراب فيه ثلاثون الف دينار ولكن استعنت بالله . ثم سكت ولم يقدر ان يتكلم . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 954

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام لما رأى الجراب مفقوداً حصل له غمّ كبير ، فسكت ولم يقدر ان يتكلم . فقدم الشيخ الشطرنج وقال للغلام : هل تلعب معي ؟ قال : نعم . فلعب فغلبه الشيخ . فقال الغلام : أحسنت ثم ترك اللعب وقام . فقال له : ما لك يا غلام ؟ فقال : اريد الجراب . فقام واخرجه له وقال : ها هو يا سيدي ، هل ترجع إلى اللعب معي ؟ قال : نعم . فلعب معه فغلبه الغلام . فقال الرجل : لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به إليك غلبتني . ثم قال له : يا ولدي ، أخبرني من اي البلاد انت ؟ فقال : من مصر . فقال له : وما سبب مجيئك إلى بغداد ؟ فاخرج له الصورة وقال : أعلم يا عم اني ولد الخصيب صاحب مصر ، وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبي فسلبت عقلي ، فسألت عن صانعها فقيل لي : إن صانعها رجل بحارة الكرخ يقال له أبو القاسم الصندلاني ، بدرب يعرف بدرب الزعفران . فأخذت معي شيئًا من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي أحد ، وأريد من تمام إحسانك ان تدلّني عليه حتى أسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة من هي ؟ ومهما أراده مني فإني أعطيه إياه . فقال : والله يا ابني إني أنا أبو القاسم الصندلاني ، وهذا أمر عجيب كيف ساقتك المقادير إليّ ؟ فلما سمع الغلام كلامه قام إليه وعانقه وقبّل رأسه ويديه وقال له : بالله عليك ان تخبرني بصورة من هي ؟ فقال : سمعاً وطاعة . ثم قام وفتح خزانة وأخرج منها عدة كتب كان صوّر فيها هذه الصورة وقال : أعلم يا ولدي ، ان صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي في البصرة وأبوها حاكم البصرة يقال له : أبو الليث ، وهي يقال لها : جميلة ، وما على وجه الأرض اجمل منها . ولكنها زاهدة في الرجال ولم تقدر ان تسمع ذكر رجل في مجلسها . وقد ذهبت إلى عمي بقصد أنه يزوّجني بها وبذلت له الأموال فلم يجبني إلى ذلك . فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وارسلت إليّ كلاماً من جملته انها قالت : إن كان لك عقل فلا تُقم بهذه البلدة وإلا تهلك ويكون ذنبك في عنقك . وهي جبارة من الجبابرة . فخرجت من البصرة وانا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة في الكتب وفرّقتها في البلاد لعلها تقع في يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيّل في الوصول إليها لعلها تعشقه وأكون قد أخذت عليه العهد انه إذا تمكّن منها يريني إياها ولو نظرة من بعيد . فلما سمع ابراهيم بن الخصيب كلامه أطرق رأسه ساعة وهو يتفكّر . فقال له الصندلاني : يا ولدي ، إني ما رأيت ببغداد أحسن منك واظن انها إذا نظرتك تحبك ، فهل يمكنك إذا اجتمعت بها وظفرت بها أن تريني إياها ولو نظرة من بعيد ؟ فقال : نعم . إذا كان الأمر كذلك فاقم عندي إلى ان تسافر . فقال : لا أقدر على المقام فإن في قلبي من عشقها ناراً زائدة . فقال له : إصبر حتى أجهّز لك مركباً في ثلاثة أيام لتذهب فيها إلى البصرة . فصبر حتى جهّز له مركبًا ووضع فيها كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وغير ذلك . وبعد الثلاثة أيام قال للغلام : تجهّز للسفر فقد جهّزت لك مركباً فيها سائر ما تحتاج إليه ،

والمركب ملكي والملاحون من أتباعي، وفي المركب ما يكفيك إلى أن تعود. وقد وصيت الملاحين أن يخدموك إلى أن ترجع بالسلامة. فنهض الغلام ونزل في المركب وودّعه وسار حتى وصل إلى البصرة، فأخرج الغلام مائة دينار للملاحين. فقالوا له: نحن أخذنا الأجرة من سيدنا. فقال لهم: خذوها إنعاماً وأنا لا أخبره بذلك. فأخذوها منه ودعوا له. ثم دخل الغلام البصرة وسأل: أين مسكن التجار؟ فقالوا له: في خان يسمّى خان حمدان. فمشى حتى وصل إلى السوق الذي فيه الخان، فامتدت إليه الأعين بالنظر من فرط حسنه وجماله. ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البوّاب فدلّوه عليه، فرآه شيخاً كبيراً مهاباً، فسلّم عليه فردّ عليه السلام. فقال: يا عم، هل عندك حجرة ظريفة؟ قال: نعم. ثم أخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال: يا غلام، إن هذه الحجرة تصلح لك. فأخرج الغلام دينارين وقال له: خذ هذين حلوان المفتاح. فأخذهما ودعا له وأمرالغلام الملاح بالذهاب إلى المركب. ثم دخل الحجرة فاستمرّ عنده بوّاب الخان وخدمه وقال له: يا سيد، حصل لنا بك السرور. فأعطاه الغلام ديناراً وقال له: هات لنا به خبزاً ولحماً وحلوى وشراباً. فأخذه وذهب إلى السوق ورجع إليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم وأعطاه الباقي. فقال له الغلام: اصرفه على نفسك. ففرح بوّاب الخان بذلك فرحاً عظيماً. ثم إن الغلام أكل مما طلبه قرصاً واحداً بقليل من الأدم وقال لبوّاب الخان: خذ هذا إلى أهل منزلك. فأخذه وذهب به إلى أهل منزله وقال لهم: ما أظن أن أحداً على وجه الأرض أكرم من الغلام الذي سكن عندنا في هذا اليوم ولا أحلى منه، فإن دام عندنا حصل لنا الغنى. ثم إن بوّاب الخان دخل على ابراهيم فرآه يبكي، فقعد وصار يكبس رِجليه ثم قبّلهما وقال: يا سيدي، لأي شيء تبكي؟ لا أبكاك الله. فقال: يا عم، أريد أن أشرب أنا وأنت في هذه الليلة. فقال له: سمعاً وطاعة. فأخرج له خمسة دنانير وقال له: إشتر لنا بها فاكهة وشراباً. ثم دفع له خمسة دنانير وقال له: إشتر لنا بهذه نقلاً ومشموماً وخمس دجاجات سمان واحضر لي عوداً. فخرج واشترى له ما أمره به وقال لزوجته: إصنعي هذا الطعام وصفّي لنا هذا الشراب وليكن ما تصنعينه جيداً فإن هذا الغلام قد عمّنا بإحسانه. فصنعت زوجته ما أمرها به على غاية المراد. ثم أخذه ودخل به على ابراهيم بن السلطان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 955

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن بوّاب الخان لمّا صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل به على ابن السلطان، فأكلا وشربا وطربا. فبكى الغلام وأنشد هذين البيتين:

[من البسيط]

يا صاحِبي لَوْ بَذَلْتَ الرُّوحَ مُجْتَهِداً　　وجُمْلَةَ المالِ والدُّنْيا وما فيْها
وجَنَّةَ الخُلْدِ والفِرْدَوْسَ أَجْمَعُها　　بِساعَةِ الوَصْلِ كانَ القَلْبُ شارِيْها

ثم شهق شهقة عظيمة وخرّ مغشياً عليه، فتنهّد بوّاب الخان. فلما أفاق قال له بوّاب الخان: يا سيدي، ما يبكيك؟ ومن هي التي تريدها بهذا الشعر؟ فإنها لا تكون إلا تراباً لأقدامك. فقام

الغلام واخرج بقجة من احسن ملابس النساء وقال له : خذ هذه إلى حريمك . فأخذها منه ودفعها إلى زوجته ، فأتت معه ودخلت على الغلام فإذا هو يبكي . فقالت له : فتّت أكبادنا ، فعرّفنا بأي مليحة تريدها وهي لا تكون الا جارية عندك؟ فقال : ياعم ، أعلم اني أنا ابن الخصيب صاحب مصر وإني متعلّق بجميلة بنت الليث العميد . فقالت زوجة بوّاب الخان : الله الله يا أخي ان تترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك ، فإنه ما على وجه الأرض أجبر منها ولا يقدر أحد ان يذكر لها إسم رجل لأنها زاهدة في الرجال ، فيا ولدي إعدل عنها لغيرها . فلما سمع كلامها بكى بكاء شديداً . فقال له بوّاب الخان : ما لي سوى روحي فانا اخاطر بها في هواك وادبر لك امراً فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده . فلما أصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك وإذا ببوّاب الخان هو وزوجته قدما عليه وقالا له : يا سيدي ، أعلم ان هنا رجلاً خياطاً احدب وهو خياط السيدة جميلة ، فاذهب إليه واخبره بحالك فعساه يدلّك على ما فيه وصولك إلى اغراضك . فقام الغلام وقصد دكان الخياط الأحدب فدخل عليه فوجد عنده عشرة مماليك كأنهم الأقمار ، فسلّم عليهم فردّوا عليه السلام وفرحوا به واجلسوه وتحيّروا في محاسنه وجماله . فلما رآه الأحدب اندهش عقله من حسن صورته . فقال له الغلام : أريد أن تخيط لي جيبي . فتقدّم الخياط واخذ فتلة من الحرير وخاطه ، وكان الغلام قد فتق جيبه عمداً . فلما خاطه اخرج له خمسة دنانير واعطاها له وانصرف إلى حجرته . فقال الخياط : أي شيء عملته لهذا الغلام حتى أعطاني الخمسة دنانير؟ ثم بات ليلته يفكّر في حسنه وكرمه . فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكان الخياط الأحدب ثم دخل وسلّم عليه ، فردّ عليه السلام وأرمه ورحّب به . فلما جلس قال للأحدب : يا عم ، خيّط لي جيبي فإنه فتق ثانياً . فقال له : يا ولدي ، على الرأس والعين . ثم تقدّم وخاطه فدفع له عشرة دنانير ، فأخذها وصار مبهوتاً من حسنه وكرمه . ثم قال : والله يا غلام إن فعلك هذا لا بد له من سبب ، وما هذا خبر خياطة جيب . ولكن أخبرني عن حقيقة أمرك فإن كنت عشقت واحداً من هؤلاء الأولاد؟ فوالله ما فيهم أحسن منك وكلهم تراب أقدامك وها هم عبيدك بين يديك ، وإن كان غير هذا فاخبرني . فقال : يا عم ، ما هذا محل الكلام فإن حديثي عجيب وأمري غريب . قال : فإذا كان الأمر كذلك فقم بنا في خلوة ثم نهض الخياط واخذ بيده ودخل معه حجرة في داخل الدكان وقال له : يا غلام حدّثني . فحدّثه بأمره من أوله إلى آخره . فبهت من كلامه وقال : يا غلام ، اتّق الله في نفسك فإن التي ذكرتها جبارة زاهدة في الرجال ، فاحفظ يا أخي لسانك وإلا فإنك تهلك نفسك . فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديداً ولزم ذيل الخياط وقال : آجرني يا عم فإني هالك ، وقد تركت ملكي وملك ابي وجدّي وصرت في البلاد غريباً وحيداً ولا صبر لي عنها . فلما رأى الخياط ما حلّ به رحمه وقال : يا ولدي ، ما عندي إلا نفسي فأخاطر بها في هواك فإنك قد جرحت قلبي ، ولكن في غد أدبر لك امراً يطيب به قلبك . فدعا له وانصرف إلى الخان فحدّث بوّاب الخان بما قاله الأحدب . فقال له : قد فعل معك جميلاً . فلما اصبح الصباح لبس الغلام افخر ثيابه واخذ معه كيساً فيه دنانير وأتى إلى الأحدب فسلّم عليه وجلس ثم قال له : يا عم ، انجز وعدي ! فقال له : قم في هذه الساعة وخذ ثلاث دجاجات سمان وثلاث اواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شراباً ، وخذ قدحاً وضع ذلك في كارة وانزل بعد صلاة الصبح في زورق مع ملاح وقل له : اريد أن تذهب

بي تحت البصرة . فإن قال لك : ما أقدر أن أعدي أكثر من فرسخ . فقل له : الراي لك . فإذا عدّى فرغّبه بالمال حتى يوصلك ، فإذا وصلت فأول بستان تراه فإنه بستان السيدة جميلة ، فإذا رأيته فاذهب إلى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل أحدب مثلي ، فاشكو إليه حالك وتوسّل به فعساه أن يرثي لحالك ويوصلك إلى أن تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدي حيلة غير هذا . وأما إذا لم يرث لحالك فقد هلكت أنا وأنت . وهذا ما عندي من الراي والأمر إلى الله تعالى . فقال الغلام : استعنت بالله ، ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قام من عند الخياط الأحدب وذهب إلى حجرته وأخذ ما أمره به في كارة لطيفة . ثم إنه لما اصبح جاء إلى شاطىء الدجلة وإذا هو برجل ملاح نائم ، فأيقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له : عدني إلى تحت البصرة . فقال له : يا سيدي بشرط أني لا أعدي أكثر من فرسخ ، وإن تجاوزته شبراً هلكت أنا وأنت . فقال له : الراي لك . فأخذه وانحدر به ، فلما قرب من البستان قال : يا ولدي ، من هنا ما أقدر أن أعدي ، فإن تعدّيت هذا الحدّ هلكت أنا وأنت . فأخرج له عشرة دنانير أخرى وقال له : خذ هذه النفقة لتستعين بها على حالك . فاستحى منه وقال : سلّمت الأمر لله تعالى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 956

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الأخرى أخذها وقال : سلّمت الأمر لله تعالى وانحدر به . فلما وصل إلى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه . فرجع الملاح هارباً . ثم تقدّم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الأحدب من البستان ورأى بابه مفتوحًا وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهّبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب . فنهض الغلام مسرعاً وانكبّ على يده وقبّلها . فقال له : من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ ومن أوصلك إلى ها هنا يا ولدي ؟ وكان ذلك الرجل لما رأى ابراهيم بن الخصيب انبهر من جماله . فقال له ابراهيم : يا عم ، أنا صبي جاهل غريب ثم بكى . فرقّ له وأصعده على السرير ومسح له دموعه وقال له : لا بأس عليك ، إن كنت مديوناً قضى الله دينك وإن كنت خائفاً آمن الله خوفك . فقال : يا عم ، ما بي خوف ولا عليّ دين ومعي مال جزيل بحمد الله وعونه . فقال له : يا ولدي ، ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك إلى محل فيه الهلاك ؟ فحكى له حكايته وشرح له أمره . فلما سمع كلامه أطرق رأسه ساعة إلى الأرض وقال : هل الذي دلّك عليّ الخياط الأحدب ؟ قال له : نعم . قال : هذا أخي وهو رجل مبارك . ثم قال : يا ولدي ، لولا ان محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت انت وأخي وبوّاب الخان وزوجته . ثم قال : أعلم أن هذا البستان ما على وجه الأرض مثله وإنه يقال له : بستان اللؤلؤة ، وما دخله أحد مدة عمري إلا السلطان وأنا وصاحبته جميلة ، وأقمت فيه عشرين سنة فما رأيت أحدًا جاء إلى هذا المكان ، وكل اربعين يوماً تأتي في المركب إلى ها هنا وتصعد بين جواريها في حلة أطلس تحمل أطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب إلى أن تدخل فلم أرَ منها شيئًا ، ولكن أنا ما لي إلا نفسي فأخاطر بها من أجلك . فعند ذلك قبّل الغلام يده فقال له : إجلس عندي حتى أدبر لك أمرًا . ثم أخذ بيد الغلام وأدخله البستان . فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظن أنه الجنة ورأى الأشجار

ملتفّة والنخيل باسقة والمياه متدفقة والأطيار تناغي بأصوات مختلفة . ثم ذهب به إلى قبة وقال له : هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة . فتأمّل تلك القبة فوجدها من أعجب المنتزهات وفيها سائر التصاوير بالذهب واللازورد ، وفيها أربعة أبواب يصعد إليها بخمس درج ، وفي وسطها بركة ينزل إليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصّعة بالمعدن ، وفي وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء يخرج من أفواهها ، فإذا صفقت الصور عند خروج الماء بأصوات مختلفة تخيّل لسامعها أنه في الجنة . وحول القبة ساقية قواديسها من الفضة وهي مكسوة بالديباج ، وعلى يسار الساقية شباك من الفضة مطل على برج أخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان والأرانب ، وعلى يمينها شباك مطل على ميدان فيه من سائر الطيور وكلها تغرد بأصوات مختلفة تدهش السامع . فلما رأى الغلام ذلك أخذه الطرب وقعد في باب البستان وقعد البستاني بجانبه فقال له : كيف ترى بستاني ؟ فقال له الغلام : هو جنة الدنيا . فضحك البستاني ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر فوضعه بين يدي الغلام وقال له : كُل حتى تشبع . قال ابراهيم : فأكلت حتى اكتفيت . فلما رآني أكلت فرح وقال : والله هكذا شأن الملوك أولاد الملوك . ثم قال : يا ابراهيم ، أي شيء معك في هذه الكارة ؟ فحللتها بين يديه فقال : احملها معك فإنها تنفعك إذا حضرت السيدة جميلة ، فإنها إذا جاءت لا أقدر أن أدخل لك بما تأكل . ثم قام وأخذ بيدي وأتى بي إلى مكان قبال قبة جميلة ، فعمل عريشة بين الأشجار وقال : إصعد هنا ، فإذا جاءت فإنك تنظرها وهي لا تنظرك وهذا أكثر ما عندي من الحيلة وعلى الله الإعتماد ، فإذا غنّت فاشرب على غنائها فإذا ذهبت فارجع من حيث جئت إن شاء الله مع السلامة . فشكره الغلام وأراد أن يقبّل يده فمنعه . ثم إن الغلام وضع الكارة في العريشة التي عملها له . ثم قال له البستاني : يا ابراهيم ، تفرّج في البستان وكُل من أثماره فإن ميعاد حضور صاحبتك في غد . فصار ابراهيم يتنزّه في البستان ويأكل من أثماره وبات ليلته عنده . فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صلى ابراهيم الصبح ، وإذا بالبستاني جاءه وهو مصفرّ اللون وقال له : قم يا ولدي واصعد إلى العريشة فإن الجواري قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 957

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخولي لما دخل على ابراهيم بن الخصيب في البستان قال له : قم يا ولدي ، إصعد إلى العريشة فإن الجواري قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن ، واحذر من أن تبصق أو تمخط أو تعطس فنهلك أنا وأنت . فقام الغلام وصعد إلى العريشة وذهب الخولي وهو يقول : رزقك الله السلامة يا ولدي . فبينما الغلام قاعد وإذا بخمس جوار أقبلن لم ير مثلهن أحد ، فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد وأطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج ، وأقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجواري رافعات أذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة ، فلم يرَ الغلام منها ولا من أثوابها شيئًا . فقال في نفسه : والله إنه ضاع جميع تعبي ، ولكن لا بد لي من أن أصبر حتى أنظر كيف يكون الأمر . فقدمت الجواري الأكل والشرب ، ثم أكلن وغسلن أيديهن ونصبن لها كرسياً فجلست

عليه، ثم ضربن بآلات الملاهي جميعهن وغنين بأصوات مطربة لا مثل لهن. ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجواري وإذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك، فرآها ابراهيم وعليها الحلي والحلل وعلى رأسها تاج مرصّع بالدر والجوهر، وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ. فقام الجواري وقبّلن الأرض بين يديها وهي تضحك. قال ابراهيم بن الخصيب: فلما رأيتها غبت عن وجودي واندهش عقلي وتحيّر فكري بما بهرني من جمال لم يكن على وجه الأرض مثله ووقعت مغشياً عليّ. ثم افقت باكي العينين وانشدت هذين البيتين: [من الوافر]

أَراكِ فَلا أَرُدُّ الطَّرْفَ كي لا ... تَكونَ حِجابَ رُؤْيَتِكِ الجُفونُ
ولَوْ أنِّي نَظَرْتُ بِكُلِّ لَحْظٍ ... لما اسْتَوْفَتْ مَحاسِنَكِ العُيونُ

فقالت العجوز للجواري: ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين. فلما رآهن ابراهيم قال في نفسه: أشتهي أن ترقص السيدة جميلة. فلما انتهى رقص العشر جواري أقبلن حولها وقلن: يا سيدتنا، نشتهي ان ترقصي في هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك، لأننا ما رأينا أطيب من هذا اليوم. فقال ابراهيم بن الخصيب في نفسه: لا شك أن أبواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائي. ثم قبّل الجواري أقدامها وقلن لها: والله ما رأينا صدرك مشروحاً مثل هذا اليوم. فما زلن برغّبنها حتى قلعت أثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرز بأنواع الجواهر، وأبرزت نهوداً كأنهن الرمان، وأسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه. فرأى ابراهيم من الحركات ما لم ير في عمره مثلها ولما أتت في رقصها بأسلوب غريب وابتداع عجيب حتى أنستنا رقص الحبب في الكؤوس وأذكرتنا ميل العمائم عن الرؤوس. وهي كما قال فيها الشاعر: [من البسيط]

كَما اشْتَهَتْ خُلِقَتْ حَتَّى إذا اعْتَدَلَتْ ... في قالَبِ الحُسْنِ لا طُولٌ ولا قِصَرُ
كَأَنَّها خُلِقَتْ مِنْ ماءِ لُؤْلُؤَةٍ ... في كُلِّ جارِحَةٍ مِنْ حُسْنِها قَمَرُ

وكما قال الآخر: [من البسيط]

وراقِصٍ مِثْلُ غُصْنِ البانِ قامَتُهُ ... تَكادُ تَذْهَبُ رُوحِي مِنْ تَنَقُّلِهِ
لا يَسْتَقِرُّ لَهُ في رَقْصِهِ قَدَمٌ ... كَأَنَّما نارُ قَلْبِي تَحْتَ أَرْجُلِهِ

قال ابراهيم: فبينما أنا انظر إليها إذ لاحت منها التفاتة إليّ فرأتني. فلما نظرتني تغيّر وجهها فقالت لجواريها: غنوا انتم حتى أجيء إليكن. ثم عمدت إلى سكين قدر نصف ذراع وأخذتها وأتت نحوي ثم قالت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلما قربت مني غبت عن الوجود. فلما رأتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يدها وقالت: سبحان مقلب القلوب. ثم قالت لي: يا غلام طب نفساً ولك الأمان مما تخاف. فصرت أبكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت: يا غلام، أخبرني من أنت؟ وما جاء بك إلى هذا المكان؟ فقبّلت الأرض بين يديها ولزمت ذيلها. فقالت: لا بأس عليك، فوالله ما ملأت عيني من ذكر غيرك. فقل لي: من أنت؟ قال ابراهيم: فحدّثتها بحديثي من أوله إلى آخره. فتعجبت من ذلك وقالت لي: يا سيدي، أناشدك الله هل أنت ابراهيم بن الخصيب؟ قلت: نعم. فانكبّت عليّ وقالت: يا سيد،

أنت الذي زهّدتني في الرجال لأنني لمّا سمعت أنه وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الأرض أجمل منه هويتك بالوصف وتعلّق قلبي بحبك لمّا بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر : [من البسيط]

أُذْنِيْ لَقَدْ سَبَقَتْ في عِشْقِهِ بَصَرِي　　　والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيانا

فالحمد لله الذي أراني وجهك، والله لو كان أحد غيرك لكنت صلبت البستاني وبوّاب الخان والخياط ومن يلوذ بهم . ثم قالت لي : كيف أحتال على شيء تأكله من غير اطلاع جواريّ؟ فقلت لها : إن معي ما نأكل وما نشرب . ثم حللت الكارة بين يديها فأخذت دجاجة وصارت تلقّمني وألقمها . فلما رأيت ذلك منها توهّمت أنه منام . ثم قدّمت الشراب فشربنا، كل ذلك وهي عندي والجواري تغني، وما زلنا كذلك من الصبح إلى الظهر . ثم قامت وقالت : قم الآن هيّء لك مركباً وانتظرني في المحل الفلاني حتى أجيء إليك، فما بقي لي صبر على فراقك . فقلت : يا سيدتي، إن معي مركباً وهي ملكي والملاحون في إجارتي وهم في انتظاري . فقالت : هذا هو المراد . ثم مضت إلى الجواري . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 958

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السيدة جميلة لما مضت إلى الجواري قالت لهن : قمن بنا لنروح إلى قصرنا . فقلن لها : كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا أننا نقعد ثلاثة أيام ؟ فقالت : إني أجد في نفسي ثقلاً عظيماً كأني مريضة وأخاف أن يثقل عليّ ذلك . فقلن لها : سمعاً وطاعة . فلبسن ثيابهن ثم توجهن إلى الشاطىء ونزلن في الزورق . وإذا بالبستاني قد أقبل على ابراهيم وما عنده علم بالذي جرى له فقال : يا ابراهيم، ما لك حظ في التلذّذ برؤيتها . فإن من عادتها أن تقيم هنا ثلاثة أيام وأنا أخاف أن تكون رأتك . فقال ابراهيم : ما رأتني ولا رأيتها ولا خرجت من القبة . قال : صدقت يا ولدي، فإنها لو رأتك لكنا هلكنا . ولكن أقعد عندي حتى تأتي في الأسبوع الثاني وتراها وتشبع من النظر إليها . فقال ابراهيم : يا سيدي، إن معي مالاً وأخاف عليه، وورائي رجال فأخاف أن يستغيبوني . فقال : يا ولدي . إنه يعزّ عليّ فراقك ثم عانقه وودّعه . ثم إن ابراهيم توجه إلى الخان الذي كان نازلاً فيه وقابل بوّاب الخان وأخذ ماله . فقال له بوّاب الخان : خبر خير إن شاء الله . فقال له ابراهيم : إني ما وجدت إلى حاجتي سبيلاً وأريد أن أرجع إلى أهلي . فبكى بوّاب الخان وودّعه وحمل أمتعته ووصّله إلى المركب . وبعد ذلك توجه إلى المحل الذي قالت له عليه وانتظرها فيه . فلما جن الليل وإذا بها قد أقبلت عليه وهي في زي رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفي إحدى يديها قوس ونشاب وفي الأخرى سيف مجرّد وقالت له : هل أنت ابن الخصيب صاحب مصر ؟ فقال لها ابراهيم : هو أنا . فقالت له : وأي علق أنت حتى جئت تفسد بنات الملوك ؟ قم كلّم السلطان . قال ابراهيم : فوقعت مغشياً عليّ، وأما الملاحون فإنهم ماتوا في جلودهم من الخوف . فلما رأت ما حلّ بي خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلّت المنطقة، فرأيتها هي السيدة جميلة . فقلت لها : والله إنك قطّعت قلبي . ثم قلت للملاحين : أسرعوا في سير المركب . فحلّوا الشراع وأسرعوا في السير . فما كان إلا أيام قلائل حتى وصلنا إلى بغداد وإذا بمركب واقفة على جانب

الشط ، فلما رآنا الملاحون الذين فيها صاحوا على الملاحين الذين معنا وصاروا يقولون : يا فلان ويا فلان نهنيكم بالسلامة . ثم دفعوا مركبهم على مركبنا فنظرنا فإذا فيها أبو القاسم الصندلاني . فلما رآنا قال : إن هذا هو مطلوبي ، أمضوا في وداعة الله وأنا أريد التوجه إلى غرض ، وكان بين يديه شمعة . ثم قال لي : الحمد لله على السلامة ، هل قضيت حاجتك ؟ قلت : نعم . فقرّب الشمعة منّا . فلما رأته جميلة تغيّر حالها واصفرّ لونها ، ولما رآها الصندلاني قال : اذهبوا في أمان الله ، أنا رايح إلى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر . ثم أحضر علبة من الحلويات ورماها في مركبنا وكان فيها البنج . فقال ابراهيم : يا قرّة عيني ، كُلي من هذا . فبكت وقالت : يا ابراهيم ، أتدري من هذا ؟ قلت : نعم هذا فلان . قالت : إنه ابن عمي وكان سابقاً خطبني من والدي فما رضيت به وهو متوجه إلى البصرة فربما يعرف أبي بنا . فقلت : يا سيدتي ، هو لا يصل إلى البصرة حتى نصل نحن إلى الموصل . ولم يعلما بما هو مخبوء لهما في الغيب ، فأكلت شيئًا من الحلاوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الأرض برأسي . فلما كان وقت السحر عطست فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عرياناً مرمياً في الخراب . فلطمت على وجهي وقلت في نفسي : إن هذه حيلة عملها عليّ الصندلاني . فصرت لا أدري أين أذهب وما عليّ سوى سروال . فقمت وتمشيت قليلاً وإذا بالوالي أقبل عليّ ومعه جماعة بسيوف ومطارق ، فخفت فرأيت حماماً خرباً فتواريت فيه فعثرت رجلي في شيء فوضعت يدي عليه فتلوّثت بالدم ، فمسحتها في سروالي ولم أعلم ما هو . ثم مددت يدي إليه ثانياً فجاءت على القتيل وطلعت رأسه في يدي فرميتها وقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام وإذا بالوالي وقف على باب الحمام وقال : ادخلوا هذا المكان وفتّشوا . فدخل منهم عشرة بالمشاعل ، فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأمّلت ذلك المقتول فرأيته صبية ووجهها كالبدر ورأسها في ناحية وجثتها في ناحية وعليها ثياب ثمينة . فلما رأيتها وقعت الرجفة في قلبي ودخل الوالي وقال : فتّشوا جهات الحمام . فدخلوا الموضع الذي أنا فيه فنظرني رجل منهم فجاءني وبيده سكين طولها نصف ذراع . فلما قرب مني قال : سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن ، يا غلام من أين أنت ؟ ثم أخذ بيدي وقال : يا غلام ، لأي شيء قتلت هذه المقتولة ؟ فقلت : والله ما قتلتها ولا أعرف من قتلها ، وما دخلت هذا المكان إلا فزعاً منكم . وأخبرته بقصتي وقلت له : بالله عليك لا تظلمني فإني مشغول بنفسي . فأخذني وقدّمني إلى الوالي . فلما رأى على يدي أثر الدم قال : هذا لا يحتاج إلى بيّنة فاضربوا عنقه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 959

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن الخصيب قال : فلما قدّموني إلى الوالي ورأى على يدي أثر الدم قال : هذا لا يحتاج إلى بيّنة فاضربوا عنقه . فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديداً وجرت مني دموع العين وأنشدت هذين البيتين :

[من الوافر]

مَشَيْناها خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنا ومَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشاها

ومَنْ كانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ في أَرْضٍ سِواها

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً عليّ . فرقّ لي قلب الجلاد وقال : والله ما هذا وجه قتل . فقال الوالي : اضربوا عنقه . فأجلسوني في نطع الدم وشدّوا على عيني غطاء وأخذ السياف سيفه واستأذن الوالي وأراد ان يضرب عنقي فصحت : واغربتاه ! وإذا بخيل قد أقبلت وقائل يقول : دعوه ! إمنع يدك يا سياف . وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب ، وهو أن الخصيب صاحب مصر كان قد أرسل حاجبه إلى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه : إن ولدي قد فقد من منذ سنة وقد سمعت أنه ببغداد والمقصود من أنعام خليفة الله ان يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسله إليّ مع الحاجب . فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي أن يبحث عن حقيقة خبره . فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له : بالبصرة . فأخبر الخليفة بذلك ، فكتب الخليفة كتاباً وأعطاه للحاجب المصري وامره ان يسافر إلى البصرة وأن يأخذ معه جماعة من أتباع الوزير . فمن حرص الحاجب على ولد سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي . فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجل إليه . فقال له الحاجب : ما هذا الغلام ؟ وما شأنه ؟ فأخبره بالخبر . فقال الحاجب والحال إنه لم يعرف أنه ولد السلطان : إن وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل . وأمره بحلّ وثاقه فحلّه فقال : قدّمه إليّ . فقدّمه إليه وكان قد ذهب جماله من شدّة ما قاساه من الأهوال . فقال له الحاجب : اخبرني بقضيتك يا غلام ؟ وما شأن هذه المقتولة معك ؟ فلما نظر ابراهيم إلى الحاجب عرفه فقال له : ويلك ، اما تعرفني ؟ اما انا ابراهيم ابن سيدك ؟ فلعلك جئت في طلبي . فامعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة . فلما عرفه انكبّ على أقدامه . فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب اصفرّ لونه . فقال له الحاجب : ويلك يا جبار ، هل كان مرادك ان تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر ؟ فقبّل الوالي ذيل الحاجب وقال له : يا مولاي ، من أين اعرفه ؟ وإنما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية مقتولة بجانبه . فقال له : ويلك ، إنك لا تصلح للولاية ، هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاماً وما قتل عصفوراً فكيف يقتل قتيلاً ؟ هلا امهلته وسألته عن حاله ؟ ثم قال الحاجب والوالي : فتشوا على قاتل الصبية . فدخلوا الحمام ثانياً فرأوا قاتلها ، فأخذوه وأتوا به إلى الوالي . فأخذه وتوجه به إلى دار الخلافة وأعلم الخليفة بما جرى . فأمر الرشيد بقتل قاتل الصبية ، ثم امر بإحضار ابن الخصيب . فلما تمثل بين يديه تبسّم الرشيد وقال له : أخبرني بقصتك وما جرى لك ؟ فحدّثه بحديثه من أوله إلى آخره . فعظم ذلك عنده فنادى مسروراً السياف وقال : إذهب في هذه الساعة واهجم على دار أبي القاسم الصندلاني وأتني به وبالصبية . فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية في وثاق من شعرها وهي في حالة التلف ، فحلّها مسرور وأتى بها وبالصندلاني . فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت إلى الصندلاني وقال : خذوه واقطعوا يديه الذي ضرب بهما هذه الصبية واصلبوه وسلّموا أمواله وأملاكه إلى ابراهيم . ففعلوا ذلك . فبينما هم كذلك وإذا بأبي الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد أقبل عليهم يستغيث بالخليفة من ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو إليه انه أخذ ابنته . فقال له الرشيد : إنه كان سبباً في خلاصها من العذاب والقتل . وأمر بإحضار ابن الخصيب . فلما حضر قال لأبي الليث : ألا ترضى ان يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعلاً لابنتك ؟ فقال : سمعاً وطاعة لله ولك يا امير

المؤمنين. فدعا الخليفة بالقاضي والشهود وزوّج الصبية بابراهيم بن الخصيب ووهب له جميع أموال الصندلاني وجهّزه إلى بلاده وعاش معها في أتم سرور وأوفى حبور إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات. فسبحان الحي الذي لا يموت.

85 - حكاية أبي الحسن الخراساني

ومما يحكى أيضًا أيها الملك السعيد، أن المعتضد بالله كان عالي الهمة شريف النفس، وكان له ببغداد ستمائة وزير وما كان يخفى عليه من أمور الناس شيء. فخرج يوماً هو وابن حمدون يتفرّجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدّد من أخبار الناس، فحمي عليهم الحر والهجير وقد انتهيا إلى زقاق لطيف في شارع، فدخلا ذلك الزقاق فرأيا في صدر الزقاق داراً حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء، فقعدا على الباب يستريحان. فخرج من تلك الدار خادمان كالقمرين في ليلة أربعة عشر فقال أحدهما لصاحبه: لو استأذن اليوم ضيف لأن سيدي لم يأكل إلا مع الضيفان، وقد صرنا إلى هذا الوقت ولم أرَ أحداً. فتعجب الخليفة من كلامهما وقال: إن هذا دليل على كرم صاحب الدار ولا بد أن ندخل داره وننظر مروءته ويكون ذلك سبباً في نعمة تصل إليه منا. ثم قال للخادم: استأذن سيدك في قدوم جماعة أغراب. وكان الخليفة في ذلك الزمان إذا أراد الفرجة على الرعية تنكّر في زي التجار. فدخل الخادم على سيده وأخبره، ففرح وقام وخرج إليهما بنفسه وإذا به جميل الوجه حسن الصورة وعليه قميص نيسابوري ورداء مذهّب وهو مضمّخ بالطيب، وفي يده خاتم من الياقوت. فلما رآهما قال: أهلاً وسهلاً بالسادة المنعمين علينا غاية الإنعام بقدومهم. فلما دخلا تلك الدار رأياها تنسي الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 960

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه رآياها تنسي الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان، ومن داخلها بستان فيه من سائر الأشجار وهي تدهش الأبصار وأماكنها مفروشة بنفايس الفرش. فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش. فقال ابن حمدون: فنظرت إلى الخليفة فرأيت وجهه قد تغيّر، وكنت أعرف من وجهه حال الرضى والغضب. فلما رأيته قلت في نفسي: يا ترى ما باله حتى غضب؟ ثم جاؤوا بطشت من الذهب فغسلنا أيدينا ثم جاؤوا بسفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران. فلما انكشفت الأغطية عن الأواني رأينا طعاماً كزهر الربيع في عزّ الأوان صنواناً وغير صنوان. ثم قال صاحب الدار: بسم الله يا سادتنا، والله إن الجوع قد أمضني فانعموا عليّ بالأكل من هذا الطعام كما هو أخلاق الكرام. وصار صاحب الدار يفسخ الدجاج ويضعه بين أيدينا ويضحك وينشد الأشعار ويورد الأخبار ويتكلم بلطائف ما يليق بالمجلس. قال ابن حمدون: فأكلنا وشربنا ثم نقلنا إلى مجلس آخر يدهش الناظرين تفوح منه الروائح الزكية. ثم قدّم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهية، فزادت أفراحنا وزالت أتراحنا. قال ابن حمدون: ومع ذلك لم يزل الخليفة في عبوس ولم يتبسّم لما فيه فرح النفوس مع إن عادته أنه يحب اللهو والطرب ودفع الهموم، وأنا أعرف أنه غير حسود ولا ظلوم. فقلت في نفسي: يا ترى، ما سبب عبوسه وعدم زوال بؤسه؟

ثم جاؤوا بطبق الشراب ومجمع شمل الأحباب وأحضروا الشراب المروق وبواطي الذهب والبلور والفضة، وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران وإذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث جوار نهد أبكار وجوههن كالشمس في رابعة النهار، وتلك الجواري ما بين عوّادة وجنكية ورقاصة. ثم قدم لنا النقل والفواكه. قال ابن حمدون: فضرب بيننا وبين الثلاث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الإبريسم وحلقاتها من الذهب، فلم يلتفت الخليفة إلى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده. فقال الخليفة لصاحب الدار: شريف أنت؟ قال: لا يا سيدي، إنما أنا رجل من أولاد التجار أعرف بين الناس بأبي الحسن علي بن أحمد الخراساني. فقال له الخليفة: أتعرفني يا رجل؟ قال: والله يا سيدي لم يكن لي معرفة بأحد من جنابكم. فقال له ابن حمدون: يا رجل، هذا أمير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكّل على الله. فقام الرجل وقبّل الأرض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال: يا أمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين، إن كنت رأيت مني تقصيراً أو قلة أدب بحضرتك أن تعفو عني. فقال الخليفة: أما ما صنعته معنا من الإكرام فلا مزيد عليه، وأما ما أنكرته عليك هنا فإن أصدقتني حديثه واستقرّ ذلك بعقلي نجوت مني، وإن لم تعرّفني حقيقته أخذتك بحجة واضحة وعذّبتك عذاباً لم أعذّب أحداً مثله. قال: معاذ الله أن أحدّث بالمحال، وما الذي أنكرته عليّ يا أمير المؤمنين؟ فقال الخليفة: أنا من حين دخلت الدار وأنا أنظر إلى حسنها وأوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك فإذا عليها إسم جدّي المتوكّل على الله. قال: نعم. أعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله أن الحق شعارك والصدق رداؤك ولا قدرة لأحد على أن يتكلم بغير الصدق في حضرتك. فأمره بالجلوس فجلس. فقال له: حدثني. فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله بنصره وحفّك بلطائف أمره أنه لم يكن ببغداد أحد أيسر مني ولا من أبي، ولكن أخل لي ذهنك وسمعك وبصرك حتى أحدثك بسبب ما أنكرته عليّ. فقال له الخليفة: قل حديثك. فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أنه كان أبي بسوق الصيارف والعطارين والبزازين، وكان له في كل سوق حانوت ووكيل وبضائع من سائر الأصناف، وكان له حجرة داخل الدكان التي بسوق الصيارف لأجل الخلوة فيها، وجعل الدكان لأجل البيع والشراء. وكان ماله يكثر عن العدّ ويزيد عن الحدّ، ولم يكن له ولد غيري وكان محباً لي وشفوقاً عليّ. فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بوالدتي وبتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله تعالى وأبقى أمير المؤمنين. فاشتغلت باللذات وأكلت وشربت ثم اتخذت الأصحاب والأصدقاء، وكانت أمي تنهاني عن ذلك وتلومني عليه فلم أسمع منها كلاماً حتى ذهب المال جميعه وبعت العقارات ولم يبق لي شيء غير الدار التي أنا فيها، وكانت داراً حسنة يا أمير المؤمنين. فقلت لأمي: أريد أن أبيع الدار. فقالت: يا ولدي، إن بعتها تفتضح ولا تعرف لك مكاناً تأوي إليه. فقلت: هي تساوي خمسة آلاف دينار فأشتري من جملة ثمنها داراً بألف دينار ثم اتّجر بالباقي. فقالت: أتبيعني هذه الدار بهذا المقدار؟ قلت: نعم. فجاءت إلى طابق وفتحته وأخرجت منه إناء من الصيني فيه خمسة آلاف دينار، فتخيّل لي أن الدار كلها ذهب. فقالت لي: يا ولدي، لا تظن أن هذا المال مال أبيك، والله يا ولدي إنه من مال أبي وكنت ادّخرته لوقت الحاجة إليه، فإني كنت في زمن أبيك غنية عن الإحتياج إلى هذا المال. فأخذت المال منها يا أمير المؤمنين وعدت لما كنت عليه من المأكل والمشرب والصحبة حتى نفدت الخمسة

آلاف دينار، ولم أقبل من أمي كلاماً ولا نصيحة. ثم قلت لها: مرادي أن أبيع الدار. فقالت: يا ولدي، قد نهيتك عن بيعها لعلمي انك محتاج إليها فكيف تريد بيعها ثانياً؟ فقلت لها: لا تطيلي عليّ الكلام فلا بد من بيعها. فقالت: بعني إياها بخمسة عشر الف دينار بشرط ان أتولى امورك بنفسي. فبعتها لها بذلك المبلغ على ان تتولى اموري بنفسها. فطلبت وكلاء ابي وأعطت كل واحد منهم الف دينار، وجعلت المال تحت يدها والأخذ والعطاء معها. وأعطتني بعضاً من المال لاتّجر فيه وقالت لي: اقعد انت في دكان ابيك. ففعلت بما قالت امي يا امير المؤمنين وجئت إلى الحجرة التي في سوق الصيارف وجاء أصحابي وصاروا يشترون مني وأبيع لهم، وطاب لي الربح وكثر مالي. فلما رأتني امي على تلك الحالة الحسنة اظهرت لي ما كان مدّخراً عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب. ثم عادت لي أملاكي التي كان وقع فيها التفريط وكثر مالي كما كان ومكثت على هذا الحال مدة. وجاء وكلاء ابي فأعطيتهم البضائع ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان. فبينما أنا قاعد فيها على عادتي يا أمير المؤمنين وإذا بجارية قد اقبلت عليّ لم ترَ العيون اجمل منها منظراً فقالت: هذه حجرة أبي الحسن علي بن احمد الخراساني؟ قلت لها: نعم. قالت: أين هو؟ قلت: هو أنا. ولكن اندهش عقلي من فرط جمالها يا امير المؤمنين. ثم إنها جلست وقالت لي: قل لغلامك يزن لي ثلاثمائة دينار. فأمرته ان يزن لها ذلك المقدار، فوزنه لها فأخذته وانصرفت وأنا ذاهل العقل. فقال لي غلامي: أتعرفها؟ قلت: لا والله. قال: فلِمَ قلت لي: زن لها؟ فقلت: والله إني لم ادر ما اقول مما بهرني من حسنها وجمالها. فقام الغلام وتبعها من غير علمي ثم رجع وهو يبكي وبوجهه اثر ضربة. فقلت له: ما بالك؟ فقال: إني تبعت الجارية لانظر أين تذهب، فلما أحسّت بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت ان تتلف عيني. ثم مكثت شهراً لم ارها ولم تأت وانا ذاهل العقل في هواها يا أمير المؤمنين. فلما كان آخر الشهر وإذا بها جاءت وسلّمت عليّ، فكدت ان اطير فرحاً. فسألتني عن خبري وقالت: لعلك قلت في نفسك: ما شأن هذه المحتالة؟ كيف أخذت مالي وانصرفت؟ فقلت: والله يا سيدتي إن مالي وروحي ملك لك. فأسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلي والحلل تلعب على وجهها وصدرها ثم قالت لي: زن لي ثلاثمائة دينار. فقلت: سمعاً وطاعة. ثم وزنت لها الدنانير فأخذتها وانصرفت. فقلت للغلام: اتبعها. فتبعها ثم عاد لي وهو مبهوت. ومضت مدة وهي لم تأت. فبينما انا جالس في بعض الأيام وإذا بها قد اقبلت عليّ وتحدّثت ساعة ثم قالت لي: زن لي خمسمائة دينار فإني قد احتجت إليها. فأردت ان اقول لها: على أي شيء أعطيك مالي؟ فمنعني فرط الغرام من الكلام. وانا يا أمير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفرّ لوْني وأنسى ما أريد ان أقول وأصير كما قال الشاعر: [من الطويل]

فَما هُوَ إلاَّ أَنْ أَراها فُجاءَةً ... فَأَبْهَتُ حَتَّى لا أَكادُ أُجِيبُ

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت. فقمت وتبعتها بنفسي إلى ان وصلت إلى سوق الجواهر فوقفت على إنسان فأخذت منه عقداً والتفتت فرأتني. فقالت زن لي خمسمائة دينار. فلما نظرني صاحب العقد قام إليّ وعظّمني فقلت له: اعطها العقد وثمنه عليّ. فقال: سمعاً وطاعة. فأخذت العقد وانصرفت. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 961

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أبا الحسن الخراساني قال : فقلت له : أعطها العقد وثمنه عليّ . فأخذت العقد وانصرفت ، فتبعتها حتى جاءت إلى الدجلة ونزلت في مركب . فأوميت إلى الأرض لأقبلها بين يديها ، فذهبت وضحكت . ومكثت واقفاً أنظرها إلى أن دخلت قصراً فتأمّلته فإذا هو قصر الخليفة المتوكّل ، فرجعت يا أمير المؤمنين وقد حلّ بقلبي كل همّ في الدنيا وكانت قد أخذت مني ثلاثة آلاف دينار . فقلت في نفسي : قد أخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها . ثم رجعت إلى داري وقد حدّثت أمي بجميع ما جرى لي . فقالت لي : يا ولدي ، إياك أن تتعرّض لها بعد ذلك فتهلك . فلما رجعت إلى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخا كبيراً فقال لي : يا سيدي ، ما لي أراك متغيّر الحال ؟ يظهر عليك أثر الكآبة ،فحدّثني بخبرك . فحدّثته بجميع ما جرى لي معها . فقال لي : يا ولدي ، إن هذه من جواري قصر أمير المؤمنين وهي محظية الخليفة ، فاحتسب المال لله تعالى ولا تشغل نفسك بها ، وإذا جاءتك فاحذر أن تتعرّض لك واعلمني بذلك حتى أدبر لك أمراً لئلا يحصل لك تلف . ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار . فلما كان آخر الشهر وإذا بها قد أقبلت عليّ ، فرحت بها غاية الفرح . فقالت لي : ما حملك على أنك تبعتني ؟ فقلت لها : حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي . وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت : والله ما في قلبك شيء من الغرام إلا وفي قلبي أكثر منه ، ولكن كيف أعمل ؟ والله ما لي من سبيل غير إني أراك في كل شهر مرة . ثم دفعت إليّ ورقة وقالت : خذ هذه إلى فلان الفلاني فإنه وكيلي واقبض منه ما فيها . فقلت : ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداك . فقالت : سوف أدبر لك أمراً يكون فيه وصولك إليّ وإن كان فيه تعب لي ثم ودّعتني وانصرفت . فجئت إلى الشيخ العطار وأخبرته بما جرى لي . فجاء معي إلى دار المتوكل فرأيتها هي المكان الذي دخلت فيه الجارية . فصار الشيخ العطار متحيّراً في حيلة يفعلها . ثم التفت فرأى خياطاً قبال الشباك المطل على الشاطىء وعنده صناع . فقال : بهذا تنال مرادك ، ولكن افتق جيبك وتقدّم إليه وقل له أن يخيطه لك ، فإذا خاطه فادفع له عشرة دنانير . فقلت له : سمعاً وطاعة . ثم توجهت إلى ذلك الخياط وأخذت معي شقّتين من الديباج الرومي وقلت له : فصّل هاتين أربعة ملابس : اثنين فرجية واثنين غير فرجية . فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها أعطيته أجرتها زيادة عن العادة بكثير . ثم مدّ يده إلي بتلك الملابس فقلت : خذها لك ولمن حضر عندك . وصرت أقعد عنده وأطيل القعود معه . ثم فصّلت عنده غيرها وقلت له : علّقه على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه . ففعل ، وصار كل من خرج من قصر الخليفة وأعجبه شيء من الملابس وهبته له حتى البوّاب . فقال لي الخياط يوماً من الأيام : أريد يا ولدي أن تصدقني حديثك ، لأنك فصّلت عندي مائة حلّة ثمينة وكل حلّة تساوي جملة من المال ووهبت غالبها للناس ، وهذا ما هو فعل تاجر ! لأن التاجر يحاسب على الدرهم . وما مقدار رأس مالك حتى تعطي هذه العطايا؟ وما يكون مكسبك في كل عام ؟ فاخبرني خبراً صحيحاً حتى أعاونك على مرادك . ثم قال : أناشدك الله ، أما أنت عاشق؟ قلت : نعم . فقال : لمن ؟ قلت : لجارية من جواري قصر الخليفة . فقال : قبّحهن الله كم يفتنّ الناس . ثم قال لي : فهل تعرف اسمها؟ قلت : لا . فقال : صفها لي . فوصفتها له . فقال : ويلاه هذه عوّادة الخليفة

المتوكّل المحظية عنده، لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سبباً في اتصالك بها. فبينما نحن في الحديث وإذا بالمملوك مقبل من باب الخليفة وهو كأنه القمر في ليلة أربعة عشر، وبين يدي الثياب التي خاطها لي الخياط وكانت من الديباج من سائر الألوان. فصار ينظر إليها ويتأمّل ثم أقبل عليّ فقمت إليه وسلّمت عليه فقال: من أنت؟ فقلت: رجل من التجار. قال: أتبيع هذه الثياب؟ قلت: نعم. فأخذ منها خمسة وقال: بكم هذه الخمسة؟ فقلت: هي هدية مني إليك عقد صحبة بيني وبينك. ففرح بها ثم جئت إلى بيتي وأخذت له ملبوساً مرصّعاً بالجواهر واليواقيت قيمته ثلاثة آلاف دينار وتوجهت به إليه. فقبله مني ثم أخذني ودخل بي حجرة في داخل القصر وقال لي: فما اسمك بين التجار؟ فقلت له: رجل منهم. فقال: قد رابني أمرك. فقلت: لماذا؟ قال: لأنك أهديت لي شيئاً كثيراً ملكت به قلبي، وقد صحّ عندي أنك أبو الحسن الخراساني الصيرفي. فبكيت يا أمير المؤمنين. فقال لي: لم تبك؟ فوالله إن التي تبكي من أجلها عندها من الغرام بك أكثر مما عندك من الغرام بها وأعظم، وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك. ثم قال لي: وأي شيء تريد؟ فقلت: أريد أنك تساعدني على بليتي. فوعدني إلى غد، فمضيت إلى داري. فلما أصبحت توجهت إليه ودخلت حجرته. فلما جاء قال: أعلم أنها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالأمس ودخلت حجرتها حدّثتها بحديثك جميعه وقد عزمت على الإجتماع بك، فاقعد عندي إلى آخر النهار. فقعدت عنده. فلما جن الليل وإذا بالمملوك أتى ومعه قميص منسوج من الذهب وحلّة من حلل الخليفة، فألبسني إياها وبخّرني فصرت أشبه الخليفة، ثم أخذني إلى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لي: هذه حجر الجواري الخاص، فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا في كل ليلة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 962

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن المملوك لما قال لأبي الحسن: فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا إلى أن تأتي إلى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر، فإذا وصلت إليها فمسّها بيدك وإن شئت فعد الأبواب فهي كذا وكذا باباً، فادخل الباب الذي علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك عندها. وأما خروجك فإن الله يهون عليّ فيه ولو أخرجك في صندوق. ثم تركني ورجع وصرت أمشي وأعد الأبواب وأضع على كل باب حبة فول. فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع وأقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني، فتأمّلته فإذا هو الخليفة وحوله الجواري ومعهن الشمع. فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبتها: يا أختي، هل نحن لنا خليفتان؟ إن الخليفة قد جاز على حجرتي وشممت منه رائحة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته، وفي هذه الساعة أرى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل معه. فقالت: إن هذا أمر عجيب لأن التزيي بزي الخليفة لا يجسر عليه أحد. ثم قرب الضوء مني فارتعدت أعضائي وإذا بخادم يصيح على الجواري ويقول: ههنا. فانعطفوا إلى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا إلى بيت صاحبتي. فسمعت الخليفة يقول: هذه حجرة مَن؟ فقالوا: هذه حجرة شجرة الدر. فقال: نادوها. فنادوها، فخرجت

وقبّلت أقدام الخليفة. فقال لها: أتشربين الليلة؟ فقالت: إن لم يكن لحضرتك والنظر إلى طلعتك فلا أشرب فإنني لا أميل إلى الشراب في هذه الليلة. فقال للخادم: قل للخازن يدفع لها العقد الفلاني. ثم أمر بالدخول إلى حجرتها. فدخلت بين يديه الشموع وإذا بجارية أمامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي بيدها فقربت مني وقالت: من هذا؟ ثم قبضت عليّ واخذتني إلى حجرة من الحجر وقالت لي من انت؟ فقبّلت الأرض بين يديها وقلت لها: أناشدك الله يا مولاتي أن تحقني دمي وترحميني وتتقربي إلى الله بإنقاذ مهجتي. وبكيت فزعاً من الموت. فقالت: لا شك أنك لص. فقلت: لا والله ما أنا لص، فهل تري عليّ أثر اللصوص؟ فقالت: أصدقني خبرك وأنا أجعلك في أمان. فقلت: أنا عاشق جاهل أحمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت في هذه الورطة. فقالت: قف هنا حتى أجيء إليك. ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها والبستني تلك الثياب في تلك الزاوية وقالت: أخرج خلفي. فخرجت خلفها حتى وصلت إلى حجرتها وقالت: أدخل هنا. فدخلت حجرتها فجاءت بي إلى سرير وعليه فرش عظيم وقالت: إجلس لا بأس عليك، اما أنت ابو الحسن الخراساني الصيرفي؟ قلت: بلى. قالت: قد حقن الله دمك إن كنت صادقاً ولم تكن لصاً، فإنك تهلك لا سيما وأنت في زي الخليفة ولباسه وبخوره. وأما إن كنت أبا الحسن علي الخراساني الصيرفي فإنك قد أمنت ولا بأس عليك لأنك صاحب شجرة الدر التي هي أختي، فإنها لا تقطع ذكرك أبداً وتخبرنا كيف أخذت منك المال ولم تتغيّر، وكيف جئت خلفها إلى الشاطىء وأوميت لها إلى الأرض تعظيماً، وفي قلبها منك النار أكثر مما في قلبك منها. ولكن كيف وصلت إلى ها هنا أبأمرها أم بغير أمرها! بل خاطرت بنفسك، وما مرادك من الاجتماع بها؟ فقلت: والله يا سيدتي، إني أنا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الإجتماع بها إلا النظر والإستماع لحديثها. فقالت: أحسنت. فقلت: يا سيدتي، الله شهيد على ما أقول، إن نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية. فقالت: بهذه النية نجّاك الله ووقعت رحمتك في قلبي. ثم قالت لجاريتها: يا فلانة، إمضي إلى شجرة الدر وقولي لها: إن أختك تسلّم عليك وتدعوك، فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فإن صدرها ضيق. فتوجهت إليها ثم عادت وأخبرتها أنها تقول: متّعني الله بطول حياتك وجعلني فداك، والله لو دعوتني إلى غير هذا ما توقفت، لكن يضرني صداع الخليفة وأنت تعلمين منزلتي عنده. فقالت للجارية: إرجعي إليها وقولي لها: إنه لا بد من حضورك لسرّ بينك وبينها. فتوجهت إليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضيء كأنه البدر، فقابلتها واعتنقتها وقالت: يا أبا الحسن أخرج إليها وقبّل يديها. وكنت في مخدع في داخل الحجرة، فخرجت إليها يا أمير المؤمنين فلما رأتني ألقت نفسها عليّ وضمّتني إلى صدرها وقالت لي: كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره؟ ثم قالت: حدثني بما جرى لك. فحدّثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره. فقالت: يعزّ عليّ ما قاسيته من أجلي والحمد لله الذي جعل العقبة إلى السلامة، وتمام السلامة دخولك في منزلي ومنزل أختي. ثم أخذتني إلى حجرتها وقالت لأختها: إني قد عاهدته أن لا أجتمع معه في الحرام، ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لأكونن أرضاً لوطء قدميه وتراباً لنعليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 963

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت لأختها : إني قد عاهدته اني لا أجتمع معه في الحرام ، ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذه الأهوال لأكونن أرضًا لوطء قدميه وتراباً لنعليه . فقالت لها أختها : بهذه النية نجّاه الله تعالى . فقالت : سوف ترين ما أصنع حتى أجتمع معه في الحلال ، فلا بد ان ابذل مهجتي في التحيّل على ذلك . فبينما نحن في الحديث وإذا بضجة عظيمة ، فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها . فأخذتني يا امير المؤمنين وحطّتني في سرداب وطبقته عليّ وخرجت تقابل الخليفة فلاقته . ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته ، ثم أمرت بإحضار الشراب ، وكان الخليفة يحب جارية إسمها البنجة وهي أم المعتز بالله ، وكانت تلك الجارية قد هجرته وهجرها ، فلعزّ الحسن والجمال لا تصالحه والمتوكل لعزّة الخلافة والمُلك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع ان في قلبه منها لهيب النار ، ولكنه تشاغل عنها بنظرائها من الجواري والدخول إليهن في حجراتهن . وكان يحب غناء شجرة الدر فأمرها بالغناء . فأخذت العود وشدّت الأوتار وغنّت بهذه الأشعار : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وبَيْنَها ... فَلَمَّا ٱنْقَضَى ما بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْرُ
هَجَرْتُكِ حَتَّى قِيلَ لا يَعْرِفُ الهَوَى ... وزُرْتُكِ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
فَيا حُبُّها زِدْنِي جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... ويا سَلْوَةَ الأَيَّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ
لَها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ ومَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الحَواشِي لا هَراءٌ ولا نَزْرُ
وعَيْنانِ قالَ اللهُ كُونا فَكانَتا ... فَعُولانِ بالألْبابِ ما تَفْعَلُ الخَمْرُ

فلما سمعها الخليفة طرب طرباً شديداً وطربت أنا يا امير المؤمنين في السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتضحنا . ثم انشدت أيضاً هذه الأبيات : [من الطويل]

أُعانِقُهُ والنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ ... إلَيْهِ وهَلْ بَعْدَ العِناقِ تَدانِ
وأَلْثُمُ فاهُ كَي تَزُولَ حَرارَتِي ... فَيَشْتَدُّ ما أَلْقَى مِنَ الهَيَمانِ
كأَنَّ فُؤادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ ... سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَيْنِ يَمْتَزِجانِ

فطرب الخليفة وقال : تمني عليّ يا شجرة الدر . فقالت : اتمنى عليك عتقي يا امير المؤمنين لما فيه من الثواب . فقال : انت حرة لوجه الله تعالى . فقبّلت الأرض بين يديه فقال : خذي العود وقولي لنا شيئًا في شأن جاريتيَ التي انا متعلّق بهواها والناس تطلب رضاي وأنا اطلب رضاها . فأخذت العود وانشدت هذين البيتين : [من الطويل]

أَيا رَبَّةَ الحُسْنِ التي أَذْهَبَتْ نُسْكِي ... عَلى كُلِّ أَحْوالِي فَلا بُدَّ لي مِنْكِ
فَإِمّا بِذُلٍّ وَهْوَ أَلْيَقُ بِالهَوَى ... وإمَّا بِعِزٍّ وَهْوَ أَلْيَقُ بالمُلْكِ

فطرب الخليفة وقال : خذي العود وغنّي شعراً يتضمن شرح حالي مع ثلاث جوار ملكن قيادي ومنعن رقادي وهن : انت وتلك الجارية الهاجرة وأخرى لا أسميها ليس لها مناظرة . فأخذت العود وأطربت بالنغمات وانشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

مَلَكَ الثُّلاثُ الآنِساتُ عِنانِي ... وحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي أَعَزَّ مَكانِي

ما لي تُطاوِعُني البَرِيَّةُ كُلُّها　　وأُطِيعُهُنَّ وهُنَّ في عِصْيانِي
ما ذاكَ إلاَّ أَنَّ سُلْطانَ الهَوَى　　وبِهِ غَلَبْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطاني

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به إلى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب. ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية وأخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبّلت الأرض بين يديه ثم قبّلت قدميه، فصالحها وصالحته. هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر شجرة الدر، فإنها جاءت إليّ وهي فرحانة وقالت: إني صرت حرة بقدومك المبارك ولعل الله يعينني على ما أدبره حتى أجتمع بك في الحلال. فقلت: الحمد لله. فبينما نحن في الحديث وإذا بخادمها قد دخل علينا فحدّثناه بما جرى لنا. فقال: الحمد لله الذي جعل آخره خيراً، ونسأل الله أن يتم ذلك بخروجك سالماً. فبينما نحن في الحديث وإذا بالجارية أختها قد جاءت وكان اسمها فاتر. فقالت: يا أختي، كيف نعمل حتى نخرجه من القصر سالماً، فإن الله تعالى منّ عليّ بالعتق وصرت حرّة ببركة قدومه. فقالت لها: ليس لي حيلة في خروجه إلا بأن ألبسه ثياب النساء. ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فألبستنيها ثم خرجت يا أمير المؤمنين في ذلك الوقت. فلما جئت إلى وسط القصر وإذا بأمير المؤمنين جالس والخدم بين يديه، فنظر إليّ وأنكرني غاية الإنكار وقال لحاشيته: أسرعوا وأتوني بهذه الجارية الذاهبة. فلما أتوا بي رفعوا نقابي، فلما رآني عرفني وسألني فأخبرته بالخبر ولم أخف عليه شيئًا. فلما سمع حديثي تفكّر في أمري ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال: كيف تختارين عليّ بعض أولاد التجار؟ فقبّلت الأرض بين يديه وحدّثته بحديثها من أوله إلى آخره على وجه الصدق. فلما سمع كلامها رحمها ورقّ قلبه لها وعذرها في العشق وأحواله ثم انصرف. ودخل عليها خادمها وقال لها: طيبي نفساً إن صاحبك لما حضر بين يدي الخليفة سأله فأخبره كما أخبرته حرفاً بحرف. ثم رجع الخليفة وأحضرني بين يديه وقال لي: ما حملك على التجاري على دار الخلافة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، حملني على ذلك جهلي والصبابة والإقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت وقبّلت الأرض بين يديه. فقال: عفوت عنكما. ثم أمرني بالجلوس فجلست، فدعا بالقاضي أحمد بن أبي دؤاد وزوّجني بها وأمر بحمل جميع ما عندها إليّ وزفّوها عليّ في حجرتها، وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك إلى بيتي. فجميع ما تنظره يا أمير المؤمنين في بيتي وتنكره كله من جهازها. ثم إنها قالت لي يوماً من الأيام: أعلم أن المتوكّل رجل كريم وأخاف أن يتذكّرنا أو يذكرنا عنده أحد من الحساد فأريد أن أعمل شيئًا يكون فيه الخلاص من ذلك. قلت: وما هو؟ قالت: أريد أن أستأذنه في الحج والتوبة من الغناء. فقلت لها: نِعم الرأي الذي أشرت إليه. فبينما نحن في الحديث وإذا برسول الخليفة قد جاءني في طلبها لأنه كان يحب غناءها، فمضت وخدمته. فقال لها: لا تنقطعي عنّا. فقالت: سمعاً وطاعة. فاتفق أنها ذهبت إليه في بعض الأيام وكان قد أرسل إليها على جري العادة، فلم أشعر إلا وقد جاءت من عنده ممزّقة الثياب باكية العين. ففزعت من ذلك وقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وتوهّمت أنه أمر بالقبض علينا. فقلت لها: هل المتوكّل غضب علينا؟ فقالت: وأين المتوكّل؟ إن المتوكّل قد انقضى حكمه وانمحى رسمه. فقلت: أخبريني بحقيقة الأمر. فقالت: إنه كان جالساً وراء الستارة يشرب وعنده الفتح بن خاقان وصدقة بن صدقة، فهجم عليه المنتصر هو وجماعة من الأتراك فقتله وانقلب السرور بالشرور

والحظ الجميل بالبكاء والعويل، فهربت أنا والجارية وسلمنا الله. ثم قمت في الحال يا أمير المؤمنين وانحدرت إلى البصرة وجاءني الخبر بعد ذلك بوقوع الحرب بين المنتصر والمستعين، فخفت فنقلت زوجتي وجميع مالي إلى البصرة. وهذه حكايتي يا أمير المؤمنين لا زدتها حرفاً ولا نقصتها حرفاً، فجميع ما نظرته في بيتي يا أمير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا، لأن أصل نعمتنا من أصولك الأكرمين، وأنتم أهل النعم ومعدن الكرم. ففرح الخليفة بذلك فرحاً شديداً وتعجب من حديثه. ثم أخرجت للخليفة الجارية وأولادي منها، فقبلوا الأرض بين يديه، فتعجب من جمالهم واستدعى بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن أملاكنا عشرين سنة. ففرح الخليفة واتخذه نديماً إلى أن فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور. فسبحان الملك الغفور.

86 - حكاية قمر الزمان وزوجة الجوهري

ومما يحكى أيضاً أيها الملك السعيد، أنه كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن، قد رزقه الله بنتاً وولداً فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها، وسمى الولد قمر الزمان لشدة حسنه. ولما نظر ما أعطاهما الله من الحسن والجمال والبهاء والإعتدال خاف عليهما من أعين الناظرين والسنة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيل الفاسقين، فحجبهما عن الناس في قصر مدة أربعة عشر سنة ولم يرهما أحد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما. وكان والدهما يقرأ القرآن كما أنزله الله، وكذلك أمهما تقرأ القرآن. فصارت الأم تقرىء بنتها والرجل يقرىء ولده حتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهما وأمهما ولم يحتاجا إلى معلم. فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته: إلى متى وأنت حاجب ولدك قمر الزمان عن أعين الناس؟ أهو بنت أو غلام؟ فقال لها: غلام. قالت: حيث كان غلاماً لِمَ لم تأخذه معك إلى السوق وتقعده في الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لأجل أن يشتهر عندهم أنه ابنك وتعلمه البيع والشراء؟ وربما يحصل لك أمر فيكون الناس قد عرفوا أنه ولدك فيضع يده على مخلفاتك. وأما إذا مت على هذه الحالة وقال للناس: أنا ابن التاجر عبد الرحمن. فإنهم لا يصدقونه بل يقولون له: ما رأيناك ولا نعرف أن له ولداً. وتأخذ أموالك الحكام ويصير ولدك محروماً وكذلك البنت، مرادي أن أشهرها عند الناس لعل أحداً كفواً لها يخطبها فنزوجها له ونفرح بها. فقال لها: مخافة عليهما من أعين الناس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 964

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها: مخافة عليهما من أعين الناس لأني محب لهما والمحب شديد الغيرات وقد أحسن من قال هذه الأبيات:

[من الوافر]

أَغارُ عَلَيْكَ مِنْ نَظَري ومِنّي ... ومِنْكَ ومِنْ مَكانِكَ والزَّمانِ

وَلَوْ أَنـّي وَضَعْتُكَ في عُيُوني دَواماً ما سَئِمْتُ مِنَ التَّداني
وَلَوْ وَاصَلْتَنِي في كُلِّ يَوْمٍ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ما كَفاني

فقالت له زوجته : توكّل على الله ولا بأس على من يحفظه الله وخذه في هذا اليوم معك إلى الدكان . ثم إنها ألبسته بدلة من أفخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة في قلوب العاشقين ، وأخذه أبوه معه ومضى به إلى السوق . فصار كل من رآه يفتتن به ويتقدّم إليه ويبوس يده ويسلّم عليه ، وصار أبوه يشتم الناس حيث تبعوه لقصد الفرجة . وصار البعض من الناس يقول : إن الشمس قد طلعت في المحل الفلاني وأشرقت في السوق . والبعض يقول : مطلع البدر في الجهة الفلانية . والبعض يقول : ظهر هلال العيد على عباد الله . وصاروا يلمحون إلى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لأبيه خجل من كلام الناس ولا يقدر أن يمنع أحداً منهم عن الكلام ، وصار يشتم أمه ويدعو عليها لأنها هي التي كانت سبباً في خروجه . والتفت أبوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه وهو ماش إلى أن وصل إلى الدكان ، ففتح الدكان وجلس وأجلس ولده قدامه والتفت إلى الناس فرآهم قد سدّوا الطريق ، وصار كل من مرّ به من رايح وغاد يقف قدام الدكان وينظر إلى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر أن يفارقه . وانعقد عليه إجماع النساء والرجال متمثّلين بقول من قال : [من المتقارب]

خَلَقْتَ الجَمالَ لَنا فِتْنَةً وقُلْتَ لَنا يا عِبادِي اتَّقُونْ
فأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الجَمالَ فَكَيْفَ عِبادُكَ لا يَعْشَقُونْ

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفاً نساء ورجالاً لديه ، شاخصين لولده ، خجل غاية الخجل وصار متحيّراً في أمره ولم يدر ماذا يصنع . فلم يشعر إلا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد أقبل عليه من طرف السوق ، ثم تقدم إلى الغلام وصار ينشد الأشعار ويرخي الدموع الغزار . فلما رأى قمر الزمان جالساً كأنه قضيب البان ، نابت على كثيب من الزعفران . أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين : [من المنسرح]

رَأَيْتُ غُصْناً عَلى كَثِيبٍ شَبِيهَ بَدْرٍ إذا تَلالا
فَقُلْتُ : ما الإسم قالَ : لُؤْلُؤْ فَقُلْتُ : لي لي فَقالَ : لالا

ثم إن الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى ، فانشق لهيبته قلب الزحام . فلما نظر إلى الغلام اندهش منه العقل والناظر وانطبق عليه قول الشاعر : [من السريع]

فَبَيْنَما ذاكَ المَلِيحُ في مَحَلْ مِنْ وَجْهِهِ هِلالُ عِيدِ الفِطْرِ طَلْ
إذا بِشَيْخٍ ذي وَقارٍ قَدْ أَهَلْ يَمْشي ولَكِنْ مَشْيُهُ على مَهَلْ
يُرَى عَلَيْهِ أَثَرٌ لِلزُّهْدِ
قَدْ مارَسَ الأَيّامَ واللَّيالي وخاضَ في الحَرامِ والحَلالِ
وهامَ بِالنِّساءِ والرِّجالِ ورَقَّ حَتَّى صارَ كالخِلالِ
وعادَ عَظْماً بالِياً في جِلْدِ

وكانَ في ذا الفنِّ أَعْجَمِيًّا   الشَّيْخُ عِنْدَهُ يُرَى صَبِيًّا
وفي مَحبَّةِ النِّساءِ عُذْرِيًّا   في الخَصْلَتَينِ ماهِراً غَوِيًّا
فَزَيْنَبٌ لَدَيْهِ مِثْلُ زَيْدِ

يَهِيمُ بالحَسْنا ويَهْوَى الحُسْنا   ويَنْدُبُ الرَّبْعَ ويَبْكِي الدِّمْنا
تَخالُهُ مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ غُصْنا   مَعْ الصَّبا إلى هناكَ أَوْ هُنا
إنَّ الجُمُودَ مِنْ طِباعِ الصَّلْدِ

وكانَ في فَنِّ الهَوَى خَبِيرا   مُسْتَيْقِظاً في أَمْرِهِ بَصِيرا
وجابَ مِنْهُ السَّهْلَ والعَسِيرا   وعانَقَ الظَّبْيَةَ والغَرِيرا
وهامَ بالشِّيبِ مَعًا والمُرْدِ

ثم تقدّم إلى الولد وأعطاه عرق ريحان فمدّ أبوه يده إلى جيبه وأخرج له ما تيسّر من الدراهم وقال: خذ نصيبك يا درويش واذهب إلى حال سبيلك. فأخذ منه الدراهم وجلس على مصطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر إلى الولد ويبكي ويتحسّر حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابعة. فصارت الناس تنظر إليه وتعترض عليه وبعضهم يقول: كل الدراويش فساق. وبعضهم يقول: إن الدرويش في قلبه من عشق الولد احتراق. وأما أبوه فإنه لما عاين هذا الحال قام وقال: قم يا ولدي حتى نقفل الدكان ونروح إلى بيتنا ولا يتبقى لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء، الله تعالى يجازي أمك بما فعلت معنا فإنها هي التي تسبّبت في هذا كله. ثم قال: يا درويش، قم حتى أقفل الدكان. فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه وأخذ ولده ومشى. فتبعهما الدرويش والناس إلى أن وصلا إلى منزلهما. فدخل الولد المنزل والتفت التاجر إلى الدرويش وقال له: ما تريد يا درويش؟ وما لي أراك تبكي؟ فقال: يا سيدي، أريد أن أكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى. فقال: مرحباً بضيف الله، أدخل يا درويش. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 965

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان: أنا ضيف الله. فقال له التاجر: مرحباً بضيف الله، أدخل يا درويش. وقال التاجر في نفسه: إن كان هذا الدرويش عاشقاً للولد وطلب منه فاحشة فلا بد أن أقتله في هذه الليلة وأخفي قبره، وإن كان ما عنده فساد فإن الضيف يأكل نصيبه. ثم إنه أدخل الدرويش هو وقمر الزمان في قاعة وقال سراً لقمر الزمان: يا ولدي، إجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد أن أخرج من عندكما، فإن طلب منك فساداً فأنا أكون ناظراً لكما من الطاقة المطلة على القاعة فأنزل إليه وأقتله. ثم إن الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة قعد بجانب الدرويش، فصار الدرويش ينظر إليه ويتحسّر ويبكي وإذا كلمه الولد يردّ عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت إلى الولد ويتنهد ويبكي إلى أن أتى العشاء، فصار يأكل وعينه من الولد ولا يفترّ عن البكاء. فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال أبو الولد: يا ولدي، تقيد بخدمة عمك الدرويش

ولا تخالفه . وأراد أن يخرج فقال له الدرويش : يا سيدي ، خذ ولدك معك أو نم عندنا . قال : لا . وها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيئًا فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك . ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التي هما فيها . هذا ما كان من أمر التاجر . وأما ما كان من أمر الولد فإنه تقدّم إلى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه . فاغتاظ الدرويش وقال له : ما هذا الكلام يا ولدي ؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، اللهم إن هذا منكر لا يرضيك ، إبعد عني يا ولدي . ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيدًا عن الولد فتبعه الولد ورمى روحه عليه وقال له : لأي شيء يا درويش تحرم نفسك من لذّة وصالي وإنا قلبي يحبك ؟ فازداد غيظ الدرويش وقال له : إن لم تمتنع عني ناديت أباك وأخبره بخبرك . فقال له : إن أبي يعرف أنني بهذه الصفة ولا يمكن أنه يمنعني فاجبر بخاطري ، لأي شيء تمتنع عني ؟ أما أعجبتك ؟ فقال له : والله يا ولدي ما أفعل ذلك ولو قطّعت بالسيوف البواتر . وأنشد قول الشاعر :[من الخفيف]

إنَّ قَلْبِي يَهْوَى المِلاحَ ذُكُورًا ... وإناثاً ولَسْتُ بالمُتَواني
بَلْ أراهُمْ أَصائِلاً وبُكُورًا ... لَمْ أَكُنْ لائِطاً ولا أنا زانِي

ثم بكى وقال له : قم إفتح لي الباب حتى أروح إلى حال سبيلي ، أنا ما بقيت أنام في هذا المكان . ثم قام على قدميه فتعلّق به الولد وصار يقول له : أنظر لإشراق وجهي وحمرة خدي ولين معاطفي ورقة شفايفي . ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقي ورنا إليه بلحظ يعجز السحر والراقي . وكان بديع الجمال رخيم الدلال كما قال فيه بعض من قال :[من الكامل]

لَمْ أَنْسَهُ مُذْ قامَ يَكْشُفُ عامِداً ... عَنْ ساقِهِ كاللُّؤْلُؤِ البَرَّاقِ
لا تَعْجَبُوا مِنْ أَنْ تَقُومَ قِيامَتِي ... إنَّ القِيامَةَ يَوْمَ كَشْفِ السَّاقِ

ثم بيّن له الغلام صدره وصار يقول له : انظر إلى نهودي فإنها أحسن من نهود البنات وريقي أحلى من السكر النبات ، فدع الورع والزهادة وخلّنا من النسك والعبادة واغتنم وصالي وتملّ بجمالي ولا تخف من شيء أبدًا وعليك الأمان من الردى واترك هذه البلادة فإنها بئست العادة . وصار يريه ما خفي من محاسنه ويبديه ويثني عنان عقله بتثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول : أعوذ بالله ، استحي يا ولدي إن هذا شيء حرام لا أفعله ولا في المنام . فشدّد عليه الغلام فانفلت منه الدرويش واستقبل القبلة وصار يصلّي . فلما رآه يصلّي تركه حتى صلّى ركعتين وسلّم وأراد أن يتقدم إليه فنوى الصلاة ثاني مرة وصلّى ركعتين . ولم يزل يفعل هكذا ثالثاً ورابعاً وخامساً . فقال له الولد : وما هذه الصلاة ؟ وهل مرادك أن تطير على السحاب ؟ أضعت حظنا وأنت طول الليل في المحراب . ثم إن الغلام ارتمى عليه وصار يبوّسه بين عينيه . فقال له : يا ولدي ، اخز عنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن . فقال له : إن لم تفعل بي ما أريد أنادي أبي وأقول له : إن الدرويش يريد أن يفعل بي الفاحشة . فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك . كل هذا وأبوه ينظر بعينه ويسمع بأذنه ، فثبت عند أبي الولد أن الدرويش ما عنده فساد وقال في نفسه : لو كان هذا الدرويش مفسودًا ما كان يتحمل هذه المشقة كلها . ثم إن الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلاة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ وأغلظ على

الولد وضربه . فبكى الولد ، فدخل عليه أبوه ومسح دموعه وأخذ بخاطره وقال للدرويش : يا اخي ، حيث كنت على هذه الحالة لأي شيء تبكي وتتحسّر حين رأيت ولدي؟ هل لهذا من سبب؟ قال له : نعم . فقال له : أنا لما رأيتك تبكي عند رؤيته ظننت فيك السوء ، فأمرت الولد بهذا الأمر حتى أجربك وأضمرت أني إذا رأيتك تطلب منه فاحشة أدخل عليك وأقتلك . فلما رأيت ما وقع منك عرفت أنك من الصلاح على غاية ، ولكن بالله عليك أن تخبرني بسبب بكائك . فتنهد الدرويش وقال له : يا سيدي ، لا تحرّك عليّ ساكن الجراح . فقال : لا بد أن تخبرني . فقال : أعلم أنني درويش سياح في البلاد والأقطار لأعتبر بآثار خالق الليل والنهار . فاتفق أنني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 966

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الدرويش لما قال للتاجر : أعلم أنني درويش سياح فاتفق أني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوية النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الأصناف والبضائع والمأكل والمشرب وهي خالية ، ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد ، وليس في الشوارع والأسواق كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا إنس . فتعجبت من ذلك وقلت : يا ترى ، اين راح اهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم ؟ وما فعل الله بهم ؟ وكنت جائعاً فاخذت عيشاً سخناً من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبسست العيش بالسمن والعسل وأكلت ، وطلعت دكان شربات فشربت ما أردت ، ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها أحد وشربت كفايتي وقلت : إن هذا الشيء عجيب ! كأن أهل هذه المدينة أتاهم الموت فماتوا كلهم في هذه الساعة أو خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا أن يقفلوا دكاكينهم . فبينما انا افكر في الأمر وإذا بصوت نوبة تدق ، فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت انظر من خلال الخروف ، فرأيت جواري كأنهن الأقمار وقد مشين في السوق زوجاً زوجاً من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهنّ أربعون زوجًا بثمانين جارية ، ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدر أن ينقل أقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر . وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بأفخر الزينة ولابسة افخر الملبوس ، وفي عنقها عقد من الجواهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها أساور تضيء كالنجوم وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصّعة بالمعادن ، والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها ، وبين يديها جارية مقلّدة بسيف عظيم قبضته من زمرد وعلائقه من ذهب مرصّع بالجواهر . فلما وصلت تلك الصبية إلى الجهة التي قدامي حبست عنان الجواد وقالت : يا بنات ، إني قد سمعت حس شيء في داخل هذا الدكان ففتشنه لئلا يكون فيه احد مستخف ومراده أن يتفرّج علينا ونحن مكشوفات الوجوه . ففتشن الدكان الذي قدام القهوة التي أنا مستخف فيها وبقيت أنا خائفاً ، فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها : يا سيدتنا ، قد رأينا هنا رجلاً وها هو بين يديك . فقالت للجارية التي معها السيف : إرمي عنقه . فتقدّمت إليه الجارية وضربت عنقه ثم تركنه مطروحًا على الأرض ومضين . ففزعت أنا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلّق قلبي بعشق الصبية ، وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل

من كان له دكان يدخلها، ودرجت الناس في الأسواق والتموّا على المقتول يتفرّجون عليه. فخرجت أنا من المكان الذي كنت فيه سراً ولم ينتبه لي احد ولكن تملّك قلبي عشق تلك الصبية فصرت اتجسس عليها سراً فلم يخبرني احد عنها بخبر. ثم إني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة. فلما رأيت ابنك هذا رأيته أشبه الناس بتلك الصبية، فأذكرني بها وهيّج علي نار الغرام وأضرم بقلبي لهيب وهذا سبب بكائي. ثم إنه بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد. وقال: يا سيدي، بالله عليك ان تفتح لي الباب حتى اذهب إلى حال سبيلي. ففتح له الباب وخرج. هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكّن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام. فلما أصبح الصباح قال لأبيه: كل أولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد، وليس منهم واحد إلا وأبوه يجهّز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها. ولأي شيء يا ابي لم تجهّز لي تجارة حتى أسافر بها وأنظر سعدي؟ فقال له: يا ولدي، إن التجار مقلون من المال فيسفّرون أولادهم من أجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا. وأما أنا فعندي اموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف اغربك وأنا لا اقدر على فراقك ساعة؟ خصوصاً وأنت فريد في الجمال والحسن والكمال واخاف عليك. فقال له: يا ابي، لا يمكن إلا ان تجهز لي متجراً لأسافر به وإلا اغافلك واهرب ولو من غير مال ولا تجارة، وإن اردت تطييب خاطري فجهّز لي بضاعة حتى اسافر واتفرّج على بلاد الناس. فلما رآه أبوه متعلّقًا بالسفر أخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها: إن ولدك يريد أن أجهز له متجراً ليسافر به إلى بلاد الغربة كربة. فقالت له زوجته: ماذا يضرّك من ذلك؟ إن هذه عادة أولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالأسفار والمكاسب. فقال لها: إن غالب التجار فقراء يطلبون كثرة المال، وأما أنا فمالي كثير. فقالت له: زيادة الخير لا تضر، وإن كنت أنت لا تسمح له بذلك فأنا أجهّز له متجراً من مالي. فقال التاجر: إني اخاف عليه من الغربة لأنها بئست الكربة. قالت: لا بأس بالإغتراب الذي فيه الإكتساب وإلا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه وتفتضح بين الناس. فقبل التاجر كلام زوجته وجهّز متجراً لولده بتسعين الف دينار، واعطته امه كيساً فيه اربعون فصاً من ثمين الجواهر، أقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت: يا ولدي، إحتفظ على هذه الجواهر فإنها تنفعك. فأخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر إلى البصرة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 967

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان قمر الزمان اخذ جميع ذلك وسافر إلى البصرة، وكان وضع الجواهر في كمر وشدّه على وسطه، ولم يزل مسافراً حتى لم يبق بينه وبين البصرة إلا مرحلة واحدة. فخرج عليه العرب وعرّوه وقتلوا رجاله وخدمه، فرقد بين قتيلين ولطّخ روحه بالدم، فظن العرب أنه مقتول فتركوه ولم يتقرّب منه أحد ثم أخذوا أمواله وراحوا. فلما راح العرب إلى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيئًا غير الفصوص التي على حزامه، ولم يزل سائراً حتى دخل البصرة. فاتفق أن دخوله كان في يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما أخبر الدرويش، فرأى الأسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهي ممتلئة بالبضائع، فأكل وشرب وصار يتفرّج. فبينما هو كذلك إذ

سمع النوبة تدق، فاختفى في دكان إلى ان جاءت البنات. فتفرّج عليها، ولما رأى الصبية راكبة اخذه العشق والغرام وملكه الوجد والهيام حتى صار لا يستطيع القيام. وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس وملأت الأسواق، فذهب إلى السوق وتوجه إلى رجل جوهري واخرج له حجراً من الأربعين يساوي الف دينار فباعه له ورجع إلى محله ثم بات تلك الليلة. فلما اصبح الصباح غيّر حوائجه ودخل الحمام وطلع كانه البدر التمام. ثم باع اربعة فصوص بأربعة آلاف دينار وصار يتفرّج في شوارع البصرة وهو لابس افخر الملابس حتى وصل إلى سوق فرأى فيه رجلاً مزيناً، فدخل عنده وحلق راسه وعمل معه صحبة ثم قال: يا والدي، انا غريب البلاد وبالأمس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها أحد من إنس ولا جان. ثم إني رأيت بناتًا وبينهن صبية راكبة في موكب واخبره بما رأى. فقال له: يا ولدي، هل اخبرت غيري بهذا الخبر؟ قال: لا. فقال له: يا ولدي، إياك ان تذكر هذا الكلام قدّام احد غيري، فإن كل الناس لا يكتمون الكلام والأسرار وانت ولد صغير فاخاف عليك ان ينتقل الكلام من ناس إلى ناس حتى يصل إلى اصحابه فيقتلوك. واعلم يا ولدي ان هذا الذي رأيته ما احد رآه ولا يعرفه في غير هذه المدينة. وأما اهل البصرة فإنهم يموتون بهذه الحسرة، وفي كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشي في الأسواق وجميع اهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الأبواب ولا يقدر أحد منهم ان يمرّ في السوق ولا ان يطل من طاقة ولا يعرف أحد ما سبب هذه البلية. ولكن يا ولدي في هذه الليلة أسأل زوجتي عن سببها فإنها داية تدخل بيوت الأكابر وتعرف أخبار هذه المدينة، فإن شاء الله تعالى تأتي عندي في غد وأنا أخبرك بما تخبرني به. فكبش كبشة من الذهب وقال: يا والدي، خذ هذا الذهب واعطه لزوجتك فإنها صارت أمي. وكبش كبشة ثانية وقال: خذ هذا لك. فقال المزين: يا ولدي، إجلس مكانك حتى اروح إلى زوجتي واسألها واجيء إليك بالخبر الصحيح. ثم تركه في الدكان وراح إلى زوجته واخبرها بشأن الغلام وقال لها: مرادي أن تخبريني بحقيقة امر هذه المدينة حتى أخبر به هذا الشاب التاجر، فإنه متولّع بالإطلاع على حقيقة أمرها من امتناع الناس والحيوانات عن الأسواق في ضحوة يوم الجمعة، واظن انه عاشق وهو كريم سخي، فإذا اخبرناه يحصل لنا منه خير كثير. فقالت له: رح هاته وقل له: تعال كلّم امك زوجتي، فإنها تقرئك السلام وتقول لك: إن الحاجة مقضية. فذهب إلى الدكان فرأى قمر الزمان قاعداً ينتظره فاخبره بالخبر وقال له: يا ولدي، إذهب بنا إلى أمك زوجتي فإنها تقول لك: إن الحاجة مقضية. ثم أخذه وسار به حتى دخل على زوجته، فرحّبت به وأجلسته. ثم إنه اخرج مائة دينار واعطاها لها وقال لها: يا أمي، اخبريني عن هذه الصبية من تكون؟ فقالت: يا ولدي، أعلم ان سلطان البصرة قد جاءته جوهرة من عند ملك الهند فأراد ان يثقبها فاحضر جميع الجوهرجية وقال لهم: أريد منكم أن تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها له عليّ تمنية، فمهما تمنّاه اعطيته له وإن كسرها فإني أرمي رأسه. فخافوا وقالوا: يا ملك الزمان، إن الجوهر سريع العطب وقلّ ان يثقبه أحد ويسلم لأن الغالب عليه الكسر فلا تحمّلنا ما لا نطيق فنحن لا يخرج من أيدينا ان نثقب هذه الجوهرة وإنما شيخنا اخبر منّا. فقال الملك: ومَن شيخكم؟ قالوا له: المعلم عبيد وهو أخبر منّا بهذه الصناعة وعنده أموال كثيرة وله معرفة جيدة. فارسل إليه واحضره بين يديك وامره ان يثقب لك هذه الجوهرة.

فارسل وأمره بثقبها وشرط عليه الشرط المذكور . فاخذها وثقبها على مزاج الملك فقال له : تمنّ عليّ يا معلم ! فقال : يا ملك الزمان إمهلني إلى غد . والسبب في ذلك إنه أراد أن يشاور زوجته ، وكانت زوجته تلك الصبية التي رأيتها في الموكب وكان يحبها محبة شديدة ، ومن عظم محبته لها أنه كان لا يفعل شيئًا إلا إذا شاورها فيه ، ولأجل ذلك أمهل التمنية حتى يشاورها . فلما أتى إليها قال لها : إني ثقبت للملك جوهرة وأعطاني تمنية وقد أمهلتها حتى اشاورك . فأي شيء تريدين حتى اتمناه ؟ قالت : نحن عندنا أموال لا تأكلها النيران ولكن إن كنت تحبني فتمنّ على الملك انه ينادي في شوارع البصرة ان اهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبقى في البلد كبير ولا صغير حتى يكون في المسجد أو في البيت وتقفل عليهم أبواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وأنا أركب بجواريّ وأشقّ في المدينة ولا ينظرني أحد من طاقة ولا من شباك ، وكل من عثرت به قتلته . فراح إلى الملك وتمنّى عليه هذه الأمنية . فأعطاه ما تمناه ونادى بين أهل البصرة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 968 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما اعطى الجوهري ماتمنّاه ونادى بين أهل البصرة بما تمنّاه قالوا : إننا نخاف على البضائع من القطط والكلاب . فامر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلاة الجمعة ، وصارت تلك الجارية تخرج في كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواريها في شوارع البصرة ولا يقدر احد ان يمرّ في السوق ولا ان يطل من طاقة ولا من شباك . فهذا هو السبب وقد عرّفتك بالجارية ، ولكن يا ولدي هل مرادك معرفة خبرها او مرادك الإجتماع بها ؟ فقال : يا أمي ، مرادي الإجتماع بها . فقالت : أخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة ؟ فقال : يا أمي ، عندي من ثمين المعادن أربعة أصناف : صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار ، وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار ، وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار ، وصنف ثمن كل واحد منه ألف دينار . قالت له : وهل تسمح نفسك بأربعة منها ؟ قال : نفسي تسمح بالجميع . قالت : قم يا ولدي من غير مطرود واخرج منها فصاً يكون ثمنه خمسمائة دينار واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهري واذهب إليه ، تراه جالساً في دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع . فسلّم عليه واجلس على الدكان واخرج الفص وقل له : يا معلم ، خذ هذا الحجر وصغه لي خاتمًا بالذهب ولا تجعله كبيراً بل اجعله قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعاً جيدًا . ثم اعطه عشرين ديناراً واعط الصنّاع كل واحد ديناراً واقعد عنده حصة وتحدّث معه ، وإذا أتاك سائل فاعطه ديناراً واظهر الكرم حتى يتولّع بمحبتك . ثم قم من عنده ورح إلى منزلك وبت هناك ، فإذا أصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لأبيك فإنه فقير . قال : وهو كذلك . ثم خرج من عندها وذهب إلى الوكالة وأخذ فصاً ثمنه خمسمائة دينار وعمد به إلى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهري فدلّوه على دكانه . فلما وصل إلى الدكان رأى شيخ الجوهري رجلاً مهاباً وعليه ثياب فاخرة وتحت يده أربعة صناع . فقال له : السلام عليكم . فردّ عليه السلام ورحّب به وأجلسه . فلما جلس أخرج له الفص وقال : يا معلم ، أريد منك ان تصوغ لي هذا الحجر خاتماً بالذهب ولكن اجعله قدر مثقال من غير زيادة وصغه صياغة طيبة . ثم أخرج له عشرين ديناراً وقال له : خذ

هذه في نظير نقشه والأجرة باقية . ثم أعطى كل صانع ديناراً ، فأحبه الصناع وأحبه المعلم عبيد وقعد يتحدّث معه ، وصار كل من أتاه من السائلين يعطيه ديناراً فتعجبوا من كرمه . ثم إن المعلم عبيد كان عنده عدة في بيته مثل العدة التي في الدكان وكان من عادته إنه إذا أراد أن يصنع شيئًا غريباً يشغله في بيته حتى إن الصنّاع لا يتعلّمون منه الصنعة الغريبة . وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فإذا كانت قدامه ونظر إليها فإنه يصنع كل شيء غريب في صناعته بحيث لا يليق إلا بالملوك . فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت . فلما رأته زوجته قالت له : ما مرادك أن تصنع بهذا الفص ؟ قال : أريد أن أصوغه خاتماً بالذهب فإن ثمنه خمسمائة دينار . فقالت له : لمن ؟ قال : لغلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح وخدود تقدح وله فم كخاتم سليمان ووجنات كشقائق النعمان وشفايف حمر كالمرجان وله عنق مثل أعناق الغزلان وهو أبيض مشرب بحمرة ، ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا . وصار تارة يصف لها حسنه وجماله وتارة يصف لها كرمه وكماله ، ولا زال يذكر لها محاسنه وكرم أخلاقه حتى عشّقها فيه ولم يكن أحد أعرص من الذي يصف لزوجته إنساناً بالحسن والجمال وفرط سخائه بالمال . فلما فاض بها الغرام قالت له : هل يوجد فيه شيء من محاسني ؟ فقال لها : جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك في الصفة وربما كان عمره قدر عمرك ، ولولا إني أخاف على خاطرك لقلت : إنه أحسن منك بألف مرة . فسكتت ولكن التهبت نار محبته في قلبها . ثم إن الصايغ لم يزل يتحدّث في تعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم ، ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قدر إصبعها . فقالت له : يا سيدي ، إن قلبي حب هذا الخاتم وأشتهي انه يكون لي ولا انزعه من إصبعي فقال لها : إصبري فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه ، فإن باعني إياه جئت به إليك ، وإن كان عنده حجر آخر اشتريه لك وأصوغه مثله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 969

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجوهري قال لزوجته : إصبري فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه ، فإن باعني إياه جئت به إليك ، وإن كان عنده حجر آخر أشتريه وأصوغه لك مثله . هذا ما كان من أمر الجوهري وزوجته . وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه بات في منزله . فلما أصبح أخذ مائة دينار وأتى إلى العجوز زوجة المزين وقال لها : خذي هذه المائة دينار . فقالت له : أعطها لأبيك فأعطاها له . ثم إنها قالت له : هل فعلت كما قلت لك ؟ قال : نعم . قالت له : قم توجه الآن إلى شيخ الجوهري فإذا أعطاك الخاتم فضعه في رأس إصبعك وانزعه بسرعة وقل له : يا معلم أخطأت ، إن الخاتم جاء ضيّقًا . فيقول لك : يا تاجر ، هل أكسره وأصوغه واسعاً ؟ فقل له : لا أحتاج إلى كسره وصياغته ثانياً ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك . وأخرج له حجراً آخر يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له : خذ هذا الحجر صغه لي فإنه أحسن من ذلك . وأعطه ثلاثين ديناراً وأعطي لكل صانع دينار وقل له : هذه الدنانير في نظير نقشه والأجرة باقية . ثم ارجع إلى منزلك وبت هناك وتعال في الصباح . ومعك مائتان دينار وأنا أكمل لك بقية الحيلة . ثم إنه ذهب إلى الجوهري فرحّب به وأجلسه على الدكان . فلما جلس قال له : قضيت الحاجة ؟ قال : نعم . وأخرج له الخاتم . فأخذه وحطه في رأس إصبعه ثم نزعه سريعاً وقال : أخطأت يا معلم . ورماه له وقال له : إنه ضيق على إصبعي . فقال له

الجوهري : يا تاجر ، هل أوسّعه ؟ قال : لا ولكن خذه إحساناً والبسه لبعض جواريك فإن ثمنه تافه لأنه خمسمائة دينار فلا يحتاج إلى صياغته ثانياً . ثم أخرج له فصاً آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له : إصنع هذا . ثم أعطاه ثلاثين ديناراً وأعطى كل صانع دينارين . فقال له : يا سيدي ، لما نصوغ الخاتم نأخذ أجرته . قال : هؤلاء في نظير نقشه والأجرة باقية . ثم تركه ومضى فاندهش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصنّاع . ثم إن الجوهري ذهب إلى زوجته وقال لها : يا فلانة ، ما رات عيني أكرم من هذا الشاب وأنت بختك طيب لأنه أعطاني الخاتم بلا ثمن وقال لي : أعطه لبعض جواريك . وحكى لها القصة ثم قال لها : أظن أن هذا الولد ما هو من أولاد التجار وإنما هو من أولاد الملوك والسلاطين . وصار كلما مدحه تزداد فيه غراماً ووجداً وهياماً . ثم لبست الخاتم والجوهري صاغ له الثاني أوسع من الأول بقليل . فلما فرغ من صياغته لبسته في إصبعها من داخل الخاتم الأول ثم قالت : يا سيدي ، انظر ما أحسن الخاتمين في إصبعي فاشتهي أن يكون الخاتمان لي . فقال لها : إصبري لعلي أشتري الثاني لك ثم بات . فلما أصبح أخذ الخاتم وتوجه إلى الدكان . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أصبح متوجهًا إلى العجوز زوجة المزين وأعطاها مائتي دينار فقالت له : توجه إلى الجوهري فإذا أعطاك الخاتم فضعه في إصبعك وانزعه سريعاً وقل : أخطأت يا معلم ، إن الخاتم جاء واسعاً والمعلم الذي يكون مثلك إذا أتاه مثلي بشغل ينبغي له أن يأخذ القياس ، فلو كنت أخذت قياس إصبعي ما أخطأت . واخرج له حجراً آخر يكون ثمنه ألف دينار وقل له : خذ هذا اصنعه واعط هذا الخاتم إلى جارية من جواريك . ثم أعطه أربعين ديناراً واعط كل صانع ثلاثة دنانير وقل له : هذا في نظير نقشه وأما الأجرة فإنها باقية . وانظر ماذا يقول لك ثم تعال ومعك ثلاثمائة دينار واعطها لأبيك يستعين بها على وقته فإنه رجل فقير الحال . فقال : سمعاً وطاعة . ثم إنه توجه إلى الجوهري فرحّب به وأجلسه ثم أعطاه الخاتم فوضعه في إصبعه ونزعه بسرعة وقال له : ينبغي للمعلم الذي مثلك إذا أتاه مثلي بشغل أن يأخذ قياسه ، فلو كنت أخذت قياس إصبعي ما أخطأت ، ولكن خذه واعطه لبعض جواريك . ثم أخرج له حجراً ثمنه ثمانمائة دينار وقال له : خذ هذا واصنعه لي خاتمًا على قدر إصبعي . فقال : صدقت والحق معك . فأخذ القياس وأخرج له أربعين ديناراً وقال له : خذ هذه في نظير نقشه والأجرة باقية . فقال له : يا سيدي ، كم أجرة أخذناها منك فإحسانك علينا كثير . فقال له : لا بأس . ثم إنه تحدّث معه حصة وصار كلما يمرّ به سائل يعطه ديناراً وبعد ذلك تركه وانصرف . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الجوهري فإنه توجه إلى بيته وقال لزوجته : ما أكرم هذا الشاب التاجر ! فما رأيت أكرم منه ولا أجمل منه ولا أحلى من لسانه . وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ في مدحه . فقالت له : يا عديم الذوق ، حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد أعطاك خاتمين مثمّنين ينبغي لك أن تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودّد إليه فإذا رأى منك المودة وجاء منزلنا ربما تنال منه خيرًا كثيرًا ، وإن كنت لا تسمح له بضيافة فاعزمه وأنا أعمل له الضيافة من عندي . فقال لها : هل أنت تعرفين أنني بخيل حتى تقولي هذا الكلام ؟ قالت له : ما أنت بخيل ولكنك عديم الذوق . فاعزمه في هذه الليلة ولا تجيء بدونه ، وإن امتنع فاحلف عليه بالطلاق وأكد عليه . فقال لها : على الرأس والعين . ثم إنه صاغ الخاتم ونام وأصبح في ثالث يوم متوجهاً إلى الدكان وجلس فيها . هذا ما كان من أمره . وأما ما

كان من أمر قمر الزمان فإنه أخذ ثلاثمائة دينار وتوجه إلى العجوز وأعطاها لزوجها فقالت له : ربما يعزم عليك في هذا اليوم ، فإذا عزم عليك وبتّ عنده فمهما جرى لك فاخبرني به في الصباح وهات معك أربعمائة دينار واعطها لأبيك . فقال : سمعاً وطاعة . وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الأحجار . ثم إنه توجه إلى الجوهري فقام له وأخذه بالأحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة ثم إنه أخرج له الخاتم فرآه على قدر إصبعه . فقال له : بارك الله فيك يا سيد المعلمين ، إن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 970

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن قمر الزمان لما قال للجوهري : إن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي لأن عندي أحسن منه فخذه واعطه لبعض جواريك . وأخرج له غيره وأخرج له مائة دينار وقال له : خذ أجرتك ولا تؤاخذنا فإننا أتعبناك . فقال له : يا تاجر ، إن الذي تعبنا فيه قد أعطيتنا إياه وتفضّلت علينا بشيء كثير وأنا قلبي تعلّق بحبك ولا أقدر على فراقك . فبالله عليك أن تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر بخاطري ! فقال : لا بأس ، ولكن لا بد أن أتوجه إلى الخان لأجل أن أوصي أتباعي وأخبرهم بأنني غير بائت في الخان حتى لا ينتظروني . فقال له : أنت نازل في أي خان ؟ قال : في الخان الفلاني . فقال : أجيء إليك هناك . فقال : لا بأس . ثم إن الجوهري توجه إلى ذلك الخان قبل المغرب خوفاً من غضب زوجته عليه إن دخل البيت بدونه . ثم إنه أخذه ودخل به في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير ، وكانت الصبية رأته حين دخوله فافتتنت به . ثم صارا يتحدّثان إلى أن جاء العشاء ، فأكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات . ولم يزل يسامره إلى وقت العشاء فصلّيا الفريضة ، ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب . فلما شربا غلب عليهما النوم فناما . ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فاندهش عقلها من جماله وقالت : كيف ينام من عشق الملاح ؟ ثم قلبته على قفاه وركبت على صدره ومن شدّة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة بوس حتى أثر ذلك في خده ، فاشتدّت حمرته وزهت وجنته ونزلت على شفته بالمص ، ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم في فمها ومع ذلك لم تنطفيء نارها ولم يرو أوارها . ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى أشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ، ثم وضعت في جيبه أربعة عواشق وتركته وراحت . وبعد ذلك أرسلت جاريتها بشيء مثل النشوق فوضعته في مناخيرهما فعطسا وأفاقا . فقالت لهما الجارية : أعلموا يا أسيادي أن الصلاة وجبت فقوموا لصلاة الصبح . وأتت لهما بالطشت والإبريق . ثم قال قمر الزمان : يا معلم ، إن الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم . فقال الجوهري للتاجر : يا صاحبي ، إن نوم هذه القاعة ثقيل ، كلما أنام فيها يجري لي هذا الأمر . فقال : صدقت . ثم إن قمر الزمان أخذ يتوضأ . فلما وضع الماء على وجهه أحرقته خدوده وشفته فقال : عجائب ، إذا كان هواء القاعة ثقيلاً واستغرقنا في النوم فما بال خدودي وشفتي تحرقني ؟ ثم قال : يا معلم ، إن خدودي وشفتي تحرقني . فقال : أظن أن هذا من أكل الناموس . فقال : عجائب ، وهل يجري لك فيها مثلي ؟ قال : لا ولكن إذا كان عندي ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك إلا إذا

كان الضيف مثلك أمرد . وأما إذا كان ملتحياً فلا يعفّ عليه الناموس ، وما منع الناموس عني إلا لحيتي ، كأن الناموس لا يهوى أصحاب اللحى . فقال له : صدقت . ثم إن الجارية جاءت لهما بالفطور ، فأفطرا وخرجا وراح قمر الزمان إلى العجوز . فلما رأته قالت له : إني أرى آثار الحظ على وجهك فاخبرني بما رأيت ؟ قال : ما رأيت شيئًا وإنما تعشّيت أنا وصاحب المحل في قاعة وصلّينا العشاء ثم نمنا ، فما أفقنا إلا في الصبح . فضحكت وقالت : ما هذا الأثر الذي في خدك وعلى شفتك ؟ قال لها : إن ناموس القاعة فعل معي هذه الفعال . فقالت : صدقت ، وهل جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك ؟ قال : لا ولكنه أخبرني أن ناموس تلك القاعة لا يضرّ أصحاب اللحى ولا يعفّ إلا على المرد . وكلما يكون عنده ضيف فإن كان أمرد يصبح يشكو من قرص الناموس وإن كان ملتحياً فلا يجري له شيء من ذلك . فقالت : صدقت . فهل رأيت شيئًا غير هذا ؟ قال : رأيت في جيبي أربعة عواشق . قالت : أرني إياها . فأعطاها لها . فأخذتها وضحكت وقالت : إن معشوقتك قد وضعت هذه العواشق في جيبك . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : إنها تقول لك بالإشارة لو كنت عاشقاً ما نمت فإن الذي يعشق لا ينام ، ولكن أنت لم تزل صغيراً ولا يليق بك إلا اللعب بهذه العواشق . فما حملك على عشق الملاح ؟ وقد جاءتك في الليل فرأتك نائماً فقطّعت خدودك بالبوس وحطّت لك هذه الإمارة ولكنها لا يكفيها منك ذلك بل لا بد أن ترسل إليك زوجها فيعزم عليك في هذه الليلة ، فإذا رحت معه فلا تنم عاجلاً وهات معك خمسمائة دينار وتعال أخبرني بما حصل وأنا أكمل لك الحيلة . فقال لها : سمعا وطاعة . ثم توجه إلى الخان . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر زوجة الجوهري فإنها قالت لزوجها : هل راح الضيف ؟ قال : نعم ولكن يا فلانة إن الناموس شوّش عليه في هذه الليلة وقطّع خدوده وشفته وأنا استحيت منه . فقالت : هذه عادة ناموس قاعتنا فإنه لا يهوى إلا المرد ولكن اعزمه في الليلة الآتية . فتوجه إليه في الخان الذي هو فيه وعزمه وأتى به إلى القاعة فأكلا وشربا وصليا العشاء ، فدخلت عليهما الجارية وأعطت كل واحد فنجاناً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 971

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، إن الجارية دخلت عليهما وأعطت كل واحد فنجاناً فشربا وناما . فأتت الصبية وقالت له : يا علق ، كيف تنام وتدّعي أنك عاشق والعاشق لا ينام . ثم ركبت على صدره ولا زالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش إلى الصباح . ثم حطّت له في جيبه سكينًا وأرسلت جاريتها عند الصباح فنبّهتهما ، وخدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدّة الإحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المص والتقبيل . فقال له الجوهري : لعل الناموس شوش عليك ؟ قال : لا . لأنه لما عرف النكتة ترك الشكاية . ثم إنه رأى السكين في جيبه فسكت . ولما أفطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهري وتوجه إلى الخان وأخذ خمسمائة دينار وذهب إلى العجوز وأخبرها بما رأى وقال لها : إني نمت غصباً عني ولما أصبحت ما رأيت شيئًا غير في سكين جيبي . فقالت له : الله يحميك منها في الليلة القابلة ، إنها تقول لك : إن نمت مرة أخرى ذبحتك وأنت معزوم عندهم في الليلة القابلة ، فإن نمت ذبحتك . فقال : وكيف يكون العمل ؟ فقالت : أخبرني بما تأكله وما تشربه قبل النوم . قال : نتعشّى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطي كل واحد منّا فنجاناً فمتى شربت فنجاني نمت ولا أفيق إلا

في الصباح . فقالت له : إن الداهية في الفنجان ، فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد ، وحين تعطيه لك الجارية قل لها : اسقيني ماء . فتذهب لتجيء إليك بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة واجعل روحك نائماً فلما ترجع إليك بالقلة تظن انك نمت بعد شرب الفنجان فتروح عنك ، وبعد حصة يظهر لك الحال وإياك أن تخالف أمري . فقال : سمعاً وطاعة . ثم توجه إلى الخان . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر زوجة الجوهري فإنها قالت لزوجها : إكرام الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة ثالثة . فتوجه إليه وعزمه واخذه ودخل به القاعة . فلما تعشيا وصلّيا العشاء وإذا بالجارية دخلت واعطت كل واحد فنجاناً ، فشرب سيدها ورقد وأما قمر الزمان فإنه لم يشرب . فقالت له الجارية : أما تشرب يا سيدي ؟ فقال لها : أنا عطشان هاتي القلة . فذهبت لتجيء إليه بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد . فلما رجعت الجارية رأته راقداً فاخبرت سيدتها بذلك وقالت : إنه لما شرب الفنجان رقد . فقالت الصبية في نفسها : إن موته أحسن من حياته . ثم أخذت سكينا ماضية ودخلت عليه وهي تقول : ثلاث مرات وانت لم تلحظ الإشارة يا أحمق ؟ الآن اشق بطنك . فلما رآها مقبلة عليه وفي يدها السكين فتح عينه وقام ضاحكاً . فقالت له : ما فهم هذه الإشارة من فطنتك بل بدلالة ماكر . فاخبرني من أين لك هذه المعرفة ؟ قال : من عجوز وجرى لي معها كذا وكذا واخبرها بالخبر . فقالت له : في غد اخرج من عندنا ورح إلى العجوز وقل لها : هل بقي معك من الحيل زيادة عن هذا المقدار ؟ فإن قالت لك : معي . فقل لها : اجتهدي في الوصول إليها جهاراً . وإن قالت : ما لي مقدرة وهذا آخر ما معي . فاتركها عن بالك وفي ليلة غد يأتي إليك زوجي ويعزمك فتعال معه واخبرني وأنا أعرف بقية التدبير . فقال : لا بأس . ثم بات معها بقية الليلة على ضمّ وعناق وأعمال حرف الجر باتفاق واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الإضافة معزول ولم ير إلا على هذه الحالة إلى الصباح . ثم قالت له : أنا ما يكفيني منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة ، وإنما قصدي أن اقيم معك بقية العمر . ولكن إصبر حتى أعمل لك مع زوجي حيلاً تحيّر ذوي الألباب ونبلغ بها الآداب وادخل عليه الشك حتى يطلّقني واتزوج بك وأروح معك إلى بلادك وأنقل جميع ماله وذخائره عندك وأتحيّل لك على خراب دياره ومحو آثاره . ولكن إسمع كلامي وطاوعني فيما اقوله لك ولا تخالفني . فقال لها : سمعاً وطاعة وما عندي خلاف . فقالت : رح إلى الخان وإن جاء زوجي وعزمك فقل له : يا أخي إن ابن آدم ثقيل ومتى أكثر الترداد اشمأز منه الكريم والبخيل ، وكيف أروح عندك كل ليلة وأرقد أنا وانت في القاعة ؟ فإن كنت أنت لا تغتاظ مني فربما اغتاظ حريمك مني بسبب منعك عنه . فإن كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتاً بجانب بيتك وتبقى أنت تارة تسهر عندي إلى وقت النوم وانا تارة اسهر عندك إلى وقت النوم ، ثم أروح إلى منزلي وانت تدخل حريمك . وهذا الراي أحسن من حجبك عن حريمك كل ليلة . فإنه بعد ذلك يأتي إليّ ويشاورني فأشير عليه ان يخرج جارنا فإن البيت الذي هو ساكن فيه بيتنا والجار ساكن بالكرى ، ومتى أتيت البيت يهون الله علينا بقية تدبيرنا . ثم إنها قالت له : رح الآن وافعل كما أمرتك . فقال لها : سمعاً وطاعة . ثم تركته وراحت وهو جعل روحه نائماً وبعد مدة اتت الجارية فنبّهتهم . فلما افاق الجوهري قال : يا تاجر ، لعل الناموس شوّش عليك ؟ قال : لا . فقال الجوهري : لعلك اعتدت عليه . ثم إنهما أفطرا وشربا القهوة وخرجا إلى اشغالهما وتوجه قمر الزمان إلى العجوز

واخبرها بما جرى . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 972

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان قمر الزمان لما توجه إلى العجوز اخبرها بما جرى وقال لها : إنها قالت لي كذا وكذا . وقلت لها كذا وكذا . فهل عندك أكثر من هذا التدبير حتى توصليني إلى الإجتماع بها جهاراً؟ فقالت : يا ولدي ، إلى هنا انتهى تدبيري وفرغت حيلي . فعند ذلك تركها وتوجه إلى الخان . ولما اصبح الصباح توجه إليه الجوهري عند المساء وعزمه . فقال له : لا يمكن اني أروح معك . فقال له : لماذا؟ وأنا احببتك وما بقيت أقدر على فراقك . فبالله عليك ان تمضي معي . فقال له : إن كان مرادك طول العشرة معي ودوام الصحبة بيني وبينك فخذ لي بيتاً بجانب بيتك ، وإن شئت تسهر عندي وأنا اسهر عندك ، وعند النوم يروح كل منا إلى بيته وينام فيه . فقال له : إن عندي بيتاً بجانب بيتي وهو ملكي ، فامض معي في هذه الليلة وفي غد اخليه لك . فمضى معه وتعشيا وصلّيا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذي فيه العمل فرقد ، وفنجان قمر الزمان لا غشّ فيه فشربه ولم يرقد . فجاءته وقعدت تسامره إلى الصباح وزوجها مرمي مثل الميت . ثم إنه صحا من النوم على العادة وأرسل أحضر الساكن وقال له : يا رجل ، أخل لي بيتي فإني قد احتجت إليه . فقال له : على الرأس والعين . فأخلاه له وسكن فيه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه . وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمر الزمان ثم راح إلى بيته . وفي ثاني يوم أرسلت الصبية إلى معمار ماهر فأحضرته وأرغبته بالمال حتى عمل لها سرداباً من قصرها يوصل إلى قمر الزمان وجعل له طابقاً تحت الأرض ، فما يشعر قمر الزمان إلا وهي داخلة عليه ومعها كيسان من المال . فقال لها : من أين جئت؟ فأرته السرداب وقالت له : خذ هذين الكيسين من ماله . وقعدت تهارشه وتلاعبه إلى الصباح . ثم قالت له : انتظرني حتى أروح له وأنبّهه ليذهب إلى دكانه وآتي لك . فقعد ينتظرها وانصرفت لزوجها وأيقظته وتوضّى وصلّى وذهب إلى الدكان . وبعد ذهابه أخذت أربعة أكياس وراحت إلى قمر الزمان من السرداب وقالت له : خذ هذا المال وجلست عنده . ثم انصرف كل منهما إلى حال سبيله ، فتوجهت إلى بيتها وتوجه قمر الزمان إلى السوق . ولما رجع في وقت المغرب رأى عنده عشرة أكياس وجواهر وغير ذلك . ثم إن الجوهري جاءه في بيته وأخذه إلى القاعة وسهر فيها هو وإياه . فدخلت الجارية على العادة وأسقتهما ، فرقد سيدها وقمر الزمان ما أصابه شيء لأن فنجانه سالم لا غش فيه . ثم أقبلت عليه الصبية فجلست تلاعبه ، وصارت الجارية تنقل المصالح إلى بيته من السرداب ، ولم يزالوا على هذه الحالة إلى الصباح . ثم إن الجارية نبهت سيدها وأسقتهما القهوة وكل منهما راح إلى حال سبيله . وفي ثالث يوم أخرجت له سكيناً كانت لزوجها وهي صياغته بيده وكلفها خمسمائة دينار ، لم يوجد لها مثيل في حسن الصياغة ، ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لأحد من المخلوقين . ثم قالت له : خذ هذه السكين وحطّها في حزامك ورح إلى زوجي واجلس عنده واخرجها من حزامك وقل له : يا معلم ، أنظر هذه السكين فإني اشتريتها في هذا اليوم واخبرني هل أنا مغلوب فيها أو غالب ؟ فإنه يعرفها ويستحي أن يقول لك : هذه سكيني . فإن قال لك : من أين اشتريتها؟ وبكم أخذتها؟ فقل له : رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما للآخر : أين كنت؟

قال : كنت عند صاحبتي ، وكل ما اجتمع معها تعطيني دراهم . وفي هذا اليوم قالت لي : إن يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فإنها سكين زوجي . فأخذتها منها ومرادي بيعها . فاعجبتني السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له : أتبيعها لي ؟ فقال : إشتر . فأخذتها منه بثلاثمائة دينار . فيا ترى هل هي رخيصة أو غالية ؟ وانظر ما يقول لك . ثم تحدّث معه مدة وقم من عنده وتعال إليّ بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب أنتظرك فاعطني السكين . فقال لها : سمعاً وطاعة . ثم أخذ تلك السكين وحطّها في حزامه وراح إلى دكان الجوهري فسلّم عليه ، فرحّب به وأجلسه فرأى السكين في حزامه فتعجب وقال في نفسه : إن هذه سكيني ومن أوصلها إلى هذا التاجر ؟ وصار يفكر في نفسه ويقول : يا ترى هل هي سكيني أو سكين تشابهها ؟ وإذا بقمر الزمان أخرجها وقال : يا معلم ، خذ هذه السكين تفرّج عليها . فلما أخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى أن يقول هذه سكيني . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 973

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجوهري لما أخذ السكين من قمر الزمان عرفها واستحى أن يقول هذه سكيني . ثم قال له : من أين اشتريتها ؟ فأخبره بما أوصته به الصبية فقال له : هذه بهذا الثمن رخيصة لأنها تساوي خمسمائة دينار . واتقدت النار في قلبه وارتبطت أياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدّث معه وهو غريق في بحر الأفكار ، وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة . وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدّر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر : [من البسيط]

لَمْ أَدْرِ قَوْلاً إذا حَبُّوا مُكالَمتي ... أَوْ كَلَّمُوني يَرَوْني غائِبَ الفِكَرِ
غَرْقانُ في بَحْرِ فِكْرٍ لا قَرارَ لَهُ ... لا أَفْرُقُ النَّاسَ أُنْثاها مِنَ الذَّكَرِ

فلما رآه تغيّرت حالته قال له : لعلك مشغول في هذه الساعة . ثم قام من عنده وتوجه إلى البيت بسرعة فرآها واقفة في باب السرداب تنتظره . فلما رأته قالت له : هل فعلت كما أمرتك ؟ قال : نعم . قالت له : ما قال لك ؟ قال لها : قال لي إنها رخيصة بهذا الثمن لأنها تساوي خمسمائة دينار . ولكن تغيّرت أحواله فقمت من عنده ولم أدر ما جرى له بعد ذلك . فقالت : هات السكين وما عليك منه . ثم أخذت السكين وحطّتها في موضعها وقعدت . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر الجوهري فإنه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسواس وقال في نفسه : لا بد أن أقوم وأتفقد السكين وأقطع الشك باليقين . فقام وأتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان فقالت له : ما لك يا سيدي ؟ فقال لها : أين سكيني ؟ قالت : في الصندوق . ثم دقت صدرها بيدها وقالت : يا همّي لعلك تخاصمت مع احد فأتيت تطلب السكين لتضربه بها ؟ : قال لها هاتي أريني إياها . قالت : حتى تحلف أنك لا تضرب بها أحداً . فحلف لها ، ففتحت الصندوق وأخرجتها له . فصار يقلّبها ويقول : إن هذا شيء عجيب . ثم إنه قال لها : خذيها وحطيها في مكانها . قالت له : أخبرني ما سبب ذلك ؟ قال لها : إني رأيت مع صاحبنا سكيناً مثلها وأخبرها بالخبر كله . ثم قال لها : ولما رأيتها في الصندوق قطعت الشك باليقين . فقالت له : لعلك ظننت بي سوءاً وجعلتني صاحبة اللاوندي وأعطيته السكين ؟ فقال

لها : نعم إني شككت في هذا الأمر ، ولكن لما رأيت السكين ارتفع الشك من قلبي . فقالت له : يا رجل ، أنت ما بقي فيك خير . فصار يعتذر إليها حتى أرضاها ثم خرج وتوجه إلى دكانه . وفي ثاني يوم أعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثلها . ثم إنها قالت له : رح إلى دكانه واجلس عنده وقل له إن الذي رأيته بالأمس رأيته في هذا اليوم وفي يده ساعة وقال لي : أتشتري هذه الساعة؟ فقلت له : من أين لك هذه الساعة؟ قال : كنت عند صاحبتي فأعطتني إياها . فاشتريتها منه بثمانية وخمسين ديناراً ، فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية؟ وانظر ما يقول لك . وإذا قمت من عنده فأتني بسرعة واعطني إياها . فراح إليه قمر الزمان وفعل معه ما أمرته به . فلما رآها الجوهري قال : هذه تساوي سبعمائة دينار ! وداخله الهمّ . ثم إن الغلام تركه وراح إلى الصبية وأعطاها تلك الساعة وإذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها : أين ساعتي ؟ قالت له : ها هي حاضرة . قال لها : هاتيها . فأتت له بها . فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقالت له : يا رجل ، ما أنت بلا خبر فاخبرني بخبرك . فقال لها : ماذا أقول ؟ إني تحيّرت في هذه الحالات ثم انشد هذه الأبيات : [من الطويل]

تَحَيَّرْتُ والرَّحْمٰنُ لا شَكَّ في أَمْرِيْ ... وحاقَتْ بِيَ الأَحْزانُ مِنْ حَيْثُ لا أَدْرِي

سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ الصَّبْرَ أَنَّنِي ... صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

وما مِثْلُ مُرِّ الصَّبْرِ صَبْرِي وإنَّما ... صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ

وما الأَمْرُ أَمْرِي في المُرادِ وإنَّما ... أُمِرْتُ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْ صاحِبِ الأَمْرِ

ثم قال : يا امرأة ، إني رأيت مع التاجر صاحبنا أولاً سكيني وقد عرفتها لأن صياغتها اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها ، واخبرني باخبار تغمّ القلب واتيت فرأيتها ، ورأيت معه الساعة ثانياً وصياغتها أيضاً اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها في البصرة ، واخبرني أيضًا بأخبار تغمّ القلب . فتحيّرت في عقلي وما بقيت أعرف ما جرى لي . فقالت له : مقتضى كلامك إني أنا خليلة ذلك التاجر وصاحبته واعطيته مصالحك وجوزت خيانتي فجئت تسألني ، ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت أثبت خيانتي . لكن يا رجل حيث أنك ظننت بي هذا الظن ما بقيت أوآكلك في زاد ولا أشاربك في ماء بعد هذا ، فإني كرهتك كراهة التحريم . فصار يأخذ بخاطرها حتى ارضاها ثم خرج وتندّم على مقابلتها بهذا الكلام وتوجه إلى دكانه وجلس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 974

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجوهري لما خرج من عند زوجته صار يتندّم على هذا الكلام . ثم ذهب إلى الدكان وجلس معه في الدكان وصار في قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدّق ومكذّب ، وعند المساء أتى إلى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه . فقالت له الصبية : أين التاجر؟ قال : في منزله . قالت : هل بردت الصحبة التي بينك وبينه؟ قال : والله إني كرهته مما جرى منه . فقالت له : قم هاته من شأن خاطري . فقام ودخل عليه بيته فرأى حوائجه منشورة فيه فعرفها ، فإتقدت النار في قلبه وصار يتنهّد . فقال قمر الزمان : ما لي أراك في فكر؟ فاستحى أن يقول له : إن حوائجي عندك من

أوصلها إليك؟ وإنما قال له: حصل عندي تشويش، ولكن قم بنا إلى البيت لنتسلّى هناك. فقال: دعني في محلي فلا أروح معك. فحلف عليه وأخذه ثم تعشّى معه وسهرا تلك الليلة وصار يتحدّث معه وهو غريق في بحر الأفكار وإذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهري بكلمة واحدة. ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين على العادة، فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لأن فنجانه غير مغشوش. ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له: كيف رأيت هذا القرنان الذي هو في غفلته سكران ولا يعرف مكائد النسوان؟ فلا بد أن أخدعه حتى يطلّقني. ولكن في غد أتهيّأ بهيئة جارية وأروح خلفك إلى الدكان وقل له: يا معلم، إني دخلت اليوم خان اليسيرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بألف دينار. فانظرها لي هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية؟ ثم اكشف له عن وجهي ونهودي وفرّجه عليّ ثم خذني وارجع بي إلى منزلك وأنا أدخل بيتي من السرداب حتى أنظر آخر أمرنا معه. ثم إنهما أمضيا ليلتهما على أنس وصفاء ومنادمة وهراش وبسط وانشراح إلى الصباح. وبعد ذلك ذهبت إلى مكانها وأرسلت الجارية فأيقظت سيدها وقمر الزمان، فقاما وصلّيا الصبح وأفطرا وشربا القهوة، وخرج الجوهري إلى دكانه وقمر الزمان دخل بيته. وإذا بالصبية خرجت له من السرداب وهي بصفة جارية وكان أصلها جارية، ثم توجه إلى دكان الجوهري ومشت خلفه ولم يزل ماشياً وهي خلفه حتى وصل بها إلى دكان الجوهري. فسلّم عليه وجلس وقال: يا معلم، إني دخلت اليوم خان اليسيرجية بقصد الفرجة فرأيت هذه الجارية في يد الدلال فأعجبتني فاشتريتها بألف دينار. وقصدي أن تتفرّج عليها وتنظرها هل هي رخيصة بهذا الثمن أم لا؟ وكشف له عن وجهها فرآها زوجته وهي لابسة أفخر ملبوسها ومتزينة بأحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته، فعرفها حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لأنه صاغها بيده، ورأى الخواتم التي صاغها جديداً لقمر الزمان في إصبعها وتحقّق عنده أنها زوجته من سائر الجهات. فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: حليمة. وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الإسم بعينه. فتعجب من ذلك وقال له: بكم اشتريتها؟ قال: بألف دينار. قال: إنك أخذتها بلا ثمن لأن الألف دينار أقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء. فقال له: بشّرك الله بالخير، وحيث أعجبتك فأنا أذهب بها إلى بيتي. فقال: إفعل مرادك. فأخذها وراح إلى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر الجوهري، فإن النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه: أنا أروح انظر زوجتي فإن كانت في البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجلّ من ليس له شبيه، وإن لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك. ثم إنه قام يجري إلى أن دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التي رآها بها في الدكان. فضرب يداً على يد وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقالت له: يا رجل، هل حصل لك جنون؟ أو ما خبرك؟ فما هذه عادتك لا بد أن يكون لك أمر من الأمور. فقال لها: إذا كان مرادك أن أخبرك فلا تغتمي. فقالت له: قل. قال: التاجر صاحبنا اشترى جارية قدّها مثل قدّك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك في جميع صفاتك، وفي إصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك. فلما فرّجني عليها ظننت أنها أنت وقد تحيّرت في أمري، ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صاحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه، فإنه كدّر عيشتي بعد الصفاء وكان سبباً في

الجفاء بعد الوفاء وأدخل الشك في قلبي . فقالت له : طل في وجهي لعلي أكون أنا التي كنت معه والتاجر صاحبي وقد تلبّست بصفة جارية واتّفقت معه على أن يفرّجك عليّ حتى يكيدك . فقال : أي شيء هذا الكلام ؟ انا ما أظن بك أن تفعلي مثل هذه الفعال . وكان ذلك الجوهري مغفلاً عن مكايدة النساء وما يفعلن مع الرجال . ولم يسمع بقول من قال : [من الطويل]

طَحا بِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وقَدْ شَطَّ وَلْيُها ... وعادَتْ عَوادٍ بَيْنَنا وخُطُوبُ
وإنْ تَسْأَلُونِي بالنِّساءِ فإنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْواءِ النِّساءِ طَبِيبُ
إذا شابَ رَأْسُ المَرْءِ أَوْ قَلَّ مالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

وقول الآخر : [من البسيط]

أَعْصِ النِّساءَ فَتِلْكَ الطَّاعَةُ الحَسَنَهْ ... فَلَنْ يَفُوزَ فَتًى يُعْطِي النِّسا رَسَنَهْ
يُعِقْنَهُ عَنْ كَمالٍ في فَضائِلِهِ ... ولَوْ سَعَى طالِباً لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنَهْ

وقول الآخر : [من البسيط]

إنَّ النِّساءَ شَياطِينٌ خُلِقْنَ لَنا ... أَعُوذُ باللهِ مِنْ كَيْدِ الشَّياطِينِ
ومَنْ بِهِنَّ رَماهُ العِشْقُ مُبْتَلِياً ... قَدْ ضَيَّعَ الحَزْمَ مِنْ دُنْيا ومِنْ دِينِ

ثم قالت له : ها أنا قاعدة في قصري ورح انت إليه في هذه الساعة واطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعة ، فإذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجلّ من ليس له شبيه ، وإن لم ترَ الجارية عنده أكون أنا الجارية التي رأيتها معه ويكون ظنّك بي السوء محققاً . فقال : صدقت . ثم تركها وخرج ، فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان وأخبرته بذلك وقالت له : إفتح الباب بسرعة وفرّجه عليّ . فبينما هما في الكلام وإذا بالباب يطرق فقال : مَن بالباب ؟ قال : أنا صاحبك ، فإنك فرّجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها ولكن ما كملت فرحتي بها ، فافتح الباب وفرّجني عليها . قال : لا بأس بذلك . ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة ، فقامت وقبّلت يده ويد قمر الزمان وتفرّج عليها وتحدّث معه مدة ، فرآها لا تتميّز عن زوجته بشيء . فقال : يخلق الله ما يشاء . ثم إنه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع إلى بيته فرأى زوجته جالسة لأنها سبقته من السرداب حين خرج من الباب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 975

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها . فلما دخل عليها زوجها قالت له : أي شيء رأيت ؟ قال : رأيتها عند سيدها وهي تشبهك . فقالت : توجه إلى دكانك وحسبك سوء الظن ، فما بقيت تظن بي سوءاً . فقال لها : الأمر كذلك فلا تؤاخذيني بما صدر مني . قالت : سامحك الله . ثم قبّلها ذات اليمين وذات الشمال وراح إلى دكانه ، فنزلت من السرداب إلى قمر الزمان ومعها أربعة أكياس وقالت له : جهز حالك لسرعة السفر واستعدّ لتحميل المال بلا إمهال حتى افعل لك ما عندي من

الحيل . فطلع واشترى بغالاً وحمّل احمالاً وجهّز تختروانا واشترى مماليك وخدماً وأخرج الجميع من البلد وما بقي له عاقة، وأتى وقال : إني تممت أموري . فقالت له : وانا الأخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وما خليّت له قليلاً ولا كثيراً ينتفع به ، وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فأنا أفديك ألف مرة بزوجي ، ولكن ينبغي أن تذهب إليه وتودّعه وتقول له : أنا أريد السفر بعد ثلاثة أيام وجئت لأودّعك ، فاحسب ما انجمل لك عندي من أجرة البيت حتى أورده لك وتبرىء ذمتي . وانظر ما يكون من جوابه وارجع إليّ واخبرني فإني عجزت وأنا أحتال عليه وأغيظه لأجل أن يطلّقني فما أراه إلا متعلقاً بي وما بقي لنا أحسن من السفر إلى بلادك . فقال لها : يا حبذا ، إن صحت الأحلام . ثم راح إلى دكانه أوجلس عنده وقال له : يا معلم أنا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت إلا لأودعك ، والمراد أنك تحسب ما انجمل لك عندي من أجرة البيت حتى أعطيه لك وتبرىء ذمتي . فقال له : ما هذا الكلام ؟ إن فضلك عليّ ، والله ما آخذ منك شيئًا من أجرة البيت وحلّت البركات ، ولكنك توحشنا بسفرك ولولا أنه يحرم عليّ لتعرّضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك . ثم ودّعه وتباكيا بكاء شديداً ما عليه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال في نفسه : ينبغي أن أشيع صاحبي . وصار كلما راح يقضي حاجة يروح معه وإذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيه وتقف بين أيديهما وتخدمهما وإذا رجع إلى بيته يراها قاعدة هناك . ولم يزل يراها في بيته إذا دخله ويراها في بيت قمر الزمان إذا دخله مدة الثلاثة أيام . ثم إنها قالت له : إني نقلت جميع ما عنده من الذخائر والأموال والفروش ولم يبق عنده إلا الجارية التي تدخل عليكما بالشراب ، ولكني لا أقدر على فراقها لانها قريبتي وعزيزة عندي وكاتمة لسري ، ومرادي أن اضربها واغضب عليها وإذا أتى زوجي أقول له : أنا ما بقيت أقبل هذه الجارية ولا أقعد أنا وإياها في بيت فخذها وبعها . فيأخذها ليبيعها فاشترها أنت حتى نأخذها معنا . فقال : لا بأس . ثم إنها ضربتها ، فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها فقالت : إن سيدتي ضربتني . فدخل وقال : ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتها ؟ فقالت له : يا رجل ، إني أقول لك كلمة واحدة أنا ما بقيت أقدر أن أنظر هذه الجارية فخذها وبعها وإلا طلقني . فقال : أبيعها ولا أخالف لك أمر . ثم إنه أخذها معه وهو خارج إلى الدكان ومرّ بها على قمر الزمان ، وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة إلى قمر الزمان فأدخلها في التختروان قبل أن يصل إليه الشيخ الجوهري . فلما وصل إليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له : ما هذه ؟ قال : جاريتي التي كانت تسقينا الشراب ، ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وأمرتني أن أبيعها . فقال : إنها حيث بغضتها سيدتها ما بقي لها قعود عندها ولكن بعها لي حتى أشم رائحتك فيها وأجعلها خادمة لجاريتي حليمة . فقال : لا بأس خذها . فقال له : بكم ؟ فقال : أنا لا آخذ منك شيئًا لأنك تفضلت علينا . فقبلها منه وقال للصبية : قبلي يد سيدك . فبرزت له من التختروان وقبّلت يده ثم ركبت في التختروان وهو ينظر إليها ثم قال له قمر الزمان : أستودعك الله يا معلم عبيد أبرىء ذمتي . فقال له : أبرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة إلى عيالك وودّعه وتوجه إلى دكانه وهو يبكي وقد عزّ عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقاً له والرفيق له حق ، ولكنه فرح بزوال الوهم الذي حصل عنده من أمر زوجته حيث سافر ولم يتحقّق ما ظنه في زوجته . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإن الصبية قالت له : إن أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 976

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية : إن أردت السلامة تسافر بنا على غير طريق معهودة . فقال : سمعاً وطاعة . ثم سلك طريقاً غير الطريق التي تعهد الناس المشي فيها . ولم يزل مسافراً من بلاد إلى بلاد حتى وصل إلى حدود قطر مصر، ثم كتب كتاباً وأرسله إلى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعداً في السوق بين التجار وفي قلبه من فراق ولده لهيب النار، لأنه منْ يوم توجه ما أتاه من عنده خبر. فبينما هو كذلك وإذا بالساعي مقبل وقال : يا سادتي، من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن؟ فقالوا له : ما تريد منه؟ قال لهم : إن معي كتاباً من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش . ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنّوه بالسلامة، ثم أخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان إلى التاجر عبد الرحمن . وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فإن سألتم عنّا فللّه الحمد والمنّة، وقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية . فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم وأكثر الضيافات والعزائم وأحضر آلات الطرب وأتى في الفرح بأنواع العجب. فلما وصل ولده إلى الصالحية خرج إلى مقابلته أبوه وجميع التجار، فقابلوه واعتنقه والده وضمّه إلى صدره وبكى حتى أغمي عليه . ولما أفاق قال له : يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيمن القادر . ثم أنشد قول الشاعر : [من المتقارب]

وقُرْبُ الحَبِيبِ تَمامُ السُّرُورِ　　وكأسُ الهَناءِ عَلَيْنا يَدُورْ
فأهْلاً وسَهْلاً يَلي مَرْحَباً　　بِنُورِ الزَّمانِ وبَدْرِ البُّدُورْ

ثم أفاض من شدة الفرح دمع العين وأنشد هذين البيتين : [من الكامل]

قَمَرُ الزَّمانِ يَلُوحُ في إسْفارِهِ　　إشْراقُهُ إذْ جاءَ مِنْ أَسْفارِهِ
فَشُعُورُهُ في اللَّوْنِ لَيْلُ غيابِهِ　　لَكِنْ شُرُوقُ الشَّمْسِ مِنْ أزْرارِهِ

ثم إن التجار تقدّموا إليه وسلّموا عليه فرأوا معه أحمالاً كثيرة وخدماً وتختروانا وهو في دائرة واسعة، فأخذوه ودخلوا به البيت . فلما خرجت الصبية من التختروان رآها أبوه فتنة لمن يراها، ففتحوا لها قصراً عالياً كأنه كنزاً نحلت عنه الطلاسم، ولما رأتها أمه افتتنت بها وظنّت أنها ملكة من زوجات الملوك، وفرحت بها وسألتها فقالت لها : أنا زوجة ولدك . قالت : حيث تزوّج بك ينبغي لنا أننا نقيم لك فرحاً عظيماً حتى نفرح بك وبولدي . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه بعد انفضاض الناس ورواح كل واحد إلى حال سبيله، اجتمع بولده وقال له : يا ولدي، ما تكون هذه الجارية عندك؟ وبكم اشتريتها؟ فقال له : يا والدي، إنها ليست جارية وإنما هي التي كانت سبب غربتي . قال والده : وكيف ذلك؟ قال : إنها التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة ما بات عندنا، فإن آمالي تعلّقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر إلا من أجلها حتى تعرّيت في الطريق وأخذت العرب أموالي، وما دخلت البصرة إلا وحدي وحصل لي كذا وكذا . وصار يحكي لوالده من المبتدأ إلى المنتهى . فلما فرغ من حديثه قال له : يا ولدي، وبعد ذلك كله هل تزوّجتها؟ قال : لا ولكن وعدتها أن أتزوّج بها . قال له : هل مرادك الزواج بها؟ قال : إن كنت تأمرني أفعل ذلك وإلا فلا أتزوّجها . قال له : إن تزوّجت بها أكون بريئاً منك

في الدنيا والآخرة واغضب عليك غضباً شديداً، كيف تتزوّج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها؟ وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك، فإنها خائنة والخائن ليس له أمان. فإن كنت تخالفني أكون غضباناً عليك، وإن سمعت كلامي افتش لك على بنت أحسن منها تكون طاهرة زاكية فأزوّجك بها ولو كنت أنفق عليها جميع مالي، واعمل لك فرحاً ليس له نظير وافتخر بك وبها، وإذا قال الناس فلان تزوّج بنت فلان أحسن من ان يقولوا: تزوّج جارية معدومة النسب والحسب. وصار يرغّب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شأن ذلك عبارات ونكتاً وأشعاراً وأمثالاً ومواعظ. فقال قمر الزمان: يا والدي، حيث كان الأمر كذلك فلا علاقة لي بزواجها. فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبّله أبوه بين عينيه وقال له: انت ولدي حقًا، وحياتك يا ولدي لا بد لي من ان أزوّجك بنتاً ليس لها نظير. ثم إن التاجر عبد الرحمن حطّ زوجة عبيد الجوهري وجاريتها في قصر عال وقفل عليهما وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما أكلهما وشربهما وقال لها: انت وجاريتك تستمران محبوسين في هذا القصر حتى أنظر لكما من يشتريكما وابيعكما له، وإن خالفت قتلتك انت وجاريتك فإنك خائنة ولا خير فيك. فقالت له: إفعل مرادك فإني أستحق جميع ما تفعله معي. ثم قفل عليهما الباب ووصّى عليهما حريمه وقال: لا يطلع عندهما احد ولا يكلّمها غير الجارية السوداء التي تعطيهما أكلهما وشربهما من طاقة القصر. فقعدت هي وجاريتها تبكي وتتندم على ما فعلت بزوجها. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أرسل الخطّاب يخطبون بنتاً ذات حسب ونسب لولده، فلا زلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن بأحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الإسلام فراين بنته لم يكن لها نظير في مصر، وهي ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال لأنها أحسن من زوجة عبيد الجوهري بألف طبقة. فأخبرته بها فذهب هو والأكابر إلى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحاً عظيماً. ثم عمل الولائم وعزم في أول يوم الفقهاء فعملوا مولداً شريفاً، وثاني يوم عزم التجار تماماً. ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزين الحارة والخط بالقناديل، وفي كل ليلة تأتي سائر أرباب الملاعب ويلعبون أنواع اللعب، وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من أصناف الناس حتى عزم العلماء والأمراء والصناجق والحكام. ولم يزل الفرح قائماً مدة اربعين يوماً وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرّج على الناس وهم يأكلون من السماط، وكان فرحاً ليس له نظير. وفي آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريباً وقريباً فصاروا يأتون زمراً ويأكلون والتاجر جالس وابنه بجنبه. فبينما هم كذلك وإذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السفر. فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لابيه: أنظر يا أبي إلى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب. فنظر إليه فرآه رثّ الثياب وعليه خلق جلباب يساوي درهمين وفي وجهه اصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج، ويئن انين المريض المحتاج ويمشي بتهافت في مشية ذات اليمين وذات الشمال. وتحقّق فيه قول من قال: [من السريع]

أَلْفَقْرُ يُزْرِي بِالفَتَى دائِماً كَما اصْفِرارُ الشَّمْسِ عِنْدَ المَغِيبْ
يَمُرُّ بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَخْفِياً وإِنْ خَلا يَبْكي بِدَمْعٍ صَبِيبْ

وإنْ يَغِبْ فَلَيْسَ يُعْنَى بِهِ وما لَهُ عِنْدَ حُضُورٍ نَصِيبْ
واللهِ ما الإنْسانُ في أَهْلِهِ إذا ٱبْتَلَى بِالفَقْرِ إلاَّ غَرِيبْ

ويقول الآخر : [من الكامل]

يَمْشِي الفَقِيرُ وكُلُّ شَيْءٍ ضِدُّهُ والأَرْضُ تَغْلِقُ دُونَهُ أَبْوابَها
وتَراهُ مَمْقُوتاً ولَيْسَ بِمُذْنِبٍ ويَرَى العَداوَةَ لا يَرَى أَسْبابَها
حَتَّى الكِلابُ إذا رَأَتْ ذا نِعْمَةٍ أَوْمَتْ إلَيْهِ وحَرَّكَتْ أَذْنابَها
وإذا تَرَى يَوْماً فَقِيراً بائِساً نَبَحَتْ عَلَيْهِ وكَشَّرَتْ أَنْيابَها

وما أحسن قول الشاعر : [من الوافر]

إذا صَحِبَ الفَتَى عِزّاً وسَعْدًا تَحامَتْهُ المَكارِهُ والخُطُوبُ
ووَاصَلَهُ الحَبِيبُ بِغَيْرِ وَعْدٍ طُفَيْلِيّاً وقادَ لَهُ الرَّقِيبُ
وعَدَّ النَّاسُ ضَرْطَتَهُ غِناءً وقالُوا إنْ فَسَا قَدْ فاحَ طِيبُ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 977 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن التاجر عبد الرحمن لما قال له ولده : أنظر إلى هذا الرجل الفقير . قال : يا ولدي من هذا؟ قال له : هذا المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا . فقال له : هذا الذي كنت تحدّثني عنه؟ قال : نعم وقد عرفته معرفة جيدة . وكان السبب في مجيئه أنه لما ودّع قمر الزمان توجه إلى دكانه فجاءته دقة شغل ، فأخذها واشتغلها في بقية النهار ، وعند المساء قفل الدكان وذهب إلى البيت ووضع يده على الباب فانفتح ، فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت في أسوأ الأحوال . منطبق عليه قول من قال : [من البسيط]

كانَتْ خَلِيَّاتِ نَحْلٍ وَهْيَ عامِرَةٌ لَمّا خَلَى نَحْلُها عادَتْ خَلَيّاتِ
كأنَّها اليَوْمَ بِالسُّكَّانِ ما عَمَرَتْ أَوْغالُ سُكانُّها فَصْلُ المَنِيّاتِ

فلما رأى الدار خالية التفت يميناً وشمالاً ثم دار فيها مثل المجنون فلم يجد أحدًا وفتح خزينته فلم يجد فيها شيئًا من ماله ولا من ذخائره . فعند ذلك فاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف أن زوجته هي التي كانت تتقلّب عليه بالحيل حتى غدرته . فبكى على ما حصل له ولكنه كتم أمره حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدّر أحد من أحبابه ، وعلم أنه إذا باح بالسر لا يناله إلا الهتيكة والتعنيف من الناس وقال في نفسه : يا فلان أكتم ما حصل لك من الخبال والوبال وعليك بالعمل بقول من قال : [من الطويل]

إذا كانَ صَدْرُ المَرْءِ بِالسِّرِّ ضَيِّقاً فَصَدْرُ الَّذي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

ثم إنه قفل بيته وقصد الدكان ووكّل بها صانعاً من صنّاعه وقال له : إن الغلام التاجر صاحبي عزم عليّ أن أروح معه إلى مصر بقصد الفرجة وحلف أنه ما يرحل حتى يأخذني معه

بحريمي، وأنت يا ولدي وكيلي في الدكان وإن سألكم عني الملك فقولوا له : إنه توجه بحريمه إلى بيت الله الحرام . ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالاً وبغالاً ومماليك واشترى له جارية وحطّها في تختروان وخرج من البصرة بعد عشرة أيام ، فودّعه أحبابه وسافر والناس لا يظنون إلا أنه أخذ زوجته وتوجه إلى الحج . وفرحت الناس وقد أنقذهم الله من حبسهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة . وصار بعض الناس يقول : لا ردّه الله إلى البصرة مرة أخرى حتى لا نحبس في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة لأن هذه الخصلة أورثت أهل البصرة حسرة عظيمة . وبعضهم يقول : أظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء أهل البصرة عليه . وبعضهم يقول : إن رجع لا يرجع إلا منكس الحال . وفرح أهل البصرة بسفره فرحاً عظيماً بعد أن كانوا في حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم . فلما أتى يوم الجمعة نادى المنادي في البلد على العادة بأنهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين أو يستخفون في البيت وكذلك القطط والكلاب . فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعاً وتوجهوا إلى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا له : يا ملك الزمان ، إن الجوهري أخذ حريمه وسافر إلى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذي كنا نحبس من أجله ، فبأي سبب نحبس الآن؟ فقال الملك : كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني؟ لكن إذا جاء من سفره لا يكون إلا خيراً ، روحوا إلى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة . هذا ما كان من أمر الملك وأهل البصرة . وأما ما كان من أمر المعلم عبيد الجوهري ، فإنه سافر عشرة مراحل فحلّ به ما حلّ بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروّه وأخذوا ما كان معه وجعل روحه ميتاً حتى خلص ، وبعد ذهاب العرب قام ومشى وهو عريان إلى أن دخل بلداً فحنّن الله عليه أهل الخير ، فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة ، وصار يسأل ويتقوّت من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر المحروسة فأحرقه الجوع فدار يسأل في الأسواق . فقال له رجل من أهل مصر : يا فقير ، عليك ببيت الفرح ، كُل واشرب فإن هناك في هذا اليوم سماط الفقراء والغرباء . فقال : لا أعرف طريق الفرح . فقال له : اتبعني وأنا أريه لك . فتبعه إلى أن وصل إلى البيت قال له : هذا هو بيت الفرح ، فادخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب . فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه وأخبر به أباه . ثم إن التاجر عبد الرحمن قال لولده : يا ولدي ، أتركه في هذه الساعة ربما يكون جائعاً فدعه يأكل حتى يشبع ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه . فصبرا عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر وأراد أن يخرج فأرسل خلفه والد قمر الزمان . فقال له الرسول : تعال يا غريب كلّم التاجر عبد الرحمن . فقال : ما يكون هذا التاجر؟ فقال له : صاحب الفرح . فرجع وظن أنه يعطيه إحساناً . فلما أقبل على التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه ، وقام له قمر الزمان على الأقدام وأخذه بالأحضان وسلّم عليه وتباكيا بكاء شديداً ثم إنه أجلسه بجانبه . فقال له أبوه : يا عديم الذوق ، ما هذا شأن ملاقاة الأصحاب؟ أرسله أولاً إلى الحمام وارسل إليه بدلة تليق به وبعد ذلك أقعد معه وتحدّث أنت وإياه . فصاح على بعض الخدام وأمرهم أن يدخلوه الحمام وأرسل إليه بدلة من خاص الملبوس تساوي ألف دينار أو أكثر من ذلك المبلغ ، وغسلوا جسده وألبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار . وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان عنه حين غيابه في الحمام وقالوا : من هذا؟ ومن أين

تعرفه؟ فقال: هذا صاحبي وقد أنزلني في بيته وله عليّ إحسان لا يحصى، فإنه أكرمني إكراماً زائداً وهو من أهل السعادة والسيادة وصنعته جوهري ليس له نظير وملك البصرة يحبه حباً كثيراً وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ. وصار يبالغ لهم في مدحه ويقول: إنه فعل معي كذا وكذا وأنا صرت في حياء منه ولا أدري ما أجازيه به في مقابلة ما صنعه معي من الإكرام. ولم يزل يثني عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهاباً في أعينهم. فقالوا: نحن كلنا نقوم بواجبه وإكرامه من شأنك، ولكن مرادنا أن نعرف ما سبب مجيئه إلى مصر؟ وما سبب خروجه من بلاده؟ وما فعل الله به حتى صار في هذه الحالة؟ فقال لهم: يا ناس لا تتعجبوا، إن ابن آدم تحت القضاء والقدر، وما دام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات. وقد صدق من قال هذه الأبيات: [من الكامل]

أَلدَّهْرُ يَفْتَرِسُ الرِّجالَ فَلا تَكُنْ ... مِمَّنْ تُطَيِّشُهُ المَناصِبُ والرُّتَبْ
وَاحْذَرْ مِنَ الزَّلاَّتِ وَاجْتَنِبِ الأَسَى ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ شِيمَتُهُ العَطَبْ
كَمْ نِعْمَةٍ زالَتْ بِأَصْغَرِ نَقْمَةٍ ... وَلِكُلِّ شَيْءٍ في تَقَلُّبِهِ سَبَبْ

أعلموا أني أنا دخلت البصرة في أسوأ من هذه الحالة وأشد من هذا النكال، لأن هذا الرجل دخل مصر مستور العورة بالخلقان وأما أنا فإني دخلت بلاده مكشوف العورة، يد من خلف ويد من قدام ولا نفعني إلا الله وهذا الرجل العزيز. والسبب في ذلك أن العرب عرّوني وأخذوا جمالي وبغالي وأحمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنّوا أني ميت فذهبوا وفاتوني، وبعد ذلك قمت ومشيت عرياناً إلى أن دخلت البصرة فقابلني هذا الرجل وكساني وأنزلني في بيته وقوّاني بالمال، وجميع ما أتيت به معي ليس إلا من خير الله وخيره. فعندما سافرت أعطاني شيئاً كثيراً ورجعت إلى بلدي مجبور الخاطر وفارقته وهو في سيادة وسعادة، فلعله حدث له بعد ذلك نكبة من نكبات الزمان أوجبت له فراق الأهل والأوطان وجرى له في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك. ولكن ينبغي لي الآن أن أجازيه على ما صنع معي من كريم الفعال وأعمل بقول من قال: [من المتقارب]

يا مُحْسِناً بِالزَّمانِ ظَنّاً ... هَلْ تَدْري ما يَفْعَلُ الزَّمانُ
ما شِئْتَ فاصْنَعْ جَمِيلَ فِعْلٍ ... كَما يَدِينُ الفَتَى يُدانُ

فبينما هم في هذا الكلام وأمثاله وإذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كأنه شاه بندر التجار. فقام إليه الجميع وسلّموا عليه وأجلسوه في الصدر وقال له قمر الزمان: يا صاحبي، نهارك مبارك سعيد، لا تحك لي على شيء جرى عليّ قبلك فإن كان العرب عرّوك وأخذوا منك مالاً فإن المال فدى الأبدان، فلا تغمّ نفسك فإني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني وأكرمتني ولك عليّ الإحسان الكثير فأنا أجازيك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 978

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهري: إني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني ولك عليّ الإحسان الكثير، فأنا أجازيك وأفعل معك كما فعلت معي بل أكثر من ذلك، فطب نفساً وقرّ عيناً. وصار يأخذ بخاطره ومنعه من الكلام لئلا يذكر زوجته وما فعلت معه، ولم يزل يعظه بمواعظ وأمثال وأشعار ونكت

وحكايات وأخبار ويسلّيه حتى لحظ الجوهري ما أشار إليه قمر الزمان من الكتمان. فكتم ما عنده وتسلّى بما سمعه من الأخبار والنوادر وأنشد قول الشاعر: [من البسيط]

فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ سَطْرٌ لَوْ نَظَرْتَ لَهُ | أَبْكَاكَ مَضْمُونُهُ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دِمَا
ما سَلَّمَ الدَّهْرُ بِاليُمْنَى على أَحَدٍ | إلاَّ ويُسْرَاهُ تَسْقِيهِ الرَّدَى كَظِمَا

ثم إن قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن أخذا الجوهري ودخلا به في قاعة الحريم واختليا به. فقال له التاجر عبد الرحمن: نحن ما منعناك من الكلام إلا خوفاً من الفضيحة في حقّك وحقّنا، ولكن نحن الآن في خلوة فاخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي. فاخبره بالقضية من المبتدأ إلى المنتهى. فلما فرغ من قصته قال له: هل الذنب من زوجتك أو من ولدي؟ قال له: والله إن ولدك ما عنده ذنب لأن الرجال لها الطمع في النساء والنساء عليهن أن يمتنعن من الرجال، فالعيب عند زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال. فقام التاجر واختلى بولده وقال له: يا ولدي، إننا اختبرنا زوجته وعرفنا أنها خائنة، ومرادي الآن أن أختبره وأعرف هل هو صاحب عرض ومروءة أو هو ديوث؟ فقال له: وكيف ذلك؟ فقال: مرادي أن أحمله على الصلح مع زوجته فإن رضي بالصلح وسامحها فإني أضربه بسيف فأقتله وبعد ذلك أقتلها هي وجاريتها، لأن لا خير في حياة الديوث والزانية، وإن نفر منها فإني أزوّجه أختك وأعطيه بأكثر من ماله الذي أخذته منه. ثم إنه رجع إليه وقال له: يا معلم، إن معاشرة النساء تحتاج إلى طول البال ومن كان يهواهن فإنه يحتاج إلى سعة الصدر، لأنهن يعربدن في الرجال ويؤذينهم لعزّتهن عليهم بالحسن والجمال فيستعظمن أنفسهن ويستحقرن الرجال ولا سيما إذا بانت لهن المحبة من بعولهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات، فإن كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن إلا من كان واسع البال كثير الإحتمال، وإن لم يتحمّل الرجل زوجته ويقابل إساءتها بالسماح فإنه لا يحصل له في عشرتها نجاح. وقد قيل في حقّهن: لو كنّ في السماء لمالت إليهن أعناق الرجال، ومن قدر وعفى كان أجره على الله. وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي أن يكون عندك لها السماح وهذا في العشرة من علامات النجاح، والنساء ناقصات عقل ودين، وهي إن أساءت فإنها قد تابت وإن شاء الله لا ترجع إلى فعل ما كانت تفعله أولاً. فالرأي عندي أنك تصطلح أنت وإياها وأنا أرد لك أكثر من مالك، وإن أقمت عندي فمرحباً بك وبها وليس لكما إلا ما يسرّكما، وإن كنت تطلب التوجه إلى بلادك فأنا أعطيك ما يرضيك، وها هو التختروان حاضر فركّب زوجتك وجاريتها فيه وسافر إلى بلادك، والذي يجري بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل التعسير. فقال الجوهري: يا سيدي، وأين زوجتي؟ فقال له: ها هي في هذا القصر فاطلع إليها واستوص بها من شأني ولا تشوّش عليها فإن ولدي لما جاء بها وطلب زواجها منعته وحطيتها في هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت في نفسي: ربما يجيء زوجها فأسلّمها إليه لأنها جميلة الصورة والتي مثل هذه لا يمكن زوجها أن يفوتها، والذي حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك. وأما من جهة ابني فإني خطبت له وزوّجته غيرها وهذه الولائم والضيافات من أجل فرحه وفي هذه الليلة دخلته على زوجته. وها هو

مفتاح القصر الذي فيه زوجتك فخذه وافتح الباب وادخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معها ويأتيكم الأكل والشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها . فقال له : جزاك الله عني كل خير يا سيدي . ثم أخذ المفتاح وطلع فرحاناً فظن التاجر أن هذا الكلام أعجبه وإنه رضي به ، فأخذ السيف وتبعه من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته . هذا ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن . وأما ما كان من أمر الجوهري فإنه دخل على زوجته فرآها تبكي بكاء شديداً بسبب أن قمر الزمان تزوّج بغيرها ورأى الجارية تقول لها : كم نصحتك يا سيدتي وقلت لك إن هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركي عشرته ! فما سمعت كلامي حتى نهبت جميع مال زوجك وأعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك وتعلّقت في هواه وجئت معه في هذه البلاد ، وبعد ذلك رماك من باله وتزوّج بغيرك ثم جعل آخر تعلّقك به الحبس . فقالت لها : اسكتي يا ملعونة ، فإنه وإن تزوج بغيري لا بد أن أخطر يوماً على باله فأنا لا أسلو مسامرته . وأنا على كل حال أتسلّى بقول من قال : [من الكامل]

يا سادَتِي هَلْ يَخطُرَنَّ ببالِكُمْ ... مَنْ لَيْسَ يَخطُرُ غَيْرُكُمْ في بَالِهِ
حاشَكُمُ أنْ تُغْفَلُوا عَنْ حالِ مَنْ ... هُوَ غافِلٌ في حَالِكُمْ عَنْ حالِهِ

فلا بد أنه يتذكّر عشرتي وصحبتي ويسال عني وأنا لا أرجع عن محبته ولا أحول عن هواه ولو مت في السجن ، فإنه حبيبي وطبيبي وعشمي فيه أنه يرجع إليّ ويعمل معي انبساطاً . فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها : يا خائنة ، إن عشمك فيه مثل عشم إبليس في الجنة ، كل هذه العيوب فيك وأنا ما عندي خبر ؟ ولو علمت أن فيك عيباً من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندي ساعة واحدة . ولكن حيث تيقّنت فيك ذلك ينبغي أن أقتلك ولو قتلوني فيك يا خائنة . ثم قبض عليها بيديه الإثنين وأنشد هذين البيتين : [من الخفيف]

يا مِلاحاً أذْهَبْتُمُ صِدْقَ وُدّي ... بِالتَّجَنِّي ولَمْ تُراعُوا حقُوقَا
كَمْ بِكُمْ صَبْوَةٍ عَلِقْتُ ولَكِنْ ... بَعْدَ هَذا الأَسَى كَرِهْتُ العُلُوقَا

ثم اتّكأ على زمّارة حلقها وكسرها . فصاحت الجارية : واسيدتاه . فقال لها : يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين أن فيها هذه الخصلة ولم تخبريني . ثم قبض على الجارية وخنقها ، كل ذلك حصل والتاجر ماسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع بأذنه ويرى بعينه . ثم إن عبيداً الجوهري لمّا خنقها في قصر التاجر كثرت عليه الأوهام وخاف عاقبة الأمر وقال في نفسه : إن التاجر إذا علم أني قتلتهما في قصره لا بد أنه يقتلني ، ولكن أسأل الله أن يجعل قبض روحي على الإيمان . وصار متحيّراً في أمره ولم يدر ماذا يفعل . فبينما هو كذلك وإذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له : لا بأس عليك إنك تستأهل السلامة ، وانظر هذا السيف الذي في يدي فإني كنت ضامراً على أن أقتلك إن صالحتها ورضيت عليها وأقتل الجارية ، وحيث فعلت هذه الفعال فمرحباً بك ثم مرحباً ولا جزاؤك إلا أن أزوّجك ابنتي أخت قمر الزمان . ثم إنه أخذه ونزل به وأمر بإحضار الغاسلة وشاع الخبر أن قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتا . فصار الناس يعزّونه ويقولون له : تعيش رأسك وعوّض الله عليك . ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف أحد حقيقة الأمر . هذا ما كان من أمر عبيد الجوهري

وزوجته وجاريته. وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أحضر شيخ الإسلام وجميع الأكابر وقال: يا شيخ الإسلام، أكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري ومهرها قد وصلني بالتمام والكمال. فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحداً وزفّوا بنت شيخ الإسلام زوجة قمر الزمان وأخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تختروان واحد في ليلة واحدة. وفي المساء زفّوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وادخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الإسلام وادخلوا المعلم عبيد على بنت التاجر عبد الرحمن. فلما دخل عليها رآها احسن من زوجته واجمل منها بألف طبقة ثم إنه أزال بكارتها. ولما أصبح دخل الحمام مع قمر الزمان، ثم أقام عندهم مدة في فرح وسرور. وبعد ذلك اشتاق إلى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال: يا عم، إني اشتقت إلى بلادي ولي فيها أملاك وأرزاق وكنت اقمت فيها صانعاً من صنّاعي وكيلاً عني وفي خاطري أن أسافر إلى بلادي لأبيع املاكي وارجع إليك، فهل تأذن لي في التوجه إلى بلادي من أجل ذلك؟ فقال له: يا ولدي، قد أذنت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فإن حب الوطن من الإيمان والذي ما له خير في بلاده ما له خير في بلاد الناس وربما إنك إذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيّراً بين رجوعك إلى زوجتك وقعودك في بلادك. فالرأي الصواب أنت تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك إن شئت الرجوع إلينا فارجع أنت وزوجتك ومرحباً بك وبها، لأننا ناس لا نعرف طلاقاً ولا تتزوّج منا امرأة مرتين ولا نهجر إنساناً بطراً. فقال: يا عم، أخاف أن ابنتك لا ترضى بالسفر معي إلى بلادي. فقال له: يا ولدي، نحن ما عندنا نساء تخالف بعولهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها. فقال له: بارك الله فيكم وفي نسائكم. ثم إنه دخل على زوجته وقال لها: أنا مرادي السفر إلى بلادي فما تقولين؟ قالت: إن أبي لا زال يحكم عليّ ما دمت بكراً وحيث تزوّجت فقد صار الحكم كله في يد بعلي فإني لا أخالفه. فقال لها: بارك الله فيك وفي أبيك ورحم الله بطنا حملتك وظهراً القاك. ثم بعد ذلك قطع علائقه واخذ في أسباب السفر فأعطاه عمه شيئًا كثيراً وودّعا بعضهما ثم أخذ زوجته وسافر. ولم يزل مسافراً حتى دخل البصرة، فخرجت لملاقاته الأقارب والأصحاب وهم يظنون أنه كان في الحجاز وصار بعض الناس فرحاناً بقدومه وبعضهم مغموماً لرجوعه إلى البصرة وقال الناس لبعضهم: إنه يضيق علينا في كل جمعة بحسب العادة ويحبسنا في الجوامع والبيوت وحتى يحبس قططنا وكلابنا. هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر ملك البصرة فإنه لما علم بقدومه غضب عليه وأرسل إليه وأحضره بين يديه وعنّفه وقال له: كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك؟ فهل كنت عاجزاً عن شيء أعطيه لك لتستعين به على الحج إلى بيت الله الحرام؟ فقال له: العفو يا سيدي، والله ما حججت ولكن جرى لي كذا وكذا. وأخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصري وكيف زوّجه ابنته إلى أن قال له: وقد جئت بها إلى البصرة. فقال له: والله لولا إني أخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوّجت بهذه البنت الأصيلة من بعدك، ولو كنت أنفق عليها خزائن الأموال لأنها لا تصلح إلا للملوك، ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك لك فيها فاستوص بها خيراً. ثم إنه أنعم على الجوهري ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفي إلى رحمة الله تعالى. فخطبها الملك فما رضيت وقالت: أيها الملك، أنا ما وجدت في طائفتي امرأة تزوّجت بعد بعلها فأنا لا أتزوّج أحداً بعد

بعلي، فلا أتزوّجك ولو كنت تقتلني. فأرسل يقول لها: هل تطلبين التوجه إلى بلادك؟ فقالت: إذا فعلت خيراً تجازى به. فجمع لها جميع أموال الجوهري وزادها من عنده على قدر مقامه ثم أرسل معها وزيراً من وزرائه مشهوراً بالخير والصلاح وأرسل معه خمسمائة فارس. فسار بها ذلك الوزير حتى أوصلها إلى أبيها وأقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع. وإذا كانت هذه المرأة ما رضيت أن تبدّل زوجها بعد موته بسلطان كيف تستوي بمن تبدّله في حال حياته بغلام مجهول الأصل والنسب؟ وخصوصاً إذا كان ذلك في السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح. ومن ظن أن النساء كلهن سواء فإن داء جنونه ليس له دواء. فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحي الذي لا يموت.

87 - حكاية عبد الله بن فاضل وأخويْه

ومما يحكى أيضًا أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد تفقّد خراج البلاد يوماً من الأيام فرأى خراج جميع البلاد والأقطار جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت في ذلك العام. فنصب ديواناً لهذا السبب وقال: عليّ بالوزير جعفر. فحضر بين يديه فقال له: إن خراج جميع الأقطار جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت منه شيء. فقال: يا أمير المؤمنين، لعل نائب البصرة حصل له أمر ألهاه عن إرسال الخراج. فقال: إن مدة حضور الخراج عشرون يوماً فما عذره في هذه المدة حتى لم يرسل الخراج أو يرسل بإقامة العذر؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن شئت أرسلنا إليه مرسالاً. فقال: أرسل له أبا اسحاق الموصلي النديم. فقال: سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين. ثم إن الوزير جعفر نزل إلى داره وأحضر أبا اسحاق الموصلي النديم وكتب له خطّاً شريفاً وقال له: إمض إلى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذي ألهاه عن إرسال الخراج ثم تسلّم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وأتني به سريعًا، فإن الخليفة تفقّد خراج الأقطار فوجده قد وصل إلا خراج البصرة، وإن رأيت الخراج غير حاضر واعتذر إليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه. فأجاب: بالسمع والطاعة وأخذ خمسة آلاف فارس من عسكر الوزير وسافر حتى وصل إلى مدينة البصرة. فعلم بقدومه عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره إليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قصره، وبقيّة العسكر نزلوا في الخيام خارج البصرة وقد عين لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون إليه. ولما دخل أبو اسحاقٌ الديوان وجلس على الكرسي أجلس عبد الله بن فاضل بجانبه وجلس الأكابر حوله على قدر مراتبهم. ثم بعد السلام قال له ابن فاضل: يا سيدي، هل لقدومك علينا من سبب؟ قال: نعم، إنما جئت لطلب الخراج فإن الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت. فقال: يا سيدي، يا ليتك ما تعبت ولا تحمّلت مشقة السفر فإن الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت عازماً على أن أرسله في غد ولكن حيث أتيت فأنا أسلّمه إليك بعد ضيافتك ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحضر الخراج بين يديك، ولكن وجب علينا الآن أننا نقدم إليك هدية من بعض خيرك وخير أمير المؤمنين. فقال له: لا بأس بذلك. ثم إنه فضّ الديوان ودخل به قصرًا في داره ليس له نظير. ثم قدّم له ولأصحابه سفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا. ثم رفعت المائدة وغسلت الأيادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة إلى ثلث الليل، ثم فرشوا له سريراً

من العاج مرصّعاً بالذهب الوهّاج ، فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه . فغلب السهر على أبي اسحاق رسول أمير المؤمنين وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لأنه من خواص ندماء الخليفة ، وكان له باع عظيم في الأشعار ولطاف الأخبار . ولم يزل سهراناً في إنشاء الشعر إلى نصف الليل . فبينما هو كذلك وإذا بعبد الله بن فاضل قام وشدّ حزامه وفتح دولاباً وأخذ منه سوطاً وأخذ شمعة مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظن أن أبا اسحاق نائم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 979

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عبد الله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن أن أبا اسحاق النديم نائم . فلمّا خرج تعجب أبو اسحاق وقال في نفسه : إلى أين يذهب عبد الله بن فاضل بهذا السوط ؟ فلعل مراده أن يعذّب أحداً ، ولكن لا بد لي من أن أتبعه وأنظر ما يصنع في هذه الليلة . ثم إن أبا اسحاق قام وخرج وراءه قليلاً قليلاً بحيث أنه لم يره ، فرأى عبد الله فتح خزانة وأخرج منها مائدة فيها أربعة أصحن من الطعام وخبزاً وقلّة فيها ماء ، ثم إنه حمل المائدة والقلة ومشى . فتبعه أبو اسحاق مستخفياً إلى أن دخل قاعة ، فوقف أبو اسحاق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب ، فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشاً فاخراً ، وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفّح بالذهب وذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب . ثم إنه رأى عبد الله حطّ المائدة على جانب في سكان وشمّر عن أياديه وفكّ الكلب الأول ، فصار يتلّوى في يده ويضع وجهه في الأرض كأنه يقبّل الأرض بين يديه ويعوي عياً خفيف بصوت ضعيف . ثم إنه كتّفه ورماه على الأرض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضرباً وجيعاً من غير شفقة وهو يتلّوى بين يديه ولا يجد له خلاصاً . ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الأنين وغاب عن الوجود . ثم إنه أخذه وربطه في مكانه وبعد ذلك أخذ الكلب الثاني وفعل به كما فعل بالأول . ثم إنه أخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول : لا تؤاخذاني ، والله ما هذا بخاطري ولم يسهل عليّ ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجاً ومخرجًا ويدعو لهما . وحصل كل هذا وأبو اسحاق النديم واقف يسمع بأذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة . ثم إنه قدّم لهما سفرة الطعام وصار يلقّمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما أفواههما وحمل القلّة وسقاهما . وبعد ذلك حمل المائدة والقلّة والشمعة وأراد أن يخرج فسبقه أبو اسحاق وجاء إلى سريره ونام ولم يره ولم يعرف أنه تبعه واطلع عليه . ثم إن عبد الله وضع السمرة والقلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع حوائجه ونام . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر أبي اسحاق ، فإنه بات بقية تلك الليل يفكر في شأن هذا الأمر ولم يأته نوم من كثرة العجب وصار يقول في نفسه : يا ترى ، ما سبب هذه القضية ؟ ولم يزل يتعجب إلى الصباح . ثم قاموا وصلّوا الصبح وانحطّ لهم الفطور ، فأكلوا وشربوا القهوة وطلعوا إلى الديوان واشتغل أبو اسحاق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد الله عنها . وثاني ليلة فعل بالكلبين كذلك ، فضربهما ثم صالحهما وأطعمهما وسقاهما وتبعه أبو اسحاق فرآه فعل بهما كأول ليلة وكذلك ثالث ليلة . ثم إنه أحضر الخراج إلى أبي اسحاق النديم في رابع يوم فأخذه وسافر ولم

يبدّله شيئًا، ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى بغداد وسلّم الخراج إلى الخليفة. ثم إن الخليفة سأله عن سبب تأخير الخراج فقال له: يا أمير المؤمنين، رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج وأراد إرساله ولو تأخرت يومًا لقابلني في الطريق، لكن رأيت من عبد الله بن فاضل عجباً عمري ما رأيت مثله يا أمير المؤمنين. فقال الخليفة: وما هو يا أبا اسحاق؟ قال: رأيت ما هو كذا وكذا. وأخبره بما فعله مع الكلبين وقال له: رأيته ثلاث ليال متواليات وهو يعمل هذا العمل، فيضرب الكلبين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما ويطعمهما، وأنا أتفرج عليه بحيث لا يراني. فقال له الخليفة: فهل سألته عن السبب؟ فقال له: لا وحياة رأسك يا أمير المؤمنين. فقال الخليفة: يا أبا اسحاق، أمرتك أن ترجع إلى البصرة وتأتيني بعبد الله بن فاضل وبالكلبين. فقال: يا أمير المؤمنين، دعني من هذا فإن عبد الله بن فاضل أكرمني إكرامًا زائدًا وقد اطلعت على هذه الحالة اتّفاقاً من غير قصد فأخبرتك بها، فكيف أرجع إليه وأجيء به؟ فإن رجعت إليه لا ألقى لي وجهاً حياء منه. فاللائق إرسال غيري إليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبين. فقال له: إن أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الأمر ويقول: ما عندي كلاب. وأما إذا أرسلتك أنت وقلت له: إني رأيتك بعيني، فإنه لا يقدر على إنكار ذلك. فلا بد من ذهابك إليه وإتيانك به وبالكلبين وإلا فلا بد من قتلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 980

☐ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد قال لأبي اسحاق: لا بد من ذهابك إليه وإتيانك به وبالكلبين وإلا فلا بد من قتلك. فقال له أبو اسحاق: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين وحسبنا الله ونِعم الوكيل وصدق من قال: آفة الإنسان من اللسان. فأنا الجاني على نفسي حيث أخبرتك ولكن أكتب لي خطّاً شريفاً وأنا أذهب إليه وآتيك به. فكتب له خطّاً شريفاً وتوجه به إلى البصرة. فلما دخل على عامل البصرة قال له: كفانا الله شرّ رجوعك يا أبا اسحاق، فما لي أراك رجعت سريعاً؟ لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة. فقال: يا أمير عبد الله، ليس رجوعي من أجل نقص الخراج فإنه كامل وقبله الخليفة. ولكن أرجو منك عدم المؤاخذة فإني أخطأت في حقّك وهذا الذي وقع مني مقدّر من الله تعالى. فقال له: وما وقع منك يا أبا اسحاق؟ أخبرني فإنك حبيبي وأنا لا آخذك. فقال له: أعلم أني لما كنت عندك اتّبعتك ثلاث ليال متواليات وأنت تقوم كل ليلة في نصف الليل وتعذّب الكلاب وترجع. فتعجبت من ذلك واستحيت أن أسالك عنه. ثم إني أخبرت الخليفة بخبرك اتّفاقاً من غير قصد فألزمني بالرجوع إليك وهذا خط يده، ولو كنت أعلم أن الأمر يحوج إلى ذلك ما كنت أخبرته ولكن جرى القدر بذلك، وصار يعتذر إليه. فقال له: حيث أخبرته فأنا أصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فإنك حبيبي، ولو أخبر غيرك كنت أنكرت ذلك وكذّبته. فها أنا أروح معك وآخذ الكلبين معي ولو كان في ذلك تلف نفسي وانقضاء أجلي. فقال له: الله يسترك كما سترت وجهي عند الخليفة. ثم إنه أخذ هدية تليق بالخليفة وأخذ الكلبين في جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا إلى أن وصلوا إلى بغداد، ودخل على الخليفة فقبّل الأرض بين يديه فأذن له بالجلوس، فجلس وأحضر الكلبين بين يديه. فقال الخليفة: ما هذان الكلبان يا أمير عبد الله؟ فصار الكلبان يقبّلان الأرض بين يديه ويحرّكان أذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان إليه.

فتعجب الخليفة من ذلك وقال له : أخبرني بخبر هذين الكلبين ؟ وما سبب ضربك لهما وإكرامهما بعد الضرب . فقال له : يا خليفة الله ، ما هذان كلبان وإنما هما رجلان شابان ذوا حسن وجمال وقدّ واعتدال وهما أخواي وولدا امي وابي . فقال الخليفة : وكيف كانا آدميين وصارا كلبين ؟ قال : إن أذنت لي يا أمير المؤمنين أخبرك بحقيقة الخبر . فقال : أخبرني وإياك والكذب فإنه صفة أهل النفاق ، وعليك بالصدق فإنه سفينة النجاة وسيمة الصالحين . فقال له : أعلم يا خليفة الله ، اني إذا أخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان عليّ ، فإن كذبت يكذّباني وإن صدقت يصدقان . فقال له : هذان من الكلاب لا يقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك أو عليك ؟ فقال لهما : يا أخويّ ، إذا أنا تكلّمت كلاماً كذباً فارفعا رؤوسكما وحملقا أعينكما وإذا تكلّمت صدقاً فنكّسا رؤوسكما وغضا أعينكما . ثم إنه قال : أعلم يا خليفة الله ، إنّا نحن ثلاثة أخوة أمنا واحدة وأبونا واحد ، وكان اسم أبينا فاضل وما سمّي بهذا الإسم الا لكون أم أبيه وضعت ولدين توأمين في بطن واحد ، فمات أحدهما من وقته وساعته وفضل الثاني فسمّاه أبوه فاضلاً . ثم ربّاه وأحسن تربيته إلى أن كبر فزوّجه أمنا ومات ، فوضعت أخي هذا أولاً فسمّاه منصوراً وحملت ثاني مرة ووضعت أخي هذا فسمّاه ناصراً وحملت ثالث مرة ووضعتني فسمّاني عبد الله . وربّانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال ، فمات وخلّف لنا بيتاً ودكانًا ملآناً قماشاً ملوناً من سائر أنواع القماش الهندي والرومي والخراساني وغير ذلك ، وخلّف لنا ستين ألف دينار . فلما مات أبونا غسلناه وعملنا له مشهداً عظيماً ودفناه لرحمة مولاه ، وعملنا له عتاقة وختمات وتصدّقنا عليه إلى تمام الأربعين يوماً . ثم إني بعد ذلك جمعت التجار وأشراف الناس وعملت لهم يوماً عظيماً وبعدما أكلوا قلت لهم : يا تجار ، إن الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه ، هل تعلمون لأي شيء جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندي ؟ قالوا : سبحان الله علام الغيوب . فقلت لهم : إن أبي مات عن جملة من المال ، وأنا خائف أن يكون عليه تبعة لأحد من دين أو رهن أو غير ذلك ، ومرادي خلاص ذمة أبي من حقوق الناس . فمن كان له عليه شيء فليقل : إن لي عليه كذا وكذا . وأنا أورده له لأجل براءة ذمة أبي . فقال لي التجار : يا عبد الله ، إن الدنيا لا تغني عن الآخرة ولسنا أصحاب باطل وكل منّا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالى ونجتنب أكل مال اليتيم . ونعلم أن أباك رحمة الله عليه كان دائماً يبقى ماله عند الناس ولا يخلّي في ذمته شيئًا إلى أحد . ونحن دائماً نسمعه وهو يقول : أنا خائف من متاع الناس . ودائماً كان يقول في دعائه : إلهي أنت ثقتي ورجائي فلا تمتني وعليّ دين . وكان من جملة طباعه أنه إذا كان لأحد عليه شيء فإنه يدفعه له من غير مطالبة ، وإذا كان له على أحد شيء فإنه لا يطالبه ويقول له : على مهلك . وإن كان فقيراً يسامحه ويبرىء ذمته ، وإن لم يكن فقيراً ومات يقول : سامحه الله مما لي عنده . ونحن كلنا نشهد أنه ليس لأحد عنده شيء . فقلت : بارك الله فيكم . ثم إني التفت إلى أخويّ هذين وقلت لهما : إن أبانا ليس عليه لأحد شيء وقد خلّف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ، ونحن ثلاثة أخوة كل منا يستحق ثلث هذا الشيء فهل نتّفق على عدم القسمة ويستمرّ مالنا مشتركاً بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء ؟ أو نقسم القماش والأموال ويأخذ كل واحد منا حصته ؟ فقالا : نقسم ويأخذ كل واحد منا حصته . ثم التفت إلى الكلبين وقال لهما : هل جرى ذلك يا أخويّ ؟ فنكسا رؤوسهما وغضا عيونهما كأنهما

قالا: نعم. ثم إنه قال: فأحضرت قساماً من طرف القاضي يا أمير المؤمنين، فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلّفه لنا أبونا وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما استحقه من الأموال ورضينا بذلك. وصار البيت والدكان في قسمي وهما أخذا قسمهما مالاً وقماشاً. ثم إني فتحت الدكان وحطّيت فيه القماش واشتريت بجانب من المال الذي خصّني زيادة على البيت والدكان قماشاً حتى ملأت الدكان وقعدت أبيع وأشتري. وأما أخواي فإنهما اشتريا قماشاً واكتريا مركباً وسافرا في البحر إلى بلاد الناس فقلت: الله يساعدهما وأنا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة. ودمت على ذلك مدة سنة كاملة، ففتح الله عليّ وصرت أكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلّفه لنا أبونا. فاتفق لي يومًا من الأيام أنني كنت جالساً في الدكان وعليّ فروتان: إحداهما سمور والأخرى سنجاب، لأن ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في أوان اشتداد البرد. فبينما أنا كذلك وإذا بأخويّ قد أقبلا عليّ وعلى بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة، وشفاههما بيض من البرد وهما ينتفضان. فلما رأيتهما عسر عليّ ذلك وحزنت عليهما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 981

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل لما قال للخليفة: فلما رأيتهما ينتفضان عسر عليّ ذلك وحزنت عليهما وطار عقلي من رأسي، فقمت إليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وأدخلتهما الحمام وأرسلت إلى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر ألفي. وبعدما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم أخذتهما إلى البيت فرأيتهما في غاية الجوع، فوضعت لهما سفرة الأطعمة فأكلا وأكلت معهما ولاطفتهما وأخذت بخاطرهما. ثم التفت إلى الكلبين وقال لهما: هل جرى ذلك يا أخويّ؟ فنكسا رؤوسهما وغضا عيونهما. ثم إنه قال: يا خليفة الله، ثم إني سألتهما وقلت لهما: كيف جرى لكما؟ وأين أموالكما؟ فقالا: سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمّى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين ديناراً وكسبنا مكاسباً عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقّة الحرير بعشرة دنانير وهي تساوي في البصرة أربعين ديناراً، ودخلنا مدينة تسمّى مدينة الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا أموال كثيرة. وجعلوا يذكرون لي البلاد والمكاسب فقلت لهما: حيث رأيتما هذا الفرح والخير فما لي أراكما رجعتما عريانين؟ فتنهدا وقالا: يا أخانا، ما حلّ بنا إلا عين صائبة والسفر ما له أمان. فلما جمعنا تلك الأموال والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه إلى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وأرغى وأزبد وتحرّك وهاج وتلاطم بالأمواج، وصار والموج يقدح الشرار كلهيب النار، واختلفت علينا الأرياح والتطمت بنا المركب في سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنا في البحر وصرنا نخبط على وجه الماء يوماً وليلة، فأرسل الله لنا مركباً أخرى فأخذتنا ركابها وصرنا من بلاد إلى بلاد ونحن نسأل ونتقوّت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم، وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوّت حتى قربنا من البصرة، وما وصلنا إلى البصرة حتى شربنا ألف حسرة ولو كنا سلمنا بما كان معنا

كنا أتينا بأموال تضاهي أموال الملك، ولكن هذا مقدّر من الله علينا. فقلت لهما: يا أخويّ، لا تحملا هماً فإن المال فدى الأبدان والسلامة غنيمة، وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المنى، وما الفقر والغنى إلا كطيف خيال. ولله در من قال: [من الطويل]

إذا سَلَمَتْ هامُ الرِّجالِ مِنَ الرَّدَى فَما المالُ إلاَّ مِثْلَ قَصِّ الأظافِرِ

ثم قلت لهما: يا أخويّ، نحن نقدّر أن أبانا قد مات في هذا اليوم وخلّف لنا جميع هذا المال الذي عندي، وقدّ طابت نفسي على أننا نقسمه بيننا بالسوية. ثم أحضرت قساماً من طرف القاضي وأحضرت له جميع مالي، فقسمه بيننا وأخذ كل منا ثلث المال. فقلت لهما: يا أخويّ، بارك الله للإنسان في رزقه إذا كان في بلده، فكل واحد منكما يفتح له دكاناً ويقعد فيه لتعاطي الأسباب والذي له شيء في الغيب لا بد أن يحصله. ثم سعيت لكل واحد منهما في فتح دكان وملأته له بالبضائع وقلت لهما: بيعا واشتريا واحفظا أموالكما ولا تصرفا منها شيئًا وجميع ما يلزم لكما من أكل وشرب وغيرهما يكون من عندي. ثم قمت بإكرامهما وصارا يبيعان ويشتريان في النهار وعند المساء يبيتان في بيتي ولم أدعهما يصرفان شيئًا من أموالهما، وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكران محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويغرياني على أن أوافقهما على التغرّب في بلاد الناس. ثم قال للكلبين: هل جرى ذلك يا أخويّ؟ فنكسا رؤوسهما وغضا عيونهما تصديقاً له. ثم قال: يا خليفة الله، فما زالا يرغّباني ويذكران لي كثرة الربح والمكاسب في الغربة ويأمراني بالسفر معهما حتى قلت لهما: لا بد أن أسافر معكما من أجل خاطركما. ثم إني عقدت الشركة بيني وبينهما وحملنا قماشاً من سائر الأصناف النفيسة واكترينا مركباً وشحناها بالبضائع من أنواع المتاجر ونزّلنا في تلك المركب جميع ما نحتاج إليه. ثم سافرنا من مدينة البصرة في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج، الذي الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود، ولا زلنا مسافرين حتى طلعنا إلى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب ثم رحلنا منها إلى غيرها، ولم نزل نرحل من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم. ثم إننا وصلنا إلى جبل فألقى الريس المرساة وقال لنا: يا ركاب، اطلعوا إلى البرّ تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدوا ماء. فخرج جميع من في المركب وخرجت أنا بجملتهم وصرنا نفتش على الماء، وتوجه كل منا في جهة وصعدت أنا على أعلى الجبل. فبينما أنا سائر إذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة ووراءها ثعبان أسود يسعى خلفها وهو مشوّه الخلقة هائل المنظر. ثم إن الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها ولف ذيله على ذيلها فصاحت، فعرفت إنه مفتر عليها. فأخذتني الشفقة عليها وتناولت حجراً من الصوان قدر خمسة أرطال أو أكثر وضربت به الثعبان فجاء في رأسه فدقها، فما أشعر إلا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتاً شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كأنها البدر المنير، فأقبلت عليّ وقبّلت يدي ثم قالت لي: سترك الله بسترين، ستر من العار في الدنيا وستر من النار في الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ثم قالت: يا إنسي، أنت قد سترت عرضي وصار لك عليّ الجميل ووجب عليّ جزاؤك. ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الأرض

فعرفت أنها من الجن، وأما الثعبان فإن النار اتقدت فيه وأحرقته وصار رماداً، فتعجبت من ذلك. ثم إني رجعت إلى أصحابي وأخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة، وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الأطراف ثم سافرنا حتى غاب البر عنا. ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوماً ولم نر براً ولا طيراً وفرغ ماؤنا. فقال الريس: يا ناس، إن الماء الحلو قد فرغ منا. فقلنا: نطلع البر لعلنا نجد ماء. فقال: والله إني تهت عن الطريق ولا أعرف طريقاً يوديني إلى جهة البر. فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا الله تعالى أن يهدينا إلى الطريق ثم بتنا تلك الليلة في أسوأ حال. ولله در من قال: [من المتقارب]

وكَمْ لَيْلَةٍ بِتُّ في كُرْبَةٍ ... يَكادُ الرَّضِيعُ لَها أَنْ يَشِيبْ
فَما أَصْبَحَ الصُّبْحُ إلاَّ أَتَى ... نَصرٌ مِنَ اللهِ وفَتْحٌ قَرِيبْ

فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأينا جبلاً عالياً. فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به. ثم إننا وصلنا إلى ذلك الجبل فقال الريس: يا ناس اطلعوا البر حتى نفتش على ماء. فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نرَ فيه ماء، فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء. ثم إني صعدت على أعلى ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة أو أكثر، فناديت أصحابي فأقبلوا عليّ. فلما أتوا قلت لهم: أنظروا إلى هذه الدائرة التي خلف هذا الجبل فإني أرى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان ذات أسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات، فسيروا بنا نمضي إلى هذه المدينة ونجيء منها بالماء ونشتري ما نحتاج إليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع. فقالوا: نخاف أن يكون أهل هذه المدينة كفاراً مشركين أعداء الدين فيقضوا علينا ونكون أسرى تحت أيديهم أو يقتلونا، ونكون قد تسببنا في قتل أنفسنا حيث أوقعنا أنفسنا في الهلاك وسوء الإرتباك، والمغرور غير مشكور لأنه على خطر من الأسواء كما قال فيه بعض الشعراء: [من البسيط]

ما دامَتِ الأَرْضُ أَرْضاً والسَّماءُ سَماءَ ... لَيْسَ المُغرُّ بِمَحْمُودٍ وإنْ سَلما

فنحن لا نغر بأنفسنا. فقلت لهم: يا ناس، لا حكم لي عليكم ولكن آخذ أخوتي وأتوجه إلى هذه المدينة. فقال لي أخواي: نحن نخاف من هذا الأمر ولا نروح معك. فقلت: أما أنا فقد عزمت على الذهاب إلى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدر الله عليّ، فانتظراني حتى أذهب إليها وأرجع إليكما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 982

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، إن عبد الله قال: فانتظراني حتى أذهب إليها وأرجع إليكما. ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت إلى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة، أسوارها عالية وأبراجها محصنة وقصورها شاهقة وأبوابها من الحديد الصيني وهي مزخرفة منقوشة تدهش العقول. فلما دخلت من الباب رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفي ذراعه سلسلة من النحاس الأصفر، وفي تلك السلسلة أربعة عشر مفتاحاً، فعرفت أن ذلك الرجل بوّاب المدينة والمدينة لها أربعة عشر باباً. ثم إني دنوت منه

وقلت له : السلام عليكم . فلم يرد عليّ السلام ، فسلّمت عليه ثانياً وثالثاً فلم يرد عليّ الجواب ، فوضعت يدي على كتفه وقلت له : يا هذا ، لأي شيء لم ترد السلام ؟ ها أنت نائم أو أصم أو غير مسلم حتى تمنع رد السلام ؟ فلم يجبني ولم يتحرك . فتأملت فيه فرأيته حجراً فقلت : إن هذا شيء عجيب ، هذا الحجر مصوّر بصورة ابن آدم ولم ينقص عنه غير النطق . ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلاً واقفاً في الطريق ، فدنوت منه وتأملته فرأيته حجراً . ثم إني لم أزل ماشياً في شوارع تلك المدينة وكلما رأيت إنساناً أدنوا منه وأتأمّله فأجده حجراً . وقابلت امرأة عجوزاً على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر ، والعقدة الثياب التي على رأسها من الحجر . ثم إني دخلت السوق فرأيت زيّاتاً ميزانه منصوبة وقدامه أصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر . ثم إني رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ، ورأيت رجالاً ونساء وصبياناً وكل ذلك من الحجر . ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالساً في دكانه والدكان كان ممتلئة بأنواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الأقمشة كنسيج العنكبوت ، فصرت أتفرج عليها وكلما مسكت ثوباً من القماش يصير بين يدي هباء منثوراً . ورأيت صناديق ، ففتحت واحداً فوجدت فيه ذهباً في أكياس ، فمسكت الأكياس فذابت في يدي والذهب لم يزل على حاله ، فحملت منه على قدر ما أطيقه وصرت أقول في نفسي : لو حضر أخواي معي لأخذا من هذا الذهب كفايتهما وتمتّعا من هذه الذخائر التي لا أصحاب لها . وبعد ذلك دخلت دكان آخر فرأيت فيه أكثر من ذلك ولكن ما بقيت أقدر أن أحمل غير ما حملت . ثم إني خرجت من ذلك السوق إلى سوق آخر ثم منه إلى سوق آخر وهكذا ولا زلت أتفرّج على مخلوقات مختلفة الأشكال وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة . ثم إني دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالاً جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في أيديهم وبعضها في أقفاص . فلما رأيت ذلك يا أمير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب وحملت من المصاغ ما أطيق حمله وخرجت من سوق الصاغة إلى سوق الجواهر ، فرأيت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قفص ملآن بأنواع المعادن كالياقوت والألماس والزمرد والبلخش وغير ذلك من سائر الأصناف ، وأصحاب الدكاكين أحجار . فرميت ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما أطيق حمله وبقيت أتندم حيث لم يكن أخواي معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما أراداه . ثم إني خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين بأحسن زينة ومن داخل الباب دكك ، وجالس على تلك الدكك خدام وجند وأعوان وعساكر وحكام وهم لابسون أفخر الملابس وكلهم أحجار ، فلمست واحداً منهم فتناثرت ملابسه على بدنه مثل نسيج العنكبوت . ثم إني مشيت في ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير في بنائها وإحكام صنايعها ، ورأيت في تلك السراية ديواناً مشحوناً بالأكابر والوزراء والأعيان والأمراء وهم جالسون على كراسي وكلهم أحجار . ثم إني رأيت كرسياً من الذهب الأحمر مرصّعاً بالدر والجواهر وجالس فوقه آدمي عليه أفخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروي مكلّل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار ، فلما وصلت إليه رأيته من الحجر . ثم إني توجهت من ذلك الديوان إلى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديواناً من النساء ، ورأيت في ذلك الديوان كرسياً من الذهب الأحمر مرصّعاً بالدر

والجواهر وجالس فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلّل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الأقمار جالسات على كرسي ولابسات أفخر الملابس الملونة بسائر الألوان، وواقف هناك طواشية أيديهم على صدورهم كأنهم واقفون من أجل الخدمة، وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين بما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه أبهج التعاليق من البلور الصافي، وفي كل قدرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال. فرميت ما معي يا أمير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما أطيق وبقيت متحيّراً فيما أحمله وفيما أتركه، لأني رأيت ذلك المكان كأنه كنز من كنوز المدن. ثم إني رأيت باباً صغيراً مفتوحاً وفي داخله سلالم، فدخلت الباب وطلعت أربعين سلّماً فسمعت إنساناً يتلو القرآن بصوت رخيم، فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت إلى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة. فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحيّر الأفكار، فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصراً كأنه كنز على وجه الدنيا، ومن داخله بنت كأنها الشمس الضاحية في وسط السماء الصاحية وهي لابسة أفخر الملابس ومتحلية بأنفس ما يكون من الجواهر، مع إنها بديعة الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال وخصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفي العليل وأجفان ذات اعتلال. كأنها المرادة بقول من قال: [من الطويل]

سَلامٌ عَلى ما في الثِّيابِ مِنْ القَدِّ ... وما في بَساتِينِ الخُدُودِ مِنَ الوَرْدِ
كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في جَبِينِها ... وباقِي نُجُومِ اللَّيْلِ في الصَّدْرِ كالعِقْدِ
فَلَوْ لَبِسَتْ ثَوْباً مِنَ الوَرْدِ خالِصاً ... لأدْمَى مَجانِي جِسْمِها وَرَقُ الوَرْدِ
ولَوْ تَفَلَتْ في البَحْرِ والبَحْرُ مالِحٌ ... لأصْبَحَ طَعْمُ البَحْرِ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
ولَوْ وَاصَلَتْ شَيْخاً كَبِيراً على عَصًى ... لأصْبَحَ ذاكَ الشَّيْخُ مُفْتَرِسَ الأُسْدِ

ثم إنه قال: يا أمير المؤمنين، لما رأيت تلك البنت شغفت بها حباً وتقدّمت إليها فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلو كتاب الله عزّ وجل حفظاً على ظهر قلبها، وصوتها كأنه صرير أبواب الجنان إذا فتحها رضوان، والكلام خارج من بين شفتيها يتناثر كالجواهر، ووجهها ببديع المحاسن زاه وزاهر كما قال في مثلها الشاعر: [من الكامل]

يا مَطْرِبًا بِلُغاتِهِ وصِفاتِهِ ... قَدْ زادَ فِيكَ تَشَوُّقِي وتَشَوُّفِي
شَيْئانِ فِيكَ ذَوَّبا أَهْلَ الهَوَى ... نَغَماتُ داوُدَ وصُورَةُ يُوسُفِ

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم، وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سلام قولاً من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم أحسن السلام، واندهش مني العقل والناظر وصرت كما قال الشاعر: [من البسيط]

ما هَزَّنِي الشَّوْقُ حَتَّى تِهْتُ عَنْ كَلِمِي ... ولا دَخَلْتُ الحِمَى إلا لِسَفْكِ دَمِي
ولا سَمِعْتُ كَلاماً مِنْ عَواذِلِنا ... إلاّ لأُشْهِدَ مَنْ أَهْواهُ في الكَلِمِ

ثم تجلّدت على هول الغرام وقلت لها: السلام عليك أيتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة،

أدام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك . فقالت : وعليك مني السلام والتحية والإكرام يا عبد الله يا ابن فاضل ، اهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا حبيبي وقرّة عيني . فقلت لها : يا سيدتي ، من أين علمت إسمي ؟ ومن تكوني انت ؟ وما شأن اهل هذه المدينة حتى صاروا احجاراً ؟ فمرادي ان تخبريني بحقيقة الأمر فإني تعجبت من هذه المدينة ومن اهلها ومن كونها لم يوجد فيها أحد إلا انت ، فبالله عليك ان تخبريني بحقيقة ذلك على وجه الصدق . فقالت لي : إجلس يا عبد الله وانا إن شاء الله تعالى احدّثك واخبرك بحقيقة امري وبحقيقة امر هذه المدينة وأهلها على التفصيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فجلست إلى جانبها فقالت لي : أعلم يا عبد الله يرحمك الله ، انني بنت ملك هذه المدينة ووالدي هو الذي رايته جالساً في الديوان على الكرسي العالي والذي حوله أكابر دولته واعيان مملكته ، وكان أبي ذا بطش شديد ويحكم على ألف الف ومائة الف وعشرين الف جندي وعدة أمراء ، دولته أربعة وعشرون الفاً كلهم حكام وأصحاب مناصب ، وتحت طاعته من المدن الف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى ، وأمراء العربان الذين تحت يده الف أمير ، كل امير يحكم على عشرين الف فارس ، وعنده من الأموال والذخائر والمعادن والجواهر ما لا عين رات ولا اذن سمعت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 983

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بنت ملك مدينة الأحجار قالت : يا عبد الله ، إن أبي كان عنده من الأموال والذخائر ما لا عين رات ولا اذن سمعت ، وكان يقهر الملوك ويبيد الأبطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان وتخشاه الجبابرة وتخضع له الأكاسرة ، ومع ذلك كان كافراً مشركاً بالله يعبد الصنم دون مولاه وجميع عساكره كفار يعبدون الأصنام دون الملك العلام . فاتفق انه كان يوماً من الأيام جالساً على كرسي مملكته وحوله أكابر دولته فلم يشعر إلا وقد دخل عليه شخص فاضاء الديوان من نور وجهه ، فنظر إليه أبي فرآه لابساً حلة خضراء وهو طويل القامة وأياديه نازلة إلى تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه . فقال لأبي : يا باغي يا مفتري ، إلى متى وانت مغرور بعبادة الأصنام وتترك عبادة الملك العلام ؟ قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأسلم أنت وقومك ودع عنك عبادة الأصنام فإنها لا تنفع ولا تشفع ، ولا يعبد بحق إلا الله رافع السموات بغير عماد وباسط الأرضين رحمة للعباد . فقال له : من أنت أيها الرجل الجاحد لعبادة الأصنام حتى تتكلم بهذا الكلام ؟ أما تخشى أن تغضب عليك الأصنام ؟ فقال له : إن الأصنام احجار لا يضرّني غضبها ولا ينفعني رضاها ، فاحضر لي صنمك الذي انت تعبده وأمر كل واحد من قومك أن يحضر صنمه . فإذا حضر جميع أصنامكم فادعوهم ليغضبوا عليّ وأنا أدعو ربي أن يغضب عليهم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق ، فإن أصنامكم قد صنعتموها أنتم وتلبّست بها الشياطين وهم الذين يكلّمونكم من داخل بطون الأصنام ، فأصنامكم مصنوعة وإلهي صانع ولا يعجزه شيء ، فإن ظهر لكم الحق فاتبعوه وإن ظهر لكم الباطل فاتركوه . فقالوا له : ائتنا ببرهان ربك حتى نراه ؟ فقال : ائتوني ببراهين أربابكم ؟ فأمر الملك كل من كان يعبد رباً من الأصنام أن ياتي به . فاحضر جميع العساكر أصنامهم في الديوان . هذا ما كان من أمرهم .

وأما ما كان من أمري، فإني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان أبي وكان لي صنم من زمردة خضراء جسمه قدر جسم ابن آدم، فطلبه أبي فأرسلته إليه في الديوان فوضعوه في جانب صنم أبي، وكان صنم أبي من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الألماس، وأما أكابر العساكر والرعية فبعض أصنامهم من البلخش وبعضها من العقيق وبعضها من المرجان وبعضها من العود القماري وبعضها من الأبنوس وبعضها من الفضة وبعضها من الذهب، وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه. وأما رعاع العساكر والرعية فبعض أصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من الفخار وبعضها من الطين، وكل الأصنام مختلفة الألوان ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأسود وأبيض. قال ذلك الشخص لأبي: ادع صنمك وهؤلاء الأصنام تغضب عليّ. فصفوا تلك الأصنام ديواناً وجعلوا صنم أبي على كرسي من الذهب وصنمي إلى جانبه في الصدر، ثم رتّبوا الأصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده، وقام أبي وسجد لصنمه وقال له: يا إلهي، أنت الرب الكريم وليس في الأصنام أكبر منك وأنت تعلم أن هذا الشخص أتاني طاعنا في ربوبيتك مستهزئًا بك ويزعم أن له إلهاً أقوى منك ويأمرنا أن نترك عبادتك ونعبد إلهه، فاغضب عليه يا إلهي. وصار يطلب من الصنم والصنم لا يرد عليه جواباً ولا يخاطبه بخطاب. فقال له: يا إلهي ما هذه عادتك لأنك كنت تكلّمني إذا كلمتك فما لي أراك ساكتاً لا تتكلم؟ هل أنت غافل أو نائم؟ فانتبه وانصرني وكلمني. ثم هزه بيده فلم يتكلم ولم يتحرّك من مكانه. فقال ذلك الشخص لأبي: ما لي أرى صنمك لا يتكلم؟ قال له: أظن إنه غافل أو نائم؟ فقال له: يا عدو الله، كيف تعبد إلهاً لا ينطق وليس له قدرة على شيء ولا تعبد إلهي الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يفعل ولا ينام ولا تدركه الأوهام يرى ولا يرى وهو على كل شيء قدير؟ وإلهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان متلبساً به شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب الآن شيطانه. فاعبد الله واشهد أنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه وإنه لا يستحق العبادة غيره ولا خير إلا خيره. وأما إلهك هذا فإنه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكيف يقدر على دفعه عنك؟ فانظر بعينك عجزه. ثم تقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الأرض. فغضب الملك وقال للحاضرين: إن هذا الجاحد قد صك إلهي فاقتلوه. فأرادوا القيام ليضربوه فلم يقدر أحد منهم أن يقوم من مكانه، فعرض عليهم الإسلام فلم يسلموا. فقال: أريكم غضب ربي؟ فقالوا: أرنا. فبسط يديه وقال: إلهي وسيدي أنت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار الذين يأكلون خيرك ويعبدون غيرك، يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار أسألك أن تقلب هؤلاء القوم أحجاراً فإنك قادر ولا يعجزك شيء وأنت على كل شيء قدير. فمسخ الله أهل هذه المدينة أحجاراً وأما أنا فإني حين رأيت برهانه أسلمت وجهي لله فسلمت مما أصابهم. ثم إن ذلك الشخص دنا مني وقال: سبقت لك من الله السعادة ولله في ذلك إرادة. وصار يعلمني وأخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت، وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عاماً. ثم إني قلت له: يا سيدي، جميع ما في المدينة وجميع أهلها صاروا أحجاراً بدعوتك الصالحة وقد نجوت أنا حين أسلمت على يديك فأنت شيخي، فاخبرني باسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شيء أقتات منه. فقال لها: إسمي أبو العباس الخضر. ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت وأورقت وأزهرت

وأثمرت رمانة واحدة في الحال فقال : كلي مما رزقك الله تعالى واعبديه حق عبادته . ثم علمني شروط الإسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن، وصار لي ثلاثة وعشرون عاماً وأنا أعبد الله في هذا المكان، وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فآكلها وأقتات بها من الوقت إلى الوقت، والخضر عليه السلام يأتيني كل جمعة وهو الذي عرّفني باسمك وبشّرني بأنك سوف تأتيني في هذا المكان وقد قال لي : إذا أتاك فاكرميه وأطيعي أمره ولا تخالفيه وكوني له أهلاً ويكون لك بعلاً واذهبي معه حيث شاء . فلما رأيتك عرفتك، وهذا هو خبر هذه المدينة وأهلها والسلام . ثم إنها أرتني شجرة الرمان وفيها رمانة، فأكلت نصفها وأطعمتني نصفها فما رأيت أحلى ولا أزكى ولا أطعم من تلك الرمانة . ثم قلت لها : هل رضيت بما أمرك به شيخك الخضر عليه السلام بأن تكوني لي أهلاً وأكون لك بعلاً وتذهبي معي إلى بلادي وأمكث بك في مدينة البصرة ؟ فقالت : نعم إن شاء الله تعالى، فإني سميعة لقولك مطيعة لأمرك من غير خلاف . ثم إني أخذت عليها العهد الوثيق وأدخلتني إلى خزانة أبيها وأخذنا منها على قدر ما استطعنا حمله وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا إلى أخويّ فرأيتهما يفتشان عليّ . فقالا لي : أين كنت ؟ فإنك أبطأت علينا وقلبنا مشغول بك . وأما رئيس المركب فإنه قال لي : يا تاجر عبد الله، إن الريح طاب لنا من مدة وأنت عوّقتنا عن السفر . فقلت له : لا ضرر في ذلك ولعل التأخير لأن غيابي لم يكن فيه غير الإصلاح ، وقد حصل لي فيه بلوغ الآمال . ولله در من قال : [من الوافر]

وما أَدْري إذا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُما يَلِينِي
هَلِ الخَيْرُ الّذي أَنا أَبْتَغِيه ... أَمِ الشَّرُّ الّذي هُوَ يَبْتَغِينِي

ثم قلت لهم : انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة ! وفرّجتهم على ما معي من الذخائر وأخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم : لو كنتم أطعتموني ورحتم معي كان يحصل لكم من هذا شيء كثير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 984

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل قال لهم ولأخويه : لو رحتم معي لحصل لكم من هذا خير كثير . فقالوا له : والله لو رحنا ما كنا نسترجي أن ندخل على ملك المدينة . فقلت لأخويّ : لا باس عليكما، فالذي معي يكفينا جميعاً وهذا نصيبنا . ثم إني قسمت ما معي أقساماً على قدر الجميع وأعطيت لأخويّ والريس وأخذت مثل واحد منهم وأعطيت ما تيسّر للخدامين والنواتية، ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما أعطيته لهم إلا أخويّ فإنهما تغيّرت أحوالهما ولاجت عيونهما . فلحظت أن الطمع تمكّن منهما فقلت لهما : يا أخويّ، أظن أن الذي أعطيته لكما لم يقنعكما، ولكن أنا أخوكما وأنتما أخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيء واحد وإذا مت لا يرثني غيركما، وصرت آخذ بخاطرهما . ثم إني أنزلت البنت في الغليون وأدخلتها في الخزنة وأرسلت لها شيئًا تأكله وقعدت أتحدث أنا وأخواي . فقالا لي : يا أخانا، ما مرادك تفعل بهذه البنت البديعة الجمال ؟ فقلت لهما : مرادي أن أكتب كتابي عليها إذ دخلت البصرة وأعمل فرحاً عظيماً وأدخل بها هناك . فقال بعضهما : يا أخي،

علم أن هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمرادي أن تعطيها لي فأتزوج بها أنا. وقال الثاني: وأنا الآخر كذلك، فاعطها لي لأتزوّج بها. فقلت لهما: يا أخويّ، إنها قد أخذت عليّ عهداً وميثاقاً أني أتزوج بها، فإذا أعطيتها لواحد منكما أكون ناقضاً للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لأنها ما أتت معي إلا على شرط أني أتزوج بها، فكيف أزوّجها لغيري؟ وأما من جهة أنكما تحبانها فأنا أحبها أكثر منكما على أنها لقطتي، وكوني أعطيها لواحد منكما هذا شيء لا يكون أبدًا، ولكن إذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة أنظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة وأخطبهما لكما وأدفع المهر من مالي وأجعل الفرح واحداً وندخل نحن الثلاثة في ليلة واحدة واعرضا عن هذه البنت فإنها من نصيبي. فسكتا وقد ظننت أنهما رضيا بما قلت لهما، ثم إننا سافرنا متوجهين إلى أرض البصرة وصرت أرسل إليها ما تأكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزنة المركب وأنا أنام بين أخويّ على ظهر الغليون. ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة أربعين يوماً حتى بانت لنا مدينة البصرة، ففرحنا باقبالنا عليها وأنا راكن إلى أخويّ ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى فنمت تلك الليلة. فبينما أنا مستغرق في النوم لم أشعر إلا وأنا محمول بين أيادي أخويّ هذين واحد قابض عليّ من سيقاني والآخر من يدي لكونهما اتفقا على تغريقي في البحر من شأن تلك البنت. فلما رأيت روحي محمولاً بين أيديهما قلت: يا أخويّ، لأي شيء تفعلان معي هذه الفعال؟ فقالا: يا قليل الأدب، كيف تبيع خاطرنا ببنت؟ فنحن نرميك في البحر من أجل ذلك ثم رموني فيه. ثم إنه التفت إلى الكلبين وقال: أحق ما قلته يا أخويّ أم لا؟ فنكسا رؤوسهما وصارا يعويان كأنهما يصدقان قوله. فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال: يا أمير المؤمنين، فلما رموني في البحر وصلت إلى القرار ثم نفضني الماء على وجه البحر فما أشعر إلا وطائر كبير قدر الآدمي نزل عليّ وخطفني وطار بي في الجو الأعلى، ففتحت عيني فرأيت روحي في قصر مشيد الأركان عالي البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الأشكال والألوان وفيه جوار واقفة واضعة الأيادي على الصدور، وإذا بامرأة جالسة بينهن على كرسي من الذهب الأحمر مرصّع بالدر والجوهر، وعليها ملابس لا يقدر الإنسان أن يفتح عينه فيها من شدّة ضياء الجواهر، وفي وسطها حزام من الجواهر لا يفي بثمنه مال، وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحيّر العقول والأفكار ويخطف القلوب والأبصار. ثم إن الطير الذي كان خطفني انتفض فصار صبية كأنها الشمس المضيئة، فأمعنت النظر فيها فإذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها ولف ذيله على ذيلها وأنا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها قتلته بالحجر. فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي: لأي شيء جئت هنا بهذا الإنسي؟ فقالت لها: يا أمي، إن هذا هو الذي كان سبباً في ستر عرضي بين بنات الجان. ثم قالت لي: هل تعرف من أنا؟ قلت: لا. قالت: أنا التي كنت في الجبل الفلاني وكان الثعبان الأسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وأنت قتلته. فقلت: إنما رأيت مع الثعبان حية بيضاء. فقالت: أنا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك الأحمر ملك الجان واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي أمي واسمها مباركة زوجة الملك الأحمر، والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الأسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة. واتفق أنه لما رآني عشقني ثم إنه خطبني من أبي فأرسل إليه أبي يقول له: وما مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى

تتزوّج بنات الملوك؟ فاغتاظ من ذلك وحلف يميناً انه لا بد ان يفضح عرضي كيداً في أبي، وصار يقف أثري ويتبعني أينما رحت ومراده انّ يفضح عرضي، وقد وقع بينه وبين أبي حروب عظيمة ومشقّات جسيمة ولم يقدر عليه أبي لكونه جباراً مكاراً. ثم إن أبي كلما ضايقه وأراد أن يظفر به يهرب منه وقد عجز أبي وصرت أنا في كل يوم أنقلب أشكالاً وألواناً، وكلما انقلب في صفة ينقلب هو في صفة ضدّها، وكلما هربت إلى أرض يشمّ رائحتي ويلحقني في تلك الأرض حتى قاسيت منه مشقة عظيمة. ثم انقلبت في صفة حية وذهبت إلى ذلك الجبل فانقلب في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده، وعالجني وعالجته حتى أتعبني وركب عليّ وكان مراده أن يفعل بي ما يشتهيه فأتيت أنت وضربته بالحجر فقتلته وأنا انقلبت بنتاً وأريتك روحي وقلت لك: إنه صار لك عليّ جميل لا يضيع إلا مع أولاد الزنا. فلما رأيت أخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر، بادرت إليك وخلّصتك من الهلاك ووجب لك الإكرام من أمي وأبي. ثم إنها قالت: يا أمي، أكرميه في نظير ما ستر عرضي. فقالت: مرحباً بك يا إنسي فإنك فعلت معنا جميلاً تستحق عليه الإكرام. وأمرت لي ببدلة كنوزية تساوي جملة من المال وأعطتني جملة من الجواهر والمعادن. ثم إنها قالت: خذوه وادخلوه على الملك. فأخذوني وأدخلوني على الملك في الديوان فرأيته جالساً على كرسي وبين يديه المردة والأعوان. فلما رأيته زاغ بصري مما رأيته عليه من الجواهر. فلما رآني قام على الأقدام وقامت العساكر إجلالاً له ثم حيّاني ورحّب بي وأكرمني غاية الإكرام وأعطاني مما عنده من الخيرات. وبعد ذلك قال لبعض أتباعه: خذوه إلى بنتي توصله إلى المكان الذي جاءت منه. فأخذوني وذهبوا إلى سعيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات. هذا ما كان من أمري وأمر سعيدة. وأما ما كان من أمر ريس الغليون، فإنه أفاق على الخبطة حين رموني في البحر فقال: ما الذي وقع في البحر؟ فبكى أخواي وصارا يخبطان على صدورهما ويقولون: يا ضيعة أخينا، فإنه أراد أن يزيل ضرورة في جانب الغليون فوقع في البحر. ثم إنهما وضعا أيديهما على مالي ووقع بينهما الإختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول: ما يأخذها غيري. واستمرا على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا أخاهما ولا غرقه، وزال حزنهما عليه. فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 985

قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل قال: فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرآني أخواي، فعانقاني وفرحا بي وصارا يقولان: يا أخانا، كيف حالك فيما جرى لك؟ إن قلبنا مشغول عليك. فقالت سعيدة: لو كان قلبكما عليه أو كنتما تحبانه ما كنتما رميتماه في البحر وهو نائم، ولكن اختارا لكما موتة تموتانها. وقبضت عليهما وأرادت قتلهما فصاحا وقالا: في عرضك يا أخانا. فصرت أتداخل عليها وأقول لها: أنا واقع في عرضك لا تقتلي أخويّ. وهي تقول: لا بد من قتلهما إنهما خائنان. فما زلت ألاطفها وأتعطّفها حتى قالت: من شأن خاطرك لا أقتلهما ولكن أسحرهما. ثم أخرجت طاسة وحطّت فيها ماء من ماء البحر وتكلّمت عليها بكلام لا يفهم وقالت: اخرجا من الصورة البشرية إلى الصورة الكلبية. ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما

تراهما يا خليفة الله . ثم التفت إليهما وقال : أحق ما قلته يا أخويّ؟ فنكسا رؤوسهما كأنهما يقولان : صدقت . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، وبعد ان سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون : اعلموا أن عبد الله بن فاضل هذا صار أخي وأنا أشق عليه كل يوم مرة أو مرتين وكل من خالفه منكم أو عصى أمره وأذاه باليد أو اللسان فإني أفعل به ما فعلت بهذين الخائنين وأسحره كلباً حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولم يجد له خلاصاً . فقال لها الجميع : يا سيدتي ، نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه . ثم إنها قالت لي : إذا دخلت البصرة تفقد جميع ما لك فإن كان نقص منه شيء فاعلمني وأنا أجيء لك به من أي شخص كان ومن أي مكان كان ، ومن كان آخذاً له أسحره كلباً . ثم بعد ان تخزن اموالك حط في رقبة كل واحد من هذين الخائنين غلاً واربطهما في ساق السرير واجعلهما في سجن وحدهما ، وكل ليلة في نصف الليل إنزل إليهما واضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود ، وإن مضت ليلة ولم تضربهما فإني أجيء إليك وأضربك علقة وبعد ذلك أضربهما . فقلت لها : سمعاً وطاعة . ثم إنها قالت لي : اربطهما في الحبال حين تدخل البصرة . فحطيت في رقبة كل واحد منهما حبلاً ثم ربطهما في الصاري . وتوجهت هي إلى حال سبيلها . وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتي وسلّموا عليّ ولم يسأل أحد عن أخويّ وإنما صاروا ينظرون إلى الكلاب ويقولون لي : يا فلان ، ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك؟ فأقول لهم : إني ربّيتهما في هذه السفرة وجئت بهما معي . فيضحكون عليهما ولم يعرفوا أنهما أخواي . ثم إني حطيتهما في خزنة والتهيت تلك الليلة في توزيع الأحمال التي فيها القماش والمعادن ، وكان عندي التجار لأجل السلام فاشتغلت بهم ولم أضربهما ولم أربطهما بالسلاسل ولم أعمل معهما ضرراً ثم نمت . فما أشعر إلا وقد أتتني سعيدة بنت الملك الأحمر وقالت لي : أما قلت لك حط في رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقة؟ ثم إنها قبضت عليّ وأخرجت السوط وضربتني علقة حتى غبت عن الوجود ، وبعد ذلك ذهبت إلى المكان الذي فيه أخواي وضربت كل واحد منهما علقة بالسوط حتى أشرف على الموت وقالت : كل ليلة أضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة ، وإن مضت ليلة ولم تضربهما فأنا أضربك . فقلت : يا سيدتي ، في غد أحط السلاسل في رقابهما والليلة الآتية اضربهما ولا أرفع الضرب عنهما ليلة واحدة . فأكدت عليّ في الوصية بضربهما . فلما أصبح الصباح لم يهن عليّ أن أضع السلاسل في رقابهما فذهبت إلى صائغ وأمرته ان يعمل لهما أغلالاً من الذهب ، فعملها وجئت بها ووضعتها في رقابهما وربطهما كما أمرتني . وفي ثاني ليلة ضربتهما قهراً عني ، وكانت هذه الحركة في مدة خلافة المهدي الخامس من بني العباس ، وقد اصطحبت معه بإرسال الهدايا ، فقلّدني ولاية وجعلني نائباً في البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان . ثم إني قلت في نفسي : لعل غيظها قد برد . فتركتهما ليلة من غير ضرب فأتتني وضربتني علقة لم انس حرارتها بقية عمري . فمن ذلك الوقت لم أقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدي ، ولما توفي المهدي وتوليت أنت بعده وأرسلت إليّ تقرير الإستمرار على مدينة البصرة ، وقد مضى لي اثنا عشر عاماً وأنا في كل ليلة أضربهما قهراً عني ، وبعدما اضربهما آخذ بخاطرهما وأعتذر إليهما وأطعمهما وأسقيهما وهما محبوسان ولم يعلم بهما أحد من خلق الله تعالى حتى أرسلت إليّ أبا اسحاق النديم من أجل الخراج ، فاطّلع على سرّي

ورجع إليك فأخبرك فأرسلته ثانياً تطلبني وتطلبهما، فأجبت بالسمع والطاعة وأتيت بهما بين يديك، ولما سألتني عن حقيقة الأمر أخبرتك بالقصة وهذه حكايتي. فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال: وهل أنت في هذه الحالة سامحت أخويك مما صدر منهما في حقك وعفوت عنهما أم لا؟ فقال: يا سيدي، سامحهما الله وأبرأ ذمتهما في الدنيا والآخرة، وأنا محتاج لكونهما يسامحاني لأنه مضى لي إثنا عشر عاماً وأنا أضربهما كل ليلة علقة. فقال له الخليفة: يا عبد الله إن شاء الله تعالى أنا أسعى في خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا أولاً وأصلح بينكم وتعيشون بقية أعماركم أخوة متحابين، وكما أنك سامحتهما يسامحانك. فخذهما وانزل إلى منزلك وفي هذه الليلة لا تضربهما وفي غد ما يكون إلا الخير. فقال له: يا سيدي وحياة رأسك، إن تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة وتضربني وأنا ما لي جسد يتحمّل ضرباً. فقال له: لا تخف فأنا أعطيك خط يدي فإذا أتتك سعيدة فاعطها الورقة فإذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها، وإن لم تطع أمري كان أمرك إلى الله ودعها تضربك علقة وقدّر أنك نسيتهما من الضرب ليلة وضربتك بهذا السبب. وإذا حصل ذلك وخالفتني فإن كنت أنا أمير المؤمنين فإني أعمل خلاصي معها. ثم إن الخليفة كتب لها قطعة ورقة مقدار إصبعين. وبعدما كتبها ختمها وقال: يا عبد الله، إذا أتتك سعيدة فقل لها: إن الخليفة ملك الإنس أمرني بعدم ضربهما وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئك السلام واعطها المرسوم ولا تخش بأساً. ثم أخذ عليه العهد والميثاق أنه لا يضربهما. فأخذهما وراح بهما إلى منزله وقال في نفسه: يا ترى، ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن إذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة؟ ولكن أنا أصبر على ضربي علقة وأريح أخويّ في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من أجلهما العذاب. ثم إنه تفكر في نفسه وقال له عقله: لولا أن الخليفة مستند إلى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما. ثم إنه دخل منزله ونزع الأغلال من رقاب أخويه وقال: توكّلت على الله. وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما: لا بأس عليكما فإن الخليفة السادس من بني العباس قد تكّفل بخلاصكما وأنا قد عفوت عنكما وإن شاء الله تعالى يكون الآوان قد آن وتخلصان في هذه الليلة المباركة، فابشرا بالهنا والسرور. فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عي الكلاب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 986

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل قال لأخويه: أبشرا بالهنا والسرور. فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عي الكلاب ويمرغان خدودهما على أقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه. فحزن عليهما وصار يملّس بيده على ظهورهما إلى أن جاء وقت العشاء. فلما وضعوا السفرة قال لهما: إجلسا. فجلسا يأكلان معه على السفرة، فصارت أعوانه باهتين يتعجبون من أكله مع الكلاب ويقولون: هل هو مجنون أو مختل العقل؟ كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو أكبر من وزير؟ أما يعلم أن الكلب نجس؟ وصاروا ينظرون إلى الكلبين وهما يأكلان معه أكل الحشمة ولا يعلمون أنهما أخواه. وما زالوا يتفرّجون على عبد الله والكلبين حتى فرغوا من الأكل. ثم إن عبد الله غسل يديه فمد الكلبان أيديهما وصارا يغسلان، وكل من كان واقفاً صار يضحك ويتعجب ويقولون

لبعضهم : عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل وتغسل أيديها بعد أكل الطعام . ثم إنهما جلسا على المراتب بجانب عبد الله بن فاضل ولم يقدر أحد أن يسأله عن ذلك ، واستمر الأمر هكذا إلى نصف الليل . ثم صرف الخدام وناموا ونام كل كلب على سرير وصار الخدام يقولون لبعضهم : إنه نام ونام معه الكلبان . وبعضهم يقول : حيث أكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس إذا ناموا معه وما هذا إلا حال المجانين . ثم إنهم لم يأكلوا مما بقي في السفرة من الطعام شيئًا وقالوا : كيف نأكل فضلة الكلاب ؟ ثم أخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا : إنها نجسة . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فإنه لم يشعر إلا والأرض قد انشقّت وطلعت سعيدة وقالت : يا عبد الله ، لأي شيء ما ضربتهما في هذه الليلة ؟ ولأي شيء نزعت الأغلال من أعناقهما ؟ هل فعلت ذلك عنادًا لي واستخفافاً بأمري ؟ ولكن أنا الآن أضربك وأسحرك كلباً مثلهما . فقال لها : يا سيدتي ، أقسمت عليك بالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تحلمي عليّ حتى أخبرك بالسبب ومهما أردتيه بي فافعليه . فقالت له : أخبرني . فقال لها : أما سبب عدم ضربهما فإن ملك الإنس الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد أمرني أن لا أضربهما في هذه الليلة وقد أخذ عليّ مواثيق وعهود ذلك ، وهو يقرئك السلام وأعطاني مرسوماً بخط يده وأمرني أن أعطيك إياه ، فامتثلت أمره وأطعته وطاعة أمير المؤمنين واجبة ، وها هو المرسوم فخذيه واقرئيه وبعد ذلك إفعلي مرادك . فقالت : هاته . فناولها المرسوم ففتحته وقرأته فرأت مكتوباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من ملك الإنس هارون الرشيد إلى بنت الملك الأحمر سعيدة . أما بعد ، فإن هذا الرجل قد سامح أخويه وأسقط حقّه عنهما وقد حكمت عليهم بالصلح وإذا وقع الصلح ارتفع العقاب فإن اعترضتمونا في أحكامنا اعترضناكم في أحكامكم وخرقنا قانونكم ، وإن امتثلتم أمرنا ونفّذتم أحكامنا فإننا ننفذ أحكامكم . وقد حكمت عليك بعدم التعرّض لهما فإن كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولي الأمر وإن عفوت عنهما فأنا أجازيك بما يقدرني عليه ربي ، وعلامة الطاعة أن ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين ، وإن لم تخلّصيهما فأنا أخلّصهما قهراً عنك بعون الله تعالى . فلما قرأت ذلك الكتاب قالت : يا عبد الله ، لا أفعل شيئًا حتى أذهب إلى أبي وأعرض عليه مرسوم ملك الإنس وأرجع إليك بالجواب بسرعة . ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقّت ونزلت فيها . فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحاً وقال : أعزّ الله أمير المؤمنين . ثم إن سعيدة دخلت على أبيها وأخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم أمير المؤمنين . فقبله ووضعه على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال : يا بنتي ، إن أمر ملك الإنس علينا ماض وحكمه فينا نافذ ولا نقدر أن نخالفه ، فامضي إلى الرجلين وخلّصيهما في هذه الساعة وقولي لهما : أنتما في شفاعة ملك الإنس ، فإنه إن غضب علينا أهلكنا عن آخرنا فلا تحملينا ما لا نطيق . فقالت له : يا أبت ، إذا غضب علينا ملك الإنس ماذا يصنع بنا ؟ فقال لها : يا بنتي ، إنه يقدر علينا من وجوه : الأول : إنه من البشر فهو مفضل علينا . والثاني : إنه خليفة الله . والثالث : إنه مصر على ركعتي الفجر ، فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع أرضين لا يقدرون أن يصنعوا به مكروهاً فإنه إن غضب علينا يصلّي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم بين يدي الجزار ، إن شاء يأمرنا بالرحيل من أوطاننا إلى أرض موحشة لا نستطيع المكث فيها ،

وإن شاء هلاكنا أمرنا بهلاك أنفسنا، فيهلك بعضنا بعضاً. فنحن لا نقدر على مخالفة أمره، فإن خالفنا أمره أحرقنا جميعاً وليس لنا مفر من بين يديه. وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فإن حكمه نافذ فينا، فلا تتسببي في هلاكنا من أجل رجلين بل امضي وخلصيهما قبل أن يحيق بنا غضب أمير المؤمنين. فرجعت إلى عبد الله بن فاضل وأخبرته بما قال أبوها وقالت له: قبّل لنا أيادي أمير المؤمنين واطلب لنا رضاه. ثم إنها أخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم ثم رشتهما بالماء وقالت: أخرجا من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية. فعادا بشرين كما كانا أولاً وانفكّ عنهما رصد السحر وقالا: اشهد ان لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله. ثم إنهما وقعا على يد أخيهما وعلى رجليه يقبّلانها ويطلبان منه السماح فقال لهما: سامحاني أنتما. ثم إنهما تابا توبة نصوحاً وقالا: قد غرّنا إبليس اللعين وأغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام. وصارا يستعطفان أخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما. ثم إنه قال لهما: ما فعلتم بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر؟ فقالوا: لما أغوانا الشيطان ورميناك في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول: أنا أتزوّج بها. فلما سمعت كلامنا ورأت اختلافنا وعرفت أننا رميناك في البحر طلعت من الخزنة وقالت: لا تختصما من أجلي فإني لست لواحد منكما، إن زوجي راح البحر وأنا أتبعه. ثم إنها رمت روحها في البحر وماتت. فقال: إنها ماتت شهيدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. ثم إنه بكى عليها بكاء شديداً وقال لهما: لا يصح منكما أن تفعلا هذه الفعال وتعدماني زوجتي. فقالا: إننا أخطأنا وربنا جازانا على فعلنا وهذا شيء قدره الله علينا قبل أن يخلقنا. فقبل عذرهما. ثم أن سعيدة قالت: أيفعلان معك كل هذه الفعال وأنت تعفو عنهما؟ فقال: يا أختي، من قدر وعفا كان أجره على الله. فقالت: خذ حذرك منهما فإنهما خائنان ثم ودّعته وانصرفت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 987

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله لما حذّرته سعيدة من أخويه ودّعته وانصرفت إلى حال سبيلها. فبات عبد الله بقية تلك الليلة هو وأخواه على أكل وشرب وبسط وانشراح صدر. فلما أصبح الصباح أدخلهما الحمام، وعند خروجهما من الحمام ألبس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال. ثم إنه طلب سفرة طعام فقدّموها بين يديه فأكل هو وأخواه. فلما نظرهما الخدام وعرفوا أنهما أخواه سلموا عليهما وقالوا للأمير عبد الله: يا مولانا، هناك الله باجتماعك على أخويك العزيزين وأين كانا في هذه المدة؟ فقال لهم: هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله الذي خلصهما من السجن والعذاب الأليم. ثم إنه أخذهما وتوجه إلى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبّل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم. فقال له الخليفة: مرحباً يا أمير عبد الله، أخبرني بما جرى لك؟ فقال: يا أمير المؤمنين أعز الله قدرك، أني لما أخذت أخوي وذهبت بهما إلى منزلي اطمأنيت عليهما بسببك حيث تكفلت بخلاصهما وقلت في نفسي: إن الملوك لا يعجزون عن أمر يجتهدون فيه فإن العناية تساعدهم. ثم نزعت الأغلال من رقابهما وتوكّلت على الله وأكلت أنا وإياهما على السفرة. فلما رآني أتباعي آكل معهما وهما في صورة كلبين، استخفّوا عقلي وقالوا

لبعضهم : لعله مجنون، كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو أكبر من الوزير؟ ورموا ما فضل من السفرة وقالوا: لا نأكل ما بقي من الكلاب. وصاروا يسفهون رأيي وأنا أسمع كلامهم ولا ارد عليهم جواباً لعدم معرفتهم أنهما أخواي. ثم صرفتهم عندما جاء وقت النوم وطلبت النوم فما أشعر إلا والأرض قد انشقّت وخرجت سعيدة بنت الملك الأحمر وهي غضبانة عليّ وعيناها مثل النار. ثم اخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن أبيها وكيف اخرجتهما من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية. ثم قال: وها هما بين يديك يا أمير المؤمنين. فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين. فقال الخليفة: جزاك الله عني خيراً يا عبد الله حيث أعلمتني بفائدة ما كنت أعلمها، إن شاء الله لا أترك صلاة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر ما دمت حياً. ثم إنه عنّف أخوي عبد الله بن فاضل على ما سلف منهما في حقّه، فاعتذرا قدام الخليفة. فقال لهم: تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا الله عما سلف. ثم التفت إلى عبد الله وقال: يا عبد الله، إجعل أخويك معينين لك، وتوصّ بهما وأوصاهما بطاعة أخيهما. ثم انعم عليهم وأمرهم بالإرتحال إلى مدينة البصرة بعد ان اعطاهم إنعاما جزيلاً. فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين، وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلاة ركعتين قبل الفجر وقال: صدق من قال: مصائب قوم عند قوم فوائد. هذا ما كان من أمرهم مع الخليفة. وأما ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فإنه سافر من مدينة بغداد ومعه أخواه بالإعزاز والإكرام ورفع المقام إلى ان دخلوا مدينة البصرة، فخرج الأكابر والأعيان لملاقاتهم وزيّنوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس له نظير، وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة. وصار جميع الناس ضاجين بالدعاء له ولم يلتفت احدًا إلى أخويه، فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهم ومع ذلك كان عبد الله يداريهما مدارة العين الرمداء، وكلما داراهما لا يزدادان إلا بغضاً له وحسدًا فيه. وقد قيل في هذا المعنى: [من الطويل]

وداريْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حاسِدِي ... مُداراتُهُ شَطَّتْ وعَزَّ نَوالُها
وكَيْفَ يُدارِي المَرْءُ حاسِدَ نِعْمَةٍ ... إذا كانَ لا يُرْضِيهِ إلاَّ زَوالُها

ثم إنه أعطى كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعلهما بخدم وحشم وجوار وعبيد سود وبيض من كل نوع أربعين، وأعطى كل واحد منهما خمسين جواداً من الخيل الجياد وصار لهما جماعة وأتباع. ثم إنه عيّن لهما الخراج ورتّب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما: يا أخويّ، أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 988

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله رتّب لأخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما: يا أخويّ، أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما، فالحكم بعد الله والخليفة لي ولكما، فاحكما في البصرة في غيابي وحضوري وحكمكما نافذ، ولكن عليكما بتقوى الله في الأحكام وإياكما والظلم فإنه إن دام دمّر، وعليكما بالعدل فإنه إن دام عمر، ولا تظلما العباد فيدعوا عليكما وخبركما يصل إلى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم احد، والذي تطمعان فيه من أموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتاجان إليه

ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم من محكم الآيات. ولله در من قال: هذه الأبيات: [من السريع]

اَلظُّلْمُ في نَفْسِ الفَتَى كامِنٌ ... ولَيْسَ إلاَّ العَجزُ يَخْفِيهِ
ذُو العَقْلِ لا يَنْهَضُ في حاجَةٍ ... حَتَّى يَرَى الوَقْتَ يُوافِيهِ
لِسانُ مَنْ يَعْقِلُ في قَلْبِهِ ... وقَلْبُ مَنْ يَجْهَلُ في فِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ أكْبَرَ مِنْ عَقْلِه ... يَقْتُلُهُ أَصْغَرُ ما فِيهِ
أَصْلُ الفَتَى خاف ولَكِنَّهُ ... مِنْ فِعْلِهِ يُظْهِرُ خافِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عُنْصُرُهُ طَيِّباً ... لا يُظْهِرُ الطَّيِّبَ مِنْ فِيهِ
مَنْ قَلَّدَ الأَحْمَقَ في فِعْلِهِ ... كانَ لَهُ في الجَهْلِ مُساوِيهِ
ومَنْ أَطْلَعَ النَّاسَ على سِرِّهِ ... تَنَبَّهَتْ لَهُ أَعادِيهِ
يَكْفِي الفَتَى ما كانَ مِنْ شأنِهِ ... وتَرْكِهِ ما لَيْسَ يَعْنِيهِ

ثم إنه صار يعظ أخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن أنهما أحباه بسبب بذل النصيحة لهما. ثم إنه ركن إليهما وبالغ في إكرامهما ومع إكرامه لهما ما ازدادا إلا حسداً له وبغضاً فيه. ثم إن أخويه ناصراً ومنصوراً اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور: يا أخي، إلى متى ونحن تحت طاعة اخينا عبد الله وهو في هذه السيادة والإمارة؟ وبعدما كان تاجراً صار أميراً، وبعدما كان صغيراً صار كبيراً ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة، وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له، ما معنى ذلك؟ اليس إننا خدمته ومن تحت طاعته؟ وما دام طيباً لا ترتفع درجتنا ولم يبق لنا شأن، فلا يتم غرضنا إلا إن قتلناه واخذنا أمواله ولا يمكن اخذ هذه الأموال إلا بعد هلاكه. فإذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا. ثم نهيء هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وأنت تكون نائب البصرة وأنا أكون نائب الكوفة، أو إنك تكون نائب الكوفة وأنا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صورة وشأن. ولكن لا يتم لنا ذلك إلا إذا اهلكناه. فقال منصور: إنك صادق فيما قلت ولكن ماذا نصنع معه حتى نقتله؟ فقال: نعمل ضيافة عند احدنا ونعرِّفه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نساهره بالكلام ونحكي له حكايات ونكتاً ونوادراً إلى ان يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد، فإذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه في البحر ونصبح نقول: إن أخته الجنية أتته وهو قاعد يتحدّث بيننا وقالت له: يا قطاعة الإنس، ما مقدارك حتى تشكوني إلى امير المؤمنين؟ أتظن أننا نخاف منه؟ فكما إنه ملك نحن ملوك، وإن لم يلزم أدبه في حقنا قتلناه اقبح قتلة، ولكن بقيت أنا اقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد امير المؤمنين ثم خطفته وشقّت الأرض ونزلت به. فلما رأينا ذلك غشي علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصل له. وبعد ذلك نرسل إلى الخليفة ونعلمه فإنه يولينا مكانه، وبعد مدة نرسل إلى الخليفة هدية سنية ونطلب منه حكم الكوفة وواحد منا يقيم في البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد. فقال له: نعم ما أشرت به يا أخي. ثم اتفقا على قتل أخيهما وصنع ناصر ضيافة وقال لأخيه عبد الله: يا أخي، أعلم أني أنا أخوك ومرادي أنك تجبر بخاطِري أنت وأخي منصور وتأكلا ضيافتي في بيتي حتى أفتخر بك

ويقال : إن الأمير عبد الله أكل ضيافة أخيه ناصر لأجل أن يحصل لي بذلك جبر خاطر . فقال له عبد الله : لا بأس يا أخي ولا فرق بيني وبينك وبينك بيني ، ولكن حيث عزمتني فما يأبى الضيافة إلا اللئيم . ثم التفت إلى أخيه منصور وقال له : أتروح معي إلى بيت أخيك ناصر ونأكل ضيافته ونجبر بخاطره ؟ فقال له : يا أخي وحياة رأسك ، ما أروح معك حتى تحلف لي أنك بعدما تخرج من بيت أخي ناصر تدخل بيتي وتأكل ضيافتي ، فهل ناصر أخوك وأنا لست أخاك ؟ فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطري . فقال : لا بأس بذلك حباً وكرامة ، فمتى خرجت من دار أخيك أدخل دارك ، وكما هو أخي أنت أخي . ثم إن ناصراً قبّل يد أخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة ، وفي ثاني يوم ركب عبد الله وأخذ معه جملة من العسكر وأخاه منصوراً وتوجه إلى دار أخيه ناصر ، فدخل وجلس هو وجماعته وأخوه ، فقدم لهم السماط ورحب بهم فأكلوا وشربوا وتلذّذوا وطربوا وارتفعت السفرة والزبادي وغسلت الأيادي ، وأقاموا ذلك اليوم على أكل وشرب وبسط ولعب إلى الليل . فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة ، وصار منصور يحكي حكاية وناصر يحكي حكاية وعبد الله يسمع وكانوا في قصر وحدهم وبقية العسكر في مكان آخر . ولم يزالوا في نكت وحكايات ونوادر وأخبار حتى ذاب قلب أخيهم عبد الله من السهر وغلب عليه النوم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 989

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عبد الله لما طال عليه السهر وأراد النوم ، فرشوا له الفرش . ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق في النوم . فلما عرفا أنه استغرق في النوم قاما وبركا عليه ، فأفاق فرآهما باركين على صدره فقال لهما : ما هذا يا أخويّ ؟ فقالا له : ما نحن أخواك ولا نعرفك يا قليل الأدب وقد صار موتك أحسن من حياتك . وحطا أيديهما في رقبته وخنقاه ، فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة ، فظنا أنه مات وكان القصر على البحر ، فرموه في البحر . فلما وقع في البحر سخّر الله له درفيلاً كان معتاد على مجيئه تحت ذلك القصر لأن المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها في البحر من تلك الطاقة فيأتي ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان ، وكانوا في ذلك اليوم قد رموا سقاطاً كثيراً بسبب الضيافة فأكل ذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة . فلما سمع الخبطة في البحر أتى بسرعة فرآه ابن آدم ، فهداه الهادي وحمله على ظهره وشقّ به في وسط البحر . ولم يزل ماشياً به حتى وصل إلى البحر من الجهة الثانية وألقاه على البر ، وكان ذلك المكان الذي أطلعه فيه على قارعة الطريق ، فمرّت به قافلة فرأوه مرمياً على جانب البحر فقالوا : هنا غريق ألقاه البحر على الشاطىء . واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرّجون عليه ، وكان شيخ القافلة رجلاً من أهل الخير وعارفاً بجميع العلوم وخبيراً بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم : يا ناس ما الخبر ؟ فقالوا : هذا غريق ميت . فأقبل عليه وتأمّله وقال : يا ناس ، هذا الشاب فيه الروح وهذا من خيار أولاد الناس الأكابر وتربية العزّ والنعم وفيه الرجاء إن شاء الله تعالى . ثم إنه أخذه وألبسه بدلة وأدفاه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلاث مراحل حتى أفاق ، ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار شيخ القافلة يعالجه بأعشاب يعرفها . ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثين يوماً حتى

بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالج فيه، ثم دخلوا مدينة يقال لها: مدينة عوج وهي في بلاد العجم، فنزلوا في خان وفرشوا له ورقد، فبات تلك الليلة يئن وقد أقلق الناس من أنينه. فلما أصبح الصباح أتى بوّاب الخان إلى شيخ القافلة وقال: ما شأن هذا الضعيف الذي عندك؟ فإنه أقلقنا. فقال: هذا رأيته في الطريق على جانب البحر غريقاً فعالجته وعجزت ولم يشف. فقال له: أعرضه على الشيخة راجحة. فقال له: وما تكون الشيخة راجحة؟ فقال: عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة إسمها الشيخة راجحة، كل من كان به داء يأخذونه إليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافاً ولم يكن فيه شيء يضرّه. فقال له شيخ القافلة: دلّني عليها. فقال له: إحمل مريضك. فحمله ومشى بوّاب الخان قدامه إلى أن وصل إلى زاوية فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين. فدخل بوّاب الخان حتى وصل إلى الستارة وقال: دستور يا شيخة راجحة، خذي هذا المريض. فقالت: أدخله من داخل هذه الستارة. فقال له: ادخل. فدخل ونظر إليها فرآها زوجته التي جابها من مدينة الحجر، فعرفها وعرفته وسلّمت عليه وسلّم عليها فقال لها: من أتى بك إلى هذا المكان؟ فقالت له: لما رأيت أخويك رمياك في البحر وتخاصما عليّ، رميت روحي في البحر فتناولني شيخي الخضر أبو العباس وأتى بي إلى هذه الزاوية وأعطاني الإذن بشفاء المرضى ونادى في هذه المدينة: وكل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة: وقال لي: اقيمي في هذا المكان حتى يؤون الآوان ويأتي إليك زوجك في هذه الزاوية. فصار كل مريض يأتي إليّ اكبسه فيصبح طيباً، وشاع ذكري بين العالم وأقبلت على الناس بالنذور وعندي الخير، وأنا في عزّ وإكرام وجميع أهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء. ثم إنها كبسته فشفي بقدرة الله تعالى. وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة، وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة. فلما جن الليل جلست هي وإياه بعدما تعشيا من أفخر المأكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر. فبينما هما جالسان وإذا به قد أقبل عليهما، فحملهما من الزاوية ووضعهما في قصر عبد الله بن فاضل بالبصرة ثم تركهما وراح. فلما أصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فرآه قصره وعرفه وسمع الناس في ضجة، فطل من الشباك فرأى أخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة. والسبب في ذلك أنهما لما رمياه في البحر أصبحا يبكيان ويقولان: إن أخانا خطفته الجنية. ثم هيّآ هدية وأرسلاها إلى الخليفة وأخبراه بهذا الخبر وطلبا منه منصب البصرة. فأرسل أحضرهما عنده وسألهما، فأخبراه كما ذكرناه. فاشتد غضب الخليفة. فلما جن الليل صلّى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين، فسألهم عن عبد الله فحلفوا له أنه لم يتعرض له أحد منهم وقالوا له: ما عندنا خبر به. فأتت سعيدة بنت الملك الأحمر وأخبرت الخليفة بخبره فصرفهم. وفي ثاني يوم رمى ناصراً ومنصوراً تحت الضرب فاقرا على بعضهما. فغضب عليهما الخليفة وقال: خذوهما إلى البصرة واصلبوهما قدام قصر عبد الله. هذا ما كان من أمرهما. وأما ما كان من أمر عبد الله فإنه أمر بدفن أخويه ثم ركب وتوجه إلى بغداد وأخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه أخواه من الأول إلى الآخر. فتعجب الخليفة من ذلك وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الحجر، ودخل بها وأقام معها في البصرة إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات. فسبحان الحي الذي لا يموت.

88 - حكاية الإسكافي معروف

ومما يحكى أيها الملك السعيد، أنه كان في مدينة مصر المحروسة رجل إسكافي يرفع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفاً، وكان له زوجة إسمها فاطمة ولقبها العرّة، وما لقّبوها بذلك إلا لأنها كانت فاجرة شرّانية قليلة الحياء كثيرة الفتن، وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبّه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرّها ويخاف من آذاها لأنه كان رجلاً عاقلاً يستحي على عرضه، لكنه كان فقير الحال فإذا اشتغل بكثير صرفه عليها وإذا إشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة وأعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها. وهي كما قال في حقها الشاعر: [من السريع]

كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ مَعْ زَوْجَتِي   في أَشْأَمِ الأَحْوالِ قَضَّيْتُها
يا لَيْتَنِي عَنْدَ دُخُولِي بِها   أَحْضَرْتُ سُمّاً ثُمَّ سَمَّيْتُها

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل من زوجته أنها قالت له: يا معروف، أريد منك في هذه الليلة أن تجيء لي معك بكنافة عليها عسل نحل. فقال لها: الله تعالى يسهل لي حقها وأنا أجيء بها لك في هذه الليلة، والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل. فقالت له: أنا ما أعرف هذا الكلام. وأدرك شهرازد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 990

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن معروفاً الإسكافي قال لزوجته: الله يسهل بكلفتها وأنا أجيء بها إليك في هذه الليلة، والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل. فقالت له: أنا ما أعرف هذا الكلام إن سهل أو لم يسهل لا تجيئني إلا بالكنافة التي بعسل نحل، وإن جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوّجتني ووقعت في يدي. فقال لها: الله كريم. ثم خرج ذلك الرجل والغمّ يتناثر من يديه، فصلى الصبح وفتح الدكان وقال: أسألك يا رب أن ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شرّ هذه الفاجرة في هذه الليلة. وقعد في الدكان إلى نصف النهار فلم يأته شغل، فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيّراً في أمره من شأن الكنافة مع أنه لم يكن معه من حق الخبز شيء. ثم إنه مرّ على دكان الكنفاني ووقف باهتاً وغرغرت عيناه بالدموع، فلحظ عليه الكنفاني وقال: يا معلم معروف، ما لك تبكي؟ فاخبرني بما أصابك. فأخبره بقصته وقال له: إن زوجتي جبارة وطلبت مني كنافة وقد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجئني ولا حق الخبز وأنا خائف منها. فضحك الكنفاني وقال: لا بأس عليك، كم رطل تريد؟ قال: خمسة أرطال. فوزن له خمسة أرطال وقال له: السمن عندي ولكن ما عندي عسل نحل؟ وإنما عندي عسل قطر أحسن من عسل النحل، وماذا يضرّ إذا كانت بعسل قطر؟ فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له: هاتها بعسل قطر. فقلى له الكنافة بالسمن وغرّقها بعسل قطر فصارت تهدى للملوك. ثم إنه قال له: أتحتاج عيشاً وجبناً؟ قال: نعم. فأخذ له بأربعة أنصاف عيشاً وبنصف جبناً والكنافة بعشرة أنصاف وقال له: أعلم يا معروف أنه قد صار عندك خمسة عشر نصفاً، رح إلى زوجتك واعمل حظاً وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم أو يومان أو ثلاثة حتى

يرزقك الله، ولا تضيق على زوجتك فانا اصبر عليك حتى يبقى عندك دراهم فاضلة عن مصروفك. فأخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعياً له وراح مجبور الخاطر وهو يقول: سبحانك ربي ما أكرمك. ثم إنه دخل عليها فقالت له: هل جئت بالكنافة؟ قال: نعم. ثم وضعها قدامها، فنظرت إليها فرأتها بعسل قصب. فقالت له: أما قلت لك هاتها بعسل نحل؟ تعمل على خلاف مرادي وتعملها بعسل قصب؟ فاعتذر إليها وقال لها: أنا ما اشتريتها إلا مؤجلاً ثمنها. فقالت: هذا كلام باطل، أنا ما آكل كنافة إلا بعسل نحل. وغضبت عليه وضربته بها في وجهه وقالت له: قم يا معرص هات لي غيرها. ولكمته في صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره، ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها، فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول: يا مسلمون! فدخل الجيران وخلّصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيبوها وقالوا: نحن كلنا في قبل أكل الكنافة التي بعسل القصب، ما هذا التجبّر على هذا الرجل الفقير؟ إن هذا عيب عليك. ولا زالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئًا. فأحرقه الجوع فقال في نفسه: هي حلفت ما تأكل فانا آكل ثم أكل. فلما رأته يأكل صارت تقول له: إن شاء الله يكون أكلها سماً يهري بدن البعيد. فقال لها: ما هو بكلامك. وصار يأكل ويضحك ويقول: انت حلفت ما تأكلين من هذه فالله كريم، فإن شاء الله في ليلة غد أجيء لك بكنافة تكون بعسل نحل وتأكليها وحدك. وصار يأخذ بخاطرها وهي تدعو عليه ولم تزل تسبّه وتشتمه إلى الصبح. فلما أصبح الصباح شمّرت عن ساعدها لضربه فقال لها: امهليني وأنا أجيء لك بغيرها. ثم خرج إلى المسجد وصلّى وتوجه إلى الدكان وفتحها وجلس، فلم يستقرّ به الجلوس حتى جاءه اثنان من طرف القاضي وقالا له: قم كلّم القاضي فإن امرأتك اشتكتك إليه وصفتها كذا وكذا. فعرفها وقال: الله تعالى ينكّد عليها. ثم قام مشى معهما إلى أن دخل على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوّث بالدم وهي واقفة تبكي وتمسح دموعها. فقال له القاضي: يا رجل، ألم تخف من الله تعالى كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال؟ فقال له: إن كنت ضربتها أو قلعت سنها فاحكم فيّ بما تختار وإنما القصة كذا وكذا والجيران أصلحوا بيني وبينها وأخبره بالقصة من الأول إلى الآخر. وكان ذلك القاضي من أهل الخير، فأخرج له ربع دينار وقال له: يا رجل، خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح أنت وإياها. فقال له: أعطه لها. فأخذته وأصلح بينهما وقال: يا امرأة اطيعي زوجك، وأنت يا رجل ترفّق بها. وخرجا مصطلحين على يد القاضي وراحت المرأة من طريق وزوجها راح من طريق آخر إلى دكانه وجلس، وإذا بالرسل أتوا له وقالوا: هات خدمتنا. فقال لهم: إن القاضي لم يأخذ مني شيئًا بل أعطاني ربع دينار. فقالوا: لا علاقة لنا بكون القاضي أعطاك أو أخذ منك فإن لم تعطنا خدمتنا أخذناها قهرًا عنك. وصاروا يجرّونه في السوق، فباع عدته وأعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه وحطّ يده على خده وقعد حزينا حيث لم يكن عنده عدة يشتغل بها. فبينما هو قاعد وإذا برجلين قبيحي المنظر أقبلا عليه وقالا له: قم يا رجل كلّم القاضي فإن زوجتك اشتكتك إليه. فقال لهما: قد أصلح بيني وبينها. فقالا له: نحن من عند قاض آخر فإن زوجتك اشتكتك إلى قاضينا. فقام معهما وهو يحتسب عليها فلما رآها قال لها: أما اصطلحنا يا بنت الحلال؟

قالت : ما بقي بيني وبينك صلح . فتقدّم وحكى للقاضي حكايته وقال له : إن القاضي فلان أصلح بيننا في هذه الساعة . فقال لها القاضي : يا عاهرة ، حيث اصطلحتما لماذا جئت تشكين إليّ ؟ قالت : إنه ضربني بعد ذلك . فقال لهما القاضي : اصطلحا ولا تعد إلى ضربها وهي لا تعود إلى مخالفتك . فاصطلحا وقال له القاضي : أعطي الرسل خدمتهم . فأعطى الرسل خدمتهم وتوجه إلى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهمّ الذي أصابه . فبينما هو قاعد وإذا برجل أقبل عليه وقال له : يا معروف ، قم استخف فإن زوجتك اشتكتك إلى الباب العالي ونازل عليك أبو طبق . فقام وقفل الدكان وهرب في جهة باب النصر وكان قد بقي معه خمسة أنصاف فضة من حق القوالب والعدّة ، فاشترى بأربعة أنصاف عيشاً وبنصف جبناً وهو هارب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر . فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل أفواه القرب فابتلّت ثيابه ، فدخل العادلية فرأى موضعاً خرباً فيه حاصل مهجور من غير باب ، فدخل يستكن فيه من المطر وحوائجه مبتلة بالماء ، فنزلت الدموع من أجفانه وصار يتضجر مما به ويقول : أين أهرب من هذه العاهرة ؟ أسألك يا رب أن تقيض لي من يوصلني إلى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها . فبينما هو جالس يبكي وإذا بالحائط قد انشقّ وخرج له منها شخص طويل القامة ورؤيته تقشعرّ منها الأبدان وقال له : يا رجل ، ما لك أقلقتني في هذه الليلة أنا ساكن في هذا المكان من منذ مائتي عام فما رأيت أحداً دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت ، فأخبرني بمقصودك وأنا أقضي حاجتك فإن قلبي أخذته الشفقة عليك . فقال له : من أنت ؟ وما تكون ؟ فقال له : أنا عامر هذا المكان . فأخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له : أتريد أن أوصلك إلى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقاً ؟ قال : نعم . قال له : إركب فوق ظهري . فركب وحمله وطار به من بعد العشاء إلى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 991

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن معروفاً الإسكافي لمّا حمله المارد طار به وأنزله على جبل عال وقال : يا إنسي ، انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فإن زوجتك لا تعرف لك طريقاً ولا يمكنها أن تصل إليك ثم تركه وراح . فصار معروف باهتاً متحيّراً في نفسه إلى أن طلعت الشمس . فقال في نفسه : أقوم وأنزل من على هذا الجبل إلى المدينة فإن قعودي هنا ليس فيه فائدة . فنزل إلى أسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية وقصور مشيدة وأبنية مزخرفة وهي نزهة للناظرين ، فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين . فلما مشى في السوق صار أهل المدينة ينظرون إليه ويتفرّجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لأن ملبسه لا يشبه ملابسهم . فقال له رجل من أهل المدينة : يا رجل ، هل أنت غريب ؟ قال : نعم . قال له : من أي البلاد ؟ قال : من مدينة مصر السعيدة . قال له : ألك زمان مفارقها ؟ قال له : البارحة العصر . فضحك عليه وقال : يا ناس ، تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول ! فقالوا : ما يقول ؟ قال : إنه يزعم أنه من مصر وخرج منها البارحة العصر . فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا : يا رجل ، أأنت مجنون حتى تقول هذا الكلام ؟ كيف تزعم أنك فارقت مصر بالأمس في وقت العصر وأصبحت هنا ؟ والحال إن بين مدينتنا وبين

مصر مسافة سنة كاملة . فقال لهم : ما مجنون إلا أنتم وأما أنا فإني صادق في قولي ، وهذا عيش مصر لم يزل معي طرياً وأراهم العيش . فصاروا يتفرّجون عليه ويتعجبون منه لأنه لا يشبه عيش بلادهم ، وكثر الخلائق عليه وصاروا يقولون لبعضهم : هذا عيش مصر تفرّجوا عليه . وصارت له شهرة في تلك المدينة ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون ويهزؤون به . فبينما هم في تلك الحالة وإذا بتاجر أقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ، ففرّق الناس وقال : يا ناس ، أما تستحون وأنتم ملتمّون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ؟ ما علاقتكم به ؟ ولم يزل يسبهم حتى طردهم عنه ولم يقدر أحد ان يرد عليه جواباً وقال له : تعال يا أخي ما عليك بأس من هؤلاء ، إنهم لا حياء عندهم . ثم أخذه وسار به إلى ان ادخله داراً واسعة مزخرفة وأجلسه في مقعد ملوكي وأمر العبيد ففتحوا له صندوقًا وأخرجوا له بدلة تاجر ألفي وألبسه إياها وكان معروف وجيهاً فصار كأنه شاه بندر التجار . ثم إن ذلك التاجر طلب السفرة ، فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الأطعمة الفاخرة من سائر الألوان . فأكلا وشربا وبعد ذلك قال له : يا أخي ما اسمك ؟ قال : إسمي معروف وصنعتي إسكافي أرقع الزرابين القديمة . قال له : من أي البلاد انت ؟ قال : من مصر . قال : من أي الحارات ؟ قال له : ها أنت تعرف مصر ؟ قال له : أنا من أولادها . فقال له : أنا من الدرب الأحمر . قال له : من تعرف من الدرب الأحمر ؟ قال له : فلان وفلان ، وعدّ له ناساً كثيرة . قال له : هل تعرف الشيخ احمد العطار ؟ قال له : هو جاري الحيط في الحيط . قال له : هل هو طيب ؟ قال : نعم . قال له : كم له من الأولاد ؟ قال : ثلاثة : مصطفى ومحمد وعلي . قال له : ما فعل الله بأولاده ؟ قال : أما مصطفى فإنه طيب وهو عالم مدرس . وأما محمد فإنه عطار قد فتح له دكاناً بجنب دكان أبيه بعد أن تزوّج وولدت له زوجته ولد إسمه حسن . قال : بشّرك الله بالخير . قال : وأما عليّ فإنه كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائماً ألعب أنا وإياه وبقينا نروح بصفة أولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بثمنها نفقة . فاتفق في بعض المرّات أن النصارى رأونا ومسكونا بكتاب ، فاشتكونا إلى أهلنا وقالوا لأبيه : إذا لم تمنع ولدك من أذانا شكيناك إلى الملك . فأخذ بخاطرهم وضربه علقة فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقاً وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه أحد بخبر . فقال له : هو أنا علي ابن الشيخ احمد العطار ، وأنت رفيقي يا معروف . وسلما على بعضهما وبعد السلام قال له : يا معروف ، أخبرني بسبب مجيئك من مصر إلى هذه المدينة ؟ فأخبره بخبر زوجته فاطمة العرّة وما فعلت معه وقال له : إنه لما اشتدّ عليّ أذاها هربت منها في جهة باب النصر ، ونزل عليّ المطر فدخلت في حاصل خرب في العادلية وقعدت أبكي ، فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجن وسألني فأخبرته بحالي ، فأركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والأرض ثم حطني على الجبل وأخبرني بالمدينة ، فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتمّ الناس عليّ وسألوني فقلت لهم : إني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني . فجئت أنت ومنعت عني الناس وجئت بي إلى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر ، وأنت ما سبب مجيئك هنا ؟ قال له : غلب عليّ الطيش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وأنا دائر من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن ، فرأيت أهلها ناساً كرامًا وعندهم الشفقة ، ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكل ما قاله يصدقونه فيه . فقلت لهم :

أنا تاجر وقد سبقت الحملة ومرادي مكان أنزل فيه حملتي. فصدقوني وأخلوا لي مكاناً. ثم إني قلت لهم: هل فيكم من يداينني ألف دينار حتى تجيء حملتي وأرد له ما آخذه منه فإني محتاج إلى بعض مصالح قبل دخول الحملة. فأعطوني ما أردت وتوجهت إلى سوق التجار فرأيت شيئًا من البضاعة فاشتريته وفي ثاني يوم بعته فربحت فيه خمسين ديناراً واشتريت غيره، وصرت أعاشر الناس وأكرمهم فحبوني وصرت أبيع وأشتري فكثر مالي. واعلم يا أخي أن صاحب المثل يقول: الدنيا فشر وحيلة والبلاد التي لا يعرفك أحد فيها مهما شئت فافعل فيها. وأنت إذا قلت لكل من سألك: أنا صنعتي إسكافي وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر، فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة إقامتك في هذه المدينة. وإن قلت: حملني عفريت. نفروا منك ولا يقرب منك أحد ويقولون: هذا رجل معفرت وكل من تقرّب منه يحصل له ضرر. وتبقى هذه الإشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون أني من مصر. قال: وكيف أصنع؟ قال: أنا أعلمك كيف تصنع، إن شاء الله تعالى أعطيك في غد ألف دينار وبغلة تركبها وعبداً يمشي قدامك حتى يوصلك إلى باب سوق التجار، فادخل عليهم وأكون أنا قاعداً بين التجار، فمتى رأيتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبّل يدك وأعظم قدرك، وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك: هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني؟ فقل: كثير. وإن سألوني عنك أشكرك وأعظمك في أعينهم. ثم إني أقول لهم: خذوا له حاصلاً ودكاناً وأصفك بكثرة المال والكرم وإذا أتاك سائل فاعطه ما تيسر، فيثقوا بكلامي ويعتقدوا عظمتك وكرمك ويحبوك، وبعد ذلك أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 992

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن التاجر علي قال لمعروف: أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم لأجل أن تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي معهم، فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال. فلما أصبح الصباح أعطاه ألف دينار وألبسه بدلة وأركبه بغلة وأعطاه عبداً وقال: أبرأ الله ذمتك من الجميع لأنك رفيقي فواجب عليّ إكرامك، ولا تحمل همّاً ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لأحد. فقال له: جزاك الله خيراً. ثم إنه ركب البغلة ومشى قدامه العبد إلى أن أوصله إلى باب سوق التجار وكانوا جميعاً قاعدين والتاجر علي قاعد بينهم. فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له: نهار مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف. ثم قبّل يده قدام التجار وقال: يا إخواننا آنسكم التاجر معروف فسلّموا عليه. وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في أعينهم ثم أنزله من فوق ظهر البغلة وسلّموا عليه وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده. فقالوا له: هل هذا تاجر؟ فقال لهم: نعم. بل هو أكبر التجار ولا يوجد واحد أكثر مالاً منه لأن أمواله وأموال أبيه وأجداده مشهورة عند تجار مصر، وله شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدم عظيم، فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه واخدموه واعلموا أن مجيئه إلى هذه المدينة ليس من أجل التجارة وما مقصده إلا الفرجة على بلاد الناس لأنه غير محتاج إلى التغرّب من أجل الربح والمكاسب لأن عنده أموالاً لا تأكلها النيران وأنا من بعض خدمه. ولم

يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤوسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته. ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار أتى له وسلّم عليه وصار يقول له التاجر علي بحضرة التجار: يا سيدي، لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلاني؟ فيقول له: كثير. وكان في ذلك اليوم فرّجه على أصناف القماش المثمّنة وعرّفه أسامي الأقمشة الغالي والرخيص. فقال له تاجر من التجار: يا سيدي، هل جئت معك بجوخ أصفر؟ قال: كثير. قال: وأحمر دم الغزال؟ قال: كثير. وصار كلما سأله عن شيء يقول له: كثير. فعند ذلك قال: يا تاجر علي، إن بلديك لو أراد أن يحمل ألف حمل من القماشات المثمنة يحملها. فقال له: يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء. فبينما هم قاعدون وإذا برجل سائل دارَ على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديداً وغالبهم لم يعطه شيئًا حتى وصل إلى معروف، فكبش له كبشة ذهب وأعطاه إياها فدعا له وراح. فتعجب التجار من ذلك وقالوا: إن هذه عطايا ملوك فإنه أعطى السائل ذهباً من غير عدد ولولا أنه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب. وبعد حصة أتته امرأة فقيرة فكبش وأعطاها وذهبت تدعو له وحكت للفقراء، فأقبلوا عليه واحداً بعد واحد وصار كل من أتى له يكبش ويعطيه حتى انفق الألف دينار، وبعد ذلك ضرب كفّاً على كف وقال: حسبنا الله ونِعم الوكيل. فقال له شاه بندر التجار: ما لك يا تاجر معروف؟ قال: كأن غالب أهل هذه المدينة فقراء ومساكين، ولو كنت أعرف أنهم كذلك كنت جئت معي في الخرج بجانب من المال وأحسن به إلى الفقراء، وأنا خائف أن تطول غربتي ومن طبعي اني لا أردّ السائل ولم يبق معي ذهب، فإذا أتاني فقير ماذا أقول له؟ قال له: قل له: الله يرزقك. قال: ما هي عادتي وقد ركبني الهمّ بهذا السبب وكان مرادي ألف دينار أتصدق بها حتى تجيء حملتي. فقال: لا بأس. وأرسل بعض أتباعه فجاء له بألف دينار فأعطاه إياها، فصار يعطي كل من مرّ به من الفقراء حتى أذن الظهر، فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذي بقي معه من الألف دينار نثره على رؤوس المصلين، فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه. ثم إنه مال على تاجر آخر واخذ منه ألف دينار فرّقها، وصار التاجر علي ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم. ولم يزل على هذه الحالة حتى اذن العصر، فدخل المسجد وصلّى وفرّق الباقي فما قفلوا باب السوق حتى اخذ خمسة آلاف دينار وفرّقها وكل من اخذ منه شيئًا يقول له: حتى تجيء الحملة، إن اردت ذهباً أعطيك وإن اردت قماشاً أعطيك فإن عندي شيئًا كثيرًا. وعند المساء عزمه التاجر علي وعزم معه التجار جميعاً وأجلسه في الصدر وصار لا يتكلم إلا بالقماشات والجواهر، وكلما ذكروا له شيئًا يقول: عندي منه كثير. وثاني يوم توجه إلى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم الأموال ويفرّقها على الفقراء، ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوماً حتى أخذ من الناس ستين ألف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية. فضجت الناس على أموالهم وقالوا: ما أتت حملة التاجر معروف وإلى متى وهو يأخذ أموال الناس ويعطيها للفقراء؟ فقال واحد منهم: الرأي أن تتكلم مع بلديه التاجر علي. فأتوه وقالوا له: يا تاجر علي، إن حملة التاجر معروف لم تأت. فقال لهم: اصبروا فإنها لا بد أن تأتي عن قريب. ثم إنه اختلى به وقال له: يا معروف، ما هذه الفعال؟ هل أنا قلت لك قمّر الخبز أو احرقه؟ إن التجار ضجوا على

أموالهم واخبروني أنه صار لهم عليك ستون ألف دينار أخذتها وفرّقتها على الفقراء، ومن أين تسدّ دين الناس وأنت لا تبيع ولا تشتري؟ فقال له: أي شيء يجري؟ وما مقدار الستين ألف دينار؟ لما تجيء الحملة أعطيهم إن شاؤوا قماشاً وإن شاؤوا ذهباً وفضة. قال له التاجر علي: الله أكبر، وهل أنت لك حملة؟ قال: كثير. قال له: الله، والرجال عليك وعلى سماجتك! هل أنا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لي؟ فأنا أخبر بك الناس. فقال له: رح بلا كثرة كلام، هل أنا فقير؟ إن حملتي فيها شيء كثير فإذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين، أنا غير محتاج إليهم. فعند ذلك اغتاظ التاجر علي وقال له: يا قليل الأدب، لا بد أن أريك كيف تكذب عليّ ولا تستحي. فقال له: الذي يخرج من يدك افعله، ويصبرون حتى تجيء حملتي ويأخذون متاعهم بزيادة. فتركه وراح وقال في نفسه: أنا شكرته سابقاً وإن ذممته الآن صرت كاذبًا وادخل في قول من قال: من شكر وذم كذب مرتين. وصار متحيّراً في أمره. ثم إن التجار أتوه وقالوا: يا تاجر علي، هل كلّمته؟ قال لهم: يا ناس، أنا أستحي منه ولي عنده ألف دينار ولم أقدر أن أكلمه عليها، وأنتم لما أعطيتموه ما شاورتموني وليس لكم عليّ كلام فطالبوه منكم له وإن لم يعطكم فاشكوه إلى ملك المدينة وقولوا له: إنه نصاب نصب علينا، فإن الملك يخلصكم منه. فراحوا للملك واخبروه بما وقع وقالوا: يا ملك الزمان، إننا تحيّرنا في أمرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد فإنه يفعل كذا وكذا وكل شيء أخذه يفرّقه على الفقراء بالكبشة، فلو كان مقلاً ما كانت تسمح نفسه أنه يكبش الذهب ويعطيه للفقراء، ولو كان من أصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته ونحن لا نرى له حملة مع أنه يدعي أن له حملة وقد سبقها، وكلما ذكرنا له صنفاً من أصناف القماش يقول: عندي منه كثير. وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون ألف دينار، وكل ذلك فرّقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه. وكان ذلك الملك طمّاعاً أطمع من أشعب، فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره: لو لم يكن هذا التاجر عنده أموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولا بد أن تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويبعثر عليهم أموالاً كثيرة فأنا أحق منهم بهذا المال، فمرادي أن أعاشره وأتودّد إليه حتى تأتي حملته والذي يأخذه منه هؤلاء التجار آخذه أنا وأزوّجه ابنتي واضم ماله إلى مالي. فقال له الوزير: يا ملك الزمان، ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قد أخرب بيت الطماع. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 993

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير لما قال للملك: ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قد أخرب بيت الطماع. قال له الملك: يا وزير، أنا أمتحنه وأعرف هل هو نصاب أو صادق؟ وهل هو تربية نعمة أو لا؟ قال الوزير: بماذا تمتحنه؟ قال الملك: إن عندي جوهرة فأنا أبعث إليه وأحضره عندي وإذا جلس أكرمه وأعطيه الجوهرة فإن عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونِعم وإن لم يعرفها فهو نصاب محدث فأقتله أقبح قتلة. ثم إن الملك أرسل إليه وأحضره. فلما دخل عليه سلّم عليه فردّ عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وقال له: هل أنت التاجر معروف؟ قال: نعم. قال له: إن التجار يزعمون أن لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق؟ قال: نعم. قال له: لم لم تعطهم أموالهم؟ قال: يصبرون حتى تجيء حملتي

وأعطيهم المثل مثلين . وإن أرادوا ذهباً أعطيهم وإن أرادوا فضة أعطيهم وإن أرادوا بضاعة أعطيهم ، والذي له الف أعطيه الفين في نظير ما ستر به وجهي مع الفقراء ، فإن عندي شيئًا كثيراً . ثم إن الملك قال له : يا تاجر ، خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها ؟ وأعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بألف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزاً بها . فأخذها معروف بيده وقرط عليها بالإبهام والشاهد فكسرها لأن الجوهر رقيق لا يتحمل . فقال له الملك : لأي شيء كسرت الجوهرة ؟ فضحك وقال : يا ملك الزمان ، ما هذه جوهرة ! هذه قطعة معدن تساوي الف دينار كيف تقول عليها إنها جوهرة ؟ إن الجوهرة يكون ثمنها سبعين الف دينار وإنما يقال على هذه : قطعة معدن . والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندي ولا أعتني بها . كيف تكون ملكاً وتقول على هذه جوهرة وهي قطعة معدن قيمتها الف دينار ؟ ولكن أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة . فقال له الملك : يا تاجر ، هل عندك جواهر من الذي تخبر به ؟ قال : كثير . فغلب الطمع على الملك فقال له : هل تعطيني جواهر صحاحاً ؟ قال له : حتى تجيء الحملة أعطيك كثير ، ومهما طلبته فعندي منه كثير وأعطيك من غير ثمن . ففرح الملك وقال للتجار : روحوا إلى حال سبيلكم واصبروا عليه حتى تجيء الحملة ثم تعالوا خذوا مالكم مني . فراحوا . هذا ما كان من أمر معروف والتجار . وأما ما كان من أمر الملك فإنه أقبل على الوزير وقال له : لاطف التاجر معروف وخذ واعط معه في الكلام واذكر له ابنتي حتى يتزوّج بها ونغتنم هذه الخيرات التي عنده . فقال الوزير : يا ملك الزمان ، إن حال هذا الرجل لم يعجبني وأظن أنه نصاب وكذاب ، فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلا شيء . وكان الوزير سابقاً ساق على الملك أن يزوّجه البنت وأراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض . ثم إن الملك قال له : يا خائن ، أنت لا تريد لي خيراً لكونك خطبت ابنتي سابقاً ولم ترض ان تتزوّج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك ان بنتي تبور حتى تأخذها أنت ، فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام ، كيف يكون نصاباً كذاباً مع انه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر ؟ فمتى دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر ، وأنت مرادك ان تحرم ابنتي وتحرمني من هذه الخيرات . فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه : إغر الكلاب على البقر . ثم ميل على التاجر معروف وقال له : إن حضرة الملك حبّك وله بنت ذات حسن وجمال يريد ان يزوّجها لك فما تقول ؟ فقال له : لا باس ، ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فإن مهر بنات الملوك واسع ومقامهن ان لا يمهرون إلا بمهر يناسب حالهن ، وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر عليّ حتى تجيء الحملة فالخير عندي كثير ولا بد ان ادفع صداقها خمسة آلاف واحتاج إلى الف كيس افرّقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة ، والف كيس أعطيها للذين يمشون في الزفّة ، والف كيس أعمل بها الأطعمة للعساكر وغيرهم ، واحتاج إلى مائة جوهرة أعطيها للملكة صبيحة العرس ، ومائة جوهرة افرّقها على الجواري والخدم فأعطي كل واحدة جوهرة تعظيماً لمقام العروسة ، واحتاج إلى ان اكسي الف عريان من الفقراء ، ولا بد من صدقات وهذا شيء لا يمكن إلا إذا جاءت الحملة فإن عندي شيئًا كثيراً ، وإذا جاءت الحملة لا ابالي بهذا المصروف كله . فراح الوزير واخبر الملك بما قاله . فقال الملك : حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنه إنه نصاب كذاب ؟ قال الوزير : ولم ازل أقول

ذلك . ففزع فيه الملك ووبّخه وقال له : وحياة رأسي ، إن لم تترك هذا الكلام لأقتلك . فارجع إليه وهاته عندي وأنا مني له أصطفل . فراح إليه الوزير وقال : تعال كلّم الملك . فقال : سمعاً وطاعة . ثم جاء إليه فقال له الملك : لا تعتذر بهذه الأعذار فإن خزنتي ملآنة ، فخذ المفاتيح عندك وانفق جميع ما تحتاج إليه واعط ما تشاء واكس الفقراء وافعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري ، وإذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الإكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجيء الحملة وليس بيني وبينك فرق أبدًا . ثم امر شيخ الإسلام أن يكتب الكتاب . فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وأمر بزينة المدينة ودقت الطبول ومدت الأطعمة من سائر الألوان وأقبلت أرباب الملاعب ، وصار التاجر معروف يجلس على كرسي في مقعد وتأتي قدامه أرباب الملاعب والشطّار والجنك وأرباب الحركات الغريبة والملاهي العجيبة ، وصار يأمر الخازندار ويقول له : هات الذهب والفضة . فيأتيه بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطي كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسو العريانين وصار فرحاً عجاجاً . وما بقي الخازندار يلحق أن يجيء بالأموال من الخزنة ، وكاد قلب الوزير أن ينفقع من الغيظ ولم يقدر أن يتكلم ، وصار التاجر علي يتعجب من بذل هذه الأموال ويقول للتاجر معروف : الله والرجال على صدغك ، أما كفاك أن أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك ؟ فقال له التاجر معروف : لا علاقة لك ، وإذا جاءت الحملة أعوّض ذلك على الملك بأضعافه . وصار يبدّد في الأموال ويقول في نفسه : كبة حامية ، فالذي يجري يجري والمقدّر ما منه مفر . ولم يزل الفرح مدة أربعين يومًا ، وفي اليوم الحادي والأربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع سائر الأمراء والعساكر ، ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤوس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالاً لها مقدار عظيم ، وأدخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وأرخوا الستائر وقفلوا الأبواب وخرجوا وتركوه عند العروسة . فخبط يدًا على يد وقعد حزيناً مدة وهو يضرب كفاً على كف ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . فقالت له الملكة : يا سيدي سلامتك ، ما لك مغمومًا ؟ فقال : كيف لا أكون مغموماً وأبوك قد شوّش عليّ وعمل معي عملة مثل حرق الزرع الأخضر . قالت : وما عمل معك أبي قل لي ؟ قال : أدخلني عليك قبل أن تأتي حملتي وكان مرادي أقل ما يكون مائة جوهرة أفرّقها على جواريك ، لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول : إن سيدي أعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي . وهذه الخصلة كانت تعظيمًا لمقامك وزيادة في شرفك فإني لا أقصر ببذل الجواهر لأن عندي منها كثيراً . فقالت له : لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب ، أما أنا فما عليك مني لأني أصبر عليك حتى تجيء الحملة ، وأما الجواري فما عليك منهن قم اقلع ثيابك واعمل انبساطاً ومتى جاءت الحملة فإننا لاحقون على تلك الجواهر وغيرها . فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب النغاش ووقع الهراش وحط يده على ركبتها ، فجلست هي في حجره والقمته شفتها في فمه وصارت هذه الساعة تنسي الإنسان أباه وأمه ، فحضنها وضمّها إليه وعصرها في حضنه وضمّها إلى صدره ومصّ شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده من تحت إبطها الشمال فحنّت أعضاؤه وأعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت بين الفخذين وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادى : يا أبا اللثامين ! وحط الذخيرة وأشعل الفتيل وحرّر على

بيت الإبرة وأعطى النار فخسف البرج من الأربعة أركان وحصلت النكتة التي لا يسأل عنها وزعقت الزعقة التي لا بد منها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 994

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لا بد منها أزال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الأعمار لاشتمالها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورصع إلى الصباح . ثم دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك ، فقام له من فيه على الأقدام وقابلوه بإعزاز وإكرام وهنّوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال : أين الخازندار ؟ فقالوا : ها هو حاضر بين يديك . قال : هات الخلع والبس جميع الوزراء والأمراء وأرباب المناصب . فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطي كل من أتى له ويهب لكل إنسان على قدر مقامه ، واستمرّ على هذه الحالة مدة عشرين يوماً ولم يظهر له حملة ولا غيرها . ثم إن الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف ، وكان الملك جالساً هو والوزير لا غير . فقبّل الأرض بين يديه وقال : يا ملك الزمان ، أنا أخبرك بشيء لأنك ربما تلومني على عدم الإخبار به . أعلم أن الخزنة فرغت ولم يبق فيها شيء من المال إلا القليل ، وبعد عشرة أيام نقفلها على الفارغ . فقال الملك : يا وزير ، إن حملة نسيبي تأخّرت ولم يبن عنها خبر . فضحك الوزير وقال له : الله يلطف بك يا ملك الزمان ، ما أنت إلا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب ، وحياة رأسك إنه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه وإنما هو لم يزل ينصب عليك حتى أتلف أموالك وتزوّج بنتك بلا شيء ، وإلى متى وأنت غافل عن هذا الكذاب ؟ فقال له : يا وزير ، كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله ؟ فقال : يا ملك الزمان ، لا يطّلع على سرّ الرجل إلا زوجته ، فارسل إلى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى أسألها عن حقيقة حاله لأجل أن تختبره وتطلعنا على حاله . فقال : لا بأس بذلك ، وحياة رأسي إن ثبت أنه نصاب كذاب لأقتلنه أشأم قتلة . ثم إنه أخذ الوزير ودخل به إلى قاعة الجلوس وأرسل إلى بنته فأتت خلف الستارة ، وكان ذلك في غياب زوجها . فلما أتت قالت : يا أبي ما تريده ؟ قال : كلمي الوزير . قالت : أيها الوزير ، ما بالك ؟ قال : يا سيدتي اعلمي أن زوجك أتلف مال أبيك وقد تزوّج بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر ، وبالجملة نريد أن تخبرينا عنه . فقالت : إن كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم أرَ شيئًا . فقال : يا سيدتي ، هل تقدري في هذه الليلة أن تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له : أخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فإنك صرت زوجي ولا أفرّط فيك ، فاخبرني بحقيقة الأمر وأنا أدبر لك تدبيراً ترتاح به . ثم قرّبي وبعدي له في الكلام وأريه المحبة وقرّريه ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره . فقالت : يا أبت ، أنا أعرف كيف أختبره . ثم إنها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته ، فقامت له وأخذته من تحت إبطه وخادعته خداعا زائدًا وناهيك بمخادعة النساء إذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها . وما زالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله . فلما رأته مال إليها بكلّيته قالت له : يا حبيبي يا قرّة عيني يا ثمرة فؤادي ، لا أوحش الله ولا فرّق الزمان بيني وبينك ، فإن محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت أكبادي وليس فيك تفريط أبداً ولكن

مرادي أن تخبرني بالصحيح لأن حيل الكذب غير نافعة لا تنطلي في كل الأوقات، وإلى متى وأنت تنصب وتكذب على أبي؟ وأنا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن ندبر له حيلة فيبطش بك. فاخبرني بالصحيح وما لك إلا ما يسرك، ومتى أخبرتني بحقيقة الأمر لا تخش من شيء يضرّك. فكم تدّعي انك تاجر وصاحب أموال ولك حملة، وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول: حملتي حملتي، ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهمّ بهذا السبب، فان كان كلامك ليس له صحة فاخبرني وأنا أدبر لك تدبيراً تخلص به إن شاء الله. فقال لها: يا سيدتي، أنا أخبرك بالصحيح ومهما أردت فافعلي. فقالت: قل وعليك بالصدق فإن الصدق سفينة النجاة وإياك والكذب فإنه يفضح صاحبه. ولله در من قال: [من السريع]

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ ... أَحْرَقَكَ عَمْدًا بِنارِ الوَعِيدْ
وَٱبْغِ رِضَى اللهَ فَأَغْبَى الوَرَى ... مَنْ أَسْخَطَ المَوْلَى وَأَرْضَى العَبِيدْ

فقال: يا سيدتي، أعلمي أني لست تاجراً ولا لي حملة ولا كبة حامية وإنما كنت في بلادي رجلاً إسكافيًا ولي زوجة اسمها فاطمة العرّة وجرى لي معها كذا وكذا. وأخبرها بالحكاية من أولها إلى آخرها. فضحكت وقالت: إنك ماهر في صناعة الكذب والنصب. فقال: يا سيدتي، الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب. فقالت: أعلم انك نصبت على أبي وغررته بكثرة فشرك حتى زوّجني بك من طمعه ثم أتلفت ماله، والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك عند أبي ويقول له: إنه نصاب كذاب. ولكن أبي لم يطعه فيما يقول بسبب إنه كان خطبني وأنا لم أرض به أن يكون لي بعلاً وأكون له أهلاً. ثم إن المدة طالت وقد تضايق أبي وقال لي: قرّريه. وقد قرّرتك وانكشف المغطّى وأبي مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وأنا لا أفرّط فيك، فإن أخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده انك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك وأذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغتفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس أني تزوّجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي، وإذا قتلك أبي ربما يحتاج إلى أن يزوّجني إلى آخر وهذا شيء لا أقبله ولو مت. ولكن قم الآن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالي واركب على جواد وسافر إلى بلاد يكون حكم أبي لا ينفذ فيها، واعمل تاجراً هناك واكتب لي كتابًا وارسله مع ساع يأتيني به خفية لأعلم في أي البلاد أنت حتى أرسل إليك كل ما طالته يدي ويكثر مالك، فإن مات أبي أرسلت إليك فتجيء بإعزاز وإكرام وإذا مت أنت أو مت أنا إلى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا. وهذا هو الصواب وما دمت طيباً وأنا طيبة لا أقطع عنك المراسلة والأموال، قم قبل أن يطلع النهار عليك وتحتار ويحيط بك الدمار. فقال لها: يا سيدتي، أنا في عرضك أن تودّعيني بوصالك. فقالت: لا بأس. ثم واصلها واغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس أن يشدّوا له جواده من الخيل الجياد، فشدّوا له جواداً ثم ودّعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار، فصار كل من رآه يظن انه مملوك من مماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة. فلما أصبح الصباح جاء أبوها هو والوزير إلى قاعة الجلوس وأرسل إليها أبوها فأتت خلف الستارة. فقال لها أبوها: يا بنتي ما تقولين؟ قالت: أقول: سوّد الله وجه وزيرك فإنه كان مراده أن يسوّد وجهي مع زوجي. قال: وكيف ذلك؟ قالت: إنه دخل

عليّ أمس قبل أن أذكر له هذا الكلام وإذا بفرج الطواشي دخل عليّ وبيده كتاب وقال: إن عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر وأعطوني هذا الكتاب وقالوا لي: قبّل لنا أيادي سيدي معروف التاجر واعطه هذا الكتاب فإننا من مماليكه الذين مع الحملة، وقد بلغنا أنه تزوّج بنت الملك فأتينا له لنخبره بما حلّ بنا في الطريق. فأخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من المماليك الخمسمائة إلى حضرة سيدنا التاجر معروف. وبعد، فالذي نعلمك به أنك بعدما فتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر ألفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك، ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيمة ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون يوماً ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 995

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن بنت الملك قالت لأبيها: إن زوجي جاءه مكتوب من أتباعه مضمونه: إن العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تأخيرنا عنك، وقد أخذوا منا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكاً. فلما بلغه الخبر قال: خيّبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لأجل مائتي حمل بضاعة؟ وما مقدار مائتي حمل؟ فما كان ينبغي لهم أن يتأخروا من أجل ذلك، فإن قيمة المائتي حمل سبعة آلاف دينار ولكن ينبغي أني أروح إليهم وأستعجلهم والذي أخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيئًا وأقدر أني تصدقت به عليهم. ثم نزل من عندي ضاحكاً ولم يغمّ على ما ضاع من ماله ولا على قتل مماليكه، ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين أتوا له بالكتاب كأنهم الأقمار، كل واحد منهم لابس بدلة تساوي ألفي دينار وليس عند أبي مملوك يشبه واحد منهم. ثم توجه مع المماليك الذين جاؤوا له بالمكتوب ليجيء بحملته، والحمد لله الذي منعني أن أذكر له شيئًا من الكلام الذي أمرتني به فإنه كان يستهزىء بي وبك وربما كان يراني بعين النقص ويبغضني، ولكن العيب كله من وزيرك الذي يتكلّم في حق زوجي كلاماً لا يليق به. فقال الملك: يا بنتي، إن مال زوجك كثير ولا يفكر في ذلك، ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدّق على الفقراء وإن شاء الله عن قريب يأتي بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير. وصار يأخذ بخاطرها ويوبّخ الوزير وانطلت عليه الحيلة. هذا ما كان من أمر الملك. وأما ما كان من أمر التاجر معروف، فإنه ركب الجواد وسار في البر الأقفر وهو متحيّر لا يدري إلى أي البلاد يروح؟ وصار من ألم الفراق ينوح وقاسى الوجد واللوعات وأنشد هذه الأبيات: [من الكامل]

غَدَرَ الزَّمانُ بِشَمْلِنا فَتَفَرَّقا ... والقَلْبُ ذابَ مِنْ الجَفا وتَحَرَّقا
والعَيْنُ تَقْطُرُ مِنْ فِراقِ أَحِبَّتِي ... هذا الفِراقُ مَتى يَكونُ المُلْتَقَى
يا طَلْعَةَ البَدْرِ المُنِيرِ أنا الَّذي ... في حُبِّكُمْ تَرَكَ الفُؤادَ مُمَزَّقا
يا لَيْتَنِي لَمْ أَجْتَمِعْ بِكَ ساعَةً ... مِنْ بَعْدِ طِيبِ وِصالِكُمْ ذُقْتُ الشَّقا
ما زالَ مَعْرُوفٌ بِدُنْيا مُغْرَماً ... إنْ كانَ ماتَ صَبابَةً فَلَها البَقا
يا بَهْجَةَ الشَّمْسِ المُنِيرَةِ أَدْرِكِي ... قَلْباً لِمَعْرُوفِ المَحَبَّةِ مُحْرَقا
يا هَلْ تُرَى الأَيَّامُ تَجمَعُ شَمْلَنا ... ونَفُوزُ مِنْها بِالمَسَرَّةِ واللِّقا

وَيَضُمُّنا قَصْرُ الحَبيبَةِ بالهَنا وأَضُمُّ فيهِ مُعانِقاً غُصْنَ النَّقا
يا طَلْعَةَ البَدْرِ المُنيرَةِ شَمْسُهُ ما زالَ وَجْهُكِ بالمحاسِنِ مُشْرِقا
إنِّي لَراضٍ بالغَرامِ وهَمِّهِ حَيْثُ السَّعادَةُ في الهَوَى عَيْنُ الشَّقا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً وقد انسدّت الطرقات في وجهه واختار الممات على الحياة . ثم إنه مشى كالسكران من شدّة حيرته ولم يزل سائرًا إلى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلاً حراثاً قريباً منها يحرث على ثورين ، وكان قد اشتدّ به الجوع . فقصد الحراث وقال له : السلام عليكم . فردّ عليه السلام وقال : مرحباً بك يا سيدي ، هل أنت من مماليك السلطان ؟ قال : نعم . قال : إنزل عندي للضيافة . فعرف أنه من الأجاويد فقال له : يا أخي ، ما أنا ناظر عندك شيئًا حتى تطعمني إياه فكيف تعزم عليّ ؟ فقال الحراث : يا سيدي ، الخير موجود إنزل أنت وها هي البلد قريبة فأروح وأجيء لك بغداء وعليق لحصانك . قال : حيث كانت البلد قريبة فأنا أصل إليها في مقدار ما تصل أنت إليها وأشتري مرادي من السوق وآكل . فقال له : يا سيدي ، إن البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء . سألتك بالله أن تنزل عندي وتجبر بخاطري وأنا أذهب إليها وأرجع إليك بسرعة . فنزل . ثم إن الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء ، فقعد معروف ينتظره ثم قال في نفسه : إنّا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن أنا أقوم وأحرث عوضًا عنه حتى يأتي في نظير ما عوّقته عن شغله . ثم أخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلاً وعثر المحراث فرآه مشبوكاً في حلقة من الذهب ، فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون ، فعالج فيه حتى قلعه من مكانه فبان من تحته طابق بسلالم ، فنزل في تلك السلالم فرأى مكاناً مثل الحمام بأربعة لواوين . الليوان الأول : ملآن من الأرض إلى السقف بالذهب . والليوان الثاني : ملآن زمرداً ولؤلؤاً ومرجاناً من الأرض إلى السقف . والليوان الثالث : ملآن ياقوتاً وبلخشا وفيروزاً . والليوان الرابع : ملآن بالألماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر . وفي صدر المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة . وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب . فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحاً شديداً وقال : يا هل ترى أي شيء في هذه العلبة ؟ ثم إنه فتحها فرأى فيها خاتمًا من الذهب مكتوباً عليه أسماء وطلاسم مثل دبيب النمل ، فدعك الخاتم وإذا بقائل يقول : لبيك لبيك يا سيدي فاطلب تعط ، هل تريد أن تعمّر بلداً أو تخرب مدينة أو تقتل ملكًا أو تحفر نهرًا أو نحو ذلك ؟ فمهما طلبته فإنه قد صار بإذن الملك الجبار خالق الليل والنهار . فقال له : يا مخلوق ربي ، من أنت ؟ وما تكون ؟ قال : أنا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه ، فمهما طلبه من الأغراض قضيته له ولا عذر لي فيما يأمرني به ، فإني سلطان على أعوان من الجان وعدّة عسكري اثنان وسبعون قبيلة ، كل قبيلة عدّتها اثنان وسبعون ألفاً ، وكل واحد من الألف يحكم على ألف مارد ، وكل مارد يحكم على ألف عون ، وكل عون يحكم على ألف شيطان ، وكل شيطان يحكم على ألف جني ، وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرون على مخالفتي ، وأنا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفة من ملكه . وها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك ، فاطلب ما شئت فإني سميع لقولك مطيع لأمرك . وإذا احتجت إليّ في أي

وقت في البر او في البحر فادعك الخاتم تجدني عندك، وإياك ان تدعكه مرّتين متواليتين فتحرقني بنار الأسماء وتعدمني وتندم عليّ بعد ذلك وقد عرّفتك بحالي والسلام . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 996

☐ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان خادم هذا الخاتم لما اخبر معروفاً بأحواله قال له معروف : ما اسمك ؟ قال : إسمي أبو السعادات . فقال له : يا أبا السعادات ، ما هذا المكان ؟ ومن ارصدك في هذه العلبة ؟ قال له : يا سيدي ، هذا المكان كنز يقال له : كنز شداد بن عاد الذي عمّر إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وانا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه ولكنه نصيبك . فقال له معروف : هل تقدر ان تخرج ما في هذا الكنز على وجه الأرض ؟ قال : نعم أسهل ما يكون . قال : اخرج جميع ما فيه ولا تبقِ منه شيئًا . فأشار بيده إلى الأرض فانشقّت ثم نزل وغاب مدة لطيفة وإذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهباً، وفرّغوها ثم راحوا وجاؤوا بغيرها . ولا زالوا ينقلون من الذهب والجواهر، فلم تمض ساعة حتى قالوا : ما بقي في الكنز شيء . ثم طلع له ابو السعادات وقال له : يا سيدي ، قد رايت ان جميع ما في الكنز قد نقلناه . فقال له : ما هذه الأولاد الحسان ؟ قال : هؤلاء اولادي لأن هذه الشغلة لا تستحق أن اجمع لها الأعوان واولادي قضوا حاجتك وتشرّفوا بخدمتك ، فاطلب ماتريد غير هذا ؟ قال له : هل تقدر ان تجيء لي ببغال وصناديق وتحطّ هذه الأموال في الصناديق وتحمّل الصناديق على البغال ؟ قال : هذا اسهل ما يكون . ثم إنه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة . فقال لهم : لينقلب بعضكم في صورة البغال ، وبعضكم في صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك ، وبعضكم في صورة المكارية ، وبعضكم في صورة الخدامين . ففعلوا كما أمرهم . ثم صاح على الأعوان فحضروا بين يديه فامرهم ان ينقلب بعضهم في صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصّع بالجواهر . فلما رأى معروف ذلك قال : اين الصناديق ؟ فاحضروهم بين يديه قال : عبّو الذهب والمعادن كل صنف وحده . فعبّوها وحمّلوها على ثلاثمائة بغل . فقال معروف : يا أبا السعادات ، هل تقدر ان تجيء لي بأحمال من نفيس القماش ؟ قال : اتريدها قماشاً مصرياً أو شامياً أو عجمياً او هندياً او رومياً ؟ قال : هات من قماش كل بلد مائة حمل على مائة بغل . قال : يا سيدي ، اعطني مهلة حتى أرتّب أعواني لذلك وآمر كل طائفة ان تروح إلى بلد لتجيء بمائة حمل من قماشها وينقلب الأعوان في صورة البغال ويأتون حاملين البضائع . قال : ما قدر زمن المهلة ؟ قال : مدة سواد الليل ، فلا يطلع النهار إلا وعندك جميع ما تريد . قال : أمهلتك هذه المدة . ثم إنه أمرهم ان ينصبوا له خيمة . فنصبوها وجلس وجاؤوا له بسماط وقال له أبو السعادات : يا سيدي ، إجلس في الخيمة وهؤلاء أولادي بين يديك يحرسونك ولا تخش من شيء ، وانا رايح اجمع اعواني وأبعثهم ليقضوا حاجتك . ثم ذهب أبو السعادات إلى حال سبيله وجلس معروف في الخيمة والسماط قدامه وأولاد أبي السعادات بين يديه في صورة المماليك والخدم والحشم . فبينما هو جالس على تلك الحالة وإذا بالرجل الفلاح اقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيراً ، فرأى

الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وأيديهم على صدورهم ، فظن أنه السلطان أتى ونزل في ذلك المكان . فوقف باهتاً وقال في نفسه : يا ليتني كنت ذبحت فرختين وحمّرتهما بالسمن البقري من شأن السلطان . وأراد أن يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف ، فزعق عليه وقال للمماليك : هاتوه . فحملوه هو والقصعة العدس وأتوا بهما قدامه . فقال له : ما هذا ؟ قال : هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذني فإني ما كنت أظن أن السلطان يأتي إلى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة . فقال معروف : إن السلطان لم يجيء وإنما أنا نسيبه وكنت مغبوناً منه وقد أرسل إليّ مماليكه فصالحوني ، وأنا الآن أريد أن أرجع إلى المدينة وأنت قد عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدساً فأنا ما آكل إلا من ضيافتك . ثم أمره بوضع القصعة في وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى ، وأما الفلاح فإنه ملأ بطنه من تلك الألوان الفاخرة . ثم إن معروفاً غسل يديه وأذن للمماليك في الأكل فنزلوا على بقية السماط وأكلوا ، ولما فرغت القصعة ملأها له ذهباً وقال له : أوصلها إلى منزلك وتعال عندي في المدينة وأنا أكرمك . فأخذ القصعة ملآنة ذهباً وساق الثيران وراح إلى بلده وهو يظن أنه نسيب الملك . وبات معروف تلك الليلة في أنس وصفاء وجاؤوا له ببنات من عرائس الكنوز ، فدقوا الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته وكانت لا تعد من الأعمار . فلما أصبح الصباح لم يشعر إلا والغبار قد علا وطار وانشكف عن بغال حاملة أحمالاً ، وهي سبعمائة بغل حاملة أقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وأبو السعادات راكب على بغلة وهو في صورة مقدّم الحملة ، وقدامه تختروان له أربع عساكر من الذهب الأحمر الوهّاج مرصّعة بالجواهر . فلما وصل إلى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبّل الأرض وقال : يا سيدي ، إن الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثل لها من ملابس الملوك ، فالبسها واركب في التختروان وأمرنا بما تريد . فقال له : يا أبا السعادات ، مرادي أن أكتب لك كتاباً تروح به إلى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمي الملك ولا تدخل عليه إلا في صورة ساع أنيس . فقال له : سمعاً وطاعة . فكتب كتاباً وختمه فأخذه أبو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول : يا وزير ، إن قلبي على نسيبي وأخاف أن تقتله العرب ، يا ليتني كنت أعرف أين يذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر . ويا ليته كان أخبرني بذلك قبل الذهاب . فقال له الوزير : الله يلطف بك على هذه الغفلة التي أنت فيها ، وحياة رأسك إن الرجل عرف أننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو إلا كذاب نصاب . وإذا بالساعي داخل فقبّل الأرض بين يدي الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء . فقال له الملك : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ فقال له : أنا ساع أرسلني إليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل إليك معي كتاباً وها هو . فأخذه وقرأ فيه : بعد مزيد السلام على عمّنا الملك العزيز ، فإني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر . فقال الملك : سوّد الله وجهك يا وزير ، كم تقدح في عرض نسيبي وتجعله كذاباً نصاباً وقد أتى بالحملة ، فما أنت إلا خائن . فأطرق الوزير رأسه إلى الأرض حياء وخجلاً وقال : يا ملك الزمان ، أنا ما قلت هذا الكلام إلا لطول غياب الحملة وكنت خائفاً على ضياع المال الذي صرفه . فقال : يا خائن ، أي شيء أموالي حيثما أتت حملته ؟ فإنه يعطيني عوضاً عنها شيئاً كثيراً . ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها : لك البشارة ، إن زوجك عن قريب يجيء بحملته وقد

أرسل إليّ مكتوباً بذلك وها أنا طالع لملاقاته . فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها : إن هذا شيء عجيب ، هل كان يهزأ بي ويتمسخر عليّ أو كان يختبرني حين أخبرني بأنه فقير ؟ ولكن الحمد لله حيث لم يقع مني تقصير في حقّه . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر التاجر علي المصري فإنه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له : إن التاجر معروف نسيب الملك قد أتت حملته . فقال : الله أكبر ، ما هذه الداهية ؟ إنه قد أتاني هارباً من زوجته وكان فقيراً فمن أين جاءت له حملة ؟ ولكن لعل بنت الملك دبّرت له حيلة خوفاً من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شيء ، فالله تعالى يستره ولا يفضحه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 997

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن التاجر علي لما سأل عن الزينة أخبروه بحقيقة الحال . فدعا له وقال : الله يستره ولا يفضحه . وسائر التجار فرحوا وانسرّوا لأجل أخذ أموالهم . ثم إن الملك جمع العسكر ، وطلع وكان أبو السعادات قد رجع إلى معروف وأخبره بأنه بلّغ الرسالة . فقال معروف : حمّلوا . فحمّلوا ولبس البدلة الكنوزية وركب في التختروان وصار أعظم وأهيب من الملك بألف مرة ومشى إلى نصف الطريق ، وإذا بالملك قابله بالعسكر . فلما وصل إليه رآه لابساً تلك البدلة وراكباً في التختروان ، فرمى روحه عليه وسلّم عليه وحيّاه بالسلام وجميع أكابر الدولة سلّموا عليه وبان أن معروفاً صادق ولا كذب عنده . ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الأسد ، وسعت إليه التجار وقبّلوا الأرض بين يديه . ثم إن التاجر علي قال : قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين ، ولكن تستأهل فالله تعالى يزيدك من فضله . فضحك معروف ، ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال : أدخلوا أحمال الذهب في خزانة عمي الملك وهاتوا أحمال الأقمشة فقدّموها له . وصاروا يفتحونها حملاً بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل ، فنقّى أطيبها وقال : أدخلوه للملكة لتفرّقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وادخلوه لها لتفرّقه على الجواري والخدم ، وصار يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الأقمشة في نظير ديونهم ، والذي له ألف يعطيه قماشاً يساوي ألفين أو أكثر ، وبعد ذلك صار يفرّق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر أن يعترض عليه . ولم يزل يعطي ويهب حتى فرّق السبعمائة حمل . ثم التفت إلى العسكر وجعل يفرّق عليهم معادن وزمرداً ويواقيت ولؤلؤاً ومرجاناً وغير ذلك ، وصار لا يعطي الجواهر إلا بالكبش من غير عدد . فقال له الملك : يا ولدي ، يكفي هذا العطاء لأنه لم يبق من الحملة إلا القليل . فقال له : عندي كثير . واشتهر صدقه وما بقي أحد يقدر أن يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لأن الخادم يحضر له مهما طلب . ثم إن الخازندار أتى للملك وقال : يا ملك الزمان ، إن الخزنة امتلأت وصارت لا تسع بقية الأحمال وما بقي من الذهب والمعادن أين نضعه ؟ فأشار له إلى مكان آخر . ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها : يا هل ترى من أين جاء له كل هذا الخير ؟ وكذلك التجار فرحوا بما أعطاهم ودعوا له . وأما التاجر علي فإنه صار متعجباً ويقول في نفسه : يا ترى ، كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها ؟ فإنها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرّقها على الفقراء . ولكن ما أحسن قول من قال : [من المتقارب]

مَلِكُ المُلُوكِ إذا وَهَبْ لا تَسْأَلَنَّ عَنِ السَّبَبْ
اللهُ يُعْطِي مَنْ يَشا ءُ فَكُنْ على حَدِّ الأَدَبْ

هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الملك فإنه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال . ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهي متبسّمة ضاحكة فرحانة وقبّلت يده وقالت : هل كنت تتمسخر عليّ أو كنت تجرّبني بقولك أنا فقير وهارب من زوجتي ؟ والحمد لله حيث لم يقع مني في حقّك تقصير وأنت حبيبي وما عندي أعز منك ، سواء كنت غنياً أو فقيراً ، وأريد أن تخبرني ما قصدت بهذا الكلام ؟ قال : أردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شأن المال وطمع الدنيا ؟ فظهر لي أن محبتك خالصة ، وحيث كنت صادقة في المحبة فمرحباً بك وقد عرفت قيمتك . ثم إنه اختلى في مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له أبو السعادات وقال له : لبيك فاطلب ما تريد . قال : أريد منك بدلة كنوزية لزوجتي وحلياً كنوزيًا مشتملاً على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة . قال : سمعاً وطاعة . ثم أحضر له ما أمره به ، فحمل البدلة والحلي بعد أن صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعها بين يديها وقال لها : خذي والبسي فمرحباً بك . فلما نظرت إلى ذلك ، طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصّعين بالجواهر صنعة الكهنة وأساور وحلقاً وخزاماً لا يتقوم بثمنها أموال ، فلبست البدلة والحلي ثم قالت : يا سيدي ، مرادي أن أدخرها للمواسم والأعياد . قال : البسيها دائما فإن عندي غيرها كثير . فلما لبستها ونظرها الجواري فرحن وقبّلن يديه فتركهنّ واختلى بنفسه . ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له : هات مائة بدلة بمصاغها . فقال : سمعاً وطاعة . ثم أحضر له البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها ، فأخذها وزعق على الجواري فأتين إليه ، فأعطى كل واحدة بدلة . فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين ، وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم . ثم إن بعض الجواري أخبر الملك بذلك ، فدخل الملك على ابنته فرآها تدهش من رآها ، هي وجواريها . فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج وأحضر وزيره وقال له : يا وزير ، إنه حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الأمر ؟ قال : يا ملك الزمان ، إن هذه الحالة لا تقع من التجار لأن التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها إلا بمكسب ، فمن أين للتجار كرم مثل هذا الكرم ؟ ومن أين لهم أن يحوزوا مثل هذه الأموال والجواهر التي لا يوجد منها عند الملوك إلا قليل ؟ فكيف يوجد عند التجار منها أحمال ؟ فهذا لا بد له من سبب ، ولكن إن طاوعتني أبيّن لك حقيقة الأمر . فقال له : أطاوعك يا وزير . فقال له : اجتمع عليه ووادده وتحدّث معه وقل له : يا نسيبي ، في خاطري أن أروح أنا وأنت والوزير من غير زيادة بستاناً لأجل النزهة ، فإذا خرجنا إلى بستان نحط سفرة المدام واغصب عليه واسقيه ، ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة أمره فإنه يخبرنا بأسراره . والمدام فضّاح ولله درّ من قال : [من الطويل]

ولَمَّا شَرِبْناها ودَبَّ دَبِيبُها إلى مَوْضِعِ الأَسْرارِ قُلْتُ لَها : قِفِي
مَخافَةَ أَنْ يَسْطُو عليَّ شُعاعُها فَتُظْهِرُ نَدْمانِي عَلى سِرِّي الخَفِي

ومتى أخبرنا بحقيقة الأمر فإننا نطّلع على حاله ونفعل به ما نحب ونختار ، فإن الحالة التي هو

فيها أخشى عليك من عواقبها، فربما تطمع نفسه في المُلك فيشتمل العسكر بالكرم وبذل المال ويعزلك ويأخذ المُلك منك. فقال له الملك: صدقت. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 998

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير لما دبّر للملك هذا التدبير قال له: صدقت. وباتا متّفقين على هذا الأمر. فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى المقعد وجلس وإذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين. فقال لهم: ما الذي أصابكم؟ قالوا: يا ملك الزمان، إن السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التي جاءت بالحملة، فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتّشنا الإصطبلات فما رأينا خيلاً ولا بغالاً ودخلنا محل المماليك فلم نرَ فيه أحدًا ولم نعرف كيف هربوا. فتعجب الملك من ذلك لأنه ظن أن الأعوان كانوا خيلاً وبغالاً ومماليك ولم يعلم أنهم كانوا أعوان خادم الرصد. فقال لهم: يا ملاعين، ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم؟ فقالوا: ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا. فقال: انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم واخبروه بالخبر. فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيّرين في هذا الأمر. فبينما هم جالسون على تلك الحالة وإذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمّين فقال لهم: ما الخبر؟ فاخبروه بما حصل. فقال: وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم؟ أمضوا إلى حال سبيلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الأمر. فطل الملك في وجه الوزير وقال: أي شيء هذا الرجل الذي ليس للمال عنده قيمة؟ فلا بد لذلك من سبب. ثم إنهم تحدّثوا معه ساعة وقال الملك: يا نسيبي، خاطري أن أروح أنا وأنت والوزير بستاناً لأجل النزهة فما تقول؟ قال: لا بأس. ثم إنهم ذهبوا وتوجهوا إلى بستان فيه من كل فاكهة زوجان، انهاره دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة، ودخلوا فيه قصراً يزيل عن القلوب الحزن، وجلسوا يتحدّثون والوزير يحكي غريب الحكايات ويأتي بالنكت المضحكات والألفاظ المطربات ومعروف مصغ إلى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام، وبعد أن أكلوا وغلسوا أيديهم ملأ الوزير الكأس وأعطاه للملك فشربه، وملأ الثاني وقال لمعروف: هاك كأس الشراب الذي تخضع لهيبته أعناق الألباب. فقال معروف: ما هذا يا وزير؟ قال الوزير: هذه البكر الشميطاء والعانس العذراء ومهدية السرور إلى السرائر التي قال فيها الشاعر: [من البسيط]

كانَتْ لَها أَرْجُلُ الأَعْلاجِ دائِرَةً ... بِالدَّوْسِ فانْتَصَفَتْ مِنْ أَرْؤُسِ العَرَبِ
يَسْقِيكَها مِنْ بَنِي الكُفَّارِ بَدْرُ دُجَى ... أَلحاظُهُ لِلْمَعاصِي أَوْكَدُ السَّبَبِ

ولله درّ القائل: [من الكامل]

فَكَأَنَّها وكَأَنَّ حامِلَ كأْسِها ... إِذْ قامَ يَجْلُوها عَلى النُّدَماءِ
شَمْسُ الضُّحَى رَقَصَتْ فَنَقَّطَ وَجْهَها ... بَدْرُ الدُّجَى بِكَواكِبِ الجَوْزاءِ
رَقَّتْ فَكادَتْ مِنْ لَطِيفِ مِزاجِها ... تجْرِي كَمَجْرَى الرُّوحِ في الأَعْضاءِ

وما أحسن قول الشاعر: [من البسيط]

وباتَ بَدْرُ تَمامِ الحُسْنِ مُعْتَنِقِي والشَّمْسُ في فَلَكِ الكاساتِ لَمْ تأفَلِ
وبِتُّ أَنْظُرُ لِلنَّارِ التِي سَجَدَتْ لَها المَجُوسُ مِنَ الإبْرِيقِ تَسْجُدُ لِي

وقول الآخر: [من الرمل]

وتَمَشَّتْ في مَفاصِلِهِمْ كَتَمَشِّي البُرْءِ في السَّقَمِ

وقول الآخر: [من الوافر]

عَجِبْتُ لِعاصِرِيها كَيْفَ ماتُوا وقَدْ تَرَكُوا لنا ماءَ الحَياةِ

وأحسن من ذلك قول أبي نواس: [من البسيط]

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإنَّ اللَّوْمَ إغراءُ وداوِنِي بِالَّتِي كانَتْ هِيَ الدّاءُ
صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأَحْزانُ ساحَتَها لَوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ
قامَتْ بِإبْرِيقِها واللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلاحَ مِنْ ضَوْئِها في البَيْتِ لألاءُ
طافَتْ عَلى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمانُ لَهُم فَلا تُصِيبُهُمُ إلاَّ بِما شَاؤُوا
مِنْ كَفِّ ذاتِ حِرٍ في زِيِّ ذي ذَكَرٍ لَها مُحِبَّانِ لُوطِيٌّ وزَنَّاءُ
وقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي في العِلْمِ مَعْرِفَةً حَفِظْتَ شَيْئًا وغابَتْ عَنْكَ أَشْياءُ

وأحسن من الجميع قول ابن المعتز: [من البسيط]

سَقَى الجَزِيرَةَ ذاتَ الظِّلِّ والشَّجَرِ ودَيْرَ عَبْدُونَ هَطَّالٌ مِنَ المَطَرِ
فَطالَما نَبَّهَتْنِي لِلصَّبُوحِ بِها في غُرَّةِ الفَجْرِ والعُصْفُورُ لَمْ يَطِرِ
أَصْواتُ رُهْبانِ دَيْرٍ في صَلاتِهِمِ سُودِ المَدارِعِ نَعَّائِينَ في السَّحَرِ
كَمْ فِيهِمِ مِنْ مَلِيحِ الشَّكْلِ مُكْتَحِلٍ بِالغُنْجِ يُطْبِقُ جَفْنَيْهِ عَلى حَوَرِ
وزارَنِي في قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا يُسْتَعْجِلُ الخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ ومِنْ حَذَرِ
وقُمْتُ أَفْرِشُ خَدِّي في الطَّرِيقِ لَهُ ذُلاًّ وأَسْحَبُ أَذْيالِي عَلى أَثَرِي
ولاحَ ضَوْءُ هِلالٍ كادَ يَفْضَحُنا مِثْلُ القُلامَةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ
وكانَ ما كانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا ولا تَسْأَلْ عَنِ الخَبَرِ

ولله درّ القائل: [من مجزوء الرجز]

أَصْبَحْتُ مِنْ أَغْنَى الوَرَى مُسْتَبْشِرًا بِالفَرَحِ
عِنْدِي نُضارٌ ذائِبٌ أَكْتالُهُ بِالقَدَحِ

وما أحسن قول الشاعر: [من البسيط]

تَاللهِ ما الكِيمِيا في غَيْرِها وُجِدَتْ وكُلُّ ما قِيلَ في أَبْوابِها كَذِبُ
قِيراطُ خَمْرٍ على القِنْطارِ مِنْ حَزَنٍ يَعُودُ في الحِينِ أَفْراحاً ويَنْقَلِبُ

وقول الآخر : [من الكامل]

ثَقُلَتْ زُجاجاتٌ أَتَيْنا فُرَّغا ... حَتَّى إذا مُلِئَتْ بِصِرْفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فكادَتْ أَنْ تَطِيرَ مَعَ الهَوَى ... وكَذا الجُسُومُ تَخِفُّ بِالأَرْواحِ

وقول الآخر : [من الطويل]

ولِلْكأسِ والصَّهْباءِ حَقٌّ مُعَظَّمٌ ... ومِنْ حَقِّها أَنْ لا تَضِيعَ حُقُوقُها
إذا مِتُّ فادْفُنِّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُها
ولا تَدْفُنَنِّي في الفَلاةِ فَإنَّنِي ... أَخافُ إذا ما مِتُّ أَنْ لا أَذُوقُها

وما زال يرغّبه في الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الأشعار ولطائف الأخبار حتى مال إلى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح ،وما زال يملأ له وهو يشرب ويستلذّ ويطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميّز خطأه من صوابه . فلما علم أن السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له : يا تاجر معروف ، والله إني متعجب من أين وصلت إليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الأكاسرة ؟ وعمرنا ما رأينا تاجراً حاز أموالاً مثلك ولا أكرم منك فإن أفعالك أفعال ملوك وليست أفعال تجار ، فبالله عليك أن تخبرني حتى أعرف قدرك ومقامك . وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف : أنا لست تاجراً ولا من الملوك ، وأخبره بحكايته من أولها إلى آخرها . فقال له : بالله عليك يا سيدي معروف ، إنك تفرّجنا على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته . فقلع الخاتم وهو في حال سكره وقال : خذوا تفرّجوا عليه . فأخذه الوزير وقلبه وقال : هل إذا دعكته يحضر الخادم ؟ قال : نعم ادعكه يحضر لك وتفرّج عليه . فدعكه وإذا بقائل يقول : لبيك يا سيدي أطلب تعط ، هل تخرب مدينة أو تعمر مدينة أو تقتل ملكاً ؟ فمهما طلبته فإني أفعله لك من غير خلاف . فأشار الوزير إلى معروف وقال للخادم : إحمل هذا الخاسر ثم ارمه في أوحش الأراضي الخراب حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمداً ولم يدر به أحد . فخطفه الخادم وطار به بين السماء والأرض ، فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الإرتباك فبكى وقال : يا أبا السعادات ، إلى أين أنت رايح بي ؟ فقال له : أنا رايح أرميك في الربع الخراب يا قليل الأدب ، من يملك رصداً مثل هذا ويعطيه للناس يتفرّجون عليه ؟ لكن تستأهل ما حلّ بك ولولا أني أخاف الله لرميتك من مسافة ألف قامة فلا تصل إلى الأرض حتى تمزّقك الرياح . فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به إلى الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخلاه في الأرض الموحشة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 999

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخادم أخذ معروفًا ورماه في الربع الخراب ورجع وخلاه . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الوزير فإنه لما ملك الخاتم قال للملك : كيف رأيت ؟ أما قلت لك إن هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقني . فقال له : الحق معك يا وزيري الله يعطيك العافية ، هات هذا الخاتم حتى أتفرّج عليه . فالتفت إليه الوزير بالغضب وبصق في وجهه وقال له : يا قليل العقل ، كيف أعطيه لك وأبقى خدامك بعد أن صرت

سيدك؟ ولكن أنا ما بقيت أبقيك . ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له : إحمل هذا القليل الأدب وارمه في المكان الذي رميت فيه نسيبه النصاب . فحمله وطار به فقال له الملك : يا مخلوق ربي ، أي شيء ذنبي؟ قال له الخادم : لا أدري وإنما أمرني سيدي بذلك وأنا لا أقدر أن أخالف من ملك خاتم هذا الرصد . ولم يزل طائراً به حتى رماه في المكان الذي فيه معروف ثم رجع وتركه هناك . فسمع معروف يبكي فأتى له وأخبره وقعدا يبكيان على ما أصابهما ، ولم يجدا أكلاً ولا شرباً . هذا ما كان من أمرهما . وأما ما كان من أمر الوزير فإنه بعدما شتّت معروفاً والملك قام وخرج من البستان وأرسل إلى جميع العسكر وعمل ديواناً وأخبرهم بما فعل مع معروف والملك وأخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم : إن لم تجعلوني عليكم سلطاناً أمرت خادم الخاتم أن يحملكم جميعاً ويرميكم في الربع الخراب فتموتوا جوعاً وعطشاً . فقالوا له : لا تفعل معنا ضرراً فإننا قد رضينا بك علينا سلطاناً ولا نعصي لك أمراً . ثم إنهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهراً عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبي السعادات كل ما أراده فيحضره بين يديه في الحال . ثم إنه جلس على الكرسي وأطاعه العسكر وأرسل إلى بنت الملك يقول لها : حضري روحك فإني داخل عليك في هذه الليلة لأني مشتاق إليك . فبكت وصعب عليها أبوها وزوجها ثم إنها أرسلت تقول له : امهلني حتى تنقضي العدة ثم اكتب وادخل عليّ في الحلال . فأرسل يقول لها : أنا لا أعرف عدة ولا طول مدة ولا أحتاج إلى كتاب ولا أعرف حلالاً من حرام ولا بد من دخولي عليك في هذه الليلة . فأرسلت تقول له : مرحباً بك ولا بأس بذلك ، وكان ذلك مكراً منها . فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لأنه كان مغرمًا بحبها ثم إنه أمر بوضع الأطعمة بين جميع الناس وقال : كلوا هذا الطعام فإنه وليمة الفرح فإني أريد الدخول على الملكة في هذه الليلة . فقال شيخ الإسلام : لا يحلّ لك الدخول عليها حتى تنقضي عدّتها وتكتب كتابك عليها . فقال له : أنا لا أعرف عدة ولا مدة فلا تكثر عليّ كلاماً . فسكت شيخ الإسلام وخاف من شرّه وقال للعسكر : إن هذا كافر ولا دين له ولا مذهب له . فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة أفخر ما عندها من الثياب ومزينة بأحسن الزينة . فلما رأته قابلته وهي ضاحكة وقالت له : ليلة مباركة ولو كنت قتلت أبي وزوجي لكان أحسن عندي . فقال لها : لا بد أن أقتلهما . فأجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد . فلما لاطفته وتبسّمت في وجهه طار عقله وإنما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدّل فرحه بالنكد على أم ناصيته . وما فعلت معه هذه الفعال إلا على رأي من قال : [من مجزوء الكامل]

ولَقَدْ بَلَغْتُ بِحِيلَتِي ... ما لَيْسَ يُبْلَغُ بالسُّيُوفِ
ثُمَّ انْثَنَيْتُ بِمَغْنَمٍ ... حُلْوِ المجانِي والقُطُوفِ

فلما رأى الملاطفة والإبتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال . فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت : يا سيدي ، أما ترى للرجل الناظر إلينا؟ بالله عليك أن تسترني عن عينه . فكيف تواصلني وهو ينظر إلينا؟ فاغتاظ وقال : أين الرجل ؟ قالت : ها هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر إلينا؟ فظن أن خادم الخاتم ينظر إليهما فضحك وقال : لا تخافي إن هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي . قالت أنا أخاف من العفاريت فاقلعه وارمه بعيداً عني . فقلعه وحطه

على المخدة ودنا منها فرفصته برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشياً عليه، وزعقت على أتباعها فأتوها بسرعة فقالت: امسكوه. فقبض عليه أربعون جارية، وعجلت بأخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته وإذا بأبي السعادات أقبل يقول: لبيك يا سيدتي. فقالت: إحمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقّل قيوده. فأخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها: قد سجنته. فقالت له: أين ذهبت بأبي وزوجي؟ قال: رميتهما في الربع الخراب. قالت: أمرتك ان تأتيني بهما في هذه الساعة. فقال: سمعاً وطاعة ثم طار من قدامها. ولم يزل طائراً إلى ان وصل إلى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما. فقال لهما: لا تخافا قد أتاكما الفرج. وأخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما: إني قد سجنته بيدي طاعة لها ثم أمرتني بإرجاعكما. ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما، فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك، فقامت وسلّمت على أبيها وزوجها وأجلستهما وقدّمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة، وفي ثاني يوم ألبست أباها بدلة فاخرة وألبست زوجها بدلة فاخرة وقالت: يا أبت، اقعد انت على كرسيك ملكاً على ما كنت عليه أولاً واجعل زوجي وزير ميمنة عندك واخبر عسكرك بما جرى وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه، فإنه كافر وأراد ان يدخل عليّ سفاحاً من غير نكاح، وشهد على نفسه إنه كافر وليس له دين يتدين به، واستوص بنسيبك الذي جعلته وزير ميمنة عندك. فقال لها: سمعاً وطاعة يا بنتي، ولكن أعطيني الخاتم أو اعطيه لزوجك. فقالت: إنه لا يصلح لك ولا له وإنما الخاتم يكون عندي وربما أحميه أكثر منكما، ومهما أردتماه فاطلباه مني وأنا أطلب لكما من خادم الخاتم ولا تخشيا بأساً ما دمت انا طيبة، وبعد موتي فشأنكما والخاتم. فقال أبوها: هذا هو الرأي الصواب يا بنتي. ثم أخذ نسيبه وطلع إلى الديوان وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من أنه دخل عليها سفاحاً من غير نكاح وأساء الملك ونسيبه وخافوا ان تنهتك شريعة الإسلام لأنه بان لهم أنه كافر. ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعنّفون شيخ الإسلام ويقولون له: لماذا ما منعته من الدخول على الملكة سفاحاً؟ فقال لهم: يا ناس، إن الرجل كافر وصار مالكاً لخاتم، وأنا وأنتم لا يخرج من أيدينا في حقّه شيء فالله تعالى يجازيه بفعله واسكتوا أنتم لئلا يقتلكم. فبينما العساكر مجتمعون في الديوان يتحدّثون في هذا الكلام وإذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 1000

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العساكر من شدّة غيظهم جلسوا في الديوان يتحدّثون في شأن الوزير وما فعل بالملك ونسيبه وبنته وإذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف. فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الأقدام وقبّلوا الأرض بين يديه. ثم جلس على الكرسي وأخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وأمر بزينة المدينة وأحضر الوزير من الحبس. فلما مرّ بالعساكر صاروا يلعنونه ويشتمونه ويوبّخونه حتى وصل إلى الملك. فلما تمثّل بين يديه أمر بقتله أشنع قتلة. فقتلوه ثم حرقوه وراح إلى سقر في أسوأ الأحوال. وأجاد فيه من قال: [من الطويل]

فَلا رَحِمَ الرَّحْمٰنُ تُرْبَةَ عَظْمِهِ ولا زَالَ فِيها مُنْكَرٌ ونَـكِيرُ

ثم إن الملك جعل معروفاً وزير ميمنة عنده وطابت لهم الأوقات وصَفَت لهم المسرّات واستمرّوا على ذلك خمس سنوات . وفي السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانًا مكان أبيها ولم تعطه الخاتم ، وكانت في هذه المدة حملت منه ووضعت غلاماً بديع الجمال بارع الحسن والكمال . ولم يزل في حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات ، فمرضت أمه مرض الموت فأحضرت معروفاً وقالت له : أنا مريضة . قال لها : سلامتك يا حبيبة قلبي . قالت له : ربما أموت فلا تحتاج إلي أني اوصيك على ولدك وإنما اوصيك بحفظ الخاتم خوفاً عليك وعلى هذا الغلام . فقال : ما على من يحفظه الله بأس . فقلعت الخاتم وأعطته له وفي ثاني يوم توفيت إلى رحمة الله تعالى ، وأقام معروف ملكاً وصار يتعاطى الأحكام . فاتفق له في بعض الأيام أنه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه إلى أماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها إلى أن مضى النهار واقبل الليل بالإعتكار ، فدخل عليه أرباب منادمته من الأكابر على عادتهم وسهروا عنده من أجل البسط والإنشراح إلى نصف الليل ثم طلبوا الإجازة بالإنصراف فأذن لهم وخرجوا من عنده إلى بيوتهم . وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ، ففرشت له المرتبة وقلّعته البدلة والبسته بدلة النوم واضطجع ، فصارت تكبس أقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت إلى مرقدها ونامت . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر الملك معروف فإنه كان نائماً فلم يشعر إلا وشيء بجانبه في الفراش فانتبه مرعوباً وقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم فتح عينه فرأى في جانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها : من انت قالت : لا تخف أنا زوجتك فاطمة العرّة . فنظر في وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول أنيابها وقال : من أين دخلت عليّ ؟ ومن جاء بك إلى هذه البلاد ؟ فقالت له : في أي البلاد انت في هذه الساعة ؟ قال : في مدينة خيتان الختن ، وانت متى فارقت مصر ؟ قالت : في هذه الساعة . قال لها : وكيف ذلك ؟ قالت : أعلم أني لما تشاجرت معك وقد اغراني الشيطان على ضررك واشتكيتك إلى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك ، وبعد أن مضى يومان لحقتني الندامة وعلمت أن العيب عندي وصار الندم لا ينفعني ، وقعدت مدة أيام وانا ابكي على فراقك ، وقلّ ما في يدي واحتجت إلى السؤال لأجل القوت فصرت أسأل كل مغبوط وممقوت ، ومن حين فارقتني وأنا آكل من ذلّ السؤال وصرت في أسوأ الأحوال ، وكل ليلة أقعد أبكي على فراقك وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذلّ والهوان والتعسة والخسران . وصارت تحدّثه بما جرى لها وهو باهت فيها إلى أن قالت : وفي أمس درت طول النهار أسأل فلم يعطني أحد شيئًا وصرت كلما أقبل عليّ أحد وأسأله كسرة يشتمني ولا يعطيني شيئًا . فلما أقبل الليل بتّ من غير عشاء فأحرقني الجوع وصعب عليّ ما قاسيت وقعدت أبكي وإذا بشخص تصوّر قدامي وقال لي : يا امرأة ، لأي شيء تبكين ؟ فقلت : إنه كان زوج يصرف عليّ ويقضي أغراضي وقد فقد مني ولم أعرف أين راح وقد قاسيت الغلب من بعده . فقال : ما اسم زوجك ؟ قلت : إسمه معروف . قال : أنا اعرفه ، اعلمي أن زوجك الآن سلطان في مدينة وإن شئت ان أوصلك إليه أفعل ذلك . فقلت له : أنا في عرضك ان توصلني إليه . فحملني وطار بي بين السماء والأرض حتى أوصلني

إلى هذا القصر وقال : ادخلي في هذه الحجرة تري زوجك نائماً على السرير . قدخلت فرايتك في هذه السيادة وأنا ما كان في أملي أنك تفوتني وأنا رفيقتك والحمد لله الذي جمعني عليك . فقال لها : هل أنا فتك أو أنت التي فتني ؟ وأنت تشكينني من قاض إلى قاض وختمت ذلك بشكايتي إلى الباب العالي حتى نزلت عليّ أبا طبق من القلعة فهربت قهراً عني . وصار يحكي لها على ما جرى له إلى أن صار سلطاناً وتزوّج بنت الملك وأخبرها بأنها ماتت وخلّف منها ولداً صار عمره سبع سنين . فقالت له : الذي جرى مقدّر من الله تعالى وقد ثبت وأنا في عرضك أنك لا تفوتني ودعني آكل عندك العيش على سبيل الصدقة . ولم تزل تتواضع له حتى رقّ قلبه لها وقال لها : توبي عن الشرّ واقعدي عندي وليس لك إلا ما يسرّك فإن عملت شيئًا من الشر اقتلك ولا اخاف من أحد ، فلا يخطر ببالك أنك تشتكينني إلى الباب العالي وينزل لي أبو طبق من القلعة ، فإني صرت سلطاناً والناس تخاف مني وأنا لا أخاف إلا من الله تعالى ، فإن معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه أبو السعادات ومهما طلبته منه يجيئني به ، فإن كنت تريدين الذهاب إلى بلدك اعطيك ما يكفيك طول عمرك وارسلك إلى بلادك بسرعة ، وإن كنت تريدين القعود عندي فإني أخلي لك قصراً وافرش لك من خاص الحرير واجعل لك عشرين جارية تخدمك وأرتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي أو أموت أنا . فما تقولين في هذا الكلام ؟ قالت : أنا أريد الإقامة عندك . ثم قبّلت يده وتابت عن الشر فأفرد لها قصراً وحدها وأنعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة . ثم إن الولد صار يذهب عندها وعند أبيه فكرهت الولد لكونه ما هو ابنها . فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها . ثم إن معروفاً اشتغل بحب الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرّة لأنها صارت عجوزاً شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء أقبح من الحية الرقطاء ، خصوصاً وقد أساءته إساءة لا مزيد عليها . وصاحب المثل يقول : الإساءة تقطع أصل المطلوب وتزرع البغضاء في أرض القلوب . ولله درّ القائل : [من الكامل]

إحْرِصْ عَلى فَرْطِ القُلُوبِ مِنَ الأذَى ... فَرُجُوعُها بَعْدَ التَّنافُرِ يَعْسُرُ
إنَّ القُلُوبَ إذا تَنافَرَ وُدُّها ... مِثْلُ الزُّجاجَةِ كَسْرُها لا يُجْبَرُ

ثم إن معروفاً لم يأوها الخصلة حميدة فيها وإنما عمل معها هذا الإكرام ابتغاء مرضات الله تعالى . ثم إن دنيازاد قالت لأختها شهرزاد : ما أطيب هذه الألفاظ التي هي أشد أخذاً للقلوب من سواحر الألحاظ ، وما أحسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة . فقالت شهرزاد : وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، أصبح الملك منشرح الصدر ومنتظراً لبقية الحكاية وقال في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها . ثم خرج إلى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت إبطه ، فمكث الملك في الحكم بين الناس طول نهاره وبعد ذلك ذهب إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عادته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 1001

□ ذهب الملك إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها اختها دنيازاد : اتممي لنا حكاية معروف . قالت : حباً وكرامة ، إن اذن لي الملك بالحديث . فقال لها الملك : قد اذنت لك بالحديث لأنني متشوّق إلى سماع بقيّته . قالت : بلغني أيها الملك ، ان معروفاً صار لا يعتني بزوجته من أجل النكاح وإنما كان يطعمها احتساباً لوجه الله تعالى . فلما رأته ممتنعاً عن وصالها ومشتغلاً بغيرها ، بغضته وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها إبليس أنها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه . ثم إنها خرجت ذات ليلة من الليالي ومشت من قصرها متوجهة إلى القصر الذي فيه زوجها الملك معروف . واتفق بالأمر المقدّر والقضاء المسطر أن معروفاً كان راقداً مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال ، ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من إصبعه إذا أراد أن يجامع احتراماً للأسماء الشريفة التي هي مكتوبة عليه فلا يلبسه إلا على طهارة . وكانت زوجته فاطمة العرّة لم تخرج من موضعها إلا بعد أن أحاطت علماً بأنه إذا جامع يقلع الخاتم ويجعله على المخدة حتى يتطهّر . وكان من عادته أنه متى جامع يأمر المحظية أن تذهب من عنده خوفاً على الخاتم ، وإذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمّام ويأخذ الخاتم ويلبسه ، وبعد ذلك كل من دخل القصر لا حرج عليه . وكانت تعرف هذا الأمر كله ، فخرجت بالليل لأجل أن تدخل عليه في القصر وهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها . فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضي حاجة من غير نور ، فقعد في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحاً عليه . فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي إلى جهة قصر أبيه . فقال في نفسه : يا هل ترى لأي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام وأراها متوجهة إلى قصر أبي ؟ فهذا الأمر لا بد له من سبب . ثم إنه خرج وراءها وتبع أثرها من حيث لا تراه ، وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج إلى ديوان أبيه إلا متقلّداً بذلك السيف لكونه مستعزّاً به ، فإذا رآه أبوه يضحك عليه ويقول : ما شاء الله ، إن سيفك عظيم يا ولدي ولكن ما نزلت به حرباً ولا قطعت به رأساً . فيقول له : لا بد أن أقطع به عنقاً يكون مستحقّاً للقطع . فيضحك من كلامه . ولما مشى وراء زوجة أبيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه فوقف لها على باب القصر وصار ينظر إليها فرآها وهي تفتّش وتقول : أين وضع الخاتم ؟ ففهم إنها دائرة على الخاتم . فلم يزل صابراً عليها حتى لقيته فقالت : ها هو . والتقطته وأرادت أن تخرج فاختفى خلف الباب . فلما خرجت من الباب نظرت إلى الخاتم وقلبته في يدها وأرادت أن تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة . فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده . فقال له : ما هذا يا ولدي ؟ قال : يا أبي ، كم مرة وأنت تقول لي : إن سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حرباً ولا قطعت به رأسًا . وأنا أقول لك : لا بد أن أقطع به عنقاً مستحقّاً للقطع فيها . أنا قد قطعت لك به عنقاً مستحقّاً للقطع وأخبره بخبرها . ثم إنه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في أعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليه ، فأخذه من يدها ثم قال له : أنت ولدي بلا شك ولا ريب ، أراحك الله في الدنيا والآخرة كما أرحتني من هذه الخبيثة ، ولم يكن سعيها إلا لهلاكها . ولله درّ من قال : [من الطويل]

إذا كانَ عَوْنُ اللهِ لِلْمَرْءِ مُسْعِفاً تَأتَّي لَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُرادُهُ
وإنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلَ ما يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهادُهُ

ثم إن الملك معروفاً زعق على بعض اتباعه فأتوه مسرعين، فاخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرّة وأمرهم ان يأخذوها ويحطوها في مكان إلى الصباح . ففعلوا كما أمرهم ثم وكّل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهداً ودفنوها، وما كان مجيئها من مصر إلا لترابها . ولله درّ من قال : [من الوافر]

مَشَيْناها خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنا ومَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشاهَا
ومَنْ كانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ في أَرْضٍ سِواهَا

وما أحسن قول الشاعر : [من الوافر]

وما أَدْرِي إذا يَمَّمْتُ أَرْضاً أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُما يَلِينِي
هَلِ الخَيْرُ الَّذي أَنا أَبْتَغِيه أَمِ الشَّرُّ الَّذي هُوَ يَبْتَغِينِي

ثم إن الملك معروفاً أرسل يطلب الرجل الحرّاث الذي كان ضيفه وهو هارب . فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته . ثم علم ان له بنتاً بديعة الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب، فتزوّج بها وبعد مدة من الزمان زوّج ابنه وأقاموا مدة في أرغد عيش وصفَت لهم الأوقات وطابت لهم المسرّات إلى ان أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتّم البنين والبنات . فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت .

الخاتمة

وكانت شهرزاد في هذه المدة قد خلّفت من الملك ثلاثة أولاد ذكور . فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبّلت الأرض بين يدي الملك وقالت له : يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان ، إني أنا جاريتك ولي ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدّمين فهل لي في جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنية ؟ فقال لها الملك : تمنّي تعطي يا شهرزاد . فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم : هاتوا أولادي ! فجاؤوا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة أولاد ذكور : واحد منهم يمشي ، وواحد يحبي ، وواحد يرضع . فلما جاؤوا بهم أخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبّلت الأرض وقالت : يا ملك الزمان ، هؤلاء أولادك وقد تمنّيت عليك أن تعتقني من القتل إكراماً لهؤلاء الأطفال ، فإنك إن قتلتني يصر هؤلاء الأطفال من غير أم ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء . فعند ذلك بكى الملك وضمّ أولاده إلى صدره وقال : يا شهرزاد ، والله إني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية حرّة تقية ، بارك الله فيك وفي أبيك وأمك وأصلك وفرعك ، وأشهد الله عليّ أني قد عفوت عنك من كل شيء يضرّك . فقبّلت يديه وقدميه وفرحت فرحاً زائداً وقالت له : أطال الله عمرك وزادك هيبة ووقاراً . وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة ، وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ولونها أبيض من وجه النهار . وأصبح الملك مسروراً وبالخير مغموراً ، فأرسل إلى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره أبي شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال له : سترك الله حيث زوّجتني ابنتك الكريمة التي كانت سبباً لتوبتي عن قتل بنات الناس ، وقد رأيتها حرّة نقية عفيفة زكية ورزقني الله منها بثلاثة أولاد ذكور ، والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة . ثم خلع على كامل الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وأمر بزينة المدينة ثلاثين يومًا ولم يكلف أحدًا من أهل المدينة شيئًا من ماله ، بل كامل الكلفة والمصاريف من خزانة الملك . فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ، ودقت الطبول وزمرت الزمور ، ولعبت كامل أرباب الملاعب ، وأجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدّق على الفقراء والمساكين وعمّ بإكرامه سائر رعيّته وأهل مملكته وأقام هو ودولته في نعمة وسرور ولذة وحبور حتى أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات .

فسبحان من لا يفنيه تداول الأوقات ولا يعتريه شيء
من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرّد
بصفات الكمال والصلاة والسلام على إمام حضرته
وخيرته من خليفته سيدنا محمد سيد الآنام
وتضرّع به إليه في حسن الختام .

فهرس الحكايات

ALF LAYLA
WA LAYLA

A THOUSAND AND ONE NIGHTS
MILLE ET UNE NUITS

Introduction by
Dr. Afif Nayef Hatoum

DAR SADER *Publishers*
Beirut, 1999



لقد سحر هذا الكتاب النفيس عقول القرّاء وتحيّرت فيهم الألباب وهو في نظرنا كتاب قيّم فريد. فمؤلفه الحقيقي علامة ومصلح اجتماعي كبير. وهو حافظ للأشعار وكان يختار منها أجودها وما كان معناه موافقاً مع موضوع القصة أو الحكاية أو نادرة من النوادر التي يغلب عليها في الظاهر سمة الهزل والإضحاك قاصداً بذلك التهذيب والإصلاح.

بالإضافة إلى شخصيات الملوك والوزراء نجد المؤلف يخالط الناس في الأسواق فيصوّر حالة التّجار الأغنياء أو المفلسين بسبب وقوعهم في هوى جارية أو حسناء. وقد حظيت المرأة الحصّة الأكبر بين جميع شخصيات هذه الحكايات. وبعد قراءة هذا الكتاب والتمعّن فيه، نرى قيمته الفنية، الشعرية والاجتماعية والتاريخية كبيرة.

ومن المفتونين بهذا العمل الأدبي الشعري العلمي الضخم الكاتب الفرنسي الكبير «فولتير» الذي اعترف بأنه لم يتمكن من مزاولة كتابة فن القصة كتابة جيّدة مفيدة بنّاءة إلا بعدما قرأ كتاب «ألف ليلة وليلة» أربع عشر مرة .

الدكتور عفيف نايف حاطوم
دكتوراه من جامعة عين شمس
دكتوراه من جامعة الصوربون



طبع على مطابع دار صادر تأسست سنة ١٨٦٣